

١٩

آذار (مارس) ١٩٧٣

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

١٩ آذار (مارس) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ــ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

ملاحظة : الدولار الاميركي يساوي ٣ ل.ل.

صورة الغلاف : نقشة عربية من جدار قبة الصخرة المشرفة في القدس .

المحتويـــات

شؤون فلســـطينية

الدكتور انيس صايغ

تستقبل شؤون فلسطينية اليوم عامها الثالث . ويتساءل المرء ، وهو يقف على عتبة هذا العام الجديد ، التساؤلات نفسها التي يوجهها أبناء الشعب الفلسطيني والكثيرون من اخوانهم العرب في مطلع كل عام جديد عما هو قدر شعبنا ونضالنا في هذا العام ، وعما يحمله لنا الغد من مفاجآت . وبالطبع ، لا تبعث المؤشرات البارزة ، لا الدولية ولا العربية ولا المحلية ، على التفاؤل . فالجــو ملــوث بالتسويــات وبالاستسلامــات وبالانحرافات . وخيوط المؤامرة ضد ثورتنا الفلسطينية العربية تحاك من جديد وبدهاء وبضراوة أكثر من السابق . ويتفاقم خطر التحالف الشرير بين الصهيونية والاستعمار والرجعية ضد ثورتنا ويسفر التآمر المثلث عن وجهه بشكل اوقح مما اختبرناه طيلــة نضال ربع قرن من الزمان .

لكن هذا كله مجرد جزء من قدرنا . الجزء الاخر ، والاهم والاكثر فاعلية في النهاية ، هو عزمنا على التصدي للمؤامرات ، وارادتنا على الاستمرار في الثورة حتى النصر . وكلما ازدادت المخاطر حول مسيرتنا ازدادت هذه المسيرة تصميماً على المجابهة وعلى ابقــاء راية النضال مرفوعة من يد شهيد الى يد شهيد ومن يد جيل الى يد جيل .

ودور شؤون فلسطينية ، في هذا العام الجديد ، هو دور المقاتل الفلسطيني الثابت في الساحة . انها تعاهد زميلاتها من مؤسسات الثورة ، وتعاهد الشعب الفلسطيني الذي من أجل استعادة حقوقه وتحقيق أمانيه تقوم الثورة ، وتعاهد الجماهير العربية التي تلتحم مع الثورة وتشكل امتدادها الطبيعي في ارجاء الوطن العربي ، تعاهد الجميــع بأن تكون في هذا العام ، وهي بعد في سن الطفولة التي تحتاج الى المزيد من الخبــرة والجديد من التجربة ، سلاحا ماضيا في يد الثورة ضد الصهيونية وضد الاستعمار وضد الرجعية ، سلاحا ينزل بالعدو من الضربات ويوقع به من الخسائر ما لم يعهده العدو من قبل من مجلة لا تزال في مطلع حياتها .

عام شؤون فلسطينية الثالث هو نفسه عام الثورة الفلسطينية التاسع : ملاحقة للعدو ومنازلة مع العدو ، وفي النهاية ، في عام قريب او بعيد ، انتصار على العدو ، وعودة مظفرة لجيل من الفلسطينيين الى أرض فلسطين .

من فيتنام الى فلسطين

الدكتور كلوفيس مقصود

يسود اعتقاد في اوساط اكثر الانظمة العربية ان الوقت قد حان ان تنقل الولايات المتحدة اهتمامها من جنوب شرق اسيا الى الشرق الاوسط . ويترسخ هذا الاعتقاد بسلسلة من التصرفات تقوم بها هذه الانظمة بغية تشجيع الولايات المتحدة على القيام بما يسمى « مبادرة » من اجل تحقيق « التسوية السلمية » على اساس تنفيذ بنود قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، هذا يعني باديء ذي بدء ان السلوك العربي الرسمي في هذا المضمار يضع كحد اقصى للطموح العربي المشروع تنفيذ بنود قرار مرفوض من الثورة الفلسطينية ومن القوى الشعبية العربية ، وتجيء خاتمة النزاع العسكري في الفيتنام وكأنها الفرصة المناسبة من اجل دفع الولايات المتحدة نحو التوجه الى « وضع ثقلها » الدولي في استخراج الحلول المناسبة التي تنقذ هذه الانظمة حتى تتمكن بدورها من الاسهام الفعلي بالمحافظة على المصالح النفطية والاقتصادية الاميركية في المنطقة . هذا يعني ان هذه الانظمة العربية تعمل على «اغراء» الولايات المتحدة بأن تقوم بتحرك دبلوماسي ضاغط على اسرائيل بالذات من شأنه ان يفوت على الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي فرص النشاط الفاعل والتملك الحقيقي على مجرى الاحداث . اي بكلام اوضح فان الانظمة العربية المشار اليها تغري الولايات المتحدة من اجل ان يكون بمقدورها « تسويق » مساوماتها على اسس القضية الفلسطينية عند الجماهير ولو الى فترة .

هذه الانظمة العربية والدوائر المحافظة والرجعية الدائرة في فلكها تنطلق في سلوكها وتحركاتها من قراءة خاطئة لما حصل في الفيتنام من حيث انها تتصور ان الولايات المتحدة تملك الحل للقضايا المستعصية وبالتالي فان مهماتها تكمن في أن توجد للشرق الاوسط حلا لازمتها مثلما « أوجدت » حلا للازمة في فيتنام . واذا نحن أكدنا ان هذه القراءة الخاطئة تستهدف القيام بحملة تضليل على الجماهير العربية لادركنا ان اولى هموم هذه الانظمة والدوائر العربية هو أن لا ينتقل « عدوى » الثورة الفيتنامية الى الدائرة العربية وما ينطوي عليه هذا الانتقال من احتمالات تغييرات جذرية في واقع المجابهة المصيرية مع اسرائيل والمحور الامبريالي ـ الصهيوني وما يستتبع هذه التغييرات بالضرورة من تغيير محتوم في أدوات المجابهة وأجهزتها . كما ان القراءة الخاطئة لاحداث فيتنام تستهدف تغييب التجربة الثورية الفيتنامية عن بصيرة الجماهير العربية من خلال حملة اعلامية نفسية مفتعلة تصور الاتفاقية التي حصلت في الفيتنام دليلا على استحالة صيرورة كل « الاهداف الثورية » في حال تصادمها مع احدى القوتين العظميين ـ وخاصة الولايات المتحدة .

وتومي هذه الحملة الاعلامية والنفسية الى أن الذي يتحكم بالازمات الاقليمية ليست الارادات الاقليمية نفسها بل المعادلات الدولية المستجدة خاصة المعادلة الستراتيجية القائمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ويتوخى هذا الايماء بأن تترك

الجماهير العربية لهذه الانظمة حرية التصرف والمناورات من خلال تضاريس المعادلات الدولية القائمة واستخلاص ما باستطاعتها من « تنازلات » تؤمن ما تتصوره وما تعمل على تصويره بكونه « مصالحنا القومية » . فالى جانب اشاعة النزعة الاتكالية فان هذه الحملة الاعلامية والنفسية تؤدي في حال نجاحها الى حجب الجماهير تدريجيا عن فرص الفعالية والمشاركة من خلال السعي الى تيئيسها من جدوى التعبئة والتنظيم والتحرك الثوري . يضاف الى ذلك ان الغوص في العمل الدبلوماسي من شأنه طمس معالم المفارقات بين اهداف الانظمة المحافظة ـ الرجعية واهداف الانظمة الوطنية اذ أن التهافت على السلوك الدبلوماسي يفقد التمايز الفعلي القائم في الدوافع السياسية لهذه الانظمة . بكلام اخر فان الاقحام الدبلوماسي من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن يضع حتى ما يمكن اعتباره من متباينين واضداد في اطار واحد على الاقل مرحليا .

لكن هل يعني ان الثورة الفلسطينية ـ وقوى الثورة العربية ـ هي بالضرورة ضد أي تحرك دبلوماسي خاصة وانه باستطاعة الانظمة العربية وغير الانظمة استحضار Invoke السوابق والشواهد على بعض انجازات الدبلوماسية للثورات . وهذا صحيح اذا نحن ادركنا ان الثورة لها دبلوماسية من صلب مخططاتها المتعددة الابعاد والوجوه . الا انه يجب التثبت في حال اللجوء الى السبل الدبلوماسية ، من أنها منبثقة عن خط ثوري وليست كما هي الحال في اوضاعنا الراهنة بديلا للثورة او عملية اجهاض لها .

وماذا نعني بالدبلوماسية الثورية او بدبلوماسية الثورة ؟ هي بداهة تعني الدبلوماسية الساعية لتحقيق أهداف الثورة . هذا يعني بالضرورة انها دبلوماسية ثورية ايضا من حيث أنها عملية حوار تفاوضي لا تباشر مهامها الا اذا ضمنت شروط تحقيق اهدافها المرحلية او النهائية ، وهي تسلم بأن دورها المفاوض لا يكون مجديا ما لم يسبق هذا الدور ويلازمه « حوار » قتالي مع العدو . هكذا نجد انه في هذا المضمار استهدفت دبلوماسية الثورة الفيتنامية ـ ودبلوماسية فيتنام الديمقراطية ـ ان يتخلى الاميركيون الاستعماريون وعملائهم في جنوب فيتنام لا عن مواقفهم فحسب بل عن بنية كيانهم القائم. ولم تكن الثورة الفيتنامية لتتمكن من توفير الشروط الملائمة لتحقيق مثل هذه الاهداف الستراتيجية لها لو لم يسبق مُوقف التفاوض حسم من قبل قيادة الثورة الفيتنامية فيما يتعلق بالتزام حرب التحرير الشعبية وما يترتب على ذلك من تحصين ذاتي ضد محاولات التحريف التي يلجأ اليها النظام الدولي عندما يعمل على افتعال حالة «استقرار» على حساب اهداف الثورات المشروعة .

يتبين لنا أن استراتيجية التحرير الكامل تفرض ان يكون ملازما للحوار القتالي مع المحور الامبريالي ـ الاسرائيلي استعداد دائم للحوار التفاوضي في مراحل تستوجب المفاوضة لاجل ازالة بنية الكيان الصهيوني وبناء التركيب البديل ـ اي فلسطين الديموقراطية العلمانية . الا أن هذا الهدف الستراتيجي لا يجيز اتباع منهج تفاوضي الا في المرحلة التي تكون الثورة الفلسطينية ـ والعربية ـ قد تمكنت من انضاج الاوضاع بحيث يصبح العدو مضطرا للتفاوض من أجل ازالة الكيان الذي سبب العداء وبالتالي مساهما في تنفيذ اهدافنا المشروعة في التحرير الكامل لفلسطين . الا أن هذا يستوجب ايجاد تغيير في موازين القوى القائمة في المنطقة .وهذا يعني تغييرا كيفيا في الواقع العربي يؤهله أن يباشر بالعمليات ـ العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ـ المطلوبة من أجل ترجيح قوة العرب فعليا في مجابهتهم المصيرية مع المحور الاميركي ـ الاسرائيلي . هذا التغيير الكيفي المطلوب يضع قوى الثورة العربية ـ والفلسطينية ـ بحالة افتراق وتباين وتناقض مع معظم الانظمة العربية وخاصة مع التي توافق على الحلول السلمية المعروضة . الا أننا هنا لسنا بصدد استشراف الصيغ للمعالجات

الشاملة الا من حيث أن رسم خطوطها العريضة يؤكد الالتزام الستراتيجي الذي يتحكم بمواقفها الانية والمرحلية والذي على ضوئه — وفي خدمته — نقيم الظروف والاوضاع التي نواجهها في هذه الفترة الانتقالية الدقيقة التي نمر بها .

يبقى نقطة أساسية من حيث اعتماد الثورة للدبلوماسية الثورية . وهنا يبدو النموذج الفيتنامي واردا جدا بمعادلاته المسلكية وان يكن من الضروري مراعاة المفارقات الموضوعية والظرفية . وهذه النقطة تتعلق بالعلاقات القائمة مع حلفاء متناقضين . في هذا الموضوع نجد كيف ان الثورة الفيتنامية عندما باشرت في تصديها الاصطدامي المباشر مع الامبريالية الاميركية وجدت نفسها متحالفة عقائديا وعسكريا وسياسيا مع حليفين اخذت بوادر التفكك تتزايد وتنمو بينهما . ففي أثناء احتدام العمليات العسكرية مع الوجود الاميركي النامي كانت تنمو في الوقت نفسه التناقضات الجغرافية والمذهبية بين الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي . ورغم هذه المفارقة الخطرة تمكنت قيادة الثورة الفيتنامية أن تبقي مسيرتها بمنأى عن التأثيرات السلبية الناتجة عن مثل هذه التناقضات خاصة وان المذهبية الماركسية اللينينية التي تشكل الالتزام المبدئي والسلوكي للتنظيم الفقري للثورة كان سيجعلها اكثر انغماسا في جو هذه التناقضات . الا ان الخط اللينيني اثناء مسيرة التحرر يعطي مناعة للثورة ويجعلها قادرة ان تخضع تناقضات لمستلزمات مسيرتها . فما دامت الثورة الفيتنامية قد عبأت قواها الذاتية وحققت في دوائرها المحررة القدر الكافي من التغيير الجذري في البنية الاجتماعية فهذا يعني أن استقلالها الفعلي يستجلب من كافة القوى المناهضة للامبريالية ان ترى الساحة الفيتنامية موقع التقاء وتفاعل لها وليس موقع تنافس أو تناحر . ورغم ما أوجد التناقض الصيني — السوفياتي من متاعب ادارية من حيث وصول المساعدات السوفياتية الا أن التلاحم المصيري مع الصين وحاجة الفيتناميين للمساعدات السوفياتية جعلهم يصرون على تجاوز هذه المفارقات وجعلهم في نهاية الامر يفرضون على الصين والاتحاد السوفياتي ترك تناقضاتهما عند حدود الثورة الفيتنامية . كما أن مزاولة النشاط الثوري المنجز بشكل مثابر جعل الثورة الفيتنامية مصدقة عند كل حلفائها بأنها تصر على محالفاتهم ومساعدتهم لكن دون الدخول بشكل من الاشكال في منازعاتهم . ولم تقتصر الثورة الفيتنامية على حصر تحالفها بالمعسكر الاشتراكي والصين فحسب بل انها اكدت باستمرار رغبتها وتصميمها على اعتبار عدد من قطاعات العالم الثالث حلفاء لها وان كان بنسب متفاوتة . ومن الملاحظ انه عندما كانت تحتد النزاعات السوفياتية — الصينية او الصينية — الهندية كانت فيتنام الديمقراطية والفيتكونغ يبرزان علاقاتهما مع كافة هذه الاطراف ويشددان على كونهما بدورهما متوحدين في تصديهما للامبريالية الاميركية في جنوب شرق آسيا .

يتراءى لنا اذن ان الدبلوماسية الثورية تستطيع أن تنتزع من حلفاء مختلفين او متناقضين تجاوز التناقض في موقع الثورة ولاهداف الثورة . هذا بدوره يساهم في تحديد وجهة السير للدبلوماسية الثورية التي يجب ان نعتمدها من حيث اتباع نهج يمكننا من ابقاء الثورة الفلسطينية خاصة — والثورة العربية عامة — بمنأى عن كل الخلافات والمنازعات التي ترزح تحت وطأتها القوى المناهضة للامبريالية في المعسكر الاشتراكي وفي العالم الثالث . فما دام باستطاعتنا ان نجعل دائرة ثورتنا القومية التحررية العامة موقعا تلتحم عنده كل القوى المصطدمة مع الامبريالية والصهيونية تتضائل عندئذ تناقضاتها على الاقل في دائرة الاصطدام التي نشكل نحن الطرف الثوري التحرري فيها . في هذا المجال يتبين لنا اهمية التجربة الفيتنامية كاحدى النماذج الناجحة في انتهاج الدبلوماسية الثورية مع حلفائها وما يتعين على هذا من تحديد مواقف وفي انتهاج دبلوماسية ثورية مع الاعداء من حيث ان الحوار القتالي ينطوي بالضرورة على استعداد

للحوار التفاوضي من أجل تفكيك كيان الذي سبب القتال الثوري واستبداله بالبنية المناسبة للاهداف الثورية والقومية المشروعة . هذا لا ينفي ان يكون هناك فروق هامة في نواحي التركيز على أولويات بين حلفائنا من حيث الحاجات المادية او التناسق المذهبي الا ان ما هو وارد في هذا الخصوص هو أن لا نجعل اولوياتنا داخل تحالفاتنا مدخلا للانحراف عن اولويات نضالاتنا المباشرة . ولا أحد ينكر صعوبة مثل هذا النهج في ظرف كانت القوى العالمية المناهضة للامبريالية تبدو وكأنها أقل اهتماما في تقويض معالم الاستعمار وركائزه مما هي في تصفية حساباتها المصلحية والمذهبية . الا انه لن يكون بمقدورنا في مطلق الاحوال اكثر من الاقتداء بالمنهج الفيتنامي في هذا الشأن لانه يبقى سابقة جديرة بأن نسترشد بها في تحديد صيغ العمل لدبلوماسية الثورة .

الا ان التحدي هو الان في هذه المرحلة التي ينتقل اهتمام العالم من فيتنام الى معالجة القضية الفلسطينية . لذلك يتوجب علينا على ضوء التزاماتنا الستراتيجية لهدف التحرير ان نحدد تقييمنا نحن في مواجهة القراءات الخاطئة عن قصد وعن غير قصد من جهة وعلى تفنيد فوري لمبررات ودوافع ما أسميناه بالتهافت الدبلوماسي نحو الحلول السلمية . لقد كان هرع الملك حسين الى واشنطن فور توقيع اتفاقيات الهدنة بين الاطراف المتنازعة في فيتنام دليلا على ان القوى الرجعية العربية الضالعة مع المحور الاميركي ــ الاسرائيلي في المنطقة تعمل على الاستفادة من « مناخ المسالمة » العام من أجل تليين الموقف الاميركي . وهذا يقضي ان تبرز الانظمة العربية وكأنها عاجزة عن الحل ولكنها تنتظر من الولايات المتحدة باعتبار ان « مفتاح الحل بيدها » ان تضغط على اسرائيل بأن تتخلى عن مواقعها المتقدمة حتى تتمكن هذه الانظمة من ابقاء الحالة العربية سهلة الارتهان للمصالح الاميركية بما في ذلك مصلحة الولايات المتحدة في بقاء اسرائيل اداة ضاربة في حالة تهدد مصالح الولايات المتحدة النفطية والستراتيجية والاقتصادية .
الا أن الملك حسين ، كما بدا في زيارته الاخيرة لواشنطن ، أوضح الخط البياني للحل السلمي الذي يسلم بالشروط الاسرائيلية الجوهرية لا الشروط الشكلية التي هي دائما مجال المساومة ، الا ان هذا الخط يحظى بالموافقة الضمنية من قبل أكثر الذين تتواجد عندهم المصالح النفطية والاقتصادية للولايات المتحدة . هذا بدوره يعني ان عددا من الانظمة المحافظة تدعم وتساند بسياسة تليين الولايات المتحدة دون أن تبدو في الجولة الاولى وكأنها مشاركة بشكل مباشر فيها . اذ أن هذه الانظمة المحافظة التي بمقدورها أن تحول طاقاتها النفطية والاقتصادية الى عقوبات ضاغطة على الولايات المتحدة تختار أن تجعل من هذه الطاقات مدخلا للمزيد من الترابط الاقتصادي المستقبلي دون اعطاء الاعتبار الاولي لظروف الهدف القومي في فلسطين . من هنا تتشكل القناعة بأن الملك حسين وان بدا منفردا في مواقفه الا أن الولايات المتحدة تدرك أنه ليس معزولا وبالتالي فانها ستكون حريصة على تلبية المطالب الشكلية لهذه الانظمة حتى تتمكن من استبقاء مكاسب المحور الاميركي ــ الاسرائيلي الجوهرية في المنطقة ، الا أن هذه العلاقة العضوية بين نظام الملك حسين وعدد من الانظمة المحافظة تصبح أكثر وضوحا ابان اقتراب امكانيات تنفيذ « الحلول السلمية » بموجب قرار مجلس الامن . ورغم ان الملك حسين قد يكون انفرد باتصالاته مع واشنطن الا انه لم يتفرد وهنا مكمن الخطورة في الدور الذي يقوم به من أجل استعجال مبادرة اميركية لاحلال « السلام » في الشرق الاوسط . التفرد بهذا المضمار يعني القيام بمهمات بدون موافقة مسبقة أو ضمنية بينما الانفراد قد يكون من ضمن خطة حاصلة على موافقة الانظمة المحافظة على الاقل .

ورغم اننا نعفي الانظمة المحافظة من المشاركة المباشرة في مهمات الملك حسين الحالية في واشنطن من حيث انفراده بها الا أن هذا لا يعفي هذه الانظمة من كونها ساهمت في التمهيد لمثل هذه المهمات وفي مساندتها واعطائها لهذه المهمات وزنا معينا . الا أنه يجدر

التنويه أيضا بأن الانفراد المشار اليه كان من ضمن خطة تسعى الى ابقاء الانظمة المحافظة في وضع يمكنها ان تظهر وكأنها حلقة وسيطة بين مهمات الملك حسين وبين الانظمة الوطنية الرافضة لسياساته ولاهليته بتمثيل أي قطاع عربي . من هنا تظهر جليا نقاط الالتقاء بين الثورة الفلسطينية وبين الانظمة الوطنية اذ أن تحالفهما القائم في هذا المضمار وما ينتج عنه من تقييم متشابه للمرحلة قد يساهم في تفويت ــ أو بالواقع يفوت ــ على الملك حسين مجالات الظهور كمحاور لاية فئة عربية مع اية جهة دولية . الا أن نزع الاهلية بهذا الشكل القاطع لا يكون بالسهولة التي نأملها وهنا يصير دور الانظمة المحافظة في التصرف وكأنها حلقات وسيطة ، مرئيا وواضحا . فماذا رضخت الانظمة الوطنية او قبلت ان تضفي على الانظمة المحافظة سمة «الحلقة الوسيطة» بحكم اضطرارها الى المهادنة أو حاجاتها للمساعدات المادية أو تقديرها ان امكانياتها محدودة من التصدي للانظمة المحافظة في الاوضاع الراهنة فان هذا يعني ان الانظمة الوطنية تسعى الى «الحل السلمي» لكن بشروط أقرب الى البنود المطلوب تنفيذها اي الانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة وتسوية « ما » لحقوق اللاجئين (الفلسطينيين) .

بكلام آخر فان الانظمة الوطنية تختلف بدوافعها السياسية في سعيها للحل السلمي عن النظام الاردني وعن الانظمة المحافظة ، الا أنها تتوحد معها من حيث ترجيح « الحل السياسي » على الحلول الثورية الاخرى . في هذا المضمار تنطلق الانظمة الوطنية في مسعاها الدبلوماسي ــ وليس في تهافت دبلوماسي ــ نحو تقوية عناصر تفاهمها مع الاتحاد السوفياتي على اعتبار ان هذا التفاهم يمكن أن يشكل عامل ضغط اضافي نحو تحقيق الحد الاقصى من الممكن تحقيقه في تنفيذ قرار مجلس الامن . الفرق الاساسي في هذا المضمار بين الانظمة المحافظة والانظمة الوطنية هو أن الاولى تضع نفسها بحالة انقطاع عن البعد السوفياتي ــ أو بالاحرى العامل السوفياتي ــ بينما الانظمة الوطنية تضع هذا البعد بنسب متفاوتة في صميم حساباتها . السؤال المطروح هنا يصبح كيف تقرأ الانظمة الوطنية حلول السلام في فيتنام ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال الهام لا بد من التسجيل ان القطيعة (أو الانقطاع) للاتحاد السوفياتي الذي يرافق المعادلات الدولية للانظمة المحافظة لا ترافقه قطيعة مماثلة ــ باستثناء جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والى حد ما العراق ــ بين الانظمة الوطنية والولايات المتحدة . بهذا الصدد تبرز حركة المقاومة الفلسطينية حاسمة في هذا الموضوع من أنها بحالة قطيعة تامة مع الولايات المتحدة باعتبارها السلطة الامبريالية الاساسية في العالم وفي المنطقة .

يبقى اذن ان القراءة التي تقوم بها الانظمة الوطنية لحلول السلام في فيتنام يشكل عنصرا هاما في كشف المرحلة الانتقالية القادمة في ازمة الشرق الاوسط . باستطاعتنا أن نلاحظ ان ليس هناك قراءة واحدة من قبل هذه الانظمة الا انه من حيث ان مصر هي مركز الثقل العربي داخل الانظمة الوطنية بشكل خاص وفي الواقع العربي بشكل اجمالي فان قراءة مصر للاحداث تشكل نقطة مركزية لاهتماماتنا في هذا الشأن . من هنا تتبين لنا أهمية البلاغ المصري السوفياتي المشترك الذي صدر في العاشر من الشهر الجاري والذي استبق اية محاولة اميركية في أن تقتصر المساعي الدبلوماسية الحالية على الاقتراع بحلول جزئية . لان الموقف المصري ــ السوفياتي في هذا الشأن يدرك ان ما سمي بالحل الجزئي ليس سوى مدخل من اجل تمكين اسرائيل في الامعان بمراوغتها في تنفيذ قرارات الامم المتحدة بشكل عام وقرار مجلس الامن بشكل خاص . يتبين لنا من مدلولات البلاغ المشترك المصري ــ السوفياتي أن مصر قرأت احلال السلام في فيتنام كمنبه لها من أجل تحرير معادلاتها مع الاتحاد السوفياتي من أي لبس أو ارتباك . كما ان الاتحاد السوفياتي اثبت أن الذي يتحكم بعلاقاته مع الدول العربية هو الالتزامات التي تعاقد على تنفيذها اما بموجب المعاهدة التي تربطه مع مصر أو بموجب خطه السياسي العام المساند لقضايا

التحرر العربي على مختلف الاصعدة . كما ان الاتحاد السوفياتي أراد الاشارة الى ان تحمله مسؤوليات تنفيذ التزاماته لا يتأثر بمطلق حال بالتطورات الداخلية للاقطار العربية مع العلم ان هذه التطورات تسهم في تحديد الكثير من مواقف هذه الاقطار تجاه الاتحاد السوفياتي .

لكن الجدير بالذكر أن مصر قرأت تطورات الموقف في فيتنام بشكل جعلها تقيم حلول السلام في جنوب شرق آسيا وكأن هذا التطور يساهم بالفعل بترويض الولايات المتحدة لان الذي حصل في فيتنام لا يمكن اعتباره سوى انتصار لقوى الثورة التحررية فيها . واستتبع هذه القراءة الاسلم لتطورات الموقف في فيتنام والهند الصينية أن مصر توجهت نحو تقوية العناصر الثلاثة الرئيسية لامكانيات المجابهة العربية مع اسرائيل : **اولا** تثبيت المعادلة المصرية ــ السوفياتية على أسس صحيحة رغم ان العودة الى واقع المعادلة القائمة قبل ١٨ تموز ١٩٧٢ أصبح صعبا . **ثانيا** ــ مناشدة الاقطار العربية المنتجة للنفط ان تخضع هذه الثروة لاهداف المجابهة ، رغم أن المناشدة كانت أفعل لو ارتبطت بحركات شعبية ضاغطة أو كانت محصلة وضع متأجج على المستوى القومي . **ثالثا** ــ ترسخ القناعة بأن اسرائيل لن تتخلى عن الاراضي المحتلة الا من خلال نمو مصداقية التزام المعركة . ورغم ما اعترى هذه المصداقية من أزمات ثقة الا انها تبقى أكثر الالتزامات جدية في واقع الانظمة العربية . الا ان محصلة المعادلات الراهنة في العلاقات العربية تسهم في ابطاء صيرورة هذه العناصر الثلاثة وبالتالي من توفير الشروط الموضوعية اللازمة لاجتياز هذه المرحلة الصعبة بأقل الخسائر للامة العربية .

الا أن القراءة الاسلم لتطورات الفيتنام التي قامت بها الانظمة الوطنية ــ ومصر على الاخص ــ من شأنه أن يبرز الفروقات بين الدوافع والاهداف السياسية للمساعي الدبلوماسية التي تقوم بها هذه الانظمة وبين تلك الانظمة ــ مثل نظام الحسين في الاردن ــ التي تفسر قرار مجلس الامن بما يناسب المصالح الرئيسية للمحور الاميركي ــ الاسرائيلي . الا أن هذه الفروق رغم أهميتها البالغة لا تكفي من أجل تأكيد الموقف الثوري في هذا المجال وهو يقضي بأنه قد حان وقت الفرز بين الانظمة فاذا ما حسم هذا الموضوع وظل مترددا في القيام بعملية الفرز فان الثورة الفلسطينية قد تفقد في هذه الحقبة على الاقل فرصتها في تثوير المنطقة من خلال دفع الانظمة الوطنية نحو النتائج المنطقية لالتزاماتهم وقناعاتهم . لكن تردد أو غموض الموقف الثوري في العمل سيرجح النزعة الذرائعية ــ البراغماتية الواقعية ــ عند هذه الانظمة مما يجعلها تندفع في مزيد من المهادنة مع الانظمة المحافظة وما يترتب على هذه المهادنة من تجميد للموقف عند واقعه المتردي الحالي .



الا ان القراءة الأسلم تبقى غير مستوفية بنظرنا لمقتضيات ضرورة القراءة السليمة لحلول السلام في الفيتنام . لقد كانت الهزيمة التي منيت بها الولايات المتحدة في فيتنام هزيمة سياسية ومعنوية بالدرجة الاولى وتعادل نسبي في المجال العسكري . الا ان محصلة الموقف الاميركي بعد فيتنام أوجدت عوامل نفسية جديدة تجاه النزاعات الدولية الباقية من حيث كونها أول هزيمة حقيقية لها . ولعل أهم ما في هذا الامر ان فيتنام الديمقراطية والفيتكونغ لم يبالغا بمعنى الانتصار الذي حققاه لانهما ادركا بأن تأكيد الانتصار يجب أن لا يحصل من خلال اعلان هزيمة الولايات المتحدة بمقدار ما يجب أن يبرز كونها هزيمة لسياساتها . ان احتباس الاعلان عن هزيمة الولايات المتحدة كان مؤداه انه في خلال مسيرة الثورة الفيتنامية التحررية تكونت داخل الولايات المتحدة قوى تصحيحية رأت في هذه الحرب الباطلة التي شنتها بلادهم على شعب الفيتنام انها بمثابة تآكل لقيمهم الديمقراطية وتهديدا صريحا لنظام الردع والتوازن بين مؤسسات الحكم . كما ان المثابرة

الدؤوبة والرائعة لشعب فيتنام التي أدت به الى تقديم ضحايا أفرزت عن شعور عام بالاثم عند قطاع الجيل الجديد الاميركي . ولم يكن هناك أبلغ من التلفيزيون والصحافة التي روجت السلوك البشع الذي قامت به القوات المسلحة الاميركية.وكما اثبت «قرار تونكن» ان السلطة التنفيذية كادت تفرغ السلطة التشريعية بموافقة هذه الاخيرة من سلطاتها الدستورية كذلك فان تجربة الفيتنام أدت الى تعديلات جذرية هامة في داخل الجسم السياسي الاميركي . كما أن حادثة ماي لاي — وعددا كبيرا من شبيهات هذه الممارسات المجرمة بحق المدنيين العزل — أشعرت الملايين من الاميركيين بالخجل لدرجة صار الافصاح عنه حاجة ملحة عند الشباب . كما ان قطاعات متزايدة من الشعب الاميركي ادركت ان الحملة الاستعمارية في فيتنام كانت تستهدف استبعاد انفجار الحالة الاجتماعية ولجم روح المخالفة التي هي شرط الحيوية الديمقراطية . كما ان « اوراق البنتاغون » (وزارة الدفاع الاميركية) التي كشفها دانيال السبرغ القت اضواء كثيرة على الآلية الاجرائية في المؤسسة الحاكمة الاميركية وبالتالي على صحة الكثير مما عانته شعوب العالم الثالث منمآسي واستغلالدون التملك بالوثائقالمدينة والثبوتية الحاسمة. ورغم أن الانتخابات الرئاسية الاخيرة أعطت أكثرية ساحقة للرئيس نيكسون الا ان هذا عاد الى عدم موافقة على مسلكية خصمه اكثر من موافقة على سياساته. لكن ضغط هذه القوى الجديدة النامية داخل المجتمع الاميركي أدى به الىالتخلي عن الكثير من معتقداته وتحيزاته السابقة واستخلاص دوره التاريخي من خلال نقيض سوابقه . لكن أهم النتائج التي حققتها الثورة الفيتنامية داخل المجتمع الاميركي تكمن في انها جسرت الفئات المغبونة على التصدي للنظام الراسمالي والعنصري وجرأت على تثوير منهج النضال من أجل الحقوق .

ان البعد الاممي للثورة الفيتنامية جعلها تنطلق في محاورة مجتمع عدوها فكريا وسياسيا من خلال محاورة كيانه الاستعماري قتاليا في أرضها . من هنا أدركت الثورة الفيتنامية انها في حين تقوم بدورها في تحرير وطنها ومجتمعها تقوم بالوقت نفسه بتوسيع رقعة التحرير داخل مجتمع عدوها . لذلك لم تنفك الثورة الفيتنامية من تكرار الحقيقة البديهية التي التزمتها بطبيعة نهجها الاممي بأن اصطدامها هو مع كيان الولايات المتحدة الامبريالي في جنوب شرق آسيا وبالطبع مع حلفاء هذا الكيان وموجباته داخل النظام الاميركي نفسه لا مع الشعب الاميركي . كان هذا التفريق يعتبر بنظر المفاهيم الرجعية والمتخلفة انه محاولة انتهازية للتفريق بين الشعب ومؤسساته الحاكمة وانه شعار معمول به للاستهلاك الخارجي . ان المفاهيم الاممية التي وجهت مسيرة الثورة الفيتنامية هي التي مكنت الثورة من الابقاء لنفسها على قدرة تحريك الاحداث والفعل بها حتى جعلت من التفريق بين الكيان الاستعماري الاميركي والشعب الاميركي حقيقة ملموسة .

هذا البعد الاممي بالمعنى الاعمق والاكثر انسانية هو من أهم الانجازات لتجربة الثورة الفيتنامية . وكم اكدت الثورة الفلسطينية بأن تحرير فلسطين هو بدوره وبالوقت نفسه عملية تحرير للانسان اليهودي من استعباد الصهيونية وتؤكد ايضا رفضها اعتبار اليهود والصهيونية مرادفان . ان هذا التفريق بين اليهودية والصهيونية ، وبين اليهود واسرائيل ، هو انعكاس لهذا البعد الاممي الحقيقي داخل الثورة الفلسطينية . واستطرادا لا بد من التذكير بأن الذين يعتقدون بأنهم غلاة وطنية عندما يصرون على دمج الصهيوني باليهودي تحت شعار كل يهودي صهيوني انما هم في الواقع يعملون بقصد أو بدون قصد على ايقاع الثورة بمصيدة النظرة الصهيونية لليهود المعادية للتفكير والمنهج الاممي وينزعون عن الثورة الفلسطينية — والعربية — سمتها الاممية الحقة . كما أن اصرار الثورة الفلسطينية على التزام هذا المفهوم رغم توفر الادلة للموقف النقيض يؤدي بنهاية الامر الى تحريك الطاقات التصحيحية المكبوتة مرحليا داخل المجتمع الاسرائيلي

وفي دائرة يهود العالم التي تعمل الصهيونية على استقطابهـــا والسيطرة على مصير من فيها .

ان في كل ثورة أصيلة تحررية هـــذا البعد الاممـــي الذي يضع الكيانات العنصريـــة والاستعمارية والاستيطانية داخل فكي كماشـة ـــ أحدهما الثورة المصطدمة بشكل مثابر مع الكيان الاستعماري والثانية ما حركته الثورة داخل مجتمع الاستعماريين في المدى الطويل من قوى تصحيحية وجذرية . هذا كان شأن الهند مع بريطانيا والجزائر مع فرنسا ، وفيتنام أخيرا مع الولايـــات المتحدة والثورة الفلسطينيـــة مع أطر وكيانات الصهيونية العالمية في اسرائيل وخارجها .

*

في الفيتنام منيت الولايات المتحدة بنوعين من الهزيمة . **الاولى** بحيث تمكن الفيتناميون (الشماليون والفيتكونغ) أن يفرضوا كل أو أكثر شروطهم ضد ارادة الولايات المتحدة (راجع أيضا في هذا الصدد المقال التحليلي للدكتور صادق جلال العظم في « النهار » يوم ١٩٧٢/٢/١٠) . **الثانية** بحيث ان الولايات المتحدة لم تتوصل الى الاهداف الكاملة التي تبغيها . لكن كما أشرنا ان الولايات المتحدة رضخت لهذه الشروط الفيتنامية وتخلت عن أهدافها السابقة في منطقة جنوبي شرق آسيا نتيجة الضغوط الداخلية المتصاعدة في مجتمعها وبنتيجة التبدلات النوعية في المعادلات الستراتيجية على الصعيد العالمي . فمن حيث ان الولايات المتحدة كانت مردوعة عن استعمال الاسلحة النووية حتى في المجال التكتيكي كما كان يدعو كيسنغر في أواخر الخمسينات (راجع كتابه **الردع النووي والسياسة الخارجية**) ، فان الولايات المتحدة أدركت انها لن تستطيع الاستمرار في حرب المناوشات في بلاد تكثر فيها الغابات والانهر كما أنها استوعبت فشلها أن توقف الجيش الفيتنامي الجنوبي على أرجله نظرا لفقدان ارتباطه بقضية وطنه ومجتمعه وبنائه على أساس كونه موضوعيا وتاريخيا جيش مرتزق . هذا ، استطرادا ، مـــا أدى به ان يستشري فيه الفساد وأن يتلاشى اثناء اعتمـــاده أداة منفذة لسياسة الفتنمة التـــي اعتمدها الاميركيون استباقا للضغوط الداخلية المتزايدة داخل بلادهم . كما ان الولايات المتحدة تحولت نتيجة توفر الصواريخ عبر القارات لديها ولدى الاتحاد السوفياتي ولدى الصين الشعبية بدرجة كبيرة عن سياسة انشاء «حزام واقي» حول الصين (اندونيسيا، فورموزا ، ماليزيا ، سنغافورة الخ) واستبدال سياستها التقليدية بنهج يبغي الانفراج على أساس تعاظم قوى الردع المتبادل لدى الدول الكبرى ـــ وان كان بنسب مختلفة . هذا ما أدى بالرئيس الاميركي نيكسون الى تكريس سياسة الانفراج بين الدول الكبرى كمخطط يمكن الولايات المتحدة من التوجه ـــ دون خوف مـــن أي هجوم مباغت نووي عليها ـــ الى معالجة قضاياها الداخلية والاقتصادية. وينطبق مثل هذا التركيز في التوجه ايضا على كل من الاتحاد السوفياتي والصين . لذا فانه رغم تقديرنا بأن الولايات المتحدة منيت بهزيمة معنوية وسياسية في الفيتنام الا أن التعادل النسبي الذي حصل من الوجهة العسكرية هو الذي أدى الى الاتفاقية من جهة ومكن الولايات المتحدة مـــن ان تبرز تراجعها في الفيتنام وكأنه ثمن الانفراج الاكبر على الصعيد الدولي .

يبقى السؤال الاساسي الذي في ضوء اجابتنا له نتمكن من الانتقال الى صميم قضيتنا المصيرية ـــ فلسطين . السؤال هو كيف نربط بين الانفراج النامي في مستوى العلاقات بين الدول الكبرى اثر انتهاء الحرب في الفيتنام وحلول السلام الى حد كبير في جنوب شرقي آسيا حيث كان التورط الاميركي في اقصى درجاته ؟ لا يمكن في اجابتنا على هذا السؤال الاحاطـــة بكافة جوانب الموضوع . الا أن ثمـــة تطورات حصلت وستحصل على هذا الصعيد لا بد من التوقف عندها حتى نتمكن من مواجهتها اذا لزم الامر واستباق سلبياتها بالحد الاقصى من القدرة والوضوح وبالتالي الحيلولة دون تمكنها من مسيرتنا.

بكلام أوضح كيف يمكن ان نعزل القضية الفلسطينية عن التأثر بسلبيات الانفراج وبالوقت نفسه نمكنها من الاستفادة القصوى من هذا الانفراج ؟

بعض الاجابة على هذا السؤال يقتضينا ان نحاول القراءة السليمة لحلول السلام في فيتنام . فما لا شك به أن الانفراج النسبي على صعيد العلاقــات بين القوى الاعظم ساهم الى حد ما في تعجيل عقد الاتفاقية كما انه من المنتظر ان تؤدي هذه الاتفاقية الى مزيد من الانفراج . الا أنه لا يجوز في مطلق حال أن يعني هذا الانفراج النسبي ــ رغم فوائده من حيث يرفع كابوس الخوف من حرب نووية عن اذهان الناس ــ انه يلغي التناقضات الاساسية بين هذه الدول أو يؤدي بشكل آلي نحو تخليها عــن أهدافها وسياساتها . لذا فان أية قراءة سليمة لما بعد فيتنام يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الثوابت في الاهداف والسياسات والمتغيرات التي تطرأ عليها وعلى المعادلات في علاقات هــذه الدول الاعظم فيما بينها وعلاقاتها مع سائر القطاعات الدولية . ان اية معالجة لقضايانا على ضوء هذه الثوابت والمتغيرات في المعادلات الدولية يجب أن تكون بمنتهى الدقة مما يعني أن يكون جهاز الالتقاط في دائــرة الثورة العربية ــ والثورة الفلسطينية بوجه خاص ــ شديد الحساسية لهذه التغييرات دون فقدانه المعرفة للثوابت . وجهاز الالتقاط يعني طبيعيا مجمل المؤسسات الراصدة والباحثة والمخططة والمقررة . الا ان اية احاطة بتفاعل الثابت مع المتغير يجب أن تنطلق من مسلمة ــ كثيرا ما نتجاهلها ــ ان لدينا نحن العرب أهدافا وسياسات ثابتة كما اننا نشاهد بل نعيش سلسلة من التغييرات . وان اي موقف مرحلي يتخذ يجب أن يكون نتيجة التراصف بين مختلف المتغيرات والثوابت الدولية والاقليمية .

يتبين لنا اذن ان الثورة الفيتنامية تمكنت من خلال قيادتها الواعية والحسم في تثبيت أهدافها الستراتيجية والمرحلية والتعبئة الشاملة على أساس انجاز هذه الاهداف الثابتة لها تمكنت من ملاءمة المتغيرات لمستلزمات انضاج مستمر للحالة الثورية في أرضها . ولم يكن هذا ممكنا لولا قيام ملاك كفؤ ومثقف عسكريا وسياسيا (اي ثوريا) . كما ان الثورة الفيتنامية تمكنت بموجب التطبيق الابداعي للخط اللينيني من ان تفرق ــ وبالوقت نفسه تربط ــ بين علم الثورة كاستراتيجية وفن الثورة كتكتيك ، وهكــذا تمكنت الثــورة الفيتنامية من خلال تنظيمها العضوي وجبهتها السياسية المتماسكة وفقدان الذبذبة في تحديد الاهداف وأخذ القرار وضبط اعلامها واقامة توازن صحيح بين أقوالها وأعمالها واقامة مجتمع الحرب في مناطق سيطرتها أن تكتسب لنفسها ثقــة الشعب وبالتالي استطاعت ان تمرحل To Phase أهدافها بدون اي تخوف من مزايدة أو من أن تؤدي مرحلة ما الى تمييع تصميم المسيرة الثورية على متابعة النضال لتحقيق كل الاهداف .

ماذا يعني الانفراج في العلاقات بين الدول الاعظم اذا بالنسبة الى مستقبل النزاع العربي ــ الاسرائيلي ؟ لا بد أن نورد بعض الاحتمالات مــن حيث تطور المفاهيم السياسية الاميركية خاصة وان الولايات المتحدة هي التي تتوجه اليها الانظمة المحافظة العربية من اجل الأسهام في الحل . باستطاعة الولايات المتحدة ، اثر الانفراج النسبي الحاصل ، أن تتحلل تدريجيا من التزاماتها الدولية في المجالين السياسي والعسكري . ولا يعني هذا بالضرورة عودة الى سياسة محض انعزالية الا انها تعني بأن الولايات المتحدة تصبح بنتيجة التجربة الفيتنامية وتحسن العلاقات الثنائية مع الاتحاد السوفياتي والصين اقل استعدادا للمغامرة في مناطق الازمة . هذا لا يعني أن الولايات المتحدة قد تتخلى عــن أهدافها الثابتة في المنطقة ــ حماية اسرائيل وتأمين تدفق النفط العربي واستبعاد التواجد السوفياتي وتدجين احتمالات التغييرات الجذرية في المجتمعات العربية ــ لكنه قد يعني ان الولايات المتحدة قد تفهــم اسرائيل ان هدفها في حمايتها الا يعني التطابق التام مع أهداف اسرائيل في المنطقة . ولعل افتتاحية الواشنطن بوست في ٧٢/٢/١٠ أشارت الى

احتمال أن تقوم الولايات المتحدة بمثل هذا الاتصال خاصة وان أزمة الوقود تتفاقم داخل الولايات المتحدة وتنمو بالتالي حاجتها الى ضمان استقرار تدفق النفط العربي الى أسواقها . وفي هذا المجال تقول البوست « ان أي رئيس يهمل موضوع النفط ينكر واجبه نحو الاميركيين ولا يكون صديقا لاسرائيل » . وهنا تقول البوست انه « لا يمكن للولايات المتحدة أن تكفل احتلال دولة لاراضي دول أخرى » . لذلك يمكن أن نقرر بأنه في حالة اتباع سياسة التحلل من الالتزامات الدولية ان تقوم الولايات المتحدة بنتيجة ذلك بممارسة ما يسمى بالضغوط على اسرائيل بغية انسحابها من معظم الاراضي المحتلة شرط ان يؤدي ذلك الى تأمين الاهداف الثابتة الاميركية في المنطقة . الا أن هذا النهج الاميركي في حال اتباعه يشترط توفر موافقة او تفاهم على الخطوط الاساسية مع الاتحاد السوفياتي لانه بنظرها تكون الموافقة السوفياتية كفيلة الى حد ما بالحيلولة دون ان يؤدي « الحل السلمي » الى مضاعفات قد تنتج نتيجة تعاظم قوى الرفض واللااستقرار .

الا أن هناك احتمال تطور أميركي آخر وهو أن تلجأ الولايات المتحدة لتعويض انسحابها من الفيتنام بتصلب جديد في منطقة الشرق الاوسط من حيث زيادة دعمها المباشر العسكري والاقتصادي لاسرائيل لتمكينها من الحصول على شروط أفضل بالنسبة لاهدافها ما دامت تعتقد نفسها قادرة على ضمان مصالحها الاخرى اما بواسطة الانظمة القامعة لحركات الثورة والتحرر في الوطن العربي او السعي الى تكريس واقع التجزئة وتسنين فكي كماشة المحور الاسرائيلي — الايراني . الا أن مثل هذا الموقف التدخلي السافر لا يأخذ بعين الاعتبار كون احلال السلام في فيتنام قد قوى النفوذ السوفياتي في جنوب شرقي آسيا مثل ما ساهم في تقوية هذا النفوذ السوفياتي في شبه القارة الهندية بعد قيام دولة بنغلاديش وانتصار الهند عسكريا فيها . اضف الى ذلك أن مزيدا من التصلب الاميركي يقطع عن الانظمة المحافظة والمتعاملة مباشرة مع الولايات المتحدة اية امكانية في لعب دور الحلقة الوسيطة مما يدفع بالانظمة الوطنية أن تتحلل هي بدورها من التزامات قرار مجلس الامن وتعتمد ما تعتمده الثورة الفلسطينية من سياسة النفس الطويل حيث تصبح — على الاقل آنيا — الحالة المسماة « باللاسلم واللاحرب » حالة مفضلة على « الحل السلمي » الذي يتجسد في الالتباس المقصود بقرار مجلس الامن . الا أن المرحلة الانتقالية التي سوف نشهدها في الاشهر القليلة القادمة لن تجد بلورة نهائية في نهج الولايات المتحدة أما للانعزالية النسبية او للتحلل التدريجي من الالتزامات او للتصلب بل نشوء مزيج من التيارين . وقد يعني هذا ممارسات انعزالية مرحلية لخدمة تصلب في المدى البعيد أو تصلب مرحلي لخدمة أهداف انعزالية في المدى البعيد . من هنا تأكيدنا على الحاجة بأن تكون اجهزة الالتقاط الثورية مرهفة وقادرة على الحسابات السريعة لتحليل التباينات المتتالية المنتظرة . هذا ما يعني بالقول ان المرحلة القادمة صعبة من حيث تعقيداتها ووعورة مسالك ملاحقة الاحداث خاصة وان الساحة العربية ليست متماسكة حتى بالحد الادنى المطلوب .

أما بالنسبة للاتحاد السوفياتي فان الانتصار الفيتنامي الذي تحقق بفضل القوى الذاتية الفيتنامية ومساعدات الاتحاد السوفياتي (والصين) قد أتاح له اعادة ترتيب أولوياته بحيث يضمن أن الانفراج الدولي يتيح له فرصة تنشيط الاقتصاد الداخلي وقفزة نوعية في مختلف مجالات الانتاج كما يمكنه من التوجه نحو ارساء قواعد سليمة لامنه الاوروبي . اما فيما يتعلق بموقفه من القضايا العربية والقضية الفلسطينية بالذات فقد أثبتت التجربة الفيتنامية والى حد أقل تجربة الحرب الهندية الباكستانية ان الاتحاد السوفياتي مستعد للالتزام بالمساعدة القصوى من أجل تمكين القرار الحسم والمنبثق ذاتيا — اي الذي لا ينطوي على استدراج نحو التورط — من تحقيق ذاته بعد أن يكون الاتحاد السوفياتي قد أقتنع بصوابية وعدالة وسلامة الاهداف التي يعمل القرار على تنفيذها .

أما فيما يتعلق بقناعة الاتحاد السوفياتي بصوابية وعدالة وسلامـة أهداف القضية العربية فانها متوفرة . الا ان السلوك السوفياتي يقضي بمساعدة العرب الى الدرجة التي يتوخونها هم أي التحرير الكامل أو الى امتصاص العدوانية الاميركية ــ الاسرائيلية في المنطقة . من هنا يتبين لنا أن التقييم السوفياتي للاوضاع العربية الراهنة هو مساعدة العرب بمقدار ما يساعدون أنفسهم وعلى ضوء ما يتصورون انها أهدافهم ومصالحهم . الواقع ان الالتزام السوفياتي للقضايا العربية المشروعة هو الثابت في سياستهم اما المتغير فهو ما قد ترسي عليه الاهداف الثابتة للعرب .

يبقى ان الهدف الفوري للثورة الفلسطينية ــ ولحركة الثورة العربية بصورة عامة ــ هو أن تبقى كفة الرفض للحلول السلمية راجحة داخل دائرة الشعب الفلسطينـي بمختلف قطاعاته ومواقع تواجده حتى تتمكن من الغاء رجحان كفة الحلول السلمية في الصعيد العربي . هذا بحد ذاته لا يكفي مطلقا أمام منطق الملك عبداللـه الذي يصبح مأساة متكررة عندما كتب لاحد أصدقائه في صيف ١٩٤٩ يتبرم فيها من « الحالة الراهنة التي لا هي سلم ولا هي حرب » مشيرا الى عزيمته على الخروج منها الى السلم الذي « يمكن أن يحقق بعض المكاسب للعرب » (عزة دروزة ــ **حول الحركة العربية الحديثة** ، ص ٢٩٩) . ان حالة التردي الحاضرة تحفزنا على المزيد من الصبر الثوري الذي نتمكن به من تحرير فلسطين واقران فلسطين بملحمة فيتنام ؟

والا يستبدل عنوان هذه العجالة الى « من فيتنام الى ... ماذا ؟ » ويلحق فلسطين علامة استفهام . الاشهر القليلة عصيبة الا أن فلسطين تستوجب منا ثورة لا ذكرى .

حالة الانتظار

محمود درويش

فصل آخر من كتاب عن تجربة محمود درويش الاسرائيلية

● مرة في مطار بورجيه الفرنسي ، ومرة في أحد شوارع صوفيا ...
كان مصيرك يلح عليك بتحديده . وكانت هويتك ، الغامضة على الورق والساطعة في القلب ، تطالبك بتحقيق الانسجام بينهما . وكأنك تأتي دفعة واحدة من أول العمر الى هذا السؤال : من أنت ؟

لم يكن بوسع البوليس الفرنسي أن يفهم شيئا لا يفهمه البوليس الاسرائيلي . تقول وثيقة السفر انك غامض الجنسية . وسدى تشرح لرجل الامن الفرنسي معنى هذا الغموض ، اذ لا يدفعه توضيحك الا الى استيعاب مزيد من الغموض الذي حدده زميله في تل أبيب . أين ولدت ؟ في فلسطين . وأين تعيش : في اسرائيل . اذن ، أنت غامض .

وفي غرفة التوقيف التابعة للمطار ، كنت تفكر بتهمة الغموض وتغرق في البحث عن البرهنة على هويتك . هؤلاء القادمون من الكتب القديمة لم يأخذوا وطنك فقط ، ولكنهم أخذوا وسائل انتمائك الى العالم أيضا . عندما حددوا مصائرهم كانوا يسقطون عن وجهك ملامح تعرّف العالم عليك . وصار صعبا عليك أن تشرح المسافة التاريخية ، التي تحولت الى مسافة جغرافية في ادراك العالم ، بين فلسطين واسرائيل ؟ تعرف انك فلسطيني ، ولكن فلسطين غير قائمة في منظار العالم . وحين تحاول الخروج الى هذا العالم لا بد لك من المرور في دهليز التناقض الشرس : ان تكون اسرائيليا . ولكن مكان الولادة ، والانتماء ، والرفض تحولك الى شبكة من الغموض والتناقض . اذن ، من أنت ؟.

ومرة أخرى في صوفيا . لم تواجه هنا سؤالا نظريا . كنت فضيحة وشائعة ومفارقة . ليس مهما ، هنا ، ان تدين الظروف لتبرىء نفسك . ينبغي أن يكون التاريخ العربي الحديث مكبلا في قفص الاتهام لكي ترضى بتهمة من احد . قبل أن تجيب على سؤال القضاة : ماذا فعلت ؟ اسألهم : ماذا فعلتم من اجل ان افعل بطريقة أخرى . ومرة أخرى ، ليس هذا هو السؤال ، لان المساواة في اللافعل هي احتياطي لاستمرار الخطأ والتردي .

على بعد أمتار قليلة ، كان العلم الفلسطيني الاخضر والاسود والاحمر يظلل مجموعة من الشابات والشباب الفلسطيني القادم من كل انحاء المنفى . وكان يشكل ، في الافق ، تعويضا رمزيا عن مهانة الماضي ، والتزاما عمليا بتغيير الحاضر ، واستشرافا ملحميا للفوز بالمستقبل . ما أجملهم ! ما أجملهم !. تقترب منهم وفي نفسك مفاجآت الاستعداد لملاقاة نصفك الضائع منذ عشرين سنة . وكانوا يقتربون منك وفي نفوسهم عطش الاعوام ذاتها الى النبع المحاصر . « نحن ننتظركم » .. و« نحن

قادمون » . تبكون معا وتتقسمون مرة أخرى . وعلى المبنى المواجه الذي تذهب اليه يظل العلم الاسرائيلي الازرق والابيض يظلل مجموعة من الشابات والشباب الاسرائيلي اليساري . لم تكن ضائعا بين هذين العلمين المتصارعين .. علم الحق المنهوب وعلم الجريمة التي تحمل نشيدا وجواز سفر . ولكنك كنت ضائعا بين صيغ ممارستك السياسية ، لانه لا يكفي أن تعرف من أنت لتنجو من فك الحيرة ، بل عليك أن تعرف طريق اختيارك . وهل اخترت ؟ لقد جئت من وطنك المحتل بوثيقة سفر اسرائيلية ، مع شباب يحملون علمهم الذي هو خنجرك . فما هو مكانك . وحين تقفر شوارع صوفيا في آخر الليل تعود الى ظل خنجرك وتترك قلبك في المبنى المجاور . ان ميدان الضياع يقع بين حقيقتك الجوهرية وبين حالتك القانونية الراهنة . تهرب من الاشتباك النفسي بطريقة غير متكاملة : لا تدخل قاعة المناقشة السياسية في مهرجان الشباب العالمي ، حيث يصطدم مندوب العلم الفلسطيني الذي يمثل انتماءك وحقيقتك وتاريخك بمندوب العلم الاسرائيلي الذي يمثل حالتك وظرفك الراهن .

أحيانا ، يكون الانسجام الكامل عرضة لارتكاب الخطأ . وفي مثل هذه الحالة المطروحة .. أن تكون منسجما مع نفسك ومع تاريخك معناه أن تكون حيث يكون شعبك ، لان الاختيار الآخر وهو البقاء حيث يكون الانسجام مفككا معناه أن تتعامل مع ظروفك التي يحددها أعداؤك بطريقة معذبة تتنافى أحيانا مع جوهرك . مثلا ، ما معنى أن تكون فلسطينيا واسرائيليا في آن واحد ؟ ما معنى أن تقف في مدينة صوفيا بين بنايتين احداهما تحمل العلم الفلسطيني والثانية تحمل العلم الاسرائيلي ؟ وهل أنت قادر على تمثيل الجوهر الفلسطيني بعلم اسرائيلي ؟ أو هل تكون الشيء ونقيضه في آن واحد ! وقبل ذلك كله : من أنت ؟ .

●

لم تشهد الحياة السياسية والفكرية الاسرائيلية ، طيلة السنوات السالفة ، الحاحا مثل الحاح السؤال المطروح الآن حول هوية العرب الفلسطينيين المقيمين في اسرائيل ويحملون بطاقات هوية اسرائيلية . صار السؤال حول هذه الهوية مؤرقا تحت ضغط القضية السكانية العربية التي واجهتها العقلية الاسرائيلية بعد احتلال عام ٦٧ والتي تتدخل في صورة مستقبل اسرائيل كما يتخيلها ويرسمها الاسرائيليون . اذ أن وجود ما يقرب من مليون عربي يتصفون بأعلى نسبة تناسل في العالم لا يجعل التطبيق الصهيوني على أرض فلسطين متجانسا مع التصور الصهيوني لمستقبل اسرائيل في المنطقة . ويزيد من الحاح طرح السؤال بوادر المقاومة العملية للوجود الصهيوني التي ظهرت ، مؤخرا ، بين العرب الفلسطينيين الذين تعتبرهم اسرائيل مواطنين اسرائيليين ، وميل نتائج تلاقي هؤلاء المواطنين مع أبناء شعبهم من سكان المناطق المحتلة حديثا الى الاحساس المعبر عنه بالمصير المشترك وطريق العمل المشترك ، مما دفع الاسرائيليين الى الاعلان المشوب بخيبة الامل عن فشل سياسة التدجين التي اتبعوها تجاه العرب في الداخل . ويلاحظ المراقب لاشتكال « اعادة النظر » التي يمارسها المسؤولون الاسرائيليون أن اسرائيل تقوم بعملية مزدوجة ، وجهها الاول : تزييف الحقائق حول الواقع العربي في الداخل بالادعاء الدعائي بالتطور « المذهل » في جميع مستويات الحياة الذي حظي به هؤلاء المواطنون « لا يوجد مجتمع في العالم تقدم وتطور في الـ ٢٤ سنة الماضية كالمجتمع العربي في اسرائيل » كما يقول طوليدانو مستشار رئيسة الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية ، مما بعث البهجة في قلوب أعضاء الوزارة الاسرائيلية الذين أوصوا باستغلال « الهدوء » المسيطر حاليا للقيام بنشاط اعلامي عميق في أوساط السكان اليهود ، ونشر

كراس بجميع اللغات عن انجازات اسرائيل بين الاقلية العربية، فوافقت رئيسة الحكومة لكنها قالت ان هذا لا يكفي ، فثمة حاجة الى مزيد من العمل الاعلامي » . والوجه الثاني للعملية هو البحث الداخلي عن ممارسة جديدة لقمع الالتزامات التي تفرضها حقيقة الانتماء القومي للعرب المقيمين في اسرائيل ، للحيلولة دون أن يقودهم وعيهم هذا الانتماء الى ممارسات تتنافى مع كونهم مواطنين اسرائيليين مطالبين بالاخلاص للدولة .

هل صحيح انه « لم يتطور مجتمع في العالم كما تطور المجتمع العربي في اسرائيل » ؟. ان الانجرار وراء محاولة حصر القضية كلها في هـذا السؤال ، يعود على السلطة الاسرائيلية ببعض النفع لا لانها هي التـي تؤلف الاحصائيات وتهندس الارقام وتملك مؤهلات التزييف فحسب ، ولكن لان هذه المحاولة تنطوي على اعتراف بأن الغزو من اجل تمدين الشعوب المغلوبة على امرها هو قانون العلاقة بين الغزاة والشعوب . ويصير بوسع أي محتل أن يكسب الشرعية السياسية والانسانية والحضارية بمجرد أنه منّ على الشعوب المحتلة بتمكينها من الاستمرار في التنفس والحياة. ان التقدم الطبيعي للناس يصبح عاطلا عن العمل قبل مجيء الغزاة . وقد سخر كاتب عربي في اسرائيل من أسلوب السلطة الاسرائيلية في نسب كل مظاهر التقدم الطبيعي التي تصيب الناس الى جهودها وحسن نواياها بقوله : « كان عمر ابنتي عند انشاء اسرائيل سنة واحدة ، واليوم أصبح عمرها عشرين سنة ، فهـل نمت وبلغت سن الشباب بفضل الجهـود الاسرائيلية ؟ » ان هذه الملاحظة الساخرة تسجل ، بشكـل رائع ، طريقة السلطة الاسرائيلية في رصد التقدم البشري . كيف كان العالم قبل قيام اسرائيل وكيف أصبح الآن ؟. قبل قيام اسرائيل لم يهبط الانسان على القمر ، وبعد قيام اسرائيل هبط الانسان ثلاث مرات على القمر .

وحين نعود الى السؤال الجزئي من القضية الكاملة : هل صحيح انه « لم يتطور مجتمع في العالم كما تطور المجتمع العربي في اسرائيل » ، لا تستطيع اسرائيل ذاتها أن تخفي الثمن الباهظ الذي دفعه هذا المجتمع العربي والذي ارغم على دفعه مقابل المحافظة على استمراره في الحياة والنمو الذاتي . ان الفلاح العربي الذي جرد من أرضه ، التي تعني وطنه من ناحية ومصدر عيشه من ناحية ثانية ، لا يستطيع أن يمجد اسرائيل لانه استطاع الحصول على رغيف خبز في ظلها من عمله الشاق في البناء وتعبيد الطرق وغيرها من الاعمال السوداء التي يأنف العمال اليهود من ممارستها . وان مسؤولا اسرائيليا هو الذي عبر عن ندمه وأسفه لان السلطة الاسرائيلية لم تتمكن مـن تحويل كل السكان العرب الى حطابين وسقاة ماء . وعدم التحقق الكامل لهذا الحلم الصهيوني لا يمكن أن يعتبر فضلا اسرائيليا ، ولكنه انتصار ارادة المواطن العربي في الصمود والحياة والتغلب على معوقات نموه . انه فشل اسرائيلي لا كرم اسرائيلي .

وماذا تقول آخر الاحصائيات الاسرائيلية ذاتها عن وضع هذا الفلاح العربي ؟.

لقد طبقت الممارسة الصهيونية مبدأ « احتلال الارض » منذ قيامها ولا تزال تطبقه حتى الآن . وقد بلغت مساحة الارض التي صادرتها السلطة الاسرائيلية من الفلاحين العرب المقيمين في اسرائيل اكثر من مليون دونم ، بالاضافـة الى مصادرة أراضي العـرب الفلسطينيين الذين يقيمون في الخارج . لقـد خلقت اسرائيل نوعين مـن اللاجئين الفلسطينيين : لاجئون خارج وطنهم ولاجئون داخل وطنهم . وتقول احصائية اسرائيلية نشرت في صحيفة « هآرتس » ان عشرة آلاف لاجيء يعيشون في الداخل ، وان آثار قراهم قد حذفت تماما عن وجه الارض، واقيمت عليها مستوطنات يهودية وغابات الكيرن كايمت (صندوق أراضي اسرائيل) . وعددت الصحيفة أسماء بعض هذه القرى ومنها : البروة ، صفورية ، كفر عنان ، عين حوض ، الطيرة ، الكويكات ، أم الفرج ، المنشية ، سحماتا ، عمقا ، ميعار ، الدامون ، معلول ، الرويس ، السجرة ، الغابسية ، وغيرها

من الاسماء التي لا يعرفها اليوم في اسرائيل الا علماء الآثار وموظفو دائرة الاراضي.
ولقد انفجرت قضية اللاجئين في وطنهم في الوعي الاسرائيلي بعد معركة سكان قريتي اقرت وكفر برعم الشهيرة من أجل العودة الى قريتيهم ، وأصرت السلطات الاسرائيلية على رفض مطلبهم الذي حظي بتأييد أوساط كبيرة من الراي العام الاسرائيلي ، خوفا من تسجيل سابقة العودة الى الارض، الامر الذي يتنافى مع أكثر مبادىء التطبيق الصهيوني حرمة وقداسة . « ان الحكومة خائفة اليوم من لاجئي الداخــل الذين طلب جزء منهم العودة . وقد تحولت المجمعات التي يسكنون فيها اليوم ، عبر السنين ، الى مراكز قوميين متطرفين ، حيث أصبح فيها الحنين الى العودة « مبـــدأ شيفهيا » . وما زالت عبارة لاجيء متداولة في قرى الاقليات التي يسكنها لاجئون» هكذا تقول صحيفة اسرائيلية غير معارضة .

وما هو وضع الفلاح العربي غير اللاجيء في ظل الدولة التي منحته « اكبر تطور في العالم » ؟ ما زالت الزراعة العربية قائمة على العمل اليدوي والادوات البدائية ، وان ٥ بالمائة فقط من مجموع الارض العربية التي يفلحها المزارعون العرب هي أرض مروية، بينما أكثر من خمسين بالمائة من الارض العربية التي يفلحها المزارعون اليهود هي أرض مروية . وفي عام ١٩٧٠ كانت قيمة انتاج الدونم الواحد في الزراعة العربية تساوي ١١٤ ليرة اسرائيلية فقط ـــ أي خمس قيمة انتاج الدونم الواحد في الزراعة اليهودية . ويخضع الفلاح العربي لاستثمار الرأسمال الاسرائيلي ـــ البنوك ـــ والشركات . ويحصل على أسعار بخسة مقابل زراعة التبغ والزيتون بسبب تحكم شركات التسويق .

وبسبب مصادرة الاراضي وتشديد الخناق على الزراعة العربية تحولت أكثرية الفلاحين الى عمال . ويتمثل التمييز ضد العمال العرب بنوع العمل المتاح لهم وبشروط العمل والاجر وتمثيلهم النقابي. وتقول احصائيات اسرائيلية رسمية ان متوسط الدخل السنوي للعامل العربي يشكل سبعين بالمائة من متوسط دخل العامل اليهودي ، وان أكثرية العمال العرب لا تستطيع العمل في أماكن عمل دائمة ، وانما في أعمال موسمية في حقل البناء والخدمات . وأكثر من نصف العمال العرب غير منتظمين في نقابة العمال ، وليست لهم مجالس عمال منتخبة في القرى .

وعن التعليم : من الشبيبة العرب في جيل ١٤ ـــ ١٧ لا يصل الى المدرسة الثانوية الا ٢٠ ٪ مقابل ٦٠ ٪ من الشبيبة اليهودية . وفي التعليم العالي لا تتجاوز نسبة العرب (حسب أحصائية عام ٦٩) أكثر من ستة في الالف ، بينما تصل هذه النسبة عند اليهود ستين في الالف . ان الطلبة العرب يشكلون ١،٥ ٪ من مجموع طلبة مؤسسات التعليم العالي ، بينما يشكل المواطنون العرب ١٤ ٪ من مجموع السكان في اسرائيل . وليست صعوبات الوصول الى مؤسسات التحصيل العلمي هي العقبة الوحيدة أمام العربي . فان سياسة التعليم المفروضة على العرب تشكل ، بحد ذاتهـــا ، بطلانا للمباهـــاة الصهيونية . ان اتقان معرفة التاريخ والثقافة الصهيونيتين على حساب التاريخ والثقافة العربيتين لخلق مواطن عدمي مخلص للفكر والتطبيق الصهيونيين هي ما يشكل العمود الفقري لسياسة التعليم المتبعة تجاه العرب . وقد لخص مساعد وزير الثقافة لشؤون التعليم العربي هذه السياسة في حديث لصحيفة هآرتس بقوله : « على المعلم العربي أن يدرّس قيم الدين والثقافة العربية من جهة ، ومن جهة ثانية عليه أن يدرّس الاخلاص لدولة اسرائيل » . وليس هذا المسؤول عن التعليم العربي في وزارة التربية والتعليم الاسرائيلية هو المسؤول الاول المتحدر من اختصاصات أمنية ، فأغلبية الذيـــن يحتلون هذا المنصب يكونون عادة خبراء في شؤون الامن والمخابرات ليكونوا قادرين على تثقيف العرب على « الاخلاص للدولة » . ولقد تشكلت لجنة استشارية خاصة لوضع مبادىء التعليم العربية ، هذا العام . ووضعت اللجنة خطوطا أساسية لسياسة التعليـــم على

رأسها : « ١ - تعليم قيم السلام . ٢ - تعليم الاخلاص لاسرائيل مع تأكيد المصالح المشتركة للمواطنين مع تنمية خصوصية العرب في اسرائيل » .

وعن المثقفين العرب خريجي الجامعات الاسرائيلية ، كتبت صحيفة « معريب » : « ان قصة المثقف العربي تبدأ وتنتهي بخيبة الامل . فهو يتعلم ، ولكنه ليس متأكدا من انه سيتمكن من العمل في مهنته ، وسيضطر الى العمل في مهنة لم يتعلمها ولم يرغب فيها . لقد بدل مواضيع دراسته بعد أن أدرك أن السوق الاسرائيلية لن تسمح له بممارسة المهنة التي اختارها في البداية » . ويعطي معهد شيلواح في دراسة عن هذا الموضوع بعض النماذج الحية ، منها أن طالبا عربيا أراد دراسة الهندسة الكيماوية ولكنه استبدلها بدراسة الصيدلة « لان اولئك الذين درسوا هندسة كيماوية لم يجدوا عملا » . لماذا ؟ « يقولون ان كل شيء بسبب الامن . هناك شاب عربي خريج فرع الهندسة الكيماوية قبل للعمل في مصنع « اليانس » . وبعد مرور شهر ، أخبروه أنهم ليسوا بحاجة الى مهندس كيماوي في المصنع » . ويروي الطالب ذاته انه أراد بعد التخرج من المدرسة الزراعية أن يجمع مالا ليكمل دراسته الجامعية ، فقيل له ان عليه الحصول على موافقة الشرطة « وفي الشرطة أبلغني البوليس انه يريدني أن أكون مخبرا ، أي أن أتجسس على كل عربي أعرف أنه يساري . فمن يريد الحصول على مركز أو وظيفة يجب أن يتخلى عن ضميره » .

حتى الاسرائيليون الذين يدعون بأن تطور المجتمع العربي في اسرائيل « لا مثيل له في العالم » ينكبون الآن على محاصرة مظاهر الاستياء والرفض التي يبديها الشباب العربي في اسرائيل ، الامر الذي يحصر « معالم هذا التطور النادر » في النطاق الدعائي . ويقول أحد خبراء الشؤون العربية في الحكومة الاسرائيلية كما نشرت صحيفة « معريب » : « في الثمانينات ستكون احدى مشاكل اسرائيل الاساسية هي كيفية الحيلولة دون انفجار خيبة أمل ٣٠٠ الف شاب عربي مثقف ، على نطاق واسع ومقلق ، وكيفية دفعهم الى التعايش مع المجتمع اليهودي » . ونشرت الصحافة الاسرائيلية ردود فعل طلبة عرب في جامعة القدس على اشتراك مواطنين عرب في التنظيم السري الذي كشف مؤخرا قولهم : « ان التجسس والرغبة في المس بالدولة هما رد فعل على أعمال الظلم والتمييز التي تمارسها السلطات الاسرائيلية . وهي رد فعل على أعمال النهب في المناطق المحتلة » .

وحين تتحدث الدعاية الاسرائيلية عن تطور المجتمع العربي في اسرائيل « الذي لم يشهد مثله مجتمع آخر في العالم » ، ثم يدهشها بروز مظاهر الاستياء والرفض من العرب الذين ينكرون « هدية الحرية والتقدم الاسرائيلية » تدلل على ذلك بقولها ان مصدر الاستياء المعقول الوحيد - وهو الحكم العسكري - قد زال . فهل زال الحكم العسكري عن العرب حقا ؟ لم يحدث الا تغيير البزة . فبعد حملة الاعتراض الواسعة على تسلط الحكم العسكري وتكبيله الحريات الاولية للمواطنين وتدخله في تفاصيل حياتهم ، اضطرت الحكومة الاسرائيلية برئاسة رئيس الوزراء السابق ، الى اعلان تخفيفات في هذا الحكم وصفتها بأنها الغاء له . وما جرى في الحقيقة هو نقل صلاحيات تنفيذ مبادىء هذا الحكم من الجيش الى البوليس السياسي . ولكن القاعدة القانونية التي يقوم عليها الحكم العسكري ما زالت على حالها ، وهي أنظمة الطوارىء . وما زالت تشكل سندا قانونيا لشرعية القمع والانتقام السياسي . ولا تستخدم الا ضد المواطنين العرب . بناء على هذه القوانين لا يزال من حق البوليس الاسرائيلي أن يعتقل الناس بلا محاكمة . ومن حقه أن يمنعهم من مغادرة أماكن سكنهم ومنازلهم . ومن حقه أن ينفيهم . ومن المفارقات المدهشة ، ان زعماء المؤسسة الاسرائيلية الآن كانوا قد أطلقوا على هذه الانظمة ، قبل قيام اسرائيل ، نعوتا لو استخدمها غيرهم الان ليصف بها الانظمة ذاتها لاتهموه باللاسامية . لقد وصفوها بالنازية يوم كان الانتداب البريطاني يستخدمها ضدهم .

واصبحت اليوم ـ هذه الانظمة نفسها ـ مظهرا من مظاهر التقدم البشري لا لشيء الا لان اليهود يستخدمونها ضد العرب . ان ما كان نازيا لانه موجه ضد اليهود ، يصبح اليوم حضارة بمجرد تحوله الى اداة قمع في ايدي اليهود ذاتهم . في السابع من شباط ١٩٤٦ نددت نقابة المحامين اليهود في فلسطين بأنظمة الطوارىء هذه بقولها ان هذه الانظمة « تسلب المواطن الحقوق الاولية للانسان ، وتنتهك أسس القانون والقضاء وتشكل خطرا بالغا على حرية الفرد وحياته ، وتفرض حكم العسف والقسوة بدون رقابة قضائية » . وأكثر من ذلك : بعد انشاء اسرائيل تعرضت هذه الانظمة الى نقد عنيف عندما استخدمت ضد تنظيم ديني يهودي ، فاتخذت الكنيست قرارا في السادس من حزيران ١٩٥١ جاء فيه ان أنظمة الطوارىء « تتناقض مع اسس أية دولة ديموقراطية » وكلفت اللجنة القضائية باعداد مشروع ، خلال اسبوعين ، لالغاء هذه الانظمة . ولم تنته فترة الاسبوعين حتى الآن . وكفت هذه الانظمة النازية عن الاحتفاظ بصفاتها ما دامت موجهة ضد العرب !! ولقد عدد كاتب اسرائيلي حسنات هذه الانظمة بقوله : « انها لا تبيح قتل انسان بدون محاكمة . وما عدا ذلك فانها تسمح بممارسة اي شيء ضده ، كل شيء بدون محاكمة » .

هذا هو الأساس القانوني للاضطهاد اللاحق بالمواطن العربي . وحين يكون الاضطهاد قانونيا ، فان شرعية الاضطهاد تكون أسوأ من الاضطهاد نفسه ، لأنه لا يكون سلوك حاكم أو سلطة ، بل نهج مجتمع وعنصرا من عناصر تكوينه المتأصلة . وعلى أساس شرعية العنصرية هذه « حقق المجتمع العربي أكبر تطور في العالم » ـ كما يدعي الاسرائيليون .

●

وهل يكون هذا « التطور » الخرافي ـ وهو جزء من قضية الشعب العربي في اسرائيل ـ بديلا عن قضيته القومية كشعب ؟. وهل بوسع التقدم الاقتصادي النسبي أن يخلق مواطنا عربيا اسرائيليا بما يعنيه هذا المصطلح من اندماج في الكيان الصهيوني والتزام بقضاياه ومصيره ؟

يعترف شموئيل هوليدانو في حديث مع صحيفة « هآرتس » بأن مشكلة الهوية القومية الاجتماعية لعرب اسرائيل ودمجهم في مجتمع الدولة وحضارتها هي التي تشكل الآن جوهر مشاكل الاقلية العربية في اسرائيل . ويقول بنحاس سبير : « أريد ان أستنتج شيئا من تطور عرب اسرائيل ، هؤلاء الذين يعيشون معنا منذ ٢٥ سنة وهو : انه كلما ارتفع المستوى المعيشي والثقافي ازدادت المشاكل وتفاقمت . وانني أخشى الا يكون اولئك الذين يعتقدون ان رفع مستوى المعيشة هو تعويض عن المطامح القومية قد تعلموا درس التاريخ جيدا . اننا نعلم ، من خلال تجربتنا في اسرائيل ، ان مستوى المعيشة ، وفي الاساس مستوى الثقافة ، لا يعيق بصورة خاصة المطامح القومية » . وعبر عن الفكرة ذاتها طوليدانو بقوله : « ان التجربة مع عرب اسرائيل تفيد أن رفع مستوى المعيشة والثقافة ليس بديلا عن الرغبات والمطامح القومية » .

ولقد انشغلت الصحافة الاسرائيلية ، في الآونة الاخيرة ، بالاجتهاد في تحليل هوية العربي في اسرائيل واعربت عن دهشتها لعجز التجربة الاسرائيلية عن خلق الهوية الجديدة التي تريدها لهذا العربي . ولاحظت ان حوالي ستين الفا من الشباب العرب ولدوا في اسرائيل ، يتكلمون اللغة العبرية بطلاقة ويعيشون على طريقة الحياة الاسرائيلية . ولكن الاسرائيليين ، في بحثهم المشكلة القومية لهؤلاء العرب ، يحصرونها في اطار خيبة الامل التي أصابتهم من الدولة الاسرائيلية ، وينسبونها الى الرفض اليهودي

الشعبي للتعايش معهم . « انهم يواجهون أيضا مظاهر التعصب القومي من أوساط واسعة من السكان اليهود » . و« يعمل يوميا نحو ٥٠ الف عربي في المشاريع اليهودية في المدن اليهودية ، لكن العامل اليهودي غير مستعد لمساعدته ومصادقته واعتباره شريكا له في رغباته وحتى في نضاله المهني » . و« ان الاتجاه القائم عند السكان اليهود هو المحافظة على الحواجز بينهم وبين الاقلية العربية » . ودل بحث أعده الدكتور يوحنان بيريس المحاضر في جامعة تل أبيب على أن « البعد الاجتماعي عن العرب كبير وحاسم ، والاستعداد لاقامة علاقات مع العرب منخفض جـدا لدى جميع الطبقات ، وجميـع المستويات الثقافية . ويرفض أبناء الطوائف الشرقية العرب أكثر من رفض الاشكناز لهم ، بحجة « نحن نعرف من هم العرب . عشنا بينهم وعانينا منهم » وكان استنتاج الدكتور بيريس « ان رفض العرب لليهود اقل من رفض اليهود للعرب » . وعلى الرغم من أن الطرف اليهودي يملك امكانية التعبير عن رفضه للعربي ، ولا تتاح هذه الامكانية للعربي ، الا ان هذا الاستنتاج بالغ الاهمية لانه يطلعنا على مدى تغلغل العنصرية في بنية المجتمع الاسرائيلي . ولكن المعلقين الاسرائيليين أغفلوا حقيقة هامة هي أن رفض العربي لم يأت تلقائيا من التعصب اليهودي الشعبي معزولا عن جوهر الفكرة الصهيونية والتطبيق الاسرائيلي لها . وكثيرا ما يشكو الليبراليون الاسرائيليون من أن مشاكل عدم استيعاب العرب ناتجة عن غياب سياسة اسرائيلية واضحة تجاههم . وليست هذه الشكوى الا تزييفا للواقع ، فان السياسة الاسرائيلية تجاه السكان العرب واضحة منذ قيام اسرائيل ، وهي اقتلاعهم من أراضيهم ، والحاق الاضطهاد القومي والطبقي بهم ، وعزلهم عن انتمائهم القومي ، وخلق حالة اغتراب خانقة في وطنهم ، دون أن تغريهم بتقديم بديل أو تعويض . أي أنها لا تريدهم أن يكونوا فلسطينيين من ناحية ، ولا تستطيع ولا تريد أن تجعلهم اسرائيليين من ناحية أخرى . لقد رأت ان ابقاءهم في حالة حصار ثقافي واجتماعي ومواطنين من الدرجة الثانية هي الصيغة الاصلح لتدجينهم ، بعدمـا عجزت عن طردهم من وطنهم . وعبرت عن ندمها بعد ذلك في أنها لم تبذل جهودا كافية من اجل هذا الطرد . ولعل سياسة العنف التـي بلغت الذروة في مذبحة كفر قاسم الشهيرة كانت تعبيرا عن مرارة الحقد الاسرائيلي على وجود بقية من العرب كجزء من ديكور الطبيعة الشرقية ، وانذارا لربع مليون عربي باختيار أحد اثنين : « اما الطاعة .. واما الموت » .

وتصف « معريب » « ارتباك العرب في اسرائيل في تحديد هويتهم » بقولها : ان معضلة العربي هي : كيف يكون اسرائيليا جيدا ، وكيف يكون عربيـا جيدا ، وفي الوقت نفسه مواطنا مخلصا للدولة . لقد سألت عربا اسرائيليين : من أنتم ؟ فأجاب أحدهم : أنا فلسطيني ، مواطن اسرائيلي . وأجاب آخر : أنا مواطن اسرائيلي ، ومـن الناحية القومية أنا عربي . عربي في اسرائيل كالعربي في مصر وسوريا . وأجاب ثالث : أنا عربي اسرائيلي ، وقبل قيام الدولة كنت عربيا فلسطينيا . وقالت الصحيفة ان دراسة عن الهوية القومية للعربي الاسرائيلي، أعدها استاذان اسرائيليان في العلوم الاجتماعية، وصفت هذا « الارتباك » بأنه « عمل فني للموازنة بين الاتجاهات المتضادة .. توازن مبني برمته على عدم الحسم القاطع . لقد عاش عرب اسرائيل دائما في بهلوانية هذه الصيغة : مع اسرائيل لكن ليس ضد العرب ، أو مع العرب لكن ليس ضد اسرائيل » . وحللت الدراسة أزمة هذه الهوية قبل حرب حزيران وبعدها : « عندما بدأ التوتر الذي سبق حرب الايام الستة زاد الشعور بعدم الارتياح بين عرب اسرائيل، وقوي الاحساس بالحسم المقترب . وقد ظهرت على طرفي المعسكر جماعات قليلـة اعتقدت ان ساعة الحسم قد حلت فعلا : فمن جهة ظهرت رسائل التماثل والتبرع بالمال والدم للمجهود الحربي . وظهرت من جهة ثانية علامات تمرد . لكن الاغلبية الساحقة من الجمهور انطوت في قراها ولاذت بالصمت التام ، وكأنها قررت أنه لم يحن الوقت لاتخاذ قرار » .

وتضيف الدراسة : « عندما انتهت الحرب ، تقوض البناء المركب للتوازنات في هوية العربي الاسرائيلي . وقد مست مهانة العالم العربي أسس ذلك الأمل الرسولي ، الذي ساعد في الماضي على استقرار الوضع . مرة أخرى ، كان من الصعب التسليم بالتناقض في الهوية من خلال الثقة بأن الوضع مؤقت فقط . لقد حدث هذا الوضع المتأزم الشاذ ، وسمع نداء يدعو الى حرب تحرير مقدسة ، لكن الخلاص لم يأت » .

« ليس هناك ما يشبه حالة الاقلية العربية في اسرائيل » . هكذا قالت صحيفة معريب : « ان هذه الاقلية تعيش ، جغرافيا ، بالقرب من وحدة الشعب الام . انهـا جديدة في وضعها كأقلية . ولهذا ما زالت تذكر انها كانت تشكل الاكثرية قبل ٢٤ سنة . انها تعيش في بلد يعيش حالة حرب مع أبناء شعبها . انها تعيش في ظل خوف الاكثرية من أن تصبح الاقلية أكثرية » .

ويتقدم ميخائيل أساف ليحسم المسألة : « علينا الا نخدع انفسنا . ان أكثرية المثقفين العرب هم ضد الدولة » . هل يستطيع العربي الاحتفاظ بهذا التوازن المعقد : أن يكون فلسطينيا واسرائيليا في آن واحد ؟. تظهر تجربة الواقع نفسه ، وتظهـر المناقشات الاسرائيلية نفسها ، أن طرفي الصيغة في حالة اشتباك دائم ، وان العجز عن دمجهما معا ، وبالتالي دمج العربي في الكيان الاسرائيلي ، لا يعود فقـط الى غياب سياسة اسرائيلية « حكيمة » في تعاملها مع الاقلية العربية ، وانما يمتد الى الصراع الطويل بين الفلسطيني والعربي من جهة ، وبين الصهيوني من جهة أخرى . وان صيغـة عربي اسرائيلي ليست صيغة فكرية متكاملة بقدر ما هـي مصطلح مستمد مـن اعتبارات جغرافية . ان الطرفين يرفضان الاندماج : الفلسطيني يرفض الاسرائيلي ، والاسرائيلي يرفض الفلسطيني . ولكن قدرة الاسرائيلي — في الظروف الراهنة — على تحويل رفضه الى واقع ، هي التي تعرقل عملية الحسم في تحديد هوية العربي المقيم في اسرائيل ، وما يستتبع هذا التحديد من اشتراك في الممارسة وتقرير المصير السياسي .

ولقد عبر مستشار رئيسة الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية عـن استحالة ضبط صيغة التناقض في الانتمائين في الحوار التالي : « نسمع كل يوم تقريبا ونقرأ الكلمات « ينبغي خلق جسر للحوار » ، و« ينبغي ايجاد صيغة مشتركة بيننا وبين العرب » . هذه كلمات جميلة وأسألك يا سيد طوليدانو : ماذا تفعل الدولة والحكومة والمجتمع لتحقيق ذلك في حياتنا مع العرب سكان البلد هنا بصورة يومية ؟ كان طوليدانو مضطرا ، لمتطلبات الاجابة على السؤال ، الى اخفاء كل معالم الاضطهاد والتمييز والقمع اللاحق بالعرب ، فأجاب : « ان الحكومة فعلت ما كان يتوجب عليها ان تقوم به . لقد الغيت جميع القيود سواء أكان ذلك الحكم العسكري أو المناطق المغلقة أو مصادرة الاراضي » . وسئل ثانية : هل هذا كاف ؟ فأجاب : « هذا لا يكفي ، ولكن هذا ما تستطيع الحكومة القيام به » .

هنا أيضا ، تصل محاولة صهر العربي في الكيان الصهيوني الى باب مسدود آخر . فكما أن التطور الاقتصادي المزعوم لم يكبح التطلعات القومية لدى العرب في اسرائيل ولم يلغ انتماءهم ، كذلك فان افتراض المساواة واتاحة الفرص الممكنة أمام العربي ، في حالة انقلاب السياسة الاسرائيلية رأسا على عقب ، لن يضمن حل المعادلة المستحيلة لانتماء العربي . ويبدو انه يعز على الاسرائيليـين أن يدركوا أن كونهم محتلـين في الوطن الفلسطيني وكون الاقلية العربية في فلسطين واقعة تحت الاحتلال ، ما زالت هي الحقيقة الاولى في التعامل بين الطرفين . ويبدو أنه يعز عليهم أن يدركوا أيضا أن ربع القرن الذي مضى على الاحتلال لم يلغ كون الاحتلال احتلالا ، ولم يغير وعي العربي بكونه محتلا ولم يحوله الى مواطن اسرائيلي باختياره . لقد بذلت القوى السياسية الاسرائيلية طاقات ضائعة من أجل تعديل هذا الوعي ، وحاولت تمرين النفسية العربية على خلود

الامر الواقع مما يروضها على التعود عليه ويشغلها بأمورها المعيشية اليومية عن قضية مصيرها القومي . ولكن الازمات والهزات كانت تكشف دائما عن استحالة اقتناع العربي بكونه مواطنا اسرائيليا . انه لم يختر انتماءه الاسرائيلي اطلاقا ، ولم تتح له فرصة الخيار ، في يوم من الايام ، بين أن يكون اسرائيليا أو لا يكون . كانت الظروف السياسية الداخلية تعطيه اختيارا واحدا لا يخرج عن اطار الكيان الاسرائيلي : أن يختار القوة السياسية الاسرائيلية للعمل داخل العلاقات الشرعية القائمة ضمن المؤسسة الصهيونية الواحدة . وتشترط شرعية العمل والممارسة السياسية في هذه المؤسسة عدم المساس بجوهر الكيان الصهيوني . ومن هنا ، كانت حرية العربي الوحيدة المتاحة ، ضمن الظروف الداخلية والخارجية الراهنة طيلة ربع القرن ، هي حرية الاعتراض المشروط على أشكال التطبيق الصهيوني وحجمه ، وحرية الدعوة الى الاصلاح داخل المؤسسة الصهيونية . وتنتهي هذه الحرية وتتحول الى خيانة أو تجسس اذا ما وصلت ممارسة الاعتراض الى مبدأ الكيان الصهيوني . عندها تدفع خارج الشرعية والقانون وتصبح عملا سريا ويجد العربي نفسه خارج السياسة . ومن هنا ايضا تكون حرية العربي داخل اسرائيل ضربا من ضروب اختيار العبودية ، طالما أن العبودية التي يفرضها مبدأ الاعتراف بحق اسرائيل ، وهو عبودية بالنسبة للعربي لانه الغاء لحريته ، شرط لسعيه نحو ممارسة حريته .

لماذا يرضى العربي بهذا الجانب غير الحر من الحرية ؟ في ظروف سياسية معينة تكون هذه الممارسة قدرا لان بديلها واحد من اثنين : اما التخلي عن ميدان الممارسة . وهذا يعني التخلي عن الوطن — في المرحلة الحالية — من أجل اختيار حرية الاعتراض الكامل والملتزم على الكيان الصهيوني والانخراط في جبهة قتال . واما المقاومة السرية داخل الارض المحتلة ، وهذا يعني اعلان الكفر بطاقات العمل السياسي المشروع وامكانياته ضمن دائرة القانون الاسرائيلي . وهو بديل لا تحدده الشجاعة الشخصية والمشاعر الوطنية بمعزل عن الامكانية الداخلية ومستوى تطور الصراع العربي الاسرائيلي .

●

لا يستطيع العربي في اسرائيل أن يقيم تنظيمه السياسي المستقل . وهذا ما يجعله يمارس النشاط السياسي في أحزاب اسرائيلية . واشتراك العربي في نشاط الاحزاب اليسارية يعتبر ممارسة تقدمية في ميزان القوى السياسية في اسرائيل ، وخاصة فيما يتعلق بالمشاكل السياسية واليومية الاكثر الحاحا ، وفي مراحل معينة من الصراع الاسرائيلي — العربي حيث لا يكون البت في مسألة الكيان الاسرائيلي هو القضية الاولى في سلم الاولويات . العرب في اسرائيل هم جزء من الشعب العربي الفلسطيني — ليس من السهل تأكيد هذا الانتماء داخل اسرائيل ، لان للانتماء التزاما بالمعركة والمصير . ولا يسهل على الحزب الشيوعي وهو الحزب اليساري الوحيد الذي يمارس فيه الوطنيون العرب نشاطهم السياسي أن يؤكد هذا الانتماء دائما ، ليس لان هذا الانتماء وجهة نظر قابلة للمناقشة ، بل لانها تحدد ، في مرحلة من مراحل الصراع ، وجهة نشاط هذه الاقلية القومية في اتجاه شعبها الفلسطيني . اذن ، كيف تناضل هذه الاقلية القومية الآن ، وما هو دورها السياسي ؟. يقول اهود يعري في صحيفة « دافار » عن العرب الذين كانوا ينتمون الى الحركة القومية « الارض » وهي كانت محاولة لاقامة تنظيم عربي مستقل انهم ينقسمون الآن الى ثلاثة تيارات : « ثمة من يواصل العمل السياسي الوطني ضمن اطر جديدة ، وثمة من يئس تماما من احتمالات الصراع ضد اسرائيل . وهناك من توصل الى استنتاج من أنه لا مفر من الارهاب » . ويضيف الكاتب : « ان كل شاب وطني يقف

اليوم امام الخيار الذي واجهه قادة « الارض » بعد تصفية منظمتهم : التحالف مع الحزب الشيوعي (راكاح) أو هجر السياسة . الاندماج في حياة الدولة أو اللجوء الى الارهاب . فكل واحد من هذه الاختيارات مرهون بالتنازلات والمخاطر . والاختيار صعب . لكن عدد هؤلاء الذين يعتبرون قهوجي نموذجا سيتزايد في المستقبل » .

يبدو ان ثمة اجماعا في اسرائيل على ان البديل لهجر السياسة هو التحالف مع راكاح ، وان التحالف مع راكاح يشكل معادلة مستقلة عن الاندماج في حياة الدولة او اللجوء الى المقاومة المسلحة . وقد حددت رؤوس أقلام المؤتمر السابع عشر لراكاح الهوية القومية للعرب في اسرائيل بقولها : « ان المواطنين العرب في دولة اسرائيل هم اقلية قومية وجزء من الشعب العربي الفلسطيني » . وحددت نضالهم ودورهم السياسي بالصيغة التالية : « انهم يناضلون من اجل المساواة المدنية والقومية في الحقوق في دولة اسرائيل ، ومن اجل التقدم الاجتماعي والديموقراطي ، ومن اجل تحقيق الحقوق القومية العادلة للشعب العربي الفلسطيني ، ومن اجل السلام العادل بين اسرائيل والبلدان العربية . ومن اجل تحقيق هذه التطلعات الديموقراطية والتقدمية يشن المواطنون العرب نضالا مشتركا مع القوى الديموقراطية اليهودية في اسرائيل ضد السياسة الحاكمة الموالية للاستعمار ، وضد سياسة الاضطهاد والتمييز القوميين ، وضد السياسة الرجعية المتناقضة مع المصالح اليومية للطبقة العاملة وجماهير الشعب ، ومن اجل تغيير السياسة الاسرائيلية الرسمية تغييرا اساسيا . وبذلك يشكل المواطنون العرب في اسرائيل قوة تقدمية وهامة في جبهة النضال المعادي للاستعمار » . ويحصر الحزب الشيوعي نضال العرب في اسرائيل داخل هذا الاطار السياسي الديموقراطي ويسجل في رؤوس الاقلام المذكورة : « قبل حرب حزيران وبعدها رفض المواطنون العرب محاولات دفعهم الى طرق نضال مغامرة كانت لا تلحق الا الضرر بهم وبالنضال الديموقراطي العام في اسرائيل » !!

لا يستطيع العربي في اسرائيل ان ينشيء تنظيمه المستقل على اساس قوي . « ان عرب اسرائيل معرضون للاستنزاف النفسي » — هكذا يقول طوليدانو ويضيف انه لا توجد منظمات مقاومة سرية او شبه سرية بين العرب في اسرائيل ، في الاسبوع ذاته الذي كشف فيه تنظيم سري . ومن المضحك حقا ان تحاول اسرائيل مداواة الاستنزاف النفسي للعرب بترقية عملائها العرب في وظائف عالية . ما زالت العقلية الصهيونية مصرة على أن تعيين احد عملائها العرب في وظيفة عالية سيعطي الشعب العربي في اسرائيل تعويضا عن مهانته القومية وكرامته الانسانية ، بدلا من تعميق هذا الاحساس. ومن المضحك ايضا ان تلجأ السلطة الاسرائيلية الى اغراء هؤلاء السكان بفتح باب حزب العمل الحاكم أمامهم . لم نر جلادا يكسب مودة ضحيته عن طريق اشراكها في صنع الكرباج . وتقول « معريب » : « ان وزراء حزب العمل قد ادركوا ان حزبهم يتجه الان نحو استيعاب أعضاء عرب . يقترح شمعون بيرس « كتلة عربية » او « حزبا عربيا شقيقا » لكن يتضح ان رؤساء الحزب مدركون انه لا يوجد في هذا الامر حل جزئي . السبب بسيط : اذا لم يقبل العرب في حزب العمل ، فسيشكلون حزبا عربيا مستقلا . لذلك فان غير الراضين في حزب العمل عن مشروع قبول أعضاء عرب ، يعرفون أن اي بديل آخر هو أقل قبولا . ان القوة الانتخابية لعرب اسرائيل تمكنهم من ادخال الكتلة الثالثة في حجمها الى الكنيست بعد حزب العمل وغاحل أي من ١٣ — ١٤ عضو كنيست » . وتضيف الصحيفة « أن غولده مئير وبنحاس سبير وآخرين غير مسرورين بفتح أبواب حزبهم أمام العرب ، لكنهم يعتبرون ذلك الامر اهون الشرين » . وهكذا يحدد الحزب الحاكم الدور السياسي للعرب : مادة دعائية ، قوة انتخابية ، وشر لا بد من تطويعه ودفعه الى التسليم الشامل بالمصير الذي تحدده ، واقناعه بأنه مندمج في

حياتها السياسية والاجتماعية دون أن ترغب في دمجه ومنحه المساواة ، أي دمجه بالطاعة دون أن يكون مندمجا بالحقوق !

●

باختصار ، لم تتمكن اسرائيل من خلق الطراز العربي الذي تريده . ولم تتمكن من خلق مواطن عربي اسرائيلي بالمفهوم الدقيق للمصطلح . وأكثر من ذلك : لم تتمكن من عقد الصلح معه . ان حربه صامتة ولكنها فعالة . وبقاؤه — مجرد بقائه ، ودوره رغم تواضعه في الحياة السياسية يعتبر انتصارا له في حربه الشاقة التي يشنها منذ ربع قرن بكل الوسائل الممكنة : بالتحدي الصامت والصارخ ، بالمظاهرة ، بالاضراب ، بالتناسل ، باليسار ، بالعمل السري ، بالقصيدة ، بالهوية ، باصراره على القول : أنا عربي . بالصبر . بالانتظار ، بالتعلق بالاغاني العاطفية والوطنية التي يسمعها من محطات الاذاعة العربية . انه يستنزف نفسيا ؟ صحيح ولكنه لا يسلم . انه يتكلم اللغة العبرية ويتقنها أكثر من وزير اسرائيلي ، ولكنها لا تشمله ولا تحتويه . وان أكثر ما يستنزفه هو حالة الانتظار الطويلة . ولكن هذا الانتظار هو الذي يغذي انتماءه يوما يوما . تصيبه خيبات أمل ولكنها لا تكون الا تعبيرا عما يكنه لواقعه من رفض وعن مدى تعلقه بانتمائه القومي . ينتظر لانه يشعر ان كل شيء ، لديه ، مؤقت . واكثر مما يستنزفه هذا الانتظار فانه يستنزف أمل الذين استولوا على وطنه بدفعه الى الطاعة والتسليم . يجلس في حلوقهم كالشوكة. يغير اساليب رفضه طبقا لما يقدره من امكانيات وظروف . يعرف هويته ويرتبك أحيانا فترده معرفته لهوية الغزاة الى توازنه السابق . ينسى ، أحيانا ، أنه محتل لانصرافه الى الاشتباك مع مصادر العيش ، فيخلق أبناء لا ينسون أنهم محتلون . دهش الخبراء الاسرائيليون عندما لاحظوا ان الجيل الجديد — الجيل الذي ولد تحت الاحتلال أكثر احساسا بانتمائه القومي وبرفضه للكيان الاسرائيلي.

هؤلاء العرب المقيمون في اسرائيل لا تشبه حالتهم حالة اخرى في العالم — هكذا يقول الاسرائيليون . ان حالة الاغتراب التي خلقها الاحتلال الاسرائيلي فيهم لم تمتد الى الاغتراب عن هويتهم وعن انتمائهم . لقد ردوا عليها بالاغتراب عن الحالة الاسرائيلية. صحيح ، أنهم يعيشون تحت الاحتلال غرباء في وطنهم . ولكنهم ليسوا غرباء عن وطنهم. وقد قسم طوليدانو ربع القرن الذي مضى الى ثلاث مراحل : المرحلة الاولى هي «مرحلة الانتظار» وقد امتدت منذ عام ٤٨ حتى حرب سيناء «كان عرب اسرائيل خلالها ينتظرون، انهم لم يكونوا متأكدين من مصير هذه الدولة ، وفيما اذا كانت ستبقى ام ستزول » . والمرحلة الثانية يسميها « مرحلة التسليم الجزئي » وهي تمتد من حرب سيناء حتى حرب الايام الستة » وقد بدأ العرب في هذه المرحلة يسلمون بوجود الدولة مع بعض الشكوى، شكوى شديدة من الحكم العسكري ومصادرة الاراضي وعدم حرية الحركة وما شابه ». ويسمي المرحلة الثالثة « مرحلة التسليم الشامل » وهي تمتد منذ عام ٦٧ حتى اليوم . « ان دولة اسرائيل حقيقة قائمة ، والازدهار الاقتصادي يسجل تقدما مطردا ، وكافة شكاوي العرب ضد الحكومة قد ازيلت » . ويضيف : « وهذه المرحلة بالذات طرحت علامات استفهام لم تكن قائمة في الماضي وهي علامات استفهام صعبة . يسألون انفسهم : من نحن ؟ ما هو مكاننا في هذه الدولة ؟ وما هو مستقبلنا في البلد كأقلية قومية في دولة اسرائيل اليهودية » . ويعترف طوليدانو بأنه من غير الممكن تقديم حلول عن هذه الاسئلة الشاقة . وان مشكلة ولاء العربي لاسرائيل ستظل قائمة ما لم يحل السلام بين اسرائيل والعرب .

ان هذا الاعتراف يشمل اعترافا آخر لا يريد الاسرائيليون أن يفصحوا عنه ، وهو أن ما

يسمى « بالتسليم الجزئي » او الشامل او المظاهر الموحية بهذا التسليم غير قادرة على تشكيل ظاهرة اصيلة ، لان هذه المظاهر تأخذ أشكالا اخرى مضادة في حالات تحرك فعل عربي خارجي يجعل الامل حيويا . وتبقى حالة الانتظار هي الظاهرة الوحيدة الباقية . انظروا ردود فعل هؤلاء المواطنين النفسية والمعنوية أيام حرب الاستنزاف ، او تصاعد عمليات المقاومة . وما يبدو انه تسليم ليس الا تعبيرا عن طبيعة الانسان في ممارسة الحياة في الايام العادية حين لا يكون ثمة بديل آخر . وقد لا نبالغ اذا لاحظنا ان الفترة التي يسميها طوليدانو بمرحلة «التسليم الشامل» أي الفترة التي أعقبت حرب حزيران، وما سبقها بقليل ، كانت هي المرحلة التي أعادت الى وعي العربي في اسرائيل كون حالته مؤقتة ، وعمقت فيه مشاعر الانتظار المتأججة لخلاص يراوح بين الغموض والوضوح ، لان تلك الايام الحت على ذاكرته ووعيه بحقيقة كونه محتلا ، والغت ما قد يتركه الزمن من مقدمات التعود على الاحتلال . سيطر الاحساس العام بأن العرب ليسوا أقلية مضطهدة تناضل من أجل تحقيق مطالب ديموقراطية ومساواة في الحقوق، ولكنهم شعب محتل يقف أمام بوابة الخلاص . وقد كان للقاء شطري الشعب المحتل بعد الهزيمة تأثير كبير في تعميق الاحساس والوعي المشتركين بالاحتلال . فعلى الرغم من حمل بطاقة الهوية الاسرائيلية واتقان اللغة العبرية والتعامل مع اسلوب الحياة الاسرائيلية كانت ميزات قومية الشعب الفلسطيني الواحد، وخصوصية حياته ومصيره، وعلاقاته العائلية ، وصحوة الحنين الذي نام ذات يوم من شدة النعاس ، كانت أقوى من تأثير ربع قرن كامل من محاولات طمس هذه المعالم والميزات . وان المد والجزر في أشكال التعبير عن حالة الانتظار الطويلة التي يعيشها العرب في اسرائيل لا تنتج عن ارتباك في معرفة هويتهم ، فان هويتهم القومية حادة الوضوح ، ولكنها ناتجة عن ارتباك الفعل العربي الخارجي .. عن تقدمه او تخلفه . وان اشكال الصراع التي يستخدمها هؤلاء السكان لا يحددها توازن القوى السياسية الاسرائيلية والظروف الداخلية بقدر ما تقررها المرحلة التي يصل اليها الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

انهم ينتظرون .. والانتظار صمود وموقف .

المقاومة الفلسطينية في الدفاع الديناميكي المرن

المقدم الهيثم الايوبي

« انني أعمل بشكل يجعل العدو يعتبر نقاطي الضعيفة نقاطا قوية ، ونقاطي القوية نقاطا ضعيفة ، في الوقت الذي أقلب فيه نقاطه القوية الى نقاط ضعيفة ، وأكتشف ثغراته . »

(هو بين هسي)

تعيش حركة المقاومة الفلسطينية اليوم مرحلة جديدة من مراحل نضالها الطويل ضد الوجود الاسرائيلي . فلقد أجبرها واقع الجبهات العربية العسكري ، وتوقف حرب الاستنزاف ، وهجمة النظام الاردني الشرسة على قواعدها العسكرية والشعبية الى الانتقال من « مرحلة البناء والتجذير والمد » الى « مرحلة الحفاظ على البقاء واعادة البناء » ، وهي مرحلة تستهدف اذكاء الجذوة والامل الثوريين ، ورفع راية متابعة النضال، والحفاظ على أعلى حد ممكن من توتر الازمة الثورية ، مع اعداد القوة الذاتية اللازمة لقلب معادلة القوى وتفجير قوى جديدة قادرة على الانتقال خطوة نوعية جديدة الى أمام على طريق حرب التحرير الشعبية .

وتجابه حركة المقاومة خلال المرحلة الحاضرة كل معضلات اعادة البناء العسكري والتنظيمي والايديولوجي وما يرافقها من تشكيك وانشقاقات ومزايدات ومبالغات وتساقطات وانحرافات بالاضافة الى تدابير الردع الاسرائيلية المباشرة وغير المباشرة التي تحاول تحطيم القوة المادية لحركة المقاومة أو قلبها على الاقل الى جسم سلبي عديم الفاعلية عاجز عن تنمية قواه عن طريق التفاعل مع الجماهير العربية والفلسطينية ، بشكل تتحول فيه المرحلة الحاضرة من « الحفاظ على البقاء واعادة البناء » الى « الحفاظ على البقاء » بالمعنى السلبي لهذا التعبير ، لان البقاء المادي السلبي لا يشكل ــ مهما كبر حجمه ــ خطرا جديا حقيقيا مباشرا او كامنا ، فهو بقاء مجدب عاجز عن الفعل والتفاعل والنمو ، وعاجز في النهاية عن قلب معادلة القوى .

ولقد نجم عن الانتقال من « مرحلة البناء والتجذير والمد » الى المرحلة الحاضرة انتقال حركة المقاومة على الصعيدين السياسي والعسكري الى مستوى أقل هجومية ، اي أن مستوى الدفاع السياسي والعسكري قد تزايد على حساب الهجوم . واذا كانت المرحلة السابقة هجمات تكتيكية داخل اطار دفاع استراتيجي فرضته موازين القوى العامة بين قوى الثورة وقوى العدوان ، فان المرحلة الحالية لا بد وأن تكون دفاعا ــ هجوميا يعد لانطلاق هجومي جديد في اطار الدفاع الاستراتيجي ضد المعتدين، ذلك الدفاع الذي تشنه قوى حركة المقاومة الصدامية التعرضية الديناميكية المشبعة بالعقيدة الهجومية أساسا، وتستمر فيه رغم فداحة التضحيات حتى تصبح القوى الثورية قادرة على تنفيذ الهجوم والدفاع في اطار هجوم استراتيجي شامل يستهدف تصفية الوجود العسكري الاسرائيلي ــ الامبريالي ، وتدمير الهياكل العسكرية ــ السياسية ــ الاقتصادية الصهيونية التي

تمارس كل انواع القهر القومي والقهر الاجتماعي وتمنع بناء المجتمع الديموقراطي العصري المأمول .

وما دام التحرير هدف المقاومة النهائي فان من الضروري تبني العقيدة الهجومية التعرضية الديناميكية سواء كان العمل الثوري يجري داخل اطار الدفاع الاستراتيجي (حاليا) أو داخل اطار الهجوم الاستراتيجي (مستقبلا) لان من المستحيل تصفية قوة العدو المسلحة وتدمير هياكله الاستعمارية من غير هجوم . والحرب بجوهرها هجوم ، وما الدفاع — رغم اختلاف شكله وأساليبه عن شكل الهجوم وأساليبه — سوى مرحلة من مراحل الهجوم يستخدمها الطرف الاضعف لاكتساب الوقت والحفاظ على قواه وتنميتها واستنزاف قوى الخصم الاقوى الى أن ينقلب ميزان القوى وينتقل المدافع الى الهجوم . واذا كان الهدف من الهجوم تحقيق مكاسب ايجابية تتراكم لتصبح انتصارا فان هدف الدفاع هو الحفاظ على ما نمتلك وتنميته باستمرار ، وتجريد العدو من بعض مصادر قوته ، أي تحقيق مكاسب سلبية وأخرى ايجابية تتراكم على المدى البعيد لتشارك في تبديل موازين القوى وخلق موازين جديدة تؤدي الى الانتصار . ومهما تكن قوة الدفاع وفاعليته فانه لا يمتلك قيمة ذاتية مجردة ولا تقاس قيمته الحقيقية الا بمقدار احتمال انقلابه الى هجوم . وهذا يعني ان الدفاع الحقيقي هو « هجوم مؤجل » او « دفاع — هجومي » لا يمثل درعا مجردا ولكنه « درع مؤلف من ضربات توجه بمهارة »(١) وصمود تعقبه هجمات معاكسة . وهناك حالات قليلة يستطيع المدافع فيها تحقيق هدفه بالدفاع المجرد وحده ، وذلك عندما يتكبد المهاجم خسائر لا تقلب موازين القوى بشكل حاسم ، ولكنها تبدد قوته وتجبره على أن يوقف نشاطه بعد ان يتأكد من أن خسائره غير متناسبة مع المكاسب المنتظرة . وتتطلب هذه الحالة أن تكون قيمة « هدف النزاع » بالنسبة للمهاجم محدودة جدا بشكل يجعل المهاجم حذرا يحجم عن المغامرة ودفع الخسائر لتحقيق أغراض محدودة لا اهمية لها . ولا ينطبق هذا الوضع على الصراع العربي — الاسرائيلي الذي يعتبر « هدف النزاع » فيه هاما بل وحيويا لكلا المعسكرين المتجابهين .

ويكتسب الحديث عن الهجوم والدفاع اهمية بالغة عن دراسة مسائل الصراع العربي — الاسرائيلي ، لان هذا الصراع انموذج واضح تقليدي لمعسكرين متنازعين يتمتع أحدهما [اسرائيل] بالتفوق المادي والروح العدوانية ، ويستخدم الاستراتيجية الهجومية لتحقيق أغراضه التوسعية ، على حين يستخدم المعسكر الآخر [العرب] استراتيجيتين متباينتين . اذ تطبق الجيوش العربية النظامية استراتيجية الدفاع لصد العدوان واحباط مخططات العدو ، وتستخدم اساليب الدفاع التقليدية المباشرة وأداتها القوات المسلحة النظامية ، على حين نجد أن المقاومة — رأس الحربة الديناميكي في المجابهة — تستخدم منذ انطلاقها حتى اليوم اسلوبا دفاعيا — هجوميا ثوريا ، يتسم بالمبادرة وتسديد الضربات الجريئة . ولا تنتظر ضربات العدو لترد عليها ، بل تبادر دائما الى الهجوم الذي تعتبره أداتها الاولى لتدمير العدو واستنهاض الجماهير وتعبئة قواها لتصعيد حرب العصابات والحرب السرية حتى تصل الى مستوى الهجوم المعاكس الاستراتيجي آخر مراحل حرب التحرير الشعبية .

ومن الطبيعي أن يلجأ الطرف الاقوى **ماديا** [العدو الاسرائيلي] الى استغلال قوته لشن الهجوم . كما أن من الطبيعي ان يلجأ الطرف الاضعف **ماديا** [المعسكر العربي] الى الدفاع **مؤقتا** لتعويض ضعفه والافادة من مزايا الدفاع علما بـ « أن الشكل الدفاعي للحرب هو بحد ذاته اكثر قوة من الشكل الهجومي »(٢) شريطة ان ينتقل بعد

---

١ — كلاوزفيتز ، **في الحرب** ، الكتاب السادس ، الفصل الاول ، ص ١١٥ .

٢ — **المصدر نفسه** ، ص ١١٦ .

ذلك الى الهجوم . ولقد ذكرنا ان هدف الهجوم تحقيق مكاسب ايجابية وان هدف الدفاع الحفاظ على ما نمتلكه . ومن المؤكد أن المحافظة على شيء يود الخصم انتزاعه أسهل من اكتساب شيء من بين براثن الخصم . بيد ان الطبيعة السلبية لهدف الدفاع تجعلنا لا نلجأ اليه الا اذا أجبرنا ضعفنا على ذلك . وان من واجبنا — ان شئنا تطبيق قوانين الحرب والعمل وفق جوهرها — التخلي عن الدفاع عندما نحس بنمو قوتنا وقدرتها على تحقيق هدف ايجابي . من هنا نستنتج ان بدء الطرف الاضعف بالقتال دفاعيا والانتقال بعد ذلك الى الهجوم هو تطور طبيعي في الحرب .

بيد أن الحديث عن الهجوم وتسليط الاضواء على ما يمكن أن يحققه من أهداف ايجابية لا يعني تفضيله على الدفاع بشكل مطلق . والعلاقة بين النوعين مترابطة جدلية . وكما ان الهجوم بمعناه الشامل يحمل في طياته بعض عمليات الدفاع ، فان على الدفاع أن يتضمن الكثير من العمليات الهجومية . وكما « ان القدرة على الهجوم غير المعززة بالقدرة على الدفاع هي أدنى من هاتين القدرتين مجتمعتين »(٣)، فان « الحرب التي لا تفيد الانتصارات فيها الا لصد الضربات والتي لا نحاول فيها رد كل ضربة بضربة مماثلة حرب رعناء كالمعركة التي يسود فيها الدفاع المطلق (السلبية) في كل التدابير المتخذة»(٤) والفرق بين الهجوم والدفاع هنا هو أن الهجوم يبدأ **بالعمل** — لانه قادر على ذلك — على حين يبدأ الدفاع **بالانتظار** ويستفيد منه الى أبعد حد ممكن لينتقل بعد ذلك الى **العمل** الذي يبدأ بتدمير العدو بالنار ثم يتطور حتى يصل الى تدمير العدو بالنار والصدمة (الهجوم المعاكس) . ومن الضروري اعتبار انتقال المدافع الى تسديد الضربة المعاكسة **ميلا طبيعيا للدفاع** وأن نرى في هذه الضربة **جزءا أساسيا ولازما** لكل دفاع ديناميكي يتمتع بحس سليم وقدرة على استغلال نقاط ضعف الخصم وطرق الحديد وهو ساخن . ان أروع لحظات الدفاع هي اللحظة التي يكتشف فيها المدافع ثغرة في أوضاع المدافع وترتيباته فيسدد لها ضربة جريئة سريعة مدمرة . وكل من لا يفكر بهذا الشكل منذ بداية الصراع ولا يخطط للضربة المعاكسة ولا يدخلها في مفهوم دفاعه ، ويعتقد ان الصد وحده قادر على تحقيق النصر مهما كبرت قيمة « هدف النزاع » عبارة عن شخص لا يمكن أن يعي جوهر الحرب وجدلية الهجوم والدفاع وعلاقاتهما المتبادلة ، علاوة على أنه — حسب تعبير كلاوزفيتز — « يفكر بطريقة تضييق العقدة لا بطريقة حلها » .

وضمن اطار الحديث عن الدفاع العربي النابع من الاستراتيجية العربية الدفاعية — القائمة حاليا ، والتي ما زالت قائمة منذ نشوء اسرائيل — لا بد لنا من تحديد دور قواعد المقاومة الفلسطينية الموجودة خارج الارض المحتلة في مجابهة أي عدوان مقبل . ومثل هذا العدوان أمر منتظر بل ومحتوم طالما أن المقاومة الفلسطينية الموجودة في سوريا وجنوبي لبنان تشكل خطرا كامنا على أمن المستعمرات وخطوط المواصلات ، وطالما ان العدو العاجز عن رفع مستوى ردع المقاومة عن طريق « التلويح بالقوة » أو عن طريق « الردع غير المباشر » قد قرر تجاهل « الحدود السياسية » وتبنى مبدأ « الحدود الايديولوجية » الذي يخوله حق اجتياز الحدود برا وجوا والتغلغل عبر المياه الاقليمية ومطاردة رجال المقاومة حيثما وجدوا (راجع مقال العمل والردع في الاستراتيجية الاسرائيلية ، العدد ١٧ من مجلة شؤون فلسطينية) واذا كان من المهمات الاستراتيجية الاساسية اليومية لقواعد المقاومة المتمركزة في البلدان العربية المضيفة دعم المقاومة داخل الارض المحتلة وتموينها وامدادها ورفع مستوى التعبئة السياسية النضالية بين صفوف الجماهير بالاضافة الى تسديد ضربات اليمة لثغرات العدو الكثيرة، ولمواقعه الاقتصادية والعسكرية المنتشرة في كل أرجاء الارض المحتلة ، ضمن خطة

---

٣ — الجنرال فولر ، **تأثير التسليح في تاريخ الحضارات** ، ص ١٩ — ٢٠ .
٤ — كلاوزفيتز ، **في الحرب** ، الكتاب السادس ، الفصل الاول ، ص ١١٧ .

استنزاف طويلة الامد ، فان من واجباتها الاساسية خلال اي هجوم معاد داخل الارض العربية المشاركة الفعلية في الدفاع بأسلوب العصابات ووفق تكتيكاتها وقوانينها ، سواء تمت هذه المشاركة بالتنسيق مع هذا الجيش العربي او ذاك ، او بدون هذا التنسيق .

ان حجم قوات حركة المقاومة وطبيعة تدريبها وتسليحها ومستوى كثافة نيرانها لا تسمح لها بأخذ مواقع دفاعية ثابتة والصمود عليها كقطعات نظامية . وكل من يفكر بأن على حركة المقاومة ـــ في واقعها الراهن ـــ ان تأخذ مكان الجيش التقليدي ، والتصرف مثله ، والقيام بالواجبات الملقاة على عاتقه ، والنجاح في صد هجوم مدرع وجوي على غرار الهجمات الاسرائيلية على جنوب لبنان عبارة عن شخص يجهل حقيقة العصابات ومدى عملها وطبيعة مهماتها ، ويريد نحت تمثال بازميل حجّار . والتفكير القويم المتلائم مع طبيعة الاشياء في المرحلة الراهنة يتطلب تفهم المقاومة ـــ الطامحة الى تصعيد المعركة حتى آخر مراحل الحرب الشعبية طويلة الامد ـــ لجميع معطيات الصراع وتحديداته ، والقيام بمهماتها وفق اساليب حرب العصابات ومبادئها ، وعدم تجاوز هذه المبادىء تحت ضغط الافكار المغلوطة او الاهواء ، حتى لا تدفع ثمن هذا التجاوز ضريبة غالية تحرمها من تحقيق هدف بناء القوة الذاتية ، وتقلب الايجابيات المحتملة الى سلبيات تأخذ في بعض الاحيان حجم الكارثة .

وتتطلب مبادىء حرب العصابات قيام المقاومة عند هجوم العدو بدفاع ديناميكي مرن يطبق ثلاث قواعد من قواعد ماوتسي تونغ الاساسية وهي : **الانسحاب امام تقدم العدو انسحابا يتجه نحو المركز ، وضرب العدو المتوقف ، وملاحقته عندما يبدأ بالتراجع .** وهذا يعني تنفيذ عمليات المقاومة المحسوبة والتراجع الارادي والهجمات المعاكسة امام العدو المتقدم ، وشن الطلعات التعرضية والاغارات المستمـــرة ضد العدو المتوقف ، واجراء المطاردة الحثيثة ونصب الكمائن المتواترة وتنفيذ عمليات الاعاقة والازعاج امام العدو المنسحب .

وتتضمن هذه العمليات أعمالا ايجابية غايتها تدمير العدو وهي : المقاومة المحسوبة ، والهجمات المعاكسة ، والطلعات التعرضية ، والاغارات ، والمطاردة ، والازعاج كما تتضمن أعمالا سلبية كالاعاقة والتراجع الارادي اللذين يستهدفان الاقتصـــاد بالقوى الذاتية وتدمير العدو بفضل الجهد الذي يفرضه عليه تقدمه . وتساعد العمليات بنوعيها الايجابي والسلبي قوات المقاومة ، وتؤمن لها ضرب العدو في الزمان والمكان المناسبين ، وتسمح لها بالقتال ، اطول وقت ممكن وتكبيد العدو خسائر جدية بأقل التضحيات .

ويمكن لقوات المقاومة تحقيق أفضل النتائج اذا ما طبقت عملياتها مستفيدة من عاملي **الارض** و **المفاجأة** . ومن الممكن بسهولة فهم تأثـــير ميزات **الارض** الصالحة لحـــرب العصابات كالجبال ، والمناطق المشجرة ، والاراضي الوعرة ، والممرات الاجبارية ، وما تقدمه هذه الميزات من مساعدة لتحقيق النصر . بيد أن طبيعة الارض الصعبة وحدها لا تكفي . ولا تستطيع أصعب الاراضي ايقاف جيش حديث متقدم ، ولا يمكن تحقيق الفائدة القصوى من ميزات الارض الا اذا درسها المدافع دراسة تامة ، وعرف ممراتها ونقاطها المنيعة وقطاعاتها المخفية وموارد المياه والتموين فيها ، وتدرب على استخدام مسالكها واستطلاع مخابئها قبل المعركة واستخدم كل هذه المعلومات بأفضل شكل خلال القتال وعمل كصاحب البيت الذي يعرف سبيله في الظلام اكثر من الغريب المقتحم الذي يحاول معرفة الارض بمختلف وسائل الاستطلاع ، ولكن معلوماته عنها تبقى محدودة بشكل يعرقل عمله وخاصة خلال الليل .

وتزيد **المفاجأة** قوة الصدمة ، وترفع مستوى التأثير المادي والمعنوي الـــى ابعد مدى ممكن . ومن المعروف ان المهاجم يحقق المفاجأة نظرا لقيامه بالضربة في الزمان والمكان

اللذين يختارهما ، ويتابع تقدمه على الإتجاهات التي يريدها . ولكن المفاجأة الاولية تفقد قيمتها بعد زوال اثر الصدمة الاولى كما ان المفاجآت التالية الخاصة باختيار اتجاهات التقدم تفقد كل آثارها في الاراضي الجبلية والمضائق والاراضي المشجرة التي يضطر العدو الى التقدم فيها على محاور قليلة معروفة . وهنا تنفتح كافة الفرص أمام العصابات لتحقيق المفاجأة عن طريق تسديد الضربات المعاكسة في أماكن غير متوقعة ، وتنفيذ المقاومات والكمائن في نقاط مختارة بعناية وبقوات غير منتظرة . ويرتفع مستوى المفاجأة اذا كانت قوات المقاومة خفيفة الحركة قادرة على الانتقال وتحقيق عمليات التبعثر والتجمع والالتفاف بسرعة فائقة . واذا كان مستوى معنوياتها وتدريبها وقيادتها يسمح لها باستخدام الليل والوديان والمساتر وكل سبل الاختفاء ، وتوجيه الضربات المتنوعة التي لا تخلو من الابتكار والابداع وتركيزها على مقدمات أرتال العدو المهاجمة ومجنباتها ومؤخراتها .

وتختلط الاعمال الايجابية (المقاومة المحسوبة، الهجمات المعاكسة، الطلعات التعرضية، وغير ذلك من العمليات المذكورة آنفا) خلال الدفاع الديناميكي المرن مع الاعمال السلبية (التراجع الارادي ...) . ولا يمكن فصل الايجابي عن السلبي في كل عمل دفاعي ناجح . ومن المستحيل فهم التراجع الارادي الذي قد تضطر المقاومة الى استخدامه تحت تأثير اختلال ميزان القوى اذا لم يرتبط بأذهاننا مع الضربات المعاكسة التي تكبد العدو خسائر مادية ومعنوية تتراكم على المدى البعيد لتعديل ميزان القوى . واذا كان التراجع الارادي عملا من أعمال الحرب فان « الاشتباك هو النشاط الحربي عينه ، وكل ما عدا ذلك اضافات تعمل لمساعدته »(٥). اذ ماذا يفيد وضع الخطط ، واجراء التحركات والمسيرات الطويلة المنهكة ومناورات الالتفاف ، وتنظيم الامداد والتموين اذا لم تؤد هذه الاعمال كلها الى القيام باشتباك ناجح يدمر جزءا من قوى العدو المادية والمعنوية ؟ ان قيام المدافع (عصابات كان أم جيوشا نظامية) بالتراجع الارادي عمل لا ينطبق على مفهوم الحرب ولا ينسجم مع جوهرها الا اذا كان عبارة عن حركة محددة ضمن منظور خدمة الاشتباك وتقديم أفضل الشروط لتنفيذه .

ويجدر بنا هنا أن نميز الانسحاب الارادي الذي قد تقوم به قوات المقاومة خلال دفاعها الديناميكي المرن عند غزو القوات الاسرائيلية للاراضي العربية المجاورة لحدود الارض المحتلة وأن نفرق هذا الانسحاب عن الجذب الاستراتيجي الى داخل البلاد . ويمكننا القول بأن العمل الاول تكتيكي والثاني استراتيجي . وبالرغم من تشابه العملين وتقارب اهدافهما (جذب الخصم الى أرض صالحة للدفاع وانتظار الفرصة الملائمة لضربه ضربة قاصمة بعد انهاكه بالمقاومات المتعاقبة والحواجز) فان حجمهما وامتداد عملهما في الزمان والمكان مختلفان بشكل واضح . وتستطيع المقاومة تطبيق العمل الاول بنجاح في مناطق الاشتباك المحتملة مع العدو ، بيد أن حجم قوات المقاومة الفعلي ، وطبيعة مسارح العمليات المتوقعة في عمق الاراضي العربية ، ووجود قواعد المقاومة في مناطق متشابكة مع مناطق عمل الجيوش العربية النظامية التابعة لدول لها خطط واستراتيجيات اخرى ، عبارة عن عوامل لا تسمح للمقاومة (حاليا) بتنفيذ الجذب الاستراتيجي لوحدها ، ولكنها تسمح لها بالمشاركة في مثل هذا العمل اذا ما تبنى جيش البلد العربي المضيف مثل هذه الخطة .

ويعتبر التراجع الارادي الذي تقوم به قوات المقاومة ناجحا اذا تم بمرونة وسرعة ، وبدأ بضربة وانتهى بضربة . وكان خلال تنفيذه عبارة عن انتقال من موقع قتال الى موقع قتال . وتتسم مواقع القتال هنا بأنها مواقع محددة مسبقا لاجراء **مقاومة نسبية** لا

---

٥ ــ كلاوزفيتز ، **في الحرب** ، الكتاب الرابع ، الفصل الثالث ، ص ٢٩٢ .

تستهدف **كالمقاومة المطلقة** تحقيق انتصار حاسم ــ وهي في الاساس غير قادرة على ذلك ــ ولكنها تستهدف تحقيق ربحين هما : ١) **كسب الوقت** لتعبئة قواها الذاتية عسكريا وسياسيا ، ورفع مستوى التوعية الجماهيرية الى ابعد مدى ، واكتساب الاصدقاء في معسكر المحايدين ، وخلق شرخ داخل معسكر العدو . ٢) تكبيد العدو سلسلة من الخسائر بالارواح والمعدات لاستنزاف قواه المادية والمعنوية وتبديل موازين القوى على المدى البعيد . ويكون القتال على مختلف المواقع جزءا من « الطحن الاستراتيجي » الذي يدمر العدو تدريجيا ، ولا يسمح له بربح شبر واحد من الارض الا بعد أن يدفع ثمنه غاليا ، ويقلب تقدم القوات المعادية من مطاردة عادية الى اختراق طويل شاق .

ويختلف القتال من موقع الى آخر حسب اختلاف مواهب القيادات ، ومستوى الروح المعنوية للمقاتلين ، وطبيعة الارض التي يجري عليها القتال ، وموازين القوى ، والقدرة على الحركة ... الخ . وهو يستخدم نيران الرشاشات والاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات والقنابل والالغام على نطاق واسع ، ويتراوح بين المعركة الدفاعية المحلية ، والكمين ، والهجوم المعاكس ، والاغارة ، والقنص ، والمناوشة .. الخ . على أن يحكم كل هذه العمليات قانون أساسي واحد هو **أن لا يتجاوز القتال في كل موقع حدود ((المقاومة المحسوبة))** أي المقاومة التي لا تستمر سوى الوقت الكافي لتكبيد العدو خسائر كبيرة عن طريق المفاجأة ، والتخلي عن الارض فور زوال عامل المفاجأة ، وقبل أن يبدأ العدو باستخدام قواته ووسائطه القادرة على قلب التراجع الارادي الى هزيمة .

ولا تخلو عملية التراجع الارادي من الصعوبة . ولكنها تبقى أسهل بكثير من التراجع تحت ضغط العدو . ولقد أثبتت تجارب الحروب الثورية أن خسائر العصابات خلال التراجع تحت ضغط العدو اكبر بكثير من خسائرها خلال التراجع الارادي بل وخلال التراجع الارادي والمقاومة المحسوبة أيضا . واخطر ما يؤثر على المقاتلين خلال التراجع الارادي اعتقادهم بالوقوع داخل الطوق وخاصة اذا ما تجاوزتهم قوات العدو الآلية السائرة على الطرقات . والحقيقة ان مثل هذا التطويق لا يؤثر على قوات المقاومة ولا يعرضها لاي خطر فهي قادرة على الحركة خارج الطرق ، والتسلل عبر الوديان والمناطق المشجرة والتخلص من شبكة الطوق الاستراتيجي عبر الفتحات الاجبارية التي يفرضها طول محيط الطوق بالنسبة للقوات القائمة به . ان الطوق الاستراتيجي خطير جدا بالنسبة للقوات النظامية فهو يضرب مؤخراتها الحساسة ويحرمها من التموين الذي تحتاجه بشكل ملح . ولكن خطره على مفارز العصابات الصغيرة محدود جدا اذ ليس لهذه العصابات مؤخرات حساسة ، كما أنها لا تعتمد في امدادها وتموينها على الطرقات والقواعد الخلفية بل على ما تجده في منطقة عملها من مصادر محلية . وتكمن الخطورة الحقيقية بالنسبة لمفارز العصابات الصغيرة في التطويق التكتيكي او العملياتي الذي يعقبه تمشيط دقيق . ولكن تنفيذ مثل هذا العمل صعب نسبيا ويتطلب وقتا طويلا ولا تستطيع القوات الاسرائيلية المعتدية تنفيذه بحرية نظرا لوجود تحديدات العمل التالية : ١ ــ انتشار القوات العربية النظامية قرب الحدود واضطرار القوات الاسرائيلية المطاردة للاشتباك معها وتصعيد العمليات (وخاصة في سوريا) ، ٢ ــ صعوبة الارض وقدرتها على اخفاء قوات المقاومة (وجنوب لبنان افضل في هذا المجال من جنوب سوريا، كما أن قطاع العرقوب في الجبهة اللبنانية أفضل من القطاع الاوسط) ، ٣ ــ تضامن السكان في كلا البلدين مع رجال المقاومة ضد العدو المشترك ، ٤ ــ الوضع الدولي العام ، وحساسية الرأي العام العالمي ضد عمليات تجري على أراضي دول عربية ذات سيادة (وخاصة بالنسبة للبنان) . ومهما كان التطويق المحتمل خطيرا وسواء كان استراتيجيا أم تكتيكيا فان بوسع قوات المقاومة التملص منه مع استخدام المساتر

الطبيعية والليل والحركات السريعة والمسيرات الطويلة شريطـة الا يؤدي ذلك الى تبعثرها وفقدان تماسكها الداخلي بشكل يجعلها عاجزة عن الصمود على المواقع التالية، ويفقد قيادتها القدرة على زجها في عمليات هجومية ناجحة .

والمسألة الاخيرة التي لا بد من دراستها في مجال التراجع الارادي هي مسألة الانطباع المعنوي السيىء الذي يتركه التراجع بين صفوف الاهالي وداخل قوات المقاومة ، وينتشر بسرعة البرق في جميع مستويات المقاتلين والقيادات ، ويهدد بشل الروح القتالية ، ويخلق حالة لا ثقة بين المقاتلين وسكان مسرح العمليات . ويدفع المواطنين الى التساؤل بقلق عن المصير الذي ينتظرهم بعد انسحاب مفارز المقاومة التي كانت تعطيهم احساسا بالطمأنينة والفخار . ومن المؤكد ان الصراع لتبديد هذا الانطباع عمل من أهم واجبات قيادة المقاومة قبل القتال وخلاله . وهو يستند الى القناعة الثورية الراسخة لدى جميع المقاتلين بعدالة الصراع وصعوبته وطول مدته وحتمية الانتصار فيه كما يعتمد اعتمادا كليا على وعي الجماهير بقدرة المقاومة على الانتصار بعد أستنزاف قوى العدو قطرة اثر قطرة حتى يتم قلب موازين القوى وتغـدو الظروف صالحة للبـدء بالهجوم المعاكس الاستراتيجي (الهجوم المعاكس الشامل) .

وتأتي قناعة المقاتلين قبل القتال من رفع مستوى التوعية السياسية ـ الثورية بشكل يمنح المقاتل القدرة على التحليل ورؤية الامور واضحة بكل ابعادها الحقيقية ويساعده على فهم الاحداث وخط تطورها . وتتزايد هذه القناعة خلال القتال اذا لاحظت المفارز ان قادتها يقفون على رأسها ويشحذون هممها ولا يتركون فرصة سانحة الا واستغلوها لضرب العدو باقدام وعنف . اما قناعة الجماهير بفاعلية حركة المقاومة والتفافها حولها وثقتها بها رغم تراجعها الارادي وتركها أجزاء عزيزة من أرض الوطن عزلاء بلا سلاح فلا يمكن ان تتبلور وتترسخ الا اذا رأت الجماهير خلال القتال ان مفارز المقاومة تصمد حيث ينبغي الصمود ، وتقاتل حيث يجب القتال ، ولا تترك شبر أرض أكثر مما ينبغي ، وتنسحب بانتظام وترتد بشجاعة واقدام ، وتقاتل وهـي منسحبة بأسلوب « الاسد الجريح » الذي يتراجع مكشرا عن أنيابه ، ووجهه الى عدوه ، وعيناه تقدحان شررا ، ولا ينتقل خطوة واحدة الى الوراء دون ان يسدد لمطارديه ضربة توقف مطاردتهم ... واذا تعذر عليها استخدام هذا الاسلوب لان طبيعة الارض واختلال ميزان القوى لم يساعداها على ذلك لجأت الى أسلوب « الذئب الجريح » الذي ينسحب الى بطن الجبل حاملا جرحه بكبرياء ، ويختفي حتى يحل الظلام ، ثم يعود لينقض على ظهر خصمه بكل شراسة .

ان الدفاع الديناميكي المرن هو واجب قواعد المقاومة الاساسي أمام كل عدوان . وهو الوسيلة الوحيدة للمشاركة في « طحن » رأس الحربة المتقدمة . وجوهر هذه الوسيلة الصدمة والحركة على أن تكون الصدمة عنيفة متواتـرة وان تكون الحركة منتظمة ومتناوبة الى أمام والى خلف ، مع الافادة الكلية من مميزات الارض والحواجز والليل والمفاجأة . ومهما كبرت قوة العدو المهاجمة ، ومهما بدا ميزان القوى مائلا لصالحها فان استخدام الدفاع الديناميكي المرن من قبل قوات المقاومة سيكون عملا حربيا أريبا يتناوب فيه استخدام « الدرع » والمخاتلة لاتقاء الضربة واستخدام « السيف » لتسديد الضربات القاصمة التي تحطم غطرسة العدو وتكبده خسائر فادحة تجعل اي نصر تكتيكي أولي يحققه بلا معنى .

حق الجنسية في ليبيريا واسرائيل : قضية العبرانيين السود

انيس فوزي قاسم

« ان الافتراض القائل بان اليهود في فلسطين سيرتفعون بالضرورة الى مستوى روحي أعلى وانهم سيقدمون مثالا لالهام اليهود الموجودين في الشتات ، شبيه بالقول ان [وجود] ليبيريا مستقلة سترفع من مكانة الزنوج في كل مكان آخر . »(١)

[موريس كوهن — ١٩٤٦]

انه لمن الغرابة بمكان أن لا ترحب ليبيريا ، وهي رسميا « دولة الزنوج » ، بأشخاص ذوي بشرة سوداء ، وان ترفض اسرائيل ، وهي رسميا « دولة اليهود » ، منح جنسيتها لاشخاص يدينون باليهودية . هذه ، باختصار ، هي المسألة المتعلقة بقضية مجموعة تسمي نفسها « العبرانيين السود » هجرت شيكاغو الى ليبيريا ومن ثم انتقلت الى اسرائيل للتوطن فيها .

سوف يستخدم قانون الجنسية في كل من ليبيريا واسرائيل كأداة مؤشرة الى الوضع المجتمعي لكلا الدولتين . ان اختيار قانون الجنسية للبحث في قضية العبرانيين السود يرجع ، في أحد أسبابه ، الى أن قانون الجنسية من اكثر القوانين المحلية تعبيرا عن الفلسفة السياسية ، والتركيب الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للدولة المعنية . الا انه يجب أن لا ينصرفن الذهن الى الاعتقاد اننا نتناول هنا موضوعا في القانون المقارن ، او مسألة مدى انطباق هذين القانونين مع مبادىء القانون الدولي المتعلقة بالجنسية. اننا، بالتحديد ، نحاول البحث والمقارنة في وضعي مجتمعين عبرا عن نفسيهما في قوانين الجنسية . واخيرا سننتهي باستخلاص الدروس التي قد تفيدنا في تقييم البدائل المقترحة لحل المشاكل التي نتعرض لها .

ان ظهور ما نعرفه اليوم بجمهورية ليبيريا يعود في اساسه الى ظهور شبه طبقة اجتماعية في اميركا تسمى « الاحرار الزنوج »(٢) Free Negroes . لم تكن حركة تحرير العبيد متماثلة في جميع انحاء الولايات الاميركية . ان توسع انتشار وسائل الانتاج في الولايات الشمالية أدى الى تحرير العبيد في وقت مبكر في تلك الولايات . وما أن انتهى القرن الثامن عشر حتى أصبح الرق محرما بموجب القوانين النافذة آنئذ فيها. والعبيد الذين تم تحريرهم نتيجة لذلك اصبحوا يسمون « الاحرار الزنوج » . أما في الولايات الجنوبية ، فقد ظل العبيد اكثر وسائل الانتاج ربحا لا سيما في مجال زراعة القطن . ومن هنا يبدو سبب مقارنة الولايات الجنوبية لحركات تحرير الزنوج المنتشرة آنئذ في الشمال .

كان ظهور « الاحرار الزنوج » تطورا اجتماعيا محيرا . فمن جهة ، لم يكن هؤلاء احرارا بالمعنى الكامل الذي يجعلهم في مصاف البيض. فالزنجي الذي يدعي انه نال حريته، عليه

أن يبرز شهادة تحرره التي أصدرتها المحكمة المختصة في منطقته . كما أنه كان يحق لمثل هذا الزنجي ان يمارس **بعض** الاعمال الحرة وان له الحق في التملك الا انه لا يحق له امتلاك السلاح . ومن جهة اخرى ، لم يكن الزنجي الحر عبدا كالاغلبية المسحوقة من زنوج الجنوب . لقد وصف احدهم وضع الاحرار الزنوج بأنهم يشكلون « عنصرا ثالثا في نظام قائم على [عنصرين] اثنين . » كانت المشكلة تتركز في ماذا يمكن عمله بشأن هؤلاء الاحرار الزنوج ؟ كان السادة البيض في الجنوب يخشون من مجرد وجـود مثل هؤلاء الزنوج كنموذج متقدم يشجع العبيد على التمرد والتحرر ، وفي الوقت نفسه ، لم يكن بالامكان اعادة هؤلاء الاحرار الزنوج الى حظيرة الاستعباد . ولحل هذا التناقض ، اقترح هؤلاء السادة تصريف الاحرار الزنوج الى مكان ما خارج الولايات المتحدة . هذا هو أساس فكرة انشاء « ليبيريا » .

في عام ١٨١٧ عقد اجتماع في واشنطن العاصمة حضره قادة الولايات الجنوبية حيث تم الاتفاق على انشاء الجمعية الاستعمارية الاميركية American Colonization Society لقد حدد دستور الجمعية اهدافها بأنها تنوي اقامة مستعمرة في افريقيا للراغبين مـن الاحرار الملونين والقاطنين في الولايات المتحدة(٣). لقد خصص الكونجرس مبالغ مالية مناسبة لذلك المشروع ، واعلن الرئيس مونرو ، الذي عين موظفين حكوميين للعمل مع الجمعية ، انه لا ينبغي منذ الان لشخص ملون او خلاسي ان يظل في الولايات المتحدة ولا مكان لهؤلاء سوى الشاطىء الافريقي(٤). لاقت الجمعية كذلك تأييدا حارا في أوسـاط مالكي العبيد الجنوبيين حيث ادركوا ان « تصريف الاحرار الزنوج » الى الخارج سوف يمنح « مؤسسة الرق امانا أكثر »(٥).

باشرت الجمعية نشاطها على الشاطىء الغربي لافريقيـا . ومنـذ البداية ، جوبهت بمعارضة قوية من السكان الاصليين ، الذين أفشلوا محاولتين للجمعية في الحصـول على موطىء قدم . وفي المرة الثالثة ، نجحت الجمعية بمساعدة احدى قطع البحريـة الاميركية من احتلال رأس مسرادو Cape Mesurado ، واجبرت السكان الاصليين على توقيع صك تنازل عن تلك الارض(٦). تشكلت من هذه الارض ، ومن الاراضي التـي احتلت فيما بعد ، الاقليم الحالي لجمهورية ليبيريا — أرض الحرية — وأصبحت عاصمتها منروفيا ، التي سميت تيمنا بالرئيس الاميركي مونرو .

لقد قام القادة الزنوج في الولايات المتحدة بحملة معارضة شديدة ضد نشاط الجمعية . وصف مارتن ديلي ، أحد زعمائهم ، اعمال الجمعية بأنها في الواقع ، « ضد المسيحية » و « عدوة الناس » رغم التظاهر بعواطفها ، وحمل على قادة الجمعية ووصفهم بأنهم « هراطقة شريرون » يقودون مؤسسة هي « احدى ألد اعداء الزنوج »، وندد بأغراض الجمعية التي تهدف الى « تصفية الزنوج من البلاد وطردهم الى ليبيريا » . ووصـف ديلي ليبيريا بأنها « **سخرية بائسة فقيرة** » وبأنها في الواقع « قناع ساخر على وجـه الحكومة »(٧). قامت معارضة الزنوج على أساس من الاعتقاد الجازم بأن اميركـا ، وليس أي مكان آخر هو وطنهم الام . وقال زعيم زنجي آخر ، روبرت بيرفس ، ان « القليل سـوف يذهبون ، أما جماهير الناس الملونين فلـن يتركوا الارض الـتي عليها ولدوا »(٨). وحين اعلن الرئيس ابراهام لنكولن تأييده للجمعية ، قام وفد مـن زعماء الزنوج بحملة معارضة وارسلوا اليه نداء ، في وقت اندلاع الحـرب الاهليـة الاميركية ، جاء فيه : « هل سنضحي بهذا ، نترك بيوتنا ، ونفرط في مسقط رأسنا ، ونهرب الى أرض غريبة لكي نهدىء غضب الخائنين وتحاملهم الذين يمتشقون السلاح الان ضد الحكومة ؟ »(٩).

ومع اشتداد حملة المعارضين ، وتناقص عـدد المهاجرين الزنـوج ونقص الموارد ، اوقفت الجمعية نشاطها . لقد نجحت في تهجير ما يقرب من الخمسة عشر الفا مـن

الأشخاص الملونين . في ٢٦ يوليو ١٨٤٧ أعلن هؤلاء المستوطنون ، بناء على نصح الجمعية وارشادها ، أنفسهم ، دولة مستقلة في ليبيريا . حازت الدولة الجديدة على اعتراف بعض الدول في حينه ، أما الولايات المتحدة ، فلم تعترف بها رسميا الا في عام ١٨٦٢ ، اذ لم يكن من المقبول حتى ذلك الحين استقبال ديبلوماسي زنجي في العاصمة الاميركية .

اذا كانت فكرة انشاء ليبيريا تعود في أساسها الى التمييز العنصري ضد الزنوج في اميركا ، فان فكرة انشاء دولة يهودية تجد جذورا لها في الموقف العنصري المعروف باللاسامية في اوروبا . من المؤكد ان اللاسامية هي تعبير عن الازمة الطبقية التي شهدتها اوروبا في فترة متأخرة من القرن التاسع عشر بين البرجوازية المسيحية والبرجوازية اليهودية حيث برزت الاخيرة كقوة منافسة نتيجة تطورات اجتماعية وتاريخية معينة . ان المماثلة بين المشروع الليبيري والصهيوني لا ينفي ولا يقلل من اهمية الفوارق الاساسية بينهما . فقد استطاعت البرجوازية اليهودية ، ممثلة في القيادة الصهيونية ، ان تجعل مصالحها موازية دائما لمصالح الدولة الاستعمارية المناسبة(١٠)، كما استطاعت ، بعكس قيادة الزنوج ، الاستفادة الى اقصى الحدود من شعور اللاسامية للاسراع في تهجير اليهود من اوروبا الى فلسطين .

كان تيودور هرتزل ، مؤسس الحركة الصهيونية ، يعتقد اعتقادا جازما بأن العداء للسامية هو مرض مزمن في العالم المسيحي ، وان المشكلة اليهودية هي أزمة مستعصية . يقول هرتزل : اذا وجدت حكومة « تقف مع اليهود ، فانها ستجابه غضب الجماهير ، واذا وقفت ضد اليهود ، فانها ستخلق ازمة اقتصادية » اما اذا بقيت على الحياد ، فسوف يلجأ اليهود الى « احضان الثوريين » . وهنا يصل الى النتيجة القائلة بأن حل المسألة اليهودية لن يتأتى الا بخلق دولة لليهود خارج العالم الاوروبي ، وسوف تخلق هذه الدولة وضعا طبيعيا لليهود وللاقطار الاوروبية . وجاءت صرخته تعبيرا دقيقا لفلسفته ، اذ يقول : « الصهيونية هي ببساطة صانعة السلام »(١١).

خلافا لكل سابقة ، فقد استغل هرتزل شعور العداء لليهود لتحقيق مشروعه . وفي ذلك يقول : « لا حاجة لضغط كبير لتنشيط الهجرة . ان اعداء السامية قد بادروا بتحقيق هذا لاجلنا »(١٢). ليس من المستغرب ، اذن ، ان يقوم هرتزل بأول اتصالاته الديبلوماسية مع أكثر الشخصيات الرسمية عداء لليهود . فقد وقع اتفاقية مع وزير داخلية روسيا القيصرية الذي أيد الصهيونية « طالما هي حركة تهجيرية »(١٣).

أدرك القادة الصهيونيون الذين خلفوا هرتزل فائدة العداء للسامية لبرنامجهم . لقد سجل ليونارد شتاين ، السكرتير السياسي للمنظمة الصهيونية لفترة طويلة ، ان شخصيات مثل لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا ، واللورد آرثر بلفور ، كان لهما ومعروف عنها اتخاذ مواقف معادية لليهود ، وهذا أحد الاسباب الذي شجعها على اصدار وعد بلفور(١٤). واشار آرثر هرتزبرج ، المنظر الصهيوني المرموق، الى ان العداء للسامية هو « المحرك الذي يقود قطار (اليهود) الى صهيون .. »(١٥). اما اكثر المناسبات فائدة للحركة الصهيونية وتطورها الاستيطاني فقد كانت فترة استلام النازي للحكم في المانيا فقد سارع المسؤولون في الحركة الصهيونية ، سواء في فلسطين أم في المانيا ، الى عقد اتفاقيتين مع السلطات النازية ، احداهما مع ادلف أيخمان نفسه ، يتمكن بموجبها مبعوثو الحركة الصهيونية من انتقاء العناصر اليهودية الشابة القادرة على انشاء دولة يهودية في فلسطين . في الفترة الواقعة ما بين ١٩٣٣ — ١٩٣٩ ، تضاعف عدد المستوطنين اليهود في فلسطين بفضل هذا التعاون الصهيوني النازي(١٦). وما زالت سياسة الاستفادة من العداء للسامية سارية المفعول لدى الاوساط الحاكمة في اسرائيل والمنظمة الصهيونية . كتب اوري هراري مؤخرا بأن الصهيونيين لا

يتحدثون علنا عن أهمية احياء الشعور اللاسامي للبرنامج الاسرائيلي ــ الصهيوني « الا ان الكثيرين منا شعروا بقليل من الفرح حين قرأنا ... عن [شعار] الصليب المعقوف المنتشر في اوروبا في ١٩٦٠ ، او عن الحركة الموالية للنازية في الارجنتين . وكذلك اليوم ، فانه يخالجنا شعور غامض حين نقرأ عن العداء المتزايد لليهودية بين الزعماء الزنوج في اميركا »(١٧).

ان المعارضة اليهودية للحركة الصهيونية لم تكن غير ذات بال . فقد نشط ادوين منتاغيو ، الوزير اليهودي الوحيد في حكومة الحرب البريطانية ، في مقاومة الوفد الصهيوني الذي كان يفاوض لاستصدار وعد بلفور . حذر منتاغيو حكومته من مساعدة الصهيونيين في تحويل فلسطين الى « جيتو عالمي »(١٨). كما عرض الاستاذ جاسترو ، المحامي واستاذ التاريخ الاميركي ، فكرة انشاء دولة لليهود وقال ان مصلحة اليهود « ليست محصورة في خلق جيتو مجيد » يكون عبارة عن « دولة ضئيلة » تحتلها « أقلية ضئيلة من اليهود »(١٩). اما الدكتور حاييم وايزمن والوفد الذي رافقه ، فقد اصيبوا « بالحرج »(٢٠) حين القى الاستاذ ليفي ، اليهودي الفرنسي المعادي للصهيونية ، بيانا امام مؤتمر السلام المنعقد في باريس ، ندد فيه بأهداف الحركة الصهيونية . ولا تزال المعارضة اليهودية للصهيونية ، مهما اختلفت دوافعها الفكرية والدينية ، قائمة حتى الان داخل اسرائيل وخارجها(٢١).

حين بدأت المنظمة الصهيونية ممارسة نشاطها في فلسطين جوبهت بمعارضة عنيدة من قبل السكان الاصليين . لقد اعتبر الفلسطينيون ، منذ البداية ، ان تحقيق البرنامج الصهيوني يعني بالضرورة سلب الارض ، والقضاء على مستقبل استقلالهم السياسي . وقد توجهوا الى الهيئات الدولية وحكومة الانتداب محذرين من مغبة الاضرار بحقوقهم. كما مارسوا نشاطا مسلحا واسعا ضد المستوطنين وقوات الاحتلال البريطاني . أن زواج المصالح الاستعمارية آنئذ بالاضافة الى اسباب ذاتية ، قد شكل عقبة كأداء في وجه نجاح الكفاح الفلسطيني . استغل المستوطنون الصهيونيون هذه الظروف المواتية وسارعوا الى اعلان انفسهم دولة مستقلة في منتصف شهر ايار لعام ١٩٤٨ ، وسموها « دولة اسرائيل » .

ان حق الجنسية في ليبيريا تحدده السياسة العامة للدولة . ينص دستور ليبيريا الصادر في عام ١٨٤٧ على ان ليبيريا هي « وطن لابناء افريقيا المشتتين والمضطهدين ... » وانه « لا أحد سوى الاشخاص الملونين سوف يقبلون في جنسية هذه الجمهورية » . وانسجاما مع هذه النصوص الدستورية ، جاء قانون الجنسية لينص في مادته (٦٦) على ان الجنسية الليبيرية تمنح «لجميع الاشخاص المتحدرين من اصل زنجي ومولودين في ليبيريا ، سواء أكانوا مولودين لابوين ليبيريين ام اجنبيين . وتنص المادة (٦٩) على ان حق التجنس مقصور فقط على « الزنوج والاشخاص المتحدرين من اصل زنجي » . وتلافيا لاي التباس ، فقد اكدت هذه المادة على أن « تجنس اي شخص غير زنجي او ليس متحدرا من اصل زنجي .. هو باطل وغير مشروع ... »(٢٢).

ان المشكلة التي نشأت من خلال تطبيق القانون هي « من هو الزنجي ؟ » . لا يوجد لهذه المشكلة اي تعريف او اشارة الى تعريف لا في القانون ولا في تاريخه التشريعي . قد يفترض البعض أن تعابير مثل « أبناء افريقيا » أو « مواطنين افريقيين » ، كما وردت في الدستور ، تشمل كل افريقي . الا ان السلطات الادارية الليبيرية رفضت ان تمنح الجنسية الليبيرية الى الاشخاص القادمين من شمال افريقيا ومنهم بعض اليهود المراكشيين(٢٣). وفي عام ١٩٠٧ صدر تعديل للدستور ، حذفت بموجبه التعابير المشار اليها اعلاه واستعمل بدلا منها كلمة « زنجي » او « متحدر من أصل زنجي » . وهي

التعابير التي استخدمها قانون الجنسية . وهكذا فان المعيار الجغرافي لا يمكن اعتماده بموجب الدستور المعدل .

اما المعيار الجديد فيمكن استخلاصه من الاقوال الرسمية . يقول المدعي العام [وزير العدل] الليبيري ان تعديل الدستور جاء خصيصا « لتسهيل الحصول على شهادات الجنسية من قبل الاشخاص الذين هم من **عرقنا في** جميع انحاء العالم »(٢٤). وورد في حكم صادر عن المحكمة العليا في ليبيريا أنه « يحق فقط لاشخاص متحدرين من اصل زنجي ان يصبحوا مواطنين » في ليبيريا(٢٥). ان المقياس المعتمد في منح الجنسية يقوم اذن على اساس عرقي ــ لوني(٢٦) وليس هناك أي بديل لهذا المعيار .

ان حق الجنسية الاسرائيلية امر تقرره كذلك اهداف السياسة العامة للدولة . ان اسرائيل تعلن ، ومعها وقبلها تعلن الحركة الصهيونية ، انها هي المسؤولة عن حماية ما يسمى بـ « الشعب اليهودي » وتمثيله . ويؤكد « اعلان تأسيس دولة اسرائيل » ان الدولة ستكون « مفتوحة للهجرة اليهودية ولتجميع المنفيين [اليهود] ... »(٢٧). ويقول بن جوريون ان سبب وجود اسرائيل هو أنها تهدف الى انهاء حالة النفي التي يحياها « الشعب اليهودي » ، وان مهمة الدولة هي تجميع يهود الشتات في « ارض اسرائيل »(٢٨). وتنفيذا لهذه السياسة ، فقد سارعت اسرائيل لاصدار قانون العودة (١٩٥٠) الذي ينص على انه « يحق لكل يهودي ان يهاجر الى اسرائيل »(٢٩). وفي عام ١٩٥٢ اصدرت اسرائيل قانون الجنسية الذي نص في مادته الثانية (أ) ان « كل مهاجر بمقتضى قانون العودة ... يكون اسرائيلي الجنسية »(٣٠). شرح محامي اسرائيلي العلاقة الحميمة بين هذين التشريعين بقوله انه بينما « يعطي قانون العودة اليهودي حقا اتوماتيكيا بالهجرة الى اسرائيل » فان قانون الجنسية « يمنح الجنسية فورا لمثل هذا الشخص »(٣١).

ان قانون العودة سواء كان قانون هجرة ام قانون جنسية ، هو قانون تجميع «المنفيين» من « الشعب اليهودي »(٣٢). ان أي يهودي ــ عدا استثناءات ثلاثة ــ له « حق موروث » في العودة الى اسرائيل ، بسبب كونه يهوديا . هكذا قال بن جوريون حين قدم القانون الى الكنيست . ان مثل هذا اليهودي لا يحتاج الى ان يتقدم بطلب للجنسية ، حيث انها تمنح له فورا وبشكل اتوماتيكي . أما اليهودي الذي يأتي لاسرائيل بقصد الزيارة ، مثلا ، فيجب عليه ان « يعلن » في مكان الوصول رفضه للجنسية الاسرائيلية امام موظف اسرائيلي رسمي ، اذا لم يرد اكتساب هذه الجنسية . كما ان اليهودي « العائد » لا يحتاج ان يدلي بيمين الولاء للدولة ، او ان يقيم في اسرائيل لفترة معينة، او ان يتخلى عن جنسيته السابقة .

ان المشكلة التي نشأت من خلال تطبيق القانون في اسرائيل ، كما هي الحال في ليبيريا ، هي « من هو اليهودي ؟ » . تثير هذه القضية عادة نقاشا حادا في داخل اسرائيل وخارجها ، مما حمل البعض على الاعتقاد ان الامر لا بد وانه عسير الفهم او انه حيلة صهيونية خبيثة ، او « بهلوانية قانونية »(٣٣). قد يكون السبب في عدم القدرة على الامساك بجوهر القضية عائدا الى عدم استيعاب كاف لمفهوم « الشعب اليهودي » كما يرد في الادبيات الصهيونية . ان المنظرين الصهيونيين ، ساسة ورجال قانون ، يستخدمون هذا التعبير بالمفهوم السياسي . فهم يؤكدون على ان اليهود « شعب » مثل بقية الشعوب والقوميات الاخرى . ومتى اسسوا دعواهم على هذا النحو ، وصلوا الى النتيجة المترتبة على هذا المفهوم وهي « حق الشعب اليهودي في تقرير المصير » .

يتفق الموقف الاسرائيلي ــ الصهيوني مع الشريعة اليهودية في تعريف اليهودي بأنه المولود لام يهودية او المعتنق للديانة اليهودية . الا ان الخلاف بينهما يبدو ساطعا حين

توضع المسألة في قالب النفي : « من هو غير اليهودي ؟ » اليهودية تقول ان اليهودي الذي يرتد عن دينه يظل يهوديا ، بينما الصهيونية تقول ان المرتد يقطع صلته بـ « الشعب اليهودي » . وبمعنى آخر ، فقد اعتمدت الصهيونية على المعيار الديني لتحديد هوية « اليهودي » ، وانفصلت عن الدين اليهودي لكي تسيس « الشعب اليهودي » . فمن هو اليهودي ، اذن ، في الفقه الاسرائيلي ــ الصهيوني ؟

هذا هو السؤال الذي طرح على المحكمة العليا في اسرائيل في الدعوى المشهورة بقضية **دانيال**(٣٤). المدعي يهودي ، حيث ان امه يهودية ، الا انه اعتنق الكاثوليكية طوعا ، وطلب ان يمنح الجنسية الاسرائيلية بصفته يهودي القومية ، على الرغم من ان ديانته لبست اليهودية . رفضت المحكمة طلبه . وعلل القاضي بيرنسون الحكم بقوله : « ان اليهودي الذي يعتنق ديانة اخرى يكون قد استثنى نفسه ليس من الدين اليهودي فقط ولكن من الشعب اليهودي ايضا ، وبالتالي فليس له اي مكان في اسرائيل » . اما القاضي لانداو ، فقد أكد أنه في البحث عن تعريف لليهودي يجب « ان نفحص فلسفة مؤسسي الصهيونية » . وبعد ان فعل ذلك وصل الى النتيجة القائلة بأن المدعي بارتداده « قد تنصل من المصير المشترك للامة اليهودية » وان وزارة الداخلية كانت محقة في « رسم الخط الفاصل بين اليهودي وغير اليهودي لمتطلبات قانون العودة في نقطة الارتداد عن الديانة [اليهودية] » . واهتداء بهذا الحكم ، صدر التعديل الثاني لقانون العودة ويقضي بتعريف اليهودي بأنه من ولد لام يهودية او تحول الى اليهودية « ولكنه ليس من ديانة اخرى »(٣٥).

ان تركيز المحكمة على ربط « اليهودي » بـ « الشعب اليهودي » هو جوهر التعريف . « اليهودي » في المفهوم الصهيوني ، هو أحد افراد [National] « **الشعب اليهودي** » ، وهوية هذا العضو موضوع يحدده ليس دينه وانما عدم انتمائه الى ديانة اخرى . ان النتيجة المهمة التي يمكن استخلاصها ، على المستوى النظري والتطبيقي ، هي ان سياسة التمييز العنصري تكمن في هذا التنظير السياسي ــ القانوني لمفهوم « الشعب اليهودي » . ان هذا « الشعب » ، في نظر الصهيونية ، هو قومية عرقية تختلف عن بقية القوميات .

ان حق الجنسية في ليبيريا يقوم على أساس من التمييز العرقي ــ اللوني . في « دولة الزنوج » لا يمكن لغير الزنجي او لغير المتحدر من اصل زنجي ان يكون متساويا مع الزنوج . وفي اسرائيل ، فان حق الجنسية القائمة على مبدأ العودة يعتمد معيارا عرقيا ــ دينيا . وفي « دولة اليهود » لا يمكن مساواة غير اليهود بأفراد « الشعب اليهودي » . ان هذه السياسة التمييزية قد قننت في شكل تشريعات صادرة عن سلطات تشريعية محلية . وبكلمة اخرى فقد اصبح التمييز العنصري في ليبيريا واسرائيل مؤسسة « قانونية » [de jure] (٣٦). الا ان هذا الوضع يعبر عن نصف الحقيقة . ان ممارسة التمييز العنصري في كل من ليبيريا واسرائيل تجاوزت « التمييز القانوني » الى « التمييز الواقعي » [de facto] .

يمارس الليبيريون المتحدرون من الزنوج الاميركيين اضطهادا قاسيا ضد الزنوج الاصليين ، حين اصدر المستوطنون دستورهم الاول لم يعترفوا بالسكان الاصليين ولم يمنحوهم حق المواطنية الا في ١٩٠٤ وذلك فقط لقصد الاثبات للدول الاوروبية المستعمرة ان الاراضي الليبيرية يحتلها مواطنون ليبيريون وبذلك يحفظونها من توسع تلك الدول على حساب ليبيريا . ينقسم المجتمع الليبيري الى « قشرة رقيقة من اليانكيين السود » واغلبية مسحوقة من « الاخوة المخدوعين »(٣٧). ان سلطة اصدار القرار في ليبيريا يحتكرها الليبيريون الاميركيون الذين شكلوا طبقة ممتازة تعتلي قمة السلم السياسي

والاجتماعي . اما العلاقة القائمة بينهم وبين السكان الاصليين ، فقد وصفها رئيس جمهورية ليبيريا السابق بأنها « علاقة استعمارية »(٣٨) . كل طبقة لها منظومة خاصة من القيم والحقوق والواجبات . وعلى سبيل المثال ، تؤمن طبقة المستوطنين بالمسيحية بينما تدين غالبية السكان الاصليين بالاسلام . وتلعب الكنيسة الليبيرية دورا سياسيا بارزا ، وحتى « يتسنى لشخصية سياسية مغمورة ان تتسلق الحياة السياسية ، عليها ان تبدأ اولا بتأسيس قاعدة لها في احدى الكنائس الصغيرة في مونروفيا »(٣٩) . وشغل الرئيس الحالي للجمهورية منصب القيادة في التحالف العالمي للكنيسة المعمدانية : The Baptist World Alliance . مارس المستوطنون ضغطا دينيا ضد السكان الاصليين الذين قاوموا كل محاولات التنصير وقد وصلت الامور في بعض الاحيان الى انفجارات مسلحة . ومن خلال هذا الموقف الديني الحكومي المتعصب ، يمكن تفهم ادعاءات العبرانيين السود بأنه كان من الصعب عليهم الاستيطان في دولة لا تؤمن بالتسامح الديني ، لا سيما وانهم يدينون بديانة مختلفة عن الدين الحكومي .

يعاني المجتمع الاسرائيلي كذلك تمييزا واقعيا مثلث الدرجات . يحتل المستوطنون الاوروبيون قمة الهرم . فهم يسيطرون أو يؤثرون بشكل قوي على الادارة والتشريع والتعليم والاسكان والخدمات العامة ولهم حصة الاسد في الثروة ولهم أعلى الدخول . ويحتل اليهود الشرقيون المركز الادنى(٤٠) . اما قاع المجتمع فهو مقصور على العرب . اذا كان صانع القرار في أي حقل في المجتمع اوروبيا أو من أصل أوروبي فلا بد وان ينبع القرار من الوضع الذهني (الذي هو طبقي ايضا) المسيطر على مستوطن أوروبي تشرب الثقافة الاستعلائية للمستعمر الاوروبي . انه بالضرورة سوف يمنح أوروبيا مهاجرا مثله الافضلية ، سواء في قبوله في الجسم السكاني ، ام في تعليمه ، ام في توظيفه . اذا كان اليهودي الشرقي قد انحدر الى مستوى متدن في دولة « يهودية » ، فلا بد وان الزنجي ، مهما كان يهوديا ، سيحصل على امتيازات أقل . وهكذا لم يمنح العبرانيون السود الحق الاتوماتيكي في الجنسية الاسرائيلية ، كما هو مقرر لكل يهودي في العالم حسب قانون العودة ــ لقد منحتهم السلطات الاسرائيلية سمة دخول سياحية، ثم هي الان تعمل على اخراجهم من البلاد ، بل اخرجت قسما منهم .

لم يقدم المسؤولون الاسرائيليون جوابا واحدا بصدد هذه المشكلة . بينما انهمكت دوائر الحاخامين الصهيونية تبحث فيما اذا كان يمكن للزنجي ان يكون يهوديا ، قال مسؤول اسرائيلي ان « هؤلاء الناس ليسوا يهودا وبالتالي ليسوا مؤهلين لحقوق المهاجر [اليهودي] »(٤١) . وقال آخرون ، وهم الذين يتجلببون دوما بذريعة « أمن الدولة » ، ان قدوم العبرانيين السود هي عملية قد « دبرتها ومولتها عناصر معادية للدولة »(٤٢) . اما الدوائر شبه الرسمية فقد كانت أكثر صراحة ، حيث أكدت « اننا نحن [الاسرائيليين] لا يمكننا ان نمنح ملجأ لجماعة ترغب في محاربة .. العالم الابيض . نحن عامة نتعاطف [معه] »(٤٣) . يفسر هذا القول ادعاء اليهود الشرقيين حين يصفون اسرائيل بـ « دولة بوليسية »(٤٤) كما يفسر بشكل أدق قول العبرانيين السود بأن النخبة التي تحكم اسرائيل هي « انتلجنسيا عنصرية » أو « عنصرية ذهنية »(٤٥) .

اذا كان القصد من تأسيس ليبيريا واسرائيل هو أن يسوى من الوضع الشاذ للزنوج واليهود ، فان خلق هاتين الدولتين قد ادى الى استحداث اوضاع اكثر شذوذا . تتمثل هذه الاوضاع الشاذة في سلسلة من الوقائع المتوالدة : انحدر السكان الاصليون في ليبيريا الى اسفل درجات السلم الاجتماعي ، اما السكان الاصليون في فلسطين فقد اقتلعوا وطردوا خارج الحدود وما تبقى منهم فقد هبط الى قعر المجتمع، اما المستوطنون فقد هاجروا أو هجّروا تحاشيا للاضطهاد فأصبحوا مضطهدين (بكسر الهاء) . واخيرا، لم يجىء السلام والاستقرار الى المجتمعات التي هجرها الزنوج واليهود . فالزنوج في

اميركا ما زالوا يخوضون نضالا مريرا في سبيل مساواة فعلية ، ويعاني اليهود الان من الاتهام بأن ولاءهم اصبح مزدوجا .

ان صانعي القرارات السياسية الذين ساهموا في تصميم وخلق « وطن قومي للزنوج » و« وطن قومي لليهود » لم يدركوا ، او لم يريدوا أن يدركوا ، اثر قراراتهم على مجمل تطور وتنسيق وتوزيع القيم الانسانية والمجتمعية بين المستوطنين انفسهم وبينهم وبين السكان الاصليين . ان قراراتهم كانت تستهدف اولا وآخرا خدمة طبقاتهم الممتازة : خدمة مالكي العبيد في الجنوب ، والبرجوازية المسيحية في اوروبا . ان تأسيس مجتمع احادي القيمة ، سواء كانت دينية ام عرقية ، هي تجربة فاشلة ، بل ضارة .

ان تجربة ليبيريا واسرائيل يجب أن تكون حاضرة في ذهن أولئك الذين ، بدافع من خدمة مصالحهم وامتيازاتهم ، ينادون بتأسيس « دولة فلسطينية » في الضفة الغربية او في منطقة الخليج العربي . انهم يعتقدون ان مثل هذه الدولة سوف تسوي من وضع الفلسطينيين كلاجئين ، كما انها ستجلب السلام والاستقرار الى الدول العربية واسرائيل . يمثل هذا الاقتراح تحريفا بشعا لجوهر المشكلة . ان المهمة الاساسية المطروحة ، سياسيا واجتماعيا وقانونيا ، هي تحرير فلسطين ، وليس خلق « جيتو فلسطيني » . لقد اتضح الان ان « دولة الجيتو » ترث في احشائها بذور التمييز العنصري حيث يجد مبدأ اورويل تطبيقا صادقا له : الجميع متساوون الا ان البعض يكون أكثر مساواة من البعض الاخر(٤٦).

---

١ — The Faith of a Liberal, 330-31 (1946).

٢ — Franklin, From Slavery to Freedom, 214-41 (3rd ed., 1969); Quarles, The Negro in the Making of America, 33-61; 83-108.

٣ — I. Huberich, The Political and Legislative History of Liberia, 29 (1947).

٤ — See "Official Documents" relating to Liberia and the United States in 4 Am. J. Int, 1. L. Supp., 188 at 191 (1910).

٥ — Franklin, 240.

٦ — ان استمرار معارضة السكان الاصليين للمستوطنين قد سجلها بشكل جيد Staudenraus, The African Colonization Movement 1816-1865 (1961), 156, 171, 240.

٧ — (التاكيد في الاصل) Franklin, 240.

٨ — Quarles, 96.

٩ — Id., 114.

١٠ — كان البعض يعتقد ان انشاء ليبيريا كان امتدادا لامبراطورية اميركية ، الا ان الولايات المتحدة كانت مترددة في ذلك الوقت ، سيما تحت تاثير مبدأ مونرو ، من وصف ليبيريا مستعمرة اميركية . انظر ، Staudenraus, Ch. XIII on "Vision of Empire".

١١ — من خطاب هرتزل امام المؤتمر الصهيوني الاول . انظر Hertzberg (ed.) The Zionist Idea (1969) at 229.

١٢ — The Complete Diaries of Theodor Herzl, (Patai ed. 1960), vol. 1,152.

١٣ — Bein, Theodor Herzl - A Biography, 449 (1941).

١٤ — Stein, The Balfour Declaration (1961) at 143, 154, 163-5.

١٥ — Hertzberg, 51 and see 49.

١٦ — للتعاون النازي الصهيوني انظر المراجع التالية :

Ben Hecht, Perfidy (1961); Arendt, Eichmann in Jerusalem (1964); J. & D. Kimche, The Secret Roads : The "Illegal" Migration of a People, 1938-48 (1954); Hilberg, The Destruction of European Jews (1961).

١٧ — Yediot Aharonot, Feb. 9, 1969, quoted from Matzpen's Arie Bober Letter to *Commentary*, Oct, 1970, at p. 5.

١٨ — Montagu's memorandum entitled "The Anti-Semitism of the Present Government", PRO, Cab. No. 24/24 (Aug. 23, 1917).

١٩ — Jastrow, Zionism and the Future of Palestine, (1919), 133, 149, 151 - 9.

٢٠ — وايزمن ، التجربة والخطا ، ٢٤٤ (١٩٦٦)

٢١ — Taylor, Zionism and Jewish History, Journal of Palestine Studies, No. 2,35 at 40-45.

٢٢ — لم يتمتع الزنوج في امريكا بحق الجنسية الاميركية الا بعد اصدار التعديل الرابع عشر للدستور الاميركي عام ١٨٦٨ . اما قبل هذا التاريخ فقد قالت المحكمة العليا ان الزنوج ، سواء كانوا عبيدا ام احرارا ، ليسوا مواطنين اميركيين ، ولم يكن قصد الدستور الاميركي ان يشملهم حين استخدم كلمة « مواطنين Citizens » . انظر :
Scott v. *Sanford* 19 How. 393 (1856)
وكان لهذا الموقف القانوني الاميركي التأثير الكبير على اصدار التشريعات الليبيرية المتعلقة بالجنسية . انظر نص قانون الجنسية الليبيري الحالي في
Laws Concerning Nationality, UN Leg. Ser. 288, (1954).

٢٣ — 2 Huberich, 1018.

٢٤ — Reports and Opinions of the Attorney General of the Republic of Liberia, Vol. I, 63 (1947).
(التأكيد مضاف) .

٢٥ — *Koffa* v. *Republic of Liberia,* 13 Lib. L. Rep. 232 (1958).

٢٦ — 2 Huberich, 1018, 1020.

٢٧ — I LSI, 3 (1948).

٢٨ — حقائق وأرقام ، دولة اسرائيل ، ص ١٠ (١٩٥٥) .

٢٩ — النص الرسمي بالعربية في الوقائع الاسرائيلية — كتاب القوانين ، العدد ٥١ ، ٦ تموز ١٩٥٠ ، ص ١٩٦ .

٣٠ — النص الرسمي بالعربية في الوقائع الاسرائيلية — كتاب القوانين ، العدد ٩٥ ، ٨ نيسان ١٩٥٢ ، ص ١٩١ .

٣١ — Savir, The Definition of a Jew under Israel's Law of Return, 17 Sw. L. J. 123, 126 (1963).

٣٢ — ان التحليل المتعلق بقانوني العودة والجنسية هنا يعتمد على دراسة المؤلف **« قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان : دراسة في القانونين المحلي والدولي »** الصادرة من مركز الابحاث في سلسلة دراسات فلسطينية رقم (٨٩) ، شباط سنة ١٩٧٢ . وسوف يشار اليها فيما يلي بـ **« دراسة قانون العودة »** .

٣٣ — انظر مراجعة الدكتور محمد المجذوب لكتاب Catane, Qui est juif ?
في « شؤون فلسطينية » العدد (١٤) ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ . ان هذا الوصف لا ينسجم مع النتيجة الصحيحة التي وصل اليها الدكتور المجذوب في ذيل صفحة ١٤٩ .

٣٤ — **« دراسة قانون العودة »**، ص ٤٩ — ٥٢ .

٣٥ — المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

٣٦ — إن تقييم القانون الاسرائيلي من وجهة النظر القانونية الدولية ، وهذا ينطبق ايضا على قانون الجنسية الليبيرية الى حد بعيد ، قد عولج في المصدر نفسه ، ٦٦ — ٨١ ، ٨٧ — ١٠٤ .

٣٧ — ان هذه الاوصاف قد وردت بالتتالي في مجلة نيوزويك ، ١٩٧١/٨/٢ ، ص ٣٣ ، وفي التايمز اللندنية ، ١٩٧٠/٣/١٩ ، ص ٢ وذلك في « تقرير خاص » عن ليبيريا .

٣٨ — Liebenow, Liberia, The Evolution of Privilege (1969).

٣٩ — المصدر نفسه ، ص ٩٦ وما يليها .

٤٠ — انظر المقال الذي كتبه Alfred Friendly الصديق الحميم للصهيونية في الواشنطن بوست ١٩٧١/٨/٢٩ تحت عنوان
"Israel Faces Its Cultural Gap", B-1, cols. 4-6, B-2, cols. 1-6.

٤١ — نيوزويك ، ١٩٧١/١٠/١٨ ، ص ٦١ .

٤٢ — الجروزاليم بوست (الاسبوعية) ١٩٧١/١٠/١٣ ، ص ٤ ، عمود ٤ — ٥ .

٤٣ — الجروزاليم بوست (الاسبوعية) ، ١٩٧١/١٢/٢٨ ، ص ١٦ ، عمود ١ — ٢ ، وقال الحاخام الصهيوني مئير كهانا بأن على اسرائيل « ان تطرد الزنوج وان لا تسمح لآخرين بالدخول » لانهم « عنصريون ، لاساميون وجاءوا ليقبروا اسرائيل » . Evening Star (Washington, D.C.) Oct. 14, 1971.

٤٤ — نيوزويك ، ١٩٧١/٥/٣١ ، ص ٣٣ .

٤٥ — نيوزويك ، ١٩٧١/١٠/١٨ ، ص ٦١ .

٤٦ — Orwell, Animal Farm, 148 (1946).

موشي دايان : دراسة تقييمية

الدكتور طالب يونس

تقييم نفسي : عندما تبذل محاولة ما لاثبات ان احدى الشخصيات الرسمية هي غير متزنة عاطفيا أو نفسيا ، تكون المهمة صعبة ، ان لم نقل شاقة . فالصعوبة الرئيسية تكمن بوضوح في امكانية ولوج الافكار والمثل الباطنية المتعلقة بهذه الشخصية . هذا بالاضافة الى صعوبة طريقة الفهم القابلة للنقاش والجدل التي تتضمنها محاولة اثبات الاتزان العاطفي او عدمه لدى هذه الشخصية الرسمية ، زد على ذلك الصعوبة المترتبة على كون محاولة التقييم قد جرت من بعد سطحي واسع ، وهو ما يدل بوضوح على ان معرفة المقومات الاساسية لهذه الشخصية تكاد تكون مستحيلة .

رغم جميع العقبات المذكورة هذه ، ورغم ضآلة المعلومات المتوفرة ، فان محاولة فهم جوهر شخصية موشي دايان تبدو غير بعيدة الاحتمال . وينبغي علينا من اجل الوصول الى هذه الغاية تفحص المراحل الاولى من حياة دايان ، على نحو يكون أقرب ما يمكن من الدقة . وان نتيجة مثل هذا التفحص سوف تحاول تقييم ما اذا كانت طفولة دايان ، والى حد أقل المرحلة المبكرة من مراهقته ، تطابق بلا جدال التصنيف غير المرض نوعا من أنه « طبيعي » ، أو أنها تجيز افضاء صفة « عدم الاتزان » عليه .

كان والد دايان ، المولود في بلدة صغيرة قرب كييف سنة ١٨٩١ ، عاملا مزارعا . وكان قد هاجر الى فلسطين وهو في السابعة عشرة من عمره . وهناك ، انشأ صموئيل دايان مستعمرة دجانيا ، قرب بحيرة طبريا . وكانت القاعدة المعتمدة داخل المستعمرة تقوم على اساس التنظيم الجماعي التام للملكية الخاصة فيها . وقد تضمن هذا بالدرجة الاولى ان النقد داخل الكيبوتز (المزرعة الجماعية اليهودية) لم يكن متداولا ، وان القرارات الاساسية كانت تتخذ بتصويت اغلبية الاعضاء . وكان سكان المستعمرة يتناولون وجبات الطعام جماعيا في قاعات الطعام الخاصة بالكيبوتز ، كما كان على الاطفال أن يناموا معا ، ولكن بعيدا عن ابويهم ، في منازل خاصة بهم(١) .

ان النوم بصورة متواصلة بعيدا عن الام يمكنه ان يؤدي الى عواقب وخيمة طويلة الامد . والضحية بكل وضوح هي الطفل ، الذي ، وقد حرم من ينبوع العطف الوحيد (صدر أمه او ما يحل محله) ، ينشأ وهو يعاني المشكلات العاطفية المتعلقة بطفولة مراحل النمو الاولى ، وبطفولة ما بعدها . وبرغم أن الدلائل المتوفرة عن دايان في هاتين المرحلتين هي ضئيلة جدا بحيث لا تكفي لتشكيل دعامة متينة لنشأته فيما بعد ، الا أنها تعطينا المفاتيح اللازمة للمساعدة في القاء بعض الضوء على العناصر المؤلفة لشخصيته وتكوينه العاطفي .

فعندما يكون هناك حرمان من التقرب من الامومة وعطفها ، وخاصة في فترة الطفولة ، فان الطفل يحرم نتيجة لذلك من فترة التأهيل الاجتماعي . والتأهيل الاجتماعي هو الوسيلة التي يتعلم بواسطتها الطفل التعرف على بيئته والى حد بعيد الاستجابة لها ،

وذلك حتى يكون بمقدوره ان يرتبط ذهنيا بالناس وبالاشيــاء ، وان ينمي شعوره تجاه نفسه وتجاه الاخرين تدريجيا . ان هذا ذو اهمية اساسية ، ذلك انه عندما يبعد الطفل عن أمه (بواسطة عوامل خارجية بعيدة دوما عن سيطرة المخلوق الصغير) ، فالمرجح جدا أن يتكشف الطفل تدريجيا عن اضطرابات عقلية وعاطفية .

ومن الممكن ان تظهر مثل هذه الاضطرابات بطرق عدة : فقد يتعذر على الطفل الارتباط الذهني الدقيق بالحقيقة ، وهذا يظهر بصور مختلفة ، أو قد ينمو مفتقرا الى الاهتمــام بالغير ، او ربما تكشف عن خلق متهور بالغ حد الافراط ، او قد يصبح في النهاية مثيرا للشفقة وغير قادر على الانسجام مع المجتمع . ان احتمال ظهور اي من هذه السمات العاطفية ، او مجموعة منها ، في سلوك الطفل ، يعتمد الى حد بعيد ليس على ظروف الطفل البيئية الخاصة به فحسب ، بل أيضا ، وعلى المستوى نفسه ، على تلك الطريقة الشديدة الغرابة التي يختلف فيها كل طفل في ارتباطه الذهني مع التقلبات البيئية . ومن الواضح ان أحد المعايير التي يمكن بواسطتها قياس قابلية سرعة الانفعال العاطفي لدى الطفل هي درجة حساسية الطفل نفسه ، فكلما ازدادت حساسية الطفــل للضغوط الخارجية المناوئة ، كلما ازداد العصاب (الاضطراب العصبي الوظيفي) وكلما ازداد الفصام (انشطار الشخصية) . وقد يظهر الطفل المصاب بالفصام نزعة الى الانطواء والى فترات متقطعة من الصمت المطلق ، وربما استرسل طفل آخر بالكلام (حتى مع نفسه احيانا) في محاولة يائسة لايجاد هويته . وقــد يتصرف بعض الاطفال المصابين بالفصام كالاطفال الرضع ، بينما اخرون يظهرون عقولا متفوقة ، وموهبات وذاكرات قوية . ولكن هناك ميزة مشتركة بينهم جميعا ، وهي نزعة الى التحول بسرعة من مزاج معين الى مزاج مضاد . فمن الممكن ان يكون الطفل في وقت ما ذا نزعة عدوانية ، ولكنه سرعان ما يصبح تواقا لمبادلة الحب(٢). ولا يوجد سبب ظاهر او سبب يمكن تتبع أثره للتحول السريع في امزجته . فهو في جوهره مؤثر للعزلة ، متردد في مشاركة اي طفل في اية لعبة او اي نشاط ، وعندما يكون مع الاخرين ، يميــل الى تجاهلهم لفترة طويلة . وقد تكون لعبته المحببة هي تكرار القيام بعمل آلي معين(٣). وعندما يتصل بالاطفــال الآخرين بالفعل ، فانه غالبا ما يطلب اكثر مما يعطي . ورغم حــاجته الكبيرة للحب ، فانه يعجز تماما عن مبادلته . وعندما يتقدم بالسن ، فانه قد يقدر على كبح جماح هذه السمات بارادة ووعي منه ، ومن الممكن لهذه السمات ان تختفي لفترة مــا ، ولكن ، حسب ما هو محقق ، لا يمكن التخلص منها بصورة دائمة . ومن شأن هذه السمات ان تعين الى حد كبير شكل السلوك الاساسي للطفل طوال حياته ، بالطبع الا اذا جرى التحري عن الاعراض بوضوح وتمت معالجة الطفل .

ان وجهة نظر الطب النفسي فيما يتعلق بفصام الاطفال مبنية على أساس افتراض ان العلاقة العاطفية بين الأم والطفل تلعب دورا حاسما في تكوين تركيب شخصية الطفل . فالرفض والاهمال في فترتي الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة تجعل الطفل يعاني من « حرمان الامومة » . وقد يكون الحرمــان نتيجة انفصال فعلي ، كأن تجعل الطفــل الرضيع ينام بعيدا عن أمه بصورة دائمة ، أو نتيجة انفصال نفسي ، الذي قــد يكون نتيجة أهمال أو رفض من ناحية الأم . ويمكن ان يكون الرفض نتيجة اضطراب عاطفي من جهة الأم نفسها ، الامر الذي من شأنه ان يساهم في زيادة عدم الاتزان العاطفي في البيت ، وبالتالي في خلق حالة عائلية غير سليمة . وهكذا فان الطفل الذي يولد في مثل هذا البيت يكون لديه في الغالب استعــداد للمرض العاطفي ــ وهو استعداد عقلي . وان الجو المضطرب في البيت يفاقم هذه النزعة في الطفل ، ومن المرجح جدا ان يتسبب ذلك في ظهور المرض(٤).

وبرغم ان الكثير مما كتب عن بيئة دايــان في طفولته المبكرة وطفولته المتأخرة يميل الى

تصوير بيئة سعيدة مبالغ فيهـــا ، الا أن التفحص الدقيق لحــالات واحداث وعبارات متعددة ربمـــا ادت الى استنتاجـــات هي خلاف ذلـــك . فالوصف المتعلـــق بديفورا زاتولوفسكي ، أم دايان ، التي كانت مثل أبيه من مواطني أوكرانيا ، فأصبحت معلمة مدرسة لدى زواجها في فلسطين واقامتها فيها ، ان هذا الوصف لا يدل بشكل على وجود البيئة الأمية الصحيحة التي يحتاجها الطفل الحساس اكثر من حاجته لاي شيء آخر . فالشيء الذي يتفق عليه جميع الكتاب الذين عنوا بحياة دايان ، هو وجود ارتباط متين ، وحب ، وولع شديد بين دايان وأمه .

ويشير كاتب سيرته ن.ل. لافييه الى ان دايان « كان منذ طفولته المبكرة يحب أمه لدرجة العبادة »(٥). بينما يصرح أوري افنيري بقوله « ليس ثمة شك في أن دايان كان مرتبطا جدا بأمه في عهـــد طفولته ، وهو الارتباط الذي ربمـــا كان قد حدد شكـــل شخصيته كلها »(٦). وان الاستنتاج الذي يمكن استخلاصه من هذه العبارة قد يستطيع ان يلقي ضوءا حقا . فوجود ارتباط عاطفي متين بين طفل وأمه هو أمر عادي ، ولكن يشترط ان يكون مثل هذا الارتباط متوازيـــا بكياسة مع ارتباط عاطفي ، وطيد ، وعلى المستوى نفسه ، بين الطفل وابيه . فبدون ذلك ، يكون في الامكان ظهور علاقـــات مشوشة ، لا يمكن استبيانها في العائلة كلها ، ويكون الطفل في النتيجـــة هو المعذب . وفي حـــالة دايان ، كانت علاقته العاطفية بأبيه ، بالمغايرة مع علاقته بأمه ، أكثر ما تكون بعدا عن كونها مفضية الى نشأة نفسية طبيعية سليمة . ومع ان الاستحالة تبدو واضحة في امكانية الحصول على بيان يومي مباشر عن مواقف دايان من أبيه في فترة طفولته المبكرة، الا ان الدليل المدعوم بالوثائق ، وان كانت شظوية ، يميل الى اظهار مواقف ابيه منه ، وهي مواقف انضباطية صارمة ، ان لم نقل اخضاعية قمعية . وهي علاقة تطورت فيما بعد الى علاقة بادرها دايان بالغيظ ، واتخذ منها موقف العداء ، تدريجيا ، ورفضهـــا غريزيا . وعندما يتكلم عن ابيه ، نادرا ما يستعمل دايان أبدا كلمة « الحب » او كلمة « العطف » ، بل انه يؤثر ذكر كلمة « الاحترام » لابيه ولقوة شخصية أبيه ، التي يتباهى دايان بادعائه وراثتها(٧). ومن الاحداث التي تلقي ضوءا ، حـــادث يولع دايان بسرده باندفاع ، وهو كيف ان أباه قد حبس دايان الطفل البالغ الخـــامسة من العمر في خـــم المطبخ الليل بطوله لانه لم يفعل ما أمره به أبوه . وان الطفل الصغير « ارتجف خائفا من الاصوات الغريبة التي انبعثت من داخل الخم والمنطقة المحيطة به . . . جلس هناك يرتعد في الظلام الى ان اطلق أبوه سراحه بعد ساعات قليلة . . . »(٨). وقد كشف دايان عن اهمية هذه الحـــادثة عندما وصفها بأنها « كـــانت احدى الحـــوادث التي قولبت شخصيته »(٩). والمؤكد انه يمكن اتخاذ هذه الحادثة انموذجا لمجموعـــة من الحوادث الاخرى التي حـــددت في النتيجة نـــوع العلاقة التي تدل على فقدان العطـــف والحب الحقيقيين من قبل الاب نحو ابنه ، الامر الذي أدى بالتدريج الى شعور الرفض من قبل الطفل الحساس جدا . وبالاضافة الى ذلك ، فان قسوة أبيه (التي ربما ، تصادفيا ، كانت تقصد الخير ، ولكنها وقعت تحت تأثير مؤثرات اجتمـــاعية و/أو ثقافية) ، قـــد اجبرته ، وقد تعذر معالجة الامر ، على طلب المصدر الوحيد الممكن للعطف ، أمـــه . وفي محاولته اليائسة للتعويض عن فقدان العطف الابوي ، عوض دايـــان ، الى حـــد الفوران ، وبطريقة قابلة للتنبؤ ، بزيادة ولعه بأمه وبسعيه للبقاء بجوارها ، على نحو متزايد . ومن المحتمل ان يكون لاعتماده الزائد على امه ، ولانقطاعه التدريجي عن ابيه، علاقة بالتغير الصارخ لشخصية جديدة ، وان تكن انفصامية غير حادة ، بدأت تفرض نفسها من خلال سلوك مشوش متعدد الصور ، والى حد ما ، سلوك « لا اجتماعي » وعدائي . وفيما يلي قليل من الامثلة : بعد دراسته الابتدائية ، وجـــد دايان نفسه ، مجبرا لا مخيرا ، ينضم الى مدرسة ثانوية للبنات . وكان هو ، كما تـــدل السجلات ، الصبي الوحيد فيها(١٠). وكان القرار الذي أوجب على دايان الالتحاق بهذه المدرسة ،

والاعتبارات عملية كما يمكن تصورها ، صادرا عن ابيه . ولم يعط دايان اية اسباب أو تفسيرات لهذا القرار . كان باستطاعته ان يثور في وجه هذا القرار ، او يشعر بالمذلة ، او يخذله ، او يكتفي بالاشمئزاز من قرار ابيه القاضي بارساله الى « مدرسة بنات » ، ولكنه كان يدرك ويعي ان الصراع من اجل « الهوية » قد اصبح الان مفقودا على الدوام بالنسبة للأب . ومع ذلك ، فقد كان لا يزال بمقدوره أتخاذ عمل مضاد ، بالطرق التي لا يتوفر غيرها لديه . كان باستطاعته ان يدلل على رفضه الجوهري « لحقيقة » كونه ارسل الى مدرسة بنات بمحاولته القضاء على هذه « الحقيقة » . ومن الطرق التي استطاع دايان الشاب أن يفكر بها ، كانت كسر نوافذ احدى غرف الدرس في المدرسة ، وطريقة اخرى ، اكثر جراة ، اقتضت منه ان يتعب نفسه بامساك افعى في احد الحقول المجاورة ، ومن ثم القائها في صف البنات ، متسببا باحداث حالة فوضى عامة ، نتيجة لانطلاق البنات هاربات وهن يصرخن في جميع الاتجاهات(١١) . ورغم أن اهالي القرية ، كما هو متوقع ، الى جانب مديرة المدرسة الثانوية في الكيبوتز ، قد اظهروا امتعاضهم من مثل هذا التصرف ، كان سرور دايان الباطني في تمكنه من توكيده على نفسه عظيما . وبعد سنوات كثيرة عندما هتف له عاليا كبطل شعبي ، وكمواطن بارز في اسرائيل ، وخاصة في اعقاب غزوة السويس ، كانت « الجراثيم » النفسية لثورته **الخاصة به** ، لا تزال حية . ورغم ان اباه لم يعد يستطيع فرض ارادته على ابنه ، فان ارادة اكثر هولا قد فرضت على دايان . كانت هذه الارادة الجماعية للدولة الصهيونية في فلسطين . واما دايان « الحقيقي » فلم يستطع رؤية الفرق . فان رغبته الباطنية في فرض ذاتيته المكبوتة كانت لا تزال متقدة ، ومن هنا كان لا بد من « اطلاق العنان » لهذا الكبت . وقد اتخذ هذا اشكالا متعددة ، فهو منقذ الصهيونيين ، الشخصية الاسطورية التي طالما سعى وناضل في سبيل تحقيقها . فقد كان ، كما اخبر بن غوريون ، يوآب الاسطوري ، القائد العسكري البارز لدى الملك داوود الذي حارب الفلسطينيين(١٢) . وان شخصية دايان العسكرية نفسها ، كانت تتسع وتمتد ، محاولة بنجاح كبير فرض ذاتيتها الخاصة بها على ما يحيط بها . ومن هنا كانت اعمال دايان الفاضحة في انتهاك القوانين الرسمية . ففي خلال حرب سيناء مثلا ، عندما اكتشف موقع اثري ، جعل دايان « البوليس العسكري يطوق المنطقة كلها ريثما يتم حفر ونقل بعض الاثريات » . كما وان بيته في تسهالا « يكتظ بالاعمدة الاثرية والاباريق الاثرية ، وكل منها يذكر بانتهاك القوانين »(١٣) . ولكن دايان لا يشعر بالذنب نتيجة لخرقه القانون . فقد سبق له واقنع نفسه أنه فوق القانون ، انه يوآب ، ويوآب يسن القوانين ولا يكون مجبرا بالضرورة على اطاعتها . ومع ذلك فان دايان قد نبه بفظاظة من قبل الصراع بين أماني حقيقته الباطنية ومتطلبات ظروفه البيئية . وهكذا ، فانه دعي للكبت من جديد ، وهو يفعل ذلك بتعقل . ولكن دايان قادر على احداث مقدار معين من الكبت فقط . وقد تدبر أمر ذلك مقابل ثمن نفسي باهظ . فرغم انه يمارس الكبت ، الا انه ينتظر فرصة ملائمة ، بطريقة غريزية . والسنوات التي قضاها في البرية ، كمراسل في فيتنام ، كوزير زراعة هو شيء غريب المطابقة نوعا ما ، وطالب في الجامعة العبرية . بالنسبة لدايان ، كانت هذه السنوات تمثل انعطافا طويلا غير ذي هدف ذي معنى . وفي تلهف قلق كان ينتظر النداء الاخير ، نداء « حرب » من اي نوع كان ، وذلك حتى يطلق العنان لبعض من طبعه العدواني الذي يكاد يكون مفترسا . واخيرا جاءت الحرب ، التي كانت بالنسبة اليه المتنفس الوحيد المتبقي له ، ويجد دايان نفسه ، مدفوعا بقوة لا يمكن مقاومتها ، متصلبا وسط الاحداث . وان اشتراكه المتأخر عن وقته المعتاد في الحرب ليس ذا اهمية حقيقية بالنسبة اليه . ومن جديد ، ينجح دايان في كسب تقدير الجمهور . ومن جديد ، هو يوآب ، لقد انقذ اسرائيل ، ومن الان وصاعدا لا يجوز التحقيق معه أو سؤاله عن أي شيء . وعندما سئل عن حقيقة

اشتراكه بحرب سنة ١٩٦٧ ، اجاب دايان بحدة وبحسم : « ان من يقول بأني وصلت لاجد كل شيء جاهزا انما يحاول فقط ذر الرماد في العيون »(١٤) .

ولكن دايان يبقى بمعزل ، ومع ذلك فانه يظل الى الابد يحن الى التقدير ، والى الابد يحاول ان يثبت ، ان لم يكن لابيه الذي « احترم » دايان كثيرا « قوة شخصيته » ، فعلى الاقل لاي شبح اخر حل محل ابيه في شخصية دايان المعقدة . واما انفصام شخصيته وهو طفل ، وهو الامر الذي تسبب في حاسة العزلة الداخلية وعدم الاتزان العاطفي (كما يشهد على ذلك عدم مقدرته التامة في الابقاء على اية علاقة عاطفية لمدة طويلة) . ان فصام شخصيته هذا كان دائما نسبيا لوجود عدواني مستعر ، يكاد يكون فريدا من نوعه من حيث صفته التدميرية . وهذه هي الصفة التي توحي الفزع وعدم الثقة في نفس دايان ، وتجعله بمعزل . وقد دل استفتاء شعبي جرى بعد حرب سنة ١٩٦٧ مباشرة في اسرائيل على ان ٢٠٪ فقط من الاسرائيليين المقيمين رغبوا في مشاهدة دايان في سدة الحكم(١٥)، وكان معظم الذين عرفوه واشتغلوا معه قد ارتدوا بعيدا عنه . وقد حذر الجنرال يتسحاق تساديه ، قائد البالماخ ، الذي عرف دايان عن كثب ، بقوله ان دايان « هو الرجل في اسرائيل الاكثر خطرا . على المرء ان يراقبه باستمرار . فهو رجل لا يعرف التردد ولا يعرف كبح جماح نفسه ، ولا يعرف الاخلاق . انه قادر على عمل أي شيء »(١٦) . ربما كانت تلك هي الصفات التي تجعل دايان ان يكون ما هو كائن ، فهو ليس شخصية مثيرة للشفقة ، وغير متزنة ، ومنعزلة نوعا ، فحسب ، بل بحكم طبيعة السلطة التي يحملها نفسها ، ومشاعره الازدواجية التي يوحي بها ، انه بكل تأكيد رجل مثير للمخاوف ، وبالنسبة لما هو كامن ، انه في الحقيقة رجل بالغ الخطورة .

تقييم عسكري : اذا حكمنا على دايان من خلال تجاربه العسكرية السابقة الخاصة به ، فانه يشبه على نحو هزيل بشخصيات عسكرية معاصرة . وما تجدر ملاحظته فيما يتعلق بتدريبه العسكري الفعلي الحديث ، هو ان تجاربه هي أبعد ما تكون عن موضع الاثارة او الاعجاب . وقد رأينا في القسم الاول من هذا المقال كيف ان ظروفه الاجتماعية ، التي اقتضته القيام بأعباء الكيبوتز العائلي واعباء أخرى ، كانت قد حالت دون متابعته لاية دورة رسمية للتعليم العسكري . وهذا بالطبع لا يلغي الافتراض من ان دايان كان في الحقيقة يفتقر الى الحماس لمتابعة دورة رسمية طويلة الامد للتدريب العسكري . فهو بدلا من ذلك ، انضم الى منظمة الهاغاناه الصهيونية بصفة عضو عامل . وان انخراطه في الهاغاناه وتقدمه فيها ، كان متوافقا ، بشكل ظاهري التناقض، مع المد المتصاعد لثورة عرب فلسطين العظيمة . وفي سنة ١٩٣٨ ، كان دايان قد عين مدربا للمعينين الجدد في قوة الهاغاناه الاضافية الخاصة . وقد مضت عليه سنوات عديدة قبل ان توكل اليه اول مسؤولية عسكرية ذات طابع جدي . وفي سنة ١٩٤٨ ، عين دايان (وكذلك يجال آلون) من قبل الجنرال يتسحاق تساديه قائدا لفصيلة من الجند . لقد اظهر نجاحا ثانويا ، ولكنه حتى ذلك الوقت ، ورغم الظروف المؤاتية والفرص، لم يستطع الارتقاء بشكل حاسم فوق أي من المتعاصرين معه من العسكريين . وفي حزيران ١٩٣٥ ، ولدى عودته من انجلترا التي كان حمواه قد ارسلاه اليها ، وجد بانتظاره « فرصا ملائمة » عظيمة لمتابعة دراسته المنهجية ، اذ كانت السيدة ايرلنغ ، ابنة الفرد موند (لورد اول ملكي) قد حاولت تأمين مكان لموشي في احدى كليات اكسفورد . كما استخدم هارولد لاسكي نفوذه لعمل الترتيبات اللازمة لتأمين مكان للصهيوني الشاب في مدرسة الاقتصاد بلندن ، وكما بذل الدكتور حاييم وايزمان الواسع النفوذ كل ما يستطيع من جهد لادخال موشي الى كامبريدج . وأقل ما يمكن قوله هو ان مجال الاختيار أمام خريج مدرسة نحال للبنات ، التي وفرت له سنتي دراسة ، كان مدعاة للاعجاب . كان موشي في الحقيقة قد تسجل في مدرسة الاقتصاد اللندنية ، وقد

عرض عليه بعد ذلك فرصة غير عادية لدراسة الزراعة في كـامبريدج ، وكان الشرط الوحيد هو النجاح في امتحانات دخول شكلية « في وقت ما خلال دراساته هناك »(١٧). وكان دايان أبعد من أن ينتهز مثل هـذه الفرص المدهشة ، اذ انه فشل حتى في تقديم امتحانات الدخول ، وتوجه الى فلسطين صفر اليدين ، بعد ان مكث خـاملا في انجلترا مدة ستة اشهر .

وعندما وصل الى فلسطين ، وسط ثورة الفلسطينيين العرب العظيمة ، قدمت له فرص أخرى . ولدى النقاش انطلاقا من وجهة النظر الصهيونية ، يمكن للمرء ان يقول بأنه لو كان دايان يتمتع بأية ألمعية عسكرية ــ شيء ما مثل ما يتمتع به الجنرال جياب ، مثلا ــ لكان سمح لهذه الألمعية بالانبثاق وبسط الظروف المثلى التي توفرت له . ولكن بدلا من ذلك ، عهد الى دايان مع آخرين كثر من قوات الهاغاناه ، من قبل البريطانيين ، للقيام بمهمات معينة ضد هجمات الفدائيين العرب . وقد عين دايان ، بسبب معرفته المعتدلة للغة الانجليزية في الدرجة الأولى ، في وحدة جيش بريطانية عهد اليها بحراسة انابيب النفط العراقية . والشيء الذي يمكن اثباته هو ان دايان لم يستطع القيام بأي عمل بارز لتمييز نفسه ، وخاصة عندما نتذكر بأن الثورة العربية في ذلك الوقت كانت تفرض ضريبة عالية على المقيمين الصهيونيين ، وبلغ معدل القتلى الصهيونيين ٥٠ قتيلا (بين اشهر حزيران ــ تشرين الاول ١٩٣٨)(١٨). وكان دايـان في هذه الاثنـاء يسير على خطى الاسكتلندي أورد تشارلز وينجيت الغريب الاطوار ، والذي سبق له ووصفه بأنه عبقري ومبتدع ، وأحد الثلاثة الذين أثروا تأثيرا عظيما على تفكيره وحياته(٢٠). ومع ذلك ، فان وينجيت ، رغم منجزاته العسكريـة ، كان عصابيا غـير متزن . ويصفه اصدقـاؤه الصهيونيون بأنه « ... متدين اكثر من كونه منطقي ، ميال الى الحزن الشديد ، مؤمن قوي بالانجيل ، متقد بالاحساس برسالة الشعب اليهودي الخاصة »(٢١). وكان يكن « الاحترام العظيم لموشي ، لانه هو ايضا ، كان يكره تكرار العملية الواحدة ، وكان دائما يحاول التجديد »(٢٢). وان الغرض من السرد التالي هو محاولة القاء بعض الضوء على حقيقة دايان ، وهي أنه لم يكن ، وليس بكائن ، ولن يكون ابدا مبتدعا اصيلا بالمعنى العسكري الصحيح . وان الدليل على هذا الحكم يقوم على اساس تفحص المجابهـات العسكرية ضد العرب ، والتي يزعم انها كانت الاكثر نجاحـا ، غزوة السويس سنة ١٩٥٦ ، وحرب حزيران سنة ١٩٦٧ .

من الصعب تقييم النجاح الفعلي لغزو السويس من الوجهة العسكرية الصرفة . وقد استنتج بعض المراقبين العسكريين ان مصير الغزو كـان يبدو بعيدا جدا عن موضع الجزم لولا التدخل الانجلو ــ فرنسي . وقد قال الميجر ادغار أو بالانس بأنه لولا التهديد الانجلو ــ فرنسي والاشتراك الذي تبع ذلك « لكان غزو سيناء قد استغرق وقتا أطول ــ ربما أطول بأيام أو بأسابيع ــ ولكانت قائمة الاصابات الاسرائيلية اشد . وان كثيرين من الجنود والاحتياط الاسرائيليين هم عـلى قيد الحياة اليوم بفضل التدخل الانجلو ــ فرنسي »(٢٣). واكثر من هذا ، فان غزو سيناء الذي كان مساعدا جدا في تثبيت خرافة دايان ، كان من الناحية العسكرية أبعد ما يكون عن الكمال . ان هذا الغزو قد عانى من العيوب التالية :

١ ــ طوال الغزو ، كان فرع المخابرات الاسرائيلية بعيدا عن جادة الصواب بشكـل حاسم في اكثر من مناسبة ، فانه لم يكن على علم مثلا باقامة ممر حيتان Hittan ، وبأنه ترك وشأنه من قبل احدى الكتائب ، كما لم تكن لديه أية فكرة عن الدور الهجومي المضاد الخاص باللواء المصري الثاني ، أو عن الموقـع الخفي قرب ابو عجيلة أو عن الحصون الدفاعية في شرم الشيخ(٢٤). ٢ ــ كان نقـل المعلومات الى الفرق في الميدان يصل متأخرا ، وكان مضلـلا من حين لآخر . ٣ ــ ونقطـة ضعف اخرى كانت تتعلق

بقابلية التحرك او الانتقال، والاستعمال الاعتباطي لوسائل النقل الخاصة بالمدنيين . وقد سرت هناك اشاعات مفادها ان الكثير من المركبات قد ضلت الطريق ، وان الاوامر كانت متضاربة ، وان النظام كان مفقودا ، الى جانب وجود احتقان يائس (٢٥). ٤ ـــ كان من الصعب الحصول على المركبات ذات اربع العجلات وذات الست : كثير منها لم يصل ، والبعض اما وصل متأخرا ، او انه توجه الى المكان الخطأ(٢٦). ٥ ـــ كاد الاتصال بين الفيلق الاسرائيلي المدرع السابع وفيلق المشاة السابع والثلاثين يكون معدوما . « كان اتصال رئاسة الاركان مع فيلق المشاة التاسع يتخذ شكلا مباغتا ، وكان نتيجة لذلك في الجانب الخاسر فيما يتعلق بالتخطيط لاحتلال شرم الشيخ(٢٧). ٦ ـــ وفيما يتعلق بالتكتيك الحربي ، كانت عادة الجيش الاسرائيلي في التحرك بالمدرعات نصف المجنزرة مع وجود المصابيح الامامية مضاءة ليلا ، عرضة لان تسبب خسائر فادحة لو قدر لها ان تجابه قوات مصرية . ٧ ـــ كاد فن نقل الجنود ، او التدبير الاداري ، يكون مفقودا منذ البداية . فقد كان هناك « افتقار لجداول اركان الحرب الاولية للتوجيه ، وميل الى سوء تقدير المسافات ومقدرة الآليات على قطع الطرق الصعبة ، كما كان هناك ايضا فكرة تفاؤل زائد فيما يتعلق بمقدرة وتحمل كل من الآليات والرجال »(٢٨). ومع ذلك، وبسبب عوامل لا تمت لفعالية قوات اسرائيل المسلحة بصلة، فان ما آلت اليه غزوة سيناء قد جعلت من دايان ليس فقط جنرالا بارزا في اعين المستوطنين الصهيونيين ، بل ايضا شخصية دولية موضع اعجاب العالم كله . ورغم ذلك ، فان أوري أفنيري يصف غزوة سيناء بأنها « غزوة خاطئة » ، ولا يجوز مقارنتها بعملية اسرائيل الناجحة في سنة ١٩٦٧(٢٩). والنتيجة التي لا مفر من استخلاصها هنا هي انه لو كانت غزوة السويس « خاطئة » بالفعل ، وان دايان كانت تساعده الظروف الاكثر ملاءمة ، فانه يكون من العدل ان نفترض ، بمعزل عن ادعاءاته الشخصية ، انه لم يكن يملك شيئا محسوسا يقدمه . وقد أظهر في الحقيقة اندفاعا نموذجيا بتقديمه استقالته كرئيس للاركان الى بن غوريون بعد أن كان الاخير قد وافق على الطلب الاميركي بالانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة . لقد بدأت فترة ارتباكه . ومع انه عين وزيرا للزراعة بعد انتخابات سنة ١٩٥٩ ، الا انه لم يتدبر امره في احراز اي نجاح في منصبه . ربما لم يكن يحب هذا المنصب ، فكان دائما ، الى جانب حلمه العظيم في ان يصبح رئيسا للوزراء ، يسعى لان يصبح وزيرا للدفاع او الخارجية . ولكنه فشل (حتى ذلك الحين) في الحصول على اي من هذين المنصبين . لم يعتبر حزب الماباي دايان حيوانا سياسيا قط ، ولكن بسبب طبيعة مجتمع المستوطنين الاسرائيليين ، استطاع دايان ، المحارب بالغريزة ، ان يتدبر امره بالبقاء . ويروي أوري أفنيري انه عندما عين دايان في حزيران سنة ١٩٦٧ ، في ظل ضغط جماهيري قوي ، وزيرا للدفاع، تقفز الجنود الى خارج خنادقهم ليعانق بعضهم بعضا و « ملأت الجو تنهدة من الارتياح مسموعة »(٣٠). وهكذا كان هناك الرجل الذي لم يكن له عمل اخر سوى محاربة العرب ، من جديد لكي يحقق الشيء الوحيد الذي اعتقد انه يعرف كيف يحققه . وفي سنة ١٩٤٨ ظهر دايان كمحارب ضد العرب مثير للخشية . لقد كان دايان نفسه الذي حارب مصر في سنة ١٩٦٧ ، وان كان أقل اندفاعا واكثر ارهاقا وجموحا . ولكن هل قام هو بتخطيط الغزوة الاسرائيلية في سنة ١٩٦٧ في الحقيقة ؟ والى اي مدى كان هو المسؤول عن نجاحها ، خاصة عندما نعيد الى الاذهان انه ادخل في المعركة قبل انتهاء الحرب بأيام قليلة . وهو ، كعادته ، يحب ان ينسب الفضل الى نفسه ، ناسيا او متناسيا ان ما جعل نجاح الغزوة الاسرائيلية امرا ممكنا انما كان بكل بساطة مجموعة مؤتلفة من الشعوب الاخرى . ومن هنا كان جوابه ـــ الذي مر ذكره ـــ « ان من يقول بأني وصلت لاجد كل شيء جاهزا ، انما يحاول فقط ذر الرماد في العيون »(٣١). وفي خلال الغزوة نفسها ظهر في الاخبار أن دايان كان يجد لديه متسعا من الوقت « لكي

يندفع هنا وهناك مثل النجم المذنب الشارد ، جارا وراءه صفا طويلا من موظفي العلاقات العامة ، والمراسلين والمصورين ، ممن كانوا يخلدونه ، بينما الوحدات المحاربة المتقدمة كانت تمثل ستارة المسرح الخلفية »(٣٢). لقد استمتع دايان بهذا الجو ، جو الدعاية والشعور بأن لا غنى عنه . وهكذا عاد من جديد ليعيش في « الحقيقة » التي كانت تشعره بالغبطة ، « الحقيقة » المتعلقة بكونه منقذ اسرائيل . ولكن هذه « الحقيقة » على كل حال ، كانت تخص دايان وحده ، وما كان ابعدها عن الحقيقة الاصيلة . لم يكن لدايان علاقة بتهيئة القوات الاسرائيلية المسلحة للحرب . فقد بقي بعيدا مدة عشر سنوات . فالفريق الذي أخرج « جيشا فعالا ومحترفا ومدربا تدريبا حسنا » هو فريق جديد يرئسه اسحق رابين ، وهو فريق متكون في غالبيته من جنود محترفين ، قدر لهم في النتيجة ان يلعبوا دورا اساسيا في كسب حرب سنة ١٩٦٧ . ومرة ثانية ، كان تدخل دايان في حرب ١٩٦٧ ، حسب ما يذكره أوري افنيري ، ابعد ما يكون عن كونه حاسما ، بل انه كان ممزقا في اكثر من اتجاه . فهو لم يكن يؤيد فكرة الهجوم المباشر على مدينة القدس القديمة المحاصرة . اذ انه لم يذعن الا بعد ان اصر اعضاء اخرون من الوزارة في الكنيست الاسرائيلي على مثل هذا التحرك العسكري . كما ان دايان قد اخر الهجوم على الحدود السورية مدة ٤٨ ساعة ، وكان هذا ضد رغبات القادة المحليين المعلنة . واهم من ذلك ، ان دايان ، رغم الاشاعات ، لم يكن ذا رأي فصل بالنسبة للقرار الخطير المتعلق بشن الحرب . وكان وجوده في الوزارة الاسرائيلية قد حصل بعد ان كان قد تقرر وجوب شن الحرب من قبل اسرائيل . وان القرار الاسرائيلي هذا اصبح نافذا في الوقت الذي أحضر فيه دايان . وان حضوره ، على كل حال ، قد ساعد في زيادة تصلب القرار العام وفي تبديد الشكوك(٣٣).

وفي فترة ما بعد الحرب ، كان مركز دايان كوزير للدفاع دقيقا جدا من وجهة النظر الاسرائيلية . فقد كان من ناحية عملية ليس مسؤولا فقط عن مجابهة الغارات التي كان يشنها الفدائيون الفلسطينيون ، بل ايضا كان عليه ان يرد ، بطريقة ايجابية ، على التحدي المصري اليومي عبر السويس . وفي كلتا الحالتين فشل دايان في ان يظهر نفسه للعيان بصورة القائد العسكري اللامع . وكان دايان في وقت مبكر من سنة ١٩٦٧ ، قد اعتاد ان يصرف النظر عن نشاطات الفدائيين الفلسطينيين ويصفها بأنها عامل استفزازي ثانوي . ولما اظهرت المقاومة من أنها ليست ظاهرة مؤقتة ، قام بنسف منازل الفلسطينيين ولجأ الى الاعتقالات الجماعية ، وهو أمر مألوف ، مظهرا بالاختصار أن وسائله كقائد عسكري لا يمكنها ان تفوق وسائل الجنرال العادي الذي يواجه الاحداث الصعبة في ميدان القتال ، مطبقا تلك الوسائل التي تكون متوفرة له ومهيأة تماما من قبل . ولم تكن كذلك استجابته للحرب المصرية ، حرب الاستنزاف المعلنة من قبل مصر في اعقاب الحرب ، اكثر نجاحا . ومن هذه الناحية ، وكما هو الحال من ناحية الفدائيين ، كان دايان محظوظا بمعنى ان ظروفا خارجية قد ساعدته ، او قل ظروفا خارجة عن ارادته .

وفيما يتعلق بالاراضي المحتلة ، لم تكن لدى دايان اية سياسة واضحة . ففي الاشهر التالية للحرب ، مثلا ، القى دايان خطبا كثيرة ، كانت كل واحدة منها تناقض الاخرى . « لقد نادى ، متيحا المجال للاختيار ، باقامة دولة فلسطينية متمتعة بالحكم الذاتي ، وبنظام فدرالي بين اسرائيل والاردن ، وبضم غزة والضفة الغربية من الاردن »(٣٤). لقد اثبتت سياسته المتعلقة بالاراضي المحتلة فشلا عسكريا ، مثلما فعلت سياساته تجاه الفدائيين الفلسطينيين . وان محاولاته المتكررة لاقامة حوار مع الفلسطينيين العرب في الضفة الغربية ، متقنعا بقناع التحرري المتفتح الذهن ، قد منيت بالفشل الذريع . وكان دايان محظوظا كوزير حرب . ومن المهم ان نشير الى ان هذه الحرب قد

انهكت حيوية القوات الاسرائيلية بالفعل ، ذلك ان استمرارها كان شيئا لم يتدرب عليه دايان ، ولا القوات الاسرائيلية . وفي الحقيقة ، كانت هناك لحظات كـادت تتغير فيها نتيجة الحرب لمصلحة المصريين . وفي تعليقها على حـرب الاستنزاف في أواخر صيف ١٩٦٩ ، كتبت **النيو ميدل ايست** المؤيدة للصهيونية تقول « لو واصل المصريون القصف بمدفعيتهم الثقيلة في شهر تشرين الثاني ، لكـان من المشكوك فيه ما اذا كانت هـذه التحصينات (خط بارليف) ستتم ، أو حقا ، ما اذا كان باستطاعة الاسرائيليين الاحتفاظ بمراكزهم على طول القنال »(٢٥) . وهكذا ، فان دايان ، كقائد عسكري ، يظهر للعيان بأنه مجرد خرافة ، وهي خرافة ساهم الاسرائيليون بايجادها ، كما ساهم الرأي العام العالمي ، الى جانب مساهمة العرب انفسهم بذلك . انها خـرافة في أمس الحاجة لان يعاد تقييمها ، بالطريقة الموضوعية نفسها التي اعيد فيها تقييم تشرشل وغيره من قادة الحرب . وربما لم يتدبر دايان أمره ، عسكريا ، للخروج من قوقعته ، قوقعة المحارب العربي التقليدي . وهو ، حسب ما يقول اوري أفنيري « المعادل الاسرائيلي لما اعتاد الاميركـان على تسميته بالمحـارب الهندي ، وهـو نمط شاع بين الجيـل الثاني من المستوطنين ، حيث كان يجبر القادمون الجدد على محاربة المواطنين الاصليين »(٢٦) . وبعبارة اخرى ، كان دايان من الناحية العسكرية ، رغم شعبيته ، مجـرد جنرال مر عليه الزمن ، ولكنه لا يزال باقيا بفعل تأثير هذه الشعبية ، وهو غير مدرك انه سرعان ما يتلاشى ، وان المؤرخين العسكريين سوف يذكرونه كظاهرة عسكرية عابرة ، وان لم تخل من الاثارة . ومهما يكن من أمر ، ففي ظل فن الحرب القائم على أساس الحساب الدقيق في العصر الحاضر ، من العـدل ان نشير الى ان دايـان هو في الحقيقة مجرد مفارقة تاريخية مثيرة للشفقة .

تقييم سياسي : كما ذكر آنفا ، كان افتقار دايان لكل من التدريب العسكري المنهجي والصلات السياسية الضرورية ، ذا أثر ما في اعاقة ترقيته العسكرية ، فييجال آلون ، مثلا ، الذي كان دونه مرتبة لثلاث سنوات ، كان قادرا علـى التقدم عليـه في وقت قصير(٣٧) . ولكن دايان أصبح رئيسا للاركان في كانون الاول سنة ١٩٥٣ . ودايان « كان مدينا في ترقيته ، كلية تقريبا ، لقدرة بن غوريون ، وقـد أصبح دايان أداة الاخـير العسكرية »(٢٨) . وان نهج بن غوريون بالنسبة لتجاهل الراي العام العالمي ، وبالنسبة للمبادرات السلمية والامم المتحدة ، وفوق كل هذا نهجه في الاعتماد الكلي على سلاح اسرائيل ــ مدعومة بالطبع بالدعم المادي الاميركي ــ كل هذا كان يقوم على اساس افتراض ان على اسرائيل ان تمارس مفهومها للسلام ، ليس عن طريق العمل بالتعاون مع المنظمات الدولية ، بل عن طريق الاستثمار الماكر لمختلف الاوضاع المتقلبة في الميزان الدولي . وقد حاول شمعون بيريس وضع هذه المبادىء موضع التنفيذ في الجبهـة المدنية ، باقامة محالفة سرية وغير رسمية مع فرنسا . وكان دايان ، في الجهة المقابلة ، مسؤولا عن الاستعدادات لتوجيه ضربة مخيفة ضد مضائق تيران . وكان نتيجة هذا التخطيط السري الاستيلاء على مضائق تيران ، وكانت غزوة سيناء وما رافقها مـن مضاعفات حصيلة كل هذا . وقد أقنع دايان مجددا من قبل معلمه الخاص بالاستمرار ، رغم انه قدم استقالته . وفي هذه المـرة بدا بأن ثعلب السياسة الاسرائيلية الكبـير العجوز قد ورط نفسه في بلاء غير مرتقب ، وكان بحاجة يائسة لحلفاء اقوياء . فأمد كل من دايان وشمعون بيريس ، بسبب ارتباطهما بفضيحة لافون ، الى حد ما ، وبسبب اعجاب كل منهما الشخصي الى حد آخر ، الى جانب ارتباط كل منهما الشخصي الوثيق نوعا بين غوريون ، امداه بالنواة التي كان بحاجة اليها . ولكن الثمن بالمعنى السياسي كان لا بد من دفعه . ففضيحة لافون كانت قد تركت بصماتها البغيضة على طيف المظهر السياسي كله ، الى حد ان بن غوريون ودايان وبيريس ، قد قرروا الانفصال عن حزب الماباي ، وتأسيس (سنة ١٩٦٥) حزبهم الخاص بهم ، رافي . ولكن هذا اثبت انه نوع

من الاخفاق السياسي ، فقد دل على عدم كفايته كلية في تحدي الاحزاب الصهيونية الاخرى المنشأة سابقا ، بأي شكل . فعندما وافق دايان على تأليف الحزب الجديد ، كان يطيع توجيهات معلمه الخاص بحماس بالغ . ولا بد ان الافتراض كان يقوم على اساس وجود شعبية دايان ، ومهارة بن غوريون ، وان كانت قيادته قد مضى عليها الزمن ، الى جانب وجود ثقافة بيريس الدولية ، كان الافتراض ان كل هذا سوف يمكن الحزب من احراز نجاح معقول ، على اقل تعديل . ولكن الحزب الجديد كان ، كما أشرنا ، ابعد ما يكون عن النجاح . لقد كان بكل وضوح فشلا تاما . فان مؤسسه الهرم بن غوريون ، لم يستخف بمنظمة الماباي ، وبيراعتها وبرضى المقيمين الاسرائيليين عنها فحسب ، بل انه غالى في تقدير أثر حزبه الجديد بادعائه ان اسمه واسم دايان سيعودا عليه بمكافآت انتخابية لم يسبق الى مثلها . ولكن ثبت في النهاية ان فشل رافي لم يدعم نفوذ المؤسسة الاسرائيلية ، بما في ذلك حزب الماباي وغيره من المنظمات الحزبية فقط ، بل انه ايضا أظهر بوضوح ان المستوطنين الصهيونيين يفضلون غريزيا ، في أوقات الامن المعقول ، المنظمات الراسخة على الافراد ذوي النفوذ . وفي هذا الخصوص ، تجدر الاشارة الى انه في وقت ما قبل حرب سنة ١٩٦٧ جرى استفتاء شعبي سئل المقيمون فيه عن الشخص الذي يفضلون ان يكون رئيسا للوزراء ، لم يحصل دايان على اكثر من ١٤ ٪ . ومهما يكن من أمر ، فقد كانت الظروف قبل يومين او ثلاثة من بداية الحرب « بحاجة لقائد حرب قوي ، شاب ، نشيط ، شعبي ــ ليس لادارة الحرب ، بل ليسد حاجة شعبية »(٤٠). وبعبارات نفسية دقيقة يدل هذا بوضوح على فقدان الطمأنينة الحقيقية على مستوى الجماعات ، لا الافراد . وان التناقض السريع شيء مشوق ، بمعنى ان المجتمع الاسرائيلي قد أظهر اظهارا محددا القلق العصابي الجماعي ، والحالة الهستيرية ، غير الحادة ، على المستوى العاطفي الجماعي . فقد كان هناك تشاؤم مرضي (بالنسبة لنتيجة حرب ١٩٦٧) من جهة ، وشعور بالابتهاج الايجابي ، من جهة أخرى ، وهو الشعور الذي ظهر مع الفرح الغامر الذي أطل عقب تعيين دايان . وعلى غير هذا المستوى ، يمكن تفسير هذه الظاهرة بالرجوع الى « عقدة المذبحة الجماعية » الخرافية ، التي ، وفقا لها ، ارتكب المدافعون اليهود انتحارا جماعيا لا عقلانيا، مفضلين ذلك على الخضوع للرومان . لذلك فانه يمكن تفسير تعيين دايان كوزير للدفاع ، على انه جاء موافقا لهذا الاندفاع الاسطوري ، وان كان اندفاعا انتحاريا مؤكدا على ضرورة اتخاذ الاجراءات العنيفة . ان اتباع العنف المتواصل كسياسة رئيسية ازاء العرب في أواخر عام ١٩٦٠ ، لا يبدو انه خلص الصهيونيين من مشكلاتهم الخطيرة عن طريق تزويدهم بوصفة سحرية . لقد فشل دايان ، المخطط والمنفذ ، ورأس الحربة العسكرية لاسرائيل ، في تزويد حل مرض عن طريق هذه السياسة . فمذهبه في استعمال القوة لتحقيق الاغراض السياسية كان أبعد ما يكون عن توفير حل ، فهو ، بدون مبالغة ، كان السبب في ابراز هذه المشكلات . وفي اعقاب حرب ١٩٦٧ ، حاول دايان عبثا كسب ود العرب في الاراضي المحتلة ، أو دمج هذه الاراضي . وفي يوم الاثنين ، الثامن عشر من تشرين الثاني ، ١٩٦٨ ، أعلنت سياسة دايان ازاء الاراضي المحتلة انها سياسة دمج عام ، واذا « كان أي وزير في مجلس الوزراء يعتقد ان هذه السياسة قد فشلت ، فله الحرية ان يقترح على مجلس الوزراء الغاء قراراته وتعديل سياسته »(٤١). لقد فشلت هذه السياسة فشلا ذريعا للاسباب التالية : أ) كانت هذه السياسة موضع تجاهل تام من قبل اغلبية العرب الفلسطينيين في المناطق المحتلة ، ب) كانت هذه السياسة موضع معارضة شديدة من قبل شخصيات هامة في حزب العمل الذي ظهـــر حديثا ، وكان المعارض الرئيسي هو الامين العام لهذا الحزب ، بنحاس سابير ، وهو الذي رفض آراء دايان المتعلقة بالدمج . وقد فسر رفضه بقوله ان الدمج العام للمناطق المحتلـــة

سيؤدي بطبيعة الحال الى ازالة القومية اليهودية عن الدولة الصهيونية واحلال دولة ذات قوميتين محلها(٤٢).

وفي الامكان رؤية مظهر آخر من مظاهر مذهب استعمال القوة الخاص بدايان في محاولته اخضاع الرئيس عبدالناصر عن طريق قصف القنابل . وفي هذا المجال ، كشف دايان عن عدم تفكير نموذجي بردود الفعل التي قد يقوم بها الخصم ، اذ أنه استمر في سياسته موسعا الحرب نحو أهداف مدنية واضحة . فقتل ٧٠ من العمال وجرح ٩٨ آخرين في مصنع الحديد والصلب الذي يبعد ١٥ ميلا شمال شرقي القاهرة بقنابل النابالم . ان اعمال الطيران الاسرائيلي هذه لم تزد المصريين الا تصلبـا في التصميم على مقاومة العدوان والضرب الاشد(٤٣). وهكذا فعلت ايضا الغارة الجوية على مدرسة الاطفال في بحر البقر في الثامن من نيسان ١٩٧٠ ، حين لم يمض شهران على الحادث الاول ، حيث قتل ٣٠ طفلا وأصيب ٤٠ من التلاميذ الاطفال بجروح خطيرة(٤٤). ومن وجهة نظر دايان، كان المقصود من هذه الغارات تقويض مركز الرئيس عبدالناصر في نظر المصريين، واظهار الثمن الباهظ لحرب الاستنزاف التي أعلنها الرئيس عبدالناصر . وعلى أي حال، فقد كان هذا التصعيد من جهة دايان ، من الوجهة الموضوعية ، شيئا خطرا منضويا على المغامرة . وربما فكر المرء بأن مطالعة دايان لاحداث الحرب العالمية الثانية ، لا بد وأن تكون قد بينت له بوضوح ان قصف الاهداف المدنية هي لعبة يقدر أن يلعبها الفريقان المتحاربان معا . ولو ان دايان استمر بسياسته هذه ، لما كان مـن الصعب تصور الطيران المصري وهو يغير على تل أبيب ، او غيرها من المناطق الآهلة بالسكان فـي اسرائيل . وفي نهاية المطاف ، وبوصفه وزيرا للدفاع ، فشلت سياساته هذه في اسقاط الرئيس عبدالناصر ، وأدت الى زيادة كبيرة في حدة كراهية المصريين الايجابية ، وهي الشيء الاساسي لروح الحرب الخاصة بجميع القوات المسلحة المصرية .

وكذلك لم تنجح في اي شكل محاولات دايان في استرضاء الروس . ففي خلال اجتماعه مع الطلاب الاسرائيليين مدة ساعتين ، أكد دايان على انه لم يكن يحبذ « خلق حالات نقتل فيها الروس ويحاولون هم فيها اسقاط طائراتنا »(٤٥). ومع ذلك ، وبعد شهر ، حذر دايان ، لانه لم يسمع أي رد من الروس ، بأنه في حـالة الهجوم على الطيران الاسرائيلي في منطقة العمليات « وهو الشيء الذي لم يحدث حتى الآن ، فانهم سوف يدافعون عن أنفسهم ويقابلوا الحرب بالحرب »(٤٦). وفي الطريقة نفسها ، لاقت محاولته لاقامة « تعايش ـوي » مع الروس ، كما لاقت سياساته الاخرى ، الاهمال . ولهذا السبب يمكن اعتبارها بوثوق على انها فشل آخر جديد .

وفي ختام هذا المقال ، من المناسب أن ننهيه بذكر أعظم فشل سياسي لدايان ، فشله في أن يصبح رئيس وزراء اسرائيل . كان هذا طموح دايان الملتهب ، ويذكرنا أوري أفنيري بقوله أنه لم يجعل أي سياسي اسرائيلي من هذا الطموح « فكرة مركزية في حياته مثلما فعل دايان »(٤٧). ولكن حتى يتمكن دايان من تحقيق هذا الهدف ، لا بد للمرء ان يظن ان دايان قد نجح فيما يتعلق بتأليف حزبه ، او باظهار الصفات الاساسية للقيادة السياسية. ولكنه ، في كلا الحالتين ، لم يكن لديه في الحقيقة شيئا يقدمه « خطاباته ومقالاته ، التي كانت دائما في صميم الموضوع ، كانت ضحلة ، لا تتميز بعمق التفكير أو باتساع القدرة على رؤية الامور ، كانت مشوقة ، ولكنهـا غير مؤثرة ، وغـير حاوية لاية صـور ذهنية »(٤٨). ان ازدراءه للسياسيين ولجهاز الحزب السياسي (وهذا من أعراض عدم كفاياته المقنعة) هي أشياء تناقض أمانيه . وان تطلعه الى امكانية صيرورته رئيسا لمجلس الوزراء لا يبدو مؤثرا . وعندما كان في قمة حياته كرجل رسمي ، بعيد حرب سنة ١٩٦٧ ، فان الاستفتاء نفسه الذي اعطى أبا ايبان نسبة ٢٠ ٪ ، أعطى دايان النسبة ذاتها(٤٩). ورغم ذلك ، فان تسلط فكرة رئاسة الوزارة عليه ، لن تتوقف عند أي حد .

وفي أعقاب وفاة اشكول ، رفض دايان فصل نفسه من الحركة المحدودة التي بدات بجمع التواقيع للضغط من أجل تحويل بعض سلطات جولدا مائير اليه(٥٠). وبعد نقاشات طويلة وحادة ، اقتنع اخيرا بأن يقوم بواجباته تحت ظل رئيسة مجلس الوزراء .

والآن ، وقد قارب الستين من عمره ، أصبح ابعد من ذي قبل عـــن امكانية تحقيقه لطموحه . وان فشله هنا قد توج في النتيجة كل فشل سبقه . وبينما ينتظر دايان بفارغ الصبر تحقيق طموحه المستبد به ، لا يعود المرء يرى أمامه الشخصية المؤثرة لسياسة اسرائيل ، بل يرى شخصية تدعو الى الشفقة، شخصية رجل عادي، محاطا بالخرافات التي أصبح في النهاية يؤمن بها . رجل لا رفيق له ، حياته كلها كانت قوقعة كبيرة، ولكنها لا تحوي شيئا ، وكان يسمع بواسطتها أصوات البحر المختلفة ، دون أن يستمتع بدفء الامواج الحقيقي اطلاقا .

---

١ — *Moshe Dayan: a biography*, by N. Lau-Lavie. Vallentine, Mitchel & Co. Ltd., London, 1968, p. 15.

٢ — Alex M. Szedenik: *Anatomy of a Psycho*, The New International Library, Inc., 1964, p. 86.

٣ — *Ibid.*

٤ — *Ibid.*, p. 90.

٥ — N. Lau-Lavie. *op. cit.*, p. 20.

٦ — Uri Avnery: *Israel Without Zionists*, Collier-Macmillan Ltd., London, 1968, p. 128.

٧ — N. Lau-Lavie, *op. cit.*, p. 20.

٨ — *Ibid.*, p. 16.

٩ — *Ibid.*, p. 17.

١٠ — Uri Avnery, *op. cit.*, p. 129.

١١ — N. L. Lavie, *op. cit.*, pp. 18-19.

١٢ — *Ibid.*, p. 9.

١٣ — Uri Avnery, *op. cit.*, p. 130.

١٤ — R. J. Donavan: *Israel's Fight for Survival*, The New American Library, 1967, p. 153.

١٥ — Uri Avnery, *op. cit.*, p. 145.

١٦ — *Ibid.*, p. 132.

١٧ — Dayan, "The Man Behind the Eye-Patch", *The Sunday Telegraph*, 16 July 1972, p. 7.

١٨ — *Ibid.*

١٩ — *Ibid.*

٢٠ — كان الاخران يتسحاق ساديه ودافيد بن غوريون .

٢١ — *The Sunday Telegraph*, Loc. cit.

٢٢ — *Ibid.*

٢٣ — Edgar O'Ballance: *The Sinai Campaign*, 1956; Faber and Faber, London, 1959.

٢٤ — ٢٨ *Ibid.*

٢٩ — Uri Avnery, *op. cit.*, p. 140.

٣٠ — *Ibid.*, p. 143.

٣١ — R. I. Donavan: *op. cit.*, p. 153.

٣٢ — Uri Avnery., *op. cit.*, p. 143.

٣٣ — Uri Avnery, *Ibid.*, p. 145.

٣٤ — *Ibid.*, p. 146.

٣٥ — "Ups and Downs in Dayan's Defence Strategy", *The New Middle East*, March 1970.

٣٦ — Uri Avnery, *op. cit.*, p. 133.

٣٧ — "Israel's Coriolanuis" *New Statesman*, 29th August, 1969, p. 269.

٣٨ — *Ibid.*

٣٩ — Uri Avnery, *op. cit.*, pp. 142-143.

٤٠ — *Ibid.*

٤١ — *The Jewish Chronicle*, 22nd November, 1968.

٤٢ — *Ibid.*

٤٣ — See: *The Times*, February 13th, 1970.

٤٤ — See: *The Guardian*, April 9th, 1970.

٤٥ — *The Jewish Chronicle*, 10th, April, 1970.

٤٦ — *The Jewish Chronicle*, 15th, May, 1970.

٤٧ — Uri Avnery, *op. cit.*, p. 132.

٤٨ — *Ibid.*

٤٩ — *Ibid.*, p. 146.

٥٠ — See: *The Jewish Chronicle*, 21st March, 1969.

اليسار الاسرائيلي الجديد ((سيح))

عبد الحفيظ محارب

بعتبر اليسار الاسرائيلي الجديد المعروف باسم « سيح » أحدث التنظيمات اليسارية في اسرائيل ولا زال في طور النمو والتبلور ويناهز من العمر ثلاثة اعوام ونيف . والغرض من هذا المقال اعطاء صورة عن هذا الوليد الجديد الذي لا يزال يحبو في طريق ملأى بالتعرجات .

قبل التطرق الى ولادة « سيح » لا بد لنا من الوقوف قليلا حول الاعمال التي قام بهـا التنظيم الجديد لتكون مدخلا يتسنى لنا من خلاله استشفاف اتجاهاته ومبادئه ، فقد اتخذ نشاط سيح اشكـالا متعددة على الرغم مـن حداثة عمره ، ضد سياسة الحكومـة الاسرائيلية ، وصب في مجالات رئيسية ثلاثـة : (١) الوقوف بحزم ضد الاعمـال الاستيطانية التي تقوم بها سلطات الاحتلال في المناطق المحتلة، وتجلى ذلك في التظاهرات التي قادها أعضاء سيح أو اشتركوا بها ضد الاستيطان في كل من الخليل ومشارف رفح ضد « أعمال السلب والنهب » وأبرزها التظاهرة التي انطلقت من الجامعة العبرية في القدس وتوجهت نحو وزارة الاسكان احتجاجا على مشاريع الوزارة بشأن الضاحية اليهودية في الخليل . وكان الشيء اللافت للنظر في هذه التظاهرة النعش الذي رفعه المتظاهرون كرمز الى أحد احتمالات السلام التـي ماتت بسبب مشاريع الاستيطـان الاسرائيلية ، وأرادوا مواراته في التراب بالقرب من وزارة الاسكان ، الا أن قوات الامن تصدت للمسيرة « الجنائزية » واصطدمت مع المتظاهرين وكان من نتيجة ذلك ان سقط النعش على قارعة الطريق . اما اللافتات التي كان يحملها المتظاهرون فقد كتب عليها « غولدا مئير صقر او حمامة المهم ان تطير » « وزارة الاسكان تعد ضاحية للخليل — من يعد السلام ؟ » « مستوطنو الخليل اذهبوا الى النقب » (معاريف ٧٠/٦/٩) كما ونشط أعضاء سيح في توزيع المناشير المعادية للاستيطان في المناطق المحتلة ، وبلغ نشاطهم ذروته عندما أستطاعوا توزيع مناشير مناوئة للاستيطان في بيت الرئيس زلمان شازار حين استطاع عدد من الشبان التسلل بين الجموع التي أتت لتهنئة الرئيس ووزعوا المناشير الموقعة باسم سيح . (٢) شجب سياسة « لا مفر » و« لا مناص » التي درجت على اتباعها الحكومة الاسرائيلية ، والوقوف مع مبادرات السلام ، وقد تمثل ذلك في التظاهرة التي قادها اعضاء اليسار الاسرائيلي الجديد بالقرب من بيت رئيسة الحكومة غولدا مئير بسبب رفضها تخويل غولدمان بمقابلـة الرئيس عبدالناصر ، واصطدام المتظاهرين مع قوات الامن التي هرعت لحراسة المبنى . (٣) العمل من اجل الدعوة لاقامة كيان فلسطيني، وعبر سيح عن ذلك بشكل حاد في الخطة التي نشرت في منشورات وزعت في الجامعة العبرية في القدس دعت الطلبة للأشتراك في « احتفال » خاص : احتفال ينكس فيه علما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ليرفع مكانهما علما اسرائيل وفلسطين ، حيث كان من المقرر حسب الخطة ان يسير المتظاهرون وهم يحملون علمي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وفي ساعة محددة يقومون بشكل تظاهري بانزال

علمي « الدولتين الامبرياليتين » ليخفق مكانهما علما فلسطين واسرائيل فوق رؤوس المتظاهرين ! وقد أوضح رجال سيح الدافع لهذا « الاحتفال » بقولهم : « نحن المدافعون عن حق تقرير مصير الشعب الاسرائيلي ، وباسم هذا الحق ندافع عـــن حق الوجود لدولة اسرائيل ، ونطالب بمنح الشعب الفلسطيني حق تقرير المصير » (معاريف ١٨/ ٧٢/١١) . الا أن سلطات الجامعة قد تدخلت في موضوع المسيرة التظاهرية ، ونتيجة لذلك قرر رجال سيح بأكثرية الاصوات الاستجابة لطلب الجامعة بعـــدم رفع علمي اسرائيل وفلسطين . وكان آخر نشاط قام به سيح بالنسبة للكيان الفلسطيني القيام عند منتصف شهر اوكتوبر من عام ١٩٧٢ بتوزيع منشورات داخل المناطق المحتلة في منطقتي الخليل وطولكرم تدعو الى « اقامة دولة فلسطينية ذات سيادة » وترى في الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة شرطا أساسيا لتحقيق هذه الفكرة . وعبرت المناشير عن « التعاطف العميق مع الشعب الفلسطيني » وشجبت « السياسة العدوانية لحكومة اسرائيل في المناطق المحتلة » كما وتضمنت شجبا لمنظمة ايلول الاسود ولرابطة الدفاع اليهودية ! وقد اعتبرت سلطات الحكم العسكري ان المنشورات تنطوي على «تحريض» السكان العرب ولذا أقدمت على اعتقال سبعة من أفراد اليسار الاسرائيلي الجديد وتقديمهم للمحكمة بتهمة توزيع منشورات تحريض .

لقد تركز نشاط سيح في هذه المجالات الثلاثة ، فما هو هذا التنظيم الوليد ؟ وما هي الاسباب والعوامل التي وقفت وراء ولادته ؟

يعتبر سيح نتاجا طبيعيا للتبدلات التي طرأت على الخريطة السياسية في اسرائيل في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ . ولكي نقف على هذه التبدلات لا بد مـــن الاشارة الى التكتلات السياسية الفاعلة والتي تستحوذ على جزء كبير من الخريطة وهي كتلة التجمع العمالي وكتلة جاحال . كانت الكتلتان قد تأسستا في عام ١٩٦٥ ، الاولى نجمت مـــن تحالف حزب مباي الحاكم مع حزب احدوت هعفوداه في جبهة واحدة يطلق عليها اسم « المعراخ » (التجمع) كنواة قوية لوحدة الاحزاب « العمالية » والاخرى من تحالف حزبين يمينيين ، حزب الاحرار وحزب حيروت ، في كتلة واحدة يطلق عليها اسم «جاحال» (كتلة حيروت الاحرار) كنواة صلبـــة لوحدة الأحزاب اليمينية أمـــام تحالف الاحزاب العمالية . وقد وقفت هذه الكتلة على رأس المعارضة ولم يدر بخلد المطلعين على الحياة الحزبية في اسرائيل أو حتى رؤساء هاتين الكتلتين أن تلتقيا بعد عامين بسبب البون الشاسع في موقفهما والذي ولد بدوره عداء مستحكما لدرجة غدا فيها احتمال اللقـــاء معدوما . هذا مع العلم ان بن غوريون كان قد درج ، وهو على سدة الحكم ، على القول في أكثر من مناسبة انه يستحيل جلوس حزب مباي (الحاكم) في ائتلاف حكومـــي مع حزبين اثنين ، الاول الحزب الشيوعي الاسرائيلي والثاني حزب حيروت الذي يتزعمه مناحيم بيجن . بيد أن عام ١٩٦٧ وبالتحديد مرحلة « التريث » التي سبقت حرب حزيران وهي من أصعب الفترات التي مرت بها اسرائيل قد جعلت المحظور مباحا ، فقد تمخضت هذه الفترة عن تشكيل حكومة واسعة تعرف بـــ « حكومة الائتلاف القومي » شملت التكتلات العمالية المعراخ ورافي وحزب مبام وكتلة جاحال (حيروت الاحرار) والاحزاب الدينية . وكان من نتيجة تشكيل هذه الحكومة ان وضعت كتلة جاحال بصماتها على الخطوط السياسية العريضة لكتلة التجمع العمالي ، وبذا خطت هذه الكتلة خطوة نحو اليمين ، الا انها خشيت في الوقت نفسه من تصاعد نفوذ جاحال ، فأقدمت عند مطلع عام ١٩٦٨ على دمج الكتلتين اللتين يتشكل منهما التجمع العمالي (مباي وأحدوت هعفوداه) وكذلك قائمة رافي في حزب واحد يعرف بـــ « حزب العمل » ، وفي الوقت نفسه عملت على اقامة « تجمع » آخر بين حزب العمل الوليد وبين حزب مبام ، وفي عام ١٩٦٩ أسفرت الجهود المبذولة عن ولادة « التجمع » المرجو ، وبذلك خطا حزب مبام (يساري

النزعة صهيوني المنبت) خطوتين نحو اليمين للحاق بحزب العمل ، هذا الامر أحدث انشقاقا بين صفوفه تمثل في انسلاخ مجموعة من الحزب وقفت ضد التحول الذي طرأ في حزب مبام نحو اليمين ونحو الغرب في آن واحد ، وضد الاتجاهات الحكومية التي أضفت عليها كتلة جاحال مسحة من مبادئها المتطرفة ، في معالجة قضايا رئيسية مثل قضايا السلام والمجتمع والاقتصاد . وترأس هذه المجموعة التي تعرف بـ « تحالف اليسار الصهيوني الاشتراكي المستقل » يعقوب رفتين أحد أقطاب حزب مبام سابقا ، وتنظر مجموعة « تحالف اليسار » الى حرب حزيران ١٩٦٧ كحرب عدوانية من جانب اسرائيل وليست حربا دفاعية وتدعو الى حل النزاع العربي الاسرائيلي حسب قرار مجلس الامن ، كما وتعمل من أجل تحسين العلاقة مع الاتحاد السوفياتي اذ ترى في الدولة السوفياتية « قوة تعمل من اجل السلام في منطقتنا » . ويمكن القول ان مجموعة « تحالف اليسار » هي التكتل الصهيوني الوحيد في اسرائيل الذي لا يزال يحافظ على اقامة جسر بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي ، الا أن مواقف هذه المجموعة تتسم بالتذبذب والتأرجح ذلك انها باتباعها مواقف معارضة تجاه المؤسسة الحاكمة تعمل في الوقت نفسه من أجل المثل والاهداف الصهيونية حسب مفهومها هي للصهيونية .

الى جانب هذه المجموعة انسلخت مجموعة أخرى لم تر في البديل الذي طرحته مجموعة « تحالف اليسار » بديلا يستهويها ، ولذا أخذت تعمل من اجل **تنظيم خاص بها يحمل اسم « اليسار الاسرائيلي الجديد »** .

لم يقتصر التوجه نحو اليمين وما يترتب على ذلك من انشقاقات على حزب مبام فقط ، بل شمل ايضا الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » . ففي عام ١٩٦٥ حدث في الحزب الشيوعي الاسرائيلي انشقاق أدى الى انشطار الحزب الى حزبين ، الحزب الشيوعي الاسرائيلي ويعرف باسم « ماكي » والقائمة الشيوعية الجديدة وتعرف باسم « راكاح »، ولسنا هنا بصدد تحليل أسباب الانشقاق ، وانما نكتفي بالاشارة الى أن جناح « ماكي » (اكثريته الساحقة من اليهود) الذي تزعمه موشيه سنيه وشموئيل ميكونيس قد أخذ يسير سيرا حثيثا نحو اليمين ، بينما بقي جناح « راكاح » (الاغلبية عرب) الذي يتزعمه مئير فلنر وتوفيق طوبي محافظا على الخطوط الرئيسية للحزب ومواليا للاتحاد السوفياتي . وقد ازدادت الاتجاهات اليمينية والصهيونية في حزب ماكي بشكل قوي وبارز في أعقاب حرب حزيران ، حيث أثارت فيه نتائج الحرب الاحاسيس والمشاعر الصهيونية التي كانت مكبوتة حتى عام الانشقاق والتي أخذت تعبر عن نفسها بشكل جامح بعد الحرب ، متمثلة في مواقف الحزب من الحرب التي يعتبرها حربا « دفاعية » جاءت ضد « خطر الابادة » مع ان معظم القادة العسكريين الاسرائيليين يعترفون بأن اسرائيل لم تتعرض « لخطر الابادة » في حرب حزيران ، وفي مواقفه تجاه مصير المناطق المحتلة اذ يعتقد الحزب بضرورة عدم الانسحاب من المناطق المحتلة الا بتوقيع معاهدة سلام ، كما وان مسألة الانسحاب لا زالت مبهمة اذ يدعو جناح الاكثرية فيه باحداث تعديلات على الحدود لصالح اسرائيل بينما يكتفي جناح الاقلية باحداث تعديلات طفيفة عليها . اما بالنسبة للعلاقات مع الاتحاد السوفياتي فان الحزب لا يختلف في نظرته عن معظم الاحزاب الصهيونية فهو يدين الاتحاد السوفياتي لموقفه من الهجرة اليهودية كما يدينه « لغزوه تشيكوسلوفاكيا » .

كان من نتيجة الاتجاهات اليمينية للحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » ان أخذت العناصر التي تشكل الجناح اليساري للحزب تنسلخ عنه بسبب عجزها عن التصدي لقيادة اليمين القوية ، ولم تجد هذه العناصر المنسلخة قوة سياسية شبيهة بأوضاعها وظروفها وقريبة من أفكارها ومنطلقاتها الا المجموعة التي انشقت عن حزب مبام ، خاصة وان الاتجاهات اليمينية التي أخذت تنمو في الحزبين « ماكي » و« مبام » حدثت

في الفترة نفسها تقريبا ، ولذا اقدمت هذه المجموعة المنسلخة وعملت مع زميلتها مجموعة مبام المنشقة **على تاسيس اليسار الاسرائيلي الجديد** .

الى جانب هاتين الفئتين هنالك فئة ثالثة تختلف ظروفها وأوضاعها عن ظروف وأوضاع الفئتين السابقتين ، عملت على جبل لبنة اليسار الاسرائيلي الجديد ، وقد ظهرت هذه الفئة بين أوساط الشبيبة المثقفة اليسارية غير المنتمية الى حزب أو تنظيم معين ، وعاشت في أعقاب حرب حزيران في حالة أقرب ما تكون الى حالة التخبط والتمزق لانها لم تجد التنظيم الملائم والمنسجم مع أفكارها ، خاصة وان نتائج حرب حزيران قد دفعت الاحزاب الصهيونية اليسارية نحو اليمين ، ولم يبق في الساحة الا الاحزاب او التنظيمات اليسارية المناوئة للصهيونية مثل القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية متسبين ، ولم يجد هؤلاء الشباب في هذين التنظيمين ما يلائم أفكارهم ومعتقداتهم اليسارية الممهورة بالصهيونية ، وينتمي هؤلاء الشباب الى فئة الطلبة والى ابناء الطبقتين الوسطى والعليا .

كان من نتيجة هذه التبدلات والتطورات التي استجدت على الخريطة السياسية في اسرائيل ان تشكل اليسار الاسرائيلي الجديد من ثلاث مجموعات رئيسية : (١) المنشقون عن حزب مبام ، (٢) المنشقون عن الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، (٣) المثقفون اليساريون من غير المنتمين الى أي تنظيم معين .

هنالك أسباب ودوافع أخرى بالاضافة الى المد اليميني الذي اعترى حزبي مبام وماكي ، أدت الى ولادة اليسار الاسرائيلي الجديد ، من أهمها :

١ ــ بروز هيئات يمينية جديدة متطرفة في اعقاب حرب حزيران وعلى راسها « جماعة ارض اسرائيل الكاملة » التي أخذ أفرادها ينشطون في الترويج لافكار هذه الجماعة ، الامر الذي ادى في كثير من الاحيان الى اصطدامهم مع مجموعات يسارية غير منظمة وخاصة بين جدران الجامعة ، مما دفع الطلبة ذوي الميول اليسارية الى التفكير في تكوين تنظيم يقف في وجه تلك الهيئات .

٢ ــ التبدلات التي طرات على الكيبوتسات : والحقيقة ان هذه التبدلات ليست وليدة ظرف زمني محدد أو حادث معين ، بل حدثت تدريجيا وعلى امتداد فترة طويلة لاسباب عدة ليس هنا مجال البحث عنها ، وغدت أقرب الى المؤسسة البرجوازية الصغيرة منها الى المؤسسة الاشتراكية الجماعية ، كما وأخذت تفقد كثيرا من قيمها ، وتبتعد عن التفاعل السياسي مع سكان المدن والقرى وتتخذ في كثير من الاحيان موقفا سلبيا غير مبال تجاه القضايا الرئيسية التي تشغل بال الفئات اليسارية ، مثل قضايا الاضرابات العمالية والهوة الاجتماعية خاصة وان أبناء الكيبوتس يعيشون حياة جماعية . ومن المفترض أن تكون أوضاع العمال خارج الكيبوتس تشغل اهتماماتهم ، بيد ان هذا النوع من الاهتمام يكاد يكون غير وارد ، الامر الذي دفع بعض الشباب في الكيبوتس وخاصة في هكيبوتس هارتسي (الكيبوتس القطري) التابع لحزب مبام الى التمرد على هذا الواقع والدخول في معترك الحياة السياسية من خلال تنظيم جديد .

٣ ــ ظهور عناصر من الشباب اليهود المهاجرين من دول أمريكا اللاتينية داخل الكيبوتس القطري ، مما كان له تأثير كبير على شبيبة الكيبوتس ، وجعلت الكثيرين يخرجون عن الحياة السياسية الرتيبة ، خاصة وان هذه العناصر كانت قد عايشت في بلدانها الاصلية مختلف التيارات اليسارية النشيطة .

٤ ــ اليسار الجديد في العالم : كان من نتيجة ظهور حركة اليسار الجديد في العالم وتزعم عناصر يهودية في كثير من البلدان له ، ان بدأ قسم كبير من الشباب يتابعون أخباره وقلة يسارية تحاول تقليده .

لهذه الاسباب والعوامل مجتمعة برز « اليسار الاسرائيلي الجديد » بيد انه يختلف عن معظم اجنحة اليسار الجديد في العالم وان كان شريكا لها في الاسم .

تختلف ظروف ونشأة اليسار الجديد في أوروبا وأميركا عن ظروف ونشأة اليسار الاسرائيلي الجديد ، فقد نشأ الاول هناك في أواسط الستينات كحركة تمرد ثقافي وأخلاقي ضد مجتمع الاستهلاك وضد الاستعمار الجديد في الغرب وضد ما يسمى بـ « نظام البيروقراطية الشيوعية » في الشرق ، معتقدا ان اليسار التقليدي بأشكاله وأنماطه المختلفة ، سواء الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي تساير الرأسمالية أو الاحزاب الشيوعية المؤيدة للاتحاد السوفياتي ، قد فشلت في خلق المجتمع الاشتراكي الانساني الجديد ، وأخذ يبلور نظريات جديدة ويتخذ على ضوئها مواقف معينة . وقد وقف اليسار الاسرائيلي الجديد الذي تختلف ظروفه ونشأته ، الى جانب معظم مواقف اليسار الجديد التي ليست لها علاقة بالنزاع العربي الاسرائيلي أو بالصهيونية ، محتفظا لنفسه بمواقف خاصة تجاه الموضوعات ذات الصلة باسرائيل . وتجدر الاشارة هنا الى ان مواقف معظم أجنحة اليسار الجديد وخاصة الاجنحة الاوروبية، تدين الصهيونية وتشجب الكيان الاسرائيلي بشدة وتعتبر حرب حزيران حربا عدوانية شنتها اسرائيل ، وتعتبر نضال الشعب الفلسطيني نضالا عادلا . ويمكن استشفاف موقف أجنحة اليسار الجديد في أوروبا تجاه اسرائيل من الندوة التي عقدها في باريس أكثر من مئة طالب يهودي من السويد وهولندا وبلجيكا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا التي استغرقت أربعة أيام ، وحضرها عن الجانب الاسرائيلي الدكتور شلومو افنيري عن قسم العلوم السياسية في الجامعة العبرية والدكتور يرمياهو يوفال محاضر في الفلسفة والدكتور موشيه سنيه عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الاسرائيلي ، وقد كانت الهوة سحيقة ، وتمثلت وجهة نظر تلك الاجنحة اليسارية كما أوردها الكاتب الاسرائيلي عاموس كينان (في صحيفة يديعوت احرونوت ١٩/٣/٦٩) بأن « الصهيونية هي حركة استعمارية ... ساعدتها وتساعدها الامبريالية ، وهي أداة تستخدم لدحر حركة التحرير في الشرق الاوسط . ان دولة اسرائيل هي جسم غريب في المنطقة وليس لها حق القيام . أنها دولة دينية عنصرية مفتوحة لليهود فقط . لقد جعلت الصهيونية الفلاحين العرب طبقة عمالية تفتقر الى كل شيء ، وقد طرد قادة اليسار الصهيوني العرب من أماكن عملهم . يجب أن تنهار دولة اسرائيل الصهيونية لتحل مكانها دولة علمانية ديمقراطية لابناء جميع الاديان ، ويجب وقف الهجرة . ان اسرائيل هي دولة نازية فاشستية ، انها ليست حقيقة وانها جسم مصطنع للامبريالية وسوف تتلاشى يوم تنتصر الشعوب العربية » .

بيد ان اليسار الجديد في العالم قد كانت له مساهمة في صنع الاسم لليسار الاسرائيلي الجديد . كان أول من اقترح اسم التنظيم الوليد « يوسي اميتاي » عضو كيبوتس والمحرر السابق لمجلة حوتام الناطقة باسم شبيبة مبام والكيبوس القطري ، تمشيا مع موجة اليسار الجديد في العالم وتعاطفا مع المواقف والافكار التي يطرحها تجاه القضايا . ومن الجدير بالذكر هنا ان اسم التنظيم الذي أصبح يعرف بـ « سيح » اختصارا للكلمات العبرية الثلاث التي تعني « اليسار الاسرائيلي الجديد » قد صادف وجاء في فترة كان فيها كتاب « سيح لوحميم » (حديث المقاتلين) الذي صدر بعد حرب حزيران من قبل مجموعة شباب من الكيبوتس ، قد لاقى رواجا في اسرائيل واستحسانا من قبل كثير من عناصر الكيبوتس وبعض الفئات اليسارية ، بسبب جرأته النسبية في معالجة الجوانب النفسية لافراد اشتركوا في الحرب وابراز رؤيا هؤلاء في قالب يتناقض في كثير من الاحيان مع الحركة الصهيونية ، وبما ان الكلمة الاولى من عنوان الكتاب « سيح » وتعني (حديث) تطابق سماعيا اسم التنظيم مختصرا من الكلمات الثلاث ، فقد رأى فيها مؤسسو اليسار الاسرائيلي الجديد شحنة قوية تضفي على مجموعتهم روحا خاصة .

ليس هنالك معلومات دقيقة عن العدد الرسمي لاعضاء « سيح » الا انه من المعروف انه ولد على أيدي ١٢ شخصا في جامعة تل ابيب معظمهم من اعضاء الكيبوتس القطري، ثم أخذ يتطور من خلال اللقاءات والندوات داخل الجامعة وخارجها وخاصة في الكيبوتسات التابعة لحزب مبام ، حيث اصبح عدد النشيطين داخل سيح ما يقارب الـ ٦٠٠ شخص معظمهم من فئة الطلبة وعناصر الكيبوتس ، وحول هؤلاء يقف عدد اكبر من المؤيدين .

كانت القضية الاولى التي واجهت اعضاء سيح (اكثريتهم من حزب مبام والكيبوتس القطري) اصطدامهم بحزب مبام اولا وبالكيبوتس القطري التابعين له ، ولم تكن مشكلتهم مع الحزب شديدة مثل مشكلتهم مع الكيبوتس القطري مع ان المشكلتين تكادان تكونان وجهين لعملة واحدة ، فالمشكلة مع مبام تتمثل في انسلاخ مجموعة منه ، اما المشكلة مع الكيبوتس القطري وهي مشكلة بجوهرها مع حزب مبام ، فتتمثل في بقاء المجموعة المنسلخة منتمية اليه . ومن الجدير بالذكر هنا ان الانتماء الى الكيبوتس القطري التابع لحزب مبام لا يعني بالضرورة الانتماء الى حزب مبام بل يشترط في المنتمي ان يسير وفق المبادىء العامة للكيبوتس وان يكون مخلصا لـ «للصهيونية والاشتراكية» وبما ان المجموعة المنسلخة بقيت مخلصة لهذه المبادىء ولكن بمفهومها الخاص ، فقد كان من العسير على حزب مبام اتخاذ قرار حاسم بطردها من الكيبوتس ، خاصة وانها قد استطاعت ان تجمع حولها عددا من المؤيدين من رجال الكيبوتسات يتراوح بين ١٠٠٠ — ١٥٠٠ شخص وان تشكل اكثرية في احد الكيبوتسات . وقد ازدادت حدة المشكلة بين حزب مبام وسيح عندما اخذ اعضاء سيح ينشطون في القيام بتظاهرات ضد الاستيطان في الخليل بتمويل من الكيبوتس القطري ، ومما زاد من حدة المشكلة وحراجة الموقف وجود حزب مبام في التجمع العمالي الحاكم المنفذ لسياسة الاستيطان في المناطق المحتلة، الامر الذي دفع حزب مبام الى القيام بمحاولات اقناع رجال سيح بالكف عن نشاطهم وذلك من خلال سلسلة من الاجتماعات عقدتها اللجنة التنفيذية التابعة للكيبوتس القطري ، حيث عرض اقتراح يدعو الى حظر النشاط السياسي في الكيبوتس القطري باستثناء نشاط حزب مبام (معاريف ٧٢/٤/١٤) الا ان هذه المحاولات لم تفلح ، مما حدا بمبام الى اتخاذ موقف اشد أعرب عن نفسه في الكلمة التي اتهم فيها احد قادة حزب مبام يعقوب حزاني اليسار الاسرائيلي الجديد بـ « الخيانة القومية » حين قال في مجلس الكيبوتس القطري في « جبعات حبيباه » « ان كل من ذهب للتظاهر ضد الاستيطان في الخليل ، في المنطقة التي يسيطر عليها الجيش الاسرائيلي هو خائن قومي » (دافار ٧٠/٥/٧) . ونتيجة لموقف مبام المتشدد ، وتحاشيا لوقوع صدام أوسع ، ورغبة في المحافظة على علاقته مع الكيبوتس القطري ، اخذ سيح ينقل مركز ثقل نشاطاته من الكيبوتسات الى المدن ، حيث كف أعضاء التنظيم الجديد عن النشاط في البيئة التي نشأوا فيها واخذوا يعقدون اجتماعاتهم في المدن ، وبذلك دفع سيح ثمن انتماء قسم من اعضائه للكيبوتس ، تقليص نشاطه هناك ، ونجح في خلق « دوائر » له في مدن تل أبيب والقدس وحيفا والخضيرة وبئر السبع ، كما نجح في تشكيل بعض « الدوائر » بين أوساط الطلبة الثانويين .

نعود الآن الى الشخصيات التي تقف على رأس التنظيم والتي تتحدر من ثلاثة تيارات اساسية : (١) اعضاء مبام سابقا وعلى راسهم ران كوهين ويوسي اميتاي (رئيس التحرير السابق لمجلة حوتام) واريه برونشتاين ، وهم اعضاء في الكيبوتس القطري ، (٢) أعضاء « ماكي » سابقا وعلى راسهم داني بيتر عضو اللجنة المركزية للحزب سابقا ورؤوبين كامينار سكرتير الحزب الشيوعي في منطقة القدس ، (٣) الاعضاء غير المنتمين الى احزب في السابق وعلى راسهم يوسي ارنون وهو في أوائل العشرينات من

عمره وابن المدير العام السابق لوزارة المالية ، وقد كون مع البعض من اعضاء تنظيمات اخرى ما يعرف بـ « حركة ٢ مايو » (للاستزادة حول زعامة سيح انظر هآرتس ١٠/٨/٧٠ وحول « حركة ٢ مايو » انظر متسبين عدد ٦٤ مايو ـ يونيو ، ١٩٧٢) .

لم يتبن سيح حتى الان برنامجا سياسيا واضح المعالم نتيجة التركيبة المختلفة لزعامته وعناصره ، الا أنه يلتف حول خطوط سياسية رئيسية فضفاضة دون الخوض في تفاصيل تلك الخطوط حرصا على وحدة التنظيم . وتتلخص الخطوط العامة المتفق عليها من قبل الاعضاء في الامور التالية كما صاغها أحد قادة اليسار الاسرائيلي الجديد داني بيتر في ملحق دافار ٧٢/٦/٢ :

١ ـ الوقوف ضد ضم المناطق المحتلة ، واعتبار خطوط الرابع من يونيو اساسا لمفاوضات سلام ، مع امكانية اجراء تعديلات طفيفة معينة على الحدود ، « ان حلا مفروضا ويتمشى وفق هذه الخطوط لا يعتبر مفروضا علي » . ٢ ـ ينبغي ان يعتمد السلام الاسرائيلي العربي على السلام مع الفلسطينيين ، وعلى اساس معاد للامبريالية . ٣ ـ الوقوف مع « المسحوقين » ضد مستغليهم ، ففي كل صدام حول توزيع الدخل القومي يقف سيح الى جانب المسحوقين سواء كانوا على شكل « فهود سود » او عمال مضربين او ازواج شباب يسعون للحصول على منازل سكن .
٤ ـ الاتفاق على كيان دولة اسرائيل كدولة يهودية ذات سيادة ، وبأكثرية يهودية .
٥ ـ يسعى سيح الى اقامة مجتمع اشتراكي في اسرائيل .

من الملاحظ ان « هذه الخطوط المتفق عليها » من قبل اعضاء سيح تتسم بالغموض وفي بعض الاحيان بالتناقض وذلك ناجم عن اختلاف مشارب واهواء التيارات التي يتشكل منها سيح الامر الذي ادى الى ظهور خلافات في الرأي حول القضايا الرئيسية المطروحة ، وادى بالتالي الى ولادة مجموعتين متميزتين ضمن التنظيم الواحد، الاولى مجموعة القدس والثانية مجموعة تل ابيب . تتخذ المجموعة الاولى مقرا لها الجامعة العبرية والثانية جامعة تل ابيب ، وتنشطان كل على حدة في عقد الاجتماعات والندوات وتوزيع المنشورات ، حيث تعقد كل منهما على حدة اجتماعا اسبوعيا ، تتداولان فيه القضايا السياسية والفكرية واعداد جدول اعمال كل مجموعة للاجتماع القادم . وتحرص المجموعتان على عقد مؤتمر عام (مؤتمران حتى الان) يضم جميع فروع التنظيم لمناقشة المسائل المطروحة ، الا انهما تصدران مناشير وبيانات خاصة باسم كل مجموعة اذا كانت هنالك خلافات في وجهات النظر تجاه قضية معينة ، وعلى سبيل المثال قضية اجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية حيث اصدرت مجموعة القدس بيانا ضد الانتخابات « المفروضة » وشجبت فيه السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، بينما لم توقع مجموعة تل ابيب عليه . ويمكن تلخيص الخلاف في وجهات النظر بين المجموعتين بالامور التالية :

١ ـ **فلسطين وطن لمن ؟** : تعتبر مجموعة القدس ان فلسطين هي « وطن الشعب اليهودي الذي **يسكن بها** » ووطن الشعب العربي الفلسطيني ، بينما تعتبر مجموعة تل ابيب ان فلسطين هي وطن « للشعب اليهودي » والشعب العربي الفلسطيني . ان الخلاف لا يدور حول حق الشعب الفلسطيني في فلسطين ، بل حول حق **اليهود** في فلسطين ، فمجموعة القدس تقتصر هذا الحق على اليهود سكان فلسطين ، بينما تعممه مجموعة تل ابيب على يهود العالم اجمع وتتحدث في بياناتها ومناشيرها حول « اليهود والفلسطينيين » أو الشعب اليهودي والشعب الفلسطيني ، بينما تتحدث بيانات ومنشورات مجموعة القدس حول الاعتراف المتبادل بحقوق « الشعبين » في محاولة لعدم ذكر الشعب اليهودي .

٢ ــ **حدود الوطن الفلسطيني** : تعتقد الاكثرية في مجموعة تل ابيب ان اعتراف اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره داخل فلسطين الى جانب دولة اسرائيل ينبغي ان يعتمد على حدود الرابع من يونيو ، اما مجموعة القدس فمع انها تدعو الى اعتراف اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره فوق ارضه فانها لا تضع شرطا بأن تكون حدود الرابع من يونيو هي الحدود بين الدولة الفلسطينية بعد تقرير المصير ودولة اسرائيل .

٣ ــ **خوض الانتخابات البرلمانية** : من اخطر القضايا التي يواجهها سيح والتي من المحتمل ان تقطع اوصال الخيوط الواهية التي لا زالت تحافظ على وحدة التنظيم ، قضية دخول او عدم دخول الانتخابات المقبلة للكنيست الاسرائيلية . فبينما نجد اجماعا لدى مجموعة القدس ضد دخول سيح للانتخابات لانه « ليس هنالك مطامح انتخابية لسيح ، كما وانه لا يعتبر نفسه اساسا لقائمة في الانتخابات القادمة للكنيست وليس جزءا من اية قائمة » (هآرتس ٧٢/١٠/٢) ، نجد ان قسما من مجموعة تل ابيب تدعو الى ضرورة خوض المعركة الانتخابية تحت لواء سيح .

ننتقل الان الى الفروق الاساسية القائمة بين سيح وبين تنظيمات يسارية اسرائيلية تقف في جانب المعارضة للمؤسسة الحاكمة، وذلك كي يتسنى لنا القاء مزيد من الضوء على سيح والوقوف على مبرر وجوده بين تلك التنظيمات . ان الفرق الاساسي بين المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « متسبين » وبين سيح يتمثل في الفهم الذي يطرحه كل طرف للصراع العربي الاسرائيلي ، ففي حين ترى متسبين ان الحركة الصهيونية والمؤسسات المتفرعة عنها هي السبب الحقيقي للصراع وان الحل يتمثل في توجيه النضال ضد الصهيونية ومؤسساتها واسقاطها وذلك من خلال حركة تغيير جذرية اشتراكية تشمل « المشرق العربي » لتقيم فيه دولة اشتراكية بما في ذلك فلسطين ، حيث ينتفي في هذه الدولة استغلال الانسان للانسان ويكون فيها مكان « للاقليات القومية » نجد سيح يشدد على ان الحل يكمن في ايجاد حل بين اسرائيل والدول العربية يعتمد اساسا على السلام مع الفلسطينيين وعلى « حلّ معاد للامبريالية » مع المحافظة على الكيان الاسرائيلي والاكثرية اليهودية فيه . اما الفرق بين سيح و « تحالف اليسار الصهيوني الاشتراكي المستقل » الذي ولد ايضا في اعقاب انضمام مبام للتجمع العمالي فيتمثل في نظرة كل فريق الى الاتحاد السوفييتي ، ففي حين يرى « تحالف اليسار » في الاتحاد السوفييتي دولة لها مركزها الطليعي في العالم الاشتراكي ، ويعتبر سياستها في الشرق الاوسط ، سياسة بناءة وايجابية ، نجد ان سيح ينطلق من منظور آخر يصل به الى حد مماثلة وتشبيه السياسة السوفيتية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي بالسياسة التي تتبعها الولايات المتحدة ، ذلك لانها حسب مفهوم سيح « تسعى الى مصالحها الدولية وليس الى مصلحة شعوب الشرق الاوسط » وقد عبر هذا الموقف عن نفسه في محاولة انزال العلمين الاميركي والسوفييتي خلال التظاهرة الطلابية ورفع العلمين الاسرائيلي والفلسطيني مكانهما . كما ويختلف سيح عن تحالف اليسار في النظرة تجاه حرب حزيران ، ففي حين يعتبر تحالف اليسار حرب حزيران بمثابة حرب عدوانية من جانب اسرائيل وليست حربا دفاعية، نجد ان الاكثرية في سيح تعارض هذه النظرة وتقف حائرة امام عملية الحسم في اعتبارها حربا دفاعية او حربا عدوانية . وكذلك الامر يقال بالنسبة للفروق الاساسية بين القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » وسيح ، حيث تقف راكاح مؤيدة للسياسة السوفييتية وتعتبر حرب حزيران حربا عدوانية من جانب اسرائيل ، كما وتمتاز عن سيح وتحالف اليسار بالنظرة المعادية للصهيونية .

ان هذه الفروق بين سيح ومجموعة الاحزاب اليسارية تكاد تكون الفروق نفسها بين الحزب الشيوعي الاسرائيلي ماكي وبين تلك المجموعات ، فما هي الفروق الاساسية

بين سيح والحزب الشيوعي الاسرائيلي ؟ يمكن استشفاف الفرق من الرسالة التي وجهها الحزب الشيوعي الاسرائيلي الى سيح بشأن شعارات التظاهرة المشتركة المقترحة ، بمناسبة عيد العمال في الاول من شهر مايو ١٩٧١ . وقد لخصت المذكرة شعارات « الحد الادنى » كما اوردتها صحيفة كول هعام ٧١/٤/٢٨ . بالشعارات التالية :

« ١ ـ حرب الايام الستة حرب دفاعية عادلة من جانب اسرائيل . ٢ ـ من اجل اشتراكية انسانية . فليسقط احتلال تشيكوسلوفاكيا . ٣ ـ ليمنح حق الهجرة لكل راغب في ذلك من يهود الاتحاد السوفييتي . ٤ ـ لا لتهديدات الحرب التي يطلقها الحكام العرب ! نعم لحل الصراع عن طريق اتفاق متبادل . ٥ ـ حركة ارض اسرائيل الكاملة ـ خطر على السلام والامن » .

وجاء رد سيح كالتالي : « ليس من جانبنا مانع يحول دون قبول شعارين من مجموعة الشعارات الخمسة التي وردت في رسالتكم : ٥ ـ حركة أرض اسرائيل الكاملة ـ خطر على السلام والامن . ٣ ـ ليمنح حق الهجرة لكل راغب في ذلك من يهود الاتحاد السوفييتي ـ ليس هنالك فرق بين هذا الشعار وبين الشعار الذي اجمعنا عليه ، هجرة يهود الاتحاد السوفييتي حق وليس احسانا » . ٢ ـ « فيما يتعلق بهذا الشعار نقر بان موقفنا تجاه هذا الموضوع يتطابق تماما مع موقفكم ، ولكن رغبة منا في التوصل الى تعاون أوسع بقدر المستطاع في التظاهرة توصلنا الى تسوية معينة مع تحالف اليسار تشمل الشعارين التاليين « لا اشتراكية بدون حرية الانسان ! من أجل الحرية والاستقلال لتشيكوسلوفاكيا الاشتراكية » . ٤ « بالنسبة لاقتراحكم حول هذا الشعار، اننا على استعداد لقبوله شريطة أن يرافقه شعار آخر بهذا الشكل : لا لسياسة الضم الحكومية المؤدية الى الحرب ! لا للتهديدات الحربية التي يطلقها الحكام العرب ! نعم لحل النزاع عن طريق اتفاق متبادل » . ١ ـ « كما اعلنا لكم ، لم تجر داخل سيح نقاشات نهائية حول حرب الايام الستة ، هذا مع الاخذ بعين الاعتبار انكم قد توصلتم انتم وتحالف اليسار الى نقاشات نهائية واضحة ، وقد قدمنا اقتراحا وسطا صيغته كالتالي : « حرب الايام الستة ليست حربا عدوانية وليست من اجل الاحتلال » .

وقد اعتبر الحزب الشيوعي الاسرائيلي رد سيح سلبيا ، وبعث برسالة جوابية عبر فيها عن أسفه لتفضيل سيح التعاون مع تحالف اليسار « الذي لا يرى في حرب الايام الستة حربا دفاعية عادلة ، ووقف الى جانب احتلال تشيكوسلوفاكيا » .

يمكن الاستنتاج من هاتين الرسالتين ان الفرق الاساسي بين سيح والحزب الشيوعي الاسرائيلي يدور حول مسألتين (١) المناطق المحتلة (٢) طبيعة حرب حزيران ، فبالنسبة للمناطق المحتلة يشدد سيح اكثر من الحزب الشيوعي الاسرائيلي على ضرورة عدم خلق وقائع جديدة في هذه المناطق لاعتقاده بانها تحول دون السلام ، وفيما يتعلق بطبيعة حرب حزيران التي يعتبرها الحزب الشيوعي الاسرائيلي حربا دفاعية يقف سيح حائرا تجاه الموضوع دون اتخاذ موقف معين ، مع أنه يشدد على اعتبار السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة « سياسة عدوانية » .

من الملاحظ ان مبادىء اليسار الاسرائيلي الجديد ومواقفه تتسم بالشمول والغموض وفي بعض الاحيان بالتناقض ، والحقيقة ان هذا الامر لا يقتصر على سيح وانما يشمل التيارات الاسرائيلية اليسارية الاخرى غير المناوئة للصهيونية وكذلك المناوئة للصهيونية التي تقبل في الوقت نفسه الكيان الاسرائيلي بالرغم من انه يشكل تعبيرا حادا عن الصهيونية . والمنظمة اليسارية الوحيدة التي نجت من ذلك هي منظمة متسبين . والسؤال هو اين يقف اليسار الاسرائيلي من الصهيونية ؟ يمكن القول ان الاكثرية في

سيح تتعاطف ايديولوجيا مع الصهيونية مع محاولة القيام باضفاء مسحة انسانية عليها، كما وتدعو الى الحفاظ على الكيان الاسرائيلي مع المحافظة على اكثرية يهودية داخل هذا الكيان . ومع ذلك فهنالك اقلية تعيش تحت تأنيب الضمير وتشجب الصهيونية مثل داني بيتر احد قادة سيح الذي اعتبر عمل الصهيونية في عام ١٩٤٨ بمثابة سرقة رغيف الخبز في حالة الجوع وتوسع اسرائيل في عام ١٩٦٧ بمثابة سرقة الكعكة في حالة الشبع كما جاء على لسانه في حديث له حول انطباعاته عن خدمته العسكرية في المناطق المحتلة: « لقد كنت في الجيش ضابطا في الشرطة العسكرية .. وخدمت ايضا في المناطق .. وبعد ان شاهدت ما شاهدته هناك شعرت بانني لا اريد ان اكون محتلا وانني غريب عن المجتمع وعن قيمه ... ان الفرق بين المناطق التي احتلت في عام ١٩٤٨ والمناطق التي احتلت في عام ١٩٦٧ هو كالفرق بين من يسرق رغيف خبز وهو جوعان وبين من يسرق كعكة وهو شبعان » (ملحق دافار ٢/٦/٧٢) وهنالك من يشجبها حاضرا ويمتدح دورها « كحركة تحرر قومي » ماضيا مثل يوسي ارنون « انني اعتبر الصهيونية كحاجز يحول دون اي تطور ثوري في اسرائيل . انني ارى ضرورة في تدمير الاسلوب القائم المبني على الاستغلال والاضطهاد والاحتلال ودكتاتورية البرجوازية .. » وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية يعتقد ارنون « ان لكل انسان الحق في الهجرة الى اي مكان يريد ، بيد انني اتعاطف مع العربي من الناصرة اكثر مما اتعاطف مع اليهودي في الاتحاد السوفييتي . انني اعتقد بان دور الصهيونية كحركة تحرر قومي قد انتهى في عام ١٩٤٨ . ان الصهيونية والاشتراكية هما اليوم مفهومان لا ينسجمان مع بعضهما البعض » (المصدر نفسه) . ولكن هل كانت الصهيونية في يوم من الايام تنسجم مع الاشتراكية ؟ هل كانت بمثابة تحرر وطني انتهى دورها ؟ ان الاجابة على ذلك بالنفي تعني التمرد على مبادىء ومواقف سيح الفضفاضة والخروج من بين صفوفه ، كما حدث لاحد افراد سيح دوف جال الذي تجاوز المحظور واعتبر الصهيونية ماضيا وحاضرا بأنها « جلبت كافة المآسي في منطقتنا » وانها « لم تأت لحل المسألة اليهودية » واختار طريقا في نضاله يتمثل في رفضه للخدمة العسكرية في الجيش الاسرائيلي الذي يعتبر الاداة القوية لتنفيذ مخططات الصهيونية (للاستزادة انظر ص ١٤٦ من مقالة « المتمردون على الخدمة العسكرية في اسرائيل » شؤون فلسطينية عدد ١٦) .

الاوضاع الراهنة لليهود السوريين

أسامة الغزي

نظرة عامة : احتلت قضية الاقليات الدينية حيزا هاما في تاريخ الاقطار العربية الحديث، وكان لها ، في كثير من الاحيان ، آثار سلبية على مجرى النضال العربي من اجل التحرر والاستقلال . وبالرغم من أن منشأ هذه الظاهرة ، يعود الى أسباب موضوعية في تلك المرحلة فان القوى الاستعمارية قد عمدت دوما الى استغلالها واستثمارها بتغذية جذورها وتعميق وجودها في المجتمعات العربية . وتدخل قضية الاقلية الدينية اليهودية في البلاد العربية ، وخاصة في المشرق العربي ، ضمن هذا الاطار العام ، بالرغم من بعض الفوارق الهامة التي تميز اوضاع هذه الطائفة .

وفي هذه الدراسة سنتناول الاوضاع الراهنة لابناء الطائفة اليهودية من مواطني الجمهورية العربية السورية ، في محاولة ، هي الاولى في هذا المجال ، للتعرف على هذه الاوضاع بكافة جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية(١) .

وقد دفع الى القيام فيها عاملان اساسيان : العامل الاول ، هو محاولة استكشاف جانب من جوانب المجتمع السوري كثيرا ما اتسم بالغموض ، او انتشرت حوله بعض الاوهام ، خاصة وأن هذا الغموض لم يكن مقصودا بل كان نتيجة للنقص العام في الدراسات الموضوعية العلمية حول كثير من جوانب الحياة في سوريا ، والجانب الاقتصادي منها على وجه الخصوص ، ولما كانت الطائفة اليهودية ، طائفة ذات فعالية اقتصادية بالدرجة الاولى ، فان النقص في هذا الميدان قد انعكس عليها بدرجة أكبر . ثم ان الدراسات المتوافرة حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سوريا ، على ندرتها ، لم تتناول حياة اليهود السوريين (كجماعة مستقلة) لعدم وجود ما يبرر مثل هذا التخصيص . ومن هذه الزاوية واجهت الدراسة مشكلة هامة ، هي مشكلة المصادر ، فكان لا بد من الاعتماد على طريقة « البحث الميداني » في التقصي والملاحظة المباشرة لكافة المعلومات الواردة فيها .

اما العامل الثاني ، الذي دفع الى القيام بهذه الدراسة ، فهو النشاط الاعلامي المنظم الذي تقوم به اسرائيل ، والاجهزة الصهيونية المنتشرة في انحاء العالم ، حول أوضاع يهود البلاد العربية ، والذي اتخذ بالنسبة لسوريا شكل حملة منظمة ذات أهداف سياسية وعسكرية . ومن هنا تأتي أهمية المعلومات الواردة في هذه الدراسة ، اذ أنها تشكل دحضا واضحا على كثير من الادعاءات التي نشرتها اجهزة الدعاية الصهيونية حول اوضاع الطائفة اليهودية في سوريا ، في معرض تنظيمها لهذه الحملة في السنوات الاخيرة . ومن أجل فهم الاوضاع الراهنة لليهود السوريين ، لا بد من اخذ التطورات الهامة التي طرأت على هذه الاوضاع خلال ربع القرن الاخير ، في كافة المجالات البشرية والسياسية والاقتصادية ، والتي كانت بدورها جزءا من التطورات العامة التي طرأت على مجمل المنطقة العربية خلال الحقبة التاريخية نفسها .

لمحة تاريخية : : شكل اليهود منذ القديم جزءا هاما من المجتمع السوري ، وعلى وجه التحديد مجتمع المدن التجارية الكبرى ، مثل دمشق وحلب ، وقد لعبوا دوما دورا ملحوظا في الحياة الاقتصادية للبلاد ، وخاصة في مجالي التجارة الخارجية والعمل الحرفي . وما يزال هذا الدور ماثلا حتى اليوم ، مع الاخذ بعين الاعتبار ، التفاوت في الحجم والتأثير خلال هذا التاريخ الطويل . لقد خضع حجم وتأثير دور الاقلية اليهودية السورية لعوامل تاريخية عديدة سياسية واقتصادية ، ولم تكن هذه العوامل خاصة بالطائفة اليهودية ، بل عامة شملت آثارها جميع فئات المجتمع السوري . ففي مدينة دمشق مثلا حيث يتركز القسم الاكبر من اليهود السوريين ، وحيث يبرز ايضا ، الحجم الاهم لفعاليتهم التجارية والحرفية ، تعرضوا لهزات عنيفة بالتوافق والموازاة مع النكبات التي حلت بالمدينة خلال مختلف مراحل التاريخ . فبعد انهيار الدولة العباسية ، مثلا ، وبداية عصر الانحطاط في الامبراطورية العربية ، تعرضت المنطقة لغزوات خارجية عديدة ، ودخل في احداها القائد التتري (تيمورلنك) دمشق ، ولم يخرج منها الا بعد أن أخذ معه ـ كأسرى مدى الحياة ـ ثلاثين الف دمشقي من مختلف الطوائف ، جميعهم من العمال المهرة المتخصصين في البناء ، والصناعات الحرفية العريقة في سوريا ، كالنسيج والنحاس والزجاج والغزل ، وسخرهم لبناء عاصمته (سمرقند) وللعمل فيها(٢) ، وكان بين هؤلاء عدد لا بأس به من اليهود . وبعد هذا التاريخ بأربعة قرون ونيف ، تعرضت دمشق لنكبة اخرى ، فاثر افتتاح قناة السويس تحول طريق التجارة بين اوروبا واسيا عن دمشق ، التي كانت مركزا هاما للنقل البري بين القارتين ، واصبح مثلا ، اكثر من الف جمل كانت تستخدم لنقل البضائع عبر الصحراء ، عاطلة عن العمل ، وتوقف قطاع التجارة الخارجية فترة من الزمن ، مما اضر بالتجار وبمجموع السكان في المدينة ضررا بالغا . وبالرغم من اننا لا نملك ارقاما دقيقة عن تلك الفترة ، فانه يقال ان المدينة التجارية الكبرى ، قد تحولت الى قرية معزولة ، وانتقلت نشاطات التجار الى المدن الساحلية ، وبعضهم هاجر نهائيا الى بلاد اخرى ، وانحدر عدد السكان اليهود في تلك الفترة الى ما دون النصف .

وفي التاريخ الحديث ايضا عرفت سوريا حركة هجرة واسعة نسبيا ، شملت قطاع التجار المتوسطين والصغار والحرفيين ، وافرادا من المغامرين والمثقفين من مختلف الاديان والمناطق السورية ، وكانت السياسة العثمانية ، الاقتصادية والدينية وراء هذه الحركة الناشطة للهجرة . فعلى الصعيد الاقتصادي اندحرت المدن التجارية السورية بعد فتح قناة السويس وانتشرت حالة من التخلف الشامل في كل القطاعات الزراعية والتجارية والحرفية . واذا كان الريف الزراعي قد عرف شيئا من الاستقرار « المكاني » نتيجة ارتباط الفلاح بأرضه ، فان طبقة التجار من ابناء المدن كانت في تحرك دائم وهجرة مستمرة .

وعلى الصعيد السياسي ، عانت البلاد الواقعة تحت الحكم العثماني ، ومنها سوريا ، من العسف الاستبدادي والتمييز العنصري والديني ، وبلغت هذه السياسة ذروتها في مطلع القرن الحالي ، اثر حركة التتريك التي قادتها البورجوازية الشوفينية التركية على يد حزب « الاتحاد والترقي » . ومع ان هذه الحركة لم تكن موجهة ضد طائفة معينة أو هيئة محددة من ابناء الشعب السوري او ابناء البلاد العربية الاخرى ، ذلك ان مجموع السكان كانوا يحسون بوطأتها ، فان الاقليات ، بوجه خاص قد عانت منها بتحسس بالغ . وانعكست مظاهر هذا التحسس في حركة الهجرة الواسعة وفي المزيد من العزلة والانغلاق الاجتماعيين . واذا أخذنا بعين الاعتبار بعض خصائص الطائفة الموسوية ، من حيث قلة عددها نسبيا ، ومن حيث اعتمادها على التجارة اكثر من اي فرع اخر من

فروع النشاط الاقتصادي ، لادركنا ضخامة الحجم الذي أخذته حركة الهجـرة بالنسبة لهذه الطائفة .

لم تأخذ الهجرة في البداية شكل العزوف المطلق عن العودة الى الوطن ، ولكنها مع الزمن كانت تأخذ طابع الهجرة النهائية ، فقلما يفكر المهاجر بالعودة الى وطنه الاصلي سواء من نجح في حياته الجديدة ، أو من اخفق فيها . فالاول يرتبط ارتباطـا وثيقا بمصالحه الجديدة وينشد اليها ، والثاني لا تتاح له فرصة العودة حتى وان صبا اليهـا . وتبقى الرابطة الوحيدة الهامة بين المهاجر ووطنه الاصلي ، هي المساعدات المالية التي يقدمها الموسرون الى اقربائهم في الوطن ، والتي تأخذ احيانا شكل مساعـدات منظمة تشرف عليها مؤسسات رأسمالية تعمل لغايات سياسية .

اما في التاريخ القريب ، فقد انتعشت أحوال الطائفة اليهودية بشكـل ملحوظ ابان الانتداب وبعد الاستقلال . فقد مرت سوريا في تلك الفترة في مرحلة ازدهار تجاري ، وادت نفقات الجيوش الحليفة خلال الحرب العالمية الثانية الى تراكم رأسمالي وظف جزء يسير منه في انشاء الصناعات الخفيفة ، والجزء الاكبر في قطاع البناء والخدمات وقد نما قطاع التجار اليهود مع الازدهار التجاري ، في حين لم يتأثـر القطاع الحرفي بالصناعة الناشئة . اما قطاع الخدمات فقد ساهم فيه اليهود بنشاط ملحوظ ، بالنظر لارتفاع نسبة الكفاءات بينهم عن غيرهم من بقية السكان فكان منهم عدد مـن الاطباء والصيادلة والمحامين والمدرسين والمترجمين الذين راجت مهنتهم رواجا كبيرا في ذلك العهد ، وعندما جاء عهد الاستقلال لم يغير كثيرا في هذا الوضع . اما على الصعيد الاجتماعي فقد حافظ اليهود على تقاليد المجتمع الحرفي العريقة ، التي ساعدت بالاضافة الى سيطرة الايديولوجية الدينية ، على حالة العزلة النسبية التي يمكن بها وصف حالة الطائفة اليهودية اجتماعيا .

غير انه ينبغي عدم الوقوع في المبالغات في هذا المجال ، اذ من المهم أخذ الحالة العامـة للمجتمع السوري في تلك الفترة بعين الاعتبار ، حيث كان الاقتصاد السوري مـا زال اقتصادا زراعيا في الريف ، وحرفيا في المدينة وتسيطر عليه تقاليد المحافظة والانغلاق ، فالتقاليد الحرفية تقضي باخفاء ايراد الحرفة وسائر اسرارها عن الغرباء من اهل الحرف الاخرى ، وتستدعي بالتالي الاعتماد على اليد العاملة العائلية قدر الامكان ، او تطويع الظروف العائلية لمصلحة الحرفة . كل ذلك ساعد على بقاء حاجز العزلة بين العائلات من ابناء الطائفة الواحدة . وكان من الطبيعي ان يأخذ هذا الوضع المحافظ والمغلـق ، شكلا اكثر وضوحا بالنسبة الى الطوائف المتخصصة في مهن معينة .

ولا يمكن اغفال الاثر السلبي للسياسة الطائفية ، التي كانت تنتهجها الدولـة العثمانية وتتبناها بشكل رسمي ، على الحياة الاجتماعية في سوريا . فقد كـان النظام الملي هو اساس السياسة الطائفية العثمانية ، ويقضي هذا النظام بأن تمثل كل طائفة بمجلـس طائفي ، يدعى « مجلس الملة »(٣)، ويختاره افراد الطائفة ، واحيانا يعينه « السلطان » من رجال الدين والوجهاء ، ويتولى هذا المجلس الدفاع عن مصالح الطائفة تجاه الدولة، ويرعى شؤونها الدينية والقضائية رسميا ، والسياسية المحلية فعليا . كان النظام الملي تكريسا للعزلة الطائفية والاجتماعية ، ومظهرا من مظـاهر عملية الانتـاج الحرفي ، فبالرغم من انهيار الدولة العثمانية ، واستقلال سوريا عنها فقد بقي هذا النظام قائما في عهدي الانتداب والاستقلال ، ولم يفقد أهميته الا بعد النهضة التشريعية واقرار القوانين المدنية ووضعها موضع التنفيذ .

وبقيت التقاليد الحرفية المحافظة والمنغلقة سائدة ، حتى بعد التطور الهام الذي طـرأ على العملية الانتاجية في سوريا ، وتغلغلت هذه التقاليد في المجتمع الصناعي الناشىء ،

كالمعاهدات وابوة رب العمل الصناعي ، واتساع قاعدة حملة الاسهم الصغار من أفراد العائلات ذات الصلات المشتركة ، مما يؤكد ثبات التقاليد الحرفية في المدن السورية ومتانة جذورها التاريخية ، لدرجة يمكن القول معها ان التطور الاقتصادي البورجوازي لم يستطع ان يهدم نهائيا بقايا اسوار العزلة المهنية ــ الطائفية ، وأن يقيم بديلا عنها تقاليد عصرية حديثة . كانت الحياة السياسية ، من حيث مشاركة مجموع السكان في ادارة شؤونهم ، انعكاسا للواقع الاقتصادي والاجتماعي ، فكانت المجالس الملية ، تلعب دورا سياسيا محليا من الناحية الفعلية ، في حين تحتكر قوى الاقطاع المراكز السياسية العليا المركزية .

لم يتغير هذا الواقع كثيرا في عهدي الانتداب والاستقلال ، سوى ان البورجوازية التجارية وجدت لنفسها مكانا الى جانب الاقطاع الزراعي في السلطة ، وتمثلت الطوائف في تلك الفترة بقادتها البورجوازيين ، مما فرز الفقراء والحرفيين من مختلف الطوائف في موقع واحد تجاه السلطة السياسية .

بهذا المعنى شاركت الطائفة اليهودية في الحياة السياسية السورية ، فقد كان منها نواب في المجالس النيابية(٤)، وتولى عدد من افرادها مناصب ادارية هامة في الدولة في تلك الفترة(٥). يمكن القول ان السمات العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لليهود السوريين هي سمات مشتركة مع يهود البلدان العربية الاخرى ، باستثناء بلدان المغرب العربي(٦)، وذلك بقدر ما هي مشتركة ظروف التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لهذه البلدان في تلك المرحلة . ولا يمكن رد أسباب هذا الاشتراك الى اي سبب ديني او عرقي او عنصري الا بالمعنى الذي اوضحناه للطائفية ــ الحرفية . ومن المهم هنا ، ملاحظة الاختلاف الكبير في الظروف بين أوضاع اليهود في البلاد العربية، وأوضاع اليهود في البلدان الاوروبية ابان المرحلة ذاتها ، لما ينطوي عليه هذا الاختلاف من نتائج سياسية هامة . ففي ذلك الوقت كانت الحملة اللاسامية قد بلغت ذروتها في أوروبا الصناعية ، متوافقة مع ذروة النهوض البورجوازي واحتدام الصراع بين البورجوازيات المحلية الاوروبية والبورجوازية التجارية اليهودية المقيمة بينها . أما في المشرق العربي حيث تخلف التطور البورجوازي قرونا عديدة عن اوروبا ، فلم يحتدم اي صراع من هذا النوع ، لذلك فان « اللاسامية » بقيت اصطلاحا اوروبيا ، لم يجد اي صدى في البلاد العربية وبالتالي فان الحركة الصهيونية التي كانت في نشأتها ، الى حد بعيد ، تعبيرا عن مصالح الطبقة البورجوازية اليهودية ونمت في تربة ملائمة بين يهود اوروبا ، لم تجد تربة صالحة بين يهود البلاد العربية ، بل أن هذه الحركة واجهت موجة من المعارضة عندما أخذ نشاطها السياسي يقترب من منطقة الشرق الاوسط ، ويأخذ اشكالا عدوانية مباشرة في فلسطين . وفي الاساس ، فان يهود البلاد العربية لم يلعبوا دورا في بناء دولة اسرائيل ، التي هي صنيعة الراسمالية العالمية واليهودية ، ولم يكن ذلك صدفة غريبة ، بقدر ما كان تعبيرا عن الواقع السياسي والاقتصادي المتباين لليهود في كل من البلدان المتطورة والبلدان المتخلفة ومنها البلدان العربية .

فقبل قيام « اسرائيل » واثر قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ ، القى عضو مجلس النواب السوري « وحيد مزراحي » خطابا هاما في المجلس النيابي عبر فيه عن موقف الطائفية الاسرائيلية من مشروع دولة اسرائيل ومن الحركة الصهيونية ولخص مصالح الطائفة اليهودية السورية وصاغ موقفها السياسي بقوله « انني اعبر عن شعور ورأي ابناء الطائفة الاسرائيلية في البلاد الذين يتمتعون منذ قرون بالمساواة مع بقية الطوائف في الحقوق والواجبات . . . أن ابناء الطائفة الاسرائيلية في هذه البلاد يعترفون بكل اخلاص بأنهم كانوا ولم يزالوا منذ مئات السنين معتبرين أنفسهم من ابناء هذا الوطن تجمعهم جامعة العنصرية ومصلحة الوطن والعادات واللغة » . واعلن في الخطاب نفسه « ان

اليهود في هذه البلاد يستنكرون هـذا القرار الجـائر ويستنكرون اعمـال الصهيونية ويعتبرون الصهيونية **عقيدة سياسية غربية** منفصلة عن الدين لا تتفق مع عـادات ولغة واخلاق يهود البلاد العربية ، فاذا كانت الصهيونية تأتينا مـن الغرب تريد ان تجعلنا ضمن حظيرتها فأنا أعلن من هنا أننا بريئون منها ومن اعمالهـا ، وأنا ارجو ان يعلـم الجميع اننا لا نشاطر الصهيونية عملها واننا لا نتفق واياها بغاياتها واساليبها وسنكون في مقدمة المجاهدين العاملين لرفع أذى الصهيونية عن هذه البلاد »(٧).

لقد تأزمت اوضاع يهود البلاد العربيـة فقط بعد قيام اسرائيـل ، ونتيجـة لعوامل عديدة ، كان أهمهـا النشاط الاعلامي والدعـائي الاسرائيلي الهادف الى تأزيم هـذه الاوضاع . لقد اثار قيام دولة اسرائيل موجة من العواطـف الدينية والشوفينية بـين اليهود في معظم انحاء العالم ، وكان من الطبيعي ان تشمل هذه الموجـة يهود البـلاد العربية ، وان كان بدرجة أقل نسبيا ، ذلك بالرغم من أن « وطن اليهود القومي » قـد غرس في قلب الوطن العربي ، وكان ، جغرافيا ، أقرب الى يهود البلاد العربية منه الى اي طائفة يهودية في اي بلد من بلدان العالم . جاء هذا التأثـير الضعيف نسبيا نتيجـة للعوامل الموضوعية التي اشرنا اليها ، فبعد قيام اسرائيل لم يطرأ اي تغيير ملحوظ على أوضاع الاقلية اليهودية السورية ، سواء في جانبها الاقتصادي او السياسي . فقد كان اليهود السوريون مرتبطين بالمجتمع السوري عامة والدمشقي خاصة ، بعمق ارتباطهم بحياتهم المستقرة ومصالحهم الاقتصادية الثابتة .

لذلك ما ان انحسرت الموجة العاطفية التي اثارتها « دولة اسرائيل » حتى شعرت هذه « الطبقة » التي تسيطر على الطائفة بالتهديد لمصالحها المستقرة ، ممـا دعاهـا الى التعبير العلني عن حقيقة موقفها من الحركة الصهيونية ، ومن اسرائيل .

وفي العام نفسه قام في صفوف الطائفة نشاط تلقائي معاد لاسرائيل ، وللحركة الصهيونية ولم يكن لهذا النشاط طابع سلبي فقط ، كمقاطعـة لجان الهجرة ، التي شكلتهـا سرا المنظمات الصهيونية ، بل تعداه الى الطابع الايجابي ، كتنظيـم التظاهـرات في دمشق وحلب استنكارا لقيام اسرائيل ، وتشكيل لجان لجمع التبرعات من اجل التسلح أسوة بسائر السوريين . غير أنه لا يمكن انكار الوضع الدقيق الذي وجدت الاقلية اليهوديـة نفسها فيه اثر حرب ١٩٤٨ ، فالجراح العربية كانت ما تزال طرية في فلسطين ، ومئات الالاف من المشرديـن يتوافدون على البلاد العربيـة ومدنها الكبـرى مثل دمشق ، ممـا زاد في دقـة الوضع اشتداد الحملـة الدعائيـة الاسرائيليـة على الصعيدين العالمي والمحلـي والتي استهدفت غرضين : فمن جهـة فرضت وصايتهـا قسـرا على الطائفة اليهودية في سوريا ، ومن جهة اخرى اعتبرت هذا الموضوع مناسبة يمكن استغلالها بين فترة واخرى لخدمة الاغراض السياسية والعسكرية في اعقاب الحرب ، فتارة تخاطب اليهود السوريين باسم الدين في محاولة لاستثارة عواطفهم الدينية ، وتارة تخاطبهم باسم الحماية من « الارهاب والمذابح » المفترضة ، مما خلق جوا من الارتباك الشديد والعلاقة المعقدة بين ابناء البلد الواحد .

في هذه الاجـواء المعبأة بمرارة الهزيمة ونتائجهـا ، قامت تظاهـرات صاخبـة في المدن السوريـة المختلفة تعبيرا عن غضبة الجماهير الوطنيـة ، وبالرغـم مـن ان الشعارات التي رفعتها هذه التظاهرات كانت ضد اسرائيل ، فان أثرها قد انعكس ضد أنظمة الهزيمة القائمة . وقد حدثت خلال هـذه التظاهرات أعمال عنف واضحة كانت موجهة ضد السلطات بشكل رئيسي ، ولم يكن لها ، في الاساس ، اي لون طائفـي . غير أن حـادثا فرديـا معزولا قد وقع كان كفيـلا بمساعدة اجهزة الدعـاية الغربية والاسرائيلية ، المتحفزة لقلب الموقف كله . فقد قامت فئة من المندفعين بالقاء قنبلة على

أحد المتاجر اليهودية الكبيرة في دمشق ، ومع انه لم ينجم عن هذا الحادث سوى اضرار مادية طفيفة فانه صور وكأنه حملة ارهاب دموي منظمة ضد الطائفة اليهودية ، مما اثار مخاوف البورجوازيين اليهود . ولم تساعد الدعاية العربية المتخلفة في التخفيف من اثر هذه الحملات او الحوادث ، بل ربما ادت سلسلة الاخطاء في السياسة العربية تجاه هذا الموضوع الى العكس تماما . ولكن هذه السياسة التي اتسمت بالعاطفية والارتجال والجهل لم تكن لتنحدر بأخطائها الى مستوى التمييز العنصري أو الاضطهاد العرقي .

انعكست مخاوف البورجوازية اليهودية بهجرة عدد من التجار اليهود مع افراد عائلاتهم في حلب ودمشق الى خارج البلاد واستقر معظمهم في امريكا الشمالية والجنوبية ولم يتوجه الى اسرائيل الا عدد ضئيل منهم(٨). ومع أن عددا من هؤلاء قد عاد ثانية الى سوريا الا أن حركة الهجرة بشكل عام لم تتوقف بل استمرت ضمن حركة الهجرة السورية العامة ، مضافا اليها عوامل الخوف والتأثير الدعائي التي اشرنا اليها . وقد ساعد على ذلك انتفاء أي قيود مفروضة على السفر او انتقال الاموال الى خارج البلاد في تلك الفترة . وابتداء من العام ١٩٦١ نشطت حركة الهجرة وتهريب الاموال بشكل ملحوظ ، فاثر اجراءات التأميم ، التي نفذت في اخر سنة من عهد الوحدة المصرية — السورية عمد الكثير من التجار والصناعيين السوريين بشكل عام ، واليهود منهم بشكل خاص الى مغادرة البلاد بعد تصفية اعمالهم نهائيا وتهريب اموالهم بالطرق المشروعة وغير المشروعة الى الخارج ، حتى بلغت هجرة رؤوس الاموال في تلك السنوات حجما هائلا قدر بحوالي ٨٠٠ مليون ليرة سورية ، كان فيه للبورجوازية التجارية اليهودية حصة مناسبة . اما بالنسبة لابناء الطائفة اليهودية فلم تقتصر حركة الهجرة على الرساميل الكبيرة فقط ، بل شملت اعدادا لا بأس بها من صغار التجار والحرفيين والمثقفين ، واتجهت بشكل اساسي الى لبنان والولايات المتحدة الامريكية ، وحتى في هذه المرحلة ايضا لم تتوجه سوى نسبة ضئيلة الى اسرائيل . ضمن هذا الاطار التاريخي السياسي والاقتصادي انحدر عدد اليهود السوريين الى حوالي ٥ الاف نسمة عام ١٩٦٧ ، في حين كان عددهم ٢٩ الف نسمة حسب احصاء عام ١٩٤٣ .

الاوضاع الراهنة

انتجت حرب حزيران عام ١٩٦٧ آثارا عميقة على صعيد الحياة العربية كلها ، وولدت في المشرق العربي خاصة واقعا مريرا مرة أخرى ، أمر وادهى من ذكريات الماضي القريب . وقد شملت هذه الآثار فيما شملت الجانب النفسي من العلاقة بين اليهود وسائر مواطنيهم في بلدان المشرق العربي . ومن اجل تحليل هذا الاثر الخاص الذي ولدته الحرب علينا ان نسجل النتائج الكبيرة لها فيما يخص هذا الصعيد .

اولا : ابرزت الحرب اسرائيل دولة « يهودية » قوية ومتفوقة في كل المجالات وعلى كل دول المنطقة ، وقد استغلت الدعاية الامبريالية ، في حربها النفسية ، هذه الحقيقة لتضفي عليها طابعا « أسطوريا » . ثانيا : أكدت الحرب طبيعة الارتباط العضوي بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، وأظهرت الى أي مدى يمكن ان تذهب الامبريالية الامريكية في دعمها لاسرائيل . ثالثا : مع ان الحرب قد أظهرت بوضوح ان المعركة بين الامة العربية واسرائيل هي الميدان الاساسي لمعركة المصير بين حركة التحرر الوطني العربية وبين الحلف الصهيوني — الامبريالي — الرجعي المحلي ، وان ليس لها اي طابع عنصري او ديني ، فان ذلك لم ينف قدرة اسرائيل والامبريالية على استخدام الطائفية الدينية كسلاح من أسلحة الدعاية الفعالة .

وما من شك في أن اسرائيل ، نتيجة لكل ذلك ، قد استقطبت اعجاب ومطامح

البورجوازية اليهودية واليهود البورجوازيين في معظم انحاء العالم . ولا نستطيع ان ننفي أن هذه الموجة من الاعجاب قد سرت في اعصاب الكثير من اليهود في البلاد العربية، وهي موجة اكثر ثقة وثباتا من تلك التي اثارتها حرب ١٩٤٨ . بحيث يمكننا القول ، أن الظروف الجديدة بعد حرب عام ١٩٦٧ قد خلقت وضعا اكثر دقة وحرجا للاقليات اليهودية في البلاد العربية . غير أن هذا الوضع الدقيق والحرج لم يتعد بالنسبة الى اليهود السوريين ، الجانب النفسي ، الذي تحكم فترة من الزمن بعد حرب حزيران ، في العلاقة بين اليهود وبين سائر مواطنيهم السوريين ، وكذلك لم يتعد سياسة الحذر والتوجس التي حكمت العلاقة الاخرى بين السلطة وبينهم .

وقد انعكست هذه السياسة ببعض الاجراءات الاحتياطية المؤقتة ، التي بررتها في حينه حالة العدوان المسلح في الحرب القائمة بين سوريا واسرائيل . وباستثناء هذه الاجراءات الامنية التي سنعرض لها ، لم يطرأ أي تبديل على العلاقات التي كانت سائدة في السابق ، على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي .

توزع الطائفة اليهودية في سوريا

المركز	العدد	الفعالية الاساسية
دمشق	٢٨٩٤	تجارية ــ حرفية
حلب	١٢٦٦	تجارية
القامشلي	٤١٤	ملكية عقارية
المجموع	٤٥٧٤	

الوضع الاقتصادي : يبلغ عدد اليهود السوريين اليوم حوالي ٤٥٧٤ نسمة ، موزعين جغرافيا في ثلاث مدن هي دمشق ٢٨٩٤ ، حلب ١٢٦٦ ، والقامشلي ٤١٤ . ويعيش هذا العدد في المدن الثلاث في أحوال متشابهة الى حد كبير . اذ أن معظمهم يتعاطون التجارة أو ينغمسون في الاعمال الحرفية ، فمن بين الـ٢٨٩٤ مواطنا يهوديا في دمشق ، يوجد حوالي ٣٦٠ تاجرا يملكون محلات تجارية في اسواق المدينة الرئيسية ، من بينهم ٦٠ تاجرا يتجاوز رأسمال الواحد منهم الـ ١٠٠ الف ليرة سورية ، واكثر من ١٠٠ تاجر يتجاوز رأس مال الواحد منهم الـ ٥٠ الف ليرة سورية ، والباقي يتراوح رأسمالهم بين ٣ الاف ليرة سورية كحد ادنى و ٥٠ الف ليرة سورية كحد أعلى .

ويتعامل اغلبهم في تجارة الالبسة الجاهزة ، او الاقمشة المنوعة . اما التجار الكبار فيتعاملون بالصفقات بالجملة ، مع مؤسسات محلية واجنبية . ويمكن ان يضاف الى هذا الرقم ، من التجار ، الباعة المتجولون ، ويبلغ عددهم في دمشق وحدها ١٥٠ تاجرا، يتعاطون تجارة الاقمشة والخردوات ، وهم يفضلون هذا الشكل من النشاط التجاري وهو في الحقيقة يكاد يكون حكرا عليهم ، ويدر عليهم ارباحا من الصعب توقعها للوهلة الاولى نتيجة تعاملهم مع قاعدة واسعة من ذوي الدخل المحدود وعلى طريقة التقسيط الطويلة الامد ، فقد قدر دخل بعضهم حسب دفاتره التجارية الرسمية بحوالي الـ ٢٠٠٠ ليرة سورية شهريا ، وقدرت ديون البعض الاخر على زبائنه بأكثر من ٣٠ الف ليرة سورية .

اما عدد اليهود المتخصصين بالعمل الحرفي ، فيبلغ في دمشق وحدها ٣٥٨ حرفيا ، موزعين على الحرف التالية ، نقش النحاس ١٠٠ ، خياطة ٢٠٨ ، صياغة وحفر خشب وحرف اخرى ٥٠ . ينتظم العمل في هذه الحرف على شكل مشاغل يضم الواحد منها من عامل الى ثلاثة عمال تربطهم غالبا صلات عائلية قريبة ، ذلك باستثناء بعض المشاغل

الكبيرة القليلة التي يملكها المتمولون الكبار من ابناء الطائفة . وتتوزع المشاغل الحرفية بين الحي اليهودي في دمشق وبين السوق التجاري الرئيسي في المدينة ، فمشاغل نقش النحاس مثلا ، أغلبها في الحي اليهودي القديم ويقصدها السواح الاجانب ، الولوعين بهذا النوع من الصناعة الشرقية ، الى هناك . أما المشاغل الاخرى فاغلبها في أسواق المدينة التجارية ، حيث تغذي محلاتها بانتاجها الجيد ، مثل مشاغل الخياطة للالبسة الجاهزة . ويراوح الربح الصافي لصاحب المشغل العادي بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ ليرة سورية شهريا ، أما المشاغل الكبيرة فتجاوز هذا الرقم بكثير . ويقدر دخل العامل في حرفة نقش النحاس بين ٣٠٠ — ٤٠٠ ليرة سورية شهريا ، وفي حرفة الخياطة بين ٩٠ — ٢٠٠ ليرة سورية شهريا . وحتى تأخذ هذه الارقام حجما واقعيا ، يجب ان نأخذ بعين الاعتبار العلاقات العائلية الحرفية ، ذلك أن معظم المشاغل قائمة على هذه العلاقة، بحيث يمكن اعتبار صاحب المشغل هو في الوقت نفسه رب العمل ورب العائلة، وبالتالي فان دخل المشغل الاجمالي يشكل دخل العائلة الاجمالي .

اما في قطاع المهن الحرة فهناك حوالي ٢٦٠ من ابناء الطائفة بين معلم وطبيب ومهندس ومحام وصيدلي في سوريا كلها . بالنسبة للمعلمين، يبلغ متوسط راتب المعلم في المرحلتين الابتدائية والاعدادية ٢٠٠ ليرة سورية شهريا . أما المهن الحرة ، كالطب والصيدلة والمحاماة ، فالدخل المتوسط فيها يقارب الـ ٧٠٠ ليرة شهريا ، وجميع العاملين في هذا القطاع مسجلون في النقابات المهنية العامة ، ويزاولون اعمالهم في مكاتب وعيادات وصيدليات خاصة .

اما في مدينة القامشلي ، فالوضع الاقتصادي والطبقي لابناء الطائفة يبدو مختلفا عن الطابع الحرفي في دمشق ذلك أن بين الـ ٤١٤ يهوديا في المدينة هناك ١٩ فقط يملكون ١٥٣ محلا تجاريا « حوالي ثلث السوق التجاري الرئيسي في المدينة » من بينها ٤٦ محلا يملكها شخص واحد يتعاطى تجارة العقارات والمال ، و٢٠ محلا لشخص آخر يتعاطى نفس التجارة ، وافراد آخرون يملكون على التوالي ، ٢٤ ، ١٢ ، ١١ ، ٩ ، ٧ ، ٤ ، ٣ محلات تجارية .

الفعالية الاقتصادية والاجتماعية في مدينة دمشق لعام ١٩٧٠

المجموع العام للسكان ٢٨٩٤

نوع العمل او النشاط	العدد	النسبة الى ابناء الطائفة في المدينة — تقريبا —
حرفة نقش النحاس وحرف اخرى	١٥٠	٥ ٪
حرفة الخياطة	٢٠٨	٧ ٪
أصحاب المحلات التجارية	٣٦٠	١١ ٪
المعلمون	٥٠	٢ ٪
الاطبــــاء	٦	٢ بالالف
الصيـادلـة	٤	١،٥ بالالف
البـاعـة المتجولون	١٥٠	٥ ٪
اللحـامون	١٧	١ ٪
المهندسون	٢	١ بالالف
الطلاب	٩٦٥	٣٧ ٪
المجموع	١٩١٢	٦٦ ٪

وفي حلب ، حيث تتشابه اوضاع الحرفيين والتجار مع الاوضاع في دمشق ، تتركز نسبة أعلى من تجار الاستيراد والتصدير « الكومسيون » التي تتعامل مع الخارج ، فهناك اكثر من ١٥ تاجرا مسجلين كشركات استيراد وتصدير لانواع مختلفة من السلع وبخاصة ، الخيوط والاجواخ ، والادوات الرياضية وماكنات الخياطة والخردوات والنوفوتيه . ولا بد من التنويه اخيرا ، لاستكمال صورة الوضع الاقتصادي ، بانتشار الملكية العقارية المتوسطة والصغيرة الى حد كبير بين ابناء الطائفة وخاصة في الحي اليهودي القديم وانتشر هذا النوع من الملكية بين الطبقة البورجوازية المتوسطة في المدن بعد الحرب العالمية الثانية .

الوضع الاجتماعي : يمكن وصف الحالة الاجتماعية للطائفة اليهودية ، بالعزلة ، ضمن الاسس التي حددناها سابقا ، اي بمقدار ما تفرض هذه العزلة في الاساس ، التقاليد الحرفية ، والايديولوجية الدينية المسيطرة ، والى حد ما ، الوضع المتوجس والحذر للعلاقة بين السلطة وبينهم ، والذي ساد فترة بعد الحرب . فعلى صعيد الحرفة تكاد العزلة تكون شبه كاملة ، فالاختلاط معدوم مع بقية المواطنين ، وهذا ما يفسر تركز هذه الحرف في الحي اليهودي القديم في دمشق وحلب .

وعلى صعيد التعاليم الدينية ، فان الزواج المختلط ، على سبيل المثال ، والذي لم يعد حالة نادرة أو مستهجنة اجتماعيا بين المسلمين والمسيحيين ، ما زال كذلك بين اليهود وبين ابناء الطوائف الاخرى ، ذلك بالرغم من أن مشكلة اجتماعية حقيقية تعاني منها الطائفة في هذا المجال ، فنسبة الاناث الى الذكور تبدو مرتفعة بينهم ــ ٦٠ الى ٤٠ ــ ، ويعود ذلك الى عاملين ، الاول ارتفاع النسبة العامة للاناث في سورية ــ ٥١ الى ٤٩ ــ ، والثاني وهو الاهم ، الهجرة التي شملت الذكور اكثر من الاناث . وفي تقديرنا أن استمرار هذا الوضع سيؤدي الى كسر طوق العزلة في هذا المجال في المستقبل ، خاصة وأن القوانين السورية المدنية لا تقيم أي قيد على الزواج بسبب اختلاف الدين . وبالمقابل فان بقية مظاهر الحياة الاجتماعية كالتعليم ، والسكن ، والعمل ، واللهو ، الخ تبدو طبيعية ، ومن الصعب التمييز هنا بين اليهود او غير اليهود من المواطنين السوريين . فقطاع التعليم مختلط تماما ابتداء من المرحلة الثانوية ، وحتى في المرحلتين الابتدائية والاعدادية ليس هناك فصل كامل بين اليهود وغيرهم ، ذلك أن عددا من اليهود الاطفال والفتيان يتلقون الدروس في المدارس الرسمية ، وكذلك هنالك ايضا عدد من المسلمين والمسيحيين يتلقون الدروس في المدارس الخاصة بالطائفة اليهودية بحكم الاعتبارات الواقعية ، كقرب السكن وتوافر الاماكن الشاغرة .

وكما هو معروف فان المدارس الطائفية لم تعد موجودة في سورية ، فقد وضعت الدولة يدها على قطاع التعليم كاجراء وطني تقدمي ، وتمارس وزارة التربية رقابة مركزية على جميع المدارس الخاصة في كل انحاء سوريا ، وتشمل هذه الرقابة بالدرجة الاولى تطبيق المناهج الموحدة لجميع السوريين ، وبالدرجة الثانية الرقابة المالية والادارية ، لمنع أي استغلال تجاري في هذا القطاع الحيوي . لم تمس الرقابة المنهجية حرية التعليم الديني، المعتبرة حقا من حقوق كل طائفة ، فهنالك عدد من الحصص المنتظمة والثابتة تعلم فيها نصوص الديانة اليهودية باللغة العبرية ، وباشراف اساتذة يعينهم المجلس الملي بموافقة السلطات التربوية .

تتمتع الطائفة في قطاع التعليم بوضع ممتاز ، ذلك أن اعلى نسبة من المتعلمين في كل انحاء سوريا هي بين ابناء الطائفة اليهودية ، فبين الـ ٤٥٧٤ مواطنا يهوديا سوريا ١١٨٥ طالبا منتظما في المدارس في مختلف مراحل التعليم ، ففي المرحلة الابتدائية وحدها يوجد ٩٩٦ طالبا ، وفي المرحلة الاعدادية ١٨٦ طالبا ، وفي المرحلة الثانوية ٥٠ طالبا، وفي الجامعية ٥٣ طالبا ، بحيث يمكن القول ان جميع الذين يصلون الى مرحلة التعليم

الثانوي ويتجاوزونها بنجاح ، تتاح لهم فرصة التعليم الجامعي . وتنحدر نسبة الاميين الى ادنى حد بين ابناء الطائفة ، فهي لا تتجاوز الـ ٣٪ من المجموع العام ، وتنعدم تماما بين الشباب ما دون الـ ٤٠ عاما ، **وهي نسبة عالية جدا** اذا قيست بالنسبة العامة لسكان سوريا .

ويوجد في سوريا ٤ مدارس ابتدائية واعدادية تابعة للطائفة ، ثلاث منها في دمشق وواحدة في حلب . وقد سجلت مدرسة ابن ميمون الاعدادية في دمشق ، وهي احدى هذه المدارس ، اعلى نسبة من النجاح في الشهادات الرسمية لعام ١٩٧٠ — ١٩٧١ الدراسي . وتتلقى هذه المدارس مساعدات من الدولة ومن الجاليات السورية اليهودية في بلاد الاغتراب وخاصة في نيويورك وباريس .

اما على صعيد العمل — غير الحرفي — فهنالك عدد كبير من المستخدمين المسلمين والمسيحيين في المتاجر اليهودية ، يقابله عدد اخر من المستخدمين اليهود في المتاجر والمؤسسات التابعة لافراد وهيئات خاصة من الطوائف الاخرى .

حتى السكن في الحي اليهودي القديم في دمشق ، المعتبر مظهرا من مظاهر العزلة الاجتماعية ، لا يصح اعتباره كذلك بشكل مطلق ، ذلك أن هذه الظاهرة ، **ظاهرة تاريخية وقديمة** ، وتكاد تكون من السمات المميزة للمدن الشرقية ، ولمدينة دمشق خاصة ، حيث تتركز الطوائف ، وحتى العائلات البورجوازية العريقة ، في أحياء مستقلة من المدينة القديمة ، وما زال هذا الوضع قائما حتى اليوم ، بالرغم من التوسع العمراني الكبير الذي عرفته المدينة في ربع القرن الاخير .

الوضع السياسي : حين البحث بالوضع السياسي للطائفة اليهودية في سورية ، لا بد من الاخذ بعين الاعتبار بعض الظواهر الخاصة بهذه الطائفة في الوقت الراهن ، لما لها من تأثير على هذا الوضع . واولى هذه الظواهر هي ، قلة عدد الطائفة بالنسبة الى مجموع السكان العام ، اذ أن نسبتهم لا تتجاوز النصف بالالف فقط ، وهي نسبة ضعيفة جدا ، لا تقاربها اي نسبة اخرى في التركيب الاجتماعي او الديني للمجتمع السوري . أما الظاهرة الثانية فهي انغماس الجمهرة الكبرى من أبناء الطائفة في العمل الحرفي ، وتخصصها في نوع معين منه واحتكارها له .

ان اثر هاتين الظاهرتين ينعكس بوضوح على فعالية الطائفة في الحياة السياسية السورية ، من حيث درجة مشاركتها ومساهمتها في هذا الحقل ، فالمجتمع اليهودي السوري يشكل بتركيبته الاقتصادية والايديولوجية جزءا من الطبقة البورجوازية المتوسطة في سوريا . فعلى الصعيد الاقتصادي ، اذا قيست اوضاع الطائفة بالاوضاع العامة في سوريا لامكن اعتبار المجتمع اليهودي جزءا من هذه الطبقة ، بل ان تدقيقا أكثر في هذه الاوضاع بالمقارنة مع اوضاع الطبقة المتوسطة يرينا ان اليهود يقعون في اعلى السلم منها ، ويشكلون جزءا من شريحتها العليا . وحتى الفئة التي تعيش من عملها المأجور ، لا يمكن فصلها عن الطبقة المتوسطة ، لانها تمارس عملا متخصصا ونادرا ، ويدر اجرا عاليا نسبيا ، لا يقل عن متوسط دخل الفرد من ابناء الطبقة المتوسطة ، ومع هذا فان نسبة هذه الفئة لا تتعدى ٣٠ ٪ من مجموع اليهود السوريين .

وكونها طبقة متوسطة **حرفية** بالدرجة الاولى وقليلة العدد بالدرجة الثانية ، **جعلها اميل الى المحافظة والانغلاق منها الى الديناميكية السياسية والاجتماعية** . ولم تستطع البورجوازية التجارية برغم تأثيرها الايديولوجي على مجموع الطائفة ، ان تدفعها الى مواقع اكثر ايجابية ، باستثناء المرحلة التاريخية التي كانت البورجوازية التجارية السورية نفسها تمسك بأعنة السلطة السياسية مباشرة .

وكذلك على صعيد الحياة السياسية خارج السلطة ، **فليس للطائفة وجود في الحياة**

الحزبية السورية الراهنة ، ومرد الامر هنا ليس صغر حجم الطائفة فقط ، بل لان الاحزاب التقليدية التي كانت تسيطر عليها البورجوازية التجارية المتوسطة والكبيرة ، لم تعد موجودة في الحياة السياسية السورية موضوعيا .

وكنتيجة لهذا الواقع الطبقي والسياسي والسكاني ، **فان فعالية الطائفة السياسية تكاد تقتصر على المشاركة الشكلية فقط** ، كممارسة حق الانتخاب والترشيح للمجالس المحلية . أما ادارة شؤونها الدينية والاجتماعية فيتولاها المجلس « الملي » الذي اشرنا اليه ، والذي ما زال قائما حتى اليوم ، غير ان هذا المجلس قد فقد الكثير من صلاحياته التي كان يتمتع بها ابان الحكم العثماني بموجب القانون الملي .

فقد قضى التطور التشريعي ، الحديث في سوريا على معظم هذه الصلاحيات ، فالقوانين الحديثة النافذة لم تعد تفرق بين فئات المواطنين بالنظر الى دينهم او جنسهم وهكذا لم يبق من صلاحيات هذه المجالس سوى **ادارة شؤون الطائفة الدينية** كالاشراف على المعابد والاوقاف الخيرية والذرية وتلقي التبرعات ، بالاضافة الى **الاحوال الشخصية** التي تحكمها تعاليم الديانة كالزواج والوفاة وما يتعلق بهما من طلاق ونفقة وميراث وغير ذلك . ويتألف هذا المجلس اليوم من سبعة اعضاء يختارهم ابناء الطائفة بموافقة السلطة التنفيذية . وقد طرأ عليه تطور شكلي ، اذ لم تعد غالبية اعضائه من رجال الدين فقط ، بل أصبح يضم النخبة البورجوازية من ابناء الطائفة المتعلمين كالمحامين والاطباء والمهندسين .

الحملة

لم تتوقف اسرائيل منذ قيامها عن التوجه بدعايتها الى الاقليات اليهودية المقيمة في البلاد العربية ، كلما وجدت فرصة ملائمة لذلك . ومع أن هذا التوجه يصدر عن استراتيجية عامة لاسرائيل تجاه اليهود المنتشرين في كافة انحاء العالم ، الا انه بالنسبة للبلاد العربية يأخذ ابعادا مختلفة واشكالا خطيرة ، بالنظر لحالة الحرب القائمة بين الامة العربية واسرائيل منذ انشاء الكيان الصهيوني وحتى اليوم .

وفي هذا المجال ترتكز الدعاية الاسرائيلية بالاساس ، على افتراض تعسفي من جانب واحد ، باعتبار كل يهودي اينما وجد وحيثما كان مواطنا اسرائيليا نازحا او منفيا بالقوة داخل المجتمع الذي ولد ويعيش فيه ، وقد تكرس هذا الافتراض التعسفي في قانوني الجنسية والعودة الاسرائيليين(٩) .

ان دوافع هذا الافتراض كما تبدو للوهلة الاولى هي دعوة كل يهودي اينما كان وحيثما وجد للهجرة الى اسرائيل ، غير ان الامر ليس كذلك تماما ، فالهجرة الى اسرائيل تخضع لعدد من الاعتبارات الثابتة التي تتعلق بمصلحة المؤسسة الصهيونية العسكرية العدوانية القائمة فيها ، ومن أهم هذه الاعتبارات نوعية الهجرة من حيث الكفاءة العلمية والمستوى الثقافي والمادي والاجتماعي ، لذلك فهي تعمل جاهدة على التركيز على هجرة اليهود الامريكيين الى اسرائيل بالدرجة الاولى ، ثم هجرة اليهود من البلدان المتطورة الاخرى بالدرجة الثانية ، اما الهجرة من البلدان المتخلفة وبخاصة من البلدان العربية فهي غير مرغوبة اطلاقا ، يؤكد ذلك السياسة الصريحة للحكومة الاسرائيلية والمنظمات الصهيونية في هذا المجال . كما تؤكده ايضا ، من ناحية اخرى ، المشاكل الاجتماعية الناجمة عن تنوع الهجرة والتي يعاني منها المجتمع البشري غير المتجانس في اسرائيل ، فالتمييز بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، او بمعنى اخر بين اليهود القادمين من البلدان المتطورة واليهود القادمين من البلدان المتأخرة في اسيا وافريقيا ، يعتبر ظاهرة بارزة في المجتمع الاسرائيلي اليوم ، وهي تنعكس في مجالات الحياة اليومية المختلفة . ومما زاد في حدة هذه المشكلة ، حاجة المؤسسة العسكرية الى التعبئة الكاملة للقوى

البشرية والاقتصادية في أيام السلم والحرب على حد سواء . وتقتضي هذه التعبئة تخصصا متصاعد الوتيرة ، يعطي اليهود الغربيين ميزة كبيرة على مواطنيهم الشرقيين . مما ترك بالنتيجة اليهود الشرقيين في اسفل السلم الاجتماعي في اسرائيل ، وقد انعكس هذا الواقع غير المنسجم والمتعارض على شكل حركة هجرة مضادة الى خارج اسرائيل بلغت في بعض الفترات حدودا ذات دلالة واضحة . من الواضح اذا أن اسرائيل عندما تتمسك بالنظرية القائلة ان كل يهودي في العالم هو مواطن اسرائيلي ، فانها لا تعني ذلك تماما من الناحية العملية ، بمعنى انها غير مستعدة لتحمل التبعات الكاملة لمثل هذا الادعاء ، وهو في الحقيقة لا يحملها اية تبعات او التزامات وانما يحقق لها كثيرا من الاغراض ، هي التي تشكل الهدف الاساسي للسياسة الاسرائيلية الدعائية في هذا المجال ويمكن تحديد هذه الاغراض بالخطوط العريضة التالية ، اولا : قامت اسرائيل في الاساس على دعوة عنصرية دينية تحت ستار «جمع شتات اليهود في مختلف انحاء العالم في وطن قومي يوفر لهم حياة حرة وآمنة » ، لذلك فهي لا تستطيع التخلي عن هذا الاعتبار العنصري الديني والا لفقدت الاساس الذي تبرر فيه وجودها واستمرارها . ثانيا : يشكل اليهود الرأسماليون في كافة انحاء العالم دعامة كبيرة لاسرائيل ، سياسية واقتصادية ، وهي باحتفاظها بالسياسة الدعائية الشوفينية ــ الدينية ، تقدم لهذه الفئة التغطية الملائمة ، لتزويدها بالمساعدات المادية . والدعم السياسي والمعنوي ، بحجة التضامن القومي بدلا عن المصالح الاحتكارية . ثالثا : ان اثارة قضية اضطهاد اليهود بين فترة واخرى تضمن استمرار المساعدات من الدول الامبريالية باستدرارها عطف الرأي العام الغربي المثقل بالذنوب ، نتيجة السياسة النازية اللاسامية . أما بالنسبة للدول الاشتراكية فان هذه السياسة تحقق أغراضا اخرى فمثل هذه الحملات الدعائية تخدم اهداف الامبريالية في صراعها مع الدول الاشتراكية ، واذا أدت مثل هذه السياسة الى مشاكل او تعقيدات في اوضاع اليهود في البلدان الاخرى فان ذلك لا يعني اسرائيل بقدر ما يعني اثارة المشاكل في وجه هذه البلدان وفي وجه الاقليات اليهودية فيها . أما بالنسبة للدول العربية فان هذه الحملات الدعائية تأخذ حجما مختلفا وابعادا خطيرة ، فهي تحقق لاسرائيل في صراعها مع الامة العربية عرضا مزدوجا ، فمن جهة اولى تثير هذه الحملات ارباكا مصطنعا في بعض المجتمعات العربية ، ومن جهة ثانية تشكل تغطية كافية لمشاريع اسرائيل العدوانية والتوسعية ضد البلدان العربية . اذا ، لا يمكن فصل السياسة الاسرائيلية الاعلامية تجاه موضوع الاقليات اليهودية ، عن اوضاع اسرائيل العامة وسياستها المرتبطة بالسياسة العدوانية وللامبريالية . واذا كان من الصعب الفصل بين الدعاية الاسرائيلية والتوجه السياسي الاسرائيلي العام ، فان من الصعب اكثر الفصل بين هذين الحقلين في مجرى الصراع المصيري الدائر بين الامة العربية واسرائيل مما يقود الى النتيجة المنطقية والواقعية ، وهي أن الحملة جزء لا يتجزأ من هذا الصراع المصيري .

ولعل الالمام بتفاصيل الحملة المركزة التي افتتحتها اسرائيل بعد ١٩٦٧ ضد سوريا ، يعطي صورة واقعية عن الاهداف الاسرائيلية .

اثر حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، تأسست في مدينة نيويورك في الولايات المتحدة الامريكية، لجنة باسم Committee of Concern للتدخل في شؤون الاقليات الدينية في البلاد العربية ، وبالتحديد في شؤون المواطن اليهودي . وقد ضمت هذه اللجنة عددا من الشخصيات الاميركية من مختلف مجالات الحياة ، « تعبيرا عن قلقهم على مصير الاقليات الدينية في البلاد العربية » وبلغ عددهم ٣٠ شخصية اميركية يهودية وغير يهودية ، ورأس هذه اللجنة جنرال متقاعد في الجيش الاميركي هو « لويس كلاي » الذي له ماض معروف في الحرب العالمية الثانية ، ودور كبير في احتلال المانيا الغربية ، ويزاول الان

نشاطا ماليا هاما في ادارة شركات يهودية معروفة . ومن ابرز اعضائها الاخرين شخصيات اميركية معروفة بعدائها للعرب ، مثل «جورج بوش» مندوب الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة ، و« آرثر غولدبرغ » وهو صهيوني وكان رئيسا للوفد الاميركي لدى مجلس الامن ، اثناء عدوان حزيران ، وقد لعب دورا بارزا في تأخير تثبيت قرار وقف اطلاق النار ، ليتاح لاسرائيل احتلال كامل الجولان ، بالاضافة الى اسماء اميركية بارزة مثل « آرثر ميلر » . وقد تأسس لهذه اللجنة فروع عديدة في مختلف انحاء اميركا واوروبا ، للغرض نفسه ، وضمت شخصيات بارزة في تلك البلاد في ميادين السياسة والفكر والدين والاقتصاد ، مثل رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي ، مثلا وعدد من اعضاء مجلس النواب البلجيكي . كان الغرض من تشكيل اللجان على هذا الشكل ، هو تعميق اثر الحملة في نفوس الشعوب التي تنشط في بلادها هذه اللجان ، بما لافرادها من نفوذ مادي ومعنوي .

بدات اللجنة الاميركية حملتها في نهاية صيف عام ١٩٧١ ، ببيان يتهم سوريا ، باضطهاد اليهود السوريين اقتصاديا وسياسيا ، واعتقالهم وتعذيبهم ، وممارسة التمييز العنصري ضدهم .

وتضمن البيان بنودا محددة ، وتصف حالة اليهود السوريين واوضاعهم وتعدد القيود المفروضة عليهم ، ويمكن تلخيص هذه الاتهامات بما يلي : ١ ـ **على الصعيد السياسي:** الحرمان من الحقوق والحريات السياسية ، والاعتقال الكيفي ، والتعذيب في السجون ، واغتصاب النساء ، وهدم البيوت ، ومنع الهجرة . ٢ ـ **على الصعيد الاقتصادي :** التضييق على اليهود في مختلف فروع النشاط الاقتصادي ، مثل منع التعامل معهم ، وحجب الرخص والاجازات ، ومصادرة الاموال والاملاك . ٣ ـ **على الصعيد الاجتماعي :** كبت الحريات والحقوق الدينية والاجتماعية ، مثل حرية التعليم والعبادة ، وهدم المعابد والمقابر الخاصة بالطائفة .

كان هذا البيان ايذانا ببدء الحملة ، فقد تلقفته بقية الفروع واللجان ـ التي بدات تعمل تحت اسماء متعددة مثل رابطة الدفاع عن اليهود السوريين ، ولجنة الدفاع اليهودية ، وجمعية الصداقة الفرنسية ـ الاسرائيلية ـ ، وبنت على اساسه نشاطاتها في مختلف انحاء القارتين الاوروبية والاميركية ، وعلى مختلف المستويات الشعبية والرسمية ـ مستخدمة في ذلك كل وسائل الدعاية المتاحة ، كالاذاعات المحلية ، والصحف ، والمؤتمرات ، وتنظيم التظاهرات ، وهواتف التهديد ، وبطاقات الاحتجاج والملصقات . فقد تلقى الوفد السوري لدى الامم المتحدة ما يزيد على ٨٠٠ بطاقة ، و ١٠٠٠ رسالة ، و ٤٠٠ برقية ، كلها تطالب بالسماح لليهود السوريين بالهجرة الى اسرائيل ، وشنت اذاعة « Wims » وهي اذاعة محلية في ولاية نيويورك ، اسوأ حملة ضد سوريا .

وفي ١٩ تشرين الثاني ١٩٧١ ، نشرت صحيفة « نيويورك تايمز » وقائع مؤتمر صحفي عقد في التاريخ نفسه ، باشراف « رابطة الدفاع عن اليهود السوريين » ظهر فيه شاب لا يتجاوز ـ ١٧ ـ عاما ، ادعى انه يهودي سوري ، ولم تذكر الصحيفة اسمه ولا نشرت صورته ، مع انها وعدت قراءها أن تفعل في العدد القادم ، ولكنها لم تفعل حتى الان ، وقد ركز بعض الصحفيين اسئلتهم في هذا المؤتمر على «العنف الدائم» الذي يمارس في سوريا ضد اليهود ، وقد اجاب الشاب السوري المزعوم بوضوح ان هناك خوفا دائما وليس عنفا دائما ، وعندما طلب أحد الصحفيين الاطلاع على الوثائق التي تثبت جنسية الشاب واسمه ، ثارت في وجهه عاصفة من الاستنكار والاتهامات ، بدعوى ان الامر ليس في حاجة الى اثبات .

استمرت الحملة على شكل نشاطات مشابهة ، انما بتصعيد واضح ، فقد انتقلت الى

مجالس النواب والدوائر المسؤولة في بعض الدول الاوروبية ، مثل فرنسا وبلجيكا وبريطانيا . وجاءت اخيرا تصريحات وزير الدولة الاسرائيلي اسرائيلي غاليلي في ١٢ حزيران ١٩٧٢ ، تتويجا لهذه الحملة ووصولا بها الى ذروة التصعيد والتوتر ، فقد تضمنت هذه التصريحات تهديدا مباشرا لسوريا ، وتدخلا سافرا في شؤون سوريا الداخلية ، ووصاية تعسفية على فئة من المواطنين السوريين ، وجاء فيها بالنص ، ما يلي : « ان اسرائيل لن تقف مكتوفة الايدي تجاه اضطهاد اليهود في سوريا ، وسوف نعمل على انقاذهم بوسائل منظمة » ولكنه اضاف « سوف نمتنع عن اي عمل قد يعرض حياتهم للخطر » وادعى ان اسرائيل تعتبر اليهود السوريين « ضيوفا » على سوريا ، وتطلب من سوريا ان تعاملهم بهذه الصفة « بالنظر لظروف الحرب القائمة في منطقة الشرق الاوسط » ، وبعد ان اعلن ان مهمة اسرائيل هي الدفاع عن كل يهودي في كل انحاء العالم ، دعا اليهود السوريين للهجرة الى اسرائيل ، ورحب بهم فيها باسم الحكومة الاسرائيلية !.

اثارت هذه التصريحات الخطيرة عاصفة من الاحتجاج والاستنكار في صفوف اليهود السوريين ، الذين عمدوا الى التعبير عن استيائهم بالمؤتمرات الصحفية والبرقيات والرسائل الى مختلف الهيئات العالمية ، مثل مجلس الامن ، ولجنة حقوق الانسان ، والامين العام للامم المتحدة . وقد اصدر المجلس الملي عددا من البيانات والبرقيات المماثلة ، اعتبر فيها تصريحات غاليلي محاولة لافتعال المتاعب لليهود السوريين وفرض الوصاية عليهم بالقوة . وفند البيان كذلك جميع الادعاءات المتعلقة بالاضطهاد السياسي والاقتصادي والديني ، واعلن ان السوريين اليهود يرفضون هذه الوصاية ، وينكرون كل الادعاءات ويدركون الغرض العدواني والاستغلالي الكامن وراءها . وخاصة في ظروف الحرب القائمة . وكانت نتيجة هذا التصعيد ايضا ، ان اثارت الحملة اهتمامات واسعة في صفوف الراي العام العالمي ، مما دفع بعدد كبير من مراسلي الصحافة الغربية لزيارة سوريا ، والاطلاع على اوضاع اليهود السوريين الواقعية ، وقد نشرت عدد من الصحف الكبرى المهتمة بقضايا الشرق الاوسط ، مقالات وتحقيقات مطولة لمراسليها ، جاءت في خطها العام ، دحضا للمزاعم الاسرائيلية والصهيونية ، كان ابرزها المقالات التي نشرت في صحيفة « الغارديان » البريطانية ، بتاريخ ١٩٧٢/١/٣١، و « كريستشن ساينس مونيتور » بتاريخ ١٩٧١/١٢/٢ ، و « الاوبزرفر » البريطانية ، و « نيويورك تايمز » الاميركية بتاريخ ١٩٧٢/٢/٤ ، وال « Remarques Africaines » البلجيكية بتاريخ ١٩٧١/١١/١٨ و« لو سوار » البلجيكية ايضا ، بتاريخ ٧ كانون الثاني ١٩٧٢ ، ومجلة « فرنسا والبلاد العربية » عدد شباط ــ فبراير ١٩٧٢ .

هذه هي وقائع الحملة ، والاتهامات الواردة فيها ، وردود الفعل التي اثارتها ، ويهمنا في ختام هذه الدراسة ، العودة فقط الى بعض الاتهامات موضوع الحملة ، والى التذكير بالهدف الاستراتيجي الكامن وراءها ، خاصة واننا عرضنا لوحة مفصلة اقتصادية وسياسية واجتماعية عن الاوضاع الراهنة للطائفة اليهودية في سوريا ، وقدمنا تحليلا للظواهر الاساسية في هذه الاوضاع ، مما يجعل العودة اليها ، للرد على الحملة ، لغوا لا محل له .

غير ان هناك جانبا من الحملة يتعلق بنقاط محددة ، **مثل عدد المعتقلين في السجون ، والحرمان من حق الهجرة والسفر** ، تقتضي الوقوف عندها :

بالنسبة للنقطة الاولى ، **ليس هناك في السجون السورية اليوم ، سوى اثنين من السوريين اليهود** ، وجهت اليهما تهمة تتعلق بأمن الدولة ، وتجري بحقهما الان الاجراءات القانونية النافذة في سوريا بالنسبة لكافة المواطنين . الا انه اعتقل منذ

اشهر قليلة ، اربعة عشر شخصا من ابناء الطائفة ، وهم يحاولون اجتياز الحدود السورية خلسة ، وبصورة غير شرعية بقصد الهجرة النهائية ، وقد احيلوا على المحاكم المختصة في حينه ، ثم صدر عفو خاص عنهم واطلق سراحهم ، ويزاولون الان حياتهم واعمالهم بشكل معتاد .

اما فيما يتعلق بالنقطة الثانية ، وهي **القيود المفروضة على الهجرة والسفر** ، والتي المحنا اليها **كاجراء امني احتياطي** ، اتخذ اثر الحرب وفي اعقابها ، **فما تزال سارية حتى اليوم** . وليس الامر هنا ، هو تقييم هذا الاجراء بحق فئة من ابناء الشعب السوري ، ولكن النظر الى هذه النقطة يجب أن لا يقفز بها عن الظروف الواقعية السائدة في المنطقة، وهي ظروف دقيقة جدا ، لا حاجة بنا الى اعادة شرحها ، ثم ان لا حاجة بنا ايضا الى التذكير بالكثير من الاجراءات المماثلة ، التي اتخذت في حالات الحرب في كثير من الدول ، ولا ندخل اسرائيل ضمن هذه الدول ، لان الاجراءات التي تمارس ضد المواطن العربي فيها ، وحتى ضد اليهود الشرقيين ، هي التي تعبر عن تمييز عرقي وعنصري حقيقي ، ان كل ذلك لا يضيف شيئا على الموضوع ، ولا يمكن برأينا ، ان يبرر اجراءات مماثلة ، ان ما يبرر هذه الاجراءات فقط هو الحالة الواقعية التي أشرنا اليها ، ونعني بها الحرب ونتائجها . ومما يجدر بالذكر ، ان العديد من ابناء الطائفة المدركين ، يقدرون هذه الظروف تقديرا واعيا(١٠)* .

---

١ — جرى الاعتماد في هذه الدراسة ، بشكل اساسي ، على مقابلات شخصية مع عدد من الافراد اليهود من مختلف الفعاليات ، كالتعليم « ألبير حمرا » ، والتجارة « حاييم شقيفاتي »، وعلى التقصي المباشر لمختلف فروع النشاط ، وعلى بعض المراجع الثانوية المتوفرة في وزارة الخارجية السورية ووزارتي الاقتصاد والاعلام ومديرية الاحصاء . وقد تمت المقابلات في دمشق في شهر تموز عام ١٩٧٢ .

٢ — محمد كرد علي ، **خطط الشام** ، الجزء الاول ، المكتبة الظاهرية ، دمشق .

٣ — ساطع الحصري ، **البلاد العربية والدولة العثمانية** ، القاهرة ١٩٥٧ .

٤ — مثل السيد يوسف لنيادو ، عضو مجلس النواب السوري لدورة ١٩٣٢ — ١٩٣٦ ، والسيد وحيد مزراحي عضو مجلس النواب السوري لدورة ١٩٤٦ — ١٩٤٩ .

٥ — مثل السيد يوسف رومانو الذي تولى وظيفة قائمقام ، وهي وظيفة ادارية هامة ، تأتي في المرتبة الثالثة بعد رئيس الدولة والمحافظ .

٦ — حجم الطوائف اليهودية في بلدان المغرب العربي اكبر نسبيا ، والانقسام الطبقي بينهم اكثر وضوحا .

٧ — **محاضر مجلس النواب السوري** ، الدور الاشتراعي الرابع ، الدورة العادية الاولى ، الجلسة السابعة ، كانون الاول ١٩٤٧ .

٨ — قدر السيد البير حمرا ، عدد من توجه الى اسرائيل في تلك الفترة بنسبة لا تتجاوز ١٥ ٪ من مجموع المهاجرين ، وقدم لي مثلا عن المواطن اليهودي السوري « دافيد صايغ » وهو تاجر ولاعب كرة قدم . كتب رسالة الى أهله يطلب فيها العودة الى سورية ، ويسألهم التوسط لدى السلطات الرسمية لترتيب ذلك .

٩ — راجع : مقال أسامة الغزي ، في كتاب **فلسطينيات** ، المجموعة الثانية ، من منشورات مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت، ١٩٦٩ .

١٠ — جرت مناقشة هذا الموضوع الحيوي ، مع عدد من أبناء الطائفة في مقر مدرسة ابن ميمون، في حي باب شرقي بدمشق ، وقد لمست لديهم تفهما ، فاجأني ، للظروف المحيطة بهذا الموضوع ، غير انني لا استطيع الجزم بأن جمهرة الطائفة تعيش الحالة نفسها من التفهم والوعي .

* لدى مركز الابحاث معلومات مفصلة عن اليهود السوريين بما في ذلك توزعهم المهني وأماكن عملهم واقامتهم .

الاممية الاشتراكية : او اشتراكية الاثرياء

داود تلحمي

« يبدو ان غولدا مئير ستاتي الى باريس » . لا ناسيون ١٩٧٢/١٢/٢٦

تحت هذا الاسم البراق ، تنضوي اليوم **سبع وخمسون منظمة** من القارات الخمس تضم ما يقارب الخمسة عشر مليون عضو منتظم وتنال في الانتخابات النيابية ما يزهو على السبعين مليون صوت (هذه الارقام من وثائق الاممية نفسها وبالذات : النشرة رقم ٧٢/١٥ الصادرة بتاريخ ١٩٧٢/٦/١٦) . وفي ثلاث عشرة دولة تضم ما يقارب المئتي مليون نسمة ، يترأس الحكومة اعضاء في الاممية (وهذه الدول هي : السويد وفنلندا والدانمرك والمانيا الفيدرالية والنمسا وبلجيكا ومالطا وجمايكا وجزيرة موريس واستراليا ونيوزيلندا وسنغافورة واخيرا اسرائيل) . [لوموند ١٩٧٣/١/١٢] .

فما هي هذه الاشتراكية التي يحمل لواءها كيان استيطاني استعماري كاسرائيل وحكومات امبريالية متضامنة مع العدوان الامريكي على شعوب الهند الصينية ومتعاقدة مع الولايات المتحدة في حلف شمال الاطلسي او حلف جنوب شرقي آسيا ؟

نبذة تاريخية* :

بعد محاولات عدة لربط الحركات العمالية الاوروبية المتزايدة الفعالية في اطار اوسع من الاطر القومية لمساعدتها على مواجهة القمع الرأسمالي ، تأسست اولى التنظيمات العمالية الاممية في ٢٨ أيلول ١٨٦٤ في سانت مارتنز هول بلندن تحت اسم **« الرابطة العالمية للعمال »** ، ضامة تنظيمات وأفراد من بريطانيا وبولندا والمجر وايطاليا وفرنسا والمانيا . وبين هؤلاء كان كارل ماركس ، الذي لم يكن في البدء من المنظمين الرئيسيين ، ولكنه استطاع اثناء المؤتمر وبعده شيئا فشيئا أن يغدو واسع النفوذ ، رغم معارضة انصار برودون الاصلاحي وباكونين الفوضوي .

وبعد نجاحات متفاوتة في تحقيق وحدة اكبر للطبقة العاملة الاوروبية ، اقر مؤتمر فيلادلفيا في صيف ١٨٧٦ حل المجلس العام لما عرف فيما بعد « بالاممية الاولى » . ولم تقم محاولات لبعثها قبل عام ١٨٨٩ (أي بعد وفاة كارل ماركس) عمل اثناءها ماركس وانغلز على تعميق مفاهيم وسبل نضال التنظيمات القطرية . ففي ١٤ تموز ١٨٨٩ الذي صادف الذكرى المئوية للثورة الفرنسية انعقدت الجلسة الاولى « للاممية الثانية » ، ولم يكن الخط الماركسي قد انتصر حينها الا في حزبين اشتراكيين : الالماني والنمسوي . وبعد طرد الفوضويين من الاممية في مؤتمر لندن عام ١٨٩٦ ، دارت الصراعات بشكل رئيسي حول مشكلة التحريفية (او بالاحرى المراجعية) التي طرحتها كتابات بيرنشتاين المطالبة باعادة النظر في موضوعات الصراع الطبقي ودكتاتورية البروليتاريا وبعض التحاليل الماركسية الاقتصادية . ورغم ادانة لفظية للتحريفية الا ان مؤتمر امستردام (عام ١٩٠٤)

Le socialisme démocratique 1864 - 1960, Jacques Droz, Editions A. Colin, Paris 1966 *

أتخذ موقفا توفيقيا بين الاطراف المتنازعة في الوقت الذي امتد فيه النفوذ التحريفي في معظم الاحزاب الاشتراكية وخاصة في الفرنسي والالماني والايطالي .

وبرزت المواقف التحريفية في النقاشات التي دارت حول المسالة الاستعمارية والتي وقفت فيها بعض التيارات الى جانب ابقاء المستعمرات على اساس تحقيق « الهدف الحضاري الشامل الذي تسعى له الاشتراكية » على حد قول التحريفي الالماني دافيد ، الذي اضاف « بأننا بدون المستعمرات ، لن نكون مختلفين من حيث الوضع الاقتصادي عن الصين ». [المصدر السابق، ص١٣٧]. ولكن الصخرة التي اصطدمت بها الاممية وتحطمت عليها كان موضوع الحرب العالمية المتوقعة منذ مطلع القرن. وكان الخلاف يدور حول موقف القوى الاشتراكية في كل بلد من حكوماتها في حال اندلاع الحرب ، وما أن اشتعلت الا ووقفت اغلب الاحزاب الاوروبية متضامنة مع بورجوازياتها في حرب نهش امبريالية راح ضحيتها عشرات الملايين . وفي تعليقه على هذا الانهيار لاممية واشتراكية « الاممية الاشتراكية » ، كتب فلاديمير أليتش لينين في مطلع الحرب يقول : « ان انهيارها (أي الاممية الثانية) الذي يعني الانتصار الكامل للانتهازية ، وتحول الاحزاب الديموقراطية الاشتراكية الى أحزاب قومية ليبرالية ــ نقابية ليس الا نتاج الحقبة التاريخية للاممية الثانية » [الاعمال الكاملة ، موسكو ١٩٦٤ بالانكليزية ، مجلد ٢١ ، صفحة ٢٥٦] .

« وحتى اذا أخذنا بعين الاعتبار عجز الاشتراكيين الاوروبيين وعقمهم ، فان تصرف قادتهم يدل على الخيانة والدناءة : فالعمال اقتيدوا الى المجزرة بينما صوت قادتهم الى جانب حكوماتهم وساندوها » . [المصدر نفسه ، ص ٢٢] .

واستمر لينين وبعض القادة الاشتراكيين القلائل كروزا لوكسمبورغ في حملتهم على أحزاب الاممية الثانية التي نعتها لينين « بالاشتراكية ــ الشوفينية » . وبعد أشهر من انتصار ثورة اكتوبر ١٩١٧ وقبل انتهاء الحرب الاهلية في المناطق التي عرفت فيما بعد باسم « الاتحاد السوفياتي » ، **قامت الاممية الثالثة (او الاممية الشيوعية) في اذار ١٩١٩ على انقاض الثانية** داعية الى تكوين احزاب شيوعية مستقلة عن الاحزاب الاشتراكية ــ الديموقراطية .

وبعد انقسامات عدة في الاحزاب الاوروبية أدت الى قطع الصلات نهائيا بين الاممية الثالثة وأحزاب الاممية الثانية ، عادت الاخيرة لتجتمع من جديد في مؤتمر همبورغ في اذار ١٩٢٣ الذي انبثق عنه « اممية عمالية اشتراكية » لم يكن عمرها اطول من التي سبقتها فانهارت بدورها ابان الحرب العالمية الثانية في مطلع عام ١٩٤٠ .

وحاول الحزب العمالي البريطاني بعث الاممية من جديد ومواجهة انتصارات الحركات الشيوعية في اسيا واوروبا الشرقية ، فعمل على اقامة « لجنة الدفاع الاشتراكي الدولي » التي قررت **طرد** الاحزاب الاشتراكية التي اندمجت مع الاحزاب الشيوعية في اوروبا الشرقية واعادة « الاممية الاشتراكية » الى الحياة في **مؤتمر فرانكفورت** في حزيران ١٩٥١ .

الاممية الاشتراكية الحالية :

انعقد مؤتمر فرانكفورت تحت رئاسة الزعيم الاشتراكي الالماني كورت شوماخر وانتخب لرئاسة الاممية العمالي البريطاني مورغان فيليبس ولنيابته الاشتراكي الفرنسي غي موليه [لوموند ١٩٧٣/١/١٢] .

وعقدت الاممية منذ ذلك التاريخ عدة مؤتمرات : ميلانو ١٩٥٢ ، ستوكهولم ١٩٥٣ ، لندن ١٩٥٥ ، فيينا ١٩٥٧ ، هامبورغ ١٩٥٩ ، روما ١٩٦١ ، امستردام ١٩٦٣ ، ستوكهولم ١٩٦٦ ، ايستبورن ١٩٦٩ ، وفيينا ١٩٧٢ . وعلى اثر المؤتمر الاخير ،

أصبحت تتشكل من ٣٧ حزبا مشاركا و ١٣ حزبا بصفة استشارية و ٧ احزاب بصفة مراقب .

وهذه الاحزاب هي [نشرة الاممية رقم ٧٢/١٥ بتاريخ ١٩٧٢/٦/١٦] :

الاحزاب المشاركة :	عدد الاعضاء
ـ الحزب الاشتراكي الارجنتيني	٢١٠٠٠
ـ الحزب العمالي الاسترالي	٤٥٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي النمسوي	٧١٦٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي البلجيكي	٢١٦٥٠٠
ـ الحزب الديموقراطي الكندي الجديد	٣٧٥٠٠٠
ـ الحزب الراديكالي في تشيلي	٢٧٥٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الدانمركي	١٧٠٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الفنلندي	٧٢٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي في فرنسا	٨٠٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني	٨٤٧٤٥٦
ـ الحزب العمالي في بريطانيا العظمى	٦١٨٢٦٨٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الايسلندي	٢١٠٠
ـ البوند العمالي اليهودي العالمي	٢١٠٠٠
ـ الحزب العمالي في ارلندا	٢٠٠٠٠
ـ حزب العمل الاسرائيلي	٣٠٠٠٠٠
ـ الاتحاد العالمي للصهيونيين الاشتراكيين	٣٥٠٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الايطالي	٥٣٨٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الايطالي	٢٥٠٠٠٠
ـ حزب الشعب القومي في جامايكا	١٢٥٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الياباني	٣٦٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الياباني	٥١٥٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الموحد في كوريا الجنوبية	٢٥٧٠٠
ـ حزب العمال الاشتراكي في لوكسمبورغ	٤٥٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي في مدغشقر	١٣٠٠٠٠٠
ـ حزب العمل الديمقراطي في ماليزيا	١٤٠٠٠
ـ الحزب العمالي المالطي	٢٠٠٠٠
ـ الحزب العمالي في جزيرة موريس	٣٠٠٠٠
ـ الحزب العمالي في هولندا	٩٠٠٠٠
ـ الحزب العمالي النيوزيلاندي	١٩٥٠٠٠
ـ الحزب العمالي النرويجي	٢٠٠٠٠٠
ـ حزب العمل الاشتراكي البرتغالي	—
ـ الحزب الاشتراكي-الديموقراطي المستقل في سان مارينو	٩٠٠
ـ حزب العمل الشعبي في سنغافورة	١٠٠٠٠
ـ حزب العمال الاشتراكي الاسباني	٩٠٠٠
ـ الحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي السويدي	٨٩٠٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي السويسري	٥٠٠٠٠
ـ الحزب الاشتراكي في الولايات المتحدة / الفيدرالية الديموقراطية الاشتراكية	٥٠٠٠

الاعضاء الاستشاريون :

ــ الحزب الاشتراكي البلغاري في المنفى	—
ــ الحزب الاشتراكي الديموقراطي التشيكي في المنفى	—
ــ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الاستوني في المنفى	—
ــ الحزب الاشتراكي المجري في المنفى	—
ــ الحزب الاشتراكي الديموقراطي اللاتفي في المنفى	—
ــ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الليثواني في المنفى	—
ــ الحزب العمالي الايرلندي الشمالي	١٢،٥٠٠
ــ الحزب الاشتراكي الديموقراطي والعمالي في ايرلندا الشمالية	٨،٠٠٠
ــ الحزب الاشتراكي البولندي في المنفى	—
ــ الحزب الاشتراكي الديموقراطي الروماني في المنفى	—
ــ حزب الشعب الاشتراكي في اليمن الجنوبية	٣٠،٠٠٠
ــ الحزب الاشتراكي في فيتنام الجنوبية	٧،٠٠٠
ــ الحزب الاشتراكي اليوغوسلافي في المنفى	—

الاعضاء المراقبون :

ــ الحزب العمالي التقدمي في برمودا	١،٠٠٠
ــ حزب التحرر الوطني في كوستاريكا	٧٥،٠٠٠
ــ الحزب الاشتراكي الهندي	٢١٣،٠٠١
ــ الحزب الشباطي الثوري في براغواي	٣،٥٠٠
ــ حزب التحالف الشعبي الثوري الامريكي في بيرو	٥٥،٠٠٠
ــ حزب العمل الديموقراطي في فنزويلا	٤٥٠،٠٠٠
ــ الحركة الشعبية الانتخابية في فنزويلا	٢٧٥،٠٠٠

وهذه القائمة تستدعي ملاحظات عدة :

١ ــ بين الاحزاب المشاركة حزبان صهيونيان هما حزب العمل الاسرائيلي والاتحاد العالمي للصهيونيين الاشتراكيين وحزب قومي يهودي اخر هو البوند .

٢ ــ معظم الدول التي يحكمها احزاب الاممية الثانية متعاقدة مع الولايات المتحدة و (او) بريطانيا في احلاف عسكرية . فهذا هو الحال بالنسبة لبلجيكا والدانمرك والمانيا الفيدرالية الاعضاء في حلف شمال الاطلسي ، واستراليا ونيوزيلاندا المشتركتين في حلف جنوب شرقي اسيا ، وجزيرة موريس وسنغافورة المتعاقدتين مع بريطانيا .

٣ ــ بين الاعضاء الاستشاريين عدد من « احزاب المنفى » لدول اوروبا الشرقية : فهذا الحال بالنسبة لاحزاب تنتسب لبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا ورومانيا ويوغوسلافيا وجمهوريات سوفياتية ثلاث : استونيا ولاتفيا وليتوانيا . وباستطاعتنا اضافة حزب اخر الى احزاب المنفى هذه وهو حزب الشعب الاشتراكي في اليمن الجنوبي ، الحزب العربي الوحيد في القائمة ، ووجوده خارج لوائح « الاممية الثانية » رغم العدد الضخم من الاعضاء المنسوب اليه (٣٠،٠٠٠) امر مشكوك فيه . ولا حاجة التأكيد على ان وجود كل هذه الاحزاب ولو بصفة استشارية ، هو موقف عدائي للانظمة القائمة في الدول المذكورة .

بناء واجهزة الاممية : يشكل المؤتمر الجهاز الاعلى للمنظمة ويجتمع مبدئيا مرة كل عامين ، وتحال المسؤوليات بين المؤتمرات الى مجلس عام يجتمع مرة على الاقل كل عام ، بينما يشكل المؤتمر مكتبا تنفيذيا من ٢٠ حزبا . والمقر الرئيسي للمكتب في لندن .

[لوموند ٧٣/١/١٢] وقد انتخب مؤتمر فيينا الاخير الاحزاب التالية لعضوية المكتب*. استراليا : الحزب العمالي (بالتناوب مع الحزب العمالي النيوزيلاندي) ، النمسا : الحزب الاشتراكي ، بلجيكا : الحزب الاشتراكي ، كندا : الحزب الديموقراطي الجديد ، تشيلي : الحزب الراديكالي ، الدانمرك : الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، فنلندا : الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، فرنسا : الحزب الاشتراكي ، المانيا : الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، بريطانيا : الحزب العمالي ، اسرائيل : حزب العمل ، ايطاليا : الحزب الاشتراكي والحزب الاشتراكي الديموقراطي ، اليابان : الحزب الاشتراكي والحزب الديموقراطي الاشتراكي ، مالطا : الحزب العمالي ، هولندا : الحزب العمالي ، نروج : الحزب العمالي ، سنغافورة : حزب العمل الشعبي ، السويد : الحزب الاشتراكي الديموقراطي .

كما انتخب للامانة العامة : برونو بيترمان (النمسا) .

ونوابا للامين العام : فيلي برانت (المانيا الفيدرالية) ، تريغفه براتللي (النرويج) ، سيكو مانشولت (هولندا) ، غولدا مئير (اسرائيل)**، فرانسوا ميتران (فرنسا) ، بياترو نانني (ايطاليا) ، جوزيبي ساراغات (ايطاليا) ، هارولد ويلسون (بريطانيا) .

وللاممية صلات تنظيمية مع المنظمات العالمية التالية [نشرة رقم ٧٢/١٥ المذكورة اعلاه].

— المجلس العالمي للنساء الاشتراكيات الديموقراطيات ، ومقره في لندن .
— الاتحاد العالمي للشباب الاشتراكي ومقره في فيينا .
— مكتب الاحزاب الاشتراكية في دول السوق المشتركة ومقره في لوكسمبورغ .
— الاتحاد الاشتراكي لاوروبا الوسطى والشرقية ، ومقره في لندن .
— المنظمة الاشتراكية لآسيا والمحيط الهادىء ، ومقرها في سنغافورة .
— الاتحاد العالمي للمعلمين الاشتراكيين الديموقراطيين ، ومقره في بون .
— الفيدرالية العالمية للصحافة الاشتراكية والديموقراطية ومقرها في بون .
— حركة الصقر العالمية ، الاممية التعليمية الاشتراكية ، ومقرها في فيينا .
— الاممية العمالية للرياضة ومقرها في بروكسل .

مؤتمر فيينا و « مشكلة الشرق الاوسط » :

بين ٢٦ و ٢٩ حزيران ١٩٧٢ ، عقدت الاممية الاشتراكية مؤتمرها الثاني عشر في عاصمة النمسا . وقد اثار حضور غولدا مئير لهذا المؤتمر تساؤلات في العالم العربي حول هوية هذه المنظمة وماهية اشتراكيتها . ولم يكن هذا المؤتمر الاول الذي حضرته مئير ، فقد شاركت في اعمال مؤتمر ايستبورن (بريطانيا) في حزيران ١٩٦٩ الذي اتخذ قرارا حول الشرق الاوسط يطالب فيه « بمفاوضات مباشرة تؤدي لمعاهدات سلام بين اسرائيل والدول العربية » ويدين « اعمال الارهاب المجانية ». [جويش كرونيكل ١٩٦٩/٦/٢٧] . وقد صوتت كافة الاحزاب المشاركة الى جانب هذا القرار باستثناء **الحزب السويدي وحزب البوند اليهودي** (الذي يقف موقفا نقديا من بعض مظاهر الصهيونية) . وكان هذا اول مؤتمر يحضره وفد عربي ولو بصفة اقل من مراقب : وهو الوفد المصري برئاسة حسين ذو الفقار صبري . [المصدر نفسه] .

كما حضرت اجتماعا مجلسيا للاممية في هلسنكي (٢٥ — ٢٧ ايار ١٩٧١) حاولت فيه هذه المرة بالحاح الحصول على بيان مؤيد لاسرائيل كما جرت العادة في المؤتمرات

* نشرة الاممية الاشتراكية SI News, Vol. 3, No. 10 - 15 July 1972.

** ويلاحظ ان اسرائيل هي الوحيدة غير الاوروبية في لائحة الشرف هذه .

السابقة . الا ان معارضة الدول الاسكندنافية كانت قوية هذه المرة ، فلم يحصل « القرار حول الشرق الاوسط » على الاجماع الذي ارادته . فامتنعت الاحزاب الاسكندنافية (وبالذات حزبا **فنلندا والسويد**) عن التصويت على فقرة او اكثر من القرار بينما عبر ممثل الحزب العمالي الهولندي عن تحفظ عدد كبير من الوفود في خوضهم لقضية حساسة كهذه [نيو ميدل ايست عدد آب ١٩٧٢] . ورغم ذلك فقد جاءت بعض فقرات القرار مؤيدة تماما لوجهة النظر الاسرائيلية ، وخاصة فيما يتعلق « بقلق (المؤتمر) من التصاعد الاخير في سباق التسلح من خلال وصول سلاح متقدم جديد لمصر وسوريا ومطالبته بالحفاظ على التوازن بين اسرائيل وجاراتها » ، وكذلك بالنسبة « لاهتمام (المؤتمر) بتحقق حل سلمي قائم على المحادثات والاتفاق بين الاطراف ودون ضغط خارجي » ، كل ذلك بالاضافة الى نداء « للتعاون مع الدكتور يارينغ على اساس قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ » . [المصدر السابق نفسه ، ص ٣٦] .

وادراكا منها لتصاعد معارضة بعض الاحزاب لسياسة اسرائيل (وخاصة الحزب الفنلندي والى حد ما وبتأثير تنظيم الشبيبة فيه الحزب السويدي ، وحزب دوم مينتوف المالطي كذلك لقربه جغرافيا وماديا من العالم العربي) ، لم تصر غولدا مئير في مؤتمر فيينا على اتخاذ المؤتمر لاي قرار . واكتفت بالتظاهرة الاعلامية التي رافقت وصولها وحضورها للمؤتمر ، الى جانب رؤساء حكومات خمس هم برانت (المانيا الفيدرالية) وبالمه (السويد) وبراتللي (النرويج) ومينتوف (مالطا) ورامغولام (جزيرة موريس) وحوالي مائتي ممثل عن ٢٧ حزبا [لوموند ١٩٧٢/٦/٢٨] .

وبالفعل لم يتخذ المؤتمر اي قرار في موضوع « الشرق الاوسط » . وكادت غولدا مئير تكون الوحيدة التي تطرقت له ، بحدة اقل مما فعلته في تجمع هلسنكي على حد تعبير « نيو ميدل ايست » [المصدر السابق]. واكتفى بعض المشاركين باشارة عابرة الى المشكلة فأشار فيلي برانت الى ضرورة ايجاد حل من خلال محادثات تراعي « بالتساوي المصالح الشرعية للدول العربية وحق اسرائيل في ضمان وجودها داخل حدود آمنة » [المصدر نفسه] . وتكلم برونو كرايسكي مستشار النمسا عن العلاقات بين « المثقفين الشبان في الدول العربية ومثقفي الدول الديموقراطية في اوروبا » ، كما طالب « بتعاون سلمي بين الدول العربية واسرائيل » وباحالة مجمل قضية الشرق الاوسط الى مؤتمر الامن الاوروبي المزمع عقده في هلسنكي [انترناشونال هيرالد تريبيون ١٩٧٢/٦/٢٧] . وقد عارضت الاوساط الاسرائيلية هذا الاقتراح تخوفا من اي قرار قد يعكس النقد المتصاعد لسياستها في مؤتمر سيحضره الى جانب دول اوروبا الغربية ممثلو الاتحاد السوفياتي وحلفائه الاوروبيين الشرقيين . أما دوم مينتوف رئيس وزراء مالطا فقد اشار الى الدور الخاص الذي يمكن ان تلعبه جزيرته « كحلقة وصل طبيعية تقرب بين العرب واوروبا » [نيو ميدل ايست ، اب ١٩٧٢ ص ٣٧] بحكم « الصداقات العديدة التي لمالطا في العالم العربي » [لو موند ٧٢/٧/١] .

وكان القرار حول « الارهاب » هو الوحيد الذي له صلة بشكل من الاشكال بقضية الشرق . وقد صوت ضد القرار حزبان هما **الحزب العمالي البريطاني وحزب العمل الإشتراكي البرتغالي** . وامتنعت احزاب **كندا وتشيلي وفنلندا وهولندا والسويد** الى جانب الاتحاد العالمي للشبيبة الاشتراكية عن التصويت . واشار المندوب البريطاني في معرض تفسير موقفه الى الطابع المطاط للقرار والذي قد يحمل في طياته ادانة مبطنة لحركات التحرر الافريقية ضد الاستعمار البرتغالي [جويش كرونيكل ١٩٧٢/٧/٧ وانترناشونال هيرالد تريبيون ١٩٧٢/٦/٣٠].

ملابسات اجتماع باريس :

قبل نهاية ۱۹۷۲ بدأت وسائل الاعلام تعكس ملابسات انعقاد « اجتماع قمة » للاممية الاشتراكية في أواسط كانون الثاني ۱۹۷۳ في باريس. واجتماعات كهذه ليست استثنائية وليس لها عادة نتائج سياسية ملموسة ، فهي لقاءات « غير رسمية » وليس لها الطابع « التشريعي » للمؤتمرات . والاممية ككل ، على اي حال ، اطار مطاط وغير ملزم وليس لها طابع كتلوي متناسق .

ولكن عنصرين أعطيا مشروع اللقاء هذا صدى اكبر من المعتاد : الاول له علاقة بالضيوف والثاني بالمضيف . فبين الضيوف غولدا مئير التي تأتي الى فرنسا رغما عن علاقات حكومتها الفاترة بالحكم الديغولي منذ حرب حزيران ، والمضيف هو الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي يشكل احد التنظيمات الثلاثة للتحالف اليساري الـذي يهـدد الاغلبية الديغولية الحاكمة في انتخابات آذار ، هذا علاوة على الجو الذي خلقه في اوساط اقصى اليسار الفرنسي والجالية العربية ، الاعتداء الاسرائيلي على ممثل منظمة التحرير بتاريخ ١٩٧٢/١٢/٨ والذي أودى بحياته قبل ايام قليلة من انعقاد الاجتماع .

فما أن أعلنت غولدا مئير عن عزمها النهائي لحضور المؤتمر على اثر اجتماع مجلس وزرائها في ١٢/٢٤ ، الا وبدأت الاوساط الفرنسية واوساط « الاممية الاشتراكية » واسرائيل تتبادل الاتهامات والتكهنات . فبدأت صحيفة لاناسيون الديغولية [١٢/٢٦/ ١٩٧٢] بحملة مفتوحة على المبادرة . وتساءلت جريدة لوموند عن مدى « رغبة غولدا مئير في هزيمة الديغوليين في الانتخابات المقبلة » ، علما بكراهيتها الشديدة « لحلفـاء ميتران ونفورها الغريزي من استراتيجية الشيوعية العالمية في الشرق الادنى » [٢٨/ ١٢/ ١٩٧٢] . واكدت معاريف [١٩٧٣/١/١٠] ان «اسرائيل ليس لها مصلحة بمجيء جبهة شعبية الى الحكم في فرنسا حيث سيكون للشيوعيين تأثير حاسم » . ويبدو أن المناورة الاسرائيلية كانت باتجاه **الضغط على الحكومـة الفرنسية** للاسراع في خطوات تحسين العلاقات [حجاي ايشد في اذاعة اسرائيل ١٩٧٢/١٢/٢٧ عن نشرة الرصد الصادرة عن م. ا.] وفي الوقت نفسه **محاولة دق اسفين بين الاشتراكيين والشيوعيين الفرنسيين** بابراز الخلاف الكبير بينهم حول احدى القضايا العالمية الرئيسية [أندريه لورنس في لوموند ١٩٧٢/١٢/٢٨] . وهذه الرؤيا تعززها التطورات « الوسطية » للاغلبية الديغولية التي تلعب باتجاه تغيير سياسة الحكومة تجاه اسرائيل من جهة ، وتنامي حركة الشباب المناهض لاسرائيل في اوساط الحزب الاشتراكي من جهة اخرى [لوموند ١٩٧٢/١٢/٢٦] . وليس هناك امكانيات ضغط اسرائيلي حقيقي عن طريق « الاصوات اليهودية » كما هو الحال في امريكا . فالناخبون الفرنسيون اليهود (الذين لا يتجاوز عددهم ربع المليون) لا يصوتون بشكل متجانس ، واصواتهم تتوزع على كافة الاحزاب تقريبا : فقلة منهم يصوتون الى جانب الحزب الشيوعي وعدد كبير من الشبان يميلون الى جانب منظمات اقصى اليسار (الماوية التي تقاطع الانتخابات ، والتروتسكية التي لها مرشحوها) . وربما صوت أقربهم الى الصهيونية الى جانب تحالف **الاصلاحيين** (الذي يضم « الوسط الديموقراطي » والحزب الراديكالي) بشكل اكثف ، ولكن هذا الموقف لن يكون له وزن حقيقي على مجرى الانتخابات [الان غيشار احد خبراء الشؤون اليهودية ، في لوموند ١٩٧٣/١/٤] .

وفي الطرف الآخر ، اراد الاشتراكيون الفرنسيون من خلال عقد هذا المؤتمر الذي حضره في النهاية قادة ١٩ حزبا بينهم رؤســاء حكومات أربعة (السويـد وفنلندا والنمسا والدانمرك) الى جانب غولدا مئير ، ابراز شخصية واستقلالية حزبهم عـن الحزب الشيوعي والاستفادة من الصبغة « الديموقراطية » لاشتراكية الاحزاب الاسكندنافية طمأنة قطاعات البورجوازية الوسطى والصغيرة التي تخشى من النفوذ الشيوعي في

التحالف اليساري على مستقبل القطاع الخاص وما يسمى بالحريات الديموقراطية . وقد أظهرت الاستفتاءات الاخيرة للرأي العام الفرنسي نجاح الحزب الاشتراكي في استقطاب هذه القطاعات مما أدى الى سلخ عدد كبير من مصوتي الديغولية سابقا واعطاء التحالف اليساري نسبة ٤٦ بالمئة من الاصوات مقابل ٤٠ بالمئة للاغلبية الحاكمة و١٤ بالمئة للاصلاحيين واليمين .

ولا شك ان الخاسر الرئيسي في هذه العملية كانت الكتلة الحاكمة في فرنسا ، وهذا ما يفسر رد الفعل العنيف الذي واجه به بومبيدو فكرة عقد المؤتمر عشية الانتخابات ، فأكد في مؤتمره الصحافي بتاريخ ١٩٧٣/١/٩ « ان دعوة مؤتمر الاممية الاشتراكية هذا في كانون الثاني ١٩٧٣ في باريس مبادرة غير مناسبة ... وتدخل في السياسة الداخلية الفرنسية » واتهم ميتران زعيم الحزب الاشتراكي بتدبير الموضوع ، متجنبا رغم الحاح احد الصحافيين الاشارة الى غولدا مئير بالذات . وقوبل هذا التصريح بردود فعل عنيفة من الاوساط الاسرائيلية [نشرة رصد اذاعة اسرائيل يوم ١٩٧٢/١/١٠] وأوساط الاممية الاشتراكية وأحزابها [تعليق جريدة افتونبلادت السويدية الحكومية مثلا بتاريخ ١٩٧٢/١٠/١٠] والحزب الاشتراكي الفرنسي بالذات [لوموند ١٩٧٣/١/١١] وأعلن الجميع عن تصميمهم على الاجتماع .

وكانت أوساط اقصى اليسار الفرنسي بدورها قد عبرت عن سخطها على مجيء غولدا مئير خاصة بعد وفاة ممثل منظمة التحرير . وعبرت جريدة (ثورة !) عن رأي هذه الاوساط حينما ادانت في بيان لها زيارة مئير « بمناسبة اجتماع ما يطلق عليه اسم الاممية الاشتراكية ، بؤرة اشتراكيي الكلام وامبرياليي الواقع . وهذا الاستفزاز الصهيوني ومشاركة قادة الحزب الاشتراكي فيه لن يبقيا دون جواب . وستتلقى غولدا مئير الاستقبال الذي تستحق ، ولن يحصل ميتران وأعوانه من الحزب الاشتراكي على صوت واحد من اصدقاء الثورة العربية » [لوموند ١٩٧٣/١/٦] .

وانعقد المؤتمر في هذا الجو المحموم الذي تحول فيه مطار أورلي الى معسكر ، واضطرت مئير الى السكنى في بيت سفيرها في باريس بعدما الغى الفندق الحجز [اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/١/١٣ نشرة الرصد] ، وتحولت منطقة انعقاد المؤتمر الى ساحة مناوشات مستمرة بين انصار الثورة الفلسطينية والشرطة [لوموند ١٩٧٣/١/١٦] .

وقد انتهز قرابة مئة من قادة الحركات اليسارية وبعض كبار الكتاب والمثقفين (ومن بين هؤلاء **ميشيل فوكو وشارل بتلهايم وجان جونيه وفيليب سولرز**) الفرصة لنشر **« نداء من أجل الفلسطينيين »** على عرض نصف صفحة من جريدة لوموند [١٩٧٣/١/١٤] طالبوا فيه بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على أرضه وادانوا الارهاب الصهيوني في الشرق العربي وفي فرنسا .

ولم يستمر المؤتمر اكثر من يومي ١٣ و١/١٤ . ويبدو ان الاجماع كان مفتقدا بالنسبة للقضايا المطروحة (فيتنام وأوروبا والشرق الاوسط) . فقد عارضت مئير الى جانب كرايسكي النمسوي وويلسون البريطاني اصدار بيان ادانة لقصف فيتنام تبناه الاسكندنافيون والفرنسيون . ولم يحصل نقاش حول قضية الشرق الا ان الاسكندنافيين على ما يبدو ، وجهوا عدة أسئلة للوفد الاسرائيلي [لوموند ١٩٧٣/١/١٦] . كما انتهزت مئير ، على حد قولها ، المناسبة لمقابلة زعماء كافة الاحزاب الفرنسية باستثناء الحزب الشيوعي [اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/١/١٧ عن نشرة الرصد] .

محاولة تقييمية

استعرضنا فيما سبق الخلفية التاريخية «للاممية الاشتراكية» ووضعها الحالي ومواقفها من المسألة الفلسطينية بالذات . سنحاول هنا الخروج ببعض الاستنتاجات :

١ ــ كانت الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية بالاصل (وخاصة قبل الحرب العالمية الاولى) احزابا **عمالية** حقا تحولت بحكم الظروف التاريخية لمطلع هذا القرن الى احزاب اصلاحية . وقد عبر فلاديمير اليتش لينين عن هذا التحول بقوله « ان العالم ، في عصر الامبريالية ، تتشاطره الامم « العظمى » ذات الامتيازات والتي تقوم بقمع كافة الامم الاخرى . وتقع بعض فتات الغنائم التي تحققها هذه الامتيازات وهذا القمع بلا شك من نصيب بعض قطاعات البورجوازية الصغيرة وارستقراطية وبيرقراطية الطبقة العاملة » [الاعمال الكاملة ، مجلد ٢١ ص ٢٢٣] .

« ولا يسمح عصر الامبريالية بأن تتعايش في حزب واحد طليعة البروليتاريا الثورية والارستقراطية شبه البورجوازية الصغيرة للطبقة العاملة» [المصدر نفسه ص ٢٥٧] . وقد ادى هذا الوضع الى الانقسام التاريخي الذي اشرنا له بين الاممية الثالثة (الشيوعية) وبقايا الاممية-الثانية التي نعتها لينين «بالانتهازية والاصلاحية والاشتراكية البورجوازية الصغيرة » [المصدر نفسه ص ٥٠٤] .

ولا شك ان التطور التاريخي قد ادى الى تفاقم هذا الوضع ، رغم تحرر أجزاء كبيرة من العالم من السيطرة الامبريالية والاستقلال (الشكلي في أغلب الاحيان) لمعظم اقطار العالم الثالث الأخرى .

فاستغلال شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وقمعها ما زالا مستمرين غالبا تحت شكل ما عرف بالاستعمار الجديد (بالاستعاضة عن الاستعمار المباشر بسيطرة شركات استثمارية وانظمة معتمدة عليها في استمرار بقائها) . **وقد أعطى هذا التطور شعوب** الدول الراسمالية المتقدمة (امريكا الشمالية واوروبا الغربية واليابان) رخاء ورفاهية أكثر شمل قطاعات أوسع وغذى النزعة البورجوازية الصغيرة عند **« الارستقراطية العمالية »** التي استمرت الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية الى حد ما في تمثيلها . وهناك من جهة اخرى ، تطور واضح باتجاه استيعاب أجزاء واسعة من البورجوازية الصغيرة والوسطى التي ترى في الطابع « اللاثوري » (اي المعادي للتغييرات الجذرية) لهذه الاحزاب ، ضمانة ضد انهيار وضعها وحتى من اجل تطويره في اطار أوضاع اكثر تناسبا مع التطور الاقتصادي والايديولوجي للراسمالية الحديثة . ومثال على ذلك الوضع السويدي (الذي يعتبره العديد من انصار هذا التيار قدوة) حيث يتعايش قطاع مؤمم واسع أمن عددا من الضمانات المعيشية للسكان (على صعيد التعليم والصحة الخ . .) مع راسمالية خاصة منتعشة وثرية .

٢ ــ هذا التركيب الطبقي للاحزاب الاشتراكية الديموقراطية انعكس بالطبع على ايديولوجيتها ومواقفها السياسية . ففي الوقت الذي استمرت فيه في ترديد شعارات اشتراكية عامة مشوبة باصطلاحات توفيقية وسطية حول « الدولة الديموقراطية » و« الاساليب الديموقراطية لتحسين أوضاع الشعب » الخ ، اظهرت ممارسات بعضها اتجاهات امبريالية واضحة تجعلها احيانا اشد شراسة من الاحزاب البورجوازية القديمة . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر سياسة حزب العمال البريطاني تجاه روديسيا وفيتنام ، ومواقف الحزب الاشتراكي الفرنسي تجاه حرب التحرير الجزائرية وعدوان السويس (الذي قام بتدبيره زعيمه غي موليه بالاشتراك مع المحافظين البريطانيين) .

وتعكس « المبادىء الاساسية للاشتراكية الديموقراطية » التي اقرتها الاممية في مؤتمري فرانكفورت (١٩٥١) واوسلو (١٩٦٢) في عدد من بنودها هذا الاتجاه . ففي البنود رقم٨ و٩و١٠ مثلا من مقدمة بيان فرانكفورت،تؤكد الاممية علىعدائها المطلقللشيوعية، في الوقت الذي تعرب فيه عن تمسكها بحلف الاطلسي في ختام بيان اوسلو : « ان اغلب

الديموقراطيات الغربيـة التقت لتشكل حلف شمـال الاطلسي . وتعتبـر الاحزاب الديموقراطية الاشتراكية في دول الحلف هذا الموقف اسهاما قويا مـن اجل السلام ، وتعلن تصميمها الاكيد على الابقاء عليه » . [بيانات الاممية الاشتراكية ، لندن ص ٣ و١٤] .

٣ ــ وجملة هذه المواقف تفسر وجود الحـزب الحاكم الاسرائيلـي في هذا الاطار . فطالما تعتبر معظم هذه الاحزاب ان الكيان الاسرائيلي كيان طبيعي كالكيان الالماني او الاسترالي ، فحزب غولدا مئير يستوفي شروط الانتساب « لاممية لندن » . وحتى لو تساءل اسرائيليان بسذاجة اذا كانت التفرقة العنصرية ، والتزمت الديني والقوانين الاستثنائية والاحلام التوسعية تسمح باطلاق لقب « الاشتراكية » على حكومة مئير* ، فمنطق « الاممية المسماة بالاشتراكية » يفسح المجال امامها للبقاء في كنفها . وحتى لو تشكل حزب مئير في غالبيته من العمال (مع ما للكلمة من مطاطية في اسرائيل) ، فان ما ينطبق على الدول الامبريالية في تحليل لينين المتعلق بالارستقراطية العمالية ، ينطبق بشكل متميز على اسرائيل التي الى جانب استغلالها لليـد العاملة المحلية وتوظيفهـا لاموالها في دول العالم الثالث ، تنعم بكافة طبقاتها بتبرعات خارجية ضخمة تضيف الى رخاء « عمالها » وتخفف من حدة التناقضات الطبقية ، هذا، علاوة على الجوانب الاخرى ذات الطابع السياسي والايديولوجي التي تلعب في الاتجاه نفسه .

٤ ــ وعلى ضوء هذا التحليل ، يمكننا القول ان لا لقاء استراتيجيا ممكنـا بين القوى الاشتراكية الثورية واي من احزاب الاممية الثانية . وعلى الصعيد التكتيكي ، بالنسبة لقوى المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر العربيـة ، هنـاك موقفـان خاطئان يجب استبعادهما : الاول هو موقف العداء المطلق من كافة الاحزاب المنضويـة تحت لواء « اممية لندن » ، والثاني هو اغراءات « الدخولية » اي محاولة تغيير مواقف الاممية (والمنظمات القريبة منها كالاتحادات العالمية للنساء والطلبة والعمال الخ ..) من خلال المشاركة فيها . فالموقف الاول موقف دغمائي غير ديناميكي يؤدي الى اضعاف جبهة المساندة العالمية والثاني موقف انتهازي يؤدي الى اضعاف قوى الثورة العربية نفسها . والموقف المناسب قد يكمن في اقامة **علاقات ثنائية** مع بعض الاحزاب المتقدمة داخـل الاممية أو حتى مع منظمات منبثقة عنها كمنظمات الشبيبة التي تقف أحيانا على يسار قياداتها (كما هو الحال في حزبي السويد والمانيا الفيدرالية) . ولكن العنصر الحاسم سيكون النضال العمالي في الدول المعنية الذي سيعطي للطبقة المستغلة (بفتح الغين) الوعي الكافي لكشف زيف اشتراكية الاثرياء .

---

* مكسيم غيلان ولويس مارتون عضوا « لجنة الاتصال العالمية للمنظمات اليهودية من أجل السلام والعدل في الشرق الادنى » ، عن لوموند ١٩٧٣/١/١٤ .

الكيبوتز الاسرائيلي : استغلال جماعي للعمل المأجور

أ. ن. سعد

ان مجمل عدد السكان المقيمين في الكيبوتزات في اسرائيل لا يشكل سوى ٣ ٪ من مجموع عدد السكان اليهود بالبلاد . ولكن نظرا لكثرة الكتابات عن الكيبوتز وزخم النشرات التي تصدر باستمرار لتمدحه وتمجده ، فغالبا ما يبدو الكيبوتز وكأنه يمثل طريقة عيش سائدة في اسرائيل . وبسبب هذا التركيز الدعائي الذي يشهده موضوع الكيبوتز ، وعلى الرغم من ضآلة حجمه سكانيا ، تصبح ضرورة معالجة هذه المؤسسة الصهيونية الفريدة ذات اهمية . وقد كان للكيبوتز تاريخيا ثقل ونفوذ في المؤسسة الصهيونية اكثر مما قد يبدو من حجمه السكاني اذ كان له الدور الحاسم في اثبات الوجود الصهيوني وتدعيمه سكانيا واقتصاديا وعسكريا في فلسطين . كما ان نسبة عالية من عناصر الدوائر الحاكمة في اسرائيل حاليا كانت خلال وقت أو آخر اما ملتحقة او مرتبطة بالكيبوتزات . وفضلا عن ذلك فان الكيبوتز اكثر من اي مؤسسة صهيونية اخرى يشكل مثالا مصغرا عن المجتمع الصهيوني بكامله . ففي تركيبه وممارساته ، يعكس الكيبوتز صورة صادقة عن التناقضات المجتمعية الكامنة في الدولة التي يعمل داخلها كما يظهر بوضوح التباعد بين ادعاءات الصهيونية ووقائعها . فالكيبوتز مثل الدولة الاسرائيلية ، لا يستطيع الاستمرار دون المساعدات المالية التي تأتيه من الخارج في الوقت نفسه الذي يجاهر فيه بمنجزاته المعجزة . وفيما يجمع الكيبوتز بين المزاعم الاشتراكية والممارسات الراسمالية تصطدم توهمات المساواة فيه بوقائع الفروق الطبقية .

نظريا ، يقال ان الكيبوتز مستوطنة جماعية حيث الملكية الجماعية والعمل الانتاجي المشترك والمراقبة العامة في الاجتماعات العامة للاعضاء وحيث القرارات تتخذ جماعيا على أساس ديموقراطي . وعناصر المساواة والاشتراكية والديموقراطية التي تنسب الى الكيبوتز قد احرزت له الشهرة والاعجاب في اوساط بعض المفكرين وحتى بعض اليساريين منهم وخاصة في الغرب . وبالدعاية الواسعة التي تحيط احزاب اليسار الصهيوني مستوطناتها الجماعية ، بات الكيبوتز يعتبر مثالا للبدائل الممكنة للمجتمع الطبقي . فمبادىء الملكية الجماعية والقرارات الجماعية التي ارتبطت باسمه اعتبرها بعض المفكرين في الغرب مثالا ينقض الاستغلال الطبقي الذي ينتج عن الملكية الخاصة والمراقبة الفردية . ولكن العنصر النظري المركزي الذي ارتبط به الكيبوتز هو التأكيد على ضرورة الانتاج الذاتي والعمل الجماعي بما في ذلك من رفض تام لاستخدام العمل المأجور . وقيل ان العمل الجماعي ضرورة للتوزيع المتعادل للثروة المجتمعية كما أن العمل الذاتي للجماعة ضرورة للحؤول دون استغلال الرأسمال للعمال المأجورين . وبهذه النظرات المثالية التي امتلكها الكيبوتز للدفاع عن نفسه ، فان المستوطنين اليهود في فلسطين باتوا يرون انفسهم على أنهم نواة حركة تناضل في سبيل خلق المجتمع الاشتراكي . وغالبا ما توصف المستوطنات الاولى في الكتابات الحالية على انها كانت مجموعات من الرواد المثاليين المثابرين الذين التزموا هدف مكافحة الطبيعة وغزو

التراب لتطوير الارض بأيديهم وتجفيف المستنقعات واستصلاح الصحاري والانتاج للمصلحة المجتمعية العامة واقامة اسس المجتمع الافضل .

وفي الواقع ، فان الكيبوتز اليوم بعيد جدا عن هذه الصورة المثالية . وجميع المنطلقات النظرية التي يقال ان الكيبوتز قام علـى أساسها تجد نفسها منقوضة في جوانب ممارساته كافة . ففكرة الانتاج الذاتي الجماعي تلقى نقيضها في استخدام العمال المأجورين من غير الاعضاء ممن يفدون الى الكيبوتز من الخارج لكي يؤدوا القسط الاوفر من اعمال الانتاج فيه . اما منجزات الكيبوتزات التي غالبا ما توصف بأنها معجزات فمشكوك فيها اذ أن جميع الكيبوتزات كانت طوال عهدها ومـا تزال تحت الديون ولن تتمكن من الاستمرار لولا الهبات المالية المستمرة التي تحصلها لها الاحزاب التي تديرها من مصادر صهيونية وغير صهيونية مختلفة معظمها من خارج البلاد . وفكرة الحكم الذاتي الديموقراطي ليست سوى تخيلات مضخمة اذ أن جميع القرارات المهمة التي تتخذ بشأن ادارة الكيبوتزات وسياساتها تأتي عن الدوائر العليا في البنى البروقراطية للاحزاب التي تديرها . وأخيرا ، فان فكرة الملكية العامة لسبل الانتاج لا يمكن أخذها على محمل الجد خاصة وان معظم الكيبوتزات تقوم على اراض انتزعت من السكان الاصليين الذين ازيحوا عنها في وقت او اخر خلال تاريخ نمو الصهيونية وسيطرتها في فلسطين .

شكلية الجماعية : استخدام عمال الاجرة

ان استخدام العمال المأجورين من غير الاعضاء قد ازداد ازديادا مطردا خلال العقود الاخيرة حتى بات يشمل النشاطات الاقتصادية كافة في الكيبوتز . ففي الزراعة يستخدم العمل المأجور على شكل واسع على الرغم من أن معظمه ، لا يتخذ شكلا دائمـا نظرا لتغاير الطلب عليه في المواسم المختلفة . ومعظم عمال الاجرة في حقل الزراعة هم من العرب ممن كانوا قد بقوا بالبلاد بعد نزوح الاكثرية من السكان الاصليين عام ١٩٤٨ ويتم استخدامهم بشكل جماعات على أساس يومي او اسبوعي . ويتناول هذا النوع من العمل المأجور النساء والاطفال في كثير من الاحيان وخاصة في مواسم الحصاد حين يقومون بأعمال قطف القطن والحمضيات وأعمال مماثلة . والكيبوتزات واتحادات الكيبوتزات غالبا ما تعتذر عن هذه الممارسات في محاولاتها للحفاظ على سمعة مثاليتها. وعلى سبيل المثال نذكر ان بوريس ستيرن في كتابه ، **الكيبوتز الذي كان** (واشنطن ، ١٩٦٥) ، اقتطع فقرة من تقرير للجنة مشتركة من الكيبوتزات يأسف التقرير على حد ما ورد فيه لهذه الممارسات ويقول : « لقد علمنا عن بعض الاعمال الفظيعة التي تقوم بها بعض الكيبوتزات التي تستغل العمال غير المنظمين ومعظمهم من النساء والاطفال ممن يستخدمون في قطف القطن والتعشيب والاعمال المشابهة . ويتم استخدام العمال في هذه الحالات عن طريق افراد من المقاولين بطلب من الكيبوتز . ويتعهد هؤلاء احيانا القيام بالعمل المطلوب بالجملة مستخدمين العمال غير المنضمين الى الهستدروت مقابل اجور وظروف دون مستوى الهستدروت » .

وعلى الرغم من نبرة الاستياء التي ينم عنها القول أعلاه لا يجب ان يفترض انـه قد وضع حد لهذه الممارسات في الكيبوتزات . والملاحظ هنا ان موضوع الانتقاد ليس استغلال العمال المأجورين من نساء واطفال بحد ذاته بل موضوع الاهتمام هو أن هؤلاء عمال « غير منظمين » ـ اي لا يدفعون اقساط الانتماء الى الهستدروت . ويبدو أن استخدام العمال المأجورين من العرب في الاعمال الزراعية أصبح خلال السنوات الاخيرة مترسخا في العملية الانتاجية في الكيبوتزات . وتحرص الكيبوتزات في الوقت نفسه على اخفاء المعلومات عن استخدامها للعمل المأجور بما في ذلك من امتناع عن توفير الاعداد الاحصائية حول المسألة واصدار التصريحات العلنية التي تؤكد مرارا ان هذا التطور

لا يؤثر على طابع الكيبوتز الاساسي . ولذلك فلا يمكننا اعطاء فكرة دقيقة عن نسبة الدور الذي يقوم به العمل المأجور في الانتاج الزراعي للكيبوتز ، الا انه من المرجح انه يشمل معظم العمل الثقيل اللاتقني وغالبا — في بعض المواسم — ما يفوق عدد العمال المأجورين الذين يعملون على اراض الكيبوتز عدد الاعضاء العاملين فيه .

ان استخدام العمل المأجور يتخذ شكلا اكثر وضوحا في حالة النشاطات الصناعية التي تقوم بها الكيبوتزات . وان جميع الكيبوتزات وباستثناء أصغرها ، تمتلك مصنعا أو مصنعين أو اكثر يديرها اعضاؤها اما في اراضي الكيبوتز نفسه او خارجها . وبعض المصانع التي على اراضي الكيبوتزات تستخدم اعدادا قليلة من المأجورين في حين أن بعضها الآخر يستخدم المئات في المصنع الواحد . فمصنع رقائق الخشب في كيبوتز أفيكيم مثلا يستخدم أكثر من ٦٠٠ عامل اكثريتهم عمال مأجورون من غير الاعضاء الذين يقيمون في المنطقة المجاورة . وكذلك الامر بالنسبة لمصنع عين هاشوراش الذي ينتج البراميل واوعية التنك ، ومصنع الآلات في كيبوتز ايلون حيث يستخدم في كل من هذين المصنعين عدد لا يستهان به من عمال الاجرة .

بالاضافة الى المصانع التي تقام في مواقع الكيبوتزات ، هناك المصانع « الخارجية » التي تقام خارج اراضي الكيبوتزات واحيانا بعيدة عنها في مناطق اخرى كليا مع ان الكيبوتزات هي التي تملكها وتديرها بينما يأتي العمال المأجورون من البلدات والقرى المجاورة لتأدية القسط الاكبر من أعمال الانتاج . وتقع هذه المنشآت الصناعية أحيانا ضمن ملكية كيبوتز واحد أو ضمن ملكية عدد من الكيبوتزات التي تشترك في ملكيتها بحيث تكون الادارة بيد اتحاد الكيبوتزات المعنية . وهذه حالة مصنع الفورمايكا ، سفن ، في وادي الاردن الذي له مكانة مهمة في الصناعة الخشبية بالبلاد ويستخدم بضع مئات من عمال الاجرة . كما تشترك الكيبوتزات أحيانا مع الوكالة اليهودية او الهستدروت او الرأسماليين الافراد في امتلاك هذا النوع من المنشآت الصناعية التي تتولى ادارتها « لجنة » مشكلة من بضعة افراد معظمهم من اعضاء الكيبوتز او الكيبوتزات المعنية بحيث يقوم احدهم بدور المدير الفعلي .

شرح فرديناند زوايغ ، الباحث البريطاني المختص في الشؤون العمالية ، في كتابه **العامل الاسرائيلي** (نيويورك ، ١٩٥٩) كيف ان الكيبوتزات لا تتشارك في منشآتها مع الراسمال الخاص فحسب بل تشترك كذلك في التكتلات الاحتكارية وتكتلات الصناعيين التي تتعاون في مراقبة اسعار المواد الخام وتحددها وتقتسم الاسواق فيما بينها . وذكر الباحث ايضا أن الكيبوتزات تحصل على القروض المالية ليس من المصارف الخاصة فقط بل كذلك من الافراد مقابل فوائد سنوية غالبا ما تبلغ نسبتها اكثر من عشرين بالمئة . وهذا ما يجعل الكيبوتزات اجهزة قيمة لبعض الرأسماليين المحليين في البلاد اذ انها ، باقتصادها القائم على المساعدات الصهيونية ، غالبا ما تسهم في ممارساتها الفعلية باثراء أفراد الرأسماليين ممن تتعامل معهم بشروط مؤاتية ومربحة . وهذه الصفات مجتمعة هي التي تجعل الكيبوتز شريكا وحليفا مفيدا لتكتلات الراسماليين في البلاد . والتصرف الرأسمالي الواضح للكيبوتزات في علاقاتها مع المجتمع الاوسع قد شكلت ولا شك سبب ارتياح للراسماليين المحليين ولمحبذي الراسمالية من مؤيدي اسرائيل في الخارج . الا أنها على ما يبدو لم تثبط عزيمة بعض مؤيدي الصهيونية من اليساريين في الغرب الذين يرتأون تجاهل هذه الصفات الراسمالية فيقولون ان ممارسات الكيبوتز الراسمالية تقتصر على علاقته الخارجية بالمجتمع الاسرائيلي ويبررونها على انها ضرورة يفرضها وجود الكيبوتز في مجتمع رأسمالي . لذلك نرى أن الكثيرين من اليساريين الذين تكلموا عن الكيبوتز في الغرب يصرون على اشتراكية الكيبوتز الداخلية . وقد ظهر هذا التفريق بين رأسمالية الكيبوتز الخارجية واشتراكيته الداخلية في كتاب **اسرائيل والغرب**

(بنكوين ، ١٩٦٨) الذي اتفق فيه المفكر الماركسي الفرنسي ، ماكسيم رودنسن، مع جورج فريدمان القائل ان الكيبوتز «هو دون شك اشتراكي الشخصية» ثم عاد وطرح القول ان العلاقات القائمة داخليا بين أعضاء الكيبوتز لا تهم ما دام في علاقاته الخارجية يتصرف مثل أي مؤسسة رأسمالية أخرى . ومجرد استخدام العمال المأجورين يجعل مسألة الاشتراكية « الداخلية » للكيبوتز صعبة الهضم . فعمال الاجرة الذين يعملون طوال النهار في حقول الكيبوتز ومصانعه لن يشعروا بالتعزية لمجرد اقتسام اعضاء الكيبوتز لثمار عملهم الانتاجي جماعيا وبالتساوي .

لا يمكن تحديد الدور الذي يلعبه انتاج العمال المأجورين في انتاج اقتصاد الكيبوتز عامة تحديدا دقيقا . ومعالجة مسألة كهذه تتطلب عملية حصر اقتصادية نظرية معقدة تفصل بين المساهمة الانتاجية المباشرة للعمال ومساهمة الاعمال التقنية والادارية . ونعلم ان القسط الاكبر من عمل الانتاج يأتي على أيدي عمال الاجرة من غير الاعضاء . الا ان اتحادات الكيبوتزات الخمسة تحرص على كتمان الارقام عـــن نسبة عمال الاجرة في منشآتها . ولا غرابة في ذلك ، فسمعة الكيبوتز على أنه مجتمع العمـــل الذاتي حيث الانتاج الجماعي والمساواة ، قد اكسبت دولة اسرائيل والاحزاب الصهيونية التي تدير دفتها ، الشهرة والفائدة العملية من حيث نيل التأييد وجمع التبرعات في الخارج . وعلى الرغم من ذلـــك فلدينا الكافي من الادلة التـــي تثبت بشكل تقريبي أن عمـــال الاجرة يشكلون نسبة كبيرة من العاملين في زراعة الكيبوتز ومنشآته الزراعية والصناعية وانهم يقومون بالقسط الاوفر من الاعمال الثقيلة او اعمال « القبات الزرقاء » كما اصطلح على الاشارة اليها . وحتى اتحاد الكيبوتزات (آرتسي) التابع لحزب المابام ، وهو أكثـــر الاحزاب الصهيونية مغالاة بشعاراته اليسارية الاشتراكية ، يستخدم نسبة عالية من عمال الاجرة في كيبوتزاته . ففي مؤتمر عقده هذا الاتحاد في عـــام ١٩٦٣ ، حين كان الحزب الذي يديره خارج الائتلاف الوزاري ، اعترف الاتحاد أخيرا ان ٢٧ ٪ من العاملين في مصانعه وورشاته الصناعية هم من عمال الاجرة من غير الاعضاء . ولا شك ان هذه النسبة اقل منها في أي من اتحادات الكيبوتزات الاخرى التي لم تعلن قط عن الارقام المعنية . وان كان هذا الرقم المعترف به أصغر في اتحاد آرتسي منه في الاتحادات الاربعة الاخرى ، فليس ذلك لان هذا الحزب الذي يدعـــي عقيدة مـــا يسمى بالماركسية ــ الصهيونية ، قد باشر باتباع سياسة استيعاب عمال الاجرة في عضوية كيبوتزاته ، بل لانه جهد للحفاظ على سمعته وسمعة كيبوتزاته وتقليل استخدام عمال الاجرة عن طريق تركيز منشآته الصناعية في تلك المجالات التي تعتمد على قدر أعلى من التقنية والآليات واقل قدر من القوة العاملة . وللاسباب نفسها سعى اتحاد الكيبوتزات ايحود التابع لحزب المباي لتقليل استخدام عمال الاجرة في الزراعة عن طريق اقامة منشآت زراعية سميت « تعاونيات الانتاج والتطوير » ترتبط بكيبوتزاته ، اداريا ومن حيث تزويدهـــا بالآليات والسماد وتسويق الانتاج على أن يبقى هذا الارتباط غير رسمي وعلى ان يتم تنظيم عمال الاجرة فيها بحيث يقومون بأعمال الانتاج في الزراعة دون أن يكونوا مأجورين مباشرة على أيدي الكيبوتزات .

على الرغم من ارتفاع نسبة استخدام عمال الاجرة في الزراعة وفي المصانع التي تمتلكها الكيبوتزات ، الا ان الكتاب الصهيونيين عن الكيبوتز يمتدحون منجـــزاته ويتفاخرون بقدراته الانتاجية ، وينسبونها الى أعضاء الكيبوتزات . وربما أفضل مثال على هذه المغالطات ما ورد في كتاب بوريس ستين المذكور أعلاه حيث يقول : « بأقل من ٤ ٪ من مجموع سكان البلاد ونحو ٢٦ ٪ من السكان الزراعيين يمثـــل اقتصاد الكيبوتز نحو ٣٠ ٪ من انتاج البلاد الزراعي ونحو ٤ ٪ الى ٥ ٪ من مجموع الانتاج الصناعي في البلاد » . وبهذا ينسب المؤلف كامل انتاج اقتصاد الكيبوتز الى عضويته دون الاخذ

بعين الاعتبار الدور الكبير الذي يلعبه عمال الاجرة في الانتاج . وفيما يتعلق بمشاريع الكيبوتز الصناعية فنعلم من افراهام بن يوسف في كتابه **أنقى ديموقراطيـة في العالم** (أونيسكو ، ١٩٦٤) أن منشآت الكيبوتزات الصناعية كانت منذ عام ١٩٥٩ تستخدم نحو عشرة آلاف عامل (أي بما في ذلك عمال الاجرة) مما يعادل ٧ ٪ من مجموع القوة العاملة في الصناعة في البلاد . ومقارنة هذه النسبة ٧ ٪ من عمال الصناعة الى نسبة ٤ ٪ او ٥ ٪ من الانتاج الصناعي لدى ستين توضح بشكل تقريبي حالة عدم القدرة الانتاجية التي يتصف بها الكيبوتز . ولا شك ان تحريفا مشابها ينطبق على أرقام ستين من حيث الانتاج الزراعي .

ان الكيبوتزات تحظى بمعاملة مفضلة ومتميزة من جانب المؤسسة الحاكمة في اسرائيل . ولا شك ان ذلك يتعلق بالدور التاريخي الذي لعبه الكيبوتز في تثبيت أقدام الاستيطان الصهيوني في فلسطين . وتزود المؤسسات الصهيونية الحكومية وغير الحكومية الكيبوتز بالكثير من متطلباته من حيث المساعدات المالية والتسهيلات المتعلقة بالمواد الاولية وتسويق منتجاتها . وعلى مرور السنين فقد قدمت كل من الوكالة اليهودية والحكومة الاسرائيلية للكيبوتزات مساحات شاسعة من الاراضي العربية مجانا أو مقابل ايجار اسمي . كما نالت الكيبوتزات معاملة مفضلة من حيث توفير مياه الري والاعفاء من الضرائب وتقديم المساعدات والهبات المالية والقروض المعفاة من الفوائد أو بفوائد مخفضة ــ هذا بالاضافة الى التدابير الخاصة التي تتخذ لحماية تصريف منتوجات الكيبوتزات في الاسواق .

وبقاء الكيبوتز ذا قدرة انتاجية منخفضة نسبيا على الرغم من هذه الاعتبارات ، بما في ذلك وقوعه الدائم تحت الديون واعتماده المزمن على المساعدات ، موضوع قلما تتناوله البحوث الصهيونية حول الكيبوتز بشكل واضح وصريح . فأكثرية الكتابات الحالية تعيد « مشكلات » الكيبوتز الحالية الى أسباب بعيدة وغامضة مثل متطلبات التحديث الآلي والتشعب التقني والتدقيق الاداري والتكيف الثقافي وأسباب أخرى كثيرة . وفي كتاب بعنوان **اقتصاد الكيبوتز الاسرائيلـي** (كامبردج ، ماس ، ١٩٦٦) ، أدرج المؤلف الصهيوني الياهو كانوفسكي لائحة طويلة من العوامل الداخلية والخارجية التي قال انها تسهم في اضعاف قدرة الربح في اقتصاد الكيبوتز . ونخص بالاهتمام اثنين من العوامل العديدة التي وردت في لائحته لوضوحهما وعلاقتهما الحقيقية والمؤثرة فعليا في انتاجية اقتصاد الكيبوتز : أولا ، التباعد الظاهر بين مستوى معيشة الكيبوتز وقدرته الانتاجية الحالية وثانيا ، تضخم الجهاز الاداري البيروقراطي في الكيبوتز واتحادات الكيبوتزات من حيث « نشاطاتها السياسية والمسائل العامة الاخرى » . ولا يسعنا هنا معالجة التضخم البيروقراطي اذ يتطلب ذلك بحثا مطولا في تضخم التركيب الاداري للاحزاب الصهيونية ولاتحادات الكيبوتزات التي تشرف عليها هذه الاحزاب بما في ذلك تضخم تكاليف النشاطات الاعلامية الحزبية التي تشهدها الكيبوتزات ضمن الحياة السياسية الاسرائيلية وتكاليف النشاطات الاعلامية التي تستخدم من أجلها الكيبوتزات لنيل التأييد لمزاعم اشتراكية لاسرائيل عالميا . ولا نستطيع هنا سوى الاشارة فقط الى الطابع البيروقراطي الذي يتصف به الكيبوتز في ادارة منشآته حيث باتت عضوية بعض الكيبوتزات لا تمثل سوى شريحة ادارية لا انتاجية تراقب عملية الانتاج التي يؤديها عمال الاجرة ، مما يقودنا الى النظر في التفاوت بين مستوى معيشة الكيبوتز وقدرته الانتاجية الحالية .

في الكتاب الذي صدر للصهيوني الفرنسي جورج فريدمان بعنوانه الاسكاتالوجي : **نهاية الشعب اليهودي ؟** جاء المؤلف على وصف للكيبوتزات التي قام بزيارتها ودراستها في اسرائيل . وقد وصف كيف ان العديد من الكيبوتزات اصبح مؤسسات مترفة ومنمقة

تمتلك مستوى معيشيا مرتفعا . وذكر على سبيل المثال كيف أن الكيبوتزات تحتوي على احدث الآلات واثمنها ، من الطباخات الكهربائية وغاسلات الصحون في مطابخها الى آلات الكوي المعقدة في دور الغسيل فيها . وفي وضع حدائقها وبرك السباحة فيها ومتاحفها الخاصة ومكتباتها الترفيهية ودور الموسيقى والمسارح فيها ونوادي الاعضاء والمشابهة للمقاهي فيها تبدو وكأنها مراكز ترفيه أكثر منها مستوطنات اشتراكية ذات منطلق عمالي جماعي . وانتهى المؤلف في كتابه بالقول : « ان الكيبوتز يصبح مؤسسة مريحة بازدياد ويتحول بذلك الى مكان مناسب للاستجمام » . كما ان كتابا آخرين قد سجلوا ميل الكيبوتز مؤخرا الى اجتذاب المسنين ممن يرون فيه مكانا مناسبا للتقاعد . والمعنى الكامل لهذا الوصف للكيبوتز لا يمكن استيعابه دون التذكير بالاوضاع المعيشية المتردية التي تعيش فيها الاكثرية من اليهود الشرقيين في البلاد ، ان كان ذلك في القرى الموزعة في المناطق النائية (قرى التطوير كما يشار اليها) وفي الاحياء الفقيرة المزدحمة التي يقيمون فيها في المدن . كما لا يمكن ادراك هذا المعنى الكامل دون التذكير مجددا باعداد عمال الاجرة الذين يعملون في الكيبوتزات التي تحصل على أوفر المساعدات المالية الصهيونية .

ان بعض الكتاب اليساريين من مؤيدي الصهيونية أو المعتذرين لها ، بمن فيهم أحيانا المتكلمون بلسان احزاب اليسار الصهيوني المابام واحدوت والماباي ، يعيدون معضلة ضعف قدرة الكيبوتز الانتاجية الى تأثيرات السوق الخارجية في المجتمع الراسمالي عامة . وغالبا ما نجد في هذا المضمار ترديد القول بأن الاسعار الاحتكارية التي تبتزها السوق الراسمالية مقابل مشتريات الكيبوتز والاسعار المنخفضة التي يحصل عليها في تصريف منتجاته هي العوامل الرئيسية التي تجعل الكيبوتز غير قادر على تحقيق الاستقلالية الاقتصادية . وبغض النظر عن مزاعم الاشتراكية الداخلية للكيبوتز التي تنم عن مثل هذا المنطلق ، فقد سبق ان ذكرنا كيف ان الكيبوتز يشارك التكتلات الراسمالية التي تسيطر على الاسواق في البلاد . وفضلا عن ذلك ، فلا بد من التذكير بأن الكيبوتز نشأ ونما في وسط مجتمع رأسمالي في فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وان ازدياد مشكلاته الاقتصادية بعد قيام دولة اسرائيل وتحت اجنحة احزاب اليسار الصهيوني الحاكمة يدل على أن المسألة لا يمكن تفسيرها بطابع المجتمع الراسمالي فقط بل تتناول طابع الكيبوتز نفسه وطابع أحزاب اليسار الصهيوني التي تشرف عليه . والكلام عن عدم قدرة الكيبوتز الانتاجية النسبية اثير بشكل متزايد بعد قيام دولة اسرائيل وخاصة في النصف الثاني من الخمسينات . كما ان ازدياد استخدام عمال الاجرة بشكل ملحوظ يعود الى ذلك التاريخ . وقد شهدت عضوية الكيبوتزات منذ ذلك الحين انخفاضا عدديا نسبيا بالمقارنة الى ازدياد السكان اليهود في البلاد عامة .

ان الاسباب التي تعطى لتفسير ميل الكيبوتز المتزايد الى استخدام عمال الاجرة وتحوله الى اقامة المشاريع الراسمالية الصرفة خارج الكيبوتزات غالبا ما تنم عن منهج تبريري قد يضلل معرفة الهوية المجتمعية التي يتصف بها الكيبوتز . وفي مقالة عن **اليسار الصهيوني في اسرائيل** اصدرتها المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ لابراز زيف اليسار الصهيوني جاء تفسير التحول الى العمل المأجور باعادة اثارة مسألة متطلبات السوق الراسمالية عامة كما اضيف الى ذلك عامل النقص في القوة العاملة في عضوية الكيبوتزات . وجاء في المقالة : « ان جميع الكيبوتزات واقعة تحت الديون للحكومة والبنوك الخاصة والشركات . ولولا المساعدات المستمرة من المؤسسات الصهيونية لما تمكنت الكيبوتزات من الاستمرار . فالوقود والنقد والسماد والماء والكهرباء يتوجب شراؤها من مصادر خارجية . كما يترتب على منتوجاته ان تزاحم في الاسواق المنتوجات الاخرى — احيانا منتوجات الفلاحين العرب . وقد تبين ان

الكيبوتز غير قادر على المزاحمة فأبقي عليه بواسطة المعونات الصهيونية . ومواجهة لهذا الواقع ، تحول الكيبوتز الى النشاطات الصناعية بداية بتصنيع منتجاته الزراعية ومنه تدريجيا الى الحقول الاخرى مثل انتاج اللدائن (البلاستيك) والاواني الفخارية والاثاث وأنواع أخرى من السلع الصناعية الخفيفة . الا أن القلة من سكان الكيبوتز (بضع مئات) لم يقدروا أن يوفروا القوة العاملة الكافية لكل من الصناعة والزراعة . وبما ان التخلي عن النشاطات الزراعية يعتبر خيانة لمبادىء الصهيونية الاشتراكية ، اضطر الكيبوتز الى استخدام عمال الاجرة من القرى المجاورة . وهكذا أصبح المجتمع الجماعي في الكيبوتز مجتمع استغلال جماعي للعمل المأجور » .

ان كانت الوقود والاسمدة والمياه والكهرباء تشترى من مصادر خارج الكيبوتز ، فلا بد من الملاحظة هنا انها متوفرة للكيبوتز بظروف مؤاتية من المصادر الصهيونية الرسمية . ويكفي التذكير هنا ان في اسرائيل سعرين متفاوتين لمياه الري ، الواحد يطبق على العرب والآخر يطبق على اليهود في الكيبوتزات . وان بقاء منتوجات الكيبوتز غير قادرة على الرغم من ذلك على مزاحمة منتوجات الفلاحين العرب ، يشير الى واقع اتصف به الكيبوتز طوال تاريخ وجوده في فلسطين . والواقع فان المبرر الاول لوجود الكيبوتز وتقويته بالمعونات الصهيونية في مستوى معيشي جيد نسبيا كمن في قدرته على الاستمرار والنمو في وجه مزاحمة انتاج الفلاحين العرب للتواجد الاقتصادي الصهيوني في البلاد* . وعدا ذلك ، فان وصف التحول الى العمل المأجور أعلاه ، لا يوضح لماذا لم ينتج عن توسع الكيبوتز الى الصناعة انضواء القوة العاملة الاضافية في عضوية الكيبوتز ، خاصة ونحن نعلم ان ثمة نحو ١٠ ٪ من أعضاء الكيبوتزات يعملون خارج الكيبوتز كليا : في المكاتب الحكومية والهستدروت وادارة المكاتب التجارية وادارة المصانع وبيروقراطية الاحزاب والجيش ومنهم من لا يقيم في الكيبوتز ومع ذلك يظل معتبرا عضوا على اساس انه يعود الى الكيبوتز يوم السبت . والقول أن الكيبوتز **اضطر** الى خيانة مبادىء الانتاج الجماعي التي يدعيها من أجل الحؤول دون خيانة مبادىء الاشتراكية الصهيونية بتخليه عن الزراعة ، لا يشكل سوى حلقة مفرغة تخدم في تبرير ممارسات الكيبوتز وادعاءاته كما تسهم في مغالطة مبادىء الاشتراكية — الصهيونية . وان كانت عضوية الكيبوتزات قلة — ويتراوح عددها بين ٣٠ في أصغرها الى ١٣٠٠ في أكبرها — قد واجهت النقص في القوة العاملة ، فان السوق العمالية في البلاد بمجملها لم تكن تواجه مثل هذا النقص . وفي الواقع ، ففي أوائل وأواسط الخمسينات حين اتسع استخدام عمال الاجرة بشكل لم يسبق له مثيل ، كانت القوة العاملة الاسرائيلية تعاني من نسبة عالية من البطالة وخاصة في أوساط المهاجرين الجدد من اليهود الشرقيين الذين زجتهم السلطات في « المعبرات » ومخيمات الانتقال المزدحمة لينتظروا فيها ، أحيانا لسنوات ، فرص ايجاد العمل .

الكيبوتز واليهود الشرقيون : تبدد الاشتراكية ؟

ان المصادر الصهيونية ، الكتابات الاكاديمية أو تصريحات المسؤولين منها ، تتفق كافة على ان موجة الهجرة من الشرقيين التي قدمت في أوائل الخمسينات كانت العامل الرئيسي وراء انحدار الكيبوتز العددي نسبة الى تطور عدد سكان البلاد عامة . ونتج عن تدوم مئات آلاف المهاجرين في هذه الموجة العارمة مضاعفة عدد السكان اليهود بالبلاد دون أن يسهم بأي شكل يذكر في زيادة عدد المقيمين في الكيبوتزات . فعدد الاعضاء الشرقيين في الكيبوتزات اليوم ضئيل للغاية ، مع العلم ان الشرقيين باتوا يشكلون اكثرية السكان اليهود في البلاد كما انهم يوفرون أكثرية عمال الاجرة في المنشآت

* ستعالج هذه المسألة في مقالة مقبلة حول تاريخ نمو الكيبوتز .

الصناعية التي تملكها الكيبوتزات . والتفسير المعروف والذي يتكرر دائما في هذا المجال هو ان الشرقيين لم يكونوا يعرفون شيئا عن الافكار الاشتراكية والمثالية التي يقال ان الكيبوتز انبثق عنها ، فلم يستطيعوا تقدير الكيبوتز والتكيف مع طريقة عيشه ولم يبدوا اي اهتمام بالانضمام اليه . حتى المفكر الماركسي اليهودي المعروف ، اسحاق دويتشر ، ارتأى ان يتقبل هذه المزاعم ويقتنع بها . ففي مقالة كتبها عام ١٩٥٤ بعنوان **المناخ الروحي في اسرائيل** (واعيد نشرها في مجموعة مقالات صدرت له في نيويورك عام ١٩٦٨ بعنوان **اليهودي اللايهودي**) تكلم المؤلف عن الوضع العام في اسرائيل آنذاك ووضع اللوم لانحدار « مناخها الروحي » على قدوم سيل المهاجرين الشرقيين وردد فيها القول القائل ان الشرقيين أنفسهم لم يريدوا الانضمام الى الكيبوتز . وقال « عشرات الالوف من هؤلاء المهاجرين ما زالوا يعيشون على الاعانات في مخيمات الانتقال المزدحمة . وبعضهم يرفض حتى الانتقال الى مجموعات الشقق التي بنتها الحكومة لهم . ويفضلون أن يستمروا في العيش على المعونات في خيامهم المهترئة على أن يدفعوا ايجار السكن في البيوت الجديدة . والبعض منهم يعود فيغادر البلاد الى تونس والمغرب . واقتصاد البلاد لا يستطيع استيعابهم الا ببطء وصعوبة . والكيبوتز يدعوهم للانضمام الى صفوفه كأعضاء متساوين دون جدوى . فدكان متداع لبيع التوافه البالية أو كشك لبيع الدخان في مكان ما في المدينة يستهويهم الف مرة ويبدو لهم افضل من جميع عجائب الكيبوتز التعاونية وحتى مستوى المعيشة العالي نسبيا فيه » .

من المستغرب ان مفكرا ماركسيا مثل دويتشر يطرح أقوالا ذاتية كهذه ويذهب في القول ان الشرقيين فضلوا خيامهم على البيوت الجديدة ومخيماتهم على المستوى المعيشي العالي في الكيبوتزات . اما القول عن دعوة الكيبوتز للشرقيين للانضمام الى صفوفه كأعضاء مساوين فهو مشكوك فيه . وربما كان دويتشر يردد بهذا القول الرواية الاسرائيلية « الرسمية » التي يرددها زعماء اسرائيل كافة بداية من بن غوريون الذي يبدو انه كانت للمؤلف لقاءات معه تظهر الأشارات اليها مرارا في هذه المقالة . والرواية الرسمية هي التي تقول ان الشرقيين لم يكن لهم أي اهتمام بالانضمام الى الكيبوتز .

وقد كان بن غوريون قد طرح هذه الرواية في خطاب وجهه الى الكيبوتزات نقل في صحيفة هآرتس في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ أعطى فيه الكيبوتزات والمدافعين عنها المبررات التي لم يتوقف تكرارها منذ ذلك الحين . ففي هذا الخطاب « اتهم » بن غوريون الكيبوتز بالانعزال والتشقق والاستبداد وعدم المسؤولية وأهم من ذلك كله ، على حد قوله آنذاك ، اهمال حشود المهاجرين وتبريره بالقول « ماذا يمكننا أن نفعل طالما انهم لا يريدون القدوم الى الكيبوتز ؟ » .

ان الشرح المتبع لتفسير ما يقال عن عدم اهتمام الشرقيين بالكيبوتز يتخذ طابع المقارنة الثقافية الحضارية الغامضة . وعلى حد قول بوريس ستيرن في كتابه المذكور أعلاه ، من بين العديد من الكتاب الصهيونيين ، « ان الشرقيين قد نفرتهم طريقة عيش الكيبوتز نظرا لاصطدامها بالمفهوم الشرقي للعائلة على انها المركز الاقتصادي الاجتماعي الديني الرئيسي تحت سلطة الاب المطلقة (البطريرك) الذي هو رب العائلة » . وهذا الوصف التوراتي للمجتمع الشرقي يرسم النظرة الاوروبية المتبعة في أوساط دارسي علم الاجتماع ويعكس الى حد بعيد الماضي القريب للمستوطنين انفسهم قدر ما ينطبق على المجتمع الشرقي . ولا مجال هنا لمعالجة وافية لمقارنة الخصائص والصفات الاجتماعية في بيئة اوروبه الشرقية وفي بيئة الشرق الاوسط . الا ان المستوطنين اليهود الاوائل الذين يقال انهم انشأوا الكيبوتزات الاولى هم كذلك قدموا من بيئة اجتماعية محافظة في شرقي أوروبه كانت تتصف بنظام العائلة المطلقة تحت سلطة الاب كما كانت بذلك في كثير من الاوجه اكثر تمسكا بالتقاليد من البيئة المتوسطية التي جاء منها المهاجرون الشرقيون

الجدد . وان قيل انه كان للشرقيين خلفية اجتماعية مدينية حرفية ومركنتيلية الطابع في المدن الاوسطية فذلك ينطبق كذلك على خلفية المهاجرين من شرقي اوروبه حيث كانت هذه الصفات نفسها تميز التجمعات اليهودية في اقطارها هنـــاك . وكذلك لا يمكننا ببساطة ان نعزو انعزال/الشرقيين عن الكيبوتز الـــى الفروق الثقافية الغامضـــة . فالقرية الاوسطية كانت قائمة تاريخيا على اساس الجماعية في ملكية أراضي المراعي والاراضي الزراعية (المشاع) وتوزيع ميـاه الري . والتركيب « الحديث » للقـــرية الاوسطية لم يأت الا بعد تسلل الغرب الراسمالي في النصف الثاني من القرن الماضي وسيادة نظامه الاقتصادي في المنطقة خلال القرن الحـــالي . وليس هناك في الخلفية التقليدية للمجتمع الاوسطي ما يجعل التكيف مع نظام الكيبوتز الجماعي ــ هذا اذا كان بالفعل جماعيا ــ اصعب بالنسبة لليهود الشرقيين منه بالنسبة للغربيين الذين انجرف معظمهم الى المنطقة من البلدان اليهودية في شرقي اوروبه .

كما ان القاء لوم انصراف الكيبوتز عن استيعاب الشرقيين على نظام العائلة الشرقية لا يفسر استثناءه لآلاف المهاجرين من الشبان والشابات الشرقيين الذين جيء بهم وحدهم الى اسرائيل تاركين وراءهم المسنين من أهلهم في بلدان شمالي افريقيـــه . وهجرة الشباب بمعزل عن المسنين هذه جاءت نتيجة لقوانين الهجرة الانتقائية التي وضعت لدولة اسرائيل وقد اوردها الياس سعد في دراسة **الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة** (م. أ. بيروت ، ١٩٦٩) والتي وصف وضعها في موضع الممارسة الفعلية على أيدي المسؤولين الصهيونيين عن التهجير في مدن شمالي افريقيه الكاتب الصهيوني لاهرمان في مقالة بعنوان « يهود المغرب يدخلون القرن العشرين » ظهرت في مجلة **كومنتاري** في مجلدها رقم ٢٠ عام ١٩٥٥ . ويبدو انه قامت في البداية بعض المحاولات التي ، وان كانت مترددة ، سعت لادخال بعض افراد المهاجريـــن الشباب في الكيبوتزات . ولكن سرعان ما تم التخلي عن هذه المحاولات نظـــرا للتوتر الذي قيل انه كـــاد ينشب بين الشرقيين والغربيين . والسبب الرسمي الذي أعطي لتوقيف هذه المحاولات هو انها كانت باهظة التكاليف بالنسبة للحكومة والوكالة اليهودية والكيبوتزات نفسها . الا ان واقع المسألة هو ان هؤلاء الشباب لم يقبلوا في الكيبوتزات التي أظهر اعضاؤها الغربيون ازدراء للشرقيين وتحاملا ضدهم .

لا حاجة بنا هنا لطرح تفاصيل التحامل والتمييز العنصري الذي يلقاه اليهود الشرقيون (الســـفرديون) على أيدي الغربيين (الاشكنازيين) . فقد عولجت هذه المسألة في كتاب الياس سعد المذكور اعلاه كما عولجت بالتفصيـــل في دراسة أعدتها هيلدا شعبـــان صايغ بعنوان **التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل** (م. أ. ، بيروت ، ١٩٧١) . الا اننا نكتفي هنا بذكر حدث يمت بصلة مبـــاشرة الى استثناء السفرديين مـــن عضوية الكيبوتزات . ففي مقالة كتبها ملفرد سبيرو بعنوان « الصهيونية والصبرا » صدرت في مجلة **المسائل الاجتماعية** في خريف ١٩٦٧ ، تعرض فيها المؤلف لاحداث وتطورات شهدها في كيبوتز قرية يديديم التي اقام فيها وقال فيما قال كيف « ان بعض التلميذات مثلا رفضن الجلوس الى مائدة واحدة لتناول الطعام مع اولئك اليهود الشرقيين الذين يعملون في الكيبوتز . ثم روى ان احدى التلميذات نهضت وغادرت مائدة الطعام عندما جلس بقربها احد هؤلاء العمال الشرقيين وقالت « ان الجلوس معهم يثير الاشمئزاز » .

ان التركيب الاثني المجتمعي في اسرائيل عامة يتصف باضطهاد الشرقيين والعداء لهم الا أن ذلك ينطبق على الكيبوتز اكثر من أي مؤسسة صهيونية أخرى نظـــرا لمستوى التجانس والتماسك الجماعي الذي يتجسد في تركيبه . وفي سياسة تعبئـــة العناصر الجديدة يبدو ان الكيبوتز يستخدم ما يشار اليها على انها « وسائل غربلة انتقائية » تراقب « مستوى التعليم وقدرة المخالطة والالتزام العقائدي » المطلوبة للانضواء الى

الكيبوتز . ويقال ان استخدام هذه الوسائل انعكاس عضوي لمفهوم الكيبوتز على انه مجتمع منتقى يتفوق في طريقة حياته الخاصة على المجتمع الاوسع وانه لم يعتبر في اي يوم من الايام مثالا على الجميع اتباعه . الا ان وسائل الغربلة الانتقائية التي من شأنها تأمين هذا المظهر المنتقى للكيبوتز قد أدت الى استثناء جميع العناصر غير المرغوب فيها من المتقدمين للانضواء ، وبالتفاعل مع الانطباعات المبتذلة التي تربط المغاربة في اسرائيل بالمشاغبة واليمنيين بالكسل ، عملت هذه الوسائل على أسس انتقائية عنصرية نتج عنها إستثناء الشرقيين استثناء شبه كامل من عضوية الكيبوتزات .

ووسائل الغربلة الانتقائية في الكيبوتز تخدم أهدافا أخرى للاحزاب التي تمتلك الكيبوتزات واتحاداتها . فكل اتحاد من الاتحادات الخمسة ينتمي الى حزب صهيوني يعتمد عليه كليا من حيث توفير التمويل وتوفير الخدمات له ومن ثم من حيث التبعية التنظيمية السياسية . وفي اطار التبعية هذه فان على كل عضو الولاء التام للحزب الذي ينتمي اليه الكيبوتز الذي يقيم فيه وعليه أن يلتزم بمواقف الحزب كافة والتصويت لصالحه في الانتخابات . وفي حالات عدم الانصياع لهذه التبعية يتم طرد العضو المتمرد وحرمانه من كافة فوائد انتمائه الى الكيبوتز . وفي الكتاب الذي اعطاه عضو البرلمان الاسرائيلي أوري افنيري العنوان المتناقض **اسرائيل بدون صهيونيين** ذكر المؤلف كيف ان بعض الكيبوتزات تشهد بعد كل معركة انتخابية حملة ملاحقة شبيهة بملاحقة المشعوذات لمعرفة هوية القلة من الاشخاص الذين صوتوا لحزب غير ذلك الذي ينتمي اليه كيبوتزهم . وتقول لنا مصادر اسرائيلية مختلفة ان بعض أعضاء كيبوتزات مابام طردوا بعد تصويتهم لصالح مابام كما ان بعض اعضاء كيبوتزات مابام طردوا بعد تصويتهم لصالح الحزب الشيوعي .

لقد أظهرت الدراسات في علم الاجتماع حول الكيبوتز ان الاهتمامات السياسية والايديولوجية بين صفوف أعضائه ضعيفة جدا وان النقاش حول هذه المسائل يكاد أن يكون غائبا كليا مما يؤدي الى قيام جمود فكري وتحجر تنظيمي يؤمن استبقاء عضوية الكيبوتزات ضمن اطار تبعيتها لاحزابها وتقبل قراراتها دون أن يكون ذلك دليلا على التزامها العقائدي بهذه الاحزاب . اما الاجتماعات العامة التي تعقد في الكيبوتز والتي اعتبرت أساسا لديموقراطيته فلا يحضرها الا القلة من الاعضاء كما انها لا تعالج سوى المسائل العرضية المتعلقة بنشاطات الترفيه مثل اقامة الحفلات الموسيقية وعرض الافلام السينمائية والمسرحيات . أما القرارات الرئيسية لادارة الكيبوتزات وتحديد سياساتها الانتاجية والاقتصادية والمسائل الاخرى من حيث التمويل والاستثمار والتجهيز الآلي فتأتي عن قرارات أمانة اتحادات الكيبوتزات بالاشتراك مع أمانات الاحزاب التي تنتمي اليها . اما في الكيبوتز نفسه فان هذه القرارات توضع موضع التنفيذ ، كما يقول أ. د. كراون في مقالة له بعنوان « عالم الكيبوتز المتغير » (صدرت في مجلة **الشرق الاوسط** في خريف ١٩٦٥) ، على أيدي « جماعة ضيقة من الافراد الذين يتبادلون المراكز القيادية فيما بينهم اذ أن حضور الاجتماعات السنوية حيث تجري الانتخابات قليل وغير منتظم مما يعني ان فيالكيبوتز اليوم فروقا دائمة بين الاعضاء من حيث المركز والسلطة» .

وهكذا فان فكرة الديموقراطية والمراقبة الجماعية في الكيبوتز مسألة مظاهر اسمية شأنها شأن ادعاءاته الاشتراكية ومزاعم الانتاج الجماعي فيه . ويمثل الكيبوتز في وضعه الحالي انعكاسا مصغرا لواقع المجتمع الاسرائيلي وخصائصه الفريدة من حيث احتوائه للتناقضات المجتمعية فيه . والتناقض الرئيسي في هذا المضمار يبقى التناقض بين الرأسمالية والطبقة العاملة الا انه لا ينعكس في اسرائيل بشكل مباشر وواضح بل يتخذ طابع التستر وراء هياكل تنظيمية شبه يسارية تتمثل في عضوية الكيبوتزات وبيروقراطية الهستدروت والاحزاب الصهيونية اليسارية التي تقوم بدور وسيط يفصل

بين الراسمالية والطبقة العاملة. وهذا الدور للهستدروت والاحزاب الصهيونية سيعالج في مقالتين مقبلتين . اما في الكيبوتز ، ونظرا لقيامه بدور الوساطة في عملية الانتاج الراسمالية ، فينعكس التناقض المجتمعي في التفريق بين الاعضاء وعمال الاجرة . وفي هذا المضمار ، فان تحليل المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية للكيبوتز ، وان كان اعتذاري الطابع في تفسيره لتحول الكيبوتز الى العمل المأجور ، كان صائبا في استنتاجه عن وضع الكيبوتز الحالي اذ يقول : « عادة يقوم اعضاء الكيبوتز بمقام المناظرين في مصانعهم يراقبون عمال الاجرة الذين يقومون بالاعمال الانتاجية اليدوية . وعند انتهاء العمل ، يعود عمال الاجرة الى بلداتهم . وبالنسبة لهم ، الكيبوتز ليس سوى رب عمل مثله مثل اي راسمالي آخر — هذا مع الفرق ان الراسماليين لا يبشرون بالاشتراكية . وعندما ينشأ اضراب في مصنع يملكه الكيبوتز يقوم أصحابه باستدعاء البوليس دون أي تردد » . ولا بد ان نضيف هنا ملاحظة حول مسألة لم يرد ذكرها في التحليل أعلاه وهي تعبير لواقع لا يمكن تجاهله : الا وهي ان هذا التناقض في الكيبوتز يتخذ أسسا اثنية حيث ان الاكثرية الساحقة في عضوية الكيبوتزات هي من اليهود الغربيين في حين ان الاكثرية من عمال الاجرة في منشآت الكيبوتز هي من اليهود الشرقيين . هذا بالاضافة الى عمال الاجرة الزراعيين العرب . وهكذا فان جماعات الرواد المثاليين التي توصف انجازاتها الاسطورية المزعومة في عبارات مثالية رنانة تجد تجسيدها في وضع الكيبوتز الحالي حيث باتت عضويته تمثل « طبقة » مرتاحة وحتى مترفة تأتي مصادر اترافها من استغلال العمال المأجورين .

الا أن الكيبوتزات اليوم ما زالت على ما يبدو تعتبر نفسها كيانات اشتراكية وحزب المابام بشكل خاص يصدر الكراسات والنشرات الواحدة تلو الاخرى للاستهلاك المحلي والخارجي يمتدح فيها الكيبوتزات واشتراكيتها ومنجزاتها . وتتوجه الصهيونية باعلامها عن الكيبوتز الى قطاعات خاصة من الراديكاليين الشباب واليساريين في الغرب وفي بلدان القارات الافريقية والاسيوية والاميركية اللاتينية مدعية ان الكيبوتز حصيلة اختبارات في الاشتراكية يمكن الاقتداء بها كمثال للعمل « الايجابي البناء » . وفيما توفر هذه الحملات الدعائية الظروف المؤاتية لنداءات اسرائيل للتبرعات التي تجمعها لها المؤسسة الصهيونية في الغرب ، فقد نجحت هذه الحملات كذلك في نشر الدعاية عن مثالية الكيبوتزات في عدد من بلدان افريقيه وآسيه وخاصة بين أوساط بعض الاكاديميين من هذه البلدان الذين جيء بهم لزيارة الكيبوتزات في اسرائيل بدعوة من الاحزاب التي تديرها . اما داخليا في اسرائيل نفسها ، فتسهم منشورات المديح للكيبوتز في الابقاء على السمعة الاشتراكية للمؤسسة الصهيونية الحاكمة وردع اي تهديد قد ينشأ في أوساط عمال الانتاج لها كما تؤثر في تصعيد روح الاقتناع الذاتي والتفاخر بالمثالية لدى عضوية الكيبوتزات التي تبقى على ولائها الى مؤسساتها بفضل الفوائد المادية التي تحرزها المؤسسة الحاكمة لها . وهذه الثقة الذاتية تبرز بأكبر قدر من الوضوح في الرواية التي كتبها مؤخرا فيليب روث الاميركي بعنوان **شكوى بورتنوي** ، حيث يروي عن فتاة عضو في أحد الكيبوتزات التقى بها في زيارته لاسرائيل فانهالت عليه بترديد الشعارات المثالية حول المجتمع الافضل والحرية الفردية والحياة المنتجة مجتمعيا . وقالت له فيما قالت : « ان النظام الذي انتمي اليه (اختياريا وهذا مهم ... اختياريا) هو نظام انساني وعادل . وطالما ان الجماعة تمتلك سبل الانتاج وطالما ان حاجات الفرد توفرها الجماعة وطالما ان لا فرص هناك لاي رجل في أن يجمع الثروة أو العيش على فائض القيمة لانتاج الآخرين ، فان الشخصية الاساسية للكيبوتز ما زالت قائمة » .

وواقع ان هذه الشخصية الاساسية للكيبوتز ليست قائمة ، نظرا لاستفادة اعضاء

الكيبوتزات على حساب فائض القيمة لانتاج عمال الاجرة ، يغيب عن وعي الكثيرين من أعضاء الكيبوتزات والمدافعين عنها . ووجود السيل العارم من كتيبات ونشرات المديح للكيبوتز ، هو ما يوفر للمدافعين عن الكيبوتز والمنتمين اليه ، أمثال الفتاة المذكورة أعلاه، مصدر العبارات اللفظية شبه النظرية التي تبرر ممارسات الكيبوتز وتغطي وقائع استغلاليته . ويبدو ان اكثرية أعضاء الكيبوتزات (هذا باستثناء أعداد أولئك الذين يغادرونها سنويا) يؤمنون فعلا بتفوق طريقة عيش الكيبوتزات . ووفق نتائج دراسة المعاينة الاجتماعية التي قام بها هادلي كانترل ونشرها في كتابه **نماذج الاهتمامات الانسانية** (نيوجرسي ، ١٩٦٥) ، فان أعضاء الكيبوتزات عامة يرون انفسهم سعداء اكثر من باقي سكان البلاد . الا أن نتائج البحث أظهرت مسألة قد يكون لها مغزى مهم، وهي ان لاعضاء الكيبوتزات مخاوف أكثر بالنسبة للمستقبل مما لدى بقية سكان البلاد .

وربما يمكننا أخذ لمحة عن بعض هذه المخاوف من قصة رواها سبيرو في مقالته المذكورة أعلاه حيث يصف حالة الارتباك لطفلة الكيبوتز عند رؤية اليهود التقليديين والشرقيين لاول مرة في زيارة أخذها أبوها فيها الى صفد . ويتكلم ابوها عن ذلك فيقول : « قبل ذلك كانت قد التقت فقط بنوعين من الناس : اليهود ، وبهذه العبارة تفهم نوع الناس الذين تعرفهم في الكيبوتز ، والعرب . ولم تقدر ان تفهم أين هم هؤلاء « اليهود » الآخرون من هذا التصنيف . وبالنسبة لها وللذين في سنها كافة ، فان تقبلها ، عند بلوغها سن الرشد ، واقع ان اليهود ذوي اللحى في صفد والمهاجرين الشرقيين هم مثلها ، يهود ، لا بد أن يكون ذلك تجربة عميقة الالم » .

ان قصة الكيبوتز هي في كثير من الاوجه قصة الحركة الصهيونية . فادعاءات الكيبوتز تاريخيا في فلسطين وطوال عهد الانتداب لم تلق تهديدا واضحا لها طالما انطبقت ممارساته فقط على المستوطنين اليهود . ومظاهر المساواة الشكلية فيه أمكن ابقاؤها ، على الرغم من التفاوتات النسبية ، طالما لم تتضمن السكان العرب الاصليين في حسبانها . وما دامت الصورة تشمل المستوطنين اليهود الغربيين والعرب من السكان الاصليين فقط ، فقد تمكن الكيبوتز من المضي في تظاهره بالاشتراكية . اما عند ظهور نوع آخر من اليهود الذين كانوا في أكثريتهم من العرب أيضا — اي الشرقيين الذين أتوا في هجرة أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات من البلدان العربية — فقد انقلبت الصورة وانفجرت في وجه الكيبوتز أسطورة الاشتراكية التي كانت قد حيكت له ، فبدأت مزاعم المساواة والاشتراكية في شخصيته تتلاشى وبرزت مكانها بوضوح طوابعه الراسمالية الاستغلالية ، ولم يبق فيه سوى الدلالات الواضحة عما كان دائما يقوم على اساسه : منطلق عنصري شوفيني يخدم هيكله العمالي في ازاحة العرب اقتصاديا ويخدم بنيانه العسكري في ازاحتهم عن وطنهم قسريا !

معركة الكرامة

منير شفيق

في مثل هذا الشهر (٢١ آذار ــ مارس) من عام ١٩٦٨ ، وقعت معركة الكرامة التي حظيت بشهرة عالمية وتاريخية واصبحت تذكر الى جانب المعارك العسكرية الكبرى ، التي شكلت نقطة تحول فاصلة في تاريخ المقاومة .

على ان اي ناقد عسكري لا يستطيع الا ان يقف مشدوها لا يملك ان يجد تفسيرا لكيف نالت معركة الكرامة تلك الشهرة العالمية والتاريخية الى حد وضعها جنبا لجنب مع كبريات المعارك العسكرية ، فمعركة الكرامة تختلف عن تلك المعارك من زاوية كون تلك المعارك شكلت نصرا عسكريا على العدو كان نقطة تحول فاصلة في مجرى الحرب ككل ، بمعنى انتقال المنتصر الى مرحلة السيطرة الكاملة ، وانتقال المهزوم الى مرحلة الاستسلام . ان تعريف النصر العسكري في المعركة ، سواء عند القادة الاقدمين ، او عند نابليون وكلاوزفتز ، او عند القادة المعاصرين ، هو ابادة الجسم الرئيسي من القوات المعادية ، او فرض الاستسلام عليها وتجريدها من السلاح ، او في حالة اخرى تمزيق ذلك الجسم الرئيسي واجباره على التبعثر والفرار مع فقدان تماسكه وانضباطه، وتحوله الى طريدة للقوات المنتصرة التي تنتقل بعد ذلك الى مطاردته من اجل الاجهاز عليه ، وعدم السماح له باعادة تنظيم صفوفه ، وفي النهاية فرض الاستسلام عليه . وقد حدث هذا الشكل او ذاك في المعارك الكبرى في التاريخ . ولم يحدث شيء من ذلك في معركة الكرامة ، فقوات العدو اقتحمت الكرامة ، وعملت فيها ابادة وتدميرا ، وانسحبت منها بجسمها الرئيسي حاملة معها نسبة من الخسائر في الارواح والاليات يمكن اعتبارها في المعارك خسائر عادية غير ملفتة للنظر . (ولكن تلك الخسائر اعتبرت كبيرة وهامة ، واعتبر انزالها بالعدو نصرا بسبب ظرف خاص تميز بما جرت عليه عادة العدو ، قبل ذلك ، من شن هجمات عسكرية وعمليات اقتحام على جبهة الاردن ، دون ان يصاب بخسائر تذكر) .

ولكن على الرغم من هذا التعريف للنصر العسكري في المعركة ، ومن ثم ، بالرغم من الاختلاف بين المقومات التي اتسمت بها المعارك الكبرى من جهة وبين معركة الكرامة من جهة ثانية ، فقد اعتبرت معركة الكرامة واحدة من تلك المعارك التاريخية دون أن تكون قد حققت نصرا عسكريا وفقا لما هو متعارف عليه في تعريف النصر العسكري في المعركة ، فكيف كان ذلك ؟ الجواب هو أن معركة الكرامة سجلت في الظروف السياسية والموضوعية والذاتية المعطاة حين وقوعها ، نقطة تحول ايجابية هامة للغاية في مجرى تطور الثورة الفلسطينية ، وفي المزاج الجماهيري العام ، بغض النظر عن تعريف النصر في منظور النقد العسكري البحت ، وبغض النظر عن النتائج العسكرية التي حققها العدو في حملته ، او فداحة الخسائر التي المت به . ويمكن تلخيص تلك النتائج : (١) خروج الثورة الفلسطينية منتصرة بأعين الجماهير الفلسطينية والعربية ، بل أن قوى الثورة والتحرر في العالم رات في معركة الكرامة نصرا للثورة الفلسطينية ، ورأت فيها

رمزا لبطولة الفدائي الفلسطيني . وكان كل ذلك يعني اذا ترجم الى لغة الارقام والقوى المعنوية والمادية الملموسة ، مضاعفة قوة الثورة الفلسطينية مئات المرات في مجالات القوة المادية والبشرية والتسلح والتأييد المعنوي والحماية الشعبية . ومن هنا ، وانطلاقا من هذا المعنى شكلت معركة الكرامة نقطة تحول نوعية في تاريخ الثورة الفلسطينية . (٢) تكريس فكرة حرب الشعب طويلة الامد، في مقاومة العدو الصهيوني، بأعين الجماهير الفلسطينية والعربية ، فهي من جهة هزمت الاتجاه الذي حاول دفع الجماهير الى اليأس والاستسلام أثر هزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وهي من جهة ثانية كرست معنى الصمود في ضمير الشعب الفلسطيني والعربي وفتحت طريقا جديدا مناسبا — حرب الشعب — امامه للسير فيه ، أي شكلت الكرامة نقطة تحول جعلت الجماهير تشعر بقواها الكامنة وتثق بقدرتها على القتال وتندفع لتسلم زمام قضيتها بايديها ، تاركة مقاعد المتفرجين على صراع الجيوش النظامية . (٣) تركيز القاعدة الآمنة للثورة الفلسطينية في الاردن وفتح الطريق للتوسع في بناء القواعد الآمنة . (٤) دخول كفاح الطلائع المقاتلة في داخل فلسطين وخارجها ومعها جماهير الارض المحتلة ، مرحلة جديدة تميزت في الاستعداد لاجتراح البطولات والتجرؤ على خوض النضال ، كل ذلك تحت الهام المثل الذي ضربته معركة الكرامة .

ان هذه النتائج عندما تتولد عن معركة صغيرة واحدة،وفي منطقة هامة كالوطن العربي، وتمس بتأثيرها شغاف قلوب عشرات الملايين من ابناء الشعب ، لا يمكن الا ان تضع مثل هذه المعركة في مصاف المعارك التاريخية الكبرى . لقد نظرت الجماهير الى معركة الكرامة على هذه الصورة دون ان تتوهم ان الثورة أبادت الجسم الرئيسي لقوات العدو المهاجمة ، أوتظن ان العدو لم يستطع دخول الكرامة،ولم يعمل فيها ابادة وتدميرا ، فالجماهير قد حجمت معركة الكرامة قدر حقيقتها،وقيمتها ذلك التقييم الرفيع ضمن هذا التحجيم . لقد ادركت الجماهير بحسها الرهيف انه لم يكن مطروحا، ولم يكن مطلوبا ، انزال الهزيمة الساحقة بالعدو ، وانما كان المطروح هو انقاذ الوضع من استمرار التدهور من خلال الاثبات العملي ان بالامكان الصمود في وجه العدو والقتال ضده حتى النهاية. فالجماهير كانت تبحث عن مكامن قوتها كانت تبحث عن الثأر لكرامتها المهدورة، كانت تريد أن تخرج من الهزيمة، وان يفتح امامها باب الامل في امكانية تحقيق الانتصار. وهذا ما أدركته الطليعة الثورية التي قررت خوض معركة الكرامة وهي تعرف سلفا أن القوى المتقابلة غير متكافئة . فقواها ضئيلة جدا اذا ما قيست بقوى العدو . وهذا ما حققته معركة الكرامة .

ومن هنا كان قرار دخول المعركة قد تم مع سبق الاصرار والعمد ، دون ان تواجه الطليعة بهجوم مفاجيء او تجد نفسها في قلب طوق ضرب عليها بسرعة خاطفة . ومن هنا كان ذلك القرار عملا استثنائيا ، وكانت الكرامة معركة استثنائية . ان الاعتبارات السابقة تسقط امامها حسابات النصر العسكري من زاوية عسكرية صرف . وتقفز الى المقدمة المسألة السياسية وخط الجماهير .

على أن القضية الاخرى التي لا بد من أن تثار هنا هي : كيف يمكن أن ينظر لمعركة الكرامة ليضاف الدرس المستخلص منها الى التراث النظري للثورة العالمية ، عموما ، ولعلم حرب الشعب خصوصا ؟ .

عندما كان ماركس يعلق على حرب المقاومة التي شنها الشعب الاسباني ضد نابليون لاحظ في مقالته « حرب الغوار في اسبانيا » السمات الاساسية لتكتيك حرب الغوار (العصابات) فقد كتب يقول « أن قواعد اولئك المغاورين على ظهورهم حيثما وجدوا، وكانت كل عملية موجهة ضدهم تنتهي باختفاء هدفها » (استشهاد أورده ماركس نقلا عن « الصحيفة العسكرية النمساوية ») ... « وما دام المغاورون منظمين على هذه

الطريقة ، فلن يكون بمقدورهم الظهور على شكل ضخم مخيف ككتلة واحدة . ولكنهم كانوا رغم ذلك خطرين للغاية على الفرنسيين » (« الثورة في اسبانيا » ـ الناشرون الامميون ـ بالانكليزية ص ٥٢) . وكان كلاوزفتز في كتابه حول الحرب "On War" قد طرح مثل تلك المبادىء في الفصل الخاص حول تكتيك العصابات . أي لا بد من استخدام تكتيك « اضرب واهرب » « عدم المواجهة » الخ . اما ماوتسي تونغ الذي وصل تنظير هذا الشكل من الحرب ، القمة على يده ، فقد طرح قوانينها التكتيكية مثل « ٢ ـ عندما يتقدم العدو نتراجع ، وعندما يعسكر نزعجه ، وعندما يتعب نهاجمه ، وعندما يتراجع نلاحقه » (الاعمال العسكرية ص ٧٢) .. « ٢ ـ عندما يطوق العدو وحدات للعصابات فعليها ان تنتشر لتتمكن من الانسحاب » (ماوتسي تونغ ـ حرب العصابات ـ نشر وتوزيع دار سورية ص ١٣٠) .

واذا وضعنا نصب اعيننا القانون العام الاول للحرب الذي لا بد من أن تتقيد به قوات الغوار والذي قال ماوتسي تونغ انه يتمثل «في المحافظة على انفسنا ، وفي تحطيم العدو». نفهم لماذا يتحتم على النواة الرئيسية في حرب الغوار ان تؤمن نفسها ، اولا وقبل كل شيء ، ضد السحق والابادة . ان هذه المحافظة على النفس تتخذ أشكالا عديدة حسب الحالات المختلفة : (١) قاعدة آمنة في منطقة يصعب على قوات العدو الوصول اليها او تطويقها وتمشيطها ، (٢) قاعدة آمنة وراء حدود دول اخرى لا تستطيع قوات العدو الوصول اليها لاعتبارات دولية وسواه ، (٣) تأمين حماية جماهيرية بالتواجد في مناطق شديدة التعاطف مع قوات المغاورين بشكل يتيح لهذه القوات انذارا مسبقا لحملات التطويق من أجل عدم الوقوع في الطوق،أو يتيح لها دفاعا جماهيريا يحول دون اقتحامها (٤) مقدرة عالية في فن الاستخفاء وسرعة الحركة .

ان الفلسفة وراء هذا القانون تكمن في الادراك العميق لنسبة توازن القوى بين الطرفين ، خاصة ، في المرحلة الاولى ، حيث يكون تفوق القوى للثورة هائلا . أي تكون قوات الثورة في حالة الدفاع الاستراتيجي الامر الذي يتطلب منها : (١) عدم الدخول في معارك فاصلة تركز فيها كل القوة الرئيسية الضاربة لان العدو ، في هذه الحالة ، سيتمكن من قوة الغوار وينهيها (٢) عدم الدخول في المعارك التي يفرضها العدو ، ويمكن تجنبها ، وهذا يتطلب ضرورة الافلات من حملات التطويق ، ومن المعارك غير المتكافئة . (٣) ان تقرر قوات الغوار المعارك التي تخوضها ، بما في ذلك ، اماكنها .. اوقاتها .. مدتها بحيث تؤمن كل مرة عنصر التفوق . وقد عبر ماوتسي تونغ عن ذلك بالقانون الشهير « استراتيجيا العدو عشرة والجيش الاحمر واحد ، اما تكتيكيا فالجيش الاحمر عشرة والعدو واحد» . وهذا يعني ان على قوات المغاورين ان تدخل المعركة بعد تأمين تفوق على العدو ـ « ركز في كل معركة قوات متفوقة مطلقا ـ وليكن التفوق مرتين وثلاث واربع او احيانا خمس او ست مرات على قوات العدو . » (ماوتسي تونغ ـ الاعمال العسكرية ص ٣٤٩) .

الان ، اذا اخذت كل هذه المبادىء لتطبق على وضع الثورة الفلسطينية ووضع العدو قبيل معركة الكرامة فسنجد ان الاستنتاج السريع الذي كان لا بد من الخروج به من قبل كل من يحفظ تلك القوانين عن ظهر قلب ويطبقها بصورة ميكانيكية ، ولا يراها الى جانب قوانين اخرى متلاحمة معها ، هو : ترك الكرامة وتجنب حملة الجيش الصهيوني ، وفي احسن الحالات ، الانتشار الواسع في المنطقة للقيام ببعض المناوشات على الاطراف والنقاط المعزولة ، خاصة ، في اثناء انسحاب العدو . لان نظرة سريعة على توازن القوى العسكرية تطلع بضرورة الخروج بمثل هذا الاستنتاج :

١ ـ العدو متفوق بالاليات والطيران والسلاح والعدد ، ومتمرس على قتال المواجهة والاقتحام والاحتلال . ٢ ـ النواة الثورية المقاتلة قليلة العدد جدا وذات اسلحة لا

تؤهلها لمثل هذا المستوى من المواجهة . وهي ما تزال من ناحية مستوى تطورهـا العسكري في مرحلة حرب الغوار المتحركة مع بداية السعي لبناء قاعدة آمنة (كانت الكرامة) . (٣) قيادة الجيش الاردني لن تشارك ، بل ستنتظر بعين الرضا لضرب الثورة فقد شنت حملة تطويق ضد قوات الثورة في الكرامة نفسها قبل ذلك بشهر ونصف الشهر (شباط ١٩٦٨) ، بقصد تصفية قاعدة الثورة من الكرامة ـــ وكانت بالفعل قد أصدرت اوامر صريحة للجيش عند بدء الهجوم الصهيوني على الكرامة ، بالتزام الهدوء وعدم التعرض له ، فلم تضرب طلقة واحدة من الجيش الاردني في اثناء التقدم واقتحام الكرامة . (أما المشاركة فيما بعد فقد جاءت بمبادرة من الجنود وضباط الميدان خلافا للاوامر بعد أن بدأ الانسحاب . وقد راجت شائعات في ذلك الوقت أن السفير الامريكي في عمان اتصل بالقصر واخبره أن الهجوم على الكرامة لا يقصد منه غير الفدائيين وأن الاسرائيليين سينسحبون فور انتهاء مهمتهم ، لهذا على الجيش الاردني الا يتدخل) .

ومن هنا فان أية عقلية عسكرية صرف لا تستطيع أن تتصور أي قرار غير قرار الانسحاب من معركة الكرامة ، وعدم التصدي لحملة العدو . وهي تفعل ذلك « مطمئنة » كل الاطمئنان الى انها تمتلك علم حرب الغوار . وقد تردد بعض القوانين ، بصورة انتقائية، مأخوذة من «الاعمال العسكرية» لماوتسي تونغ لتدين قرار عدم الانسحاب وتثبت صحة قرار الانسحاب . ولكن يتناسى الهدف الذي وضعه ماوتسي تونغ ليخدمه ذلك التكتيك العسكري ، وهو الهدف السياسي الذي من أجله وضع التكتيك العسكري الغواري ، وفي اللحظة التي ينسى فيها هذا الهدف ويصبح التعامل مقصورا على الجانب العسكري البحت ، يتحول تكتيك الغوار الى لعبة حمقاء تنقل لعبة الاكروبات الى ميدان العمل الثوري . لقد اكد ماوتسي تونغ مرارا وتكرارا على ضرورة « معارضة وجهة النظر العسكرية الصرف وطرق الثوار المتجولين » .. « وأعلم ان الجيش الاحمر هو داعية ومنظم للشعب الصيني » وكتب أيضا ، « عندما يقاتل الجيش الاحمر لا يقاتل لمجرد القتال ، وانما لتحريض الجماهير وتنظيمها ومساعدتها على تأسيس سلطة سياسية ، وبدون هذه الاهداف يفقد القتال اهدافه ومعناه ويفقد الجيش الاحمر سبب وجوده » ... « توزيع قواتنا لتثوير الجماهير ، وتركيز قواتنا لضرب العدو » ... « ايقاظ أكبر عدد من الجماهير ، بأقصر وقت ، وبأفضل الاساليب » .. « النمر اثناء القتال ، ووضع العمل السياسي بين الجماهير في المقدمة ، بل أن الجيش الاحمر نفسه يلعب دور المنظم السياسي وناشر الوعي السياسي» (الاعمال العسكرية ص ٧٢ و٩٧ ـــ ٩٨). اذن المسألة الجوهرية هي العمل السياسي .. تحريض الجماهير وتنظيمها ومساعدتها على تاسيس سلطة سياسية . والسؤال الان اي القرارين كان سيخدم هذا الهدف ضمن الظروف المعطاة في الفترة الزمنية التي شملت معركة الكرامة : الانسحاب ام الثبات ، فاذا كان الجواب هو الثبات والتصدي ، فهل يضحي بتلك القوانين التكتيكية ؟ يقول ماوتسي تونغ « اننا ماركسيون وتعلمنا الماركسية في معالجتنا لاية مشكلة ان علينا البدء من الحقائق الموضوعية وليس من التعريفات التجريدية، وان علينا اشتقاق مبادئنا الهادية وسياساتنا وتطبيقنا العملي من تحليل تلك الحقائق الموضوعية » (الاعمال المختارة ـــ المجلد الثالث ـــ ص ٧٤) ، ويستشهد ماوتسي تونغ بلينين قائلا « يقول لينين ان التحليل الملموس للظروف الملموسة هو أكثر شيء اساسي في الماركسية انه الروح الحية في الماركسية » (المصدر السابق ص ١٦٥) ... « ويقول لينين عن حرب العصابات : ـــ من الضروري جدا الا نتمسك تمسكا كاملا بالقواعد والنصوص المطلقة، وان نفهم اوضاع القتال الفعلي . اذ أن هذه الاوضاع ستتبدل طبقا للاوضاع السياسية والاقتصادية ، وتحقيق اهداف الشعب . ولا شك أن هذه التغييرات المتدرجة في الاوضاع ، تخلق اساليب جديدة » (حرب العصابات ـــ ماوتسي تونغ ـــ نشر وتوزيع دار سوريا) هنا لا مجال للجدال في أن مسألة تخطي أية قوانين تكتيكية واشتقاق

مبادىء هادية وسياسات وتطبيقات عملية من تحليل الحقائق الموضوعية هو الشيء الجوهري في العمل الثوري الخلاق الذي يحارب ضد الجمود والالية في التفكير ، ويرفض الفهم الميكانيكي للقوانين العسكرية دون وضع العمل السياسي في المقدمة ، وربط التطبيق بالدراسة الملموسة لكافة جوانب الوضع المعطى مع تحديد حلقة التركيز الرئيسية التي تقوم على اساس تحديد الجانب الاكثر اهمية من بين تلك الجوانب في كل مرحلة ، حيث ياتي التركيز عليها مفتاحا لمعالجة الوضع ككل .

جاء في « التمهيد » لمعركة الكرامة في كراسة فتح « اربع معارك كبيرة لقوات العاصفة » لمحة عن الوضع المعطى قبل معركة الكرامة : « في الايام التي اعقبت حرب حزيران ١٩٦٧ ، بدأت الجماهير العربية تصحو من اثر الضربة القاسية التي وجهت للامة ، وبدأ شعور ثقيل من خيبة الامل يخثر الدم في العروق ويسد المنافذ امام اي امل او رجاء ، فأصبحت هذه الامة ذات التاريخ العريق مهددة بالاستسلام للهزيمة وبقبول الواقع الجديد الذي افرزته » اما في الصفحة الرابعة عشرة من الكراس المذكور وهو يناقش الحوار الذي دار حول اتخاذ القرار بالنسبة لمعركة الكرامة فقد جاء فيه : « وكان الطرح في البداية يركز على ان القتال في السهل امام الدبابات وتحت رحمة الطيران لا يعدو كونه جنونا حقيقيا ، وكان راي اصحاب هذا الطرح ان يتراجع الجميع الى الجبال ، والا ستضطر كامل القوات الى الانسحاب خلال ساعات ثلاث او تسحق بكاملها . وكان لفتح راي حول الموضوع طرحته في بداية الاجتماعات ، وظلت مصرة على طرحه ... « امام ارادة القتال الحقيقية كل شيء ممكن ، لقد رتبنا امورنا لنقاتل ونصمد ، الانفاق تحمينا كما يفعل الجبل تماما . وثمة حقيقة اساسية آن لنا جميعا ان نعيها، لقد مارس العدو التقدم ومارسنا نحن الانسحاب على مدار سنوات مواجهتنا له ، اذا كان لا بد من الانسحاب فلننسحب الى عمان ودمشق. وهذا ما نرفضه، الامة العربية تتطلع الينا ، وعلينا ان نتحمل مسؤوليتنا بشجاعة وشرف ورجولة ، علينا ان نخلق معاني الصمود في ضمير هذه الامة ، وعلينا ان نسحق اسطورة الجيش الذي لا يهزم » وكان هذا الاعتبار في المقدمة ، اما الاعتبار الاخر الذي كان واحدا من خلفيات اتخاذ قرار المواجهة ، والذي عبرت عنه مجلة « الثورة الفلسطينية » في عددها الرابع ، وبصورة اكثر وضوحا في عددها ٢٥ نيسان ١٩٧٠ ، فهو الخطر الذي كان يحدق ببناء القاعدة الآمنة في الاردن من قبل القوى المضادة للثورة في الحكم الهاشمي ، حيث جرت في ٢ شباط ١٩٦٨ محاولة جادة لاقتلاع الفدائيين من الكرامة (اول قاعدة آمنة في الاردن) ، فكان من الضروري خوض مثل هذه المعركة ضد العدو الصهيوني دفاعا عن القاعدة الآمنة لكي تكرس تلك القاعدة وتصبح حقا اكتسب بدماء الشهداء والابطال في معركة المواجهة ، ليصار الانطلاق منه الى توسيع القواعد الآمنة التي تشكل طرازا من السلطة السياسية للشعب ، خاصة ، وانها ستكون مغروسة في قلب المخيمات وستمتد الى القرى والى الاحياء الشعبية في المدن . ان مسالة القاعدة الآمنة كانت في منظور متخذي قرار الكرامة ، تشكل المفتاح لتقدم الثورة الى مرحلة ارقى « ان الثوار الذين لا قاعدة آمنة لهم يتحولون الى مشردين هائمين ، وهؤلاء لا يمكن لهم ان يتقدموا بالثورة من مرحلة دنيا الى مرحلة اعلى ، (الثورة الفلسطينية عدد ٢٥ ــ نيسان ١٩٧٠ ص ٢٠) فالحصول على القاعدة الآمنة « هو منتصف الطريق النظري (وليس الزمني) لحرب الشعب. من هذه الزاوية يمكن لنا ان ندرك البعد الاستراتيجي الحقيقي والأساسي لمعركة الكرامة » (المصدر السابق ص ١٩) . وقد جاءت النتائج الايجابية التي تلت معركة الكرامة تؤكد صحة هذا المنظور ــ كما جاءت النتائج السلبية بعد فقدان القاعدة الآمنة بعد احداث جرش تموز ١٩٧١ ، تؤكد صحته ايضا حيث أصبحت الثورة تواجه صعوبات خطرة للغاية كما نشاهد الآن ــ لهذا يقول العدد نفسه من « الثورة الفلسطينية » ص ٢٠ : « تمكنت الثورة الفلسطينية من الوقوف على قدميها فحصلت

على القاعدة الامنة في الاغوار ، وتمكنت من تطوير قواها العسكرية بالتدريج ، وزيادة العمق الاستراتيجي للقاعدة الآمنة بحيث أصبحت الضفة الشرقية مع الزمن قاعدة ارتكاز للثورة . ان خلق التنظيم الثوري في شرق النهر واتاحة الفرصة للشعب لكي يتحول الى خزان ثوري من حيث الوعي والتنظيم والتسليح ، وخلق المنظمات الشعبية القادرة على جعل الجماهير، من خلالها ، تتدرب على ممارسة العمل السياسي والسلاح في حوزتها ، كل تلك الامور ما كان بالامكان أن نصل اليها لولا انتصار الكرامة » .

ومن هنا ، يمكن القول أن الاعتبارات التي ركز عليها في اتخاذ قرار دخول معركة الكرامة كانت ذات طابع سياسي يتعلق برفض الجماهير لفكرة استمرار الهزائم واستمرار الفرار والانسحاب ويهدف الى ضرب امثولة تحرض الجماهير وتستنهضها وتنظمها وتساعدها على تأسيس سلطتها السياسية عبر القواعد الامنية في الاردن . ان هذه الاعتبارات قد أخذت في حسابها أساسا خط الجماهير: ما هو في أعماق الجماهير، ما تريده الجماهير ، ما تتطلع اليه الجماهير لينظر في دخول معركة بأسلحة تعود بنتائجها لتثقف الجماهير وتحرضها وتنظمها . ولهذا كانت الطليعة الثورية تعكس خط الجماهير في قرارها في مواجهة المعركة « وكان الشعور السائد لدى الجميع ــ يقصد مقاتلي العاصفة ــ ان الامة العربية لم تعد قادرة على مواجهة هزيمة جديدة ، فالهزيمة في الكرامة تعني هزيمة الامة والانتصار يعني انتصارها » (المصدر السابق ص ١٨) . ولقد جاء في كتاب « معركة الكرامة » حول أهداف القرار : « وطيلة يوم ٢٠ ــ ٣ ــ ٦٨ كانت القيادة العامة تناقش الامر من كافة جوانبه .. هل يصمد المقاتلون في مواقعهم ام ينسحبون ؟ وكان الاختيار صعبا .. وكان القرار خطيرا .. لقد قررت القيادة العامة أن لا بد من الصمود .. الصمود الواعي .. وعندما اتخذت هذا القرار وضعت أمامها الاهداف التالية : (١) رفع معنويات الجماهير الفلسطينية والعربية بعد نكسة حزيران، (٢) تحطيم معنويات العدو وانزال اكبر الخسائر في قواته، (٣) تحقيق الالتحام الثوري بين الجماهير ، حتى يصبح الشعب قوة منيعة ضد أي تحرك للوقوف في وجه الثورة ، (٤) زيادة التقارب والثقة بين قوات العاصفة وافراد الجيش الاردني الباسل ، (٥) تصفية القوى المضادة لحركة المقاومة المسلحة داخل الضفة الشرقية للاردن بكشفها وفضح مخططاتها الرامية الى تصفية الثورة ، (٦) تنمية القوى الثورية داخل صفوف شعبنا ، (٧) اختبار ثقة المقاتلين بأنفسهم في معارك المواجهة مع العدو في هذه المرحلة الجديدة من مراحل كفاحنا المسلح » (ص ١٣ ــ ١٤) .

كان ماركس قد لاحظ في مقالته حول « حرب الغوار في اسبانيا » ان الحالة التي تولدت عن الكارثة القومية وهزيمة الجيش النظامي ، دفعت بالشعب الى ان يتطلع الى المغاورين نتيجة عدم احتماله للهزائم على النطاق القومي ، فقد كتب معلقا « ولقد أصبح نشوء وحدات الغوار ظاهرة عامة عندما أصبحت هزائم الجيش النظامي ظاهرة منتظمة. ولما أصبح من العسير على أغلبية الشعب احتمال الهزائم على النطاق القومي ، فقد راحت تصفق للانتصارات المحلية التي يحرزها أبطالها » (كارل ماركس وفرديك انجلز : « الثورة في اسبانيا » ــ الناشرون الامميون سنة ١٩٣٩ ص ٥١) .

ان ادراك هذه الملحوظة يؤكد صحة القرار الذي اتخذ لمصلحة خوض معركة الكرامة حيث يصور كيف تصبح الجماهير عطشى لانتصارات محلية جزئية يقوم بها ابطالها المغاورون عندما تغدو هزائم الجيش النظامي ظاهرة منتظمة ، ويغدو من العسير على الشعب تلك الهزائم على النطاق القومي . وقد لاحظ العدو ان تحرك العمل الفدائي ، وما حقق من انتصارات جزئية ، في فترة وجيزة ، بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، بدأ يستقطب الجماهير الفلسطينية ، ويشد اليه أنظار الجماهير العربية ، وقد راح يبعث الامل في قلوب هذه الجماهير . ولهذا قرر العدو ان يتحرك ليضرب هذا الوليد النامي

الخطر ، قبل أن يستفحل أمره . ولكن الضرب يجب أن يأخذ بعدا سياسيا بالدرجة الاولى . وهذا دفعه الى ان يجعل عمليته في الكرامة تأخذ طابع الهجوم البري والاقتحام، وقد كان بامكانه أن يمسح الكرامة بالقصف الجوي . ان دخول المشاة والاليات الى الكرامة كان بهدف اجبار الفدائيين على الفرار ليشبههم فيما بعد « بالارانب » شأنهم شأن غيرهم . ولهذا اعتبر كتاب « معركة الكرامة » الصادر عن حركة « فتح » ان العدو تخيل « ان عملية عسكرية تدرس وتعد بصورة محكمة قادرة وبضربة واحدة ، ان تقضي على أمل الامة العربية الذي بدأ ينمو ويتصاعد » (ص ٩) ... وان العدو هدف من هجومه على الكرامة « أن يغطي به على انتصاراتنا عليه في فلسطين المحتلة » (ص ٢٧) . وهكذا نجد هنا ايضا سببا آخر لماذا كان من الضروري اتخاذ قرار الصمود والمواجهة في معركة الكرامة .

خلاصة : يمكن الاستنتاج ان الاعتبارات التي قادت الى اتخاذ قرار دخول المعركة تتلخص في أن العدو أخذ بعد حرب حزيران ١٩٦٧ مظهر الجيش الاسطوري الذي لا يهزم ، واصبحت السمة التي يتسم بها الطرف المقابل هي الانسحاب والفرار وتلاحق الهزائم القومية ولم يعد مزاج الجماهير يحتمل استمرار هذه الحالة ، وطفق يتطلع الى المغاورين الذين بداوا التحرك لضرب العدو ، وها هوذا العدو الان (آذار — مارس — ١٩٦٨) يلقي قفاز التحدي لكي يثبت ان المغاورين الذين أخذوا يصبحون أبطالا بأعين الجماهير سوف يفرون من وجهه ولا أمل فيهم من أجل المضي حتى النهاية في تحطيم ارادة الشعب ودفعه للاستسلام . لهذا كان الانسحاب من الكرامة لن يخدم تعبئة الجماهير واستنهاضها واسترداد ثقتها بنفسها ، في حين سيؤدي قبول التحدي ، حتى ولو كان ثمنه ابادة الثوار في الكرامة ولكن في حمى القتال الضاري والشجاعة والبطولات والتضحيات وانزال الخسائر بالعدو ، الى انقاذ الوضع المتدهور واستنهاض الجماهير ودفع عشرات الالوف من أبناء الشعب لدخول الحرب والتجرؤ على مصارعة العدو .

اذا كانت قدرة قوات الغوار على الفرار وعدم الوقوع في الطوق ، **في الحالات العادية** ، دليلا على بطولة الثورة ، ومقدرتها على الاستمرار والصمود ، بل شرط استمرارها والتفاف الجماهير حولها وقبولها لها ، ومن ثم ، مصدر الهام لاستنهاض الجماهير الى القتال ، فانها في الحالة المعطاة في ظروف ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ في بلادنا ، كانت ستعطي نتائج مضادة تماما ، او بكلمات أخرى كان عدم الفرار وقبول التحدي ، في تلك الحالة، هما دليل بطولة الثورة ومقدرتها على الاستمرار والصمود، بل شرط استمرارها وتقبل الجماهير لها واستنهاض الشعب للقتال . اذن ان الحلقة الرئيسية التي كانت تشكل مفتاح الوضع الثوري ككل لم تكن المحافظة على النواة الغوارية وتجنب حملات الابادة والتطويق ، وانما الدخول في معركة مواجهة ، ولو غير متكافئة لمصلحة العدو ، ودون أن يكون الهدف انزال الهزيمة بالعدو ، بالمعنى العسكري الضيق للكلمة ، معركة مواجهة تثبت ان بالامكان الصمود في وجه ما يسمى بالجيش « الاسطوري » وانزال الخسائر به . هذا من ناحية الدور العسكري الذي يمكن أن تعمل في مداه ، وكان ذلك ممكنا ، وقد أثبتت التجربة الملموسة انه ممكن ، ليس من جهة الصمود وانزال الخسائر بالعدو فحسب ، وانما ايضا من جهة اجبار الجيش المهاجم على التورط في معركة أرادها نزهة قصيرة لبضع ساعات ، واذا بها تنقلب الى معركة حامية تمتد خمس عشرة ساعة متواصلة ، وقد اعقبتها سلسلة من الهجمات المضادة في اثناء انسحابه حيث راحت وحدات الغوار التي كانت منتشرة في الجبال المحيطة ، او التي انسحبت من الكرامة بعد انتهاء مهمتها ، تطارده حتى ما بعد النهر ، فارضة عليه مزيدا من الخسائر ، فضلا عن اجباره على ان يخلف وراءه قتلاه وآلياته المعطوبة ، لاول مرة ، خروجا على عادته . اما من الناحية الثانية ، وهي الاهم ، فهو استنهاض الجماهير ، وتحويل مجرى الدفع

نحو الهزيمة والاستسلام الى مجرى جديد يتجه نحو حرب الشعب والقتال الجماهيري المنظم المسلح ، اي وضع الهدف السياسي في المقدمة . ومن هنا فان قرار خوض معركة الكرامة يجب ان يفهم في بعده السياسي انطلاقا من التحليل الملموس للظرف المعطى في ذلك الحين ، وتحديد أين هي الحلقة الرئيسية التي كان يجب على القيادة السياسية التركيز عليها . ان الحلقة الرئيسية هنا كانت الصمود ، القتال ، انزال خسائر بالعدو ، اجتراح البطولات ، كل ذلك من أجل الهاب خيال الجماهير المتعطشة لوقفة شجاعة ، وجعلها تستشعر قواها الكامنة القادرة على مواجهة العدو اذا ما خرجت من حيز القوة الغافية الى حيز الفعل النشط على أرض الواقع .

ان دراسة تجربة الكرامة ، وعلى تحديد دراسة تحليل الوضع الملموس الذي ادى الى اتخاذ قرار خوض تلك المعركة ، ذلك القرار الذي يبدو مختلفا في الظاهر ، من حيث الشكل ، مع قوانين تكتيك حرب الغوار ، في حين هو منسجم معها في الجوهر أي من وجهة نظر خدمة الاهداف التي وضعت قوانين تكتيك حرب الغوار لتحقيقها ، وجاء هذا القرار يخالف تلك القوانين ظاهريا من اجل تحقيق اهدافها . ان دراسة تجربة الكرامة تعطي نموذجا جديدا لتطبيق قوانين حرب الشعب تطبيقـــا جديدا خلاقا أثبتت صحته النتائج العملية على أرض الواقع . الامر الذي يطرحه كنموذج حي يضاف الى التراث النظري للثورة العالمية عموما ولعلم حرب الشعب خصوصا . أي نموذج اتخاذ مثل هذا القرار في ظروف شبيهة من حيث الجوهر .

ان درس معركة الكرامة يعلم التقيد بالمنهج الديالكتيكي في التفكير الذي يخلص الثوريين من تطبيق المبادىء العامة تطبيقا جامدا ميتا معزولا عن دراسة الوضع الملموس المعطى . ويعلم كيف يجب أن يدرس الوضع الملموس ، في كل مرة ، دراسة تفصيلية نافذة تنتهي بالموضوعات المناسبة لحل مسائل الثورة المسلحة في كل حالة . اي ان نتعلم في معالجة أية مشكلة « البدء من الحقائق الموضوعية وليس من التعريفات التجريدية ، واشتقاق مبادئنا الهادية وسياساتنا وتطبيقنا العملي من تحليل تلك الحقائق الموضوعية » .

الوكالة اليهودية : التنظيم والجباية

عابدين جبارة

هذه الدراسة في اساليب الجباية اليهودية في الولايات المتحدة وتنظيمها ، اتخذت شكل دعوى مقامة على وزارة مالية الولايات المتحدة ، من قبل المدعين نورمان داسي ، الاستاذ ابراهيم ابو لغد ، الاستاذ نورثون ميزفنسكي والاستاذ هشام شرابي والاستاذ ادوين رايت ، والاب ل. همفري فالس ، والنائب مايكل روس. وقد اعد هذه الدراسة ــ الدعوى المحامون عابدين جبارة ، لافيرتي ، ريوستي ، جبارة ، باباكيان وجيمس .
اما الاساس القانوني لهذه الدعوى فيرتكز على كون المدعين ــ وهم جميعا مواطنون اميركيون يدفعون الضرائب ــ يتعرضون للضرر ، بسبب حرمان الخزينة الاميركية من الضرائب المستحقة على اموال الجباية . وننشر هنا الجزء الرئيسي من هذه الدراسة ــ الدعوى وهو الجزء المتعلق بتنظيم الجباية اليهودية . اما الاجزاء الاخرى وهي عبارة عن دراسة قانونية وتلخيص للشكوى بالاضافة الى الملاحــق والى تحليل لسياسة اسرائيل العنصرية ضد العرب فقد راينا عدم نشرها هنــا . هذا وسننشر الدراسة بكاملها بالانكليزية قريبا .
ويجب الانتباه هنا الى ان الميدان القانوني ليس هو الميدان الذي تكسب فيه قضايا التحرر . ففي الولايات المتحدة تستطيع الحركة الصهيونية كسب هذه القضية ، فاذا لم تستطع كسبها في المحكمة ، بامكانها الالتفاف حول اي قرار يصدر عن المحكمة لغير صالحها . وبالتالي فان الهدف من نشر هذه الدراسة هو كونها تسهم في جلاء حقيقة ان اموال الجباية اليهودية ، ليست اموالا يضحي بها اليهود من اجل بناء اسرائيل ، وانما هي اموال الخزينة الاميركية تدفعهــا الولايات المتحدة ، عــن طريق اعفاء المؤسسات التي تدفع للنداء اليهودي الموحد من الضرائب على هذه الاموال ، واعفاء النداء اليهودي الموحد نفسه من الضريبة باعتباره مؤسسة خيرية .
شؤون فلسطينية

(١) السنوات الاولى ــ من مرحلة التكوين الى مرحلة الدولة

ان معرفة الاهداف التاريخية وتطور المنظمــة الصهيونية العالمية/الوكالة اليهوديــة (سنشير لها لاحقا بــ م. ص. ع/و. ي) ضرورية من اجل فهم اغراضها واهدافها ونشاطاتها الحالية . ويمكن الوصول الى هذه المعرفة عــن طريق تحليل منشورات المنظمة نفسها ومختلف المواثيق والقوانين التي تنطبق عليها .

ان المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهوديــة (سميت ايضا « الوكالة اليهودية لفلسطين ») هما نفس المنظمة(١). احيانا تسمى بالاسم الاول واحيانا اخرى بالآخر . المنظمة الصهيونية العالمية هو الاسم الاصلي للمنظمة بينما اضيف اسم الوكالة اليهودية من قبل الانتداب الممنوح لبريطانيا على فلسطين عام ١٩٢٠ . وسيتم شرح هذا الامر بالتفصيل لاحقا .

أ ـ السنوات العشرون الاولى

كما يوحي اسمها ، انشئت المنظمة الصهيونية العالمية بهدف سياسي عقائدي وليس بهدف خيري . وفي تقديمها لتاريخها(٢) تصفه م ص ع/و ي هكذا : « لقد تأسست المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧ بشكل المؤتمر الصهيوني الاول في بال . وقد حدد هدفها في « برنامج بال » بكونه اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، يؤمنه القانون العام »(٣) .

وتلخص م ص ع/و ي نشاطاتها في الفترة الواقعة بين انشائها وظهور دولة اسرائيل ببناء الامة سياسيا(٤) .

« لقد لعبت المنظمة الصهيونية العالمية دورا تاريخيا حاسما في رص صفوف الشعب اليهودي وفي تهيئة ارض اسرائيل(٥) من أجل الاستقلال القومي اليهودي واقامة الدولة» . واستنادا الى م ص ع/و ي كانت فترة المؤتمرات الصهيونية الخمسة الاولى (١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠١) فترة كانت فيها المؤتمرات « تلعب دور الندوة البرلمانية التي تبحث فيها المشاكل الاساسية لتنظيم الشعب اليهودي وايجاد أجهزته الاولى ... وكان التشديد ، بوجه الخصوص ، يوضع على الشكل الخارجي للحركة والبيانات السياسية »(٦) .

أما الفترة الواقعة بين عامي ١٩٠١ ــ ١٩١٧ فقد كانت فترة نشاطات صهيونية «عملية» (هجرة فعلية واستيطان في فلسطين) و« سياسية » (جهود للحصول على موافقة من تركيا تسمح باقامة وطن قومي يهودي في فلسطين)(٧) . وبالاضافة الى هذا ، بدأت المنظمة الصهيونية العالمية عملياتها الدفاعية في فلسطين في هذه المرحلة المبكرة(٨) .

« في سنة ١٩٠٩ ، اسست منظمة « هاشومير » كاطار لجهود « الحالوتسيم »(٩) الشباب لتولي واجبات حراسة المستوطنات اليهودية في البلاد . وقد شكلوا نواة حركة الدفاع اليهودية في أرض اسرائيل » .

وفيما بعد ستصبح حركة الدفاع التي كانت تمولها م ص ع/و ي ، هي الهاجاناه ، جيش حكومة الظل لاسرائيل . (انظر ادناه ، القسم ج)

ب ــ وعد بلفور

في سنة ١٩١٧ بدأت المنظمة الصهيونية العالمية مرحلة جديدة بوعد بلفور الذي أصدرته الحكومة البريطانية تحت الحاح الصهاينة . وقد وقع الوعد خلال الحرب العالمية الاولى عندما كان استيلاء الانجليز على فلسطين من الاتراك منتظرا . وهذا هو نص الوعد بكامله :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل أقصى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم بشكل واضح ، أنه لن يؤتى بعمل من شأنه الاضرار بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، أو بالحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى »(١٠) .

لقد كان وعد بلفور وعدا سياسيا للصهاينة باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . وقد تضمن عبارات تستهدف ضمان حماية اليهود خارج فلسطين والعرب في فلسطين . وقد أثارت هذه العبارات اعتراضات شديدة من قبل الصهاينة(١١) .

ج ــ الانتداب البريطاني

بعد الحرب العالمية الاولى اجتمعت القوى المتحالفة المنتصرة في سان ريمو عام ١٩٢٠

لتقرير مصير البلاد التي تم الاستيلاء عليها خلال الحرب . وطالب الصهاينة أن تمنح السيادة على فلسطين لعصبة الامم وأن تمنح بريطانيا انتدابا على فلسطين يتضمن وعد بلفور(١٢) . وقد استجيب لطلبات الصهاينة هذه . وتم تضمين وعد بلفور في مقدمة وثيقة الانتداب .

وقد أوجدت الوكالة اليهودية لتحقيق نص المادة الرابعة من وثيقة الانتداب :

« يعترف بوكالة يهودية مناسبة كهيئة عامة لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الامور التي قد تؤثر في اقامة الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، وتكون خاضعة دائما لاشراف الادارة ، من أجل المساعدة والمشاركة في تطوير البلاد .

ان المنظمة الصهيونية ، ما دام تنظيمها ودستورها في رأي السلطة المنتدبة مناسبا ، سيعترف بها كوكالة مناسبة . وستقوم باتخاذ خطوات ، مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، تضمن تعاون جميع اليهود الراغبين في المساعدة في اقامة الوطن القومي اليهودي »(١٣) .

وهكذا اعترف بالمنظمة الصهيونية العالمية بصفتها الوكالة اليهودية لفلسطين التي أقامها الانتداب لـ « تتعاون » مع البريطانيين في الحكم والاشراف على الاستعمار اليهودي لفلسطين . ومنذ بداية الانتداب ، كانت اصطلاحات « المنظمة الصهيونية العالمية » و « الوكالة اليهودية » و « الوكالة اليهودية لفلسطين » أسماء مختلفة لنفس الهيئة . ورغم أن مصطلح « وكالة » في « الوكالة اليهودية » كان يرد في وثيقة الانتداب في حالة التنكير ، حيثما ورد، فقد استعملته المنظمة الصهيونية في حالة التعريف كاسم علم لها*. لفترة قصيرة من الزمن تم توسيع الوكالة اليهودية لتضم ، حسب شرط وثيقة الانتداب ، من حيث المظهر، مشاركة غير صهيونية . واستنادا الى م ص ع/و ي(١٥) جرت مداولات مطولة بين الصهيونيين حول مسألة توسيع الوكالة ، ولكنهم قرروا توسيعها بسبب الفائدة السياسية والعملية من التوسع . ربما استطاع الصهيونيون « أن يكسبوا تعاون الشعب كله في المشروع القومي من خلال وكالة يهودية موسعة . » . وكذلك « يؤدي تعاون المنظمات غير الصهيونية داخل الوكالة اليهودية الى زيادة الامكانات المالية بين يدي الحركة » .

عقد المؤتمر التأسيسي لهذه الوكالة اليهودية الموسعة عام ١٩٢٩ ، في اجتماع لممثلي المنظمة الصهيونية العالمية وافراد غير صهيونيين . واعترفت الحكومة البريطانية بالوكالة الموسعة بصفتها « الوكالة اليهودية » المشار اليها في وثيقة الانتداب(١٦) .

ان دستور الوكالة اليهودية الموسعة جعل المشاركة غير الصهيونية ، بعيدة الاحتمال وهو ما حصل فعلا آنذاك(١٧) . كان رئيس الوكالة الموسعة هو رئيس المنظمة الصهيونية العالمية . وكان لكل من الصهيونيين وغير الصهيونيين ان يعين نصف أعضاء أجهزة الحكم الثلاثة . وبينما كانت م. ص .ع تقوم بتعيين الصهيونيين ، فأن غير الصهيونيين لم تكن لديهم منظمة كهذه تقوم بتعيينهم ، حيث أنهم افراد وليسوا منظمات او ممثلي منظمات . وأية شواغر لا يملؤها غير الصهيونيين ، كانت تقوم بملئها م. ص. ع. وبما ان م. ص. ع. كان لها اساسا نصف اعضاء الهيئات الحاكمة ، فان أية مقاعد شاغرة تخص غير الصهيونيين، تقوم بملئها، تؤدي بالنتيجة الى سيطرة م.ص.ع على الوكالة.

ولم يحدث أبدا أن كان في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية الموسعة ، حصة كاملة للعناصر غير الصهيونية(١٨). وبالاضافة ، كان يجري تعيين اعضاء ومسؤولين في

---

* الاشارة هنا الى استبدال الحرف الاول الصغير في (agency) بحرف كبير (Agency) ليصبح اسم علم .

المنظمات الصهيونية لملء مقاعد تخص غير الصهيونيين(١٩). وبمرور الوقت استعادت م. ص. ع. هويتها بصفتها الوكالة اليهودية . وفي عام ١٩٤٣ ، عندما سجلت الوكالة اليهودية نفسها لدى حكومة الولايات المتحدة ، كوكيل اجنبي ، اعلنت ، تحت اليمين ، « ان اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية يتم انتخابها من قبل المؤتمر الصهيوني »(٢٠).

خلال فترة الانتداب كانت م. ص. ع. / و. ي. هي حكومة الظل « لليشوف » ، وهو مجتمع المستوطنين الصهاينة في فلسطين :

« لعبت الوكالة اليهودية دور « حكومة في الطريق الى الحكم » تقوم بأعداد الادوات لاقامة الدولة اليهودية في أرض اسرائيل . وخلال هذه الفترة كان اليشوف في البلاد منظما بوصفه « دولة داخل الدولة » واوجد الادوات التي قادت في النهاية الى الاستقلال . وقد قامت الوكالة اليهودية بدور نوع من حكومة لليشوف في البلاد ، والى حد ما ، لجميع الشعب اليهودي . وقد انشأت دوائر عديدة للعمل والصناعة والاستيطان الخ ، أدت جميعها الى خلق وتعزيز الاقتصاد القومي اليهودي ، لقد نظمت العودة (المشروعة و« غير المشروعة ») وبادرت بمشروع « عودة الشباب » ، وحافظت على دائرة سياسية نشطة كانت تقوم بتمثيل اليشوف أمام السلطات البريطانية وأمم العالم ، واهتمت بأمن اليشوف ، وقادت النضال السياسي الذي أدى الى اقامة الدولة »(٢١).

عملت الوكالة ايضا على تقوية مركزها العسكري في المناطق المستعمرة حديثا : « كان يتوجب اعمار مناطق قاحلة ومنعزلة ، بحد أدنى من التاخير ، لخلق مراكز قوة لا يمكن تجاهلها عند اتخاذ قرار بشأن الوضع السياسي لفلسطين ، وعند رسم الحدود . لقد انشئت قرى جديدة على نمط شبه عسكري .. أكواخ جاهزة ، برج مراقبة ، سياج وخيام ، كل هذه كانت تنقل في الليل وتوضع في مكانها بمساعدة مئات المتطوعين . وفي صباح اليوم التالي كانت القرية الجديدة قادرة على صد الهجمات »(٢٢).

وأقامت م. ص. ع/و. ي ، ايضا جيشا سريا هو الهاجاناه ، من اجل شن الهجمات ضد العرب ، الذين نقموا على استمرار الصهيونية في الاستيلاء على أرضهم ، ومن اجل المساعدة في الهجرة غير المشروعة حين كانت الحكومة البريطانية تحد من الهجرة(٢٣).

وخلال الحرب العالمية الثانية ، واستنادا الى م. ص. ع / و. ي « درب عشرات الالاف من اعضاء الهاجاناه ، بدون ازياء عسكرية ، استعدادا للغزو النازي المتوقع للبلاد ، وتعاونت وحدات من البالماخ ، القوة الضاربة للهاجاناه ، بشكل نشط ، وفي وقت ما ، مع الجيش البريطاني ... »(٢٤) وعملت الهاجاناه ضد الحكومة البريطانية ، عندما حاول البريطانيون ، بعد الحرب ، أن يحدوا من الهجرة :

« لكن الشعب اليهودي رفض ان يستكين امام اقفال ابواب البلاد . وأقام مبعوثو الهاجاناه ، بالتعاون مع جنود الفرقة اليهودية ، منظمة تعمل لنقل اليهود ، على نطاق واسع ، الى فلسطين »(٢٥).

وحدثت معارضة واسعة من قبل م.ص.ع. للحكم البريطاني : « لقد ادى تنفيذ سياسة الكتاب الابيض(٢٦)، والمعاملة الفظة للمهاجرين ، وعمليات التفتيش من قبل الشرطة البريطانية والقوات العسكرية في ارض اسرائيل بحثا عن المهاجرين (غير الشرعيين) أثناء فرض نظام منع التجول لاوقات طويلة على المدن والمستوطنات ، الى اعلان حالة عصيان من قبل اليشوف (المستوطنون الصهاينة في فلسطين) ، ضد حكومة الانتداب . فبالاضافة الى التظاهرات الجماهيرية ووقف التعاون مع السلطات ، في مختلف مجالات النشاط ، تجلى العصيان في نشاطات مختلفة ذات طبيعة عسكرية ،

قام بها البالماخ (القوة الضاربة للهاجاناه) ، ووصلت ذروتها في تحرير المئات من المهاجرين (غير الشرعيين) من معسكر للاعتقال في عتليت ، وفي عمليات اخرى عطلت المواصلات . وبالاضافة الى **عمليات الهاجاناه التي تم تنفيذها استنادا الى السياسة المرسومة من قبل المؤسسات القومية** ، جرى تنفيذ عمليات تخريب ضد قوات الامن البريطانية من قبل منظمة اتسل (المنظمة العسكرية القومية) التي انشأتها المنظمة الصهيونية التصحيحية ، ومنظمة ليحي (المقاتلون من أجل حرية اسرائيل) »(٢٧). (خط التشديد مضاف) .

في الولايات المتحدة ، قام عملاء الهاجاناه والوكالة اليهودية بتجنيد الصهيونيين الامريكيين من اجل تجميع الالات والاسلحة والذخائر لارسالها الى فلسطين . وقاموا سرا ، تحت قيادة تتخذ من نيويورك مقرا لها ، بجمع وتخزين وشحن المعدات اللازمة لصناعة الاسلحة . واضافة الى ذلك ، حصلوا ، بكل وسيلة ممكنة ، على فائض الاسلحة التي تم شحنها ، بطريقة غير مشروعة ، من البلاد الى فلسطين . وجرى تمويل العملية كلها بتبرعات جمعت في الولايات المتحدة وفي اماكن اخرى(٢٨) .

واخيرا اعلنت الحكومة البريطانية عام ١٩٤٧ انها لا ترى أية امكانية لحل المشكلة الفلسطينية وحولتها الى الامم المتحدة . واصدرت الجمعية العمومية للامم المتحدة ، في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، توصية بأقامة دولة يهودية واخرى عربية ومنطقة مغلقة تحت الحكم الدولي . واعلن دافيد بن غوريون ، رئيس اللجنة التنفيذية لـ م. ص. ع/ و. ي ، قيام دولة اسرائيل يوم ١٤ ايار ١٩٤٨ ، قبل موعد انتهاء الانتداب البريطاني بثماني ساعات(٢٩). وفي هذا الوقت كان مجموع ما يملكه اليهود من اراضي فلسطين هو ٦،٥٪ فقط .

د ـ جمع الاموال

بدأت م. ص. ع ، في وقت مبكر ، تجمع الاموال من كل انحاء العالم لتمويل الهدف الصهيوني السياسي بأقامة دولة يهودية في فلسطين لجميع يهود العالم . وسنبين هنا ، انه منذ البداية اقيمت منظمات عديدة متداخلة في انجلترا والولايات المتحدة (وفيما بعد في فلسطين واسرائيل) ، والاموال تنتقل من منظمة لاخرى ، واحيانا تعود للاولى ، ولكن السيطرة كانت دائما في يد م. ص. ع / و. ي .

كان الحصول على الارض في فلسطين للمستوطنين اليهود في راس الاولويات . وقد انشىء الصندوق القومي اليهودي (لا يزال موجودا ، ويعرف أيضا بـ كيرن كايمت ليسرائيل) من قبل م. ص. ع ، في المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠١ ، لامتلاك الارض في فلسطين واعدادها للاستعمال الزراعي . « يستمد الصندوق القومي اليهودي موارده المالية من التبرعات »(٣٠). وكان يتم شراء الارض في فلسطين من قبل الصندوق القومي بانتظار الوصول ، مع الزمن ، الى تحقيق الدولة اليهودية في فلسطين. وبحسب بنود ميثاقه ، كانت عملية الشراء تتضمن شرطا مانعا ذا محتوى عنصري . لم يكن يسمح ابدا بأعادة بيعها لغير اليهود .

« ان مبدأ الملكية القومية للارض كان يكمن وراء نشاطات الصندوق . وان الارض التي اشتريت بأموال قدمتها الامة لا يجوز تركها للغرباء ، والامة هي التي تملك اراضي الصندوق القومي اليهودي ، ويجري تأجير الارض للمستوطنين لمدة ٤٩ سنة »(٣١).

في عام ١٩٠٧ سجل الصندوق القومي اليهودي في بريطانيا تحت اسم كيرن كايمت ليسرائيل المحدودة ، ويسمى عادة كيرن كايمت ، والمكتب الرئيسي الان موجود في اسرائيل . واخذ الصندوق القومي اليهودي يجمع الاموال في الولايات المتحدة لصالح م. ص. ع. عقب تأسيسه . وفي عام ١٩١٠ تكونت في نيويورك مجموعة غير مرخصة

تحت اسم « الصندوق القومي اليهودي » وجرى الترخيص لها عام ١٩٢٦(٣٢). وكان هدفه المعلن في وثيقة الترخيص هو تملك الارض في فلسطين . ونص قانون الشركة بالتحديد ، على أن جميع الاموال التي تجمع ، يجب ارسالها الى الشركة الانجليزية ، كيرن كايمت ليسرائيل المحدودة ، لاستعمالها بأية طريقة تراها الاخيرة مناسبة(٣٣).

وهناك صندوق اخر هو الكيرن هايسود (لا زال موجودا ، ويعرف في الولايات المتحدة باسم النداء الاسرائيلي الموحد) « تأسس في مؤتمر للقادة الصهيونيين عام ١٩٢٠ ، كمؤسسة لجمع الاموال لتمويل عمليات الحركة الصهيونية . ويستمد الكيرن هايسود دخله من تبرعات اليهودية العالمية(٣٤).

وتعترف م. ص. ع / و. ي انه خلال الفترة التي سبقت قيام الدولة ، كانت اموال الكيرن هايسود تنفق على نشاطات سياسية متعلقة ببناء الامة، وليس على أغراض خيرية:

« لقد تأسس الكيرن هايسود في مؤتمر للقادة الصهيونيين عام ١٩٢٠ كمؤسسة لجمع الاموال لتمويل عمليات الحركة الصهيونية . والى ان قامت الدولة ، كان الكيرن هايسود هو الجناح المالي لـ « الدولة في طور التكوين » . لقد مول جميع نشاطات الييشوف في أرض اسرائيل : العودة ، الاستيعاب ، الاستيطان الزراعي ، تطوير مصادر المياه ، التدريب المهني ، مساعدة العاطلين عن العمل ، عمليات البناء ، الاشغال العامة في المستوطنات اليهودية ، الاستثمار في المشروعات الاقتصادية (شركة الكهرباء، مصانع البوتاس ، شركة تسيم للملاحة ، ميناء تل ابيب) الخ. وقام الكيرن هايسود بدفع نفقات عمليات الييشوف الامنية . وعند حلول عام ١٩٤٨ كان الكيرن هايسود قد دفع نفقة عودة ٤٨٧،٠٠٠ مهاجر واقام ٢٥٦ مستوطنة زراعية »(٣٥).

ومنذ ظهور الدولة كان الكيرن هايسود يعمل كوكيل للدولة . (انظر ادناه ، القسم الثاني والثالث) . لقد تأسس الكيرن هايسود في انجلتره عام ١٩٢١ تحت اسم « صندوق مؤسسة ارض اسرائيل (فلسطين) كيرن هايسود المحدودة » . أما غرضه فكان عمل أي شيء « ضروري أو نافع لغرض تنفيذ ... وعد بلفور »(٣٦). ولهذه الغاية حدد هدفه المعلن بجمع الاموال و « افتتاح فروع للشركة وايجاد وكالات جباية في أي شكل وبأي جزء من العالم »(٣٧). وحسب بنود عقد التأسيس تشرف م. ص. ع. / و. ي على العضوية : « (لا يجوز لاي شخص ان يكون عضوا) الا اذا ووفق على هذا الشخص من قبل اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية »(٣٨). وتنص هذه البنود على أن اللجنة التنفيذية لـ م. ص. ع/و. ي تملك سلطة الغاء العضوية(٣٩) وتعيين وابعاد المديرين(٤٠). وللشركة البريطانية الحق ، حسب هذه البنود ، في نقل ادارة شؤونها لاية شركة اخرى(٤١).

وتم انشاء شركة لجمع الاموال لصالح الكيرن هايسود في الولايات المتحدة . وتأسس «صندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود) ش.م.» في نيويورك عام ١٩٢٢ وتم دمجه عام ١٩٣٧ مع الحملة الاميركية من أجل فلسطين ش. م. تحت اسم صندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود) ش.م .

وقد حدد الغرض من صندوق مؤسسة فلسطين المتحد بكونه جمع الاموال « لتخصيصها وانفاقها في تقديم المعونة وتدريب المستوطنين المحتملين في فلسطين ، وفي توسيع وتطوير المصالح الدينية والثقافية والمادية والاجتماعية والاقتصادية والصناعية والزراعية والعامة لليهود المستوطنين والقاطنين في فلسطين ، المقيمين الان والذين سيقيمون فيما بعد هناك ، وفي مساعدة وتشجيع وحفز تطوير الحياة اليهودية في فلسطين »(٤٢).

اما الاموال التي تجبى فترسل « الى صندوق مؤسسة ارض اسرائيل — فلسطين (كيرن هايسود) المحدودة ، وهي شركة انشئت بموجب قوانين انجلترة ، والتي ستعمل

كوكيل لصندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود) ش. م. ، في تحقيق الاهداف المذكورة آنفا ، والتي ستنفق الاموال المرسلة لها ، حسب ما ذكر ، بطريقة تعتبر ، في نظر مجلس ادارة صندوق مؤسسة ارض اسرائيل فلسطين (كيرن هايسود المحدودة) المذكورة ، او في نظر اشخاص مخولين ، بموجب ميثاقها وقوانينها الداخلية ، بانفاق اموالها ، الطريقة الفضلى لتنفيذ وتحقيق الاغراض المذكورة اعلاه »(٤٣).

ان معنى كلمة « وكيل » قد شوه بشكل واضح ، ذلك ان الوكيل البريطاني ، يحق له أن ينفق الاموال بالطريقة التي يقرر هو انفاقها . من الواضح ، حسب بنود عقد التأسيس، أن الشركة الاميركية كانت مجرد جهاز لجمع الاموال للشركة البريطـانية ، والتي هي بدورها جناح للمنظمة الصهيونية العالمية .

وهناك شركة اخرى في الولايات المتحدة كانت جزءا من شبكة وكالات الجباية م. ص. ع / و. ي ، تشكلت بأسم « الحملة الاميركية لفلسطين التابعة للوكالة اليهودية » . وكانت وريثتها النداء الفلسطيني الموحد ش. م.، شركة نيويوركية تأسست عام ١٩٢٧ . وفيما بعد تحول اسمها الى النداء الاسرائيلي الموحد ش. م. وينص ميثاقها على انها تكونت لجمع الاموال من أجل دعم السياسة الصهيونية في استيطان وتطوير فلسطين . وكان يتوجب عليها تحويل الاموال التي تجمعها « الى صندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود ش. م) ، (الذي كانت تسيطر عليه م. ص. ع من خلال شركتها البريطانية)، والى هداسا (منظمة النساء الصهيونيات) ، والى الصندوق القومي اليهودي ش. م.، والى أية شركات أو منظمات يختارها ممثلو ووكلاء النداء الفلسطيني الموحد لتحقيق الاهداف المذكورة آنفا »(٤٤).

ان القوانين الداخلية للنداء الفلسطيني الموحد تشترط ان يكون ستون بالمئة من اعضائه ومديريه واعضاء اللجنة التنفيذية من ممثلي صندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود) ش.م.(٤٥) اما الاربعون بالمئة الباقية (غير المسيطرة) فيختارون « من قبل الجاليات بالتشاور مع مجلس الاتحادات اليهودية وصناديق الرعاية »(٤٦). ويتوجب على المعينين من قبل صندوق مؤسسة فلسطين ان يصوتوا كمجموعة(٤٧). وهكذا فان النداء الفلسطيني الموحد ـــ النداء الاسرائيلي الموحد واقع تحت سيطرة صندوق مؤسسة فلسطين الذي هو جهاز لجمع الاموال تابع لكيرن هايسود المحدود البريطاني والذي هو بدوره ذراع لـ م. ص. ع / و. ي .

من اين يحصل النداء الفلسطيني الموحد ـــ النداء الاسرائيلي الموحد على الاموال التي يحولها الى الجهة التي تعينها الم. ص. ع ؟ من النداء اليهودي الموحد ، وهو شركة نيويوركية أسست عام ١٩٣٥ ، وابتدأت بصراع بين الصهيونيين والمحسنين اليهود حول الاموال الطائلة التي تجمعها الاتحادات العديدة وصناديق الرعاية عبر الولايات المتحدة .

(٢) مرحلة الدولة

بعد ان اعلن عن قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ ، لم تتوقف الـ م. ص. ع/ و.ي عن العمل ، ولكنها تخلت عن بعض مهامها للدولة الجديدة وتابعت تولي المهام الاخرى في علاقة وثيقة مع حكومة اسرائيل . وكانت النشاطات الرئيسية لـ م. ص. ع / و. ي منذ ١٩٤٨ في مجالين : تأدية مهام لحكومة اسرائيل تعتبر عادة من مهام الحكومة (الهجرة والاستيطان الزراعي) ، والنشاطات الدعائية خارج اسرائيل (تشجيع الهجرة ، حشد الدعم السياسي لاسرائيل وجمع الاموال) . وبقيت منظمات جمع الاموال ، بما فيها النداء الاسرائيلي الموحد في الولايات المتحدة ، كالسابق ، تقدم الاموال لـ م. ص. ع / و. ي .

وقد لخصت م. ص. ع / و. ي نشاطاتها منذ ظهور الدولة هكذا : « منذ ظهور الدولة ، عملت المنظمة الصهيونية ، الوكالة اليهودية في مجالات تشجيع العودة ، واستيعاب المهاجرين ، والاستيطان الزراعي ، وعودة الشباب ، وجمع الاموال من اجل العودة والاستيعاب ومن أجل تطوير الدولة ، وعملت على ضمان دعم موحد من يهود العالم للدولة ، وعلى ترقية التعليم اليهودي والاعلام الصهيوني في المنفى »(٤٨).

أ ــ سنوات ١٩٤٨ الى ١٩٥٤

في سنة ١٩٤٨ اصبح الكثير من قادة حكومة الظل التابعة لـ م. ص. ع / و. ي قادة الحكومة الاسرائيلية الجديدة ، وكثير من الوزارات الحكومية الجديدة كانت تحويلا مباشرا لدوائر الـ م. ص. ع / و. ي .

« كانت الوكالة مهيأة تماما لتحقيق الاستقلال القومي . واذا كانت في الماضي قد اتخذت شكل حكومة متواجدة جنبا الى جنب مع حكومة الانتداب ، فأنها الان ستصبح نواة السلطة الذاتية لجمهورية ذات سيادة . فالدكتور وايزمن ، رئيس المنظمة الصهيونية أصبح رئيسا للدولة ، وبن غوريون ، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اصبح رئيسا للوزراء ، وكانت الدائرة السياسية التابعة للوكالة جاهزة لتكون وزارة خارجية لاسرائيل . واصبح اعضاء عديدون من اللجنة التنفيذية في فلسطين وزراء(٤٩).

وكما يمكن أن يكون متوقعا استنادا الى تاريخ المنظمة ، فأنها لم تختف بعد قيام الدولة بل احتفظت بمجالات واسعة لعملياتها ، وكما يمكن ان يكون منتظرا ايضا بالنظر الى الخلفية المشتركة للنخبة الصهيونية المسيطرة على كل من الدولة الجديدة وال م. ص. ع / و.ي ، اصبحت المنظمة والدولة شريكين في نشاطاتهما واهدافهما المشتركة . وقد اعترفت الـ م. ص. ع / و. ي بهذا في احدى نشراتها التي تصف فيها بداية الوظائف الجديدة للمنظمة في رحلة ما بعد قيام الدولة .

« في آب ١٩٤٨ ، اجتمع المجلس الصهيوني المركزي للتداول في موضوع وظائف المنظمة الصهيونية في ظل الظروف الجديدة . وكان ممثلو الدولة ، ومن ضمنهم اعضاء اللجنة التنفيذية الذين أصبحوا في ذلك الوقت وزراء في حكومة اسرائيل ، وممثلو الحركة الصهيونية في الخارج ، على اتفاق تام بشأن الضرورة الحيوية لاستمرار وجود المنظمة الصهيونية . ان هذه الهيئة العالمية سوف تقوي الروابط بين الشعب اليهودي في المنفى وبين الدولة بحيث تؤدي الى تطورها وتعزيزها في جميع المجالات .

عقب انشاء الدولة وجهت جميع جهود الحركة نحو حشد العون للدولة الجديدة التي كانت تقاتل من اجل البقاء . وكان واضحا تماما للجميع ان العودة هي العامل الاكثر مركزية وحيوية في مستقبل الدولة الجديدة . ولكن سؤالا برز : كيف يمكن جلب اليهود الى اسرائيل ، ومن الذين سيساعد في استيعابهم وتوطينهم ؟ كيف يمكن توسيع وتطوير اقتصاد البلاد الى حد يجعل من الممكن استيعاب المهاجرين الجدد ؟ لم يكن من المتصور أن يتحمل الـ ٦٥٠،٠٠٠ من يهود الدولة عبء تنظيم وتمويل الهجرة الجماعية والاستيطان . لم يكن هناك شك بأن على يهود العالم أن يتحملوا عبء هذه الواجبات من خلال المنظمة الصهيونية العالمية ــ الوكالة اليهودية »(٥٠).

وقد تكون مجلس تنسيق يضم ممثلين عن الحكومة و م. ص. ع / و. ي لتحديد العلاقة الجديدة بين المنظمة والدولة ولضمان التعاون بينهما(٥١). وقد منح هذا المجلس فيما بعد وضعا قانونيا رسميا بموجب قانون الوضع القانوني والميثاق ، وسيتم بحثه لاحقا . وهو مسؤول عن توزيع المهام والمسؤوليات بين الحكومة وم. ص. ع/و. ي.

وفي عام ١٩٥١ عقد في القدس المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون وهو المؤتمر الاول

بعد قيام الدولة . وقد تبنى هذا المؤتمر ما يعرف بـ « برنامج القدس » .

« ان مهمة الصهيونية هي تدعيم دولة اسرائيل ، وجمع المنفيين في ارض اسرائيل وتعزيز وحدة الشعب اليهودي »(٥٢).

لقد ظل هدف المنظمة هدفا سياسيا وعقائديا بشكل جلي ، وهي مكرسة لتعزيز وبناء دولة اجنبية اكثر منها لاهداف خيرية . ان النداء الاسرائيلي الموحد ، كجزء من م. ص. ع / و. ي ، كان مصدرا رئيسيا للاموال المخصصة لتحقيق هذا الغرض .

لقد كانت المهام التي حددت لـ م. ص. ع / و. ي في المؤتمر الثالث والعشرين هي تنظيم الهجرة ، استيعاب المهاجرين ، عودة الشباب (الهجرة) ، الاستيطان الزراعي ، استصلاح الارض ، وكلها يتم تنسيقها من خلال هيئة التنسيق التي سبق قيامها(٥٣).

ان هجرة اليهود هي هدف رئيسي للدولة و م. ص. ع / و. ي . وخلال هذه الفترة اصدرت الحكومة قانون العودة الذي ينص على حق جميع اليهود في الهجرة الى اسرائيل(٥٤). وفي احدى نشراتها تصف م. ص. ع/و. ي هذا القانون بأنه يعرف الهجرة بكونها « امتيازا وراثيا يمنح تلقائيا لكل يهودي ، وكغرض اساسي من اغراض الدولة »(٥٥).

وقد طلب المؤتمر الثالث والعشرون من الدولة ان تمنح المنظمة وضعا رسميا من خلال قانون تشريعي ، ذلك انه لم يعد للمنظمة وضع قانوني بموجب الانتداب(٥٦). وقد استجيب لهذا الطلب بأصدار قانون الوضع القانوني في سنة ١٩٥٢ .

ب ـ قانون الوضع القانوني

صدر القانون المتعلق بالوضع القانوني للمنظمة الصهيونية العالمية ـ الوكالة اليهودية، لسنة ٥٧١٣ ـ ١٩٥٢ ، عن الكنيست (المجلس التشريعي الاسرائيلي) يوم ٤ تشرين الثاني ١٩٥٢ (٥٧)، اثبتنا نصه كاملا في الملحق . وتتضمن تقارير اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين (في ٢٣ ، ٢٤) « تقريرا من المستشار القانوني » حول اعداد المسودات والتفاوض مع الحكومة الاسرائيلية فيما يختص بقانون الوضع القانوني والميثاق الذي تلاه . واورد في تقريره « أن الكثير من هذا العمل قد أنجز بالتعاون الوثيق مع المستشار القانوني لحكومة اسرائيل » .

ان الاقسام الثلاثة الاولى من قانون الوضع القانوني تعين الطرفين ذوي العلاقة بكونهما: دولة اسرائيل التي « أوجدها الشعب اليهودي بأسره » ، والتي هي « مفتوحة لكل يهودي يرغب في الهجرة اليها » (قانون الوضع القانوني ، القسم الاول) : والمنظمة الصهيونية العالمية « التي حملت المسؤولية الرئيسية في اقامة دولة اسرائيل » (القسم الثاني) ، والتي أقرت ، عند كتابة القانون انها « تهتم ، كما في السابق ، بالهجرة ، وتوجه عملية الاستيعاب ومشاريع الاستيطان في الدولة » (القسم الثالث) .

وفي القسم الرابع منحت الدولة لـ م. ص. ع / و. ي وضع « وكالة مفوضة » تابعة للدولة ، تستمر في العمل داخل اسرائيل من أجل (١) « تطوير واستيطان البلاد » ، (٢) « استيعاب مهاجري الدياسبورا (المنفى) » و (٣) « تنسيق نشاطات المؤسسات والمنظمات اليهودية العاملة في هذه المجالات في اسرائيل » . وتصبح اللجنة التنفيذية للوكالة « شخصية قانونية » تستطيع عقد الاتفاقيات وتملك الممتلكات (القسم ١١) ، وتكون ، بأموالها ومؤسساتها معفاة من الضرائب (القسم ١٢) . واعطيت المنظمة صلاحية أن تتوسع بموافقة الحكومة (القسم السادس) ، وتذكرنا الصياغة بصلاحية التي منحت للوكالة اليهودية ، في عهد الانتداب على فلسطين في أن تتوسع (مما أدى

الى انشاء الوكالة اليهودية الموسعة التي تسيطر عليها الصهيونيــة والتي لم تعمــر طويلا) .

ويصف القسم الخامس هجرة اليهود الى اسرائيل أو « جمع الشتات » بأنهــا « **المهمة المركزية لدولة اسرائيل والحركة الصهيونية** في ايامنا » (خط التشديد مضاف) . وهذا يبين ، بالتأكيد ، أن م. ص. ع / و. ي ، عندما تساعد المهاجرين الى اسرائيل وتشجع هذه الهجرة ، بواسطة أموال النــداء الاسرائيلي الموحــد ، لا تكون النتائــج الخيرية الظاهرية سوى نتائج عارضة وثانوية تماما بالنسبة للهدف الرئيسي الذي هو بناء دولة اسرائيل .

وتتحدث الاقسام ٧ ، ٨ ، ٩ من قانون الوضع القانوني عن ميثــاق يجري وضعه بين الدولة وَ م. ص. ع / و. ي ، لوضـــع تفاصيل التعاون (قسم ٧) . وهـــذا الميثاق « يستند على اعلان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين » بأن اهداف المنظمة الصهيونية العالمية تتطلب « تعاونا وتنسيقا كاملين بين الطرفين » بشكل يتفق مع قوانين الدولـــة (قسم ٨) . وعلى اساس الميثاق يجري انشاء لجنة تنسيق (قسم ٩) .

ج ـــ الميثاق

جرى توقيع الميثاق المشار اليه في قانون الوضع القانوني من قبل م ص ع/و ي (ناحوم غولدمان وج. لوكر عن الهيئة التنفيذية) وحكومة اسرائيل (موشيه شاريت ، رئيس الوزراء) في ٢٦ تموز ١٩٥٤ . والعنوان الكامل للميثاق هو « ميثاق بين حكومة اسرائيل (يشار اليها بالحكومة) واللجنة التنفيذية الصهيونية المسماة أيضا اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (يشار اليها بالتنفيذية) »(٥٨). وقد أثبتنا نصه كاملا في الملحق .

يعرض الميثاق مهام الـ م ص ع/و ي في ظل الدولة الجديدة ، ويبين الارتباط الرسمي بين موقعي الاتفاقية ، بموجب قانون الوضع القانوني . انه دليل اضافي على أن م ص ع/و ي هي وكيل لحكومة اسرائيل ، التي يربطها بها هدف مشترك .. وهو بناء دولة اسرائيل من خلال هجرة يهود العالم الى اسرائيل .

القسم الاول من الميثاق يبين مهام م ص ع/و ي بكونها (١) « تنظيم الهجرة في الخارج ونقل المهاجرين وممتلكاتهم الى اسرائيل » ، (٢) « التعاون في استيعاب المهاجرين الى اسرائيل » ، (٣) « هجرة الشباب » ، (٤) « الاستيطان الزراعي في اسرائيل » ، (٥) « امتلاك واستصلاح الارض في اسرائيل بواسطة مؤسسات المنظمة الصهيونية ، الكيرن كايمت ليسرائيل والكيرن هايسود » (النداء الاسرائيلــي الموحد في الولايات المتحدة) ، (٦) « المشاركة في اقامة وتوسيع مشاريع التطوير في اسرائيل » ، (٧) « تشجيع استثمارات رأس المال الخاص في اسرائيل » ، (٨) « مساعدة المشروعات الثقافية ومؤسسات التعليم العالي في اسرائيل » ، (٩) « تعبئة الموارد من أجل تمويل هذه النشاطات » ، (١٠) « التنسيق في اسرائيل بين نشاطات المؤسسات والمنظمات اليهودية العاملة ضمن حدود هذه المهام بواسطة الاموال العامة » .

وهذه تتضمن جميع النشاطات المعددة في القرار المتعلق بالوضع القانوني الصادر عن المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، مع بعض الاضافات .

لقد وافقت م ص ع/و ي ، من خلال هذا الميثاق ، على أن تكون وكيلة لحكومة اسرائيل في تنفيذ هذه « المهام التي تقوم بها الحكومات في البلدان الاخرى »(٥٩). وليس هناك ما يدل على أغراض خيرية أو انسانية .

يبين القسم السادس ان م ص ع/و ي مسؤولة عن جمع الاموال لتنفيذ المهام الموكلة لها بموجب القسم الاول من الميثاق « بواسطة الكيــرن هايسود (النداء الاسرائيلي

الموحد) ، والكيرن كايمت ليسرائيل (الصندوق القومي اليهودي لامتلاك وتطوير الارض)، وغيرها من الصناديق » ، أي أن هذه الصناديق جزء من م ص ع/و ي وغرضها من جمع الأموال هو تنفيذ المهام التي يتعين على م ص ع/و ي أن تقوم بها لدولة اسرائيل .

ان بعض أقسام الميثاق تتناول بشكل محدد مسألة اخضاع م ص ع/و ي لرغبات الدولة . ويقيم الميثاق مجلسا للتنسيق (قسم ٨) « نصفه من اعضاء الحكومة (حكومة اسرائيل) ويعينون من قبلها ، ونصفه من أعضاء اللجنة التنفيذية (م ص ع/و ي) ويعينون من قبلها » . وتقوم م ص ع/و ي بتنظيم الهجرة الى اسرائيل « على اساس خطة توافق عليها الحكومة ويقرها مجلس التنسيق » (قسم ٣) . وهذا المجلس يرئسه رئيس وزراء اسرائيل(٦٠) . ويشرف على خطط م ص ع/و ي للهجرة ، اما هذا المجلس او الحكومة ، وبالاضافة ، فان تأشيرات الهجرة تكون مطلوبة حسب قانون العودة (قسم ٣) ، الذي يعترف بحق جميع اليهود في الهجرة الى اسرائيل .

ان القسم الخامس يحمل م ص ع/و ي مسؤولية القيام بنفسها بتنفيذ المهام الواردة في الميثاق والتي تجمع الاموال من أجلها ، ويمنع تفويض آخرين بالقيام بها الا « بالاتفاق مع الحكومة » . وفي القسم الثاني توافق م ص ع/و ي على ان تقوم بنشاطاتها بموجب قوانين اسرائيل ، وأيضا بموجب « الانظمة والتعليمات الادارية السارية من وقت لآخر ، التي تحكم نشاطات الهيئات الحكومية التي تغطي نشاطاتها أو تتأثر بالنشاط موضوع البحث » ، تماما كما يحصل مع أية وكالة حكومية ، كما يظهر .

وفي القسم السابع توافق الحكومة على « استشارة اللجنة التنفيذية فيما يتعلق بأي تشريع يمس مهام اللجنة التنفيذية قبل عرض التشريع على الكنيست » ، ولكنها تحتفظ بسلطتها في اتخاذ القرار النهائي حول تشريع كهذا .

ان قانون الوضع القانوني والميثاق هما وثيقتان رسميتان مكتوبتان تبينان الروابط بين م ص ع/و ي وحكومة اسرائيل ، كما تبينان أهداف م ص ع/و ي وخضوعها لرغبات واحتياجات حكومة اسرائيل ، ولاي غرض تستعمل الاموال التي تجمع لصالح مصع/وي عبر صندوقي النداء الاسرائيلي الموحد والصندوق القومي اليهودي — ان الغرض هو بناء دولة أجنبية . ان الاستنتاج الحتمي هو أن م ص ع/و ي اما انها هيئة عامة مرتبطة بشكل وثيق بحكومة اسرائيل وتخضع لها خضوع الوكيل للموكل ، أو انها تقوم فعلا بوظيفتها كجزء من الحكومة ، وان كانت تحمل اسما مختلفا ، أو كلا الامرين معا(٦١) .

د — بنية وتنظيم الوكالة اليهودية

اقيمت الوكالة اليهودية في ظل الانتداب البريطاني كهيئة استشارية للشؤون اليهودية للادارة البريطانية في فلسطين . وكانت المنظمة الصهيونية قد اعترف بها ، في الاساس ، بصفتها الوكالة في ظل الانتداب (انظر الجزء الاول ، قسم د ، أعلاه) ، وظلت تعمل بهذه الصفة حتى عام ١٩٧١ . ان اللجنة التنفيذية الصهيونية ، « التي كانت مهمتها ادارة شؤون المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية في اسرائيل والخارج »(٦٢) ، قد انتخبت عام ١٩٢١ من قبل المؤتمر الصهيوني الثاني عشر(٦٣) ، وسيطرت على الوكالة فترة الخمسين سنة التي تلت . وهي تحتفظ بهيئات انتخابية في كل من القدس ونيويورك . قبل اعادة تكوين الوكالة اليهودية في سنة ١٩٧١ ، كانت الوكالة تحت سيطرة أعلى مؤسسة في المنظمة الصهيونية العالمية وهي المؤتمر الصهيوني . ان المؤتمر الصهيوني يجتمع مرة كل أربع سنوات من أجل ، بين أشياء أخرى ، انتخاب اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والمجلس الصهيوني العام (الذي تكون اللجنة التنفيذية مسؤولة أمامه) . اما الجهاز التابع للمجلس الذي يتوجب على اللجنة التنفيذية أن تقدم تقريرها له مباشرة فهو اللجنة الدائمة لشؤون الميزانية والتمويل(٦٤) . و« لضمان تنفيذ عمل اللجنة التنفيذية

بموجب قرارات المؤتمر والمجلس العام » ، ينتخب المؤتمر أيضا مراقبا للوكالة اليهودية تكون اللجنة التنفيذية مسؤولة أمامه أيضا(٦٥).

وتعمل اللجنة التنفيذية من خلال دوائر وظيفية مقرها الرئيسي في القدس . ويشرف على كل دائرة عضو من اللجنة التنفيذية يعرف بـ « رئيس الدائرة » . وتدار عمليات اللجنة التنفيذية في اسرائيل من قبل دوائر الهجرة والاستيعاب ، والزراعة ، والاستيطان ، وعودة الاطفال والشباب ، وشركات الاستثمار . أما في الخارج فتعمل اللجنة التنفيذية من خلال دوائر التنظيم ، والاعلام ، والعلاقات الخارجية ، والشباب الطلائعيين ، والتعليم والثقافة ، وقسم المبعوثين ، والتعليم والثقافة التوراتية . ومن أجل تنسيق النشاطات بين فرعي اللجنة التنفيذية في القدس ونيويورك ، تجتمع اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بكامل نصابها دوريا . وتؤدي المهام الادارية للجنة التنفيذية ، بشكل رئيسي ، دوائر المالية والادارة والتموين . وبالاضافة ، تتولى الوكالة المحافظة على الارشيف الصهيوني المركزي ، ومعهد بياليك ، والمكتبة الصهيونية(٦٦).

وقد سبقت الاشارة الى أن احدى دوائر اللجنة التنفيذية هي دائرة شركات الاستثمار أو مكتب الشركات والاستثمار . وقد أسس للوكالة اليهودية « لكي يعبر بشكل عام عن المشاركة اليهودية في اقتصاد اسرائيل »(٦٧). ومهمته هي الاشراف على جميع الشركات المملوكة والمسيطر عليها ، كليا أو جزئيا ، من قبل م ص ع ، والوكالة اليهودية لفلسطين، والكيرن هايسود والصندوق القومي اليهودي(٦٨). وتتضمن صلاحياتها الادارية صلاحية اتخاذ القرار النهائي بشأن جميع الاقتراحات المتعلقة بتكوين شركات جديدة ، وبالدمج ، والتصفيات ، واعادة التنظيم ، وجميع الاستثمارات الجديدة(٦٩).

ويشرف المكتب الآن على ما لا يقل عن ٥٩ شركة اقتصادية في اسرائيل ، تقع كلها تحت السيطرة الجزئية او الكلية للمؤسسات القومية المذكورة اعلاه. وهذه المشاريع تتضمن مزارع لتربية حيوان التشنتسيلا ، وشركات تطوير ، وشركة لتصدير المنتجات الزراعية، وشركة المعارض والاسواق الموسمية ، وشركة طيران العال(٧٠).

حتى سنة ١٩٦٠ ، عملت الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م في الولايات المتحدة كـ « وكيل أجنبي » مسجل للوكالة اليهودية في القدس (انظر أدناه الجزء الثالث القسم ب) . ونتيجة لمشاكل قانونية معينة مع دائرة الواردات المحلية ، كما سنبين أدناه (انظر الجزء الثالث القسم ب) الغت الوكالة اليهودية لاسرائيل تسجيلها عام ١٩٦٠ . وأوجدت الوكالة اليهودية في القدس مكانها الوكالة اليهودية — القسم الاميركي ، لتعمل كـ « وكيل أجنبي » لها في أميركا . وقد ظل القسم الاميركي منذ ذلك الوقت تحت سيطرة وكالة القدس .

وفي عام ١٩٧١ ، أعيد تنظيم الوكالة اليهودية في القدس كلها ، من أجل اتاحة الفرصة للفصل بين المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية (انظر ادناه ، الجزء الثالث القسم هـ) . ويزعم الآن أن الوكالة مستقلة عن م ص ع ، وتعمل تحت سيطرة هيئاتها الحاكمة الخاصة بها . ولكن اعادة التنظيم ، كما سنرى في الجزء الثالث ، كانت مسألة شكلية فقط ، حيث ان العناصر الصهيونية لا زالت تحتفظ بالسيطرة الكاملة ، ولا زالت الوكالة اليهودية مستمرة في تأدية نفس المهام التي كانت تؤديها قبل اعادة التنظيم .

(٣) الفترة الممتدة بين قيام الدولة الى الوقت الحاضر

أ — السنوات ١٩٥٤ — ١٩٦٨

خلال السنوات الممتدة بين ١٩٤٨ الى ١٩٦٨ ، استمرت م ص ع/و ي في اتباع سياستها الرامية الى بناء وتقوية دولة اسرائيل ، وخاصة من خلال الهجرة . وقد وصف موشيه

شاريت ، رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية ، المنظمة بانها « تناضل من أجل دفع أوسع حركة ممكنة للجماهير اليهودية نحو دولة اسرائيل »(٧١). وقد أكد ، تمشيا مع رغبة الحكومة المعلنة « في زيادة سكانها من أجل استيطان الاجزاء القاحلة من البلاد ومن أجل زيادة أمن البلاد »(٧٢). ان على الاسرائيليين أن يكونوا مستعدين لكي يستطيعوا الدفاع، بشكل فعال ، عن وطنهم : « يجب أن تتم مساعدتهم لتتعمــق جذورهم ، وليصبحوا مواطنين منتجين ، قادرين على الدفاع عن بلادهم »(٧٣).

ينظر الى الهجرة والاستيعاب بوصفهما أمرين ضروريين وحيويين من أجل استمرار وجود الدولة اليهودية . وهما يلعبان دورا رئيسيا في الفلسفة الصهيونية . أولا ، كقوة ايديولوجية ، بقيا الهدف المركزي في حياة كل صهيوني مخلص ، اذا لم يكن قد هاجر بعد ، فان من واجبه ان يفعل هذا في اقرب لحظة ممكنة ، واذا كان قد هاجر ، فان من واجبه ان يشجع الآخرين على ذلك . ثانيا ، كقوة عسكرية ، تخدم الهجرة هدف زيادة السكان ، وبالتالي زيادة الافراد المتوفرين للخدمة العسكرية . ويقول الصهاينة بأنه لا يمكن تحقيق اعمار وحماية مناطق الحدود الاسرائيلية النائية الا من خلال زيادة الهجرة. وهكذا اقرت بشكل جلي ، في المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين ، عام ١٩٦٨ ، فكرة أن الهجرة ، مثلها مثل الايديولوجية الصهيونية ، هي عامل من عوامل الدفاع القومي : « يجب ان يوضع التخطيط من أجل الاستيعاب على نفس مستوى التخطيط من أجل الامن القومي . ان الهجرة ، في النهاية ، هي عامل من عوامل الامن »(٧٤).

لقد رأت اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية مقدما ، بعد حرب الايام الستة ، أن المناطق التي احتلت اخيرا ، لا يمكن الاحتفاظ بها بدون استعمار : « ليس هناك نصر سياسي ، أو اعلان ، يستطيع تحويل هذه المناطق الى مناطق يهودية اذا لم يستوطنهم اليهود»(٧٥). وعلى هذا الاساس ، كثفت دائرة الهجرة التابعة للجنة التنفيذية جهودها لدى الامم الاجنبية ، من أجل تشجيع « العودة » ، مستعينة بالهيئات اليهودية القائمة والمؤسسة حديثا « لكي تعطي مسألة العودة في عملياتها موقعا مركزيا »(٧٦). وكما بينا في الجزء الثاني اقام مجلس التنسيق (المؤسس بموجب الميثاق) سلطة مشتركة للهجرة تابعة للحكومة والوكالة اليهودية ، لتشجيع وتسهيل الهجرة والاستيعاب . على أن الدورين المختلفين لكل من الهيئتين اللتين تتكون منهما السلطة المشتركة ، لــم يتحددا بشكل واضح ، والمعلومات المتعلقة بالنشاطات المحددة للمجلس ولاعضائه غير متوفرة . على انه من الواضح ان مجلس التنسيق مسؤول عــن توزيع المهام بين الحكومة والوكالة اليهودية .

في سنة ١٩٦٠ ، أقر دستور جديد لـ م ص ع/و ي . غير أن فلسفة واهداف المنظمة لم تتغير . فقد اعيد تأكيد(٧٧) البرنامج الصهيوني الذي أقر في مؤتمر بال (انظر اعلاه ، الجزء الاول ، قسم أ) ، كما اعيد التأكيد على مهمة الصهيونية كما حددها المؤتمر الثالث والعشرون وهي : « تعزيز دولة اسرائيل ، جمع الشتات في أرض اسرائيل ، وتقوية وحدة الشعب اليهودي »(٧٨). وضمن اطار هذه الاهداف ، يشير الدستور الى النداء الاسرائيلي الموحد كأحد المشروعات « التي تعترف اللجنة التنفيذية بقيامهــا بمهمات مركزية داخل الحركة الصهيونية »(٧٩).

وتأكد وضع المؤتمر بصفته « الجهاز الاعلى للمنظمة الصهيونية العالمية »(٨٠). واوجدت عضوية المؤتمر بطريقة لا يتمكن معها المندوبون من الولايات المتحدة من حيازة اغلبية : اسرائيل ٣٨ ٪ ، الولايات المتحدة ٢٩ ٪ ، والبلاد الاخرى ٣٣ ٪(٨١). أما عضوية المنظمة فتتكون من المنظمات الصهيونية الإقليمية(٨٢). ولم يكن النداء الاسرائيلي الموحد والنداء اليهودي الموحد من بين الاعضاء .

وفي سنة ١٩٦٠ ، وكنتيجة لتحقيق قامت به دائرة الواردات المحلية ، اعيد تنظيم الهيكل التنظيمي للجهاز الصهيوني في الولايات المتحدة (أنظر أدناه ، القسم ب ، شهادة فولبرايت) . فقد الغت الوكالة اليهودية لاسرائيل تسجيلها كوكيل أجنبي ، موحية بذلك أنها كفت عن نشاطات سياسية معينة ، من شأن استمرارها أن يؤدي الى خسارة وضعها كمؤسسة معفاة من الضرائب ، وأعادت تنظيم نفسها « لتفي بمتطلبات دائرة الواردات المحلية الخاصة بالمنظمات الاهلية العاملة فيما وراء البحار »(٨٣) . وأوجدت مكانها ، الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي ، وجرى تسجيلها للقيام بنشاطات الوكالة اليهودية ــ القدس ، في الولايات المتحدة .

ان الذي دفع الى التحقيق وما تلاه من اعادة ترتيب الجهاز الصهيوني ، هو ، بالدرجة الاولى ، اكتشاف نقل كميات كبيرة من أموال النداء اليهودي الموحد ، لدعم **أحزاب سياسية** في اسرائيل . فخلال الفترة من ١٩٥١ الى ١٩٥٩ ، جرى توزيع ثمانية عشر مليون دولار (١٨،٠٠٠،٠٠٠) من أموال النداء اليهودي الموحد على تلك الجماعات السياسية في اسرائيل(٨٤) . وذكرت وكالة التلغراف اليهودية ، وهي وكالة اخبارية واعلامية تابعة لـ م ص ع/و ي ، أن اعادة التنظيم قد جرت اخيرا ، واوقفت المعونات في سنة ١٩٦١ ، حتى تستطيع منظمات جمع الاموال أن تحتفظ بوضع الاعفاء من الضريبة في الولايات المتحدة(٨٥) .

ان الاساس الذي يقوم عليه الدعم المالي المقدم من النداء اليهودي الموحد (ن.ي.م) الى الاحزاب السياسية الاسرائيلية ، مستمد من اتفاقية ، توصل اليها بعد اقامة الدولة بين ن.ي.م والاحزاب، تمتنع الاخيرة بموجبها عن ادارة حملات جباية مستقلة في الولايات المتحدة ، اذا قدم ن.ي.م مبلغا محددا من المال لدعمها(٨٦) . ورغم الزعم بأن المعونات قد توقفت عام ١٩٦١ ، فان ن.ي.م مستمر في دعم تلك الجماعات السياسية في اسرائيل من خلال الوكالة اليهودية ــ القدس . وتقوم الوكالة بهذا بتخصيصها مبالغ معينة من أجل « المشروعات الانشائية » للاحزاب السياسية ، عبر المنظمات العالمية التابعة للاحزاب(٨٧) . ان المنظمات العالمية ببساطة هي أنابيب تمر عبرها أموال ن.ي.م لتصل في النهاية الى الجماعات السياسية الاسرائيلية(٨٨) .

وهذه الوسيلة نفسها تستخدمها أيضا الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي التي تدعمها الوكالة اليهودية في القدس الممولة من قبل ن.ي.م . وعلى سبيل المثال ، اشار القسم الاميركي في بيان التسجيل الالحاقي المقدم في حزيران ١٩٧١ ، بموجب قانون تسجيل الوكالات الاجنبية المعدل لعام ١٩٣٨ ، الى ان مبالغ معينة قد منحت للاتحاد العالمي للصهيونيين العموميين(٨٩)، والى المنظمة العالمية لحزب الاحرار الاسرائيلي . فاذا كانت هذه الاموال قد استلمت اساسا من وكالة القدس ، التي تلقت على الاقل جزءا منها من ن.ي.م(٩٠)، فان ن.ي.م يدعم الاحزاب السياسية الاسرائيلية عبر توصيلة الوكالات اليهودية .

وبالاضافة الى كشف الاغراض غير الخيرية بشكل واضح ، والسياسية بصورة كلية ، التي تنفق عليها أموال ن.ي.م ، فان اعادة التنظيم المفتعلة عام ١٩٦٠ ، وشهادة فولبرايت التي تلت ذلك بعد ثلاث سنوات ، قد أظهرت علاقة موكل ــ وكيل بين الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م والوكالة اليهودية ــ القدس على التوالي . فاذا كانت الطبيعة الحقيقية لهذه العلاقة لم تتغير ، كما تشير الى ذلك الشهادة والتطورات اللاحقة ، فان مسألة اعفاء النداء اليهودي الموحد من الضرائب ، قد نضجت الآن لاعادة النظر فيها قضائيا وحكوميا .

ان مسألة من الذي يسيطر حقيقة على الاموال التي تجمع في الولايات المتحدة (أي من هو الموكل ومن هو الوكيل) سيتم تقصيها بشكل أوفى في الاقسام ب ، ج و د .

ب ـ شهادة فولبرايت

في أيار وآب من عام ١٩٦٣ ، حضر كل من ايزادور هاملن ، المدير التنفيذي للوكالة اليهودية لاسرائيل ـ القسم الاميركي ، وغوتلايب هامر ، مساعد الرئيس التنفيذي للوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م ، بموجب مذكرة استدعاء أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ في الولايات المتحدة . وكانت اللجنة مكلفة « بالمراجعة الوافية والكشف الكامل للرأي العام ، للنشاطات غير الديبلوماسية لممثلي الحكومات الاجنبية والى أي مدى يحاولون التأثير في سياسات الولايات المتحدة »(٩١) .

وقد عقدت جلسات الاستماع أساسا لتحديد الطبيعة الحقيقية للعلاقات المتشابكة بين الجماعات الاميركية المختلفة والوكالة اليهودية ، وعلاقة القسم الاميركي للوكالة اليهودية بالوكالة اليهودية لاسرائيل في القدس . ونظرت اللجنة التابعة لمجلس الشيوخ ، بالتالي، في تطبيق وتنفيذ القانون المعدل لتسجيل الوكالات الاجنبية لعام ١٩٣٨(٩٢)، والذي يلزم جميع الوكلاء الاجانب بتقديم بيان تسجيل للمدعي العام ، قبل ممارسة عملهم بصفتهم ممثلين لموكليهم الاجانب .

وكما لاحظنا في القسم « أ » ، فان الوكالة اليهودية ـ القسم الاميركي ، قد ولدت نتيجة لاعادة تنظيم الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م في سنة ١٩٦٠ . في ذلك الوقت تسجل القسم الاميركي بوصفه وكيلا لـ م ص ع/و ي في الولايات المتحدة بموجب قانون تسجيل الوكالات الاجنبية . وكان يسيطر عليهااللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (م ص ع/و ي)، التي كانت ، في وقت الاستماع الى الشهادات ، مكونة من ٢٢ عضوا ، ستة منهم فقط يقيمون في الولايات المتحدة(٩٣). والغت الوكالة اليهودية لاسرائيل تسجيلها في وزارة العدل الاميركية ، وادعت خضوعها لاشراف « المنظمات والمواطنين الامريكيين » كهيئة خيرية خاصة(٩٤). وجاء في افادة السيد هامر انه بينما كانت الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م ، قبل عام ١٩٦٠ ، تعمل كوكيل للوكالة اليهودية في القدس (م ص ع/و ي)، اصبحت ، بعد اعادة التنظيم المزعوم ، الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م ، وهي شركة نيويوركية ، هي الموكل والوكالة اليهودية في القدس هـي الوكيل(٩٥). وقد قدم هذا التأكيد رغم الاعتراف المتناقض من قبل السيد هامر بأن الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م، تحتاج لتفويض وموافقة من قبل « وكيلها » الوكالة اليهودية في القدس ، لرفع الاموال الى وكالة التلغراف اليهودية(٩٦) .

والاهم من ذلك ، على كل حال ، التصريح الشديد الوضوح الذي ادلى به لويس هـ. بينكوس ، رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية في سنة ١٩٧٠ . فقد صرح بدون مواربة ، ناسيا ، على ما يبدو ، الصعوبات التي واجهها مواطنوه ، قبل سبع سنوات، في جلسات الاستماع الى الشهادات ، في محاولاتهم الاثبات بأن وكالة القدس لم تكن الموكل للوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م وأن الاموال الاميركية لم تكن تجمع فقط في الولايات المتحدة بل يتم الاشراف عليها من قبل المنظمة الاميركية ، صرح بأن الجماعات الاميركية « كانت تجمع الاموال فقط وترسلها للوكالة اليهودية (في اسرائيل) لتنفقها » . واستنادا الى كلام السيد بينكوس ، لم تكن المنظمات الاميركية تشارك ابدا في تحديد الميزانية او اختيار اولويات الانفاق ، قبل اعادة تكوين الوكالة اليهودية عام ١٩٧١(٩٧).

فاذا كانت م ص ع/و ي (الوكالة اليهودية ـ القدس) اما جزءا من الحكومة الاسرائيلية أو وكيلها أو كلا الامرين معا (كما اوضح في الجزء الثاني قسم جـ) ، فان الادعاء الاول بأن م ص ع/و ي تشرف عليها منظمة خيرية خاصة ومستقلة ، في الولايات المتحدة ، هو ادعاء باطل . ان مغزى ادعاء السيد هامر الثاني المتناقض ، والاعتراف الصريح للسيد بينكوس بأن م ص ع/و ي هي في الواقع تحت اشراف الوكالة اليهودية لاسرائيل

ش.م ، يعكس ، بصورة دقيقة ، التركيب الحقيقي لشبكة تنظيم جمع الاموال الصهيونية كما هي موجودة اليوم .

وهناك نقطة ذات أهمية رئيسية في جلسات الاستماع الى الشهادات ، وهي الكشف عن المجلس الصهيوني الاميركي (م. ص. ا)(٩٨)غير المسجل ، كمعبر ، في الفترة التي سبقت عام ١٩٦٣ ، لاموال الدعاية للوكالة اليهودية — القسم الاميركي، الوكيل المسجل لـ م ص ع/و ي(٩٩). ورغم افادة السيد هامر بأن م.ص.ا يتمتع بوضع المؤسسة المعفاة من الضرائب(١٠٠) فقد اعترف أيضا بأن مبالغ كبيرة قد استخدمت في الدفع مقابل خدمات علاقات عامة قدمها آي. ل. كينن ، وهو رجل كواليس محترف(Lobbyist)في واشنطن ، والذي كان مرتبطا ، بشكل نشط ، بلجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية ، ويرئس تحرير « نشرة اخبارية حيوية الى حد ما ، تسمى نشرة الشرق الاوسط »(١٠١). وبحسب اقوال السيد هامر فان م.ص.ا « أراد أن يجعل من الممكن للمجلس توفير اشتراكات لهذه النشرة الاخبارية للصهيونيين البارزين ، والمدارس ، والجرائد ، والجهات الاخرى المهتمة »(١٠٢).

واشارت الشهادات أيضا الى ان هناك مبالغ غير مفسرة في ميزانية م.ص.ا ، قد دفعت الى مؤسسة رابينوفيتش لتوزيعها على مجلس شؤون الشرق الاوسط ، الذي يتألف من مجموعة اكاديمية تنشر صحيفة ، موالية لاسرائيل ، تعالج شؤون الشرق الاوسط(١٠٣). واستعملت من أموال م.ص.ا مبالغ أخرى لتمويل « رحلات سياحية » ، تديرها لجنة فلسطين الاميركية المسيحية ، الى اسرائيل ، وهي خاصة بالمواطنين الاميركيين(١٠٤)، وهدفها دعم « المجهود العام لخلق مناخ مناصر لاسرائيل »(١٠٥).

وفي مجرى الاستماع الى الشهادات ، كشف ان م.ص.ا ، في كانون الثاني ١٩٦٣ ، قرر التوقف عن قبول الاموال من الوكالة اليهودية — القسم الاميركي ، ليتجنب التسجيل بموجب قانون تسجيل الوكالات الاجنبية(١٠٦).

وبهذا الفصل بين نشاطات الهيئتين، والالتفاف حول التسجيل، سمح للمجلس الصهيوني الاميركي بالاستمرار في بث الدعاية والحصول على الدعم السياسي لاسرائيل من خلال دائرتي الاعلام والعلاقات العامة ، بدون أن تدمغ موادها ونشاطاتها السياسية بوصفها عائدة « لوكالة اجنبية » .

ويوجد وضع مماثل فيما يتعلق بوكالة التلغراف اليهودية (و. ت. ي) وهي منظمة اخرى غير مسجلة « تخصصت في توزيع الاخبار اليهودية »(١٠٧).

وافاد السيد هامر ان الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م قبل ١٣ آذار ١٩٦٠ — وهي فترة اعادة التنظيم — كانت تملك معظم حصص التصويت في وكالة التلغراف اليهودية. وكانت الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م تقدم دفعات مالية الى و.ت.ي منذ تنظيمها في بداية الخمسينات وحتى اعادة تنظيم الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م سنة ١٩٦٠ . ولم يجر ابلاغ المشتركين أو وزارة العدل بأن الوكالة تسيطر على و.ت.ي وتمولها(١٠٨).

بعد تكوين الوكالة اليهودية — القسم الاميركي وهي الوكيل المسجل لـ م ص ع/و ي انتقلت اليها ملكية و. ت. ي . واستمرت التبرعات تقدم الى و. ت. ي من قبل القسم الاميركي حتى بداية ١٩٦٣(١٠٩)، ورغم الادعاء بأن الدفعات التي يقدمها القسم الاميركي قد توقفت في ذلك الوقت ، فقد احتفظ بالسيطرة على و. ت. ي وبقيت الاخيرة غير مسجلة .

وهكذا رغم أن القسم الاميركي قد أعيد تنظيمه علنيا وجرى تسجيله كوكيل اجنبي لموكله الـ م ص ع/و ي ، فان المنظمات السياسية التابعة له تستمر في توزيع مواد الدعاية وتعمل في الظاهر كهيئات أميركية مستقلة .

لقد اثبتت جلسات الاستماع الى الشهادات ، التي كلف بها فولبرايت ، بشكل واضح ، وجود جهاز سياسي متشابك يقوم بجمع الاموال ، ويعمـل في الولايات المتحدة ويتم الاشراف عليه مركزيا في اسرائيل . ان البيانات السابقة تثبت انه لم يحصل اي تغيير حقيقي في العلاقة بين الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م والوكالة اليهودية في القدس بعد اعادة التنظيم المزعومة عام ١٩٦٠ . وعلى هذا ، تبقى نشاطات الوكالة اليهوديـة لاسرائيل ش.م توجه من قبل الوكالة اليهودية في اسرائيل . وبالاضافة الى هذا ، من الواضح ان وكالة القدس تسيطر ايضا على نشر وتوزيع مادة دعائية سياسية بحتة في الولايات المتحدة ، بواسطة منظمات مثل المجلس الصهيوني الاميركي ووكالة التلغراف اليهودية ، وذلك من خلال وكيلها المسجل : القسم الاميركي. وباستثناء القسم الاميركي، على اية حال ، لم يجر تسجيل اي من هذه المنظمات ، حسب متطلبات القانون ، بصفتها وكالات اجنبية لموكل اجنبي هو الوكالة اليهودية في القدس . وبالتالي تظل نشاطاتها السياسية غير مقيدة من قبل الحكومة الفدرالية ، وتظل تحتفظ بوضعها المميز بالاعفاء من الضرائب .

جـ ــ جمع الاموال

ان النداء اليهودي الموحد (ن. ي. م) ، المنظمة اليهودية الرئيسية لجمع الاموال في الولايات المتحدة ، هو شركة بين النداء الاسرائيلي الموحد (ن. ا. م) ولجنة التوزيع الاميركية اليهودية المشتركة (ل. ت. م)(١١٠). وقـد كان تنظيمه في سنة ١٩٣٩ ، انتصارا رئيسيا للصهيونيين الامريكيين الذين كانت جهودهم منصبة في ذلك الوقت على تحقيق السيطرة على صناديق الرعاية اليهودية القائمة والاتحادات المحلية التي كانت تحت سيطرة قادة غير صهيونيين(١١١). وخلال سنتين فقط اصبح الصهيونيون ، من خلال ن. ي. م ، يتلقون التبرعات من ٣٣٧١ جالية مقابل ٧٠٠ جالية فقط قبل ذلك بخمس سنوات(١١٢). وكان النداء الفلسطيني الموحد (الذي اصبـح فيما بعد النداء الاسرائيلي الموحد) يقدم سبعين بالمئة من خطباء ن. ي. م ، بدلا من لجنة التوزيع المشتركة التي كانت الجناح غير الصهيوني ، الى حد كبير ، للمنظمة . وقد قفزت حصة ن. ا. م الصهيوني من الدخل المتزايد سنة بعد اخرى لـ ن. ي. م ، من ٢٦،١ ٪ عام ١٩٣٩ الى ٥١،١ ٪ عام ١٩٥٠ الى ٦٧ ٪ من الخمسة وخمسين مليون دولار الاولى التي تجمع سنويا و ٨٧،٥ ٪ من الباقي عام ١٩٦٧ . ان هذه المعادلة الاخيرة كانت سارية منذ سنة ١٩٥١ وستبقى كذلك حتى نهاية عام ١٩٧٣ . وقد بلغ مجموع ما تلقاه النداء الاسرائيلي الموحد (سابقا النداء الفلسطيني الموحد) بالدولارات ، منذ نشأته سنة ١٩٣٩ وحتى السنة المالية ١٩٧٠ ، ما يقارب ١٤٧٩ مليون دولار ، مـن النداء اليهودي الموحد ، الذي كانت امواله تنتقل الـى المنظمة الصهيونية العالمية/الوكالة اليهودية(١١٣).

أما النداء اليهودي الموحد نفسه فقد تلقى مدفوعات نقدية تبلغ ٢٣٦٣ مليون دولار بين سنتي ١٩٣٩ و١٩٧١ ، من التبرعات الامريكية . وبلغت حملة ن. ي. م ذروتها سنة ١٩٦٧ . فقد تلقت تعهدات لحملتها المنتظمة بلغت قيمتها ٦٧ مليون دولار و١٧٣ مليون دولار لصندوق الطوارىء . وفي سنة ١٩٦٨ ازدادت التبرعات المنتظمة الى ٦٩،٧ مليون دولار ، ولكن التعهدات لصندوق الطوارىء الاسرائيلي (الذي اوجده ن. ي. م لجباية الاموال لخدمة مجهود حرب الايام الستة في الولايات المتحدة) انخفضت الى ٨٠ مليونا . وفي سنة ١٩٦٩ ارتفعت الى ٧٤ مليون دولار للحملة المنتظمة والى ٩٩ مليونا لصندوق الطوارىء . وعادت التبرعات المنتظمة فارتفعت الى ٧٨ مليـون دولار ولصنـدوق الطوارىء الى ١٢٤ مليون دولار عام ١٩٧٠(١١٤). امـا الواردات النقدية الفعلية ،

بالمقارنة مع التعهدات التي تلقاها ن. ي. م. فقد بلغت ٨٠٤٧ مليون دولار كأموال منتظمة لعام ١٩٧٠(١١٥).

وبالاجمال ، تم جمع ٤٤٢ مليار دولار في الولايات المتحدة من قبل منظمات الجالية اليهودية الرئيسية بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٧٠ . ومن هذا المبلغ جمع ١٤١ مليار دولار منذ حرب الايام الستة عام ١٩٦٧(١١٦).

ان خمسة وستين بالمئة من ميزانية وكالة القدس تأتي من تبرعات مواطني الولايات المتحدة . وتأتي في الدرجة الثانية تبرعات انجلترة التي لا تزيد عن خمسة الى سبعة بالمئة سنويا(١١٧).

ان حصة ن. أ. م — اي حصة الصهيونية ، ذهبت الى الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م ، التي ارسلت الاموال مباشرة الى م. ص. ع/و. ي في اسرائيل(١١٨). وباستثناء مصروفات ادارية ثانوية وبعض التخصيصات المشبوهة والتي تمر عبر المجلس الصهيوني الاميركي (وقد أفاد السيد هامر بأنها تأتي من مصادر غير ن. ي. م)(١١٩)، فان **جميع** أموال الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م التي جمعت في الولايات المتحدة قد ارسلت الى م. ص. ع / و. ي في اسرائيل(١٢٠).

ومن أجل ابعاد الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م كمعبر وسيط لنقل الاموال الى اسرائيل ، قامت الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م بتوحيد عملياتها مع النداء الاسرائيلي الموحد في سنة ١٩٦٦ . والشركة المتحدة هي الان النداء الاسرائيلي الموحد ش. م.(١٢١) بعد « اعادة تنظيم » الوكالة اليهودية عام ١٩٦٠ ، لم يطرأ اي تغيير على العلاقة المالية بين م. ص. ع / و. ي والوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. (انظر قسم ب اعلاه) . لقد ضمنت اعادة التنظيم فقط السيطرة الاميركية على الاموال المجموعة في الولايات المتحدة ما دامت هذه الاموال في اميركا . وليس هناك ما يضمن أن الاموال ستنفق في اسرائيل بناء على طلب وتوجيه المنظمة الاميركية ، باستثناء الادعاء بأن الوكالة اليهودية لاسرائيل ، ش. م. (والتي اندمجت الان مع النداء الاسرائيلي الموحد تحت الاسم الاخير) هي الموكل وأن الوكالة اليهودية في القدس هي الوكيل(١٢٢).

وبما أن الوكالة اليهودية لاسرائيل تدعم الوكالة اليهودية في القدس ، وبما أن وكالة القدس تحتفظ بالوكالة اليهودية — القسم الاميركي بصفتها وكيلها الحكومي المسجل ، فالنتائج الواضحة هي أن القسم الامريكي هو ايضا وكيل للوكالة اليهودية لاسرائيل . ومن جهة أخرى فأن الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. غير المسجلة تكون بالضرورة منخرطة في نشاطات سياسية غير مشروعة وهي دعم وكيل . وقد أثار هذه النقطة السناتور فولبرايت في جلسات الاستماع خلال افادة السيد هاملين ، المدير التنفيذي للقسم الاميركي :

السيد هاملن : « ان اموال ن. ي. م. تذهب الى اجزاء مختلفة من العالم . ان الجزء الذي يخص اسرائيل يرسل عبر الوكالة اليهودية ش. م. مباشرة الى اسرائيل ... تلقينا أموالنا من القدس وجنيف » .

الرئيس : « انني لا افهم تماما يا سيد هاملن ، كيف يمكنك ان تقول بهذا الشكل القاطع انه لم تأتكم أية أموال من ن. ي. م ، بينما في الوقت نفسه ، تصرح بأن مبلغا كبيرا من الاموال الممنوحة ، وليس كلها ، من ن. ي. م ، تذهب الى الوكالة اليهودية في القدس. « يبدو من المنطقي تماما أن جزءا على الاقل من تلك الاموال تأتي من ن. ي. م. فقط عن طريق القدس . أليس هذا استنتاجا منطقيا ؟ »

السيد هاملن : « لعله من الممكن ان يكون استنتاجا منطقيا »(١٢٣).

لم يستطع أي من السيد هاملن أو السيد هـامر ان يبرز اي دليـل على ان المواطنين الامريكيين يملكون توجيه انفاق الاموال في الخارج . من غير المنطقي أن تكـون منظمة أميركية موكلة لمنظمة لها وكيل أجنبي مسجل في هذه البلاد وتظل منظمة خيرية . فأمـا أن تكون الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. أيضا وكيلا للوكالة اليهودية واما ان تكون تدير نشاطات سياسية بنفسها عن طريق التمويل والسيطرة عـلى وكيل مسجل . ولا يمكن التهرب من هذه النتيجة بالقول بأن وكالة القسم الاميركي ليس لها علاقة بأغراض الوكالة المزعومـة للوكالة اليهوديـة لان القسم الاميركي يحضر جلسات مجلس ادارة الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. ان المنظمات الثلاث منغمسة بشكل عميق بحملـة جمع الاموال .

وتجب الملاحظة ، اضافة الى هذا ، أن الحكومة الاسرائيلية يجب أن تكون مرتبطة بهذه الشبكة المالية المتداخلة . فبعد ان افاد السيد هاملن بأن وكالة القدس تلقت « بضعة عشرات الملايين من الدولارات » كتبرعات من حكومة اسرائيل(١٢٤) ، أضاف محاميه ، مستشار القسم الاميركي ، موريس بوكشتاين ، بأن الحكومة الاسرائيلية تبرعت بمبالغ كبيرة لوكالة القدس ، من الاموال التي تلقتها كتعويضات المانية ، **بالاضافة الى** التبرعات المباشرة التي قدمتها الحكومة(١٢٥) .

د ـ حرب الايام الستة

لقد أوجد النداء اليهودي الموحد فورا منظمة تابعة له ، صندوق الطوارىء الاسرائيلي ، ليتولى جهود جمع الاموال في الولايات المتحدة من أجل الحرب . وجـاء في تقرير اللجنة التنفيذية الصهيونية ، « ان العطف تجاه اسرائيل قد عبر عن نفسه بشكل مساعدة مالية ذات حجم لم يسبق له مثيل في السجل الصهيوني ـ أو لدى أية أمة في العالم »(١٢٦) .ففي حفلة غداء واحدة ضمت ٢٠٠ من قادة الجالية اليهودية في نيويورك ، في اليوم الاول من الحرب ، حصل الصندوق على تعهدات بلغت قيمتها ١٥،٠٠٠،٠٠٠ دولار خـلال ١٥ دقيقة(١٢٧) . وخلال الاسابيع الثلاثة الاولى من حملة جمع الاموال،زادت الهبات الاميركية لاسرائيـل عن ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار . وكـان هناك شرط اولي فرض عـلى جميع الوكالات اليهودية التي طلبت تفويضا للقيام بحملة عامة لجمع الاموال لصالح مشاريع اسرائيل « وهو أن توافق كل وكالة عـلى احترام وضمان اولويـة صندوق الطوارىء الاسرائيلي وحملة ن. ي. م. المنتظمة ، فيما يتعلق بتوقيت الحملة والدعاية لها »(١٢٨) . وكانت النتيجة ان جمع صندوق الطوارىء الاسرائيلي وحده ١٧٣،٠٠٠،٠٠٠ دولار في الولايات المتحدة في سنة ١٩٦٧ (١٢٩) .

وكان المنسق المركزي للدعم اليهودي لاسرائيل هو بالطبع الوكالـة اليهودية ـ القسم الاميركي وهو الوكيل الاجنبي في اميركا لـ م. ص. ع / و. ي. « لقد كان في الحقيقة المركز العصبي لتعبئة اليهود الأمريكيين لصالح اسرائيل »(١٣٠) .

وكنتيجة لانتصار اسرائيل في الحرب ، فقد زادت مساحة اراضيها بشكل كبير . وعلى اساس خطوط وقف اطلاق النار التي تقررت في حزيران ١٩٦٧ ، أصبحت اراضيها تضم الان سيناء كلها ، واخصب اراضي الاردن الغربية ، والزاوية الواقعة في أقصى غـرب سوريا . وحتى هذا التاريخ ، رفضت الحكومة الاسرائيلية أن تتخلى عن كل أو جزء من هذه الاراضي المحتلة .

هـ ـ اعادة التنظيم سنة ١٩٧١ (١٣١)

بعد حرب الايام الستة والزيادة الهائلة في حجم التبرعات الاجنبية لاسرائيل ، بدأ لويس أ. بينكوس ، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، مشاورات مع القادة الصهيونيين وغير الصهيونيين في العالم الذين دعموا اسرائيل ، لغرض اعادة تنظيم م. ص. ع. /

و . ي . وبحلول عام ١٩٧٠ أمكـن الوصول الى اتفاقية تنفصـل بموجبها م . ص . ع . والوكالة اليهودية لاسرائيل قانونيا ، ولكنهما تقيمان عـلاقة مشاركة جديدة مع هيئات الجباية اليهودية العالمية المحـددة في الاتفاقية(١٣٢) . وقد وقعت اتفاقية اعـادة تكوين الوكالة اليهودية لاسرائيل ، اخيرا في ٢١ حزيران ١٩٧١ ، وأطلق على عملية المشاركة رسميا اسم الوكالة اليهودية المعاد تكوينها لاسرائيل(١٣٣) .

ورغم الزعم بأن اعادة تكوين الوكالة قد أجريت لتعبئة الموارد المتاحة و « الحصول على مشاركة نشطة من اليهود في شتى انحـاء العالم في اعمـال الانقاذ واعادة التأهيل ، والاستيطان والاعمار في اسرائيل »(١٣٤) ، فقد حدد السيد بينكوس السبب في هذا التغيير بوضوح :

« لماذا الفصل بين الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية ؟ لمـاذا لا نستطيع أن نكون في هيئة واحدة ؟ في الحقيقة اننا تعرضنا للضغط من قبل بلدان كثيرة وليس فقط من قبل انجلترا ، جنوب افريقيا ، استراليا وبلدان اخرى . لقد اتخذنا الخط الذي اتخذناه بسبب اوضاع في بلدان معينة وخـاصة في الولايات المتحـدة . ان الفصل هو ضرورة تولدت عن تطورات قانونية معقدة ، لن احاول ، في هذه اللحظة ، حتى محاولة تحديدها . ولذلك ، توصلت الحركة الصهيونية الى الاستنتاج بأنها يمكن ان تقبل مشاركة علـى اساس الفصـل ولكنهـا لن تدفع هـذا الفصل الى ابعـد مما تفرضه الالتزامـات القانونية . . . »(١٣٥) .

اما الاتفاقية نفسها فهي اكثر صراحة : « ان الوظائف والمهام والبرامج التي تتولاهـا الوكالة او تقدم لها الاموال سوف تكون من نوع يمكن تنفيذه من قبل منظمات معفاة من الضرائب »(١٣٦) .

واستنادا الى السيد بينكوس ، لم يكن للجماعات الاميركية التي تجمع الامـوال ، قبل اعادة التنظيم ، اية سيطرة على الاموال المجبية بعد أن تترك الولايات المتحدة . واليوم ، كما يؤكد ، فان الجماعات الاميركية هي جزء من عملية اتخاذ القرارات . وقد صرح في مقابلة مع وكالة التلغراف اليهودية :

« في السابق كانت منظمات الجباية تقوم فقط بجمـع الاموال وارسالها الى الوكـالة اليهودية لتقوم بدورها بانفاقهـا . اما اليوم فهم يساعدون في وضع الميزانية وتعيين الاولويات »(١٣٧) .

ويلاحظ أن تصريح السيد بينكوس بأن المنظمـات الاميركية ليس لها اية سيطرة على الاموال بعد مغادرتها الولايات المتحدة يتعـارض تعارضا مباشرا مع الادعاءات التي وردت خلال جلسات الاستماع الى الشهادات التي كلف بها فولبرايت عام ١٩٦٣ ، بأن الاموال الاميركية ، رغـم ارسالها مباشرة الى اسرائيل بواسطـة الوكالة اليهودية لاسرائيل ش . م . تظل تحت سيطرة المنظمة الاميركية(١٣٨) .

ان المتبرعين وجماعات الجباية الاميركية لا زالت ، لا تملك السيطرة على انفاق الاموال الاميركية في اسرائيل . وقد اعلن السيد مايكل ساكر ، رئيس النداء الفلسطيني المشترك في لندن وزعيم الوفد البريطاني الى الجمعية التأسيسية للوكالة اليهودية المعاد تكوينها بأنه :

« ليس من وجهة نظري ان يحاول اعضاء الدياسبورا في الوكالة الجديدة ، السيطـرة على توجيه انفاق الاموال . ولكنني لا اعتقد انه لا يحق لهم لفت النظر الى مجالات مهملة او الى طرق اكثر كفاءة في انفاق أموال سبق وضعها في الميزانية »(١٣٩) . وهكذا بالرغم من أن البنية التنظيمية الصهيونية قد تغيرت في الظاهر مرة اخرى ، فأن فلسفة عملها بقيت كما هي .

وبالاضافة ، رغم الافتراض بأن الوكالة الجديدة تمثل مصالح الصهيونيين وغير الصهيونيين على السواء ، فأن الصهيونيين يملكون اغلبية واضحة في هيئاتها الحاكمة . وقد اعترف الدكتور اسرائيل غولدشتاين ، رئيس الكيرن هايسود (النداء الاسرائيلي الموحد) ، بأن كثيرا من الافراد الذين يمثلون ما يسمى بالجانب غير الصهيوني من الوكالة الموسعة هم صهيونيون كلية(١٤٠) .

وبموجب الاتفاقية تكون الهيئات الحاكمة للوكالة الجديدة هي ، الجمعية العمومية ومجلس الحكام واللجنة التنفيذية(١٤١) . وتتألف الجمعية العمومية الاولى من ٢٩٦ عضوا ٥٠ بالمئة منهم تعينهم م. ص. ع. بالنيابة عن اسرائيل وعن نفسها ، و ٣٠ بالمئة يعينهم النداء الاسرائيلي الموحد ش. م. في نيويورك و ٢٠ بالمئة تعينهم الجاليات اليهودية في غير اسرائيل والولايات المتحدة(١٤٢) .

اما وظائف الجمعية العمومية فهي :

تلقي التقارير من مجلس الحكام واللجنة التنفيذية ، مراجعة الاحتياجات والبرامج ، تقرير السياسات الاساسية ، النظر في الميزانيات المقدمة من مجلس الحكام والعمل بموجبها ، انتخاب مجلس الحكام ، وانتخاب الرسميين(١٤٣) .

ان مجلس الحكام ، كما اشرنا اعلاه ، يتم انتخابه من قبل الجمعية العمومية . ويتألف المجلس من ٤٠ عضوا ينتخبون على نفس اساس انتخاب اعضاء الجمعية العمومية من حيث معيار التمثيل المئوي(١٤٤) . وهو يتحمل مسؤولية ادارة شؤون الوكالة والاشراف على نشاطاتها(١٤٥) .

اما العمليات اليومية للوكالة فتكون اللجنة التنفيذية مسؤولة عنها وخاضعة لاشراف مجلس الحكام(١٤٦) . وقد اختيرت القدس لتكون مقر المكتب الرئيسي . ويتم انتخاب اعضاء اللجنة التنفيذية ، باستثناء الرئيس الذي هو في الوقت نفسه رئيس الجمعية العمومية ، من قبل مجلس الحكام(١٤٧) .

وعلى اللجنة التنفيذية الان أن تعد ميزانية سنوية باحتياجات وواردات ومصروفات الوكالة لتقديمها الى المجلس للموافقة عليها بحيث تخضع لتوصيات الجمعية العمومية(١٤٨) . ومن بين الموارد المالية للوكالة الجديدة ، حسب ما ورد في الاتفاقية ، نشاطات جمع الاموال ، والدخل المتاتي عن الاستثمارات ومن تحصيل الديون ، **والمنح التي تقدمها حكومة اسرائيل**(١٤٩) .

وبخصوص العلاقات بين حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية للوكالة ، وصف لويس أ. بينكوس هذه العلاقة « بأنها علاقة تفاهم متبادل وتعاون » ان مجلس التنسيق (المعترف به بموجب قانون الوضع القانوني والميثاق ، والمسؤول عن توزيع المهام والواجبات بين الحكومة والوكالة اليهودية ، انظر اعلاه ، الجزء الثاني أ) يجتمع مرة كل ثلاثة اشهر ، وتجتمع لجانه الفرعية بشكل متكرر أكثر(١٥٠) . ورئيس وزراء اسرائيل هو عضو دائم في هذه الهيئة التنسيقية .

و ـ الهجرة الاميركية

كانت « علياه ريفاخا » ـ الهجرة الطوعية من البلاد المزدهرة الى اسرائيل ـ مصدر تلق أساسي للحكومة الاسرائيلية واللجنة التنفيذية الصهيونية منذ المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين ، مؤتمر الهجرة ، في سنة ١٩٦٠ . وقد جاء في تقرير اللجنة التنفيذية الى المؤتمر السادس والعشرين : « لقد بذلت جهود متصلة لنشر رسالة العودة (علياه) بين يهود البلدان الاكثر ازدهارا حيث يوجد احتياطي هائل من المهاجرين من كافة

قطاعات المجتمع ــ ذوي المهن الحرة ، والصناع ، والحرفيين ، والميسورين ... هذه الهجرة لهـا اهمية خـاصة بالنظـر الى حـاجة الدولة الكبـيرة للطاقة البشريـة المدرسية »(١٥١).

على أن هذه الجهود ، وخاصة فيما يتعلق بيهود الولايات المتحدة ، كانت فاشلة بشكل ملحوظ . « بمقدار ما يتعلق الامر بمعظم اليهود الامريكيين ، فان الجهود الدعائية التي بذلتها الوكالة اليهودية والجماعات الصهيونية الاخرى ، قد لاقت نجاحا ساحقا في مجال، وفشلت فشلا ذريعا في مجال اخر . لقد غرسوا في نفوس اليهود (وفي نفوس الامريكيين عموما) شعورا بأن دولة اسرائيل هي كيـان قومي ضروري ودائم ويستحق الـدعم الاميركي ، واذا لزم الامر ، الحمـاية العسكرية الامريكية . ولكـن لم يخلق اي زخم لـ (علياه) امريكية ، لهجـرة اميركية الى اسرائيل ، هجـرة لليهود وليس هجـرة للدولارات »(١٥٢).

في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٤٨ و ١٩٥٦ والمتضمنة لهما ، تراوحت الهجرة الاميركية الى اسرائيل بين ٣٦٩ شخصا فقط عام ١٩٤٨ الى ٤٤٠ شخصا عام ١٩٥٢ ونزولا مرة اخرى الى ٢٨٧ عام ١٩٥٦ . ونتيجة لارسال مبعوثي دائرة الهجـرة (شليخيم) الى الولايات المتحدة عام ١٩٥٧ ، وهو الدليل الحقيقي الاول ، على زيادة الجهود الرسمية لتشجيع الهجرة الامريكية ، زادت الهجرة بمقدار الضعف تقريبا عن السنة السابقة . وفي اعقاب المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين ازدادت ارقام الهجرة زيادة هامة مرة اخرى ، من ٨٥٣ عام ١٩٦٠ الى ١٣٥٧ عام ١٩٦١(١٥٣). ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية حرب الايام الستة تزايد بثبات عدد المواطنين الامريكيين اليهود المهاجرين ولكن بزيادات سنوية صغيرة تبلغ حوالي ١٠٠ شخص(١٥٤). ولكن منـذ حرب الايام الستة ، هاجر حوالي ٢٤٠٠٠ يهودي من اميركا الشمالية ، معظمهم كانوا يقيمون في الولايات المتحدة. ويبدو ان هنـاك عدة اسباب لانعدام الحمـاس لـدى اليهود الامريكيين للهجرة الى اسرائيل . واستنادا الى اللجنة التنفيذية الصهيونية ، « يبدو أن هؤلاء اليهود لا يعون اية حاجة للخلاص الشخصي عن طريق المجيء الى اسرائيل . وهم لا يعون اي التزام بالمشاركة في اعادة تكوين الكومنولث الاسرائيلي »(١٥٥). ولكـن الاكثر اهمية أن الذي يردعهم عن المجيء هو خطط الاستيعاب غـير المرضية في حقل الاستخدام والاسكـان وتعليم اطفالهم(١٥٦).

وللتغلب على عدم الاهتمام الـذي يبديـه اليهود الامريكيون بشأن الهجرة الفعلية الى اسرائيل ، ضاعفت الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية ومنظماتها التابعة ، بشكل متزايد ، جهودها من أجل توسيع الهجرة بالتأكيد عـلى افكار الهجرة بأعتبارها جـزءا مركزيا في حياة كل يهودي . وعلى سبيل المثال ، انتجت المناقشات بين اعضاء الحركة الصهيونية قرارا يقضي بأن « من الضروري أن يلزم كـل يهودي ، كشرط لانتمائه الى الحركة الصهيونية ، وبالتأكيد كشرط لاحتلاله منصبا في الحركة الصهيونيـة ، ان يبذل جهدا حقيقيا للاعداد لاستقراره في هذه البلاد (اسرائيل) ، وعلى الاقل أن يعد اطفاله للعودة (علياه) في موعد عاجل أو آجل »(١٥٧).

« يجب أن يعي الفرد اليهودي باستمرار التزامه بالاستيطان في اسرائيل »(١٥٨). وكجزء من الحملة لخلق « حاجة الى الخلاص الشخصي » بين اليهود الامريكيين ، زيد عـدد الشليخيم (مبعوثي الهجرة) في الولايات المتحدة من قبل دائرة الهجرة ، من اربعة عام ١٩٦٤(١٥٩) الى ثمانية عـام ١٩٦٨(١٦٠) الى عشرين عـام ١٩٧٠(١٦١) . وتأسست « حركات علياه » ومكاتب في الولايات المتحدة لغرض « نشر فكرة الهجرة وتعميق الوعي الهجروي » عن طريق توزيع الادبيات والمعلومات في الاوساط اليهودية وتحديد المهنيين والمرشحين الاخرين ، المرغوب فيهم ، للهجرة(١٦٢). وقد استخدمت اللجنة التنفيذيـة

الصهيونية مساعدة وتعاون جماعات مثل بناي بريت اسرائيل الفتية ، اتحاد الحاخامين المحافظين ، منظمة الحاخامين الارثوذوكس ، واللجنة الاميركية اليهودية(١٦٣). كما نظمت « اشهر عودة (علياه) » جرى خلالها تكثيف الجهد الدعائي العام(١٦٤).

ومع انه من الواضح ان تشديدا كبيرا قد وضع على الهجرة الاميركية في العقد الاخير ، الا أنه لم تطرأ زيادة تذكر على عدد اليهود الاميركيين الذين هاجروا فعلاً حتى فترة ما بعد حرب الايام الستة . فخلال السنوات العشرين التي سبقت الحرب ، كان ٦٫٥٪ فقط من المجموع الكلي للمهاجرين ، من البلدان الغنية (وبضمنها الولايات المتحدة ، كندا ، بلدان اميركا اللاتينية وبلدان اوروبا الغربية) . على أن هذه النسبة ارتفعت الى ٤١٪ عام ١٩٦٨ والى ٤٧٪ عام ١٩٦٩(١٦٥). ان احتياجات هجرتهم واستيطانهم واستيعابهم ، توفرها لهم الوكالة اليهودية في القدس من التبرعات المعفاة من الضرائب، والمحصلة في الولايات المتحدة وغيرها .

ز ـــ سنوات ١٩٦٨ ـــ ١٩٧٢

منذ سنة ١٩٦٨ وحتى الوقت الحاضر ، وفر (برنامج القدس لعام ١٩٦٨) الذي تبناه المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون ، الخطوط الاساسية التي تسترشد بها الحركة الصهيونية في العالم بأسره . ويعدد البرنامج اهداف الصهيونية كالتالي :

وحدة الشعب اليهودي ومركزية اسرائيل في الحياة اليهودية ، جمع شتات الشعب اليهودي في وطنه التاريخي ، ارض اسرائيل ، من خلال الهجرة من جميع الاقطار ، تقوية دولة اسرائيل التي ترتكز على رؤيا نبوئية للعدالة والسلام ، الحفاظ على هوية الشعب اليهودي من خلال تدعيم التعليم العبري واليهودي وتدعيم القيم اليهودية الروحية والثقافية(١٦٦).

لقد كان مركز التفجر في نشاط م. ص. ع. والوكالة اليهودية هو دائرة الهجرة التابعة للجنة التنفيذية الصهيونية . وقد كان اهتمامها الرئيسي في الهجرة من البلدان الغنية : ان « المسألة الحاسمة التي تواجهنا هي كيفية اعمار المناطق المحررة حديثا (بعد حرب الايام الستة) باليهود ، في وقت لا يرغب فيه اليهود الذي يعيشون في بلدان يمكن الخروج منها، بالمجيء والاستيطان هنا (في اسرائيل) »(١٦٧). وبالتالي فقد وجهت عمليات الدوائر الاخرى نحو حركة الهجرة (علياه) في محاولة منها لتجنيد مرشحين جدد للهجرة ورفع ارقام الهجرة المخيبة للامال .

وكجزء من الخطة الشاملة للهجرة والاستيعاب ، فقد كانت وستظل اقامة مستوطنات جديدة ضمن الحدود الموسعة لاسرائيل ، ذات أهمية رئيسية . وكما بينا في القسم الثالث ، جزء أ ، يعتبر الاستيعاب واستيطان المهاجرين في اسرائيل ، ببساطة ، عاملا من عوامل الدفاع القومي(١٦٨). وكانت النتيجة أن اقيمت ٥٠ مستوطنة جديدة في ارجاء البلاد وعلى طول حدودها ، منذ حرب الايام الستة(١٦٩). وللحفاظ على المعدل الحالي للاستيطان ، ولزيادته اذا أمكن في المستقبل ، قرر المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون، في بداية عام ١٩٧٢ ، أن يتبع بحزم سياسته في الاستعمار « كأساس لاعادة بناء البلاد، ولتوزيع سكان اسرائيل ... ولضمان حدودها »(١٧٠).

وكما سنتبين في القسم التالي ، أدت عملية استعمار فلسطين المخططة ، من قبل المهاجرين اليهود ، الى الاجلاء المتعمد والوحشي في كثير من الاحيان ، لسكان فلسطين الاصليين من العرب .

لقد كان أهم حدث في السنوات الاربع الماضية بالنسبة للحركة الصهيونية و م. ص. ع / و. ي. هو اعادة تكوين الوكالة اليهودية لاسرائيل (جرى بحثه في القسم هـ ، اعلاه).

ورغم الادعاء بأن اعادة التنظيم قصد منها السماح لاجهـزة الجباية بمشاركة اكبر في شؤون الوكالة ، فقـد اعترف لويس أ. بينكـوس ، رئيس اللجنة التنفيذية للوكـالة اليهودية ، بأن فصل م. ص. ع. عن الوكالة اليهودية نشأ عن « تطـورات قـانونية معقدة » ، لم يشأ ان يحددها(١٧١).

وبالتطلع للمستقبل ، من الواضح ان السياسة الصهيونية للسنوات الثلاث او الاربـع القادمة سوف تكون ، ببساطة ، امتدادا للسنوات الاربع المـاضية . وفي القـرارات الصادرة عام ١٩٧٢ ، أعاد المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون اثبات وتأكيد القاعدة الاساسية التي عملت بموجبها الحركة الصهيونية في الماضي :

يدعو المؤتمر اللجنة التنفيذية القادمة للتأكد من أن كافة المنظمـات الصهيونية الاقليمية والاعضاء الافراد في الحركة الصهيونية ، يستعملون نفوذهـم لدى المنظمات والروابط اليهودية العالمية والقومية والمحلية ، التي تعمـل في المجـالات السياسية ، والدينية ، والشبيبة ، والتربوية ، والخيرية ، والثقافية والاجتماعية ، لجعلهـا اكثر توجها نحو اسرائيل ، استنادا الى مبدأ مركزية اسرائيل في الحياة اليهودية(١٧٢).

ملحق

تعريف بالمنظمات الصهيونية الرئيسية

المجلس الصهيوني الاميركي :

المجلس الصهيوني الاميركي ، الذي يتخذ من الولايات المتحدة مقرا عاما له ، مسؤول عن استخلاص الدعـم السياسي لاسرائيل والصهيونية وتوزيع المادة الدعائية المناصرة لاسرائيل . قبل عام ١٩٦٣ ، كانت تدعمه ماليا الوكالة اليهودية — القسم الاميركي ، ولكنه الان ، يقوم على دعم جماعات مستقلة عن الوكالة اليهودية، على ما يزعم . وهو ينظم ويدعم جماعات أخرى موالية لاسرائيل والصهيونية تعمل في الولايات المتحـدة . والمجلس غير مسجل كوكيل اجنبي للحكومة الاسرائيلية .

الوكالة اليهودية — القسم الاميركي :

نظمت الوكالة اليهودية — القسم الاميركي عام ١٩٦٠ لتتسلم عمليات الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م مـن أجل تسيير نشاطات الوكالة اليهودية — القدس في الولايات المتحدة . وهي « الوكيل الاجنبي » المسجل لوكالة القدس في هذه البلاد . وهناك ادلة تشير على أنها مدعومة ماليا من قبل النداء اليهودي الموحد .

الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. :

ان الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م. ، التي هي في الاصل شركة نيويوركية مسجلة بصفتها « وكيلا اجنبيا » للوكالة اليهودية — القدس ، لمتابعة نشاطات وكالة القدس في الولايات المتحدة ، عملت كمعبر وسيط لارسال أموال النداء الاسرائيلي الموحد الى اسرائيل . وقد الغت تسجيلها عام ١٩٦٠ (مفوضة مهامها السابقة الى الوكالة اليهودية — القسم الاميركي الجديدة) وخضعت لاشراف المنظمات الاميركية حسب ادعائها . ويزعـم القادة الصهيونيون انها تسيطر على وكالة القدس ، مما يعني ان الوكالة اليهودية لاسرائيل ش. م هي الموكل (في الولايات المتحدة) ووكالة القدس (في اسرائيل) هي الوكيل . في عام ١٩٦٦ وحدت عملياتها مع النـداء الاسرائيلي الموحد ش. م. ، وتعمل كلتا المنظمتين الان تحت اسم النداء الاسرائيلي الموحد ش. م. .

الوكالة اليهودية — القدس (الوكالة اليهودية لفلسطين) :

بعد تأسيسها عام ١٩٢٢ في ظل الانتداب البريطاني ، ارتبطت الوكالـة اليهودية — القدس فورا بالمنظمـة الصهيونية العالمية ، وحتى عام ١٩٧١ كانتا تعتبران منظمة واحدة . وهي تسيطر ، من مقرها الرئيسي في القدس ، على مجمـل جهاز الجباية الصهيوني في العالم كلـه وتحتفظ بالوكـالة اليهوديـة — القسـم الاميركي بصفتها « الوكيل الاجنبي » المسجل لها في الولايات المتحدة . في عام ١٩٧١ جرت اعادة تنظيم مزعومة

لتسمح بمشاركة منظمات الجباية العالمية في حكمها . وكانت النتيجة ان اصبحت المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ــ القدس ، منفصلتين قانونيا ، على حد الادعاء ، وتعملان تحت هيئات حاكمة مختلفة .

الصندوق القومي اليهودي (كيرن كايمت ليسرائيل) :

ان وظيفة الصندوق القومي اليهودي ، الذي أسسه المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠١ ، هي شراء وتطوير واستيطان الارض في اسرائيل . وهو يمتلك الان أكثر من ٩٠٪ من مجموع الاراضي في اسرائيل ويؤجر معظمها الى المستوطنين اليهود بشرط ان يستخدموا العمال اليهود فقط وأن لا يعيدوا تأجيرها الى غير العمال اليهود . وللمنظمة شركات فرعية في كل من الولايات المتحدة ولندن لغرض جمع الاموال . وقد اسس الفرع الاميركي وسجل في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٦ تحت اسم الصندوق القومي اليهودي ش. م. وينص ميثاقه على وجوب ارسال كل الاموال التي تجمع في الولايات المتحدة الى الشركة الانجليزية كيرن كايمت ليسرائيل المحدودة لاستعمال الاخيرة الخاص .

لجنة التوزيع المشتركة :

تأسست عام ١٩٤٤ كجماعة غير صهيونية الى حد كبير لجمع الاموال لضحايا الحرب اليهود ، وهي تعمل اليوم كمنظمة صهيونية خيرية نشطة في تطوير اسرائيل ، غير انها ليست منغمسة كثيرا في الصهيونية السياسية . وهي تتلقى ٣٣٪ من الخمسة والخمسين مليون دولار الاولى التي يجمعها سنويا ن. ي. م. و ١٣٪ من الباقي .

النداء الاسرائيلي الموحد (كيرن هايسود او صندوق مؤسسة فلسطين) :

ان الغرض الوحيد لـ ن. ا. م ، الذي تأسس عام ١٩٢٠ ، هو تمويل عمليات الحركة الصهيونية . وقد ترخص في انجلترا عام ١٩٢١ تحت اسم صندوق مؤسسة فلسطين كيرن هايسود المحدودة ، وفي الولايات المتحدة عام ١٩٢٢ تحت اسم صندوق مؤسسة فلسطين (كيرن هايسود) ش. م. وكلتا المنظمتين ، البريطانية والاميركية ، جهازان رئيسيان لجمع الاموال لصالح م. ص. ع. ويتلقى النداء الاسرائيلي الموحد ٦٧ ٪ من الخمسة والخمسين مليون دولار الاولى التي يجمعها ن. ي. م. سنويا و٨٧٫٥٪ من الباقي .

النداء الاسرائيلي الموحد ش.م (الحملة الاميركية من اجل فلسطين التابعة للوكالة اليهودية او النداء الفلسطيني الموحد ش.م) :

تأسس النداء الاسرائيلي الموحد ش.م في الاصل تحت اسم الحملة الاميركية من اجل فلسطين التابعة للوكالة اليهودية ، وجرى ترخيصه فيما بعد في الولايات المتحدة عام ١٩٢٧ تحت اسم النداء الفلسطيني الموحد ش.م ، لغرض جمع الاموال في الولايات المتحدة لدعم السياسة الصهيونية في استيطان وتطوير اسرائيل . وتغير اسمه فيما بعد الى النداء الاسرائيلي الموحد ش.م. وفي عام ١٩٦٦ جرى دمجه مع الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م تحت اسم النداء الاسرائيلي الموحد ش.م.

النداء اليهودي الموحد :

النداء اليهودي الموحد ، وهو شركة نيويوركية تأسست عام ١٩٣٩ ، هو أكبر منظمة جباية لاسرائيل في الولايات المتحدة . وهو مكون من شركة بين لجنة التوزيع المشتركة والنداء الاسرائيلي الموحد ، ومسؤول عن تنسيق الجبايات الصهيونية وغير الصهيونية في الولايات المتحدة . وهو يرسل الاموال الى اسرائيل عبر المنظمة الوسيطة ، النداء الاسرائيلي الموحد . وقد جمع منذ نشوئه أكثر من مليارين و٣٦٣ مليون دولار في الولايات المتحدة .

المنظمة الصهيونية العالمية :

ان الهدف المعلن لـ م. ص. ع ، التي تأسست عام ١٨٩٧ في المؤتمر الصهيوني الاول في بال ، ظل كما كان في البداية ، وهو اقامة وتطوير دولة اسرائيل لصالح اليهودية العالمية . وهي اذ تعمل في تعاون وثيق مع حكومة اسرائيل ، تسيطر على النشاط الصهيوني في جميع انحاء العالم وهي مصدر القوة الاساسي للصهيونية. وقد اعتبرت هي والوكالة اليهودية ــ القدس شيئا واحدا حتى جرت اعادة تنظيم الوكالة عام ١٩٧١ واعتبرت، افتراضا ، شخصية قانونية مستقلة .

المؤتمر الصهيوني :

المؤتمر الصهيوني هو المؤسسة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية . وهو يتألف من أعضاء اللجنة التنفيذية والمجلس الصهيوني العام بالاضافة الى ممثلي مختلف المنظمات الصهيونية في العالم . ومنذ عام ١٨٩٧ اجتمع المؤتمر حوالي كل أربع سنوات لغرض الاشراف على وتوجيه جميع عمليات المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية .

اللجنة التنفيذية الصهيونية :

تتألف اللجنة التنفيذية من أعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية . ووظيفتها الاساسية هي ادارة شؤون المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ــ القدس ، في كل من اسرائيل والخارج . وهي تقوم بهذا من خلال دوائر وظيفية ، كل منها مسؤول عن مجال معين كالهجرة مثلا . ولها هيئات انتخابية في كل من القدس ونيويورك وهي مسؤولة في عملياتها أمام المؤتمر الصهيوني والمجلس الصهيوني العام .

المجلس الصهيوني العام :

المجلس هو احدى الهيئات التي تكون المنظمة الصهيونية ، ويقوم بدور المؤتمر عندما لا يكون الاخير منعقدا . وخلال فترات ما بين انعقاد المؤتمرات يكون هو المرجع النهائي في اتخاذ القرارات بشأن جميع المسائل المرتبطة بالمنظمة الصهيونية العالمية ومؤسساتها بما في ذلك اللجنة التنفيذية الصهيونية التي يمارس عليها اشرافا مباشرا .

الحواشي

١ ــ **الصهيونية ، قوة التغيير** . دائرة الاعلام التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية ، القدس ، ١٩٦٨ . يبدأ نص الكتاب كما يلي : « ان المنظمة الصهيونية العالمية التي تشكل الوكالة اليهودية ذراعها التنفيذي ... » . أنظر أيضا م. ص. ع ــ الوكالة اليهودية والقانون المتعلق بوضعها القانوني ، الذي يتم بحثه في القسم الثاني من هذه المذكرة ، وقد أضيفت نسخة منه الى الملحق لهذا الموجز : يبدأ القسم الثالث من قانون الوضع القانوني كما يلي : « ان المنظمة الصهيونية العالمية التي هي ايضا الوكالة اليهودية ... » وانظر ايضا « ميثاق بين حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية الصهيونية التي تسمى ايضا اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية». وسيجري بحثها ايضا **لاحقا** في القسم الثاني وترد في الملحق .

٢ ــ **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٥ .

٣ ــ حسب كلمات كتاب **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٦ « ان الهيئة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية ، وبالتالي للوكالة اليهودية هي المؤتمرات الصهيونية » . ينتخب المؤتمر اللجنة التنفيذية والمجلس الصهيوني العام . للاطلاع على الهيكل التنظيمي لـ م ص ع/و ي انظر ، ادناه ، الفصل الثاني ، القسم د .

٤ ــ **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٥ .

٥ ــ « ارتس اسرائيل » هو اصطلاح توراتي لفلسطين يعني ارض اسرائيل . (Eretz Israel الاصطلاح الوارد في النص الانكليزي ا.) .

٦ ــ **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ١٣ .

٧ ــ **المرجع نفسه** ، ٢٦ ــ ٢٨ .

٨ ــ **المرجع نفسه** ، ٢٨ .

٩ ــ «حالوتسيم» تعني المزارعين أو المستوطنين الشباب .

١٠ ــ **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٥٥ .

١١ ــ حاييم وايزمن ، **التجربة والخطا : السيرة الذاتية لحاييم وايزمن** ، ٢٦٠ (مكتبة ايست آند وست ، ١٩٥٠) . كان الدكتور وايزمن هو المفاوض الصهيوني الرئيسي مع البريطانيين. وكان الرئيس الثاني للمنظمة الصهيونية العالمية وفيما بعد اصبح اول رئيس لاسرائيل .

١٢ ــ **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٢٩ .

١٣ ــ مقدمة الميثاق الانجلو ــ اميركي حول فلسطين . مادة ٤٤ . ٢١٨٤ (١٩٢٥) . انظر ايضا ستونيانونسكي ، **الانتداب على فلسطين**

٣٥٥ (١٩٢٨) .
١٤ — وثيقة الانتداب ، المواد ٤ ، ٦ ، ١١ .
١٥ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٢٩ .
١٦ — **المرجع نفسه** .
١٧ — دستور **الوكالة اليهودية الموسعة** ، قسم ٥ (٣) ، ينص ، بين أشياء اخرى ، على « ان غير الصهيونيين من جميع البلدان الذين يحق لهم التمثيل في المجلس ، يقومون بتعيين ممثليهم بالطريقة التي تبدو ، في كل حالة ، أنها الانسب لظروفهم المحلية » . ولم يجر في الدستور تحديد الهيئات غير الصهيونية في البلدان المختلفة . وكان لاعضاء المجلس ان يعينوا أعضاء الهيئتين الاخريين ، الهيئة واللجنة . وكان المجلس هو أعلى هيئة حاكمة .
١٨ — كتب الدكتور موريس كاريف ، الذي كان في ذلك الوقت عضوا غير صهيوني في الوكالة اليهودية الموسعة ، عام ١٩٣٨ ، تحت عنوان « تقسيم فلسطين ونتائجه » العدد ١٤ رقم ١٣ ، **مجلة الخدمة الاجتماعية اليهودية** ، انه « في اللجنة التنفيذية ، لم يحصل غير الصهيونيين أبدا على حصتهم الكاملة ... (كان) دستور الوكالة مصاغا بشكل مطاط الى حد انه يمكن تعيين او انتخاب صهيونيين للوكالة على اعتبار انهم غير صهيونيين ... وقد عين عدد كبير من أعضاء ومسؤولي المنظمات الصهيونية في بلدانهم المختلفة ، في الوكالة كأعضاء غير صهيونيين ، وعندما تثار مسألة مبدئية كانوا يصوتون بالطبع مع الصهاينة ، وهكذا تتم هزيمة غير الصهيونيين دائما في التصويت » .
١٩ — **المرجع نفسه** .
٢٠ — المستند جـ من بيان التسجيل .
٢١ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٣١ .
٢٢ — « الوكالة اليهودية لاسرائيل » . **اسرائيل اليوم** ، العدد ١٦ ، القدس ، نيسان ١٩٦٦ .
٢٣ — انظر **المرجع السابق** ، ١٢ — ١٣ .
٢٤ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٣٦ .
٢٥ — **المرجع نفسه** ، ٣٨ .
٢٦ — سياسة الحكومة البريطانية « الجديدة » في فلسطين ، ١٧ أيار ١٩٢٩ ، التي استهدفت اقامة دولة فلسطينية مستقلة يكون ثلث سكانها من اليهود ، وتحديد هجرة اليهود بـ ٧٥٠٠٠ في خمس سنوات . عارض الصهيونيون هذه السياسة بشدة .
٢٧ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٣٨ .
٢٨ — ليونارد سلاتر، **العهد** (نيويورك : سايمون آند شوستر ، ١٩٧٠) .
٢٩ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٣٨ — ٤٠ .
٣٠ — **المرجع نفسه** ، ٩ .
٣١ — **المرجع نفسه** .
٣٢ — **الكتاب السنوي الاميركي اليهودي** ، عدد ٥٦ ، ١٩٥٥ ، ص ٥٣٣ .
٣٣ — مذكرة وبنود عقد التأسيس للكيرن كايمت ليسرائيل المحدودة . رقم شهادة الترخيص ٩٢٨٢٥ ، ١٦ حزيران ١٩٣٦ ، مسجل في سجل الشركات .
٣٤ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٨ .
٣٥ — **المرجع نفسه** .
٣٦ — مذكرة تأسيس الشركة . الغرض رقم «١».
٣٧ — مذكرة تأسيس الشركة . الغرض « ر » .
٣٨ — البنود ، فقرة ١ ، ٧ .
٣٩ — البنود فقرة ٩ .
٤٠ — البنود فقرة ٤ .
٤١ — البنود فقرة ٤٠ .
٤٢ — شهادة دمج فقرة ١ .
٤٣ — شهادة دمج فقرة ٣ .
٤٤ — أنظر رخصة تأسيس النداء الفلسطيني الموحد ، ش.م ، ١٠ أيار ١٩٢٧ (غير الاسم فيما بعد الى النداء الاسرائيلي الموحد ش.م).
٤٥ — القوانين الداخلية ، مادة ١ ، فقرة ١ ، مادة ٢ فقرة ١ ، مادة ٣ فقرة ١ .
٤٦ — القوانين الداخلية ، المادة ١ ، فقرة ١ .
٤٧ — القوانين الداخلية ، مادة ٢ ، فقرة ١ .
٤٨ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ٢ . انظر ايضا ص ٦ و٧ .
٤٩ — **الوكالة اليهودية لاسرائيل** ، ص ٧ .
٥٠ — **الصهيونية ، قوة التغيير** ، ص ٥٥ .
٥١ — دائرة الاعلام التابعة للوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية ، **النشرة الاخبارية الصهيونية** رقم ١٩ ، مسح بالمشاكل الصهيونية، ٨ ، ١٠ (٥ حزيران ١٩٥١) .
٥٢ — « الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية » قرار صادر عن المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، دائرة التنظيم التابعة للجنة التنفيذية الصهيونية ، **القضايا الاساسية للصهيونية في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين** ، ١٣٥ — ١٣٦ (١٩٥٢) .

٥٣ ــ **المرجع نفسه** .
٥٤ ــ **قوانين دولة اسرائيل** ، ١١٤ (١٩٥٠) .
٥٥ ــ **الوكالة اليهودية لاسرائيل** ، ص ٢٣ .
٥٦ ــ **الصهيونية** ، **قوة التغيير** ، ص ٥٥ .
٥٧ ــ **المرجع نفسه** ، ص ٥٥ .
٥٨ ــ **المرجع نفسه** ، ص ٥٨ .
٥٩ ــ بيان من ناحوم غولدمان ، رئيس مص ع/وي الى المجلس الصهيوني المجتمع عام ١٩٦٦ ، **المجلس الصهيوني العام** ، ١٩٣ (كانون الثاني ، ١١ ــ ١٨ ، ١٩٦٦) .
٦٠ ــ **الصهيونية** ، **قوة التغيير** ، ص ٤١ .
٦١ ــ يطرح هذه الاستنتاجات المرجع البارز في القانون الدولي ، و. ت ماليسون في المسائل القانونية المتعلقة بالوضع القانوني والنشاطات السياسية للمنظمة الصهيونية/الوكالة اليهودية ، ٩ **وليام آند ماري لو ريفيو** ، ٥٥٤ (ربيع ١٩٦٨) .
٦٢ ــ **الصهيونية** ، **قوة التغيير** ، ص ٦ .
٦٣ ــ **الوكالة اليهودية لاسرائيل** ، ص ٩ .
٦٤ ــ **الصهيونية** ، **قوة التغيير** ، ص ٦ .
٦٥ ــ **الوكالة اليهودية لاسرائيل** ، ص ٢٢ .
٦٦ ــ **الصهيونية** ، **قوة التغيير** ، ص ٦ .
٦٧ ــ تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في القدس عن الفترة من نيسان ١٩٦٤ الى كانون الاول ١٩٦٧ ، ٢٨٣ (حزيران ١٩٦٨) .
٦٨ ــ مكتب قوانين الشركات ، القسم ١ (أ) ، ٦ شباط ١٩٦٧ ، كما وردت في التقارير المقدمة الى المؤتمر السابع والعشرين ، ص ٢٨٣ .
٦٩ ــ **المرجع نفسه** ، قسم ١ (أ) و (ب) ، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥ .
٧٠ ــ تقارير مقدمة الى المؤتمر السابع والعشرين **المرجع السابق** ، ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩ .
٧١ ــ دورة المجلس الصهيوني العام ، الدورة الثانية بعد المؤتمر الخامس والعشرين ، القدس ، نيسان ١٩٦١ ، خطابات ، مناقشات ، قرارات ، ص ١٥ .
٧٢ ــ تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين في القدس عن الفترة من نيسان ١٩٥١ الى كانون الاول ١٩٥٥ ، ٦٩ (نيسان ١٩٥٦) .
٧٣ ــ دورة المجلس الصهيوني العام ، الدورة الثانية بعد المؤتمر الخامس والعشرين ، القدس ، نيسان ١٩٦١ ، خطابات ، مناقشات ، قرارات ، ص ٢٨ .
٧٤ ــ تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في القدس عن الفترة من نيسان ١٩٦٤ ــ كانون الاول ١٩٦٧ (حزيران ١٩٦٨) ، ص ٥٤ .
٧٥ ــ **المرجع نفسه** ، ص ٥٣ .
٧٦ ــ **المرجع نفسه** ، ص ٥٥ .
٧٧ ــ دستور المنظمة الصهيونية العالمية ، كما أقره المجلس العام ، في دورته المنعقدة في كانون الاول ١٩٥٩ ــ كانون الثاني ١٩٦٠ ، في دورة المجلس الصهيوني العام ، الدورة الخامسة بعد المؤتمر الرابع والعشرين ، كانون الاول ١٩٥٩ ــ كانون الثاني ١٩٦٠ ، خطابات ، مناقشات ، وقرارات ، ص ٢٧٩ ، الفصل الاول ، المادة ٢ ، القسم الاول .
٧٨ ــ **المرجع نفسه** ، الفصل الاول ، المادة ٢ ، القسم الاول .
٧٩ ــ **المرجع نفسه** ، الفصل الثاني ، المادة ١٤ .
٨٠ ــ **المرجع نفسه** ، الفصل الثاني ، المادة ١٢ .
٨١ ــ **المرجع نفسه** ، الفصل الثاني ، المادة ١٧ . الفقرة الثانية .
٨٢ ــ **المرجع نفسه** ، الفصل الاول ، المادة ٥ ، الفقرة ١ .
٨٣ ــ شهادات حول نشاطات الممثلين غير الدبلوماسيين لجهات اجنبية في الولايات المتحدة ، أمام لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ ، ١٢١٨ (١٩٦٣) . انظر ايضا **اموال ن ي م (اعادة التنظيم)** لـ ليسنغ ج روزنغالد ، المجلس اليهودي الاميركي ، ١٩٦٠ .
٨٤ ــ **الكتاب السنوي اليهودي الاميركي** ، الاعداد ٥٤ ــ ٥٦ ، ١٩٥٣ ــ ٥٥ ، وتقارير مجلس الاتحادات اليهودية وصناديق الرعاية ، ١٦ نيسان ١٩٦٠ .
٨٥ ــ **وكالة التلغراف اليهودية** ، نشرة الانباء اليومية ، المجلد ٢٨ ، عدد ٧٠ ، ١١ نيسان ١٩٦٠ ، ص ٣ .
٨٦ ــ **هآرتس** ، ١٩٧١/٩/٢٣ ، القدس .
٨٧ ــ **معاريف** ، ١٩٧١/١٠/١٤ ، **القدس** .
٨٨ ــ بموجب هذه الخطة ، تتلقى الاحزاب السياسية الاسرائيلية المبالغ التالية عن السنة المالية ١٩٧١ ــ ١٩٧٢ : الحزب القومي الديني يتلقى ٣،٤٤٢،٠٠٠ ليرة اسرائيلية ، حزب

الاحرار الاسرائيلي يتلقى ١،٨٠٧،٠٠٠ ليرة ، ويرسل اكثر من مليون ليرة الى حزب الاحرار المستقل . وتتلقى أحزاب أخرى ايضا ، وبضمنها جماعات يسارية في اسرائيل ، مبالغ متفاوتة ، وكلها تحت اشراف الوكالة اليهودية في القدس . معاريف ، ١٤ تشرين ثاني ، ١٩٧١ .

٨٩ — بيان الحاقي قدمه القسم الاميركي من الوكالة اليهودية لاسرائيل ، ١ حزيران ١٩٧١ ، جدول ٧ ، بموجب الفصل الثاني من قانون تسجل الوكالات الاجنبية لسنة ١٩٣٨ المعدل .

٩٠ — الشهادات ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٢١.

٩١ — القرار ٣٦٢ ، الكونغرس السابع والثمانون ، الدورة الثانية ، جلسة الاستماع الاولى .

٩٢ — قانون ماكورماك ، قانون دستوري رقم ٥٢، ٦٣ (١٩٣٨)

The McCormack Act, 52 Stat. 63 (1938), 22 USC 611 (1964).

٩٣ — جلسات الاستماع ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٠٨ — ١٣٠٩ .

٩٤ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢١٨ .

٩٥ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٣٧ .

٩٦ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٣٧ — ١٢٣٨ .

٩٧ — **الانباء اليهودية** ، ٤ ايلول ١٩٧٠، **نيوارك**، نيو جرسي ، ص ٢ ، عمود ٥ .

٩٨ — رغم الادعاء بان المجلس الصهيوني الاميركي تحت الاشراف المستقل للمواطنين الاميركيين فقد وصفه روبرت سيلفربرغ بانه « الفرع الرئيسي للوكالة اليهودية » وذلك في كتابه « **اذا نسيتك يا أورشليم** » ، ص ٤٧١ (نيويورك شركة وليام مورو وشركاه ، ١٩٧٠) وهو استعراض تاريخي لمشاركة اليهود الاميركيين والولايات المتحدة في خلق دولة اسرائيل .

٩٩ — الاستماع الى الشهادات ، **المرجع السابق**، ص ١٣٠٥ .

١٠٠ — **المرجع نفسه** .

١٠١ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٥١ — ١٢٥٢ .

١٠٢ — **المرجع نفسه** .

١٠٣ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٧١ — ١٢٧٣ .

١٠٤ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٩٢ .

١٠٥ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٩٢ .

١٠٦ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٦٥ . انظر ايضا جلسات الاستماع الى الشهادات ، المرجع السابق ، ص ١٧٠٧ ، حيث لاحظ السناتور فولبرايت ان الفصل قد جرى لتجنب التسجيل .

١٠٧ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٨٤ .

١٠٨ — **المرجع نفسه** ، ص ١٢٨٨ .

١٠٩ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٦٦ .

١١٠ — **الكتاب السنوي الاميركي اليهودي** ، عدد ٦٩ ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٤ .

١١١ — صموئيل هالبرين ، **العالم السياسي للصهيونية الاميركية** ، ١٩٨ — ٢٠٠ (ديترويت ، مطبعة جامعة ولاية وين ، ١٩٦١) .

١١٢ — **المرجع نفسه** ، ص ٢٠١ .

١١٣ — **الكتاب السنوي الاميركي اليهودي** ، عدد ٧٢ ، ١٩٧١ ، ص ١٩١ .

١١٤ — **المرجع نفسه** .

١١٥ — **المرجع نفسه** ، ص ١٩٢ .

١١٦ — **المرجع نفسه** ، ص ١٨١ .

١١٧ — جلسات الاستماع ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٠٣ ، **الكتاب السنوي للصحفيين الاسرائيليين لعام ١٩٧١** ، ص ١٧٩ . حسب ما جاء في هذا الكتاب ، فان ٧٠ ٪ من ميزانية الوكالة اليهودية جاءت من الاموال المجموعة في الولايات المتحدة وذلك بين سنتي ١٩٢٠ — ١٩٤٨ . وكانت تفاصيل المصروفات بين ١٩٤٨ — ١٩٧٠ للوكالة اليهودية على النحو التالي (بالدولارات) : الهجرة والاستيعاب ٥٧٣،٩٠٠،٠٠٠ ، الخدمات الطبية ٧٧،١٠٠،٠٠٠، التعليم ٧٤،٦٠٠،٠٠٠، هجرة الشباب ١٥٦،٢٠٠،٠٠٠ ، اسكان المهاجرين ٤٣٢،٥٠٠،٠٠٠ ، الاستيطان الزراعي ٩٤٥،٨٠٠،٠٠٠ ، العمل التربوي والثقافي ٢٩٤،٢٠٠،٠٠٠ ، نشاطات خارج اسرائيل ١٦٠،٥٠٠،٠٠٠ ، متفرقات ٣٠١،٦٠٠،٠٠٠ ، وبهذا يكون المجموع ٣،٠١٦،٠٠٠ دولار . وقد غطي العجز الناتج عن الفرق بين الميزانية والاموال المجموعة خارج اسرائيل بمنح من حكومة اسرائيل وقروض من مؤسسات اقراض.

١١٨ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٣٢ .

١١٩ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٠٣ — ١٣٠٤ .

١٢٠ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٠٤ .

١٢١ — شهادة دمج الوكالة اليهودية لاسرائيل ش.م مع النداء الاسرائيلي الموحد ش.م ، ١ حزيران ١٩٦٦ .

١٢٢ — الجلسات، **المرجع السابق** ، ص ١٢٣٧.

١٢٣ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٢١ .

١٢٤ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٢٢ .
١٢٥ — **المرجع نفسه** ، ص ١٣٢٣ .
١٢٦ — تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٥٢ .
١٢٧ — روبرت سيلفربرغ ، ص ٥ .
١٢٨ — تقرير المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في القدس حول النشاطات في اميركا الشمالية للفترة ١ نيسان ١٩٦٤ الى ١٣ كانون اول ١٩٦٧ . (١٩٦٨) ص ١٥ .
١٢٩ — **ذي جروزاليم بوست** ، ملحق خاص ، ٢١ حزيران ١٩٧١ ، ص ١٤ ، عمود ٥ .
١٣٠ — تقرير المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في القدس ، **المرجع السابق** ، ص ١٥ .
١٣١ — ان اعادة التنظيم التي جرت عام ١٩٧١ هي التجربة الصهيونية الثانية في توسيع الوكالة اليهودية .وكما بينا في الجزء الاول قسم ج ، تم توسيع الوكالة للمرة الاولى من قبل المنظمة الصهيونية سنة ١٩٢٩ ، لتجنيد الدعم المالي من الاغنياء غير الصهيونيين للاستيطان اليهودي القائم في فلسطين . وقد ووجهت الخطة بمعارضة قوية من الطرفين . وكان غير الصهيونيين يعارضون بشكل خاص دعم الاهداف السياسية للحركة الصهيونية، وشعر الكثيرون، وخاصة في الولايات المتحدة ، أن اقامة دولة يهودية لم تكن غير واقعية وحسب ، ولكنها تتعارض مع الواجبات الوطنية والالتزامات التي يدينون بها لبلادهم . ولكن الصهيونيين الذين كانوا يعرفون أن تبرعات الصهيونيين لم تكن كافية وحدها لدعم أهدافهم ، توحدوا ونجحوا في اقناع غير الصهيونيين بأن الخلافات الايديولوجية يمكن تأجيلها مؤقتا حتى يصبح الاستيطان اليهودي قويا لدرجة تمكنه من التغلب على انهياره الماثل آنذاك . وبالنتيجة أمكن الوصول الى « حلف المجد » ، واجتمعت الوكالة الجديدة للمرة الاولى في ١١ آب ١٩٢٩ . وحسب الخطة الجديدة تكونت الهيئة الجديدة من ٥٠ ٪ من المقاعد للصهيونيين و٥٠ ٪ لغير الصهيونيين على أن تكون ٤٠ ٪ من مقاعد غير الصهيونيين لليهود الاميركيين . ومع هذا ، وكما جرى في حالة اعادة التنظيم في سنة ١٩٧١ ، تضمنت المجموعة غير الصهيونية كثيرا من الصهيونيين المعروفين . ولاسباب عديدة ، لم يكن أقلها الصدام الايديولوجي الاساسي بين الصهيونيين وغير الصهيونيين ، ظلت الوكالة الجديدة تتعثر حتى عام ١٩٤٣ عندما استعاد الصهيونيون السيطرة الكاملة . صموئيل هالبرين ، **العالم السياسي للصهيونية الاميركية** (ديترويت) ، مطبعة جامعة ولاية وين ، ١٩٦٩) ص ١٩٢ — ١٩٥ ، **ذي جروزاليم بوست** ، ملحق خاص ، ٢١ حزيران ١٩٧١ ، ص ٥ — ٦ .
١٣٢ — اتفاقية اعادة تكوين الوكالة اليهودية لاسرائيل ، المادة ١ ، فقرة أ والمادة ٢، فقرة أ.
١٣٣ — **المرجع نفسه** ، المادة ٢ .
١٣٤ — **المرجع نفسه** ، المقدمة فقرة ٦ .
١٣٥ — لويس أ. بينكوس ، **الوكالة اليهودية المعاد تكوينها** ، التشتت والوحدة ، صحيفة حول الصهيونية والعالم اليهودي ، عدد ١٢ ، المنظمة الصهيونية العالمية ، دائرة التنظيم والاعلام ، القدس (١٩٧١) ص ٣٩ .
١٣٦ — اتفاقية اعادة تكوين الوكالة اليهودية لاسرائيل ، المادة ١ ، فقرة د .
١٣٧ — **الانباء اليهودية** ، **نيوآرك** ، نيو جرسي ٤ أيلول ١٩٧٠ ، ص ٢ ، عمود ٥ .
١٣٨ — أنظر الملاحظات رقم ٢٠ و ٢١ والنص الوارد في المتن .
١٣٩ — **ذي جروزاليم بوست** ، ملحق خاص ، ٢١ حزيران ١٩٧١ ، ص ١١ ، عمود ١ و ٢ .
١٤٠ — **المرجع نفسه** ، ص ١٠ ، عمود ٣ و ٤ .
١٤١ — اتفاقية اعادة تكوين الوكالة اليهودية لاسرائيل ، المادة ٢ ، فقرة ب .
١٤٢ — **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة ج ، ١ .
١٤٣ — **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة ج ، ٥ .
١٤٤ — **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة د ، ٣ .
١٤٥ — **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة د ، ١ .
١٤٦ — **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة هـ ، ١ .
١٤٧ — **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة هـ ، ٣ .
١٤٨ — **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة و ، ٢ .
١٤٩ — **المرجع نفسه** ، المادة ٢ ، فقرة و ، ١ .
١٥٠ — **ذي جروساليم بوست** ، ملحق خاص ، ٢١ حزيران ١٩٧١ ، ص ٣ ، عمود ٥ ، وفي مقابلة حديثة مع امين صندوق الوكالة اليهودية، آريين دولتشتاين ، سئل السيد دولتشتاين لماذا لم تتول حكومة اسرائيل المسؤولية الكاملة للهجرة والاستيعاب والاستيطان . وأجاب : « ان الحكومة لا تستطيع تحمل هذا العبء لسبب بسيط . ان كل حملة من أجل المال خارج

اسرائيل تذهب الى الهجرة والاستيعاب . ان ثمانين بالمئة من الاموال التي تجمع ، معفاة من ضريبة الدخل في الولايات المتحدة . واسرائيل لا تستطيع استعمال هذه الاموال الا لصالح الوكالة اليهودية ، وهي سلطة معترف بها في الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا بصفتها تجمع وتنفق هذه الاموال لاغراض انسانية » . ملحق **هآرتس** ، ١٨ شباط ١٩٧٢ ، ص ٨ .

١٥١ — تقارير مقدمة الى المؤتمر الصهيوني السادس والعشرين المنعقد في القدس ، عن الفترة من نيسان ١٩٦٠ — آذار ١٩٦٤ (١٩٦٤) ص ٨٣ — ٨٤ .

١٥٢ — روبرت سيلفربرغ ، **المرجع السابق** ، ص ٤٧٦ .

١٥٣ — تقارير الى المؤتمر السادس والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٨٣ — ٨٤ .

١٥٤ — تقارير الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٦٠ ، تقرير مقدم الى المجلس الصهيوني العام عن الفترة من نيسان الى تشرين الثاني ١٩٦٩ (١٩٧٠) ، ص ١١٥ .

١٥٥ — تقارير الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٥٢ .

١٥٦ — تقارير الى المؤتمر السادس والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٨٥ .

١٥٧ — تقارير الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٥٣ .

١٥٨ — **المرجع نفسه** ، ص ٥٣ — ٥٤ .

١٥٩ — تقارير الى المؤتمر السادس والعشرين ، **المرجع نفسه** ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

١٦٠ — تقارير الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع نفسه** ، ص ٥٥ .

١٦١ — تقرير مقدم الى المجلس الصهيوني العام عن الفترة من نيسان الى تشرين الثاني ١٩٦٩ (١٩٧٠) ، ص ٦ .

١٦٢ — **المرجع ذاته** ، ص ٦ .

١٦٣ — تقارير الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع نفسه** ، ص ٥٥ .

١٦٤ — **المرجع نفسه** ، ص ٥٥ — ٥٦ .

١٦٥ — **دافار** ، ٢٧ شباط ١٩٧٠ .

١٦٦ — **ذي جروزاليم بوست** ، ملحق خاص ، ٢١ حزيران ١٩٧١ ، ص ١٣ ، عمود ٣ .

١٦٧ — تقارير مقدمة الى المؤتمر السابع والعشرين ، **المرجع السابق** ، ص ٥٢ .

١٦٨ — انظر الملاحظة رقم ٤ والنص الوارد في المتن .

١٦٩ — قرارات المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين ، ١٩٧٢ ، لجنة الاستيطان وتطوير الارض ، فقرة أ (١) ، كما وردت في مجلة **دراسات فلسطينية** ، مجلد ١ ، عدد ٣ ، ص ١٨٥ (١٩٧٢) .

١٧٠ — **المرجع نفسه** ، فقرة أ (٣) .

١٧١ — لويس أ. بينكوس ، **الوكالة اليهودية المعاد تكوينها** ، الشتات والوحدة — صحيفة حول الصهيونية والعالم اليهودي ، العدد ١٢ ، المنظمة الصهيونية العالمية ، دائرة التنظيم والاعلام ، القدس (١٩٧١) ، ص ٣٩ . أنظر أيضا الملاحظة رقم ٥٩ والنص في المتن .

١٧٢ — قرارات المؤتمر الثامن والعشرين ، لجنة العلاقات مع اليهودية العالمية المنظمة ، فقرة ٤ ، كما وردت في مجلة **دراسات فلسطينية** ، مجلد ١ ، عدد ٣ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ (١٩٧٢) .

جدل الشعر والواقع :
قراءة في الشعر الفلسطيني المعاصر

الياس خوري

لا تطمح هذه الدراسة ان تكون عرضا وافيا لجميع النماذج الشعرية الفلسطينية ، انها تريد في الاساس ، من خلال اعادة قراءة نماذج شعرية محددة ، أن ترسم لوحة بيانية عن تطور الشعر الفلسطيني المعاصر ، والمحاور التي يتشكل حولها هذا الشعر . وتأخذ محاولتنا أهميتها ، من خلال الدور الكبير الذي يلعبه الشعر في حياتنا العربية المعاصرة . فالشعر هو في نهاية المطاف نسيج لغوي . انه اعـادة تركيب للغة ، تحاور معها ، واستنطاقها ما لا تقوله عادة . واللغة ، في معركة البقاء الوطني ، تأخذ حجما حضاريا كبيرا . انها طريق للعودة الى الينابيع ، وأشارة لانفجار ينابيع جديدة . من هنا فقراءة الشعر الفلسطيني المعاصر ، تصبح في نظرنا بحثا عن الشخصية العربية ، التي تجري محاولات سحقها ، في الوقت نفسه ، الذي تنفجر فيه دماء تطمح أن تكون طريقا نحو التغير والثورة ومصافحة المستقبل . ان بحثنا عن الشخصية العربية ، لا يجري في المجردات ، انه يطمح ان يقف على أرض الواقع ، مرافقا الحركة الشعرية الفلسطينية في رحلتها ، نحو الذات ونحو الارض .

من هنا فان دراستنا سوف تتمحور حول خمس نقاط : ١ ــ قراءة الشعر الفلسطيني بشكل منهجي ، في سبيل النظر من خلاله الى تطور مفهوم النضال الوطني على مستوى التعبير الشعري . ٢ ــ البحث عن علاقة هذا الشعر بقوى اجتماعية محددة ، قدرته على التعبير عن هذه القوى ، اثره وتأثره بالواقع الاجتماعي الذي يحاول رسمه . ٣ ــ النظر الى الشعر الفلسطيني من خلال تطوره الذاتي ، كفن خاص ، يرتبط بمرحلة واقعية وكفاحية خاصة . ٤ ــ التشكيل الفني في الشعـر الفلسطيني ، القصيدة ، تركيبها ، لغتها الشعرية ، الايحاء الفني ، المغامرة الفنية وحدودها . ٥ ــ وضع الشعر الفلسطيني ، ضمن سياق حركة الشعر العربية المعاصرة ، عبـر محاولتنا استقراء مساهمات هذا الشعر على مستوى الحركة الشعرية العربية ، والدور الذي يلعبه ضمن هذه الحركة .

سوف تقوم منهجية بحثنا حول محورين : أ ــ ربط الشعر بالواقع الاجتماعي ، دون ان نحاول شد هذا الشعر بشكل مصطنع الى هذا الواقع . فالفن والواقع ، بنيتان تحتفظ كل واحدة منهما باستقلالها النسبي ، وان تداخلتا ، وان بدا اثر الواقع المعاش ، جليا وواضحا على المستوى الفني . ب ــ دراسة الشعر ، كبنية ، تحتفظ لنفسها باستقلالها النسبي . من هنا تخضع لتاريخها الخاص ، وللمؤثرات الفنية التـي يمكننا عزلها ، لاسباب منهجية ، عن مجرى المؤثرات الاخرى . لكن يبقى هاجسنا الاكبر متمحورا حول النظر الى الشعر الفلسطيني المعاصر ، من منظور العملية الثورية التي يعيشها هذا الشعب بكل انتصاراتها وانكساراتها .

اذا كان الشعر الفلسطيني المعاصر ، ينسج نفسه حول جراح الوطن ، ويجدد مبرر وجوده في التغلغل عميقا في التراب الوطني ، فانه بهذا ، يكون امتدادا مباشرا للشعر الفلسطيني في الثلاثينات والاربعينات « أنت الجذع الذي نبتت عليـه أغانينا ، نحن امتدادك وامتداد أخويك اللذين ذهبا ـ ابرهيم ، وعبدالرحيم الذي قاتل بالكلمة والجسد . لا ، لسنا لقطاء الى هذا الحد . اننـا ابناؤكم »(١) . هكذا يقول محمود درويش عن ابي سلمى . وطبيعة كونه امتدادا لهذا الشعر لا تلغي تمايزه واستقلاليته . فهو يواجه قضية اصبحت اليوم اكثر من مجرد محاولة لرد خطر داهم . فالاحتلال اليوم يجثم علـى الصدور . والشعر الفلسطيني في الوقت نفسه يتجذر في التراث الشعبي يستلهمه الحكايات ، والامثلة والمواويل يستعين بها ، في حركته باتجاه تأكيد الذات ، أمام خطر الانسحاق الكامل بيد عدو شرس . وهو كذلك جزء من الحركة الشعرية العربية المعاصرة ، جزء من الثورة في التعبير الشعري التي انطلقت في الخمسينات ، مدمرة وحدة البيت ، وباحثة عن وحدة الموقف في القصيدة . الشعر الفلسطيني لم ينبت كالفطر في حياتنا الثقافية . هو امتداد لحركة أدبية ما تزال في طور التحول العميق . لكنه يحتفظ بصوته الخاص الحاد النبرات ، ويحاول عبر واقعه أن يجد لنفسه طريقا الى الجماهير والى حياتها اليومية .

هذا الجذر المثلث نجده في الشعر الفلسطيني داخل الارض المحتلة وخارجها . لكن طبيعة الواقع ، وطبيعة المهمات المباشرة ، جعلت للشعر في الارض المحتلة طابعا يختلف عن الشعر في المنفى . وهذا الاختلاف ليس جذريا الى الحد الذي يعتقده المراقب من بعيد . انه اختلاف في المهمات دون ان يكون اختلافا في الجذور . لكن هذا الاختلاف يعطي للشعر الفلسطيني مذاقين مختلفين ، ويدفع الباحث الى التفتيش عن واقعين مختلفين وان كانا واقعا واحدا في آخر التحليل . من هنا فاننا في قراءتنا للشعر الفلسطيني فاننا سوف نميز بين شعر الارض المحتلة وشعر المنفى . وهذا التمييز ذو طابع منهجي في الاساس، يسهل مهمة القارىء والباحث على حد سواء .

١ ـ المحاور الرئيسية لشعر الارض المحتلة :

في الارض المحتلة ، يعود الشعر الى الواجهة . اللغة هنا تعود لتلعب الدور الذي لعبته مع مطالع عصر النهضة . اللغة هي تأكيد الذات القومية . والشعر هو تأكيد للهوية العربية ، وسط عالم المستوطنين الصهاينة ، ووسط مصادرة الارض ومصادرة الثقافة. من هنا يجب أن لا نعجب من كثرة شعراء الارض المحتلة ، او من الدور القتالي المباشر الذي يلعبه الشعر هناك . فالعروبة مهددة في اسرائيل ، والقمع يأخذ لنفسه جميع الاشكال الممكنة ، من هنا كان للشعر ـ بوصفه التعبير الادبي الاكثر مباشرة والاكثر التصاقا بالتراث ـ أن يقوم بدور سياسي وثقافي مباشر . أن يحمل القضية بين الكلمات ويجعلها تدخل كل بيت وتتغلغل عميقا في النفوس . من هنا ينبع الطابع الجماهيري والخطابي والتراثي للشعر في الارض المحتلة .

أ ـ **الرفض الرومانسي** : كانت طلائع الشعر في الارض المحتلـة ، تدور في الحلقـة الرومانسية ، الذهول من الفجيعة التي انفجرت ، محاولة العودة الى الذات . ولعل حنا ابو حنا وراشد حسين ، يمثلان هذه المرحلة تمثيلا صادقا . فالشعر في مراحله الاولى ، يخضع مباشرة للتأثير الشعري الآتي من الارض العربية في الخارج . والشاعر يحاول أن يتمثل الفجيعة ، وأن يداوي جراح الهزيمة مفتشا لنفسه عن مبررات البقاء ، كي يستطيع احتمال هذا البقاء ، ناظرا الى واقع شعبه . الشعر هنـا يصير مركزا للخلاص الفردي ، ثم تتم وعلى دفعات عملية الانتقال الى البحث عن خلاص جماعي . راشد حسين في ديوانه الاول : **مع الفجر**(٢) ، يتراوح بين الموقفين . فهو في غزلياته ،

يستعير اللهجة النزارية ، ويبحث عبرها عن خلاصه الفردي في الحب الرومانسي ــ الاباحي .

« تكابرين والخضوع ظاهر في نظرتك
دعوة الاغراء صوت أخرس في بسمتك
فانثني مطفئا شفاهك المحترقة
ململما أشلاء كبريائك الممزقة
سوى بقية نجت بها زوايا شفتك »

الظاهرة نفسها نلاحظها في قصائد محمود درويش المبكرة . الجنس كل شيء ، الحب هو علاقة جنسية مباشرة ، تختلط فيها التعابير المباشرة ، واللحظة المراهقة . غير ان هذه الاطر الاولى في شعر الارض المحتلة ، لا تلبث ان تتحطم بسرعة . فراشد حسين يستلهم ابي شبكة في وصفه لحياة الفلاحين . وينقل محور اهتمامه الى الوطن ، والى احزان الناس أمام الهزيمة. وان بدت لهجته في مجموعته الشعرية الثانية **صواريخ**(٣)،لا تزال ضمن الاطار الرومانسي الفاجع ، فانها رومانسية تبحث لنفسها عن ارض عميقة في عيون الفلسطينيين . فهو يلتقط توجهه الوطني في مجموعته الاولى ويعيد تطويره باتجاه تصوير أكثر واقعية ، ضمن حدود الموقف الرومانسي الذي ارتضاه لنفسه :

« وترى نجوم الليل مثل معسكرات اللاجئين
وكهيئة الغوث الحزينة يخطر القمر الحزين
بحمولة من جبنة صفراء او بعض الطحين
هذي هديته ، هديتها لقومي البائسين »

وراشد حسين ، يحاول ان يجد الارتباط المباشر بين الارض والشجر من جهة ، وبين حركة الرفض التي يحاول التعبير عنها . وهو رغم فجاجة رموزه ، يستطيع ان ينقل لنا ، التوق الى ربط الفعل النضالي بالارض . ففي قصيدته الجلاد التي أهداها (الى الذين يبيعون شعبهم ليشتروا لذتهم) يحول الدوالي الى مشنقة تقوم مقام الحبال . فالدوالي لها هي أيضا ثأرها من الخونة :

« اشنقوه ، لستم من أمتي ان أبيتم أن تدلوا عنقه
واذا لم تجدوا حبلا له فليكن عرق الدوالي مشنقه »

وينتقل حنا ابو حنا بسرعة من الاحلام الرومانسية المباشرة، الى الدعوة الى وعي الذات . وديوانه **نداء الجراح**(٤) (وهو الديوان الوحيد الذي نعرفه لهذا الشاعر) يرينا ان هذا الانتقال ، يبقى في حدود أطر راشد حسين :

« الى متى .. الى متى
هذا الظلام الظالم
الى متى .. الى متى
ماساتنا يا عالم »

غير ان الشاعر يستطيع ان ينتقل مباشرة من الوقوف على شواطىء المأساة ، الى الالتحام بمشاكل شعبه ، في دعوة تحريضية ، تحافظ على المذاق الرومانسي الذي يطبع هذه المرحلة :

« شعب انا .. ان يحبسوا فردا فكل الشعب ثائر
واذ يصفد شاعر هتف النشيد بكل شاعر
شعب يمد حشوده جسرا على نهر المجازر
ويعانق الفجر الملوح بالضياء وبالبشائر ! »

مرحلة الرفض الرومانسي ، هي في المقابل ، مرحلة للبحث عن الذات . ولعل الرفض يأتي من خلال اكتشاف هذه الذات . جدلية الارض ــ العدو، تحيل الشاعر الفلسطيني، من مجرد مغن على الجراح الى ضوء يكشف مواقع الشعب الذي تدميه هذه الجراح وتسحقه . العصب الرئيسي لهذه المرحلة هو الهوية . من نحن ؟ وما هي علاقتنا بالارض التي عليها نعيش ؟ الانتقال جرى سريعا من رومانسية الهروب ، الى رومانسية المواجهة . ولعل محمود درويش استطاع في قصيدته **بطاقة هوية**(٥) ان يعيد الاشياء الى احجامها الحقيقية . نحن شعب مسحوق . نتشبث بالارض . ونتمسك بقيمنا العربية . منفتحين على مستقبل الانسانية . نقطة التشديد هي في الهوية العربية التي حولها سوف يتمحور كل الشعر المقاوم . ومن خلالها سوف نفهم لماذا هذا التساهل في تحليل هزيمة حزيران ، وهي التي ستفسر لنا الطبيعة السهلة للاجابات عن اسئلة مصيرية كسؤالنا حول مستقبل المعركة مع اسرائيل وآفاق هذه المعركة .

« سجل انا عربي » يقول محمود درويش . وحول هذه الكلمة يتمحور كل الحقد ، كل الحب ، ويصير التاريخ جزءا من المستقبل . يتحد الماضي والحاضر في لا وعي عرب الارض المحتلة وتبدأ الرحلة من رومانسية الجراح الى واقعية الاحتجاج .

على المستوى التشكيلي ، فان قصائد هذه المرحلة تتراوح بين الشعر العمودي الكلاسيكي (وحدة البيت او الرباعيات) وبين الشكل الشعري الحديث وحدة التفعيلة في القصيدة ، مع وحدة المضمون الشعري فيها . الذي يمكن ملاحظته هنا ، هو أن هذا الشعر ، هو انعكاس مباشر للمدارس الشعرية في الوطن العربي . فالرومانسية وبداية التحرك نحو الواقعية ، وظاهرة شعر نزار قباني ، كانت هي محرك المرحلة في الخمسينات . اما التشكيل الفني ــ اعتماد شكل القصيدة الحديثة فانها هنا ، لا تأتي نتيجة معاناة تشكيلية . انها شكل ، مجرد شكل . والشكل لا يهم المهم هو المضمون . هو البحث عن مضمون جديد ، يستطيع ان يحمل هموم ومشاكل المرحلة التي كان يعيشها عرب الارض المحتلة .

ب ــ الاحتجاج الواقعي :

« وكانت جريمتنا اننا
بقينا هنا ..
على ارضنا .
فغصوا بنا
وكادوا لنا
فدقوا الاسافين في روحنا
وبالغدر قد لغموا دربنا »(٦).

عندما يريد حنا أبو حنا ان يروي « حكاية قرية » فانه بالحقيقة يروي قصة الصمود في الارض المحتلة ، ولو كان الصمود الذي ينشده صوتا ساكنا ، لكنه مترقب ، انه صمود « الكف التي تقاوم مخرزا » وهو بقاء في الارض . غير أن محمود درويش يحول هذا الصمود من طابعه السلبي ، الى الفعل الايجابي فوالده « يسترجع المناقبا » « يصنع الاطفال والتراب والكواكبا » . ويحدد دور الشاعر فالشاعر هو مثل لوركا « زلزال واعصار مياه » وهو يحقق قفزة الانتقال من الرومانسية الى الواقعية المقاومة عبر اغتياله « لقمر الشتا » . فالقمر صديق الشعراء يموت بين يدي الشاعر ، كي يبدأ الشعر صفحة جديدة :

« واقول للشعراء : يا شعراء امتنا
انا قاتل القمر الذي كنتم عبيده »(٧).

وقتل القمر الرومانسي ، يسبقه عند الشاعر تحديد للشعر . فالشعر هو الشعر المقاتل البسيط الذي ينتقل من بيت الى بيت :

« قصائدنا بلا لون
بلا طعم .. بلا صوت !
اذا لم تحمل المصباح من بيت لبيت
وان لم يفهم البسطا معانيها
فاولى ان نذريها
ونخلد نحن للصمت »(٨).

طموح تحويل الشعر الى خبز يومي للناس ، الذي راود مخيلة نزار قباني ، يعود هنا ليحتل مكانه ، لكنه يندرج مع الشعر الفلسطيني في سياق الحياة المناضلة ، الكلمة هنا تأخذ حجمها كسلاح ، تصبح جزءا من جـراح المسحوقين ومن مقاومتهم ، ولا تقف عند حدود الاحلام البرجوازية التي يروج لها شعـر قباني . ودرويش في بحثه عن الفعـل الايجابي يمتد نحـو فلسطين امتداد العاشق . ففلسطين ، لا تعود مجرد وطن « ينفى الانسان في داخله » بل تصبح حبيبة يحاول الشاعر برومانسية جـديدة ان يتغلغل الى احشائهـا ففي قصيدة **عاشق من فلسطين** تصبح فلسطين ــ الامـراة هـي المنفية ، والشاعر يقف أمام كبريائها المسحوقة يحاول تلمس مواقع الجراح ــ فهو « ينسى انهما اثنان » . ثم يحاول الشـاعر ان يستجمـع الماضي والحـاضر في محاولته الاقتراب من حبيبته . فيسترجـع النصر علـى الصليبيين ويعود في قصيـدة **نشيد الرجـال** الـى الحاضر معيدا الثقة به . فهو قد خبر خيول الروم في الماضي ، وها هو عربي «لا يخجل» لاننا « نعرف كيف نبني المصنع العصري والمنزل » . في الوقت الـذي كان فيه محمود درويش يبحث في ماضي شعبه وحاضره ، عن حوافز تشد الناس الى بعضهم وتدفعهم الى الاحتجاج والرفض ، كان سميح القاسم يدعو الناس الى شحـذ أدوات النضال ، الى التخلي عن الافكار غير الواقعية ، والبدء في البحث عن طريق للخلاص .

« احس اننا نموت
لاننا لا نتقن النضال
لاننا نعبد دون كيشوت
لهفي على الرجال »(٩).

هذا التلهف على الرجال لا يأتي بشكل منعزل ، فالقاسم بعدما وضع اصبعه ، علـى سبب الموت ، يتطلع الى مستوى سياسي للعمل الجماهيري . انه الحزب الشيوعي . فالحزب بالنسبة له ، هو المكان الذي تشتد فيه اظفاره «وتقوى على الوجوه المستعارة»، ونقطة التوجه تتمركز في الذوبان في نهر المستقبل العميق . نهر الثورة :

« ابدا على هذا الطريق
شرف السواقي انها ، تفنى فدى النهر العميق
والنهر يجري دافقا ، يجري ويكتسح السدود »(١٠).

الشاعر يحاول ان يستكشف طريقه الى شعبه ، وطريق شعبـه الى البقاء . كشوفه تشد نحو التوجه الجماعي ، توفيق زياد هو الاخر ، يجد لنفسه مكانا في الماضي ، الذي جعله الاحتلال مادة لشحذ الهمم :

« وان كسر الردى ظهري
وضعت مكانه صوانة
من صخر حطين »(١١).

المباشرة هنا ، تحجب ايحاءات درويش في عشقه لفلسطين . فتوفيق زياد ، يسرع نحو الهدف ، لا يترك للموضوعة ان تتشكل وحدها ، فطالما الرأس « موضوع تحت السكين » فان الامكانية الوحيدة المتاحة ، هي في الارتداد الى الماضي وبعثه . الماضي ليس واقعا جامدا ، انه مجال رحب يسمح للشاعر ان يشير الى ما يريد قوله . فحطين تأخذ مدلولا رمزيا محددا هنا . واذا كان الشاعر لا يستطيع ان يقول ما يريده فانه يترك للماضي المجال واسعا ، كي يجعل الناس تفهم وبالتالي تتجاوب ، مع الذي كان يريد قوله . وسالم جبران ، يأخذ الواقع مباشرا ، كما هو . يعرضه كما يعيشه . لا يتدخل مطلقا في رسم لوحته . اللوحة يرسمها المحتل . وهو مجرد انسان يحمل آلة فوتوغرافية ويريد ان يسجل ما يجري ففي قصيدته الى **ج. ب. سارتر** يقول :

« انا ابن فلسطين
اذبح في كل عام
وفي كل يوم
وفي كل ساعة
تعال تامل صفوف البشاعة
واهونها ان دمي يسيل »(١٢).

اذا كان سالم جبران ، يصور دماءه من الخارج ، فانه يريد اعطاء الناس صورة عما يجري في الواقع ، يبتعد عن **واقعه** ، ليصير اقرب اليه . وقصيدته هذه اذا افتقدت الى الحرارة فلانها مشاعر عارية ، عارية من الصور وعارية من الايقاع ، وعريها ، يعطيها قدرة على الايحاء ، رغم انه يدنيها من النثر . فقيمتها الوحيدة انها خرجت من الداخل ، وايحاؤها يأتي من النظر الى الداخل خارجيا » .

يصبح الشعر-هنا وسيلة للوصول الى موضوعتين : ١ ــ تأكيد الذات الجماعية : فالاقلية العربية يوحدها العدو عبر عملية سحقها ، والعدو يستعمل في محاولته جميع الوسائل ، وعلى رأسها التفرقة الطائفية . بهدف تمزيق العرب الى طوائف . من هنا تأخذ موضوعة العودة الى الماضي والتجذر فيه ، والتأكيد على الهوية العربية اسبابها وضرورتها في آن . ٢ ــ محاولة استكشاف الواقع . الواقع جدار سميك ، لا تخرقه سوى انتصارات ومعارك بطولية تجري في الجزائر ، او قتال يقوم في بور سعيد . من هنا كان انشداد عرب الارض المحتلة الى الخارج العربي ، محاولة منهم للثقة بقدراتهم الذاتية . فالهزيمة كانت اكبر من المتوقع ، واذا كانت اجهزة الاعلام العربية قد حولتها الى مادة للمزايدات والشعارات الفارغة . فانها هناك عند عرب الارض المحتلة واقع يومي يجثم على الصدور . واقع لا يغطيه اي شيء . مكشوف وكاشف في آن . هكذا تأخذ عملية الارتداد نحو انتصارات العرب في الخارج مشروعيتها . انها تجعل الفلسطيني يحس بانتمائه الى البحر العربي ، ويخرج من الصدفة التي تحاول اسرائيل أن تحشره فيها . ان هذه الرؤية ، ان حاولت ان تأخذ لنفسها مضمونا متقدما ، مضمونا احتجاجيا ، فانها تبقى على المستوى الفني خطابية ومباشرة . الشعر عالم من الخطابة . والشاعر هو المحرض الرئيسي . والزعيم السياسي . الشعر الفلسطيني يتبنى التفعيلة الواحدة ، لكنه يشحنها بنبرة خطابية مباشرة . الشعر ليس للقراءة ولا للتأمل . انه للتحريض فعله سياسي في الاساس . غير أن غرق الشعر في السياسة ، وان كان يمنعه من البحث التشكيلي ، فانه لا يمنعه من اكتشاف المضامين الانسانية ، فالتراث يصبح جزءا من المستقبل يصبح « تقدميا » بهذا المعنى اذا شئنا والرموز الرومانسية يجري تهشيمها . والشعر يكتشف لنفسه فاعليته المباشرة واثره السياسي والحضاري .

ج ـ الواقعية المقاومة :

اذا كان محمود درويش قد قتل القمر . فانه قتل فيه الرمز الى الرومانسية البلهاء . اما الان فالقمر يصبح جزءا من الطبيعة التي تمتزج بالانسان وباشيائه اليومية . فدرويش لم يقتل القمر ، لقد قتل موقع الرؤية اليه . اما ابناء المخيم فالقمر بالنسبة لهم شيء اخر يختلف عن قمر « الشعراء » :

« عندما تفرغ اكياس الطحين
يصبح البدر رغيفا في عيوني »(١٣).

ومن موقع الرؤية الجديدة هذه ، يصبح للاشياء ايقاعها المختلف وكفر قاسم تصبح الرمز الجديد الذي اليه تشد الابصار ، فالخريف يصبح « جنازة برتقال » وانصاب القبور تصبح ايادي تشهد على علاقة الانسان بوطنه وبأرضه ، والاموات ينهضون من قبورهم ليعيشوا في الذاكرة ، وليدفعوا الناس دفعا الى المقاومة والنضال . عندها يخرج الصوت الجماعي داعيا الى المقاومة :

« انني مندوب جرح لا يساوم
علمتني ضربة الجلاد ان امشي على جرحي
وامشي ثم امشي واقاوم »(١٤).

والشاعر ينتقل من التحريض على المقاومة والقتال الى مستوى اخر . فاذا كانت هزيمة حزيران قد جعلت فدوى طوقان تريد الخروج من رومانسيتها ، وجعلت عالمها الوهمي يتحطم فجأة ، فان عرب الارض المحتلة ، لهم صوتهم الخاص .

« لم نكن قبل حزيران كأفراخ الحمام
ولذا لم يتفتت حبنا بين السلاسل
نحن يا اختاه من عشرين عام
نحن لا نكتب اشعارا
ولكنا نقاتل »(١٥).

لكن هذا الصوت ، سرعان ما يذوب ، ليتحد بالصوت الفلسطيني في المنفى . اسرائيل وحدت فلسطين ولو في سبيل سحقها . كما تعبر **سداسية الايام الستة** لاميل حبيبي . هذه الوحدة ، جعلت درويش يمتد نحو الجسر ، ناسجا قصيدة حول قصة يومية . غطرسة جنود الاحتلال وهمجيتهم امام شيخ وطفلته . والشيخ يصرخ « لا تقتلوها ... واقتلوني » في هذا الصراخ تتوحد الحنجرة الفلسطينية ، فالسيف الذي كان مسلطا على رؤوس الاقلية العربية ، أصبح عاما وصارت جراحه اكثر لهيبا . والدعوة الى المقاومة تأخذ في هذا المجال كل زخمها وحيويتها وامتداداتها .

يحاول سميح القاسم في الخط البياني نفسه ان يجدد مبررات شعبه للمقاومة ، فقصيدته **خطاب في سقوط البطالة** ، تحاول تصوير دافع الناس الى المقاومة . انه العلاقة الخفية مع الوطن ، الانشداد اليه والغرق فيه :

« ربما افقد ما شئت معاشي
ربما اعرض للبيع ثيابي وفراشي
... ربما اخمد .. عريانا .. وجائع
يا عدو الشمس لكن لن اساوم
والى اخر نبض في عروقي ساقاوم »(١٦).

الاصرار على المقاومة ، من واقع التعلق بأرض الوطن ، يقابله في الوقت نفسه امل في المستقبل الآتي واستحضار للبطولات الثورية . بطولة **ليلى العدنية واطفال رفح** .

فالمقاومة ، رفض الواقع . لا تتأرجح امام افق مسدود ، انها ممتدة الى المستقبل امتدادا لا نهائيا :

« والى ان يبعث النهر
وتشدو في اغاني الحمائم
املأ الدنيا هتافا لا يساوم
كفر قاسم .. كفر قاسم .. كفر قاسم
دمك المهدور ما زال ..
وما زلنا نقاوم »(١٧).

هذا الافق يأخذ امتداده من نهر البطولات الصغيرة ، التي يقوم بها الناس ، كل لحظة وكل ساعة ، والقاسم يروي لنا حكاية ليلى العدنية ، كيف ماتت وهي تقاوم الانكليز ، وحكايا اطفال رفح الذين عبر مقاومتهم الصغيرة والبطولية يبعثون الشمس المقتولة على « سنجة فاتح » . الشعر الفلسطيني ، يبقى متمحورا حول الناس . حول ارادتهم . وتوفيق زياد يعرف جيدا مواطن الجراح ، ويعرف كيف يرش الملح صارخا :

« هنا على صدوركم باقون كالجدار
ننظف الصحون في الحانات
ونملأ الكؤوس للسادات
... نجوع ، نعرى نتحدى
ننشد الاشعار »(١٨).

هذا الاصرار على البقاء يجد في المقابل امتداده الانساني ، انه ليس بقاء يائسا ، يتحدى وفي عينيه يلمع الامل خاطفا . انه وهو يتحدى الاحتلال الصهيوني يمد يده الى اليهود التقدميين ، داعيا اياهم الى بناء عهد جديد من الالفة والمحبة . انها مقاومة مدفوعة الى الجدار دفعا وفي عينيها يختلط الحب والحقد ، الموت والحياة . واذا كان زياد في بحثه عن المستقبل يسقط في النثرية في كثير من الاحيان ــ خاصة في مجموعته **شيوعيون** . فان الشعر ، يلمع بين سطوره من حين الى اخر بهيا ونقيا . فهو يشرب الكأس المر الى الثمالة ، ويذهب الى التراث الشعبي ، باحثا فيه عن مادة للبقاء . مستلهما اياه املا جديدا في الصمود ودروسا في المقاومة .

يأخذ الكثيرون ، على هذا الشعر ، كونه يجري ضمن الواقع السائد ، واقع وجود دولة اسرائيل . انه لا يتحدى هذا الوجود ويدعو الى ازالته . والواقع اننا نميز في دراستنا بين مستويين : **المستوى السياسي** المباشر حيث لا نجد هنا مجالا لمناقشة خط الحزب الشيوعي الاسرائيلي لان هذا يخرج عن دائرة بحثنا . **والمستوى الفني** حيث هذا الشعر ممتلىء حتى النخاع بالعروبة . حتى انه في كثير من الاحيان يتبنى ــ ولو عن غير وعي ــ الايديولوجيات السائدة في الوطن العربي كي يؤكد على انتمائه القومي . والذي يجب ان يبقى ماثلا امامنا هو أن هذا الشعر يعبر بصدق عن عرب الارض المحتلة بعد ١٩٤٨ . عن اقلية قومية مسحوقة . عن واقع مذعور ومذهول . من هنا فان مجرد عدم وقوعه ضحية للصهيونية هو بحد ذاته مستوى قتالي رفيع . فكيف اذا كان هذا الشعر يتمحور حول المقاومة ولو السلبية .

الشعر في الارض المحتلة ، حين يحمل السيف مقاوما ، فانه يحاول الخروج من الذات الى الآخر ، متغلغلا فيه حتى اقصى الحدود ، عبر طرحه لقضايا تتجاوز التراث ، تخرج من الماضي باتجاه الواقع المتحرك والمستقبل . كفرقاسم تصير جزءا من دماء الانسان التي تجري في عروقه وهي تدعو الاحرار الى المقاومة بأنصاب موتاها المرتفعة . والشعر في بحثه عن المقاومة يتأرجح بين حدين لسكين واحدة . فالعزلة والانفتاح ،

الواقع والمستقبل ، يصبحان وحدة عضوية تحز على راس الشعب الفلسطيني . هذه الوحدة تنفتح على بوابة الرجـاء عبر استشرافها للافق الانساني ، لقضية الانسان : الاشتراكية .

الذي نصطلح هنا على تسميته بالواقعية المقاومة، يندرج ضمن الرومانسية الاشتراكية، حيث تأخذ الهموم الملتقطة من الحياة اليومية حجمها الكبير . وحيث المباشرة التي عودنا عليها عبد الوهاب البياتي . اللهجة الخطابية المباشرة هي السائدة . لا يزال الشاعر يحمل هما تحريضيا . الانفصال عن النـاس ، والغرق في البحث التشكيلي يصبح ترفا لا تسمح به ظروف المعركة . الحقيقة ، قد يكون لعدم الجنوح نحـو تشكيلية جديدة اسباب أخرى تتعدى هموم المعركة اليومية . والسبب الرئيسي في رأينا هو أن المقاومة — على المستوى السياسي والثقافي والحضاري — بقيت ضمن حدود تسمح للايديولوجية العربية باستيعابها ولو بشكل جزئي . من هنا فان علينا ان نبحث عـن اسباب هذه الخطابية العامة — التي لا تنطلق من الحدث البسيط كما عند ناظم حكمت — لتحيله الى واقع متفجر ، بل تبقى في العموميات الشاملة — في بنية المجتمع الفلسطيني في الارض المحتلة وفي طبيعة نضاله .

جـ — هزيمة حزيران :

اذا كان محمود درويش لم يتفتت حبه قبل حزيران ، فان هذا لا يعني ان الشعر في الارض المحتلة استطاع التعلم من الهزيمة . فعندما نقرأ كلمات توفيق زياد عن العدوان، فاننا نصاب بالتعجب :

« كبوة هذي وكم
يحدث أن يكبو الهمام
انها للخلف كانت خطوة
من اجل عشر للامام[١٩] »

فهل صحيح ان هزيمة شاملة ، لا نزال الى الان نعيش مرحلة تلقي صدمات نتائجها ، تختصر بانها مجرد « كبوة للهمام » واننا سنمشي بعدها عشر خطوات للامام ؟

واذا كانت اسباب هزيمة ٤٨ تختلط عند القاسم بأسباب هزيمة ٦٧ ، فان هذا لا يبرر التعابير العامة والغامضة ، والتي لا هدف لها ، سوى اثارة المشاعر عندما يقول :

« لو كان .. يا ما كان
ما صار .. يا ما صار
فافسحوا لي الدرب
اني قادم من خلل الدخان
من خلل الدموع والامطار
آت انا
احمل في حقيبتي خريطة
للشمس والبركان »[٢٠]

وعندما يسقط القاسم الاقنعة ، فانه ينسى ان وراء الاقنعة اقنعة اخرى يجب اسقاطها، لكنه عوضا عن ان يحاول الدخول في عالم معقد ومركب ، فانه يكتفي بالخطابية المباشرة التي قد تفسر على انها تريد « شحذ الهمم » لكن يفوت شاحذي الهمـم أن الحقيقة والحقيقة وحدها هي المطهر الثوري الحقيقي .

ان هذا لا يعني ان شعر الارض المحتلـة ، لـم يحاول ان يقدم نماذج واقعيـة ناقدة للواقع العربي . « فتعاويذ القاسم المضادة للطائرات » تكشف جانبا وان كان جزئيا من

التضمية وثورته على الخطابية ، تحاول هي الاخرى ان تلقي ضوءا خافتا لكنه يصل الى هدفه . واذا كان محمود درويش ، في محاولته ، تجاوز تجربة شعر الارض المحتلة شكلا ومضمونا عبر مجموعتيه **العصافير تموت في الجليل و أحبك ولا أحبك** ، قد استطاع أن يلهب بعض الجراح فالتراث — معارك حطين — التي لعبت دورا تقدميا في الارض المحتلة ، تباع هنا في سوق الشعارات :

« نعرف القصة من اولها
وصلاح الدين في سوق الشعارات
وخالد
بيع في النادي المسائي
بخلخال امراة »

واذا كانت اللغة تكون محورا حولها تتشكل الشخصية القومية في داخل الارض المحتلة، فهذا لا يمنعها من ان تكون في الخارج جزءا من « حالة الاحتضار الطويلة » .

عندما يحاول شعر الارض المحتلة أن يتصدى لظاهرات تتجاوز مهمات النضال المباشرة، لظاهرات مخفية ، اي عندما يحاول اكتشاف العلاقات خلف العلاقات الظاهرة والمرئية، فانه يتساقط عند عتبة الدخول . يبقى في الخارج محرضا ومقاوما . لكنه لا يستطيع الدخول . قد يبدو الجواب على وجهة نظرنا جاهزا . فشعر الارض المحتلة امامه مهمات مباشرة . انه مرتبط بحياة ربع مليون عربي . أخذ على عاتقه تحريضهم ضد الاحتلال ولا يستطيع ان يذهب بعيدا للبحث عن العلاقات الخفية . جوابنا ان هذا الادعاء نصفه صحيح ونصفه الآخر كاذب . انه ادعاء ماكر . فشعراء الارض المحتلة يعرفون جيدا مبلغ شهرتهم في جميع انحاء الوطن العربي . ويعرفون أن أثرهم التحريضي — في فترة صعود المقاومة المسلحة — كان أثرا كاسحا . فمسؤوليتهم اتسعت ولم تبق محصورة ضمن جدران السجن الاسرائيلي . لذا فهم عندما هربوا من الاجابة عن اسئلة حزيران المسننة فانهم شاركوا بشكل واع او لا واع في تبليد الذهنية العربية .

هـ — التراث الشعبي

كثيرا ما يلجأ الشعر الفلسطيني الى التراث الشعبي ، مستنطقا اياه مضامين جديدة . باحثا فيه عن الهوية الفلسطينية، عن شخصية الفلاح المتعلق بأرضه والمتشبث بجذوره. واذا كان درويش يقلل من تضمين شعره الحكايا الشعبية ، فان القاسم يستخدم التراث الشعبي استخدامه لرمز يلتقطه التقاطا ، مستعينا فيه ، على تكثيف رؤيته الشعرية ، وجعلها اكثر نفاذا وعمقا . الشعر الشعبي يشحن القصيدة بشحنة ارتدادية نحو الارض :

« لبنان ما لبنان
هالليل ذيب كبير
وشو بيعمل الانسان
غابة عا طفل صغير »(٢١)

اما توفيق زياد ، فان الاغاني والحكايا الشعبية ، تتحول عنده الى هاجس فني . فهو يغوص بعيدا في التراث ، مستلهما اياه ماضيا وحكايات وامثالا ، تصلح وقودا في المعركة المشتعلة . وبحثه هذا لا ينفصل في رأينا ، عن هاجس البحث عن مادة خام ، تصلح اساسا لشعر شعبي جماهيري ، يستطيع ان يغرس نفسه في ضمائر الناس. زياد ينتقي امثاله ، ويستخدمها استخداما حديثا . فهو حين يتحدث عن الاحتلال الاسرائيلي يسترجع مثلا شعبيا :

« عن جدنا الاول
قد جاء في الامثال
واوي
بلـــع
منجل !! »(٢٢)

ليدلل على عبثية استمرار الاحتلال الاسرائيلي . وهو حين يريد شحذ همم المقاومة للاحتلال فانه يعود الى قصة سرحان الذي تعلم من خلال القمع المباشر ضرورة محاربة المحتلين ، فيذهب الى ماسورة البترول وينسفها . وزياد يستعيد القرية الفلسطينية في شعره الشعبي ، هي حاضرة دائما . مليئة بالامل وبالعطاء :

« بالهنا كل الهنا   يا هنية
لا تخلوه بلا   بندقية .
شيعوا لبني عمومته يجينوا بالطبول وبالزمور
خبروهم انه ان جاء ثانية ابع ثوري الاخير
بالهنا يا امه ، زني الى احضانه احلى صبية
بالهنا يا امه ، بيعي ثيابك واشتري له بندقية »(٢٣)

البحث عن التراث الشعبي عند زياد ، يدور في حلقة القرية الفلسطينية ، في لغتها وقيمها و « رمضانها » الذي يتحول من مجرد عيد ديني الى اكتشاف الحس الشعبي البسيط . ان ارادة الشعب هي التي تستطيع كل شيء . انها أقوى من « مصباح علاء الدين » السحري . ان هذا الجانب من الادب الفلسطيني بحاجة الى دراسة مفصلة . انه مؤشر ، يستطيع في ظروف المعركة الوطنية ان يلعب دورا حاسما ، في المخيمات ، او في القرى الفلسطينية المحتلة . واذا كان لزياد الفضل في اكتشاف هذا الجانب الهام ، فانه يبقى أمام المبدعين الكثير من العمل في سبيل ايصال هذا الشعر ، الى القدرة على التعبير المباشر عن ظروف معركة معقدة .

و ــ **التكون حول الارض** . اذا كان للشعر الفلسطيني من صوت خاص ، لم نسمعه في شعرنا العربي المعاصر ، فان الارض تشكل محور هذا الصوت الخاص . فمع المحاولات الاولى حاول راشد حسين ان يصل الارض بالواقع ، والقاسم حين يتحاور مع رجل يكرهه ، فانه يكتشف الارض جزءا من جسده :

« ــ ماذا في صدرك
× صورة جرح
ــ في وجهك لون البغض
× في وجهي لون الارض »(٢٤)

وهو يتشبث بوطنه ، بأرضه ، ويسمي الذين يهجرون بأنهم يموتون . الارض ، الوطن ، الشجر ، معادلة متشابكة . لكن هذا التشابك لا يأخذ مداه الكامل الا في شعر محمود درويش فهو في **عاشق من فلسطين** يكتشف ان « الذي ما له وطن / ما له في الثرى ضريح » . غير أن هذه الرؤيا العاطفية ، لا تلبث ان تتخذ لنفسها أشكالا جديدة ، اكثر شفافية وأكثر قدرة على الايحاء :

« عن الورد ادافع   شوقا الى شفتيك
وعن تراب الشوارع   خوفا على قدميك
وعن دفاعي ادافع »(٢٥)

وتتطور العلاقة بالارض ، لتأخذ شكل الحلول الصوفي : « نحن في لحم بلادي هي فينا »

ثم تتوهج هذه العلاقة وتأخذ مداليل رمزية باللغة الشفافية ، لا سيما في مجموعة **العصافير تموت في الجليل** فعبد اللـه يخـرج من قبره ، يدخل نافذة الشاعر ويجمعه بالانبياء ، وعبداللـه يعود فيمتد في الارض باحثـا عن ليلـى متوحدا بالظهيرة والظل والسمرة . عبدالله ، الميت ، الممتد بالارض ، يخرج من الارض ، ليفاجئنا بشرطة الوالي التي تنتشر في كل مكان ، انه جزء لا يتجزأ من الارض . وعندما يغني الشاعر على قيثارة اليونان ، فان سجنه لا يمنعه من الالتحام بعشب الحديقة :

« ثلثي قابع في السجن
والثلثان في عشب الحديقة »

وهو حين يتمثل بـلاده يعيد تركيب فصول الطبيعـة حيث تصير « العصافير زرقـاء » « والارض عيد » وهو لا يبحث سوى عن « اسباب موت جـديد » الخروج من الارض والدخول اليها مجددا من بوابة الموت . محاورة الارض . والتكون فيها . والحبيبة عند درويش لم تعد امرأة . الارض تأخذ جميع ملامح المرأة ، ويتداخل الاثنان في جدلية ابدية تغذيها ، جميع اصناف القمع والاضطهاد ، وتحرسها الجذور المقتلعة من تراب الوطن. ان لغة الايحاء الدرويشية ، تطغي على كل شيء ، عند التكوّن حول الارض . فشعر الارض المحتلة ، يأخذ تشكيله الخاص ، ويكتشف مساهمته الخاصة ، فاذا كان الشعر العربي يصير مع البياتي تغلغلا الى دواخل الواقع الاجتمـاعي ، ومع ادونيس حوارا صعبا مع اللغة المتفجرة والاشكال الجديدة ، ومحاولة الوصول الى مضامين شمولية فانه مع محمود درويش يصير تكوما حول رحم الارض . استشرافا لهذا الرحم ، دخولا اليه وولادة منه . والقصيدة تتحول الى ميـلاد للارض في الشاعـر . واذا كان سميح القاسم ينسج علـى الخطابيـة والتحريض ، ويتعامل مـع الارض كموضوع للرؤيـا وللتحريض ، فان محمود درويش يذوب صوته في الارض وينسحق بها .

٢ ــ الشعر الفلسطيني في المنفى

أ ــ في الوقت الذي كانت فيه فدوى طوقان ، لا ترى العالـم ، الا من خـلال الحجاب القسري المفروض على المرأة الشرقية ، محيلة العالم ، الى ميدان واسع تسقط فيهـا اوهامها الشخصية عبر رومانسية خارجية تقف عند حدود العالم ، كان معين بسيسو يحاول من خلال المنفى ، ووسط ابواق الشعارات الخادعة ، ان يجد لنفسه طريقا الى وطنه ، ممتدا في الواقع ، مستعيرا اللهجة الشعرية الواقعية ، ومحاولا ان يرى المأساة بعينين مشدودتين الى الاسلاك الشائكة . الواقع ان بسيسو يحاول تمثل تجربة وطنه بدافع الدخول الى حضرة المأساة ، ومحاولة استنطاقها ومكاشفتهـا . هذا الدخول ، يؤدي بالشاعر عبر مجموعتين **فلسطين في القلب** و **الاشجار تموت واقفة** ، الى الوقوف امام بوابة الوطن ، دون الدخول الى الاعمـاق ، حيث يختلـط الوطن بانهار الـدم والغضب .

فهو يأتي مزودا بكل النوايا المأساوية ، يريد الدخول :

« ادخلني في تجربة القلب
جرعني كاس الصلب
لن اهرب من دربي
لن اهرب من كاس الخل »

وهو يعلم ان « جرح البركان لا يضمده سوى نار البركان » ، لكنه فجأة يجد نفسه عند ما يريد الدخول محاصرا ، ولا يستطيع التحرك :

« ايه يا قافلة السبي

لقد طال السفر
سقط الظل على الظل
وضيعت الاثر »

هذا الضياع ، هو تسجيل صادق ، ليس لعواطف الشاعر ، بل للواقع الفلسطيني ، قبل انطلاق حركة المقاومة . فالضياع شامل ، لا طريق للخلاص ، بحيرة الدم لا تزال راكدة ، يتكوم حولها المهرجون والضباع . والشاعر يقف في الصف الاخر مراقبا ما يجري بعين واقعية . وهو وان كان قد اختار المعسكر الذي سوف ينضم اليه ، فانه لا يستطيع التعبير عن هموم هذا المعسكر ومشاكله . المخيم ، اللاجئون ، تصبح في شعره مجرد رموز للضياع ولا تتحرك في عمق المشاعر ، لا تتوالد في الرؤى والاصوات . وهو في مراقبته يشير الى الكثير من الظواهر السلبية . ولعل قصيدته « القمر ذو الوجوه السبعة » تؤشر ، الى اللحظة التي تسبق الحركة .

« كتبت عن طيورنا المهاجرة
وقلت ليس للرياح ذاكرة
كتبت عن اشجارنا التي تموت
وهي واقفة
هذا الشتاء دقت الاجراس
لم تمر عاصفة » ...

وفي حزيران ١٩٦٧ ، مع تباشير الهزيمة ، تكلم اللاجئون بصوت عال . وهذه المرة كانت الرصاصة هي وسيلة المخاطبة .

ب ــ أطفال حزيران :

قبل الحديث عن الشعر الذي نبت على ضفاف الهزيمة ، فان التوقف عند الواقع الذي يستنطقه هذا الشعر يدفعنا الى ابداء ملاحظتين : ١ ــ **المخيم** هو نقطة الارتكاز في واقع الحياة الفلسطينية اليومية في المنفى . هذا المخيم الذي يجسد يوميا النفي والاقتلاع والحرمان والجوع الى الحرية هو الواقع الذي عليه نرتكز في رصد علاقة الشعر بالواقع . ٢ ــ طابع **الاقتلاع** الذي عاشه طويلا المثقف الفلسطيني وجد في المقاومة ، اطارا خصبا يستطيع استيعاب مطامحه وارادته الثورية التي ظلت الى مدى طويل خاضعة للكبت والقمع والاضطهاد والتطويق .

لقد خلفت هزيمة حزيران وراءها ، عمقا مأساويا متداخلا بفرح طفولي صحب ولادة المقاومة الفلسطينية، ونستطيع ان نرصد اتجاهين لاستلهام المرحلة الجديدة: ١ ــ يتمثل الاتجاه الاول ، بثلاث مميزات : انه **اولا** رفض للواقع بكل قيمه . هذا الرفض يراوح بين روح ثورية قتالية ، تمثل الفلسطيني ، الذي يعيش على هامش المجتمع العربي ، والذي يريد ، بل اصبح الان من حقه ، ان يرفع صوته كاشفا كل الزيف الذي يغلف حياتنا العربية . فعز الدين المناصرة ، يرفع صوته مع بريفير ، ليصيغ في قصيدته « ابي وابوك وابوه » وثيقة اتهامية تحاول ان تطال جميع المؤسسات التي بقيت طويلا متحكمة برقاب شعبه .

« ابانا الذي في جهنم
نعود .. انتظرنا طويلا . تعلمنا الموت .
فوق دروب الشقاء
ابونا الذي في بقاع الحجاز
يغمغم في الغاز ، يفرغ نسلا ذبيحا
يطوف فوق المسامير في كربلاء »(٣٠).

وهو حين يعود يستعير صوت امرىء القيس ، فانه يقف من عـلى شرفات الهزيمة ، ليدين الواقع .

« لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى تقال على مسامعه الخطب »[٣١].

ثم يعود الى واقعه ، « فاللوم يقع على الفلسطيني في كل حال » . وهو حين يصور هذا الواقع ، فانه يريد ان يقول لنا ، ان القضية تتمركز في **المنفى** ، الفلسطيني منفي وغريب في الوسط العربي ، الايديولوجية السائدة تتاجر بجراحه ، لكنها في الواقع تقوم بقمعه بشكل منظم . فالفلسطيني هو مصدر للقلق عـلى واقـع بدأ يتهاوى . من هنا هـذا الاحساس الحاد بالغربة الذي يتحول عند احمد دحبور الـى ادانـة للواقع من خلال التوق الى معركة شريفة :

« ــ البحر من ورائكم
ــ ماذا وراء البحر
ــ خليفة يسلبنا القوت وغار النصر
ــ البحر من ورائكم
ــ نحن نريد البحر »[٣٢].

لكن هذا الاتجاه ، لا يتوقف عند حدود وضع اليد على الجراح فهو **ثانيا** امتداد غنائي ، نحو ارض الوطن ، فالوطن يصبح الجزء النابض في جسد الانسان . ويتحول الحـوار معه ، الى حوار شفاف ومر الطعم ، فالمناصرة حين يستعير « تميم بن حجر » فانـه يسقط عليه كل الحب ، والاسى الذي يخلفه المنفى والاسر في وجدان الانسان .

« لو انني قمر في الشام مرتحل
لو انني قمر
لو انني حجر في الشام منغرس
لو انني حجر
لو انني قمر ، لو انني حجر ، لو انني جبل
لو انني سفن
لكنني في بلاد الروم منزرع
ابكي على وطن قد خانه الوطن »[٣٣].

والشاعر ، يحاول العودة الى الينابيع التراثية ، ليصب فيها مشاعره ، لكنه لا يتوقف عند هذه الحدود بل ينزل عميقـا الى الاغاني الشعبية ، ناسجـا على منوالها شعرا محرضا ، يلامس جسد الوطن ويتوحد مع جراحه .

احمد دحبور ، يغوص في واقع المخيم ، شعره شهادة حية على واقـع المخيم ، واقـع البؤس والغربة فيه .

« وها انا محاط
بوجهك المؤجل البريء يا مخيم العياط »

وهو من المخيم يتوجه نحو وطنه داعيا ايـاه الى انتظاره ، يحاول احتضان الضفتين . وسط اليباب الذي خلفتـه هزيمة حزيـران . وامتداده نحـو الوطن مطعم بمشاعر رومانسية واضحة المعالم ، فهو الولد الفلسطيني الخـارج من المخيم وفي رأسه يعزف الوطن الحانه الجنائزية .

ان هذا الامتداد الرومانسي ، يجد تعبيره الحقيقي في المقاومة الفلسطينية المسلحة فهو **ثالثا** شعر يدعو الى الالتحام بالمقاومة . فبعد ان كان عز الدين المناصرة يتساءل « هل

تنفع الاشعار » اذا به يزيل كل الحواجز ، ليخاطب عنب الخليل مخاطبة عائلية فللعنب دور في المقاومة فهو لن يثمر : « وان اثمرت كن سما على الاعداء » واحمد دحبور حين يكتشف فتح مع استشهاد جلال كعوش ، فانه يعود مباشرة الى المخيم ، صارخا مع الاغاني الشعبية :

« يا شجرة في الدار حاميها اسد
وتكسرت لغصان من كتر الحسد
بيدي زرعت الزرع والثاني حصد
يا حسرتي »(٣٤).

وعندما يتصدى لرواية حكاية الولد الفلسطيني ، فانه يتساءل « ماذا يخسر الفقراء » ؟ فهم لا يخسرون اكثر من اعاشتهم ومنفاهم . هذا الواقع ، يجعل للشاعر ارضا صلبة ، ارضا «تفوضه عن جهنم » وتسمح له بأن يقول :

« لان الكف سوف تلاطم المخرز
ولن تعجز »

ومحمد القيسي(٣٥) يرى مع المقاومة بداية جديدة . بداية للعشق الذي سوف يسقط المحتل ، حين تتوحد الارض بنسغ البدن ، لان « الفقراء قد احتضنوا قمر الثورة » .
ولعل وليد سيف قد استطاع ان يلخص مرحلة بكاملها في قصيدته « تقاسيم في زمن الفتح »(٣٦) فالتحول النوعي يتأتى من الدخول في تيار الكفاح المسلح ، هذا الدخول يغير مداليل الاشياء يعتصر الزمن ويحيله الى زمن مختلف من حيث النوع فالاشياء تتغير والطبيعة تتحول هي الاخرى الى القتال ، والشاعر حين يغني ، فان حنجرته تبحث عن وطنه ، الذي ينهض من الركام .

« في زمن الفتح
تصبح جارحة كل الاشياء
تصبح طيبة كل الاشياء
فانا اتجول في زمن الكره الحارق
وانا ابدو اروع ما كان العاشق
ارفع قبعتي للشمس
اتنفس ريح الامطار
والقمر الطيب يطلع من خوذة جندي
تصلح آنية للازهار »

ومعين بسيسو(٣٧)، يعود اليه الصمت الجارح فهو يستطيع ان « يتهم الان » ان يختصر قضية شعبه في قصيدته « اشارة مرور » حيث الفلسطيني المسجون في العربة امام الضوء الاحمر ، يولد بنزوح ، يسجن ، يموت ، يدفن تحت دواليب العربة . « والعربة ما زالت في الشارع » . ان نقل القضية الى مستوى الرمز والايحاء يفجر عند بسيسو عالما غنيا بالصور والانفعالات ، فظهره الان الى الحائط . وسمسم الذي يفتح الباب ليس اكثر من خرافة ، لان فتح الباب لن يقوم به سوى المضطهدين الذين بدأوا يعرفون ما هو لون الدم .

خالد ابو خالد ، يحاول نقل القضية الى مستوى اكثر مباشرة ، انه يكتب وسط الحرائق المشتعلة في عمان ممجدا الميليشيا بأغان بسيطة وحارقة ، تريد لنفسها ان تكون جزءا من تراث شعبي تصنعه المقاومة التي تذبح في الاردن . لكنه حين يحاول في تعزيته ، ان ينقل المأساة الى مستوى الاسطورة ، فانه يسقط عند حدود هذه الاسطورة . فاستحضار الاسطورة على أن شهرزاد تنظم خلايا سرية للحزب الطليعي يبدو شديد

الافتعال ، وخارج عملية الابداع بالرمز . ففي شعرنا الحديث استطاع خليل حاوي او ادونيس او السياب ، الانتقال بالاسطورة الى واقع حي ومتجدد دون السقوط في المباشرة . فالمباشرة لا تحتاج برأينا الى الاساطير ، التي تبقى لغة الاسقاط بالرموز على واقع معقد ومتشابك يصعب تحليله .

اذا كان الشعر داخل الارض المحتلة ، يستطيع ان يكون وثيقة مباشرة عن حياة العرب تحت ظلال الاحتلال فان الشعر في المنفى يطمح ان يكون واقعيا الى ابعد الحدود ، لكن واقعيته تبقى اسيرة الرومانسية التي صاحبت بداية العمل الفدائي . وهو لا سيما مع المناصرة حين يريد ان يكون ملفا « اتهاميا » ، فان اتهاميته تمتزج برومانسية تجد تبريرها في المقاومة المسلحة . واذا كان الشعر في المنفى يجد في الاغاني الشعبية متنفسا له وجسرا يربطه بالجماهير ، فانه يبقى على مستوى البنية الشعرية ، في الاطار التشكيلي الذي ترسمه المدرسة الشعرية الحديثة . فهو تماما كشعر الارض المحتلة . يجد مرتكزه في التشبيه ، لا يكتشف الصورة الجامحة التي تولد انهار الانفعالات . يريد لنفسه ان يكون مباشرا ، لصيقا بالحياة اليومية ، لكنه يفشل في التقاطها وينصب في اطارات الحالات الانفعالية الكبرى ، حيث نقطة الارتكاز هي **انفعال الشاعر بالاشياء ،** وليس علاقته بها وفعله من داخلها .

٢ — في مقابل هذا الاتجاه يقف اتجاه اخر يريد لنفسه ولوج الافق الشعري . تحويل القصيدة ، الى عالم مشحون بالصور والانفعالات ، تستطيع التعبير عن واقع مركب وشديد التعقيد . ونحن نستطيع ان نرصد هذا الاتجاه في مجموعتين شعريتين . الاولى لوليد سيف : **وشم على ذراع خضرة** والثانية لمحمود درويش **أحبك او لا أحبك .**

أ — مجموعة وليد سيف الثانية **وشم على ذراع خضرة**(٢٨) مذهلة ، فيها تصبح فلسطين نشيدا خاما ، قروي الملامح ، واللغة تصبح عالما متحركا ، تتحرر من خطابيتها ومباشرتها لتصبح اكثر قربا من اللغة اليومية . لكنها هنا تحمل مداليل رمزية متقدمة ، انها تحاول الدخول الى التشكيل الفني عبر ارتباطها بالجذور وتحويلها لهذه الجذور الى مداليل واقعية . فالاغنية الشعبية تتداخل في شعر وليد سيف مع الرمز ، ويصبح زيد الياسين طالعا من ضمائرنا ، يواجه الحرس الليلي ممتدا الى خضرا القروية . وزيد الياسين يصبح لوركا آخر يسقط بأيد فاشية بدوية مجنونة لكن الكف الممدودة حين تنقبض ، فانها تتفتح عشبا ورصاصا :

« زيد الياسين
ماذا تحمل في عبك
حين تعود الليلة !!
هذا الشقيق الطالع من جنبيك
ينحل العالم
قطرة ضوء في صدر الرجل النائم
(ما زال الرجل الماشي النائم)
تنقبض الكف الممدودة
تسقط في قاع العالم
تتفتح عشبا بريا وصبايا
شعرا ورصاصا وحكايا

حين ينقل وليد سيف معاناته الى مستوى الرمز فانه يفقد صلته الظاهرة بالواقع ، يبحث له عن صلة خفية تدنيه اكثر من واقعه . انه صوت يفقد الجماهيرية التي للشعر المقاوم . صوت يطلع بعد هزيمة ايلول . يطلع من رحم هذه الهزيمة .

٢ ــ أما محمود درويش فانه في مجموعته الاخيرة **احبك او لا أحبك**(٣٩) يدخل مغامـرة تشكيلية جديدة . القصيدة عنده تمتلىء بالمساحات البيضاء ، وحركتها لا تأتي من تعدد الاصوات فيها ، بل من تعـدد المواقف في الصوت الواحـد . يبحث درويش لنفسه في مغامرات الماغوط التشكيلية وصور ادونيس المتفجرة ، عن مكـان تقف فيه آلام شعبه وسط الهزائم التي تتلاحق . وهو وان بقي مخلصا للاطر التي صنعها لنفسه في الارض المحتلة (الارض ــ الغنائية القتالية) فانه هنا يعطي هذه الاطر مضامين جديدة ومداليل عميقة . ففي قصيدته « عائد الى حيفا » المهداة الى الشهيد ابو على اياد . تأخذ معادلة الانسان ــ الارض ، شكلا جديدا وخافقا :

« وما كان لاجيء
هي الارض لاجلة في جراحه
وعاد بها
لا تقولوا : ابانا الذي في السموات
قولوا : اخانا الذي اخذ الارض منا
وعـاد »

الارض تلجأ في جراح الشهيد المقاتل . لم تعد الارض رحما . صار الانسان رحم الارض هو الذي يشحنها بالمداليل والاعماق .

وفي قصيدة « سرحان يشرب القهوة في الكافيتريا » تتداخل الاصوات ، الصورة تحتـل مكان التشبيه والانفجار الانفعالي يوحد الاشياء المتمازجة ينتقل من رصد الواقـع الى نقده ــ عبر نقد اللغة كبناء ــ ومن تحويل الاشيـاء الى اجزاء من الارض ــ « ورائحة البن جغرافيا » الى تكسير الواقـع الجامد ــ « ويأتي الصدى حرسا » لكنه حين يريد ان يلتقط الاشياء من الواقع فانه يبسط الامور « حربك حربان » . لكنه يعود محـاولا اكتشاف طريقه في المنفى ، طريق الدم ولو كان الاختيار فرديا :

« ويكتب سرحان شيئا على كم معطفه ، ثم تهرب ذاكرة من ملف الجريمة .. تهرب . تاخـذ منقار طائر
ونزرع قطرة دم بمرج بن عامر » .

ان التطور الذي نلاحظه من خلال قراءتنا للشعر الفلسطيني المعاصر يطرح علينا سؤالا بالغ التعقيد : ما هي **علاقة الشعر بالثورة** ؟ حول هذا السؤال تبرز المـدارس النقدية المختلفة محاولة عبر اجابتها على هذا السؤال ان تحل المشكلـة الرئيسية في شعرنـا العربي المعاصر . ما هي عـلاقة الشعر بالواقـع ؟ وبالتالي مـا هي حدود عـلاقته بالجماهير ؟

ا ــ يحاول ناجي علوش ان يجيب على هـذا السؤال من خـلال موضوعة « المدرسة الواقعية الثورية في الشعر »(٤٠) فمدرسته هي رومانسية وبسيطة وبلاغية حادة عندما تكون الثورة حركة تحرر وطني في بلـد متخلف . لان هذا الشعر هو الشعر الذي يقبله الجمهور في هذه المرحلة » الواقع ان نـاجي علوش يحاول المشاركـة في خلق تجربة شعرية ، تستطيع ان تكون سلاحا في المعركة . انـه يعطي للشعر دورا واحـدا هو **التحريض السياسي** . كأن العملية الثورية تتوقـف في وعي الجمـاهير ــ حتى الامية منها ــ عند الحدود السياسية . ولا تمتد لتشمل جميع العلاقات السائدة في مجتمع ما . علوش يحاول ان يفصل مدرسة شعرية لا حجم لها ، تبقي الشعر خارج الفعل الثوري، وتحيله الى مجرد شعارات سياسية ــ مرتبطة بالتراث ــ لكنهـا لا تشارك في عملية الوعي النقدية التي تختلج في اي حركة ثورية جذرية . فالتحرر الوطني ، ليس مقولـة

جامدة . انه جزء من حركة تاريخية ، تفتح نفسهـا علـى الافق الاشتراكي ، والا فان مرحلة التحرر الوطني لا يمكن انجازها .

ب ــ في مقابل طرح ناجي علوش ، يحاول الشاعـر ادونيس في كتـابه النقدي **زمن الشعر**(٤١) ان يجيب على هذا السؤال عبر الفصل بشكل انقطاعي بين العمليـة الثورية والعمل الابداعي الشعري ، فصنع الرديف اللغوي للعملية الثورية اين يجري . انه في رأينا يجري وسط العمل الثوري وليس من على ضفافه . الكشوف اللغوية لا تتفتق في عملية البحث عنها خلف الجدران . انها هنـاك في افواه الناس العاديين وهم اذا لـم ينطقوها ، فلأن الشاعر لا يستطيع استنطاقها ، لانه يعيش خارج الجراح . في الواقع ، فان كشوف ادونيس اللغويـة في ديوانه الاخير « **وقت بين الرماد والورد** »(٤٢) تبقى لصيقة بهموم ثقافية وحضارية تحملها الطلائع المثقفة التي لا تجد لنفسها مواقع وسط البحر الجماهيري المليء بالتناقضات .

الشعر ، لا يستطيع ان يكون بديلا للثورة . الشعر جزء متجذر في الواقع ، ولا يمكـن النظر اليه من نوافذ « عبقر » جديدة . فقط نوافذ عيون الاطفـال هي الساحات التي عليها ينبت الشعر ومنها يمتد في الآفـاق . من هنا فحين ترتـد لغة درويش الشعرية لتصبح اكثر صعوبة وليصبح ايقاعها شديد التعقيد ، فلا تجد لنفسها واقعا تستند اليه . فعلينا ان لا نوجه السؤال الى الشاعر فقط ، بل علينا ان نفهم ظروف مرحلة بأسرهـا يبدو فيها فعلنا التاريخي بحاجة الى كبير مراجعة . ان هذا لا يعني ان الشاعر لا يتحمل أية مسؤولية في عملية الابتعاد هذه . فالشاعر الذي تنسحب ارض الواقـع من تحت قدميه ، لا بد له من الدخول في عملية البحث عن جذوره في الارض . والجذور ليست في المستقبل كما يتوهم البعض لان المستقبل هو الحاضر الذي نصنعه نحن بأيدينا . مـن هنا يرتد السؤال الينا ، فقراءتنا للشعر المقاوم ، تدفعنا الى استقراء الواقع الذي نبت عليه هذا الشعر . والاتجاه نحو الصور المعقدة بلغة ايقاعية صعبة يطرح علينا سؤالا جديدا : « الا يستطيع التعبير عن مواقع معقدة ان يقترب من الناس ؟ » الواقع ان من سيجيب على هذا السؤال هو حركة الجماهير الواقعية ، التي لا بد وان تجد لنفسهـا منافذ تقتحمها نحو الالتحام الدائم بالثورة .

وحيث العملية الثورية نفسها وفي وسطها ، في وسط الجماهير المسيسة المناضلة ، يخرج الشعر الى ملامحه الكبرى ليشارك في صناعة انسان العصر الجديد(٤٣) .

---

١ ــ محمود درويش : في مقدمة **من فلسطين ريشتي** لابي سلمى . دار الاداب . بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧١ .

٢ ــ راشد حسين : **مع الفجر** ، مطبعة الحكيم ، الناصرة ١٩٥٧ .

٣ ــ راشد حسين : **صواريخ** ، مطبعة الحكيم ، الناصرة ١٩٥٨ .

٤ ــ حنا ابو حنا : **نداء الجراح** ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ .

٥ ــ محمود درويش : **ديوان محمود درويش** ، دار العودة بيروت . من مجموعة **اوراق الزيتون**

٦ ــ حنا ابو حنا : **المرجع السابق** .

٧ ــ محمود درويش : المرجع السابق . مـن مجموعة **عاشق من فلسطين** .

٨ ــ محمود درويش : المرجع السابق . مـن مجموعة **اوراق الزيتون** .

٩ ــ سميح القاسم : **ديوان سميح القاسم** . دار العودة بيروت . مجموعة **اغاني الدروب** .

١٠ ــ سميح القاسم : المرجع السابق . مـن قصيدة **ارم** .

١١ ــ توفيق زياد : **ديوان توفيـق زياد** . دار العودة بيروت . مجموعة **اشد على اياديكم** .

١٢ ــ سالم جبران : **قصائـد ليست محـددة الاقامة** ــ دار الاداب بيروت ــ تشرين الثاني ١٩٧٠ .

١٣ ــ محمود درويش : المرجع السابق . مجموعة **اخر الليل** .

١٤ ــ محمود درويش : **المرجع السابق** .

١٥ — محمود درويش : المرجع السابق . يوميات جرح فلسطيني .
١٦ — سميح القاسم : المرجع السابق . مجموعة **دمي على كفي** .
١٧ — سميح القاسم : **المرجع السابق** .
١٨ — توفيق زياد : **المرجع السابق** .
١٩ — توفيق زياد : المرجع السابق . مجموعة **اغنيات الثورة والغضب** .
٢٠ — سميح القاسم : المرجع السابق .مجموعة **طلب انتساب للحزب** .
٢١ — سميح القاسم : **الموت الكبير** . دار الاداب بيروت .
٢٢ — توفيق زياد : المرجع السابق . مجموعة **ادفنوا امواتكم وانهضوا** .
٢٣ — توفيق زياد : المرجع السابق . مجموعة **اغنيات الثورة والغضب** .
٢٤ — سميح القاسم : **الديوان** . مجموعة **دمي على كفي** .
٢٥ — محمود درويش : **الديوان** . مجموعة **آخر الليل** .
٢٦ — محمود درويش : **العصافير تموت في الجليل** دار الاداب بيروت ١٩٧٠ .
٢٧ — محمود درويش : **احبك او لا احبك** . دار الاداب ، بيروت ، شباط ١٩٧٢ .
٢٨ — معين بسيسو : **فلسطين في القلب** . دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، كانون الثاني ١٩٦٥ .
٢٩ — معين بسيسو : **الاشجار تموت واقفة** . دار الاداب بيروت . الطبعة الاولى . اذار ١٩٦٦ .
٣٠ — عز الدين المناصرة : **الخروج من البحر الميت** — دار العودة بيروت .
٣١ — **المرجع السابق** .
٣٢ — احمد دحبور : **حكاية الولد الفلسطيني** — دار العودة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧١ .
٣٣ — عز الدين المناصرة : **يا عنب الخليل** — دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ .
٣٤ — احمد دحبور : **المرجع السابق** .
٣٥ — محمد القيسي : **خماسية الموت والحياة** . دار العودة ، بيروت .
٣٦ — وليد سيف : **قصائد في زمن الفتح** — دار الطليعة ، بيروت . الطبعة الاولى ، آب ١٩٦٩ .
٣٧ — معين بسيسو : **القتلى والمقاتلون والسكارى** — دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ — **وكراسة فلسطين** ، دار العودة ، بيروت .
٣٨ — وليد سيف : **وشم على ذراع خضرة** — دار العودة ، بيروت ١٩٧١ .
٣٩ — محمود درويش : **احبك او لا احبك** .
٤٠ — ناجي علوش : « المدرسة الواقعية الثورية في الشعر ، سماتها ومقاييسها النقدية » . في **دراسات عربية** السنة الثامنة ، العدد ١٩٧١/١١/١٠ . وفي مقدمته لمجموعة دحبور **حكاية الولد الفلسطيني** .
٤١ — ادونيس : **زمن الشعر** . دار العودة ، بيروت ١٩٧٢ ، الطبعة الاولى .
٤٢ — ادونيس : **وقت بين الرماد والورد** . منشورات « مواقف » بيروت .
٤٣ — نشير الى اننا في هذه الدراسة ، لم نتطرق الى الشعر العامي الفلسطيني ، بل اقتصرنا على الشعر المبلور في مدارس فنية محددة الملامح . وقد نعود في اعداد قادمة ، الى معالجة هذا الجانب الذي يكتسب اهمية خاصة بالنظر لانتشاره في صفوف المقاتلين الفلسطينيين .

اميلكار كابرال : سقط على أسوار النصر

د. ت.

طالبوا الاعضاء المسؤولين في الحزب بان ينكبوا بجدية على الدراسة ، بان يهتموا بنضالنا وباحداث ومشاكل حياتنا اليومية في جوانبها الاساسية والهامة وليس فقط في جوانبها السطحية ... تعلموا من الحياة ، من الشعب ، من الكتب ، تعلموا من تجارب الاخرين . لا تتوقفوا ابدا عن التعلم(١).

أيلول ١٩٥٦ : اسس اميلكار كابرال مع خمسة من رفاقه ، الحزب الافريقي لاستقلال غينيا والراس الاخضر P.A.I.G.C. في بيساو عاصمة غينيا المسماة بالبرتغالية .

كانون الثاني ١٩٦٣ : بعد سنوات من العمل السياسي الدؤوب لتوعية وتعبئة سكان غينيا في الارياف وبعد القمع الدموي الذي واجهه الحزب في المدن ، أعلن بدء الكفاح المسلح .

كانون الثاني ١٩٧٣ : بعد عشر سنوات من النضال الذي حرر اكثر من ثلثي مساحة غينيا(٢)، سقط اميلكار كابرال في كوناكري برصاص عمـلاء البرتغال وحلف شمـال الاطلسي .

ضحية أخرى من ضحايا **الحرب العالمية** الشرسة بين الامبريالية وشعوب العالم الثالث ؟ شهيد آخر بين ملايين الشهداء الذين قدمتهم وتقدمهم ثورات التحرر ؟

كابرال هذا واكثر : فهو ليس فقط « مناضلا ملتزما بعزم بالكفاح المسلح ، ومنظما قديرا لحرب غوارية جعلت البعض يشبهونه بتشي غيفارا »(٣). فالعديد من الذين عرفوه في هافانا أو روما أو نيويورك أو القاهرة ــ وبعضهم من المقاومة الفلسطينية ــ يقرون بأنه « منظر ثوري يتميز بصلابة ودقة في التحليل . . . ويؤكد دائما على ضرورة توفر نظرية ثوريةوتحليل علمي للتشكيلات الاجتماعيةواخضاع العمل نفسه للظروفالموضوعية»(٤). وان كانت الجماهير هي التي تصنع التاريخ وتحول التطلعات والطموحات الى حقائق من خلال عملها الثوري ، فالنواة القائدة هي التي تستخلص الفكر والخط العام وتعطي المد الجماهيري تأطيرا يحوله الى سيل جارف . وافتقاد الحركة الثورية الى احد هذين الطرفين في العلاقة ــ التبني الجماهيري ، والقيادة القديرة ــ يحكم عليها بالفشل ، أو على الاقل باجهاض العملية الثورية . وكابرال كان يدرك هذا الشرط : « ان توفر طليعة متلاحمة وواعية بالمعاني الحقيقية وباهداف النضال من أجل التحرر الوطني الذي تقوده يبدو لنا أمرا أساسيا »(٥). « ونحن مقتنعون في الوقت نفسه بأن أية ثورة وطنية أو اجتماعية تنقصها معرفة حقيقية لواقع (بلدها) كشرط اساسي لعملها ، معرضة جديا للفشل »(٦).

واذا كانت غينيا (بيساو) اليوم على أبواب النصر بعد أن حرر الشعب معظم الارض باستثناء مدن قليلة ومعسكرات متفرقة يعتصم فيها أكثر من ٣٠،٠٠٠ جندي برتغالي

فقدوا نهائيا زمام المبادرة(٧)، واذا فرضت حركات التحرر في المستعمرات البرتغالية وجودها عالميا فاعترفت بها الامم المتحدة في دورتها الاخيرة كممثلة لشعوبها(٨)، فان جزءا كبيرا من الفضل يعود الى توفر القيادة الطليعية التي يشير لهـا كابرال ، والتي يميزها أحد قادة اليسار الفرنسي عن « معظم القيادات التقليدية التبشيرية والعاطفية في العالم الثالث »(٩).

وقد استطاع كابرال ورفاقه ان يلمسوا بعمق خاصية الوضع في غينيا ، (وفي افريقيا السوداء بشكل أعم) المتميز بتخلف اقتصادي وثقافي وتناقضات قبلية ودينية وسيطرة شبه شاملة للاستعمار أو الاستعمار الجديد على معظم أقطار القارة. ولكن هذا الادراك لنقاط الضعف الداخلية منها والخارجية(١٠)، لم يدفع قادة الحركة الثورية لليأس بل لمزيد من الاصرار والتجذير لبناء حركتهم وأهدافها . فعلى صعيد البناء ، عمل كوادر الحزب لاستقطاب جماهير الريف بطرح مشاكلها الحقيقية وتفادي الاطروحات العامة والاهداف البعيدة « فالناس لا يقاتلون من أجل الافكار ، من أجل القضايا التي في رأس أحدنا . هم يقاتلون من أجل مكاسب ملموسة ، ليعيشوا حياة افضل وفي سلام ، وليروا حياتهم تتطور الى الاحسن »(١١) وهذه الرؤيا لا تعني بالنسبة لكابرال احتقار الجماهير واتخاذ موقف ابوي تجاهها ، وتجريدها من دورها الخلاق بالاستنابة عنها ، فكتابات كابرال كلها تؤكد على ضرورة رفع مستوى الوعي وتنمية حس النقد عندها . فمن تعليمات الحزب الملفتة للانتباه : « **مارسوا الديموقراطية الثوريـة ... اقيموا اجتماعـات متكررة ... لا تخفوا شيئا عن جماهير شعبنا . لا تكذبـوا عليهم ... ولا تدعـوا الانتصارات السهلة** »(١٢).

كما لا تساوي هذه الرؤيا بالنسبة له موقفا تجريبيا ذرائعيا، فكان اهتمامه بتوفر الخلفية النظرية دائما : « ان النقص الايديولوجي في حركات التحرر الوطني، ان لم نقل الغياب الكامل للايديولوجيا ــ الذي يعكس الجهل بالواقع التاريخي الذي تنادي هذه الحركات بتغييره ــ يشكل احدى نقاط الضعف الرئيسية في كفاحنا ضد الامبريالية ، ان لم يكن نقطة الضعف الكبرى »(١٣).

وعلى صعيد الاهداف ، وضع كابرال ورفاقه نصب أعينهم التحـرير الكامل والحقيقي لشعبهم : « فاذا كنا نناضل من أجل طرد البرتغاليين فقط ، فلا داع للنضال . نحـن نناضل لطرد البرتغاليين ، ولكن أيضا لئلا يستغل أحد شعبنا أبيض كان أو أسود »(١٤). وشرح كابرال بشكل مفصل وجهة نظره هذه في خطابه التاريخي في مؤتمر القارات الثلاث عام ١٩٦٦ : « هناك طريقان فقط أمام بلد ينال استقلاله : أما العودة تحت السيطرة الامبريالية (الاستعمار الجديد ، الرأسمالية ، راسمالية الدولة) أو السير في الدرب الاشتراكي . ويتأثر الخيار ــ الذي يقرر مدى مكافأة جهود الشعب وتضحياته في فترة النضال ــ بشكل قوي **بأسلوب النضال وبمستوى الوعي الثوري للقيادة** »(١٥).
ولسنا هنا في معرض تقييم مفصل لعمل كابرال والدور التاريخي الذي لعبـه في حركة التحرر المعاصرة . فالامر يحتاج الى دراسة اوسع . الا ان الكلمات القليلة اعلاه من كابرال وعنه تسمح لنا بأن نقدر الخسارة التي مني بها ثوار افريقيا والعالم الثالث . ولكننا نرجو بأن يكون تقدير باسيل دافيدسون(١٦) حقيقيا حينما قال « ان الحزب قد تعدى المرحلة التنظيمية التي تؤثر فيها خسارة رجل ــ مهما كانت مؤسفة ، كما هو الحال مع كابرال ــ على فعاليته » ، وان يكون هذا العام الذي ستعلن فيه الجمعية الوطنية المنتخبة في الاراضي المحررة استقلال غينيا (بيساو) عام هزائم جديدة للاستعمار البرتغالي وكافة أشكال الاستغلال في القارة السوداء .

الحواشي :

١ — من تعليمات الحزب التي كتبها كابرال في عام ١٩٦٥ عن
Basil Davidson, *Le Monde Diplomatique*, Février 1973.

٢ — Africa South of Sahara, *Europa 1971*, p. 136.

٣ — *Le Monde*, 24/1/1973.

٤ — Manuel Bridier, *Le Monde*, 8/2/1973.

٥ — خطاب كابرال في مؤتمر القارات الثلاث عام ١٩٦٦ من
Portuguese Colonies : Victory or Death, Tricontinental, Cuba 1971, p. 126.

٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٨ .

٧ — المصدر المذكور اعلاه Europa 1971

٨ — *Politique Hebdo*, 14/12/1972, p. 25

٩ — *Le Monde*, 8/2/1973.

١٠ — **المصدر السابق** *Tricontinental*, p. 124

١١ — كابرال في عام ١٩٦٥ عن كتاب
The Liberation of Guiné, Basil Davidson, Penguin, 1969. صفحة ٥٨

١٢ — **المصدر نفسه** ، صفحة ٣٨ .

١٣ — **المصدر نفسه** ، صفحة ٧٤ .

١٤ — من خطاب لكابرال في قوات التحرير عن كتاب
Lutte armée en Afrique, Gerard Chaliand, Maspéro, 1969.

١٥ — **المصدر السابق** ، صفحة ١٢٩
Tricontinental.

١٦ — المصدر رقم (١) أعلاه .

مراجعــات

العسكرية الصهيونية ، المجلد الاول ، المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، النشأة والتطـور (١٨٨٧ ــ ١٩٧٧) ، تقديــم محمد حسنين هيكــل (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة : ١٩٧٢)

ان الكتاب الذي نستعرضه فيما يلي هو الاول من ثلاثة مجلدات تهدف الى دراسة ما تسميه مؤسسة الاهرام « العسكرية الصهيونية » ، وذلك منذ نشأتها وخـلال الخمس والثمانين سنة الماضية (١٨٨٧ ــ ١٩٧٢) ، مع محاولة للتنبؤ (!) للسنوات الخمس المقبلة (حتى ١٩٧٧) . وعلى الرغم من ان هذا العمل ربما كان الاول من نوعه باللغة العربية لدراســة النشاط الصهيوني منذ بدايته حتى اليوم ، « وان البحث استغرق أكثر من خمس سنوات » ، كما جاء في تقديم الكتاب ، وبعد أن « كرس له مركز الدراسات الاستراتيجية في الاهرام جزءا كبيرا من موارده ومواهبه » ، يشعر القارىء بأن مادة الكتاب لا تزال بحاجة الى جهد أكبر لايفائها حقها .

ليس من السهل على المرء متابعــة الاراء التي يوردها الكتاب ، والاستفادة منها عند قراءته او بعدها . فلأول وهلة يظهر ان الكتاب اخرج بصورة حسنة ، اذ أن العديد من صفحاته يحتوي على الكثير من المصادر التي يستند اليها ، كما قسم الى عدة اجزاء وحقب وفترات ، ثم ختم بفهارس مطولة يمكن الرجوع اليها عند الحاجة . لكن ، نظرة أعمق الى الكتاب تظهر وكأنه لم يبذل اي جهد يذكر في تحريره وضبــط مصادره ، فالافكار يتصارع بعضها مع بعض ، والتكرار يتجدد من فصل لآخر ، بحيث لا يعرف القارىء احيانا ماذا يريد الكتاب أن يوحي به ، ولهجة الوعظ والخطابة تغلب عليه في كثير من الاحيان . كذلك لا يتـوقف الكتاب ، من أوله الى آخره ، من تكرار عبارات « الخطر الصهيوني » و« التوســع الاقليمي » و« العسكرية » و« النقاء العنصري » وما شابهها والتحذير منها ، بطريقة لا تليق بكتاب ذي نهج علمي . ويضاف الى هذا كله ، ان الكتاب يحتوي على ما يقارب من ١٣٧ ملحوظة ــ ان لم نكن قد أخطأنا العدد ــ غير واضحة ، اذ كثيرا ما يشير الى مصدر آخر مقتبسا منه، دون ذكر رقم الصفحة التي اقتبس منها ــ ومنها اقتباسات تتعلق بنقاط حساسة للغاية ــ أو يشير الى صحيفة يومية دون ذكر تاريخها ، بحيث يقف القارىء حائرا امام هذه المصادر لعدم تمكنه من الرجوع اليها ، ولا يبقى لديه من حيلة الا القبول بما يقوله الكتاب او عدم القبول به .

اما من ناحية المضمون ، فعلى الرغم مــن ان الكتاب يبحث جاهدا عن روح العسكرية الصهيونية، ويحاول منذ البداية اضفاء صفة « عسكري » على كل نشاط صهيوني في فلسطين ، وحتى خارجها احيانا ، فان القسم الاول من هذا الكتاب (حتى صفحة ١٥٣) ليس الا عرضــا موجزا لتاريخ المستوطنين اليهود في فلسطين منذ بداية استيطانهم البلد حتى اقامة اسرائيل سنة ١٩٤٨ . ولا نريد هنا ان نتطرق الى ما جاء في الكتاب عــن تاريخ المستوطنين اليهود عامة (رغم انه يكاد لا يشير الى منظماتهم السياسية والدور المهم الذي لعبته) ، اذ ان ما يورده لا يخرج عن كونه ترديدا للعموميات الصهيونية حول هذا الموضوع ، لكن لا بد من الاشارة ــ على الرغم من الغرابة في ذلك ــ الى ان الكتاب « يتحيز » لزعيم صهيوني دون آخر ولفئة صهيونية دون اخرى ، ويبدو ان هذا كان نتيجة اقتصار البحث على عدد ضئيل من نوع معين من الكتب والمراجع للاستناد اليها دون غيرها ، من بين عشرات ، وربما مئات المراجع المتوفرة بهذا الصدد . فالكتاب اولا يؤيد وجهة نظر الجناح العمالي في الحركة الصهيونية للتاريخ الصهيوني ،

وهي وجهة النظر التي تشيد كثيرا بانجازاتها والتي على الرغم من اهميتها تنكر على الفئات اليمينية دورها في اقامة الكيان الصهيوني ، ولهذا يكثر الحديث عن انجازات الكيبوتسات والدور الذي لعبته ، وهو حديث في محله ، لكن دون ان يشار الى دور باقي الفئات اليهودية خارج مجال الكيبوتسات . ويظهر ان اعتماد الباحثين ، بصورة واضحة على كتاب اهارون كوهين «اسرائيل والعالم العربي» (الصادر بالانجليزية) كما يظهر من كثرة الاقتباسات التي وردت فيه (دون ذكر الصفحات ، كما أشرنا) كان له أثره . فكوهين ينتمي أساسا الى ما يسمى الجناح اليساري في الحزب اليساري الصهيوني ، مبام ولهذا فانه يعرض تاريخ جناحه من خلال وجهة نظره . يضاف الى هذا كله ان كوهين المذكور هو مستشرق أكثر من كونه مؤرخا للصهيونية ، وكتابه لا يتعدى محاولة لعرض وجهة نظره الشخصية في ان الصراع العربي — الصهيوني والعلاقات العربية — اليهودية عامة ما كانت لتصل الى ما هي عليه لولا سوء الفهم بين الجانبين وتدخل هذه الفئة او تلك من الاستعماريين ، الخ . كذلك لا يبدو ان الرجل شجاعا للغاية في دفاعه عن وجهة نظره ، فنرى مثلا ان الطبعة العبرية من كتابه المذكور تحتوي على نحو ٥٠ صفحة تعتبر من أروع ما كتبه اسرائيلي في ادانة حكومته بسبب سياستها تجاه الاقلية العربية داخلها ، بينما تحتوي الطبعة الانجليزية بدلا من ذلك على ٩ صفحات حول هذا الموضوع ، اعيدت كتابتها وصيغت بلغة معتدلة للغاية ، وهذا طبعا كي لا يحرج حكومة بلده أمام الرأي العام العالمي . ولا نعرف لماذا اختار باحثو الاهرام هذا الكتاب بالذات للاستناد اليه .

والخطأ الذي اشرنا اليه ليس الوحيد الذي يقع فيه كتاب « العسكرية الصهيونية » ، الذي يقبل ايضا بوجهة نظر بن جوريون بالذات للتاريخ الصهيوني ، وهي طبعا النتيجة التي لا بد ان يصل الباحث اليها اذا ما اعتمد على بعض الكتاب لبن جوريون والمعجبين به فقط . ومن المعروف ان بن جوريون لم يكتف بالدور الذي لعبه في صنع التاريخ الصهيوني وانما يحاول اعادة كتابة هذا التاريخ . وقد نشر حتى الان العديد من الكتب والمذكرات والمقالات حول هذا الموضوع ، التي تظهر ان رأيه يختلف من وقت لآخر بحسب الفترة التي يعيشها . وكتبه بالانجليزية التي استند اليها واضعو « العسكرية الصهيونية » تعتبر من ذلك النوع من الكتب الصهيونية الدعائية التي تحاول اقناع غير الاسرائيليين بوجهة نظر معينة ، وكان من الملائم النظر اليها بنوع من الحذر واليقظة .

ويقع الكتاب في أخطاء مماثلة عند حديثه عن « العسكرية » الصهيونية ، فيعتبر ، مثلا ، يوسف تلمبلدور (راجع الفهارس في الكتاب لتتبع الآراء التي يطرحها) بمثابة أب روحي ومؤسس للهاجاناه ، على الرغم من ان الرجل لم يكن يملك تأثيرا يذكر في هذا المضمار وقتل بعد فترة قصيرة من قدومه الى فلسطين ، بينما انحصرت مساهمته في اقامة الكيان الصهيوني بتبني وبلورة فكرة الرواد (حالوتسيم) ومحاولة تعميقها فقط . كذلك يعتبر الكتاب ، جريا وراء العموميات الصهيونية ، الهاجاناه امتدادا تاريخيا لمنظمة هاشومير ، بينما الواقع ان هاشومير كانت منبوذة من الهاجاناه التي حاصرتها وعملت على حلها ، لانها اعتبرت هاشومير نوعا من « العسكريين » المحترفين « المعجبين » بعادات العرب وتقاليدهم ومفاهيمهم للقوة ، وبالتالي لا يلائمون منظمة « شعبية » كالهاجاناه — وهو ما سبب مرارة دائمة لقدامى هاشومير ، الذين تعرضوا لها باسهاب عند كتابة تاريخهم الرسمي . وانطلاقا من الموقف نفسه ، يقدر الكتاب منظمة الهاجاناه ، خصوصا خلال المرحلة الاولى لقيامها (ولا يذكر ان الهستدروت كانت من أوائل الذين بادروا « لتنظيم شؤون الدفاع ») حتى منتصف الثلاثينات ، على أكثر مما تستحقه فيظهرها وكأنها كانت منظمة متماسكة مترابطة دابت على وضع خططها العسكرية والنظرية منذ اللحظات الاولى لقيامها ، وهو ما يتنافى مع الواقع . فمن المعروف ان الهاجاناه وبشهادة معظم قادتها لم تكن ، حتى ثورة ١٩٣٦ ، الا نوعا من الهراء العسكري ، ولم تبدأ بالتحول الجاد نحو تحويل نفسها الى منظمة عسكرية مقبولة الا خلال سني الثورة فيما بين ١٩٣٦ — ١٩٣٩ وبعد ذلك ، وهو التحويل الذي ساهم فيه البريطانيون ، ومعهم وينجيت ، مساهمة فعالة ، كما يشير الكتاب . ويتطرق الكتاب ايضا الى ذلك النوع من المستعمرات الذي اقيم ضمن ما يسمى بمستعمرات « السور والبرج » ، فيوحي بأن هذا النمط من المستعمرات لازم الاستيطان الصهيوني بفلسطين منذ بدايته ووصل الى قمته مع اواخر

الثلاثينات ، مع ان العكس هو الصحيح . فمستعمرات « السور والبرج » ، ظهرت ، اول مرة في فلسطين خلال سنوات ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ ، بعد ان ترددت المشاريع حول تقسيم فلسطين الى دولتين ، عربية ويهودية . اما القصد من تلك المستعمرات فكان أساسا اقامتها في مناطق عربية صرفة لم تطأها قدم الاستيطان الصهيوني بعد وذلك في محاولة لمنع تقسيم البلد ، او على الاقل ضم الاجزاء التي تحتوي على مستعمرات يهودية الى الدولة اليهودية . لكن الكتاب لا يرى اية علاقة بين هذه الفكرة وبين مستعمرات الناحال التي راحت اسرائيل تقيمها في مناطق الحدود والمناطق الخالية نسبيا من السكان اليهود بعد ١٩٤٩ او تلك التي تقيمها حاليا في بعض اجزاء المناطق العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ، ومن ضمنها الاراضي المصرية المحتلة طبعا .

ويتحدث الكتاب ايضا عما يفهم وكأنه توزيع الادوار بين المنظمات الصهيونية المختلفة ، بحيث تقوم الهاجاناه بنوع معين من العمليات بينما يقوم اتسل (الارجون) وليحي (شتسيرن) بنوع آخر من العمليات ، بطريقة توحي بأن هذه الامور مرتبة سلفا بين هذه المنظمات . ومثل هذا الرأي ، بالاضافة الى كونه تبسيطا مبالغا فيه ، يعتبر تجاهلا لحقيقة ذلك الصراع المستحكم بين الفئات الصهيونية اليمينية ، المتطرفة والمعتدلة ، من جهة وبين الجناح العمالي في الحركة الصهيونية من جهة اخرى منذ اكثر من اربعين سنة حول السلطة داخل المنظمة الصهيونية العالمية وفي اسرائيل ، وهو الخلاف الذي لا تزال كفة الجناح العمالي فيه هي الراجحة . اما ما يظهر من اختلاف في نوع النشاط الذي مارسه ويمارسه كل من الطرفين فيعود اساسا الى اختلاف في العقيدة والوسيلة على السواء ، ومن هنا الاختلاف بين الاثنين ، وليس الى اتفاق على توزيع الادوار . واستنادا الى الموقف ذاته ، ينسب الكتاب كثيرا من شرور الصهيونية الى جابوتنسكي ، والذي لا شك يتحمل مسؤولية كبيرة في تغذية الاتجاهات المعادية للعرب فكريا ، مع العلم ان مسؤولية الاجنحة الاخرى في الحركة الصهيونية لا تقل عن مسؤولية جابوتنسكي فكرا وعملا .

اما الجزء الثاني من الكتاب ، الذي يعالج اوضاع اسرائيل بعد قيامها ، فيحتوي على عرض موجز للغاية لنشاط اسرائيل ، مقرونا بعرض آخر طويل جدا عن كيفية بناء الجيش الاسرائيلي . ويبدو الجزء الثاني ، عامة ، وكأنه اعمق واكثر شمولا من الجزء الاول ، لكن هنا ايضا يقع الكتاب في اخطاء تقييم تمس صلب الموضوع الذي يعالجه.

ان الباحثين عند عرضهم اقامة الجيش الاسرائيلي، بعد الاعلان عن اقامة اسرائيل كدولة ، يتطرقون الى الاجراءات التي اتخذها بن جوريون لاقامة هذا الجيش عندما عمد الى حل منظمتي اتسل (الارجون) وليحي (شتيرن) ثم حل قيادة البالماح (ولسبب ما يشير الكتاب الى اسم قائد البالماح ، اسحاق ساديه ، على انه اسحاق صادح) ويكتفي الكتاب عند عرضه هذه الاجراءات بالاشارة الى ان هذا كان محاولة من بن جوريون لفرض سيطرته ، وهو ما لا يخلو من الصحة ، الا ان الكتاب لا يقيم هذه الخطوات حق قيمتها وبالتالي يقع بحسب رأينا ، في خطأ اساسي من نظرته لمركز الجيش في اسرائيل . ان كل الدلائل تشير الى ان خطوة بن جوريون عندما حل الجيوش الخاصة ، وبطريقة لا تخلو من العنف ، كانت من اكثر خطواته نجاحا ، اذ اسفرت عن القضاء على الاتجاهات الانفصالية التي كانت مستحكمة بين المستوطنين اليهود ايام الانتداب ونجحت في اقامة جيش موحد . وقد كان لهذه الخطوة ، خصوصا بعد التقاليد التي أرسيت داخل الجيش فيما بعد ومن بينها تغيير كبار ضباطه من فترة لاخرى ونقلهم الى وظائف مدنية بعد بلوغهم سن معين ، اثرها الملحوظ لايقاف العسكر عند حدهمواحتوائهم داخل الاطار المخصص لهم من جهة ودفعهم الى المزيد من الاهتمام بتطوير اساليب قتالهم وتنظيمهم ، مما كان له اثر كبير في نتائج المعارك العربية ـ الاسرائيلية التي شهدتها المنطقة من قيام أسرائيل حتى اليوم .

ويقع الكتاب في الخطأ نفسه عند حديثه عن دور كبار ضباط الجيش الاسرائيلي عشية حرب ١٩٦٧، اذ يفهم منه ان العسكريين كانوا وراء رجوع ديان الى وزارة الدفاع مع أن الواقع غير صحيح . فديان رجع يومها الى وزارة الدفاع بفضل ضغط شعبي اسرائيلي ساعد تردد حكومة اشكول كثيرا على خلقه ، وكان من قبيل رفع المعنويات فقط . ولم يكن كبار الضباط الاسرائيليين هم الذين طالبوا برجوع ديان ، ولم يكونوا اساسا بحاجة اليه ، بينما اعتمد ديان نفسه خطتهم العسكرية لمهاجمة

الدول العربية ولم يدخل عليها الا تغييرات طفيفة. كذلك لا اساس هناك لما يوحي به الكتاب من ان جنرالات اسرائيل كانوا على وشك الاستيلاء على السلطة لو لم تستجب الحكومة لطلباتهم وتعجل في شن الحرب ، اذ ان ما عرف عن الدور الذي لعبه الجنرالات عشية الحرب هو انهم ... هددوا بالاستقالة الجماعية (لعلمهم ان مثل هذه الخطوة كانت ستؤدي الى سقوط حكومة اشكول) وليس بالاستيلاء على السلطة .

ويتعرض الكتاب الى حرب الاستنزاف التي شنتها مصر ضد اسرائيل حتى صيف ١٩٧٠ ، بكل مراحلها ويقيمها بصورة تشابه تقريبا صورة التقييم الاسرائيلي لها ، في ضوء ما توفر عنها من معلومات حتى الان من الجانب الاسرائيلي ، من انها كانت اقسى حرب خاضتها اسرائيل ، وربما كانت الحرب الحقيقية الوحيدة بين اسرائيل والعرب التي عانتها اسرائيل . وبعد استعراض الاجراءات المضادة التي كانت تتخذها مصر في مواجهة تصعيد اسرائيل للقتال يصل الى نتيجة ان حرب الاستنزاف وصلت قمتها عند ايقافها بالذات ، وبعد ان كانت قد بدأت تقترب من النقطة التي ستجبر اسرائيل على تغيير موقفها بحيث يبدأ جني ثمار تلك الحرب. لكن الكتاب يتوقف عند هذه المرحلة ولا يحاول ان يقول رأيه ، ولو بكلمة واحدة ، في الاسباب التي دفعت الحكومة المصرية وقتها الى الاستجابة لمبادرة روجرز وايقاف القتال .

ولا بد هنا ايضا من ابداء ملاحظات اخيرة حول المصادر التي يستند اليها الكتاب عند دراسته لاسرائيل وسياستها . فالاستناد الى خمسة كتب عبرية ونحو عشرين مقالة من الصحف الاسرائيلية العبرية ، بالاضافة الى بعض المصادر الانجليزية لا يمكن ان يكون كافيا ، باي حال من الاحوال ، لدراسة النشاط الاسرائيلي خلال ٢٥ سنة . كذلك لا يجد المرء اي تبرير للاعتماد على مصادر معينة دون سواها . فالكتاب يقتبس بغزارة من كتاب شمعون بيريس David's Sling ويعتبره مصدرا لا يناقش لتتبع التحركات الاسرائيلية ، مع العلم ان الرجل ليس الوحيد الذي يمثل وجهة النظر الاسرائيلية ، وان اهميته اساسا تتركز في الفترة ما بين اواخر الخمسينات ومنتصف الستينات عندما كان ينتمي الى تلك الزمرة التي اطلق عليها اسم « شباب بن ــ جوريون » ، لكنه فقد كثيرا من اهميته ــ ومصادر معلوماته ــ بعد ان تنحى بن جوريون عن الحكم ولا يخرج حاليا عن كونه ينتمي الى الصف الثالث او الرابع من اطر الزعامة الاسرائيلية . ويقتبس الكتاب ايضا بالغزارة نفسها من مقالة ليغئال الون حول « الحدود الآمنة » كانت قد نشرت في صحيفة « معاريف » سنة ١٩٦٨ (ولا يذكر الكتاب بالضبط تاريخ نشر المقالة ، كالعادة) دون ان يورد آراء باقي الزعماء الاسرائيليين في هذا الموضوع ، مع انه لم يبق اي زعيم اسرائيلي الا وعبر عن رأيه فيه . ويبدو ان الكتاب واثق تماما من ماهية الحدود الآمنة التي تريدها اسرائيل ، على الرغم من ان المرء يستطيع ان يطلع اكثر على ما لا يعتبر حدودا آمنة ، نظرا الى تشعب النقاش في اسرائيل بشأن هذه النقطة بالذات . كذلك يتحدث الكتاب كثيرا عن المصاعب والمشكلات التي تواجه اسرائيل او ستواجهها بسبب اصرارها على الاحتفاظ بالمناطق التي احتلتها سنة ١٩٦٧ ، لكنه لا يذكر ابدا ايا من الاجراءات التي اتخذتها لتأمين معظم ، ان لم يكن كل مصالحها في تلك المناطق ، والتي لا شك ستستمر في اتخاذها لو بقي الوضع الحالي على ما هو عليه .

ان من يقرأ المجلد الاول من « العسكرية الصهيونية » يشعر بان واضعيه ابتعدوا عن جوهر القضية وركزوا اهتمامهم على بعض جوانبها . فالمشكلة ليست وجود « عسكرية » اسرائيلية فحسب ، وانما وجود قيادة سياسية قررت اهدافها من زمن بعيد وتسعى لتحقيقها بكل امكاناتها ، ومن ضمنها العسكرية . ولعله كان اكثر ملاءمة الخوض في صميم هذه المشكلة ، لدى الطرفين ، بدلا من الاهتمام بجوانبها .

صبري جريس

Don Peretz, **The Palestine Arab Refugee Problem,**
(Rand Corporation, Santa Monica, 1969).

أصدرت مؤسسة « راند » للابحاث دراسة لدون بيريز حول مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين . ومؤسسة « راند » مركزها الرئيسي في « سانتا مونيكا » وهي بلدة صغيرة تعتبر الان جزءا من مدينة لوس انجيليس في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الامريكية . والمعروف ان هذه المؤسسة تضم نخبة من الباحثين واساتذة الجامعات الامريكية في مختلف الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعات حيث تنشر بين الحين والآخر دراسات مستفيضة عن مختلف اوجه النشاط في الاتحاد السوفياتي ومعظم البلدان الاشتراكية . وفي السنوات الاربع الاخيرة ازداد اهتمام المؤسسة المذكورة بالمشاكل السياسية والاقتصادية في الشرق الاوسط وخصوصا الجانب المتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي . ومن بين الدراسات العديدة التي صدرت تحت عنوان « برنامج الابحاث للمشاكل السياسية والاقتصادية في الشرق الاوسط » دراسة بقلم دون بيريز وهو مدير الدراسات الافريقية والاسيوية في جامعة نيويورك بعنوان « مشكلة النازحين العرب الفلسطينيين » .

تقع الدراسة المذكورة في حوالي السبعين صفحة وقد قسم الكاتب بحثه الى ستة اقسام رئيسية خلاف المقدمة على النحو التالي : ١ — اصل المشكلة ، أي مشكلة النازحين العرب . ٢ — طبيعة المشكلة . ٣ — التغير في طبيعة المشكلة . ٤ — بعض الحلول السياسية للمشكلة وأسباب اخفاقها . ٥ — النتائج السياسية والاقتصادية لحرب الايام الستة . ٦ — هل يمكن حل المشكلة وكيف ؟

فيما يتعلق بالنقطة الاولى يقول المؤلف هنالك جانبان لمشكلة النازحين العرب . الجانب الاول اقتصادي ويشمل اغاثة مليون لاجىء واطعامهم وايجاد مساكن لهم ووسائل العناية الصحية وتوفير فرص العمل لهم في الاماكن التي يقيمون فيها . اما الجانب الثاني فيشمل الذيول السياسية المترتبة على عملية اقتلاع الشعب الفلسطيني من ارضه . ويقول المؤلف ان هذا الجانب وليس الجانب الاقتصادي هو اساس المشكلة نظرا لشعور الظلم والذل الذي شعر به جزء كبير من الوطن العربي .

ولعل دون بيريز يعتبر من الكتاب الامريكيين القلائل الذين استطاعوا ان يتفهموا حقيقة المشكلة وطبيعتها . فقد اكد في سياق تحليله ان العلاج الاقتصادي الذي يهدف الى ايجاد فرص عمل للنازحين العرب في أماكن اقامتهم لن يحل المشكلة سياسيا حتى ولو استطاعت الاجراءات الاقتصادية ان تخفف من العبء الاقتصادي . ويستدل المؤلف على ذلك بشعور المرارة عند مختلف فئات النازحين وحتى اولئك الذين استطاعوا أن يحققوا نجاحا مرموقا في مختلف الحقول وميادين العمل في البلدان العربية . ويؤكد المؤلف انه رغم انتصار اسرائيل في حروب ثلاث حتى الان ورغم اقتناع جزء لا يستهان به من الرأي العام في العالم بأن الحل السياسي لمشكلة النازحين وشيك الحدوث على أساس تعويضهم عن ممتلكاتهم واقناعهم بالبقاء حيث هم ، فان جميع المحاولات قد اخفقت في هذا السبيل . وأكثر من ذلك فان الضغط الذي بذلته بعض دول الغرب لاقناع الدول العربية والنازحين بالتنازل عن مطالبتهم باستعادة الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٧ لم يؤد الى الهدف المنشود .

وقد تناول المؤلف بالتفصيل كافة الحلول السياسية التي بحثت في هيئة الامم المتحدة منذ عام ١٩٤٨ والتي كانت تحاول دوما التوفيق بين اصرار النازحين على العودة الى أراضيهم المحتلة وبين موقف اسرائيل المتعنت برفض عودة النازحين باستثناء فئة قليلة لا تتعدى ١٠ ٪ من مجموع النازحين على ان تكون جزءا من تسوية سياسية شاملة . ويكشف المؤلف النقاب عن ان قرار جمع شمل العائلات الذي وافقت اسرائيل عليه في محادثات لوزان من عام ١٩٤٩ كان نتيجة لضغط امريكي مباشر . والمعروف ان عدد المستفيدين من القرار المذكور لم يتعد الـ ٥٠،٠٠٠ نازح .

ويؤكد المؤلف ان موقف العرب السياسي الرسمي من مشكلة النازحين كانت تتسم بالازدواجية . فمن ناحية كان الدبلوماسيون العرب يؤكدون ان اية تسوية سلمية يجب ان ترتكز على اساس قرار التقسيم الصادر في عام ١٩٤٧ والقرار رقم ١٩٤ الصادر عن هيئة الامم في عام ١٩٤٩ والذي يعطي النازحين حق العودة او التعويض عمن لا يرغب

في العودة . ومن ناحية أخرى كانت الحكومات العربية تخاطب شعوبها على اساس ان وجود الدولة الصهيونية يتنافى مع مبدأ تقرير المصير وحق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه .

ويتوسع الكاتب في شرح الاغراءات التي قدمت للنازحين للقبول بمبدأ التعويض وبالتالي الاندماج في اقتصاديات البلدان العربية ، ومنها الافراج عن الأموال المجمدة في المصارف الاجنبية التي كانت تعمل في فلسطين سابقا . ويعيد الكاتب الى الاذهان جهود الرئيس كينيدي الذي حاول حل المشكلة عن طريق مبعوثه الشخصي جوزيف جونسون . وهذا الاخير قام باعداد مشروع يتيح للنازح ان يعبر عن رغبته اما في العودة والعيش تحت الحكم الاسرائيلي او الاستيطان في البلدان العربية . ويحق لاسرائيل ان ترفض اي شخص بداعي الامن حسب الخطة المشار اليها . وينشأ صندوق خاص لتمويل عمليات التعويض والاستيطان على أن تساهم اسرائيل بحصة قيمتها قيمة الاراضي والممتلكات العربية لديها .

ويؤكد المؤلف أن بعض الحكومات العربية وافق على الخطة المذكورة من حيث المبدأ غير ان موقف النازحين والفئات الوطنية العربية قد أفشلها . وفي رأي جونسون ، المبعوث الامريكي ، أن مشكلة اختيار العودة أو قبول التعويض ليست مهمة ، ذلك ان عددا قليلا من النازحين سيختار العودة نظرا لعدم رغبتهم في العيش بظل الاحتلال الاسرائيلي وبالتالي لن يكون هنالك فارق اساسي بين موقف اسرائيل وموقف العرب . فالمشكلة نفسية في رأي جونسون وتتلخص في رغبة النازح في ان يمارس حقه في العودة او الاستقرار في البلاد العربية . غير ان المؤلف ، دون بيريز ، يخالف جونسون في هذه النظرة اذ يرى فيها حلا قصير الامد . فالحنين الى الارض وعدم الاعتراف بالكيان الصهيوني سيظل مختمرا في نفوس النازحين جيلا بعد جيل .

ينتقل المؤلف بعد ذلك الى مناقشة الذيول السياسية والاقتصادية لحرب الايام الستة حيث يؤكد ان الحرب المشار اليها قد فجرت الازدواجية التي كانت تمارسها الحكومات العربية من حيث التحدث بلهجة في المحافل الدبلوماسية وبلهجة اخرى حين التحدث داخليا . فقد أدى ظهور المنظمات الفدائية على مسرح الاحداث ونشاطها داخل اسرائيل الى سقوط منطق الحكومات العربية على الصعيد الشعبي العربي اذ بدأ الرأي العام العربي يتحدث باعجاب عن فكرة انشاء دولة ديمقراطية في فلسطين لجميع الاديان كحل مثالي للتخلص من الكيان الصهيوني . وازاء هذا التطور ، ازداد التصلب الاسرائيلي حيث رفضت الحكومة الاسرائيلية فكرة التخلي عن الاراضي المحتلة او السماح بعودة عدد كبير من النازحين حتى في اطار تسوية سلمية شاملة . وفي الوقت نفسه رسمت اسرائيل سياسة ادارية واقتصادية في الضفة الغربية ترتكز على أساس عدم اشعار المواطنين العرب بوجود احتلال عسكري واطلاق حرية التبادل التجاري بين الضفة الغربية وباقي البلدان العربية .

وفي ختام بحثه يحاول المؤلف الاجابة على السؤال التالي : ما هي امكانية حل مشكلة النازحين ؟ يجيب على هذا السؤال بقوله ان البحث في الحلول يقودنا الى حلقة مفرغة . فمن ناحية هنالك من يؤكد بأنه اذا حلت المشكلة فان حل المشاكل الاخرى المتعلقة بطبيعة الصراع العربي — الاسرائيلي تصبح سهلة بينما تؤكد فئة اخرى بأن العكس هو الصحيح أي أنه يجب حل المعضلة الاساسية لكي يصبح حل مشكلة النازحين ممكنا. وفي رأي المؤلف أن كلا الموقفين يتجاهل النقطة الاساسية في الموضوع وهي اذا كانت القومية العربية تقبل بوجود دولة يهودية — صهيونية في الشرق الاوسط . فاذا كانت لا تقبل بهذا الوجود فان الحديث عن عودة النازحين وتعويضهم واستيطانهم يصبح غير ذي قيمة عملية .

انطلاقا من هذه المعطيات يؤكد بيريز انه اذا نجحت اسرائيل في عقد اتفاق مع العرب الفلسطينيين فان ذلك سيخفف من نشاط العمل الفدائي خصوصا اذا قبلت اسرائيل بحل مشكلة القدس بشكل لا يترك لها سيطرة كاملة على المدينة .

وهنا تظهر الى القارىء بوضوح اتجاهات السياسة الامريكية الراهنة التي تشجع اقامة حوار بين اسرائيل والفلسطينيين في الضفة الغربية لانشاء دولة فلسطينية تكون مرتبطة اقتصاديا وسياسيا باسرائيل بحيث تشكل فاصلا عازلا بين اسرائيل والبلدان العربية الاخرى .

والسؤال المطروح هو الاتي : هل استطاع المؤلف ان ينفذ الى قلب المشكلة وجوهرها وبالتالي ان يقدم تحليلا موضوعيا ؟

يمكن القول ان الكاتب حاول قدر الامكان ان يكون موضوعيا في معالجته لبعض جوانب الموضـوع خصوصا فيما يتعلق برفض النازحين المستمر فكرة التعويض كبديل لعودتهم الى اراضيهم وممتلكاتهم وربطه الصحيح لهذه المشكلة بجذورها الاصلية ، اي احلال شعب غريب مكـان الشعب العربي صاحب الارض منذ أمد طويل ، وكذلك كشفـه لازدواجية السياسة العربيـة التي كانت تواجه المحافل الدولية بمنطق وتتكلم مع شعوبها بمنطق مختلف تماما . غير ان الحلول التي قدمها المؤلف في النهاية لا تنسجم منطقيا مع المعطيات السياسية والتاريخية التي أوردها في سياق بحثه. فالمفاوضات المباشرة التي يحبذها المؤلف بين اسرائيل وممثلي الشعبالعربي الفلسطيني ستصطدم حتما بالصعاب نفسها التـي كانت تواجه دوما فكـرة اجراء المفاوضات بين اسرائيل وبعض الانظمة العربية . وتتلخص هذه الصعاب بكيفية التوفيق بين وجود اسرائيل وحقوق الشعب الفلسطينـي في ارضه . واذا كانت الانظمة العربية في العشرين عاما لم تستطع ان تجد المعادلة الضرورية التي تتيح لهـا الاعتراف باسرائيل كدولة ذات كيان من ناحيـة واسترجاع حقوق الشعب الفلسطيني من ناحية اخرى ، فانه من المشكوك به جدا ، ان لم نقل من المستحيل ، ان يقبل ممثلو الشعب الفلسطيني بما لم تقبل به الانظمة العربية الا اذا كان في ذهن المؤلف ما يدور دائما في ذهن السلطات الاسرائيلية. فالمعروف ان اسرائيل حاولت ولا زالت تحاول اقناع بعض « وجهاء » الضفة الغربية بقبول انشاء دولة فلسطينية تضم البقية الباقية من الضفة الغربية وقطاع غزة وتكون مرتبطة اقتصاديا وسياسيـا باسرائيل . وحيث ان ليس بين هؤلاء « الوجهاء » من يملك حق تمثيل الشعب الفلسطيني فان ايـة مفاوضات ستكون صورية تمهيدا لفرض الحل الذي تريده اسرائيل واعطائها صيغة شرعية .

والغريب ان المؤلف يعتقـد ان اغـراء الشعب الفلسطيني كمجموع ممكن في الوقت الذي يعترف به ان اغراء الفرد الفلسطيني للتفريط بحقوقـه صعب نظرا لتمسكه بأرضه وممتلكاته وحقه الذي لا ينازع . والقفز مـن الرفض على المستـوى الفردي الى القبول على المستوى الجماعي ينطوي على اقرار ضمني بأن الوفد الذي سيفاوض باسم النازحين في حالة حدوث هذا الامر لن يكون ممثلا لاماني الشعب الفلسطيني وحقوقه . ويلاحظ ان المؤلف يتجنب مناقشة الصيغة التي تطرحها الثورة الفلسطينية وهي اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين تتعايش فيها كافة الفئات .

واخيرا فان المقارنة التي أوردها المؤلف في ختام بحثه بين قضية فلسطين وقضية قبرص للتدليل على قوة العوامل النفسية رغم اعترافه بالفارق بين حجم المشكلتين لم تكن متوقعة . فلم يحدث في قبرص للاتراك ما حدث للعرب في فلسطين من طرد وتشريد واستيلاء على الاراضي والممتلكات العربية واحلال شعب غريب مكان الشعب صاحب الارض وانكار لحق العرب في اي شيء يمتلكونه . اضف الى ذلك ان تصوير المشكلة على انها نفسية تعتبر نظرة خاطئة وبالتالي لـن تؤدي الى أي حـل جذري للمشكلة .

الدكتور يوسف شبل

Frédéric Kiesel, L'Impasse Israëlo - Arabe
(Editions Vie Ouvrière, Bruxelles, Août 1972).

ان مـا يحملنـا على مراجعة هذا الكتاب ليست بالضرورة الاراء الجديدة الواردة فيه او الاسلوب النظري الذي عالج فيه المؤلف الامور . ان صدوره في هذه المرحلة بالذات وفي وقت نشهد فيه حملـة شرسة على المقاومة الفلسطينية وحصارا اعلاميا على اهدافها وعملياتها وتخلي المزيد من اصدقائها عنها في الغرب هو الذي يضفي على هذا الكتـاب اهمية خاصة ويدفعنا الى مراجعته خصوصا وانه اول كتاب من نوعه يطبع في بلجيكا ويشرح بصراحة وجهة النظر الفلسطينية .

وفريديريك كيسيل صحفي يعمل محررا للشـؤون العربية في صحيفة La Cite الناطقة بـاسم نقابات العمال المسيحية والتي تمثل وجهة نظـر الديمقراطيـين المسيحيين . والمعروف ان هـذه الصحيفة (وفريديريك كيسيل بالذات) تبذل جهدا مشكورا لاطلاع الراي العام البلجيكي على حقيقة الصراع الاسرائيلي العربي والمعطيات الصحيحـة للقضية الفلسطينية وذلـك بالرغم من الضغـوط الصهيونية المتواصلة . هذا مع الاشارة الى ان الايديولوجية المسيطرة هنا تحول دون تبني الصحيفة المذكورة لفكـرة « فلسطين الديمقراطية » ودعـم الكفاح المسلح الفلسطيني بشكل غير مشروط .

يسرد فريديريك كيسيل في كتابه الوقائع التاريخية منذ بدء الهجمة الشرسة على فلسطين من قبـل الصهاينة في مطلع هذا القرن حتى يومنـا هذا . وقد جاء السرد التاريخي واضحا صحيحا يسهـل على القارىء الغربي البسيط فهم معطيات ومقومات القضية الفلسطينية من اساسها . ويكذب المؤلف بشكل مباشر او غير مباشر الاكاذيب التي تروجها الدعـاية الصهيونيـة حـول فلسطين والشعب الفلسطيني والزراعة في فلسطين . الا ان طـول الفترة التي يدرسها المؤلـف تحول بالطبـع دون التحليل الدقيق العميق .

وفيما يلي ملاحظات موجزة حول بعض الاراء التي وردت في هذا الكتـاب . في سياق حديثه عـن الصهيونية (ص ٧) يقع المؤلف في الفخ الـذي وقع فيه كثيرون غيره ويعزو نشوء الفكرةالصهيونية القومية الى معاداة السامية التي كانت منتشرة في اوروبا في القرن التاسع عشر . وقد فات المؤلف ان الايديولوجية الصهيونية هي في الاساس وقبل كل شيء وليدة مرحلة تاريخية معينة في حياة اوروبا اعني مرحلة بروز وتطور القوميات البورجوازيـة الاستعمارية في القرن التاسع عشر وانها حملـت اهـم سمات هـذه المرحلة . فهي حـركة قومية بورجوازية استعمارية . ولكنهـا سخرت العداء للسامية واستغلته للزيادة من فعاليتها الاستقطابية على اليهود وتبرير هجمتها العدوانية الشرسـة الاستيطانية على فلسطين العربية . وفي حديثه عن وعد بلفور يقول المؤلف ان ما حمل بريطانيا علـى اصدار مثل هذا الوعد هو رغبتها في حمل اثريـاء اليهود على المساهمة في المجهود الحربي من جهـة وفي الضغط على الولايات المتحدة للدخول في الحرب الى جانب الحلفاء من جهـة اخرى (ص ١٥) . والصحيح — كما جاء في مقـال مكسيم رودنسون « اسرائيل واقع استعماري » — ان الدول الغربية كانت ترى في الصهيونية حليفا واداة مناسبة لتحقيق مآرب معادية للثورة الروسية وذلك بسبب مقـدرة الصهيونية على امتصاص نقمة اليهود على النظام الروسي ومنعهم من المشاركة في الثورة وتحويـل اهتمامهم الى الهجرة الى فلسطين . ولذا فان دعم بريطانيا وحلفائها للحركة الصهيونية نابع عن قلقها على النظام الروسي الذي كانت تهدده حركة ثورية اممية تناهض الحرب الامبريالية وتدعو الى التضامن بين الطبقات الكادحـة المستغلة على المستـوى العالمي .

وعندما يتعرض كيسيل الى الحديث عن مشكلـة العمال والفلاحين الفلسطينيين يبدو واضحا انـه يجهل تماما النزعة الشوفينية العرقية للايديولوجية الصهيونية . فيقول مثـلا (ص ٢٠) ان طـرد الفلسطينيين من اراضيهم « لم يكن ناجما عن عداء سافر تجاه العمـال العرب وانما تحقيقا لرغبـة (الصهاينة) في افساح المجال امام ابناء دينهـم القادمين الى فلسطين لتأمين لقمـة العيش لهم » ... وفي حديثه عن السياسة البريطانية في فلسطين يمر المؤلف مر الكرام او يتناسى تماما الانتفاضات الفلسطينية المتتالية ولا يذكر شيئا عن ثورة ١٩٣٦. ولكنه تطرق الى الحديث عن مذبحة دير ياسـين (ص ٣١) وادانها بشدة . كما ذكر الدور الـذي لعبته هذه المذبحة في اثـارة الرعب في نفـوس

الفلسطينيين وحملهم على العرب . ولكنه يذكر بعد ذلك مباشرة (ص ٣٢) ما اسماه «انتقام العرب» اي الكمين الذي نصبه العرب في القدس وادى الى مقتل ٧٥ صهيونيا . ومثل هذا المنطق يميز العقلية الغربية التي ترغب تحت ستار من الموضوعية الكاذبة ان تؤكد ان الاجرام والعنف لا يقتصران على طرف واحد دون التفرقة بين العنف الذي هو ممارسة لحق مشروع والعنف الذي هو عدوان مفضوح .

ويكرس المؤلف فصلا كاملا للحديث عن الشعب الفلسطيني الذي يعتبره « محور النزاع » . ويقول ان الشعب الفلسطيني معروف بانفتاحه ووداعته ومستواه الثقافي العالي وان التشريد والاضطهاد قد شددا من وحدته . كما يقول بان له مطلق الحق في رفض قيام دولة اسرائيل (ص ٨٢) . ويبرر المؤلف العمليات الفدائية « التي تستهدف دائما العسكريين او المواقع الاستراتيجية » (ص ٨٣ — ٨٤) وحتى العمليات التي تستهدف المدنيين (ص ٨٤) ويقول ان اسرائيل قامت جزئيا بفضل عمليات « ارهابية » (ص ٨٥) . ولكن المؤلف يشجب عمليات خطف الطائرات (ص ٨٦) بينما يشرح لماذا يرفض الفلسطينيون مشروع الملك حسين ويؤيدهم المؤلف في ذلك (ص ٨٧ — ٨٨) . وفي الفصل الثامن يشرح المؤلف مشروع الدولة الديموقراطية التي ينوي الفلسطينيون اقامتها في فلسطين . وهذا موضوع قلما عالجه الغربيون . الا ان المؤلف يبدي بعض التحفظات حول « واقعية المشروع » (ص ٩٥ — ٩٦) .

الا ان خاتمة الكتاب جاءت تناقض نصه نوعا ما . فبعد ان اعترف المؤلف في حق الشعب الفلسطيني في رفض اسرائيل والكفاح من اجل استعادة حقوقه المشروعة كاملة بالاساليب والطرق التي يراها مناسبة « والتي يرضى عنها الراي العام » (!) . وبعد ان يؤكد ان قرار مجلس الامن لا يأخذ الواقع الفلسطيني بعين الاعتبار . يعود في الفصل الختامي الى الحديث عن حل وسط لا هو الدولة الديموقراطية ولا هو تطبيق قرار مجلس الامن . فهو ينصح باسكان اللاجئين الفلسطينيين في « المناطق الحرة » من الضفة الغربية ظنا منه بان يؤدي ذلك الى تهدئة الاعصاب . وعلى مر السنين وبفضل الهدوء والاستقرار اللذان سيسودان المنطقة من المحتمل ان تفتح اسرائيل « ابوابها في وجه الفلسطينيين » وتتحول « تدريجيا وبشكل سلمي الى دولة فلسطينية موحدة » ...

ان هذا المنطق مرفوض من قبل الثورة الفلسطينية. ولكنه يدل على جهل تام من قبل المؤلف للعقيدة الصهيونية وطبيعة اسرائيل العسكرية والعرقية والتوسعية . ان التحليل السياسي الجدي العميق والفهم الصحيح للصهيونية واهدافها وللثورة الفلسطينية وطبيعة نضالها هو المسؤول الاول عن هذا الخطأ الذي ارتكبه فريديريك كيسيل في نهاية كتابه . ان هناك حدا لا يجسر اصدقاء الثورة الفلسطينية من الليبراليين والديموقراطيين المسيحيين تخطيه هو المطالبة بضرورة تحطيم الكيان الاسرائيلي . وقد جاء موقف كيسيل تعبيرا صحيحا واضحا عن هذا الموقف الذي يفتقر بشدة الى النظرية الثورية الصحيحة ويكتفي بتفحص الامور من الناحية الانسانية فقط .

بشاره خضر

محمود نعناعه ، **المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل** ، ج ١ (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢) .

يقع هذا الكتاب في نحو ٣٦٠ صفحة يعالج فيها التاريخ اليهودي منذ بدايته وهو ظهور ابرام (ابراهيم عليه السلام) حتى سقوط يهوذا ونهايتها نحو ٥٨٧ ق. م. والمشكلة التي يتمثلها الكاتب بوصفها « المشكلة اليهودية » هي اساسا ذلك اللبس والتناقض في رواية نصوص العهد القديم الناتجان عن بعد الشقة التاريخية بين زمني وضع النص الاصلي وزمن التدوين الفعلي ، الامر الذي نتج كما يبين هذا العرض التاريخي في تشويه للرسالة اليهودية الحقيقية وبعدها عن واقعها الاصلي واضافات مبالغ فيها ومتحيزة من جانب الرواة والمؤرخين الدينيين اليهود كلها أدت في النهاية الى مجموعة من المفاهيم الخاطئة كان أثرها ذلك الوضع الشاذ الذي وجد فيه اليهود ويعبر عنه الكاتب بعبارة « المشكلة اليهودية » مثال لذلك ان اسفار العهد القديم دونت في حقبة من أحقاب الانهيار والتدني اليهودي فراح الرواة المؤرخون يكتبون هذه الاسفار وفي مخيلتهم أمران : أ ــ تعويض للحاضر المؤلم وذلك بتضخيم للماضي والاستئثار بأمجاده « للشعب اليهودي » وبالتالي استبعاد كافة العناصر غير اليهودية ، وكأن « الكتاب انزل » فقط لليهود دون سواهم ، وانهم هم ايضا دون سواهم الشعب الذي حباه الله باختياره فعلوا خيرا او شرا . ب ــ تصورات عن المستقبل سياسية في معظمها تعطيهم الفرصة لتفسير الكتاب المقدس وفق هواهم .

والكتاب سرد موضوعي للتاريخ ، منسق ومنظم دون ضياع في غياهب ذلك الحجم الهائل من التفصيلات والاسماء الذي يميز التاريخ اليهودي ربما عن سائر التواريخ . ويتخلل هذا السرد التاريخي ــ في أبوابه المنظمة ــ تحليل علمي لا مبالغة فيه لاحداث هذا التاريخ واصول الرواية في العهد القديم . ومن ايجابيات هذا الكتاب أن مؤلفه يعتمد في تحليله ونقده على القياس العلمي وعلى ما كتب من تفسيرات وتعليقات وشروح في مؤلفات يشهد لها بالاختصاص والتعمق .

ولسنا نرى ثمة ما يخيف او يثير الحرج في قيام المؤلف بمناقشة نصوص العهد القديم ونقدها . فذلك بالفعل ما اصبح يقوم به فقهاء الغرب بثقة مطلقة ففي مقال للدكتور المر برجر بعنوان :

« هل اسرائيل تحقيق لنبوءة مقدسة ؟ » مناقشة بهذا المعنى . ومع ذلك فثمة مثالب تؤخذ على هذا الكتاب :

اولا : هناك قفزة خطيرة تجاهل فيها الكاتب فترة هامة في التاريخ اليهودي وهي فترة « القضاة » والتي تسبق مباشرة قيام الملكة . اللهم سوى اشارة عابرة هنا وهناك . والكاتب الذي خصص لكل من الشخصيات البارزة مبحثا مستقلا ، كان حريا بأن يعقد لزمن القضاة فصلا خاصا . **ثانيا** : تعرض الكاتب لنظرية اصول الرواية او « مصادر النص » في العهد القديم وهذا الامر لا يجب ان يخلو منه مؤلف علمي في الموضوع . الا اننا نرى ان الكاتب لم يعط هذا العنصر حقه وكان في حاجة الى مزيد من الايضاح . وجدير بالذكر ان دائرة المعارف اليهودية تفصل ذلك تفصيلا علميا بعيدا عن الغموض . **ثالثا** : في معرض مناقشة الكاتب لفكرة « الوعد » سواء في موضعه التاريخي او الفصل الذي عقده له في نهاية الكتاب اقتصر على بيان عدم احقية اليهود للوعد نظرا لما صدر عنهم من مخالفات تبطل احقيتهم لهذا الوعد . ولم يتعرض الكاتب لبيان ان نص الوعد الاصلي كان يشتمل بالضرورة العرب (مسلمين ومسيحيين) بوصفهم نسل ابراهيم . وانه حتى حين تكرر الوعد لاسحق ثم ليعقوب لم يرد فيه ما يستثني العرب صراحة من حقهم في وراثة الارض . **رابعا** : من الناحية الشكلية البحتة هناك كثير من الاخطاء المطبعية التي لم يرد لها تصحيح في قائمة التصويب. ومهما يكن من أمر فهذا الكتاب رغم هذه المثالب ــ وهي ضئيلة ــ عمل علمي فيه جهد وأمانة يضاف الى ذلك ان به فهرسا ابجديا للاعلام يزيد من قيمته العلمية للباحثين بشكل لا يتوفر في كثير من المؤلفات العربية .

قسم البحوث والمعلومات
في ادارة الاعلام ــ
جامعة الدول العربية

اريه حشابيه ، **مارس ذو العين الواحدة : سيرة حياة موشي دايان**
(أحي أساف ، تل أبيب : ١٩٦٩) .

المؤلف عضو « معهد الابحاث الاستراتيجية بلندن » المتخصص في التاريخ العسكري ، بدأ عمله في تحضير هذا الكتاب بعد حرب سيناء مباشرة ، ولقد قابل مئات الاشخاص ممن كانت لهم صلة بدايان في مراحل حياته المختلفة . وتعرض المؤلف عن طريق سيرة بطل الكتاب الشخصية الى موضوع اكثر اتساعا الا وهو أمن اسرائيل. ويتالف الكتاب من ثلاثة وعشرين فصلا .

يتحدث المؤلف في الفصل الاول عن احالة دايان على التقاعد عندما كان رئيسا للاركان العامة ، كما يأتي في رواية سيرته الشخصية على الوصف الذي وصفته به ابنته ياعيل ، بأنه شخص منطو على نفسه يؤثر العزلة عن الاخرين ، لا يبدي اي شعور من الحرارة سواء كأب أو كزوج ، وهو في البيت أشبه ما يكون بضيف يغالبه النعاس ويميل الى النوم . اما معارفه فانهم يستنكرون هذا الوصف ، وينعتونه بالتشويه والمبالغة والقسوة الحادة . ويقول المؤلف ان دايان قرأ مسودة ما كتب عنه قبل طبعه ، ومع ذلك لم يقم بتصحيح اي واقعة فيه . انه يؤثر ان يترك للاخرين حرية الكتابة عنه كما يحلو لهم ، حتى عندما يعلم ان عدم الرد من جهته قد يضر بمصلحته. ويقول المؤلف ان اول لعبة اطفال لامستها يده كانت بندقية عسكرية غير مرخصة تخص والده ، بل حتى ان الاسم الذي اطلقه عليه والده ، كان اسما لصديق لهما عاجله الموت برصاص « قتلة من العرب » .

وفي الفصل الثاني يستعرض المؤلف الشخصيات التي مرت في حياة دايان ولعبت دورا في تكوين شخصيته. من هذه الشخصيات يوسف طرومبلدور، واسحاق ساديه وضابط الاستخبارات البريطاني وينجيت وكذلك الدكتور رالف بانش الزنجي الامريكي . كما يستعرض المؤلف في هذا الفصل تحرك اليهود وتململهم في جميع انحاء العالم وخاصة في الاتحاد السوفياتي وهجرة والديه الى فلسطين كل على انفراد .

ويتناول المؤلف في الفصل الثالث والذي يحمل عنوان التناقض الكامل ، قصة التناقض الاجتماعي والثقافي بين والدي دايان. فوالدته دبوره من عائلة يهودية تعيش في قرية نائية جميع سكانها من غير اليهود « الجوييم » ووالدها تاجر ثري معروف على شيء من الثقافة والمعرفة والعلم . وقد نالت قسطا وافرا من التعليم . ويروي هنا المؤلف قصة سفر دبوره الى فلسطين وهي ما تزال شابة صغيرة . ويسترسل المؤلف في ابراز روح التضحية والبذل لدى هذه الشابة ، فبالرغم من انها كانت من عائلة غنية ، وعلى قسط وافر من الثقافة والنعومة ، الا أنها تحملت جميع المصاعب والاهوال التي جابهتها في فلسطين ، وذلك لعدم وجود المال وعدم وجود عمل ، والمعاناة من الاضطهاد والارهاب العربي . واما والده شموئيل فهو أيضا من روسيا ولكنه كان على قدر بسيط من العلم والمعرفة ، لهذا نشأ التناقض الاجتماعي بينهما .

وفي الفصلين الرابع والخامس ، يتحدث المؤلف عن قصة زواج دبوره من شموئيل واشتراكهما في تأسيس مستعمرة دجانيا ، والمشاكل التي اعترضتهما ، وكذلك قصة افتراقهما عن بعض بسبب الامراض والسفر الى الخارج للمعالجة .

واما الفصل السادس فيتحدث عن مولد موشي دايان في ٢٠ ايار من عام ١٩١٥ . وكيف أنه ولد في مجتمع غير مستعد لاستقباله الاستقبال اللائق، حيث أنه ولد ضعيفا وعليلا لعدم تناول أمه الاغذية اللازمة . ويتناول هنا المؤلف ايضا الاوضاع الصعبة التي عاشها اليهود في فترة الحرب العالمية الاولى مما أدى الى انتحار بعض المستوطنين اليهود ، منهم بات شيبع اخت شموئيل دايان ، التي القت بنفسها في مياه بحيرة طبريا .

ثم يصف المؤلف في الفصل السابع قصة مستوطنة دجانيا . كيف كانت تعيش ، وكيف كانت تحمي نفسها خوفا من هجمات العرب . ويورد بعض الصدامات التي حدثت مع العرب ويبرز فيها القوة والصمود لدى المستوطنين اليهود . واما في الفصل الثامن وحتى العاشر فيتحدث المؤلف عن المصاعب التي جابهتها عائلة دايان في دجانيا بصورة خاصة ومن المصاعب التي جابهت جميع اليهود في فلسطين . وخاصة الوضع الاقتصادي المتدهور وحالة الامن المضطربة والامراض التي كانت سائدة في تلك الفترة ، مما جعلهم يتنقلون من

مكان الى آخر بحثا عن الاستقرار والهدوء . كما يتحدث عن دايان عندما بلغ سن الرشد، وعن انه لم يلتفت للتعليم او يوجه له سوى عناية ضئيلة لا تتعدى الحد الادنى الضروري .

في الفصل الحادي عشر يتحدث عن اضطرابات عام ١٩٣٦ وعن انشاء الهاجاناه التي تراسها اسحاق ساديه . كما يتحدث عن حضور اللجان الى فلسطين وعلى راسها لجنة بيل للبحث عن اسباب النزاع والاضطرابات . كما يتحدث عن بدء اقامة الاسوار والحراسة حول المستعمرات اليهودية ، بعد أن طرد الحراس العرب منها .

وفي الفصل الثاني عشر يتحدث عن قصة اعتقال دايان وجماعته وزجهم في السجن بعكا . وذلك عندما القي القبض عليهم في ١٩٣٩/١٠/٥ وهم يتدربون على السلاح . بعد ان اوهموا البوليس البريطاني بأنهم يقيمون مخيما كشفيا . وحكمت المحكمة عليهم بالسجن . وهنا يصف تدهور حالة عائلة دايان في تلك الفترة ، كما يتابع المؤلف في الفصل التالي وصف حياة دايان داخل أسوار السجن . وعن النشاط الذي بذله وايزمن وبن غوريون لاطلاق سراحهم .

وفي الفصل الرابع عشر يتحدث عن غزو الجيش البريطاني لسوريا . وذلك لابعاد سوريا التي تحكمها حكومة فيشي الفرنسية من الحرب قبل أن تتمركز فيها القوات الالمانية . وكانت الهاجاناه قد اقترحت على بريطانيا قبل عملية الغزو ، ارسال خمسين وحدة عسكرية يهودية ، كل وحدة مشكلة من عشرين شابا عبريا ، وراء خطوط فيشي المعادي، للقيام باعمال التخريب والتجسس الخ. وقد وافق البريطانيون مكرهين على اشراك اليهود في حملة الغزو المقبلة ، نظرا لنقص في الخرائط الدقيقة عن طرق المواصلات الكائنة وراء الحدود الشمالية لفلسطين . وقد تم تعيين دايان والون قادة للوحدات اليهودية في هذه العملية . وفي هذا الفصل وصف تفصيلي لهذه العملية التي قامت بها الوحدات اليهودية داخل الاراضي السورية . وفي الفصول التالية يتحدث عن شجاعة دايان وبراعته، في تنظيم الوحدات اليهودية وخاصة المصفحة ، حتى انه اصبح يطلق عليه اسم النمر المرعب . ويتحدث ايضا عن دور دايان في العمليات التي قام بها الجيش اليهودي ضد الاهداف العربية وخاصة في اللد والرملة ، ثم القدس حيث عين قائدا للمنطقة .

وابتداء من الفصل الثامن عشر يتحدث المؤلف عن دور دايان في المحادثات التي جرت بين مختلف الشخصيات اليهودية والملك عبدالله وحاشيته . ففي الفصل الثامن عشر « ضيف الملك الخفي » يقول ، في مساء يوم الجمعة ٤٨/١٢/١٠ تلفن الجنرال رايلي رئيس هيئة مراقبي الامم المتحدة في فلسطين ، الى الكولونيل عبدالله التل قائد القوات الاردنية في القدس وابلغه ان البريغادير موشي دايان ، يطلب الاجتماع به في منطقة منزوعة السلاح لبحث مسالة هامة . لم يكن هذا هو الاتصال الاول من نوعه بين القائدين اللذين عينا في منصبيهما المتشابهين في المدينة المقدسة في الوقت نفسه تقريبا . ويتحدث هنا ايضا عن قصة اغتيال الكونت برنادوت . ويروي المؤلف هنا انه جرى اجتماع بين دايان والتل بحضور الجنرال رايلي بعد احد الاشتباكات في المدينة حيث مال دايان على التل وعرض عليه ترك مائدة المفاوضات لبضع دقائق لاجراء حديث خاص . واستجاب التل للطلب . فقام الاثنان واجتمعا على انفراد في غرفة مجاورة، وبعد مضي ربع ساعة ، عاد الاثنان ليعلنا للجميع أنهما اتفقا على مد خط تليفون مباشر بينهما ، ليتمكنا من اطفاء الحرائق الصغيرة قبل ان تكبر وتنتشر . وابتسم الجنرال رايلي ، حين همس دايان بأذنه قائلا : اظنك توافقني ان المفاجآت غير المتوقعة ، هي افضل ما في الحياة . ويتحدث ايضا عن اجتماع الياهو ساسون مع دكتور الملك الخاص الدكتور شوكت الساطي وعبدالله التل في القدس . وقد سلم الساطي ساسون رسالة له من الملك عبر فيها عن استيائه وشعوره بالاهانة من موقف الشخصية الاسرائيلية التي اجرت محادثات معه قبيل الحرب العربية ــ الاسرائيلية. والشخصية المشار اليها هي غولده مائير ، والتي تخفت في حينه في زي امراة عربية ، حيث قامت بزيارة الملك في قصره . ويتحدث ايضا عن الرسالة التي بعثها الملك عبدالله الى عبدالله التل ليحضر ساسون الى مقره لاجراء المفاوضات . وفي ١٦/ ٤٩/١٢ تم نقل ساسون وديان الى القصر الملكي قرب البحر الميت ، وتناولوا العشاء مع الملك . وفي منتصف الطريق التقيا بسيارة ملكية تحمل السيد هاشم الدباس مرافق الملك الخاص ، الذي

حضر للتأكد من أمر سرية الزيارة وسلامة الممثلين الاسرائيليين. ولدى الانتهاء من المفاوضات والاتفاق على عدم الاعتداء ، نقل ساسون ودايان ثانية الى القدس . وفي طريق العودة التفت التل الى دايان وطلب منه مطلبا بدا غريبا . ذلك الطلب هو أن يقوم دايان باستعمال نفوذه علـى الصحـافة الاسرائيلية كي تكثر من مهاجمة التل وتوجيه النقد الشديد له والتحامل عليـه . ولما كان دايـان « يعرف العقلية العربية معرفة جيدة » فقد فهم في الحال سر هذا الطلب العجيب . ان الحملات الصحفية سترفع من مكانة الضابط الاردني في نظر اخوانه سواء في داخل بلاده ام في خارجها . فاذا ما انكشفت يوما مسألة المحادثات الاسرائيلية مع الملك عبدالله ، وقامت على اثرها ضجة فـي العالم العربي المعادي لاسرائيل ، يكون التل في مأمن من النقد ويستطيع تبرئة نفسه والتنصل من القضية برمتها والقول دائما : كنت متصلبـا ومتشددا في موقفي مع الاسرائيليين ودليلي على ذلك مهاجمتهم الشديدة لي في صحفهم . وفي ٣٠ كانون الثاني تمت مقابلة بين الطرفين الاردني والاسرائيلي بعد توتر الوضع على الحدود ، وكانت ودية للغاية أكثر مما كان متوقعا ووعد الملك اثناءها ساسون ، بمقابلة حكام العراق بأسرع وقت ممكن ، ومحادثتهم في موضوع سحب قواتهم من فلسطين . وبحماس طفل أدى عملا حسنا واستحق عليه مكافأة مـن والديه ، قال الملك : والله كنت أود ان تحتلوا لنا غزة ، لكي تصبح منفذا لنا الى البحر . وابتسم دايان واما ساسون فأجاب بجد ورصانة : نرجو الله ان يساعدنا على تحقيق امنية جلالتكم .

وفي الفصل التاسع عشر يتحدث عن الترقيات التي حظي بها دايان والمناصب التيشغلها الى أن أصبح رئيسا للاركان العامة عام ١٩٥٣ ..وكان الشخص الذي وقف وراء دايان في ذلك هو بن غوريون حيث رأى فيه الشخص الملائم لذلك .

ثم يتحدث في الفصل العشرين عن شهر العسـل الفرنسي والمساعدات التـي قدمتها فرنسا الـى اسرائيل . ويستعرض المؤلف الجهود التي بذلها دايان في تدعيم العلاقة مع فرنسا وترسيخها الى ان سارت في اعقاب حرب الايام الستة . كما يستعرض في هذا الفصل الاوضاع التي أدت الى نشوب حرب سيناء ودور السلاح الفرنسي فيها وسير العمليات العسكرية . ويتابع في الفصل التالي بدء المعارك في سيناء ودور موشي دايان رئيس الاركان فيها .

ويبرز هنا المؤلف الدور الذي قام به دايان خلال هذه المعارك ويستطرد في كيل المديح له حتى يجعل منه اسطورة خرافية . ثم يستعرض المراحل التي تمت فيها المعارك . في الفصل الثاني والعشرين وهو ما قبل الاخير والذي يحمل اسم الرجل الرمز، فيتحدث فيه عن دور دايان في حرب الايام الستة . وكيف تحولت انظار جميع الاسرائيليين اليه ، عندما تم اغلاق مضائق تيران . فقد اراد الاسرائيليون ان يروا دايان ممسكا بمقود الامن ومقدراته . وهنا ايضا يتعرض المؤلف الى صفات دايان وهي تأتي على لسان ابنته ياعيل : انه شخص يفرض العزلة على نفسه بمحض ارادته وبادراك تام وعن قصد وسبق اصرار . فهو يحمل مفاتيح بواباته بنفسه ، ويراقب حركات الاخرين والمصالح المختلفة . وقال هو مرة عن نفسه ما يلي : انا لا امنح صداقتي للاخرين ، ولا أطلب شيئا من أي شخص كان ، أليس ذلك صحيحا ؟ وقال ايضا : لو قدر لي ان اعيد بداية حياتي من جديد ، لما أقمت اسرة ولا بنيت عائلة . لم تكن العزلة لتزعجه او تضايقه . في الفصل الاخير يتحدث المؤلف عن استلام دايان لوزارة الدفاع قبيل حرب الايام الستة ، وعن الدور الذي قام به دايان في هذه الحرب . فالرأي السائد كان لدى حكومة اسرائيل ، بأن الخطوة المصرية الاخيرة تتضمن اجراء نفسانيا موجها الى سوريا ، هدفه اشعار سوريا بأن مصر لن تتخلى عنها او تتركها . ولكن دايان عارض هذا الموقف . كما يتحدث عن هبوط الحالة النفسية في اسرائيل في تلك الفترة . ثم يتحدث عن كيفية تشكيل حكومة الائتلاف الاسرائيلية وعن سير الاحداث وتطورها في تلك الفترة مبرزا فيها بصورة دائمة دايان كشخصية مركزية لها المكانة الاولى . كما يتحدث عن الجهود التي بذلها اشكول وبقيـة الاطراف الرسميـة والشعبية الاسرائيلية لاقناع دايان بدخول حكومة الائتلاف . وكم كان فرح الجمهور عندما قبل دايان بذلك . ثم يتحدث عن نتائج حرب الايام الستـة وسير العمليات فيها ، مبرزا كالعادة دور دايان فيها . وبعدها يتحدث عن العمليات التي قام بها الجيش الاسرائيلي ضد الفدائيين سواء في الداخل ام في الخارج . وينهي كتابه بحملة التواقيع التي قام بها الاكاديميون واصحاب المهن الحرة والعمال وربات البيوت يعلنون فيها بأنهم يعتبرون موشي دايان رئيسا مثاليا لحكومـة اسرائيل في ظرفها الراهن .

حمدان بدر

Walter Jost : Rutzeichen Haifa - Tatsachenbericht einer Fedayin Geisel - Zürich 1972.

٦ سبتمبر ١٩٧٠ ، في هذا اليوم قامت مجموعة من فدائيي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأكبر عملية « اختطاف طائرات » عرفها تاريخ الطيران المدني، وانتقلت قضية فلسطين بسرعة البرق من قلب المخيمات والقرى والمدن العربية ، من على الحدود « الصامتة » عبر آلاف الاميال الى ارض مطارات اوروبا الغربية ثم هبطت بعد ساعات في صحراء الاردن على بعد اميال من فلسطين المحتلة، وأطلقت الجبهة على رقعة الارض التي هبطت عليها الطائرات اسم « مطار الثورة » وتساءلت ملايين العالم المندهشة اي ثورة ؟ ولمن ؟ ولماذا ؟ وقد روت عدة قصص صحفية وتقارير سياسية عربية وغربية ما حدث في ذلك اليوم بين الفدائيين والرهائن والدول والشركات صاحبة الطائرات ولكن لغاية اليوم لم يرو احد بالضبط ماذا حدث داخل الطائرات وفي الصحراء، وماذا حدث بعد ان انتقل ركاب الطائرات بحراسة رجال الجبهة الى عمان، والى مخيم الوحدات ، وكيف تصرف الرهائن وماذا سمعوا من الفدائيين وماذا كانت ردود فعلهم لما شاهدوه وسمعوه .

كتاب والتر يوست (كلمة الاشارة « حيفا » يوميات شاهد عيان ، اختطاف طائرة) يروي القصة كاملة منذ اختطاف طائرة « سويس اير » من مطار زيوريخ الى لحظة اطلاق سراح الفدائيين المحتجزين في سجون سويسرا والمانيا وبريطانيا ووصولهم القاهرة ليشاركوا في الوداع الاخير للرئيس الراحل جمال عبدالناصر .

المؤلف مواطن سويسري كان احد ركاب طائرة سويس اير وهي احدى اربع طائرات استولى عليها رجال الجبهة يوم ٦ سبتمبر ١٩٧٠ .

والمؤلف (والتر يوست) هو احد كبار موظفي البريد السويسري وقد كان في طريقه من زيوريخ لنيويورك عندما اجبره القدر ان يتوجه الى ارض المعركة في الاردن ليصبح احد شاهدي عيان ما حدث في مطار الثورة وفي عمان في الفترة ما بين ٦ — ٢٥ سبتمبر ١٩٧٠ .

وربما يكون من المفيد للمواطن العربي الذي شاهد هذه الاحداث من بعيد عبر الاذاعات العربية او عبر صفحات الجرائد ان يعرف كيف كان مواطن اوروبي يرى ما يحدث وما هي الافكار والمشاعر التي كان يحياها وهو يقف وجها لوجه امام ابناء فلسطين المسلحين وهم يعرضون أمامه وامام العالم قضيتهم وينفذون استراتيجيتهم في التحرير عن طريق وسيلة من الوسائل التي دارت حولها العديد من المناقشات سواء فيما بينهم او فيما حولهم ــ اسلوب خطف الطائرات لاهداف محددة .

من خلال اكثر من ٣٠٠ صفحة يروي والتر يوست على شكل يوميات احاديثه مع الفدائيين وانطباعاته عن شخصياتهم وهو يتفحص وجوههم ويراقب حركاتهم ويستمع اليهم يعرضون قضيتهم ويفسرون موقفهم . ويوست لم يكتب في حياته كتابا او مقالا وهو أبعد ما يكون عن عالم التأليف والكتابة بسبب طبيعة عمله الفني الروتيني ولكن كبر الحدث وعنف التجربة حركا فيه رغبة الكتابة والرواية ولهذا فقد تميز كتابه بالبساجة الطبيعية ويمكن اعتباره « وثيقة شخصية » تعبر ربما عن مشاعر مجموع الذين عاشوا تلك التجربة من الاجانب الذين وجدوا نفسهم فجاة وسط المأساة الفلسطينية التي بدأت عام ١٩٦٧ تتحرك من وضعها المأساوي الى وضعها الثوري الذي افتقدته منذ عام ١٩٤٨ .

وضع مقدمة الكتاب الدكتور والتر بيرختولد المدير العام لشركة سويس اير آنذاك وقد حاول في مقدمته ان يضفي على الكتاب بعدا سياسيا بكثير من الحذر فقد جاء في مطلع مقدمته أن « قليلين هم الذين فطنوا الى انه مع ولادة المقاومة الفلسطينية دخل عنصر جديد على الصراع العربي ــ الاسرائيلي وهو عنصر العنف الثوري ، وهو عنصر لا تقيده الانظمة الدولية ولا القوانين المتعارف عليها في الحروب النظامية ، كما ان قليلين هم الذين فطنوا الى ان ظهور هذه المقاومة ربما كان اعلانا لبداية ثورة اجتماعية على الاوضاع السائدة في المجتمعات العربية ، وهذا شيء يجب ان يتفهمه هؤلاء المنادون بمقاطعة الدول العربية ، حيث ينمو في هذه الدول الشعور بأن الثورة الفلسطينية هي العامل الرئيسي في تحقيق التغيير الاجتماعي المطلوب لقيام مجتمعات عربية تستطيع ان تحارب اسرائيل » . بعد هذا التعريف الواعي لطبيعة الثورة الفلسطينية ينعطف بيرختولد على ايديولوجية الثورة فيوجه كلامه الى

« الذين اعتادوا في الغرب ان يروا في الماركسية اللينينية مجرد حركة اجتماعية لا توجد اساليبها الارهابية سوى في متحف الثورة الروسية » فدراما الزرقاء ربما قد فتحت عيون هؤلاء الذين لا يريدون ان يصدقوا بأن اللينينية لا زالت قائمة بكل عنفها ودمويتها وانها لا تضع اي قيمة لحياة الناس اذ ما وجدت الظروف مناسبة لصناعة ثورتها » . ويختتم بيرختولد مقدمته بقوله « ان التهديد بالارهاب لا زال قائما وان التجارب في هذا المجال يجب اتخاذها دروسا للمستقبل » .

هكذا نرى ان هذه المقدمة تلصق الارهاب بالنظرية الثورية اللينينية وبالتالي بكل الثورات والحركات التي تستنير بالايديولوجية الماركسية اللينينية وانها ثانية ترى في الكتاب تجربة جديرة بالدراسة لصد هذه الثورات وابطال مفعول اساليبها . وربما تكون هذه المقدمة اهم ما جاء في الكتاب من الناحية السياسية ، فهي تعبر الى حد ما عن الرأي العام السويسري الرسمي وشبه الرسمي ، (الصحافة والاعلام المعبرين عن المصالح الاقتصادية القوية والاكثر تأثيرا على القرارات السياسية والمواقف الدولية) . والذي يتابع الصحافة السويسرية ومدى تجاوب اكثرية الرأي العام معها يتفهم تماما اسباب ضآلة حجم المجموعات السويسرية التي خرجت عن اطار هذا الرأي وكونها لغاية اليوم لا تشكل سوى جزرا يسارية صغيرة في بحر التفكير البرجوازي السائد في المجتمع السويسري الذي استطاع برخائه الاجتماعي وحياده السياسي الدولي ان يغطي رأسه في الرمال عن الثورات والازمات التي يمر فيها العالم منذ مطلع هذا القرن وينصرف عن قضايا الانسانية معتقدا انها لا تهمه طالما انها لا علاقة لها بحياته الاقتصادية او مستوى معيشته.

ولكن يوست في روايته لساعات الاختطاف وايام الصحراء وليالي المخيمات استطاع ان يرى العالم بغير المنظار الذي يراه فيه وهو جالس امام شاشة التلفزيون في احدى غرف فيلته التي تقع وسط حديقة هادئة في احدى ضواحي العاصمة السويسرية ، فحادثة اختطاف الطائرة اصبحت بالنسبة له اكبر واهم حادثة في حياته وأروع واعمق تجربة انسانية خاضها خلال عمره البالغ خمسون عاما ، لانها وفرت له الصدام والاحتكاك مع واقع قضية لم يعرف عنها من قبل سوى ذلك الجزء الذي رسخ في ذهنه منذ ايام المدرسة والتردد على الكنيسة حيث تعلم « ان اسرائيل هي ارض الميعاد لليهود » وهو يقول « انه حتى مشاعري كانت قبل الحادثة جميعها مع اسرائيل وكان قلبي يخفق خوفا على هذه الدولة ايام حرب حزيران ١٩٦٧ ، اما العرب والفلسطينيون فلم يكن يهمني من أمرهم شيئا ... ولكن عندما شاهدت فدائيي الجبهة داخل الطائرة لاول مرة بدأت اراجع مشاعري واول انطباع كونته عن هؤلاء الرجال هو انهم يبدون وكأنه ليس لديهم ما يفقدونه سوى حياتهم وحتى هذه لا يبدو انهم يشعرون بأي قيمة لها » . ولكن مع مرور ايام التجربة بدأت تتشكل لدى يوست فكرة أوسع واكثر دقة وعمقا عن هؤلاء الرجال وقضيتهم وأسلوبهم في الحياة والعمل والقتال . وصفحات الكتاب تمتلىء — بشكل ممل — بالمقاطع الطويلة لوصف ما كان يحدث داخل الطائرات وخارجها اثناء استقرارها على ارض الصحراء ... والساعات الطويلة المليئة بالخوف والامل التي مرت بين الانذار الاول للجبهة الى الحكومات السويسرية والالمانية والبريطانية والامريكية والاسرائيلية وساعة خروج الرهائن أولا من الصحراء الى مخيم الوحدات وثانيا من مخيم الوحدات الى مدينة عمان ومشاهدة الركاب للطائرات وهي تنفجر وتأكلها ألسنة النار بعد نسفها نتيجة لمناورات الحكومات المذكورة انتظارا لتحطيم عزيمة الفدائيين وايقاعهم في فخ « كسب الوقت لاتخاذ الاجراء الاكثر مناسبة لتلك الحكومات » . وكلما تعرض المؤلف لحادثة او حركة تقطع عليه خيالاته وأحلامه حول البيت السعيد والبلد الامين الذي نشأ وعاش فيه يبدأ في الدخول بحوار مع نفسه في منولوج داخلي يرد فيه بداية ونهاية كل شيء الى الخير والحب والايمان بالله ويدعو في ختامه الى « وجوب تغلب العقل على العاطفة » لهذا فان فصول الكتاب تنتهي عادة بالدعوات والصلوات للجميع ، للرهائن ، للفلسطينيين ، لليهود ، وللحكومات الاوروبية المعنية .

مع امتداد الرواية يقترب يوست تدريجيا الى صلب المأساة التي كانت تخيم على الحادثة منذ وقعت ، فبين ارض الصحراء ومخيم الوحدات ، شاهد يوست عالما لا تهافت على الاستهلاك فيه لانه ليس فيه ما يمكن استهلاكه ، فالهواء حار وجاف ، والماء شحيح والطعام قليل وغريب والوجوه غاضبة واجمة وليس هناك سوى نبض القلوب وثورة

القتول وتوتر وخطر ورجال يخططون لثورة وبيدهم رهائن التحم مصيرهم بالخطة الثورية ولا حديث للفدائيين سوى عن ثورتهم وقضيتهم اما الرهائن فانهم يقيسون كل حركة وكل كلمة بمدى قربها او بعدها عن « موعد » اطلاق سراحهم فكل منهم وراءه ايضا قضية هي النجاة بالنفس والعودة الى الاهل والراحة والطعام اما هذا العالم بين الصحــراء ومخيم الوحدات فهو عالم فارغ قاس ولكنه مثير وجميل لا رائحة للطمع فيه ولا تأكله المادة من كل جوانبه ، في هذا العالم تعرف يوست على صورة للقضية الفلسطينية لم تقدمها الصحافة العالمية له من قبل . .

ولكي لا يغرق يوست في تقييمه الخاص للحادثة فانه يلجأ بين الحين والحين الى الاستعانة ببعض آراء الرسميين او الصحفيين في الحادثة ، فقد قام بعد عودته الى سويسرا بمراجعة ما كانت تنقله الصحف السويسرية عن ردود فعل سويسرية على الحادثة ويقدم يوست نماذج للفكر المعادي والمتطرف ضد العرب في سويسرا والذي اخذ من الحادثة متنفسا له . ويستنتج من النماذج الذي اختارها المؤلف عن هذا الفكر ان الراي العام السويسري قد انتقد تصرف حكومتـــه في التسرع بالخضــوع لشروط الفدائيين ، ففي بيان رفعه الدكتور زاجر رئيس معهد الشرق في برن طلب زاجر قطع جميع الروابط بين سويسرا والعرب وطالب الحكومة السويسرية بتنفيذ الاقتراحات التالية : الحجز على جميع العرب في سويسرا ما عدا الدبلوماسيين ، اغلاق جميع المصالح والبنوك العربية في سويسرا ، الاستيلاء على جميع املاك ومدخرات العرب في سويسرا ، اطلاق النار على الفدائيين الثلاثة الموجودين في سجون سويسرا ، معاملة العرب الذين يتم حجزهم في سويسرا بنفس الطريقة التي يعامل بها الرهائن السويسريون الموجودون بيد الفدائيين ، الاستيلاء على جميع المدخرات والحسابات المالية العربية في سويسرا ، قطع العلاقات مع الدول العربيـــة المتعاطفة مع الفدائيين .

وامام هذه الموجة التي تمثل هذه الاقتراحات قمتها رأت الحكومة السويسرية نفسها مضطرة لنشر بيان حول وجهة نظرها في الاحداث والتطورات التي ادت ، باعتقادها ، الى وقوع رهائن سويسريين بيد الجبهة الشعبية ، ويورد المؤلف هذا البيان كوثيقة رسمية وقد جاء في البيان « ان الحكومة السويسرية كانت قد طلبت الى الدول العربية اعلان استنكارها لاعمال الارهاب ونبهتها الـــى مسؤوليتها عن اي حوادث تعرض حياة السويسريين للخطر ، والحكومة السويسرية اذ تعبر عـــن معرفتها بالروح الثورية التي ينشرها الفلسطينيون في الدول العربية والتهديد الذي تواجهه الحكومات العربية التي وافقت على مشروع روجرز ومعرفتها كذلك بالحوار الدائــر داخل منظمة التحريــر الفلسطينية بين انصار ومعارضي اعمال خطف الطائرات ، فانها تعمل كل ما بوسعها للاحتياط ضد هذه الحوادث ... اما حادثة الخطف الاخيرة فانها تشكل عملا سياسيا خارجا عن نطاق القانون لهذا فانها تجد نفسها في وضع يتطلب قرارا سريعا يضع هيبة وسيادة الدولة موضع الامتحان » . بعد ايراد البيان يحاول يوست بأسلوب المواطن الذي يحترم قوانين بلاده ولا يشك ابدا في صحتها وجدواها ان يبرر موقف حكومته في ترددها بين اختيار اثبات هيبتها او انقاذ الرهائن من رعاياها وهنا ايضا يفضل الدخول في حوار مع نفسه ينتهي فيه بالدعاء لشخصه ولحكومته ولجميع المسؤولين عن امتداد فترة الانتظار .

وتبرز في رواية يوست العديد من الوجوه والافكار التي تكونت منها احداث مطار الثورة ومخيم الوحدات ومن ابرز هذه الوجوه وجه الفدائي ابو الفدا الذي يعتقد المؤلف انه استطاع في عدة مرات ان يجيب على سؤال الرهائن « لماذا نحن هنا ؟ » ولماذا يحارب الفدائيون ؟ وقد سمع المؤلف الجواب النظري على هذه الاسئلة من ابو الفدا وهو جالس تحت الطائرة في الصحراء ولكنه شاهده عمليا عندما رأى القتال في مخيم الوحدات ثـم شاهده مرة ثانية عندما رأى الدمار في شوارع وتلال عمان . .

القسم الاخير من الكتاب خصصه المؤلف لوصف ما شاهده اثناء اقامته في مكتب قيادة الجبهـــة الشعبية في مخيم الوحدات ، وهو يقدم انطباعاته اثناء هذه الاقامة على شكل لقطات سريعة لبعض ما بدا له انــه « تناقضات بين الجـــو العـــام والشعارات » في الحياة العربية التي كان يراقبها على وجوه الناس والجدران من حولهم وهو يبدي استغرابه للشعارات الماركسية التي كانت تغطي الغرفة التي كان فيها بينما المؤذن في الخـــارج ينادي على الناس الى الصلاة ، وهذا الاستغراب

اكثر ما يلفت نظر اي غربي رأسمالي يعتقد بتعارض الدين مع الاشتراكية او بوقوف الاسلام حاجزا امام العدالة الاجتماعية او بوجود عداء متأصل بين الشعوب العربية والنظرية الاشتراكية .

وكذلك يصف المؤلف « انسانيــة الفدائيين التي تتعارض مع عنف ثوريتهم » حسب اعتقاده . وحول معاملة الفدائيين للرهائن يتراوح حكم المؤلف بين الشكوى من المعاملة وبين المقبول بها وتبريرها كأفضل ما كان يمكن ان تكون عليه في تلك الظروف. وهذا الحكم متأثر طبعا بالوضع الخاص للمؤلف الذي كان في الوقت نفسه قاضيا وطرفا في تلك المعاملة فهو ـ يقول ان شباب الجبهة قد وزعوا على الرهائن كتبا ونشرات بالانكليزية عن فكـر واستراتيجية الجبهة وكان احد هذه الكتب كتاب حول خرق اسرائيل لبنود اتفاقيات جنيف بخصوص معاملة الاسرى والكتاب يحتوي على قائمة طويلة لحالات الخرق هذه . ويعلق يوست على ذلك بقوله بأن معاملة الفدائيين للرهائن كانت ايضـا نموذجا من خرق تلك الاتفاقيات مع ان ابا الفدا كان دائما يقول لهم « انتم ضيوف الجبهة » . وهنا يتساءل يوست « ما هي الجبهة وكيف ظهرت » وفي محاولة لإيجاد جواب اشتقه مـن مطالعته لمؤلفات الجبهة وبعض الكتب الاخرى التي توفرت له في سويسرا يروي للقــارىء مختصر جيد لقضية فلسطين وظهور منظمات المقاومة الفلسطينية . ولا يخفي يوست اعجابه بكتاب « مشاهدات الاطفال في زمن الحرب » ولكنه يشكك في صحة بعض ما ورد على لسان الأطفال من تعليقات حول رسوم الكتاب .

ثم يعود الى تكملة الرواية فينتقل بالقارىء من مأزق الى مأزق يستغل كل منها لتفريغ ما في جعبته من آراء استطاع تكوينها اثناء معايشته لجزء مـن احداث سبتمبر وهنا يصل الى اسرائيل فيتساءل : « ماذا سيحدث للعالم لو اراد كل شعب ان يعود الى المنطقة التي أتى منها قبل الفي علم ، ونحن لا نناقش حق اسرائيل في البقاء ولكن نطلب مـن اسرائيل ايجاد حل للذيـن فقدوا وطنهم بسبب وجودها ، فقد آن لابناء ابراهيم ان يتعايشوا في محبة » . وربما يكون هذا الرأي هو الرأي السائد حاليا بين المعتدلين في اوروبا وهو اقصى ما يمكن أن يصل اليه اوروبي حيادي امام الصراع العربي ـ الاسرائيلي : بقاء اسرائيل مع ايجاد حل انساني للفلسطينيين ، هذا ما يردده عشرات المعلقين كل يوم في الصحافة والاذاعة والتلفزيون في اوروبا ولا يبدو ان ايام الصحراء والمخيم وكل ما شاهده يوست قد حركه الى الامام مليمترا واحدا عن هذا الراي الذي يحقق للاوروبي « انسانيته » دون ان يخلع عن اسرائيل شرعيتها او يناقشها وجودها وفي الوقت نفسه يمنح الفلسطينيين حقا نظريـا في استحقاق الحياة على هامش الوجود الاسرائيلي ، وبالنسبة للانسان الغربي فانه لا يجـد في هذه المعادلة اي شذوذ طالما انها ضمن منطق القانون الساري مفعوله تاريخيا والذي يضع كيانات الدول فوق حقوق الجماعات ، وتستفيد اسرائيل كثيرا من هذا المفهوم الواسع الانتشار للقانون الدولي وهي تركز محور دعايتها على مبدأ كونها « دولة تريد أن تعيش » .

الا ان يوست يعود فيضع نفسه مرة ثانية في دوامة « حق اسرائيل في البقاء وحق الفلسطينيين في الحياة » فيقول مستنكرا احتفاظ الفدائيين ببعض الفتيات اليهوديات الامريكيات ممن يحملن الجنسية الاسرائيلية كرهائن « ما ذنب هؤلاء الفتيات ، فقد قامت اسرائيل قبل ان يكن قد ولدن ، وشعبهن كان ملاحقا طوال التاريخ ثم وجد وطنا على حساب شعب آخر » . وكأن يوست هنا شعر بأنه اقترب كثيرا واكثر من اللزوم الى الحقيقة ولهذا فانه يلجأ بسرعة الى توجيــه نداء غامض للعالم لتخليص اللاجئين من مصيرهم البائس فيقول في النداء « ان وجوه اللاجئين المليئـة بالفزع ستلاحقنــي طوال عمري ... فقد أصبحت جزءا من عالم لم أعلم بوجوده من قبل ومرت أمامي مئات الوجوه القاتمة المظلمة ... لاجئين لاجئين لاجئين هل سيجدون وطنا في يوم ما ! »

وبعد وصفه لما شاهده من احداث دامية في عمان يختم كتابه قائلا « سوف يستغرب الكثيرون عندما يسمعونني أروي ما حدث لي دون اثر للكراهية او الحقد على الفلسطينيين ولكن هذا الاستغراب سيختفي عندمـــا يتفهم هؤلاء مأســـاة الشعب الفلسطيني » .

في نهاية الكتاب وثيقة اخرى صادرة عن الحكومة السويسرية بعد قرارها بالافراج عن الفدائيين وليس في الوثيقة من جديد فقد نشرتها وكالات الانباء في حينها وجوهرها يدور حول « الظرف القانونـــي وصعوبة الحالة التي تم فيها اتخاذ القرار بالتشاور

والاتفاق مع حكومات كل من المانيا وبريطانيا والولايات المتحدة واسرائيل واعتبار القرار لا يشكل سابقة قانونية يمكن للفدائيين الاعتماد عليها في المستقبل » .

هذا هو كتاب والتر يوست والذي يقراه بكامله يلاحظ انه قد كتب بكثير من السذاجة وقليل من التعقيد ، السذاجة ليس بمعنى ان صاحبه يفتقر الى الذكاء ولكن سذاجة الذي كان يستيقظ كل صباح على اساس ان العالم بخير ، واستيقظ في يوم فجاة فوجد على مائدة افطاره قنبلة زمنية بدل فنجان القهوة وعندما استطاع ابطال مفعولها بعد لحظات عصيبة من الخوف والتردد قذفها جانبا وبدأ يرشف من فنجان قهوته المعتاد ، وربما كانت هذه البساطة هي التي اضفت على الكتاب تلك النزعة الانسانية الرائعة التي اصابت وربما عن غير قصد قضية الشعب الفلسطيني والمشاعر النبيلة التي يحفظها المؤلف له « بعد استثناء زعمائه المتطرفين » . وقد لجأ المؤلف مرارا الى اسلوب فصم المجموعة الانسانية للفلسطينيين — وهو ما يسميه باللاجئين — عن الرجال من الفدائيين الذين اتصل بهم اثناء احتجازه ، وحتى انسانية الفدائي يسقطها المؤلف عنه لمجرد اقترانه بالفكر الثوري ، فهو يريد ان يرى لاجئين بائسين ينتظرون الحل ولا يريد ان يرى فدائيين يخرجون من صفوف اللاجئين من اجل اقرار « الحل » ، وهكذا تنتهي قصة الاختطاف الثوري حيث بدأت فيبدو الكتاب خاليا من أي ميزة سوى انه كتب بروح صادقة اذا تم الحكم عليه بموجب الخلفية الاجتماعية والثقافة الاوروبية التي نشأ عليها المؤلف .

الدكتور عدنان العمد

شـــهريات

(١) القضية فلسطينيا وعربيا

بدايات عام ١٩٧٣ كانت بدايات حافلة على الصعيد الفلسطيني ، بدأت فيها تحركات دولية جديدة باتجاه التسوية السياسية ، وبرزت فيها أيضا تحولات عربية نوعية فيما يتعلـق بمواقف الدعم والتأييد لحركة المقاومة . ورافق ذلك كله توتر في الاجواء الداخلية الفلسطينية نقلت أصداءه صحف عربية في بيروت والكويت بشكل خاص .

ومن الصعب فصل دلالات هذه الاحداث عن بعضها البعض . كذلك مـن الصعب القول بأن هـذه الاحداث كلها كانت أحداثا مفاجئة . فمنطق الامور العام الذي حكم سياسات المنطقة العربية ، كان لا بد وأن يؤدي الى الاحداث التي نشهدها ، وأن يظهر من خلال هذه الاحداث بوضوح ، تناقضها مع أهداف النضال الفلسطيني كما عبرت عنه منظمة التحرير الفلسطينية منذ أن تسلمت قيادتها منظمات العمل الفدائي .

والامر الهام الذي تبرزه هذه الاحداث أن حركة المقاومة سوف تواجه طوال عام ١٩٧٣ تحديات مصيرية تستدعي منها وضوحا سياسيا ، وصلابة في المواقف ، وممارسات جادة لترجمة مواقفها الى خطط عملية ، حتى يكون بامكانها أن تصمد أمـام التحديات التي تواجهها ، وأن تبلور الموقف الوطني الفلسطيني بصورة حاسمة للغاية ، بحيث يتمكن من فرض نفسه ، على أنـه الموقف الفلسطيني الوطني الوحيد الذي لا مكان لموقف فلسطيني آخر الى جانبه .

مجلس الدفاع العربي :

كان مجلس الدفاع العربي الذي بدأ جلساته في القاهرة يوم ٢٧ ك٢ من أبرز الاحداث التي شهدت تحولا عمليا في موقف الانظمة من حركـة المقاومة الفلسطينية . ويكفي أن نقارن بين مجرى النقاش العام بين دورة مجلس الدفاع العربي التي عقدت فـي الكويت في ١٩٧٢/١١/٥ وبين دورة القاهرة المذكورة حتى نتبين التغير البارز الذي طرأ على الموقف العربي . ففي مؤتمر الكويت وأثناء البحث في موضوع الجبهة الشرقيـة ركزت كافة الوفود نقاشها حول العلاقات بين النظام الاردني وحركة المقاومة . باعتبار ان انشاء الجبهة الشرقية ، التي تكون حركة المقاومة جزءا منها ، يقتضي سلفا حل أزمة العلاقات بين الاردن والمقاومة . وربطت كافة الدول العربية موقفها من النظام الاردني ، والعودة لاقامة علاقـات طبيعية معـه ، بمدى استعداده لحل هذه المعضلة . وحين رفض الوفد الاردني مجرد البحث في هـذا الموضوع ، تعثـر موضوع الجبهة الشرقية ، وبقيت العلاقات المقطوعة ــ سياسيا واقتصاديـا ــ بين الاردن والدول العربية الاخرى على حالها . أما في مؤتمر القاهرة، فقد جاءت معظم الوفود العربية الى المؤتمر ، لتناقش من وجهة نظر مناقضة لما جرت عليه الامور في مؤتمر الكويت ، وملخص وجهة النظر الجديدة هذه : تحسين العلاقات مع الاردن ، ثم البحث على ضوء ذلك بمستقبل العلاقة بين الاردن والمقاومة . والسبب الاساسي وراء هذا الانحياز الى الموقف الاردني ، يعود الى أمرين مترابطين : الامر الاول يتعلق بالمبادرة الامريكية المنتظرة ، ومراهنة أكثر من نظام عربي عليها . والامر الثاني يتعلق برحلة الملك حسين الى الولايات المتحدة للبحث بشأن هذه المبادرة ، حيث كانت الانظمة العربية المعنية حريصة على ان تعطي للملك حسين فرصة للتفاوض من موقع قوي نسبيا . والترجمة العمليـة لذلك تتمثل في التضحية بالمقاومة ، وازالة جو العزلة العربي المحيط بالنظام الاردني ، وتمكين الملـك حسين بالتالي ان يتحدث باسم موقف عربي عام ، وليس باسم الاردن فقط .

وقد كان هذا الموقف العربي سببا لان يبادر الوفد

الفلسطيني الذي ترأسه الاخ «ابو يوسف» الرئيس الجديد للدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ، الى اعلان موقف عنيف يسجل بوضوح ادانته لهذا الموقف العربي الذي يعلن تخليه عن دعم المقاومة لصالح النظام الاردني ، وجاء في هذا الموقف :

ـ اننا في الوقت الذي نؤيد فيه كل محاولة للصفاء العربي من أجل المعركة ، فاننا نرفض ان يكون ذلك على حساب شعبنا وقضيتنا .

ـ واذا كان بعض الاخوة العرب راغبين في ذلك اللقاء دون الالتفات الى القضية الاساسية ومن غير الوقوف الى جانب الثورة الفلسطينية ، فليسمحوا لنا ان نقولها بكل صراحة ، ليتحملوا مسؤولية ذلك أمام شعوبهم والشعب الفلسطيني . ونحن من جهتنا لا دخل لنا في اية مصالحة تتم لتحقيق هدف ما يخدم هذا البلد او ذاك . وعلى كل حال فان الالتزام الفلسطيني لا يمكن الا ان يكون من اجل التحرير ومعركة حرب التحرير الشعبية الشاملة ، ونرفض أن نكون ضمن لعبة الانظمة العربية التي تريد حلولا جزئية او استسلامية . وبالتالي فاننا نرفض أن يعطى الاردن اي عون عربي ما لم يلتزم بعودة العمل الفلسطيني ليعمل بحرية على الجبهة الشرقية .

وما أن انتهى مجلس الدفاع العربي ، حتى بدأ النظام الاردني يتراجع علنا عن المواقف اللفظية التي قدمها لتشكل تغطية لتغيير المواقف العربية . وهي المواقف التي تناولت الاستعداد لاحياء الجبهة الشرقية ، وبحث عودة العمل الفدائي . ففي ٣١ ك٢ أعلن السيد صلاح ابو زيد الذي أطلق التصريحات المشار اليها بنفسه في مؤتمر القاهرة ، ان « الاردن لا يقبل عودة عقارب الساعة الى الوراء » فيما يتعلق بالعمل الفدائي . وكان ذلك تمهيدا لصياغة هذا الموقف بوضوح أشد على لسان الملك حسين نفسه ، الذي أطلق عشية سفره الى الولايات المتحدة سلسلة من التصريحات حدد فيها موقف الاردن الرسمي من قرارات مجلس الدفاع ، كما حدد الاسس التي سيفاوض عليها في البيت الابيض الامريكي . ففي ٣ شباط قال الملك في حديث تلفزيوني انه يرفض عودة الفدائيين الى الاردن . ويرفض تجميد مشروعه الداعي لانشاء المملكة العربية المتحدة . كما ويرفض دخول قوات عربية الى الاردن ما لم تدفع له الدول العربية كافة المساعدات التي أقرت في السابق وجمدت بعد معارك ايلول ١٩٧٠ وجرش ١٩٧١ . ثم تطرق الملك الى ما هو أخطر من ذلك في مقالة له نشرت في اليوم نفسه ، ووزعتها وكالة الاسوشيتدبرس الاميركية ، وجاء فيها ان قرار مجلس الامن يسجل نقطتين اساسيتين : النقطة الاولى الاعتراف بواقع اسرائيل كدولة ، والنقطة الثانية انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة . ووردت في هذه المقالة أيضا دعوة لايجاد حل ديني لمدينة القدس ، يجرد المسألة من طابعها السياسي ، وذلك من خلال اجتماع يعقد بين ممثلين عن الاديان الثلاثة للبحث بمستقبل المدينة .

وقد ردت منظمة التحرير الفلسطينية على هذا الموقف فقالت (٤ شباط) أنه « يؤكد استحالة انسجامه مع عملية الحشد والتعبئة والاستعداد » . وأضافت تقول نود ان نذكر بموقف وفدنا في مجلس الدفاع الذي ركز على « ضرورة المعركة والقتال من اجل التحرير مرتفعا بذلك فوق كل جراحات الماضي وخطاياه التي يتحملها النظام في الاردن » . وما من شك في أن هذا الرفض الاردني لقرارات مجلس الدفاع لم يفاجىء أحدا ، مما يشير بوضوح الى أن ما كان المجلس معنيا به بالدرجة الاولى هو اخراج الاردن من عزلته أولا ، حتى يكون قادرا على حرية الحركة على الصعيد الدولي . ويترتب على ذلك بالطبع محاصرة حركة المقاومة سياسيا بحيث تصبح خاضعة ، شاءت أم أبت ، لمجريات السياسة العربية الرسمية .

وقد كان من أول النتائج التي أفرزها هذا الموقف العربي ، فيما يخص وضع المقاومة بالذات ، اقدام النظام في لبنان على اجراء مباحثات مطولة مع المقاومة الفلسطينية ، حول ما سيكون عليه وضع المقاومة الفلسطينية في لبنان حين يأخذ هذا الموقف العربي الذي برز في مجلس الدفاع العربي مداه الكامل . فخلال اسبوع واحد عقدت ثلاثة اجتماعات بين صائب سلام وياسر عرفات كان آخرها يوم ٨ شباط . وما صدر عن هذه الاجتماعات كان قليلا جدا ، أبرزه ما ورد على لسان السيد سلام في تصريح صحفي يوم ٩ شباط حين قال أن « الاوضاع العربية والتطورات الجارية والمرتقبة في المنطقة كانت موضع بحث مع عرفات . **فالمقاومة الان أمام مفترق طرق ، وعليها أن تواجه المواقف التي تحتمها التطورات المرتقبة بالنسبة الى القضية الفلسطينية** » . واضافة الى ما توحي به هذه

الكلمات علم ان السيد سلام طرح بوضوح ما مؤداه ان لبنان لا يستطيع السماح لحركة المقاومة بالتواجد داخل اراضيه حين تكون الدول العربية رافضة لهذا التواجد في أراضيها . ولذلك فانه من المطلوب التفكير في وقت مبكر بما سيكون عليه وضع المقاومة في لبنان ، حين يتبلور هذا الاتجاه العربي على شكل خطوات عمل ملموسة . وقد لوحظ أن السيد ياسر عرفات عقد اثناء هذه اللقاءات مع صائب سلام اجتماعا مطولا آخر مع السيد كمال جنبلاط الذي يتزعم المعارضة اللبنانية، رفض عرفات على أثره ان يدلي بأي تصريح حول ما دار فيه من بحث .

المواقف الفلسطينية :

ازاء هذا التحول الواضح في الموقف العربي ، والمرتبط أساسا بتحرك الجهود المبذولة لايجاد تسوية سياسية ، كانت هناك أحداث فلسطينية ذات دلالات خاصة ، وأبرز هذه الاحداث ثلاثة :

اولا : الجولة التي قام بها الاخ ياسر عرفات في بعض البلدان العربية بعد انتهاء اعمال المجلس الوطني الفلسطيني وبعد انتهاء اعمال مجلس الدفاع العربي ، حيث زار ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، ثم قام بزيارة أخرى الى بغداد ألقى أثناءها خطابا في حفل جماهيري يوم ١ شباط قال فيه : ان هناك محاولة لتصويرنا خارجين عن الصف العربي . سنخرج عن الصف العربي اذا رضي الاستسلام ، لكننا معه اذا كان يريد القتال ، ونحن نرفض ان نكون ضمن لعبة تريد في النهاية أن توقع الصلح مع العدو . وكان السيد عرفات في موقفه هذا يرد من جديد على مجرى الحوار العربي الذي دار في مجلس الدفاع . ثم على اثر اعلان الملك حسين في تصريحاته رفضه لتواجد العمل الفدائي في الاردن ، ارسل السيد ياسر عرفات رسالة خاصة الى الرؤساء الثلاثة ، السادات والاسد والقذافي ، اثناء اجتماعهم في القاهرة يوم ٦ شباط ، تناولت تصريحات الملك ودلالاتها الواضحة ، وما يترتب عليها من مواقف عربية . وصادف توقيت هذه الرسالة مع افتتاحية لجريدة فلسطين الثورة أوضحت فيها « انتقال الرسمية العربية ، مع بعض الاستثناءات ، نحو الموقف الاردني وليس العكس » .

ثانيا : التصريحات التي أدلى بها بعض قادة المقاومة ، وحملت في طياتها توجهات سياسية جديدة . ففي ٢١ ك٢ القى صلاح خلف أحد قادة فتح خطابا في مقر الاتحاد العام لطلبة فلسطين في القاهرة أبرز فيه النقاط التالية :

١ — دافع عن عمليات أيلول الاسود ، دون أن يسميها .

٢ — قال ان الضمانة الوحيدة لاستمرار المقاومة هي في ممارسة النشاط السري .

٣ — هاجم بعض الجهات العربية دون ان يسميها. وفهم ان هذه الجهات هي السعودية والاردن .

٤ — هاجم التقارب العربي الاردني .

ولفت الانظار في هذا الخطاب اقدام مسؤول من فتح على مهاجمة السعودية ، ولو بدون تسمية . كذلك اقدام مسؤول من فتح على الدفاع العلني عن عمليات أيلول الاسود .

وفي ٣١ ك٢ اجرى الاخ صلاح خلف بالاشتراك مع الاخ ابويوسف مقابلة صحفية مع جريدة الاوريان — لوجور البيروتية وكرر فيها الدفاع عن العمليات الخارجية ، فيما يمكن اعتباره أول دفاع نظري عن هذا النمط من العمليات الذي ساد بعد أيلول ١٩٧٠ ، وهو دفاع يقترب في جوهره من الموقف الذي أعلنته مرارا قبل ذلك التاريخ ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . قال ابو اياد « ان من حقنا ان نقاتل في اي بقعة من العالم وحيث يكون العدو ، فكل دول العالم تتحمل جزءا من المسؤولية في ضياع فلسطين . وحين يحرموننا حقنا الاساسي في القتال على ارضنا لاخراج الغاصب ، فمن الطبيعي أن نوسع ساحة القتال . لذلك نطلب من جميع مقاتلينا ان يحافظوا على حقهم المقدس في القتال باللجوء الى السرية التامة » . ثم اجاب أبو اياد على سؤال يتعلق بالاردن فقال « نحن ضد أي تدخل في شؤون الاردن الداخلية . ولن نسمح لانفسنا بدخول المدن . كانت فتح دائما ضد دخول المدن ، لانه يسيء الينا بلا فائدة » . ثم سئل : ماذا ستفعلون اذا عرضت الحكومة الاميركية ... سلاما يأخذ في الاعتبار حقوق الشعب الفلسطيني وكيانه ؟ وكان جواب الاخ ابو اياد : « المهم أن نعرف اذا كان الشعب الفلسطيني بالنسبة الى الاميركيين هو أعيان الضفة الغربية ... يجب ان لا ينكر الاميركيون في السلام من دون أخذ الفلسطينيين بالاعتبار ، لكن الاميركيين هم الذين يرفضون اجراء حوار معنا » .

ثالثا : الانباء التي نشرت في الصحف وتحدثت عن وجود خلافات حادة داخل حركة فتح ، وعن صراع بين مجموعة يقودهـا ياسر عرفات ، ومجموعة أخرى يقودها خالد الحسن . وقد نشرت هـذه الانباء أساسا في جريدتي النهار البيروتية والسياسة الكويتية ، وان هذا الصراع برز في المجلس الوطني الفلسطيني . ولما كانت قضايا فتح الداخلية تخص فتح وحدها ، ومن حقها هي دون غيرها ان ترد عليها وتوضحها ، الا أنه لا بد من الاشارة الى أن الحديث عن هذا الخلاف قد اعتمد على وقائع غير صحيحة دارت في المجلس الوطني الفلسطيني وهي التي سنحاول هنا القاء الضوء عليها :

قالت جريدة النهار : عرض خالد الحسن التحولات في السياسة الدولية وطالب باستيعاب التطـورات وفهمها ، ولكنه لم يعرض خطا سياسيا معينا بل أبقى المسألة معلقة لتتبلور في النقاش . والصحيح ان خالد الحسن انتقد ان يدور نقاش المجلس بعيدا عن القضايا الاساسية المطروحة عمليا ، وعرض هذه القضايا الاساسية انطلاقا مما تمثله حركة المقاومة من ارادة القتال .

قالت النهار : رد عرفات فاتهم خالد الحسن باشاعة جو انهزامي . والصحيح ان رد عرفات لم يتضمن اي اشارة من هذا القبيل . واضافة الى ذلك ، رفض بشكل علني ان يعتبر ما قاله ردا على كلمة خالد الحسن .

قالت النهار : ان خالد دعا الى اعتبار لبنان نقطة انطلاق اساسية للعمل الفدائي لكن عرفات تصدى له ودعا الى اعتبار لبـنان « ساحة مهمة » . والصحيح ان خالد الحسن لم يطرح هذه النقطة في خطابه . انما هي طرحت في توصيات لجنـة الخطة ، فدعا الأخ ابو عمار الى تعديلها ، وشارك في هذا الطلب اشخاص من الذين سمتهم النهار انهم من فريق خالد الحسن .

قالت النهار : ان خالد الحسن طالب بتسليم بعض اجهزة منظمة التحرير الى شخصيـات مستقلة وبفصل الجهاز الاداري للمنظمة عن المنظمـات الفدائية . وان المستقلين في المجلس دافعوا عن هذا الاتجاه وقادة المنظمات نعتوه بالشعوبية . والصحيح ان خالد الحسن لم يطالب بتسليم اجهزة المنظمة للمستقلين ، كما ان المستقلين لم يطالبوا بذلك . وما قاله خالد الحسن تناول حملة النقد الموجهة الى تقرير اللجنة التنفيذية قائلا انه يفهم ان يقدم المستقلون على القيام بهذا النقد باعتبارهم بعيدين عن المشاركة في اتخاذ القرارات ، ولا يفهم ان تقدم المنظمات على ذلك وهي المساهمة باتخاذ هذه القرارات من خلال عضويتهـا في اللجنـة التنفيذية .

والملاحظة الجديرة بالتسجيل ازاء هذا الحديث في الصحف عن خلافات داخل فتح ، قناعة بعض الاوساط الفلسطينية ان هدف هذه المحاولات استغـلال خلافات فتح الداخلية لتغذيتها من اجل شقها ، وذلك انسجاما مع مقتضيات المرحلة ، حيث تتحرك الحلول التصفوية بسرعة ، وحيث يستلزم هـذا التحرك شق الموقف الفلسطيني واضعاف تماسكه.

العمليات الخارجية :

شهدت هذه الفترة سلسلة جديدة مـن العمليات الخارجية . ففي يوم ٩ ك٢ ، وهو يوم وفـاة الشهيد محمـود الهمشري ، انفجرت في باريس عبوات ناسفة شديدة في المبنى الذي يضم مكاتب الوكالة اليهودية . وأحدث الانفجار تدميرا شديدا في المكاتب ، ولم يؤد الى وفاة احد . وفي اليوم نفسه قالت صحف اسرائيل ، ان رومانيا احبطت محاولة لمنظمة أيلول الاسود كان هدفها الهجوم على السفارة الاسرائيلية . ثم أعلنت منظمة ايلول الاسود يوم ٢٧ ك٢ أنها أعدمت في مدريد ضابط مخابرات اسرائيليا . واعترفت اسرائيل ان القتيل يدعى باروخ كوهين ، وأنه من رجال المخابرات بالفعل ، ويعمل في الجهاز الخارجي للمخابرات . اما في ٢٥ ك٢ فقد استشهد في قبرص احد رجال فتح ويدعى حسين ابو الخير ، عندما انفجرت قنابل وضعت تحت سريره في الفندق الذي كان يقيم فيه . وقد نقل جثمانه الى صيدا وشيع بجناز شعبي ضخم يوم ٢٩ ك٢ . ويوم نقل جثمانه من قبرص نظمت مظاهرة قبرصية كبيرة توجهت نحو سفارة اسرائيل احتجاجا على مقتله .

وكان اللواء محمد خليل عبد الدايم سفير الاردن في عمان (بضم العين) اعلن يوم ٣ ك٢ انه تلقى رسالة متفجرة عليها خاتم منظمة التحرير الفلسطينية، جرى ضبطها وتفجيرها . وعلم بعد ذلك بفترة ان وزارة الخارجية الاردنية قررت استدعاءه من عمان الى الادارة المركزية . والجديـر بالذكر ان اللـواء عبدالدايم كان من القادة العسكريين الاساسيين اثناء مجزرة أيلول ١٩٧٠ .

المعارك السورية الاسرائيلية :

شهد مطلع العام الجديد اشتداد حدة المعارك بين سوريا واسرائيل ، هذه المعارك التي لم تقتصر على مناطق الحدود بل تعدتها لتشمل مناطق العمق في الاراضي السورية ، من خلال الغارات المكثفة للطيران الاسرائيلي . وقد كانت لهذه المعارك معان سياسية ذات أثر عربي وفلسطيني .

فمن جهة أولى مثلت هذه الاعتداءات الاستمرار في السياسة الاسرائيلية الهادفة الى تدمير أي بناء جديد للقوة العسكرية العربية كجزء من الخطة الرامية الى حشر الوضع العربي في موقف يائس من الصمود ، ومندفع بالتالي الى التسليم بالشروط الاسرائيلية للتسوية .

ومن جهة ثانية استهدفت الاعتداءات الاسرائيلية الحاق أضرار واسعة بالسكان المدنيين بهدف الوصول الى جو من الخوف وابراز حالة من النقمة وخلق مصاعب في وجه الحكم السوري .

ومن جهة ثالثة فان الاعتداءات الاسرائيلية تصاعدت بشكل ملحوظ بعد نمو العلاقات بين سوريا والاتحاد السوفياتي ، وبعد الاسلحة الجديدة التي حصلت عليها سوريا نتيجة لذلك والتي رفعت من كفاءتها القتالية بشكل واضح . وأحد الاهداف الاساسية لهذه الاعتداءات الضغط على سوريا حتى توقف نمو علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي ، وتسلم بالمنطق القائل بأن مفتاح حل أزمة الشرق الاوسط انما يكمن في العاصمة الامريكية ، وبأسلوب الحل الذي تقترحه هذه العاصمة لا بأي اسلوب آخر سواه . وقد لجأت سوريا في وجه هذا التحرك العسكري الاسرائيلي الى سياسة المواجهة ، والرد على القوة بالقوة . واضافة الى موقفها العملي عكست اذاعاتها وصحفها دعوة الى حكومات المواجهة العربية بفتح جبهاتها مع اسرائيل ، حتى لا تبقى سوريا وحيدة في المعركة من جهة ، وحتى يتكرس منطق العمل لاسترداد الاراضي المحتلة بالقتال ، من جهة أخرى . وفي سياق هذه العملية رفضت سوريا حجج الاعلام الاسرائيلي الذي ركز على أن سبب هذه الاعتداءات هو سماح سوريا للعمل الفدائي الفلسطيني بالانطلاق من أراضيها . وقد برز ذلك بوضوح عشية المعركة الجوية التي دارت يوم ٣١ ك١ ، حيث قالت الاذاعة السورية في تعليق لها ان من أهداف اسرائيل تصوير « ان الفدائيين الفلسطينيين هم مصدر الشر والبلاء » . وقد كانت هذه المعركة أول معركة ليلية يخوضها الطيران السوري وجاءت بعد قصف سوري كثيف بالمدفعية للمواقع الاسرائيلية في الجولان ، ردت عليها اسرائيل بغارة جوية على منطقة النبك ، الواقعة في منتصف الطريق بين دمشق وحمص .

ولم تمض على هذه المعركة سوى ايام قلائل حتى شهدت الاجواء اللبنانية يوم ٢ ك٢ معركة اخرى بين المقاتلات السورية والاسرائيلية ، اشتركت فيها اكثر من ٢٠ طائرة اسرائيلية ، سقطت فيها طائرة سورية في لبنان وتوفي قائدها ، بينما سقطت طائرة اسرائيلية في البحر .

أما في ٨ ك٢ فقد شهدت منطقة الحدود أعنف المعارك على الاطلاق ، حيث ساهمت في القتال القوات البرية والجوية والمدرعة . وأعلنت دمشق نتائج المعركة فقالت انها أسقطت ٤ طائرات اسرائيلية ودمرت ٢٥ دبابة ، بينما خسرت في المعركة ثلاث طائرات ، واصيبت محطتان للرادار السوري بأضرار . وبالمقابل ادعت اسرائيل انها اسقطت ست طائرات سورية ، واصابت اربع محطات للرادار ، وان خسائرها اقتصرت على أضرار بسبب قصف المدفعية السورية شملت قرية داخل الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، ولكن اسرائيل لم تستطع الا ان تشير بنفسها الى كفاءة الطيارين السوريين في القتال .

وعلى أثر هذه المعركة استقبل السيد عبدالحليم خدام وزير الخارجية السوري رؤساء البعثات الديبلوماسية العربية ، وأطلعهم على مجرى الاشتباكات العسكرية ، وعلى ضخامة الخسائر المادية التي ترتبت عليها . أما الصحف فقد كررت من جهتها دعوة الجيوش العربية الى التدخل فورا لاشعال الجبهات ، وحين عقد مجلس الدفاع العربي بالقاهرة أعادت سوريا طرح موقفها هذا ، واستطاعت ان تحصل على مساعدة مالية تعوض بعض خسائر المعارك الماضية والمنتظرة ، من اجل صمود أطول .

وهنا يجب أن نلاحظ ان الهدوء العسكري الذي ساد الجبهة اللبنانية الاسرائيلية مؤخرا ، لم يخل من تحرشات اسرائيلية متواصلة . ففي ٦ ك٢ أعلن الناطق العسكري اللبناني ان اسرائيل خرقت حرمة الاجواء اللبنانية خمس مرات في الفترة الواقعة بين ١٢/٣١ — ٧٣/١/٦ .

بلال الحسن

توضيح من السيد سعيد الحمامي

كانت « شؤون فلسطينية » قد عرضت في العدد ١٤ لحادثة ميونيخ وردود الفعل عليها . وسجلت في جملة ما سجلته ردود الفعل الفلسطينية كما وردت في الصحف والتصريحات الرسمية ، والتي جاءت بمجموعها اما مؤيدة للعملية ، او موضحة لمبرراتها . وسجلت أن صوت النشاز الوحيد ازاء عملية ميونيخ ، اقتصر حتى ذلك التاريخ ، على موقف السيد سعيد الحمامي مسؤول الاعلام في مكتب الجامعة العربية بلندن. وتنشر «شؤون فلسطينية» فيما يلي ردا من السيد الحمامي على ما نشرته وهي معنية بتوضيح ما يلي:

١ ــ اعتمدت « شؤون فلسطينية » فيما كتبته على ما نقلته وكالات الانباء ، وعلى ما روي لها على لسان مسؤولين فلسطينيين تثق بهم عن حديث السيد الحمامي في التلفزيون البريطاني الذي استنكر فيه العملية ، ساعية الى التاكد من اشخاص مسؤولين من صحة الموقف دون الاكتفاء باقوال الصحف ، او بما نقلته اذاعة لندن .

٢ ــ خلافا لما ورد في النقطة الثالثة من رد السيد الحمامي، فقد تلقى بعد تصريحاته العديدة حول عملية ميونيخ اشعارا من منظمة التحرير يطلب منه عدم الادلاء باي تصريح صحفي ، ورد واعدا بالالتزام بذلك .

جاء في العدد ١٤ من شؤون فلسطينية ، تشرين الاول ، ص ٢٣٧ ما يلي : امـا صوت النشاز الوحيد فقد صدر عن السيد سعيد حمامي مسؤول الاعلام في مكتب الجامعة العربيـة بلندن ، الذي استنكر العملية ونفى في جو من الاستنكار وجود اية علاقة لايلول الاسود بمنظمة التحرير .

ارجو ان أوضح ما يلي :

١ ــ لا أريد أن أناقش رايي بأعمال العنف التي تقوم بها بعض المنظمات الفلسطينية خارج حدود وطننا المحتل أو خارج المنطقة العربية ، فهذا فوق صلاحياتي ، ولكنني أريد أن أعلق على ما نشر في شؤون فلسطينية وبعض الصحف الاخرى بشأن تصريح نسب الي وجاء فيه انني استنكرت عملية ميونيخ .

لقد استند الجميع بالتأكيد الى نشرة اذاعة لندن باللغة العربية ظهيرة عملية ميونيخ دون ان يحاول احد ان يتأكد من المصدر او المصادر التي اعتمدتها تلك الاذاعة في خبرها .

٢ ــ ان كل ما أدليت به من تصريحات اثر العملية قد نشر في الصحف البريطانية ، وتجدون طيـه صورا لما نشرته الصحف ، ولست بطبيعة الحال مسؤولا عن اي تشويه او اقتطاف مشوه لما يمكن أن أصرح به ، لست مسؤولا مثلا اذا كانت اذاعة لندن تختار من تصريحي جزءا خاصا للمستمعين العرب ، وجزءا آخر للمستمعين البريطانيين . ولست مسؤولا اذا كانت صحيفة النهار لا تأخذ من رسالتي التي نشرتها التايمز عن أيلول الاسود سوى جزء صغير وتضعه تحت عنوان : « ممثل منظمة التحرير في لندن يعلن : لا علاقة للمقاومة بأيلول الاسود » . وان كنت متأكدا ان واجب الاعلام الفلسطيني توضيـح مواقف مندوبيه قبل اتخاذ مواقف منهم .

٣ ــ لم أتسلم اية تعليمات من منظمة التحرير ، بصفتي ملحقها الاعلامي في مكتب الجامعة العربية بلندن ، تفيد بتبني المنظمة للعمليـة او باستياء المنظمة لموقفي الاعلامي من العملية . وتقديري ان المنظمة بعد اطلاعها علـى ما نشرتـه الصحف البريطانية من تصريحات لي بشأن العملية لم تجد في موقفي الاعلامي اي خروج عن الخط السياسي والاعلامي لها ، والمستند الى الميثاق ومقررات المجالس الوطنية .

٤ ــ ان ما جاء في صحيفتكم وفي بعض الصحف العربية قد أصابني والشباب العربي والفلسطيني هنا بالذهول وبخيبة الامل ، في وقت نتلقى فيـه التهديدات من الصهاينة ونأمل بمساندة من مصادر الاعلام الفلسطيني .

أود أخيرا أن أوضح بموضوعية ، أن القارىء ، في بريطانيا على الاقل ، قد تعود ان يأخذ ما تنشره شؤون فلسطينية بدرجة عالية من الجدية ، هذا الى جانب حقيقة ان شؤون فلسطينية تجمع نخبة جيدة من الاقلام الفلسطينية ، والمفروض ان يكون هذا دافعا للسيد « ب. ح » لان يبذل بعض الجهد في التحري عن الاخبار ومصادرهـا قبل اطلاق أحكامه .

سعيد الحمامي

الملحق الاعلامي لمنظمة التحرير

في مكتب الجامعة العربية ــ لندن

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

في مراجعة التطورات الدولية المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي لا بد من البدء بالاشارة الى اتفاق وقف اطلاق النار الذي تم ابرامه في باريس في أواخر شهر كانون الثاني بين الولايات المتحدة ونظام ثيو في سايغون من جهة وبين الحكومة الثورية المؤقتة (جبهة التحرير) وفيتنام الديمقراطية من جهة أخرى . وقد مثل الاتفاق انتصارا للثورة الفيتنامية اذ تضمن كل المطالب الاساسية التي قاتل من أجلها الشعب الفيتنامي كما هي معروضة في مشروع السلام الذي تقدمت به الجبهة بتاريخ ٨ أيار ١٩٦٩ . ومن ناحية أخرى مثل اتفاق وقف اطلاق النار بالنسبة للجانب الامريكي استمرارا للمراهنة على سياسة الفيتنمة الشهيرة مع دفعها الى نتائجها القصوى بمعنى ان الاتفاق يؤدي الى اخراج جميع القوات الاجنبية من فيتنام ويضع حدا للعدوان الامريكي على البلاد وللتدخل المباشر في شؤونها الداخلية مع الاعتماد على النظام السايغوني العميل المدجج بالسلاح ليقوم هو بالتصدي للثورة الفيتنامية وعرقلة مجهودات توحيد البلاد وحماية المصالح الامبريالية في الهند الصينية. ان الهزيمة التي أوصلت امريكا الى توقيع اتفاق يعطي جبهة التحرير كل مطالبها المعلنة تقريبا لا يعني ان الحكومة الامريكية قد تخلت عن سياسة الفيتنمة ان كان في الهند الصينية او في غيرها من بقاع العالم بما فيها الشرق الاوسط ، بل يعني المزيد من التمسك بهذه السياسة باعتبارها البديل الوحيد المتوفر لسياسة التدخل الامريكي المباشر ضد الحركات التحررية . في الواقع تكتسب سياسة الفيتنمة اهمية اضافية وجديدة حول العالم نتيجة لما حدث في فيتنام ولاضطرار الامبريالية الامريكية الى تبديل أسلوبها التدخلي الفج في الوقت الحاضر . وقد أشار الرئيس نيكسون الى سيادة هذا الاتجاه الجديد في السياسة الامبريالية الامريكية في الخطاب الذي القاه بمناسبة تنصيبه رئيسا لبلاده (٢١ كانون الثاني ١٩٧٣) بقوله « ان الزمن الذي كانت فيه الولايات المتحدة تجعل من نزاع كل دولة نزاعها قد ولى » . كما بين في الوقت نفسه ان هذا الكلام لا يعني اي تخل من قبل حكومته عن مطامح فرض « السلام الامريكي » و« الحرية الامريكية » على العالم اذ قال بوضوح « ما لم نعمل نحن في امريكا على حفظ السلام فلن يتحقق هذا السلام وما لم نعمل نحن في امريكا على حفظ الحرية فلن تكون هناك حرية » . وعليه تحتم نقل مسؤولية التعامل مع النزاعات المشار اليها في خطاب نيكسون الى قوى اقليمية قوية موالية للامبريالية مثل الرجعيات المحلية والانظمة العميلة والدول التابعة بعد تقويتها وتسليحها ، وتحديث اجهزتها العسكرية والبوليسية لتقوم بالدور القمعي المعتاد للثورة المضادة بكامله وبدون الاضطرار للاستعانة بأية قوات امريكية او اجنبية مهما كان نوعها . وقد اشار نيكسون في خطابه المذكور اعلاه الى هذا المنحى بقوله « سنحترم التعهدات التي تلزمنا بها معاهداتنا (مع الانظمة القمعية العميلة) وسنقوم بدورنا في الدفاع عن السلام والحرية في العالم لكننا ننتظر ان يقوم الاخرون بدورهم ايضا ... وعلينا ان ندرك الطبيعة الجديدة لدور امريكا نتيجة للسياسة الجديدة التي سرنا عليها في السنوات الاربع الاخيرة » .

ان الاثر الرئيسي لانسحاب امريكا من فيتنام على الشرق الاوسط سيكون التركيز على دعم قلاع الرجعية والامبريالية في المنطقة وعلى رأسها اسرائيل والانظمة الملكية في الاردن وايران بالاضافة الى تعزيز القوى الرجعية المحلية ، كي توفر امريكا على نفسها مشقة الاضطرار الى التدخل المباشر والسافر لقمع اي نهوض ثوري محتمل في المنطقة . وواضح ان هذا التطبيق لسياسة الفيتنمة سيضع كل القوى الثورية والتحررية في بلادنا في مواجهة اقسى واشد وأكثر مباشرة مما جرت عليه العادة في السابق مع الرجعيات المحلية والانظمة العربية المرتبطة بالامبريالية . ومن الملاحظ ايضا ان اتفاق وقف اطلاق النار الفيتنامي قد ادى الى سيطرة اجواء الترقب المتلهف على الصعيدين العربي الرسمي وشبه الرسمي لان يكون النزاع العربي الاسرائيلي البند الثاني بعد الفيتنام على جدول اعمال الرئيس نيكسون وحكومته . في الواقع هناك جهود عربية سياسية ودبلوماسية تبذل في الوقت الحاضر لاقناع كل من يعنيه الامر بضرورة قيام الولايات المتحدة باعطاء الاولوية المطلقة لقضية الشرق الاوسط بعد « انتهاء تورطها في الحرب الفيتنامية » وانتقالها الى وضع جديد « يسمح لها

باطلاق مبادرة جديدة لتسوية النزاع في منطقتنا نهائيا ودبلوماسيا » . وقد اخذت هذه الجهود اشكالا متعددة وبرزت من خلال تحركات مختلفة كان اهمها :

(١) التصريح الذي ادلى به وزير خارجية مصر محمد حسن الزيات اثناء زيارته لروما في اوائل شهر شباط حيث اعلن ان « مصر ترفض الحرب والعنف وتريد الخروج من حالة الحرب المفروضة عليها لان ثمن العنف باهظ جدا بالنسبة الى بلد يرغب في التقدم والنمو مثل مصر » . كذلك قوله « اذا كانت اسرائيل مستعدة للاعتراف بحقوقنا الشرعية فاننا مستعدون لان نخطو خطوتين لا خطوة واحدة نحوها لان مصر لن تقبل حلا مفروضا بقوة السلاح » . واتهم السياسة الاسرائيلية بالعمل على وضع مصر في مأزق بحيث تجني اسرائيل كل المساعدات الغربية والتأييد الغربي عن طريق طرح نفسها كحامية لمصالح الغرب في المنطقة بينما « لا يبقى امام مصر الا ان ترمي نفسها في احضان السوفيات » . وفي الوقت نفسه كان وزير خارجية ايطاليا يقوم بجولة في عدد من العواصم العربية الرئيسية (جدة والقاهرة وبيروت) حيث شدد في تصريحاته على ضرورة « القيام بعمل سريع ونشيط لبدء المفاوضات السياسية » من اجل تسوية النزاع في الشرق الاوسط خاصة وان « اتفاق وقف اطلاق النار في فيتنام والانفراج في اوروبا جعلا النزاع العربي الاسرائيلي المصدر الوحيد المتبقي في العالم لخطر الحرب » .

(٢) التقارب الذي حدث بين الاردن من ناحية وبعض الانظمة العربية من ناحية ثانية قبل سفر الملك حسين الى واشنطن لمقابلة الرئيس نيكسون وكبار المسؤولين الامريكيين . وقد تم تبادل رسائل بين الملك حسين وبعض الرؤساء العرب المعنيين في النصف الاول من شهر كانون الثاني ، عبر ممثلين كبار تنقلوا بين العواصم العربية المعنية لهذا الغرض ، واستقبل الملك الممثل الشخصي للرئيس السادات . وذكرت الانباء ان التشديد في كل هذه الاتصالات كان على وجوب التفاهم بين العرب وعدم الظهور في مظهر المختلفين امام العالم الخارجي في هذه الفترة الحرجة ، كما تطرقت الرسائل الى المهمة التي سيقوم بها الملك حسين في واشنطن . وقد اعلن الرئيس السادات، بصدد تحسن العلاقات مع النظام الملكي في الاردن ، بأنه تلقى ضمانات من الملك حسين بأن الاردن لن يعقد اتفاق سلام منفصل مع اسرائيل وان الملك أعرب عن رغبته بزيارة القاهرة . وعلى اثر هذا التقارب قامت محاولة من قبل عدد من الدول العربية للتوسط مجددا بين حركة المقاومة الفلسطينية والملك حسين عبر لجنة سباعية انبثقت عن اجتماعات مجلس الدفاع العربي المشترك الذي انعقد في القاهرة في الاسبوع الاخير من شهر كانون الثاني . وتهدف هذه الوساطة الى اقناع الملك بالسماح لحركة المقاومة بالعودة الى الاردن من اجل احياء الجبهة الشرقية .

(٣) تصريحات الملك حسين الكثيفة قبل سفره الى واشنطن حول مستقبل النزاع العربي الاسرائيلي وأسلوب تسويته . ذكر الملك انه ذاهب الى واشنطن ليتحدث باسمه وباسم الاردن وباسم الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة ، ولكنه لن يتكلم باسم بقية الحكومات العربية « الا فيما يخدم الاهداف المشتركة والمصلحة الحقيقية لقضيتنا » . وقد شدد في كلامه على « ان الدول الكبرى ستركز جهودها في وقت قريب على تسوية ازمة الشرق الاوسط في نطاق مساعيها لازالة اسباب الخطر على السلام العالمي » . ثم ضرب أمثلة بما حدث للمشكلة الالمانية والمشكلة الكورية والحرب الفيتنامية ، وقال « ان دور مشاكل منطقتنا وقضيتنا بات قريبا كي تحظى بالتركيز الدولي المؤثر لانها منطقة استراتيجية حساسة كما انها غنية بمصادر الطاقة النفطية ومشتقاتها » . وفي مقال كتبه الملك باللغة الانكليزية ووزعته وكالات الانباء العالمية (٣ شباط ١٩٧٣) حول قضية القدس من مسألة سياسية تجرية الى مشكلة دينية عن طريق الدعوة الى عقد مؤتمر للزعماء الروحيين المسيحيين والمسلمين واليهود لبحث مستقبل المدينة . كما أوضح تفسيره لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بقوله ان قبول القرار عربيا يعني « قبول واقع سياسي رفضنا قبوله وحاربنا لمنعه طوال ربع قرن : انه واقع اسرائيل . ان القرار يدعونا الى تغيير هذا الموقف والقبول ليس بوجود اسرائيل فحسب بل بدولة اسرائيلية ضمن حدود آمنة ومعترف بها . وقد وافقت مصر والاردن على هذا الامر » واضاف الملك قائلا في ايضاح الموقف العربي الرسمي الحالي من مسألة التسوية السياسية ، بأن « العرب ما زالوا ينتظرون دولة أخرى كي تقف وراء قرار مجلس الامن علانية وبصورة قوية وهي الولايات

المتحدة بنفوذها لدى كل من الطرفين العربي والاسرائيلي . » و« العرب مقتنعون انه عندما تصبح الولايات المتحدة مستعدة لتأييد قرار مجلس الامن واقناع اسرائيل بالانسحاب من الاراضي المحتلة ، في مقابل حدود آمنة ومعترف بها ، سيتم تجاوز كل العقبات الاخرى التي تقف في وجه التسوية السلمية بسهولة ، اذ ان صداقة امريكا لاسرائيل تقتصر على بقاء اسرائيل ولا تمتد لتشمل اعمالها التوسعية . »

وفي مقابلة مع شبكة التلفزيون الامريكية ان بي سي (٢١ كانون الثاني ١٩٧٣) أيد الملك حسين مساعي امريكا من اجل تحقيق تسوية جزئية بين مصر واسرائيل تؤدي الى اعادة فتح قناة السويس ، شرط ان تكون الخطوة الاولى نحو حل شامل للنزاع . وتعطينا هذه التصريحات لمحة عن الافكار التي حملها الملك معه الى واشنطن والتي تباحث على أساسها مع الرئيس نيكسون .

(٤) الزيارة التي قام بها الامير فهد بن عبدالعزيز للبيت الابيض ممهدا الطريق لمقابلة الملك حسين مع نيكسون . وفي الوقت نفسه كان الامير سلطان وزير الدفاع السعودي يقابل الملك حسين في عمان حيث تناولا بالبحث « أزمة الشرق الاوسط » على ضوء زيارة الامير فهد المذكورة وزيارة الملك حسين المقبلة لواشنطن . ويبدو انه كان قد تم الاتفاق على اجراء كل هذه الاتصالات وترتيبها بين الملك حسين والملك فيصل في الاجتماع الذي عقداه سابقا في الرياض . وذكرت مصادر صحفية موثوقة ان من أهداف زيارة الامير فهد للولايات المتحدة التأكيد أمام المسؤولين هناك على أهمية زيارة الملك حسين بالنسبة لايجاد تسوية للنزاع العربي الاسرائيلي وعلى ضرورة الاهتمام بما سيقوله الملك خاصة وانه يعبر عن موقف السعودية ووجهة نظرها ايضا .

(٥) الزيارة التي قام بها الملك حسين للبيت الابيض في الاسبوع الاول من شباط ١٩٧٣ حيث قابل الرئيس نيكسون وكبار المسؤولين في وزارتي الخارجية والدفاع وفي مجلسي الشيوخ والنواب . وقد اعطى المراقبون السياسيون في الغرب اهمية خاصة لهذه الزيارة لان نيكسون سيستقبل غولدا مائير في اوائل شهر آذار المقبل لاجراء محادثات مماثلة حول الوضع في الشرق الاوسط مما يطرح امكانية ان تكون محادثات الملك في واشنطن المرحلة الاولى في المبادرة الامريكية المنتظرة لايجاد تسوية سلمية للنزاع في المنطقة ، خاصة وان الملك كان قد اخذ وعدا سابقا من الرئيس الامريكي بتحريك قضية الشرق الاوسط بعد توقيع اتفاق وقف اطلاق النار مع هانوي مباشرة . وذكرت مصادر صحفية امريكية ان نيكسون اجتمع بالسفير الاسرائيلي قبل وصول الملك حسين واخبره بأنه يأمل في ان تحضر غولدا مائير معها بعض « الافكار الجديدة » التي من شأنها اتاحة الفرصة لبدء محادثات جدية بين مصر واسرائيل . كما قال نيكسون للملك حسين « ان هذا الشهر هو شهر الشرق الاوسط ، انتم اليوم والسيدة مائير في آذار » . وتبين من تصريحات الناطق باسم البيت الابيض ان المحادثات تناولت بصورة رئيسية : (١) مسألة التسوية السياسية للنزاع العربي الاسرائيلي، (٢) استمرار الولايات المتحدة في تسليح الجيش الملكي ودعمه وتحديثه ، (٣) المساعدات المالية والاقتصادية الامريكية للاردن. بالنسبة للمساعدات العسكرية والاقتصادية صرح الملك اثناء وجوده في واشنطن ان الاردن سيحصل قريبا على حوالي ٣٠ طائرة من نوع نورثروب ف ــ ٥ من اجل تقوية سلاح الطيران وتحديثه ، وعلى المزيد من الاسلحة والمعدات الحربية بهدف تحسين قوات جيشه الارضية بالنسبة لقدرتها على الحركة ولقدرتها النارية (الهيرالد تريبيون ، ٩ شباط ١٩٧٣) . كما أعلن الناطق باسم البيت الابيض أن الرئيس نيكسون اكد للملك دعم الولايات المتحدة الحازم لمشاريع الاردن في التنمية الاقتصادية وبرامج تحديث الجيش (المرجع السابق) . وطلب الملك من نيكسون مشاركة الولايات المتحدة في تمويل بعض مشاريع خطة التنمية المطروحة حاليا في الاردن .

اما بالنسبة لمسألة التسوية السياسية فقد صرح الناطق بأن « الرئيس نيكسون أكد للملك اهتمام الولايات المتحدة باحراز تقدم نحو سلام يجري التفاوض عليه في الشرق الاوسط » . اي ان الموقف الامريكي ما زال يربط التسوية السلمية بالمفاوضات مع اسرائيل . وفي المقابلة الصحفيةالتي أجراها الملك في واشنطن ذكر انه متفائل بالنسبة « لامكانات تحقيق تسوية سلمية في الشرق الاوسط بعد وقف اطلاق النار في فيتنام بسبب امكان قيام الدول الكبرى الآن بدور أهم في المفاوضات » . كما أوضح بصورة علنية « انه على استعداد للدخول في مفاوضات حول اتفاق منفصل مع اسرائيل اذا تم الوصول الى تفاهم مسبق حول المبادىء العامة

لهذا الاتفاق وخاصة فيما يتعلق بوضع القدس » («هيرالد تريبيون» ، ٩ شباط ١٩٧٣) . وفي خبر وزعته « الاسوشيتدبرس » ذكرت « ان الملك اعاد تأكيد هذا الموقف أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ حيث قال بأنه على استعداد للدخول في مفاوضات سلام منفصلة مع اسرائيل بدون انتظار مصر » (المرجع السابق) .

ومن الانباء الملفتة للانتباه التي ترددت حول زيارة الملك (« لوموند » ٦ شباط ١٩٧٣) : (١) قبوله بتفسير مرن لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ يسمح بتعديلات طفيفة على الحدود يتم التفاوض على مداها مع اسرائيل ، وتفهمه حرص القادة الاسرائيليين الشديد على أمن دولتهم مما جعل الملك يقبل بالسماح لمستوطنات الناحال شبه العسكرية بالبقاء حيث هي بعد الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة وذلك لمدة يتم الاتفاق حولها مع الحكومة الاسرائيلية . (٢) استعداد الملك لتقديم المزيد من التنازلات بالنسبة للقدس بحيث لا يصر بعد الان على عودة المدينة القديمة بكاملها الى الاردن ويكتفي بالحي الاسلامي والحي المسيحي حيث توجد الاماكن المقدسة بينما تحتفظ اسرائيل ببقية المدينة (الحي الارمني والحي اليهودي) . وعلقت هذه المصادر الصحفية انه من المرجح ان يكتفي الملك حسين ، في نهاية المطاف ، بالحي الاسلامي وحده ليكون عاصمة الشطر الفلسطيني من مملكته العربية المتحدة . (٣) تأكيد الملك للمسؤولين الاسرائيليين بأنه يريد الدخول في مفاوضات رسمية حالما يتم تقريب وجهات النظر بما فيه الكفاية بين الطرفين بما يسمح بنجاح المفاوضات ، على خلاف ما اعلنه في تصريحاته العربية، كما اوضح انه على استعداد لعقد معاهدة سلام منفصلة مع اسرائيل . وقد قال هذا الشيء صراحة في المقابلة الصحفية التي اجراها في امريكا وامام لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي . ويعتبر الملك ان مثل هذا « الاقدام الاردني » سيمهد الطريق امام الدول العربية الاخرى للدخول في تسوية سياسية مع اسرائيل . وتشير الانباء الصحفية بهذا الصدد الى مقابلة صحفية جرت منذ فترة قصيرة مع المجلة الاسبوعية الاميركية « يو اس نيوز اند ورلد ريبورت » حيث قال الملك حسين « اذا تم التوصل الى تسوية مقبولة للنزاع بين الاردن واسرائيل فان حل مشاكل اسرائيل مع بقية الدول العربية سيصبح اسهل نسبيا . » (« لوموند » ٦ شباط ١٩٧٣) . (٤) ان الملك يعتبر نفسه في زيارته لواشنطن ممثل الاكثرية العربية الصامتة والمتحدث غير الرسمي باسم الزعماء العرب امام الرئيس نيكسون . ومع انتهاء الجانب الرسمي من زيارته قال الملك في تقييم الزيارة ان محادثاته مع الرئيس نيكسون والمسؤولين الامريكيين كانت ودية وصريحة وانه متفائل بالنسبة للمستقبل لان « العالم يسعى نحو حل المشاكل المستعصية وازالة اسباب التوتر وكل العوارض التي تهدد السلام العالمي ، ولان الدول الكبرى كلها وليس الولايات المتحدة فحسب ترغب رغبة أكيدة في التركيز على قضايا الشرق الاوسط من اجل تحقيق حل نهائي للنزاع القائم . » كما اكد الملك « أنه سيبلغ المسؤولين في سوريا ومصر ما لمسه من اهتمام حقيقي بقضية الشرق الاوسط في الولايات المتحدة . » وعلى هامش زيارته صرحت جولدا مائير انها ستبحث مع الرئيس نيكسون خلال اجتماعها به في آذار المقبل قضية التوصل الى تسوية جزئية مع مصر لاعادة فتح قناة السويس . كما صرح دايان ان زيارة الملك تشكل « خطوة ايجابية » وانه « يأمل في ان يصبح موعد الحل اقرب بعد عودته من واشنطن . » واضاف ان افضل وسيط لاجراء المفاوضات هو حكومة الولايات المتحدة التي « ستبذل كل جهد ممكن لجمع الفرقاء من اجل اجراء مفاوضات مثمرة . »

اما بالنسبة للمبادرة الامريكية المنتظرة التي قيل عنها الكثير فلم يتبلور اي شيء واضح او جدي حولها أو عنها حتى الان . ويبدو ان الكلام عن هذه المبادرة في الوقت الحاضر يدخل ضمن نطاق التكتيك الذي مارسته الحكومة الامريكية مع الدول العربية حيث لجأت اكثر من مرة الى الايحاءات بالاستعداد للتحرك لاخراج الازمة من المأزق الواقعة فيه ولكن بدون ان تتحرك بالفعل . وعلى الرغم من جميع الايحاءات التي صدرت مؤخرا تشير كل الدلائل الى ان الموقف الامريكي ما زال على حاله بالنسبة لموضوع التسوية السلمية وكيفية التوصل اليها : التسوية الجزئية لاعادة فتح قناة السويس عبر مفاوضات عربية اسرائيلية بواسطة امريكا وتحت اشرافها . على سبيل المثال صرح الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية في الاسبوع الثاني من شهر كانون الثاني بأن الرئيس نيكسون ووليم روجرز قد أعربا عن رغبتهما

في استئناف الجهود الامريكية النشيطة لتسهيل الوصول الى تسوية في الشرق الاوسط . ثم اوضح ان الاعتقاد ما زال سائدا بأن افضل وسيلة لحل المعضلة هو الاقتراح الامريكي الداعي الى التسوية الجزئية واعادة فتح قناة السويس . وبعد هذه التصريحات باسبوع اكد وليم روجرز بنفسه هذا الموقف من جديد في خطاب ألقاه في حفل تكريم للسفير الاسرائيلي في واشنطن حيث لجأ روجرز الى أسلوب الايحاءات المذكور بقوله انه ينبغي اغتنام كل الفرص المتاحة هذا العام لاخراج أزمة الشرق الاوسط من المأزق الذي وصلت اليه والتقدم نحو السلام ، وبتأكيده عزم الولايات المتحدة على القيام بدور ناشط في دبلوماسية الشرق الاوسط . ولكن عندما افصح روجرز عن أهداف هـذا النشاط الامريكي تبين انه لا يتعدى العمل على « ايجاد تسوية جزئية لاعادة فتح قناة السويس باعتبار ان هذه التسوية هي الخطوة الواقعية الاولى على طريق السلام . » ودعا الوزير الامريكي مصر ، بصورة غير مباشرة ، للدخول في مفاوضات مع اسرائيل لهذا الغرض بقوله « ان قرار الدخول في المفاوضات لا يحتاج الى اي تغيير في الاهداف والسياسات . » كما طمأنها بقوله ان التسوية الجزئية لن تكون نهاية الرحلة بل ستفتح الطريق أمام تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بكونهـا خطوة أولى حاسمة تسهل المفاوضات اللازمـة لتطبيق القرار الذي تصر مصر على تنفيذه .

وعلى صعيد آخر عادت الحكومة الامريكية الـى ايضاح موقفها المعروف من مدينة القدس ووضعها ومستقبلها عبر رسالة بعث بها احد مساعدي وزير الخارجية الامريكي الى رئيس لجنة الشرق الادنى الفرعية التابعة للكونغرس . وقد جاء في الرسالة ان الحكومة الامريكية تعتقد بأن حل قضية القدس يجب ان يستند الى بقائها مدينة موحدة ضمن نطاق تسوية شاملة للنزاع العربي الاسرائيلي يتوصل اليها الفرقاء المعنيون بالنزاع . ولا تعترف الحكومة الامريكية بسيادة اسرائيل على شرقي مدينة القدس وتعتبره واقعا تحت الاحتلال العسكري . وواضح ان الموقف الامريكي مـن القدس مركب بطريقـة تخدم الموقف الامريكي العام من النزاع في المنطقة، اي الدعوة الى تسوية كل القضايا عـن طريق المفاوضات بين الدول العربية المعنية واسرائيل ، وبما أن موازين القوى مختلة بصورة حاسمة لصالح اسرائيل والامبريالية لا مانع عند الولايات المتحدة من القبول بنتائج هذه المفاوضـات لانها معروفة سلفا . وفي الواقع لخص ابا ايبان وضع السياسة الامريكية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي أحسن تلخيص بقوله ان هذه السياسة لن تتغير « لانها لم تحقق حتى الان الا النجاحات . اذ استطاعت الولايات المتحدة ان تحصل على وقف لاطلاق النار في المنطقة وعلى رحيـل الخبراء العسكريـين السوفيات من مصر بدون أن يتعرض مركزها لاي ضرر في الدول العربية . »

بالنسبة للعلاقات السوفياتية ـ العربية (ومصر بصورة رئيسية) فقـد استمرت في التأرجح بين الفتور الذي خيم عليها منذ فترة وبين الميل نحو التحسن البطيء والمحدود . على سبيل المثـال أوردت « اليونايتدبرس » خبـرا منسوبا الـى مصادر سياسية مطلعة في مصر ان السـفير السوفياتي فشل في مقابلة الرئيس السادات خلال الاسابيع الثلاثة الاولى من شهر كانون الثـاني بالرغم عن محاولته التوصل الى ذلك كل تلك الفترة . ولكن عشية سفر حافظ اسماعيل الى موسكو استقبل الرئيس السادات السفـير السوفياتي (في اواخر كانون الثاني) في أول لقاء بينهما منذ اخراج المستشارين السوفيات من مصر في تموز ١٩٧٢ . وفي اوائل شباط شنت الصحافة السوفياتية (« برافدا » و « الازمنة الحديثة ») حملة قوية على المملكة العربية السعودية وعلى « سياستها الرجعية في المنطقة وعلى سعيها لتكون الركيزة الرئيسية لكل القوى الرجعية العربية ». كما تعرضت الحملة الى الاوضاع الاجتماعية في مصر. وجدير بالذكر ان نقدا سوفياتيا كان قد تم توجيهه منذ فترة قريبة الى الرئيس معمر القذافي بسبب مواقفه المعادية للشيوعية . لكن مع ذلك عادت العلاقات المصرية السوفياتية للاتجاه نحو التحسن قليلا . ففي خضم الكلام الكثير عن المبادرة الامريكية المنتظرة لتسوية النزاع في المنطقة وعن زيارة الملك حسين للبيت الابيض أعلن الاتحاد السوفياتي معارضته لكل تسوية جزئية للنزاع تتم بين مصر واسرائيل من جهة وبين الاردن واسرائيل من جهة اخرى وهذا ما تسعى اليه امريكا .

وفي اوائل شهر شباط سافر حافظ اسماعيل ، مستشار رئيس الجمهورية لشؤون الامن القومي ، الى موسكو حاملا رسالة من السادات الى الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف وقابل المبعوث المصري

وزير الخارجية السوفياتية وبعد ذلك استقبله بريجنيف في اجتماع غير متوقع استمر ٥ ساعات . وهذه هي المرة الاولى التي يستقبل فيها الزعيم السوفياتي مسؤولا مصريا منذ ابعاد المستشارين والخبراء السوفيات عن مصر . وجدير بالذكر ان رئيس الوزراء عزيز صدقي لم يقابل بريجنيف في زيارته الاخيرة لموسكو . ويبدو ان محادثات حافظ اسماعيل السوفياتية تناولت : (١) مواقف كل من البلدين من النزاع في الشرق الاوسط . (٢) المساعي الامريكية الجارية حاليا لتسوية النزاع في المنطقة. (٣) مهمة يارينغ. (٤) مشروع الامين العام لهيئة الامم المتحدة فالدهايم بعقد مؤتمر دولي حول ازمة الشرق الاوسط . (٥) العلاقات المصرية السوفياتية . وصدر بيان صحفي على اثر الزيارة اشار الى : (أ) التفاهم المصري السوفياتي بصدد رفض مشروع التسوية الجزئية والاصرار على ضرورة التوصل الى تسوية كاملة للنزاع في الشرق الاوسط. (ب) تأكيد الطرف السوفياتي من جديد انه يحق للدول العربية استخدام كل اشكال النضال من أجل تحرير اراضيها المحتلة ، وهو ما كانت تردده البيانات السوفياتية المصرية المشتركة قبل نشوب الازمة الاخيرة بين البلدين . (جـ) التشديد على ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي المحتلة وتأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين كشرطين اساسيين لاقرار سلام عادل وراسخ في المنطقة . (د) تأكيد الجانب السوفياتي استمرار تأييده السياسي والاقتصادي والعسكري لمصر وفقا لبنود معاهدة الصداقة والتعاون المعقودة بين البلدين عام ١٩٧١ . وقد وصف حافظ اسماعيل محادثاته في موسكو بأنها كانت « مهمة جدا وستكون لها ذيول في المستقبل القريب » . كما حمل معه رسالة من بريجنيف الى السادات . من المتعذر الان التوصل الى تقييم موضوعي لاهمية زيارة حافظ اسماعيل لموسكو خاصة انه تم توقيتها مع زيارة الملك حسين لواشنطن . ولا بد ان نذكر ان الملك اوحى بشكل واضح انه سيتكلم باسم « العرب » في محادثاته مع نيكسون . فهل كان بعض المقصود من رحلة حافظ اسماعيل منع الموازين العربية الرسمية من الاختلال كليا لصالح الولايات المتحدة بسبب زيارة الملك حسين وما انطوت عليه من تنازلات امام الامبريالية واسرائيل ؟ أم انها جاءت كجزء من الحملة الدبلوماسية الكبيرة التي تحاول مصر شنها لدى الدول الكبرى بعد وقف اطلاق النار في فيتنام لجذب اهتمام هذه الدول بشكل جدي الى النزاع في منطقتنا والى ضرورة احراز بعض التقدم باتجاه حله سلميا في اقرب وقت ممكن ؟

وفي هيئة الامم يبدو ان الامين العام فالدهايم سيؤجل القيام بأية مبادرة لكسر طوق المازق الحالي في ازمة الشرق الاوسط الى ان تتضح نتيجة المشاورات التي يجريها الرئيس نيكسون مع الطرف العربي والاسرائيلي حول الموضوع ، وما سيجد بالنسبة لمشروع محادثات الجوار المطروح منذ فترة من قبل امريكا .

صادق جلال العظم

ملحقـــان

الملحق الاول : فيتنام وفلسطين

طلبت شؤون فلسطينية من السيد كين ميركورد ، الاميركي الجنسية الـذي رفض الخدمة العسكرية في فيتنام لاعتبارات عقائدية ، ان يكتب ملاحظاته عن تاثير اتفاقية وقف اطلاق النار في فيتنام على الوضع في الشرق الاوسط .

يسود فيتنام وقف اطلاق نار هش . والى أن يبين المستقبل ما اذا كان وقف النار سيتحول الى سلام دائم ، او ينهار ويعود القصف الاميركي ، يتنفس العالم الصعداء ، الى حين على الاقل ، لان النزاع الاطول والاكثر دموية منذ الحرب العالمية الثانية ، قد انتهى على ما يبدو . ومع انتهاء العدوان الاميركي في فيتنـام ، ستركـز الولايات المتحدة المزيد من الاهتمام علـى الشرق الاوسط . ولذلك من الحكمة ، أن يأخذ العـالم العربي في الاعتبار أي مغزى يحمله تغير موقف الولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا للنـزاع العربي الاسرائيلي .

من المغري عقد مقارنات بين الوضع في جنوب شرقي آسيا والوضع في الشرق الاوسط بحيث تقـوم اسرائيل بدور جنوب فيتنام الجنرال ثيو ، والمقاومة الفلسطينية بدور الفيتكونغ ، ولبنان بدور كمبوديا ما قبل لون نول ، ودمشق بدور هانوي وهكذا . ورغم ان المقارنة بين الوضعين غير دقيقة ، فان مجرد امكانية عقد مقارنات يكشف توازيا معينـا بين الحرب في فيتنام والنزاع العربي الاسرائيلي. ففي النهاية يشكل جنوب شرقي آسيا والشـرق الاوسط جزءا من استراتيجية اميركية تشمل الكرة الارضية ، وصانعو السياسة الذيـن يقـررون سياسة الولايات المتحدة في الاولى يفعلون الشيء ذاته في الاخرى .

ان وعي هذه الحقيقة هو الذي قاد كثيرا مـن القادة الاسرائيليين ليعلنوا صراحة تأييدهم للرئيس نيكسون في معركته الانتخابية في الخريف الماضي . ان نيكسون يمثل جناح الصقور في السيـاسـة الاميركية ، جناح اولئك الذين يفضلون سياسـة « الشدة » تجاه بقية العالم بصورة عامة وشعوب العالم الثالث بصورة خاصة . ان الخط المتصلب الذي يدعو له أولئك الصقور في فيتنام ، يجـري تطبيق نسخة عنه في الشرق الاوسط . حيث يؤيدون استمرار الدعم العسكري لاسرائيـل ويرفضـون الاعتراف بوجود الفلسطينيين . اما جناح الحمائم في السياسة الاميركية ، الذي يمثله ماكغفرن ، فيفضل فك ارتباط الولايات المتحدة من التزاماتها العسكرية فيما وراء البحار . ومن هنـا كـان ماكغفرن مبغوضا من قبل الصقور الاسرائيليين رغم اعلانه تأيده لاسرائيل ودعمه لسياستها التوسعية ورغبته في مدها بالمساعدات التي تطلبها .

والان ، وقد أوفى نيكسون بتعهدات مـساكغفرن الانتخابية ، منهيا بذلك التورط الاميركي في فيتنام، يمكن السؤال فيما اذا كان نيكسون نفسه قـد اصبح حمائميا .

تحمل اتفـاقية وقف النـار التي توصـل اليهـا في باريس ، الامل بأن واقعية جديـدة تسـود واشنطن ، وهي واقعية تجلت سابقا في الوفاق مع روسيا وفي رحلة نيكسون الى الصين فـي الربيع الماضي .

فاذا كانت عقلية كهذه ، راغبة في مواجهة الحقائق غير السارة وقبول التطلعات القومية للدول الناشئة، تحكم الآن دوائر السياسة الخارجية الاميركية ، فان بامكانها ان تقود الى سياسة اميركية جديـدة أكثر مراعاة للتوازن في الشرق الاوسط .

ولسوء الحظ ، لا يوجد أساس قوي لهذا التفاؤل. ان للخطب الافتتاحية سمعة سيئة من حيث كونهـا دليلا للتفكير الحقيقي للرؤساء الاميركيين . ومـن المفيد أن نتذكر ان نيكسون ظل يتكلم عن تبنـي الولايات المتحدة « موقفا اكثر تواضعا » فـي الشؤون العالمية منذ استلامه للسلطة . والتسوية الفيتنامية ، في النهاية ، ليست دليلا على الروح المحبة للسلام لادارة نيكسون . ان المعارضـة للحرب ، رغم انها ليست صاخبة بالدرجة نفسها التي كانت عليها أيام احتجاجات الطلبـة فـي الجامعات ، الا أنها كانت تتزايد . ولـو أن نيكسون لم ينه التورط الاميركي في الفيتنـام ، بطريقة او باخرى ، لكان من المؤكد ، على مـا

يبدو ، ان يتخذ الكونغرس اجراء لقطع المخصصات اللازمة للحرب . وبالاضافة ، فان اتفاقية وقف النار لم تغير ، بأي حال ، المركز الاستراتيجي للولايات المتحدة في جنوب شرقي آسيا . فالقواعد الجوية الاميركية في تايلاند لا زالت كما هي ، ويستمر الاسطول السابع في التطواف مقابل شواطىء الفيتنام على مسافة تتيح له بسهولة ضرب هانوي وهايفونغ . ان انسحاب القوات الاميركية من فيتنام ، كما نصت عليه اتفاقية وقف النار ، لا يمثل تنازلا من جانب الولايات المتحدة ، اذ أنه كان امرا محتوما منذ توقف الحشد الكثيف للقوات البرية الاميركية في فيتنام عام ١٩٦٨ . وكما أن السحب التدريجي للقوات الاميركية على مدى السنوات الاربع الماضية ، قد جرى التعويض عنه وما هو أكثر من التعويض ، بالاستعمال المتزايد للقوة الجوية الاميركية ، فان اتفاقية وقف النار تمثل تغييرا في تكتيك الولايات المتحدة وليس في الاستراتيجية الكامنة وراءه . وكما لو كانت محاولته الوحشية لقصف فيتنام الشمالية لدفعها للاستسلام قبل التوقيع على اتفاقية وقف النار ، غير كافية لتبين للعالم عدم حصول أي تخفيف من العدوانية الاميركية ، فقد قدم نيكسون الى كونغرس الولايات المتحدة موازنة تتضمن زيادة مقدارها ٥ مليارات دولار للانفاق العسكري ، رغم انتهاء الحرب في فيتنام .

ان المؤشرات الحديثة للموقف الاميركي الراهن تجاه النزاع العربي الاسرائيلي تؤكد عدم حصول اي تغيير في تفكير الولايات المتحدة . ففي ١٧ كانون الثاني دعا وزير الخارجية ، روجرز ، بشكل هزيل ، الى تسوية شرق أوسطية مرحلية ، تبدأ باعادة فتح قناة السويس ، بحيث تظهر واشنطن وكأنها لا زالت تأمل ببعث مشروع روجرز الميت . واذا كانت قد تشكلت لجنة خاصة برئاسة كيسنجر ، كما ذكرت الاهرام ، لدراسة الردود الاميركية الممكنة على التهديدات النفطية العربية، تكون العقلية القديمة نفسها الداعية للمواجهة تسيطر في واشنطن . حتى الدعوة التي قام بها عدد من الاميركيين البارزين المهتمين بما يسمى بـ « ازمة الطاقة » التي تواجه اميركا ، للولايات المتحدة لتضع الشرق الاوسط في « رأس الاولويات » في سياستها الخارجية ، قد فشلت في تحصيل اية استجابة جديدة من ادارة نيكسون .

من غير الواضح ماذا سيكون الرد عندما تأتي هذه الازمة ، ولكن حقيقة اعتبار الاعتماد المتزايد على نفط الشرق الاوسط بمثابة « ازمة » في الولايات المتحدة يظهر نوعا من جنون العظمة في التفكير الاميركي . لقد عاشت امم صناعية اخرى ، مثل بريطانيا واليابان ، في ظل ظروف كهذه لعشرات السنين دون أن تتصرف وكأن السماء ستسقط . ومن الممكن تصور أن العناوين البارزة التي تعطى للتقارير التي تتحدث عن حوادث نقص وقود مبعثرة عبر الولايات المتحدة خلال هذا الشتاء ، تعلن بداية حملة من قبل دعاة الحرب الاميركيين لتهيئة الشعب الاميركي لتورط عسكري آخر في آسيا ، وهذه المرة لتأييد اسرائيل .

ولكن ، والحالة هذه ، فان التجربة الاميركية في فيتنام يجب أن يكون لها بعض النتائج الايجابية بالنسبة للشعب العربي . لن تتمكن الولايات المتحدة مرة ثانية من شن تدخل طويل وكثيف بقوات برية في العالم الثالث . ان أي تدخل عسكري سيكون بالضرورة على نطاق محدود وقصير الاجل، فقد نشأت بسبب حرب فيتنام حركة سلم متماسكة متميزة في الولايات المتحدة ، تشكل عائقا في وجه أية مغامرات عسكرية يقوم بها البنتاجون . ان حركة السلم اليوم صامتة ، بشكل يؤسف له ، حول الالام التي يعاني منها الفلسطينيون بسبب دولة اسرائيل العدوانية المدعومة من قبل الولايات المتحدة . والاسوأ من ذلك ، كما بين ماكغفرن خلال حملته لانتخابات الرئاسة ، عندما حاول عبثا كسب الاصوات اليهودية بالمزايدة على نيكسون في دعمه لاسرائيل ، ليتحول كثير من الحمائم فيما يتعلق بفيتنام الى صقور عندما تأتي المسألة الى الشرق الاوسط . على ان المعارضة الكامنة لسياسة اميركية عدوانيةفي الشرق الاوسط تظل راقدة داخل المجتمع الاميركي ، مستعدة للانتفاض للعمل في حالة تدخل الولايات المتحدة مباشرة لدعم اسرائيل .

على الرغم من ذلك ، من المحتمل ان تستمر الولايات المتحدة في امداد اسرائيل بالاسلحة التي تحتاجها لمتابعة سياستها التوسعية . بل ومن الممكن أن تدفع بسلاح الجو الاميركي في حالة الطوارىء للنظر الى الترابط العضوي بين المصالح الاميركية الامبريالية واسرائيل كمخفر امامي لهذه المصالح في المنطقة من مهماته حمايتها والوقوف بوجه اي تحرك عربي ثوري يبغي انهاء

الاستغلال الاميركي للشعوب العربية . ولكن من المؤمل ان تكون تجربة فيتنام قد علمت الولايات المتحدة ، كما علمت الجزائر الفرنسيين وكما علمت السويس البريطانيين ، ان أيام العظمة الامبراطورية الغربية تقترب بسرعة من نهايتها . فاذا كان هذا الدرس قد تعلّم فان صانعي السياسة الاميركيين سيدركون أنهم يتبعون سياسة تقود الى طريق مسدود في الشرق الاوسط ، قبل أن يتعهدوا بالتزامات اكبر تجاه اسرائيل . واذا لم يكونوا قد تعلموا ، فان الرغبة الجامحة لدى عدد متزايد من الاميركيين ، في انهاء الامبريالية الاميركية ستضمن ان الدراما المأساوية التي مثلت في فيتنام عبر السنوات السبع الماضية ، لن تعاد في فلسطين ، باستثناء المشهد الاخير ، حيث الشعب الفلسطيني ، كالشعب الفيتنامي ، يخرج ظافرا .

كين ميركورد

الملحق الثاني

رسالة خاصة من باريس

صورة شهيد فلسطيني في فرنسة عشية الانتخابات

في عشية الانتخابات وفي أي بلد رأسمالي تحكمه الاحتكارات ورؤوس الاموال يرتفع الدعاء والتهليل لاقتناص أصوات المنتخبين اليهود ، ربما لا يرتفع هذا التهليل في فرنسا الى مستوى الصهيل الامريكي ولا الى مستوى التقرب والوعود الالمانية لكنه مع ذلك يترك ظلالا واضحة على الحملة الانتخابية ، لا سيما اذا كانت حملة مستعرة يصل فيها التنافس بين الديغوليين واتحاد اليسار الى أوجه ، يصاحب كل هذا زيارة رئيسة وزراء الحكومة الصهيونية الى فرنسا للاشتراك في الاممية الاشتراكية ! في مثل هذا الوسط الباحث عن الربح توفي الرفيق محمود الهمشري متأثرا بجراحه اثر الانفجار الذي دبرته له باحكام رهيب المخابرات الاسرائيلية ، وعلى الرغم من ردود الافعال المختلفة التي تجلت في الساحة الفرنسية (تظاهرات ، توزيع بيانات ، مؤتمرات صحفية) يمكن القول ان الحدث مر دون أن يأخذ كل أبعاده ، فالقوى السياسية الفاعلة (الديغوليون ، الشيوعيون ، الاشتراكيون) تفنزت فوق الحدث لاعتبارات ذاتية او برغماتية بل حاولت ، كما هو حال الحكومة الفرنسية ، انتكبح كل المنطلقات التي يمكن أن تدفع بالحدث الى مسرح الاحداث بشكل جلي . فالتنافس الانتخابي حاول طمس الصورة الفلسطينية من جهة ، ثم جاءت زيارة غولدا ماير لتدفع بكثير من القوى السياسية لاظهار ولائها المباشر مثل زعماء قوى الوسط لوكانييه وجان جاك سرفان شرايبر الذي قاموا بزيارة خاصة لغولدا ماير . والذي دفع في الوقت نفسه زعماء الديغوليين او بعضهم على الاقل لاطلاق موجة تزلف وتقرب من اليهود (كتصريحات مسمير رئيس الوزراء الى الاعيان اليهود حول مساعيه الرامية الى حماية وحصانة اليهود وممتلكاتهم من اي اعتداء وضرر) أضف الى ذلك تصريحات ميتران زعيم الاشتراكيين .

ولمعرفة حدود الصورة الفلسطينية الممثلة بردود الافعال حول اغتيال الرفيق الهمشري يجب تقصي ثلاثة مستويات ، الصورة عند رجل الشارع الفرنسي ، والصورة عند القوى السياسية الفرنسية ، وشكل الصورة في الصحافة الفرنسية، حيث أن هذه المستويات الثلاث هي التي تحدد محصلة ردود الفعل ومقدار حضور القضية الفلسطينية في الساحة الفرنسية او غيابها . يجب أن نعرف أولا ان الحدث يدور في بلد غربي رأسمالي ذي تقاليد امبريالية فنافذة التفاؤل يجب الا تكون واسعة كثيرا .

لا شك أن الحدث وصل الى رجل الشارع عن طريق الصحافة والتلفزيون من ناحية ، وعن طريق أنصار القضية الفلسطينية من ناحية ثانية ، ان معظم وسائل الاعلام الفرنسية وخاصة التلفزيون ودور النشر تحكمها قبضة القوى الصهيونية ، اذا

اضفنا الى ذلك الحضور المستمر للقضية اليهودية والحركة الصهيونية في الحياة الفرنسية ، عرفنا ما هي القنوات التي يسلكها الخبر حتى يصل الى الانسان الفرنسي . مع ذلك فاغتيال الرفيق محمود تميز بأمرين اولاهما الاسلوب الاجرامي العنيف الذي استخدم ضده (قنبلة لا يتجاوز عدد المختصين بها في فرنسا عن عشرة حسب قول جريدة الاومانيته)، وثانيا ان الحدث انتهاك للتقاليد الديمقراطية في فرنسا ، هذان الامران جعلا رجل الشارع الفرنسي يعطي ردود فعل انسانية اخلاقية ، المهم جدا هنا ان رد الفعل هو رد انساني تجاه انسان فلسطيني مشوه بجروح ثقيلة ، اي أنه لم يكن اطلاقا رد فعل سياسي وبالتالي فهو رد فعل آني سريع الزوال وليس رد فعل سياسي ، هنا الربح السياسي للقضية الفلسطينية غائب تماما ، رد الفعل الاخلاقي هذا كان يمكن ان يتحول الى رد فعل سياسي وبالتالي لصالح القضية الفلسطينية لو صاحبه حملة اعلامية واسعة ، لكن هذا لم يحدث نتيجة الاسباب السابقة .

اما بالنسبة لردود افعال القوى السياسية الرئيسية التي تحكم الشارع الفرنسي : أولا الديغوليون او الحكومة الفرنسية فقد قامت بمنع كل التظاهرات التي حاولت التعبير عن تعاطفها مع النضال الفرنسي ، كما اعتقلت كل الفرنسيين الذين حاولوا الاشتراك بهذه التظاهرات ، وألقت في الحي اللاتيني أكثر من ٥ آلاف رجل بوليس لضرب المتظاهرين وحماية غولدا ماير التي كانت تشارك في مؤتمر الاممية الاشتراكية في قصر اللوكسمبرج ، وكبحت وسائل اعلامها عن نشر الخبر ، فلم تعطه الا بعدا مبتسرا . فجريدة (الناسيون) الديغولية لم تكن تعطي عن اخبار قضية الرفيق الهمشري الا جملة واحدة (الناسيون ٧٢/١٢/١١) ، فقد التزمت الصمت ، والتزام الصمت هذا هو بحد عينه موقف سياسي ، فهي لا تريد تحليل الخبر فهذا يجرها الى اتهام المخابرات الاسرائيلية وهي لا تريد ذلك ، ثم انها من ناحية ثانية تريد استرضاء السفراء العرب فتفرد لبيانهم سطورا كثيرة (الناسيون ٧٢/١٢/١١) ، واذا كانت صحيفة الديغوليين قد هاجمت غولدا ماير عدة مرات في اعدادها الصادرة بين ١ و٩ كانون الثاني فالدافع الى ذلك دافع وقائي ، فهي لا ترى في غولدا ماير المجرمة التي نفذت اغتيال الرفيق الهمشري بل زعيمة سياسية ذات نفوذ تدعم بشكل مباشر او لا مباشر السيد ميتران الذي يشكل مع الشيوعيين والراديكاليين اليساريين اتحاد اليسار الذي يشكل خطرا حقيقيا على الاغلبية الحاكمة . ان موقف الديغوليين ليس فيه تناقض كما يظن البعض بل هو منطق منسجم تماما مع ذاته ، ان تحليل البنيان الديغولي يسمح لنا برؤية الصورة بوضوح كامل ، القضية ليست قضية تمنيات وعتب ، فالديغوليون هم الناطقون باسم رأسمالية الدولة الاحتكارية ، فهم في البحث عن الربح يقيمون علاقات غزل مع الدول العربية (تصريحات موريس شومان عن ضرورة السلام في الشرق الاوسط وتمنت اسرائيل) أو يظهرون أحيانا تقربا للعرب (ميشيل دوبريه) ، هذا هو منطق المتحدثين الرسميين للرأسمال الفرنسي ، اما بنيان الدولة السياسي فحتقنات الصهيونية فيه حقنات غزيرة كثيفة ، ان الصهيونية تسيطر على جزء كبير من الجهاز الاعلامي وعلى علاقة متينة مع قوى البوليس الفرنسي ، وهذا النفوذ يتجلى في كل مجالات النشاط (قدم التلفزيون الفرنسي في مساء ٤ شباط الجاري حرب ١٩٤٨ كحرب تحرر وطني للشعب اليهودي ضد الاستعمار البريطاني) ، الامر الثاني ان البوليس الفرنسي لم يبحث بجدية على الاطلاق للعثور على مرتكبي الجريمة ، بل انه عندما ألقى القبض في ٦ كانون الاول على اثنين من الاسرائيليين على مقربة من بيت محمود أطلق سراحهما ، وعندما هاجم عدد من الصهاينة اجتماعا عقد في شارع رين في باريس وجرحوا أكثر من عشرة اشخاص ، لم يتورع البوليس الفرنسي من اطلاق سراح المعتقل الوحيد بعد يوم واحد من الحادث .

اما بالنسبة للحزب الاشتراكي الذي يتزعمه فرنسوا ميتران فموقفه لا يختلف عمليا عن موقف الديغوليين واذا رأينا ان (اليسار الديغولي) يساعد الفلسطينيين ويهاجم الحركة الصهيونية انطلاقا من منطقه الخاص ، فان هذه الاقلية المتعاطفة مع الفلسطينيين من الصعب العثور عليها في الحزب الاشتراكي . لا شك ان الارضية التي ينطلق منها الحزب الاشتراكي في دعمه لاسرائيل تختلف عن الارضية الديغولية ، وان نقاشنا مباشرا مع كثير من انصاره يطرح علينا قضية جديدة ، هي قضية النشاط الاعلامي المتعدد الالوان للحركة الصهيونية . ففي الغرب طرح متعدد الالوان للكيان الاسرائيلي وهذا الطرح الاعلامي الكثيف يرتكز على سواعد اعلامية عديدة . في فرنسا ٤٠

جمعية صهيونية واكثر من ٨٠ نشرة اعلامية دورية. هذه السواعد الاعلامية أبرزت وجه اسرائيل بكل الاشكال الممكنة : اسرائيل دولة جديدة قامت اثر حركة تحرر وطني ، اسرائيل امتداد للحضارة الغربية في حوض اقطاعي مظلم ، اسرائيل تجسيد للميثالوجيا الدينية ، اسرائيل بلد اشتراكي يقوم على التعاونيات .

ان الصهيونية قوة اعلامية تصل الى رجل الشارع وتؤثر عليه ، وهي في الوقت نفسه قوة سياسية واقتصادية تصل الى الزعيم السياسي وتؤثر عليه، انها تصل الى الفرد والجماعة مختارة الوجه الملائم ، في مثل هذا الحقل الصهيوني المتعدد الالوان مكان للحزب الاشتراكي الفرنسي ، فالسيد ميتران صرح بعد زيارته الماضية لاسرائيل انه مقتنع بضرورة ضم الاراضي المحتلة لاعتبارات امنية ، وهو الذي وجه الدعوة الى غولدا ماير لزيارة فرنسا .

ان البحث عن الصورة الفلسطينية في صحيفة الحزب الاشتراكي وتعليقاته بحث عقيم ، فالصورة غائبة كليا ، واذا كان الديغوليون يحاولون اخفاء الصورة حتى لا يفقد الحبل الذي يشد العرب ويلهث وراء اليهود توازنه ، فان الاشتراكيين لا يقبلون مبدأ الطرح ، فهم يطرحون القضية طرحا أخلاقيا انسانيا ، وفي نقاش مع أحد مسؤوليهم في فانسين (ضاحية من باريس) أجاب ان اسرائيل حقيقة واقعة ولها الحق في الوجود وان ايجاد حل للفلسطينيين المشردين في الخيام هو واجب انساني، على شرط أن هذا الحل لا يمس على الاطلاق حدود اسرائيل ، فهي كيان مستقل تماما عن الفلسطينيين. وهكذا نرى ان التركيب السياسي والايديولوجي للحزب الاشتراكي لا يترك مجالا للقضية الفلسطينية . وان نظرة الى (برنامج الحزب الاشتراكي من اجل حكومة جديدة) تظهر بشكل رسمي واضح موقفه ، ففي موقفه من الشرق الاوسط وقضية الصراع العربي الاسرائيلي نرى ان المادة رقم واحد : الاعتراف بحقوق دولة اسرائيل في الوجود والامن ، وكذلك كل دول المنطقة ، وكذلك حقوق شعب فلسطين الذي سيختار ممثليه بنفسه ، المادة الثانية : الضمان لاسرائيل وكل دول المنطقة حقوق المرور في الممرات المائية الدولية (مضائق تيران وقناة السويس) ، في المادة الرابعة تثبيت حدود نهائية وذلك بمفاوضات بين الجوانب المعنية والانسحاب من الاراضي المحتلة ، ثم يشير في الفقرة الخامسة الى تعاون مثمر بين دول المنطقة ، المادة السادسة : تفاوض بين كل دول المنطقة لاعادة تسكين اللاجئين العرب . ان مثل هذا البرنامج يظهر الحماس الشديد لكل متطلبات اسرائيل ، بينما يشير بشكل غامض الى (اعادة تسكين) دون التعرض اطلاقا الى الحقوق القومية لشعب فلسطين ، ان حرص الحزب الاشتراكي على الانسياق في منطق السياسة الاسرائيلية جعل منه حصانا ثمينا لاسرائيل جاءت الى باريس للمراهنة عليه على حسب قول (لو نوفيل اوبزرفاتور) .

أما بالنسبة للحزب الشيوعي فهو قوة سياسية مهمة ونشطة وقد استطاع ان يحرك من أجل فيتنام كل فرنسا من خلال التظاهرات والبيانات والاجتماعات ، أما بالنسبة لقضية الهمشري فكانت حاله مغايرة فهو لم يخرج أي بيان رسمي ولم ينظم أية مظاهرة ، بل عبر عن موقفه من خلال جريدته (الاومانيته) فقط ومن خلال بيان أصدره اتحاد الطلبة الشيوعيين . ان الحزب الشيوعي مع ذلك يبقى قوة صديقة لكن يجب تحريكها ، ولفهم موقفه يجب التعرض الى أمور ثلاثة أولها نقطة انطلاقه الايديولوجية تجعله يحارب بحزم الفكر الصهيوني والنشاط الصهيوني ضد الحركة العمالية العالمية والاتحاد السوفياتي ، وقد أفرد لذلك مقالات كثيرة أهمها ما ظهر في مجلة النقد الجديد في عام ١٩٧١ في عددي أيار ونيسان بقلم أندريه جسلبرشت حيث أظهر الطابع العرقي والفاشي للحركة الصهيونية ، ودراسة أخرى بعنوان مساهمة في تحليل تاريخي للصهيونية بقلم هنريت وبول جاكو (كراسات معهد موريس توريز صيف ١٩٧١) حيث يركز كاتبا المقال على وظيفة اسرائيل كأداة للامبريالية العالمية ، أي أن الحزب لا يرى في الايديولوجية الصهيونية الا (ايديولوجية ظلم عرقية توسعية) هذا على المستوى الايديولوجي ، الامر الثاني هو موقفه من اسرائيل ، فهو يعترف بهسا كدولة ذات حق في الوجود دون النظر الى جذورها التاريخية كمشروع امبريالي ، الامر الثالث هو (فرنسية) الحزب الشيوعي الفرنسي ، أي مجاراته لقواعده العريضة ، لذلك فهو لا يطرح القضية الفلسطينية طرحا حادا ويجعلهسا محور نقاش وتحليل بين أعضائه ، فهو حريص على عدم خسارة أي صوت أو اضعاف قاعدته الشعبية ، (فرنسية) الحزب الشيوعي هذه تجعله بلا شك يتأثر او (يتلوث)

بالحملة الانتخابية أيضا . ان الحزب الشيوعي الفرنسي يعترف بالحقوق القومية لشعب فلسطين ، وفي كثير من نشراته يعتبر المقاومة الفلسطينية حركة تحرر قومي ، ولــه مواقف اعلامية جيدة خاصة خلال حرب الفدائيين ضد نظام الملك حسين ، الا ان الحملة الانتخابية جعلته يختزل الخبر الى أقل حد ممكن ، فلم يظهر أي مقال في مجلاته التي تصل الى خمس عشرة ، واكتفى فقط بمساهمتين في جريدة الاومانيته ، أولهمـــا يوم حادث اغتيال الرفيـــق محمود حين ذكر كاتب المقال بالطبيعة الارهابية للحركة الصهيونية (٧٢/١٢/١١) ثم وضع خبر وفاة الرفيق محمود في جريدته ١/١٠ ، مضمون الخبر كان جيدا فهو يشير بوضوح الى اهمال البوليس الفرنسي في متابعة التحقيق بل يلمح حتى الى التواطؤ بين البوليس الفــرنسي والبوليس الاسرائيلي ، لكن الشكل الذي وضع فيه الخبر كان موحيا في الوقت نفسه ، فالخبر جاء في طرف الصفحة الثالثة وبايجساز ، أضف الى ذلك ان الحزب كحزب رفض الاشتراك في أمسية للدفاع عن القضية الفلسطينية وأشار الى امكانية اشتراك اتحاد الطلبة الشيوعيين . واذا أردنا تقصي اثر الانتخابات وانعكاسهـــا على الحزب الشيوعـــي أصبحت الصورة أكثر ايحاء ، ان عدم طرح قضية الرفيق الهمشري من قبل الحزب الشيوعي هـــو موقف سياسي، موقف براغماتي انتخابي، أضف الى ذلك ان بيير جوكان احد أعضاء اللجنة المركزية شارك في الندوة التـــي عقدت حول (البرنامـــج المشترك لليسار واليهود) في ١/١٦ وأعاد من جديد الى الاذهان ان الحزب الشيوعي يعتبر وجـــود اسرائيل وجودا شرعيا، وأشار ايتيان فاجون رئيس تحرير الاومانيته في كلمة له في شمال فرنسا انه يحق ليهود الاتحاد السوفياتي الهجرة الى فلسطين على شرط أن تترك اسرائيل الاراضي المحتلة (٤). ثم ان الحزب الشيوعي الفرنسي يبين موقفه في البرنامج المشترك الذي وقعه مع الحزب الاشتراكي والذي ينص على : الاعتراف بحق الوجود لكل دول المنطقة وخاصة اسرائيل ، مع التذكير (بحقوق قومية) للشعب الفلسطيني . ان التراجع هنا في موقف الحزب الشيوعي واضح تماما ، فهو لا يذكر اطلاقا اسم المقاومة الفلسطينية كحركة تحرر وطني ويستبدل الحقـــوق القومية للشعب الفلسطينـــي بحقوق قومية . ان اتصـــالا مباشرا مع الحزب الشيوعي يظهر حقيقـــة واحدة هي ان الحـــزب الشيوعي لا يمكنه أن يطرح القضية الفلسطينية كما يريد الفلسطينيون لانه بذلك يغامر بقاعدته الشعبية العريضة (١/٢ مليون عضو و٥ ملايين نصير) ولانه لا يستطيع التصدي للقوة الصهيونية الفرنسية . مع هذا يبقى بتقديري الحزب الشيوعي هو القوة الهامة الوحيدة التي أعطت الخبر مضمونا سياسيا ولو كان ذا أبعاد مبتسرة .

ان تحليل ردود الفعل الفرنسية ازاء استشهاد الرفيق الهمشري قادنا الى اعطـاء تحليل سريع للقوى السياسية الهامة ، ان هذه القوى هي التي تحرك رجل الشارع الفرنسي ، وان البحث عن ردود الفعل المباشرة أمر لا معنى له ، حيث ان الردود المباشرة كانت غائبة لذلـك فلفهم موقع الصورة الفلسطينية من الساحة الفرنسية يجب تحليـــل الصمت الذي واكب استشهاد الرفيق الهمشري وأسباب هذا الصمت ودوافعه . اما مـــا يتعلق بالصحف الفرنسية فقد كان هناك منحيان ، المنحى الاول الذي سلكته الصحافة الصهيونية (الفيجارو، فرانس سوار والاورور) التي حاولت توجيه الانظار نحو انفجار في (ارهابي فلسطيني) وهو يصنع متفجرات في بيته ، المنحى الاخر . وقد ضم غالبية الصحف بما فيها صحف معروفة بميولها الصهيونية (كالاكسبريس) وهو اظهـــار الهمشري بصورة الانسان اللطيف ، الوديع ، الفلاح الساذج ، الانسان الذي يقوم بعمـــل دعائي لقضيته بهدوء (نوفيل اوبزرفاتور ، كومبا ، اللوموند) ونلاحظ هنا أيضا تجنب أي تحليل سياسي للقضية بل يميل منطق هذه الصحف الى التقليل من أهمية الرفيق الشهيد ويعطي دفقات كثيرة من الانسانية المسيحية لا أكثر ، فهو لا يصل اطلاقا الى صلب القضية . يمكن ان نضيف هنا دور اليســـار الجديد الذي استخدم كل امكانياته المتواضعة للدفاع عن الرفيق الشهيد والتنديد بالفاشستية الصهيونية الامر الذي جعل غولدا ماير تترك فرنسا بشكل سريع نظرا لاعتبارات تتعلق بالامن على حـــد قول التلفزيون الفرنسي . وكذلك جهود جمعية الصداقة العربية ـــ الفرنسية .

ان كل هذه الصورة تظهر الظروف الصعبة التي كان يناضل فيها الرفيق الهمشري الذي اضاء شمعة للنضال الفلسطيني في بلد فيه للخيول الصهيونية مرتع رحيب .

فيصل دراج

(٣) المناطق المحتلة

من أهم القضايا التي برزت مؤخرا في المناطق المحتلة الاجراءات الاسرائيلية التي سارت في عدة اتجاهات (١) بناء مستوطنات جديدة بغرض تكريس الاحتلال وتهويد المناطق العربية (٢) مصادرة أراض عربية جديدة وبكميات كبيرة لاشباع شهوة التوسع وذلك لخدمة الاتجاه الاول (٣) تسخير الايدي العاملة العربية (٤) التضييق على المعتقلين العرب في السجون الاسرائيلية ومعاملتهم معاملة لا انسانية . وقد خلقت هذه الاجراءات حالة تململ وسخط بين السكان العرب عبرت عن نفسها في تقديم الاحتجاجات والتفكير بالقيام بتظاهرات واضرابات .

حركة الاستيطان : انتقل مركز ثقل النشاط الاستيطاني الى الضفة الغربية وشمال سيناء ، بينما اخذت هضبة الجولان التي كانت مركز ثقل الاستيطان ، تستريح من وطأة هذا الثقل وذلك بفضل الضربات العنيفة التي وجهها الجيش السوري الى مجموعة مستوطنات الهضبة . فقد غدا هم السلطات المسؤولة عن الاستيطان هناك ، ليس بناء مستوطنات جديدة وانما الحفاظ على أمن المستوطنات القائمة وتعزيزها ، ولذا أقدمت على اعداد خطة لهذا العام يستثمر بموجبها حوالي ١٨ مليون ليرة اسرائيلية لتنفيذ اعمال امنية مختلفة في مستوطنات الهضبة ، بما في ذلك بناء شبكة كهربائية وأخرى هاتفية تحت الارض تصل المستوطنات باسرائيل « من أجل تقليل الاصابات في حالة القصف » . ومن المعروف ان الخطوط الكهربائية والهاتفية كانت دائما عرضة للاصابة في الاشتباكات مع الجيش السوري، وقد رأت سلطات الاحتلال ان خير طريقة لاتقاء القصف السوري بناء الشبكة تحت الارض ، ويبدو ان الحقد على السوريين قد دفع الاسرائيليين الى الطلب من لجنة الاسماء تسمية مستوطنة العال على اسم الجاسوس الاسرائيلي ايلي كوهين الذي اعدم في سوريا ، وأثار هذا الطلب اختلافا في وجهات النظر بين لجنة الاسماء بين مؤيد ومعارض ، وقد انتصر جناح المعارض في البداية ، باعتبار « ان المستوطنات تسمى عندنا فقط على أسماء شخصيات تاريخية » ويبدو ان اللجنة قد وافقت من حيث المبدأ على تسمية المستوطنة باسم ايلي كوهين لا لكونه شخصية تاريخية ولكن بسبب الحملة التي قادها الدكتور افنير شاكي من نشيطي الحزب الوطني المتدين والتي اعتمدت على الضرب على وتر الحقوق المهضومة للطوائف الشرقية في اسرائيل ، وان المعارضين لتسمية المستوطنة باسم ايلي كوهين يعارضون ذلك لانه من اصل شرقي ، ومن خلال هذا المنظور الذي يمثله افنير شاكي تساءل شاكي أمام لجنة الاسماء « ألا يعتبر ايلي كوهين شخصية تاريخية في تاريخ البطولة الاسرائيلية ، على ضوء مغامراته العظيمة في دمشق من اجل أمن اسرائيل والتي كانت من بين الامور التي ساعدت الجيش الاسرائيلي على المرابطة في الجولان ؟ » (معاريف ٧٣/١/١٤) .

اما في غور الاردن فقد انهمكت سلطات الاحتلال في اقامة المستوطنات والاعداد لمستوطنات جديدة ، ففي أوائل شهر يناير تم الاحتفال بانتقال مستوطني « ناحال جتيت » التي شيدت على أراضي فلاحي قرية عقربة العربية بعد ابادة محصولاتهم الزراعية بالمبيدات بواسطة طائرة تابعة لسلاح الجو الاسرائيلي ، الى مبان جديدة بدل المباني المؤقتة السابقة ، وخصصت لهؤلاء المستوطنين حوالي ٢٥٠٠ دونم اقتطعتها سلطات الاحتلال من فلاحي قرية عقربة العربية . ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال أنكرت عندما استولت على اراضي القرية بأن القصد منها اقامة مستوطنة وتذرعت بأن « حاجيات الامن تتطلب ذلك » وقد تكررت عملية النهب مرة اخرى ، ومست هذه المرة قرية بيت دجن العربية القريبة من قرية عقربة ، حين تسلل المستوطنون بواسطة جرافاتهم الى اراضي بيت دجن واخذوا يقومون بأعمال تمهيد الاراضي ، وقد أدرك الفلاحون العرب ان مصير اراضيهم ستكون نفس مصير أراضي قرية عقربة ، فعقدوا مؤتمرا صحفيا (انظر شهريات العدد السابق) الا ان سلطات الاحتلال انكرت علمها بأي شيء ولم تتذرع بـ « متطلبات الامن » وفضلت التستر على عملية النهب الجديدة حتى ظهور الواقع الجديد ، وبالفعل وعلى اثر الانتهاء من اعمال التمهيد ، زفت الصحف الاسرائيلية لمجتمع المهاجرين والمستوطنين بشرى قيام مستوطنة جديدة تحمل اسم « مكوراه » في

منطقة بيت دجن . وفيما يتعلق بالمستوطنات التي ستقام هذا العام في الضفة ، ذكرت المصادر الاسرائيلية انه قد تقرر اقامة مستوطنة جديدة في منطقة « غوش عتسيون » لتكون المستوطنة الرابعة في تلك المنطقة ، كما وتقرر اقامة مستوطنة جديدة شمالي البحر الميت عند منتصف هذا العام تقع على سفوح الجبال بالقرب من مغارة قمران ، ومستعمرة « كاليا » .

ومن اجل تثبيت دعائم المستوطنات القائمة أعدت السلطات المسؤولة عن الاستيطان خطة لبناء مركز اقليمي لمستوطنات الاغوار ، ومن المعروف ان النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في الاغوار قد تعزز بفضل حالة الامن على ضفتي نهر الاردن عقب مجزرة أيلول التي قام بها النظام الاردني ضد رجال المقاومة الفلسطينية ، حيث أخذت بعد ذلك سلطات الاحتلال تعمل بشكل محموم لتهويد الاغوار ، وقد أشار قائد المنطقة الوسطى رحبعام زئيفي الى ذلك في مؤتمر صحفي حين قال « انه منذ سبتمبر ١٩٧٠ انخفضت اعمال التخريب والتسلل الى الغور ، حتى وصلت الى العدم تقريبا » . كما واعرب عن أمله بأن لا يكون ذلك اليوم الذي يبرز فيه مطار مدني في منطقة فصال بعيدا ، وذلك بغرض تصدير الخضروات التي تصدر الان الى اوروبا » (دافار ٧٣/١/٤) .

اما في شمال سيناء فقد تركز النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في اقامة « مركز اقليمي » في منطقة مشارف رفح وبالقرب من المكان الذي اقترح ان تقام عليه مدينة « يميت » بعد أن تمت الموافقة على اقامة المركز وقد انيط بالجيش الاسرائيلي القيام بتسييج المنطقة التي سيقام عليها المركز ، ومن الجدير بالذكر ان اقتراح اقامة مدينة يميت (للتوسع انظر شهريات المناطق المحتلة ، شؤون فلسطينية ، عدد ١٤) بقي معلقا لاختلاف وجهات النظر بين المسؤولين الاسرائيليين ، واشارت المصادر الاسرائيلية الى « ان هذا المركز سيقام في منطقة لا تعرقل مخطط اقامة المدينة يميت ، بل باستطاعته في المستقبل ان يندمج معها » . ويبدو ان اقامة المركز قد جاءت كحل وسط بين التيار الداعي الى اقامة مدينة تتسع لربع مليون شخص في الاراضي المصرية وبين التيار الذي يكتفي باقامة مستوطنة ، على ان التيارين لم يختلفا حول حجم تهويد الاراضي المصرية الواقعة بين شرم الشيخ وايلات فقد كلفت لجنة استيطانية يرئسها الوزير يسرائيل جليلي « البدء فورا بالعمل لاستيطان المنطقة الممتدة بين شرم الشيخ وايلات » كما ودعا رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية الدكتور رعنان فايتس لاقامة عشر مستوطنات يهودية جديدة في تلك المنطقة واقترح تطوير مستوطنة اوفير في شرم الشيخ لتصبح مدينة تتسع لعشرة آلاف شخص .

لعله من المفيد هنا ان نتطرق الى الجانب النفسي لمستوطني مشارف رفح ، الذين سلبوا الارض وطردوا صاحبها ، واستغلوه في بناء المستوطنات ، هذا العمل أثار في حينه سخط العناصر اليسارية في اسرائيل ومن بينها عناصر « هشومير هتسعير » (شبيبة حزب مبام) الذين يملكون مستوطنات في فلسطين المحتلة بالقرب من مشارف رفح ، ويتأتى لنا معرفة حقيقة العوامل النفسية للمستوطنين واعترافهم بأن العمل الصهيوني برمته بني على سلب الارض العربية واستغلال الانسان العربي ، وانه ليس هنالك فرق بين الطبيعة الاستغلالية للمستوطنات الجديدة والمستوطنات القديمة ، والحقيقة ان هذا الاعتراف يندر العثور عليه الا في حالة الخلافات وتبادل التهم بين اجنحة المستوطنين . يقول ياكي ضابط احتياط واحد مستوطني مشارف رفح حول هذا الموضوع « انني لا انفعل من صيحات هشومير هتسعير . عندما جاء أبي الى مستوطنة السجرة عند مطلع هذا القرن ، قام بسلب العرب . كما ان البارون اشترى أراضي وسلب العرب . ان مستوطنتي كيم شالوم ونير عوز التابعتين للكيبوتس القطري (مبام) تقعان على أرض عربية ، وايضا نحن في مستوطنة « سدوت » (في مشارف رفح) نتواجد على ارض عربية » . اما المستوطن ايلون (من مستوطني مشارف رفح) فقد كشف النقاب عن ان كيبوتس « مجين » التابع لهشومير هتسعير (في فلسطين المحتلة) قد جلب عمالا من العرب للعمل في الكيبوتس ونصب مشرفين عليهم من مستوطني مشارف رفح ، وذكر انه في بعض الاحيان ينشب نقاش بين المستوطنين الجدد والمستوطنين القدامى حول استغلال العمال العرب قال : ذات مرة ، واثناء تناول وجبة الغداء نشب حوار حول الاستيطان في المناطق ، وعند ذلك قال احد الرفاق (من مبام) : « نعم — انتم المستغلون » . لقد أغضبنا هذا التلون ، فسألناهم : على اية ارض

هم يجلسون ، ونصحناهم بالسكوت لانهم هم ايضا يستغلون عربا اجراء ، وليس لديهم اي حق أدبي للتحدث ضدنا » (معاريف ٧٣/١/٥) . ولكن هل يملك العرب اصحاب الارض الحق الادبي في التحدث ضد هؤلاء المستوطنين ؟ حينذاك لن يعترف المستوطن بجريمته ، وسيجد تبريرات جمة لاعمال السرقة والسلب ، وخير دليل على ذلك محكمة «العدل» العليا في اسرائيل التي توجه بدو رفح اليها لعلها تنصفهم وتعيدهم الى ارضهم بيد انها رأت ان الاعمال الاستيطانية جاءت « لمتطلبات الامن ».

مصادرة أراض عربية : استمرارا لاعمال المصادرة والنهب التي غدت الصفة الملازمة للاحتلال الاسرائيلي ، والتي تتصف بأعمال همجية مثل رش المزروعات العربية بالمواد السامة بواسطة سلاح الجو الاسرائيلي ومثل تدمير الابار واتلاف المزروعات كما حدث لمشارف رفح والاغوار، والتي وصفها ديان نفسه « بالاعمال البربرية » للايهام بأن السلطات الاسرائيلية تعارض « التجاوزات » والاعمال « الشاذة » مع انها هي المسؤولة الوحيدة عن تلك الأعمال، أقدمت سلطات الاحتلال في الاونة الاخيرة على سلسلة من أعمال المصادرة والنهب بشكل واسع النطاق (١) وضع اليد على ٧٠ كم من الاراضي تقع بين بيت ساحور وأريحا متذرعة بالحجة المالوفة الواهية « متطلبات الامن» (انظر شهريات المناطق المحتلة العدد ١٤). وازاء احتجاج سكان بيت لحم وبيت ساحور والعيزرية ضد وضع اليد على ممتلكاتهم اضطر دايان للاجتماع بعدد من الاشخاص الذين وقعوا على عريضة الاحتجاج في النصف الاول من شهر يناير ، وانكر كالعادة ان يكون الهدف من الاجراء مصادرة الاراضي من أصحابها أو اقامة مستوطنات عليها الا انه استطرد قائلا « وفي حالة قيام مستوطنات أمنية أو مدنية في هذه المنطقة فانها سترتكز على (١) اراضي الدولة ، او الاراضي الموجودة تحت ادارة القيم على اموال الغائبين ، (٢) الاراضي التي تم شراؤها من أصحابها ودفعت أثمانها بالكامل ، (٣) الاراضي التي تم استبدالها، وتم اعطاء أصحابها أراضي لا تقل عنها جودة » . كما وذكر انه سوف لا تصادر أراض من أصحابها « الا في حالات خاصة او لغرض انشاء جهاز أمني حيوي حسب ما تقتضيه الضرورة » والخطوة الثانية تتمثل في تسلل المستوطنين الى أراضي بيت دجن واستيلائهم على منطقة واسعة وعند احتجاج الفلاحين العرب على ذلك من خلال مؤتمر صحفي عقدوه ، أنكر المتحدث باسم وزارة الدفاع أن يكون له علم بذلك ، الا ان المتحدث لا يستطيع الانكار لان مستوطنة اسرائيلية قد برزت فوق الاراضي العربية المصادرة . أما ثالثة الاثافي في سلسلة اعمال النهب والمصادرة والتي « لا يعلم عنها » أو بالاحرى يتستر عليها المحتلون الاسرائيليون ، فهي قصة نهب جديدة شبيهة الى حد كبير بما جرى في مشارف رفح ، أبطالها مستوطنون وضحيتها كالعادة عرب وحكمها كالعادة « الذي لا يعلم » نقلتها بعض الصحف الاسرائيلية مثل المرصاد (٧٢/١/٢٥) قائلة « استيقظ عرب السواحرة ذات صباح على صوت هدير جرافات وتراكتورات ثقيلة تمهد أراض لهم واسعة ، تقدر مساحتها بمئة ألف دونم ، وعندما استفسر البدو عن طبيعة العمل الذي تقوم به الجرافات في اراضيهم قيل لهم ان شركة اسرائيلية اشترت هذه الاراضي وانها تتصرف بها انطلاقا من هذا الاساس، وتوجه ممثلو بدو السواحرة الى الحاكم العسكري مستفسرين ، ولكن الحاكم العسكري كان آخر من يعلم ، فالاراضي حسب معلوماته لم تصادر ... » واعترفت صحيفة « الانباء » الهستدروتية بأن جرافات اسرائيلية قد اخذت تقوم بأعمال التمهيد في أراض تخص بدو السواحرة وتعمل لحساب الصندوق القومي الاسرائيلي ، بالرغم من ان أحدا لم يبع الارض لتلك المؤسسة كما جاء على لسان السكان البدو الذين يعتزمون عقد اجتماع لانتخاب لجنة تنطق بلسانهم « وتعمل بالوسائل القانونية من أجل حماية أراضيهم » . ومن الجدير بالذكر ان بدو مشارف رفح ناضلوا ضد سلب أراضيهم بالطرق « القانونية » وأوصلوا قضيتهم الى محكمة « العدل » العليا ، بيد ان المحكمة بسبب طبيعتها لم تنصفهم .

ارتفاع في عدد العمال العرب : طرأ ارتفاع في الاونة الاخيرة على عدد العمال العرب الذين يعملون في القطاعات المختلفة للاقتصاد الاسرائيلي ، اذ ارتفع العدد كما جاء في احصائية لوزارة التجارة والصناعة من ٤٣ الى ٥٥ الفا، واشارت الاحصائية الى أن الارتفاع يعود بالاساس الى فتح الحدود أمام عمال غزة خلال العام الماضي للعمل في اسرائيل فارتفع عدد العمال الذين يعملون في اسرائيل من قطاع غزة من ١٣ الى ٢٠ الفا . الا أن قائد منطقة قطاع غزة السابق يتسحاق بونداق

اشار الى ان عدد العمال من قطاع غزة الذين يعملون في اسرائيل قد وصل مؤخرا الى ٢٥ الف نسمة ، ويمكن القول ان العدد الحقيقي للعمال العرب في اسرائيل يفوق الرقم السابق ، بوجود اعداد من العمال تعمل بطرق غير رسمية . ومن الملاحظ أن العمال العرب، يحتلون الاعمال السوداء أو الشاقة ، مثل العمل في فرع البناء حيث يشتغل ما يزيد على الـ ٣٠ الف عامل في مجال البناء ، وأشارت احصائية اسرائيلية أن عدد العمال العرب في القدس وحدها يربو على عشرة آلاف عامل يعمل ٨٥٪ منهم في مجال البناء ، أما الـ ٢٥ الف عامل الاخرون فيشتغلون في فروع الصناعة والخدمات والزراعة ، وتعترف الدوائر الاسرائيلية ان الفروقات في الاجور لا زالت قائمة .

تحرك سكان المناطق المحتلة : كان من نتيجة مجمل السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة والمتمثلة في نهب الارض واستغلال الانسان هناك واضطهاده ازدياد حركة الاحتجاج في المحيط العربي عبرت عن نفسها في عدة اشكال . ويمكن تلخيص هذا التحرك بالتالي :

١ ـ **الدعوة للتظاهر ضد اعمال المصادرة** : عند مطلع هذا العام تقدم مزارعو منطقة نابلس بطلب الى سلطات الاحتلال بالسماح بقيام تظاهرة ضد اعمال السلب والمصادرة في يوم الجمعة الموافق ٧٣/١/٢٦ ، وذلك كما جاء في الطلب الذي وقعه مئة شخص من سكان نابلس والقرى المجاورة لها « بغرض اعلان احتجاجها وشجبها للاجراءات التي قامت بها سلطات الاحتلال من اغلاق المناطق ومصادرة الاراضي الزراعية الواقعة في الاغوار وما صحب ذلك من نسف المنازل وحرق واتلاف المنشآت الزراعية وتدمير ونسف الموتورات والمضخات التي يملكها المزارعون التي تروي مساحات واسعة تبلغ الـ ٤٠ الف دونم وتشريد المزارعين منها واقامة بعض المستعمرات على أجزاء منها » .

وجاء في الطلب : « ان الهدف من هذه المسيرة هو التعبير عن الشعور العام والسخط السائد الذي نجم عن تجاهل حقوق المتضررين رغم تعدد شكاواهم بصورة دائمة وبنطاق واسع حيث ان جميع هذه المراجعات التي تكررت وتعددت لم تجد نفعا في كشف الظلامة عن الاشخاص الذين حاق بهم الظلم من هذه الاجراءات » . بيد ان هذا الطلب قد رفض من قبل الحاكم العسكري لمدينة نابلس العقيد اليعيزر سيجف ، بحجة « ان جهاز الحكم العسكري لم يسبق له أن سمح بالقيام بتظاهرات في أرجاء الضفة ، وان الجهاز يرى ان هذا النشاط يتنافى والسياسة المتبعة » . ومن المعروف انه اذا ما لجأ السكان العرب الى طرق اخف مثل الاستفسار عن أراضيهم المصادرة أو المغلقة فانهم سيقفون حيارى أمام « آخر من يعلم » او « متطلبات الامن » .

٢ ـ **تململ العمال** : هنالك حادثتان وقعتا في الاونة الاخيرة تطرقت اليهما الصحف الاسرائيلية تشيران الى تحرك العمال العرب ضد الاستغلال اللاحق بهم ، ففي أحد المصانع الكبيرة ، التي تنتج الورق والكرتون ظهر غليان بين صفوف مئتي عامل عربي يعملون هناك ، وقام هؤلاء مجتمعين بصياغة مذكرة تطالب بازالة الحيف اللاحق بهم « وهددوا بالقيام باضراب اذا لم يستجب لمطالبهم ». وقد هرع رجال وزارة العمل الى المصنع للحيلولة دون الاضراب وتعهدوا بتحسين أوضاع العمال العرب العاملين في المصنع . أما الحادثة الثانية فقد وقعت في فندق « دبلومات » في القدس بين العمال العرب الذين يشتغلون في الفندق ما بين ١٢ ـ ١٦ ساعة في اليوم وبدون اجازات وبين صاحب الفندق . فقد احتج العمال العرب على أوضاعهم وظروف عملهم وطالبوا بالاجتماع بادارة الفندق ، الا ان الادارة رفضت ذلك ، وكان جوابها : « من يرغب في العمل فليرجع الى مكان عمله ، ومن لا يرغب فليخرج » ، فخرج الجميع الى ساحة الفندق ، وبعد قليل خرج صاحب الفندق المدعو حاييم شيف ، واعتدى على احد العمال بالضرب ، وأخذ يصرخ : اخرجوا « عرب كلاب » فتصدى له العمال وأسكتوه ، الا ان هذا استدعى قوات الامن ، التي هرعت الى المكان وأخرجتهم منه (انظر صحيفة الاتحاد ٧٣/١/٥) .

٣ ـ **اضراب المعتقلين العرب عن الطعام** : عند مطلع هذا العام قام المعتقلون العرب في سجن كفار يونا بالاضراب عن الطعام احتجاجا على المعاملة السيئة التي يلقاها هؤلاء في السجن ، وقد حاولت سلطات الاحتلال التستر على الاضراب ، الا ان نساء نابلس كشفن من خلال الاتحاد النسائي والهلال الاحمر ورعاية الامومة والطفولة بواسطة مذكرات الاحتجاج التي وزعنها ، عن قيام الاضراب

والمعاملة السيئة التي يواجهها المعتقلون العرب ، فقد جاء في مذكرة الاحتجاج : « علمنا بمزيد الاسى ان السجناء العرب في سجن كنار يونا قد اعلنوا اضرابا عن الطعام منذ أكثر من اثني عشر يوما احتجاجا على المعاملة السيئة غير الانسانية التي يلقونها من مدير السجن الجديد وموظفيه وهناك عدد يربو على ثلاثين من هؤلاء السجناء في حالة صحية سيئة من جراء الاضراب والاجراءات الانتقامية التي اتخذتها سلطات السجن لقمع الاضراب بالقوة ، فباسم سيدات نابلس وأمهات وزوجات المعتقلين نطالبكم بالتحقيق فورا في هذه الامور الخطيرة ومعاقبة المسؤولين عن هذه التصرفات ونعلن احتجاجنا الصارخ ، كما نطالب الحكومة باصدار بيان رسمي للرأي العام عن نتائج التحقيق وعن الاجراءات التي اتخذت ضد المسيئين حتى يطمئن خاطرنا عن صحة أبنائنا من المساجين مع تاكيدنا بأن الاضراب ما زال مستمرا » . وعند نشر مذكرات الاحتجاج اضطر جهاز الحكم العسكري للاعتراف بأن الاضراب قد وقع الا انه حاول طمس حقيقة دوافع الاضراب بقوله ان الاضراب « لم يكن نتيجة المعاملة السيئة او غيرها من ادارة السجن ، وانما كان نتيجة تدخل اجراء اداري تدخل فيه السجناء لنقل مدير السجن وبعض افراد مكتبه الى مكان آخر ، وقد أعلن السجناء مطالبين فقط باعادة مدير السجن القديم » !! والحقيقة ان هذه الحجة واهية كحجة « متطلبات الامن » ، فمتى كان السجين يحب سجانه ؟

٤ ـ **الدعوة لمقاومة الاحتلال** : خلال ذلك كانت خلايا المقاومة الفلسطينية تنشط فيتوزيع المنشورات الداعية الى الاضراب الشامل في الضفة الغربية ، ففي ٧٣/١/٢٨ شهدت شوارع مدينة نابلس منشورات تحمل هذه الدعوة وتطالب جماهير الضفة « التصدي بقوة للاحتلال وتصفيته نهائيا » . وقد حملت هذه المناشير توقيع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

ع . م .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ١٢/١٣ — ١٩٧٣/٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	خسائر العدو البشرية جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١	١٢/١٥	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة مكتب العمل	—	—	—	هـ٠ ١٨٧ ص ٥	١/٢٧
٢	١٢/١٥	٢٤٠٠	بين ايلات وعسقلان	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير انابيب النفط	—	—	—	هـ٠ ١٨٨ ص ٤	٢/ ٢
٣	١٢/١٦	٣٠٠	بين ايلات وعسقلان	اشتباك	أسلحة رشاشة وقنابل	غيرمحدد		—	١	—	—	هـ٠ ١٨٨ ص ٤	٢/ ٢
٤	١٢/٢٥	٦٠٠	كفا — اتا/ حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير مجمع خطوط هاتفية	—	—	—	هـ٠ ١٨٨ ص ٤	٢/ ٢
٥	١٢/٢٥	٦٠٠	تل — بلوم/حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	٣	—	تدمير جزء من بناية	—	—	—	هـ٠ ١٨٨ ص ٤	٢/ ٢
٦	١٢/٣١	١٨٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٨ اصابات		تدمير جزء من البناية	—	—	—	هـ٠ ١٨٩ ص ٤	٢/١٠
٧	١/ ٢	—	داجانيـا	تفجير	الغام	١	—	—	—	—	—	وفـا	٢/ ٤
٨	١/ ٣	—	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	—	١	تدمير سيارة	—	—	—	وفـا	٢/ ٤
٩	١/ ٦	—	حيفـا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		حرق معمل كيم لصيانة ادوات التبريد	—	—	—	وفـا	٢/ ٤
١٠	١/١٢	—	بتاح تكفا(١)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة اجزاء من مصنع آسيا	—	—	—	الحرية ٦٠٥ ص ٢	١/٢٢
١١	١/١٥	١٥٠٠	العفولة	تفجير	عبوات ناسفة	٤	—	حرق وتدمير سيارة	—	—	—	هـ٠ ١٨٩ ص ٤	٢/١٠
١٢	١/٢٣	—	ماليافا حاشا/الجليل	هجوم	مدافع رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد		—	—	—	—	وفـا	٢/ ٤
١٣	١/٢٣	—	رمات جان/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اشعال النيران فيبناية	—	—	—	وفـا	٢/ ٤
١٤	١/٢٨	—	بين دير البلح وخان يونس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير جزء كبير من خط سكة الحديد	—	—	—	وفـا	١/٣٠
١٥	٢/ ٢	٢١٣٠	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اصابة مدخل بناية مكتب بأضرار	—	—	—	وفـا	٢/ ٤
١٦	٢/ ٢	١٩٣٠	القـدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		—	—	—	—	وفـا	٢/ ٤
١٧	٢/ ٣	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اصابة عدد من السيارات بأضرار	—	—	—	وفـا	٢/ ٤
١٨	٢/ ٣	٢١٠٠	الخليـل	كمين	شبكة الغام	غيرمحدد		تدمير سيارة واعطاب اخرى	—	—	—	وفـا	٢/ ٥
١٩	٢/ ٤	—	ترشيحا	تفجير	الغام	غيرمحدد		تدمير سيارة	—	—	—	هـ٠ ١٨٩ ص ٥	٢/١٠

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١/١٣ — ١٩٧٣/٢/١٠

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	١/١٨	—	هاردوف/الجليل(٢)	هجوم	قذائف بازوكا	غيرمحدد		اصابة سيارة عسكرية	—	—	—	ن. ١٤٠ ص ٥	١/١٩
٢	١/٢٣	—	حيفا	تفجير	عبوة ناسفة	—	١	—	—	—	—	ن. ١٤٤ ص ١١	١/٢٤
٣	١/٢٨	—	عيميك سيلك/الجليل	تفجير	الغام	—	١	اصابة سيارة	—	—	—	ن. ١٤٨ ص ٧	١/٢٩
٤	٢/٢	٢١٣٠	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد		—	—	—	—	ن. ١٥٣ ص ٥	٢/٣
٥	٢/٧	—	ناحال جولان	اطلاق نار	أسلحة رشاشة	—	—	اصابة مكتب العمل	—	—	—	ن. ١٥٦ ص ٦	٢/٨

١ — وردت هذه التعليمات بعد صدور الجداول السابقة .

٢ — أعلنت القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية عدم مسؤوليتها عن هذه العملية .

تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها

١ — وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير الفلسطينية .

٢ — ه : الهدف : مجلة اسبوعية تصدر في بيروت .

٣ — الحرية : مجلة اسبوعية تصدر في بيروت .

٤ — ن : نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

اسرائيليــات

جولة الايام الستة
بدأت بفشل واحد .. وانتهت بثلاثة

جولة « الايام الستة » التي قامت بها غولدا مئير ، رئيسة حكومة العدو ، في الشهـر الماضي الـى اوروبا ، كانت ــ بأحداثها ولقاءاتها ونتائجهـا المنشورة وردود الفعل عليها ، اضافة الى مفاجآتها العديدة ــ هي « موضوع الشهر » في اسرائيل ، حيث طغت على كل ما عداها من احداث ، وغطى عرض انبائها والتعليق عليها ، نسبة عالية مـن صفحات صحف اسرائيل ، ومن ساعات ارسال اذاعتها كذلك .

على انـه اضافة الى هـذا الموضوع ، ناقش المسؤولون والمعلقون الاسرائيليون خلال الشهـر الماضي عددا من المواضيع الاخرى ، وكان مـن ابرزها : اثر توقيع اتفاقية السلام الفيتنامية في باريس على تطورات « ازمة الشرق الاوسط » ، وخطاب وزير الخارجية الاميركي ، وليم روجرز في حفل وداع اسحق رابين بمناسبة انتهاء فتـرة عمله كسفير لاسرائيل لدى اميركا ، ثم قرار حكومة إسرائيل باصدار « أمـر اغلاق » قريتي اقرت وكفر برعم .

ــ أولى محطات غولدا مئير في جولتها الاوروبية ، التي ابتدأت في الثاني عشر مـن كانون الثانـي (يناير) وانتهت في السابع عشر منـه ، كانت باريس ، حيث كـان انعقاد مؤتمـر « الاممية الاشتراكية » التي تتولى مئير منصب نائبة الرئيس فيها ، في « قصر اللوكسمبورغ » في العاصمة الفرنسية .

وقبل ان نتعرض لزيارة مئير الى باريس ، وبشكل خاص ، لما سبق هذه الزيارة من بيانات وردود فعل فرنسية ، يجدر التذكير بحقيقتين :

(١) ان العلاقات الفرنسية الاسرائيلية ، قـد بدأت بالتدهور بصورة جدية اثـر حرب حزيران ١٩٦٧ ، واتخاذ الرئيس الفرنسي السابق ديغول لموقفه المعروف بادانة « عدوانية » اسرائيل ، وبلغ هذا التدهور حدين اقصيين أولهما بسرقة عميـل لاسرائيل خرائط ونماذج طـائرة « ميراج ٥ أ » الفرنسية الصنع ، وثانيهما بسرقة عملاء آخرين لاسرائيل خمس قطع حربية بحرية من ميناء شيربور الفرنسي .

(٢) ان العلاقات الفرنسية الإسرائيلية قد بدأت تتحسن ، وان يكن بشكل غير ملموس ، مع بلوغ الطرفين : الفرنسي والاسرائيلـي الى تسويـة الموضوع المتعلق بالاموال التي كانت اسرائيل قد دفعتها على حساب صفقة لشراء طائرات ميراج قبل صدور قرار الحظر الفرنسي على ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط ، وتحسنت العلاقات ، أو بدأ الانفراج يبدو واضحا في أواسط شهر كانون اول (ديسمبر) من العام الماضي ، عندما استدعي اشير بن ناثان سفير اسرائيل في باريس الـى وزارة الخارجية هناك ، واستقبل ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل ، فرنسيس ايرا سفير فرنسا لدى اسرائيل بناء على طلب السفير ، وأوضح الجانب الفرنسي في كلا اللقاءين اتخاذ فرنسا لموقف جـديد ازاء الصراع في الشرق الاوسط ، وهو الموقف الذي يقضي بتوقفها عن تقديم مبـادرات جديدة بهدف الوصول الى تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط ، وهي المبادرات التي طالما تضايقت منها اسرائيل .

ولم يطرأ على هذا الموقف الفرنسي جديد ، حتى بعد اعلان مئير عن قرارها النهائي في المشاركة في مؤتمر « الاممية » ، وقد أعلن الرئيس الفرنسي بومبيدو في رد له على سؤال « مراسل مصري » شارك في مؤتمـره الصحافي الذي عقـد في قصر الاليزيه يوم ١٩٧٣/١/٩ ان « لدى فرنسا آراء واضحة بالنسبة لقضية الشرق الاوسط ، وكذلك

لقضية الفلسطينيين . واذا استطاعت فرنسا ان تساهم في حل هذه المشاكل ، فسيكون ذلك أمرا جيدا . **ولكن الامر يبدو في هذه المرحلة صعبا جدا . فليس لدول أوروبا رأي موحد ومبلور ، ومن المعلوم ان مبادرة فرنسا للتوصل الى حل بواسطة اتفاق بين الدول الاربع الكبرى لم تنجح** » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/١٠) .

ونعود الان الى الزيارة ذاتها . كان بومبيدو قد ذكر في مؤتمره الصحافي المذكور « ان انعقاد مؤتمر « الاممية » في باريس في هذا الظرف ، اي عشية الانتخابات ، هو بمثابة تدخل في الشؤون الداخلية لفرنسا . وعندما يسافر رئيس حكومة الى خارج البلد ، فان الامر يلزم حكومته ، ولكن يبدو ان الامر ليس كذلك ، فقد أعلن السادة **والسيدات** أنهم قادمون الى باريس كرؤساء أحزاب لا كرؤساء حكومات ، ولذلك فسنعاملهم بهذه الصفة » . (المصدر السابق) . وبالفعل فان اي من الرسميين الفرنسيين لم يلتق بغولدا مئير باستثناء مندوب التشريفات الفرنسي الذي كان في استقبال مئير في مطار اورلي ، « وحتى انني فوجئت باستقباله لي ، لان ذلك لم يكن متوقعا » كما قالت غولدا مئير . (معاريف ٧٣/١/١٩) .

ولقد فهمت رئيسة حكومة العدو ان موقف بومبيدو من حضور رؤساء حكومات لمؤتمر « الاممية » في باريس ، انما اتخذ بسببها هي فقط ، وأوضحت ذلك في قولها لاولئك الرؤساء « انني ملزمة بالاعتذار اليكم ، لقد تألمتم كثيرا ، حيث بسببي قال الرئيس الفرنسي انكم جميعا غير مرغوب فيكم في فترة الانتخابات في فرنسا » (المصدر السابق) .

وفي مؤتمر « الاممية » كان الموضوع الرئيسي في جدول الاعمال هو قضية فيتنام واشتداد القصف الاميركي على فيتنام الشمالية ، وقد كان لغولدا مئير دور فعال جدا حول هذا الموضوع، حيث منعت اتخاذ المؤتمر لقرار ادانة عمليات القصف الاميركية تلك ، وردت على سؤال حول صحة هذا الدور بقولها : « هكذا قالوا . وكان هناك أيضا من عارضوا ادانة الاميركيين ، ودار نقاش حاد حول هذا الموضوع بيني وبين مندوب هولندا وهو مرشح لرئاسة الحكومة في بلده . انه رجل رائع فعلا ، ولكنه تحدث بعنف عن عمليات القصف وعن الاميركيين وعن نيكسون ، وفي البداية لم أكن أرغب في المشاركة في هذا الجدل ، ولكن عندما تطلع الجميع نحوي منتظرين سماع رأيي ... قلت : هل تعلمون سبب توقف المباحثات بين الولايات المتحدة وفيتنام الشمالية ؟ هل تعرفون انتم ما لا اعرفه انا ؟ ما الذي حدث هناك ؟ اذا كان حقيقة ان المباحثات قد توقفت بسبب اختلاف وجهات النظر حول مسألة كيفية مراقبة وقف اطلاق النار ، فاسمحوا لي أن أقول لكم بأنني الاكثر خبرة بين جميع الجالسين هنا ، اذ بعد خمس ساعات فقط من توقيعنا على اتفاقية وقف اطلاق النار في السويس ، قدموا (تقصد المصريين) الصواريخ ! انا أيضا أعارض عمليات القصف . ومن اجل معارضة عمليات القصف لا يلزم انتكون اشتراكيين، لكن ان نكون نحن محكمة تقرر من هو المذنب ومن هو غير المذنب ، فهذا لا ، ابدا لا » . (المصدر السابق) .

وباعتراف غولدا مئير ، في حديثها للصحافيين في باريس « لم تقدم لقاءاتها مع رؤساء الحكومات (الاشتراكيين) الذين شاركوا في المؤتمر (وهم خمسة رؤساء غيرها) أية فائدة فيما يخص شرح مواقف اسرائيل » الامر الذي دفع عضو هيئة تحرير جريدة معاريف شموئيل شنيتسر الى كتابة تعليق (بتاريخ ٧٣/١/١٩) حول مشاركة مئير في مؤتمر « الاممية » ، ينضح بالمرارة ، حيث قال ذلك الصحافي الاسرائيلي :

« ان فكرة وجوب السفر الى باريس من اجل اللقاء هناك ، كانت واهية من البداية . فان الشرق الاوسط لم يكن على جدول اعمال مؤتمر الاممية الاشتراكية في باريس ، بل كانت حرب فيتنام هي مركز مباحثاته . وهنا تكشفت مناسبة نادرة لاغضاب رئيس فرنسا ورئيس الولايات المتحدة الاميركية في وقت واحد معا — وهو الامر الذي صار أصعب وأصعب في العلاقات السياسية في ايامنا . ماذا قالت السيدة مئير عن القصف الاميركي لفيتنام الشمالية — ليس واضحا . واذا كانت فعلا قد رفضت الانضمام الى بقية زعماء الاممية في ادانة ذلك القصف ، تكون قد أغضبت هؤلاء أيضا ...

« اية فائدة عادت علينا (من جراء المشاركة في المؤتمر) على صعيد مستقبل العلاقات مع فرنسا ؟ لقد اعرب بومبيدو ، بشكل قاطع ، عن معارضته للزيارة ، واذا انتصر هذا في الانتخابات القريبة ، فانه بالتأكيد لن ينسى تجاهل رئيسة حكومة اسرائيل لطلبه وتجاهلها لشعوره بالمرارة .

« لكن حتى وان خسر — فاننا لن نبلغ شاطىء الخلاص . ففي ائتلاف أحزاب اليسار، وهو منافس الرئيس الفرنسي في الانتخابات موقع من الدرجة الاولى للشيوعيين ، وعن نظرة هؤلاء (الشيوعيين) الى اسرائيل لا لزوم للاسهاب في الحديث » .

اذن ؟

مع وفرة مبررات قناعة الاسرائيليين ذاتهم ، بأن مشاركة غولدا مئير في مؤتمر « الاممية الاشتراكية » في باريس ، لم تعد بأية فائدة كانت على اسرائيل ، يصبح المجال واسعا أمام سؤالين :

١ — هل يكون « الفشل » هو هدف مئير من زيارتها لباريس ، على ان يكون هذا « الهدف » خطوة أولى لتحقيق الهدف الابعد ، وهو ابقاء وترسيخ ضعف التيار الاوروبي في اسرائيل — ومهندسه ابا ايبان — لمصلحة التيار الاميركي الذي تقف غولدا مئير على رأسه ؟

٢ — هل تكون مشاركة مئير في المؤتمر ، قد تمت بطلب من اميركا ، لمنع اتخاذ المؤتمر — حتى في تركيبته تلك — لقرار يدين السياسة الاميركية في فيتنام ؟

ان جميع صحف ومصادر اسرائيل ، لم تجب على أي من هذين السؤالين ، باستثناء تلميح كتبه الدكتور هرتسل روزنبلوم رئيس تحرير جريدة يديعوت احرونوت ، وكاتب افتتاحيتها في عدد يوم ٧٣/١/١٤ ، وقال فيه :

« ... اذا كانت (غولدا مئير) قد تجاهلت النقد ، والفرنسي بشكل خاص ، فان النتيجة التي يجب علينا استخلاصها هي ان هذا الموقف ، كان هو ردها على تصرف فرنسا تجاهنا ، وهو الذي ظل سيئا كما كان . **وفعلا انه كانت هناك اشاعات حول « تخفيف » في التوتر بين فرنسا واسرائيل ، وهي الاشاعات التي قويت بزيارة السفير الفرنسي لابا ايبان ، لكن سفر غولدا مئير ، وضع نهاية لهذه الاشاعات .**

« ولو شعرت السيدة مئير بأنه حصل تغير في تصرف فرنسا معنا ، فانها ما كانت لتتجاهل بهذه الصورة الواضحة ، نداء بومبيدو المعروف ، (والذي كان موجها لها بشكل خاص) للامتناع من الحضور في هذا الوقت الى باريس ، وذلك لانها كسياسية محنكة كانت ستفضل المصلحة الرسمية على كل مصلحة واعتبار آخرين . ومن هنا فانها ارادت بسفرها ان تقول ان كل كلام عن التغيير هو هبل ...

« ... والمهم انه كان يجب علينا منع حكومة فرنسا من اخذ انطباع خاطىء ، بأنه من الممكن الاعتداء علينا وجعلنا خرقة امام انظار التذانبيين والساداتيين ، وفي الوقت نفسه لجمنا في اللحظة التي تريدها هي . وهذا الدرس الذي تلقساه بومبيدو الان ، قد يؤدي الى فتح عينيه في المستقبل ... » .

على ان خبرة اسرائيل في تحويل كل « اعتداء » وهمي عليها لما فيه مصلحتها بعد ان تصور نفسها ضحية تمييز ، لم تندها في زيارة مئير لباريس ، التي ابرزت بتظاهراتها الصاخبة معاداة الرأي العام الفرنسي ، والفرد الفرنسي العادي ، لدولة الاحتلال ، وساعد على تقوية هذه التظاهرات وتنشيطها استشهاد المناضل الفلسطيني محمود الهمشري في باريس وذلك بعد اكثر من شهر قضاه في المستشفى بعد اصابته بفعل انفجار عبوات في بيته ، وضعها — كما تشير كافة الدلائل — عملاء اسرائيل في فرنسا ، وكان من جراء ذلك ان « تحول مطار أورلي لدى وصول مئير اليه الى معسكر » ، كما « تحول بيت السفير الاسرائيلي ، والسفارة الاسرائيلية الى « حصنين » في اعقاب الحراسة المشددة على الضيوف » (يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٤) .

لقاء مئير بالبابا : لم ينجح ولم يكن سابقة أيضا !

محطة غولدا مئير الثانية في جولتها الاوروبية ، كانت العاصمة الايطالية روما ، وحاضرة الفاتيكان ، حيث قامت قبل ظهر الاثنين ٧٣/١/١٥ بزيارة « لياقة » للرئيس الايطالي جيوباني ليوني في قصره ، والتقت كذلك برئيس حكومة ايطاليا جوليو اندريوتي .

« وبرغم وصف زيارة مئير للرئيس ليوني بأنها « زيارة مجاملة » فان هناك من يعتقدون بأن رئيسة الحكومة ، قد استغلت هذه المناسبة لشرح بعض من مشاكل اسرائيل ، ولاستعراض المحاولات لاحراز حل سلمي للصراع في الشرق الاوسط » (يديعوت

احرونوت ١٦/١/٧٣) ، ولم يصدر اي بيان عن كلا اللقاءين .

نصل بعد ذلك الى مقابلة غولدا مئير للبابا بولس السادس ، التي استمرت ساعة وعشرين دقيقة ، وأثارت جدلا في الصحافة الاسرائيلية ، لم تثره من قبل اية زيارة قام بها رئيس لحكومة اسرائيل لاي مسؤول غير اسرائيلي .

وصدر حول المقابلة بيانان من الفاتيكان ، احدهما « بيان مشترك رسمي » والاخر « بيان شفهي ادلى به البروفيسور فردريكو اليسندريني الناطق الرسمي بلسان الفاتيكان » وتناقض البيانان في اكثر من نقطة ، « واعتبرت اسرائيل ان ما يقرر موقف الفاتيكان هو البيان المشترك عن محادثات البابا مع غولدا مئير ، وليس ذلك البيان الشفهي الذي ادلى به الناطق بلسان الفاتيكان » .(يديعوت احرونوت ١٧/١/٧٣) .

وأكد هذا المعنى ايضا سمحا دينتس — المستشار السياسي لرئيسة حكومة العدو ، ومدير مكتبها ، والذي أقر تعيينه مؤخرا ، سفيرا لاسرائيل لدى الولايات المتحدة بعد عودة رابين من هناك في الشهر الحالي — الذي قال : « ليس هناك اي شك في ان البيان الرسمي الذي نشره الفاتيكان والذي نشر في الجريدة الرسمية الناطقة بلسان الفاتيكان ، هو الذي يعكس صورة اللقاء والاتجاهات فيه ، والمواضيع التي بحثت خلاله . وهنالك اثباتان قاطعان لذلك : الاثبات الاول ، ان هذا البيان اقر مسبقا بيننا وبين الفاتيكان وعندما كنت في روما يومي الجمعة والسبت مع السفير نجار (سفير اسرائيل لدى ايطاليا) توفرت لي فرصة القاء نظرة على البيان حتى اننا اقترحنا بعض التغييرات . وقد وافق عليها الفاتيكان . والاثبات الثاني انه في الجريدة الرسمية ، كما ذكرت ، نشر فقط البيان الرسمي ، ولم تنشر اقوال اليسندريني ، واذاعة الفاتيكان التي تذيع ، على ما اعتقد ، باحدى وثلاثين لغة ، لم تبادر الى اذاعة بيان اليسندريني بأية لغة ، بل انها اذاعت بكل اللغات البيان المكتوب والمتفق عليه » . (رصد اذاعة اسرائيل ٢٢/١/٧٣) .

ماذا — اذن — في بيان اليسندريني ليثير كل هذا العنف الاسرائيلي في الرد عليه ؟

الواقع ان هذا البيان قد نسف جميع الاسس التي أملت اسرائيل ان تستفيد منها ، وتحقق عبرها شيئا من المكاسب علىى صعيد تحسين صورة اسرائيل ، في نظر العالم الكاثوليكي ، والرأي العام العالمي الذي يتأثر بمواقف وسياسة الفاتيكان ، واضطرها الى الاكتفاء بمجرد حدوث المقابلة ، واعتبار « ان موافقة البابا على توزيع صورة ثانية من صور مقابلة مئير له هي « خطوة تسوية » بعد بيان اليسندريني المؤيد للعرب » . (يديعوت احرونوت ١٧/١/٧٣) .

وفي عرض ما حدث ، ومقارنة البيانين ، بعث موفد يديعوت احرونوت الخاص الى روما رسالة الى صحيفته (١٧/١/٧٣) قال فيها « وما ان انتهت المقابلة (بين البابا ومئير) حتى دخل الناطق الرسمي اليسندريني ، الى غرفة الصحافة التابعة للفاتيكان ، وفي يده بيان مكتوب ، وفي فمه « تصريح شفهي » ، وفي حين اكد البيان المكتوب ان البابا قد تحدث عن « مشكلة اللاجئين » ، و« وضع الطوائف الدينية المختلفة » ، و« طبيعة القدس العالمية » فان التصريح الشفهي قد ذهب الى ابعد من ذلك بكثير . وقد فاجأت لهجة التصريح القاسية غالبية المراقبين الذين اعتادوا سماع لغة اكثر ديبلوماسية من قبل الفاتيكان » .

« والبروفسور اليسندريني الذي قرأ من ورقة مكتوبة ، ووزع بعد ذلك ما قاله على الصحافة ، بدأ حديثه بالتأكيد على ان مقابلة البابا لغولدا مئير « لم تكن لاعتبارات تفضيل او تخصيص » ... وكذلك اكد تصريح اليسندريني « الذي نشرته جريدة الفاتيكان الرسمية « اوزرفاتورا رومانو » فيما بعد (على عكس ما قاله سمحا دينتس) ، وبوضوح تام ان البابا لم يوجه دعوة الى السيدة مئير لزيارة الفاتيكان ، وانما استجاب هو فقط لطلب السيدة مئير ، ... وان البابا بولس السادس قد اكد ان من واجبه عدم اضاعة اية فرصة كانت للعمل من اجل السلام ومن اجل اللاجئين الفلسطينيين » . وكذلك « ... يرى مراقبون عديدون في روما ان اقوال الفاتيكان هذه قد الحقت ضررا بآمال حدوث تقارب بين اسرائيل والكرسي المقدس ... ويعتقدون ان هذه التصريحات قد جمدت اكثر ، موقفي الطرفين وهما « الموقفان اللذان يفصل بينهما العالم وما فيه » على حد تعبير مصدر في روما » .

وفي رسالة ثانية في العدد ذاته من جريدة يديعوت احرونوت ، لخص الموفد ذاته (وهو ادوين ايتان) « من خلال اقوال غولدا مئير ، ومن مصادر

اخرى » ، اهم ما جرى في لقاء البابا ومئير على النحو التالي :

« ١ — مشكلة اللاجئين ، وكان البابا هو الذي اثارها ، فردت مئير بأن عدد اليهود الذين جاءوا الى اسرائيل من الدول العربية يفوق عدد العرب الذين تركوها .

٢ — وضع اليهود في الاتحاد السوفياتي وفي الدول العربية ، وقد توجهت رئيسة الحكومة بنداء الى البابا لمساعدة هؤلاء اليهود على العيش كيهود وكبشر .

٣ — مكانة الاماكن المقدسة للمسيحية والاسلام في المدينة القديمة في القدس ، وكذلك مكانة القدس ذاتها .

٤ — الوضع في الشرق الاوسط ، وقد أوضحت مئير بأن كل ما عملته اسرائيل في الماضي هو محاولة الوصول الى حل بطرق سلمية ، حتى ولو بثمن تنازلات اسرائيلية هامة » .

« ... ويبدو انه في غالبية هذه المواضيع ما زالت الهوة بين الطرفين واسعة » .

وكان أكثر ما تضايق منه الاسرائيليون في بيان اليسندريني هو : ان الزيارة لم تتم بدعوة من البابا وانما بطلب من مئير ، وانه لم يحدث اي تغيير في موقف البابا من اسرائيل ، وكذلك تركيزه على الفلسطينيين ، حتى وان اعتبرهم البيان « لاجئين » فقط ، وليس « شعبا » ، وارتاحوا — اي الاسرائيليين — في المقابل لعدم ذكر البابا مسألة « تدويل القدس » كما كان يصر الفاتيكان سابقا ، واكتفاءه بالتركيز على وضع الاماكن المقدسة ، وطبيعة مدينة القدس العالمية .

وكان رد الاسرائيليين الاولي على بيان اليسندريني عنيفا ، حيث قالت غولدا مئير : « انني لم اتسلل الى الفاتيكان » (هآرتس ٧٣/١/١٦) ، واضافت : « انه من الصعب الاجابة على سؤال من هو الذي قال الكلمة الاولى » (يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٦) ، ولكنها عادت — في مقابلة مع جريدة معاريف عدد ٧٣/١/١٩ — وقالت : « ان سفيرنا في ايطاليا عميئيل نجار يجري محادثات مع اشخاص مختلفين في الفاتيكان ، وقد قالوا (وابقت مئير اصحاب الضمير مجهولين) له في مناسبات مختلفة : لماذا لا نجري محادثات مع رجالكم ، ولماذا لا نرتب لقاء بين البابا ورئيسة حكومتكم ؟ ، وعندما علم نجار انني ساكون في باريس في مؤتمر الاممية الاشتراكية ، فكر ان هذه مناسبة ملائمة . وسالني اولا فيما اذا كانت مبادرة كهذه مرغوب فيها ، فقلت : نعم ، وعندها فحص الامر مع شخص ما في الفاتيكان ، وقال له ذلك الشخص انه سيعطيه جوابا . وبعد فترة قصيرة رد ذلك الشخص بقوله : « نعم ، يمكن ترتيب الامر ، توجهوا انتم بهذا الخصوص وسيكون الجواب ايجابيا » وهذا ما حصل : توجهنا وكان الجواب ايجابيا ، وتمت ملاءمة المواعيد .. » .

وفي محاولة لتأكيد هذا الكلام ، نشرت جريدة معاريف الى جانبه صورة زنكوغرافية لرسالة الفاتيكان الرسمية التي وقعها المونسنيور جاك مارتين ، بتاريخ ٧٣/١/١٢ ، وخوطبت فيها مئير بـ « صاحبة السعادة السيدة غولدا مئير رئيسة حكومة دولة اسرائيل » وفيها « لي الشرف باعلامك ان الاب الاقدس سوف يستقبلك في لقاء يوم الاثنين ١٥ يناير في الساعة ١٢،١٥ بعد الظهر » .

وقد لاحظت غالبية الاسرائيليين « ان بيان اليسندريني هو بمثابة صفعة على وجه اسرائيل » (يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٧) ، ونقلت هآرتس (١٧/١/ ٧٣) عن صحف عدد من دول اوروبا اعتقادها بان بيان اليسندريني قد أفشل مقابلة مئير للبابا ، حيث « ان غالبية الصحف الفرنسية اهتمت اكثر ببيان اليسندريني الناطق بلسان الفاتيكان ، .. وهو البيان الذي أكد بأن العلاقات بين الكرسي المقدس والعرب جيدة ، وان السيدة مئير هي التي طلبت اجراء المقابلة ... ورأت الصحف السويسرية ان مقابلة مئير للبابا لم تثمر ، وان الفاتيكان لم يوفر جهدا للاثبات — عن طريق ناطقه الرسمي — ان علاقاته مع العالم العربي مهمة بالنسبة له الى درجة لا تقاس ... وغالبية الصحف الايطالية التي ابرزت اللقاء وصفته بانه سلبي ، بل ان هناك صحفا قد تحدثت عن فشله ، وذلك في الوقت الذي شذت فيه صحيفة « كوريرا ديلا سيرا » المحافظة (تصدر في ميلانو) والتي ابرزت الوجه الايجابي للمقابلة وهو الوجه الكامن في فتح نقاش بين الكرسي المقدس والقدس » .

وعلى صعيد الاحزاب في اسرائيل ، « اعربت كتلة « غاحال » وحزب « المركز الحر » عن عدم رضاهما المطلق عن زيارة رئيسة حكومة اسرائيل للبابا الجالس على الكرسي المقدس في روما » (يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٧) . ووصف النائب شموئيل

تمير (المركز الحر) في الكنيست الزيارة بأنهـا الحاق للضرر بشرف اسرائيل والشعب اليهودي ، وقال أن نظرة البابا بولس السادس العدائية لدولة اسرائيل معروفة ، اذ بعد لقائه مع رئيس الدولة شازار قبل بضع سنين (سنة ١٩٦٤) ارسل برقية بعنوان « شازار ، السلطات اليهودية ، تل ابيب » . (المصدر السابق) .

رغم ذلك فان افتتاحيـات عدد كبير مـن صحف اسرائيل يومي ١٧ و٧٣/١/١٨ (مثل : يديعوت احرونوت ، معاريف ، دافار ، جروزاليم بوست وغيرها) ، ظلت تنظر بارتياح كبـير الى هـذه الزيارة ، معتبرة ان الايجابية تكمن في مجرد حدوثها ومؤكدة على « تاريخية اللقاء » .

وعلى هذا التيار رد الصحافي الاسرائيلي شموئيل شنيتسر (معاريف ٧٣/١/١٩) بمقال ربط فيه بين فشل سياسة اسرائيل (في العلاقات مع افريقيا وفي محاربة « الارهاب ») وبين جولة مئير ومقابلتها للبابا ، وقال : « ما الذي يجب القيام به عندما تكون هناك حاجة لمكاسب سياسية عاجلة ؟ ، ان الجواب على هذا السؤال في اسرائيل بسيط ، وهو : الذهاب لاجراء مقابلة » .

وتابع سنيتسر : « اللقاء — ان لهذا العمل في دولتنا دلالة تختلف عما له في بقية الدول . ففي كل مكان في العالم تعتبر اللقاءات بين السياسيين جزءا من العمل الديبلوماسي : ويقوم بذلك رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية بصورة دائمة ، ولا يعقل ان يرى أحد كسبا في مجرد حقيقة لقائه مع غيره . ان اللقاء ، بالنسبة لهم ، وسيلة وليس هدفا . ومدى الاتفاق او التفهم الذي يتم التوصل اليه هو معيار النجاح .

« اما عندنا ، فانه لا لزوم للاتفاق او التفهم . وحتى اللقاء الذي لا يثمر شيئا يروي . وربما كان سبب ذلك هو اننا مستعدون للقاء الجميع ، ولكن ليس الجميع مستعدين ان يلتقوا بنا . ولذلك فاننا نمتلىء بمشاعر الشكر والامتنـان لكل من لديـه الاستعداد للظهور الى جانبنا ... وبموجب فهمنا هذا ، هناك اهمية عظيمة للصورة ، لانها هي الوثيقة الاساسية التي تثبت اننا التقينا فعلا ، وتأتي الصورة بذلك بديلا عن البيان المشترك ، عن الاتفاق ، عن الهدف النهائي » .

وفي تقييم سريع لمقابلة غولدا مئير الى البابا بولس السادس تبدو هذه انها كانت فاشلة تمامـا ، وعمقت الهوة بين الفاتيكان وسلطات الاحتلال بدل ان تردمها ، ولم تشكل سابقة ايضا ، حيث كان هذا البابا نفسه ، قد استقبل مسؤولا اسرائيليا هو ابا ايبان وزير خارجية العدو سنة ١٩٦٩ في الفاتيكان ، وكان المدير السابق لمكتب رئاسـة الحكومة الاسرائيلية ، وهـو الدكتور يعقـوب هرتسوغ ، الذي توفي مؤخرا ، قد قام بأكثر من زيارة للفاتيكان والتقى اكثر من مرة بالبابا الحالي وسلفه . ولم يبالغ الاسرائيليون الذيـن شبهوا مقابلة مئير للبابا بولس السادس ، بمقابلة هرتسل الفاشلة للبابا بيوس العاشر في الخامس والعشرين من كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ ، وهي المقابلة التي أورد هرتسل وقائعها في مذكراته التي ترجمت الى العربية قبل بضع سنوات .

... « وصعد الى الجبال » !

رحلة مئير الاوروبية ، التي بدأت بفشل واحد في باريس ،و« حصدت » فشلا ثانيا في الفاتيكان ، انتهت بفشل ثالث في جنيف ، التي زارتها للالتقاء برئيس جمهورية ساحل العاج فليكس هوفويه بوانيي الذي كان يقضي اجازتـه في فيللته القريبة مـن العاصمة السويسرية .

اذ بعد ترتيب اللقاء بين مئـير وبوانيي ، الذي تعتبره اسرائيل من « اكبر أصدقائها في افريقيا » (يديعوت احرونوت ٧٣/١/١٧) « اتفق الجانبان — كما علم فيما بعد — على الامتناع عن الاعلان رسميا عن اللقاء ، حتى لا يثير ذلك ردود فعـل سلبية ضد الرئيس بوانيي في الدول العربية ودول افريقية معينة . ولنفس هذه الاسباب ، رؤي ان لا يتم في اعقاب هذا اللقاء اصدار اي بيان رسمي، او تصريح ، ولا يعقد مؤتمر صحفي ، كما لا يعطى تصديق رسمي بأن اللقاء قد تم فعلا » . (المصدر السابق) .

لكن الاسرائيليين لم يلتزموا بهذا الاتفاق وصدر بيان عن القدس حول اللقاء وموعده في ساعات الصباح من يوم ٧٣/١/١٧ . « وما كاد بوانيي يعلم بذلك

حتى ترك جنيف و« صعد الى الجبال » على حد البيان الرسمي الذي أصدره سفير ساحل العاج في سويسرا ، واكد فيه ان لا علم له اطلاقا حول ذلك اللقاء ، وبالفعل لم يعد بوانيي الى فيللته الا بعد مرور ثلاث ساعات على الموعد المحدد للقاء، وبعد ذلك فقط تم لقاء مئير وبوانيي » (هآرتس ٧٣/١/١٨) .

وفي اعقاب اللقاء صدر عن ممثلية اسرائيل في جنيف بيان ذكر « ان الرئيس هوفويه بوانيي اعرب عن رغبته في دعوة رئيسة الحكومة والموظفين المرافقين لها ، لمحادثة ومأدبة في فيللته قرب جنيف حيث يقضي اجازة . وقد تبادل الرئيس ورئيسة الحكومة الاراء حول العلاقات بين الدولتين ، والوضع في الشرق الاوسط ، واعرب الرئيس ورئيسة الحكومة عن رغبتهما الشديدة في السلام في المنطقة » ؛

وتابع البيان : « ان هذا اللقاء الذي أمكن ترتيبه نتيجة لتواجد كلا الزعيمين في اوروبا ، قد عقد في ضوء الصداقة والتقدير المتبادل ، القائم بين رئيس ساحل العاج ورئيسة حكومة اسرائيل منذ سنوات عديدة » .

على أن حرص بوانيي في التكتم على مقابلته لمئير ، وتضايقه بعد اعلان اسرائيل عن المقابلة ، يشيران اكثر من اي أمر آخر الى حقيقة نظرة الدول الافريقية الى اسرائيل ، خاصة وان بوانيي معروف بمجاهرته بآرائه ، وقال عنه المعلق الاسرائيلي الخبير بشؤون افريقيا ايلي كرمل « ... وانه — أي بوانيي — يعترض باصرار على التغلغل السوفياتي في القارة الافريقية ، حتى انه عام ١٩٧١ ، بدأ تلك المفاوضات الشهيرة مع جنوب افريقيا ، التي لم تكن محببة في ارجاء القارة ، ولكن ذلك يعود الى طابع بوانيي ، فهو مستعد لان يدافع عن مواقفه عندما يكون مقتنعا بسلامتها ، حتى ولو كانت غير محببة » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/١٧) .

واذا كان بوانيي قد « صعد الى الجبال » رغم هذه « الشجاعة » في المجاهرة بما هو مقتنع فيه ، فان الامر يشير الى اكثر من حدوث اهتزاز في صورة اسرائيل في القارة الافريقية .

روجرز : مصر اولا ...

قبل اسبوع من توقيع اتفاقية السلام الفيتنامية في باريس ، كانت الادارة الامريكية ، قد طرحت — لاول مرة بعد توقف دام سنة تقريبا ، هي سنة الانتخابات — مبادرة جديدة لتسوية ازمة الشرق الاوسط .

ففي السابع عشر من الشهر الماضي ، القى وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز ، خطابا في حفل أقامته الطائفة اليهودية في واشنطن لسفير اسرائيل في امريكا ، اسحق رابين بمناسبة قرب انتهاء مهمته في واشنطن — وهي المهمة التي سيخلفه فيها سمحا دينتس مدير مكتب غولدا مئير — بعد زيارتها المرتقبة الى امريكا في نهاية هذا الشهر .

« وشكل خطاب روجرز الذي تحدث فيه عن ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، ووصف فيه التسوية الجزئية — وهي الهادفة الى فتح قناة السويس — بأنها خطوة حاسمة أولى على طريق التسوية الشاملة ، علامة على انتهاء عام من توقف الحكومة الامريكية عن الادلاء بتصريحات يمكن تفسيرها على إنها مناقضة للاهداف السياسية الاساسية لاسرائيل » . (هآرتس ٧٣/١/١٩) .

« ولقد قدم روجرز تنازلا ظاهرا — في محاولة لعدم اغضاب جمهور سامعيه — وذلك باغفاله ذلك الجزء من خطابه الذي يتحدث عن الفلسطينيين ، والذي تضمنه نص الخطاب الذي وزع قبل ساعات من القائه على الصحافيين في واشنطن ، .. ولكن حتى في النص المكتوب كان الكلام عن « الفلسطينيين » ، وليس عن « الشعب » الفلسطيني » . (المصدر السابق) .

وقد اعربت بعض الصحف الاسرائيلية عن تخوفها من تركيز روجرز على تنفيذ قرار مجلس الامن « بكامله » ، واعتبار التسوية الجزئية ، ومع مصر بالذات (وقد تحدث عن فتح قناة السويس دون ان يذكر اسم « مصر ») هي الخطوة الحاسمة الاولى على طريق التسوية الشاملة .

وقالت صحيفة هتسوفيه في افتتاحيتها يوم ٧٣/١/١٩ ان هناك فروقات بين مقترحات الولايات المتحدة لايجاد حل سياسي وبين مقترحات اسرائيل ،

فالمخرج يكمن في المفاوضات المباشرة بين الاطراف ، وليس بمحاولة فرض حل » . وقالت افتتاحية جريدة « يسرائيل زكيفار » انه يجب النظر الى اقوال روجرز « بعين الشك والحذر » ، وانه يقوم الان « بطبخ » مشروعه بأسلوب آخر . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/١٩) .

والتسوية الجزئية التي تحدث عنها روجرز تقوم على اربعة مبادىء : « تقوية وقف اطلاق النار ، التفريق بين قوات الجيشين الاسرائيلي والمصري ، انسحاب القوات الاسرائيلية من جزء من شبه جزيرة سيناء ، واعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٨) . وبعد اربعة ايام من القاء روجرز لخطابه ، قال رابين : ان كل القلق بشأن تحول في سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل بعد الانتخابات للرئاسة قد تلاشى . فالاقوال التي اعلنها وزير الخارجية وليم روجرز في الاسبوع الماضي ليست ، الا تذكيرا بأهداف السياسة الاميركية التي نعرفها». (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١/٢٢) .

ووصل التفاهم الاميركي الاسرائيلي الى ابعد من ذلك حيث « استنكر السيد رابين تقدير مراسل « نيويورك تايمز » بأن الولايات المتحدة ستضغط على اسرائيل ، قبيل التوصل الى تسوية في الشرق الاوسط ، ... واذا كان قصد المراسل فرض الضغوط بواسطة حظر الاسلحة عنا ، فاننا قد اجتزنا المرحلة التي كانت فيها مشكلة تزويد اسرائيل بالاسلحة ، المشكلة الاساسية التي تثقل علاقاتنا مع الولايات المتحدة » . (ر أ أ ٧٣/١/٢٦) .

وكان الصحافي الاسرائيلي يسرائيل لاندرس قد كتب في جريدة دافار (٧٣/١/٢٢) انه لا ينبغي ان تستنتج اسرائيل بأن الادارة الاميركية ستوافق الى الابد على الوضع الراهن ، وان البيت الابيض لن يقدم في المستقبل مبادرة جديدة لتسوية النزاع ، وكذلك « ينبغي ألا نستخلص من اقوال نيكسون وروجرز اية استنتاجات مقلقة » .

وبدون مقدمات منطقية معقولة برز اسم الاردن و« رفض » الاسرائيليين لجعل « الاتفاق » مع الاردن هو الخطوة الاولى وأعلن عضو الكنيست رفائيل (من الحزب الوطني المتدين) معارضته « تفضيل السلام مع الاردن على اية اتفاقية كانت مع مصر ، لان من مصلحة اسرائيل ان تعطي الاولوية لمصر . وهذه هي حاليا — على حد علمنا — سياسة الولايات المتحدة ، وهي سياسة عاقلة جدا نابعة من تقدير معين للوضع » . (ر أ أ ٧٣/٢/١) .

ولقد جاء كل هذا « الجدل » الاسرائيلي في جو معبأ بالكلام الذي يؤكد بأن هدف السياسة الاميركية في المرحلة الحالية ، هو تجميد الوضع و«الاستمرار في تجميد مهمة يارنغ دون الاعلان رسميا عن انهائها » (دافار ٧٣/١/٢٦) ، مع المحافظة على ابقاء مجال للامل بامكانية التوصل الى تسوية للازمة ، وليس افضل — لتحقيق ذلك — من استمرار التحدث عن مبادرات جديدة ، اكثر مما تخشاه اسرائيل فيها ، يقل بما لا يقاس عما يمكن ان ترضى به حتى الاطراف العربية الرسمية .

عماد شقور

وثيقتان فلسطينيتان

الوثيقة الاولى*

رسالة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الى الامين العام لمنظمة الامم المتحدة

تناقش الجمعية العامة للامم المتحدة ، بمبادرة شخصية منكم ، وسائل مكافحة « الارهاب الدولي » . ويعتبر الشعب الفلسطيني ، الذي هو ضحية ارهاب مخطط منسق ومتواصل ، أن بحث هذه المسألة قد جاء متأخرا جدا عن وقته .

وتطفح سجلات الامم المتحدة بقرارات الادانة لنشاطات واعمال اسرائيل الارهابية ضد السكان العرب المدنيين ومدنهم وقراهم ، بيد أن هذه القرارات لم تحل دون متابعة السلطات الاسرائيلية العمل لتحقيق أهدافها الاستعمارية الاستيطانية باستخدام الارهاب سياسة رسمية مخططة ومنسقة .

وتعتقد اسرائيل أنه طالما ان الامم المتحدة لم تقرن قرارات الادانة التي تصدرها ضدها بفرض عقوبات محددة عليها فان ذلك هو بمثابة اعطائها رخصة وتصريحا بتحدي سلطة هذه الهيئة الدولية المعنوية ومتابعة تدميم وتثبيت غزوها ومواصلة تطبيق سياساتها العنصرية العدوانية دون معارضة أو احتجاج من أحد .

وقد عمدت اسرائيل ، حسبما جرت عليه عادة جميع الانظمة الاستعمارية والعنصرية الى صرف انظار الراي العام العالمي عن اعمال الارهاب الصهيوني — الاسرائيلي المنظم والمتواصل بتصويرها اعمال المقاومة المشروعة وكانها جزء من مخطط ارهابي عام . بيد أن غالبية المجتمع الدولي الساحقة قد اقرت بأن العنف الثوري الذي تمارسه حركات التحرر الوطني هو ذو طبيعة دفاعية بعكس الارهاب المنظم الذي تمارسه السلطات الاستعمارية .

وقد اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها السادسة والعشرين القرار رقم ٢٧٨٧ في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ الذي يؤكد على هذا الفرق الجوهري والاساسي بينهما .

وليست الغاية من هذه الرسالة التأكيد على اهتمامنا المشترك بدوافع اعمال الارهاب ونتائجها، غير أنه توجد هنالك أنظمة ومفاهيم مبنية على فكرة اغتراب الانسان وانفصامه تنطلق من منطلقات التمييز العنصري والديني ، فيغدو الارهاب ملازما لبنية مؤسسات هذه الانظمة وفي صميم نهجها وسلوكها .

واذا غدا اغتراب الانسان بداعي انتماءاته الدينية أو العرقية هو الغاية النهائية لمفهوم من المفاهيم — كما هو الحال في الصهيونية — أو لنظام من الانظمة — كما هو الحال في اسرائيل — فعندئذ لن تكون هناك اية اعتبارات أو ضوابط اخلاقية او سياسية أو معنوية تقف حائلا دون حدوث استقطاب تام بين اليهودي والانسان . فاسرائيل ، باصرارها على بناء دولة يهودية مغلقة تقتصر على اليهود وحدهم وتنصيب نفسها قيمة على مصير جميع يهود العالم بادعائها المسؤولية السياسية ومن ثم السلطة القانونية عليهم انما تسعى عمدا وبصورة مدبرة الى زعزعة الشعور بالانتماء الذي يشعر به كثير من اليهود تجاه المجتمعات التي يعيشون في كنفها ، فهي بهذا ، في واقع الامر ، تعتق غيمن تدعي تمثيلهم النزعة للقسوة والوحشية . وهي تقوم بذلك لكي يتسنى لها اقتلاعهم من مجتمعاتهم وتهجيرهم الى فلسطين وغيرها من المناطق المحتلة

* وثيقة رقم A/C. 6/L. 876 تاريخ ٢٢/١١/١٩٧٢ ترجمتها شؤون فلسطينية عن الانجليزية .

دون أن يصيبهم وخز من ضمير أو التزام بالقيم والاعراف السائدة في العالم .

وعندما يبلغ مفهوم ما أو نظام من الانظمة هذا المستوى من التركيز الكلي على الذات والانغلاق التام عرقيا أو دينيا يغدو من المحتوم لامبالاته التامة وضربه عرض الحائط بالمعايير الانسانية والاعراف الدولية . وعندئذ ، يغدو الارهاب طبيعيا وضروريا بل ومرغوبا فيه ، كما يشهد بذلك السجل المرفق مع هذا عن الارهاب الصهيوني والاسرائيلي. وكما هو الحال في جميع التجارب والظواهر الاستعمارية والعرقية الاخرى ، يغدو التصدي لمآرب الصهيونيين والاسرائيليين ومراميهم الارهابية « ارهابا » ، كما تنعت معارضة مخططاتهم سواء من جانب المقاومة اليهودية للصهيونية واسرائيل او من جانب المقاومة الفلسطينية والعربية بأنها اما من مظاهر « اللاوطنية » و« كراهية الذات » من جهة او بأنها « تخريب » و« خروج على القانون » من جهة اخرى .

ونحن الشعب الفلسطيني الذي طالما قوبلت حقوقنا بتقرير المصير بالنكران والجحود ، والذين دأبت اسرائيل على تجاهل قرارات الامم المتحدة الخاصة بحقوقنا والضرب بها عرض الحائط ، نتوق لان نرى مداولاتكم ومناقشاتكم تثمر أوضاعا تؤمن اجتثاث الاسباب المولدة للارهاب ودواعيه وأن يتم اتخاذ اجراءات ضد اولئك الذين أوجب سجل سلوكهم في المجتمع الدولي الادانة والشجب بصورة مستمرة .

ان تعنت اسرائيل وتطرفها ، كما يتبدى من نهجها وسلوكها ومن ازدرائها لجميع قرارات الامم المتحدة ، ما هو الا محض تعبير عن العنت الفكري — الايديولوجي الاساسي الذي يعتبر اغتصاب حقوق الفلسطينيين العرب حقا مقدسا من أجل « لم شتات » أناس من معتنقي عقيدة معينة . ان الارهاب يكمن في اخضاع جميع الحقوق التاريخية والسياسية والشرعية المتعارف عليها والمسلم بها بصورة مدبرة ومتعمدة لمقتضيات ومتطلبات الغزو والانغلاق العرقي والديني . فمن هذا الالتزام الاساسي بسياسة الغزو والاستعمار يتولد الارهاب المتعدد الاوجه الذي تمارسه اسرائيل — الارهاب الفكري والسياسي والعسكري والجماعي والفردي. وليس من قبيل الصدفة أن اسرائيل والمنظمات الصهيونية من قبل قد وضعت السوابق لجميع أصناف وألوان النشاطات الارهابية المعاصرة . فهي على سبيل المثال :

— أول من استخدم السيارات الملغومة لتفجيرها في الاسواق العربية (١٩٣٧ — ١٩٣٩) .

— أول من مارس عمليات أخذ الرهائن وقتلهم ولغم جثثهم (رقيبان بريطانيان في عام ١٩٤٧ ، وقبلهما القاضي البريطاني رالف ويندهسام الذي أطلق سراحه فيما بعد) .

— أول من مارس الاغتيال السياسي (داخل صفوفهم) ، ففي عام ١٩٣٣ اغتالوا الدكتور أرلوسوروف الذي كان رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية .

— أول من استخدم الرسائل الملغومة [في الاربعينات ضد الضباط البريطانيين ، وفي عام ١٩٥٥ لقتل الضباط المصريين في قطاع غزة وعمان ، وفي مطلع الستينات ضد العلماء الالمان في مصر] .

— اول من استخدم النابالم في المنطقة [خلال حرب ١٩٦٧ وبعدها] .

— اول من لجأ الى سياسة القاء القنابل على المدنيين [حيفا عام ١٩٤٨] .

— أول من عمد الى نسف الطائرات المدنية بركابها [الطائرة التي كانت تقل العلماء الالمان في عام ١٩٦٢] .

— أول من عمد الى نسف الفنادق والمباني العامة على رؤوس سكانها [١٩٤٦ — ١٩٤٨] .

— أول من عمد الى نسف بواخر الركاب المدنيين وقتلوا بها مئات من بني جلدتهم [الباخرة باتريا في عام ١٩٤٤] .

— أول من عمد الى تدمير قرى بكاملها وابادة سكانها عن بكرة أبيهم بصورة مدبرة [دير ياسين].

هذا، وقد طلبت من ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في نيويورك أن يرفق بهذه المذكرة « ملف الارهاب الصهيوني والاسرائيلي » لانه يشكل احدى الوثائق الاساسية في المداولات حول هذه المسألة الهامة ، اذ يلقي هذا الملف الضوء على نشاطات الارهابيين الصهيونيين والاسرائيليين الذين يودون العبث والتلاعب ليس بحقوقنا وأمانينا المشروعة فحسب

بل وفي اعراف الانسان المتمدن ومعايير السلوك الدولي .

واننا على يقين أنه اذا عمدت الامم المتحدة ، حتى بعد مضي هذا الوقت الطويل ، الى تمحيص الأسباب والدواعي الاساسية للارهاب فستجد ان اسرائيل ، منذ وجودها ، استخدمت الارهاب لتضع العالم أمام نسق جديد من الوقائع وأمر واقع جديد كما تفعل حاليا في القدس وغزة والضفة الغربية وبقصفها اليومي للاهداف المدنية في البلدان العربية .

التوقيع
ياسر عرفات
رئيس اللجنة التنفيذية
منظمة التحرير الفلسطينية

الوثيقة الثانية
البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية*

مقدمة :

طوال نضاله المجيد من أجل التحرر والديمقراطية والوحدة ، كان شعبنا العربي يواجه على الدوام بالمخططات والمؤامرات من جانب القوى الاستعمارية والامبريالية وعملائها من رجعيين محليين . لقد كانت هذه القوى الاستعمارية والامبريالية . ولا تزال تنظر الى وطننا العربي كمجال خصب لممارسة النهب الاستعماري لما يملكه من ثروات طبيعية بغير حدود ، كما كانت ولا تزال تنظر اليه كمنطلق استراتيجي هام لما له من موقع فريد يتوسط القارات الثلاث آسيا وافريقيا واوروبا ولما له من سيطرة على طرق مواصلات بحرية وجوية حيوية ، وعلى الاخص البحر الابيض وقناة السويس والبحر الاحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، كذلك كانت ولا تزال تنظر اليه كمركز ثقل لمن يسيطر عليه في السياسات الدولية .

ولان القوى الاستعمارية والامبريالية في هجمتها على وطننا العربي كانت تخشى على مخططاتها من النضال الوطني والقومي المتعاظم ، ولانها لم تكن واثقة من قدرة ركائزها من الرجعية المحلية على الصمود في وجه المد القومي الصاعد فانها ، مستخدمة الحركة الصهيونية العالمية ، خططت لاغتصاب فلسطين لتقيم فيها كيانا عنصريا استعماريا يكون مخفرا أماميا لحماية السيطرة الاستعمارية والصهيونية في وطننا العربي ، ويكون عصا غليظة تشهرها الامبريالية العالمية في وجه النضال العربي التحرري المتنامي .

ولقد نجحت القوى الاستعمارية والامبريالية وبالتواطؤ مع القوى الرجعية التي تحكم المنطقة بكاملها باستثناء سوريا حيث كان الحكم فيها وطنيا في ان تزرع الكيان الصهيوني الاستعماري اغتصابا وقسرا على ارض فلسطين وان تقتلع الفلسطينيين من أرضهم ، غير أن الشعب العربي الفلسطيني

* أقر هذا البرنامج في الدورة الحادية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في القاهرة في الفترة ما بين ٦ — ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ . وتنشره شؤون فلسطينية باعتباره وثيقة سياسية هامة مقرة من قبل جميع فصائل حركة المقاومة الفلسطينية التي اشتركت في اجتماعات المجلس .

لم يستسلم. وانطلاقا من حقه في الدفاع عن ارضه ووجوده ومن مسؤوليته كخط دفاعي امامي ضد الهجمة الامبريالية — الصهيونية على وطننا العربي ، ناضل نضالا بطوليا ومستميتا طوال ثلاثين عاما ، وفي كل هبة من هباته الثورية ، التي بلغت ذروتها في ثورتي ١٩٣٦ و ١٩٤٧ ، كان للقوى الرجعية والعميلة دورها في ضرب نضاله والتمكين لاعدائه واعداء الامة العربية .

حتى كان الفاتح من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥، حيث انطلقت طلائع شعبنا الفلسطيني لتفجير الثورة الوطنية المسلحة المعاصرة ضد الكيان الصهيوني القائم بقوة العدوان والسلاح فوق ارض فلسطين، والذي لم يتوقف أبدا عن استخدام القوة لتشريد شعبنا ولاستكمال مخططاته لاغتصاب كل ارضنا. وكانت طلائع شعبنا بثورتها التي فجرتها في ذلك اليوم المجيد في مستهل عام ١٩٦٥ ، تجسد التقاليد النضالية العريقة لشعبنا ولامتنا العربية وترتفع من جديد راية النضال التحرري ضد الامبريالية والصهيونية ، هذه الراية التي سقط دفاعا عنها عشرات الالاف من الشهداء في كافة انحاء الوطن العربي .

لقد آمنت تلك الطلائع ، ومعها ومن خلفها شعبنا الفلسطيني وسائر الجماهير العربية ، وجميع احرار العالم ، بأن الكفاح المسلح هو الطريق الصحيح والحتمي ، والرئيسي والاساسي ، لتحرير فلسطين ، لان تناقضنا مع العدو الصهيوني ذا طبيعة عدائية لا يمكن ان يعالج الا بالعنف الثوري المسلح .

أدى انتهاج الكفاح المسلح من قبل طلائع الثورة الفلسطينية الى استنهاض الجماهير الفلسطينية والعربية وشحنها بارادة القتال مما احدث في الواقع العربي تغييرا عنيفا امتاز بالاصرار على رفض الهزيمة وبالتصميم على الانتقال الى مواقع الهجوم في قتال العدو الصهيوني ودحر مؤامرات الامبريالية الامريكية .. فقد أصبح الاردن قاعدة للثورة المسلحة ومنطلقا لتصعيد الكفاح المسلح وحمايته على أرض فلسطين وفتحت جبهات قتال طويلة ضد العدو فشملت قناة السويس وكل حدود فلسطين مع شرقي الاردن ولبنان وسوريا . وتصاعدت المقاومة الشعبية المسلحة في الضفة الغربية وفي الارض الفلسطينية التي احتلت قبل حزيران ١٩٦٧ . وسجل قطاع غزة مآثر بطولية في المقاومة المسلحة وصلت الى حد ايجاد احياء شبه محررة من مدينة غزة بالذات .

لقد راحت الثورة الفلسطينية تنتقل من نصر الى نصر وتتطور بسرعة رغم كل المؤامرات الامبريالية والصهيونية ورغم كل الصعوبات ، وقد استطاعت ان تخرج ظافرة من كل معارك الصدام التي واجهت بها المؤامرات الامبريالية والقوى المضادة للثورة في الاردن ولبنان منذ تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٦٨ حتى حزيران يونيو ١٩٧٠ كما فشل العدو الصهيوني في حملات الابادة التي وجهها ضد قواعد الثورة وتمكنت الثورة ان تحولها الى انتصارات كما حدث في الكرامة والعرقوب .

على ان الثورة بدأت تواجه وضعا خطرا للغاية بفعل المبادرات الامريكية وما افرزته من مشاريع كمشروع روجرز وما صحبها من محاصرة للثورة على نطاق واسع واشاعة لروح الاستسلام مما اتاح للقوى المضادة للثورة في الاردن ، مستغلة بعض السلبيات التي رافقت مسيرة الثورة ، فرصة ثمينة لتنفيذ المخططات الامريكية الصهيونية — الهاشمية التي استهدفت انزال ضربة قاسية بالثورة الفلسطينية تمهيدا لتصفيتها وتصفية القضية الفلسطينية . لقد قاتلت الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية الاردنية قتالا مجيدا في الاردن في ايلول /١٩٧٠/ دفاعا عن الكفاح المسلح والقضية الفلسطينية والعربية ، سيبقى ابد الدهر ملحمة خالدة من البطولة الاسطورية ، والصمود تحت أقسى الظروف ولكن الحكم العميل في الاردن استطاع في تموز (يوليو) ١٩٧١ ضرب التواجد العلني للثورة الفلسطينية في الاردن وراح ينهج سياسات تهدد بالتنازل عن الضفة الغربية والقدس رسميا للعدو وتحمل المخاطر لتصفية الوجود الفلسطيني الموحد،وتشجع على الانقسامية داخل صفوف الشعب الفلسطيني وبين الفلسطينيين والشرق اردنيين وبين الجيش والفدائيين وتجعل من الضفة الشرقية عمليا ، عازلا لمصلحة الكيان الصهيوني ومنطقة نفوذ عسكري واقتصادي وسياسي له وتحوله الى مزرعة للنفوذ الامبريالي الامريكي والالماني الغربي والبريطاني فضلا عن قمع الجماهير الفلسطينية الاردنية ونهبها وافقارها ومصادرة حرياتها الديمقراطية وتعطيل الاقتصاد الوطني . ولم يعد خافيا ان المخططات الامريكية الان تستهدف اعادة بناء الجيش الاردني لكي يوجه

ضد سوريا والعراق ايضا .. ان هذه الظروف اتاحت للعدو الصهيوني فرصة ذهبية لمواصلة مخططاته في تكريس احتلاله وتشديد محاولة تصفية المقاومة المسلحة في قطاع غزة وتدجين الوضع في المناطق العربية المحتلة ، فقد تعرض قطاع غزة الى أقسى عمليات القمع والتهجير كما فرضت على الضفة الغربية انتخابات البلدية المحلية التي تهدف الى خلق أوضاع مواتية للاحتلال وشق وحدة الشعب الفلسطيني ومحاولة ابراز زعامات مزيفة بديلة لقيادات الثورة الفلسطينية ، وقد سار هذا جنبا الى جنب مع مشروع الملك حسين لانشاء ما يسمى بالمملكة العربية المتحدة الذي استهدف ايضا ما استهدفته المؤامرة الصهيونية .

ومن جهة اخرى صعدت الامبريالية الامريكية هجمتها تحت مخطط واسع يستهدف احكام الطوق على الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي والاجهاز عليها وهي تستخدم لهذا الغرض العديد من المناورات والمؤامرات تحت لافتات ما يسمى بالمبادرات الامريكية والحلول الاستسلامية والتسويات الجزئية وقرارات مجلس الامن بمساعدة نشطة من قوى انهزامية لها علاقاتها القوية اقتصاديا وسياسيا بالامبرياليين .

ان الضربة التي وجهت للثورة الفلسطينية في الاردن في اواسط عام ١٩٧١ واشتداد الهجمة الامبريالية الامريكية والصهيونية على الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية داخل المناطق المحتلة وخارجها وزيادة تدهور الوضع العربي الرسمي باتجاه الاستسلام تجعل الثورة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية والعربية تواجه ازمة عامة تأخذ بخناق الامة العربية كلها في الوطن العربي الكبير من جهة وتأخذ من جهة ثانية ، بدفع المؤامرات تلو المؤامرات من اجل تصفية الثورة الفلسطينية وتصفية الوجود الوطني الموحد للشعب الفلسطيني ولقضيته الوطنية عبر مشروعات تآمرية مثل مشروع آلون ومشروع الدويلة الفلسطينية في الضفة الغربية والقطاع والضم والتهويد ومحاولات الاستيعاب والتذويب للشعب الفلسطيني في المجتمعات التي يعيش فيها في الشتات .

ولكن في جو الازمة تجد شعبنا العربي الفلسطيني يتحرك بتصميم وثبات دفاعا عن ثورته المسلحة ووجوده الوطني الموحد وعن حقه في تحرير وطنه كاملا ، ولن يسمح بتصفية قضيته العادلة وثورته اللتين تشكلان مركزا للاشعاع النضالي والثوري في منطقة يريد الامبرياليون والصهاينة ان يفرضوا عليها سيطرتهم الكاملة .

ونجد قواعد الثورة ومقاتليها ومنظماتها الجماهيرية تدفع بقوة وبحسم تجاه الوحدة الوطنية وتصعيد الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني وتحرير الاردن وبناء الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية والالتحام بحركة التحرر العالمي وبالقوى التقدمية والمعادية للامبريالية في العالم .

ان التوجه القوي نحو الوحدة الوطنية في صفوف الثورة الفلسطينية لا يشكل بحد ذاته كسرا لطوق الأزمة ولكنه يوفر شرطا ضروريا على طريق كسر ذلك الطوق .

وأن تصعيد الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني وتعبئة الجماهير وتنظيمها ، وتنشيط مختلف أشكال النضالات الجماهيرية المسلحة وغير المسلحة ، والعسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية يؤديان الى استعادة زمام المبادرة والانتقال الى مواقع الهجوم في كسر طوق الازمة .

ان الساحة الاردنية تتميز عن اية ساحة عربية اخرى بالنسبة للثورة الفلسطينية ، وقضية تحرير فلسطين، فهي تتشكل من اغلبية فلسطينية لها حقوق وطنية فيه بالاضافة الى حقوقها العامة وتشكل هذه الاغلبية جزءا رئيسيا من الشعب الفلسطيني لا مجال للحديث عن كفاح مسلح ضد العدو الصهيوني بدونها ، فضلا عن ارتباط نضالها بنضال شعب شرقي الاردن وارتباطه عضويا في التاريخ المعاصر وخصوصا في الخمس والعشرين سنة الماضية . كما أن شرقي الاردن يشكل أطول حدود مع العدو الصهيوني واقرب حدود الى طرق مواصلاته ومواقعه الاستراتيجية عسكريا واقتصاديا وسكانيا . ومن هنا تنبع الخطورة البالغة لتآمر حكم الملك حسين في الاردن مع الامبريالية والصهيونية وما ترتب عن ذلك من مجازر ضد الثورة الفلسطينية وتحريم تواجدها في الاردن ومقاومة أي نشاط موجه ضد العدو الصهيوني والامبريالية وتحويل الاردن الى عازل عسكري لصلحة الكيان الصهيوني وممر لسياساته ونفوذه في كل المجالات . الامر الذي يجعل مسألة تحرير الاردن (اسقاط الحكم العميل) يلعب دورا حاسما في كسر طوق الازمة ويشكل ضرورة استراتيجية في تحرير فلسطين .

ان بناء جبهة عربية مشاركة للثورة الفلسطينية يرتكز أساسا على الايمان بأن لا نجاح لقضيتنا الا في اطار الانتصار العام لنضال امتنا العربية الوطني والقومي التحرري ، سوف يسهم في حماية الثورة الفلسطينية وفي ضمان استمرارية الكفاح المسلح وتصعيده ويساعد في الكفاح لاسقاط الحكم العميل في الاردن فضلا عن اسهامه العام في كسر طوق الازمة .

ان توثيق علاقات التضامن والنضال المشترك بين الثورة الفلسطينية والنضال العربي وبين حركة التحرر العالمية والقوى التقدمية والمعادية للامبريالية في العالم والذي يرتكز أساسا على الايمان بأن الثورة الفلسطينية والنضال العربي جزء من النضال التحرري العالمي وسوف يسهم في دعم نضالنا الثوري وتصعيده ، كما سوف يسهم ايجابيا في نضال الشعوب المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والعنصرية والرجعية .

وامام هذه الاوضاع الجديدة والخطرة وأمام المسؤوليات الملقاة على عاتق الثورة الفلسطينية فان منظمة التحرير قد التقت بجميع فصائلها وقواها على اعلان برنامجها السياسي المرحلي الذي يرتكز على أربعة محاور استراتيجية رئيسية :

١ — مواصلة تعبئة وتنظيم كل طاقات شعبنا داخل الوطن وخارجه في حرب شعبية طويلة المدى من أجل التحرير الشامل واقامة المجتمع والدولة الديمقراطيين ضمن اطار مطامح الامة العربية في التحرر القومي والوحدة الشاملة .

٢ — لحم نضال شعبنا بنضال الشعب الاردني الشقيق في جبهة تحرير اردنية فلسطينية تقوم الى جانب مهامها على الساحة الفلسطينية بالنضال لتحرير الاردن من النظام الملكي العميل ، الذي يشكل قناعا رجعيا للسيطرة الصهيونية الفعلية على الضفة الشرقية وحارسا مأجورا شرسا لنفس الاحتلال الصهيوني على فلسطين .

٣ — ربط النضال الفلسطيني — بالنضال العربي العام من خلال جبهة لكل القوى الوطنية والتقدمية المعادية للامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد .

٤ — التلاحم مع حركة النضال العالمية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ومن اجل التحرر الوطني .

ان منظمة التحرير الفلسطينية تحدد مهامها فيما يلي :

اولا : في الساحة الفلسطينية :

١ — مواصلة النضال والكفاح المسلح لتحرير كامل تراب الوطن الفلسطيني ولاقامة المجتمع الديمقراطي الفلسطيني الذي يتوفر فيه حق العمل والحياة الكريمة لكل المواطنين ليعيشوا بمساواة وعدل واخاء وضد كافة اشكال التعصب العنصري او العرقي او الديني .

كما تتوفر في هذا المجتمع حرية الرأي والتعبير والاجتماع والتظاهر والاضراب وتشكيل المؤسسات السياسية والنقابية الوطنية وحرية ممارسة العقيدة لكل الاديان وبحيث يكون هذا المجتمع الفلسطيني الديمقراطي جزء من المجتمع الديمقراطي العربي الشامل الموحد .

٢ — النضال ضد عقلية التسوية وما تفرزه من مشروعات تستهدف تضية شعبنا في تحرير وطنه او مسح هذه القضية بمشروعات الكيانات **او الدولة الفلسطينية على جزء من أرض فلسطين والتصدي لهذه المشروعات** بالكفاح المسلح وبالنضال السياسي الجماهيري المرتبط به .

٣ — تعزيز روابط الوحدة الوطنية والنضالية بين جماهير مواطنينا في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ وفي الضفة الغربية وقطاع غزة وفي خارج الوطن المحتل .

٤ — مقاومة سياسة تفريغ الارض المحتلة من سكانها العرب والتصدي بعنف لبناء المستوطنات وتهويد اجزاء من الوطن المحتل .

٥ — تعبئة الجماهير في الضفة وفي القطاع وكافة الارض الفلسطينية المحتلة وتسليحها لمواصلة النضال وتنمية قدراتها الكفاحية في وجه الاستعمار الاستيطاني الصهيوني .

٦ — العناية بتنظيم جماهيرنا في الارض المحتلة ومساعدة المؤسسات الجماهيرية على مقاومة محاولات الهستدروت لاجتذاب العمال العرب لعضويته وتعزيز ودعم اتحادات عمال فلسطين والاردن لتحقيق هذا الهدف ومقاومة محاولات الاحزاب الصهيونية لاقامة فروع عربية لها في الارض المحتلة .

٧ — دعم جماهير الفلاحين وتنمية المؤسسات

الاقتصادية والثقافية الوطنية في الوطن المحتل لتثبيت المواطنين في الارض ووقف تيار النزوح منها ومقاومة الغزو الاقتصادي والثقافي الصهيوني .

٨ - العناية بأوضاع مواطنينا في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ودعم نضالهم من أجل الحفاظ على هويتهم الوطنية والعربية وتبني قضاياهم ومساعدتهم على الالتحام بالنضال التحرري .

٩ - العناية بمصالح جماهير شعبنا العاملة في مختلف انحاء الوطن العربي والعمل على الحصول لها على حقوق اقتصادية وقانونية متكافئة مع مواطني المجتمعات العربية طالما انها توظف طاقاتهم الانتاجية في خدمة تلك المجتمعات وخاصة فيما يتعلق بحق العمل والمكافآت والتعويضات وحرية العمل الفلسطيني سياسيا وثقافيا ، وحرية السفر والتنقل ضمن المحافظة على شخصيتها الفلسطينية .

١٠ - ترقية وتطوير دور المرأة الفلسطينية في النضال الوطني اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا واشراكها في كل مجال نضالي .

١١ - العناية بأوضاع مواطنينا في المخيمات والعمل على ترقيتها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا وتدريبهم على الادارة الذاتية لشؤونهم .

١٢ - دعم صمود العمال الذين يعملون في اراض ومؤسسات عربية وتوفير الضمانات لحمايتهم من اغراءات العمل في مشاريع العدو وتشجيع وتنمية انتاجية وطنية لاستيعاب العمال الذين يستخدمهم العدو ومقاومة محاولات العدو للاستيلاء على المشاريع الانتاجية الوطنية وتحطيمها .

١٣ - اعتبار كل متعاون مع العدو او متهاون في حقوق الشعب الفلسطيني الطبيعية التاريخية في ترابه الوطني ، هدفا بشخصه وممتلكاته من اهداف الثورة وكذلك كل متآمر على اي حق من الحقوق الراهنة لشعبنا ، وفي مقدمتها حقه في مقاومة الاحتلال وحقه في الاستقلال الوطني .

١٤ - العناية بأوضاع جماهيرنا في المهاجر الاجنبية والعمل على ربط هذه الجماهير بقضيتها وبثورتها الفلسطينية .

١٥ - تمارس منظمة التحرير علاقاتها الرسمية العربية في اتجاه رعاية مصالح المواطنين الفلسطينيين في الوطن العربي ، والتعبير عن الارادة السياسية للشعب الفلسطيني (وتظل الثورة الفلسطينية هي القيادة السياسية الشرعية للشعب الفلسطيني وهي وحدها الناطقة باسمه في كل القضايا المصيرية) .

ولذلك فان المؤسسات القيادية لمنظمة التحرير الفلسطينية ينبغي ان تشكل من كل فصائل الثورة الفلسطينية المسلحة ومن المنظمات الفلسطينية الجماهيرية ، نقابية او ثقافية ومن الفئات والشخصيات الوطنية ، التي تؤمن بالكفاح المسلح طريقا رئيسيا وأساسيا لتحرير فلسطين والتي تلتزم بالميثاق الوطني الفلسطيني .

ثانيا : **في الساحة الاردنية الفلسطينية :**

ان الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية مطالبة بتوجيه نضال الشعبين نحو الاهداف الاستراتيجية التالية :

أ - اقامة نظام حكم وطني ديمقراطي في الاردن يخلق المناخ الملائم لمواصلة النضال من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني ويؤمن صون السيادة الوطنية للشعبين الاردني والفلسطيني ويضمن تجديد وتصحيح وحدة الضفتين على اساس المساواة الوطنية الكاملة بين الشعبين بما يؤمن كامل الحقوق الوطنية التاريخية للشعب الفلسطيني والحقوق الوطنية الراهنة للشعبين ويؤمن التطور الوطني المشترك لها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا، ويعزز علاقات الاخوة والمساواة بين الشعبين عن طريق الحقوق المتساوية دستوريا وقانونيا ، وثقافيا واقتصاديا ، وعن طريق وضع موارد اي من الشعبين بشريا واقتصاديا في خدمة نموهما المشترك .

ب - لحم نضال الشعبين الفلسطيني والاردني بنضال الامة العربية من اجل انجاز التحرر الوطني وضد المشاريع الامبريالية الهادفة الى فرض حلول واوضاع استسلامية على الوطن العربي، ولتصفية كل أشكال الوجود الصهيوني والامبريالي الاقتصادية والعسكرية ، والثقافية ، وكل القوى المرتبطة بها والتي تقوم بدور الوسيط الاستعماري الجديد ولسياساته .

ولكي يتحقق الوجود الفعلي للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية ويتدعم وينمو فوق الساحة الاردنية ، فان من الواجب البدء فورا بتنشيط كافة أشكال النضال الجماهيري اليومية ، بحيث يؤدي تحرك الجماهير من اجل مطالبها اليومية والعامة الى بروز قياداتها المنظمة وتنظيماتها المعبرة عن مصالح

فئاتها المختلفة هذه القيادات والتنظيمات التي غابت عن معارك الجماهير اليومية طوال السنوات الاخيرة .

كما أن تحقيق الاهداف العامة للجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية يتطلب نضالا طويلا وشاقا بحيث تتخطى الجماهير من خلال النضال اليومي والمعارك الجزئية كل العقبات الاقليمية الاجتماعية، تنصهر في نضال مشترك يبرز وجهها القومي المناضل وينفضح النظام الملكي العميل الذي يعتمد أساسا على استغلال العلاقات العشائرية واستثارة التعصب الاقليمي كقناع خادع لعمالته للصهيونية والاستعمار (ولتلهية الجماهير عن تناقضها معه). وتتقدم منظمة التحرير الفلسطينية برنامج العمل على الساحة الاردنية وتطرحه لخلق الحوار الرفاقي الجاد مع التنظيمات النضالية في الاردن من أجل بناء الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية والتي يجب ان تتوجه بالنضال من اجل :

١ ــ تعبئة وتنظيم الجماهير من اجل اقامة حكم وطني ديمقراطي في الاردن يؤمن بالثورة الفلسطينية ويساندها ويوفر لها مناخات العمل اللازمة لكل وسائل النضال الجماهيري .

٢ ــ اشراك أبناء الشعب الاردني في الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني باعتبار ذلك هدفا وطنيا وقوميا وباعتبار ذلك ضرورة لحماية الضفة الشرقية للاردن أيضا .

٣ ــ النضال من أجل تحقيق حرية الثورة الفلسطينية في العمل في الاردن ومن الاردن واقامة قواعدها على ارضه وفضح مؤامرات النظام العميل واضاليله في هذا الشأن وتوفير الحماية الجماهيرية للمقاتلين المنطلقين من والى غرب النهر .

٤ ــ العمل على تجميع القوى الوطنية والمعادية للامبريالية في الوطن العربي كله في جبهة نضالية واحدة وعلى تعميق العلاقات الكفاحية بين النضال الوطني الفلسطيني الاردني والقوى الثورية العالمية .

ثالثا : **العلاقة مع الجماهير والقوى الثورية العربية :**

ان المرحلة التى تمر بها الثورة العربية الان هي مرحلة انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية التي تناضل من اجل :

أ ــ تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي الكامل والقضاء على كل شكل من اشكال التجزئة والتبعية للاستعمار والامبريالية .

ب ــ تصفية كل اشكال الوجود الامبريالي من نفوذ سياسي وقواعد عسكرية ، واستثمارات اقتصادية، ومؤسسات ثقافية ، ودحر كل القوى المحلية المرتبطة بها .

جـ ــ تحرير فلسطين من الكيان الصهيوني ــ الامبريالي والذي لم يغتصب ارض فلسطين ويشرد شعبها الاصلي منها وحسب وانما اثبت طوال وجوده انه أداة رئيسية للامبريالية لضرب الثورة العربية وحماية الوجود الامبريالي في المنطقة . ان تحرير فلسطين ليس واجبا وطنيا فلسطينيا وحسب وانما هو أيضا ضرورة قومية ، حيث لن يستطيع النضال لانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ان يتحد ويتعمق ويتسع وينجز مهامه الا لتصفية القاعدة الصهيونية الامبريالية التي تستهدفه من اساسه .

د ــ توطيد حرية الجماهير العربية لتمارس دورها في الحياة السياسية ولتكون قاعدة صلبة لوحدة عربية ديمقراطية راسخة .

هـ ــ وضع موارد الامة العربية المادية والبشرية في خدمة تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية تستهدف تعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي ، وتحقيق التكامل الاقتصادي والحضاري العربي ، والقضاء على كل أشكال التخلف والتجزئة .

ان الثورة الفلسطينية والنضال الوطني الفلسطيني الاردني يشكلان بتلاحمهما جزءا لا يتجزأ من الثورة الوطنية الديمقراطية العربية ، ومحورا من محاورها الرئيسية .

لذلك فان مهمة الثورة الفلسطينية وقيادتها والجبهة الوطنية الاردنية ــ الفلسطينية ان تسعى للالتحام بكافة فصائل النضال الوطني الديمقراطي العربي أينما كانت ، وان تهيىء ، بنضالها المناخ القتالي المساعد على بروز هذه القوى ، وان تفتح صفوفها للمناضلين العرب لان النضال على الساحة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني الامبريالي هو نضال استراتيجي رئيسي للثورة العربية في مجموعها .

ان القوى الوطنية التقدمية العربية التي ينبغي ان تتجمع في جبهة وطنية عربية مطالبة :

١ ــ بتعزيز الدعم الايجابي للثورة الوطنية الفلسطينية وللنضال الوطني الديمقراطي الاردني ــ الفلسطيني .

٢ ــ بالنضال ضد كل مشاريع التصفية او التسويات الجزئية ، ليس فقط لما تنطوي عليه من تكريس للاغتصاب الصهيوني وتصفية للقضية الوطنية الفلسطينية ولكن ايضا لما تأكد من انها مدخل لمناورات ومؤامرات الامبريالية والقوى الرجعية الموالية لها لتمزيق وحدة القوى الوطنية العربية ، ولتصفية الثورة الوطنية العربية ومحاولة فرض السيطرة الامبريالية الكاملة على المنطقة .

٣ ــ بالنضال لتصفية اشكال الوجود الامبريالي الراهنة في الوطن العربي من نفوذ سياسي ، وقواعد عسكرية ، واستثمارات ومؤسسات ونشاطات ثقافية والنضال ضد سيطرة الاقتصاد الامبريالي على الاقتصاد الوطني العربي وبالنضال ضد القوى الرجعية التي تروج لذلك وتنشطه . ان استمرار المصالح الامريكية على الارض العربية والعلاقة العضوية لهذه المصالح يقتضيان التصدي لضربها وتصفية هذه المصالح الامريكية ــ الامبريالية .

٤ ــ تشجيع ودعم كل المؤسسات والنشاطات التي تعمل على بعث وحماية التراث القومي العربي ، وعلى دعم نشر القيم والفضائل القومية والثورية والتي تتولى مهمة التصدي للغزو الثقافي الصهيوني والامبريالي وللقيم المتحللة والمتدهورة التي يروج لها .

٥ ــ التضامن مع المناضلين الوطنيين والتقدميين العرب ضد اي اضطهاد بدني او معيشي او فكري او سياسي يتعرضون له .

رابعا : ــ العلاقة مع قوى التحرر في العالم :

ان النضال الوطني الفلسطيني والنضال الوطني الديمقراطي العربي هما جزء لا يتجزأ من حركة النضال العالمية ضد الامبريالية والعنصرية ومن اجل التحرر الوطني . ان التضامن والدعم المتبادلين بين النضال الوطني العربي والنضال الثوري على النطاق العالمي هما ضرورة وشروط موضوعية لنجاح نضالنا العربي .

والقوى الوطنية والتقدمية العربية تنطلق في علاقاتها التضامنية العالمية من المبادىء التالية :

١ ــ ان النضال الوطني الفلسطيني العربي هو بشكل حاسم وثابت الى جانب وحدة كل قوى الثورة العالمية .

٢ ــ ان اسهام النضال الوطني العربي في حسم اية خلافات في الحركة الثورية العالمية هو في المحل الاول بمعالجته لقضاياه وللتحديات التي تواجهه بشكل فعال وبنجاح .

٣ ــ ان اهداف النضال العربي وأساليبه الاخذة بالقوانين العامة للثورة التي هي خلاصة تجارب حركات التحرر الوطني العالمية هي من شأن القوى الوطنية والتقدمية العربية على ان لا يعني ذلك اهمال وتجاهل ملاحظات ونصائح الاصدقاء .

قبل صدور العدد بايام قليلة وردنا نبأ اعتقال الأخ المناضل ابو داود عضو المجلس الثوري لحركة فتح والقائد العام لقوات الميليشيا في الاردن . وقد اعتقل ابو داود وعدد من رفاقه في عمان اثناء توجههم للقيام بواجبهم في محاربة العدو ، وهم الآن في سجون الاردن يتعرضون للتعذيب وحياتهم في خطر. واسرة شؤون فلسطينية تتوجه بالنداء لكافة قرائها وانصار الشعب الفلسطيني في العالم للعمل بكافة السبل لانقاذ حياة الاخوة المعتقلين .

فهارس

شؤون فلسطينية

السنتان الأوليان

١٩٧١/٣/١ - ١٩٧٣/٣/١

(الأعداد الثمانية عشر الأولى)

الفهرس الاول

الكتّاب

الرقمان المشار اليهما الى جانب كل مادة من الفهرس يعنيان على التوالي رقم العدد من « شؤون فلسطينية » ثم رقم الصفحة . وفي الفهرس الثالث الخاص بمراجعات الكتب أضفنا اختصارا للغة الكتاب المراجع ، والاختصارات تعني اللغات التالية : أل = ألماني . س = سويدي . ع = عربي . عب = عبراني . ف = فرنسي . ن = أنكليزي . نر = نرويجي . هـ = هولندي .

الفهرس الثاني

المواضيع

الفهرس الثالث

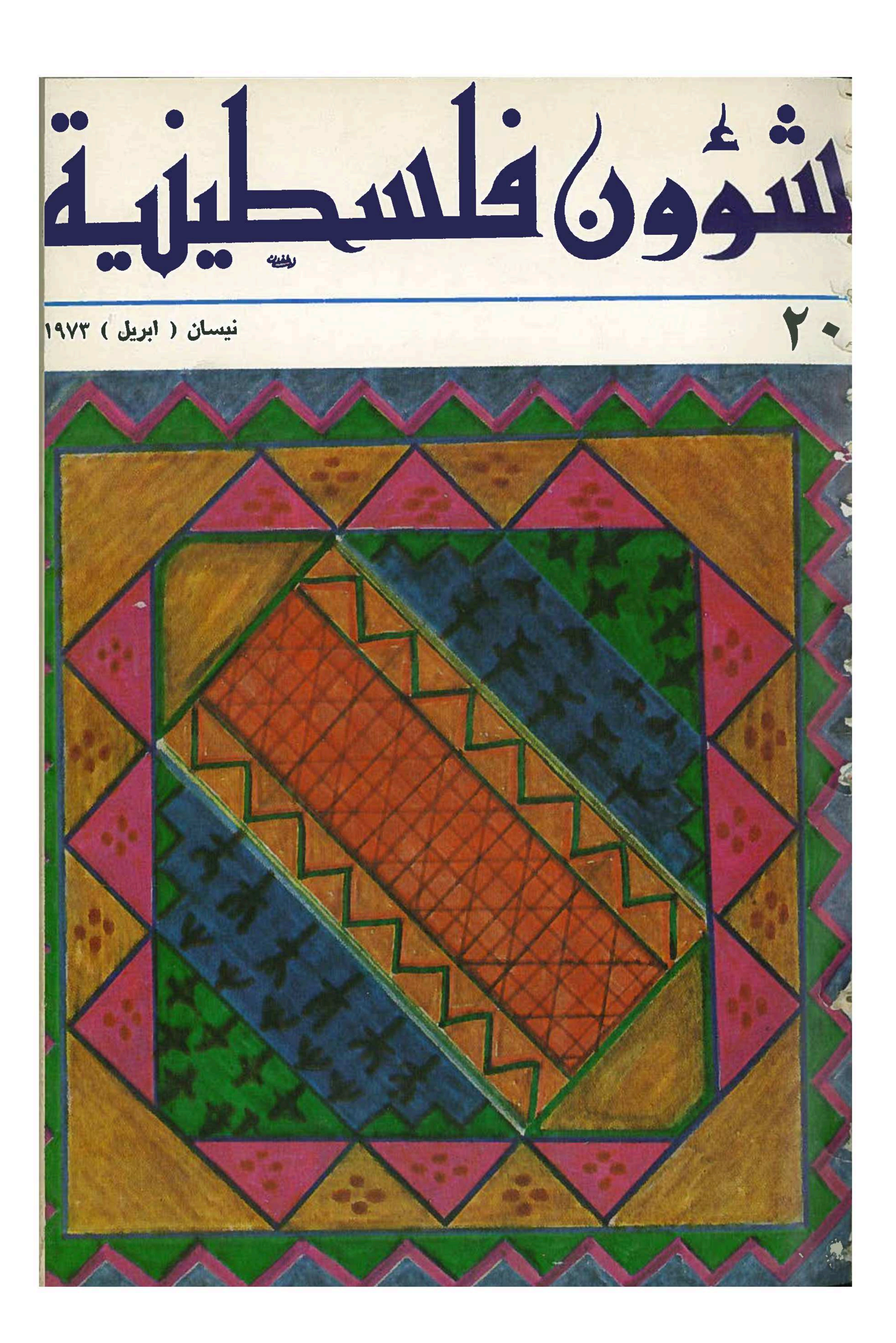
المراجعات

الفهرس الرابع

المؤتمرات

الفهرس الخامس

الشهريات


شؤون فلسطينية
٢٠
نيسان (ابريل) ١٩٧٣

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٠ **نيسان (ابريل) ١٩٧٣**

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت - لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

صورة الغلاف مستوحاة من تطريز فستان فولكلوري فلسطيني في غزة

المحتويـــات

١٦٧ **تقارير اعلامية** : الاسبرانتو والاعلام العربي ، حسين محمد العاملي .. نشاط الطلاب العرب الاعلامي في اميركا ، الدكتور الياس زين . الاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية ، محمد علي العويني . جماعة السينما الفلسطينية وجماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث، مصطفى ابو علي .

١٨٥ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن . غزة ثورة دائمة على الاحتلال، زياد عبد الفتاح . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش. (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، الدكتور صادق جلال العظم . رسالة من مراسلنا في السويد ، هـ.د. (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب . (٥)القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . تقرير عن صواريخ سام السوفياتية ، هشام عبدالله . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١١/٢ — ١٢/٣/١٩٧٣ ، غازي خورشيد .

٢٣٣ **اسرائيليات** : عماد شقور .

٢٤١ **وثيقة خاصة : افادات اعضاء الجبهة الحمراء .**

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

عاد الاخ مدير توزيع شؤون فلسطينية من جولة في بعض ربوع الوطن العربي لدرس مسائل التوزيع مع وكلائنا بعدد من الملاحظات والانطباعات والاستفسارات التي جمعها خلال لقاءاته مع العشرات من رجال الفكر ومن الموزعين والناشرين وأصحاب المكتبات في العديد من المدن العربية . وأبرز الملاحظات التي تضمنها تقريره عن رحلته استفسار تكرر في أكثر من لقاء وأكثر من مناسبة عما اذا كانت صفحات شؤون فلسطينية تتسع لنتاج المثقفين العرب ، من غير الفلسطينيين ومن غير المقيمين في لبنان ومن الذين ليست لديهم علاقات مباشرة مع مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . والواقع ان هذا الاستفسار جاءنا ، بأشكال أخرى ، من العشرات من الكتاب العرب . وكان أحيانا يتخذ شكل العتاب بأن المجلة لا تستكتب الكثيرين من هؤلاء ، أو ان المجلة تحصر نفسها بعدد محدود من الكتاب الفلسطينيين المتصلين بمركز الابحاث بشكل او بآخر .

والواقع ان العكس ، هو الصحيح . لقد كانت خطة المجلة منذ صدورها ، بل خلال فترة التحضير لها ، أن تستكتب أكبر عدد ممكن من الكتاب غير العرب ، والعرب غير الفلسطينيين ، من كافة أنحاء العالم ، ذلك ان المجلة هي مجلة الفكر الفلسطيني وليست مجلة المفكر الفلسطيني . هي أداة الاتصال مع الجماهير العربية لحمل فكر الثورة الفلسطينية وأدبياتها ونتاجها الثقافي ولكنها ليست مطبوعة اعلامية تصدرها الثورة كناطق بلسانها . ولما كان البحث في الشؤون الفلسطينية ، بمعناها الثقافي الواسع ، موضوع عالمي يخوضه الالاف من الكتاب (من مفكرين ومن صحافيين ومن أدباء ومن منظرين ومن باحثين) كانت تطلعات أسرة التحرير ، ولا تزال ، أن تجتذب الى مجلتنا أكبر عدد ممكن من هؤلاء الكتاب ، ممن يتوافر لديهم الشرطان الاساسيان : الايمان بعدالة القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني ببلده وبالثورة من اجل استعادته ، من الجهة الاولى ، والكفاءة العلمية والقدرة على الكتابة والتحليل بعمق وبدقة وبنزاهة وبصدق مع تحري الحقائق ودعم الاراء بالاثباتات ، من الجهة الاخرى . توافر هذان الشرطان في الكاتب وفي البحث هما اللذان على ضوئهما يجاز نشر هذا المقال أو ذاك . ويستكتب بفضلهما هذا الكاتب او ذاك . وذلك دون النظر في جنسية الكاتب أو مكان اقامته او مدى علاقته بمركز الابحاث الذي يقوم بنشر « شؤون فلسطينية » . وعلى العكس ، وكما قلت سابقا ، ان المجلة خططت وتخطط لان تزداد نسبة الكتاب غير العرب على الكتاب العرب ، والكتاب العرب غير الفلسطينيين على الكتاب الفلسطينيين ، والكتاب المنتشرين في العالم على الكتاب المقيمين في البلاد العربية خارج لبنان ، والكتاب المقيمين في هذه الدول العربية على الذين يقيمون في لبنان ، والكتاب الذين لم يسبق ان نشر لهم مركز الابحاث دراسات على الذين تعاملوا مع المركز ، وحتى من ضمن هؤلاء المتعاملين مع المركز نحاول ان نزيد نسبة المتعاونين من بعيد على الذين يعملون في المركز عملا مباشرا ، وبكلام آخر ، كانت خطة المجلة ولا تزال أن توسع رقعة كتّابها قدر الامكان .

ولعل نظرة فاحصة على فهارس ومحتويات اعداد السنتين السابقتين تدلل على ما اقول وتثبت صحته بشكل قاطع . لقد كتب في شؤون فلسطينية ٢٤٥ كاتبا ، كان بينهم ٣٧ كاتبا غير عربي . وبين هؤلاء ، من هو جدير بلفت النظر اليه ، عدد لا بأس به من الكتاب اليهود غير الصهيونيين . وربما كانت هذه النسبة (١٦ ٪) أعلى نسبة من نوعها في أية مجلة عربية سياسية . اما الكتاب العرب غير الفلسطينيين فقد بلغ عددهم ٧٠ كاتبا ، ونسبتهم الى مجموع الكتاب ٢٨ ٪ . وهم موزعون على جنسيات عربية مختلفة ومعظمهم من السوريين والعراقيين والمصريين . وهذا يعني ان ٤٤ ٪ من كتاب شؤون فلسطينية ليسوا فلسطينيين اطلاقا . ولا بد للقارىء من أن يقدر للمجلة انها نجحت باستكتاب ما يزيد على المئة كاتب غير فلسطيني ووفقت في حمله على الكتابة في الشؤون الفلسطينية المختلفة في مدة سنتين فقط .

لكن نجاح المجلة في هذا المجال هو في الواقع أقل من نجاحها في مجال دعوة الكتاب الى المساهمة بتحريرها من خارج لبنان وخارج الوطن العربي . وبينما يسكن ٤٥ ٪ من كتابها (١١٠) في لبنان يقطن الباقون (٥٥ ٪ = ١٣٥) خارج لبنان : يقطن ٦٠ كاتبا منهم ، اي الربع في الدول العربية المختلفة ، وينتشر الباقون (وهم ٧٥ كاتبا، اي الثلث) في أرجاء المعمورة ، ومعظمهم في الولايات المتحدة وأوروبه الغربية واسكندنافيه . وهذه الارقام هي أيضا تدل على جهد المجلة بألا تكون مجلة الكاتب (سواء الفلسطيني أو غير الفلسطيني) المقيم في لبنان بل أن تتخذ لنفسها طابعا عالميا واسعا لتؤمن لنفسها انتشارا عالميا واسعا .

بقي موضوع مركز الابحاث ، ان ٢٧ فقط من الكتاب الـ ٢٤٥ يعملون في المركز ، اي بنسبة ١١ ٪ فقط . اما الاغلبية الساحقة (٨٩ ٪) فليسوا من باحثي المركز . منهم ٤٠ سبق أن نشر المركز لهم دراسات دون أن يعملوا به ومنهم ١٧٨ ليس لهم اية علاقة بالمركز . وتتضح أهمية هذه الارقام والنسب حينما نتذكر ان مركز الابحاث ، الذي ينشر « شؤون فلسطينية » والذي يعتبرها واحدة من أضخم وأهم مشاريعه الانتاجية ، يضم في أسرته سبعين زميلا نصفهم على الاقل من الكتاب الذين سبق لهم أن نشروا دراسات أو بحوثا في القضية الفلسطينية في الماضي ، وبينهم عدد لا بأس به من كبار المتخصصين بالقضية الفلسطينية . وقد لا يتوافر هذا العدد في أي مكان واحد آخر في الوطن العربي، لا في مركز ولا في معهد ولا في صحيفة ولا في دار نشر ولا حتى في أية جامعة في الوطن العربي . ومع هذا تحاول رئاسة تحرير المجلة أن لا تجعل المجلة وقفا على كتابات هؤلاء الاختصاصيين الموجودين في المركز . بل انها تبذل جهدا خاصا لان تجعل نسبة مساهمتهم في المجلة ضئيلة — ومن هنا كانت النسبة مجرد ١١ ٪ بينما بامكان باحثي المركز الذين يزيدون على الثلاثين باحثا ان يملأوا صفحات شؤون فلسطينية بأقلامهم هم وان يجعلوها مجلة خاصة بالمركز اذ بينهم الباحث السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي والادبي والاجتماعي والتقني والتاريخي وغير ذلك من حقول التخصص العلمي . أعود الى الاستفسارات التي حملها مدير التوزيع معه بعد جولة في عدد من البلدان العربية . اننا ندعو جميع الكتاب والباحثين القادرين على معالجة الشؤون الفلسطينية المختلفة معالجات علمية صحيحة ، الملتزمين بخط الثورة الفلسطينية والمؤمنين بأهدافها، ندعوهم جميعا الى اعتبار هذه المجلة مجلتهم هم ايضا بمقدار ما هي مجلة الـ ٢٤٥ كاتبا الذين سبق لهم أن كتبوا بها منذ صدورها ، اذ بقدر ما يسعد المجلة أن يتسع مجال توزيعها يسعدها أيضا أن تتسع رقعة المساهمين بتحريرها . ففلسطين ، في النهاية ، هي أمانة في عنق كل أحرار العالم . والمساهمة في تحريرها مطلوبة من جميع الشعوب . وكذلك فان الكتابة في جوانبها المتعددة ، فكرا وأدبا وعلما ، مطلوبة أيضا من جميع الذين لديهم المادة الجيدة والجديدة .

عبد القادر الحسيني في ذكراه الخامسة والعشرين

الدكتورة خيرية قاسمية

مرت بخيال رفيقة نضال عبدالقادر الحسيني ذكريات عابرة مما عاشته ولمسته وسمعته عن حياة عبدالقادر ، روتها لي في مقابلات عديدة في القاهرة . كانت قد رافقته منذ عام ١٩٣٥ ، وحملت عنه كل مسؤولياته العائلية كي يتفرغ هو لمهمته النبيلة وتعرضت لملاحقة السلطات البريطانية ، ولكنها عملت بصمت . لم تتذمر ولم تشك ، بل كانت وراءه تحثه على المتابعة . افتقدته كزوجة وأم وهو لم يزل شابا في وقت كانت فلسطين في أشد الحاجة اليه . وقد أرجعتني السيدة الفاضلة الى الاستاذ محمد علي الطاهر — وهو من الصحفيين الفلسطينيين الاوائل — لاستجلاء حقائق بعض الاحداث نظرا لانه كان على معرفة وثيقة بعبدالقادر منذ نزل القاهرة عام ١٩٢٥ لاكمال دراسته فيها وكان لم يزل بعد فتى يافعا . ومن هذه الذكريات خرجت ببعض من جوانب حياة عبدالقادر التي هي جزء من حياة شعب فلسطين الحافلة بروائع البطولات .

خ. ق.

ولد عبدالقادر في القدس عام ١٩٠٨ وتلقى دراسته الاولى في مدرسة صهيون الانجليزية ومدرسة روضة المعارف الاهلية . وعاصر وهو لم يزل طفلا بعد بداية المأساة في فلسطين وقت أن دخلتها القوات البريطانية وهي تحمل في ركابها تصريح بلفور وشهد وهو فتى تدرج الحكم البريطاني في ترسيخ قدم الصهيونية واعطائها الصبغة الشرعية . وجوده قرب والده موسى كاظم الحسيني — رئيس البلدية — الذي قاد العمل الوطني منذ توليه رئاسة المؤتمر الفلسطيني الثالث ١٩٢٠ ، قد أمده بتجربة حية الى جانب ما يتمتع به من ميزات شخصية .

وانتقل عام ١٩٢٥ الى القاهرة ليتابع دراسته الثانوية فيها ، ثم التحق بالجامعة الامريكية — قسم العلوم — لدراسة الرياضيات . وقد مارس الى جانب ذلك الشعر والادب ، كما عمل بالتدريس ، وتردد على دار جريدة الشورى — لصاحبها محمد علي الطاهر — وأسهم في تحرير بعض موادها .

وكانت فلسطين أواخر العشرينات قد شحنت بالاحداث اثر اضطرابات ١٩٢٩ وما تلاها من تحقيقات . وتجددت أمام عبدالقادر في القاهرة صورة الحكم البريطاني المقيت فجعل من نفسه داعية لقضية وطنه . واعدادا للمستقبل بدأ بتنظيم الطلبة الفلسطينيين في القاهرة ، وانشأ منهم اول رابطة للطلبة الفلسطينيين على أمل أن تتحول الى منظمة سياسية تتولى قيادة الحركة الوطنية بعد أن ينهي الطلبة دراستهم .

وكانت جريدة الجامعة الامريكية بمصر (نصف الشهرية) قد شهدت في مقال لها تحت عنوان — عبدالقادر الحسيني بكالوريوس علوم B.A. القدس فلسطين — على ان عبد القادر كان في السنوات الخمس التي قضاها في الجامعة موضع اعجاب رفاقه لما امتاز

به من روح التعاون « وكان اهم ما يستهويه من الدروس الرياضيات والدين كما كان حبه للمناقشات الحبية سببا لكسبه الشهرة بين الطلبة »(١).

وقد لمس عبدالقادر في الجامعة الامريكية الاتجاهات التي تعمل لصالح الابتعمار ، وفي الحفلة السنوية التي أقيمت بعد انتهاء العام الدراسي ١٩٣٢ لتوزيع الشهادات بحضور عدد كبير من مسؤولي الجامعة الامريكية في مصر والعلماء ، كان عبدالقادر يدبر مفاجأة لهم جميعا . وقد اشار الاستاذ محمد علي الطاهر في كتابه (نظرات الشورى) المطبوع بمصر عام ١٩٣٢ الى هذا الحادث تحت عنوان (شاب فلسطيني في مصر ينسف الجامعة بمصر في وجهها) مشيرا الى ان عبدالقادر بعد أن وقف على المنصة وفي يده الشهادة التي أخذها ، اتجه الى الحاضرين ووجه لهم كلمة وطنية « ندد فيها بالافكار التي تبث في أوساط الجامعة . وختم كلمته بأنه يقول هذا لينبه اليه المصريين والحكومة المصرية وأنه لم يكن يقوله قبل ذلك لانه كان طالبا اما الان وقد تخرج واخذ شهادة الدبلوم فهو يقوله للمسلمين والاقباط على السواء » . وقد نزل الطالب وجلس على كرسي في القاعة بينما كان الحاضرون يسألون عنه ويتحدثون في الكلمات التي سمعوها منه . ويضيف كتاب (نظرات الشورى) ان جريدة البلاغ قد علمت من سكرتير الجامعة ان مجلس الادارة قد اجتمع على أثر ما حدث وقرر سحب الشهادة التي أعطيت لهذا الطالب . ولما قام أحد المعلمين بتنفيذ القرار تجمهر بعض الطلبة وكاد يقع شيء من القتال لولا ان عبدالقادر منع الناس عن المعلم وأعطاه الشهادة . وقد اضطربت الجامعة الامريكية من هذا الحادث ، فجلبت بعض الصحفيين عند منتصف الليل ورجتهم عدم الاشارة الى ما جرى « وحاولت ارشاء بعض الصحفيين ليحملوا على ذلك الشاب الغيور على قوميته ، ولكن الصحف في الصباح التالي امتلأت بأخبار ما جرى ». ولجأت الجامعة الامريكية كذلك الى الايعاز لبعض الطلبة للذهاب الى ادارات الصحف للطعن عليه وتبرئة الجامعة . وقد قام عبدالقادر بتوزيع كتاب مفتوح على الصحف ضمنه توضيحا لما ذكره في الحفل حول الاتجاهات التي لمسها في اوساط الجامعة طالبا « من كل وطني مسلما كان أم مسيحيا ان يحارب هذه الفكرة ليعيش المسلمون والمسيحيون أهل هذه البلاد وغيرها من الاقطار الشرقية هانئين آمنين » .

وعلى اثر هذا الحادث أصدرت الحكومة المصرية — في عهد اسماعيل صدقي — أوامرها باخراج عبدالقادر من مصر . وقد تجمهر الفلسطينيون المقيمون في مصر عند محطة سكة الحديد لوداع عبدالقادر ، وانقلب الوداع الى شبه تظاهرة وطنية تهتف لفلسطين العربية وتنادي بسقوط الحكم البريطاني .

عاد عبدالقادر الحسيني الى القدس في مطلع عام ١٩٣٣ ليمارس نشاطات متعددة يخدم بها قضيته . وقد استلم وظيفة في دائرة التسوية ، وهي دائرة خاصة للاراضي شكلتها الحكومة المنتدبة ، ولا شك ان الدافع وراء حصوله على وظيفة في هذه الدائرة هو الاطلاع على الاساليب التي يقوم بها الصهيونيون في الاستيلاء على الاراضي ومحاولة عرقلتها ، كما ان وجوده فيها أتاح له فرصة توثيق صلاته بأهل القرى . وكان الى جانب عمله الرسمي يمارس هوايته الصحافية ، فكان يبعث بمقالاته الى جريدة الجامعة الاسلامية في يافا (التي كان يرئس تحريرها سليمان الفاروقي) بين عامي ١٩٣٣ — ١٩٣٦ . ولما اصدر الحزب العربي جريدة اللواء عام ١٩٣٥ (التي رئس تحريرها خالد الفرخ) اشترك عبدالقادر في تحريرها (قسم الترجمة) ، كما تولى سكرتارية جمعية الشاب المسلم المتعلم (برئاسة يعقوب الغصين) . وكانت الاوضاع في فلسطين بعد عام

---

(١) محمد علي الطاهر ، كتاب **نظرات الشورى** ، مصر ١٩٣٢ . وقد تفضل المؤلف مشكورا بتزويدي بأربع صفحات من الكتاب التي تشير الى نشاط عبدالقادر الحسيني في مصر .

١٩٣٣ قد زادت توترا مع ازدياد تواطؤ حكم الانتداب وتسهيله الهجرة وبيع الاراضي . وقامت سلسلة من التظاهرات في المدن الفلسطينية . وفي ١٣ تشرين الاول ١٩٣٣ تقدم والده موسى كاظم باشا صفوف التظاهرة الوطنية في يافا واستخدمت السلطات البريطانية وسائل العنف وكان نصيب عبدالقادر عدة جروح ، ووالده (الذي تجاوز الثمانين) ، ضربة عصا سببت وفاته السنة التالية . وتكررت الاضطرابات حيث تصاعدت نحو الاضراب العام الذي امتد ستة شهور ، وتشكيل اللجنة العربية العليا من كافة الاحزاب الفلسطينية نيسان ١٩٣٦ .

وكان عبد القادر في ذلك الوقت يتولى ادارة مكتب الحزب العربي الفلسطيني في القدس، وبدأ مع غيره من الشباب الوطني في التهيئة لاسلوب جديد في المقاومة هو الثورة . وبالفعل كان قد بدأ تشكيل منظمات سرية شبه عسكرية من شبان في المدن والقرى تعمل على جمع السلاح والتدريب العسكري . وفي اواخر ايار ١٩٣٦ اعلنت قيادة هذه القوات التي اطلقت على نفسها اسم الجهاد المقدس ، الثورة . ولجأت الى الجبال لتشترك بثورة مسلحة على شكل حرب فدائية ، وكان لعبد القادر شرف الاشتراك في اطلاق الضربات الاولى الموجهة مباشرة الى الاحتلال البريطاني في قطاع القدس .

وشارك في معركة (الخضر) في قضاء بيت لحم ، التي استشهد فيها المجاهد السوري سعيد العاص (ايلول ١٩٣٦) واعتقل عبد القادر اثر اصابته بجرح في المعركة ووضع في مستشفى الحكومة في القدس تحت حراسة مشددة انتظارا لمحاكمته بعد شفائه . ولكنه دبر امر الفرار من المستشفى بالتعاون مع بعض الشباب ونقل سرا الى دمشق عن طريق الاردن حيث عولج حتى شفي(١) . والتحقت به عائلته في دمشق واستقرت هناك ، بينما اتجه هو الى بغداد . وتسلل الى فلسطين من جديد ليغادرها سرا الى المانيا ، بعد أن هدأت احداث الثورة منذ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ تلبية لنداء الملوك وترقبا لقدوم لجنة تحقيق ملكية بريطانية برئاسة لورد بيل . وقد مكث في المانيا مدة ثمانية شهور حيث تلقى تدريبا خاصا على تعبئة المتفجرات واستخدامها ، وقام فيما بعد بتدريب مجموعات خاصة في دمشق ، استعدادا لجولة اخرى .

وكانت احداث الثورة منذ تشرين الاول ١٩٣٧ قد تجددت بشكل اكثر عنفا وتنظيما ، وجهت الى السياسة البريطانية والصهيونية معا ، بعد ان اصدرت لجنة بيل توصيتها بتقسيم فلسطين ، واعلنت الحكومة البريطانية رغبتها في تنفيذ هذه التوصية . وعاد عبد القادر الى فلسطين خفية ليشترك باحياء الثورة باعمال فذة جديدة في قطاع القدس. وقام مع مجموعة من المجاهدين بالتوجه الى منطقة الخليل (قرية بني نعيم) ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٣٨ للاتصال بالقبائل المقيمة هناك فوقعوا في كمين نصبه الانجليز واستشهد كثيرون كان من بينهم ابن عمه المهندس علي الحسيني بينما اصيب هو اصابة خطيرة . وقد ظنت مجموعته انه قد اصبح في عداد الشهداء الذين وضعوا جميعا في كهف سد بابه بالحجارة حتى لا يعثر عليهم . وحاول الاستغاثة كي يخبرهم انه لا يزال على قيد الحياة دون جدوى فقد منعته جراحه المثخنة ، ولحسن حظه كان طرف ردائه الشتوي باديا بين الحجارة فعثر عليه اهل القرى في اليوم التالي ، وقد عمل قميصه الصوفي وساعة يده كضابط لحبس النزف . وحمل وهو في اشد حالات الاعياء على ظهر جمل حتى المستشفى الانجليزي في الخليل . وارغم رفاقه طبيب المستشفى على معالجته بعد ان قطعوا كل اتصال مع الخارج . وقد عادته زوجته في المستشفى ، بعد ان علمت

---

(١) روى الاستاذ محمد علي الطاهر في مقابلة شخصية انه هو الذي أوعز الى عبدالقادر بفكرة الفرار في رسالة شفوية بعثها من القاهرة ، حسب اصطلاح شاع في فلسطين في ذلك الوقت (افركها) وهي كلمة مشتقة من (بيت فوريك) في قضاء نابلس .

بالنبأ وكان لا يزال مثخنا بالجراح ، فقد كانت بضع رصاصات قد مزقت صدره لتستقر احداها قرب قلبه . وعاود عبد القادر القتال بعد شفائه وتتالت عمليات ملاحقة السلطات البريطانية له ولكنه نجا منها كلها .

وكانت اعمال الثورة لا تزال مستمرة رغم تراجع الحكومة البريطانية عن قرار التقسيم ودعوتها الى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن وصدور الكتاب الابيض . الا ان ظروف الحرب (بعد ايلول ١٩٣٩) قد حالت دون متابعة القيام باعمال الثورة ، واضطر كثير من القيادة الفلسطينية ان يغادروا مواقعهم ، وكان بعضهم قد اضطر الى اللجوء الى سوريا ولبنان قبل اعلان الحرب بسبب الملاحقة والضغط العسكري المتواصل . ولكن مع بوادر الحكم الوطني في العراق وخشية اعتقال السلطات الفرنسية اتجهوا نحو بغداد وكان عبد القادر بين من استقر هناك . ورغم خبرته العسكرية فقد التحق بدورة خاصة للضباط في بغداد ليتخرج بعد ستة شهور برتبة ضابط وعمل على تدريس الرياضيات في الكلية الحربية (معسكر الرشيد) وكذلك في مدرسة (التفيض) في بغداد ، وهناك مارس هوايته الصحفية فاشترك بتحرير مجلتها المدرسية الشهرية .

ولما نشب القتال في العراق (نيسان ١٩٤١) في عهد وزارة رشيد عالي الكيلاني ضد القوات البريطانية التي كانت تعزم على اعادة احتلال العراق والقضاء على الحكم الوطني فيها ، كان عبد القادر اول المتطوعين ، فنظم مع القوات الفلسطينية قوة اشتركت في اعمال قتال الانجليز التي استمرت مدة شهر وقد تمكنت مجموعته وحدها من ايقاف تقدم القوات البريطانية مدة عشرة ايام في زحفها نحو بغداد(١). وبعد توقف القتال غادر الوطنيون البلاد الى ايران عن طريق الموصل . وكانت زوجة عبد القادر قد افتقدت اخباره الا انها فوجئت به يعود بعد خمسة وعشرين يوما . اذ كانت السلطات البريطانية قد رفضت السماح لمجموعته المكونة من خمسة وثلاثين شخصا بالعبور قرب كرمنشاه بينما سمحت له شخصيا نظرا لقرابته للمفتي ، الا انه رفض النجاة وحده . وعادت المجموعة مشيا على الاقدام لتقطع مسافة الف كيلو متر في مدة خمسة وعشرين يوما . وقد طلب عبد القادر من مجموعته التسلل افراديا الى منزله حتى لا يثيروا الشبهة . وظلت هذه المجموعة في معتقلها الاجباري تحت رعاية زوجته خلال شهري حزيران وتموز ، ولكن نتيجة المعاناة الشديدة بسبب نقص الغذاء والاختفاء اضطروا الى تسليم انفسهم الى مصطفى العمري وزير الداخلية (تموز ١٩٤١) . واستمرت محاكمة عبد القادر وحده سنة وثمانية شهور وانتهت دون اصدار حكم . وفي خلال هذه الشهور كان بيت عبد القادر في بغداد قد اصبح مركزا لتجمع العائلات الفلسطينية الذين غادر معظم رجالها البلاد الى الخارج ، واثار ذلك شبهة السلطات وتعرضت زوجته لتحقيقات المخابرات العسكرية مرارا وانتهى الامر بوضعها تحت الحراسة .

في ذلك الوقت كانت قد صدرت الاوامر للمعتقلين الوطنيين بالاقامة الجبرية في شمال العراق على شكل مجموعات متفرقة وكان نصيب عبد القادر بلدة زاخو على حدود تركيا ثم استدعي بعد شهرين للتحقيق معه بعد اغتيال احد رجالات العراق وسجن في معتقل (العمارة) الرهيب مع كل الفلسطينيين والعراقيين ذوي الصلة بهم مدة ثلاث سنوات ونصف . وكانت عائلته قد امرت في مطلع عام ١٩٤٣ بمغادرة بغداد لتعود الى القدس من جديد بعد غياب دام عدة سنوات . وفي اواخر عام ١٩٤٤ بلغ زوجته خبر تدهور صحته في معتقله نتيجة جروحه السابقة . وتوسطت لدى بعض رؤساء الدول

---

(١) روى الاستاذ محمد علي الطاهر انه قد بلغه وهو في القاهرة خبر بأن مدير الامن العراقي (احمد الراوي) قد اتصل بعبدالقادر ومجموعته وكانت لا تزال في استحكاماتها داخل احدى البنايات طالبا منها الفرار بعد ان استسلمت الحكومة نفسها ولم يعد هناك جدوى للمقاومة .

العربية لحمل حكومة العراق على الافراج عنه وذهبت الى بغداد استمرارا لهذه المساعي . وقد اشار محمد علي الطاهر في كتابه (هاكستب)(١) ان عبدالقادر كان قد بعث له عام ١٩٤٤ برقية من العراق يخبره فيها انه لا يزال في سجن العمارة وانه لما بلغت حالته الصحية حد الخطورة سمحت الحكومة العراقية باخراجه من السجن على شرط ان يغادر العراق ، ويطلب في البرقية ان يسمح له بدخول مصر . وقد بعث (الطاهر) بالبرقية الى مصطفى النحاس رئيس الوزارة شارحا فيها حالة عبد القادر وجهاده وظروفه وانه لا يوجد طريقة لانقاذه الا بدعوته لمصر ليعالج فيها . وقد ابرقت وزارة الخارجية المصرية الى المفوضية المصرية ببغداد بالشيفرة لمنح عبد القادر تأشيرة دخول لمصر له ولاسرته بامر خاص من رئيس الوزارة ، على ان يجعل سبيله الى مصر من طريق المملكة السعودية حتى لا يقبض عليه الانجليز ان مر بالشرق الاوسط « سوريا ولبنان وفلسطين والاردن » . وابرق الطاهر لعبد القادر بواسطة مدير سجن العمارة بان يراجع القنصلية المصرية ببغداد . وقد علم بعد ذلك ان الملك عبد العزيز ال سعود حين عرف بمرور عبد القادر الحسيني امر باستضافته في السعودية نظرا للصداقة التي تربط موسى كاظم الحسيني وعبد العزيز منذ كان الاول متصرفا لنجد زمن الدولة العثمانية . وظل عبد القادر في السعودية مدة عامين ولحقت به اسرته هناك من فلسطين .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت الغيوم تتلبد في سماء فلسطين السياسية والقضية تتأرجح بين يدي الحكومة البريطانية ولجان التحقيق المختلفة والامم المتحدة . وبدا للجميع ان الصدام أمر لا بد منه . وغادر عبد القادر السعودية الى مصر ليكون قريبا من فلسطين اوائل عام ١٩٤٦ . ويروي محمد علي في كتابه (ها كستب)(٢) ان الحكومة المصرية — وكان يرأسها ابراهيم عبد الهادي في عهد السعديين — قد سعت الى اخراجه من مصر وبقوة الشرطة . وقد طلبت منه ادارة الجوازات مغادرة مصر فورا وهددته بحبسه بسجن الاجانب الى ان يستأذن حكومة فلسطين البريطانية بتسفيره لفلسطين . وقد طلب عبد القادر من رئيس الادارة ان يمهله بضعة ايام ريثما يحصل على اذن بدخول سوريا او لبنان . ويضيف كتاب (هاكستب) ان عبد القادر حاول ان يسر باذن ذلك المسؤول انه لا يستطيع دخول فلسطين لان الانجليز فيها قد سبق لهم ان حكموا عليه بالاعدام لمحاربته اياهم ١٩٣٦ — ١٩٤١ . وبدلا من ان يقدر الموظف جهاده نهره بجواب فظ(٣). واخيرا افرج عنه موظف الجوازات بعد ان اخذ منه تعهدا مكتوبا بان يغادر مصر بعد اسبوع ، وأن يتعهد بان لا يبذل اي جهد او وساطة لتمديد الاقامة. ويتابع (الطاهر) في كتابه انه قد ذكر عبد القادر بحادثة اخراجه في عهد اسماعيل صدقي من مصر وهو تلميذ ١٩٣٢ وحرضه ان لا يخرج الان وهو مجاهد الا بالقوة . وقام بعد ذلك بتقديمه الى ادارات الصحف واخبارهم بما فعلته الحكومة وشنت الصحف حملة اجماعية كانت السبب في صرف النظر عن ترحيله من مصر .

في ذلك الوقت كانت الهيئة العربية العليا قد تشكلت في بلودان (حزيران ١٩٤٦) برئاسة مفتي فلسطين (وكان لا يزال في باريس) ولما وصل سرا الى القاهرة (صيف ١٩٤٦) تولى رئاسة الهيئة فعليا . وكان عبد القادر قد بدأ يعمل وبالتعاون مع قيادة الحركة الوطنية على اقامة معسكر تدريب خاص في مرسي مطروح لصنع الالغام وتعبئتها وجمع الاسلحة سرا من كل مكان (وخاصة من ليبيا من مخلفات الحرب العالمية الثانية) كما

---

(١) طبع الكتاب في القاهرة ١٩٤٩ وسمي باسم المعتقل الذي سجن فيه المؤلف .

(٢) ص ٢٣٤ — ٢٣٧ والمعلومات سمعها المؤلف من عبدالقادر الحسيني نفسه .

(٣) الجواب كان كما يلي : « احنا مش عاوزين قتالين قتلى في بلادنا يالله على بلدك » .

عمد الى اعداد خريطة فلسطين وعليهـا تحديد المواقع الحيوية والاهـداف العسكرية وذلك من اجل وضع خطة لتنظيم الثورة المقبلة على اسس مدروسة .

وكان عبد القادر لا يزال نزيل القاهرة حين صدر قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) وعمل على رسم مخطط غايته توجيه الضربة الاولى للمصالح البريطانية في اليوم التالي لاعلان قرار التقسيم وذلك بنسف كل المباني الحكوميـة في القدس بتوقيت واحد قبـل وصول الموظفين الى دوائر عملهم . وكان استياؤه كبيرا حين سمع من راديو لندن اخبار خروج التظاهرات من المسجد الاقصى لانها افسدت خطته ، فالتظاهرات لم تكن التعبير المناسب عن الاستنكار .

ومع توالي الاصطدامات بين العرب وبين اليهود والانكليز أعلن الجهاد المقدس لانقاذ فلسطين باتفاق بين الهيئة العربية العليا واللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية . وتولى عبد القادر حركة النضال في الجبهة الوسطى (القدس وما حولها) كما تولى كل قائد من قادة الجهاد المقدس قيادة القطاع المخصص له . وتسلل عبد القادر من مصر الى داخل فلسطين في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٤٧ متخذا بلدة بير زيت قرب رام الله مركزا لقيادته وللقيادة العامة للجهاد المقدس .

وتابع بعقله الرياضي المنظم وضع الخطط لتوزيع القوات وقام بعرضها في دمشق التي اتخذت مقرا للجنة العسكرية الفنية التابعة للجامعة العربية برئاسة اسماعيـل صفوة وطه الهاشمي . وكانت دهشتهما فائقة حين عرفا ان رسم الخطة قد استغرق تسعة شهور لوضعها بينما كان الجهد الذي بذل لتحضيرها يقتضي عشر سنوات على الاقل .

كل ما كان يطلبه عبد القادر وبالحاح من الجميع هو السلاح والمال ، فلم ينقصه الرجال ، ولكن هذا ما بخلوا به . وذهبت رحلاته بين دمشق والقاهرة لاقناع مسؤولي الجامعة بمد يد العون عبثا . ومع ذلك فقد قاتل بما كان لديه من سلاح وتمكن من القيام باعمال ذكرها مواطنوه بالاعجاب والتقدير . اذ قام بالدفاع عن منطقة القدس المحاطة بعدد كبير من المستعمرات ، وكانت خطته مهاجمة هـذه المستعمرات لتعطيـل حركتها (معركة شعفاط ومعركة كفار عصيون) كما الف فرق التدمير العربية التي كـان لها الفضل في اعمال النسف التي قامت في القدس (شارع هاسوليل ومطبعة البالستين بوست وشارع بن يهودا وغيرها)(١) .

وكان عبد القادر في دمشق يبحث عن مزيد من السلاح حين بلغه خبر سقوط القسطل ٣ نيسان ١٩٤٨ ، وهي قرية عربية مرتفعة واقعة على بعد خمسة اميال غربي القدس تتحكم في طرق المواصلات وتهدد مدينة القدس نفسها وتشرف على عدد كبير من القرى والمستعمرات المنتشرة على طريق القدس تل ابيب(٢) . وكان استيلاء اليهود عليها يعني السيطرة على هذا الطريق وتمكينهم من تموين القدس المطوقة بالعرب . وحـاول ان يقنع اللجنة العسكرية بضرورة تزويده بالاسلحة اللازمة لاستعادتها مبينا لاعضاء اللجنة اهمية الموقع الاستراتيجية وخطر تهديدها القدس . ولكن الاعضاء رفضوا تسليمـه الاسلحة المطلوبة ، بل اظهروا عدم تفهم للاوضاع او تقدير لخطورة المواقع التي ينوي الصهيونيون احتلالها . وفشلت مساعي الهيئة العربية العليا للتدخل . ولم يكن احـد افراد اللجنة العسكرية يرى مانعا من سقوط القدس طالمـا انها ستعاد ثانية ! وكـان الرفض انسجاما مع السياسة الرامية لتجميد الوضـع العسكري ريثما يتهيأ دخـول

---

(١) لمزيد من التفصيلات راجع : عارف العارف ، **نكبة بيت المقدس ١٩٤٧ ـ ١٩٥٢** ، الجزء الاول ، صيدا بيروت ١٩٥٦ .

(٢) مجلة **فلسطين** ، الهيئة العربية العليا ، نيسان ١٩٦٢ .

القوات العربية . وصب عبد القادر غضبه على اعضاء اللجنة متهما اياهم بالخيانة وان التاريخ سيسجل انهم اضاعوا فلسطين متوعدا بانه سيستعيد القسطل حتى لو دفع حياته ثمنا لها .

وغادر دمشق في ٦ نيسان ليظهر على مشارف القدس في اليوم التالي ومنها توجه نحو موقع القسطل رغم نصيحة اصدقائه طالبين منه التريث حتى يدرس حقيقة الموقف . وبدأت عملية الزحف الانتحارية نحو القسطل واستعيد الموقع بالعدد الضئيل من الجند والسلاح ورفع العلم العربي بعد ظهر الخميس ٨ نيسان ١٩٤٨ . الا ان عبد القادر نفسه كان قد سقط شهيدا أمام احد بيوت القرية دون ان يعرف بذلك احد سوى مرافقه عوض . وكانت الفاجعة مزدوجة حين سقطت القدس مجددا في اليوم التالي لاستشهاده . واختلطت في ذهن ارملته تفاصيل حادث استشهاده . وتكاثرت الاقوال حول اللحظات الاخيرة التي قضاها على تربة الارض التي حررها ، ضاربا اروع امثلة الكفاح للاجيال المقبلة من أبناء فلسطين(١) .

---

(١) كان محمد علي الطاهر من اوائل الذين اشاروا في كتاب عربي الى خبر استشهاده وذلك في كتابه (اوراق مجموعة) القاهرة ١٩٤٨ ، بعد يومين من استشهاده وكان طبع الكتاب قد انتهى ، ووضع الخبر ملحقا للكتاب . وقد اوقع الطاهر اللوم في استشهاده على بخل المسؤولين بامداده بالسلاح والمال .

النفط العربي سلاح في خدمة قضايانا القومية (١)

الدكتور عاطف سليمان

تنشر شؤون فلسطينية الجزء الاول من بحث الدكتور عاطف سليمان وستنشر الجزء الثاني المتعلق ببحث موضوع التأميم في العدد القادم بالنظر لكون الدراسة طويلة .

مقدمة :

تتعرض الامة العربية اليوم لاقسى انواع العدوان وابشع محاولات الاذلال وكافة انواع الضغوط لحملها على التخلي عن حقوقها المشروعة والاستسلام لمخططات المعتدين وأهدافهم . وتتحالف ضدنا في ذلك اسرائيل والصهيونية العالمية ومن ورائهما الدول الاستعمارية الكبرى التي أنشأت اسرائيل وما فتئت تدعمها بشتى الوسائل وتلقي الى جانبها بكل ثقلها السياسي والاقتصادي والدبلوماسي والعسكري وعلى رأس هذه الدول الولايات المتحدة الامريكية ، التي اسفرت عن تحيزها الكامل لاسرائيل وعدائها الصريح للمصالح العربية المشروعة ، وغيرها من حليفاتها من الدول الرأسمالية الاستعمارية مثل بريطانيا والمانيا الاتحادية وهولندا .

ان المنطق السليم واعتبارات الكرامة تقضي بالبداهة على الامة العربية ان تواجه هذا العدوان الصريح وهذا العداء السافر برد يتناسب مع ضرورة هذا العدوان ويرتفع الى مستوى حدة هذا العداء ويتسم باقصى قدر ممكن من الشمول والكثافة والفعالية ، وهو ما يتطلب ان تكون المعركة التي تقف الامة العربية اليوم على اعتابها معركة شاملة جذرية وحاسمة ، بمعنى ان تلقي فيها الامة العربية جمعاء بكافة قواها ووسائلها وطاقاتها وان تكون موجهة في نفس الوقت ضد الكيان الصهيوني من أساسه وضد كافة ما لدى الدول المعادية من مصالح في العالم العربي .

والنفط العربي ثروة وطنية هامة ، ولذا فان من الواجب منطقيا ان يوضع في خدمة معاركنا السياسية والعسكرية . كما ان هذه الثروة الوطنية الضخمة تمثل من ناحية أخرى أهمية كبيرة ، استراتيجية واقتصادية ، للدول الاستعمارية التي هي أشد الدول معاداة لنا اذ هي تعتمد على هذه الثروة اعتمادا كبيرا في تمويناتها البترولية سواء في الحاضر أو في المستقبل كما تجني الشركات النفطية التابعة لها أرباحا طائلة من وراء استغلال هذه الثروات ، ولذا فان من الواضح بداهة ان على الامة العربية ان تستغل هذا الوضع للنفط العربي وهذه الاهمية التي يمثلها لاتخاذه كوسيلة لتعزيز مواقفنا وكعامل ضغط في مواجهة الدول المعادية او كأداة لالحاق الضرر بمصالحها الى أقصى الحدود الممكنة .

ثم ان الصلة بين النفط وبين قيام اسرائيل صلة واضحة لا يمكن انكارها ، اذ من المؤكد أن أحد الاسباب الرئيسية التي دفعت الغرب للعمل على انشاء اسرائيل ولمواصلة دعمها بكل الوسائل هو اتخاذها قاعدة اساسية لحماية المصالح الغربية الاستراتيجية

والاقتصادية في المنطقة ، وعلى رأسها المصالح النفطية ، عن طريق الدور المتعدد الجوانب المسند لاسرائيل في هذا المجال بمختلف صوره واشكاله (بما في ذلك الضغط العسكري ، والسيطرة الاقتصادية ، واجتذاب طاقة الكفاح لدى الامة العربية بعيدا عن المصالح النفطية ، والحيلولة دون تحقيق وحدة العالم العربي وتقدمه وارتقائه . . .) . فالارتباط بين وجود اسرائيل وبين ضمان المحافظة على المصالح النفطية الغربية في المنطقة مسألة لا تحتاج الى بيان ، والنفط العربي هو المحور الاساسي لازمة الشرق الاوسط من وجهة نظر امريكا نظرا لاهميته الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة لها ، كما سيتضح بالتفصيل من خلال هذا البحث . ولذا فان طرح موضوع النفط العربي والدور الذي يجب ان يلعبه بصدد المواجهة بين العالم العربي وبين القوى الصهيونية والامبريالية هي امور منطقية وطبيعية .

هذه البديهيات كلها جعلت الرأي العام العربي ــ منذ ان تأكدت أهمية النفط العربي ومنذ ان تكالبت علينا الصهيونية والامبريالية ــ يردد بالحاح هذا التساؤل : لماذا لم نستخدم حتى الان هذه الثروة النفطية الهامة كسلاح في معاركنا المصيرية بشكل فعال ، وكيف يمكن أن نستخدمها على أفضل وجه ؟

والامة العربية كذلك في معارك متواصلة ضد الفقر والتخلف ومن أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الصناعي والتكنولوجي والتقدم الاجتماعي . ورغم هذه الثروات النفطية الضخمة وهذا الانتاج الكبير المتزايد من النفط العربي عبر سنوات طويلة فان البلاد العربية المنتجة للنفط ما تزال بصورة عامة بلادا متخلفة اقتصاديا واجتماعيا وما تزال بعيدة عن التطور الصناعي والتقدم التكنولوجي ، كما ان جميع بلادنا العربية ما تزال تعتبر من الدول المتخلفة والسائرة في طريق النمو . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا كذلك هو : لماذا لم يقم النفط العربي بدوره حتى الان ، بشكل فعال ، في معركة التنمية الاقتصادية والرقي الاجتماعي وفي القضاء على الفقر والتخلف ؟ وكيف يمكنه ان يقوم بهذا الدور على أفضل وجه ؟

والتساؤلات المتقدمة ، سواء حول دور النفط كسلاح في معاركنا السياسية والعسكرية ضد قوى الامبريالية والعدوان او حول دوره كسلاح في معاركنا الاقتصادية ضد الفقر والتخلف ، هي في نظرنا تساؤلات مترابطة ومتداخلة : فمما لا شك فيه ان أحد الاسباب الرئيسية لهزائمنا العسكرية والسياسية يكمن في تأخرنا وتخلفنا وفي خضوع بعض بلداننا لنوع من الاستعمار الاقتصادي او التبعية الاقتصادية من جراء خضوع ثرواتنا الطبيعية للاستغلال الاجنبي . ولو أن الامة العربية استطاعت أن تستخدم ثرواتها النفطية لاحراز التنمية الاقتصادية والصناعية والتطور الاجتماعي والتقدم التكنولوجي لتحققت لها وسائل القوة وأسباب العزة والمنعة مما يضمن لها النصر في معاركها السياسية والعسكرية أو يكون أحد العوامل الحاسمة في تحقيق هذا النصر . وسيتبين لنا من خلال هذا البحث ان الطريقة المثلى ، والاكثر جذرية وفاعلية ، لاستخدام النفط كسلاح في معاركنا السياسية والعسكرية هي نفسها الطريقة التي تخدم المعركة الاقتصادية على أفضل وجه .

هذا البحث يحاول أن يقدم اجابة على التساؤلات المشروعة المتقدمة : كيف يمكن للنفط أن يكون سلاحا لنا في معاركنا السياسية والعسكرية ضد الامبريالية والصهيونية وفي معاركنا الاقتصادية ضد الفقر والتخلف ومن أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الصناعي والتكنولوجي والتقدم الاجتماعي .

ولنحاول أولا أن نلقي نظرة على هذه الثروة النفطية العربية وأن نتعرف على مدى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية وعلى المكانة التي تحتلها في صناعة النفط العالمية وعلى المسرح البترولي الدولي .

أهمية النفط العربي ومكانته

اهمية النفط العربي بصورة عامة معروفة وسنكتفي هنا بايراد لمحة مقتضبة للتذكير بمدى أهمية احتياطي النفط العربي وانتاجه بالنسبة للاحتياطي والانتاج العالميين من النفط وكذلك اهميته بالنسبة للبلدان الرئيسية المستهلكة للنفط ومدى حاجتها اليه :

من المعروف ان العالم العربي ، سواء في منطقة الخليج العربي أو في شمال افريقيا ، يختزن الجزء الاكبر من الثروة البترولية في العالم ويحتل مكانا بارزا بين البلدان التي تنتجها وتصدرها :

ففي نهاية عام ١٩٧١ حسب مجلة Oil and Gaz Journal، كان احتياطي العالم العربي (سواء في منطقة الخليج العربي أو شمال افريقيا يبلغ (٤٨،٤) بليون طن أو حوالي ٣٦٣ بليون برميل)(١) بينما كان المجموع الكلي للاحتياطي العالمي، حسب المصدر نفسه، يبلغ (٨٦،٥) بليون طن (أو حوالي ٦٤٨،٨ بليون برميل) ، أي أن نسبة احتياطي النفط في العالم العربي ، تبعا لهذه الاحصائيات ، تبلغ حوالي ٥٦ ٪ من مجموع احتياطي النفط في العالم . ولكن من المعروف ان مصادر الشركات تميل الى تقليل مقدار الاحتياطي في البلاد العربية ولذا فان التقديرات الاكثر معقولية تبين بأن احتياطينا من النفط لا يقل عن ثلثي احتياطي النفط في العالم. وقد كان احتياطي الولايات المتحدة الامريكية في العام نفسه (١٩٧١) يعادل ٥،٩ ٪ من الاحتياطي العالمي ، واحتياطي الاتحاد السوفياتي يبلغ ١١،٩ ٪ من الاحتياطي العالمي . واذا علمنا ان احتياطي المملكة العربية السعودية لوحدها يعادل ٢٣ ٪ من الاحتياطي العالمي تبين لنا ان السعودية تضم من الاحتياطي أكثر بكثير من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مجتمعين . واذا ما استثنينا الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اللذين ينتجان ما يحتاجان اليه ولا يصدران الا القليل فان احتياطي العالم العربي يصل الى ٧٥ ٪ من الاحتياطي العالمي خارج هذين البلدين . وبالاضافة الى احتياطي النفط الخام فان العالم العربي يضم ما لا يقل عن نصف الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي ، وهو مصدر الطاقة الذي بدأ يحتل مركزا مرموقا بين مصادر الطاقة في العالم وتتزايد أهميته باستمرار (اذ بلغ احتياطي العالم العربي من الغاز ٣١٧٢ بليون متر مكعب في نهاية عام ١٩٧١ بينما يبلغ مجموع الاحتياطي العالمي من الغاز حوالي ١٦٠٠٠ بليون متر مكعب) .

ويبلغ انتاج العالم العربي من النفط في الوقت الحاضر حوالي (٧٦٥) مليون طن سنويا، حسب احصائيات عام ١٩٧١ طبقا لمجلة Petroleum Press Service، عدد يناير ١٩٧٢ ، او ما معدله ١٥،٣ مليون برميل يوميا (وقد ارتفع معدله في ستة الاشهر الاولى من عام ١٩٧٢ الى حوالي ١٦ مليون برميل يوميا) ، وهذا يمثل حوالي ثلث مجموع الانتاج العالمي من النفط حسب احصائيات عام ١٩٧١ (الذي كان يبلغ حوالي ٢،٤ بليون طن حسب مجلة « بتروليوم برس سرفيس » ، عدد يناير ١٩٧٢) . ولكن اذا ما لاحظنا بأن اكبر بلدين منتجين للنفط في العالم، وهما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي، يستهلكان الجزء الاكبر من انتاجهما ولا يصدران للخارج الا نسبة ضئيلة بل ان الولايات المتحدة هي الان من بين البلدان المستوردة للنفط ، كما هو معروف ، تبين لنا بأن النفط العربي يشكل في الوقت الحاضر حوالي ٥٦ ٪ من مجموع صادرات النفط العالمية أي ان البلدان العربية تصدر الى البلدان المستهلكة للنفط والمستوردة له أكثر من نصف استهلاكها ، وبمعنى آخر فان النفط العربي يشكل أكثر من نصف النفط الداخل الى السوق العالمية(٢) .

والنفط العربي يتميز بعدة مميزات بارزة أهمها سهولة العثور عليه وقلة تكاليف تطويره وانتاجه ووفرة انتاج آباره وموقعه الاستراتيجي بالنسبة للبلدان المستهلكة لا سيما قربه

النسبي من مركز الاستيراد والاستهلاك الرئيسي له وهو منطقة أوروبا الغربية .

فمن حيث تكاليف العثور على النفط فان تكلفة العثور في منطقة الخليج العربي تتراوح بين سنت أمريكي واحد الى ٢ سنت للبرميل الواحد ، حسب المصادر (فقد قدر أحد المصادر تكلفة العثور على النفط في الشرق الاوسط في الفترة ما بين ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٠ بما معدله ١ سنت أمريكي للبرميل الواحد(٣) ،بينما تقدر مجلة Petroleum Outlook في عددها لشهر فبراير ١٩٧١ تكلفة العثور على النفط في الشرق الاوسط بما يعادل ٢ سنت امريكي للبرميل) بينما تكلفة العثور على برميل واحد من النفط في الولايات المتحدة تبلغ حوالي ١٠٤ سنت أمريكي ، وفي كندا ٥٤ سنت ، وفي فنزويلا ٢٧ سنت وفي الشرق الاقصى ٣٣ سنت للبرميل الواحد(٤).

واذا ما أخذنا مجموع تكاليف انتاج البرميل الواحد فانها لا تزيد عن ٦ سنت أمريكي للبرميل في الخليج العربي بينما تصل تكلفة انتاج البرميل في الولايات المتحدة ١٩٠ سنت، وفي كندا ٧٤ سنت ، وفي فنزويلا ٤٠ سنت ، وفي الشرق الاقصى ٧٩ سنت للبرميل الواحد(٥). وهذا كله يبين مدى انخفاض تكاليف انتاج النفط العربي .

كما ان آبار النفط العربي تتميز بغزارة انتاجها ، فبينما لا يزيد معدل انتاج البئر الواحدة في الولايات المتحدة الامريكية مثلا عن ٢ برميل في اليوم فان متوسط انتاج البئر العربية يبلغ حوالي ٣١٨٦ برميلا ، وهو أضخم انتاج لاية بئر أخرى في أي مكان في العالم ولا يعادلها في هذا المضمار الا انتاج الآبار الايرانية(٦).

ويذهب الجزء الاكبر من صادرات النفط العربي الى بلدان أوربا الغربية واليابان . وتبلغ نسبة ما تستورده أوربا الغربية من العالم العربي حوالي ٧٠ ٪ من مجموع ما تستورده من البترول (وقد كان معدل استيرادها من البترول من مختلف المصادر عام ١٩٧١ حوالي ٩،٥ مليون برميل يوميا) ، وهو ما يبين مدى اعتماد هذه البلدان على النفط العربي . أما اليابان فلا تقل نسبة ما تستورده من النفط العربي عن ٩٠ ٪ من وارداتها النفطية (وقد كان معدل استيرادها من النفط من مختلف المصادر عام ١٩٧١ حوالي ٤،٣ مليون برميل يوميا) . ومعنى ذلك ان حوالي ثلاثة ارباع صادرات النفط العربي تذهب الى بلدان اوربا الغربية واليابان ، وهي الحليفات الطبيعية للولايات المتحدة .

ومن الملاحظ ان الولايات المتحدة الامريكية لا تستورد حاليا الا كمية قليلة من النفط العربي (حوالي ٣٢٤ الف برميل يوميا ، عام ١٩٧١ ، أي ما يعادل ١٠ ٪ من مجموع وارداتها النفطية وحوالي ٢ ٪ من مجموع استهلاكها النفطي) اذ أن لدى الولايات المتحدة انتاجها المحلي الذي يغطي في الوقت الحاضر الجزء الاكبر من احتياجات استهلاكها ثم تستورد بقية احتياجاتها من فنزويلا وكندا . وتبلغ نسبة النفط المستورد في الوقت الحاضر حوالي ٢٣ ٪ (حوالي ٣،٥ مليون برميل يوميا) من مجموع استهلاكها البالغ حوالي ١٥ مليون برميل يوميا حسب احصائيات عام ١٩٧١ . ولكن القوات العسكرية الامريكية فيما وراء البحار تعتمد اعتمادا كبيرا على النفط العربي لا سيما في منطقة الخليج العربي ، فهذه القوات تأخذ كميات متزايدة من المنتجات النفطية المكررة لاحتياجاتها في فيتنام من معامل الشركات الامريكية في منطقة الخليج مثل معمل تكرير رأس تنوره بالمملكة العربية السعودية ومعمل شركة نفط البحرين . الا ان الاهمية الرئيسية للنفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة تتمثل في ناحيتين : أولاهما الارباح الضخمة التي تجنيها الشركات النفطية الامريكية التي تسيطر على استثمار النفط العربي ، والناحية الثانية تتمثل في القيمة الاستراتيجية للنفط العربي والاعتماد عليه لتأمين جزء كبير متزايد من الاحتياجات النفطية للولايات المتحدة في المستقبل وكذلك تأمين

احتياجات حلفائها . وهذا يقودنا الى القاء نظرة على القيمة الاقتصادية والاستراتيجية للنفط العربي بالنسبة لامريكا والغرب .

الاهمية الاقتصادية والاستراتيجية للنفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة والغرب

العنصر الاول من عناصر أهمية النفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية يتمثل في الارباح الضخمة التي تجنيها الشركات النفطية الامريكية من استغلال المصادر النفطية العربية . فمن المعروف ان المصالح الامريكية تسيطر على حوالي ٦٠ ٪ من انتاج النفط العربي وهي تجني من جراء عملياتها هذه أرباحا ضخمة تميل الشركات عادة الى التقليل منها ولكن المصادر الامريكية المحافظة نفسها تقدر هذه الارباح من عمليات انتاج النفط لوحدها بما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون دولار سنويا(٧) . وينبغي ان يضاف الى هذه الارباح المتأتية من عمليات انتاج النفط العربي تلك الارباح التي تجنيها الشركات الامريكية من العمليات والنشاطات المكملة للانتاج والمرتبطة به مثل عمليات النقل البحري للنفط وتكريره وتوزيعه والعمليات البتروكيميائية . والارباح التي تحققها الشركات النفطية الامريكية في الشرق الاوسط تمثل ٥٠ ٪ من مجموع الارباح التي تحققها الشركات النفطية الامريكية في الخارج وحوالي (خمس) الارباح التي تحققها المصالح الامريكية في الخارج من جميع نشاطاتها .

هذه الارباح الناتجة عن العمليات النفطية وكذلك الصادرات الامريكية للمعدات المتعلقة بصناعة النفط تساهم مساهمة هامة في ميزان المدفوعات الامريكي لا سيما في هذه الظروف التي يعاني فيها الدولار من أزمته المعروفة ومن مختلف الضغوط الواقعة عليه. وقد ذكرت جريدة نيويورك تايمز بأن مساهمة الشركات النفطية الامريكية في الشرق الاوسط في ميزان مدفوعات أمريكا تبلغ حوالي (٢٠٠٠) مليون دولار سنويا . وفي دراسة حديثة لبنك تشيز مانهاتن حول المستقبل البعيد الامد للطاقة في الولايات المتحدة (مشار اليها في مجلة عالم النفط ، بتاريخ ٨ تموز ـ يوليو ١٩٧٢ ، التي اوردت الخطوط العريضة لنتائجها) ورد بأن « المستوردات الامريكية الحالية من النفط تكلف حوالي ٤ مليارات دولار في السنة ، ولكن هذا المبلغ المدفوع في الخارج يغطي أو يزيد بالمداخيل المستوردة لشركات النفط الامريكية العاملة في الخارج وبالصادرات الامريكية من المعدات التكنولوجية المتعلقة بصناعة النفط » . وحيث ان الارباح التي تحققها الشركات الامريكية العاملة في الشرق الاوسط تعادل كما بينا حوالي نصف مجموع الارباح التي تحققها الشركات النفطية الامريكية في الخارج . فمعنى ذلك ، حسب دراسة تشيز مانهاتن بنك، ان الشركات النفطية الامريكية في الشرق الاوسط تساهم في ميزان المدفوعات الامريكي بحوالي مليارَي دولار سنويا .

الا أن النفط العربي يمثل بالاضافة الى هذه الارباح ، وبقدر أكبر ، أهمية استراتيجية سواء بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية أو بالنسبة لمجموع العالم الغربي الذي تحرص أمريكا على مصالحه الاستراتيجية باعتبارها تتولى مركز القيادة للعالم الرأسمالي . فأمريكا تحرص على ابقاء النفط العربي تحت سيطرة شركاتها في الدرجة الاولى (وسيطرة الشركات الاحتكارية الغربية الأخرى في الدرجة الثانية) لاغراض استراتيجية ومتعلقة بالامن القومي وحتى لا تقع تحت سيطرة شركات او مصالح اخرى غير أمريكية وغير غربية وذلك نظرا للاعتماد الكبير لبلدان اوروبا الغربية واليابان ، حليفات أمريكا ، على النفط العربي كما سبق ان بينا ونظرا لان الولايات المتحدة نفسها تتوقع أن تبدأ في استيراد كميات كبيرة من النفط من الخارج في مستقبل قريب ، وفي السنوات التي تلي منتصف السبعينات ، حيث يقل انتاجها بالنسبة لارتفاع معدل استهلاكها ولا يتم العثور على احتياطيات كبيرة تعوض الزيادة في الانتاج مما سيدعو الى زيادة الواردات من الخارج وهو ما سيحتم زيادة الواردات من النفط العربي . فالنفط العربي يعتبر اذن

ضمانة هامة لتأمين متطلبات الولايات المتحدة في المستقبل وكذلك تأمين احتياجات حلفائها .

والولايات المتحدة هي أكبر مستهلك للنفط في العالم اذ استهلكت في عام ١٩٧١ حوالي ١٥ مليون برميل يوميا أمنت منها حوالي ١٢ مليون برميل يوميا من المصادر المحلية واستوردت من الخارج حوالي ٣ ملايين برميل يوميا . الا انه نظرا للتزايد المطرد في استهلاكها في الوقت الذي لا يحرز فيه احتياطها أية زيادة — بل ان هذا الاحتياطي حسب تقديرات معهد البترول الامريكي قد انخفض بنسبة ٤٫٣ ٪ عما كان عليه عام ١٩٦٤(٨) ولانه ليس من المتوقع أن تكتشف فيها أية احتياطات نفطية كبيرة في المستقبل فان الخبراء النفطيين الامريكيين يجزمون بأن الولايات المتحدة ستعتمد اعتمادا متزايدا في المستقبل على استيراد النفط من الخارج لتأمين الجزء الاكبر من احتياجاتها . ومما لا شك فيه أن جزءا كبيرا من هذه الواردات سيأتي من العالم العربي ، ومن هنا تبرز الاهمية الكبيرة بالنسبة لامريكا في أن تكون حقول النفط العربي الغزيرة تحت سيطرة شركاتها تستمد منها احتياجاتها في الوقت المناسب ، بشكل مضمون وبأرخص التكاليف .

وتجمع مختلف المصادر الامريكية سواء الرسمية منها أو مصادر الشركات النفطية على أن الولايات المتحدة الامريكية ستستورد من الخارج في عام ١٩٨٥ ، بل وفي رأي البعض ابتداء من عام ١٩٨٠ ، نصف احتياجاتها من النفط الخام ، كما يجمعون على أن معظم هذه الكميات لا يمكن أن يأتي الا من الشرق الاوسط وشمال افريقيا مما يدعم الاهمية الكبرى لنفط هاتين المنطقتين بالنسبة لمستقبل أمريكا :

فقد صرح جون ايروين مساعد وزير الخارجية الامريكية في نهاية شهر مايو ١٩٧٢ أمام المجلس الوزاري لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية O.E.C.D. بأن الولايات المتحدة ستستورد منذ عام ١٩٨٠ حوالي ١٢ مليون برميل يوميا ، أي ما يعادل نصف احتياجات استهلاكها في ذلك العام . وبالنسبة للمنطقة الاوروبية من منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية،فان ايروين قد صرح بأنه مع مراعاة الحوالي ٣ ملايين برميل يوميا التي ينتظر أن تنتجها بحر الشمال ، فان واردات عام ١٩٨٠ ستبلغ حوالي ٢٠ مليون برميل يوميا أي حوالي ضعف وارداتها الحالية . والقسم الاكبر من هذه الواردات لا يمكن أن يأتي ، حسبما أضافه ايروين ، الا من مصدر واحد هو الشرق الاوسط .

وقد أدلى جيمس ايكنز ، مدير مكتب الوقود والطاقة بوزارة الخارجية الامريكية، بشهادة أمام جلسة عقدتها اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية التي تعنى بالشرق الاوسط والتابعة لمجلس النواب قال فيها : ان من المحتمل أن تضطر الولايات المتحدة الى استيراد نصف النفط الذي تحتاج اليه من الشرق الاوسط وشمال افريقيا بحلول عام ١٩٨٠ . وأخبر ايكنز اللجنة الفرعية بأن « الاهمية الرئيسية لمنطقة الشرق الاوسط بالنسبة الى الولايات المتحدة هي ان حلفاء أمريكا في حلف شمال الاطلسي واليابان يعتمدون كليا تقريبا وسوف يظلون كذلك على منطقة الشرق الاوسط من أجل طاقاتهم في المستقبل المنظور » . واضاف « اذا سيطرت على الشرق الاوسط وشمال افريقيا قوى معادية لامريكا فان أمن حلفائها ومن ثم أمنها هي سوف يتعرض للخطر »(٩) .

وصرح شارلز جونز ، نائب رئيس شركة همبل أويل في ٤ يناير ١٩٧١ (عالم النفط ٧١/١/٣٠) بأن واردات النفط الاجنبي الى الولايات المتحدة ، عام ١٩٨٥ قد تشكل ٥٠ ٪ من الاستهلاك مقابل حوالي ٢٠ ٪ في الوقت الحاضر . وستصل الواردات الاجنبية عام ١٩٨٥ الى حوالي ١٣ مليون برميل يوميا منها عشرة ملايين برميل يوميا من نصف الكرة الشرقي (أي بصفة رئيسية من الشرق الاوسط وشمال افريقيا) .

وتذكر دراسة جديدة أعدها بنك تشيس مانهاتن حول المستقبل البعيد الامد للطاقة في

الولايات المتحدة ، ونشرت في شهر يونيو ١٩٧٢ ، بأن الطلب على النفط عام ١٩٨٥ سيرتفع الى أكثر من ضعف حجمه الحالي الى ان يبلغ ٣٠٠٢ مليون برميل يوميا نصفها يجب أن يأتي من الخارج ومن الشرق الاوسط وافريقيا على الغالب . ذلك ان امدادات نصف الكرة الغربي محدودة ويقدر البنك ان ٣٠٦ مليون برميل يوميا منها فقط ستأتي من مصادر قريبة « وأكثر أمنا » (أي بصفة رئيسية من فنزويلا وكندا) . وقد لوحظ بأن تقديرات البنك للطلب على النفط عام ١٩٨٥ قد زادت بحوالي ٤ ملايين برميل يوميا عن الكمية المتوقعة عادة حسب التقديرات الشائعة للطلب عام ١٩٨٥ وقدرها ٢٦٠٣ مليون برميل يوميا ، وذلك نظرا للنقص المتوقع في الغاز والحاجة الى استعمال النفط كبديل عن جزء من العجز (عالم النفط ، ٨ يوليو ١٩٧٢) .

ومما لا شك فيه ان « أزمة الطاقة المقبلة في الولايات المتحدة » ، والقلق الذي يساور المسؤولين الامريكيين فيما يتعلق بايجاد مصادر مأمونة ومستمرة للنفط الخام وارتباط كل ذلك بالسياسة الامريكية في الشرق الاوسط — تعتبر في هذه الايام من أبرز القضايا التي تشغل المسؤولين الامريكيين والمهتمين بالشؤون النفطية ، وقد بلغ الاهتمام بأزمة الطاقة المقبلة حدا دعا الرئيس نيكسون الى تكوين لجنة من الخبراء تضم ٢٠٠ خبير من خبراء الاقتصاد والبترول والطاقة أسماها « لجنة مستقبل الطاقة في أمريكا » وعين جون مكلين ، مدير شركة كونتيننتال أويل ، رئيسا لهذه اللجنة . وقد ورد في مطلع أول تقرير تقدمه اللجنة « ان قضايا الطاقة في طريقها بسرعة لان تصبح — وسوف تبقى — العامل الذي سوف يقرر سياستنا الداخلية والخارجية في العقد القادم كله على الاقل ، وخلال السنوات الخمس عشرة القادمة بلا جدال » .

وفيما يتعلق باعتماد أمريكا المحتم منذ بداية الثمانينات على الدول الاجنبية، وخصوصا في الشرق الاوسط ، لتأمين احتياجاتها النفطية يقول التقرير «ولن يكون هذا الاعتماد موزعا توزيعا جغرافيا ، ذلك ان معظمه سيجيء من دول الاوبك العربية التي تملك اليوم ٨٥ ٪ من احتياطي العالم من النفط و ٩٠ ٪ من كل صادرات النفط في العالم » . ويضيف التقرير « ان هذا وضع لم نواجهه من قبل ، وهذا معناه اننا سنحتاج الى نظرة جديدة الى كل سياستنا في الشرق الاوسط ، واعطائها أولوية لم يسبق ان أعطيناها لها من قبل »(١٠) .
ومن مظاهر الاهتمام بأزمة الطاقة هذه ، الشهادة التي أدلى بها جيمس ايكنز ، رئيس مكتب الوقود والطاقة في وزارة الخارجية الامريكية ، أمام اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية في مجلس النواب الامريكي حول موضوع « مضاعفات السياسة الخارجية على أزمة الطاقة » . وحذر ايكنز في شهادته من اتجاه الامريكيين الى التقليل من أهمية تهديدات الدول العربية المنتجة بتحديد الانتاج والمصادرات لاسباب سياسية واقتصادية . وقال ان عدم أخذ هذه التهديدات جديا هو من الخطأ بمكان . كما رفض القول بأنه يغالي في أهمية تأثير الصراع العربي الاسرائيلي على الدول العربية المنتجة وقال « ان العكس هو الصحيح وان الامريكيين يقللون من الهاجس الذي يتملك العرب تجاه المشكلة الاسرائيلية »(١١) .

ومما يعكس الاهتمام المتواصل بأزمة الطاقة في الولايات المتحدة ويكشف عن الطابع السياسي لعمليات الشركات النفطية الامريكية — التحذير الذي نشرته مؤخرا (في شهر نوفمبر ١٩٧٢) ٤٢ مجلة وصحيفة أمريكية على شكل اعلان يقع في صفحة كاملة لجون ماكلين ، رئيس ادارة شركة كونتننتال أويل ، حذر فيه الامريكيين من أنهم سوف يعتمدون بشكل حيوي على استتباب السلام في الشرق الاوسط من أجل استمرار حصولهم على امدادات البترول . ويركز هذا الاعلان على العجز المرتقب في الطاقة الذي ستشهده الولايات المتحدة الامريكية . ويؤكد التحذير بأن الولايات المتحدة سوف تستورد في عام ١٩٨٥ ما يتراوح بين ٤٠ ٪ و٥٥ ٪ من احتياجاتها من النفط من الخارج ومعظمه من

الشرق الاوسط . وقال روديك لورنس نائب رئيس شركة كونتننتال أويل ومدير غرفة التجارة العربية ــ الامريكية في نيويورك ان هذا الوضع يشكل تحديا ونعتقد نحن المسؤولين في الشركة أن الشعب الامريكي ينبغي أن يحاط علما به الان ... وأشار ماكلين الى أن الاعتماد على عدد ضئيل من الدول الخارجية البعيدة في الحصول على جزء حيوي من امداداتنا من الطاقة سوف يشكل حقيقة مرة من حقائق الحياة وسوف نحتاج الى ابداء نظرة جديدة لسياستنا الخارجية بالنسبة للشرق الاوسط وأن يعلق عليها قدرا أكبر من الاولوية عما سبق . واضاف اننا سوف نعتمد اعتمادا حيويا على السلام في هذه المنطقة المضطربة من أجل استمرار امدادات النفط ، وسيكون أصدقاؤنا في غرب اوروبا واليابان في وضع مماثل .

وينطلق من مثل هذه النظرة التصريح الذي أدلى به لي . ف . دينسمور ، القنصل السابق لامريكا في الظهران ، أمام لجنة الشؤون الخارجية المختصة بشؤون الشرق الادنى في الكونغرس حيث قال : « اذا كانت أمريكا ستواجه في السنوات القليلة القادمة أزمة نفطية فان ذلك سيكون بسبب فشلها في التعامل المنصف مع المشكلة العربية ــ الاسرائيلية » . ويعلق فرانك جاردنر ، محرر الشؤون الخارجية في مجلة أويل اند غاز جورنال ــ عدد ٢٨ اغسطس ١٩٧٢ ، ص ٣٥ ــ على هذا التصريح بقوله : « انه يجب على الولايات المتحدة ان تعالج مواقفها وسياستها مستقبلا بوضع عين على المشكلة العربية الاسرائيلية ووضع العين الاخرى على أزمة الطاقة المحتملة » .

ومن مظاهر الاهتمام الامريكي بأزمة الطاقة المستقبلة وعلاقة الشرق الاوسط بها انه بعد الرسميين الامريكيين ، وعلى رأسهم نيكسون ، فان البرلمانيين بدأوا يهتمون بالمشكلة وكشاهد على ذلك الجولة التي قام بها في الخليج العربي السناتور جاكسون الذي يبشر بالتقارب بين ايران والسعودية **لتأمين السلام في هذه المنطقة وتأمين التدفق العادي للنفط الموجه نحو أمريكا .**

وأزمة الطاقة المقبلة في أمريكا لا تتعلق فقط بامدادات النفط الخام ولكنها تشمل كذلك امدادات الغاز الطبيعي . والغاز الطبيعي يحتل مركزا مرموقا بين مصادر الطاقة في امريكا اذ أنه يغطي حوالي ثلث امدادات الطاقة أو ما مقداره ٢٢ تريليون قدم مكعب في السنة (بينما يساهم النفط الخام بنسبة ٤٤ ٪ من مجموع استهلاكات الطاقة) . وقد أظهر الغاز الطبيعي انه يتمتع الى حد بعيد بأعظم معدل نمو بين جميع انواع الطاقة في الولايات المتحدة وقد زاد الطلب في مدى السنوات العشرين الاخيرة بمعدل يزيد على ٦ ٪ في السنة ، أي بنسبة الضعف تقريبا من مجمل النمو في استهلاك الطاقة . وأمام هذا النمو المطرد في الطلب على الغاز فان الخبراء الامريكيين يؤكدون ان الولايات المتحدة ستحتاج في مستقبل قريب الى استيراد جزء كبير من احتياجاتها للغاز من الخارج . ويبين تقرير وضعته لجنة الطاقة الاتحادية انه بحلول عام ١٩٧٥ فانه لن يكون من الممكن محليا توفير سوى ٨٦ ٪ فقط من مجموع الاحتياجات للغاز التي ستصل حينذاك الى ٢٨،٥ تريليون قدم مكعب ، ولا بد ان يستورد الباقي من مصادر خارجية(١٢). ويقدر مكتب الغاز الطبيعي التابع للجنة الطاقة الاتحادية في تقرير نشر في بداية شهر مارس ١٩٧٢ (نشرة بتروليوم انتليجنس ويكلي ، ٦ مارس ١٩٧٢) بأن النقص المقدر في احتياجات أمريكا للغاز الطبيعي عام ١٩٨٠ سيبلغ حوالي (٩) تريليون قدم مكعبة عندما يصل مجموع الطلب الى ٣٤،٥ تريليون قدم مكعبة . اما في عام ١٩٩٠ فيقدر المكتب المذكور بأن ٤٠ ٪ من احتياجات الغاز الطبيعي سيتم تأمينها من الواردات الخارجية لان النقص حينذاك في امدادات الغاز الطبيعي سيبلغ حوالي ١٧ تريليون حيث يصل الطلب الى ٤٦،٤ تريليون قدم مكعبة .

فالولايات المتحدة ستضطر اذن ابتداء من عام ١٩٧٥ الى استيراد كميات كبيرة من

الغاز الطبيعي ، وهذا ما جعل بعض الشركات النفطية الامريكية تذهب الى حد ابرام صفقة مع الاتحاد السوفياتي للمساهمة في استثمار حقول الغاز في الاتحاد السوفياتي لاستيراد كميات منه لسد احتياجات الولايات المتحدة . ولكن من الواضح ان الغاز السوفياتي لن يكون الا جزءا محدودا من واردات الغاز من الخارج ، سواء من حيث كمياته المحدودة أو تكلفة انتاجه العالية أو من حيث الاعتبارات الاستراتيجية التي تمنع الولايات المتحدة من الاعتماد الكلي على وارداتها من الغاز من الاتحاد السوفياتي ، ولذا فان العالم العربي الذي يحتوي على احتياطيات ضخمة من الغاز الطبيعي ، تعادل حوالي نصف الاحتياطي العالمي منه كما سبق أن بينا ، سيكون المصدر الرئيسي لواردات الغاز المقبلة الى الولايات المتحدة . وكل ذلك يدعم أهمية العالم العربي كمصدر لامدادات الطاقة المقبلة للولايات المتحدة .

كل ما تقدم يبين القيمة الكبيرة التي يمثلها النفط والغاز العربي بالنسبة للولايات المتحدة من أجل تأمين احتياجاتها من الطاقة التي لا يحتاج المرء الى بيان أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية وارتباطها الوثيق باعتبارات الامن القومي الامريكي . وهذه الاهمية تبرز بشكل أكبر اذا ما أخذنا بعين الاعتبار الابعاد العالمية للامن القومي الامريكي ، من الناحيتين الاقتصادية والسياسية ، فان الولايات المتحدة تعتبر نفسها في مركز قيادي بالنسبة لمجموع العالم الغربي ، وبما ان النفط العربي يشكل المصدر الاساسي لتأمين امدادات الطاقة لمختلف بلدان العالم الغربي ، ولا سيما بلدان أوروبا الغربية واليابان ، فان مقتضيات الامن الامريكي حسب هذه النظرة تفرض على الولايات المتحدة العمل على توفير تدفق النفط العربي لتلك البلدان الحليفة بالاضافة الى ضمان تدفقه على الولايات المتحدة نفسها . **فالنفط العربي لا يمثل اذن بالنسبة للولايات المتحدة وحليفاتها مجرد مادة تجارية عادية وانما ترتبط به اعتبارات استراتيجية وسياسية هامة لمجموع العالم الغربي .**

هذه النظرة تتجلى في كثير من تصريحات المسؤولين الامريكيين . وقد رأينا نموذجا لها في تصريحات جيمس ايكنز وجون ايروين المشار اليهما أعلاه . وقد عبر عن مثل هذه النظرة وبمزيد من الصراحة بعض المسؤولين الامريكيين الآخرين الذين كشفوا عن الاهمية السياسية والاستراتيجية الكبرى التي تمثلها الشركات النفطية ونشاطاتها في الخارج ، والانطباق التام بين مصالح الشركات والمصلحة العليا أو الوطنية لامريكا .

ومن أمثلة ذلك تصريح أدلى به المستر ربوتوم ، الذي كان نائبا لوزير الخارجية الامريكي للعلاقات بين الدول الامريكية ، حيث ذكر « **بأن أية سياسة (ينتهجها بلد منتج) مخالفة لمصالح شركة بترولية أمريكية هي اوتوماتيكيا مخالفة لمصلحة الولايات المتحدة ، اي مخالفة للمصلحة الوطنية** »(١٣) .

وقد علق جون بكلي ، أحد محرري نشرة بتروليوم انتليجنس ويكلي النفطية الامريكية ، في جريدة نيويورك تايمز بتاريخ ١٩٦٧/١٢/١٣ — على خطوة شركة ايران الفرنسية بابرام اتفاقية بترولية مع العراق بشأن التنقيب عن النفط واستغلاله في بعض المناطق التي انتزعتها الحكومة العراقية من الشركات العاملة هناك بموجب القرار المشهور رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ وما يعنيه ذلك من دعم للاجراء العراقي وتشجيعه كسابقة لانتزاع المصالح البترولية الغربية في المنطقة — علق على هذه الخطوة بقوله : « **ان الولايات المتحدة هي الآن في خطر فقدان سيطرتها على النفط العربي وهي السيطرة التي وضعت الامة الامريكية في مركز دولي قوي جدا** » .

وقد عبر عن مثل ذلك وبدقة أحد الباحثين اذ قال «ان المصالح النفطية الامريكية في العالم

العربي تشكل اضافة هائلة الى وزن الولايات المتحدة الاستراتيجي في ميزان القوى العالمية وتأكيدا لمركزها القيادي في العالم الرأسمالي »(١٤).

هذه بعض الحقائق حول أهمية النفط العربي في صناعة النفط العالمية وحول الاهمية الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية التي يمثلها بالنسبة لامريكا وحليفاتها في العالم الغربي .

الا أن هنالك مسألة اخرى لا بد من ايضاحها حتى نستكمل الصورة التي نرسمها لوضع النفط العربي ، ونعني بذلك أسلوب وكيفية استثمار النفط العربي في الوقت الحاضر ومن يتولى هذا الاستغلال ، وذلك نظرا لتأثير هذه المسألة على طريقة استخدام سلاح النفط ومدى الحرية في هذا الاستخدام ومقدار فعاليته .

أسلوب استثمار النفط العربي وسيطرة الشركات الاجنبية عليه

هذه الثروة النفطية العربية ، التي اوردنا لمحة عن حجمها وقيمتها ومدى أهميتها ، كيف يجري استثمارها وهل يتم بواسطة أصحابها العرب وتحت سيطرتهم ورقابتهم الحقيقية؟ هل للبلدان العربية المنتجة ، طبقا لترتيبات الاستثمار الحالية ، امكانية توجيه استثمار هذه الثروات حسب مقتضيات المصلحة الوطنية ؟

ان من المعروف أن شركات البترول العالمية الكبرى ، ومعظمها أمريكي ، هي التي تسيطر على استثمار النفط في البلاد العربية المنتجة بموجب امتيازات حصلت عليها حيثما كانت هذه البلدان المنتجة ضعيفة وواقعة تحت السيطرة أو النفوذ الاستعماري . وهذه الامتيازات تعطي للشركات البترولية الاجنبية سلطات شبه مطلقة على استثمار النفط العربي ، فهي التي تتولى تحديد مقادير المبالغ المستثمرة وتوزيعها على مختلف فروع الصناعة ، وهي التي تتولى تحديد مقدار الانتاج النفطي وتحديد أسعاره (ولم يتقرر مبدأ تحديد الاسعار المعلنة للنفط بالاتفاق المشترك بين البلد المنتج والشركات العاملة الا بموجب اتفاقية طهران في شهر مارس ١٩٧١) ، وهي التي تقوم بتصديره بواسطة شركات متفرعة عنها الى مختلف مصادر الاستهلاك حسب خطط عالمية تضعها ، وهي التي تتولى عمليات نقله بواسطة ناقلات تملكها اما بنفسها أو بواسطة شركات متفرعة عنها أو بناقلات تستأجرها لآماد طويلة .

والشركات صاحبة الامتيازات هي شركات مؤسسة في دول أجنبية وبموجب قوانين تلك الدول وتحمل جنسيتها ولا تتخذ مقرها الرسمي في الدول العربية، وهي ليست الا أدوات لانتاج النفط الخام لصالح الشركات الام المالكة لها وتصديره للخارج فهي لا تعتبر نفسها ملزمة بأن تكرر أو تصنع في البلاد المنتجة أي جزء من انتاجها من النفط الخام والغاز او تقيم الصناعات البتروكيماوية وغيرها من الصناعات المرتبطة بالنفط والغاز . وهي لا تعيد ترحيل معظم حاصلات بيع النفط من العملات الاجنبية الى البلدان المنتجة بل تحتفظ بها وتستثمرها في الخارج ، ولا تعيد استثمار أي جزء من أرباحها في البلدان المنتجة . كما انها تعتمد على أسواق خارجية للتزود باحتياجاتها من المعدات والآلات والتجهيزات . وتبعا لكل ذلك فقد حصلت في البلدان المنتجة ظاهرة الانعزال التام بين صناعة النفط التي تسيطر عليها الشركات الاجنبية وبين باقي قطاعات الاقتصاد الوطني وحرم هذا الاقتصاد من الفوائد الضخمة التي كان لا بد أن يجنيها لو نشأت في أرضه صناعة نفطية متكاملة تكون مرتبطة بالاقتصاد الوطني ومندمجة فيه ويجري استثمارها ضمن اطار خطة شاملة للتنمية الاقتصادية الوطنية .

وشركات الامتياز لا تخضع لقوانين البلاد المنتجة ولا سيما الضرائبية منها ، وكانت تدفع في البداية مجرد مبلغ مقطوع عن كل طن من النفط لا يتجاوز ما يعادل ٢٢ سنت امريكي عن كل برميل ثم وافقت على تطبيق قاعدة مناصفة الارباح في بداية الخمسينات وبقيت

هذه القاعدة سارية حتى تم رفع حصة البلد المنتج الى ٥٥ ٪ من الارباح الصافية ، حسب اتفاقية طهران ١٩٧١ . والشركات لا تخضع للمحاكم الوطنية بل تتمسك بالتحكيم الدولي أسلوبا لفض منازعاتها مع البلد المنتج . وحكومات البلدان المنتجة ليست لها مشاركة في رأسمال الشركات ولا مشاركة فعلية في مجالس ادارتها وليست لها سلطة حقيقية في الرقابة الفنية على المشروع وتوجيهه كما ان المواطنين لا يشغلون الا في النادر المناصب الادارية والفنية الهامة فيها . وتكتفي حكومات البلدان المنتجة بدور جابي الضرائب في نهاية العام ، وقد أصبح النفط يشكل الجزء الاعظم من صادرات هذه البلدان وأصبحت تعتمد اعتمادا شبه كلي على دخل النفط الذي تقدمه لها الشركات الاجنبية . فنشأ بذلك في هذه البلدان نوع من التبعية الاقتصادية للاحتكارات النفطية وللدول التي تنتمي اليها .

وبالطبع فليس مما يذكر ان هذه الامتيازات النفطية قد أصابها بعض التطور خلال السنوات الطويلة التي سيطرت فيها على استغلال النفط العربي . الا أنه بالاضافة الى التعديلات في البنود المالية التي أدت الى رفع دخل البلد المنتج من مبلغ ضئيل مقطوع عن كل طن من النفط حسب الامتيازات الاصلية الى ٥٥ ٪ من الارباح حسب اتفاقية طهران لعام ١٩٧١ ، مع تطبيق قاعدة تنفيق الريع(١٥)، فان التعديلات الاخرى لا تتعدى تضييق المساحات المشمولة بالامتياز والتخلي عن أجزاء من هذه المساحات الشاسعة والاتفاق بموجب اتفاقية طهران ، على أن لا تعدل الاسعار المعلنة الا باتفاق الطرفين ، حكومة البلد المنتج والشركة ، بعد أن كانت هذه الاسعار تحدد وتعدل بمعرفة الشركات وحدها. ويتضح من ذلك أن التطور الذي أصاب هذه الامتيازات لم يكن تطورا جذريا ولم يمس جوهر الامتيازات نفسه وان صورة الامتيازات الكلاسيكية بمساوئها المعروفة والتي اشرنا اليها أعلاه ما زالت باقية على حالها . وفي اعتقادنا ان اتفاقية المشاركة التي أبرمت في المدة الاخيرة (من حيث المبدأ في شهر اكتوبر ١٩٧٢) بين الشركات النفطية وبعض بلدان الخليج والتي تتيح لهذه البلدان اكتساب حصة في رأسمال هذه الشركات تبدأ بنسبة ٢٥ ٪ عام ١٩٧٣ (ثم ترتفع بالتدريج حتى تصل الى ٥١ ٪ عام ١٩٨٣) — هذه الاتفاقية لا تمثل في الوقت الحاضر تغييرا جذريا كافيا لصورة الامتيازات الكلاسيكية بمساوئها المعروفة نظرا لان نسبة المشاركة الضئيلة التي ستحصل عليها الحكومات لا سيما في البداية لن تحقق لنا السيطرة الحقيقية والرقابة الفعالة على استثمار ثرواتنا النفطية وتبقى الشركات هي المسيطرة الحقيقية على هذا الاستثمار كما في ظل الامتيازات الاصلية . وسنعود لهذه المسألة فيما بعد .

ومما لا شك فيه ان الوضع الحالي لاستثمار النفط العربي يتميز بوجود بعض العقود والاتفاقيات النفطية التي أبرمت في السنوات الاخيرة ، مثل بعض اتفاقيات المشاركة وعقود المقاولة ، والتي تتجلى فيها كثير من الجوانب الايجابية وتمثل تقدما كبيرا بالنسبة لاتفاقيات الامتياز الكلاسيكية لا سيما من حيث تحقيق قدر من سيادة الدولة وسيطرتها على استثمار ثرواتها النفطية ، كما ان هنالك بعض حالات الاستثمار المباشر في عدد من بلداننا . ولكن علينا أن لا ننسى ان هذه العقود الاخيرة الجيدة نسبيا ومجالات الاستثمار المباشر لا تغطي في الوقت الحاضر سوى جزء هامشي صغير من مجموع النفط العربي . فامتيازات الشركات الاحتكارية الكبرى ما تزال تسيطر على حوالي ٩٠ ٪ من انتاج النفط العربي بينما لا تشمل العقود والاتفاقيات الاخيرة ومجالات الاستثمار المباشر الا حوالي ١٠ ٪ من مجموع انتاج النفط العربي ، حسب احصائيات عام ١٩٧١ .

والشركات الامريكية تملك ٦٢ ٪ من الامتيازات النفطية في الوطن العربي سواء في منطقة الخليج العربي او في شمال افريقيا بمعنى انها تسيطر على ٦٢ ٪ من الاحتياطي النفطي العربي حسب تقديره في نهاية عام ١٩٧١ (ولسنا نعني بذلك انهـا تملك قانونا هذه

الاحتياطيات الكائنة في باطن الارض اذ هي قانونا ملك للدولة ولكننا نعني سيطرتها الفعلية عليها حاليا بموجب امتيازاتها بحيث تستطيع ان تستخرج منها الانتاج اللازم لها حسب تقديرها واحتياجاتها وخططها) . وكانت حصة الشركات الامريكية في الانتاج الفعلي للنفط العربي عام ١٩٧١ حوالي ٥٨ ٪ . بينما تسيطر المصالح البريطانية على حوالي ٥،٢ ٪ من احتياطي النفط العربي (وكانت حصتها في انتاج عام ١٩٧١ حوالي ١٦،٤ ٪) . وتسيطر المصالح الفرنسية على حوالي ٥،٣ ٪ من احتياطي النفط العربي، حسب تقديرات نهاية عام ١٩٧١ ، وكانت حصتها في انتاج عام ١٩٧١ حوالي ٥،٨ ٪ (ومن الملاحظ ان حصة الشركات الفرنسية قد انخفضت على اثر تأميمات الجزائر في شهر فبراير ١٩٧١) . كما تسيطر المصالح اليابانية على حوالي ٤،٥ ٪ من احتياطي النفط العربي وعلى حوالي ٢،٣ ٪ من انتاج النفط العربي حسب احصائيات عام ١٩٧١. وتسيطر المصالح الهولندية (عن طريق ملكيتها لستين في المائة من رأسمال شركة شل) على ٢،٩ ٪ من احتياطي النفط العربي وكانت حصتها من انتاج النفط العربي لعام ١٩٧١ حوالي ٣،٣ ٪ .

وطبقا لهذه التقديرات فان المصالح الاجنبية تسيطر على ٨٩،٨ ٪ من احتياطي النفط العربي حسب تقديرات عام ١٩٧١ ، وكانت تنتج، عام ١٩٧١ ٨٥،٨ ٪ من مجموع انتاج النفط العربي .

هذه اللمحة عن وضع استثمار النفط العربي والمصالح الاجنبية التي تسيطر على استغلاله وتتخذ القرارات الرئيسية بشأنه وتجني من ورائه الارباح الطائلة — تكمل الصورة التي لا بد أن تكون حاضرة في الذهن عن وضع النفط العربي قبل أن نتكلم عن استخدامه كسلاح في معاركنا ضد الصهيونية والامبريالية .

كيف يمكن استخدام سلاح النفط

لا بد من الاشارة أولا الى أن بعض الاجراءات أو التدابير قد سبق اللجوء اليها في الماضي، ولا سيما في بعض الازمات والاحداث الكبرى التي تعرضت لها منطقتنا ، وذلك كمحاولة لاستخدام النفط كسلاح في مواجهاتنا مع الصهيونية والامبريالية . ولكن من المعروف ان هذه الاجراءات السابقة لم تؤد أيا من الاهداف المطلوبة منها فهي لم تحمل الاعداء على تغيير مواقفهم وهي لم تلحق بهم الاضرار الفادحة التي كان من المأمول أن تحدثها كما أنها لم تكن لنا عامل قوة ومنعة في معاركنا المتواصلة . ويبدو لنا من المناسب أن نستعرض هذه الاجراءات ، مبينين سبب عدم فاعليتها وسبب اخفاقها في احداث أي من الآثار المطلوبة أو اقتصارها على احداث آثار محدودة جدا ، والثغرات التي لازمتها ، وذلك حتى نستخلص العبرة والدروس بالنسبة لما يجب ان نقدم عليه في المستقبل ، تمهيدا للحديث عن الاسلوب الذي يبدو لنا أنه الاسلوب الفعال الحاسم لاستخدام النفط سلاحا في معاركنا .

والخاصية المشتركة للاجراءات التي سبق ان اتخذت في هذا المجال هي أنها كانت اما اجراءات موقتة أي طبقت خلال فترة زمنية محدودة ثم سحبت أو تم التراجع عنها ، واما انها كانت ذات آثار جزئية محدودة الفاعلية لا تتناسب مع أهمية سلاح النفط ولا مع جسامة وخطورة المعارك المصيرية التي نواجهها ، مما حدث عنه رد فعل عكسي خطير لدى الرأي العام العربي تجلى في هذا الشك الكبير حول امكانية استخدام النفط كسلاح بأي شكل من الاشكال وحول جدوى هذا السلاح ، وهو الذي غذته المصالح الاستعمارية الامبريالية كجزء من الحملة النفسية المركزة الموجهة للعالم العربي لتشكيكه في طاقاته وامكانياته وقتل روح الكفاح فيه .

اجراءات جزئية أو مؤقتة

ويندرج ضمن هذه الاجراءات الجزئية أو الموقتة : قطع النفط العربي عن اسرائيل ومنعه عنها منذ نشأتها واجبار الشركات البترولية العاملة في العالــم العربي على مقاطعة اسرائيل وعدم انشاء أية رابطة معها ، تعطيل الضخ في شبكة أنابيب خطوط شركة نفط العراق المارة عبر سوريا وذلك على اثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، ايقاف عمليات تصدير النفط العربي من الموانىء العربية على اثر عدوان ١٩٦٧ ثم استبداله بفرض حظر على تصدير النفط العربي خلال بضعة اسابيع الى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا . ومن بين الاجراءات الجزئية غير المباشرة التي يمكن الاشارة اليها بهـذا الصدد الدعم المالي الذي تقرر بموجب مؤتمر الخرطوم عــام ١٩٦٧ أن تقدمه كل من الكويت والسعودية وليبيا الى كل من مصر والاردن . وسنستعرض فيما يلي أهم هذه الاجراءات ، وهو اجراء منع النفط عن الدول الغربية المعادية ، ثم نشير الى عدد من الاجراءات الجزئية الاخرى، وذلك بعد أن نقول كلمة حول منع النفط العربي عن اسرائيل وحلول النفط الايراني مكانه .

منع النفط العربي عن اسرائيل

من المعروف انه على اثر قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ بادرت العراق بوقف ضخ النفط في خط أنابيب شركة نفط العراق الذي كان ينقل النفط من العراق الى حيفــا في فلسطين المحتلة ، كما ان كافة الدول العربية المنتجة للنفط قد منعت النفط العربي من الوصول الى اسرائيل وفرضت على الشركات البترولية العاملة فيها عدم ايصال أية قطرة من النفط العربي الى اسرائيل وعدم التعامل معها بأي شكل من الاشكال . وقد طبق هذا المنع منذ ذلك الحين تطبيقا صارما . ولكن من الواضح ان هذا الاجراء هو أقل اجراء ممكن اللجوء اليه في هذا المجال . وهو يندرج على كل حال ضمن اطار مبدأ مقاطعة اسرائيل .

وكنتيجة لانقطاع النفط العراقي عن الوصول الى اسرائيل من خط أنابيب شركة نفط العراق وحظر تصدير النفط العربي اليها حظرا كاملا فان اسرائيل قد واجهت في بداية نشأتها صعوبة كبيرة في تأمين احتياجاتها من النفط الخام وتحملت عبئا كبيرا باضطرارها الى استيراد هذه الكميات من نصف الكرة الغربي بما في ذلك من تكاليف باهظة عليهــا نظرا لان النفط العربي منع من الوصول اليها ولم تكن حينذاك تستطيع استيراد النفط الايراني اذ أن السلطات المصرية كانت تمنع الناقلات المتوجهة الى اسرائيل من المرور في قناة السويس كما لم تكن اسرائيل تستطيع ايصال هذه الشحنات الى ايلات ولم يكن خط أنابيب النفط الواصل بين ايلات وحيفا قد تم انشاؤه بعد . ولذا فقد وجدت اسرائيل نفسها مضطرة لاستيراد نفطها من فنزويلا ومنطقة البحر الكاريبي . وقد كانت أسعار النفط هناك أعلى منها في الشرق الاوسط بشكل ملموس كما ان أجور النقل باهظة . وقد استوردت اسرائيل جزءا من احتياجاتها النفطية خلال فترة قصيرة سبقت عام ١٩٥٧ من الاتحاد السوفياتي ورومانيا الا أن هذين البلدين قطعا نفطهما عــن اسرائيل استنكارا منهما لاشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر . ولذا فان اسرائيل وجدت نفسها مضطرة للعودة الى استيراد كافة احتياجاتها من ذلك المصدر البعيد الباهظ التكاليف ـــ فنزويلا .

وهنا دخلت ايران في الصورة وجاءت لتخفف عن اسرائيل من عبء استيراد نفطها من فنزويلا وتهيىء لها مصدرا قريبا رخيصا وبتكاليف شحــن بسيطة ـــ هذا المصدر هو البترول الايراني . فقد وافقت ايران منذ عام ١٩٥٧ على أن تصدر النفط لاسرائيل وقامت اسرائيل على أثر ذلك (في عام ١٩٥٧) بانشاء خط الانابيب الواصل بين ايلات وبئر السبع ثم بعد ذلك الى اسدود وحيفا وقامتباستيراد النفط الخام الىايلات من أندونيسيا أولا ثم بكميات كبيرة من ايران التي أصبحت ، منذ منتصف عام ١٩٦٠ عندما انتهى انشاء

خط الانابيب الواصل بين ايلات وحيفا ، المصدر الرئيسي للنفط القادم الى اسرائيل سواء لاستهلاكها المحلي أو لاعادة التصدير كنفط خام أو كمنتجات مكررة مع تحقيق ارباح اضافية من وراء ذلك . والحقيقة ان اسرائيل قررت بناء خط الانابيب الواصل بين ايلات وحيفا اعتمادا منها على النفط الايراني الذي ينقل في خط الانابيب الى حيفا فتعيد اسرائيل تصدير جزء منه على شكل نفط خام محققة بذلك الارباح نتيجة فروق الاسعار بين النفط واصلا ايلات وبين سعره المرتفع على شاطيء البحر الابيض المتوسط . واما الجزء الاخر من هذا النفط فانه يذهب لمصفاة حيفا لتكريره ويخصص الجزء الاكبر من المنتجات المكررة للاستهلاك المحلي الا أن جزءا من المنتجات يتم تصديره كذلك مع تحقيق أرباح من وراء ذلك . ولا تزال ايران منذ عام ١٩٦٠ الى الان هي المصدر شبه الوحيد للنفط الوارد الى اسرائيل(١٦) .

ضرورة العمل على منع النفط الايراني عن اسرائيل

لقد حققت اسرائيل فوائد كبيرة من استيراد النفط الايراني بدلا من استيراده من المصادر البديلة البعيدة مثل فنزويلا التي كانت اسرائيل تستورد منها احتياجاتها قبل سماح ايران بوصول نفطها الى اسرائيل . ومن أهم الفوائد التي حققتها اسرائيل من استيراد النفط الايراني تحقيق وفر مالي كبير نتيجة الفرق في الاسعار بين النفط الايراني والنفط الفنزويلي والفرق الكبير في أجور الشحن نظرا لان ايران أقرب بكثير الى اسرائيل من فنزويلا وقد قدر هذا الوفر عام ١٩٦٧ وحده بحوالي ٢٢ مليون دولار(١٧) . وضمان استيراد النفط الايراني هو الذي مكن اسرائيل من بناء خط انابيب ايلات ــ حيفا وتشغيله مع ما يعود على الاقتصاد الاسرائيلي من آثار كبيرة ومع ما استتبعه هذا الخط من تعمير ميناء ايلات وتوسيعه والمساهمة في تعمير المناطق التي يمر بها الخط . كما ان النفط الايراني الذي تثق اسرائيل في ضمان استمرار وروده اليها هو الذي شجعها وحفزها على انشاء خط الانابيب الذي يصل بين ايلات وعسقلان والموجه للتصدير ، وقد حققت اسرائيل من ورائه مكاسب سياسية واقتصادية كبيرة ولولا السماح للنفط الايراني بالورود الى اسرائيل لما أمكن لها اطلاقا ان تفكر في انشاء مثل هذا الخط اذ بدون البترول الايراني ــ طالما ان قطرة واحدة من النفط العربي لن يصل الى ايلات ــ فان التفكير في انجاز مثل هذا المشروع كان أمرا مستحيلا . والنفط الايراني هو الذي مكن اسرائيل من بناء طاقة تكريرية كبيرة تتزايد باستمرار وتتجه في جزء منها نحو التصدير ، وهو الذي مكنها من انشاء اسطول كبير من ناقلات النفط يعمل جزء منها في نقل النفط الايراني الى ايلات وفي نقل كميات النفط والمنتجات المكررة المصدرة للخارج .

هذه الفوائد الضخمة التي حققتها اسرائيل وما تزال تحققها من وراء استيراد النفط الايراني تبين خطورة الموضوع وتدعو العالم العربي لان يوليه ما يستحقه من اهتمام وان يبذل كافة الجهود ويمارس مختلف أنواع الضغوط ووسائل الترغيب والترهيب لكي يحمل ايران على ايقاف صادرات بترولها الى اسرائيل .

وينبغي كذلك أن نتوجه للشعب الايراني لنطلعه على الحقائق . فنحن نعتقد ان الشعب الايراني لو علم بحقيقة الوضع وابعاده وكون شركته الوطنية نفسها تقدم النفط للعدو الاسرائيلي وتقدم له معه كافة هذه المنافع الضخمة فانه لن يسكت على استمرار تدفق بتروله الى اسرائيل ولو اننا تمكنا من ايقاف صادرات النفط الايراني الى اسرائيل فان اسرائيل تتلقى بذلك ضربة قوية تسبب لها اضرارا فادحة وتلحق الأذى بمختلف جوانب اقتصادها وتشل خطوط أنابيبها وتثير الارتباك في كثير من مخططاتها ومشاريعها .

قطع النفط أو حجبه عن الدول المعادية لنا المساندة لاسرائيل

من اهم الاجراءات التي دعا مرارا الى اتخاذها بعض المسؤولين والخبراء العرب من

أجل استخدام النفط كسلاح في المعركة ضد أعدائنا — قطع النفط العربي أو حجبه عن الدول المعادية لنا والحليفة لاسرائيل . ولا يزال بعض الخبراء يرى ان هذا الاجراء هو أكثر الاجراءات فاعلية وأبلغها أثرا(١٨). فما هو الهدف أو الغرض الحقيقي من هذا الاجراء والنتائج المتوخى تحقيقها من تطبيقه في نظر أنصاره والمنادين به ؟

ان الهدف هو الحاق الضرر البالغ بالدول المعادية وذلك بحرمانها من نفطنا الذي تستورده والذي هو ضروري جدا لصناعاتها ولمختلف جوانب نشاطها الاقتصادي ، وخلق مجاعة بترولية فيها تكون ذات نتائج خطيرة على اقتصادها أو على الاقل الحاق ضرر مادي كبير بها ، مما قد يحملها على تغيير مواقفها المعادية لنا واتخاذ مواقف أكثر اعتدالا وانصافا(١٩) .

ومن المعروف ان هذا الاجراء قد لجأت اليه البلدان العربية المنتجة في أعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وقد قامت بعض البلدان المنتجة (العراق وليبيا) بتعطيل ضخ النفط ومنع تصديره كلية من موانئها خلال فترة قصيرة تلت العدوان ثم عدلت عن ذلك وانضمت الى باقي البلدان العربية المنتجة في فرض الحظر على تصدير النفط الى كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا . وقد دام هذا الحظر بضعة أسابيع ثم عاد بترولنا يتدفق الى جميع الاسواق دون استثناء .

فماذا كانت نتيجة هذا الاجراء ؟ وهل أدى الاثر المطلوب منه كعامل ضغط على الدول المعادية لالحاق الضرر بها أو اضعاف مقدرتها على العدوان او حملها على تغيير مواقفها منا ؟ واذا لم يكن قد أدى هذا الاثر المطلوب وكانت نتائجه محدودة فما سبب ذلك ، وهل يمكن تلافي الثغرات ونقاط الضعف فيه وجعله أكثر فعالية ؟ وهل من المستحسن أو من المفيد العودة الى اللجوء اليه في الحال او فيما لو استؤنف القتال بيننا وبين اسرائيل ؟

مما لا شك فيه ان اجراء قطع النفط العربي عن الدول المعادية عام ١٩٦٧ قد الحق ضررا ماديا لا يستهان به بكل من الولايات المتحدة وبريطانيا . فالولايات المتحدة ، كما سبق أن بينا ، لا تعتمد على النفط العربي ، حتى الآن ، لسد احتياجات استهلاكها المحلي ، الا ضمن حدود ضعيفة جدا . ولكن القوات الامريكية فيما وراء البحار ، لا سيما في فيتنام وبالنسبة لاحتياجات الاسطولين السادس والسابع ، تعتمد اعتمادا كبيرا على مصادر النفط العربي في منطقة الخليج العربي حيث تأخذ النفط اما على شكل نفط خام تكرره خارج المنطقة أو على شكل مواد بترولية مكررة ، وهي تحصل على هذه المواد البترولية بأسعار مخفضة ، ولذا فان قطع امدادات النفط العربي عن هذه القوات قد الحق بها ضررا ماديا كبيرا من جراء اضطرارها لتأمين هذه الامدادات من مصادر أخرى بعيدة أسعارها أعلى وتكاليف الشحن منها أكثر ارتفاعا لا سيما نظرا لضرورة استخدام عدد اكبر من الناقلات لنقل هذه الاحتياجات من مصادر أبعد . وحسب تقرير امريكي رسمي نشر في أعقاب العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ فان وزارة الدفاع الامريكية قد قدرت النفقات الاضافية التي تعتقد انها ستتكبدها زيادة على ما تصرفه حاليا لتأمين المنتجات البترولية اللازمة للقوات الامريكية اذا ما انقطع ما تأخذه من الشرق الاوسط بما مجموعه (٢١) مليون دولار شهريا . اما بريطانيا فانها تعتمد على النفط العربي اعتمادا كبيرا لسد احتياجات استهلاكها المحلي اذ تبلغ نسبة واردات النفط العربي اليها حوالي ٧٠ ٪ من مجموع وارداتها البترولية . ولا شك ان لجوءها الى مصادر أخرى سيضع على عاتقها عبئا ماليا اضافيا كبيرا ويؤثر على ميزان مدفوعاتها لا سيما وانها ستضطر الى دفع اثمان جزء كبير من البترول البديل بالدولار بينما هي تدفع ثمن النفط العربي بالجنيه الاسترليني لان شركاتها البترولية هي التي تنتج هذا البترول وتصدره للبلد الام .

ولقد قيل في انتقاد هذا الاجراء — اجراء منع النفط العربي عن الدول المعادية — حينما

كان ما يزال مطبقا ومن أجل تبرير ايقافه ــ قيل بأن الدول العربية المنتجة قد تضررت من جراء ذلك أكثر مما تضررت البلدان المعادية التي تمت مقاطعتها أو ان خسارتها كانت أكبر ، وهذا غير صحيح . ان مما لا شك فيه ان قطع البترول العربي عن الدول المعادية قد قلل من صادرات كل بلد عربي منتج بنسبة تتفاوت من بلد لآخر حسب الكميات التي كان يصدرها لتلك البلدان المعادية وأنقص بالتالي مؤقتا من دخل البلدان العربية المنتجة. ولكننا لا نستطيع ان نتكلم هنا عن « خسارة » حقيقية تصيبنا ، فكل الذي حصل ان صادرات نفطنا قلت خلال فترة المقاطعة وبقيت الكميات التي كانت ستصدر مخزونة في باطن الارض العربية الى أن يحين وقت تصديرها . واذا كان دخل الدول المنتجة قد انخفض بنسبة انخفاض الانتاج والتصدير فقد كان من الممكن مجابهة ذلك بشيء من التقشف والاستغناء عن المصاريف الكمالية بل انه كان لا بأس في سبيل الهدف النبيل الذي من أجله قطع النفط ، لو ثبتت جدوى وفعالية الاجراء ، أن يتم تأجيل بعض مشاريع التنمية العربية فمثل ذلك يكون قدرا معقولا من التضحية في سبيل قضية اكبر .

ولذا فاننا لا نوافق على هذا النقد الذي وجه لاجراء منع النفط ، ولكن لنا عليه مأخذا آخر أهم ، وهو انه كان محدود الفعالية : فاذا كان قد أحدث أثره الضار على الدولتين المعاديتين ، أمريكا وبريطانيا ، بتحميلهما خسارة مادية بينا أبعادها فانه لم يفلح في خلق مجاعة نفطية حقيقية لديهما ولم يحملهما على تغيير مواقفهما المعادية . فهل تعتبر هذا الضرر المادي كافيا وفعالا وعلى مستوى المعركة المصيرية التي نواجهها وأهمية سلاح النفط العربي ؟ ان أمريكا قد اعترفت حسب بعض مصادرها الرسمية بأن خسارتها المادية نتيجة قطع النفط العربي كانت مقدرة بحوالي (٢١) مليون دولار شهريا أي ما يبلغ حوالي (٢٥٠) مليون دولار سنويا لو ان اجراء قطع النفط العربي دام سنة كاملة ــ مع أنه لم يدم فعلا الا بضعة اسابيع كما هو معروف . ولكننا نعلم ان الولايات المتحدة تقدم لاسرائيل كل سنة مئات الملايين من الدولارات فهل مما يؤثر عليها تأثيرا فعالا ان تتحمل عبئا اضافيا مؤقتا في سبيل حليفتها وقاعدتها المتقدمة : اسرائيل ــ مقداره (٢١) مليون دولار شهريا او (٢٥٠) مليون دولار سنويا ؟ كما ان انتاج وتصدير النفط كان متواصلا للبلدان الاخرى المستوردة ، وهو الانتاج والتصدير الذي تقوم به الشركات الاجنبية نفسها ، وعلى رأسها الشركات الامريكية والبريطانية ، وتواصل جني الارباح التي تعوضها اضعافا عن أية خسارة مؤقتة وتبقى هذه الارباح تساهم في ميزان مدفوعات البلدين كما سبق أن بينا .

وهذا الاجراء بتطبيقه ضد أمريكا وبريطانيا وحدهما لم يخلق المجاعة النفطية المطلوبة والتي تجعل منه سلاحا فعالا وأسباب فشله في تحقيق ذلك كثيرة منها : انه على محدودية آثاره وفعاليته ، لم ينفذ بدقة وقد حصل في تنفيذه كثير من التلاعب نظرا لان الشركات الامريكية والبريطانية التي تنتمي الى البلدان المعادية التي فرضت عليها المقاطعة ــ هذه الشركات بقيت مستمرة في الانتاج والتصدير فلجأت للتلاعب لصالح بلدانها لا سيما وان لديها فروعا في مختلف البلدان الاوروبية وهي تستطيع أن تنقل النفط من بلد لآخر بسهولة ودون عوائق . وهذا يدلنا على مدى ضعف سلاح النفط في أيدينا حسب الوضع الحالي نتيجة سيطرة الشركات الاجنبية الاحتكارية التابعة للبلدان المعادية على عمليات انتاج نفطنا واستغلاله وتصديره ، وطالما لم تتوفر لنا السيطرة والرقابة الحقيقية والاشراف الفعال على عمليات انتاج نفطنا واستغلاله وتصديره مع امكانيات توجيه هذه النشاطات لتحقيق المصالح العليا لبلادنا . فهل نستطيع استخدام هذا السلاح استخداما حقيقيا فعالا ضد أعدائنا اذا كان هذا السلاح خارجا عن سيطرتنا وواقعا تحت سيطرة شركات أجنبية ينتمي القسم الاكبر منها لاولئك الاعداء أنفسهم ؟

ومما لا شك فيه أن قصر اجراء المنع على بلدين ، هما أمريكا وبريطانيا ، قد سهل

امكانيات التلاعب . والاهم من ذلك ان هذا القصر قد جعل كميات النفط العربي التي تمنع عن هذين البلدين ، حتى لو منعت تماما ، ضئيلة نسبيا . فقد رأينا كيف ان امريكا لم تكن تستورد الا نسبة ضئيلة من احتياجاتها من النفط العربي ، وما كانت تستورده بريطانيا من نفطنا عام ١٩٦٧ عند تطبيق قرار المنع ، لم يكن يزيد عن حوالي ٥٠ مليون طن (حوالي مليون برميل يوميا) بحيث أمكن لهما تأمين هذه الكميات من مصادر أخرى، برغم التكاليف الاضافية التي أشرنا اليها . ومن المعروف ان كل دولة من بلدان اوروبا الغربية تحتفظ الان لنفسها بمخزون لا يقل عن مقدار استهلاك ثلاثة اشهر وفي خلال ذلك تكون قد أمنت وصوله من مصادر أخرى متحملة بالطبع التكاليف الاضافية .

وعلى ذلك فان احدى الثغرات الاساسية في اجراء المنع ، كما طبق عام ١٩٦٧ ، والتي أدت الى أن نتائجه وفعاليته كانت محدودة للغاية هو قصره على بلدين اثنين . ومما لا شك فيه ان فعاليته كانت ستزداد لو اتسع المنع ليشمل بلدانا أخرى : فلو اتسع مثلا ليشمل في اوروبا الغربية ، بالاضافة الى بريطانيا ، كلا من المانيا الغربية ، نظرا للتعويضات الضخمة التي قدمتها لاسرائيل ولمواقفها وتصرفاتها المعادية للقضية العربية، وهولندا ، نظرا لمواقفها المعادية كذلك ، فان كمية النفط العربي المحجوبة عن الدول المعادية كانت ستزيد وكان تأمينها سيتم بصعوبة اكبر . ولكن الكمية الممنوعة كان مع ذلك سيبقى من الممكن للبلدان المقاطعة تأمينها بالتدريج من مصادر أخرى ، بعد أن تستنفد مخزونها ، وذلك بتحمل تكاليف اضافية وببعض الصعوبات ولكن دون مواجهة مجاعة أو أزمة نفطية حادة .

ولو ان المنع الذي طبقته الدول العربية عام ١٩٦٧ اتسع ليشمل أوروبا الغربية بأسرها، بالاضافة الى امريكا ، لكان بكل تأكيد قد أحدث أزمة نفطية حادة لدى الدول الغربية ذلك ان مجموع ما كانت تستورده بلدان أوروبا الغربية حينذاك من النفط العربي كان يقارب ٦ ملايين برميل يوميا ولم يكن من السهل تأمين هذه الكميات بسرعة من المصادر الاخرى ولذا فان فترة أزمة حادة كانت بكل تأكيد ستمر بها هذه البلدان قبل ان تستطيع المصادر الاخرى زيادة انتاجها بشكل تدريجي لتلبية جزء فقط من هذه الاحتياجات . وكانت أزمة نفطية جزئية بقيت سائدة في هذه البلدان لفترات طويلة . كما ان مثل هذا الاجراء كان سيكشف عن عجز امريكا في تلبية الاحتياجات النفطية للعالم الغربي ويبرز مسؤوليتها في وقوع هذه الازمة . ولكن أحد محاذير مثل هذا الاجراء هو أنه كان سيمنع النفط عن بعض البلدان التي لم تكن مواقفها معادية لنا او كانت محايدة أو صديقة مثل فرنسا واسبانيا واليونان ... الخ . ولعله كان من الممكن ، على ضوء ذلك ، منع النفط عن كافة أوروبا الغربية ، باستثناء هذه البلدان المحايدة مع ان ذلك كان سيضعف بعض الشيء من فاعلية تطبيقه نظرا لامكانية تسربه من بلد غير مقاطع لبلد آخر مقاطع لا سيما اذا كانت اجراءات الرقابة غير كافية . كما ان ذلك كان سيضعف من آثار المنع ونتائجه .

ولو ان تصدير النفط العربي أوقف كلية ومنع منعا كاملا ، كما نادى بذلك بعض المسؤولين العرب مثل الرئيس الجزائري هواري بومدين الذي دعا حينذاك الى وقف كافة صادرات النفط العربي سنة كاملة ، لو تم ذلك لكان اجراء المنع قد أحدث كافة آثاره وخلق أزمة نفطية خانقة في العالم لان صادرات النفط العربي كانت حينذاك تقارب عشرة ملايين برميل يوميا ، وهذه الكمية لم يكن من الممكن اطلاقا تأمينها من اية مصادر اخرى غير عربية . ومثل هذه الازمة كانت ستثير ردود فعل عنيفة في العالم ضد الدول المعادية المسؤولة الرئيسية عن وقوعها وتخلق أداة ضغط كبيرة على هذه الدول المعادية قد تحملها على تغيير مواقفها منا . ولكن من الواضح ان الدول العربية المنتجة لم تكن لتقدم بسهولة على هذا الاجراء الذي كان سيحرمها من الدخل البترولي بصفة شبه كاملة

خلال فترة طويلة ، وكان الاقدام على تطبيقه يقتضي انشاء صندوق عربي مشترك تغذيه البلدان المنتجة ذات الارصدة الكبيرة ويتم عن طريقه تقديم العون اللازم والقروض الضرورية للبلدان المنتجة التي لا تتوفر لديها أرصدة كافية . كما ان احد محاذير هذا الاجراء كانت بالطبع هي الحاق الضرر ببعض البلدان الصديقة والمحايدة نتيجة منع النفط عنها ووضع الدول الصديقة والمحايدة على نفس الصعيد مع الدول المعادية ، وهو أمر قد يبدو من غير المرغوب فيه من الناحية السياسية . ولذا فان احدى الصيغ الممكنة، ضمن هذا الاطار من التفكير ، ان يقطع النفط عن كافة الدول باستثناء الدول الصديقة التي يحددها المسؤولون على ضوء المصلحة العربية المشتركة ، مع مراعاة انه كلما زادت قائمة الاستثناءات من المنع كلما ضعفت فاعلية المنع وتهيأت الظروف للتلاعب . **يبدو من كل ما تقدم أن اجراء المنع ، بالطريقة التي طبق بها عام ١٩٦٧ ، كان محدود الفعالية ضعيف الآثار لم يؤد الهدف المطلوب منه . وينبغي أن لا نعود لنفس الاجراء في المستقبل دون استكمال شروط نجاحه . فاذا أريدت العودة اليه فانه ينبغي توسيع دائرته ليشمل أكبر قدر ممكن من البلدان واستمراره لاطول مدة ممكنة حتى يؤدي آثاره المتوخاة . كما انه ينبغي وضع الشركات الاجنبية تحت الحراسة ، كما فعلت الحكومة الجزائرية في أعقاب عدوان ١٩٦٧ ، بالنسبة للشركات الامريكية والبريطانية ، وذلك لضمان فعالية اجراء الحجب ولمنع الشركات من مواصلة قبض الارباح عن النفط الناتج والمصدر للبلدان التي لا تشملها المقاطعة ونقل هذه الارباح للبلدان التي تنتمي اليها .**
(كما ينبغي في نظرنا أن يكمل هذا الاجراء بمقاطعة اقتصادية للبلدان المعادية وبسحب الارصدة العربية منها وهي الارصدة التي مصدرها النفط العربي . حتى يحقق أقصى درجة من الفعالية وأكبر قدر من الضغوط . ولكن هذه مسألة خارجة عن نطاق هذا البحث) .

واجراء منع النفط اذا أريد له ان يكون شاملا على النحو الذي بيناه أعلاه فانه يتطلب أن تقدم عليه جميع البلدان العربية المنتجة وان تقف كلها من ورائه صفا واحدا صلبا ، وهي أمور ليس من السهل تحقيقها في الوقت الحاضر ، كما ان هذا الاجراء سينتج عنه توقف الدخل الرئيسي وشبه الوحيد للبلدان المنتجة ويفرض على شعوب تلك البلدان تضحيات لا يمكن انكارها بل قد يؤدي الى تعطيل بعض برامج التنمية . ولكن تلك الصعوبات يجب أن لا تثنينا عن الدعوة لهذا الاجراء اذا اقتنعنا بجدواه ، وتلك التضحيات واجبة ومطلوبة اذا كانت هنالك نتائج ايجابية مضمونة من المتوقع تحقيقها لصالح القضية العربية . ولكن أحدا لا يستطيع أن يجزم بالنتائج الايجابية الخيرة التي يمكن أن يحققها هذا الاجراء . فمما لا شك فيه ان الحجب الشامل للنفط العربي سيخلق أزمة نفطية خطيرة لدى العالم الغربي، فماذا سيكون رد فعله في مواجهتها ؟ هل سيحمله ذلك على الخضوع لارادتنا والاستجابة المعقولة لحقوقنا المشروعة وتغيير مواقفه منا والضغط على زعيمة العالم الغربي ، الولايات المتحدة ، لتبديل مواقفها العدائية ؟ أم ان ذلك سيثير لديه على العكس موجة عنيفة من العداء ضدنا ويحمله على ممارسة كافة أنواع الضغوط علينا بما في ذلك امكانية القيام بأعمال عدوانية يائسة ضد العالم العربي، واستغلال نقاط الضعف في بلداننا المنتجة والثغرات في جبهتنا العربية لافشال قرار المنع وتفتيت الجبهة العربية كلما طالت فترة تنفيذ القرار وزادت اعباء التقشف المفروضة على حكومات وشعوب البلدان المنتجة ؟

ان تجارب الامة العربية الطويلة الفاشلة في محاولة اجراء الضغط على العالم الغربي ليقوم بتغيير مواقفه والضغط بدوره على امريكا واسرائيل لا تشجعنا على توقع نتائج ايجابية من هذا الضغط الذي ستحدثه الازمة النفطية ولا تدعونا للتفاؤل في أمل تغيير مواقف تلك الدول لصالحنا . وعلى سبيل المثال فان رد الفعل السلبي الذي تجلى لدى

العالم الغربي في مواجهة اغلاق قناة السويس لا يدعو لكثير من التفاؤل . فهذا الاغلاق سبب لاوروبا الغربية أضرارا كبيرة ومع ذلك فانها لم تمارس ضغطا حقيقيا على الولايات المتحدة واسرائيل من أجل فتح القناة . ومما لا شك فيه أن أزمة الطاقة ستكون لو حدثت نتيجة الحجب أخطر من اغلاق قناة السويس . ولكن رد الفعل السلبي أمام اغلاق قناة السويس والنتائج السلبية لمحاولات الضغوط الاخرى ليس من شأنها ، بكل واقعية وموضوعية ، أن تشجع كثيرا على التفاؤل بتحقيق نتائج فعالة من فرض أزمة الطاقة . هذا الشك في النتائج التي قد يحققها اجراء المنع هو الذي يجعلنا شخصيا غير متحمسين للدعوة اليه ، لا سيما وأنه اجراء محدود بطبيعته وليس مـن شأنه المساس بالمصالح الاساسية للغرب في نفطنا ، ويجعلنا نفضل عليه اجراء أكثر حسما وفعالية كما سنبين . فاجراء منع النفط ، مهما ضبط وسدت الثغرات التي أشرنا اليها في تطبيقه ونفذت كافة الشروط التي افترضناها لنجاحه ولتحقيق اكبر قدر ممكـن من الفعالية ، يبقى اجـراء محدودا لانه بطبيعته لا بد أن يكون محدودا من حيث مدة تطبيقه اذ لا يمكن ان يمنع تصدير النفط العربي الى ما لا نهاية ، ولا بد أن يعود نفطنا للتصدير وتعود الشركات النفطية الاجنبية ، المسيطرة على استثمار نفطنا ، الى جني الارباح الطائلة ونقلها الى البلدان التي تنتمي اليها وهي البلدان التي تضمر لنا العداء الكبير .

ولذا فان من رأينا ان اجراء منع النفط لا يرتفع الى المستوى المطلوب ولا يلحق الضرر الجذري الاكيد بالمصالح الاستعمارية في نفطنا مـع ما تمثله من أهميـة استراتيجية واقتصادية كبيرة لامريكا والغرب .

*

ومثل هذا الحكم الذي نبديه بشأن اجراء منع النفط ينطبق من باب أولي على مجموعة من الاجراءات الاخرى الاقل شأنا التي اقترحت في بعض المناسبات أو اتجه تفكير البعض اليها لكي تكون اذا اتخذت « ذات أثر على السياسة الغربية عامة والامريكية خاصة وان يكون الاثر غير مباشر أو جزئيا » . وقد استعرض الدكتور يوسف صايغ ، في بحثه القيم « النفط العربي في استراتيجية المجابهة العربيـة الاسرائيلية » ، (مجلـة « شؤون فلسطينية » عدد ديسمبـر ١٩٧٢ ، ص ٣٤ ــ ٧٣) ــ استعرض عددا من هـذه الاجراءات . ومن نماذجها : (١) قيام البلدان العربية النفطية بشراء أكبر نسبة ممكنة من أسهم شركات النفط من أجل ممارسة ضغط على سياسة البلـدان التي تنتسب الشركات اليها من خلال تقوية نفوذ الاعضاء العرب في مجالس الادارة . (٢) ايعاز سلطات بلدان النفط للعمال في الشركات بالتباطؤ في الانتاج وفي تحميل الناقلات لاشعار البلدان الغربية بقوة بلدان النفط العربية وبتصميمها على ممارسة الضغط السياسي على الغرب لصالح القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة . (٣) فرض رسم تصدير انتقائي على كل برميل نفط يصدر من البلدان العربية لدعم المجهود الحربي العربي . ويلاحظ الدكتور صايغ عن حق بأن الضغط الاساسي في هذه السياسة انها مالية في طبيعتها وليست في ذاتها كافية للتأثير في السياسات الغربية المناصرة لاسرائيل والمساندة لها خاصة سياسة الولايات المتحدة . وفرض رسـم التصدير اما ان يكون سياسة ضعيفة وغير ذات أثر اذا كان الرسم منخفضا أو أن يكون كسياسة حجب النفط اذا كان الرسم مرتفعا جدا بحيث يشكل عبئا غير مقبول على المستورد ينتج عنه توقف التصدير فعلا . (الدكتور صايغ ، نفس المرجع ، ص ٥٦) .

ونحن دون الخوض في مناقشة مثل هذه الاجراءات الجزئية نكتفي بالقول بأنها أقل فاعلية وأضعف أثرا من اجراء منع النفط الذي رأينا مع ذلك انه محدود الاثر حتى حينما يكون منعا شاملا . ومن رأينا انه ينبغي عدم انشغال الاذهان في مثل هذه الاجراءات الفرعية الجزئية وما يستتبع ذلك من تحويل الاهتمام وصرف التركيز عن الاجراء الاكثر جذرية

وفاعلية ، وفي اعتقادنا كما سبق ان بينا ان اجراء منع النفط — ومن باب أولى تلك الاجراءات الجزئية الاخرى التي أوردنا نماذج منها — ليست على المستوى المطلوب ولا تتناسب مع أهمية سلاح النفط وذات آثار محدودة لانها لا تلحق الضرر الجذري الاكيد بالمصالح الاستعمارية في نفطنا وما تمثله من قيمة استراتيجية واقتصادية هامة لامريكا والغرب . ان أي اجراء جذري يجب ان يوجه بشكل مباشر لهذه المصالح الرئيسية ويقتلعها من أساسها . وهذا يدلنا على الطريق الصحيح ويشير الى الحل الجذري الحاسم .

---

١ — وهذا الاحتياطي موزع ، حسب **المصدر نفسه** ، بين مختلف البلدان العربية المنتجة كالآتي (بملايين الاطنان) : السعودية ١٩٩٠٠ ، الكويت : ٩٠٤٥ ، العراق : ٤٩٣٠ ، ابو ظبي : ٢٦٠٠ ، المنطقة المحايدة : ٣٣٠٠ ، قطر : ٨٢٠ ، ليبيا : ٣٤٢٥ ، الجزائر : ١٦٨٠ ، مصر : ٥٥٠ .

٢ — Christopher Tugendhat, *Oil: The Biggest Business*, London, 1968, p. 165.

٣ — *Outlook for the World Oil Industry, 1963-1975* By Donald Fernow, 1963, p. 14.

٤ — *Petroleum Outlook*, Feb 1971.

٥ — **المرجع السابق** .

٦ — مجلة **نفط العرب** ، عدد فبراير ١٩٧١ .

٧ — *U.S. News and World Report*, 10/4/1972.

٨ — **عالم النفط** ، ١٩٧١/١/٣٠ .

٩ — **المرجع السابق** ، ١٩٧١/٧/٢١ .

١٠ — **الاهرام** ، عدد ١٩٧٢/١٠/٣ .

١١ — **عالم النفط** ، عدد ١٩٧٢/١٠/١٤ .

١٢ — **المرجع السابق** ، ١٩٧٢/٢/١٢ .

١٣ — مشار اليه في :
Michael Tanzer, *The Political Economy of International Oil And the Underdeveloped Countries*, Boston, 1969, p. 353.

١٤ — ف. أنيس ، النفط العربي هل هو عامل ضغط ؟ ، في **آفاق عربية** ، عدد سبتمبر — اكتوبر ١٩٧٢ .

١٥ — بموجب اتفاقيات الامتياز تدفع الشركة للحكومة ريعا أو أتاوة Royalty (مقداره بصورة عامة يعادل ١٢٫٥ ٪ من قيمة الانتاج)، وعندما ادخلت قاعدة مناصفة الارباح بين الشركات والبلدان المنتجة في بداية الخمسينات حرصت الشركات على ان تدخل مبلغ الريع المدفوع للحكومة ضمن نصف الارباح العائدة لها بمعنى ان مجموع مدفوعات الشركة للدولة على شكل ضريبة وريع يجب ان لا يزيد عن ٥٠ ٪ من الارباح الصافية للشركة . وقد تنبهت الحكومات فيما بعد الى ان الريع هو دفعة مستقلة لا علاقة لها بالضريبة وهي تدفع للدولة باعتبارها مالكة باطن الارض المشمولة بالامتياز كما تدفع في الولايات المتحدة للمالك الخاص للارض المشمولة بامتياز ، أي أن الريع يجب ان لا يدخل ضمن نصف الارباح العائدة للدولة (عندما كانت نسبة الضريبة ٥٠ ٪ وقد رفعت الى ٥٥ ٪ عام ١٩٧١) وانما دفعة اضافية مستقلة زائدة عنها على ان تعتبرها الشركة بمثابة نفقة من نفقات المشروع عند احتساب ارباحها الصافية ، ومن هنا جاءت تسمية تنفيق الريع Expensing of Royalty وقد تمكنت منظمة اوبيك من غرض هذه القاعدة في أواخر عام ١٩٦٤ .

١٦ — انظر بهذا الصدد كتاب **اسرائيل والنفط** ، سلسلة « دراسات فلسطينية » رقم ٣٨ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٨.

١٧ — **المرجع السابق** ، صفحة ١٢٤ .

١٨ — انظر بهذا الصدد البحث القيم للدكتور يوسف صايغ حول « النفط العربي في استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية » في **شؤون فلسطينية** ، عدد رقم ١٦ ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ ، ص ٣٤ — ٧٣ . وكذلك الاستاذ عبدالله الطريقي ، **البترول العربي سلاح في المعركة** ، دراسات فلسطينية ، رقم ٢٠ ، مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٧ . والدكتور محمود أمين ، **البترول العربي في المعركة** ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف بمصر ، أغسطس ١٩٦٧ .

١٩ — الدكتور محمود أمين ، **المرجع السابق** ، صفحة ٧٤ .

التسليح السوفييتي والصراع العربي ـ الاسرائيلي

المقدم الهيثم الايوبي

في أواخر شباط الماضي سافر وزير الحربيــة المصري الفريق اول أحمد اسماعيل الى موسكو . وذكرت المصادر السياسية في القاهرة ان من الارجح أن تكون الزيارة محاولة من جمهورية مصر العربية للحصول على أسلحة سوفييتيــة جديدة بعد سلسلة مــن المباحثات والخطوات الدبلوماسية العربية والسوفييتية لاذابة الجليد وتحسين العلاقات التي توترت بعد أزمة خروج الخبراء السوفييت من ج. م. ع. والحقيقة ان الاتحــاد السوفييتي كان قد خفف من حجم تدفق الاسلحة على جيش ج. م. ع. بعد خطوة الرئيس أنور السادات المعروفة ، اذ لم يتلق هذا الجيش خلال الفترة التي تلت الخطوة سوى ٦٠ صاروخا من طراز سام ــ ٦ ، وحوالي ١٠٠ دبابة تي ــ ٦٢، وبعض المعدات والاسلحة الثانوية الاخرى .

ولقد اختلفت التكهنات حول الهدف الحقيقي من زيارة الفريق أول اسماعيل ، وهل هي محاولة للحصول على أسلحة متطورة جديدة لم يتم التعاقد عليها من قبل ، أم محاولة لمتابعة الحصول على أسلحة جرى التعاقد عليها ولم تسلم حتى الآن ، أم مجرد الحصول على ذخائر وقطع غيار للاسلحة والمعدات التي تملكها القوات المصرية المسلحة . ومهما كان سبب هذه الزيارة فانها تتمتع ولا شك بأهمية كبيرة ظهرت منذ البداية بالاهتمام الذي أبداه الطرفان بالمباحثات ، وطبيعة الوفدين المشتركين بها ، والجو الودي الذي دارت خلاله . وتأتي الاهمية المحورية لهذه الزيارة من أنهــا جاءت بعد حوالي سبعة أشهر من خروج الخبراء السوفييت من ج. م. ع. ، وبعــد محاولات عــربية كثيرة للاستعاضة عن السلاح السوفييتي بسلاح غربي الصنع . وهذا ما يجعلنا نعود من جديد الى بحث مسألة أساسية في الصراع العربي ــ الاسرائيلي وهي مسألة التسليح .

الافق السياسي لمسألة التسليح :

قبل بحث هذه المسألة والخوض في تفصيلاتها لا بد من التأكيد على أربع نقاط جوهرية لتبديد أي فهم مغلوط لحقيقة تقييمنا لمسألة السلاح نفسها ، ولاساليب الصراع الاجدى ضد العدو الاسرائيلي .

النقطة الاولى : ان حديثنا عن السلاح لا يعني اعطاءه أهمية أكبر مما ينبغي . فالسلاح عامل مهم في كل صراع ، ولكنه لا يمثل العامل الاهم، ولا يمكن أن يكون بديلاً عن الانسان ووعيه وولائه للقضية التي يقاتل من أجلها . كما لا يمكن أن يكون بديلا عــن التنظيم السياسي الذي يطرح القضية التي يجري النضال تحت لوائها ، ويقوم بعملية تعبئة سياسية تربط المقاتلين بهدف الصراع ، وتجعلهم على استعداد للتضحية من أجله طالما انه يمثل في نهاية المطاف هدفهم ومصالحهم وتطلعاتهم وآمالهم .

النقطة الثانية : ان التسابق العسكري التكنولوجي بين البلدان المتقدمة صناعيا وبلدان العالم الثالث، عبارة عن لهاث غير مناسب في مجال غير مناسب . لان بلدان العالم الثالث

أضعف ماديا وتقنيا من البلدان الصناعية المتقدمة . وقد تكون قادرة على صنع الاسلحة والمعدات العادية ، ولكنها مضطرة دائمــا لان تستورد الاسلحة المتطورة المعقدة . وتتحمل من جراء ذلك أعباء مالية تنهك اقتصادها ، وتزيد من تخلفها ، وتوسع الفجوة الاولية القائمة بينها وبين البلدان المتقدمة ، دون أن توصلهــا الى مستوى التسليح التكنولوجي الذي يملكه عدوها .

واذا كانت قوة البلدان الامبريالية المتقدمة كامنة في معداتها وايديولوجياتها الديناميكية العدوانية (النازية ، الفاشية ، المكارثية ، الصهيونية ... الخ) فان قــوة البلدان النامية أو السائرة على طريق النمو تكمن في جماهيرها . ولا يمكن قلب موازين القوى — التي تكون لصالح البلد الامبريالي في بداية أي صراع بين بلد أمبريالي متقدم وبلد نام — ولا يمكن أن تحقق البلدان النامية التفوق الا عن طريق تعبئة الجماهير نفسيــا وايديولوجيا ، وتأطيرها ، واعدادها للمعركة ، وجعل كل فرد من أفرادها ملتزما بخوض معركة شاملة ، مع تسليح هذه الجماهير بأفضل ما يمكن الحصول عليه محليا ومن الدول الصديقة عن طريق الشراء أو المساعدات ، رغم الحدود الموضوعية للحصول على هذا السلاح ، واستيعابه تكنولوجيا بعد الحصول عليه ، لان هذه التدابــير ، وهذه التدابير وحدها قادرة على قلب الجماهير من كمية مهملة ، بل ومعرقلة ، خلال الصراع الى كمية فاعلة ووزن لا يستهان به عند حساب موازين القوى — كل القوى — المادية منها والمعنوية .

النقطة الثالثة : هي أن الحديث عن موازين القوى ، وموازين التسليح ، وحساب عدد الدبابات والطائرات والمدافع على جانبي الخندق ، وربط قضية انطلاق معركة التحرير بهذه العوامل العسكرية البحتة أمر يتناقض مع معطيات الموقف الذي يعيشه بلد محتل مهدد بالعبودية والفناء . ان حسابات المعركة أمر نسبي ، وهي تختلف باختلاف القائمين بها ، وحقيقة أهدافهم ومراميهم . فهناك حسابات الغزاة وحسابات المدافعين . وتهتم حسابات الغزاة الى حد مبالغ به بموازين القوى ، واحتمالات الربح والخسارة ، لان الغزاة يطمحون الى تحقيق الربح المادي عن طريق العدوان ، ولا يدخلون المعركة الا بعد أن يتأكدوا من انها ستكون قصيرة ومجزية ، وان المكاسب التي سيحققونها ستكون كبيرة بشكل يعوض الخسائر المحتملة . أمــا حسابات المدافعين فتستند الــى ان المعركة مفروضة لصد عدوان قائم ، وتطهير أرض محتلة ، وان الخسائر مهما تزايدت عبارة عن قدر محتوم تفرضه موازين القوى الاولية ، وان اجراء الحساب لتخفيف الخسائر الى أبعد حد ممكن مع متابعة الصراع رغم اختلال ميزان القوى المادية هو السبيل الوحيد للحفاظ على البقاء ، لان التوقف عن الصراع ، أو التردد أمامه بحجة تفوق العدو يعني الاستسلام والخسارة الكاملة التي تفوق من الناحية الحضارية والقومية أضعاف أية خسارة ناجمة عن الدمار والقتل ومآسي الحرب الرهيبة . ان على الامة المدافعة أن تحسب ، وتوازن ، فكل معركة بلا حساب مغامرة فاشلة ولكن عليها ، وهي تحسب ، ان تبقى ضمن اطار حسابات المدافعين ، وأن لا تربط مصيرها القومي كله بجداول الارقام الصماء ، لان هذا الربط يعني أنها تستعير عقيدة الغزاة التي لا تصلح لها ولا تضمن في نهاية المطاف وجودها كله .

النقطة الرابعة : هي أن التفكير بقلب موازين القوى لا يقتصر على تبديل السلاح ، أو تحسين نوعه ورفع مستوى فاعليته ، بل يشمل — وهذا هو الاهم — تبديل الاداة التي تستخدم هذا السلاح (أي القوات المسلحة) وتغيير طبيعتها . والقوات المسلحة صورة النظام السائد في بلد ما ، وجزء لا يتجزأ من كيانه . وكما ينجم عن الانظمة الامبريالية جيوش أمبريالية تخدم أهدافا أمبريالية غايتها استعباد الشعوب واستغلالها ، وكما ينجم عن الانظمة الشعبية الثورية جيوش شعبية ثورية تحمي مصالح الجماهير العريضة ،

فان البورجوازية الرثة في العالم الثالث تفرز على الصعيد العسكري جيوشا رثة لا تتقن سوى فن الانقلابات ، وقمع الشعب ، وممارسة الهزيمة أمام العدو . لذا لا يمكن لبلدان العالم المقهورة التي تسيطر فيها البورجوازية الرثة أن تفكر بصد عدوان المعتدين عن طريق تكديس الاسلحة الحديثة المتطورة فحسب ، بل لا بد لها من السير على سبيل خلق النظام الشعبي الثوري ، وجيشه الشعبي الثوري المؤهل لحمل هذه الاسلحة بايمان واستخدامها بكل كفاءة .

حتمية التسليح العربي من دول المعسكر الاشتراكي :

كانت دول الغرب الامبريالية منذ بداية الصراع العربي ــ الاسرائيلي المورد الاساسي للاسلحة في الشرق الاوسط . وكانت جميع أسلحة الدول العربية غربية الصنع ، على حين كان الاسرائيليون يحصلون على الاسلحة من كل مكان ويستخدمون اتصالاتهم الدولية وشبكات الصهيونية العالمية لتأمين الاسلحة الغربية والشرقية بطرق مشروعة أو غير مشروعة . وبقيت الدول الغربية بعد قيام اسرائيل مصدر السلاح الوحيد للجيوش العربية . وكانت تستخدم السلاح كوسيلة ضغط سياسية على الدول العربية لجرها الى الاحلاف ، كما كانت تعتبر الجيوش العربية ــ ككل جيوش بلدان العالم الثالث ــ عبارة عن سوق لتصريف الإسلحة المستعملة (مثل دبابات بانزر التي اشتراها الجيش السوري قديما ، ودبابات سنتوريون القديمة التي اشتراها المصريون ، وصفقة الاسلحة المصرية الفاسدة .. الخ) . أو سوق للاسلحة التي تجاوزتها التطورات التكنولوجية (مثل البنادق الفرنسية ٣٦ التي اشترتها سوريا سابقا رغم قدم نموذجها وظهور بنادق آلية ونصف آلية في معظم بلدان العالم ، وطائرات سبيتفاير وهانتر التي اشتراها الاردن ، وكل أنواع المصفحات التي استغنت عنها جميع الجيوش الحديثة وأخرجتها من ملاكاتها واستعاضت عنها بالدبابات الخفيفة ، واعتبرتها سلاحا لا يصلح الا لقمع الاضطرابات في المدن) .

ولقد طرحت الحكومات العربية على الجماهير طوال فترة ٤٨ ــ ١٩٥٥ مسألة الحصول على السلاح الغربي كمسألة حيوية جادة لاعداد القوة المسلحة اللازمة لمجابهة اسرائيل . وكان طرحها متناقضا بشكل جذري مع الفهم السليم لطبيعة الصراع مع اسرائيل ، وحقيقة الاسس الاستراتيجية الامبريالية في المنطقة . ويمكننا ايجاز التناقضات بما يلي :

التناقض الاول : في الوقت الذي كنا نحاول فيه شراء الاسلحة من دول الغرب الامبريالية لقهر اسرائيل وتحرير الارض المغتصبة ، أو منع اغتصاب ارض جديدة على الاقل ، كانت اسرائيل ــ ولا تزال ــ عبارة عن مخفر أمامي للمعسكر الامبريالي الذي خلقها ودعمها وضمن وجودها بالبيان الثلاثي [١٩٥٠] (الامريكي ــ البريطاني ــ الفرنسي) كما كانت جزءا عضويا من أجزاء هذا المعسكر ، وشريكا في عملية النهب والقمع .

التناقض الثاني: في الوقت الذي كنا نطمح الى تقوية تسليحنا عن طريق الغرب كيما نحرر اقطارنا ونلعب دورا أكثر فاعلية كحركة تحرر وطني ، كان الغرب نفسه داخلا في تناقض رئيسي معنا كقوة استعمارية تود اضعافنا والسيطرة على مقدراتنا . وكان هذا الغرب نفسه يشن ضدنا حربا قمعية مباشرة في المشرق العربي والمغرب العربي ، كما كان يستنزف قوانا بصورة غير مباشرة عن طريق استخدام اسرائيل كقوة ضاربة قادرة على التهديد والردع ، ومستعدة للانتقال من الردع الى العمل ، لخنق القوى التقدمية الوليدة ، وحماية مصالح الغرب عند اللزوم ، لقاء مكاسب اقليمية واقتصادية تعتبر خطوة مرحلية على طريق تنفيذ المخطط الصهيوني الواسع .

التناقض الثالث : لقد كنا ندعي اننا نود شراء الاسلحة من الغرب لقلب « الوضع القائم »

والتخلص من القهر القومي المتمثل باسرائيل وبعض جيوب الاستعمار القديم ، على حين كان الغرب واسرائيل يفضلان بقاء « الوضع القائم » الذي هو في حد ذاته وضع استغلالي غير عادل والحفاظ على الاستقرار لتتابع الامبريالية نهب الثروات بلا متاعب ، ولتتابع اسرائيل هضم الاراضي المحتلة ، والاعداد لاحتلال أراض جديدة وتحقيق مكاسب اقليمية جديدة .

ان القوى الاجتماعية المستبدة داخل أمة ما ، والمستفيدة من الواقع الاستغلالي الطبقي، تحاول دائما تهدئة الاوضاع والحفاظ على « الوضع القائم » لمتابعة الافادة من الاستغلال وواقع القهر الطبقي ، على حين تحاول القوى المستغلة تأزيم الوضع لقلب « الوضع القائم » مع كل ما فيه من استغلال وقهر . ووفق المعادلة نفسها فان الامم المستفيدة من الواقع الاستغلالي الاستعماري تعمل كل ما في وسعها لتهدئة الاوضاع في منطقة الاستغلال للحفاظ على « الوضع القائم » ومتابعة الافادة من الاستغلال وواقع القهر القومي ، على حين تحاول الامم المستعمرة كسر حلقة الهدوء لتبديل الواقع الاستعماري الذي ينحط بقواها الاقتصادية والاجتماعية ، ويسحق كل امكاناتها الحضارية .

لهذا كله كان قيام الدول العربية بمحاولة تسليح جيوشها من ترسانة الغرب عدو الشعوب المتطلعة الى التحرر والتقدم والنمو عبارة عن عمى سياسي ـ استراتيجي ، وخطأ في الاستنتاج ناجم عن انعدام القدرة على الرؤية أو انعدام الرغبة في الرؤية . وفي الوقت نفسه كان طرح مسألة شراء الاسلحة من الغرب فيسبيل التحرير لعبة ديماغوجية لا تستهدف سوى خداع الشعوب ، وبناء أمجاد زائفة . ولهذا كله بقيت قوة اسرائيل العسكرية اكبر من قوى الدول العربية المجاورة ، وبقي الردع الاسرائيلي بالقوة الكامنة المنسقة مع ضربات تأديبية على الحدود العامل الاساسي لتهدئة العرب ، وكبح جماحهم، واجبارهم على كبح جماح الجماهير الفلسطينية المتطلعة للتحرير ، والمتشوقة للتضحية والفداء في سبيل استعادة الارض المغتصبة .

معادلات التسليح السوفييتي :

تلقت الجيوش العربية خلال النصف الاول من الخمسينات عشرات الضربات ، وخسرت من جراء ذلك مئات الضحايا ، وكانت تحاول بعد كل ضربة تحسين تسليحها وزيادة قوتها لرد الضربة او لحماية نفسها على الاقل . ولكن الدول الغربية كانت تمنع عنها السلاح بحجة الحفاظ على التوازن والهدوء ، وترد على طلبات السلاح بتقديم بعض الاسلحة الخفيفة مع دعوات مشبوهة للارتباط نهائيا بعجلة الغرب . ومع تزايد العجز العسكري العربي تزايد النهم الاسرائيلي ، وازداد عمق الضربات ، وتصاعدت حدتها حتى بلغت الاوج في عملية البطيحة وعمليات غزة وخان يونس (١٩٥٥) . وأدى تصاعد حدة الضربات وتزايد حجم الخسائر الى انفجار الجماهير العربية . وغدا البحث عن مصدر جديد للسلاح مسألة حيوية وضرورة قومية لا غنى عنها . ووسط هذا المناخ كسر الرئيس جمال عبدالناصر حصار السلاح بضربة اعتبرت من أخطر الضربات التي سددت للسيطرة الغربية في المنطقة . وفتح أمام السلاح السوفييتي أبواب الشرق الاوسط على نطاق واسع . وكانت سوريا قد سبقته في هذا المجال على نطاق أضيق عندما عقدت صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا . وهكذا تخلصت مصر وسوريا من الجري وراء سراب وبدأ الاعداد للمعركة يأخذ شكلا أقرب الى منطق الامور . وأصبحت معادلات التسليح في المنطقة متناسبة مع طبيعة القوى وحقيقة أهدافها .

معادلة المرحلة الاولى (من بدء كسر السلاح حتى حرب ١٩٥٦) : كان جيشا دولتين من دول المجابهة (مصر وسوريا) يشكلان قوة من قوى التحرر الوطني ، ويحصلان على سلاحهما الاساسي من دول الكتلة الشرقية الداعمة لحركة التحرر الوطني في العالم بغية

مجابهة الاستعمار واسرائيل ، ودرء أخطارهما ، دون أن يتسع هدف التسليح الى مستوى ازالة الدولة الاسرائيلية المدعومة من الغرب . على حين كانت اسرائيل ، وهي قوة من قوى الامبريالية ، تتمون من ترسانات الدول الامبريالية المعادية لحركات التحرر، بغية الاعداد لعدوان توسعي مقبل . وقبل أن تستكمل القوات العربية استعدادها وهضمها للاسلحة الشرقية الحديثة شنت الدول الامبريالية حرب ١٩٥٦ ، وتدمر القسم الاكبر من القوة العسكرية الجديدة أو جرد من سلاحه .

معادلة المرحلة الثانية (١٩٥٦ ـــ ١٩٦٧) : كانت هذه المرحلة مرحلة اعادة بناء القوات العسكرية العربية . ولقد قدم السوفييت خلالها جميع المساعدات المادية والتكنولوجية والتدريبية لخلق القوة العربية على اساس منع اسرائيل من شن أي عدوان أو الحصول على اية مكاسب اقليمية جديدة . هنا كانت معادلة التسليح كما يلي : الغرب يقدم السلاح لاسرائيل لتحقيق الردع والعدوان والحفاظ على اسرائيل كقوة موجودة قادرة على التوسع والضرب . أما دول الكتلة الشرقية التي تعتبر اسرائيل دولة موجودة لا يمكن تدمير تكوينها الحالي ضمن موازين القوى العالمية القائمة، وتعتبر هذا العمل خارج استراتيجيتها التي تتحاشى الصدام المباشر مع الولايات المتحدة في هذه المنطقة ، فانها تسلح بعض الدول العربية المتحررة في سبيل خلق القوة القادرة على حماية المكتسبات والمنجزات التي تحققت في المنطقة ، والحد من دور اسرائيل التهديدي ، ومنعها من التوسع أو ضرب الحركة التقدمية العربية وشلها .

معادلة المرحلة الثالثة (١٩٦٧ ـــ ١٩٧٢) : مع حرب ١٩٦٧ واحتلال أراض عربية جديدة خرجت اسرائيل بشكل فاضح عن اطار حدود الدولة المعترف بها [كانت قد خرجت من قبل عن هذا الاطار اكثر من مرة عندما احتلت مناطق خارج الحدود التي اعترفت بها الامم المتحدة ورفضها العرب] . وتبدلت معادلة التسليح وغدت كما يلي : أ) الدول الامبريالية ، والولايات المتحدة بشكل خاص ، تسلح القوة الاسرائيلية للحفاظ على تفوقها والابقاء على وضع الاحتلال حتى يتم الوصول الى الهدف السياسي لحرب حزيران ١٩٦٧ . وهو بالنسبة للامبريالية قمع الحركة التقدمية العربية ، وتحقيق التهدئة اللازمة للاستغلال بشكل مستمر نهائي . كما انه بالنسبة لاسرائيل الحصول على سلام اسرائيلي يضمن انهاء حالة النزاع مع تحقيق مكاسب اقليمية متباينة السعة ، وايجاد علاقة اقتصادية مع العالم العربي ، هي في جوهرها علاقة بين مجتمع صناعي متقدم ، ومجتمع زراعي يحاول النمو والتطور بامكاناته الذاتية ووفق مخططات تنمية البورجوازيات الصغيرة . ب) المعسكر الشرقي الذي يرفض اعطاء اسرائيل مكافأة على عدوانها ، ويقف مع كل دول العالم المحبة للسلام ضد أي توسع اقليمي عن طريق الحرب ، يسلح الدول العربية ليساعدها على الصمود أمام ضغوط الاركاع ، وليعطيها الفرصة لالتقاط انفاسها وشن المعركة السياسية ـــ العسكرية الرامية الى ازالة آثار العدوان بكافة الاساليب والطرق ، بما في ذلك الاساليب العسكرية .

ووفق هذه المعادلة دعم الامريكيون القوة العسكرية الاسرائيلية وخاصة القوة الجوية القادرة على الضرب في عمق البلاد ، على حين خلق السوفييت جسرا جويا هائلا لدعم القوة العربية ولمساعدتها على الصمود والاستمرار في حرب الاستنزاف [أي يحبط سياسة التهدئة والاركاع وتحقيق السلام الاسرائيلي بالقوة] ، ويخلق القوة القادرة على تسديد الضربة العسكرية ضمن استراتيجية مجابهة عربية شاملة ضد الامبريالية [أي يحبط سياسة التوسع وضم الاراضي] .

وبدأت حرب الاستنزاف شرسة باهظة التكاليف . واشتبكت مصر وحركة المقاومة لوحدهما مع العدو الاسرائيلي لاستنزافه ماديا ومعنويا . وكان من الممكن أن تؤدي حرب الاستنزاف الى تحقيق النتائج المرجوة منها لو انها كانت جزءا من استراتيجية

عربية متكاملة . بيـــد ان الوضع العربي (داخل كـــل قطر وبين الاقطار) ، وتفتت الجبهة الشرقية ، ووقوف مصر لوحدها على الجبهة الساخنة ، والوضع المصري الداخلي نفسه ، جعل القاهرة ، بعد اسبوع من تساقط طائرات الفانتوم ، تقبل وقف اطلاق النار في لحظة حرجة كان التفوق الجوي الاسرائيلي قد بدأ يفقد فيها تأثيره وفاعليته أمام شبكة الصواريخ سام ٣ ، كما ان ضرب حركة المقاومة الفلسطينية على يد النظام الاردني أعاد الصراع العربي ـــ الاسرائيلي الى مرحلة هدوء نسبي ظهرت وكأنها تعبير عن العجز العسكري أمام مقولة التحرير .

ووسط هذا المناخ الذي تصارعت فيه الرغبة مع العجـــز تحركت القوى الامبريالية والرجعية العربية المعادية للوجود السوفييتي على أرض العرب ـــ حتى لو كان هدف هذا الوجود مساعدة العرب على الصمود والذود عن أراضيهم ـــ وشنت حملة تشهير واسعة ضد موسكو وضد الاسلحة السوفييتية « الدفاعية ! » لتصل بعـــد ذلك الى ضرورة الاستعاضة عن السلاح السوفييتي ، وذلك بتصنيع بعض الاسلحة محليـــا واستيراد البعض الآخر من مختلف بلدان العالم . فهل كانت الاسلحة السوفييتية بالفعل دفاعية ؟ وهل هنالك في الاصل سلاح هجومي وآخر دفاعي ؟ والى أين وصلت محاولة الاستعاضة عن السلاح السوفييتي ؟

السلاح « الدفاعي » و« الهجومي » :

السلاح أداة قادرة على تدمير الخصم ، أو اخراجه من المعركة ، أو ابطاله ، أو شل حركته ومنعه من تحقيق أغراضه . وهو يستخدم ضمن تركيبات تكتيكية واستراتيجية تستهدف تدمير القوات المسلحة المعادية أو تجريدها من سلاحها ، واجبار العدو بعد نزع درعه على قبول التنازلات السياسية التي تحقق هدف المنتصر . ويحقق السلاح مهماته من الناحية التقنية عن طريق النار (المقذوفات) والصدمة . وهو يتوصل الى استخدام النار عن بعد ، على حين لا بد له عند استخدام الصدمة من الحركة والالتحام مع العدو . وتستطيع النار تحقيق غرضها في الهجوم بأن تدمر المدافعين أو تبطلهم او تنهك قواهم قبل أن تتمكن قوة الصدمة من القيام بالخرق . كما تستطيع تحقيق هذا الغرض في الدفاع بأن توقف المهاجمين وتعرضهم لخسائر مادية تتجاوز حدود امكاناتهم أو حدود التضحية المقبولة بالنسبة لهدف معين ، وتمنعهم بالتالي من تحقيق هدفهم . أما الصدمة فانها تستهدف في الهجوم تحقيق الخرق لفتح ثغرة تسمح بالتغلغل والتطويق ، او تحقيق الخرق بعد تطويق مسبق . وهي تستهدف في الدفاع اجراء الصدمة المعاكسة لتدمير قوى العدو المتغلغلة في العمق ، او فك التطويق في الحالة التي ينقلب فيها الدفاع الى جزر مطوقة وسط البحر الهجومي .

وتزداد القدرة النارية في كل سلاح بزيادة غزارته النارية ، وحجم الذخائر التي يمكن ان يحملها أو يصبها في وحدة زمنية معينة أو خلال مهمة تكتيكية محددة ، كما تزداد القدرة على الصدمة كلما زادت السرعة والقدرة الحركية ومدى العمل . ولذا فان ميزات كـــل سلاح تتعلق بصفاته التقنيـــة ومواصفاته الخاصة التي تزيد قدرته الناريـــة او ترفع مستوى قدرته على الصدمة ، وهذا ما يحدد في النهاية استخدامه للنار او الصدمة او لهما معا ، خاصة وأن قوة الصدمة مرتبطة الى حد ما بقوة النار القادرة على الحركة . بيد ان القوات المسلحة لا تستخدم سلاحا واحدا لتحقيق الهدف فهي بحاجة في الهجوم والدفاع كما رأينا لنار وصدمة ، الامر الذي ينبثق عنه تعاون الصنوف وتنسيق عمل عدد من الاسلحة لتنفيذ مهمة ما .

من هنا نتبين ان السلاح نفسه وما يتمتع به من ميزات لا يضعه بشكل نهائي في زمـــرة الاسلحة « الهجومية » او « الدفاعية » . ولكنه يضعه في زمرة اسلحة النار او اسلحة

الصدمة او اسلحة النار والصدمة التي تستخدم في مهام محددة بالزمان والمكان والغرض يضمها كلها تنسيق وتعاون تام وسط تكتيك هجومي او دفاعي لخدمة استراتيجية هجومية او دفاعية . وهنا لا بد من طرح عدد من الامثلة الملموسة لايضاح الفكرة .

لنأخذ **الدبابة** مثلا ، انها سلاح نار وصدمة ، وهي تجمع قوة النار وسرعة الحركة والقدرة على المناورة . ولكن هل هي سلاح دفاعي ام هجومي ؟ انها تستخدم في الهجوم اذا ما جمعت داخل تشكيلات كبيرة مدرعة (الوية — فرق — فيالق — جيوش) وتكون مهمتها في هذه الحالة الخرق واستثمار النصر . كما تستخدم في الدفاع اذا ما كانت تشكيلاتها صغيرة موزعة على وحدات المشاة ، وكانت مهمتها المشاركة في السدود النارية والقيام بالهجمات المعاكسة . **والمدفع** صالح للاستخدام في الهجوم لدعم القوات المتقدمة برمايات التمهيد ورمايات المرافقة كما انه صالح للاستخدام دفاعيا عن طريق خلق السدود النارية الثابتة والزاحفة وتنفيذ رمايات معاكسة للتمهيد قبل انطلاق هجوم العدو . وهنا تبرز فروق تقنية بين المدافع المقطورة والمدافع المحمولة ذاتية الحركة ، فالنوع الثاني اقدر على الحركة ومرافقة الهجوم وخاصة اذا كان هجوما مدرعا ، ولكن هذا لا يعني ان الاول عاجز عن المشاركة في الهجوم بفاعلية . **والمدفع المضاد** للطائرات سلاح هجومي ودفاعي لانه يحمي سماء المعركة هجومية كانت ام دفاعية . وتستطيع الدبابات المضادة للطائرات مرافقة الدبابات المنقضة وحمايتها من الخطر الجوي بشكل افضل من المدافع المضادة المقطورة ، ولكن استخدام كلا النوعين ممكن هجوميا ودفاعيا . **والصاروخ المضاد للطائرات** سلاح يستهدف الحماية ولكن من المتعذر اعتباره سلاحا دفاعيا بحتا ، لانه يستطيع حماية المنشآت الهامة ، والمدن ، ومراكز التجمع .. الخ . ولكن مدى عمله (٢٠ — ٢٨ كيلومترا) يسمح له بالمشاركة في بداية أية عملية هجومية لتغطية سماء قاعدة الانطلاق وسماء حدود المهمة الهجومية اليومية (اذا كان الهجوم في أرض عادية) ولتغطية عملية العبور وحماية سماء رأس الجسر بعد العبور (اذا كان الهجوم يتم مع عبور مجرى مائي) . **والطائرة القاذفة** اداة صالحة لضرب تجمعات العدو ، وخطوط مواصلاته ومراكز قياداته ونقاطه الحساسة العسكرية والاقتصادية سواء كان العدو مهاجما ام مدافعا . وينطبق هذا القول على الطائرة القاذفة التكتيكية او الاستراتيجية اذ لا تختلف المهمات هنا الا في عمق الاهداف وطبيعتها والاثر المطلوب من ضربها وهل هو اثر تكتيكي ام استراتيجي . أما **الطائرة المطاردة** فهي قادرة على حماية القاذفات الصديقة المهاجمة ، او التعرض لقاذفات العدو . ومهمتها حماية القوة الجوية الضاربة . فاذا كانت مهمة هذه القوة اساسا دفاعية غدت المطاردات سلاحا دفاعيا يحمي القدرة الدفاعية ، واذا كانت القوة الضاربة تمارس الهجوم غدت المطاردات سلاحا يحمي القدرة الهجومية ، وغدت بالتالي سلاحا هجوميا . وما **الطائرة القاذفة — المطاردة** سوى طائرة تحمل من الميزات ما يجعلها قادرة على القيام بدور المطاردة او القاذفة او المطاردة والقاذفة معا . وينطبق عليها اذن ما ينطبق على الطائرتين المذكورتين .

ويمكن الاسهاب في الحديث بهذا المجال عن كل نوع من انواع الاسلحة البرية والجوية والبحرية بدءا من البندقية وانتهاء بحاملة الطائرات وكل أنواع المعدات الحربية بدءا باللغم والبلدوزر وانتهاء بالرادارات واجهزة الاشعة تحت الحمراء لنتوصل في نهاية المطاف الى التأكيد بانه ليس هناك سلاح « هجومي » او سلاح « دفاعي » بل هناك اسلحة نار واسلحة صدمة واسلحة نار وصدمة تستخدم كلها بتكامل مطلق مع المعدات لتخدم الهجوم او الدفاع وفق الخطة الاستراتيجية العامة وتفصيلاتها التكتيكية التنفيذية، لان الاستراتيجية وما ينجم عنها من تكتيكات هي التي تحدد طابع الحرب وصفتها الهجومية والدفاعية .

ان حجم السلاح ، وحجم القدرة النارية ، ومدى التفوق المحقق ، ومستوى الاستيعاب التكنولوجي للسلاح هي العوامل التي تحدد طبيعة الاستراتيجية اي تحدد ما اذا كانت الاسلحة المتوفرة كلها ستوضع موضع الهجوم او الدفاع . والحصول على سلاح هجومي لا يعني الحصول على نوع محدد من الاسلحة ، بل يعني الحصول على تفوق معين بالاسلحة يسمح بالانتقال من الدفاع الى الهجوم . ولا يمكن توجيه النقد الى نوع السلاح السوفييتي المقدم للدول العربية . وكان الاحرى بالنقد ان يوجه الى حجم هذا السلاح . . . وهنا نستطيع ان نتساءل هل كان من الممكن الحصول على الحجم الهجومي من السلاح (الحجم المتفوق على ما يملكه العدو) في ظل الوضع الدولي الحالي ، وفي ظل التعهد الامريكي المطلق بدعم اسرائيل بالاسلحة والمعدات لتبقى متفوقة على القوات العربية بشكل مستمر ؟ وهل ينبغي ان نحاول البحث عن هذا الحجم الهجومي عن طريق زيادة السلاح الذي تستطيع الدول الكبرى التحكم به سلبيا او ايجابيا وفق استراتيجياتها الخاصة ام ان علينا ان نحقق الحجم الهجومي بزيادة القوى المعنوية والايديولوجية والزخم الثوري وكل ما لا تستطيع الدول الكبرى التحكم به ؟ ان الرد على هذين السؤالين يضع المسألة كلها على الطريق الصحيح الواضح لحل مسألة التفوق العسكري الاسرائيلي واساليب مجابهته على المدى البعيد .

الاستعاضة عن السلاح السوفييتي :

ولنعد الان الى المحاولات العربية للاستعاضة عن السلاح السوفييتي بسلاح اخر عن طريق الصنع او الاستيراد . ولقد بحثت امكانية صنع الاسلحة في اجتماعات رؤساء اركان الجيوش العربية ، وقدمت التوصيات لوزراء الدفاع العرب أكثر من مرة ، وكان اخرها واكثرها تحديدا توصية رؤساء اركان الجيوش العربية الذين اجتمعوا في القاهرة في كانون الاول من عام ١٩٧٢ واقترحوا تخصيص ٢ ٪ من دخل كل دولة من اجل انشاء هيئة لانتاج الاسلحة والمعدات اللازمة للجيوش العربية . وتتلخص فكرة التسليح الذاتي اساسا في محاولة الافادة من رؤوس الاموال العربية الكبيرة المجمدة في سبيل بناء صناعة حربية (على غرار الصناعة الحربية الاسرائيلية) تؤمن مطالب القوات العربية، وتحرر الارادة العربية بالتالي من ضغوط الدول العظمى وتحديداتها السياسية — الاستراتيجية المتعددة .

وبالرغم من اهمية هذه الخطوة واثرها الكبير على مستقبل الصراع ، فان من المؤكد ان الدول العربية ستجد ، كما ستجد جميع الدول النامية ، صعوبات هائلة في مجال التصنيع العسكري . فاذا استثنينا الصعوبات المالية التي يمكن حلها برؤوس اموال الدول العربية البترولية وجدنا ان من اهم الصعوبات المنتظرة : تدني المستوى التقني القاعدي في الدول النامية ، وانعدام الخبرات المتراكمة ، والحاجة الى مصانع متطورة ومخططات وتصاميم لا تملكها سوى الدول المتقدمة ولو كان المطلوب اعداد سلاح عادي لتسليح الجماهير ولشن حرب شعبية لخفت الصعوبات الى حد كبير ولامكن للعرب صنع السلاح الذي يساعدهم على خوض معركة طويلة الامد . تنتهي الى نصر محتوم رغم جسامة التضحيات . اما اذا كان المطلوب تصنيع سلاح متطور ينافس السلاح الامريكي الذي تغرف اسرائيل من مستودعاته بلا حساب فان الامر أعقد من أن يحل — في السنوات العشر المقبلة على الاقل — عن طريق استخدام رؤوس الاموال العربية والمصانع والخبرات العالمية شرقية كانت أم غربية .

أما محاولة الاستيراد التي طرحت بعد خروج الخبراء السوفييت من ج . م . ع . بشدة ثم تناقص طرحها بعد ذلك باستمرار ، فهي محاولة صحيحة على الصعيد النظري البحت . ولكن ما مدى امكانية تطبيقها العملي ؟ أن الدولتين الوحيدتين القادرتين اليوم على تقديم السلاح المتطور بشكله الارقى هما الدولتان العملاقتان الاتحاد السوفييتي والولايات

المتحدة الامريكية . ولا يمكن منافسة السلاح والمعــدات الامريكية الا بسلاح ومعدات سوفييتية . وقد يكون في هذا البلــد او ذاك سلاح او جهاز اليكتروني او آلــة محددة رفيعة المستوى ، ولكن الانتاج الحربي بمجملــه في اي بلد من البلــدان الاشتراكيــة والرأسمالية عاجز عن الدخول في منافسة شاملة مع مجمل الانتاج الحربي في الاتحــاد السوفييتي او الولايات المتحدة .

وبالرغم من سير السلاحين السوفييتي والامريكي كفرسي رهان ، وبالرغم من اندفاع كلا البلدين بشكل شبه متساو في تطوير الاسلحة والمعدات الحربية ، فان بعض الاسلحة الاميركية متفوقة على مثيلتها في الاتحــاد السوفييتي . وبصورة خــاصة القاذفات — المطاردة ، وحاملات الطائرات ، وطائرات الهليكوبتر العملاقة ، والعربات المدرعة نصف المجنزرة ، وعدد اخر من الاسلحة والمعدات اللازمة لحــرب تقليدية محلية محدودة . ويرجع السبب في ذلك الى سببين : اولهما ان السياسة الامبريالية للولايات المتحدة ، ورغبة واشنطن في احتلال المواقــع التي انحسر منها نفوذ الاستعمــار القديم ، وشن الحروب العدوانية المحلية ضد الشعوب المتحررة حديثا أو المتطلعة الى التحرر ، دون تصعيد الحرب بشكل يهدد سلامة المعسكر الاشتراكي ويستنفر قواه ويؤدي بالتالي الى صدام نووي ، دفعت الامريكيين بعد الحرب العالمية الثانية الى الاهتمام باعداد الاسلحة اللازمة لمثل هذه الحروب وتطويرها وتحسينها بعد تجربتها على ارض المعارك (كوريا ، فيتنام ، الشرق الاوسط ... الخ) ، وخلق مجموعات قتال (تاسك فورس) برية — بحرية — جوية منتشرة في كل انحاء الارض ، وقادرة على التدخل بسرعة في كل مكــان لحماية المصالح الامريكية من اي تهديد ، على حين لم تطور دول الكتلة الشرقية مثل هذه الاسلحة بسرعة كافية ، ولم تخلق مثل هذه المجموعات نظرا لاعتقادها — خطأ — بــأن سياستها السلمية لا تتطلب منها ذلك . أما السبب الثاني : فهو ان اهتمام دول الكتلة الشرقية ، وخاصة الاتحاد السوفييتي بتطوير الصواريخ والغواصات الذرية ومختلف انواع الاسلحة النووية ، وتوصلها الى مستوى رفيع في هذا المجال ، جعلها متأكدة من ان أمنها لا يرتبط بحجم القوات التقليدية ومستواهــا بقدر تعلقه بقوة الردع الكامنة في اسلحتها الصاروخية — النووية القادرة على تهديد الولايات المتحدة نفسها بدمار شامل. بيد ان تمادي الولايات المتحدة في تهديداتها ، وعدوانها المستمر على الشعوب الصغيرة، ومغالاتها في شن الحروب المحدودة وفق استراتيجيات « العصا الغليظة » و « الرد المرن والردع المتدرج » و « الفتنمة » وتصعيد عملياتهــا الحربية المحدودة الى درجة تهــدد بخنق حركات التحرر الوطني وتؤثر على أمن المعسكــر الاشتراكي نفسه دفعا الدول الاشتراكية — بعد ان ضمنت امنها الاستراتيجي بجهاز متكامل من الاسلحة النوويــة الصاروخية — الى اتخاذ التدابير اللازمة للقيام بدورها الاممي في حماية حركات التحرر الوطني ودعمها ، اي الى الاسراع بتطوير الاسلحة التقليدية اللازمــة لمجابهة الحرب المحدودة ، وسارت في هذا المجال شوطا بعيدا ، دون ان تردم حتى الان بشكــل كامل الفجوة التي فتحتها السياسة الخروتشوفية خلال عدة سنوات .

ولنعد الان الى انصار استبــدال السلاح السوفييتي بسلاح اخــر . انهم يعرفون ان السلاح الاول المؤهل ليحل محل السلاح السوفييتي هو السلاح الامريكي . ولكن موقف الولايات المتحدة صريح واضح منسجم مع سياستها العامة واستراتيجيتها في المنطقة ، فهي تدعم اسرائيل الى ابعد مدى ، وتصر على تحقيق تفوقها المستمر عــلى العرب ، وترفض بالتالي مجرد التفكير بتسليح الدول العربية ، باستثناء بعض الدول (الاردن ، السعودية) ، التي حصلت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ على عدد من الاسلحــة الامريكية لا لتعزيز القوة العربية في مجابهة اسرائيل بل لتنفيذ اهداف محليــة اخرى . والبدائل الممكنة بعد الولايات المتحدة هي الصين الشعبية والدول الغربية .

ان **الصين الشعبية** دولة تقدمية كبيرة ، تؤيد حركات التحرر الوطني ، وتقف في المعسكر المعادي للامبريالية ، لذا فان حصول العرب على السلاح الصيني لا يتناقض مع واقع الصراع وملابساته وحقيقة القوى المشتبكة فيه بصورة مباشرة او غير مباشرة . بيد ان صناعة الصين الحربية لم تصل رغم تقدمها المستمر السريع الى مستوى مجابهة الاسلحة الامريكية في حرب تقليدية . وتستطيع الاسلحة الصينية تعزيز القوة الحربية العربية الى مدى يمكنها من المجابهة لو ان التخطيط العربي يتجه نحو تسليح الجماهير لخوض حرب شعبية طويلة الامد تعتمد على السلاح الحربي والسلاح الايديولوجي . ولكن هذه مسألة لا يمكن ان تخطر على بال اصحاب فكرة استبدال السلاح السوفييتي لانها مرتبطة في الاصل بضرورة تبديل بنية النظام السياسي وبنية قوته المسلحة وتثويرهما قبل البدء بتحسين نوعية السلاح . ولو افترضنا جدلا ان الصين صنعت — اليوم او غدا — سلاحا متطورا قادرا على مجابهة السلاح الامريكي في حرب تقليدية، فان المسألة كلها ستعود بشكل او باخر الى السؤالين التاليين : هل سيستطيع اصحاب فكرة الاستبدال الانسجام مع الخط الصيني وهم الذين اصطدموا مع الخط السوفييتي لاسباب ايديولوجية . ام ان الصدام مع الخط الصيني سيكون مماثلا للصدام مع الخط السوفييتي ان لم يكن اشد حدة ؟ وهل تتضمن استراتيجية الصين الشعبية اصلا احتمال مجابهة مباشرة مع الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، وهل تملك بكين الاداة اللازمة والمرتكزات الضرورية للمجابهة في هذه البقعة من العالم ؟

ويتمثل البديل الثاني بعد الصين الشعبية في الدول الغربية المتقدمة . ولكن العودة الى التفكير بهذه الدول كمصدر للسلاح اللازم لمجابهة اسرائيل يعني العودة بشكل أو بآخر الى الخطأ السياسي — الاستراتيجي الذي وقع به العرب منذ بداية الصراع . لان تعديل مواقف الدول الغربية من اسرائيل وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لم يبدل طبيعة هذه الدول الامبريالية تبديلا جذريا ، ولم يقلب سياستها رأسا على عقب ، ولم يحولها من دول معادية لحركات التحرر الى دول تدعم حركات التحرر وتؤيدها . بيد ان الحقيقة العلمية تفرض علينا ان لا نتحدث عن اوروبا كلها كجسم واحد ، وأن ننظر الى كل دولة اوروبية على حدة ، مع تبيان التمايز الاكيد في مواقفها وسياساتها ذلك التمايز الناجم عن التناقض داخل المعسكر الامبريالي نفسه . وسيقتصر حديثنا هنا على ثلاث دول أوروبية متقدمة فقط هي انكلترا وفرنسا وايطاليا ، وسنسقط الدول الاوروبية الاخرى من البحث لعدم وجود صناعة حربية قوية فيها ، كما سنسقط المانيا الغربية رغم تطورها التكنولوجي نظرا لتبعيتها الكلية للولايات المتحدة في مجال التسليح . ولن نتطرق الى الحديث عن سويسرا نظرا لانها امتازت بصنع الاسلحة الخفيفة التي لا تستطيع — رغم اهميتها — قلب موازين القوى بشكل فعال .

بريطانيا : في آب ١٩٧٢ ، وبعد خروج الخبراء السوفييت من ج.م.ع. ذكرت وكالات الانباء العالمية ان القاهرة تسعى لشراء اسلحة ومعدات بريطانية ، وكان الرئيس السادات قد اشار الى ذلك قبل عدة اشهر . واكد جوزيف غودبر وزير الدولة البريطاني النبأ في ١٨ نيسان من العام نفسه في كلمة القاها امام الجمعية العربية — البريطانية قال فيها بأن بلاده مستعدة النظر « بعطف » الى كل طلب جديد للسلاح من الدول العربية (النهار ١٩٧٢/٨/٢) وعندما زار الفريق اول محمد صادق وزير الحربية المصرية السابق الكويت والسعودية تطرق الى بحث مسألة شراء طائرات لايتنغ البريطانية (الانوار ٧٢/٨/٢٢) ، وبعد زيارة وزير الخارجية المصري محمد حسن الزيات للندن في نطاق الحملة الديبلوماسية لكسب الاصدقاء ظهرت انباء تؤكد بان مصر تنوي شراء صواريخ ارض — جو من طراز رايير قيمتها ٥٩ مليون دولار من شركة « بريتش اير كرافت كوربوريشن » بالاضافة الى الدبابات تشفتين والطائرة الفرنسية — الانكليزية

جاغوار (نشرتنا رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية رقم ٤٤ و ٥٩) . ثم أيد الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية في تشرين الثاني امكانية احتمال بيع أسلحة بريطانية لمصر ، وذكرت الاكسبرس والديلي ميل رغبة مصر في شراء اسلحة بريطانيـــة باكثر من ١٠٠ مليون جنيه استرليني دون أن تحدد انواع هذه الاسلحة ، وهل تشمل الدبابة تشفتين والطائرة جاغوار والصاروخ رايير ام انها تقتصر على الدبابـــة سكوربيون والطـــائرة لايتننغ والصاروخ ارض ـــ جو ماتيور .

ويمكن ، بعد تحليل كل هذه المعلومات ، ان نقول بأن العملية كلها غير جادة ولا تخرج بمضمونها عن عمليات التسليح في مرحلة ٤٨ ـــ ٥٦ . لان الطائـــرة لايتننغ والدبابة سكوربيون والصاروخ ارض ـــ جو ماتيور اقل تطورا من السلاح الامريكي الحديث . أما الاسلحة المتطورة الحديثة فلا يمكن الحصول عليهـــا في الوقت الحـــاضر نظرا لان المصانع البريطانية ستقدم الى ايران فائض انتاجهـــا من الدبابة تشفتين خـــلال عدة سنوات . والطائرة جاغوار لم تنتج على نطاق واسع ولا تزال في مرحلتها التجريبية . اما الصاروخ رايير فهو عاجز عن مجابهة اجهزة التشويش الأليكتروني الحديثـــة . وبالاضافة الى كل هذه التحديدات التكنولوجية والصناعية فان هناك مسألة مبدئية بالغة الاهمية هي ان الموقف البريطاني من مسألة الصراع يتمثل في قول جوزيف غودبر امـــام الجمعية العربية ـــ البريطانية بان بلاده مستعدة لبحث مسألة تقديم السلاح الى العرب « شريطة الا تؤدي الاسلحـــة الى تبديل ميزان القوى في الشرق الاوسط » (النهـــار ١٩٧٢/٨/٢) وفي تصريح الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية الذي قال في ١١ تشرين الاول ١٩٧٢ «ان سياسة بريطانيا لم تتغير ، وهي لا تفرض حظرا على الاسلحة، ولكنها لا ترسل الى المنطقة اسلحة تخـــل بميزان القوى » (ملحق نشرة رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية رقم ٩٢) . اذن ماذا تستفيد الدول العربية من شراء هذه الاسلحة حتى ولو كانت متطورة ذات قدرات قتالية ونارية عالية اذا كان الشرط الاول للحصول عليها هو عـــدم قلب موازين القوى اي عـــدم الوصول بالسلاح العربي الى « الحجم الهجومي » اللازم لاي هجوم عربي يستهدف التحرير او ازالة آثار العدوان على الاقل!!

فرنسا : لقد أخذت فرنسا منذ حرب حزيران ١٩٦٧ موقفا متميزا عن الموقف الامريكي بالنسبة للصراع العربي ـــ الاسرائيلي . ومن المؤكد ان مصالح فرنسا وارتباطاتهـــا الثقافية والاقتصادية مع العالم العربي تجعل سياستها متناقضة مع السياسة الامريكية بشكل يفيد العرب ويدعم مواقفهم ، وهذا امر ايجـــابي لا يمكن تجاهله عـــلى صعيد السياسة . أما على الصعيد العسكري (التسليحي) فان الموقف الفرنسي يتمثـــل في « حظر بيع الاسلحة لدول الشرق الاوسط المشتبكـــة في النزاع » . وهذا يعني عـــدم القدرة على الافادة مـــن السلاح الفرنسي لقلب ميزان القوى . وقـــد تفكر الحكومة الفرنسية في المستقبل برفع هذا الحظر ، ولكنها ستجد عندئذ معارضة قوية من العناصر الصهيونية المتغلغلة في اجهزة الاعـــلام واجهزة الدولة نفسها (قضية غبريـــال اراندا والتهديد بكشف ١٣٦ وثيقة تثير فضيحة هائلة اذا لم تبدل الحكومة الفرنسية سياستها بالنسبة لتزويد ليبيا بطائرات الميراج) . واذا استثنينا لبنان الذي يتلقى من فرنســـا أسلحة محدودة لا تؤثر على موازين القوى العامة ، واستثنينا تونس ومراكش البعيدة حتى الان عن جبهات المجابهة ، وجدنا ان ليبيا هي البلـــد العربي الوحيد الذي يتلقى اسلحة فرنسية يمكن ان تؤثر على موازين القوى وخاصة بعـــد ظهور دولة الاتحـــاد الثلاثي ، والسير بخطى حثيثة على سبيل توحيد ج. م. ع. وليبيا .

ففي عام ١٩٦٩ اشترت ليبيا من فرنسا ١١٠ طائرات ميراج ـــ٥،ثم حاولت الحصول على دبابات آ. ام اكس ـــ ٣٠ ومعدات حربية اخرى خلال زيارة رئيس الوزراء الليبي عبد السلام جلود الى فرنسا في تشرين الثاني ١٩٧٢ . ولكن ما هو الاثر العملي لكل هذا ؟

ان الطلبات الجديدة لم تلب بعد ، ولم تتأكد امكانية تلبيتها في المستقبل القريب ، كما ان ليبيا لم تستلم من طائرات الميراج المشتراة سوى حوالي ٥٠ طائرة ، وستستلم الباقي بمعدل ١٦ طائرة كل عام (اي خلال ٤ اعوام) . ومن المتوقع ان تتعرض الصفقة كلها، والصفقات الجديدة المحتملة لتعقيدات قد تؤدي الى ايقافها عندما يتحقق الاتحاد المصري ــ الليبي في هذا العام لان ذلك يجعل ليبيا جزءا من دول المواجهة التي ينطبق عليها نظام الحظر ، بالاضافة الى التعقيدات التي ستتعرض لها الصفقة اذا ما نقلت الطائرات الى ج.م.ع. قبل تحقيق الاتحاد نظرا لان في ذلك مخالفة للشرط الفرنسي القائل بـ « أن فرنسا ستعلق الصفقة اذا وجدت ان الطائرات تذهب الى بلد ثالث في خط المجابهة الامامي مع اسرائيل » .

ايطاليا : تأتي ايطاليا بعد انكلترا وفرنسا في مضمار القدرة على تسليح القوات العربية ، نظرا لانها اضعف منهما في مجال تكنولوجيا التسليح ، واشد منهما ارتباطا بالسياسة الامريكية في الشرق الاوسط . لذا فان قدرتها على تقديم اسلحة متطورة تقلب موازين القوى قدرة معدومة تقريبا ، وهي مستعدة ــ كما نقلت وكالة الصحافة الفرنسية في آب ١٩٧٢ ــ لان تقدم لليبيا عربات مصفحة من طراز م ــ ١١٣ ، ودبابات امريكية قديمة ، وطائرات هليكوبتر ، ولكنها غير مستعدة لتقديم دبابات ليوبارد .

والخلاصة : ان العودة الى التفكير بالحصول على السلاح من الدول الغربية بغية الصراع ضد اسرائيل عمل اعرج يتناقض مع الفهم الحقيقي لاستراتيجية الغرب ودور اسرائيل في هذه الاستراتيجية وهو يعود بنا الى متاهات ما قبل مرحلة كسر حصار السلاح . والمصدر الوحيد المؤهل لتقديم الاسلحة للدول العربية بغية متابعة نضالها التحرري الوطني هو الصناعة المحلية والدول المعادية للامبريالية والمؤيدة لنضال الشعوب من اجل التحرر الوطني ، اي الاتحاد السوفييتي والصين ودول اوروبا الشرقية . واذا كان السلاح الحربي (المادي) المستورد من الدول الاشتراكية معرضا للخضوع لتحديدات استراتيجية هذه الدول ولفهمها لطبيعة الصراع العربي ــ الاسرائيلي وحجمه واهدافه ، فان السلاح الايديولوجي (المعنوي) لا ينبع الا من ارض العرب ، ولا يخضع الا لارادتهم ، ولا يمكن للقوى الخارجية التأثير عليه والحد من اندفاعه وتصاعد زخمه الا بشكل جد محدود .

ان معركة التحرير بحاجة لقلب موازين القوى ، وخلق القوة الهجومية بشقيها المادي والمعنوي . واذا كان التأثير الخارجي على الشق المادي ممكنا فان هذا التأثير على الشق المعنوي شبه مستحيل . وعندما يتم الحصول على **الحد الاقصى الممكن** من الشق المادي ، **والحد الاقصى الواجب** من الشق المعنوي تصبح القوة الهجومية في وضع يؤهلها لشن حرب تحرير شعبية ــ ثورية . وهنا لا بد لنا من ان نكرر حقيقة اكدناها اكثر من مرة ، وهي انه ينبغي عدم التحدث عن حرب شعبية ــ ثورية الا بوجود أداة هذه الحرب المتمثلة بجيش شعبي ــ ثوري . وان الشرط الاول لوجود هذا الجيش هو وجود نظام شعبي ــ ثوري . وكل حديث عن الحرب الشعبية ــ الثورية وجيشها دون ربط ذلك بوجود النظام الشعبي ــ الثوري عبارة عن فسيفساء لفظية لا تصمد لحظة واحدة امام حقائق المعركة وتحدياتها .

القبعـــة والنبي

غسان كنفاني

تنشر شؤون فلسطينية هذه المسرحية التي لم تنشر حتى الان والتي كان الشهيد غسان كنفاني قد كتبها في مطلع العام ١٩٦٧ .

ملاحظات المؤلف :

تترك هذه المسرحية للمخرج حرية مطلقة في التصرف ، والملاحظـات التالية ينبغي ان تحمل على محمل الاقتراحات ، بما في ذلك دمج الفصول الثلاثة في فصل واحد .

١ ـ المسرح : طاولتان متشابهتان يفصل بينهما حاجز حديدي يوحي بقفص الاتهام ، على انه ينبغي ان لا يكون هذا الحاجز بارزا بطريقة تجتـذب النظر للتركيز عليـه . القفص هذا مكون من ضلعين ، الضلع الذي يفصل بين الطاولتين ، والضلع الـذي يفصل بين طاولة المتهم والجمهور ، وهذا الضلع بالذات قابل للحركة ، بحيث يـدور على مفصله المربوط الى الضلع الاخـر بسهولة ، وبوسـع حركة من هذا النوع ، ببساطة ، ان تجعل طاولة المحكمة وكأنها داخل القفص والطاولة الاخرى (طـاولة المتهم) طليقة .

نصف المسرح الذي تشغله طاولة المحكمة يوحي بالجدية والعراء ، لا ديكور ولا اي شيء يوحي بميزات خاصة . الطاولة عارية وفي احد دروجها يوجد حبل .

نصف المسرح الاخر ، الذي تشغله طاولة المتهم ، له شخصية المنزل المتواضع ، في صدره باب ينفتح على شرفة هي في الوقت ذاته المدخـل الى « المنزل » ـ حـاجز الشرفة يبدو بوضوح للمشاهد حين ينفتح الباب .

٢ ـ الاشخاص : المتهم شاب في ملابس عادية . يكون في معظم المسرحية دون قميص، ويبدو بقميصه الداخلي طبيعيا للغاية .

رقم ١ ورقم ٢ شخصان متشابهان ، انيقان دون افراط ، ودون ما يوحي بالرسمية . صوتاهما ـ بصفة عامة ـ حياديان وميالان للتقريرية .

السيدة : شابة جميلة وانيقة ووالدتها مبهرجة قليلا ومتصابية وذات مظهر عدواني الى حد مـا .

ساعي البريد يلبس ملابس عادية ويتميز بقبعة رسمية فقط ، ولا يحمل حقيبة ، وشديد الفضول .

٣ ـ الشيء : محور أساسي ، ولذلك فتصميمه ينبغي ان يخضع لشروط لا مفر منها اولها ان لا يكون ، باي حال من الاحوال ، معدنيا ، والا يمت بأية صلة لشكل يشبه الانسان او الحيـوان او النبات الشائع . لونـه اسود وبالوسـع ادخال اللون البنفسجي . ذو مظهر اقرب للقماش او المطاط وتكوينه يتميـز بفروع مثـل اوراق الشجر العريضة فوق قبة ـ سوف يستعمل فيما بعد كقبعة مبتكرة ـ اما تحريكـه

ثمة وسائل عديدة لذلك ، ابسطها كما يبدو ان يحرك عبر ثقب في الطاولة التي لن يبرحها تدخل منها يد لرجل يجلس تحتها ولا يظهر على الاطلاق ، اما الفروع فيمكن ان يعتمد في تحريكها على اهتزاز لنوابض تكون داخلها .

وفي كل الحالات : لا ينبغي ان يوحي « الشيء » بأي علاقة مع اي تكوين شائع ، كما لا ينبغي ان يوحي باي شيء فكاهي او مضحك .

وبالنسبة لصوته فان اقرب التصورات هو ان « ينطق » بواسطة مسجل . الصوت ينبغي ان يكون واضحا للغاية ولكنه غير طبيعي تماما ، بوسع الرجل الذي سيتولى تحريك الشيء الاشراف على المسجل ايضا .

الشرطي : استعملت هذه الكلمة في وصف الرجل الذي سيكون عليه ، دون النطق بكلمة واحدة ، تحريك الحاجز بين الفينة والاخرى . لا ملابس رسمية ولكن صرامة الرجل الرسمي المكلف . ولا تعاطف ، وغالبا لا يلفت نظر اي من اشخاص المسرحية ولا يقاطع احداثها وحوار ابطالها . من الافضل ان يجلس هذا « الشرطي » في مقاعد المتفرجين الاولى ويتحرك منها الى المسرح ويعود اليها ، وكذلك فان وجوده على طرف المسرح الاقصى ، الاقرب للجمهور ، ممكن بشرط الا يلفت وجوده نظر احد الا حين يتحرك . ينبغي ان ينسى تماما حين لا يكون ثمة ما يفعله ، ولكنه ابدا لا يدخل او يخرج من الكواليس .

الضوء : سيتزايد دور الضوء باطراد كلما اقتربت المسرحية من نهايتها ، ولا ضرورة هنا لملاحظات اكثر من تلك التي سترد في السياق فيما عدا الاشارة الى ان تركيز الضوء على احد نصفي المسرح ينبغي الا يخفي تماما النصف الاخر ، ومن الضروري ان تظل اشكال الاشخاص في النصف المعتم (سيلويت) واضحة الى حد ما .

*

على ان تصرف مخرج يلتقط المعنى الاساسي للمسرحية يظل من شأنه اغناء المسرحية .

(غ. ك.)

أشخاص المسرحية

المتهم . الشيء . السيدة . والدة السيدة . رقم ١ . رقم ٢ . « شرطي » . ساعي بريد .

المشهد الاول

رقم ١ : (وكأنه يكمل حديثا) اما وقد انتهينا من المحاكمة فسأصدر الحكم الان . قف كي تسمعه كما ينبغي .

المتهم : (دون اهتمام ولكن بقليل من الدهشة) تصدر حكمك ؟ انتهينا من المحاكمة ؟ (يقف) ولكننا يا سيدي لم نبدأ بعد !

رقم ١ : (مخاطبا رقم ٢) اسمعت ما قال ؟ يقول اننا لم نبدأ بعد .

رقم ٢ : لننته من الموضوع بسرعة .. دعنا نشنقه هنا والان .. أليس هذا هو الحكم الذي اتفقنا عليه ؟ (يخرج من درج الطاولة حبلا ويضعه على الطاولة) .

المتهم : (يدور حول الطاولة ويمسك الحاجز بكلتا كفيه) أيها السادة دعوني أذكركم بأننا

لم نبدأ ! لقد قبض علي امس فقط ولم يقابلني احد طوال الليـل ثم جيء بي الى هنا ، وكنت اعتقد اننا انما نجتمع للتعارف .
رقم ١ : ايها القاتل .
رقم ٢ : قاتل ووقح ايضا .
رقم ١ : قاتل رهيب (مشيرا الى الشيء الاسود امامه) والجثة ما تزال امامه وقد بدأ ينكر حتى قبل ان ندفنها .
رقم ٢ : . . حتى قبل ان يجف دمها . .
المتهم : دمها ؟
رقم ١ : لننسى موضوع الدم (ملتفتا الى رقم ٢) الحقيقة انه لا يوجد دم .
رقم ٢ : قتلها خنقا .
المتهم : خنقا ؟ انه شيء لا يستعمل الهواء .
رقم ١ : قتلته . . وهذا يكفي .
المتهم : قتلته ام قتلتها ؟ يا سيدي! انا اقبل حكمكم لو تقررون اذا كان هذا الشيء هو او هي .
رقم ١ : هذه مسألة لا تخص القانون . لا تخرجنا عن الموضوع . لقـد ارتكبت جريمة قتل وهذا يكفي .
المتهم : قتل من ؟
رقم ١ : قتل هذا (مشيرا الى الشيء الاسود) .
المتهم : انظر كيف تتهرب من الموضوع !. انني اسألك (يعلو صوته ويأخذ حالة الهجوم) هل تسمع ؟ انني اسألك : ما هو هذا الذي قتلته .

[يتقدم « الشرطي » بهدوء ويحرك ضلع الحاجز المواجـه للجمهور وينقله على محوره الى الجهة المقابلة فيبدو القاضيان الان في القفص والمتهم دونه]

رقم ١ : (مخاطبا رقم ٢) قل له ما هو هذا! .
رقم ٢ : قل له انت .
المتهم : انه شيء لا يوجد فيه دم . لا يتنفس . لا يأكل . ليس من المعروف اذا كان ذكرا ام انثى . . لقد تفحصته بنفسي ، ليس فيه شيء يمكن ان نسميـه عضوا تناسليا . . فكيف يمكن قتله ؟
رقم ١ : ولكنه كان يحكي يا سيدي .
رقم ٢ : وكان يشرب ايضا .
المتهم : ان الاسطوانة تحكي ، وشجرة الصبار تشرب ـــ هذا لا يكفي . . هل لديكـم اثباتات اخرى ؟
رقم ١ : في الواقع لا . . ولكن هذا لا ينهي الموضوع . قد يكون مخلوقا عجيبا . . وعلى اي حال أنت قتلته وقد قلت ذلك بنفسك للسيدة .
المتهم : هل ادعى احد علي ؟
رقم ٢ : ليس حتى الان . . ولكن معلوماتنا تقول ان له أخا جاء معه ثم اختفى ، وقـد يظهر يا سيدي في أية لحظة ويطالب بدم اخيه . .
المتهم : لا يوجد دم .
رقم ٢ : يطالب بحياته اذن .
المتهم : ان الذي لا يأكل ولا يتنفس ولا يضاجع امرأة لا يمكن ان يكون شيئا حيا .
رقم ٢ : يطالب به .
المتهم : يطالب به او بها ؟

رقم ١ : الواقع يا سيدي ان الموضوع موضوع اخلاقي في الدرجة الاولى ، لنفترض ان أخاه جاء ذات يوم وطالب به . . فماذا نقول له ؟
رقم ٢ : نعم ، ماذا نقول له ؟ انها مسألة لا تهم هذا الوطن فقط ولكنها تهم العالم بأسره .
رقم ١ : تهم الكون كله في الواقع .
رقم ٢ : (ينظر بحسرة الى الشيء الاسود) لقد جاء المسكين من كوكب اخر فقتلته انت!
المتهم : (يبكي) انا اكثر حزنا عليه منكم !

[يتقدم الشرطي فينقل الحاجز فيصبح المتهم في القفص من جديد]

رقم ١ : [بصوت عال] اذن لماذا قتلته ايها المجرم ؟
رقم ٢ : ايها المجرم .
المتهم : لقد مات وحده .
رقم ١ : ولكن انت السبب في ذلك . . اعترف .
رقم ٢ : اعترف فورا [يرفع الحبل ويلوح به]
المتهم : انني ارفض هذه المحاكمة . . . صحيح انني حزين [يبكي] ولكن هذا لا يعني انني القاتل . . [ينتعش] ثم من هذا الذي قتل ؟ ما هو اسمه او اسمها ؟ كيف قتل ؟ تصوروا لو انكما قررتما قتل كل حزين في هذا العالم . . لن يبقى غيركما . ثم ستحزنان انتما لانكما ستكونان عندئذ وحدكما ، وسيقتل احدكما الاخر .
رقم ١ : هذا صحيح . . ولكن امامنا جريمة ويجب ان ننتهي منها . . ان القوانين قادرة على تغطية كل شيء . .
المتهم : ولكنكما لم تنظرا في القضية . . لم تسمعا الشهود . . لم تتركاني أدافع عن نفسي . .
رقم ١ : ان الجريمة واضحة ليست بحاجة الى اضاعة الوقت . . لم يعرف هذا الشيء أحد غيرك . . فمن اذن يقتله ؟ كيف يمكن ان يقتل انسان ما شخصا لا يعرفه ؟
رقم ٢ : [المتهم] لقد احرجك هذه المرة ووضعك في الزاوية . . لماذا لا تجيب ؟
المتهم : اننا في الواقع نقتل الذين لا نعرفهم .
رقم ١ : [يقهقه] لقد اوقعناك في الفخ ايها القاتل . . لقد ضحكنا عليك وسحبنا منك الاعتراف الكامل ربما لانك غير خبير في هذا الموضوع ، فهذه اول جريمة ترتكبها في حياتك وانت لم تكن قاضيا في حياتك ولا مرة واحدة . . وهكذا استطعنا استدراجك بسهولة . . . كنت تقول قبل قليل انك لا تعرف هذا الشيء . لا تعرف اسمه ولا اذا كان شخصا او شيئا ولا من هو ، ولا اذا كان ذكرا ام انثى ، اي انك لم تكن تعرفه . . ولذلك بالذات قتلته .
رقم ٢ : [مبتسما] ذلك لاننا — كما قلت انت بنفسك — انما نقتل الذين لا نعرفهم .
رقم ١ : ان القانون ضدك . يجب ان تعترف بذلك .
المتهم : اعترف . . ولكن يجب ان تستمعا الي . .
رقم ١ : باسم اي شيء يجب ان نستمع اليك ؟ باسم القانون ؟
المتهم : لا . . باسم الفضول ايها السادة . [يقوم من مكانه ويتجه الى الحاجز] .
رقم ١ : الفضول ؟
رقم ٢ : (ينظر بتواطؤ الى رقم ١) ان وجهة نظره صحيحة . . . باسم الفضول .
رقم ١ : انني اذن اسمح لك بالكلام باسم الفضول . . . ولكنني سأنبهك مسبقا الى أن هذا لن يغير شيئا من الحكم . . ان الفضول شيء رائع ولكنه غير قانوني .

[يعود المتهم الى مقعده ببطء ، وفي اللحظة ذاتها تصعد « السيدة » درج الشرفة وتبدو عبر الباب المفتوح متجهة نحو المتهم الذي يصل الى كرسيه ويجلس عليه باسترخاء — يخفت الضوء الموجه على

القاضيين حتى يبدوا شبحين غامضين — تدخل السيدة ، بشيء من الغضب] .

السيدة : [ترمي حقيبة يدها على الطاولة وكذلك قفازيها وتبدأ بالمشي عبر الغرفة بغضب ، ثم تقف وتنظر نحوه] : يبدو ان علينا ان نستسلم اخيرا . وذلك بسبب جبنك وجبني معا . فدعنا نسوي المسألة بهدوء .
المتهم : اية مسألة ؟ مسألة الجنين ؟ مسألة الدين ؟ مسألة المال ؟ مسألة أمك ؟
السيدة : كل هذه المسائل .
المتهم : لنبدأ بمسألة الجنين . يجب ان يموت بالطبع .
السيدة : نقتله بالمناصفة : مئة ليرة منك ومئة مني .
المتهم : ليس لدي مئة قرش اشتري بها رغيفا ..
السيدة : والحل ؟
المتهم : اقذف بك عن الدرج ، او نتزوج .
السيدة : الزواج مستحيل .. لان ..
المتهم : لانني لا استطيع ان اعيل قطة ، ولانني لا اريد ان استبدل ديانتي كما تستبدلين معطفك ، ولان الحب وحده لا يستطيع مهما بلغت حرارته ان يخبز رغيفا ... ان امك رائعة في اكتشاف النواقص .
السيدة : انت في كل مرة تقول هذه الاشياء ذاتها .
المتهم : انت في كل مرة تقولين هذه الاشياء ذاتها .
السيدة : [بلطف مفتعل] قل شيئا جديدا هذه المرة فقط يا حبيبي ...
المتهم : [يرق] لنتزوج ! سأخطفك ونطير ويرضخ الجميع .. ان العالم واسع ومليء بالفرص .
السيدة : مليء بالفرص ! هل تستطيع ان تقول لي ما الذي قضى عليك الا هذا الهراء ؟ انت تنتظر ان يسقط عليك من السقف عمل مثلما تقدم الكعكة للاطفال .. ان العالم صغير . انه امي وغرفتك ومئتا ليرة .. هذا هو العالم .
المتهم : انهم يحاولون الهبوط على القمر ايتها الجميلة الغبية .
السيدة : ستكون اكثر سعادة لو استطعت ان تهبط السلم ، وتجرؤ على المرور من أمام دكان اللحام .. لقد سألني عنك الان .
المتهم : واذن ؟

[يضيء النور فجأة نصف الغرفة الاخر حيث يجلس القاضيان . ولكن السيدة تواصل التصرف وكأنها غير شاعرة بهذا الذي طرأ] .

رقم ١ : قل لي .. هل قتلت الجنين ؟
المتهم : [يلتفت اليه ببرود] كل الذي يهمك هو ان تصطاد لي تهمة جديدة .. لماذا لا تبحث معي عن حل لهذه القصة التعيسة ؟
رقم ٢ : انه في مأزق حقا ، دعنا نرى كيف سيتملص .
رقم ١ : كيف انتهى بك الامر اذن ؟
المتهم : [فيما يتكلم تكون السيدة ، التي تبدو في اللحظة ذاتها تتكلم بغضب ولكن دون صوت تلم حقيبتها وقفازها وتخرج من الغرفة بحيث تختفي وراء حاجز الشرفة في اللحظة التي ينتهي فيها هو من الكلام] لقد تعلقت المشكلة هنا . مثلها كل يوم . غضبت وصرخت وشتمت وازدادت كراهية لي . حسنا لنقل ان حبها لي تناقص عن ذي قبل ، مثل كل يوم . ايها السادة ، لقد احببتها حقا .. ولكن لم يكن باليد حيلة . اعتقد انها قصة تحدث كل يوم مع كل شخص .. ولكن هل يعني ذلك انها غير مهمة ؟ انظروا كيف

صارت حالتي ! كنت اشعر انني افقد اخر شيء لي في العالم .. يا الهي كم صرت تعيسا ! [ينظر صوب الباب ، حيث اختفت السيدة] .

رقم ٢ : [مخاطبا رقم ١] لنكن حذرين .. انه يحاول ان يخرجنا عن الموضوع ، انه يستدر دموعنا ليخفي كفيه الملوثتين .

رقم ١ : ليستا ملوثتين في الحقيقة . تذكر . لا يوجد دم . [متجها الى المتهم] والان .. انس ذلك كله .. نريدك ان تحكي عن الجريمة .

المتهم : [بانكسار] هذه هي الجريمة ايها السادة .. لقد هجرتني السيدة .. هل هناك ما هو اكثر رعبا في حياة انسان كان يخبىء الحب في جيبه كسلاح اخير للدفاع عن نفسه ؟

رقم ١ : للدفاع عن نفسك ضد من ؟ هل كان ثمة من يتهددك ؟

المتهم : كل الناس . كل شيء . صاحب البيت والخباز واللحام والطبيب . الغربة والوحشة والوحدة . المرض والشقاء . الشقاء الذي لا ينتهي وفرص السعادة التي لا نستطيع ان نملأها . العمل والبطالة . الانتظار والوصول . الانكسار . الفشل . طعم الانتصار التافه . القلق . نداء الرحيل الذي لا يستجاب . الخيبة . غياب الشمس وغياب الصديق وغياب الدهشة . الموت .. يا الهي ! ان نراه قريبا الى هذا الحد وان ننتظره ليل نهار ..

رقم ١ : [صائحا] كفى ! [يلتفت الى رقم ٢] هل سجلت ما قال ؟

رقم ٢ : سجلته اختصارا .. انه يقصد كل شيء .

رقم ١ : حسنا ، والان اكمل .

المتهم : ان تصحو فتجد انك لم تفعل شيئا وان ليس ثمة ما تستطيع ان تفعله . ان تتذكر فجأة ان لحظة ما في الماضي كانت في وقتها كل شيء بالنسبة لك وانها الان مثل معلبات اللحم المفرغة والمقلوبة على قفاها .. أن ...

رقم ١ : كفى !.. انك توشك ان تبكينا .

المتهم : حسنا .. هذا كان حالي عشية مقدمه [مشيرا الى الشيء الاسود امامه] .

رقم ١ : لقد بدأت القصة الان ، انتبه .

المتهم : [يتمدد في مقعده ، فيما يغيم الضوء عن طاولة القاضيين] كنت نائما ايها السادة . مثلما تنامون جميعا . لا . مثلما ينام رجل مثلي فقط ، لقد سمعت صوتا ضئيلا على الشرفة فحسبت انني احلم .. ولكن الصوت تكرر . كان مثل استغاثة صغيرة مجهولة .. ترددت كثيرا ، ثم قمت ..

[يقوم ببطء ، يشعل ضوءا اضافيا ويتجه نحو باب الشرفة ـــ المدخل ينظر الى الخارج بحذر . ثم يهم بالعودة ولكنه يقف منصتا بانتباه شديد ـــ نصف متشنج . حركة مجهولة صغيرة تسمع في الخارج . يعود ببطء ويختفي وراء الباب ، وبعد لحظة يعود . ذراعاه في حركة من يحمل شيئا . يتجه الى الطاولة ويضع « الشيء » الذي يحمله فوق الشيء الاسود الموجود اصلا هناك بحيث يبدو وكأنه وضعه الان . يتفحصه بدقة ويهز رأسه محتارا ، ثم يلتفت الى الناحية التي يجلس فيها القاضيان] .

.. كان منشورا على الحاجز ، كما تقع عليه كل يوم قطعة قماش معلقة على شرفة الجيران ..

[ينتهي من التفحص ويعود بغير اكتراث الى مقعده ليسترخي ، وفجأة ينبثق الصوت : رفيعا ومعدنيا وباردا . باختصار يوحي بما هو غير انساني ولكن دون عدوانية] .

الشيء : أبعد هذا الشيء عني لاعرف كيف اراك .
المتهم : [ينتفض ويبربر يتراجع ، ثم يتقدم بحذر] .
الشيء : قلت لك ابعد هذا الشيء [يتحرك ببطء وكسل] .
المتهم : انت ؟
الشيء : ستقتلني ايها الخائف .. ابعد هذا الشيء .
المتهم : [دون ارادة] ما هو .؟
الشيء : لست ادري ... انني لا استطيع ان اراك .
المتهم : الضوء ؟
الشيء : ليكن له هذا الاسم اذا كان ينهي المشكلة .
المتهم : [يتجه الى الضوء الاضافي ليطفئه ولكنه يتوقف فجأة في نصف الطريق ــ ينظر حواليه ثم يخلع قميصه بسرعة ويرتد نحو «الشيء» ويغطيه بالقميص وينهال عليه لكما فيما ينظر حواليه مفتشا عن اداة اكثر فتكا .. مصدرا اصواتا غاضبة وغامضة] .

[تضيء طاولة المحكمة فجأة .. ويقف رقم ١ منحنيا فوق الطاولة ويصرخ] .

رقم ١ : تكاد تقتله ايها المجرم ! كف عن ضربه ! الا تسمع ؟ اني آمرك باسم القانون ان تتوقف .
رقم ٢ : [بهدوء] والا انزلنا بك اقصى العقوبات .
رقم ١ : انني آمرك ان تكف عن لكمه .

[يتوقف المتهم عن ضرب « الشيء » ولكنه يواصل الامساك به باحكام . ويلتفت صوب المحكمة] .

المتهم : اتعتقد انني انا الذي اضربه ايها القاضي ؟
رقم ١ : [يعود فيجلس] لقد رأيتك بعيني تفعل ذلك .. وها انتذا تنكر بكل صفاقة [ملتفتا الى رقم ٢] الم نره باعيننا يضرب ذلك الشيء المسكين دون سبب ؟
المتهم : من هنا يبدأ الخطأ .. اجل ! انظروا كيف تتبدل الامور ويتهم البريء !. ايها السادة ! لم اكن انا الذي ضربته !
رقم ١ : [متهكما] من الذي كان يضربه اذن ؟
المتهم : انتم ! [صارخا] انتم جميعا ايها القتلة !

[يتقدم الشرطي فيدير الحاجز الحديدي المواجه للجمهور ، يقوم بهذه الحركة دون ان ينظر اليه احد ودون ان يتوقف سياق الحوار . يصير القاضيان الان داخل القفص وتتبدل بالتالي لهجات الحوار] .

المتهم : انتم ! اجل ! انتم الذين ضربتموه ذلك الضرب المبرح .. ثم تقولون انني انا الذي فعلت !
رقم ١ : اننا لم نفعل يا سيدي ! نقسم لك اغلظ الايمان اننا لم نفعل .. وثمة شهود رأوك تضربه بلا شفقة ..
المتهم : ان الانكار لن ينفعكم .. وثمة براهين قاطعة لا يحصيها العد ، والافضل ان تعترفوا ..
رقم ٢ : نعترف بماذا ؟
المتهم : بأنكم ضربتم المسكين دون رحمة ودون سبب ، وباداتموه بالعدوان قبل ان تظهر حقيقة نواياه .
رقم ٢ : ولكن انت الذي ضربته .. انظر الى كفيك .. انهما حمراوان ما زالتا !
المتهم : [يرفع كفا واحدة عن الشيء وينظر اليها ثم يلوح بها في وجهي القاضيين]

ايها المحتالون ! هذه اليد لم تكن الا اداة الجريمة ولكنها ليست هي المجرمة . انها علامة فقط . ولكن من الذي ضرب المسكين ؟ انتم بالطبع ! الا تتذكرون كم وضعتم في رأسي ، يوما اثر يوم ، ان الذي يأتي من الخارج انما يأتي بحافز الشر ؟ تذكروا . .

رقم ١ : نتذكر ماذا يا سيدي ؟

المتهم : تذكروا انكم حشوتم رأسي كل لحظة بان اي شيء قادم من المجهول انما يحمل نوايا الشر معه ، وان القادمين لا بد ان يكونوا وحوشا . لم تتحدثوا ابدا عن علاقة . . تحدثتم دائما عن الغزو والقبر والمجهول المرعب الفتاك . . لم تقولوا ابدا ان المجهول قد يكون شيئا طيبا مسكينا يمد يده دون سلاح . . لقد حشوتموني بالرعب وبرغبة شريرة اسمها الدفاع عن النفس ، لذلك لانكم انتم انفسكم اشرار .

رقم ١ : لقد قلنا ذلك من باب الاحتياط فقط يا سيدي .

المتهم : . . وانظر اين وصل الامر بنا ! لقد كاد احتياطكم هذا يقضي على هذا الشيء المسكين . . . وكاد يؤدي الى اتهامي أنا بالجريمة . .

رقم ١ : ولكنك كنت تضربه . . رأينا ذلك بأعيننا . ان الامور شديدة الوضوح ايها السيد .

رقم ٢ : والقانون أيضا .

رقم ١ : بل أنت كنت تضربه بدافع من الخيبة . كنت انسانا مهجورا . لم تكن تستطيع ان تضرب اللحام ولا صاحب البيت ولا السيدة المسكينة التي لا تعرف حتى الان ماذا فعلت بالجنين الحرام الذي وضعته أنت في رحمها [يعلو صوته . الشرطي يدوّر الحاجز مرة أخرى فيعود المتهم الى قفصه] بل انت لم تكن لتستطيع ان تفعل شيئا بما يختص بالامور المعنوية أيضا . الغربة والخيبة وما شابه ذلك ، وقد أدى بك الامر الى مرارة مجنونة جعلتك تنهال على ذلك « الشيء » المسكين الطيب ضربا ولكما وركلا دونما سبب .

رقم ٢ : بل كدت تميته قبل الاوان المخصص لذلك .

« الشيء » : [يصيح بصوت مكتوم من تحت القميص فيما يغيم الضوء بالتدريج عن قاعة المحكمة] ان ذلك أفضل . . أستطيع الان أن أرى كما ينبغي . . ولكن ما الذي تفعله أنت ؟

المتهم : انني أضربك .

الشيء : كف عن هذه الحماقة ودعنا نتصرف مثلما يجب . .

المتهم : [يضربه مرة أخرى] الا تتألم ؟

الشيء : كلا بالطبع .

المتهم : وترى جيدا في الظلمة ؟

الشيء : أرى جيدا كما أنا الآن . . . لو رفعت هذا الشيء عني وأبعدت ما اتفقنا على أن أسمه ضوء .

المتهم : [يرفع قميصه عن الشيء ببطء وقليل من الخوف ، يذهب فيطفىء الضوء الاضافي ويعود متوجسا] من أنت ؟

الشيء : لنتفق أولا على الا يلحق أحدنا أذى بالآخر .

المتهم : اتفقنا .

الشيء : لقد احترقت مركبتي .

المتهم : مركبتك ؟

الشيء : كنت قادما للاستطلاع هذه المرة . .

المتهم : وحدك .

الشيء : كان معي رفيق لست أدري ما حل به .

المتهم : هل أرسلت خصيصا لي ؟

الشيء : كلا . قلت لك أن مركبتي احترقت وسقطت عندك . هذا كل ما في الامر .

المتهم : وانت تستطيع أن تتكلم ؟
الشيء : انهم يتكلمون من خلالي معك .
المتهم : ولن تستطيع أن تعود ؟
الشيء : علي أن أنتظر . . .
المتهم : يا لحظك التعيس ايها الغريب [يقف . يفكر قليلا] غريب حقا ! لقد جئت عند رجل يكاد يموت من الجوع . . والآن سنموت معا .
الشيء : هل تعني انه ليس عندك ماء ؟
المتهم : بلى ! كثير من الماء ولكن قليل من الاكل .
الشيء : انني أحتاج للماء فقط .
المتهم : وانا وحدي ولا أستطيع أن اعنى بك كما يجب . . فأنا لم أتزوج بعد ، ويبدو أيها السيد أن المرأة الوحيدة التي كانت . . .
الشيء : امرأة ؟
المتهم : اجل . . امرأة [مندهشا] ألا تعرف ما هي المرأة ؟
الشيء : لا .
المتهم : الجنس الآخر ؟
الشيء : لا .
المتهم : كيف تتناسلون اذن ؟
الشيء : اننا نزرع . اذا أردت رفيقا قطعت جزءا من جسدك ووضعته في الرمل، وسينمو ويصير رفيقا . . . أو قل بالعدوى .
المتهم : مثل الشجر ؟
الشيء : ليكن . مثل الشجر . . . ولكن ما هي هذه المرأة ؟ قلت انها جنس آخر .
المتهم : المرأة ؟ آه ! انها . . اوف ! . . سيبدو صعبا أن أشرح لك . كيف اقول لك ؟ . . يا الهي . . انها شيء جميل .
الشيء : جميل ؟
المتهم : جميل . همم . . جميل ، وأمور أخرى .
الشيء : اسمع . . يبدو اننا لن نستطيع التفاهم على أي شيء .
المتهم : هذا صحيح . الضوء . العتمة . القميص . الضرب . الألم . الاكل . الشرب . ثم تأتي المرأة . اننا نتحدث كرجلين في قطارين متعاكسين .
الشيء : قطار ؟
المتهم : والقطار ايضا ! . . انني اختنق . . كأن الغرفة أخليت فجأة من الهواء !
الشيء : الهواء ؟
المتهم : أن نتنفس ! . ان نتنفس ايتها الشجرة !
الشيء : اسمع ! لنضع حدا لهذه المهزلة . . اننا نحتاج الى تعارف في اول الامر .
المتهم : ان اسمي . .
الشيء : دعك من الاسماء . . الا ترى ان خلافنا يبدأ منها ؟
المتهم : صحيح . . اننا على الاقل نستطيع أن نتفاهم على خلافاتنا .
الشيء : سأحكي لك عن عالمي ثم تحكي لي أنت عن عالمك العجيب هذا .
المتهم : محاولة مسلية . ولكنها مضحكة بعض الشيء . ابدأ أنت . [يسترخي]
الشيء : ان حياتنا . . . نعم . حياتنا ، كنت — كنت أريد أن أقول . على أي حال ، انها على ما يرام . فنحن نملك كل شيء . نعم . كل شيء على الاطلاق .
المتهم : [يضحك بصوت عال] انك تبدو مضحكا أيها الشيء العجيب . . كيف تجرؤ على القول أنكم تملكون كل شيء وقد اكتشفت لتوي انكم لا تملكون المرأة ولا الهواء ولا الاكل ولا الضوء . الضوء . يا الهي ! هل فكرت بذلك ؟ الضوء بالذات .

الشيء : كيف يتعين علي أن أبدأ اذن ؟ اننا في موقف حرج ! فكي أقول لك ما هو عندنا يجب أن أكون على معرفة بما هو ليس عندكم .
المتهم : ان مهمتنا هنا تشبه ان نبدأ بخلق العالم .
الشيء : لا . ان خلق عالم واحد اسهل بما لا يقارن من خلق عالمين .
المتهم : أنا لا أعرف ما هو ليس عندي . وأخشى أن لا أفيدك .. وانت في حال يماثل حالي .. فكي تقول لي مثلا انك لا تعرف الضوء ينبغي أن تكون في الواقع تعرف الضوء والا كيف سيخطر على بالك أن تقول هذه الجملة ؟
الشيء : اننا في وضع يائس .
المتهم : أجل .
الشيء : ومع ذلك فان شكلك يبدو لي مضحكا للغاية .
المتهم : أستطيع أن أفهم ذلك . فأنت تبدو لي مضحكا الى حد التشنج أيضا .. ومع ذلك فنحن في الواقع مكونون على نحو منطقي ، فلو كانت أصابع أكفنا ، مثلا ، أطول قليلا مما هي عليه ، لصار بوسع أي منا أن يقتلع زلعومه بنفسه متى شاء ، أما الآن فهو لا يستطيع .
الشيء : ينبغي أن تكونوا تعساء حقا حين تعتبرون ذلك انتصارا .. لماذا يريد أي منكم أن يقتلع زلعومه بنفسه ؟
المتهم : وأنتم ؟ الا يرغب واحدكم في الموت من حين لآخر ؟
الشيء : الموت . انها كلمة قديمة أسقطناها من الاستعمال ، مثلها مثل كلمة الالم ، أجدادنا الابعدون يذكرون ذلك . أما نحن فلا ..
المتهم : أما نحن فنعم .
الشيء : ماذا كنتم تفعلون اذن طوال الوقت الذي مضى ؟ نحن لم نضعه عبثا . ان الواحد منا لا يمكن أن يموت الا اذا حرم من الماء . والماء متوفر في كل مكان ..
المتهم : انكم تعساء حقا !
الشيء : تعساء لاننا لا نتألم ولا نموت ؟
المتهم : نعم .
الشيء : لا بد أن خطأ ما موجود في عقولكم . او انكم تجيدون الاحتيال بصورة فريدة !
المتهم : ان الشجار لن يجدينا نفعا .. دعنا نتفاهم .
الشيء : حين تحدثت عن الشيء الذي سميته امرأة .. كان وجهك يشرق بتوهج غريب .. ان هذا الشيء كما يبدو لي أغلى كنوزكم .
المتهم : انت لن تستطيع ان تفهم .. كيف ؟ انت لا تعرف ما هو الجنس الآخر ! بل انت لا تستطيع أن تطفيء ضوءا اذا أردت أن تختبيء .
الشيء : أنتم سعداء اذن ؟
المتهم : بالطبع .
الشيء : جدا ؟
المتهم : كفاية ، ولكن بصورة لا تستطيع ادراكها .

[يقف ويبدأ في التجول في الغرفة وكأنه يحلم فيما يتحدث بصوت شاعري . وفي الوقت المناسب يبدأ الضوء بالتوهج في غرفة المحكمة بحيث يكتمل تماما مع نهاية حديثه]

.. وكيف تستطيع أن تفهم ؟ انك لم تجرب لذة أن تلتصق بدفء المرأة ، عاريين . لا تعرف تلك الغيبوبة الراجفة كيف تهطل في العروق .. بل لا تعرف لذة ما هو أقل قيمة من هذا . ان تفرش نفسك في الشمس ، أن تنتظر الشروق . أن تمطر السماء فوق شعرك . لا تعرف . لا تعرف لحظة الذروة في اللذة ، لانها مزيج من الالم والسعادة ، كمن يضرب

على قصبة ساقه ، ولكنك لا تعرف الالم . الهواء . الضوء . بل أنت لا تعرف معنى أن تحب وأن تحب . المرأة ، مرة أخرى . أنت محروم من لذة الاكل . مـــن لذة الجوع المتحفز . ماذا أعدد لك ؟ الصداقة . الفرح والحزن . الوصول . الهزيمة والنصر . الخيبة أيضا . الانتصار مهما كان صغيرا . دعني أوجز لك الامر : أن تخرج ذات يوم مع امرأة تحبها وتحبك فتغتسلان بحرارة الشمس وتأكلان وأن تعودا بعد ذلك للفراش فتنجبا الاولاد . الاطفال ! أنت لا تعرف هذه السعادة أيضا . . فكيف تريد أن نتفاهم ؟

[تضيء قاعة المحكمة الآن تماما]

رقم ١ : أيها الافاك المخاتل !

رقم ٢ : أيها الكذاب .

رقم ١ : لقد كنت تخدع ذلك الشيء المسكين !

رقم ٢ : قاتل وكذاب أيضا .

رقم ١ : كنت ، وأنت تعدد للمسكين الجاهل كل هذه الامور البراقة ، رجلا مهجورا ، لا صديق له ، يكاد يموت من الجوع ، لا يجرؤ على المرور من أمام دكان اللحام ، منبوذا محطما فاشلا حزينا . . . ثم كنت تخدع المسكين !.

رقم ٢ : أغلب الظن انه مات قهرا لان كل تلك السعادة فاتته .

رقم ١ : ربما كان هذا بالذات أداة الجريمة البشعة .

المتهم : يا سيدي . . تصور أن تكون في عالم مثل عالمه . . . الا يذكرك ذلك بشيء في عالمك ؟

رقم ١ : ما الذي تعرفه عن عالمه أيها الدجال ؟

رقم ٢ : لا شيء .

رقم ١ : محتال .

المتهم : انهم لا يعرفون الضوء . . عالم دون شمس . لا يستطيع أحدهم أن يجلس أمام مدفأة ، ليس عند أي منهم عضو تناسلي . . ان لذلك نتائج خطيرة جدا : اذن فهـــم لا يحفظون أية أغنية لهدهدة طفل ، ولا توجد في أسواقهم دكاكين لبيع لعب الاطفال . . تصوروا ، تلك الدببة اللطيفة المحشوة بالقش والقطط والثعالب والسيارات الخشبية . .

رقم ١ : أنت تتحدث عن ذلك كله في الليل . بينما كنت في الصباح عازما على قذف السيدة عن السلم كي تجهض ابنك الحرام !

رقم ٢ : وتتحدث عن الضوء فيما هم يستعدون لقطع الكهرباء عن بيتك لانك لـــم تسدد فواتيرك .

المتهم : لم يكن باستطاعتهم أن يمنعوني من مداعبة طفل في الطريق ، ولا من الرؤيا في ضوء الشمس .

رقم ١ : بلى . لقد قصرت في واجباتك وكان بوسعهم وضعك في السجن .

رقم ٢ : [وهو يلوح بالحبل] أو شنقك في الليل .

رقم ١ : لماذا لم تقل له ان الجنين الحرام في رحم السيدة كان يجثم بمؤخرته فوق قلبك ؟

المتهم : لقد عرف ذلك بنفسه فيما بعد ، أن امورا من هذا النوع لا يمكن اخفاؤها عن شخص يعيش معك في الغرفة ذاتها ، فبعد يومين من الاحاديث حول مختلف المواضيع جاءت السيدة لزيارتي

[يغيم الضوء بالتدريج عن غرفة المحكمة فيما تبدو السيدة عبر باب الشرفة تصعد الدرج]

كنا قد صرفنا وقتا طيبا ونحن نتحدث . باختصار أيها السادة صرنا أصدقاء ، وكان كل ما يحتاجه هو الماء

[ينهض ويحضر كوب ماء يضعه أمام الشيء ، وفي اللحظة ذاتها يرى السيدة على وشك الدخول فيتناول قميصه الذي ما يزال ملقى على الطاولة ويغطي به الشيء ويتجه لاستقبال السيدة]

السيدة : جئت معي بأمي فقد يساعد ذلك على التفاهم .

[تدخل الام]

الام : [تخاطب السيدة] قلت لك منذ البدء انه رجل دون مستواك . انظري كيف يستقبل سيدتين وهو بملابسه الداخلية . انه عديم الذوق وفي الحقيقة انه داعر . [متجهة للمتهم] انت بحاجة الى من يعلمك الادب والتهذيب ، ومع ذلك فمشكلتنا الآن اكثر تعقيدا من مجرد استقبالك لنا بالملابس الداخلية .

السيدة : والآن هدئي أعصابك .. ان الشجار ينبغي أن يأتي في النهاية . لماذا لا تلبس قميصك ؟

المتهم : لانني اشعر براحة اكثر هكذا .. أنت لم تصيري زوجتي بعد .

الام : ولن تصير .

المتهم : اذن انتهى الموضوع الذي جئت من أجله يا سيدتي ، اذن .

الام : لا . لم ينته . ولكنه بدأ . ستدفع الثمن غاليا اذا كنت قد خلعت عقلك من رأسك كما خلعت قميصك .

المتهم : [باستفزاز] ماذا تستطيعين ان تفعلي يا سيدتي ؟ ان صوتك يحمل تهديدا وأنا لا أحب هذه اللهجة .

الام : ماذا أستطيع أن أفعل ؟ سأعدد لك : أستطيع أن أرفع عليك دعوى . أستطيع أن أرسل لك أخاها فيذبحك ويغسل عار العائلة . أستطيع أن أنهال عليك ضربا الآن .. أستطيع أن أروي القصة لخال السيدة فيضعك في السجن حتى تموت ..

[ينبثق صوت « الشيء » من تحت القميص وكأنه صدى]

الشيء : دعوى . ذبح . عار . ضرب . سجن .. ها ها ها .

[يندفع المتهم ويضع يده مضطربا فوق القميص]

الام : [مندهشة وخائفة] ما هذا ؟ لقد سمعت صوتا .

السيدة : جاء من تحت القميص .

[تحاولان الاتجاه نحو القميص فيقف أمامهما]

المتهم : لا .. لا شيء .. انها آلة تسجيل ..

الام : أنت اذن تسجل أقوالنا لاستعمالها ضدنا .. [الى السيدة] قلت لك منذ البدء انه حقير .

السيدة : انني أتساءل من اين أحضر ثمن آلة التسجيل مع انه قال لي أمس الاول انه لا يملك فلسا يشتري به خبزا .

المتهم : [محاولا تغيير الموضوع] أيتها الجميلة .. ويا سيدتي العزيزة ! دعونا نحل المشكلة كما ينبغي ، وبأهون السبل . نتزوج . ويصير الجنين ابننا المشروع ..

الام : [مقاطعة] تتزوج ؟ انت تتزوج ؟ انت المفلس تتزوج وتتحدث عن الطفل أيضا ! الطفل الحرام الذي جاء ثمرة احتيالك على هذه المسكينة . رجل بلا أصل تريد الزواج من السيدة . اسمع أيها المحتال : يجب أن نعمل على اسقاط الجنين فورا ، ويجب أن تعيد كل رسائل السيدة اليها . وتدفع حصتك في التكاليف .

الشيء : مفلس . زواج . طفل حرام . بلا أصل . اسقاط الجنين . رسائل . تكاليف .

المتهم : اسكت أيها الاحمق !

الام : من هذا ؟ ماذا يجري هنا ؟ اننا في غرفة مجنون يا سيدة !
الشيء : لا يشتري خبزا . حقير . آلة تسجيل .
المتهم : قلت لك اسكت .
الام : أريد أن أفهم ما الذي يجري هنا .
السيدة : اعترف .
المتهم : [منتفضا تحت وطأة فكرة جديدة . يتجه نحوهما ويمسكهما بحنان من ذراعيهما ويتكلم همسا] قد يكون هو الحل .
الام : [بصوت عال] ما هو هذا الحل ؟
المتهم : اخفضي صوتك لئلا يسمع ... انه شيء ثمين . يا ألهي كيف الهمتني هذه الفكرة المنقذة . اسمعوا : اذا عرضناه للبيع فقد يدفعون خمسة آلاف ليرة ثمنا له .
الام : [ساخرة] أنت تملك شيئا ثمنه خمسة آلاف ليرة ؟ انني أراهن انك وضعت جواربك تحت هذا القميص القذر كي تخدعنا .
المتهم : أقسم لك بشرفي انني لا أكذب ولا أخدع ..
الشيء : شرف . كذب . خداع .
المتهم : هل سمعتما ؟ [همسا] انه مخلوق عجيب عثرت عليه .
الام : ومن أين جاء ؟
المتهم : [فخورا ومشيرا الى فوق] من هنا .
الام : ما رأيك أن تحتفظ بأربعة آلاف وتسعمئة ليرة وتعطينا الآن مئة ليرة فقط ؟
السيدة : [ببطء وقد تغيرت لهجتها] اسمعي يا ماما ... قد يكون على حق . لنعالجه في منتهى الحرص .. ألم نقرأ في الصحف أمس ان جسما غريبا دخل الى الفضاء الارضي وانفجر وان شيئين مجهولين سقطا منه ؟
الام : ولكن هذا شيء واحد .
السيدة : دعونا خارج التفاصيل . هل استطيع أن القي نظرة عليه ؟
المتهم : كلا ! ان ذلك يفقده نصف ثمنه على الاقل .
الشيء : تبيعني أيها الصديق ؟
المتهم : اسكت أنت الآن .
الام : انني اقسم بكل شيء انك مخاتل قذر . محتال من الدرجة الاولى . ومع ذلك فان يومين آخرين من الانتظار لن يجعلا بطن السيدة أكبر مما هو الآن ، بحيث يظهر للعيان [الى السيدة] تعالي .

[تخرجان . يراقبهما حتى يغيبهما الباب ثم يعود فيرفع القميص عن الشيء]

المتهم : كيف حالك الآن ؟
الشيء : كالعادة .
المتهم : أنت لست غاضبا من سلوكي ؟
الشيء : لقد خدعتني وها أنتذا تريد أن تفرط بصديقك الوحيد .. أتذكر كيف أقسمت أمس انني شيء مهم بالنسبة لك ؟
المتهم : ولكنك سمعت بنفسك ما دار في هذه الغرفة قبل قليل .. ولو لم تتكلم في الوقت غير المناسب لكنا ، أنت وأنا ، في مأمن .
الشيء : الحب ، الاطفال ، الضوء . أن تنام مع امرأة . أن تأكل ..
المتهم : [مقاطعا] كفى .. انها أمور تحدث .. [بعد قليل] هل تعتقد حقا انني سأفرط بك ؟ لقد قلت ذلك لابعد الكابوس فقط .. أنت الشيء الوحيد في عالمي [مفكرا] بل أنت عالمي في الحقيقة .

[تبدو السيدة مرة أخرى عائدة على الشرفة ـــ يسارع المتهم فيغطي الشيء بالقميص]

السيدة : لقد تخلصت من أمي وعدت لك يا حبيبي ..
المتهم : ما الذي تريدينه الآن ؟
السيدة : أريد أن أعتذر عن أمي . ولكنك تستطيع ان تفهم . انها امرأة عاطفية تحبني كثيرا وتخشى عليّ .. اما انا فمعك على استعداد لمواجهة طوفان برمته .. ان الامور مهما قست ستنتهي الى حل .
المتهم : بالطبع .

[صمت بارد . تنظر الى القميص]

السيدة : دعني ألقي نظرة على هذا الشيء .
المتهم : لا .
السيدة : متى ستبدأ الاتصال من أجل بيعه ؟
المتهم : لن أبيعه . انه صديقي . انه في الواقع عالمي كله .
السيدة : دع الامور تسير بيسر أيها العزيز .. لا تعاند . كـــن واقعيا . تصور كيف يستطيع صديقك مساعدتنا بلا حدود . صديقك الطيب . نتخلص من الجنين وتسدد ديونك وندخل دخولا رائعا الى حياة زوجية لا تنتهي سعادتها .. بل تصور انه يستطيع تخليصك من السجن . قال لي اللحام الآن ان جميع اصحاب الدكاكين في الحارة قــد تضافروا لرفع الدعوى ضدك ... انها فضيحة حقا .
المتهم : لن أبيعه .
السيدة : أيها العزيز !
المتهم : كيف سيكون بمقدورك أن تفهمي ؟ اقول لك انه عالمي .
السيدة : انه عالم آخر ، شديد البعد .
المتهم : لا . لم يعد كذلك . انه عالمي الخاص .. دونه سأشعر بالعري .
السيدة : [ساخرة] انك عار الآن !
المتهم : أنا لا أتحدث عن القميص أيتها الغبية .
السيدة : وأنا لا أتحدث عن القميص ..
المتهم : عم تتحدثين اذن ؟
السيدة : عن كل شيء . الاصدقاء والحرية وانا . الحب والطعام والكبرياء . الراحة والقدرة على ملء فرص السعادة .. أنت الآن عار منها جميعا ودفعة واحدة .
المتهم : ليس كما تظنين !
السيدة : بلى . وأنت مكابر وعنيد . ان اصرارك على الاحتفاظ بهذا الشيء هو بمثابة اصرارك على المنفى .
المتهم : غبية .
السيدة : انت الغبي . فكر قليلا . انه مخرجك الى العالم الحقيقي .
المتهم : لا . انه مدخلي للعالم الحقيقي .
السيدة : لو بعته لاستطعت ان تصبح ديكا قرمزيا .
المتهم : في قن والدتك .
السيدة : دع والدتي خارج الموضوع الآن ... الست ترى الامر بالوضوح الجدير برجل عاقل مثلك ؟ ما الذي ستفعله بهذا الشيء ؟ انه عديم النفع بالنسبة لك . ولو بعته لأتحت الفرصة لكسب علمي هائل للعالم كله، ولانقذت نفسك في الوقت ذاته وعدت على سجادة حمراء الى العالم ، الى الناس . الى الحب .. الى كل شيء .
المتهم : [غاضبا] لا تغرري بي . انت لا تعرفين كيف تشرق الشمس مع هذا الشيء

وكيف تتوهج خدود الاطفال وكيف تضحي المرأة سعادة حقيقة . لا تعرفين كيف يصير الهواء طعم اللذة وكيف يصير بوسعي أن أمسك الضوء بيدي وأتعلق به كما يتعلق الطفل بالغصن .. أجربت عمرك أن تسمعي الموسيقى معه ؟ أن تتفرجي على الالوان ؟ أن ترقصي ؟ أن تنامي ؟ أن تأكلي ؟ أن تصهلي في الحقول وعلى رمال الشواطىء ؟ أن تكوني صديقة أو حبيبة أو طفلة ؟ أو تناضلي في سبيل طمس الالم ؟ أن تبني دنيا من العواطف ؟ ان تبعدي جدران هذا العالم المزدحم عن بعضها وتمدي الهواء فيما بينها ؟ ان تسافري من أقصى الارض الى اقصاها في لحظة ؟ وقبل ذلك كله : أن تكوني حقيقية ولو مرة واحدة في عمرك ؟

السيدة : هراء ! هراء ! ان العالم الحقيقي وراء هذا الحاجز [تشير الى حاجز الشرفة] وهو طريقك الوحيد الى هناك . ضع عقلك في رأسك ايها الطفل العزيز المسكين . ان هذا الشيء هو الانقاذ .

المتهم : انه الانقاذ .

السيدة : اعرف انك تقصد عكس ما اقصد ولكن ..

المتهم : لماذا لا تكفين عن هذا الهراء فتركضي وراء سروال أمك وتغيبي من هنا الى الابد ؟ هل تسمعين الى الابد [يمسك بها ويجرها جرا تقريبا الى الباب] لا أريد أن أراك .

[يعود فيرفع القميص — تصدر عن الشيء قهقهة صغيرة]

الشيء : أنا لست أكثر غرابة منك [يضحك بعنف] أنا لست أكثر غرابة منك !

[يحمل المتهم قميصه بغضب ويضعه فوق الشيء بعنف ، فيما يواصل الشيء قهقهته وتضيء فجأة غرفة المحكمة ويأخذ رقم ١ ورقم ٢ يضحكان بعنف .. فيما يظل المتهم واقفا يرتجف بالغضب]

« ستـــار »

المشهد الثاني

● المنظر نفسه . غرفة المحكمة مظلمة ●

الشيء : يبدو لي انني سببت لك مشاكل غير متوقعة . انك مطوّق الآن .

المتهم : [قلقا] ليس تماما . اذا احتفظت السيدة بفمها مطبقا فان الامور ستجري على ما يرام ، اما والدتها فانها لا تصدق شيئا .

الشيء : انت تفضل لو ان السيدة كوالدتها ؟

المتهم : كيف ؟

الشيء : أي انها لم تصدقك .

المتهم : طبعا .

الشيء : أحيانا تبدو لي شديد التناقض ! انظر الى نفسك ! كم تحدثت لي خلال الايام الماضية عن روعة الصدق وضرورة الثقة ، ثم ها انت تفضل لو انها لم تثق بصدق كلامك !

المتهم : ان رأسك ، أيها الشيء ، لا يعجبني .

الشيء : لا رأس لي ، كما تلاحظ بنفسك .

المتهم : اذن كف عن نبش أخطائي .

الشيء : انني لا أنبشها ، انني الاحظها فقط .
المتهم : حسنا . انني غير راغب في بدء حفلة ملاكمة معك وانت تبدو لي راغبا في الشجار الى أبعد حد . أنت ترى ، حاول أن تفهمني . انني أحاول أن أكون شيئا طيبا .
الشيء : احذر . أنت تنزلق بصورة ستنتهي بك الى أن تدق عنقك! لا تحاول أن تكون شيئا طيبا . حاول أن تكون رجلا طيبا ، ذلك انك لن تستطيع ان تكون شيئا ، مثلي مثلا . انت لا تستطيع ان تكون الا رجلا .
المتهم : هذا صحيح ، بقدر ما هو مرعب .
الشيء : مرعب حقا . انا معك . اليوم أو غدا او بعد أسبوع سيكون عليك أن تختار : هل تريدني أم تريد نفسك ؟
المتهم : الاثنين معا .
الشيء : مستحيل . ان الواحد لا يستطيع أن يكون اثنين .

[يتجه نحو الباب ويعطي ظهـــره للشيء والجمهور ويحدق عبـــر المصراعين المشرعين الى الافق]

المتهم : ينبغي أن ننتهي من ذلك كله بطريقة ما . انظر الى هذا الافق يفرش المدى الى آخر ما تستطيع العين أن ترى . ان الالوان تأخذ فيه طعما لم يكن لها أبدا . ذلك القنديل الذي كنت أسميه شمسا . أية روعة !

[يلتفت فجأة نحو الشيء — بشيء من الغضب]

أنت لا تستطيع أن تفهم ! لا تستطيع أن تفهم .. انني ها هنا افتح مصاريع عالم يولد لاول مرة . مليء بالدهشة . اكتشفه حبة حبة مثلما يكتشف الطفل أصابعه اصبعا اصبعا . دونك سيرتد هذا العالم الى الغبار والصدأ ، وسيتداعى من جديد ركاما متعفنا وراء بكارة مزقها جيش من الرواد . انك من حيث لا تدري تمنحني النبوّة .
الشيء : انت نبي مضحك اذن ، لم تستطع رسالته الرائعة ان تمتد الى أكثر من شخص واحد !
المتهم : وأي شخص !
الشيء : لا تتحدث عني بهذه السخرية . انني في الواقع ما أزال أراك مضحكا وطريفا ، وأتساءل كيف تستطيع أن تحتفظ بنفسك واقفا على هـــذه الصورة .. انت تبدو لي بهلوانا . الطاولة أكثر منطقا منك !
المتهم : انظر الى نفسك كيف تتحدث الي ! فيما كنا قبل لحظة فقط قد اتفقنا انك الوحيد الذي تلقى رسالة نبوتي !
الشيء : انا ؟ ها ! انت لم تفهمني اذن ! ان نبوتك لم تتجاوزك بعد . ان الشخص الوحيد الذي ينضوي تحت لواء رسالتك هو أنت نفسك ايها التعيس !
المتهم : وانت تعتقد ان هذا شيء لا قيمة له ؟
الشيء : الى حد ما .
المتهم : تصور اذن !.. تصور ! : ان رفيقك الذي لا نعرف على اية شرفة سقط يكرر قصتك هذه في مكان ما ، بين أربعة جدران تولد من جديد في مكان مجهول لاول مرة .. ثمة شخص آخر مثلي ، على الاقل ، في هذا العالم .
الشيء : وبينكما يتكدس كون من الغبار والقطيعة والصمت !
المتهم : ربما . ولكن ليس كونا من المستحيل ... وأنت بارد مثل سطل من الثلج .. لقد راقبتك وأنا أتحدث عن رفيقك الذي فقدته حين جئتما معا الى هذه الارض .. ومع ذلك فأنت لم تهتز ، كأن الامر لا يعنيك !
الشيء : ربما سقط على شرفة السيدة ، ووجدته أمها في الصباح فغسلته وكوته وجعلته قبعة !

المتهم : . . وها أنت تتحدث عنه كأنه قبعة فعلا !
الشيء : قبعة ، أو نبي . . انت لا تعرف كم يجعل الناس منهما شيئين متشابهين . . ان اكثر الناس يفضل أن يضع النبي على رأسه من الخارج ، مثل القبعة . . مثل يافطة ضخمة ملونة مضيئة على واجهة دكان فارغ !
المتهم : لماذا لا تفترض أن زميلك سقط على شرفة رجل مثلي ؟
الشيء : كي لا أتوقعه . كي لا أمضي ما تبقى لي من الزمن مكوّما هنا أترقب دخوله من الباب مثلما تترقب أنت شيئا مجهولا يعينك على العالم كله .
المتهم : قل لي اذن : ما الذي تتوقعه ايها التعيس ؟
الشيء : انني مربوط اليك بتلك المصادفة الرهيبة التي ستقضي علينا معا : فقد تنتهي أنت الى قصر مزدحم بالخدم والاكل ، وأنتهي أنا الى قارورة كحول على رف مختبر طموح !
المتهم : سنكون ، اذن ، متساويين . . . ولكن ماذا عن رفيقك ؟
الشيء : لا توسع اشغالك . دعه في مأزقه الخاص ، والآن اعطني المزيد من الماء . .

[يتجه فيأخذ الكأس من أمامه ويذهب الى نهاية الغرفة ، وفي اللحظة ذاتها تبدو « السيدة » وهي تصعد درج الشرفة]

الشيء : بست ! بست ! انتبه !

[يلتفت المتهم فيرى السيدة ، يسرع فيضع قميصه فوق « الشيء » ويتصدى للسيدة على الباب]

المتهم : نعم ؟ ألم نتفق على القطيعة ؟ لماذا تعودين ؟
السيدة : لا تحدثني بهذه الطريقة كأنك لا تعرفني . كأن ابنك لا يخفق في أحشائي . . دعني أدخل أولا .
المتهم : ليس بيننا ما يقال بعد ! لقد انتهى كل شيء !
السيدة : لا . انني لا ادفن قلبي بهذه البساطة مثلك . انني أحبك . . والآن دعني ادخل أيها الغبي . .

[يفسح لها الطريق فتدخل وتلقي نظرة جانبية على الشيء]

ما الذي حدث ؟
المتهم : بأي شأن ؟
السيدة : بشأن رجل الفضاء .
المتهم : لا يوجد رجال في الفضاء أيتها الغبية .
السيدة : أيا كان اسمه . . ما الذي حدث ؟
المتهم : لم يحدث شيء . لقد كذبت عليك منذ البدء . كنت قد قرأت الخبر الذي قرأته انت عن جسم غريب دخل الى مدار الارض فاختلقت القصة لاصرف والدتك .
السيدة : اخفض صوتك . . انها واقفة في الخارج تنتظرني وقد تسمعك .
المتهم : واقفة في الخارج ؟ أنت لا تريدين أن أرتكب جريمة قتل ؟
السيدة : لا . ستكون رجلا عاقلا ، وقد وعدتني أن تكون سيدة هادئة . انت لا تستطيع أن تمضي عمرك حبيس هذه الغرفة [تشير الى الشيء] مربوطا بخيوط غير مرئية الى شيء غريب .
المتهم : ليس ثمة أي شيء .
السيدة : [تشير الى الشيء مرة أخرى] حسنا . مربوطا الى وهم .
المتهم : أنت اذن تريدين فاتورة حتى بأوهامي ؟
السيدة : كن عاقلا أيها العزيز . لقد راجعت اليوم عالما كبيرا وحدثته عن كل شيء . .

عرض علي مبلغا يهز جبلا لو اتحت له فرصة واحدة للنظر فقط . كنت مع والدتي وقد جئنا لتونا من هناك . كانت تبكي طوال الطريق من التأثر . انه يطلب نصف ساعة فقط مقابل عشرة آلاف ليرة يدفعها لك سلفا !

المتهم : دعيه يتفحص والدتك . هذه المرأة الرقيقة ، وسيستفيد أكثر مما يستفيد من تفحص أي شيء آخر .

السيدة : عشرة آلاف ليرة ثمن نصف ساعة من الفضول ! هل تتصور ذلك ؟ انها فرصة العمر أيها العزيز .. انه لا يريد أخذه ، لا يريد شراءه ، فقط يريد أن ..

المتهم : ... أن يتعرف على رقم هويته ، ويتأكد من حيازته على شهادة تطعيم ضد الجدري .

السيدة : انت تزداد عنادا ، ولكن ذلك يزيدني اصرارا .. انني لا أستطيع أن اشطب عواطفي بهذه السهولة ، ثم انني ام طفلك ، وهذا كله يمنحني حقوقا ... عشرة آلاف ليرة ثمن نصف ساعة من حياتك ! ان عمرك كله لم يصل سعره أبدا الى نصف هذا المبلغ .

[تضيء غرفة المحكمة]

رقم ١ : [هامسا باستثارة] اقبل فورا أيها الغبي ! انها فرصتك للتخلص من الحجز على ممتلكاتك .

رقم ٢ : واذا فعلت فستتجنب جريمة قتل لا بد أن ترتكبها فيما بعد !

[ينظر المتهم نحوهما باستغراب فيما تبدو السيدة وكأنها لا تشعر بوجودهما . لحظات من الصمت ثم يخفت الضوء في المحكمة حتى تظلم]

المتهم : [للسيدة] ان عالمك رجل سخيف . كان ينبغي أن يطلب منك نصف ساعة لتفحصي أنا .

السيدة : انت على ما يرام أيها العزيز . انه العناد الذي لا مبرر له فقط . دعني ادعو والدتي للتحدث اليك .

المتهم : دعي والدتك في الخارج اذا أردت السلام في هذا العالم .

السيدة : لا تكن عدوانيا .. ستروي لك فقط ما قال لها العالم الذي راجعناه قبل قليل ، لقد حفظت كلامه المعقد غيبا .

المتهم : لا .

السيدة : لماذا لا تستمع اليها فقط ؟

المتهم : لا .

السيدة : لحظة واحدة .. ثم قل لها : لا ! اذا أردت .

المتهم : لا . منذ الآن .

السيدة : انت جبان اذن . انت تخشى أن تقنعك . هذا كل ما في الامر .

المتهم : تقنعني ؟ أمك التعيسة ؟

[السيدة تتجه الى الخارج في حركة توحي بأنها تريد استدعاء والدتها . المتهم يتجه الى الشيء بسرعة]

المتهم : ستظل صامتا مثل حجر .. لا تورطنا . سنعمل على الغاء القصة كلها، وسأقول انني كنت أكذب .. هل تفهم ؟

[تدخل السيدة بشيء من العصبية وتلتفت وراءها وتنادي أمها]

السيدة : ادخلي يا امي . انه يرحب بك .

[تدخل الام مترددة ولكنها بشوشة وذات نيات تبدو انها ودية ولكنها واضحة التصنع . فورا يلفت النظر ما تضعه على رأسها : قبعة تشبه « الشيء » شبها غريبا وتبدو الى حد ما مضحكة . وفورا تنفجر قهقهة « الشيء » المعدنية عالية صخابة من تحت القميص .. المتهم يتحير ويتردد ويفزع ولكنه ، في محـاولة للتغطية علـى ضحكات « الشيء » ينطلق في قهقهة عالية مفتعلة .. فتسود الغرفة حالة من التوتر والحيرة وتتحول الام بشيء من السرعة الى طبيعتها السلبية]

الام : أقول لك دائما انه مجنون .. وانت تضعينني مرة بعد مرة في هذا الموقف المهين .. انظري اليه كيف يسخر مني ! يا الهي ! كيف يمكن التحدث الى هذا الرجل الافاك ؟ [تضحك بتوتر] صهري العزيز !

السيدة : قليلا من الصبر يا أمي .. ان الوحدة ترهقه والهموم تفتت أعصابه .. حبيبي المسكين !

الام : انظري اليه كيف يضحك . مثل المصاب بمغص قاتل .

المتهم : [بخوف] ان قبعتك تضحكني .

الام : لقد كنت دائما صاحب ذوق ريفي . انت لست الشخص الذي يحكم على جمال أو قبح اي شيء ، فاحتفظ بآرائك لنفسك .

المتهم : [لنفسه] على المسكين ان يظل صامتا طوال الوقت كي يحتفظ بنفسه حيا على رأس هذه القمامة !

[مرة أخرى « الشيء » ينفجر ضاحكا من تحت القميص فيجاريه المتهم بافتعال ويقهقه بصوت عال ليخفي قهقهات « الشيء »]

الام : انها غرفة مجانين !

المتهم : اذن لماذا لا تغادرينها ؟

الام : هذا ما سأفعله ، حتى لو كان سقفك العاري سيمطر ذهبا !

السيدة : ماما !

الام : في سبيلك فقط يا ابنتي المسكينة سأتحمل كل حظي التعس .

المتهم : ان الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بجمال قبعتك ، يا سيدتي ، هـي أن تعرضيها للمطر بين الفينة والاخرى !

الام : [بنفاد صبر] سأعمل بنصيحتك يا بني . هل يسرك هذا ؟ اذن دعنا من القبعة ولنتحدث عن الشيء الذي قاده سوء حظه اليك .

المتهم : ليس ثمة أي شيء عندي . والواقع انكما سقطتما في خدعة . انا لا أملك ذلك الشيء قدر ما تملكينه انت ، مثلا .

الام : دعنا من الفلسفة والكلام الفارغ . ان عالما كبيرا يعرض عشرة آلاف ليرة ليلقي نظرة على ذلك الشيء الغامض مدة نصف ساعة ، وأنا متأكدة ، بل انه هو نفسه قال لي ، انه سيدفع عشرة أضعاف هذا المبلغ اذا رغبت في بيع ذلك الشيء .

المتهم : مئة الف ليرة ؟

الام : مئة الف ليرة .. أقرب اليك من أصابعك ، وستكون غبيا لو تركت هذه الفرصة تمر !

المتهم : ومع ذلك بودي لو كان بوسعي أن أكسب مئة الف ليرة بهذه السهولة ، ولكن لا شيء لدي . لقد كذبت عليكما .

السيدة : بل انت تكذب الآن .

الام : ان السيدة على حق . انت تكذب الآن .

المتهم : [ناظرا للقبعة] يا للشيء التعيس ! اية نهاية !
السيدة : أيها العزيز .. لا تضيع فرصة العمر . ضع عقلك في رأسك وادخل الى العالم بالكبرياء التي تليق برجل ذكي مثلك .
المتهم : ادخل الى العالم هذا الدخول المضحك ! مثلما تدخل أمك الى حفلة كوكتيل بهذه القبعة المبتكرة !
الام : دعك من القبعة .. انك تغيظني !
المتهم : أود لو يصل غيظك الى حد تقذفيني بها غضبا !
الام : مئة ألف ليرة أيها الغبي !
المتهم : بل مئتا ألف ليرة !
الام : ربما يدفع مئتي ألف ليرة لو تركته يتفحص ذلك اللغز ! [تلتفت الى السيدة وتلكزها بكوعها] لقد بدأ فتاك يلين ..
السيدة : هل أدعوه ؟
المتهم : سيضحك عليكما حتى ينقلب على قفاه ، ثم يرسل بنا جميعا الى حبس المجانين .
السيدة : سأرى بنفسي [تتجه بسرعة نحو القميص فيحول المتهم دونها بعنف]
المتهم : لا تقتربي من قميصي !
السيدة : ماذا تخفي تحته ؟
المتهم : لا شيء . انني حر في أن أضع قميصي حيث أشاء .
السيدة : لا . انك تخفي تحته شيئا .
المتهم : لنفترض انني أخفي تحته قبعتي ؟
السيدة : قبعتك ؟
الام : قبعتك ؟ انت تلبس قبعة ؟ يا للمهزلة ! لو رأوك تحتها لاخذوك الى السيرك !
المتهم : ومع ذلك فهذا شغلي أنا !
السيدة : ونحن ؟ أنا وأنت والطفل ؟ بل انت وحدك ! حياتك وكبرياؤك وربما حريتك وسمعتك ؟.. اين ستذهب بذلك كله ؟

[ينظر المتهم الى الام قليلا . يركز بصره على القبعة ثم يبدأ — وكأنه بوحي فكرة مفاجئة — يغير سلوكه تجاهها]

المتهم : حسنا ! دعينا نتحدث كأناس متمدنين ..
الام : ذلك أفضل .
المتهم : اذن استريحي يا سيدتي [يسحب كرسيا] دعيني آخذ معطفك .. [تخلع معطفها بأناقة ودلال وتناوله له] وقبعتك يا سيدتي أيضا .. [يمد يده راجفا]
الام : لا . دع القبعة على رأسي .
المتهم : ولكن خذي حريتك تماما يا سيدتي . انه بيتك . ستكونين مرتاحة أكثر دون قبعة .
الام : [بدلال] ها أنتذا أيها الشقي تعود للنيل من قبعتي .
المتهم : لا . أقسم لك سيدتي . أنا الذي أعرف قيمة القبعة في الحقيقة . ولكنني أردتك أن تشعري وكأنك في بيتك . ان قبعة من هذا النوع تتعب الرأس بلا شك .
الام : معك حق ، ولكنني أفضل أن لا أخلعها .. أنت لا تعرف كم تتعبني حين أضعها على رأسي ، ذلك يستغرق وقتا طويلا جدا : كلما ركزتها حيث أريد مالت الى جانب . انها لا تثبت على حال ، ولذلك فأنت لا تستطيع أن تخمن عدد الدبابيس التي اضطررت لاستعمالها كي أثبتها على رأسي ..
المتهم : أيها الشيء التعيس المعذب !
الام : ماذا قلت ؟
المتهم : لا شيء . انها كلمة اعتدت أن أقولها بلا معنى تقريبا بين الفينة والاخرى : ايها

الشيء التعيس المعذب ! ولكن لماذا لا تحاولي أن تريحي رأسك هنيهة وتخلعي هذه القبعة ؟
الام : اف ! انت تضيع الوقت في حديث غير مهم ..
المتهم : انها تعجبني في الحقيقة .. من أين اشتريتها ؟

[الام تنظر مبتسمة بتواطؤ تجاه ابنتها التي تبادلها النظرة نفسها ، وتضحكان ضحكة مقتضبة]

السيدة : انه سرنا . أنا وأمي . وقد تعاهدنا على الا نبوح به لاحد .
المتهم : حتى أنا ؟
السيدة : ترى لماذا تهتم بقبعة والدتي الى هذا الحد ؟
المتهم : أريد أن أشتري مثلها ..
السيدة : لمن ؟
المتهم : لك أنت أيتها العزيزة .
السيدة : حقا ؟
المتهم : طبعا ... أريد أن أراك دائما تحت شيء مثل هذا .
السيدة : ولكن والدتي تعتز بها الى حد لا تتصوره ، وأخشى أن لا يكون بالوسع شراء قبعة مثلها .
المتهم : اشتريها من والدتك [يلتفت الى الام] كم تريدين ثمنا لها ؟
الام : [تضحك] انني لا أبيعها .. ولكنك لو كنت طيبـــا وتعاونت معنا ومع الاستاذ العالم وأتحت لنفسك قبض ذلك المبلغ الخيالي فانني أعدك أن أقدم القبعة هذه هدية لك كي تعطيها للسيدة كما ترغب ... والآن ؟
المتهم : الآن ماذا ؟ هل ستخلعين القبعة ؟
الام : اف ! [تلتفت الى السيدة] انني شديدة الحيرة .. ويبدو انني سأنفجر وأطق !
السيدة : قليلا من الصبر يا ماما .. ان الامور تسير على ما يرام .
المتهم : اسمعوا . دعينا ننتهي من هذه المهزلة . في الحقيقة ليس لدي هنا أي شيء ، ولذلك لا تتعبي نفسك يا سيدتي .. وبالمقابل انا مهتم جدا بالحصول على قبعتك ..
الام : يا الهي !
المتهم : اسمعي يا سيدتي ، وكوني عاقلة مثلما كنت دائما : لقد جئت الى هنا كي تعقدي صفقة ، ولكن لسوء الحظ كانت افتراضاتك خاطئة .. انني أعوضك عن هذه الخيبة بصفقة أخرى فأعرض عليك شراء قبعتك ..
الام : انك لا تملك ثمن رغيف .. ثم انني أتحدث عن صفقة بمئة الف ليرة أيها الاحمق !
السيدة : [ساخرة] ما الذي تستطيع أن تدفعه ثمن هذه القبعة ؟
المتهم : أي شيء تريدانه !
السيدة : [بهدوء ، مشيرة الى القميص] نريد هذا ! هذه هي الصفقة .
المتهم : الا هذا !. [مترددا] لانه في الحقيقة لا يوجد اي شيء تحت القميص وأنا لا أريد أن أغشكما .
السيدة : نحن نقبل الصفقة دون الاستماع الى كلامك .
المتهم : ولكني لا أقبل .
الام : [تنهض بعنف] ذلك كله كلام فارغ واضاعة وقت ليس الا ! قلت لك منذ البدء انه رجل مجنون كذاب ... اما انا فسأنفض يدي من هذه القصة ، لا اريد ان اتحول الى اضحوكة للناس .. هيا بنا . دعيه هنا يموت جوعا .
السيدة : ماما !

الام : لن أبقى لحظة واحدة . أنا أعرف منك بهذا الصنف من الناس ، هيا بنا !

[تتناول معطفها وتسحب السيدة بما يشبه العنف نحو الباب .. يلحق المتهم بهما ولكنهما تخرجان . يقف لحظة مترددا ثم يصرخ عبر المصراع]

المتهم : [صارخا] امشي قليلا تحت المطر يا سيدتي .. تحت المطر بحق الاله !

[يعود فيرفع القميص عن الشيء]

الشيء : [يضحك] لقد زحزحوك قليلا .

المتهم : لا . انني في مكاني تماما . لا . في الواقع لست في مكاني . انني في وضع أفضل الآن .

الشيء : صرت نبيا يفتش عن قبعة !

المتهم : بالضبط .. هل تدري ؟ انني أعبد حماتي الآن ... لقد جاءت الى هنا تحمل الحل على رأسها .

الشيء : تقول « الحل » ؟ هاهاها ! ان طموحك السخيف يعجبني ..

المتهم : ألا تفكر بانقاذ رفيقك المسكين وانزاله عن رأس تلك المرأة ؟

الشيء : لماذا ؟ ربما كان الآن في العلبة المخصصة له يضحك علي حتى الاغماء .. هل تعتقد ان مصيره أسوأ من مصيري ؟ على الاقل انه يعسكر في مكان مرتفع ويستطيع أن يرى الاشياء والامور بصورة أفضل مني ...

المتهم : أنت لا تطاق !

الشيء : ان حماتك تقول الشيء ذاته عن قبعتها حين تتزحلق عن شعرها .

المتهم : ولكن ألا تملك شيئا من التقدير لي ؟ على الاقل أنت ترى كم اعتز بك .

الشيء : وحماتك تعتز بقبعتها .. وقد رأيت الامر بنفسك .

المتهم : اي انك لا ترى الفرق بينك وبين تلك القبعة ؟

الشيء : بلى . فرق شكلي . تلك تستر الرأس من الخارج ، وانا استر الرأس من الداخل . حماتك استعملت رفيقي لـ ..

المتهم : [يقاطعه] كفاك هراء . انني أتحدث عن حل يصلح لنا جميعا ..

الشيء : لنا جميعا ؟ انت وانا وهو والسيدة ؟

المتهم : ربما . ربما كانت السيدة فقط خارج الموضوع ، موقتا . اسمع . ينبغي في البدء ان نحصل على رفيقك بأي ثمن ، ثم نذهب جميعا الى مكان اعرفه ، لا يوجد فيه أحد . انه ارض تعيسة قاحلة كانت لجدي وأورثني اياها لانها لا تباع بنصف قرش .

الشيء : وننشىء هناك دولة .

المتهم : بالضبط . في البدء نشرع بالزراعة . زراعتك انت ، نقطع منك عرقا او عرقين ، ومن رفيقك بضعة عروق ، وهكذا نتكاثر ، ونصبح شعبا ، على الاقل لن تشكو الوحدة آنذاك .

الشيء : وانت ؟

المتهم : أغزو بكم العالم فيما بعد . ونعيد اكتشافه من جديد ... انها صفقة عادلة كما اعتقد : اعطيك عالما ها هنا والآن مقابل ان تعدني بعالم فيما بعد .

[تنتابه حمى هستيرية فيتحرك باستثارة مبالغ فيها في رقعة واسعة]

انها صفقة عادلة : انت الآن وحيد ومعذب ونهايتك مشؤومة ومهددة ولا قيمة لهــا . اليس هذا صحيحا؟ حسنا! انني أوظف نفسي عندك كالعبد، وابني لك عالما كاملا من أشياء مثلك .. ومقابل هذا أنتظر أنا حتى يتكوّن عالمك وبه أغزو عالمي الضال هذا . أخلق رجالا مثلي ، عبر أشيائك . من شرفة الى أخرى ينط جنودك كما نططت انت الى شرفتي

فقلبت كل شيء . من رجل مهزوم الى رجل مهزوم آخر ، حتى يصبح لي ، مثلما حدث معك ، شعبي وعالمي .
الشيء : انت نبي حقيقي . . . ولكن ما أدراني انك لن تجعلنا نتكاثر حتى تبيعنا بالاقفاص فيما بعد ؟
المتهم : هراء ! ينبغي ان تكون قد وثقت بي وقد رأيت بنفسك ما حدث : عدني بالجنة التي أريدها أعدك بأن لا تمضي عمرك تعيسا ووحيدا .
الشيء : ستصبح اذن ملكا على حقل من القرنبيط !
المتهم : انت لا تكف عن السخرية ، ومع ذلك فانك ترتجف حبورا في اعماقك . . . وفي الواقع انني أنا الذي أدفع الثمن الاكبر : أعطيك كل شيء مقابل وعد . . .
الشيء : وماذا ستعطي أولئك الذين سينضمون الى مملكتك فيما بعد ؟
المتهم : عالما افضل .
الشيء : انني على أي حال لا أخسر شيئا ، ولذلك لا رغبة عندي في المعارضة الان ، ولكن يضحكني جدا انك ستبني كونك الجميل هذا مبتدئا بقبعة .
المتهم : لا ! كن رقيقا . . قبعة على رأس حماتي نحولها ، أنت وأنا ، الى نبي مثلك .
الشيء : وهذا يعني انه يتوجب علينا ان نسرقها ؟
المتهم : لا ، نعطيها القيمة التي لا تستطيع حماتي أن تعطيها .
الشيء : ودون ذلك لا نستطيع ان نبدأ وحدنا ، أنت وأنا ؟
المتهم : بالطبع لا ، أيها الاحمق ، سينتهي بك الامر الى الجنون وحدك . . ثم . . ثم ماذا لو ضاق صدر رفيقك المشكوك مئات الدبابيس على ذلك الشعر المصبوغ فأخذ يصرخ ؟ الا يعطل ذلك كل شيء ؟
الشيء : نسرق القبعة اذن .
المتهم : تماما . هذه هي الخطوة الاهم والتي لا غنى عنها لاي منا .

[تضيء قاعة المحكمة فجأة]

رقم ١ : [مخاطبا رقم ٢] سجل في الملف : جريمة الشروع في السرقة أيضا .
رقم ٢ : [دون أن يفعل شيئا] طبعا . جريمة الشروع في السرقة أيضا .
رقم ١ : وهناك جريمة أخرى سنعقد بشأنها جلسة خاصة فيما بعد .
رقم ٢ : بالطبع . جريمة الشيء حين أخفى هويته وتنكر في شكل قبعة .
رقم ١ : نوع خطير من الغش .
رقم ٢ : ولكننا الان أمام جريمة مستعجلة اكثر . . الشروع في السرقة ، ويبدو انهـا سرقة من ذلك النوع الذي يقتضي استعمال العنف .
المتهم : [مقتربا من حاجز القفص] لا أيها السادة ! لم يكن في النية استخدام العنف على الاطلاق . . كنا ننوي أن نصنع قبعة من قماش تشابه قبعة حماتي تمام الشبه ، ثم ننتهز أول فرصة فنستبدلها بذلك الشيء المسكين !
رقم ١ : [مخاطبا رقم ٢] سجل اذن : السرقة والاحتيال بما في ذلك الغش .
المتهم : انني أرفض هذه التهمة الملفقة . ان القبعة ستظل قبعة من ذات النوع والصنف، على الاقل بالنسبة للطرف المدعي .
رقم ١ : ولكن بالنسبة لك ستصير القبعة مخلوقا ثمنه مئة الف ليرة .
المتهم : بالضبط ! ولذلك فان الامر ليس سرقة . انه مضاعفة قيمة الشيء المسروق مئات المرات ، دون ان يتضرر الشخص الذي سرق . بل انني اعتقد ان الحيلولة دون حدوث شيء من هذا القبيل جريمة ينبغي أن يعاقب عليها القانون . . .

[يتقدم « الشرطي » فيدوّر الحاجز فتصبح المحكمة في قفص الاتهام

ويعود دون أن يعيره أحد أي اهتمام ، وفي هذه الاثناء يواصل المتهم كلامه كأن شيئا لم يحدث مع تغير خفيف في لهجته]

... وفي هذا النطاق أعتقد انكما تعرقلان سير العالم نحو الافضل ، وهي جريمة لا توازيها على الاطلاق عملية استبدال قبعة بقبعة مماثلة .

رقم ١ : ان هذا الموقف يا سيدي المتهم موقف شكلي ... فبوسعك ان تقول لحماتك الحقيقة ، وعندها سيكون بوسعها ان تبيع قبعتها لاول مختبر تصادفه في الطريق وتشتري بثمنها عشرين أو ثلاثين ألف قبعة مماثلة .

المتهم : وهذه هي الجريمة بالضبط .. استبدال نبي واحد بعشرين ألف قبعة .

رقم ١ : أليس ذلك ، يا سيدي المتهم ، أفضل من قبعة واحدة ؟

المتهم : ولكنها ليست قبعة ... انه شيء مسكين ثمين استخدم بصورة خاطئة وسخيفة ومحزنة ، وقد كنت أبذل جهدي لرد القيمة اليه كما رأيتم بأنفسكم قبل قليل ، وها أنتم ترتكبون فورا تلك الجريمة الرهيبة فتحاولون منع حدوث ذلك .. انني أطالب بتفسير .

رقم ٢ : التفسير هو : انك ستسرق قبعة تلك العجوز المسكينة .

المتهم : لا . انتم الذين تتواطأون على خداع تلك السيدة وخداع العالم كله . كنتم تريدون من كل الرجال والنساء الذين شاهدوا حماتي أن يسقطوا ضحية تلك الخدعة القذرة فيقولون كلما مروا بها : « ما أجمل قبعة تلك السيدة ! » . في حين انها ليست قبعة . اما أنا فكنت أريدهم أن يقولوا : « ما أجمل قبعة السيدة » حين تكون قبعة حقيقية ...

رقم ١ : هل كنت يا سيدي تريد اعطاء القيمة الحقيقية للقبعة أم للشيء ؟

المتهم : للقبعة بالنسبة للسيدة ، وللشيء بالنسبة لي .. تصوروا لو أن المسكينة العجوز امتنعت عن السير تحت المطر فمات ذلك الشيء من العطش ، وجاءت ذات يوم لتلبس قبعتها فوجدتها رمادا .. أي حزن كانت ستسقط فيه ؟.

رقم ١ : انت على حق يا سيدي .. كانت ، عندئذ ، ستفقد قبعتها الجميلة ..

المتهم : اما انا فكنت اريد ان أعطيها قبعة حقيقية بالوسع غسلها وكيها وصبغها احيانا ونشرها في الشمس .. ثم ستكون أسهل للاستعمال ..

رقم ٢ : [متجها لرقم ١] انه ، نوعا ما ، على حق .

رقم ١ : [للمتهم] اننا نعترف يا سيدي بالشروع بارتكاب تلك الجريمة ، لو تفضلت فقط فأجبتنا على سؤال واحد : هل كنت تستطيع استبدال قبعة السيدة بقبعة اخرى مثلها تماما ، شكلا وموضوعا ؟

المتهم : شكلا نعم . الى حد ما بالطبع . لن يكون تشابها مطلقا ولكنه تشابه لا تستطيع الا مختبرات عالم فضائي كشف نواقصه .

رقم ٢ : [متحفزا] وموضوعا ؟

المتهم : موضوعا ؟ بالطبع لا . انني أعطيها قبعة مقابل قبعة من حيث الشكل تقريبا ... ولكن من حيث الموضوع اعطيها قبعة مقابل جنة .

رقم ١ : سرقة مع الغش .

رقم ٢ : سرقة مع الغش . بالطبع .

المتهم : لا ! لا ! لا !

رقم ١ : من أدراك ان قبعتها لم تكن جنتها الصغيرة الخاصة ؟

[يتقدم « الشرطي » مرة أخرى فيعيد الحاجز الى وضعه السابق ، بالحركة نفسها المشار اليها فيما سبق]

المتهم : ومع ذلك فأنتم تختارون ما هو رهيب حقا . تختارون ثلاثين الف قبعة مقابل ثلاثين ألف نبي . فترينة مزدحمة بالقبعات بدل جيش من الرواد ... وما هي الحجة

التافهة التي تستخدمونها ؟ جنتها الصغيرة الخاصة ! جنتها الصغيرة التافهة ! جنتها الصغيرة المزورة !

[يعود « الشرطي » الذي لم يكن قد غادر المسرح تماما فيمسك بالحاجز الا انه يظل واقفا هناك مترددا]

رقم ١ : أما أنت ، فتعيش على وعد ، وفي الواقع انك تسرق قبعة مقابل وعد ، فتحرم السيدة من قبعة ويظل الوعد عرضة للسقوط .
المتهم : ورغم ذلك ، فأنا لم أسرق القبعة .
رقم ١ : حاولت .
المتهم : نعم ، ولكنني فشلت .
رقم ١ : [لرقم ٢] لنحاكمه اذن على فشله .
رقم ٢ : لو فعلنا فسيغضب الى حد الجنون رغم ان دفاعه عن سرقة القبعة كان حارا ومحزنا الى حد يمكن أن نعتبر الفشل في تنفيذ تلك السرقة جريمة كبيرة .
رقم ١ : انه يحيرنا . لا يريد ان يحاكم بمنطق القانون ولا يريد ان يحاكم بمنطقه الشخصي .
المتهم : يجب أن تحاكموا حماتي لانها أحبطت منطقكم وأحبطت منطقي في وقت واحد .
رقم ١ : أين حماتك ؟
المتهم : باعت قبعتها .
رقم ١ : لمن ؟
المتهم : لامرأة أخرى .
رقم ١ : من هي ؟
المتهم : باعتها بدورها لامرأة ثالثة .
رقم ١ : أين هي ؟
المتهم : باعتها هي الاخرى .
رقم ١ : والآن ؟
المتهم : ما تزال تباع بسرعة كبيرة . بسرعة يستعصي معها على بطل العالم في الركض أن يلحق بها .
رقم ١ : وأنت ؟ ماذا كنت تفعل ؟
المتهم : كنت أركض . . ولكن يبدو ان القبعات اسرع انتشارا من الانبياء . . . فجأة صار الشارع مليئا بالقبعات من ذات الطراز ، في الواجهات ، وراء المنعطفات ، في الحفلات ، على رفوف الخزانات . . آه أيها السادة ! آه أيها السادة ! هل تتصورون ؟ كيف يمكنني العثور على ذلك الشيء المسكين في تلك الغابة من القبعات ؟
رقم ١ : وماذا فعلت ؟
المتهم : حملت الشيء المسكين [مشيرا الى الشيء الساكن على الطاولة] ووقفت على الرصيف ، وأخذنا نصفر معا لكل سيدة تضع على رأسها قبعة من ذلك الطراز ، على أمل أن يبادلنا الصفير .
رقم ١ : ولم يحدث أن سمعتما قبعة من تلك القبعات تصفر ؟
المتهم : لا . ففي ذلك المساء حسبوا انني أصفر للسيدات ، واحتجزوني في الحبس بتهمة الاساءة للاخلاق العامة ، وفي الصباح توقفت عن الصفير ، فأنا لا أحب السجن بتهمة الاساءة للاخلاق حين يكون هدفي الحقيقي تحسين هذه الاخلاق .
رقم ١ : وحماتك ؟ الم تدرك ابدا انها كانت تضع على رأسها مئة الف ليرة دون ان تعرف؟
المتهم : مئة الف ليرة ؟ لقد كان يا سيدي شيئا لا يقدر بثمن ! لقد كنت أحاول أن أعرّفها على قيمة ذلك الشيء وليس على ثمنه . . أتفهمون ؟

رقم ١ : [مع رقم ٢ ، في وقت واحد] لا .
المتهم : [ينظر الى الشيء على الطاولة] هل سمعت ؟ انهم لا يفهمون ! لا يعرفون الفرق بين القيمة والثمن .. المسألة بالنسبة لهما هي مسألة الفرق بين قبعة رخيصة وقبعة غالية ! [ينصرف الى « الشيء » فيما يغيم الضوء بالتدريج عن رقعة المحكمة]
الشيء : انني أشفق عليك أيها الصديق .. وأحيانا يؤنبني ضميري .
المتهم : يؤنبك ضميرك ؟ انظر الى حالتك ! ضميري انا الذي يؤنبني ! انظر كم انت وحيد ومهزوم .. اما انا فأستطيع ، على الاقل ، أن أرتد الى عالمي ..
الشيء : حتى تلك الردة صارت مستحيلة .. انت تستطيع أن تتخلص من قبعة ولكن ليس من نبي .
المتهم : ولذلك يفضلون القبعات ؟
الشيء : أجل .. ويختلفون عليها . قبعات رخيصة وقبعات غالية . انه حوار في قفص الامان ، ولكن من يجرؤ ان يضع قدمه خارج ذلك القفص ؟
المتهم : يخيل الي أحيانا انك عبء .
الشيء : أحيانا ؟
المتهم : دائما .. وها نحن لا نعرف ماذا يتعين علينا أن نفعل : فلا أنت تستطيع ان تعود الى عالمك ، ولا انا استطيع ان اعود الى عالمي .
الشيء : مثل الفكرة .
المتهم : ماذا قلت ؟
الشيء : قلت مثل الفكرة ، اذا ولدت فليس بالوسع التخلص منها .. بالوسع خيانتها فقط ... ولذلك ترى كم هو سهل بالنسبة للكثيرين ان يضعوا الافكار فوق رؤوسهم كالقبعات ، ولكن دون ان يتركوها تغوص الى داخل رؤوسهم [راس رجل يظهر وراء حاجز الشرفة متجها نحو الغرفة] .
الشيء : لقد جاءك ضيف ، اسرع .

[المتهم يغطي الشيء بقميص ، ويتجه نحو الباب] .

الساعي : برقية لك . [يتناولها] وقع هنا . [يوقع] اكتب اسم والدتك هنا [يكتب] اعطني سيجارة [يعطيه] اشعلها لي ارجوك [يشعلها] اوف ! [يمتص نفسا عميقا ويخطو الى الداخل بلا كلفة] انني اشكو من مرض خطير يتعلق بعملي ، مرض لا شفاء منه . ففي حين أن مهمتي تقتضي مني ان اكون اقل الناس فضولا فانني علــى العكس اكثرهم فضولا [يشير الى البرقية في يد المتهم] انني محكوم بالعذاب . [المتهم ينظــر اليه بفضول] انني سريع التأثر ولكنني أمين أيضا . وبعد أن أنتهي من عملي اذهب الى البيت [يقترب منه] انني اعيش وحيدا كما تعلم . واتذكر واجلس وابكي واضحــك ويستثيرني الفضول واحيانا افكر . ابكي لموت سيدة فاضلــة ، وافرح لارث مفاجيء ، وافكر بمعضلة ، واحسب كيف ينبغي أن يدفع قسط مدرسة ذلك الصبي الشقي الذي كتب لوالديه يشكو افلاسه . وهكذا صارت دراجتي كوكبا صغيرا . [يمتص نفسا اخر بشوق] والان : اقرأ لي البرقية .
المتهم ، [يفتح المغلف بلا وعي ، يقرأ ببرود ، ينظر حواليه بشيء من الاستثارة ، ثــم يقرأ بصوت عال كأنما لنفسه] : سندفع لك فورا مليون ليرة ثمن السر الذي عندك ــ [ينظر الى ساعي البريد] انها من مختبر ابحاث مهم .
الساعي : مليون ليرة ؟ اقرأها مرة اخرى . تأكد من ذلك . ان احدا يضحك عليك بــلا شك .
المتهم : [لنفسه] مليون ليرة فورا [مشدوها] مليون ليرة ؟

(ستــار)

المشهد الثالث

[المشهدان الاول والثاني نفسهما ، الامور الاضافية هي : اكــوام من الرسائل والاوراق على طاولة المتهم ــ آلة كاتبة ايضا ــ حيوية اضافية تلاحظ بوضوح على المتهم ، المستغرق في القراءة وفتح الرسائل ...]

المتهم : ومع ذلك فانا لن اتخلى عنك ايها الصديق . اقسم لك بكل شيء . بكل قبعات العالم .
الشيء : لقد اغتاظت السيدة منك الى حد فضحت سرك الصغير . ان مختبرات العالم تتلوى فضولا .
المتهم : آخر العروض ؟
الشيء : مليون ونصف . في الرسالة التي امامك مباشرة . والشروط معقولة ، وكذلك يبدو ان سمعة ذلك المختبر سمعة جيدة ... انهم يعدون بأن يطلقوا علي اسمك حفاظا على حقوقك .
المتهم : سنكتب لهم لا . بقليل من التهذيب ، وليس كما فعلنا سابقا .
الشيء : هناك عروض اخرى : من مصنــع للالبان المعلبة . شركــة طيران . متحف زراعي . مصنع للطبع على الانسجة . كلية الاداب . قسم الشعر في جامعة اكسفورد . مشروع السنوات العشر للنزول عــلى القمر . جمعية تحسين العلاقــات الفضائية . شركة افلام هتشكوك . مؤسسة الرفق بالحيوان . المقر البابوي في الفاتيكــان . دار نشر فرنسية . دائرة الاستخبارات الاميركية والروسية والصينية والانجليزية والفرنسية والالمانية والكوبية . دار شهيرة لعرض الازياء . مختبر الابحاث الجرثومية . مليونــير سويسري يجمع الطرف واللوحات وخصوصا لوحات بيكاسو وسلفادور دالي . عروض اخرى اهمها من طفل في الهند ضيع في الاسبوع الماضي مخلوقه الفضائي الخاص الذي كان يربطه بخيط من القنب ، وعرض من مصور صحفي ناشىء يريد ان يحقق انتصارا يضمن مستقبله المهني . وهناك عروض من ...
المتهم : [مقاطعا] كفى . كفى ! ذلك شيء يبعث على الجنون !

[تتخذ الحركة عــلى المسرح ، منذ الان ، طابعــا هستيريا مختلطا ومتداخلا] .

.. ذلك شيء يبعث على الجنون [يضرب على الالة الكاتبة] .
الشيء : وعرض من فرقة للالعاب البهلوانية وترويض الحيوانات المفترسة ، يتيح لك ان تظهر معي في جميع العروض .

[يدخل ساعي البريد ، يضع رسالة ، ويأخذ ورقة ويخرج مندفعا]

الشيء : عرض جديد بمليوني ليرة من الحكــومة الكندية ، انها بحــاجة الى مزيد من السكان ليعملوا في أراضيها [يعود الساعي للحظة] .
الساعي : نصف بالمئة لي . عدني . [يخرج]

[تنطفىء الاضواء ، ويعم المسرح الظلام . رقعة صغيرة من الضوء تضيء فجأة الوجوه فقط على المسرح . لا تنتقــل من وجه الى وجه ولكنها [تنفجر] فجأة على وجه ما وتنطفىء مع انتهاء الجملة] .

المتهم : لا . ان ذلك يبعث على الجنون [يضيء وجه السيدة] جنون .. جنون [يضيء وجه امها] غبي . احمق . [يضيء الشيء] مصنع لحبوب ضد الزكام مستعد لشراء الاسم [يضيء وجه المتهم] اسم مقاومة الزكام [يضيء وجه الساعي] حصتي مــن

هذا الركض كله . [يضيء وجه المتهم] انهم يشترون ... [يضيء وجه السيدة التي تكمل] يشترون لك مستقبلا رائعا [يضيء وجه امها] لم تحلم به ابدا [يضيء وجه رقم ١] ينقذك من ورطة [يضيء رقم ٢] اولها الحجز على ممتلكاتك . [يضيء وجه المتهم ـ مكملا] للقبض على ذلك المسكين ، كأنني مخبر سري من الدرجة الثالثة [يضيء وجه رقم ١] اخفاء معلومات لصالح البشرية . [يضيء الشيء] السعر يتصاعد : مليونان ونصف المليون [يضيء وجه السيدة] نقدا [يضيء وجه الام] وفورا . [يضيء وجه الساعي] الكف عن فتح رسائل الناس والحزن من اجلهم .
[يضيء وجه المتهم] جنون ! جنون [وجه الام] جنون ! [وجه السيدة] جنون .
[تضيء غرفة المحكمة]
رقم ١ ورقم ٢ معا : جريمة قتل ، فيما بعد ، عقوبتها الاعدام شنقا .

[يضيء المسرح دفعة واحدة ، الجميع (الساعي ، رقم ١ ، رقم ٢ ، السيدة ، امها) بصوت واحد] :
الجميع : مجنون . جنون . هيا !

[ينطفىء الضوء]

المتهم : [صوته في الظلام ، ثم تضيء غرفته بالتدريج وتعود الى وضعها السابق ، هو والشيء فقط] سيدي ! [يبدأ بالضرب على الآلة الكاتبة] ابلغكم بكل سرور فرحي الشديد بعرضكم المغري لشراء ما وصفتموه بأنه سري الذي احتفظ به ، ان جهلكم بقيمة الاسرار الحقيقية يتعسني حقا ، ولذلك فأنا آسف ان ابلغكم رفضي لطلبكم ، ولكن لا مانع من ان تحاولوا مرة اخرى شرط ان تفهموا ان قيمة هذا السر ، عكس الاسرار الاخرى ، هي في ان يذاع بأقصى ما يمكن من الامانة . .
الشيء : امامك مئة رسالة على الاقل .
المتهم : [ينزع الورقة من الالة الكاتبة ويضع ورقة جديدة] سيدي : اقتراحكم لشراء اسم المخلوق الفضائي كي تجعلوه ماركة لدواء ضد الزكام لا يمكنني البحث فيه الا اذا توصلتم حقا الى دواء ضد الزكام ، الامر الذي تؤكد لي مصادري الخاصة انه لم يحصل الى الان .

[ينزع الورقة ويضع ورقة جديدة]

سيدي : اخشى ان لا يكون لجمعيتكم التي ترفق بالحيوان اي علاقة بالمخلوق الفضائي الذي هو شيء خاص [بعد هنيهة] سيدي : ان عرضكم لشراء سري الخاص كي تستعملوه في عروض ترويض الحيوانات الشرسة يتميز بقلة التهذيب والاطلاع [بعد هنيهة] ايها الطفل العزيز : ان المخلوقات الفضائية لا يمكن ربطها بخيط من القنب . ولذلك أضعت مخلوقك التعيس . . ان مخلوقا مثل الذي عندي يحتفظ به عن طريق اطلاقه . [بعد هنيهة] ان عرضكم الاخير الذي رفعتم فيه السعر الى مليوني ليرة ونصف المليون ... [يتوقف] .
الشيء : ماذا ؟
المتهم : لست ادري ... انني متعب قليلا ... مشوش في الحقيقة ... وعلي ان اقرأ تلك الرسالة مرة اخرى .
الشيء : انت تتصرف كمليونير حقيقي . .
المتهم : لقد بدأت ، بدورك ، تزعجني ! انظر كم اضحي من اجلك ثم لا تقابلني الا بالسخرية . .
الشيء : بدأت تساوم !
المتهم : لا . وانت كاذب ، واستفزازيّ ايضا . . ما الذي تريده ؟

الشيء : لا اعرف .. ولكن هل تعرف انت ؟
المتهم : لا . [مشوشا] دعنا نكمل هذا الجنون غدا . انني متعب .
الشيء : انت متردد .
المتهم : لا . متعب فقط .

[تدخل السيدة ، والام ، والساعي ويقفون هناك ، حول المتهم ، دون ان يتحدثوا اليه] .

المتهم : من كان يحسب ان الامور ستصل الى هذا الحد [يلتفت نحو المجموعة] قلت لكم الف مرة لا وانتم تقولون نعم .. نعم .. نعم .. [يعود الى الطاولة ويبدأ في النقر على الالة الكاتبة ، المجموعة تتحلق حوله] سيدي . [يقرع على الآلة الكاتبة بصمت] سيدي [يعاود القرع] المخلص [يتوقف هنيهة ثم يبدأ بالقرع من جديد] آمل ان اسمع منكم قريبا [يقرع من جديد — فيما يتبادل افراد المجموعة الاوراق التي تنزعها السيدة عن الآلة] .
الشيء : [صارخا] اريد ماء .
المتهم : [دون ان يكترث] دعني ايها الغبي انهي اعمالي الان .
الشيء : ماء ..
المتهم : [يقرع على الالة الكاتبة] سيدي ، ان الملايين الثلاثة التي عرضتموها ... [يصمت] اني انتظر منكم [يصمت] المخلص [يصمت] .
الشيء : ماء [ينتصب على الطاولة] .
المتهم : [يقرع على الآلة من جديد] وبالرغم من انني اعتقد [يصمت] فان شروطا [يصمت — يواصل النقر على الآلة] فأنا الاخر [يصمت] المخلص .
الشيء : ماء ايها الخائن ! ماء [يتقوض بالتدريج] .
المتهم : [يضع الاوراق امامه ويسويها بدقة ، مستغرقا] مصنع لتعليب السبانخ — مجلة سوبرمان . حلقات تلفزيون — ها ! ها ! يا للتفاهة .

[ينهض ، يتجول في الغرفة مفكرا — المجموعة الام — السيدة — الساعي يلملمون الاوراق ، والالة عن الطاولة ويتركونها عارية ويخرجون على التوالي — المتهم يقترب من الشيء ويتفحصه ، ثم يرفع رأسه ببطء باتجاه المحكمة التي تضيء فجأة بنور ساطع] .

المتهم : لقد مات ايها السادة !

[تنطفيء جميع الانوار ثانية واحدة تعم فيها العتمة ثم تنفجر دائرة ضوء واحدة على وجه رقم ١] .

رقم ١ : قتلته عطشا . ابشع انواع الموت .

[ينطفيء الضوء في ثانية أخرى من الصمت ، ثم تنفجر دائرة ضوء على الحبل الموضوع على طاولة المحكمة ثانية اخرى] .

رقم ١ : [الصوت فقط] عقوبة الاعدام شنقا .

[الظلام مرة جديدة ... ثم تضيء غرفة المتهم الذي يبدو وهو يستكمل لبس قميصه ، متخذا الوضع الذي كان عليه في المشهد الاول] .

المتهم : انا لم اقتله ايها السادة . وقد رأيتم ذلك بانفسكم . [يضيء المسرح كله] .
رقم ١ : رأينا انك قتلته .
المتهم : [ببرود] قتلته ام قتلتها ؟

رقم ٢ : انه يعود الى لعبته الخبيثة .
المتهم : اطالب بنص قانوني واضح ، يتعلق بقتل شيء قادم من الفضاء .
رقم ١ : [لرقم ٢] اللوائح تتيح له حق طلب من هذا النوع . [للمتهم] هذا طلب تستطيع ان تبرزه في محكمة فضائية . اما هنا . . .
المتهم : انا لم اقتله . . . انا استخدمت لنسيانه وادى ذلك الى موته .
رقم ١ : انت خنته ، ولذلك مات .
المتهم : موافق . على ان خيانة شيء قادم من الفضاء مسألة خاصة جدا لا علاقة لها بالقانون . انها ليست مثل خيانة الوطن ، او خيانة الزوجة . .
رقم ١ : خيانة مبادىء .
المتهم : مبادىء غير متفق عليها . مبادىء غير مقبولة الى الان ، في الواقع . .

[يصعد الشرطي فيغير وضع حاجز قفص الاتهام فتصبح المحكمة في القفص — المتهم يكمل . .] .

. . . وانا بدوري اطالب محاكمة المتسببين الاصليين في الجريمة . [يخرج ورقة من جيبه ويقرأ] مصانع العاب الاطفال المبتكرة في طوكيو . مختبرات العلوم الجرثومية في جنيف . وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية . مشروع السنوات العشر لغزو الكواكب . اللجنة الدولية لتقدير موازين التسلح . اليونسكو . هتشكوك . دار الازياء الباريسية الكبرى . مؤسسة والت ديزني . مصانع السيارات الخاصة بالتحضير للمستقبل . مصانع تعليب الخضار والفواكه . الشركة المتحدة لصناعة الصلب . مجلات الكوميك . دار النشر الكبرى في لندن . جامعات . كنائس . جوامع . مؤسسات للعلوم البصرية ، والبيولوجية . عواصم العالم جميعا . طفل من الهند . سارقو موضة قبعة حماتي . حماتي . ساعي البريد . . . سبعة عشر افاقا ارسلوا رسائل تهديد ، واخيرا : انتم . . . وكي اكون عادلا : فيما بعد انا .
رقم ١ : ولكن ذلك مستحيل .
المتهم : وهل هذا سبب استفرادي انا ؟ لان ذلك غير مستحيل ؟
رقم ٢ : هل تريدنا ان نضع العالم كله ، اذن ، في قفص ؟
المتهم : لماذا لا ؟
رقم ١ : ذلك صعب قليلا .
رقم ٢ : كثيرا .
المتهم : [يقلب الورقة على قفاها ويكمل القراءة] شركات التسجيل على اسطوانات ، شركات التسجيل على اشرطة ، خمس وعشرون ملهى ليليا ، سيرك ، حديقة عامة ، اتحاد مؤلفي المسلسلات التلفزيونية ، ستة متاحف زراعية ، دائرة الحرب النفسية والمعنوية في عشر وزارات دفاع موزعة في خمس قارات ، خطيبتي ، دائرة الحجر الصحي التابعة للدولة ، نقابة اساتذة علم النفس . دكان اللحام القريبة من بيتنا ، وبائع الخضار وموزع الحليب ورئيس تحرير الصحيفة التي اشترك بها منذ عامين دون ان ادفع ، وصاحبة البيت و . .
رقم ١ : كفى . ذلك يكفي حقا .
رقم ٢ : لنعد الى الوقائع ، ان كل الاسماء التي عددتها يمكن دعوتها كشهود . . بوسعهم جميعا ان يشهدوا بانك كنت تمتلك شيئا حيا ، وانك — كما تعترف بنفسك — قتلته عطشا فيما بعد . هذا فقط ما يهمنا هنا .

[الشرطي يغير وضع الحاجز ، فيصبح المتهم في القفص] .

المتهم : انت تستعمل الوقائع بصورة خاطئة يا سيدي : ليس بوسعك ان تقول ان ذلك الشيء كان مخلوقا حيا . . وليس بوسعك ان تقول انني قتلته عطشا .

رقم ١ : حسنا ، ماذا تريد ان تسميه انت ؟
المتهم : لقد كان ــ انه شيء مثل الحلم ، والان ليس اكثر من قبعة معرضة للتلف .
رقم ١ : كان ماذا ؟ حلما ؟ نبيا ؟ فكرة ؟ رسالة ؟

[تعم الظلمة المكان باجمعه فجأة ، لمدة ثوان قليلة ، ثم يرتكز ضوء مفاجىء على رقم ١] .

رقم ١ : [يقف] ان المحكمة تسحب اتهامها لكم بارتكاب جريمة قتل لعدم توفر الادلة المتعلقة بالقاتل والمقتول واداة الجريمة المزعومة . براءة .

[الظلام ، مرة اخرى ، ثانية . ثم ضوء مفاجىء على المتهم] .

المتهم : انني ارفض هذا التنصل . ارفض هذا الانسحاب القذر . [الضوء يعم المكان]
رقم ١ : [ببرود] انت بريء . انت حر .
المتهم : لا ! لا ايها السادة ! اتوسل اليكم بكل قوانين الارض ، يجب ان تجدوا طريقة ما لمحاكمتي .
رقم ١ : [ببرود] نحن آسفون ايها الرجل البريء . . . لقد بذلنا جهدنا ونبشنا كل حرف كتب في كل مكان . لا فائدة . ان قضيتك استباق لما عندنا ، وعليك ان تنتظر .
المتهم : ولكن ذلك مستحيل ايها السادة . مستحيل . . [يقف ، الضوء عليه فقط] تريدونني ان اخرج من هذا الباب مرة اخرى ؟ ليس بوسعكم ان تكونوا قساة الى هذا الحد ! أرجوكم . . بريء ؟ اي عبء !

[الضوء في المسرح كله] .

رقم ٢ [يطوي الحبل باعتناء ، ويضعه ببطء في درج طاولته] نحن آسفون حقا ، ليس بوسعنا ان نخدمك . نعلن لك ذلك .

[الشرطي يتقدم ، ويأخذ في جمع طرفي الحاجز مستعدا لحملهما] .

المتهم : [يتمسك بالشرطي] لا . ارجوك . دقيقة واحدة ، فقد نجد حلا ما . . ليس بوسعك ان تغفل ذلك بهذه البساطة .

[الشرطي يمضي في عمله وكأنه لا يسمعه] .

المتهم : [للمحكمة] دعونا نتعاون ايها السادة ، لنبحث عن مخرج لهذا الموقف التعيس . اليكم تهمة اخرى اقترحها عليكم بكل احترام . الالحاد .
رقم ١ : الالحاد ؟
المتهم : اجل . الالحاد ! لقد كان هذا « الشيء » رسالة كونية ، صلة وحيدة واولى مع كون لا نعرف عنه شيئا ، وحين مات بين يدي كنت من حيث لا ادري اعرقل العناية الالهية التي ارسلته . . .
رقم ١ : لا . ليس من اختصاصنا منحك مثل هذا المجد .
المتهم : ان العقوبة المخصصة لمثل هــذه الجريمة اكثر اثارة من الشنق ، انني ايها السادة امنحكم فرصة رائعة .
رقم ١ : ومع ذلك ، فانت رجل بريء ايها السيد . . انت رجل حر .
المتهم : يا الهي ما اقساكم . انني أكرهكم !

[الشرطي يرفع الحاجز بعد ان يتم تجميعه ويمضي به الى الخارج]

رقم ١ : حتى لو كنت قد فعلت ذلك الشيء الكريه ، فانك قد دفعت اليه دفعا ، لا حيلة لك في الامر [يخـــرج ورقة من جيبه ويقرأ] معامـــل تعليـــب الخضار . التلفزيون . السينما . المواصلات اللاسلكية عن طريق الاجرام الفضائية . طفل من الهند يمتلـــك

خيطا من القنب فقط . دار الازياء . حماتك . خطيبتك . اللحام . بائع الـ . . .
المتهم : كفى ! كفى !
رقم ١ : هيا ! اذهب الى بيتك ايها الرجل البريء . لدينا اعمال اخرى . .
المتهم : [يبكي] لا . انتم لا تستطيعون ان تكونوا متوحشين الى هذا الحد !
رقم ١ : انت بريء ، اذن انت حر . لماذا لا تذهب ؟
المتهم : انني اكرهكم جميعا . . . ولكن الا تستطيعون نبش قانون واحد يحل هذا الاشكال . . ؟
رقم ٢ : لقد فعلنا كل ما في وسعنا يا سيدي . نقسم لك !

[تعتم جهة المتهم . رقم ١ ورقم ٢ يقفان ويسويان ملابسهما ثم يخرجان ببطء . المتهم وحده] .

المتهم : [صارخا] لحظة واحدة ايها السادة [يتجه الضوء نحوه] لحظة واحدة . . [يكملان سيرهما حتى يختفيان ــ المتهم يصل الى طاولة المحكمة ويقف هناك] لحظة واحدة . ولكن ذلك ايضا مستحيل . بريء ! يا للحماقة ! كأن البراءة تعطى .

[ينظر نحو طاولته ، كأنه يرى نفسه هناك ، ويشير لما يخيل اليه انه يراه باصبع الاتهام الخطابي] .

المتهم : انني احكم عليك بنوع فريد من العقاب ! [يتحير هنيهة ، ثم لنفسه] سأفكر به فيما بعد [يعود للموقف الخطابي] لو تركته يعيش لعرفت عما لا تعرف اضعاف ما جعلك تعرف عما تعرف . تصور ايها الخائن : لقد جعلك تكتشف من جديد عالمك الذي تعرفه فكيف لو تركته يكشف لك عالمه الذي لا تعرفه ؟

[تعم العتمة لثانيتين ــ تسمع اصوات خطواته وهو يعود الى طاولته ــ ينفجر الضوء عليه وعلى « الشيء » . . لحظات من الصمت ــ الشيء يتحرك من جديد ، المتهم ينظر اليه ببرود ــ الشيء يواصل تحركه بصمت ، ثم بعنف ووضوح كلي] .
[المتهم يقترب من الشيء ويرفعه بين يديه ، لاول مرة] .

المتهم : هيا بنا ايها الصديق . ليس امامنا الا ان نخرج معا .

ستار النهاية

الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي

لاري لوك وود

أولا ــ مقدمة :

منذ التقدم الملحوظ الذي أحرزه الكفاح الفلسطيني التحرري بعد حرب الايام الستة (حزيران ، ١٩٦٧) ، ظهرت اتجاهات ثلاثة بين الشباب الامريكي . بشكل واضح ، اتبع البعض خط حركة التحرير السوداء وحركات التحرر في العالم الثالث ، بادانة اسرائيل وبالتعبير عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني . بينما ، ظل آخرون ، على الجانب الآخر ، يطالبون بضرورة الدفاع عن « حق اسرائيل في الحياة » أو يقولون بأن اسرائيل بلد اشتراكي ، أكثر تقدمية من جيرانه العرب « الاقطاعيين » أو « البورجوازيين الوطنيين » . بالطبع ، هناك أيضا المستوى الوسط غير الفاعل ، الذي يؤمن ستارا لجهتين : الافراد ، الذين يعانون ارتباكا جديا من معطيات الصراع في الشرق الاوسط ، وهؤلاء الذين لم يجرؤوا بعد على التحرك باتجاه موقف سياسي واضح .

برغم أن وسائل الاعلام الامريكية تتحمل الجزء الاكبر من مسؤولية انتشار الارتباك حول اسرائيل والعالم العربي ، الا أن بعض مؤيدي حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم والثورة الاشتراكية في الشرق الاوسط يستحقون تحمل عبء جزء من اللوم في الارتباك الامريكي . في عديد من الحالات ، افتقرت تحليلات الصراع العربي ــ الاسرائيلي الى الدقة والتحديد ، وهكذا مهدت الى فشل مهمتها .

وحين أركز في هذه الدراسة على مظهر واحد من أزمة الشرق الاوسط ــ وهو الاقتصاد الاسرائيلي في علاقته مع الامبريالية ــ فانني أعترف علنا بعدة قناعات ثابتة ، مثل الدعم الكامل للنضال الفلسطيني كمرحلة حاسمة في النضال على امتداد العالم ضد الامبريالية ، مرحلة غالبا ما تعاني أهميتها من تجاهل بعض قطاعات اليسار الامريكي وقلة تقدير لها . هناك نظرة أساسية أخرى قد تبدو أكثر صعوبة للفهم عند بعض القراء ــ وهي القناعة بأن الجموع الاسرائيلية انما هي مقهورة اقتصاديا من قبل الامبريالية . انني أشعر بالفعل ان عملية القهر هذه قد تحرك قوى داخل اسرائيل ، قوى ، كما يفعل الفدائيون اليوم ، سوف تناضل غالبا ضد الامبريالية والدولة الصهيونية مجتمعتين . وبشكل عام فانني أسعى من وراء هذه الدراسة أولا الى البرهان للمدافعين عن اسرائيل و« للمحايدين » بأن الصهيونية ودولة اسرائيل انما يجب أن تكونا مرفوضتين من اليهود وغير اليهود على حد سواء ، وثانيا الى تبادل المواد والآراء مع هؤلاء الذين ، مثلي ، يأملون أن يروا الامبريالية مقلوعة من الشرق الاوسط .

ثانيا ــ لماذا يجب علينا تحليل الاقتصاد الاسرائيلي ؟

مع أن كثيرا من الوثائق قد أظهرت ، بشكل مقنع ، الارتباطات **السياسية** القديمة بين القيادة الصهيونية والمصالح الامبريالية ، غير أن قليلا جدا من الانتباه قد وجه الى القاعدة **الاقتصادية** لهذه الارتباطات . اذا عرفنا السياسة على انها « اقتصاد مركز » ،

فانه من الضروري تحديد ما اذا كانت هناك قوى خارجية تؤثر على مسيرتها . كثيرون من المعادين للصهيونية أكدوا ان اسرائيل ، كوجود ذي قاعدتين سياسية واقتصادية ، قد تشكلت أساسا بناء على الاهداف **السياسية** للامبريالية .

ولقد تم التعبير مؤخرا ، بوضوح كبير ، عن هذه النظرة من قبل اتجاه الغالبية في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، « متسبين » .

اسرائيل هي حالة خاصة في الشرق الاوسط : بلـد **ليس مستغلا اقتصاديا** من قبـل الامبريالية . الامبريالية **تستغل اسرائيل سياسيا** ، وتقدم لها بالمقابل دعما اقتصاديا . كتب الاقتصادي الامريكي اوسكار جاس (الذي كان سابقا مستشارا اقتصاديا لدى حكومة اسرائيل) : « لمدة ٢٠ عاما ، ١٩٤٨ — ٦٨ ، بلغ فائض الاستيراد حوالي ٧،٥ بليون دولار . هذا يعني فائض استيراد بحدود ٢،٦٥٠ دولار طيلة ٢١ سنة ، لكل فرد عاش في اسرائيل (في حدود قبل حزيران ١٩٦٧) ، في اواخر العام ١٩٦٨ » . ومن هذا الدعم الخارجي ، كما بيّن الكاتب، دخل اسرائيل فقط حوالي ٣٠ ٪ تحت ظروف عائدات الارباح ، فوائد أو رأسمال . هذا وضع لا موازي له في أي مكان آخر . (Journal of Economic Literature ، كانون الاول ، ١٩٦٩ ، ص ١١٧٧)(١) .

صحيح انه ليس من حق الامريكيين أن يقولوا للثوريين الاسرائيليين مـا هي المبادىء النظرية والعملية التي يجب أن توجه نضالهم داخل اسرائيل ، الا أنني أشعر اننا في امريكا لسنا مجبرين على قبول تحليل متسبين دون قيد أو شرط أو على تحديد تحركاتنا نحن في ضوء هذا التحليل . ان الدعوى بأن بنية اسرائيل انما تشكلت أساسا بناء على الاهداف **السياسية** الامبريالية ، قد ارتفعت أيضا لدى بعض اليساريين الامريكيين ، مثل بيتر بوخ ، أكثر متحدثي حزب العمال الاشتراكي شهرة في أزمة الشرق الاوسط . بعض المقالات مثل « اسطورة اسرائيل المتقدمة » (١٩٦٧) او « معطيات الشرق الاوسط الملتهبة » (١٩٦٨) ، تحوي نقاطا قيمة عديدة ، لكن بوخ يعنى قليلا جدا بالدور الاقتصادي للامبريالية في اسرائيل والعالم العربي . وفي مقال أخير، « الثورة الفلسطينية والصهيونية » ، حيث ركز على مبلغ بليون ونصف البليون دولار الذي تنتزعه شركات البترول الامريكية سنويا من العالم العربي ، قدم بوخ سجلا بعناصر المجتمع الاسرائيلي التي تتلقى فائدة سياسية واقتصادية مباشرة من الصهيونية :

ان الجملة المؤكد عليها (« حق دولة اسرائيل في الوجود ») ، لا تشير الى حق اليهود الجسدي في البقاء أو حق مجتمعهم ، وانما الى بقاء جهاز دولة يهودية تحديدا ومؤيد للامبريالية ، جهاز يجد مكانا للمصالح الراسخة ، محركة ومغذاة من قبل الصهيونية في فلسطين .

شحذت هذه المصالح الثابتة اغراض مجموعة كبيرة من الدوائر المتمتعة بسلطات في دولة اسرائيل الدينية . وهي تضم رسميي الحكومة ، ومحتـرفي السياسة ، والابطـال السياسيين أمثال دايان ، وبيروقراطيي نقابات العمال ، ورجال اللجان الصهيونية ، والكتلة الدينية المتعصبة ، ومضاربي ومراهني الاراضي ، وأصحاب البنوك والصناعيين الذين حققوا الفوائد الهائلة المذكورة آنفا ، وكذلك اصحاب الملايين شركاء الاستثمار في التعاونيات العامة ، والقطاع المتنامي من المستثمريـن الامريكيين والاسرائيليـين في الاراضي العربية المحتلة ، الذين يبنون مراكز التزلـج في مرتفعات الجولان والمواقـع السياحية في شبه جزيرة سيناء(٢) .

آمل أن تكون لائحة بوخ مرتبة حسب الاهمية ، ولكن ، وان كانت الحالة هكذا ، فان تحليلا جادا للاقتصاد الاسرائيلي يكشف ان المستثمرين الاجانب يشرفون على ما هو أكثر بكثير من « مراكز التزلج » و« المواقع السياحية » . بالاضافة الى هذا ، فان مجهودا

بسيطا يظهر أن الاستثمار الامريكي الخاص كان قائما ليس فقط قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، وانما حتى قبل تأسيس دولة اسرائيل . عندما يكون الانسان ملتزما بدفع امريكيين آخرين الى معارضة الصهيونية ، فانه من باب هزيمة الذات ان تتم عملية نقل غير دقيقة لصورة الاقتصاد الاسرائيلي . يبدو التساؤل فيما اذا كانت الصهيونية قد خلقت الدوائر المتسلطة في المجتمع الاسرائيلي ، او فيما اذا كانت هذه الدوائر قد لعبت دور الداعم المحرض للدولة الصهيونية . يبدو التساؤل هنا كأحجية الدجاجة والبيضة . يظهر التحليل الحريص ان الجموع الاسرائيلية انما هي ضحايا اقتصادية للامبريالية ، وليست « نتاجها المتمكن » . وبرغم كون ظلم الفلسطينيين وآلامهم أكبر بشكل لا يمكن مقارنته ، فانني أشعر انه يجب على اعداء الامبريالية في الولايات المتحدة اتخاذ كل الخطوات الممكنة لتنبيه الرأي العام الامريكي بأن الفلسطينيين والاسرائيليين انما هم ضحايا عدو مشترك واحد .

لا بد من الاعتراف ، بأن بعض الملامح السطحية تظهر ان بنية الاقتصاد الاسرائيلي الحالي تتحول عن الانماط التقليدية للاستغلال الرأسمالي . ليس من السهل أن نقارن أسرائيل بالامم المتقدمة صناعيا ، مثل الولايات المتحدة أو المانيه الغربية ، ولا بالامم المستغلة بشكل هائل ، مثل بوليفيا أو تايلاند . نعم ، انه من الصحيح ان اكبر بنك اسرائيلي ، بنك لئومي — لاسرائيل ، ليس ملكا لافراد رأسماليين ، وان الهستدروت ، اتحاد النقابات المعروف جيدا ، هو عمليا مركز التوظيف الواسع الوحيد في البلد ، وان الانتاج الزراعي يبدو ظاهريا تحت سلطة الكيبوتسات « الاشتراكية » والمزارع التعاونية . هذه الحالات تطغى بشكل تلقائي على تفكير أولئك الذين يدعون ان اسرائيل هي بلد اشتراكي ، لكنه من الممكن البرهان على أن هذه التحولات السطحية عن الرأسمالية لا تضعف من الحقيقة الاساسية — التي هي تبعية الاقتصاد الاسرائيلي للامبريالية .

ثالثا — دور الرأسمال المستورد :

فيما يشير المدافعون عن اسرائيل غالبا الى « المعجزة في الصحراء » ، فانه من الصعب نكران دور الرأسمال الاجنبي في خلق « المعجزة » . في بعض السنوات بلغ حجم استيراد الاموال الى ما يقارب ٣٤ ٪ من الناتج القومي الاجمالي . وبينما يتكون استيراد رؤوس الاموال لدى الامم الاخرى أساسا من الاستثمار الاجنبي والعون من الحكومات الاجنبية، فان اسرائيل تتلقى نسبة غير عادية (تكاد لا تصدق) من المساعدات المباشرة . تشكل تحويلات مدفوعات الجباية اليهودية الموحدة ، والتعويضات الفردية والحكومية من المانيه ، وكذلك تبرعات المؤسسات والافراد حوالي ٧٠ بالمائة من الرأسمال المستورد (١٩٤٨ — ٦٧)(٣). من الممكن تبيان الفئات المحددة لاستيراد رأس المال (من العام ١٩٥٠ — ١٩٦٧) على الشكل التالي ببلايين الدولارات :

تبرعات المؤسسات (الجباية اليهودية الموحدة وغيرها) ١٧٣٥ ، التعويضات الالمانية (منذ ١٩٥٣) ٧٧٥ ، التبرعات الفردية ٨٨٥ ، تعويضات فردية مباشرة (المانية) ١١٩٠ ، معونة حكومة الولايات المتحدة المباشرة ٣٢٠ ، مبيع سندات اسرائيل ١٢٦٠ ، ديون أجنبية مختلفة (البنك الدولي ، الخ) ١٣٦٠ ، الاستثمار الخاص من الخارج ١٠٠٠ ، وبهذا يكون المجموع ٨٥٢٥ . (من كتاب **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، صفحات ١٦٨ — ١٦٩) .

صحيح ان الاستثمارات الخاصة من الخارج تساوي فقط ١١،٧ ٪ من رأسمال قدره ٨،٥ بليون دولار بين ١٩٥٠ و١٩٦٧ ، ولكن الافتراض يبدو متسرعا بأن الرأسماليين الاجانب ليسوا منشدين نحو اسرائيل . وكما سأبين في مكان آخر ، فان الرأسماليين

الاجانب قد لعبوا دورا حاسما في تحديد البنية الطبقية في اسرائيل ، وفي تحديد طبيعة غالبية صناعاتها . وتجب المعرفة أيضا ، بأن الشركات الاجنبية انما تحقق أرباحا من المبيعات داخل اسرائيل . ماكدونال دوغلاس لا يتبرع بنفاثات الفانتوم ، انها تباع . هكذا ، يغطي الرأسماليون الاجانب جزءا من المعونات التي تتلقاها اسرائيل . يجب الاعتراف ايضا بأن الرأسمال الاجنبي ليس موزعا بشكل متساو على السكان . الاسرائيليون من أصل آسيوي أو أفريقي ، وكذلك الاقلية العربية في اسرائيل ، لم يحصلوا الا على جزء صغير من التحويلات الشخصية (١،٧٣٥ بليون دولار) ، وكانوا قد استثنوا من الحصول على التعويضات الفردية من المانيه (١،١٩٠ بليون دولار). لهذا السبب ، فاننا لا نستطيع الموافقة كليا على تصنيف متسببين للطبقة العاملة الاسرائيلية :

ان العامل الاسرائيلي ، كما هو واضح ، لا يحصل على هذه المعونة نقدا ، وانما ينالها على شكل مساكن (التي لا يمكن أن تشاد بهذه الكميات اعتمادا فقط على الرأسمال المحلي) ، وبالتشغيل في الصناعات (التي كانت مرشحة للاغلاق منذ زمن طويل لولا المعونات المعلنة وغير المعلنة) ، وعلى شكل مستوى معيشي مرتفع لا يتناسب مع ناتج عمله .

انه من الواضح بأن أرباح الرأسماليين الاسرائيليين انما هي عائد مساهمتهم في المعونات الخارجية .

ان الصراع بين العمال الاسرائيليين وبين مستخدميهم لا يشرك فقط القسم من فائض القيمة الناتج عن العامل، وانما أيضا مساهمة مختلف الطبقات في المعونات الخارجية(٤). كما سوف أبين ، فان رأسماليي اسرائيل ومستشاريهم الاجانب كانوا دائما منتصرين في صراعهم من اجل الاشراف على فائض القيمة والمعونات . صحيح ان المعونات قد ساعدت على تأمين المساكن والعمل وغير ذلك لعمال اسرائيل ، ولكن من الممكن اظهار ان العمال قد دفعوا ضرائب مرتفعة من اجل هذه الضروريات .

بين الاعوام ١٩٥٠ و١٩٦٧ أمنت الاشكال « العامة » لواردات رأس المال ٤،١٩ بليون دولار (هبات المؤسسات ، التعويضات الالمانية ، العون المباشر والقروض المختلفة) . مع ان هذه الاموال لا يمكن حسابها على أساس متبرعين ومستفيدين أفراد ، فانه من الخطأ النظر اليها وكأنها خسارة نقدية واضحة بالنسبة لاصحاب رؤوس الاموال الامريكيين والاوروبيين . انه يكفي أن نتذكر ان التبرعات لاسرائيل في الولايات المتحدة تعتبر معفاة من الضريبة ، وبهذا تقدم بعض الامتيازات للمتبرع الثري . وعلى المستوى ذاته ، فانه من الواضح أن عائدات الضريبة التي تؤمن التعويضات الالمانية ، العون الاميركي ، والقروض من الحكومات الاخرى لم تحصل من المثرين وحدهم . الرأسماليون الامريكيون والاوروبيون لم « يتبرعوا » الا بالقليل لاسرائيل : في المقابل ، فان الاشخاص الاقل ثراء قد وفروا الاموال لاسرائيل ، من حيث لا يدرون ، عبر دفعهم للضريبة .

قلما يدر مبيع سندات اسرائيل (بليون دولار) أرباحا على مشتري السندات ، بسبب نسبة الفائدة السنوية المنخفضة ، من ٣ الى ٤ بالمائة . على أية حال ، فان اسرائيل قامت بالدفع في الوقت المحدد ، ولذلك فان المستثمرين يخسرون الاموال فقط في اوقات التضخم المالي المرتفع في بلادهم .

ومع ان المعونات الخارجية لعبت دورا رئيسيا في تنمية الاقتصاد الصهيوني تحت الانتداب البريطاني ، كما فعلت منذ عام ١٩٤٨ ، الا أن على المرء أن يأخذ بعين الاعتبار انه من الممكن لطبيعة واردات رأس المال الخارجي ان تتغير . فمن جهة ، يمكن أن يؤدي اشتداد ساعد القوى الثورية في الوطن العربي الى سيل عارم من المساعدات العسكرية،

وخاصة من الولايات المتحدة ، بهدف مساعدة اسرائيل على الاستمرار في دورها كحارس للمصالح الامبريالية في الشرق الاوسط . والامكانية الثانية ، أن يزداد حجم الاستثمارات الاجنبية الخاصة بدرجة كبيرة ، مع تزايد الانتاج الاسرائيلي ، وتوسع السوق الاسرائيلية للبضائع الاجنبية . وعلى العكس من هاتين الامكانيتين ، يمكن للاوضاع الاقتصادية غير المستقرة في الولايات المتحدة وأوروبا أن تقود الى تخفيض واردات رأس المال الاجنبي . وليس هناك من أساس للاعتقاد بأن الانماط الراهنة (وهي سيطرة المعونات «الحكومية» ، وبشكل نسبي ضآلة الاستثمارات الخاصة المباشرة من الخارج، والدور الهام الذي تلعبه مبيعات سندات اسرائيل ، والديون الخارجية) هي أنماط مستديمة ، أو أن التركيب الطبقي الحالي لاسرائيل لن يطرأ عليه أي تغيير .

رابعا ــ الاقتصاد الاسرائيلي داخل الاطار الشرق الاوسطي :

يمكن القول بشكل معقول تماما ان تاريخ الامبريالية الامريكية نفسه متصل بشكل وثيق بالتحول الذي طرأ على الشرق الاوسط كافة خلال القرن العشرين . فمنذ استكشافات ما قبل الحرب العالمية الاولى على يد الجيولوجيين الامريكيين، ومنذ انحلال الامبراطورية العثمانية تحت الاشراف الامريكي ، ومنذ أن غرزت شركات النفط الامريكية اظافرها في العراق والعربية السعودية في العشرينات ، كان الشرق الاوسط عنصرا أساسيا في مناطق نفوذ الرأسمالية الامريكية في الخارج .

واني احث كل الامريكيين على الاطلاع عن كثب على أعمال مثل كتاب هاري ماغدوف **عصر الامبريالية*** وذلك في محاولة أكثر جدية لفهم معنى الحقيقة الكامنة في ان « عددا محدودا من شركات نفط الولايات المتحدة الامريكية تسيطر على ثلثي احتياطي « العالم الحر » من النفط »(٥) . واليوم ، تعمل شركات النفط الامريكية في كل بلد من بلدان الشرق الاوسط ، **بما فيها اسرائيل** . وبما ان نسبة ضئيلة من احتياجات امريكا المحلية من النفط تستدر من الشرق الاوسط ، يصعب على الكثيرين ان يفهموا طبيعة المصالح الامريكية. الا أن مؤلفي كتيب بعنوان **مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط**** استطاعوا ان يكونوا واضحين جدا في ذلك :

لقد بلغت الاستثمارات المباشرة للشركات الامريكية في نفط الشرق الاوسط قيمة اسمية قدرها ١،٥٦ بليون دولار عام ١٩٦٦ ، وبلغ الدخل (قبل ضرائب الولايات المتحدة) لشركات الولايات المتحدة ما مجموعه ٨٥٢ مليون دولار من اصل دخل اجمالي قدره ٨٦٣ مليون دولار وذلك من كافة الاستثمارات في الشرق الاوسط ... وبين العام ١٩٥٠ والعام ١٩٦٠ ازدادت قيمة الاستثمارات في بترول الشرق الاوسط من ٦٦٦ مليون الى ١،٤١ بليون دولار ، بينما ارتفع الدخل السنوي من ٢١١ مليون الى ٧٣٥ مليون دولار . وفي العقد ١٩٥١ ــ ١٩٦٠ ، بلغ صادر رأس المال ٢١٦ مليون دولار فقط ، بينما وصل مجموع الدخل الى ٥ بلايين دولار(٦) .

وبينما يتظاهر السياسيون والعالمون ان الشرق الاوسط « مهدد بالتوسع الروسي » الا أن هذه الادعاءات لا تقوم على قاعدة صلبة . فعندما يتحدث ريتشارد نكسون عن « حماية احتياجات اوروبا النفطية » ينبغي الا يغيب عن ذهننا انه اكثر اهتماما بحماية الارباح الخيالية لعمالقة النفط منه بتأمين ما يحتاجه من الوقود في الشتاء عمال ومزارعو اوروبا . فقرابة ثلثي مجموع النفط المستخرج نتيجة معدل عمليات الشركات الامريكية في الخارج يأتي من الشرق الاوسط(٧) . ومع أنه يستشهد بمصر على انها مثال للدولة

* Harry Magdoff, *The Age of Imperialism*
** *United States Interests in the Middle East*

المعتمدة على السوفييت ، الا ان عمليات النفط الاميركية في مصر قد تزايدت منذ عام ١٩٥٦ .

فقد تمت الترتيبات من أجل مشاريع مشتركة مع شركة « بان امريكان » (وهي فرع من شركة « ستاندرد أويل أوف انديانا ») وشركة « فيليبس بتروليوم » عام ١٩٦٣ . ونجحت شركة « بان أمريكان » مباشرة تقريبا ، وابتدأ الانتاج من حقل المرجان في خليج السويس في نيسان ١٩٦٧ واستمر دون ان يتأثر تقريبا خلال حرب الايام الستة . وابتدأ الانتاج في حقل آخر اكتشفته « فيليبس » في الصحراء الغربية جنوبي المكان الذي كان مسرح حرب العلمين، في آب ١٩٦٨ ، وقد ظهر ان حقل « بان اميركان » غزير الى درجة انه استطاع خلال أشهر قليلة فقط ان يعوض بل ويزيد عن خسارة حقول نفط سيناء التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية . وفي نيسان ١٩٦٧ ، عندما كان حقل المرجان قد بدأ الانتاج لتوه ، حذر أحد الصحافيين في القاهرة العراق من انه « ليس من وطني يدرك ابعاد حرب النفط يمكنه أن يدعو الى تأميم النفط »(٨) .

عند هذه النقطة ، ينبغي للقراء أن يتساءلوا « هل تتناسب اسرائيل بأي شكل من الاشكال في اطار صورة الشرق الاوسط النفطية ؟ » ومع انه من المعتقد على نطاق واسع انه ليس لاسرائيل نفطها الخاص ، الا أن اسرائيل قد صدرت ما قيمته ١٩ مليون دولار تقريبا من النفط عام ١٩٦٧(٩)،غير انه يجب الاعتراف ، ان هذه الكمية لا يأبه بها بالمقارنة مع صادرات العراق البالغة ٣٦٢ مليون دولار (عام ١٩٦٧) أو صادرات العربية السعودية التي وصلت الى ٨٤٣ مليون دولار في العام ذاته(١٠) . ومنذ العام ١٩٦٧ ، ازدادت امكانات اسرائيل كمصدر للنفط بدرجة عظيمة ، وذلك بعد الاستيلاء على حقول سيناء ، وانجاز خط نفط ايلات — حيفا ، وهو ثالث أكبر خط في العالم في طاقته .

وبالنسبة لاسرائيل ، يجب أن ندرك أن الامبريالية لا تقصر جهودها ، تأدبا ، على استخراج وبيع المواد الاولية ، مثل النفط ، بل يجب على المرء أيضا أن يفحص الارباح الناتجة عن اليد العاملة الرخيصة ، وعن السيطرة على الاسواق المستعمرة . ومع ان موارد اسرائيل الطبيعية تقتصر على المعادن الموجودة في منطقة البحر الميت وصحراء النقب ، لا يمكن التغاضي عن تجارتها الخارجية .

ففي علاقاتها مع العالم غير العربي ، تستمر اسرائيل في لعب دور المنطقة المعزولة ذات المهارات التكنولوجية الفائقة التي تضطلع بنشاطات ذات طبيعة متخصصة . ان الماس الصناعي ، مثلا ، هو أهم الصادرات الاسرائيلية ، حيث عاد عليها بـ ١٩٠ مليون دولار في العام ١٩٦٦ . فاسرائيل تستورد الماس الخام ، تقطعه ، وتصقله وتعيد تصديره الى بلدان البنلكس (بلجيكا ، هولندا ولوكسمبورغ) ، وسويسره ، وهونغ كونغ ، واليابان والولايات المتحدة ، بربح سنوي قدره ٥١ مليون دولار . اما صادرات الحمضيات الطازجة ، التي يباع معظمها في أوروبا الغربية ، فقد جلبت ٧٩ مليونا في العام ١٩٦٦ ، وحققت الفواكة المعلبة ٢٠ مليونا أخرى . كما دخلت اسرائيل في السنوات الاخيرة عالم المنافسة في الازياء الرفيعة ، فجنت ١٥ مليونا من صادرات الملابس عام ١٩٦٦(١١) .

ويمكن استكمال عناصر الصورة التي رسمناها آنفا عن الصادرات الاسرائيلية الرئيسية باستعراض الجدول التالي ، الذي يبين العلاقة بين الصادرات الصناعية والزراعية :

جميع الارقام بملايين الدولارات

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
الصادرات الزراعية	٨٦،١	٩٤،٨	١٠٨،٤
٪ من المجموع	(٪٢٠،١)	(٪١٨،٨)	(٪١٩،٤)

الصادرات الصناعية	٣٤٣،٠	٤٠٨،٥	٤٤٩،٩
٪ من المجموع	(٪٧٩،٩)	(٪٨١،٢)	(٪٨٠،٦)
المجمـوع	٤٢٩،١	٥٠٣،٣	٥٥٨،٣
صادرات المـاس	١٥٤،٤	١٩٠،٠	١٩٣،٠
٪ من المجموع	(٪٣٥،٩)	(٪٣٧،٧)	(٪٣٤،٦)(١٢)

وهكذا ، فخلال فترة ثلاث السنوات، كانت النسبة بين الصادرات الصناعية والصادرات الزراعية هي ٤ الى ١ تقريبا ، وشكلت صادرات الماس نصف الصادرات الصناعية تقريبا . والتعريف المنقول أعلاه بأن اسرائيل « هي منطقـة معزولة ذات مهـارات تكنولوجية فائقة » يمكن تبريره تماما اذا ما اعتبر المرء الدور الحاسم الذي يلعبه الانتاج الصناعي . فالندرة النسبية للمواد الاولية تقضي بأن تكون **اليد العاملة** البارعة أحد الموارد الطبيعية الرئيسية . وليس على المرء أن ينظر الى أكثر من صناعة الماس حيث تجلب المواد الاولية ليس من رمال النقب ، بل من مناجم جنوب افريقيا . فاذا ما أعطينا **اليد العاملة الاسرائيلية** ما تستحقه من الاهمية ، أصبح بامكاننا أن نعالج بجدية مسألة ما « اذا كانت الصناعة في اسرائيل تدار من قبل العمال أم مـن قبل نخبة ذات قوة سياسية ؟ » .

فبينما بلغ مجموع الصادرات عام ١٩٦٧ الرقم الذي لم يسبقه مثيل وهو ٥٥٨،٣ مليون دولار ، سجل مجموع الواردات أيضا رقما قياسيا جديدا هو ٧٥٤،٦ مليون دولار(١٣) . ومن السهل تماما ان يغرب عن بال المرء الاثر الحقيقي للواردات الاسرائيلية الا أن بعض العمليات الحسابية البسيطة قد تستطيع فتح الاعين على الحقيقة . فاذا ما قسمنا مجموع الواردات البالغ ٧٥٤،٦ مليون دولار عام ١٩٦٧ على مجموع السكان في ذلك العام(٢،٨٠٧،٠٠٠ بما فيه القدس الشرقية) (١٤)تصل الواردات للشخص الواحد حوالي ٢٧٠ دولارا تقريبا ، وهو رقم أعلى من معدل دخل الفرد السنوي في معظم بلدان الشرق الاوسط(١٥) .

ويدعي كثير من مؤيدي الصهيونية ان واردات اسرائيل المرتفعة بشكل غير طبيعي من البضائع الاجنبية هي نتيجة المصاريف التي تتكبدها اسرائيل كل سنتين على « الامن القومي » ولا يمكن نفي القول أن مصاريف الدفاع الاسرائيلية هي مرتفعة (اذ بلغت معدلا قدره ٨،٨ ٪ من اجمالي الناتج القومي في كل من السنوات مـن ١٩٥٠ الى ١٩٦٦)(١٦) . رغم ذلك ، يجب أن ندرك أن واردات الاسلحـة هي مجرد جزء مـن الواردات الاجمالية . وأكثر من ذلك ، فقد ازداد انتاج الاسلحة المحلي بشكل ثابت، حتى ان اسرائيل ، اليوم ، تصدر أيضا الاسلحة الى البلدان الاخرى .

ان دراسة وثيقة لتركيب اسرائيل الاقتصادي تبين ان اعباء مصاريف التسلح تقع الى درجة كبيرة على كاهل العامل الاسرائيلي . اما الرأس المالي، ان كان مواطنا اسرائيليا أو مستثمرا أجنبيا ، فلا يدفع الا القليل من أجل « الامن الوطني » .

وتشكل ديون اسرائيل المزمنة بالعملات الاجنبية ، التي وصلت الى ١،٥٩ بليون دولار عام ١٩٦٨(١٧)، (حوالي ٥٧٠ دولار للفرد الواحد) سلاحا قويا في أيدي المنتفعين الامبرياليين . ومن المفيد أن نذكر ان الديون بالعملة الاجنبية هي نتيجة ملازمة للسيطرة الامبريالية ، وانه من هذه الوجهة ، يكشف الاقتصاد الاسرائيلي عن نقطة تماس مع اقتصاديات البلدان المجاورة (اذ وصلت ديون مصر الطويلة الاجل الى مبلغ ١،٥ بليون دولار عام ١٩٦٨)(١٨) . ويمكن ايراد الملاحظات التالية بخصوص الاقتصاد الاسرائيلي ضمن الاطار الشرق الاوسطي الكلي :

١ .) مع ان اسرائيل لا تملك حاليا اقتصادا يعتمد بشدة على النفط الا ان الدور الحيوي الذي يلعبه الماس في صادراتها يشكل نوعا من التخصص في ناتج واحد .

٢) ومع انه ليس لدى اسرائيل من المواد الاولية ما يمكن مقارنته بما لدى جيرانها ، الا أن ما تملكه من اليد العاملة البارعة هو ثروة ذات أهمية فائقة . ومـــا الصادرات الصناعية لعام ١٩٦٧ (التي بلغت ٤٤٩،٩٠ مليون دولار) الا دليل على ذلك .

٣) ويشكل مستوى الاستهلاك الشخصي المرتفع في اسرائيل (وهو أعلى من مستوى استهلاك الفرد في هولندا ، والنمسا ، وايطاليا)(١٩) وكذلك واردات « القطاع العام » المرتفعة ، سوقاً للبضائع الغربية . ففي عام ١٩٦٧ أصدرت الولايات المتحدة ما قيمته ١٩٢ مليون دولار من البضائع الى اسرائيل ، بينما بلغت صادرات أوروبا الغربية لها ٤٢٠ مليون((٢٠) .

٤) وينتج عن مستوى الواردات المرتفع هذا ديون مزمنة بالعملة الاجنبية ، التي تقود مثل ديون بلدان كثيرة أخرى ، الى ربط الاقتصاد الوطني بالامم الاجنبية .

خامسا ــ صورة عن المصارف في اسرائيل :

مع انه هناك بنوك تعاونية وكذلك بنود تديرها الحكومة في اسرائيل ، الا أن المؤسسات التي تعود ملكيتها للقطاع الخاص تلعب دورا مسيطرا . ففي عام ١٩٥٣ ، كانت الملكيات الفردية والشركات الخاصة تسيطر على ٧١،٤ بالمائة من قطاع المصارف التجارية(٢١) . ومنذ ذلك الوقت ، يمكن للمرء ان يشير بشكل خاص الى النمو الثابت لبنك خاص واحد ، هو بنك الخصميات الاسرائيلي*، الذي أنشأه أعضاء من عائلة راكاناتي خلال فتـــرة الانتداب . اما بنك لئومي ، الذي تديره الوكالة اليهودية ، فقد ظل اكبر بنك اسرائيلي ، الا أن موجوداته ، اثناء الستينات لم تنم بالسرعة نفسها التي نمت فيها موجودات بنك الخصميات الاسرائيلي .

	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٧	١٩٦٨
بنك لئومي (بالدولار)	٠،٥٩٣ بليون	٠،٩١٤ بليون	١،٢٨٢ بليون	١،٥٧٩ بليون
١٩٦٣ = ١٠٠	١٠٠	١٥٤	٢١٦	٢٦٦
بنك الخصميات (ليرة اسرائيلية)	٠،٩٧٢ بليون	١،١٧٧ بليون	٢،١٧٨ بليون	٢،٧٧١ بليون
١٩٦٣ = ١٠٠	١٠٠	١٢١	٢٢٤	٢٨٥

وهكذا اتسم بنك الخصميات بتوسع ظاهر في الرقم القياسي لموجوداته (١٢١ الى ٢٢٤) بين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٧ ، وهي الفترة التي كانت تعاني اسرائيل خلالها أزمة الركود الشهيرة (**ميتون** بالعبرية)(٢٢) . وعندما كانت اسرائيل تمر في فترة استعادة النشاط بعد الحرب ، استمر الرقم القياسي لموجودات بنك الخصميات في الارتفاع بسرعة تفوق تلك التي لبنك لئومي .

وفي المكانة الثالثة بنك هبوعاليم ، الذي يسيطر عليه الهستدروت ، والذي لم تبلـــغ موجوداته علامة البليون ليرة حتى عام ١٩٦٥ (٢٣) . وبما ان عليه أن ينافس ليس بنك الخصميات فحسب بل ايضا بنوكا خاصة صغيرة اخرى ، يواجه بنك هبوعاليم قيودا شديدة . وبشكل خاص ، فقد استثني هذا البنك من تقديم راس المال الى صناعة الماس المربحة ، التي يقوم بنك لئومي وفروعه على تمويل القسم الاعظم منها .

وقد تميز القطاع المصرفي الاسرائيلي ، في السنوات الاخيرة ، بمعدلات ربح عالية ، كانت

* Israel Discount Bank.

مصدر قلق كبير لبعض اعضاء اليسار الصهيوني حتى خلال اوائل الستينات . ويعرض بيتر بوخ في **أسطورة اسرائيل التقدمية***، المقتطف التالي من كلمة القاها مئير يعري الامين العام للمابام ، في مؤتمر المابام عام ١٩٦٣ :

يورد تقرير لبنك اسرائيل انه في عام ١٩٦١ ازدادت موجودات البنوك بمقدار ٤٠٦ ملايين ليرة اسرائيلية ، او ٢٦ بالمائة ، وذلك خلال عام واحد . وخلال تلك السنة نفسهـــا ، ازدادت الارباح المحققة على رؤوس الاموال الخاصة بهذه البنوك بـــ ٥١،٨ ٪ ، بينما ازدادت الارباح من العمليات ورؤوس الاموال معا بـــ ٣٠،١ بالمائة . مثل هذه الارباح ليست ارباحا رأسمالية طبيعية(٢٤).

ومعدلات الربح المتزايدة التي يشير اليها يعري تصح أيضا على فترة ما بعد الحرب . ففي عام ١٩٦٨ ، ارتفعت أرباح البنوك بنسبة ٣٠ بالمائة ، فوصل مجموعها الى ٦٠ مليون ليرة اسرائيلية(٢٥). وفي **الثورة الفلسطينية والصهيونية****، ينقل بوخ تعبيرا آخر على دهشة يعري (نقلا عن **اسرائيل هوريزون**، أيار ١٩٦٩): لا استطيع ان ابرر، بسبب الاحوال الطارئة الحالية ، حقيقة انه في أوقات البحبوحة الاقتصادية مثل التي كنا نتمتع بها في السنة الماضية ـــ عندما زادت أرباح البنوك عن ٣٠ بالمائة ـــ وعندما بلغت ارباح رجال الصناعة أكثر من ٢٠ بالمائة ـــ بقيت أجور العمال الذين ينالون الرواتب ثابتة ، بعد أن كانت مجمدة خلال تلك السنوات الكثيرة(٢٦).

وبالاضافة الى الدور المسيطر الذي تلعبه البنوك الخاصة في اسرائيل ، يجب على المرء أيضا أن يأخذ بعين الاعتبار امتداد نفوذ رجال البنوك الى قطاعات الاقتصاد الاخرى . ويمكن لاولئك الذين يعرفون عن كتاب وليم دومهوف : **من يحكم امريكا** (بالانجليزية) ، أو عن كتاب لينين : **الامبريالية : أعلى مراحل الرأسمالية** ، أن يدركوا بسرعة الدور الذي يلعبه أعضاء مجالس الادارة المشتركين في المجتمعات الرأسمالية . فعندما تشارك حلقة صغيرة من الاشخاص في عدد كبير من مجالس الادارة ، يندفع الاقتصاد الوطني بشكل ثابت نحو التمركز الاحتكاري .

ومنشورات مثل *Who's Who in Israel* ، لعام ١٩٦٩ تكشف بوضوح ان رؤســـاء مجالس الادارة لاكبر ثلاثة مصارف اسرائيلية يحتلون عددا كبيرا من المناصب الاخرى في مجالس ادارة اضافية :

أ ـــ دانيال راكاناتي ـــ وهو المدير الاداري لبنك الخصميات الاسرائيلي ومدير شركة فرعية لهذا البنك هي Discount Bank Investment Corporation وكذلك هـــو مدير في المؤسسات التالية : Israel Mercantile Corporation, Delek Fuel Company, و Cargo Ships «El-Yam», ، و Industrial Development Bank of Israel وشركة PEC Israel Corporation (وهي شركة استثمارات) . كما انه عضو في اللجنة الاستشارية لبنك اسرائيل .

ب ـــ يشعياهو فويردر Yeshayahu Foerder ـــ رئيس بنك لئومي . وهو المدير المؤسس لشركتي « راسكو لمتد » و« اسراس » (وهما شركتان للانشاء والبيوت) . كذلك هو مدير شركة « باز اويل » . كما انه عضو في اللجنة الاستشارية لبنك اسرائيل .

ج ـــ ابراهام زابرسكي ، المدير الاداري لبنك هبوعاليم ، ورئيس شركة Hassneh Insurance . ورئيس بنك يعمل في رهن المنازل Housing Mortgage Bank Ltd. . كذلك هو مدير شركة Delek Fuel وشركة AMPAL (للاستثمارات) وعضو في اللجنة الاستشارية

---

* The Myth of Progressive Israel
** *The Palestinian Revolution and Zionism*

لبنك اسرائيل . وكذلك عضو في المجلس العام لكل من الهستدروت ، وحزب المباي . وهكذا لا يقصر أي من رؤساء البنوك الثلاثة هؤلاء نشاطه على مجالس الادارة الواقعة في دائرته الخاصة داخل الاقتصاد الاسرائيلي . فراكاناتي ، وهو أحد الرأسماليين في القطاع الخاص ، هو أيضا مدير لبنك « يديره القطاع العام » وهو بنك Industrial Development Bank ، وفويردر ، رئيس بنك لئومي الذي تملكه الوكالة اليهودية هو أيضا مدير في شركتي « راسكو » و « باز اويل » اللتين يديرهما القطاع الخاص . وزابرسكي مدير « بنك العمال » هو أيضا مدير في شركة ديليك وهي اكبر شركة نفط اسرائيلية . وهكذا يمثل هؤلاء الرؤساء الثلاثة التلاحم الكامل بين دوائر النشاط « الخاصة » و « العامة » .

ولا يسع المرء بأي شكل أن يعتبر راكاناتي ، وفويردر ، وزابرسكي أمثلة شاذة معزولة . ففي بنك الخصميات الاسرائيلي مثلا يكتشف المرء أن رافاييل راكاناتي الذي يدير عمليات البنك في نيويورك هو أيضا مدير في شركتي « اليام » و « ديليك » . وابراهام هاسيدوف ، وهو مدير آخر ، هو أيضا مدير في :
Israel Development and Mortgage Bank of Netiot Hadarom, Ltd.
وظاهرة التداخل في النظام الرأسمالي هذه تستحق أعظم الاهتمام عندما يتفحص المرء البنك الذي يديره الهستدروت وهو بنك هبوعليم او « بنك العمال » ، فمثلا شراغة غورين وهو عضو سابق في حزب المباي في الكنيست ، يعمل ايضا كنائب لرئيس شركة ديليك وكذلك نائبا لرئيس شركة Alliance Tire and Rubber . وأحد المدراء الاخرين وهو ابراهام دكينشتاين ، يعمل رئيسا لـ AMPAL ولـ Israel Development Corp. (للاستثمارات) ذلك بالاضافة الى كونه مديرا في Alliance Tire وفي Lapidoth Ltd. (النفط) . فهل يجرؤ « المدافعون عن الاشتراكية الاسرائيلية » أن يدعوا أن ما هذه الا مجرد أمثلة على تغلغل الاشتراكية داخل القطاع الراسمالي من الاقتصاد ؟ او انه يجب التسليم نهائيا بأن مدراء البنوك « الاشتراكيين » ما هم الا مجرد خدام صاغرين للرأسمالية ؟ وهكذا، يتكشف لنا ان القطاع المصرفي في اسرائيل يتسم بمظاهر معينة يتميز بها الاقتصاد الرأسمالي . ويمكن للمرء أن يشير ليس الى ظاهر النمو الثابت في بنك الخصميات فحسب بل وأيضا الى معدلات الربح المرتفعة (حتى أثناء الفترات التي اقرت فيها الحكومة تجميد الاجور) . بالاضافة لذلك ، لا يمكن للمرء أن يتغاضى عن ظاهرة العضوية في مجالس ادارة متعددة من قبل بعض مدراء أهم البنوك الاسرائيلية ، وهو وضع يدل على تغلغل الرأسمالية الاحتكارية .

سادسا ــ الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل :

مع ان الاستثمارات الخاصة لم تشكل سوى نسبة ضئيلة (١١،٧ بالمائة) من الـ ٨،٥ بليون دولار وهو ما ورد اسرائيل من رأس المال الاجنبي بين عام ١٩٥٠ و١٩٦٧ ، الا أن الاثار الملموسة التي تركها الاستثمار الاجنبي تستحق مزيدا من الاهتمام . والجدول التالي يعطي صورة مفصلة عما ورد اسرائيل من رأس المال الاجنبي الخاص في السنوات الاخيرة :

(الارقام بملايين الدولارات)

	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	المجموع
اجمالي الاستثمارات	١٦٩،٤	١١٤،٩	١٠٤،٣	٥١،٦	٥٤،٢	٤٩٤،٢
الاستثمارات المصفاة	ـــ١٧،١	ـــ٢٧،٩	ـــ٢٧،٠	ـــ٣١،١	ـــ٣٢،٧	ـــ١٣٥،٨
	١٥٢،٣	٨٧،٢	٧٧،٣	٢٠،٥	٢١،٥	٣٥٨،٤

المجمـوع الصـافي :

اعادة استثمارات	+٤٤٫٤	+٤٤٫٨	+٥٤٫٢	+٤٤٫٣	+٤٤٫٠	+٢٣٤٫٧
الاربـــاح	١٥٦٫٧	٩٢٫٠	٨٢٫٥	٢٤٫٨	٢٥٫٥	٣٨٢٫١

وتشير احصائيات بنك اسرائيل الى هبوط حـاد في الاستثمارات الاجنبية بعد عـام ١٩٦٤(٢٧)، على ان ذلك ليس كافيا ليجعل من يعطفون على الصهيونية يصرخون « ألا ترى ، اسرائيل تحرر نفسها من السيطرة الاجنبية » فمبلغ الـ ٣٨٢٫١ مليون دولار ، وهو المجموع المتراكم النهائي لفترة خمس السنوات هو أعلى بكثير من مجاميع فترات خمس السنوات الاخرى . ومع ان الاستثمارات المصفاة ازدادت بشكل ثابت ، الا ان اجمالي الاستثمارات ، والاستثمارات المعادة قد تفوقت عليها بشكل مستمر . ومما يجدر ملاحظته ان الاستثمارات المعادة قد بقيت ثابتة نسبيا خلال الفترة كلها .

وينبغي لنا أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار ان الهبوط في اجمالـي الاستثمارات ، وكذلك الزيادة في الاستثمارات المصفاة قد رافقت فترة الـ « ميتون » وهي فترة الركود ، التي ما أن حل عام ١٩٦٧ ، حتى كانت قد لفظت ١٠ بالمائة من القوة العاملة الاسرائيلية خارج العمل . ويبدو ان حكومة « اشتراكية » كان ينبغي أن تتخذ اجراءات لوضع حد لعمليات التصفية الخطيرة هذه ، الا أن اشكول كان تحت رحمة المستثمرين الاجانب تماما .

اما حرب حزيران ١٩٦٧ التي خفضت جزئيا نسبة البطالة « الرسمية » بوضعها كثيرا من العمال تحت السلاح ، فقد تبعتها فترة تجدد الاستثمارات الاجنبية . ففي عـام ١٩٦٨ ، وصل اجمالي الاستثمارات الى مبلغ ٥٤٫٢ مليون دولار ، وارتفع بشكل ثابت منذ ذلك الحين . وازدياد الاستثمار الاجنبي لم يكن نتيجة حرب ١٩٦٧ فقط ، بل أيضا بسبب عوامل مختلفة مثل تجميد الاجور ، وتسارع الانتاج الصناعي ، وما زودته المناطق المحتلة من أسواق جديدة ، ويد عامله اضافية . وفي عـام ١٩٦٩ ، باشرت الشركات الامريكية فقط بمشاريع بما قيمته ١٠٦ ملايين دولار . وان قائمة جزئية بالشركات العاملة في اسرائيل لتضـم المؤسسات العملاقـة التالية : Monsanto و Xerox Motorola و Witco Chemicals, و Holiday Inns و International Paper و Westinghouse ومن المهم بشكل خاص أن ندرك ان بعض المؤسسات التي يديرهـا الهستدروت مثل صناعات كور قد تشاركت مع بعض المؤسسات الامريكية مثل « جنـرال تلفون » و Owens-Illinois .(٢٨)

رغم ذلك ، لا ينبغي أن تدهشنا الزيادة السريعة والمفاجئة للاستثمارات الاجنبية بعد الحرب ، لان قاعدتها الاقتصادية كانت قد هيئت قبل سنوات كثيرة مـن ذلك . وعدا الاستثمارات المباشرة من قبل شركات أجنبية ، يجب أن يأخذ المرء بعين الاعتبار الدور الهام والنافذ الذي تلعبه شركات الاستثمار . فشركة PEC الاسرائيلية مثلا (وقد أنشئت عام ١٩٢٦ باسم (Palestine Economic Corporation)) تملك أجزاء رئيسية من شركات اسرائيلية مثل .Carmel Wines Ltd و Ihud Insurance و Tambour Paints و ICOA (للطائرات والعتاد الحربـي) . بالاضافة لذلـك ، تملك شركـة PEC Israel اسهما في بنك الخصميات وشركة « ديليك » و« يونايتد تورز » و« دان اوتيلز » ومجموعة اخرى من الشركات .

ومن بين الشركات المنشأة في الخارج ، تشكل شركة امبال (AMPAL) (التي انشئت عام ١٩٤٢ باسم (American Palestine Trading Corp.)) حالة خاصة ، اذ أنها أقيمت في الاصل على يد شركة أخرى هي حفرات عوفديم، احدى الشركات المالكة في الهستدروت . ورغم اصول امبال ، الا أنها اليوم تزود برأس المال ليس مشاريع الهستدروت فحسب ،

بل وأيضا شركات ذات ملكية خاصة مثل « ديليك » و Tricontinental Pipelines .
ومع ان شركة « أمبال » تختلف عن شركات الاستثمار الاخرى بما أن بعض مدرائها أعضاء في الهستدروت ، مثل أهرون بكر ، وابراهام زابرسكي ، الا أن رئيسها امريكي :
١) رودولف ج سون بورن، رئيسا ــ كذلك رئيس شركة Sonneborn Chemicals and Refining Co. (الولايات المتحدة) حتى عـام ١٩٦٠ ، ورئيس سابق لشركة : Petroleum Transport and Trading Corp. (الولايات المتحدة) كما انه كان مديرا سابقا في New York Post Corporation . كذلك مدير في Witco Chemicals (الولايات المتحدة) . ورئيس للنداء اليهودي الموحـد في الفترة ١٩٥٠ ــ ١٩٥٤ . ومديـر في Israel Development Corp., PEC Israel Corporation (للاستثمارات) .

وهكذا ، فشركة « أمبال » من خلال سون بورن تكشف عن علاقة مباشرة ليس بالقطاع الخاص في اسرائيل فحسب ، بل وأيضا بالرأسمالية الاحتكارية الامريكية (اذ أن شركة Witco Chemicals ، التي تعمل في اسرائيل ايضا ، هي مجموعة لشركات الكيمياويات والبترول بلغت موجوداتها عام ١٩٦٩ ١٦٧ مليون دولار) . ومن أجل المدافعين عن اسرائيل يجب طرح السؤال : « هل ان التزام سون بورن بتنمية اسرائيل الاقتصادية هو مجرد عمل خيري ، أم انه مع شلة رجال الخير الاخرين من اصحاب الملايين ينتظر ما سيجنيه من منافع في المستقبل ؟ »

وبينما قد يقول بعض المنتمين للصهيونية ان المناصب التي يحتلها بعض أصحاب الملايين الامريكيين هي مجرد مناصب فخرية لا تمكنهم من ترسيخ اقدامهم في الاقتصاد الاسرائيلي، يجد المرء أن سون بورن ليس حالة استثنائية أو معزولة . فهناك مثلا رالف وشسلر ، رئيس شركة Nopco Chemical Co. في الولايات المتحدة، الذي يعمل أيضا كمدير في شركة «أمبال» ، وكرئيس لشركة Israel Development Corp. ، وكمدير في البنك الذي « يديره القطاع العام» وهو Industrial Development Bank of Israel أما شركة Israel Investors Corp. وهي شركة ذات ملكية خاصة ، فرئيسها هو لويس هـ. بوير من لوس انجلس الذي هو مدير في الشركـات الامريكية التاليـة : Aetna Construction Corp. و Boyar-Kessler Investment Corp. و City National Bank of Beverly Hills وتخطط الشركة الفرعية الاستثمارية لهذا الاخير وهي Beverly Hills Bank Corp. من خلال شركة Overseas Diversified Equities لان تستثمر مبلغ ١،٥ مليون دولار في اسرائيل ، بعد أن اشترت مؤخرا حصة لا يستهان بها من أسهم Perma-Sharp ، وهي اكبر شركـة اسرائيلية منتجة لشفرات الحلاقة(٢٩) .

وفي عام ١٩٦٨ ، بلغت موجودات اربـع شركات استثمارية امريكيـة المنشأ هـي (PEC Israel ، و AMPAL ، و Israel Development Corp. ، و Israel Investors Corp.) مجتمعة ٩٦،٣ مليون دولار . ومع ان هذا الرقم صغير بالمقارنة مع موجودات بنك لئومي او بنك الخصميات الاسرائيلي Israel Discount Bank ، الا انه من الخطأ انكار أهمية هذه الشركات . فقد لعبت دورا حاسما بتزويدها رأس المال لقطاعات اقتصادية مثل البترول ، والسياحة ، وهي كذلك تكشف عن الصلات الاساسية التي تربط الرأسماليين والبيروقراطيين الاسرائيليين بالرأسمالية الامريكية .

وطبعا ، ليست الشركات الاربع الامريكية المنشأ هي الشركات الوحيدة . فيمكن الاشارة الى مؤسسات مثل Africa-Palestine Investments Group ، وهي مجموعة مستثمرين من جنوبي افريقيا لهم نصيب كبير من أسهم شركات التأمين ، والعمليات السياحية (مثل Peltours, Inc. و Tiberias Hot Springs) . وهناك مجموعة أخرى من مستثمري جنوب افريقيا تملك Jacob Japhet Bank و Ararat Insurance .

واكثر من ذلك ، يجد المرء أمثلة لمؤسسات اشترك فيها الاستثمار الخاص مع المعونات الاجنبية مثل الطريقة التي أنشىء بها Industrial Development Bank of Israel عام ١٩٥٧ . ومع ان معظم رأسمال البنك قد زودته مباشرة الحكومة الامريكية وبنك الاستيراد والتصدير Export-Import Bank، الا أن هناك ٥ ملايين ليرة قدمت كقرض من قبل بنك واربورغ (لندن) وهو ذو ملكية خاصة . وفي عام ١٩٦٩ ، قام بنك Industrial Development Bank حسب ما جاء في تقريره السنوي ، بمفاوضات من أجل سلسلة من القروض ، استدانها من بنك التصدير والاستيراد وشركة « أمبال » ومرة أخرى بنك واربورج (مليوني ليرة) .

ورغم حقيقة ان الاستثمارات الاجنبية الخاصة في الماضي لم تسهم الا بنسبة صغيرة مما وصل لاسرائيل من راس المال الاجنبي ، من المهم أن ندرك أن المعونات الاجنبية (التي تدفعها البروليتاريا الامريكية ، والاوروبية الغربية) قد خلقت القاعدة الصناعية التي مكنت الرأسماليين الاجانب من الاستثمار المربح . وهكذا ، فدور الاستثمار الخاص في ما يرد اسرائيل من رأس المال قد يصبح أكثر أهمية في المستقبل، عندما يكتشف الرأسماليون الاجانب فرصا جديدة للربح في اسرائيل . الا أن هذه الامكانية ، لا محالة ، رهن بنشاط الكفاح التحريري الفلسطيني ، والبروليتاريا الاسرائيلية نفسها .

سابعا ــ القطاعات الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي :

أ ــ **صناعة الماس** : كما أشرنا في السابق ، اكتسبت صناعة الماس دورا حيويا في الاقتصاد الاسرائيلي ، حيث أسهمت بأكثر من ثلث صادرات البلاد عام ١٩٦٧ . وخلافا لبعض القطاعات الاخرى ، فهذه الصناعة ذات منشأ حديث نسبيا .

ان صناعة الماس في فلسطين (التي يحتكرها اليهود) قد نمت بمعدل سريع جدا بعد أن انقطعت مراكز هذه الصناعة في أوروبا عن مصادر موادها الاولية (في جنوب افريقيا) : فازداد انتاج هذه الصناعة من ١٠٠٠٠ قيراط (بلغت قيمتها ٢٥٠٠٠٠ ليرة) عام ١٩٤٠ الى ٥٨٠٠٠ قيراط (قيمتها ٢٦ر٢ مليون ليرة) عام ١٩٤٣ الى ١٣٨٠٠٠ قيراط (٦ ملايين ليرة) عام ١٩٤٥(٣٠). ومنذ عام ١٩٤٥ ، أصبحت اسرائيل ثاني أكبر مصدر للماس المصقول في العالم ، حيث أسهمت بأكثر من ٣٠ بالمائة من انتاج العالم .

وتزود نقابة الماس التجارية الضخمة في لندن والتي تديرها بشكل رئيسي مصالح بريطانية وافريقية جنوبية ، ٦٠ بالمائة مما تحتاجه اسرائيل من الماس الخام(٣١). فهل يعقل أن يكون « لمصالح أمنية » أو من قبيل الصدف السياسية ان يكون لاسرائيل علاقات تجارية حميمة ومكاتب دبلوماسية في جنوب افريقيا ، احد اكبر منتجي الماس الخام في العالم ؟ واذا ما أدرك المرء أهمية الماس المصقول في الميزان التجاري الاسرائيلي (حيث أسهمت صادرات الماس لوحدها عام ١٩٦٧ بما يعادل ٦ بالمائة من اجمالي الدخل القومي) ، أصبح متعذرا أن يتغاضى المرء عن القاعدة الاقتصادية التي تحكم الصداقة الاسرائيلية ــ جنوب الافريقية .

وبالنسبة لعلاقاتها مع القطاعات الاخرى ، يتبين ان لصناعة الماس خواص فريدة جدا . اولا ، يذهب ٩ر٩٩ بالمائة من الانتاج للاستهلاك الخارجي(٣٢)، وليس الاسرائيلي . من جهة ثانية ، فالعامل العادي في هذه الصناعة يتمتع بانتاجية عالية جدا . ففي عام ١٩٦٤ ، انتج عمال الماس في اسرائيل البالغ عددهم عشرة الاف ما قيمته ١٣٧ مليون دولار من الماس المصقول ، اي بمعدل ١٣٧٠٠ دولار للعامل الواحد(٣٣). والعامل الثالث هو ان مؤسسات صناعة الماس هذه هي صغيرة نسبيا ، اذ ان المؤسسة النموذجية عام ١٩٦٥ لم تكن توظف اكثر من احد عشر شخصا(٣٤). واخيرا ،

فالهستدروت يكاد يكون مستثنى كليا من ملكية هذه الصناعة او السيطرة على رأس مالها .

ب ــ **الاقمشة والملابس** ــ مثلما هي الحال في صناعة الماس ، لم يظهر انتاج القماش حتى السنوات الاخيرة من الانتداب البريطاني . وشركة أتا Ata ، وهي احدى الشركات الاولى الكبرى ، قد أنشأها مستثمرون من القطاع الخاص . ويشير ايزنشتات الى انه في عام ١٩٣٩ لم يكن سوى ٢٤٤ بالمائة من عمال الاقمشة في اسرائيل يشتغلون في مؤسسات تابعة للهستدروت ، بينما بلغت النسبة عام ١٩٥٩ ٢٤٥ بالمائة(٣٥) .

وبالنسبة للصادرات ، تحتل الاقمشة والملابس المكان الثالث ، بعد الماس والمواد الغذائية . ويبين الجدول التالي كيف ارتفعت صادرات الاقمشة والملابس حتى اثناء فترة الـ « ميتون » او الركود .

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
انتاج القماش (مليون ليرة اسرائيلية)	٦٨٥٤٥	٧٢٠٤٠	٦٧٢٤٠
انتاج الملابس (مليون ليرة اسرائيلية)	٢٨٨٤٠	٢٩٧٤٠	٣٠٠٤٠
صادرات الاقمشة (مليون ليرة اسرائيلية)	٣١٤٣	٣٥٤٧	٤١٤٢
نسبة الصادرات الى اجمالي الانتاج	٪٤٤٦	٪٥٤٠	٪٦٤١
صادرات الملابس (مليون ليرة اسرائيلية)	٩٤٣	٩٤٤	١٠٤٨
نسبة الصادرات الى اجمالي الانتاج	٪٣٤٢	٪٣٤١	٪٣٤٦
اجمالي انتاج الاقمشة والملابس	٩٧٣٤٥	١٠١٧٤٠	٩٧٢٤٠
اجمالي صادرات الاقمشة والملابس	٤٠٤٦	٤٥٤١	٥٢٤٠
نسبة اجمالي الصادرات الى اجمالي الانتاج	٪٤٤٢	٪٤٤٤	٪٥٤٣(٣٦)

ويجب ايضا فحص ظاهرة الزيادة في صادرات الاقمشة والملابس بالنسبة لعلاقتها بظاهرة اخرى وهي تناقص عدد العمال الموظفين في هاتين الصناعتين :

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
انتاج الاقمشة	٦٨٥٤٥ مليون ل.أ.	٧٢٠٤٠ مليون ل.أ.	٦٧٢٤٠ مليون ل.أ.
عدد الاشخاص الموظفين	٢٦٤٤٤٠	٢٥٤٩٧٠	٢٢٤٩٧٠
معدل انتاج العامل	٢٢٤١٤٥ ل.أ.	٢٧٤٦٩٦ ل.أ.	٢٩٤٢٦٠ ل.أ.
انتاج الاقمشة	٢٨٨٤٠ مليون ل.أ.	٢٩٧٤٠ مليون ل.أ.	٣٠٠٤٠ مليون ل.أ.
عدد الاشخاص الموظفين	١٧٤٥٠٠	١٧٤٩٠٠	١٨٤٦٢٠
معدل انتاج العامل	١٦٤٥٧٠ ل.أ.	١٦٤٦٩٢ ل.أ.	١٦٤١١٧ ل.أ.
عدد العمال في الصناعتين	٤٣٤٩٤٠	٤٣٤٨٦٠	٤١٤٥٩٠(٣٧)

ومع ان كل من الانتاج وعدد الموظفين قد ارتفع في صناعة الملابس ، الا ان ٣٥٠٠ من عمال الاقمشة قد اخرجوا من عملهم بين عام ١٩٦٥ و ١٩٦٧ . واذا ما اعتبرنا الصناعتين معا ، يكون عدد العمال قد انخفض بنسبة ٥٤٤ بالمائة . الا انه في صناعة الاقمشة ، ارتفع معدل انتاج العامل بـ ٥٤١٢٥ ليرة اسرائيلية ، او ما يقرب من ٢٣ بالمائة .

وقد يحاول بعض القراء ان يخففوا من سوء الوضع في صناعة الاقمشة بالتظاهر ان فعالية العامل قد ارتفعت بشكل كبير خلال فترة الركود 'Mitun' . ذلك ان عمال الاقمشة الاسرائيليين « المحظوظين » الذين استطاعوا المحافظة على وظائفهم خلال عام

١٩٦٦ وعام ١٩٦٧ قد تعرضوا لنفس العملية الاجرامية المدعوة بالحث على السرعة في الانتاج "Speed-up" والتي تحصل في الامم الراسمالية الكبيرة ، مثل الولايات المتحدة . اذ انه يجب التذكير ، انــه في الاقتصاد الاشتراكي ، لا ينضم العمــال الذين اصبح عليهم الخروج من عملهــم الى صفوف العاطلين عن العمــل اذا ما ادت بعض التحسينات في الانتاج الى الغاء بعض الوظائف .

جـ ــ **المواد الكيمياوية** ــ بخــلاف الصناعــات الاسرائيلية الاخرى ، تعتمد صناعــة الكيمياويات اعتمادا شديدا على استغلال الموارد الطبيعية ، وخــاصة المواد الاولية المعدنية الموجودة في النقب ومنطقة البحر الميت . وهي تسهــم بـ ١٢ بالمائة من نــاتج اسرائيل الصناعي[٣٨] . وبالنسبة للصادرات ، تحتل المواد الكيمياوية المكانة الرابعة . والجدول التالي يبين كيف ان صناعة الكيمياويات قد تعرضت لآثار مشابهة لتلــك التي تعرضت لها صناعتا الاقمشة والملابس :

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
اجمالي الانتاج (مليون ل. أ.)	٣٤،٣٢	٣٧،٠٢	٣٧،٧٧
عدد الاشخاص الموظفين	٧،٦٥٥	٧،٥١٠	٧،١٩٦
معــدل انتاج العامل	٤٤،٨٦٢ ل.أ.	٤٩،٢٩٠ ل.أ.	٥٢،٤٩٠ ل.أ.
الصادرات (مليون دولار)	٢٥،٠	٣٠،٦	٣٥،٦[٣٩]

ومع ان عدد العمال قد انخفض بنسبة ٦ بالمائة ، الا ان الانتاج ارتفع بنسبة ١٠ بالمائة خلال فترة السنوات الثلاث . وفي نفس الوقت ، ارتفعت الصادرات بنسبة ٤٠ بالمائة . وانخفاض عدد العمال ، وكذلك الزيادة الكبيرة في الانتــاج والصادرات تستحق فحصا دقيقا . فبينما ملكية الهستدروت في صناعة الاقمشة صغيرة الى ادنى الحدود ، يسيطر الهستدروت على حوالي ٢٠ بالمائة من صناعة الكيمياويات . وفي هذه الحالة ، يقــع قسط اكبر من اللوم على المؤسسات البيروقراطية التي تحكم العمال بالنسبة الى اخراج العمال من عملهم وكذلك بخصوص ظاهرة الحث على السرعة في العمل "Speed-up" .

د ــ **الزراعة وانتــاج المواد الغذائية** : غــالبا مــا وصف المدافعون عن الصهيونيــة الكيبوتسيم والمزارع الجماعية بانها نماذج على اشتراكية اسرائيل ، مشوهين بذلــك بشكل فظيع الحقيقة عن الاهمية النسبية لهذا القطــاع . فبينما لعب النظام الزراعي « الاشتراكي » السطحي دورا هاما في نشوء الدولة الصهيونية ، الا ان ١٢ بالمائة فقط من القوة العاملة الاسرائيلية موظفة الآن في النشاط الزراعي[٤٠] .

وقد لعب الهستدروت دورا تنظيميا حيويا على بعض المستويات في القطاع الزراعي ، الا ان على المرء ان يتفحص العلاقــة بين القطــاع الزراعي والقطاعــات الاخرى . « فالمزارعون الاشتراكيون » في اسرائيل ينبغي لهم اذا ما ارادوا الانتــاج ان يبتاعوا الادوات الزراعية ، والماكينات والاسمدة ، والمنتجــات الاخرى التي تقوم بصناعتهــا المؤسسات الخاصة . والناتج الزراعي ، بدوره يباع امــا الى التعاونيات التسويقية الكبيرة او الى من يتعامل به في القطاع الخاص . ويصف ايزنشتات تعاونيات الهستدروت على الشكل التالي :

غالبا ما واجه المهاجرون المستوطنون الصعوبات بخصوص زراعة وشحن المنتجــات الزراعية المختارة او المصنفة بطريقة حازمة ، ولم يكونوا راغبين في ان يتحملوا مخاطرة الخسارة . ولذا ، نشأت الحاجة الى اقامة وكالة تسويقية اضافية (وهي N U V التي كانت تنوفــا احدى شركائها) تقوم بشراء الناتج الزراعي بالمجمــل ، وتعتني

بالاختيار والتصنيف ، كما وتقوم بتأمين استقرار التسويق . وهكـــذا اصبح التسويق اكثر فأكثر منفصلا عن الانتاج ...

ومعظـــم المستوطنين الجدد لا يظهرون أي ايديولوجية محددة بخصـــوص العمـــل التعاوني ، بل ان بعضهم يجدونه مما يتناقض مع مسؤولياتهـــم واستقلالهم الشخصي ويخرقها ، وبعض القرى ـــ وخاصة تلك المؤلفة من جماعات لها تقاليد متباينة ـــ لا تتمكن ، ببساطة ، من ايجاد شكل من التنظيم الاجتماعي الشامل، وكثيرون يجدون NUV اقل مرونة ، واكثر تلكؤا في الدفع ، كما وان شروطها اسوأ من سائر وسائل التسويق الاخرى ، واخيرا كثيرا ما يعترض المستوطنون على التسويق عن طـــريق التعاونيات القروية نفسها ، لان ذلك يتيح للموشاف ان يخصم الديون والضرائب المستحقة علـــى الاعضاء من واردات المبيع(٤١) .

الا ان « عودة ظهور الفردية » في مجمعات اسرائيل الزراعية ، لا يمكن ارجاعهـــا فقط الى غياب التوجيه الاشتراكي لدى المزارعين ، أو الى عدم فعالية التعاونيات . فمئير يعري ، احد قادة حزب المابام ، قد أشار الى ان تعاونيات الهستدروت التسويقية تعمل كمجرد وكالات لمن يجني الارباح في المدن :

« اذ ان الـ « تنوفا » (وهي احدى وكالات تسويق الانتاج التابعة للهستدروت) تسلـــم الناتج الزراعي قبل ان يصل الى المستهلك ، الى وسطاء يتمكنون بذلك من جني ارباح مرتفعة جدا . فلا عجب اذا ان تصل المنتجات المستهلك احيانا بعد ان تكون اسعارها قد ارتفعت بأكثر من ١٠٠ بالمائة »(٤٢) .

ويمكننا فهم ملاحظات ايزنشتات ويعري فهما اشمل بتفحصنا الارقام القياسية لاسعار المواد الغذائية في سنوات مختلفة :

	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	ايار١٩٦٩
المواد الغذائية	٨٩،٥	٩٥،٢	١٠٠،٠	١٠١،٣	١١٠،٠	١١٥،٥	١١٨،٦	١٢١،٥	١٢٥،٣
كافة المواد	٨٥،٧	٩٣،٢	١٠٠،٠	١٠٥،٢	١١٣،٢	١٢٢،٣	١٢٤،٣	١٢٦،٩	١٢٩،٧(٤٣)

فبين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٣ ، استمر الرقم القياسي لسعر المواد الغذائية اعلى منه لكافة المواد المستهلكة . ومع ان هذا الوضع قد انعكس بين عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٩ ، الا انه تجدر الملاحظة انه منذ عام ١٩٦٦ ارتفع الرقم القياسي لسعر المـــواد الغذائية بسرعة اكبر (١١٥،٥ الى ١٢٥،٣) الرقم القياسي لاسعار المواد الاخرى (١٢٢،٣ الى ١٢٩،٧) . وبكلمة اخرى ، فالوسطاء يرفعون الاسعار مرة اخرى بسهولة تـــامة . ولفترة تسع السنوات كلها ، ارتفعت اسعار المـــواد الغـــذائية بنسبة ٤٦ بالمائة ، او بمعدل ٥ بالمائة في العام .

ومع ان الصادرات الزراعية ، وبدرجة اولى منتجات الحمضيات ، كانت احدى ركائز اقتصاد فلسطين في عهد الانتداب ، كانت الخمسة عشر عاما الاولى من عمر الدولـــة الاسرائيلية تحاول التقليل مـــن التشديد على الزراعة . ويشير ايزنشتات في كلامـــه عن منتصف الستينات الى ان الحكومـــة قد اضطرت الى ان تثني المهاجرين الجدد عن الاشتغال بالزراعة :

لقد أدت درجة الاشباع التي وصل اليها الانتاج الزراعي في السنوات الاخيرة الى تغيير رئيسي في سياسة الاستيطان . فخلافا للهدف العام الذي كانت ترمي اليه هذه السياسة في عهد الانتداب وهو توطين اكبر عدد ممكن من المهاجرين الجدد في الاراضي الزراعية ،

لا يهدف الان بشكل عام الى زيـــادة القوة العاملة الزراعية (وهي الان حوالي ١٢،٥ بالمائة)(٤٤).

في « السياسة في اسرائيل » الذي نشر في كانون الثاني ١٩٦٧ ، تهدف منظمة اسرائيل الاشتراكية (متسبين) الى القول ان الكيبوتسات « الاشتراكية » الذي يحسبها ، خطأً ، قسم كبير من الشباب الامريكي اليهودي مثلا أعلى ، قد حولت أنظارهـــا الى الانتاج الصناعي ــ فأصبحت تمثل ظاهرة الاشراف على العمل "Bosses" !

لقد تحول الكيبوتس الى النشاط الصناعي ، بدأ أولا بتصنيع المنتجات الزراعيـــة ولكن تدريجيا تحول الى ميادين اخرى ، مثل صناعة المواد البلاستيكية ، والاواني الفخارية ، والاثاث ، وطائفة من المنتجات الصناعية الخفيفة الاخرى . الا ان مواطني الكيبوتس قليلي العدد (بضع المئات) لا يستطيعون ان يزودوا اليد العاملة للزراعة وللصناعة معا. وبما ان التخلي عن النشاط الزراعي يعني خيانة مبادىء الاشتراكية الصهيونية ، اضطر الكيبوتس الى استئجار العمال من المدن المجاورة . وهكـــذا ، اصبح مجتمع الكيبوتس المشاعي آلة مشاعية لاستغلال اليد العاملة المستأجرة .

وعادة يعمل اعضاء الكيبوتس كمشرفين على العمـــل في مصانعهم بينما يقوم العمـــال المستأجرون بالمهمات الاقل مهنية . وعندما ينتهي العمل ، يعود العمال المستأجرون الى مدنهم . وبالنسبة اليهم ، فالكيبوتس هو صاحب عمل كأي رأس مالي اخر ، مع فارق ان الرأسماليين لا يبشرون بالاشتراكية(٤٥).

واذا ما افترض أي من القراء غير الحذرين ان تحليل متسبين ما هو الا خيالات فئـــة يسارية صغيرة ، فقد يفيده الاقتباس التالي عن ايزنشتات .

ومع انه لا توجد ارقـــام دقيقة ، الا ان التقديرات الموثوقة تشير الى حـــوالي ١٠٠٠ مؤسسة صناعية قد أنشئت في الكيبوتسات ــ وغالبا من الحجم الوسط او الصغير الذي يتطلب مستويات عالية من الكفاءة التقنية . وبعـــض المؤسسات الكبيرة هي ملكيـــة مشتركة لعدة كيبوتسات ، او للكيبوتس ــ وأحيانا **لرأس المـــال الخاص الذي يتـــم استقطابه** . ومعظم هـــذه المؤسسات هي في صناعة الاخشاب والاثـــاث ، والمـــواد الغذائية ، والمعادن ، والصناعات البلاستيكية ، وهي تشكل من ٣٠ الى ٤٠ بالمائة من مجمل انتاج الكيبوتسات(٤٦).

وبالاضافة الى التقلص الثابت في القوة العاملة الزراعية في اسرائيل ، وكذلك الالغـــاء التدريجي لاشتراكية الكيبوتسات ، عـــلى المرء ان يأخـــذ بعين الاعتبار ايضا الطبيعة الخاصة للانتاج الزراعي في اسرائيـــل . فبين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٦٧ ، اسهم انتـــاج الحمضيات بشكل مستمر بـ ١٥ بالمائة من مجمل الانتـــاج الزراعي ، وفي عـــام ١٩٦٧ اسهمت منتجات الحمضيات بـ ١٩،٥ بالمائة من انتاج اسرائيـــل الزراعي(٤٧). وكمـــا يظهر من الجـــدول التالي ، استمرت الحمضيات تشكـــل نسبة مرتفعة من اجمـــالي الصادرات الزراعية .

الارقام بالدولارات :

	١٩٤٩	١٩٥٩	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
صادرات الحمضيات	١٨ مليون	٤٥،٩ م	٧١،٢ م	٧٤،٧ م	٨٣،٧ م
الصادرات الزراعية	١٨،١ مليون	٥٨،١ م	٨٦،٥ م	٩٤،٩ م	١٠٦،٠م
نسبة صادرات الحمضيات الى الصادرات الزراعية	٪ ٩٩،٥	٪ ٧٩،٠	٪ ٨٢،٣	٪ ٧٨،٧	٪٧٩،٠ (٤٨)

وهكـذا ففي عام ١٩٦٧ ، اسهمت منتجـات الحمضيات بـ ١٩٫٣ بالمـائة من مجمـل الصادرات الاسرائيلية ، او ٣٫٤ بالمائة من اجمالي الدخل القومي .

وخلاصة القول ان القطاع الزراعي الاسرائيلي يكشف بشكل واضح عن خواص معينة تشير الى علاقته الوثيقة بالرأسمالية الاسرائيلية : ١) الانتقال المستمر في اليد العاملة من القطاع الزراعي الذي يديره الهستدروت الى القطاع الصناعي من الاقتصاد . ٢) عجز تعاونيات الهستدروت التسويقية عن منع الوسطاء من رفع اسعار المـواد الغذائية . ٣) التشديد المتزايد على الانتاج الصناعي (من ٣٠ الى ٤٠ بالمائة من مجمل الانتاج) من قبـل الكيبوتسات « الاشتراكية » وكذلـك تسلل رأس المال الخـاص الى عمليـات الكيبوتس . ٤) الطبيعة المتخصصة جـدا للانتـاج والتصدير الزراعي ، حيث تلعب صادرات الحمضيات دورا حيويا في الميزان التجاري .

هـ ـــ **البترول** : بينما استمر « الاربعة الكبـار » (المـاس ، المنتوجـات الغـذائية ، الملبوسات والكيمياويات) أعمدة للاقتصاد الاسرائيلي مع صادرات في هذه المجالات ، مؤمنة ٦٠ بالمائة من الدخـل القومي العام في العام ١٩٦٧ ، فان صلات أسرائيل مـع الامبريالية النفطية تبدو اقل بروزا عند النظرة الاولى . يتعمد المدافعون الحاليون عن الصهيونية القفز عن الحقيقة بأن الاشراف على حقول النفط المكتشفة حديثا في العراق كان المحرك الحيوي وراء خطة الحلفاء لتقطيع اوصال الامبراطورية التركية خلال فترة الحرب العالمية الاولى . عرّفت اتفاقية سايكس ـــ بيكو السرية في العام ١٩١٥ لبنان وفلسطين بأنهما كتلتان سوف تنفصلان عن المقاطعة السورية (التركية) ، حين التخلص من السيطرة التركية في الشرق الاوسط . بعد انتصار الحلفاء ، كـان من المفروض ان تجري عملية تطوير كل من لبنان وفلسطين بجعلها مقاطعات اوروبية ، تخدم كمخارج ساحلية بالنسبة للنفط الخام المستخرج من العراق ومن مناطق محلية اخرى . وبينمـا تمت عملية جعل لبنان اوروبيا بواسطة الاحتلال الفرنسي ، أخذت العملية في فلسطين شكلا مزدوجـا ـــ الاشراف البريطـاني العسكري والسياسي والهجـرة الصهيونية الاوروبية ، مرتكزة « شرعيا » على وعد بلفور في العام ١٩١٨ .

خلال فترة الانتداب ، أعد مرفأ حيفا ليكون مركزا رئيسيا للنفط المستخرج من العراق والمملكة السعودية بواسطة الشركـات الانكليزية والاميركية . هـذا وان مظاهر مثل الدعم البريطاني المباشر لتنمية الاقتصاد الصهيوني ، وجعل بريطانيا فلسطين قـاعدة عسكرية قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها ، واستخدام الهاجاناه من قبـل السلطات الانكليزية لحماية انابيب النفط خلال ثورة العام ١٩٣٦ في فلسطين ، ثم حقوق التنقيب التي حصلت عليها شركات النفط الاجنبية في فلسطين نفسها . كل هذه مؤشرات لا يمكن دحضها على النوايا النفطية الامبريالية لاستخدام فلسطين كمنطقة ساحلية تابعة لها . وكانت المحاولات البريطانية لتحديد الهجرة اليهودية بعد العام ١٩٣٦ ، على أية حال ، دليلا مؤشرا على تدهور الحلف الاساسي بين القادة الصهيونيين والمصالح البريطانية . ومع ان بعض الاشخاص يتحدثون خطـأ عن « الحرب اليهوديـة للتحرر القومي ضد الانكليز » الا أنهم يقفزون عن حقيقة مؤداها انه عندما تم الاستيلاء على سلطة الدولة في العام ١٩٤٨ ، فانه لم يتم الاستيلاء او اخراج المصالح البريطانية من قبل السلطات الاسرائيلية ، ذلك ان العـلاقة الوثيقة بين الصهيونية والامبريالية ، بـدل ان تنتهي وتتحطم ، دخلت مرحلة جديدة بمواصفات جديدة .

صحيح ان شركات النفط اغلقت انابيب نفط حيفا وتجاوبت مع المطالب العربية بعدم بيع النفط العربي لاسرائيل ، ولكنه يجب ان لا يعتقد بأن اصحاب ملايين النفط في العالـم التزموا موقفا موحدا « مؤيـدا للعرب » . مثلا ، ان جـاكوب بلاوستين (المتوفى) ، مؤسس شركة بان اميركان للنفط ، والمساهـم الرئيسي في شركة ستاندرد أويل أف

اندیانا (التي بدأت عمليات النفط في مصر في العام ١٩٦٣) ، قد مثل المنظمات الصهيونية الاميركية في مؤتمر باريس في العام ١٩٤٦ وكان مؤخرا من اشهر جامعي الاموال للجباية اليهودية الموحدة. وان رودولف ج. سونه بورن (مدير « آمبال » ومدير شركة التنمية الاسرائيلية) لعب دوراً اساسيا في شراء الاسلحة للهاجاناه في الولايات المتحدة ، وخدم كرئيس الجباية اليهودية الموحدة من العام ١٩٥٠ لغاية ١٩٥٤ ، وعندما أعلن قيام اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، اشترى حقوق الحفر الخاصة بموبيل اويل في صحراء النقب واسس سونول ، التي هي اليوم احدى شركات النفط الاسرائيلية الاساسية . وبطريقة مماثلة ، حصل المليونير البريطاني ، اسحاق ولفسن على أماكن شركة شل في النقب ، واسس شركة « باز » .

لقد تمثلت ايضا المصالح غير المتناقضة للمستثمرين الغربيين في استخراج النفط الاسرائيلي ، بتأسيس شركة Mediterranean Petroleum وشركة بان — اسرائيل للنفط في العام ١٩٥٣ . أحد المدراء المؤسسين لبان — اسرائيل كان وليم ف. باكلي الاب (المتوفي) ، والد العالم اليميني الامريكي المعروف . وهناك مدراء آخرون من بينهم آرون بارو واي (Paper Mills الامريكية — الاسرائيلية) ، وأ. س. شمرون (النائب العام المساعد لاسرائيل ١٩٥٠ — ١٩٥٣) . كما خدم شمرون كمدير لشركة « مديترانيان بتروليوم » ، مع اسرائيل ب. برودي (نائب مدير شركة PEC-Israel) .
في العام ١٩٥٩ ، اكتسبت Magellan Petroleum Corporation (التي كانت تحت اشراف عائلةباكلي) الموجودات الكاملة للشركتين .

بعد ازمة السويس في العام ١٩٥٦ ، التي تقلصت خلالها ، بسبب اغلاق القناة المؤقت ، احتياطات اوروبا من النفط ، وكذلك عائدات الشركات الغربية ، بدأ بعض خبراء البترول في الدفاع عن بناء انابيب عبر اسرائيل . كخط بديل لشحن النفط الايراني الى اوروبا . كان هارولد لوبل احد مؤيدي الخطة (أزمة نفط الشرق الاوسط واحتياطات الطاقة الاوروبية الغربية) وهو مستشار لمؤسسة راند وكان في السابق باحثا في معهد فولك FALK الاقتصادي الاسرائيلي(٤٩). تولت شركة « تريكونتننتال بايبلاينز ليمتد » عملية بناء خط انابيب ايلات — حيفا ، وهي احد فروع كتلة باكلي . وبالطبع فان شركات الاستثمار الامريكية الاساس ، بما فيها « أمبال » ، اشترت ايضا اسهما في « تريكونتيننتال » .

شكل هذا المشروع ، الذي كان وما زال بشكل واضح معتمدا على الاشراف الاسرائيلي على ايلات ومضائق تيران ، محاولة لاعادة تنشيط دور ميناء حيفا السابق للعام ١٩٤٨ كمحطة نفط حيوية . ليس من المخالف للمنطق بشيء ، التخمين فيما اذا كان مشروع الانابيب احد العوامل او الحوافز في حرب حزيران ١٩٦٧ ، حيث ادعت اسرائيل ان اغلاق مصر لممرات تيران كان مبرراً للحرب نفسها .

في نوفمبر ١٩٦٩ اشارت مجلة الشرق الاوسط الجديد الى ان الرسميين الاسرائيليين قد دخلوا في مفاوضات سرية مع شركات النفط الاميركية بخصوص استعمال خط ايلات — الى — حيفا بعد تكميله في العام ١٩٧٣ . كان الرأي ان شركات النفط انما دخلت هذه المفاوضات خوفا وتحسبا من المترتبات الاقتصادية بعيد خلع الملك ادريس من ليبيا .

اعلنت اسرائيل في كانون الثاني ١٩٧٠ عن تكميل انبوب النفط ، الذي وصفته Fortune على الشكل التالي : السعة الاساسية ، حوالي ٢٠ مليون طن من النفط الخام سنويا ، ويمكن مضاعفتها ثلاث مرات باضافة الخزانات ومحطات الضخ . وسوف تجني اسرائيل من ٣٣ الى ٤٠ سنت على الطن من النفط المتدفق عبر الانبوب(٥٠). هذا مع ان انبوب ايلات — الى — حيفا ، ثالث اطول خط في العالم ، يستطيع من حيث طاقته ان يدر اكثر

من ٢٠ مليون دولار سنويا من الارباح ، جاعلا اسرائيل محولا حيويا في نقل النفط الايراني الخام الى السوق الاوروبية .

بالاضافة الى انبوب نفط الامبرياليين ، على المرء ان يأخذ الحقيقة بعين الاعتبار ، بأن اسرائيل عند سنة ١٩٦٧ كانت تصدر ٢٠ مليون دولار قيمة بترول سنويا . وتبلغ الضريبة المطلوبة من المستخرجين الاجانب ١٢،٥٠ بالمائة ، أقل بكثير من اية نسبة تطلبها غالب الدول المنتجة للنفط . منذ حرب ١٩٦٧ ، اقام كثير من الشركات الاجنبية آبارا في شبه صحراء سيناء ، شركة يشرف عليها جون م. كنغ ، احد اصحاب ملايين النفط في دنفر . هذه الحقيقة ، مضافا اليها أهمية شرم الشيخ للدفاع العسكري عن منطقة أيلات، سوف تلعب دورا مهما في تحديد مستقبل الوضع السياسي لمنطقة سيناء.

برغم انه من المحتمل ان يظل انتاج النفط ، داخل اسرائيل بحدود قبل العام ١٩٦٧ ، قليلا نسبيا ، لا يمكن للمرء ان يستبعد امكانية عمليات نفط اوسع في النقب او على امتداد البحر الابيض المتوسط . انه من الواضح ان المستثمرين الاجانب في اسرائيل لم يستبعدوا هذه الامكانية ، حيث ان صناعة النفط في اسرائيل ، حتى قبل العام ١٩٦٧ ، كانت تحت سيطرة شركات اجنبية كبيرة ، أمثال سونه بورن ، وولفسن وباكلي .

تسرع عديد من الامريكيين ، ومن ضمنهم بعض الناطقين باسم اليسار ، في الافتراض بأن لا ارتباط لاسرائيل بعالم تجارة النفط . انه من الامور الاساسية ، على أية حال ، ان ندرك ان التوسع الامبريالي يشتمل ، ليس فقط على المنابع الفعلية للثروة وانما ايضا على المنابع ذات القوة الكامنة لذلك . ان العمل الضخم مثل خط انابيب ايلات ــ الى ــ حيفا وعمليات ما بعد الحرب في شبه جزيرة سيناء ، تؤكد بشدة ، على ان اسرائيل تتطور بسرعة كمنبع نفط اضافي للسوق (الاوروبية) المتوسعة باستمرار .

و ــ **قطاعات اضافية** : بالاضافة الى القطاعات الاربعة الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي ــ الماس ، الزراعة ، المنسوجات والكيمياويات ــ يمكن للمرء ان يشير الى حقول جديدة اخذت بالتطور باضطراد منذ العام ١٩٤٨ . صناعة الصلب الاسرائيلية على سبيل المثال ، تميزت بنمو سريع . ولا بد من تسجيل ، انه في هذه الحالة ايضا ، ادت فترة الركود (الميتون) الى تخفيض العمالة ، ومع ذلك ارتفعت الصادرات .

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
الناتج بملايين الليرات الاسرائيلية	١،٦٢٩	١،٥١٠	١،٣٢٤
عدد العاملين	٧٢،٩٤٠	٦٩،٤٠٠	٦٤،١٢٠
معدل الانتاج للعامل الواحد	٢٢،٤٧٠ل.أ.	٢١،٧٦٠ل.أ.	٢٠،٦٥٠ل.أ.
الصادرات بملايين الدولارات الاميركية	٢٠،٨	٢٨،١	٣٣،٢ (٥١)

مع ان حوالي ١٢٪ من عمال الصلب في اسرائيل قد جرى تقليصهم بين الاعوام ١٩٦٥ و ١٩٦٧ ، فان الصادرات ارتفعت بحوالي ٧٠ بالمائة . وهذه الظاهرة مماثلة لما حدث في الصناعات الرئيسية الاخرى ، مع انه من الصحيح ان معدل الانتاج للعامل الواحد في صناعة الصلب قد شهد انخفاضا خلال هذه الفترة . على اية حال ، ان رقم الصادرات الحاد الارتفاع يوازي ارقام صناعة المنسوجات او صناعة الكيمياويات ويشير الى اتجاه بعيد جدا عن الاعتماد على الاستهلاك المحلي من أجل الارباح .

خلال الستينات كانت السياحة واحدا من اسرع قطاعات الاقتصاد توسعا . بلغت العائدات من السياحة ٥٤،٢ مليون دولار في العام ١٩٦٤ ، في مقابل ٤،٨ مليون دولار للعام ١٩٥٤ . ومع ان العائدات السنوية بقيت ثابتة نسبيا خلال فترة الركود «ميتون»، فان الاشهر الثلاثة الاولى من العام ١٩٦٨ أدخلت وحدها ٥٧،٧ مليون دولار ، وبلغ

المجموع السنوي ٧٤ مليون دولار ضاربا رقما قياسيا(٥٢). اكتسبت السياحة أهمية ، ليس فقط كمصدر لعائدات صافية، وانما كمنبع للعملة الاجنبية، التي ساعدت جزئيا في تعديل العجز السنوي في الميزان التجاري . في حقل السياحة ، يبدو الاشراف المالي الاجنبي واضحا جدا . وعلى سبيل المثال فان « يونايتد تورز » و Peltours ، أشهر مكتبي سفر ، هما على التوالي ملك PEC اسرائيل و Hotels International ، التي كانت موجوداتها ١٨ مليون دولار في العام ١٩٦٨ ، وهي فروع لشركة فنادق هيلتون . كما ان شبكة فنادق دان تقع تحت اشراف مجموعة Isra-Miami ، التي هي بدورها عبارة عن ائتلاف مستثمرين امريكيين واسرائيليين . مؤخرا جدا ، يمكننا الاشارة الى مخططات فنادق هوليداي الرامية الى تطوير منطقة شرم الشيخ كمنطقة سياحية .

من الممكن ايضا تصنيف المواد الكهربائية والالكترونيات كقطاع متطور حديثا ، حيث تم في العام ١٩٦٥ تشغيل ٩٬٥٥٠ عاملا . مع ذلك فقد كان لمرحلة الركود اثار قاسية ، سببت انخفاضا في الناتج من ٢٣٥ مليون ليرة (١٩٦٥) الى ١٩٤ مليون ليرة (١٩٦٧) . ويتناسب هذا التدهور ، ٢٣ ٪ ، مع تسريح ١٬٦٩٠ عاملا(٥٣). على أية حال ، فان كفاءات العمال ذات المستوى العالي ، في هذا القطاع ، اجتذبت استثمارا من شركات امريكية ، مثل Western Electric, Sylvania ، وستينغ هاوس ، زنيث ، ولورنس روكفلر وشركاه . من الممكن ايضا النظر الى صناعة الطيران الاسرائيلية كقطاع جديد نسبيا ، حيث ارتفع الناتج العام من ١٨ مليون ليرة اسرائيلية في العام ١٩٦١ الى ١٢٨ مليون ليرة في نهاية العام ١٩٦٧(٥٤). وكان حوالي ٦٠٠٠ عامل مستوعبين في هذا القطاع في العام ١٩٦٧ . في العام ١٩٦٩ ، اسست توربوميكا ، وهي شركة فرنسية كبيرة ، مصنعا قرب القدس لصناعة الطائرات الخفيفة .

على عكس المجالات الهامة الاخرى في الاقتصاد الوطني ، فان صناعة البناء تميزت تقليديا بكونها ملكية دائمة للهستدروت وللحكومة . في العام ١٩٥٩(٥٥) ساهم الهستدروت والالتزامات العامة بحوالي ٤١٫٥ بالمائة من ناتج البناء . ويقول ايزنشتات ان البناء قد لعب دائما دورا حيويا ، أثناء فترة الانتداب وبعدها :

كان فرع البناء على امتداد الفترة ١٩٣٠ — ١٩٦٠ ، باستثناء سنوات الحرب ، كبيرا بالنسبة لحجمه في البلدان الاخرى . وقد شغل ، في اوقات ، ١٠ بالمائة من مجموع القوة العاملة وساهم بنسبة مماثلة في الانتاج القومي . ان هذا الفرع هو الاقل ثباتا في البنية الاقتصادية ، حيث أن الحرب او الهجرة الواسعة يمكن (على التوالي) ان تسبب تقليص حجمه الى النصف او مضاعفته . هذا وقد وصلت الاستثمارات في البناء بالنسبة لسائر الاستثمارات ، ٤٠ بالمئة في أوائل الخمسينات و ٣٠ بالمئة في السنين الاخيرة ، الامر الذي زاد الاهمية النسبية لهذا الفرع في الاقتصاد(٥٦). انه من المفيد ان ندرك اهمية البناء ، تاريخيا ، ليس فقط بمعنى ايجاد التسهيلات الضرورية للصناعات الاخرى، وانما كمركز للوظائف المؤقتة للمهاجرين الجدد . اكثر من ذلك ، يجب الادراك بأن المساكن « على الطريقة الغربية » ، كانت واحدة من المكافآت الرأسمالية للمهاجرين من اوروبا ومن الامريكتين . لهذه الاسباب ، فانه لا يمكن تحليل دور الهستدروت ، كموظف رئيسي لعمال البناء ، في فراغ . وان مشاريع مثل سولل بونه Solel Boneh ، التي اسسها الهستدروت في العام ١٩٢١ ، اعتمدت باستمرار والى حد على طلب البناء من الصناعة الخاصة ومن القطاعات الاكثر ثراء من المواطنين . بالاضافة الى ذلك ، لا بد من الاشارة الى ان الاستثمار الخاص في قطاع البناء ، ارتفع باطراد منذ العام ١٩٤٨ . على سبيل المثال ، في تطوير المساكن لوحدها ، بلغ الاستثمار

الخاص في العام ١٩٦٢ حوالي ٤٣٧٫٥ مليون ليرة اسرائيلية ، اي حوالي ٥٢٫٩ بالمائة من مجموع استثمار المساكن . في العام ١٩٦٦ ، ارتفع الاستثمار الخاص في بناء المساكن الى ٥١٤٫٥ مليون ليرة إسرائيلية ، او ٦٦٫٣ بالمائة من مجموع الاستثمار(٥٧). في هذه الايام ، من الممكن ذكر شركات ، مثل شركة البناء نافه NAVEH (وتمتلكها كليا PEC - Israel Corporation) ،حيث يسيطر الرأسمال الاجنبي .

ان دخول الرأسمال الاجنبي والمحلي الخاص قطاع البناء ، كان موازيا لتطوير الصلات الحميمة بين شركات الهستدروت والشركات الخاصة . على سبيل المثال فان بار — كوخبا ميروفيتش ، أحد المدراء المؤسسين لسولل بونه ، يعمل اليوم أيضا كمدير لشركة تلراد الالكترونية ولشركة Alliance Tire and Rubber وهي اكبر منتج لمواد المطاط في اسرائيل ، وان ميروفيتش خدم ايضا كعضو في المجلس الحكومي للاستشارات في الاستثمارات الاجنبية .

احدى السمات الاخرى الهامة جدا لقطاع البناء هي اعتماده الدائم والمتزايد على العمال العرب . في العام ١٩٥٤ كان فقط ٨٫٤ بالمائة من اجمالي القوة العاملة العربية مستوعبا في البناء ، بينما ٦٠ بالمائة كانوا في الزراعة و٨٫٢ بالمائة في الصناعات اليدوية . الا انه في العام ١٩٦٦ استوعبت الزراعة ٤٠ بالمائة من القوة العاملة العربية ، في حين أحتوى البناء ١٩٫٦ بالمائة . ومع أنه يمكن اعادة سبب انخفاض القوة العاملة العربية في الزراعة الى الانخفاض العام لقطاع الزراعة العربية في الاقتصاد الاسرائيلي، فان ١٤٫٩ بالمائة فقط من القوة العاملة كان مستوعبا في الصناعة في العام ١٩٦٦(٥٨). البناء ، بدلا من الصناعة ، كان حيز التركيز الرئيسي للبروليتاريا العربية ، لان النسبة المئوية لعمال البناء اليهود انخفضت باستمرار . هذه الحالة — التخصص في مجال واحد — تعتبر مؤشرا بارزا على الطريقة التي تغير بواسطتها شكل الحياة الاقتصادية للسكان العرب منذ العام ١٩٤٨ . أجبر الذين تركوا الزراعة على ايجاد العمل في غالب الاحيان في قطاع البناء ، الذي يعتبر أكثر قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي تقلبا ، بينما ظلت الصناعة ، القطاع الأكثر سرعة في التوسع ، نسبيا مغلقة .

منذ حرب الايام الستة أثرت الظاهرة نفسها على العمال العرب القادمين من الاراضي المحتلة . العمال من غزة او الضفة الغربية ، الذين وجدوا عملا في اسرائيل ، يحصلون على معدل اجر غير صاف بحدود ٨ ليرات في اليوم في البناء(٥٩). وبما ان اجور هؤلاء العمال أقل بكثير من اجور العمال اليهود ، فان هناك طلبا دائما على خدماتهم . وليس هذا الطلب من قطاع الهستدروت « الاشتراكي » بأقل مما يأتي من المشاريع الخاصة . أوردت الجيروزالم بوست (١٢ شباط ١٩٧١) ان ٣٠٠٠ من أصل ١٦٠٠٠ عامل بناء موظفين من قبل سولل بونه التابعة للهستدروت هم اليوم من العرب القادمين من الاراضي المحتلة . كما اشار مقال سابق عن هذا في هآرتس (١٩٦٩/٨/١) بكل وضوح الى نهم ملتزمي البناء الى العمال العرب ذوي الاجر المنخفض : «رفض المهندسون بعدم اكتراث قول الوزير بنحاس سابير باننا انما نحول العرب الى حطابين وسقائين . ذلك انه ، كما يقولون ، لا بد أن يقوم أحد بانجاز هذا النوع من العمل حتى في أكثر البلدان تقدما في التكنولوجيا » .

ز — **خلاصة :** ان الطبقة الرأسمالية داخل اسرائيل ، التي ظل تطورها التاريخي مستمرا في ارتباطه بالرأسمال الاجنبي ، أشرفت على الصناعات الرئيسية لسنوات عديدة ، وادخلت باضطراد صناعات جديدة ، وبالتواطؤ مع بيروقراطية العمل عملت بثبات على التخفيف من ملكية الهستدروت في الزراعة والبناء . ومع أننا يجب ان نركز دائما على دور اسرائيل السياسي والعسكري « كدرع لاوروبا ضد آسيا »(٦٠)، وجد

وبقيت المحافظة عليه من اجل أن يحمي السيطرة الامبريالية على العالم العربي ، وانه لخطأ فادح اغفال او عدم فهم تأثير الامبريالية على الاقتصاد الاسرائيلي . الرأسمالية الامريكية تتوخى اليوم فائدة مزدوجة سياسية واقتصادية من بلد ، يعتبر ثاني أكبر مصدر للماس المصقول في العالم ، ومحولا سريع التطور لشحنات النفط الايراني الى اوروبا ، ومستوردا لاكثر من ٢٠٠ مليون دولار سنويا قيمة بضائع امريكية ، ومصدرا هاما للعمال المدربين . انها حقيقة واضحة انه لم يكن باستطاعة الاقتصاد الاسرائيلي الحالي أن يتطور دون المعونات الاجنبية ودون اغتصاب الارض التي كان يملكها الشعب الفلسطيني ، ولكننا يجب أن نعترف أن رأسماليي اسرائيل نفسها واسيادهم الاجانب كانوا المستفيدين الاساسيين .

ان التوسع السريع في الصادرات الاسرائيلية ، حتى خلال ازمتها القاسية ، رافقه تسارع مذهل في المصانع (مثلا ، معدل الانتاج للعامل في صناعة المنسوجات ارتفع ٢٣ بالمائة بين ١٩٦٥ و١٩٦٧ . في صناعة الكيماويات ارتفع الرقم ١٧ بالمائة ، وفي صناعة الماس ٢٥ بالمائة) . وكما بينت سابقا تزايد الاستثمار باضطراد ، رغم التقلبات في بعض السنوات ، فقد بلغ استثمار الشركات الاميركية وحدها ١٠٨ ملايين دولار في العام ١٩٦٩ . من الواضح ان اسرائيل بالنسبة للمستثمرين لا تقدم فقط احتمالات سياسية بل اقتصادية ايضا . على المستوى ذاته ، لا يمكن للمرء ان يتجاهل الفوائد المجناة من واردات اسرائيل المرتفعة من البضائع الاميركية والاوروبية .

مع أن اكثر ضحايا التطور الرأسمالي وضوحا هو الشعب الفلسطيني ، المنتزع من أرضه ومن اسباب حياته أو خاضع لاقصى درجات الاستغلال داخل الاقتصاد الاسرائيلي ، فان الجماهير الاسرائيلية نفسها هي أيضا ضحايا اقتصادية لـ Sonneborns, و Recanatis وغيرهم من الرأسماليين . لهذا السبب فان التوجه العنيد نحو الارباح لا يمكن أن يتم في سلام . تماما كما مر محتوى النضال الفلسطيني وشكله ضد الصهيونية عبر تحولات مختلفة ، فان العلاقة بين الجماهير الاسرائيلية والرأسمالية انما هي جديرة بالتحول . حتى لو أن المعونات الامبريالية وان الجوهر الاستعماري للمجتمع الصهيوني قد خلقا مجتمعا رأسماليا نادرا لا نجد مثيلا لبنيته في العالم ، فان التناقضات الداخلية من الممكن ان تتعمق . ان « الهجمة من اجل الارباح » من قبل الرأسماليين المحليين والاجانب الذين يعملون في اسرائيل ، لها نقيضها الواضح المنظور ــ امكانية النضال الثوري للجماهير الاسرائيلية ضد مستغليها .

ثامنا ــ ملاحظات حول الصراع الطبقي في اسرائيل :

سننتقل ، في هذا القسم ، من الاعتبارات المحددة ، مثل البنوك في اسرائيل او صناعة الماس ، الى تفحص أكثر عمومية للعلاقات الطبقية في اسرائيل . مثل هذا التفحص لا يتم دون جانب تحليلي توقعي ، اذ انه لا يمكن تجنب الاشارة الى بعض العوامل « الاستثنائية » في اسرائيل ، مثل اهمية الهجرة والهجرة المعاكسة ، دور المعونات الاجنبية ، ودور الهستدروت كحصان طروادة لرأسماليي اسرائيل نفسها وحلفائهم في ما وراء البحار . اتجاه اغلبية متسببين يفضي الى أن التكوين الطبقي والصراع الطبقي في اسرائيل يظلان في حدود مرحلة بدائية :

« اذ أن المجتمع اليهودي في اسرائيل انما هو مجتمع مهاجر مع كافة المواصفات التي توجد عادة في مثل هذا المجتمع . الطبقات هنا في مرحلة تكوين ، والوعي الطبقي ما زال باهتا جدا . عند الهجرة ، يغير القادم الجديد مهنته (خاصة في مثل حالة اسرائيل) ، واهتمامه وانتماءه الطبقي (أساس الغالبية من عمال اسرائيل هي البورجوازية الصغيرة) . اكثر من ذلك ، المراكز الاكثر سلطة في المجتمع يحتلها مهاجرو موجة أقدم،

مما يقوي مشاعر التحرك الاجتماعي بين المهاجرين الجدد . يرى العامل المهاجر وضعه الاجتماعي الحالي ليس أكثر من مرحلة مؤقتة : والده لم يكن عاملا ، وهو نفسه يعيش على أمل أن يصبح مستقلا ، أو أن اولاده ، على الاقل ، لا يكونون عمالا . الوعي الطبقي كما هو قائم ، مثلا ، لدى البروليتاريا الانكليزية او الفرنسية ، غير موجود في اسرائيل . هنا (كما في بلدان المهاجرين الاخرى) لا يصنف الناس انفسهم على أساس انتمائهم الطبقي ، بل على أساس مجتمعاتهم وعلى أساس بلد المنشأ »(٦١) .

تصنف غالبية متسببين اسرائيل على أنها « بلد هجرة » . وهذا صحيح ولكنني أشعر ان هذه الحالة الاستثنائية مبالغ التركيز عليها . برغم ان الوعي الطبقي لدى البروليتاريا الاسرائيلية ليس مشابها لاشكال الوعي الطبقي القائمة في بلدان اوروبية ، فانني أشعر أن بنية الاقتصاد الاسرائيلي الحالية سوف تدفع العمال باضطراد نحو « التصنيف الطبقي » وبعيدا عن « التصنيف على أساس المجتمع » .

انه من المهم جدا أن نفهم ، أن سكان فلسطين اليهود ، قبل مرحلة الدولة ، كانوا مقسمين الى طبقة رأسمالية واخرى بروليتارية . يعتقد بعض « الصهيونيين اليساريين » ، كما يفعل بعض معادي الصهيونية في امريكا ، انه خلال فترة الانتداب ، أشرف المهاجرون « الاشتراكيون » اشرافا قويا على الاقتصاد ، على أن هذا الاشراف اضمحل خلال مرحلة متقدمة من تاريخ الصهيونية . غير أن تاريخ اليشوف (المجتمع اليهودي في فلسطين : المترجم) لم يبرز أي « عصر ذهبي لاشتراكية صهيونية » . يقدم أيزنشتات الوصف التالي لاقتصاد الانتداب من خلال الاربعينات : كان متوسط حجم المشاريع اليهودية الصناعية (باستثناء الصناعات اليدوية) في العام ١٩٤٣ ، حوالي ٢١ عاملا . حوالي نصف مجموع العاملين ، كانوا يعملون في المصانع التي كانت تشغل اكثر من خمسين شخصا . أكثر من نصف المؤسسات كانت تشغل أقل من عشرة أشخاص .

كانت حوالي ٨٠ بالمائة من المؤسسات ـــ التي تشغل حوالي ٤٠ بالمائة من مجموع العمال الصناعيين ـــ منظمة على أساس الملكية الخاصة او الشركات المساهمة . كانت الشركات الخاصة والعامة المحدودة تؤلف أقل من خمس مجموع المؤسسات ، ولكنها شغلت أكثر من نصف القوة العاملة في الصناعة . أما حصة التعاونيات فلم تكن أكثر من خمسة بالمائة من مجموع الصناعة بالنسبة للحالتين .

كان قطاع الهستدروت يملك حوالي ٧٠ بالمائة من المزارع المختلطة في اواخر فترة الانتداب (١٩٤٣) ، و٦،٨ بالمائة من مزارع الحمضيات ، وحوالي ١٠ بالمائة من الصناعة ، وثلثي فروع البناء ، ونسبة مماثلة في مواصلات الطرق(٦٢) .

مع أن المؤسسات الصناعية الكبيرة كانت نادرة . يمكن للمرء ان يلاحظ ، انه خلال تلك الفترة ، كانت المؤسسات ذات الملكية الخاصة تشكل الغالبية . ومن الملاحظ أيضا أن التعاونيات والهستدروت كانت تشرف على ١٥ بالمائة فقط من اجمالي الصناعة . برغم أن الاشخاص ذوي المثاليات « الاشتراكية » او الاشخاص المنتمين لحركات مسماة اشتراكية ، كانوا مهمين عدديا خلال اليشوف ، فان المشاريع الخاصة كانت مسيطرة سيطرة قوية .

كان الوجود العسكري البريطاني المتزايد سببا لانتعاش اقتصادي خلال الحرب العالمية الثانية ، غير أن تدنيا حادا تطور في الفترة التي تلت الحرب . وعند انشاء دولة اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، نتجت تعقيدات اقتصادية اضافية عن اغلاق خط أنابيب حيفا ، وعن انتهاء التجارة مع الدول العربية ، وانسحاب الكثير من الرأسمال الانكليزي . بالطبع ، لا بد من الاشارة ، الى السيطرة الصهيونية على الثروة ـــ بالاستيلاء على الارض

والممتلكات الخاصة بعرب فلسطين (الاراضي انتزعت باسم الصندوق القومي اليهودي ومن ثم اعيد توزيعها على الكيبوتسات والتعاونيات الزراعية المشكلة حديثا) .

ان ايجاد حيز الرقابة الحكومية على الاقتصاد ، يشكل ، بالنسبة لايزنشتات تمايزا مهما بين مرحلة الانتداب ومرحلة الدولة . وهو يرى أنه خلال السنوات الاولى على وجود اسرائيل ، أصبحت الحكومة « العامل الاقتصادي الاعلى ، في التخطيط والتشجيع على حد سواء ، وفي الاشراف على الحياة الاقتصادية، وايضا في حالات عديدة كمشارك مباشر »(٦٣). حيث ان تمييز ايزنشتات بين اليشوف ومرحلة الدولة مفيد ، كما أنه من المهم أيضا طرح سؤال يتعدى حدود الاجتماعيات البورجوازية : « هل خدمت عمليات الحكومة الاقتصادية الطبقة العاملة أم مصالح الرأسمال الخاص ؟ » .

يبين ايزنشتات نفسه انه ، لغاية ١٩٥١ ، كانت الحكومة غير قادرة ، بشكل جلي ، على الامساك بزمام الازمة التي تلت ايجاد الدولة :

خلال الاعوام ١٩٤٩ ــ ٥١ بلغت الصادرات ١١ أو ١٢ بالمائة فقط من قيمة الواردات ، وتزايد العجز التجاري السنوي باضطراد ، بالغا مجموع ما يقارب ٣٣٣ مليون دولار في العام ١٩٥١ . حاولت الحكومة خلال هذه الفترة ، ان تضغط التضخم بوسائل التموين المقنن ، بمراقبة الاسعار مثلا ، وبوسائل ادارية مباشرة اخرى . ولكن هذه المجهودات تحطمت بسبب عمليات السوق السوداء ، ورفض منح الثقة من قبل الناس ، وخاصة بعد تقنين توزيع الملبوسات والاحذية في صيف العام ١٩٥٠ . كذلك أدت قساوة الشتاء التالي الى تأزيم الموقف ، مهددة بانهيار بنية العملة والاسعار برمتها(٦٤) .

نظرا لتردي الحالة ، أعلنت السلطات « السياسية الاقتصادية الجديدة » ، التي احتوت تخفيضا لليرة الاسرائيلية في شباط ١٩٥٢ ، وتجميدا للاجور ، وكذلك عبئا ضريبيا للتطوير من الشعب . يعترف ايزنشتات ان السياسة الاقتصادية الجديدة خلفت ، في الاساس ، تزايدا في البطالة ، ولكنه يعرفها بأنها عمل ناجح ، مشيرا الى أن استقرارا قد نتج عنها(٦٥). ليس صعبا على هؤلاء الذين يعرفون السياسات الاقتصادية للحكومات الرأسمالية الاخرى ، ان يدركوا أن تخفيض العملة ، ومراقبات الاجور ، ورفع الضرائب ما هي الا « مسكنات تقليدية من أجل التضخم » . في حالة اسرائيل ، على أي حال ، يجب أن نعرف ان هذه الاجراءات قد وضعتها حكومة يسيطر عليها الماباي ، حزب يسمي نفسه « اشتراكيا » .

ان التناقضات التي سبقت السياسة الاقتصادية الجديدة مألوفة في مجتمع توجد فيه طبقات . لقد حصل ١٠ بالمائة من سكان اسرائيل ، في العام ١٩٥٠ ، على ١٧٫٧ ٪ من مجموع الدخل الفردي السنوي ، بينما حصل النصف السفلي لسكان اسرائيل على ٣٧ بالمائة(٦٦) . ورغم أن هذه الفروقات في الدخل ليست شاسعة ، كما هي في بلدان اخرى عديدة ، الا انها تشكل حاجزا متينا بين الطبقة العليا والطبقة العمالية . ومن المؤكد انه في العام ١٩٥٠ كان السؤال « هل ستزداد الفروقات في الدخل ام ستنقص ؟ » ، امتحانا مهما لطبيعة الاقتصاد ولدولة اسرائيل . وقد تبين عام ١٩٥٣ ان حصة الهستدروت النسبية في الحياة الاقتصادية لم تتوسع . وكان الهستدروت ما زال مستبعدا عن السيطرة على القطاعات الصناعية الرئيسية كالماس والمنسوجات والكيماويات ، كما كان مستبعدا قبل مرحلة الدولة . أما القطاعات الرئيسية التي كانت تخضع لسيطرة الهستدروت فهي : القطاع الزراعي (ثلثا مجموع الانتاج في العام ١٩٥٣) وتجارة الجملة (٢٠٫٦ بالمائة من مجموع الانتاج في العام ١٩٥٣)(٦٧) . كما احتفظ الهستدروت بحوالي عشرين بالمائة من قطاعي البنوك التجارية والتأمين .

وفي تلك الاثناء حقق القطاع الحكومي الجديد توسعه الرئيسي في حقل الخدمات العامة ، كالمواصلات والمنافع العامة وقد تجنب القطاع العام النشاطات الخاصة كتجارة المفرق والاعمال المصرفية والصناعات الخفيفة . أما الحكومة التي يحتل الهستدروت مناصب هامة فيها ، فقد فشلت باستمرار في ارساء سياسة تضعف من قوة القطاع الخاص التي كانت قائمة قبل انشاء الدولة .

أما حقبة الخطة الاقتصادية الجديدة فقد تميزت بنشوء تناقضات اجتماعية واقتصادية جديدة ، وبرغم أن العجز في التجارة الخارجية قد انخفض ما بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٤، الا أن ضغوط التضخم المالي عادت للظهور خصوصا مع زيادة النفقات العسكرية خلال عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦ . ويجب الاخذ بعين الاعتبار الموجة الثانية الكبيرة من المهاجرين التي كانت تتألف في غالبيتها من يهود شمال افريقيا .

في العام ١٩٥٧ ازدادت فروقات الدخل التي تفصل الاثرياء الاسرائيليـــين عن الطبقة العاملة ازديادا حادا :

	١٩٥٠	١٩٥٦—١٩٥٧	التغير
١) أعلى ١٠ ٪ من السكان	١٧،٧ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٢٠،٤٤ ٪	+ ٢،٧ ٪
٢) أعلى ٢٠ ٪	٢١،٠ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٣٤،٨ ٪	+ ١٣،٨ ٪
٣) أدنى ٥٠ ٪	٣٧،٠ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٣٢،٨ ٪	— ٤،٢ ٪(٦٩)

بينما يظهر من الجدول اعلاه أن أعلى ٢٠ ٪ من السكان قد حققوا زيادة بـــــارزة في مدخولهم فان ادنى ٥٠ ٪ من السكان قد انخفضت مداخيلهم .وان السياسة الاقتصادية الجديدة نفسها ، التي تميزت بتجميد الاجور وبتخفيض قيمة العملة ، قد تطابقت زمنيا مع هذه الظاهرة . وبالاضافة كان من الواضح ان سياسات الحكومة قد فشلت في دمج المهاجرين من آسيا وافريقيا بشكل كامل .

وقد ظلت البطالة مرتفعة باستمرار بين المهاجرين الشرقيين :

نسبة العاطلين عن العمل بين:	حزيران ١٩٥٤	الهبوط	حزيران ١٩٥٧
١) المهاجرون الاميركيون والاوروبيون قبل ١٩٤٨	١) ٤و٣ ٪	١) —٥٠،٩٪	٢،٥ ٪
٢) المهاجرون الاسيويون والافريقيون قبل ١٩٤٨	٢) ٧،٧ ٪	٢) — ٢،٢٪	٥،٥ ٪
٣) المهاجرون الاميركيون والاوروبيون بعد ١٩٤٨	٣) ٧،٩ ٪	٣) — ١،٤٪	٦،٥ ٪
٤) المهاجرون الاسيويون والافريقيون بعد ١٩٤٨	٤) ١٥،٤٪	٤) — ٤،٢٪	١١،٢ ٪(٧٠)

وهكذا نلاحظ ان المهاجرين الاسيويين والافريقيين سواء الذين وصلوا قبل او بعد عام ١٩٤٨ ، تتفشى بينهم البطالة بنسبة ضعف البطالة المتفشية بين المهاجرين الاوروبيين والامريكيين . وهذه الحالة تتمشى ، كأمر حتمي ، مع المداخـــيل المنخفضة ونسبـــة أصحاب الاملاك المنخفضة في اوساط المهاجرين الشرقيين . كذلك من المفيد ان نتذكر أن المهاجرين الشرقيين حرموا من بعض أشكال تدفق الرأسمال الاجنبي مثل التعويضات الشخصية المباشرة من المانيا الغربية .

وقد فشلت الخطة الاقتصادية الجديدة في الحد من البطالة الدائمـــة في أوساط الاقلية العربية في اسرائيل :

	حزيران١٩٥٤	الهبوط	١٩٥٨
نسبة اليهود العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة اليهودية :	٨٫٣٪	٢٫٧٪	٥٫٦٪
نسبة العرب العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة العربية :	٩٫٠٪	—١٫٩٪	٧٫١٪(٧١)

وهكذا فان انخفاض البطالة خلال أربع سنوات بين العمال اليهود كان أكبر منه بين العمال العرب . وبالاضافة فقد شهد عام ١٩٥٨ هوة اكبر في البطالة بين العرب واليهود مما كان الحال عليه عام ١٩٥٤ .

وفي الاساس تطابقت الخطة الاقتصادية الجديدة التي وضعت عام ١٩٥٢ مع ازدياد فروقات الدخل ومع استمرار نسبة البطالة العالية بين اليهود الشرقيين والسكان العرب . ومع ذلك فقد اتصفت حقب الخطة الاقتصادية الجديدة بتدفق رأس المال بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الصهيونية . فقد بلغت واردات رأس المال الاجنبي بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٩، ٥٧٩ مليون دولار أي بمعدل ٥٧٫٩مليون دولار سنويا(٧٢). وبما ان الحكومة التي خططت ونفذت الخطة الاقتصادية الجديدة كانت اسميا « اشتراكية » ، وكان من بين أعضائها قادة سابقون للهستدروت مثل بن غوريون ، لا يتمالك المرء ان يسأل « لماذا خان هؤلاء القادة الاشتراكيون ، الطبقة العاملة ؟ » .

ويشعر غالبية اعضاء متسبين ، الذين يدركون تماما وجود الهستدروت وقطاعات الملكية الحكومية ، بان بيروقراطية العمال نفسها كانت دائما أقوى من الطبقة الرأسمالية في اسرائيل :

فهناك اشراف بيروقراطي شديد على القطاع الخاص (من قبل القادة العماليين) ومن قبل السلطة المباشرة للهستدروت والقطاعات الحكومية . وهذا الاشراف يتخطى التدخل الحكومي في الحياة الاقتصادية ، الامر المقبول في معظم الدول الرأسمالية . ويجب ألا ننسى ان الاقتصاد الاسرائيلي ككل — وارباح الرأسماليين — يعتمد الى حد كبير على الاموال الاجنبية التي تعطى للبيروقراطية الصهيونية . وهناك عدة طرق يمكن لبيروقراطية العمال بواسطتها ان تقيم حالة من التوازن مع تدفق الاموال الاجنبية على مختلف احتكارات القطاع الخاص وان تتمتع بالسيطرة على البورجوازية(٧٣).

وانا لا اعتقد ان وجهة نظر متسبين هذه تصور دور بيروقراطيي العمال الاسرائيليين تصويرا دقيقا . فكما ذكرت سابقا ، تتصف نشاطات الهستدروت المالية والصناعية بالتعاون الوثيق بين البيروقراطيين والرأسماليين الاسرائيليين والمستثمرين الاجانب . ان البيروقراطيين كأفراد يحتلون مناصب حكومية هامة، الا انه من الخطأ الافتراض بأنهم « يتمتعون بالسيطرة على البورجوازيين » . ورغم ان شخصيات مثل بن غوريون ، واشكول ، وغولدا مائير ، قد لعبوا دورا في تقرير مصير المعونات الاجنبية الضخمة ، الا أن سلطة البيروقراطيين الحكومية كانت امتدادا لقوة البورجوازية الاقتصادية .

ولم يمر فشل الخطة الاقتصادية الجديدة في توفير حلول فعالة لمستويات الدخل المنخفضة، وللبطالة ، ولاشكال اخرى من الحرمان موجودة في اوساط الطبقة السفلى الاسرائيلية ، بدون آثار سياسية . فمثلا، برزت حادثة «وادي الصليب» المشهورة عام ١٩٥٩ في أوساط اليهود الشرقيين . فقد أدت الاحتجاجات العنيفة على الاوضاع السيئة في حي وادي الصليب في حيفا الذي يسكنه يهود من شمال افريقيا ، الى اندلاع حوادث مماثلة في أماكن أخرى في اسرائيل . وقد أدت التظاهرات والانتفاضات الى ظهور « اللكود » ، وهي منظمة سياسية لليهود شمال الافريقيين ، والتي أعلنت معارضتها المتشددة « للمصالح الذاتية لكل الاحزاب القائمة ، وأعلنت عن تبنيها لعقيدة الانفصال الاقليمي »(٧٤). ورغم ان « اللكود » قصرت نشاطها على المجال الانتخابي ، ورغم ان

الاحزاب السياسية التقليدية نجحت في طمس النقمة الشرقية بادخال عدد اكبر من المرشحين الاسيويين والافريقيين في لوائحها الانتخابية ، فان الانتفاضات بحد ذاتها وبروز « اللكود » القصير الامد كقوة سياسية تشكل مؤشرات بليغة على الصراع الطبقي داخل المجتمع اليهودي في اسرائيل .

كذلك كان للاضطهاد الطبقي في اوساط العرب « الاسرائيليين » آثار سياسية أهمها بروز حركة « الارض » عام ١٩٥٨ . وقد قامت السلطات الاسرائيلية باضطهاد وكبت حركة الارض التي كانت تطالب بالحقوق الاقتصادية والسياسية الكاملة للعرب في اسرائيل ، وبحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة . وأخيرا ، قامت المحكمة العليا الاسرائيلية عام ١٩٦٤ باعلان حركة الارض حركة غير شرعية. ويمكن ارجاع نشوء حركة الارض وتوجه العديد من العرب نحو الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » الى الاضطهاد الذي يمارسه المجتمع الاسرائيلي على السكان العرب . ويمكن الاطلاع على صورة تفصيلية لمحنة عرب « اسرائيل » في كتاب صبري جريس « العرب في اسرائيل » .

وقد أدى استمرار بعض المصاعب كعجز الميزان التجاري والتضخم المالي الى وضع « خطة اقتصادية جديدة » ثانية عام ١٩٦٢ . فقد تم في شهر شباط من ذلك العام تخفيض سعر الليرة الاسرائيلية من ٥٠ الى ٣٣ سنتا أميركيا . وبينما وافقت نقابة جمعية المنتجين على الحد من الاسعار في بعض المجالات ، وافق زعماء الهستدروت على تجميد الاجور لعام ١٩٦٣ — ١٩٦٤(٧٥). وقد كان من قبيل المصادفة فقط ان الاستثمارات الاجنبية زادت ، في ظل الخطة الاقتصادية الجديدة الثانية ، الى حد لم يسبق له مثيل ، اذ بلغت ١٦٩،٤ مليون دولار عام ١٩٦٤(٧٦).

ورافق توسع الاستثمار الاجنبي زيادة في بيع الاسهم في الخارج وزيادة في المعونات الخارجية . فقد بلغت واردات رأس المال — ما بين عامي ١٩٦٠ و١٩٦٤ — ٣٦ مليون دولار ، مقابل ٣١٦ مليون دولار للفترة ١٩٥٥ — ١٩٥٩(٧٧). وبالتالي ، حظيت اسرائيل بازدهار اقتصادي قصير ما بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٥ . ولكن ، كما يظهر من الجداول التالية ، تبع الازدهار انحسار اقتصادي :

أ) الاجور اليومية بالليرة الاسرائيلية — معدلات الذكور والاناث : ١١

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
١٢،٣ ل.أ.	١٣،٧ ل.أ.	١٥،٤ ل.أ.	١٧،٦ ل.أ.	٢٠،٤ ل.أ.	٢١،٤ ل.أ.	٢٢،٠ ل.أ.
	(+١١،٤٪)	(+٢٥٪)	(+٤٣،١٪)	(+٦٥،٩٪)	(+٧٤،٨٪)	(+٧٨،٩٪)

ب) جدول الانتاج الصناعي — سنة ١٩٦٣ على أساس ١٠٠ :

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
٨٨	١٠٠	١١٤	١٢٥	١٢٧	١٢٣	١٥٩
	(+١٣،٦٪)	(+٢٩،٥٪)	(+٤٢٪)	(٤٤،٣٪)	(+٣٩،٨٪)	(+٨٠،٧٪)

ج) نسبة العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة :

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
٤،٦٠٪	٤،٠٣٪	٣،٤٠٪	٣،٢٠٪	٧،٩٣٪	١٣،٥٢٪	٥،٧١٪
	(—١٢،٤٪)	(—٢٥،١٪)	(—٣٠،٤٪)	(+٧٢،٤٪)	(+١٩٣،٩٪)	(+٢٤،١٪)(٧٨)

قد يعجب بعض الناس باستمرار ازدياد الاجور السنوية حتى اثناء الانحسار الاقتصادي ، غير ان هذه الزيادة لا تعني شيئا اذا نظر اليها منفصلة عن الظواهر

الاخرى . فاذا نظرنا الى جدول الانتاج الصناعي نجد انه ارتفع عام ١٩٦٨ ارتفاعا حادا ، بعد هبوط بسيط عام ١٩٦٧ . كما ان الزيادة المطلقة للانتاج الصناعي ، بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٨ ، كانت أعلى بقليل من الزيادة المطلقة في الاجور . وبينما انخفضت البطالة بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٥ ، الا انها ارتفعت ارتفاعا هائلا في عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ ، وفشلت عام ١٩٦٨ في العودة الى معدلها الطبيعي .

ومن الممكن تقسيم الفترة ١٩٦٢ ــ ١٩٦٨ الى ثلاث مراحل مميزة :

أ) ١٩٦٢ ــ ١٩٦٥ : التوسع ، ويتصف بارتفاع الاجور وارتفاع الانتاج ، وانخفاض البطالة .

ب) ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ : التقلص ، ويتصف بارتفاع ابطأ للاجور ، وانخفاض بسيط في الانتاج ، وبطالة هائلة .

ج) ما بعد ١٩٦٧ : التوسع ، ويتصف بازدياد ضئيل في الاجور، وارتفاع حاد في الانتاج، وانخفاض في البطالة .

ويمكن ، من هذا المنظار ، تفسير الـ « ميتون » بشكل صحيح من خلال تحليل المراحل التي سبقته وتبعته . فبينما يعتبر بعض حماة الصهيونية الـ « ميتون » حادثة يؤسف لها ، يقول آخرون انها كانت ظاهرة ضرورية خططت لها الحكومة من أجل الحد من العجز التجاري الكبير الذي حصل خلال فترة الازدهار ، ١٩٦٢ ــ ١٩٦٥ . فقد قام وزير المالية بنحاس سابير ، مثلا ، بتبرير الـ « ميتون » ــ في المؤتمر الاستشاري الاقتصادي في القدس (٩ و ١٠ آب ١٩٦٧) أمام مجموعة من المستثمرين الاجانب ــ كوسيلة لخفض الواردات وزيادة قوة المنتوجات الاسرائيلية التنافسية في الاسواق الخارجية(٧٩) .

ولكن يمكن تحدي التفسيرات الرسمية بالاسئلة التالية : ١) اذا كان الـ « ميتون » حقا نتيجة مباشرة لسياسة الحكومة ، فهل وضعت الحكومة هذه السياسة بشكل مستقل أم كاستجابة لضغط بعض اصحاب المصالح ؟ ٢) هل خططت الحكومة فعلا لرفع البطالة الى ١٣،٥٢ ٪ عام ١٩٦٧ ؟ ٣) هل أدى الـ « ميتون » فعلا الى تخفيض الواردات وزيادة الصادرات بعد عام ١٩٦٧ ؟

يمكن القول هنا بأن الممولين والصناعيين الاسرائيليين لم يقتنعوا بالتأثيرات الاقتصادية لازدهار ١٩٦٢ ــ ١٩٦٥ . وبما ان الاجور في قطاعات عديدة تحدد جزئيا على اساس غلاء المعيشة ، فان زيادة الاجور قد تعادلت تقريبا مع زيادة الانتاج الصناعي . وقد ذكرت مجلة « الايكونوميست الاسرائيلية » في كانون الثاني ١٩٦٦ ، ان العديد من رجال الاعمال يعتبرون حكومة أشكول « أضعف حكومة مرت على اسرائيل »(٨٠) . وقد كانت هناك مطالبات كثيرة بمقاومة الحكومة « لتضخم الاجور » ، كما حدث في تموز ١٩٦٦ عندما دعت نقابة المنتجين الى الغاء الاجور المرتبطة بغلاء المعيشة(٨١) . كما طالب رجال الاعمال أيضا بتخفيض رسوم الاستيراد ، وخفض قيمة الليرة الاسرائيلية، وزيادة الانتاج الصناعي .

واذا تفهم المرء بشكل صحيح الروابط المباشرة بين الراسماليين وبنك اسرائيل ، وبين الراسماليين والدولة ، وبين الراسماليين وبيروقراطية العمال ، فليس من الصعب فهم خضوع الحكومة للعديد من مطالب الرأسماليين . وهكذا ، فان الهجوم على العامل بدأ عام ١٩٦٦ حيث ازداد توقيف العمال عن العمل وازدادت المطالبة برفع الانتاج ، وبلغت البطالة ٧،٩٣ ٪ في نهاية العام نفسه .

وبينما بلغت الواردات ١،٢٣١ بليون دولار عام ١٩٦٥ ، فانها لم ترتفع سوى الى

١٢٧٧، بليون دولار عام ١٩٦٦ . ومن ناحية أخرى ، ارتفعت الصادرات من ٧١١ مليون دولار الى ٨٣٢ مليون دولار . وقد انخفض العجز التجاري خلال هذه الفترة من ٥٢٠ مليون دولار (١٩٦٥) الى ٤٤٥ مليون دولار (١٩٦٦)(٨٢).

ورغم ان المراحل الاولى « للميتون » قد خففت قليلا من عجز اسرائيل التجاري ، يمكن الاشارة الى ظواهر أخرى أصبحت تتناقض الى حد كبير مع المصالح الطويلة الامد للقطاع الخاص . فقد ازدادت نقمة الطبقة العاملة وازداد عدد الاضرابات ، كذلك ازدادت الهجرة من اسرائيل ، وخاصة هجرة العمال الفنيين ، بينما انخفضت الهجرة اليها . كما ان انهيار بعض المصالح الاقتصادية ، مثل بنك « فيوخنت فانغر » وبنك « اللرن » ، خلق شعورا بعدم الارتياح في وسط الطبقة الراسمالية . وقد انخفض في الوقت نفسه الاستثمار الاجنبي عن مستواه عام ١٩٦٥ ، (رغم ازدياد التعويم الذي قام به الراسماليون الاجانب) .

ومع تعمق الازمة الاقتصادية ، قامت الحكومة باتخاذ موقف أكثر عدائية من العالم العربي ، وخاصة من سوريا . وكان أحد الاثار المباشرة للاستعداد للحرب استيعاب العديد من العمال ، العاطلين عن العمل والعاملين ، في القوات المسلحة . وقد أدت زيادة الانفاق على الدفاع الى توسع الصناعات الحربية بحيث ارتفع عدد العاملين في مصانع وزارة الدفاع ، في نهاية ١٩٦٧ ، بنسبة ٤٠ ٪ ، وبحيث تضاعفت طلبات « الصناعة الحربية » من الاقتصاد المدني ثلاث مرات(٨٣).

رغم انه من الخطأ ارجاع حرب حزيران الى الازمة الاقتصادية الخانقة التي واجهتها اسرائيل عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، فقد كان لتلك الحرب نفسها ولنتائجها تأثير واضح على الاقتصاد الاسرائيلي . ويعتبر ادخال حزب جاحال المناوىء للعمال (مناحيم بيجن) في « وزارة الحرب » التي الفها اشكول ، ومبيعات الاسهم الاسرائيلية التي لم يسبق لها مثيل (٣٢٥ مليون دولار عام ١٩٦٧) ، وازدياد الهجرة ، واحتلال مساحة واسعة من الاراضي العربية ، ظروف أدت الى اعادة الثقة بالاقتصاد الاسرائيلي في أوساط المستثمرين المحليين والاجانب .

ولكن التوسع الذي تلا الحرب كان عملية اتصفت بالتناقضات الاقتصادية والاجتماعية العميقة . ورغم ان اعدادا كبيرة من الجنود ظلت تحمل السلاح ، فقد بقيت البطالة مرتفعة نسبيا اذ كان ٥،٧١ ٪ من القوى العاملة بدون عمل في الربع الثاني من عام ١٩٦٨(٨٤). وظلت الاجور خاضعة لقيود ما قبل الحرب . وبينما ارتفعت الاجور ١،٧ ٪ خلال النصف الاول من عام ١٩٦٨ ، ارتفع الانتاج الصناعي بنسبة ٣٠ ٪ تقريبا عما كان عليه في النصف الاول من عام ١٩٦٧(٨٥). ولم تنل البروليتاريا الاسرائيلية أي تعويض على زيادة الانتاج الهائلة ، وكان عليها أن تتحمل زيادة في الاسعار — خلال الاشهر التسعة الاولى من عام ١٩٦٨ — بلغ معدلها ٢،٣ ٪ (٨٦).

بالرغم من سيل الدعاية الذي أطلقه بيروقراطيو العمال والمسؤولون الرسميون حول أهمية الانتاج الصناعي « للامن القومي » ، لم يرضخ العمال الاسرائيليون لمطلب الاسراع في العمل وتجميد الاجور . فقد كانت نسبة الاضرابات عام ١٩٦٨ أعلى منها عام ١٩٦٧، رغم ان عدد العمال الذين شاركوا في تلك الاضرابات كان أصغر ، لان الاضرابات شملت الشركات الصغرى(٨٧) . هذا ومن الضروري معرفة نتائج موجة الاضرابات :

١) ان التهجم على الاجور الحقيقية للعمال جوبه برد فعل حازم .

٢) ان النداءات العاطفية حول « الامن القومي » لم تكف لمنع حصول الاضرابات .

٣) ان قيام العمال باضرابات دون موافقة نقابتهم يدل على تحدي العمال لسلطة بيروقراطيي الهستدروت .

ومن المفيد جدا أن نقوم أيضا بدراسة التناقضات الاقتصادية التي تلت الحرب لان هذه الظواهر بالاضافة الى وضع الطبقة العاملة الاسرائيلية تعطينا مفتاحا للمستقبل . أولا ، ان الهدف « الرسمي » « للميتون » ـ تخفيض العجز التجـاري ـ لم يتحقق . فقد استأنف العجز التجاري ، منذ نهاية عام ١٩٦٧ تصاعده التقليدي . فمثلا ،كان العجز في التجارة مع الولايات المتحدة فقط أكثر بـ ٢٨ مليون دولار عما كان عليه في عـام ١٩٦٧(٨٨) . وبالطبع يمكن ربط الانفاق العسكري الكبير بالعجز التجاري لان استيراد السلاح الاميركي تصاعد . وقد بلغ قرض الدفاع الحكومي عام ١٩٦٨ ، والذي حصّل من الجمهور ٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية(٨٩) . وان حماية حقول النفط في سيناء و« السوق المأسورة » في الضفة الغربية وغزة تعتمد مباشرة على التصاعد الدائم في الضرائب ، وعلى الاحتفاظ بعدد كبير من الجنود والاحتياط . وبالرغم من تخفيض الليرة الاسرائيلية عام ١٩٦٧ من ٣٣ الى ٢٨ سنتا اميركيا ، فان التضخم ما زال مستمرا بلا قيود، وخاصة في قطاع المباني السكنية .

لقد خفضت الليرة الاسرائيلية ، منذ عام ١٩٤٨ ، بنسبة ٩٠٠ ٪ ، ومـن المحتمل أن تنخفض ايضا في المستقبل . وان عجز البيروقراطيين عن حل المشاكل المزمنة ، مثل تصحيح ميزان المدفوعـات ، يدفعهم للحصول على معونات مالية اكبر من الخـارج . فقد حصلت اسرائيل عام ١٩٧٠ على مبلغ ٥٠٠ مليون دولار من مبيع الاسهم الاسرائيلية ومن الهبات المباشرة من الولايات المتحدة ، كما ان الحكومة الاميركية تعهدت باقراض اسرائيل مبلغ ١،٥ بليون دولار خلال خمس سنوات .

وتبلغ تكاليف ادارة المناطق المحتلة ومقاتلة الفدائيين اكثر من ٣ ملايين دولار في اليوم . وقد تضاعفت الميزانية العسكرية أربع مرات ، منذ عام ١٩٦٧ ، اذ بلغت ١،٣ بليون دولار عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، أي ما يوازي ربع الناتج القومي كله لتلك السنة .

وقد وصف تقرير نشر في صحيفة نيويورك تايمز الآثار المباشرة لحالة ما بعد الحرب كالتالي : قال زعيم عمالي اسرائيلي : « لا يحتاج الصراع بين الادارة والعمال الى أكثر من خمود القتال على الحدود » .

فبعد ثلاثة أشهر من توقف اطلاق النار ، ومع اختفاء أنباء القتال ، وجدت اسرائيل نفسها وسط موجة من الاضرابات في جو كانت فيه الاجور والاسعار والضرائب تهدد بالانفجار الى تضخم مالي . وقد أغلقت المدارس الثانوية في اسرائيل ، وأضرب المعلمون مطالبين بزيادة في الاجور . ولمدة اسبوع لم يقم الطيران الوطني الاسرائيلي، العال ، سوى بجزء من رحلاته المقررة نظرا لاضراب عمال الصيانة .

ولم تصدر نشرة الاحوال الجوية أمس ، فقد أضرب عمال دائرة الرصد الجوي . وانقطاع التيار الكهربائي لساعات أمر مألوف لان العمال يضربون لساعات ثم يعودون للعمل ثم يضربون مرة اخرى . وقد أعلن عمال ميناء حيفا وميناء اشدود ، وعمال الهاتف ، وحتى نقابات موظفي الدولة في عدة وزارات حكومية الاضراب لمدد متفاوتة ـ ساعات ، وايام، وأسابيع ...

... وقد اعترف وزير التربية ، ايغال آلون ، بأن للمعلمين المضربين اكثر من شكوى ، اولها أن رواتبهم تبدأ بـ ١٦٠ دولارا شهريا ، لكنه تعلل بأن ميزانية وزارته لا تتحمل مطلب ٠٠٠،١٠ معلم بزيادة ٥٧ دولارا شهريا لكل منهم .

المشكلة الاساسية هي في ان الحكومة والمواطنين يعيشون حياة تتخطى مدخولهم . وان الزيادة الكبيرة في الضرائب التـي فرضت في آب الماضي ـ على الواردات والهدايا والسفر ـ بالاضافة الى ضرائب المبيعات والشركات ستؤدي الى تجميع ٥٠٠ مليون

دولار اضافية في شهر آذار القادم ، لكنها لن تؤثر سوى تأثير بسيط على هدفها الآخر وهو التخفيف من المشتريات المحلية. [المصدر : نيويورك تايمز ، ١٠ نوفمبر ، ١٩٧٠]

أن صحيفة نيويورك تايمز تخطىء حين ترجع جذور الازمة الى نسبة المشتريات المحلية العالية وليس الى التوزيع غير المتكافىء للثروة . وعلى اي حال فمن الواضح ان موجة الاضرابات التي تلت الحرب لم تفقد قوتها .

وهناك فقط عدد من الحلول الموقتة التي يمكن للرأسماليين الاجانب والاسرائيليين ان يطبقوها : ١) منع الاضرابات غير المشروعة بحزم ، ٢) خلق أزمة سياسية مشابهة لازمة ١٩٦٧ ، ٣) زيادة استغلال اليد العاملة الرخيصة من الاراضي المحتلة ، ٤) طلب معونات مالية أكبر من الغرب من أجل تحسين المستوى الفعلي للاجور والاحوال المعيشية . ولكل من هذه الحلول مخاطره .

ان منع الاضرابات غير المشروعة منعا حازما سيؤدي الى توسيع الهوة ما بين الجماهير وبيروقراطية العمال ، لان بيروقراطيي العمال الذين يحتلون مناصب حكومية سيضطرون لان يقضوا على الاضرابات . وبالاضافة ، فان هذا الحل قد يضعف مقدرة اسرائيل على ان تقوم بدور كلب حراسة عسكري يخدم المصالح الامبريالية في الشرق الاوسط .

اما الامكانية الثانية ، تصعيد الصراع العربي — الاسرائيلي، فتبدو أكثر قابلية للتصديق، خاصة مع ترديد الرسميين الاسرائيليين القول بأنهم سيحتفظون بشرم الشيخ والقدس الشرقية ومناطق محتلة أخرى . ومع ذلك فان أي تصعيد جديد ، حتى لو حصل على موافقة الجماهير الاسرائيلية ، لن يعطي سوى أنتعاش محدود للقطاع الخاص في اسرائيل . فبالرغم من أن حرب حزيران قد أدت الى زيادة تدفق رأس المال الاجنبي ، وزيادة في مساحة اسرائيل ، وفي مواردها الطبيعية ، وفي اليد العاملة الرخيصة ، وفي الانتاج ، الا أنها لم توفر أية حلول جذرية لمشاكل اقتصادية كفائض الواردات والتضخم.

ورغم ان رأس الماليين الاسرائيليين فرحون « بجيش العاطلين عن العمل » في قطاع غزة والضفة الغربية، فلا يمكن تحويل القوى العاملة في المناطق المحتلة الى قوى عاملة ماهرة تحل محل العمال الاسرائيليين خلال فترة قصيرة . ورغم ان ٣٠،٠٠٠ عامل من الضفة الغربية وحدها قد وجدوا عملا في اسرائيل (زيادة ٤ ٪ تقريبا في القوى العاملة الاسرائيلية) بنهاية عام ١٩٦٩(٩٠)، فان عمال المناطق المحتلة يعملون في الزراعة والبناء وليس في التصنيع . وكان هذا نمط عمل العمال العرب من سكان اسرائيل قبل عام ١٩٦٧ . ويؤيد بعض القادة الاسرائيليين ومنهم دايان ، تشغيل العرب بينما يعارضه آخرون بشدة ، مثل بن غوريون وغولدا مائير . وان استبدال العمال اليهود بعمال عرب يعتبر تحديا لدور بيروقراطية العمال اليهودية .

وبنفس الطريقة ، لا توفر زيادة استغلال المناطق المحتلة كسوق للبضائع الاسرائيلية أية أرباح كبيرة وملموسة للرأسماليين الاسرائيليين . فان التضخم المالي الاسرائيلي يجلب بؤسا لا مثيل له لسكان المناطق المحتلة لان اقتصاديات الضفة الغربية وقطاع غزة لا تسمح باستيراد الكثير من البضائع الاسرائيلية ذلك ان هذه المناطق لا تحصل على كميات كبيرة من رأس المال . فقد صدرت الضفة الغربية ، عام ١٩٦٨ ، الى اسرائيل بضائع قيمتها ٤٢،٥ مليون ليرة اسرائيلية بينما استوردت منها بضائع قيمتها ١٦٣،٨ مليون ليرة اسرائيلية(٩١). ولكن الفرق بين الواردات والصادرات ، اي ١٢١،٣ مليون ليرة اسرائيلية ، كانت تعادل ١ ٪ فقط من دخل اسرائيل القومي الاجمالي تلك السنة . وان تأثير المناطق المحتلة ، كسوق شرائية وكمصدر للعمال ، على المشاكل الاقتصادية الاسرائيلية يبقى هامشيا ما دامت تلك المناطق متخلفة صناعيا .

اما « الحل » الرابع — زيادة المعونات المالية من الخارج — فسيفشل أيضا في حل

التناقضات الاساسية للبنيان الاقتصادي الاسرائيلي . وقد أكدت متسبين على أهمية المعونات الامبريالية لنمو اسرائيل وعلى ان « البنيان الاقتصادي نفسه مبني ومعتمد على الدور السياسي والعسكري للصهيونية في الشرق الاوسط »(٩٢). وعلى أي حال ، ان البنيان الاقتصادي الذي نشأ يتصف باستغلال العمال من قبل الرأسماليين المحليين والاجانب . والانشقاق الذي يكبر عاما بعد عام بين العامل والرأسمالي يشكل أساسا محتملا لانشقاق عقائدي وسياسي . ويجب ان ندرك أيضا ان حجم المعونات المالية وشكلها تقرره الاحتياجات العالمية للامبريالية . وان اي أزمة رأسمالية طويلة أو ظهور « أكثر من فيتنام » لن يترك العلاقة سليمة بين الرأسماليين والعمال في اسرائيل .

ورغم ان غالبية أعضاء متسبين محقون في انتقادهم الذي يدعون فيه الى الفصل بين العمالية والمناوأة ضد الصهيونية ، الا أنني أشعر بأن الاميركيين المعارضين للصهيونية لا يمكنهم تجاهل أو عدم تفهم التناقضات الداخلية للمجتمع الاسرائيلي . ان وجود هذه المتناقضات وعدم مقدرة الراسماليين الاسرائيليين وبيروقراطيي العمال على حلها تشكل دليلا واضحا على خطأ منطق العقيدة الصهيونية . هذا واستغلال المستثمرين الاجانب للجماهير الاسرائيلية هو مظهر من مظاهر الاستغلال الامبريالي السياسي لاسرائيل .

ويشعر غالبية أعضاء متسبين ان يهود اسرائيل الشرقيين لا يملكون وعيا بروليتاريا وانهم « يؤيدون أكثر جناح شوفيني ورجعي في الطبقة الحاكمة »(٩٣). ولكن الاميركيين المناوئين للصهيونية لا يمكنهم تجاهل مشاركة العمال الشرقيين في موجة الاضرابات ، ثم مؤخرا مشاركة الشباب الشرقي في الاحتجاج على ارتفاع أجورات السكن والاحوال المعيشية السيئة . ان استغلال الطبقة الرأسمالية في اسرائيل لليهود الشرقيين هي شهادة أخرى ضد الاساس العقائدي للصهيونية . ورغم ان العديد من اليهود الشرقيين قد تجذبهم الحركات اليمينية مثل حزب « حيروت » ، فان واجبنا في اميركا أن نفضح أصحاب الملايين الاسرائيليين ، من أمثال يعقوب مريدور (صاحب الشركة البحرية لناقلات الفواكه) ، الذين يشكلون الاساس المالي للجناح اليميني .

وفي الختام ، أحث الاميركيين المناوئين للصهيونية أن يكثفوا نشاطاتهم نوعية وكمية . أما الشرق الاوسط ، الذي تستمد منه الامبريالية الاميركية جزءا هائلا من أرباحها السنوية ، فلا يمكن اعتباره بعد الآن منطقة صراع يتعلق باليهود والعرب فقط . ان فعالية نشاطاتنا تعتمد الى حد كبير على مقدرتنا على اظهار كيفية استغلال الامبريالية للجماهير العربية والجماهير الاسرائيلية التي وضعت في الشرق الاوسط لتكون شرطة تخدم مصالح الامبريالية .

---

١ — « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » ، ترجمة عن متسبين ، نشر في **نشرة المقاومة الفلسطينية** ، اعداد ٤ و٥ ، تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٧٠ ، ص ٥ .

٢ — بيتر بوخ، «الثورة الفلسطينية والصهيونية» *International Socialist Review* كانون الثاني ، ١٩٧١ ، ص ١١ .

٣ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** (القدس ، نشر مكتب رئيس الوزراء ، ١٩٦٨) ، ص ١٧ .

٤ — « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » ، **نشرة المقاومة الفلسطينية** ، ص ٥ و٦ .

٥ — هاري ماغدوف ، **« عصر الامبريالية »** (نيويورك ، ١٩٦٩) ص ١٩٥ .

٦ — **مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط**، تحرير جورج لنسفسكي (واشنطن ١٩٦٨) « المصالح الاقتصادية » ص ٤١ .

٧ — **المرجع السابق** .

٨ — **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٥٢ .

٩ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ (القدس ، ١٩٦٩) ص ٨٥ .

١٠ — **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٦٦ و٦٧ .

١١ — **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٧٥ .

١٢ — أعد هذا الجدول على اساس الارقام المأخوذة من **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٩١ .
١٣ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٨** — ١٩٦٩ ، ص ٨٩ .
١٤ — **المرجع نفسه** ، ص ١٦٣ .
١٥ — اذا استثنينا الدولتين ذاتي الدخل المرتفع، الكويت (٣٥٠٠ دولار) واسرائيل نفسها (١٤٠٠ دولار) ، فان معدل الدخل للفرد في الشرق الاوسط للعام ١٩٦٧ كان ٢٢٥ دولارا في السنة. **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٥٤ .
١٦ — ارقام مأخوذة من اجراء معدل للنسب السنوية المأخوذة من كتاب نداف سفران « **من حرب لحرب** » (نيويورك ١٩٦٩) ص ١٥٨ .
١٧ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ١٦٤ .
١٨ — **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٦٤ .
١٩ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** .
٢٠ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ص ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٨٩ .
٢١ — دانيال كريمر، « **الدخل القومي لاسرائيل** »، ١٩٥٠ — ٥٤ مشروع فولك، العدد ٥٧ (القدس، ١٩٦٧) ، جدول ١٥ ، ص ٣٦ .
٢٢ — ارقام الموجودات مأخوذة عن دليل *Moody Bank and Finance*
٢٣ — **الايكونومست الاسرائيلية**، شباط، ١٩٦٦، ص ٤٦ .
٢٤ — نقلا عن كتاب بوخ *The Myth of Progressive Israel* في « الصهيونية والثورة العربية » (نيويورك ، ١٩٦٩) ص ٩ .
٢٥ — **الايكونومست الاسرائيلية** ، كانون الاول ، ١٩٦٩ ، ص ٣٥ .
٢٦ — نقلا عن كتاب بوخ « الثورة الفلسطينية والصهيونية » *International Socialist Review* ، كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ٢٥ .
٢٧ — **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٨ (القدس ، ١٩٦٩) ص ٧١ .
٢٨ — فيلب سيكمان « تقرير من اسرائيل » *Fortune* ، نيسان ١٩٧٠، صفحات ٤٣ و٤٤.
٢٩ — **الجروزالم بوست** ، ١٤ تموز ، ١٩٧٠ .
٣٠ — « **المشكلة الفلسطينية** » كراس المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، اعيد طبعه في New England Free Press (بوسطن ، ١٩٧٠) ص٣ أرقام النقد بالجنيهات الفلسطينية، تعادل القطعة تقريبا اربعة دولارات .
٣١ — **التقرير السنوي** ، ١٩٦٩ ، بنك التنمية الصناعية لاسرائيل .
٣٢ — **المرجع نفسه** .
٣٣ — **التقرير السنوي** ، ١٩٦٩ ، بنك التنمية الصناعية لاسرائيل .
٣٤ — س. ن. ايزنشتات ، **المجتمع الاسرائيلي** (نيويورك ، ١٩٦٧) ص ٨٧ جدول ١١ .
٣٥ — ص ٧٥ ، جدول ٦ .
٣٦ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ ٦٩ ، ص ٨٤ .
٣٧ — **المصدر نفسه** . جداول ص ٨٤ و ٩١ .
٣٨ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٨٤ .
٣٩ — **المرجع نفسه** ، جداول ، ٨٤ و٩١ .
٤٠ — ايزنشتات ، ص ٨٩ ، جدول ١٤ . هذا الرقم ، لعام ١٩٦٤ ، يتضمن الصيادين والعمال المرتبطين بالزراعة . في عام ١٩٥٥ ، وقفت النسبة عند ١٧،١ ٪ .
٤١ — ايزنشتات ، صفحات ١٧١ — ٧٢ .
٤٢ — مائير يعري ، نداء الى المؤتمر الرابع لحزب المابام ، ١٩٦٣ ، نقلا عن كتاب بيتر بوخ « **خرافة اسرائيل التقدمية** » ، ص ٨ .
٤٣ — **نشرة الامم المتحدة الشهرية للاحصاء** ، أيلول ١٩٦٩ ، ص ١٧٨ .
٤٤ — ايزنشتات ، ص ١٤١ .
٤٥ — « السياسة في اسرائيل » ، نشر في **الصهيونية والثورة العربية** ، ص ٢٢ .
٤٦ — ايزنشتات ، ص ١٦٨ .
٤٧ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، جدول ٧ ، ص ٣٢٤ .
٤٨ — **المرجع نفسه** ، جدول ١١ ، ص ٣٣٥ .
٤٩ — هارولد لوبيل ، **ازمة نفط الشرق الاوسط واحتياطات الطاقة في اوربا الغربية** ، (بلتيمور، ١٩٦٢) ص ٦٠ .
٥٠ — سيكمان، « تقرير من اسرائيل » *Fortune* نيسان ١٩٧٠ .
٥١ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٨٥ .
٥٢ — **المرجع السابق** ، ص ٣٣٢ .
٥٣ — **المرجع السابق** ، ص ٨٦ .

٥٤ — **المرجع السابق** ، ص ١٠٠ .
٥٥ — ايزنشتات ، جدول ١٥ (أ) ، ص ٩١ .
٥٦ — **المصدر نفسه** ص ٩٥ .
٥٧ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٨ — ٦٩** ، ص ٢٤٧ .
٥٨ — صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** .
٥٩ — **هآرتس** ، ٢٢ اذار ، ١٩٧٠ .
٦٠ — ثيودور هرتزل ، **الدولة اليهودية** (نيويورك، ١٩٤٦) ص ٩٦ .
٦١ — « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » PRB ٤ و ٥ ، تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٧٠ ، ص ٤ .
٦٢ — ايزنشتات ، صفحات ٧٧ — ٧٨ .
٦٣ — ايزنشتات ، ص ٨٢ .
٦٤ — ايزنشتات ، ص ١١٦ .
٦٥ — **المرجع نفسه** .
٦٦ — دافيد هورونيتس ، **اقتصاديات اسرائل** (لندن ١٩٦٧) ، ص ٨١ . الارقام مأخوذة عن جيرا هانوخ *Income Differentials in Israel* مشروع فولك ، ١٩٥٩ ، ٦٠ .
٦٧ — ايزنشتات ، ص ٩٦ .
٦٨ — **المصدر نفسه** .
٦٩ — هورونيتس ، ص ٨١ .
٧٠ — ايزنشتات ، ص ١٢٦ . الارقام مأخوذة عن Annuals CBS surveys of the Israeli labor force (المكتب المركزي للاحصاء ، التقرير السنوي) .
٧١ — ايزنشتات ، ص ١٢٤ *CBS Statistical Abstract*
٧٢ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، ص ١٧٣ .
٧٣ — « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » PRB ٤ و ٥ ، تشرين الثاني — كانون الاول ، ١٩٧٠ ، ص ٧ .
٧٤ — ايزنشتات ، ص ٣٠٩ .
٧٥ — ايزنشتات ، ص ١١٩ .
٧٦ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٧١ .
٧٧ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، ص ١٧٣ .
٧٨ — **نشرة الامم المتحدة الشهرية للاحصاء** ، ايلول ، ١٩٦٩ ، ص ١٤٦ ، ص ١٧٨ . تشرين الثاني ، ١٩٦٩ ، ص ١٨ .
٧٩ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، ايلول ، ١٩٦٧ ، ص ١٨٣ .
٨٠ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، كانون الثاني، ١٩٦٦ ، ص ٤ .
٨١ — **المرجع نفسه** ، تموز ١٩٦٦ ، ص ١٥٨ .
٨٢ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦ .
٨٣ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ١٠٠ .
٨٤ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ١٨٠ .
٨٥ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، كانون الثاني ، ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .
٨٦ — **المرجع نفسه** .
٨٧ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٢١١ .
٨٨ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، اذار ١٩٦٩ ، ص ٨٢ .
٨٩ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٤٥٨ .
٩٠ — سيكمان « تقرير من اسرائيل » ، Fortune ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٤٦ .
٩١ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، تموز ١٩٦٩ ، ص ٢١٠ .
٩٢ — « **الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي** » ، PRB تشرين الثاني — كانون الاول ، ١٩٧٠ ، ٤ و ٥ ، ص ٦ .
٩٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٥ . تقول متسبين ان هذه الطبقة البالغة الاهمية من سكان اسرائيل « تمثل حالة موازية لما يسمى في الجنوب الامريكي « البيض الفقراء » وفي الجزائر قبل التحرير « الاقدام السوداء » .

المنظمة الصهيونية العالمية ١٩٤٦ ــ ١٩٥١ (١)

الدكتور اسعد رزوق

تقدم شؤون فلسطينية هذه الدراسة عن المنظمة الصهيونية العالمية منذ المؤتمر الثاني والعشرين الذي عقد في العام ١٩٤٦ وحتى انعقاد المؤتمر الثالث والعشرين الذي عقد في العام ١٩٥١ . وسننشر في العدد القادم جزءا آخر من هذه الدراسة ويركز على المؤتمر الثالث والعشرين وهو المؤتمر الصهيوني الاول بعد قيام اسرائيل . والدراسة هي في الاصل جزء من بحث طويل بدأ الدكتور اسعد رزوق باعداده بتكليف من مركز الابحاث عن المنظمة الصهيونية العالمية في ربع قرن . وقد آثرنا ابقاء الملاحظات التمهيدية الواردة في مقدمة الجزء المنشور أدناه لانها تسهم في تحديد الاطار العام للبحث بكامله .

تصدير عام

من بازل الى القدس

ظهرت الحركة الصهيونية على مسرح أوروبا والعالم منذ ما ينيف على ثلاثة أرباع القرن من الزمن . وانطلق الذين قاموا بتأسيس هذه الحركة من مقدمة تفترض وجود شيء ما اسمه « المشكلة اليهودية » ، وهذا الشيء يحتاج الى حل متناسب مع معطيات العصر . فاليهود المنتشرون في كافة أنحاء الدنيا لن يتخلصوا من عداء تناصبهم اياه الفئات غير اليهودية واضطهاد يقاسونه على أيدي الاغيار الا عندما يستحصلون لانفسهم على وطن قومي يجمع شملهم ، في ظل دولة ذات سيادة . والشتات اليهودي في العالم يتعرض لخطر الاندماج والزوال ما لم يبادر « المشتتون » الى تركيز أنفسهم ، عن طريق الاستعمار الاستيطاني ، في رقعة أرضية تفي مساحتها بمتطلبات العدد السكاني المتزايد ومقتضيات الدورة الحياتية في النمو المطرد داخل المجال الجغرافي والحيوي .

ففي السنوات الاخيرة من القرن الماضي قامت المنظمة الصهيونية العالمية التي أسسها ثيودور هرتزل لتؤلف التنظيم الرسمي للحركة وتدعي لنفسها صفات الهيئة المعنية بتمثيل مصالح « الشعب اليهودي » ، باعتبار هذا « الشعب » يرغب في انشاء وطن قومي لنفسه بفلسطين . وجاء « برنامج بازل » الصهيوني ليرسم هدف الصهيونية ويعدد الخطوات العملية الكفيلة ببلوغ الهدف المنشود . أما التعريف الرسمي للمنظمة الصهيونية ، كما جاء في قانونها الاساسي ، فهو تلك الهيئة « التي تضم جميع اليهود الذين يقبلون بالبرنامج الصهيوني ويدفعون الشاقل ، أو رسم العضوية » .

وانطلاقا من المؤتمر الصهيوني الاول في بازل (١٨٩٧) أخذت هذه الحركة في شكلها المنظم تعتبر نفسها على امتداد خمسين عاما من تاريخها ــ وتمشيا مع الوصف الذي أطلقه هرتزل عليها ــ بمثابة « الدولة اليهودية في طريق التكوين » . وأقامت الاجهزة والمؤسسات والهيئات التي شاءت لها الاسهام الفعلي في عملية السعي الدؤوب للحصول على الدولة العتيدة فوق رقعة أرضية لا تملكها وليست خلوا من السكان والعمران أو التطلعات نحو مستقبل أفضل . لكن المضي في مقايسة الحركة الصهيونية على « الدولة

في طريق التكوين » ينتهي الى مقارنات مستنبطة ويغلب عليها طابع المفارقة . فاعتبار الحركة الصهيونية بمثابة « حكومة » تسعى للحصول على دولة يقودنا الى التساؤل عن مقومات تلك الحكومة الصهيونية التي كانت بدون دولة تحكمها . مثلما ان اعتبار المؤتمر الصهيوني في مقام المجلس التمثيلي أو « برلمان الحركة الصهيونية » ـــ كما تصفه مصادر التاريخ الصهيوني ـــ يؤدي بنا الى اثارة المزيد من التساؤلات المتعلقة بحجم « السكان » الذين يدعي تمثيلهم والنطق باسمهم . فالاكثرية الساحقة بين يهود العالم ظلت قابعة خارج حظيرة الحركة الصهيونية ومنظمتها العالمية . والمؤتمر الصهيوني ادعى لنفسه صفة تمثيل ما أسماه بـــ « الشعب اليهودي » ، بعد أن أضفى على مفهومه لهذا الشعب تصورا ينسب اليه ككل صفة السعي نحو تقرير المصير واقامة الكيان الذاتي المستقل . حتى ان الموسوعة الصادرة مؤخراً عن « اسرائيل والصهيونية » ارتأت تخفيف حدة المفارقة العجيبة بواسطة استدراك مفاده ان « برلمان الحركة الصهيونية » (أو المؤتمر الصهيوني الذي أوجده هرتزل) كان في البداية « يرمز » ، بدلا من « يمثل » ، الى تقرير المصير الذي سعى اليه « الشعب اليهودي » . واعتبر كاتب المقالـــة عن « المؤتمـــر الصهيوني » في الموسوعة المشار اليها ان هذا المؤتمر جاء رمزا لاحساس اليهود بوحدتهم القومية ، وتعبيرا عن رغبتهم في احراز الكيان السياسي ضمن اطار دولة مستقلة . وفي مقالة عن « تاريخ الصهيونية » تضمها الموسوعة اياها يوصف المؤتمر الصهيوني بأنه قد أصبح « البرلمان اليهودي في المنفى » .

بينما شاء ناحوم غولدمان أن يوجز طبيعة الملابسات التي أحاطت بمدلول المفارقة على صعيد الواقع والممارسة العملية ، كما على الصعيد النظري المجرد ، فقال ان مشكلة الحركة الصهيونية وأجهزتها الرسمية كانت في « التصرف كدولة دون ان تكون دولة ! » علما بأن الوكالة اليهودية ـــ التابعة للمنظمة الصهيونية ـــ لم تترك فرصة تفوت في ظل الانتداب البريطاني على فلسطين دون أن تتصرف على غرار « حكومة داخل الحكومة » او « دولة ضمن الدولة المنتدبة » .

ولكي نتوقف عن الاستطراد في اجراء المقارنات واستخدام التشابيه والاستعارات ، يجدر بنا الانتقال الى صلب الموضوع الذي تحاول هذه الدراسة تناوله بالبحث والتحليل ، الى جانب الوصف والتقرير . بيد أن التعميمات المتقدم ذكرهـــا تمت بوثيق الصلة الـــى موضوعنا ، كما انها تؤلف خلفيته التاريخية بكافة منظوراتها الايديولوجية والتنظيمية والعملية (على صعيد التركيز السكاني وعبر ارساء قواعد للاستعمار الاستيطاني) .

ان السؤال التمهيدي الذي تطرحه هذه الدراسة ، لتحاول الانطلاق منه الى متابعة البحث في الحركة الصهيونية العالمية بعد قيام الدولة اليهودية ـــ اسرائيل ـــ بفلسطين ، يتعلق بالمبررات وراء وجود تلك الحركة واستمرارها في العمل والنشاط عقب انشاء الدولة التي كانت تنشدها ، وغداة تحقيق الهدف السياسي الذي سعت نحو بلوغه طيلة نصف قرن من تاريخها . وعلى محمل السذاجة ، انـــه لمن الطبيعي أن تبادر حركة سياسية تتوسل الاستعمار الاستيطاني لبلوغ هدفها الى حل نفسها أو الى اعتبار مهمتها في حكم المنتهية ، بعد احراز الهدف وانجاز المهمة . لكن الحركة الصهيونية استمرت على قيد الوجود بعد أن أوجدت دولتها اليهودية المنشودة . ولقد انقضى على وجودها منذ قيام اسرائيل وحتى الآن ما يقارب ربع قرن من الزمن . هذه الفترة من وجود الحركة الصهيونية العالمية في ظل الدولة اليهودية القائمة فوق أرض فلسطين تؤلف الاطار العام لتحرك الدراسة ـــ على امتداد خمس وعشرين عاما (١٩٤٨ ـــ ١٩٧٣) من التطورات والنشاط المتواصل في خدمة أهداف بعيدة المدى تتجـــاوز حدود البرنامج الصهيونـــي الاصلي وتتعدى نطاق الغايات المعلنة .

لذا يجوز للباحث في موضوع الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل أن يتساءل : كيف

تختلف كل من الحركة والفكرة وهيئات المنظمة الصهيونية في مدى خمسين عاماً قبل انشاء الدولة عنها في الفترة اللاحقة لنشوء الدولة وقيامها . أو : كيف يتميز ربع القرن الاخير من تاريخ الصهيونية عن نصف القرن الذي سبقه وانتهى الى ظهور دولة اسرائيل فوق الارض الفلسطينية . والسؤال عن الاختلاف والتمايز يضعنا في جو البحث العام ، ويتجه بنا صوب واقعة استمرار الحركة الصهيونية رغم تحقيق الهدف السياسي الذي سعت لبلوغه طيلة خمسين عاما . فالصهيونية — كما ينبيء تاريخها الحافل حتى الآن — تقوم على مراحل متتابعة ومتصاعدة في وقت واحد . وكلما انتهت مرحلة من الانجاز وتحقيق الاهداف المرسومة ، تلتها مرحلة أخرى على طريق الغاية القصوى والهدف النهائي . ان صهيونية ما قبل الدولة تختلف عن الصهيونية في ظل الدولة . وسوف تدخل أوجه الخلاف بين « الصهيونيتين » ضمن نطاق الموضوع الذي تتناوله الدراسة التالية .

غير ان هذا الفاصل الزمني على أساس الصهيونية ، السابقة واللاحقة منها لقيام الدولة ، لا يعني اغفالا لاستمرارية الحركة وتواصلها عبر السنين التي اجتازها تاريخها في ثلاثة أرباع القرن . فالنشاط الصهيوني في مجالاته المتعددة ومراميه البعيدة لم يتوقف عن الممارسة غداة اعلان قيام الدولة اليهودية . بل نجد الاجهزة الصهيونية المسؤولة وقد بادرت قبل موعد الاعلان الى اتخاذ الخطوات التنظيميـة الكفيلة بتأمين انتقال مؤسسات الحركة وهيئاتها الى مرحلة استمرار العمل في ظل الدولة العتيدة . هذه الفترة « الانتقالية » تمتد من عشية اعلان قيام اسرائيل (نيسان ، ١٩٤٨) حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، من ١٤ الى ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٥١ ، في القطاع اليهودي من مدينة القدس . وهو أول مؤتمر عالمي تعقده الحركة الصهيونية في اسرائيل بعد قيامها .

خلال الفترة الزمنية التي تتناولها هذه الدراسة عقدت الحركة الصهيونية ستة مؤتمرات عالمية في اسرائيل : من المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٥١) الى المؤتمر الثامن والعشرين (١٩٧٢) . والتركيز على اعمال هذه المؤتمرات ومناقشاتها والقرارات التي صدرت عنها ، بالاضافة الى التقارير المرفوعة من شتى اللجان والهيئات التنفيذية ، قد يتيح للدارس متابعة مختلف التطورات التي شهدتها الحركة الصهيونية العالمية من الداخل . كما انه يفسح المجال أمام رصد الترابط الخارجي بين مواعيد انعقـاد المؤتمرات وبين الاحداث والتحركات الاسرائيلية في نطاق الشرق الاوسط وعلى المسرح العالمي . وليس من قبيل المبالغة تشبيه المؤتمر الصهيوني العالمي والقرارات التي يتخذها بمثابة الخطة الصهيونية الرسمية للسنوات الاربع التالية أو للفترة الزمنية الفاصلة بين مؤتمر وآخر يليه — سواء امتدت الى اربع سنوات او قصرت عنهـا قليلا أو تجاوزت حدودهـا . ان الدراسة الشاملة لكافة التطـورات والاتجاهـات البارزة في تاريـخ الحركـة الصهيونيـة العالميـة ضروريـة ، فالكتابات العـربية حول الموضـوع لا تعـرف سوى رسالـة الماجستـير التي أعدهـا اسعد عبد الرحمـن وقام مركز الابحـاث الفلسطيني بترجمتهـا ونشرهـا في تمـوز (يوليو) ١٩٦٧ تحت العنـوان التالي : « المنظمة الصهيونيـة العالمية : تنظيمها وأعمالهـا ، ١٨٩٧ — ١٩٤٨ » (صدرت في سلسلة « دراسات فلسطينية » ، رقم ١٥) . ومن هنا نشأت الحاجة الى القيام بمحاولة لدراسة الحركة الصهيونية بعد قيام اسرائيل ، ورصد التطورات التي شهدتها المنظمة الصهيونية العالمية علـى مختلف الاصعـدة والمستويات : التنظيمية منهـا والايديولوجية ، الى جانب النشاطات المالية والمواقف السياسية وغير ذلك من مجالات النشاط الصهيوني في خدمة اسرائيل ولتوطيد دعائمها وتمكينها من الوقوف على قدميها . هذا يؤدي بالطبع الى اثارة السؤال عن العلاقة العضوية بين دولة اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية ، وكيف جرى تنظيم هذه العلاقة بعد ظهور الدولة اليهودية الى حيز

الوجود . ففي اوساط الحركة الصهيونية ، كما بين الاوساط الاسرائيلية ، برزت آراء مختلفة ووجهات نظر متضاربة احيانا بالنسبة لطبيعة العلاقة بين الحركة الصهيونية من جهة ودولة اسرائيل ، من جهة ثانية . وبين الدولة اليهودية من جهة واليهود الموجودين في الخارج ، من جهة أخرى . هل تقوم الصلات بين اسرائيل ويهـــود العالم بصورة مباشرة ، أم ينبغي توسيط المنظمة الصهيونية والهيئات التابعة لها في عملية الاتصال ومحاولات كسب التأييد وجباية التبرعات وجمع الاموال ؟

ولكي نترك المجال مفتوحا أمام محتويات هذه الدراسة يجدر بنا الانتقال الى تقديم لمحة سريعة عن منهاجها في معالجة الموضوع وأسلوبها في تجزئته الى فترات زمنية معينة بقصد تسهيل المأخذ والتركيز على أبرز النواحي والاتجاهات ، دون اغفال المشاكل التي تواجه الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل وحتى الان .

تهدف هذه المحاولة لدراسة الحركة الصهيونية العالمية في ظل وجود الدولة اليهودية الى معالجة الموضوع من زاويتين رئيسيتين : الزاوية الاولى تنظر الى الصهيونية بعد قيام اسرائيل من خلال التطورات الايديولوجية التي شهدتها الحـــركة عقب انجاز الهدف السياسي في برنامج بازل وقيام الدعوة لاستبداله ببرنامج القدس (١٩٥١) ، ثم استبدال هذا الاخير بصيغة جديدة في برنامج القدس الثاني (١٩٦٨) . أما الزاوية الثانية ، فانها تحاول النظر الى الحركة الصهيونية من خلال تنظيمها وهيئاتهـــا وأجهزتها العاملة في الداخل والخارج . فالمعروف هو ان الهيئات المسؤولة في تركيب المنظمة الصهيونية العالمية ، وبموجب الدستور الصهيونـــي ، تتألف من : المؤتمـــر الصهيوني والمجلس الصهيوني العام ورئيس المنظمة الصهيونية واللجنة التنفيذية الصهيونية ، بالاضافة الى الهيئات القضائية ومراقب الحسابات . وهناك دستور جديد للمنظمة الصهيونية العالمية أقره المجلس الصهيوني العام (١٩٥٩ — ١٩٦٠) متابعة منه لقرار المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين (١٩٥٦) . كما تمت مؤخرا اعادة تشكيل الوكالة اليهودية بحيث تستوعب في هيكلها الجديد نسبة معينة من الهيئات والمنظمات اليهودية غير الصهيونية. هذا بالاضافة الى تنظيم الحركة الصهيونية في المجال الخارجـــي ، والتمثيل الحزبي الصهيوني في كافة أجهزتها وعلى شتى المستويات فيها . ومما لا ريب فيه ان العقيدة الصهيونية تسير جنبا الى جنب مع التنظيم الصهيوني ، لكي تتداخل واياه في كثير من الاحيان والمجالات .

من هاتين الزاويتين ، اذن ، تنطلق الدراسة الى متابعـــة التطورات داخل الحركـــة الصهيونية العالمية في مدى ربع قرن من الزمن . وسوف يكون اعتمادها في الدرجة الاولى على المصادر الصهيونية الرسمية لاستقاء المعلومات واقتباس القرارات والتغييرات البنيوية والتنظيمية ، الى جانب « التحولات » والمنطلقات الايديولوجيـــة . فالوثائق والتقارير المتوافرة هي المصدر الملائم لمعرفة اتجاه الحركة والوقوف على مراميها البعيدة وأهدافها الراهنة . كما تتيح الكتابات والمنشورات الصهيونية الرسمية أمام الباحث فرصة استجلاء معالم التناقضات الاساسية التي تعصف بالحركة الصهيونية من الداخل وفي علاقاتها العضوية مع اسرائيل ، ومحاولاتها الرامية الى استقطاب المزيد من يهود العالم .

فلو شئنا اجراء تقسيم زمني للموضوع ، لجاز لنا اتباع التقسيم التالي بشكل عام :

أولا — الفترة الزمنية الممتدة من غداة قيام اسرائيل (١٩٤٨) وحتى المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين والعدوان الثلاثي على سيناء والسويس (١٩٥٦) . ويمكن تقسيم الفترة اياها الى مرحلتين : المرحلة « الانتقالية » ، وتمتد من منتصف ١٩٤٨ الى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١) واعلان برنامج القدس الذي يحدد مهمات

الحركة الصهيونية في ضوء الوجود الاسرائيلي . والمرحلة « التوطيدية »، بالنسبة لتعيين الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية في اطار الدولة الاسرائيلية وتحديد صلاحيات أجهزتها ومؤسساتها العاملة داخل اسرائيل . تمتد هذه المرحلة حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني في اسرائيل (١٩٥٦) وقيام العدوان الثلاثي في خريف العام ذاتـــه ، لكي تتميز بانتخاب الدكتور ناحوم غولدمان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية ــ وهو المنصب الذي شغر منذ استقالة حاييم وايزمان في المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين (١٩٤٦ ــ ٤٧).

ثانيا ــ فترة السنوات الفاصلة بين العدوان الثلاثي وحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في صيف ١٩٦٨ واعلان برنامج القدس الجديد (١٩٦٨) تمهيدا لمواجهة التحديات التي طالعت الحـــركة الصهيونية في أعقاب حرب الايام الستة ، ونظرا للحماس الذي غمر الاوساط اليهودية في العالم من جراء الانتصار الاسرائيلي الخاطف . ان هذه الفترة تطابق تماما لولاية ناحوم غولدمان في كرسي الرئاسة الصهيونية ، مثلما تتميز باعتزال بن غوريون نهائيا من الحكم ومجيء ليفي اشكول الذي اعتبرته الاوساط الصهيونية «صديقا اسرائيليا» للمنظمة العالمية في حرصه على تنفيذ التعاون المتبادل بين الحكومة والحركة .

ثالثا ــ المرحلة التي بدأت في أعقاب حرب حزيـــران وانطلقت من مقررات المؤتمـــر الصهيوني السابع والعشرين (١٩٦٨) ، لكي تصل الى المؤتمـــر الثامن والعشرين (١٩٧٢) . وهي مرحلة في تاريخ الصهيونية واسرائيل تجوز تسميتها بـــ « مرحلة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ » ، مثلما انها تميزت بكونها الحد الزمني في بدايتها لكل من حادثين على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتاريخ الحركة الصهيونية . الحادث الاول يتعلق بمرور سبعين عاما على تأسيس الحركة والمنظمة واعلان برنامج بازل ، والثاني يشير الى انقضاء نصف قرن من الزمن على صدور تصريح بلفور . وهذان الحادثان ظهرا بمثابة المعالم البارزة في مسيرة الحركة التي أطلقها ثيودور هرتزل قبل ثلاثة أرباع القرن على دروب الاستعمار الاستيطاني وفي مسالك الغزو بواسطة الهجرة ، كما على صعيد الالتقاء والتعاون مع مصالح الدول الامبريالية ومخططاتها في هذه المنطقة العربية من العالم .

هذا هو التقسيم الزمني العام لموضوع دراستنا . وسوف نحاول متابعته بقدر الامكان ، دون الابتعاد عن نقطة الانطلاق الاصلية في النظر الى التطورات والاجراءات والقرارات الرسمية من زاويتين هما : العقيدة الصهيونية والتنظيـــم الصهيوني ــ في المجالين : الداخلي ــ التركيبي ، والخارجي ــ التنظيمي على صعيد الهيئات والمنظمات الصهيونية واليهودية في العالم .

وفي طليعة الامور التي تتوقف عندها هذه الدراسة عن الحركة الصهيونية العالمية منذ قيام اسرائيل ، نذكر ما يلي : أولا ، حقيقة كون الوكالة اليهودية لفلسطين نسخة طبق الاصل عن المنظمة الصهيونية العالمية . كلاهما تنظيم واحد بالذات، وفي النتيجة الاخيرة. فاللجنة التنفيذية للوكالة ليست سوى الذراع التنفيذية المنظمة الصهيونية العالمية . وثانيا ، ان المنظمة الصهيونية العالمية لا تعدو كونها أداة بيد الحكومة الاسرائيلية ، أو احدى الوكالات والهيئات التابعة لها والعاملة في خدمتها . مثلما أنها تقوم بممارسة النشاط والعمل السياسي لصالح حكومة اسرائيل في الخـــارج تحت ستار التضامـــن اليهودي والتأييد المعنوي أو من خلال حملات الجباية وجمع التبرعات بحجة الاسهام في الاعمال الخيرية والمشاريع الانسانية .

هذه الوقائع تتحرك ضمن اطار ايديولوجي يوجزه البرنامج الصهيوني في نظرته الصريحة الى يهود العالم معتبرا اياهم بمثابة الامة الواحدة التي يتوزع أبناؤهـــا بين الاطراف

(الشتات اليهودي في العالم) وبين المركز الذي تمثله دولة اسرائيل . فالمنظمة والدولة تلتقيان على صعيد الرسالة الواحدة في المدار الصهيوني : الدولة تعتبر رسالتها اليهودية والصهيونية قائمة على عقيدة « تجميع المنفيين » ، والمنظمة تضع في طليعة برنامجها مهمة « جمع الشمل اليهودي » في دولة اسرائيل . كما يفرض البرنامج الصهيوني على أعضاء المنظمة ان يضطلعوا بواجب التأييد والدعم نحو دولة اسرائيل ، دون تراجع وبلا هوادة ، وان يسهموا بقسطهم في تنمية الوجدان القومي بين كافة يهود العالم وفي توجيه الانظار اليهودية صوب المركز الاسرائيلي الصهيوني .

لقد بادر مؤسس الحركة الصهيونية في بداية التحرك الصهيوني الاوروبي الى رفع شعار يستهدف كسب الجماعات اليهودية في العالم الى جانب المنظمة الصهيونية . ففي المؤتمر الصهيوني الثاني (بازل ١٨٩٩) أعلن ثيودور هرتزل شعاره الداعي الى « غزو الجماعات اليهودية » واجتذابها الى الحظيرة الصهيونية . ولدى قيام الدولة العتيدة ، بعد انقضاء خمسين عاما على اطلاق الشعار المذكور ، كانت الحركة الصهيونية لا تزال جادة في سعيها نحو ترجمة هذا الشعار الى الواقع العملي . ان ربع قرن من الزمن مر منذ وجود اسرائيل فوق الارض الفلسطينية ، وما يقارب العقدين من السنين أو أكثر على استصدار « قانون العودة » الذي يفتح أبواب الدولة الصهيونية بوجه يهود العالم أجمع . لكن الشعار الهرتزلي في « غزو الجماعات اليهودية » ما زال حتى الان ، وبعد مرور ثلاثة أرباع القرن على اطلاقه ، يؤلف الشغل الشاغل للحركة الصهيونية العالمية منذ نشوئها .

ومن غزو الجماعات اليهودية الى غزو فلسطين عن طريق الهجرة ، الى « غزو العمل » عبر اقصاء اليد العاملة العربية والاقتصار على العمل اليهودي دون سواه ، ثم « غزو التراب الفلسطيني » تحت ستار « الانتصار على الذات » من خلال الاستئثار بمجالات العمل في الارض والزراعة — يمتد خط صهيوني واحد ليربط بين طرفي : الحركة الصهيونية ودولة اسرائيل . وليست العقائد الصهيونية الاساسية في الدولة اليهودية سوى الامتداد الاسرائيلي للطرف الصهيوني من ذلك الخيط . فالمناداة بتحقيق الرسالة من « تجميع المنفيين » الى ادماج المهاجرين وصهرهم في بوتقة المجتمع الواحد ، والى تعزيز « الوجدان اليهودي » وتنشيط الثقافة الصهيونية والعبرية بين يهود العالم — كل هذه يصعب فصلها عن النتيجة الحتمية لدينامية التوسع وذريعة المطالبة بحدود آمنة . ان هذه العقائد والممارسات تصب كلها في بحر واحد عند نهاية المطاف . والطرف « الارضي » و« الاقليمي » لشعار « غزو الجماعات اليهودية » ليس الا توسيع حدود المركز الاسرائيلي بحجة تحقيق « أرض اسرائيل الكاملة » وجمع اليهود من كافة أقطار العالم لتركيزهم داخل الحدود التاريخية التي تدعي الصهيونية نسبتها الى « أرض اسرائيل » .

واخيرا ، ثمة قول منسوب الى هرتزل ، وقد جاء فيه : « ان الصهيونية هي ذلك الشيء العظيم الى درجة تفرض على المرء الا يتحدث عنها بغير الكلمات البسيطة جدا فحسب » . فالاعمال تنطق بلسان هذه البساطة المفرطة حتى البداهة . وتاريخ الحركة الصهيونية يظل خير شاهد على تورطها الفاضح في ميدان العظمة من خلال توجهها الامبريالي الصريح وارتكازها الاستعماري على الغزو بالهجرة والاستيطان .

١ — على عتبة الدولة :

عقدت الحركة الصهيونية العالمية مؤتمرها الثاني والعشرين منذ تأسيسها في مدينة بازل (سويسرا) بين التاسع والرابع والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٤٦ . فجاءت القرارات السياسية التي اتخذها المؤتمر تكرارا حرفيا في معظمها لقرارات

الاجتماع الصهيوني الذي دعت اليه « لجنة الطوارىء للشؤون الصهيونية » في أوتيل بيلتمور (نيويورك) . والمعروف ان « مؤتمر بيلتمور » هذا تبنى في الثاني من أيار (مايو) ١٩٤٢ ، قرارا يندد بالكتاب الابيض ويطالب بفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية تحت اشراف الوكالة اليهودية وسيطرتها ، بحيث تمنح الوكالة اياها السلطة الكفيلة بجعل فلسطين « كومنولث يهوديا » ، لكي يندمج هذا « الكومنولث » (لفظة مخففة للدولة اليهودية) بتكامل في « بنية العالم الديمقراطي الجديد » . كما سارعت « لجنة العمل الصغرى » (أو المجلس الصهيوني العام في صيغته المصغرة منذ ١٩٣٧) الى عقد جلسة لها بفلسطين لاتخاذ قرارها في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٢ ، بتكرار المطالب الصادرة عن اجتماع بيلتمور . ثم كانت القرارات السياسية التي تبناها « الاجتماع الصهيوني العالمي » في لندن ، بين أول آب والثالث عشر منه (١٩٤٥) ، بمثابة التصديق التام على ما سبقها من قرارات بالمعنى نفسه .

وجل ما فعله مؤتمر بازل المذكور — في أواخر ١٩٤٦ — لا يعدو كونه محاولة للتوكيد من جديد على مطالب بيلتمور واعادة ترتيبها وفقا للاولويات الصهيونية . فقد نص القرار السياسي الذي أصدره المؤتمر بهذا المعنى على ما يلي :

« ان المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين يؤكد من جديد على المطالب السياسية التي اعربت عنها أجهزة المنظمة الصهيونية مرارا وتكرارا ، وهي التالية :

١ — تأسيس فلسطين على غرار كومنولث يهودي ، يتم ادماجه المتكامل في بنية العالم الديمقراطي .

٢ — فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية .

٣ — منح الوكالة اليهودية صلاحية السيطرة على الهجرة الى فلسطين ، وتخويلها السلطة اللازمة لتعمير البلاد » .

اما بالنسبة لمؤتمر لندن الذي دعت اليه الحكومة البريطانية ، وحددت موعده يوم التاسع من أيلول (سبتمبر) ١٩٤٦ ، فان القرارات الرسمية للمؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين أعلنت ان الحركة الصهيونية لا تستطيع في الظروف الراهنة الاشتراك فيه . وأحالت على المجلس الصهيوني العام مسألة النظر بالامر وتقرير الاشتراك أو عدمه ، اذا ما طرأ تبدل على الوضع . كما أعلن المؤتمر رفضه للمقترحات التي تقدم بها مشروع « موريسون — غرادي » في تقسيم فلسطين الى مناطق ثلاث: عربية ويهودية وبريطانية، خاضعة للادارة البريطانية . واعتبر ان المشروع المذكور يؤدي في الواقع الى « تحلل الحكومة المنتدبة من التزاماتها نحو تشجيع تطور الوطن القومي اليهودي » .

لكن اللجنة التنفيذية الصهيونية انعقدت بكامل أعضائها في باريس عند نهاية تموز (يوليو) ١٩٤٦ ، لمناقشة فكرة التقسيم . وجاء انعقادها هذا في أعقاب صدور تقرير « لجنة التحقيق الانجلو — أميركية » (ربيع ١٩٤٦) ، وبعد ان اتضح لنفر من أعضائها كانوا على اتصال وثيق بواشنطن ان الرئيس الاميركي « يتوقع » المبادرة من جانب الوكالة اليهودية الى تقديم مشروع يتصف بـ « المعقولية والواقعية » (غولدمان) . فقد صوتت اللجنة على اقتراح تقدم به أحد اعضائها — ناحوم غولدمان — بتاريخ الخامس من آب (اغسطس) ١٩٤٦ ، ونص القرار المتخذ على الفقرات التالية :

« ١ — أن اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية تعتبر بأن المقترحات الصادرة اصلا عن لجنة التحقيق ، والتي أعلنها السيد موريسون في مجلس العموم ، لا يمكن القبول بها كأساس للتباحث .

٢ ــ ان اللجنة التنفيذية على استعداد للبحث في اقتراح لاقامة دولة يهودية قادرة على الحياة في مساحة كافية من فلسطين .

٣ ــ ولاجل التنفيذ الفوري لما نصت عليه الفقرة الثانية ، تتقدم اللجنة التنفيذية بالمطالب التالية : أ ــ ان يصار على الفور الى اصدار ١٠٠ الف شهادة للهجرة ، وان يباشر حالا بنقل مائة الف يهودي الى فلسطين . ب ــ أن تمنح المنطقة المعينة من فلسطين لكي تصبح دولة يهودية استقلالها التام على الفور في المجالين الاداري والاقتصادي . ج ــ حق الادارة اليهودية في الأشراف على الهجرة داخل المنطقة المعينة من فلسطين لكي تصبح دولة يهودية » .

ويقول صاحب مشروع القرار هذا في مذكراته اللاحقة ما معناه : « لا ريب في ان القرار كانت له أهمية تاريخية ، ومهد السبيل امام القبول النهائي بالتقسيم من جانب الامم المتحدة ، وأمام اعلان الدولة اليهودية » . كما يستفاد من المعلومات التي تضمنتها مذكرات غولدمان حول ملابسات القرار الصهيوني ان الاوساط التنفيذية في الحركة الصهيونية شهدت انقساما حول الموقف من التقسيم . فالحاخام ابا هيلل سيلفر ــ عضو اللجنة التنفيذية ، ورئيس الفرع الامريكي في اللجنة المذكورة ، بالاضافة الى رئاسته لكل من المنظمة الصهيونية الاميركية والمجلس الصهيوني الاميركي للطوارىء ــ كان يعارض فكرة التقسيم بشدة ، ويعتبرها مع اصدقائه بمثابة « تنازل عن حقنا في فلسطين كلها ، وخيانة لما دعوه بـ الصهيونية الكلاسيكية » . والدكتور عمانوئيل نويمان ــ عضو اللجنة ورئيس الصندوق التأسيسي ــ كان ايضا من بين الزعماء الصهيونيين الاميركيين الذين عارضوا فكرة التقسيم . بينما يخبرنا غولدمان عن رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ــ بن غوريون ــ انه تردد «لاسباب سياسية داخلية» في جعل اللجنة التنفيذية تتخذ موقفا رسميا من التقسيم .

ولدى الرجوع الى عملية التصويت في المؤتمر الثاني والعشرين حول القرار المتعلق برفض الاشتراك في مؤتمر لندن ، نجد ان اكثرية ضئيلة من الصهيونيين الاميركيين الذين حضروا كمندوبين قد صوتت ضد القرار المذكور . فجاء توزيع الاصوات الصهيونية الاميركية ، حسب رواية المصادر الرسمية ، على النحو الآتي :

	مع القرار برفض الاشتراك	**ضد قرار الرفض**
	عدد الاصوات	
الصهيونيون العموميون (المنظمة الصهيونية الاميركية)	٣٥	٥
الصهيونيون العموميون (الهداسا ومنظمة النساء الصهيونيات)	ــ	٢٨
عمال صهيون (حزب العمل)	ــ	٢٩
المزراحي	١٨	ــ
التحريفيون	٦	ــ
المجموع	٥٩ صوتا	٦٢ صوتا

كما نعرف من مذكرات غولدمان ان التصويت الحاسم في مؤتمر بازل جرى حول « قرار يكرر ما نص عليه برنامج بيلتمور ومطالبته بدولة يهودية » . فقد أصر معارضو التقسيم على ادخال العبارة التالية في النص النهائي للقرار : « داخل فلسطين كلها » . لكن هذا التعديل سقط ، لكي ينتهي غولدمان الى القول : « وبهذا الشكل غير المباشر قبلت اكثرية المؤتمر الصهيوني بمشروع التقسيم » . وفيما يتعلق بقرار رفض الاشتراك في مؤتمر لندن يتبين من الاجواء التي خيمت على جلسات المؤتمر الصهيوني ــ وهنا نرجع

الى رواية غولدمان — ان الجناح الذي تزعمه وايزمان مني بهزيمة أدت الى استقالة وايزمان من رئاسة المنظمة الصهيونية ، بعد سقوط القرار الداعي الى القبول المشروط بحضور مؤتمر لندن . كيف حدث ذلك ؟ يقول غولدمان ان الدوافع المتناقضة حملت ثلاث شخصيات صهيونية على التكتل ضد وايزمان : فقد تحالف كل من بن غوريون والحاخام ابا هيلل سيلفر وموشيه كلاينباوم (الذي بدل اسمه الى موشيه سنيه فيما بعد ، وأصبح شيوعيا) لمعارضة السياسة التي اتبعها وايزمان ومعه أكثرية اللجنة التنفيذية » . ان هذه الكتلة كانت تنادي بالرفض الصريح . ومعظم الاحزاب الصهيونية التي تمثلت في المؤتمر انقسمت في الرأي، حتى «ان اكثرية حزب بن غوريون — الماباي — كانت مؤيدة لوايزمان » . ومع ذلك فقد جاءت نتيجة التصويت بأكثرية ضئيلة لصالح قرار الرفض بقبول الدعوة البريطانية . فالمسؤولية عن هزيمة وايزمان ، كما يراها غولدمان ، تقع على عاتق أمرين : طريقة التصويت غير الملائمة ، والموقف السياسي الاحمق والمتحجر الذي وقفته جماعة هاشومر هتسعير — التي تنتمي الى حركة صهيونية اشتراكية !

خرجت المنظمة الصهيونية العالمية من مؤتمر بازل دون ان ينتخب المؤتمر رئيسا لها أو لجنة تنفيذية . وبقي منصب الرئاسة شاغرا حتى انتخاب ناحوم غولدمان في المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين (١٩٥٦) . كما بلغ عدد المندوبين الى مؤتمر بازل ما مجموعه ٣٨٥ مندوبا ، يتوزعون على النحو التالي : كتلة الصهيونيين العموميين ١٢٣ ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون ١٠١ ، المزراحي ٥٨ ، التحريفيون ٤١ ، هاشومر هتسعير ٢٦ ، أحدوت هاعفودا — عمال صهيون ٢٦ ، الهجرة الجديدة ٥ ، غير حزبيين ٥ مندوبين .

والملاحظ من هذا التوزيع ، بالاضافة الى عودة التحريفيين للمنظمة — الام بعد انفصال دام اكثر من عشر سنوات (١٩٣٥ — ١٩٤٦) ، ان عدد المندوبين عن الصهيونية العمالية قد انخفض كثيرا عما كان عليه في المؤتمرات السابقة . ففي المؤتمر العشرين (زوريخ ، ١٩٣٧) وصل مجموع المندوبين ، مثلا ، الى ٤٨٤ مندوبا ، توزعوا كما يلي: العمال (٢٢٤) ، الصهيونيون العموميون (أ) = ١٢٨ والفئة « ب » (٤٣) ، والمزراحي (٨٠) وحزب الدولة اليهودية (٩) . والمعروف ان هذا المؤتمر اعلن رفضه لمشروع التقسيم الذي اقترحه « تقرير لجنة بيل » (تموز ، ١٩٣٧) ، مثلما أنه أقدم — « بعد نقاش طويل وبأكثرية كبيرة » — على تفويض اللجنة التنفيذية صلاحية التفاوض مع الحكومة البريطانية لتوضيح الشروط المتعلقة بالاقتراح البريطاني في اقامة دولة يهودية بفلسطين . فقد طالب حاييم وايزمان بان يمنحه المؤتمر سلطة اجراء المفاوضات على أساس تقرير بيل حول التقسيم ، وفاز الطلب باكثرية ٣٠٠ صوت ضد ١٥٨ صوتا .

أما المؤتمر الواحد والعشرون (جنيف ، ١٩٣٩) فقد وصل عدد مندوبيه الى ٥٢٧ مندوبا ، وتوزعوا كالآتي : العمال (٢٣٤) ، الصهيونيون العموميون (أ) = ١٥٩ والفئة « ب » (٣٣) ، المزراحي (٧٥) وحزب الدولة اليهودية (١٠) والجناح اليساري لعمال صهيون (١٣) وغير الحزبيين (٣) . واستمرت اللجنة التنفيذية التي شكلها المؤتمر السابق (١٩٣٧) في ممارسة اعمالها ، بينما جرى انتخاب جميع الاعضاء في اللجنة التنفيذية الصهيونية لعضوية اللجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية .

ان كتلة الصهيونيين العموميين في مؤتمر بازل ضمت اكبر عدد من المندوبين ، بزيادة ٢٥٪ عن المندوبين العماليين . وربما كان مرد هذا الامر الى ارتفاع اسهم الصهيونية الاميركية في أعقاب الحرب وبعد التدهور الذي اصاب الصهيونية الاوروبية من جراء الاضطهاد النازي لليهود . فالاتحاد العالمي للصهيونيين العموميين تأسس عام ١٩٢٩

خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني السادس عشر . ثم انقسم الى جناحين او فئتين : « أ » و « ب » ــ منذ المؤتمر السابع عشر في بازل (١٩٣١) . وفي شهر اب (اغسطس) من العام ١٩٤٦ ــ اي ابان انعقاد اللجنة التنفيذية للوكالة اليهوديــة في باريس ــ توصل الجناحان الى الاتفاق على صيغة برنامج موحد للصهيونية العمومية . لكن قوتهم العددية داخل مؤتمر بازل (١٩٤٦) لم يقابلها انضباط حزبي في الموقف من القضايا الرئيسية التي عالجهــا المؤتمر الصهيوني . وفي ذلــك يقول رئيس الكونفدرالية العالمية للصهيونيين العموميين ــ اسرائيل غولدشتاين ــ في كراس اصدرتــه دائرة الثقافة في المنظمة الصهيونية الاميركية بعنوان « البرنامج الصهيوني العمومي » (١٩٤٧) : « ان المندوبين الصهيونيين العموميين تركت لهم حرية التصويت حسب هواهم في الجلسات الكاملــة للمؤتمر . ولهــذا السبب ظهروا اثناء جلسات المؤتمر وامــام انظار العالم بانهم اكثر انقساما من الاحزاب الاخرى » .

ان توزيع المندوبين في المؤتمر الثاني والعشرين انعكس بدوره على تشكيل « المجلــس الصهيوني العام » ــ أي الهيئة الحاكمة للمنظمة الصهيونية العالمية خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمر وآخر . وبعد ان قرر مؤتمر بازل (١٩٤٦) زيادة عضوية هذا المجلس من ٧٢ الى ٧٧ عضوا ، أصبح التوزيع الحزبي لاعضائه كالآتي : الصهيونيون العموميون ٢٥ عضوا ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون ٢٠ ، المزراحي وجناحه العمالي ١٢ ، التحريفيون ٨ ، هاشومر هتسعير ٦ ، احدوت هاعفودا ٥ ، الهجرة الجديدة عضو واحد .

لقد اختتم المؤتمر اعماله دون انتخاب لجنة تنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية . لكنه فوض المجلس الصهيوني العام صلاحية انتخاب اللجنة التنفيذية التي اصبحت ، باعتراف المصادر الصهيونية، منذ ١٩٤٧ مطابقة في عضويتها بالنسبة للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية لفلسطين . ففي مقالة « الوكالة اليهودية » التي تضمها « موسوعة اسرائيل والصهيونية » نقرأ ما يلي : « بعــد أن أصبحت المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية هيئة واحدة بالذات (ابتداء من ١٩٤٧ فصاعدا) ، غدت اجهزة الوكالة (المؤتمر والمجلس العــام واللجنة التنفيذية والهيئــات القضائية ومراقبة الحسابات) مطابقة لاجهزة المنظمة الصهيونية العالمية » .

وفي التقارير المرفوعة من اللجنة التنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية الى المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (القدس ، ١٩٥١) يوجد فصل بين الاثنين . هناك تقرير صادر عن اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية (وهذا يقع في ١٥٠ صفحة من اصل ٩٩٩ صفحة تؤلف مجموع صفحات الكتاب المطبوع للتقارير) ، بالاضافة الى التقرير المرفوع من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . مع العلم بان التقرير الاول يذكر في مطلعه ان : « جميع اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية قاموا أيضا بدور الاعضاء في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية » . كما يتحدث التقرير الثاني (صفحة ١٥٩) عن قيــام المجلس الصهيوني العام ، اثر انتهــاء مؤتمر بازل بوقت قصير ، بانتخاب لجنة تنفيذية صهيونية مارست دورها بمثابة اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . وهذا الاصرار الصهيوني على الفصل شكليا بين اللجنتين ، رغم الاقرار الصريح بكونهما لجنة واحدة من حيث العضوية ، يهدف الى انقاذ المظاهر القانونية على اعتبار ان الوكالة اليهودية لفلسطين تتمتع بوضع قانوني تنص عليه مواد صك الانتــداب . فالمعروف ان نصف اعضاء الوكالة اليهودية الموسعة ، التي نجح وايزمان في انشائها عام ١٩٢٩ واقــرار دستورها رغم معارضة التحريفيين والراديكاليين داخــل المؤتمر الصهيوني ، كــانوا أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية . بينما جاء النصف الثاني من بين «غير الصهيونيين». لكن هذا الترتيب لم يعمر طويلا . اذ بدأ تحويل اللجنة التنفيذية الى هيئة صهيونية في تركيبها وطابعهــا بصورة تدريجية يكفلهــا الدستور ! والمصادر الصهيونية تشير الى

الاساس القانوني الذي جرى الاستناد اليه في « صهينة » الوكالة اليهودية الموسعة . فالمادة السابعة من دستور الوكالة المذكورة تنص على انه يحق للمنظمة الصهيونية العالمية ملء المقاعد الشاغرة في اللجنة اذا لم يتقدم الاعضاء اللاصهيونيون في مجلس الوكالة بالترشيحات المساوية للعدد المطلوب .

ثم تعترف المصادر الصهيونية بان ترتيب المناصفة لم يدم طويلا ، بسبب « عدم الاهتمام الكافي من جانب اللاصهيونيين » — مما أدى بدوره الى تخفيض نسبة تمثيلهم في اللجنة التنفيذية للوكالة . وتتابع المصادر اياها قائلة : « ابتداء من العام ١٩٣١ أصبحت اللجنة التنفيذية قائمة على أساس ائتلاف من الاحزاب الصهيونية الرئيسية ، واستمرت هذه الممارسة منذ ذلك الحين » . فالرجوع الى عضوية اللجنتين التنفيذيتين منذ ١٩٣١ وحتى ١٩٤٧ يؤكد بصورة قاطعة وجود لجنة واحدة على صعيد الممارسة يتوزع اعضاؤها بين فلسطين ولندن واميركا على مكاتب وفروع تعمل في مختلف الحقول وتتقاسم المهمات والنشاطات تبعا لحاجات الظروف الراهنة ومتطلبات المرحلة القادمة .

ان تركيب اللجنة التنفيذية الصهيونية = اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في أعقاب المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين ينطوي على مغزى كبير بالنسبة لعلاقة الحركة الصهيونية بدولة اسرائيل . والصيغة الائتلافية بين الاحزاب الصهيونية الرئيسية ، كما تركيب المجلس الصهيوني العام ، قد تجلت في توزيع مقاعد اللجنة العشرين على كتل ثلاث داخل الحركة الصهيونية : كتلة العمل (٧ مقاعد) وكتلة الصهيونيين العموميين (٩ مقاعد) وكتلة المزراحي (٤ مقاعد) . هذا ما يبينه الجدول التالي :

أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية — الوكالة اليهودية

[منذ اواخر ١٩٤٦ وحتى ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨]

العضو	مكان الولادة	مكان الاقامة	الانتماء الحزبي	المسؤولية الصهيونية
دافيد بن غوريون	بلونسك	القدس	العمل	رئاسة اللجنة، الدائرة السياسية
سيليغ برودتسكي	ليدز	لندن	صهيوني عمومي	مكتب الوكالة في لندن* (الدائرة السياسية)
بيريتز برنشتاين	هولندا	تل ابيب	صهيوني عمومي	دائرة التجارة والصناعة
الحاخام زئيف غولد	بولونيا	نيويورك	مزراحي	
الدكتور ناحوم غولدمان**	ليتوانيا	لندن — نيويورك	صهيوني عمومي	مكتب الوكالة في واشنطون
يتسحاق غرونباوم	فرصوفيا	القدس	صهيوني عمومي	دائرة العمل
حاييم غرينبرغ	روسيا	القدس	العمل	مجلس الطوارىء الصهيوني الاميركي
الياهو دوبكين	بوبرويسك	القدس	العمل	دائرة التنظيم ودائرة الشباب والرواد وقسم المبعوثين
السيدة روز هالبرين	اميركا	نيويورك	صهيونية عمومية	الرئاسة السياسية للهداسا
بيرل لوكر***	غاليسيا	لندن	العمل	
السيدة غولدا مايرسون	روسيا	تل ابيب	العمل	الدائرة السياسية في القدس (بالوكالة اثناء غياب شرتوك)
الدكتور عمانوئيل نويمان	اميركا	نيويورك	صهيوني عمومي	رئاسة الكيرن هايسود والمنظمة الصهيونية الاميركية
الحاخام اباهيلل سيلفر	ليتوانيا	كليفلاند	صهيوني عمومي	رئيس الفرع الاميركي في اللجنة التنفيذية للوكالة
موشيه سنيه	بولونيا	تل ابيب	صهيوني عمومي	الدائرة السياسية في باريس

الحاخام ي.ل.فيشمان	بصارابيا	القدس	مزراحي	نائب رئيس اللجنة ، دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة
موشيه شابيرا	غرودنو	القدس	مزراحي	دائرة الهجرة
اليعازر كابلان	مينسك	القدس	العمل	أمانة الصندوق ودائرة الاستيطان الزراعي
ش.ز. شراغاي	بولونيا	لندن	مزراحي	رئيس دائرة الاعلام في الفاد ليئومي
موشيه شرتوك	روسيا	واشنطون	العمل	رئيس الدائرةالسياسية (واشنطون)

نائب عضو في اللجنة

موشيه كولدوني (كول)	بولونيا	تل ابيب	صهيوني عمومي	دائرة هجرة الاحداث والشبان

حل محل موشيه سنيه المستقيل (١٩٤٧) في السادس من نيسان (ابريل) ١٩٤٨ . بينما جاء زفي هيرمان (حرمون) محل كلدوني في نيابة العضوية (وهو صهيوني عمومي يقيم في تل أبيب) .

* البروفسور سيليغ برودتسكي : عضو في اللجنة التنفيذية للوكالة منذ ١٩٢٨ ، ورئيس هيئة النواب اليهود البريطانيين (منذ ١٩٤٠) . نائب رئيس الاتحاد الصهيوني لبريطانيا وايرلندا الشمالية ، ونائب رئيس اللجنة الادارية للجامعة العبرية ، بالاضافة الى رئاسته لاتحـاد المكابيين العالمي ، ونيابة الرئاسة في الكونفدرالية العالمية للصهيونيين العموميين .

** الدكتور ناحوم غولدمان : رئيس اللجنة الادارية في المؤتمر اليهودي العالمي . وممثل الوكالة اليهودية لدى عصبة الامم في جنيف ومستشار اللجنة التنفيذية للشؤون السياسية منذ ١٩٣٧ .

*** بيرل لوكر : عضو حركة عمال صهيون منذ ١٩٠٥ . ورئيس تحرير « العامل اليديشي » في النمسا . أمين المكتب المركزي في الاتحاد العالمي لعمال صهيون (١٩١٦ — ٢٨) ، وسكرتير عمال صهيون في اميركا (١٩٢٨ — ٣١) . أصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية منذ عام ١٩٣١ ، وترأس دائرة التنظيم فيها . وشغل لعدة سنوات منصب العضوية في اللجنة التنفيذية للاممية العمالية والاشتراكية . كما انه عضو في اللجنة التنفيذية للهستدروت .

جاء في تقارير اللجنة التنفيذية المرفوعة الى المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٥١) ان الدورة الاولـى لانعقاد المجلس الصهيوني العام بين ٢٥ و٢٩ من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦ قامت بانتخاب لجنـة خاصة للتعيينات ، لكي تعد اللجنة مقترحات بشأن تركيب اللجنة التنفيذية الصهيونية . وبناء على توصية لجنة التعيينات هذه ـــ نالت التوصية أكثرية ٥٢ صوتا مقابل ١٧ ــ تم انتخاب لجنة تنفيذية للمنظمة والوكالة مؤلفة من ١٩ عضوا ونائب عضو .

٢ ـــ « انتقال السلطات » :

خلال الفترة الفاصلة بين مطلع ١٩٤٧ ومنتصف شهر أيار (مايو) ١٩٤٨ كانت الحركة الصهيونية ، بموجب دستور المنظمة العالمية ، تدار بواسطة المجلس الصهيوني العام واللجنة التنفيذية للوكالـة اليهودية والمنظمة الصهيونية . وفي الدورة الاولى لانعقـاد المجلس العام ، عقب انتهاء المؤتمر الصهيوني مباشرة ، جرى انتخاب لجنتين للعمل في اثناء الفترة التالية : لجنـة سياسية خاصة تضم ١٦ عضوا ، وعليهـا أن تقرر بشأن المفاوضات مع الحكومة البريطانية في لنـدن ، ولجنة للميزانية مؤلفة من ١٢ عضوا . بينما انعقدت الدورة الثانية للمجلس في زوريخ ، من ٢٥ آب (اغسطس) الى ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ ، في ظل تقرير « لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين » وتوصياتها حول تقسيم البلاد واقامة الدولة اليهودية في جزء منها .

والقـرارات السياسية التي صدرت عن المجلس الصهيوني العام آنـذاك أعربت عن الارتياح لصدور التوصية في انشاء دولة يهودية ذات سيادة عن اللجنة الدولية بأكثرية ملحوظة . لكنها استدركت بقولها : « ان الرقعة المقترحـة هي جزء يسير من المساحة

الموعودة اصلا للشعب اليهودي على اساس حقوقه التاريخية ، ولا هي تضم المناطق ذات الاهمية القصوى . ثم أعلنت القرارات أسفها للمقترحات التي قدمتها أقلية اللجنة بشأن الدولة الاتحادية ، فاعتبرتها بمثابة المشروع الرامي لتحويل فلسطين الى دولة عربية ، ومن المقدر لليهود ان يظلوا أقلية دائمة في مثل تلك الدولة .

كما أقدم المجلس العام على تعيين لجنة سياسية خاصة ، تتألف من ١٧ عضوا ، لتزويد اللجنة التنفيذية بالمشورة في جميع المسائل الناشئة عن مناقشة القضية الفلسطينية في الامم المتحدة . وحدد قرار المجلس مدة ولاية هذه اللجنة حتى دورة انعقاده التالية ، على ان تعمل مع اللجنة التنفيذية ، ولا يحق لاي من اعضائها اجراء المفاوضات مع اي عضو في الجمعية العامة للامم المتحدة أو أي مسؤول حكومي . أما تركيب اللجنة السياسية فقد جاء كما يلي : الصهيونيون العموميون (٥ أعضاء) ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون (٤) ، المزراحي (٣) ، التحريفيون (٢) ، هاشومر هتسعير (١) ، أحدوت هاعفودا (١) والهجرة الجديدة (١) .

وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية غير المشروعة (Haapala) الى فلسطين ، قرر المجلس العام اعتبار هذه الهجرة « في الظروف الحاضرة عاملا ذا أهمية أساسية في الكفاح السياسي الذي تخوضه الحركة الصهيونية ضد سياسة الكتاب الابيض ، وعملا حيويا لانقاذ بقايا اسرائيل » .

أما الاشارة الاولى الى الوضع المتغير بالنسبة للوكالة اليهودية فقد تضمنها قرار المجلس العام بتفويض اللجنة التنفيذية الصهيونية « لاجراء مباحثات مع الهيئات الملائمة حول تركيب الوكالة اليهودية في ضوء الحقائق الجديدة داخل الحياة اليهودية ... » . وعلى صعيد التنظيم الصهيوني العالمي سجل المجلس ارتياحه للجهود التي تبذلها دائرة التنظيم في سبيل انشاء فدراليات صهيونية ، وطلب الى هذه الدائرة مواصلة جهودها في الاتجاه المذكور . كما حدد بالتفصيل الصلاحيات التي تتمتع بها تلك الفدراليات ، وشدد على واجب الانضباط لدى اعضاء الفدرالية وضرورة أمتثالهم للقرارات الصادرة عن هيئاتها المسؤولة .

وتقول التقارير المرفوعة عام ١٩٥١ ان المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين (١٩٤٦) اتخذ قرارات متعلقة بالناحيتين التنظيمية والتشريعية داخل الحركة الصهيونية . بناء على قرار المؤتمر (رقم ١٣٠) أنشأ المجلس العام في دورة انعقاده الاولى (بازل : ٤٦/١٢/٢٨) لجنتين : لجنة استشارية للتنظيم ، تتألف من ١٣ عضوا (٤ منهم للصهيونيين العموميين ، ٣ للعماليين ، ٢ للمزراحي ، ٢ للمابام ، وواحد لكل من التحريفيين والهجرة الجديدة) ، على ان يحضر اجتماعات هذه اللجنة ممثلون عن الصندوق القومي اليهودي والصندوق التأسيسي لفلسطين ومنظمة النساء الصهيونيات WIZO . ولجنة تشريعية (بناء على قرار المؤتمر رقم ١٣٦) لوضع مقترحات بشأن التعديلات في القوانين والانظمة الاساسية للمنظمة الصهيونية : دستور المنظمة ، والنظام الداخلي للمؤتمر الصهيوني وقوانين الانتخاب والنظام الداخلي للمجلس الصهيوني العام . فاللجنة الاولى مارست اعمالها تحت رئاسة الياهو دوبكين ، عضو اللجنة التنفيذية والمسؤول عن دائرتي التنظيم والاعلام في الوكالة اليهودية . وتداولت بشأن التنظيم الصهيوني في العالم ، لكي تنتهي الى الموافقة على المشروع الرامي الى انشاء الفدراليات الصهيونية في البلدان التي لا توجد فيها مثل تلك الفدراليات . أما القضايا التي تمت بصلة مباشرة الى موضوعنا ، فقد عالجتها اللجنة اياها من زاوية « توزيع الوظائف » أو تقسيمها بين الحركة الصهيونية والدولة . والتقارير الصهيونية الرسمية تفيد بان مداولات اللجنة الاستشارية لشؤون التنظيم كانت أساسا لقرارات

بعيدة المدى جرى تقديمها الى المجلس الصهيوني العام ، لكي يصادق عليها ويقرها خلال الفترة اللاحقة لقيام الدولة .

سوف نتابع النظر في مسألة « توزيع الوظائف » من زاويــة القرارات التي أصدرهــا المجلس الصهيوني العام في دورتين من دورات انعقاده الست خلال الفترة الفاصلة بين انتهاء المؤتمــر الثاني والعشرين (١٩٤٦) وبين الاعــداد للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١) . وهما : الدورة الثالثة لانعقاد المجلس في تل ابيب بين ٦ و ١٢ نيسان (ابريل) ، ١٩٤٨ . والــدورة الرابعة في القــدس ــ تل ابيب ، من ٢٢ آب (اغسطس) الى ٣ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٤٨ .

ففي الدورة الثالثة انعقد المجلس الصهيوني العام « بحضور ٢٢ عضوا من اعضائــه » (البالغ عددهم ٧٧ عضوا) ، جــاء بعضهم من الخارج ، مثلما اشترك جميع الاعضاء المقيمين في البلاد . وتقول التقارير الصهيونية الرسمية انه « جرى نقل الاعضاء بطائرات خاصة من القدس المحاصرة والمقطوعة عن العالم الخارجي الى تل ابيب » . كما تؤكد التقارير اياها ان القرارات التي اتخذها المجلس العام في « هذه الدورة التاريخية » لم تنشر كلها في حينه ، وهي « سلسلة من القرارات الداخلية » التي أعرب فيها المجلس الصهيوني عن تأييده وتشجيعه للهجرة غير المشروعة الى فلسطين بالاضافة الى قراراته المتعلقة بتركيب « مجلس الشعب » و « ادارة الشعب » .

ان نصوص القرارات التي أفردت لها ملاحق خاصة في التقاريــر الصهيونية الرسمية تندرج تحت العناوين الثلاثة التالية : « القــرارات السياسية » ، و « برنامج الدفــاع الاقتصادي » و « التنظيم » بشقيه : « الاداري ــ القومي » والصهيوني. وسوف نقصر بحثنا على الناحيتين السياسية والتنظيمية فقط .

أ ــ **الناحية السياسية** : أصدر المجلس الصهيوني عند انتهاء دورة انعقاده في ٢١ نيسان (ابريل) بيانا عاما تعتبره بعض الكتابات الدعــائية الصهيونية بمثابة « الأعلان الثاني للاستقلال » . ففي كراس وضعه ارميا بن ــ جاكوب تحت عنوان « دليل الصهيونية » تطالعنا اعلانات ثلاثة للاستقلال الصهيوني : الاعلان الاول بتاريخ ١٢ نيسان (ابريل)، ١٩٤٨ ، والثاني في ٢٢ منه ، والثالث هو الاعلان المؤرخ في ١٤ ايار (مايو) من العام نفسه . والنص المختصر الذي تورده التقارير الرسمية في جملة القرارات الصادرة عن المجلس الصهيوني العام يأتي مطابقا للاعلان الثاني . فهــل يؤلف النص الاول والثاني نصا واحدا ؟ هذا ما ترجحه التقارير التي لجأت الى اختصار البيان العام . وبناء عليه ، يتألــف النص الكامل من الاعلانين المذكــورين اعلاه . فالفقــرات التي ذهبت ضحية الاختصار الصهيوني الرسمي تتعلق بموقف شديد العداء من « حكومة صاحب الجلالة البريطانية » التي تسلمت أمانة الانتداب من عصبة الامم قبل ٢٧ سنة ، « **وأخفقت في تحقيقها** » . والاتهامات الموجهة لحكومة الدولة صاحبة تصريح بلفور والمنتدبة علــى فلسطين تتضمن ما يلي : « لقد ابتعدت عن روح الانتداب واستبدلتها بالغرض الاناني في تعزيز مصالحها داخل الشرق الاوسط . ونتيجة لهذه السياسة منع لاجئونا من دخول البلاد في احلك ساعات ضيقهم . لا بل جرى توقيفهم واحتجازهم ، وكتب لهم ان يعيشوا حياة يكتنفها الخطر والاذلال والعجز . بينما كانت السلطة المنتدبة تتعامــل مع الــد أعدائنا ، أصدقاء النازيين وحلفائهم . . . » .

ومما يفسر بعض الدوافع الكامنة وراء اختصار البيان في التقارير الرسمية هو ان الفقرة المنشورة عن العرب تكتفي بالابقاء على ما يشبه النداء المسالم . فالبيان المختصر يقول: « في هذه الساعة التي جرى ارغامنا فيها على اراقة الدماء والنزاع ، نلتفت الى العرب في الدولة اليهودية والى جيراننا في المناطق المحــاذية بنداء التآخي والتعاون والسلام . نحن شعب مسالم ، جئنا الى هنا للبناء في سلام » .

بيد ان الناحية التي تطال موضوعنا من زاويته الصهيونية الرسمية تكاد تنحصر بفقرتين من البيان الصادر قبل اعلان قيام اسرائيل بشهر واحد على الاقل . الفقرة الاولى ، وهي مطلع البيان العام على ما يبدو ، تقول : « في هذا اليوم ، الموافق الثالث من نيسان (التقويم العبري) يعلن المجلس الصهيوني العام في المنظمة الصهيونية العالمية ، وهو أعلى هيئة فيها ، أمام شعوب العالم المتمدنة وعلى ممثلي الامم المتحدة واليهود المنتشرين في كافة انحاء العالم ، بانه تقرر انشاء اداة ذات سلطة عليا بالنسبة لاستقلالنا القومي في فلسطين » .

والفقرة الثانية التي تبدأ بها النصوص المختصرة لقرارات المجلس الصهيوني العام تحمل الصيغة التالية : « لقد قررنا ، استنادا الى سلطة الحركة الصهيونية واعتمادا على تأييد الشعب اليهودي كله ، انه عند انتهاء الحكم المنتدب سوف تكون هناك نهاية للحكم الاجنبي في فلسطين ، وان الدولة اليهودية كهيئة حاكمة سوف تظهر الى حيز الوجود » .

ان توقيت هذا البيان العام والصادر عن « أعلى هيئة » في المنظمة الصهيونية — باعتبار المجلس الصهيوني العام يمارس هذه الوظيفة خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمرين — جاء مرهونا بسير التطورات الجارية آنذاك داخل الامم المتحدة . فالقرار السياسي التالي الذي اصدره المجلس الصهيوني يحمل هذا العنوان : « بيان حول التغيير المقترح على سياسة الامم المتحدة » . وهو يأخذ علما بالبيان الصادر عن اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والفاد ليئومي ، ثم يؤكد عليه : « ان الوكالة اليهودية والفاد ليئومي علما ، مع الاسف والاستغراب ، بالموقف الذي تبناه الان ممثل الولايات المتحدة ومندوبها لدى مجلس الامن من قرار الامم المتحدة حول فلسطين » .

لكن بوادر التحول في الموقف الاميركي ترجع الى ما قبل ذلك التاريخ ، والى اواسط شهر اذار (مارس) ١٩٤٨ — عندما اخذت نظارة الخارجية الاميركية تعيد النظر في موقفها من التقسيم ، وتحدثت عن الحاجة الى عقد جلسة خاصة للجمعية العامة بقصد البحث في احتمال وضع فلسطين تحت وصاية الامم المتحدة . والمسارعة الصهيونية الى اعلان قيام الدولة — كما يقول التحريفيون — حدثت بعد ازدياد المخاوف من تحولات الموقف الاميركي . فقد نشرت صحيفة « الجويش ستاندرد » الناطقة بلسان الصهيونيين التحريفيين مقالا طويلا بقلم أ. ابراهامز ، عنوانه « مخاض الخلاص » (٢٦/٣/١٩٤٨)، واتهمت فيه الوكالة اليهودية بعدم التحرك للعمل واتخاذ زمام المبادرة الا في اعقاب المخاوف التي ساورتها من تحول الموقف الاميركي . ومما اكد عليه كاتب المقال : « والان تتحرك الوكالة نحو اعلان الدولة اليهودية ، ليس لسبب الا لكون اميركا قد تراجعت عن التقسيم ، وهناك خوف بانه اذا لم تعلن الدولة الان ، سوف يؤدي قرار صادر عن مجلس الامن او شبه قرار جديد تصدره الجمعية العامة للامم المتحدة الى حرمان الوكالة مما تميل هي الى اعتباره بمثابة صحتها القانونية وتبريرها القانوني حاليا » .

وخلاصة القول ، ان القرارات ذات الطابع السياسي والتي اصدرها المجلس الصهيوني العام — باستثناء البيان الذي يستند الى سلطة الحركة الصهيونية في اعلان قيام الدولة اليهودية — كانت في معظمها من قبيل أخذ العلم بقرارات اللجنة التنفيذية للوكالة ومنحها صفة التأييد الصهيوني العام . أما الناحية التي تنقلنا الى صلب الموضوع — موضوع العلاقة بين المنظمة العالمية والدولة اليهودية — فهي ناحية التنظيم الصهيوني عشية قيام الدولة .

ب — **الناحية التنظيمية** : جاءت قرارات المجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الثالثة لتعلن تشكيل « المجلس القومي » « والادارة القومية » بفلسطين ، عملا بالقرارات التي اتخذتها اللجنة التنفيذية الصهيونية — اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . فالمجلس القومي (« مجلس الشعب ») تألف من ٣٧ عضوا يمثلون « الحركة الصهيونية العالمية

في فلسطين ، واللجنة التنفيذية للفاد ليئومي » ، بالاضافة الى « مندوبي الهيئات العامة التي ليست ممثلة في المجلس الصهيوني العام او الفاد ليئومي » . وتمشيا مع قرار اللجنة التنفيذية الصهيونية (للوكالة اليهودية) أعلن المجلس الصهيوني العام تشكيل « ادارة قومية » مؤلفة من ١٣ عضوا ، ومسؤولة أمام المجلس القومي . هذه الادارة ظهرت غداة اعلان قيام اسرائيل على صورة « الحكومة المؤقتة » ، بينما تحول المجلس القومي الى « مجلس الدولة المؤقت » .

وازاء قيام الادارة القومية (الحكومة المؤقتة) ، بادر المجلس الصهيوني العام الى تحديد الوظائف المنوطة باللجنة التنفيذية الصهيونية (الوكالة اليهودية) بعد انتقال جزء من وظائفها وحقول نشاطها الى الدوائر الحكومية في الدولة اليهودية . فالقرار الصادر عن المجلس في دورة انعقاده الثالثة (من ٦ الى ٤٨/٤/١٢) يعين حقول النشاط التي سوف تبقى ضمن دائرة صلاحيات اللجنة التنفيذية الصهيونية على الشكل الآتي : ١ ـ الاستعمار الاستيطاني . ٢ ـ الهجرة ، لجهة تنظيمها في الشتات . ٣ ـ هجرة الاحداث والشبان . ٤ ـ التنظيم والاعلام والدعاية الصهيونية والنشاطات الثقافية . ٥ ـ التربية في الشتات . ٦ ـ أنشطة الطلائع (الرواد) والشباب . ٧ ـ تطوير القدس . ٨ ـ الصناديق القومية والاموال الموضوعة بتصرف اللجنة التنفيذية . ويعهد الى اللجنة التنفيذية الصهيونية باعداد خطة مفصلة لجهة دائرة صلاحيات ووظائف المنظمة الصهيونية (الوكالة اليهودية) ، بحيث تستند هذه الخطة الى القرار الصادر أعلاه ، لكي يصار الى تقديمها للمجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الرابعة .

ان هذا التوزيع الاولي للوظائف والمهمات بين المنظمة الصهيونية العالمية من جهة ، والادارة القومية (التي أصبحت الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية) ، من جهة ثانية ، بقي حبرا على ورق ولم يعمل به الا في وقت لاحق . فالمصادر الصهيونية تسهب في الحديث عن « مبدأ الفصل » الذي جرى اعتماده (Hafrada) في افراد صلاحيات المنظمة والدولة وعدم الجمع بين الطرفين . لكن ثمانية من أعضاء الحكومة المؤقتة (البالغ عددهم ١٣ عضوا) كانوا ينتمون الى عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية ، وظلوا يجمعون بين الحقيبة الوزارية والحقيبة الصهيونية طيلة شهور من تاريخ اعلان الحكومة المؤقتة . ولم يتحقق شيء من « الفصل » المزعوم في الصلاحيات الا عند مطلع أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ـ وبعد نشوب خلافات حادة داخل الحركة الصهيونية ، وبينها وبين الزعماء الذين انتقلوا الى مقاعد الحكم وأبوا التنازل عن مسؤولياتهم الصهيونية في اللجنة التنفيذية للمنظمة والوكالة .

٣ ـ الفصل والجمع بين السلطات :

تقول المصادر الصهيونية ان « ادارة الشعب » هي التي قامت بتوزيع الحقائب الوزارية في الدولة العتيدة على الاحزاب والكتل الصهيونية وفقا للنسب التالية : الماباي (أربعة مقاعد من أصل ١٣) ، الصهيونيون العموميون (٢) ، المابام (٢) ، المزراحي وجناحه العمالي (٢) ، أغودات اسرائيل (١) ، الهجرة الجديدة (١) والسفارديون (١) . فالدكتور حاييم وايزمان ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية رسميا حتى أواخر ١٩٤٦ (وبالتالي رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية) ، انتقل الى منصب رئاسة الدولة . بينما انتقل بن غوريون الى رئاسة الحكومة المؤقتة دون ان يتخلى في البداية عن منصبه في رئاسة اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (والمنظمة الصهيونية) ، بالاضافة الى تسلمه حقيبة « الدفاع » مع الاحتفاظ بوظيفته في الدائرة السياسية للوكالة .

والجدول التالي يبين توزيع الحقائب (الحكومية والصهيونية) بالنسبة لاعضاء اللجنة التنفيذية الذين كانوا في عضوية « مجلس الشعب » ابتداء من نيسان (ابريل) ثم أصبحوا أعضاء في « الحكومة المؤقتة » للدولة اليهودية :

	الانتماء الحزبي والصهيوني	الحقيبة الوزارية	المسؤولية الصهيونية	عضوية اللجنة التنفيذية
١ ــ دافيد بن غوريون	المباي	رئيس الحكومة ووزير الدفاع	رئاسة اللجنة التنفيذية، الدائرة السـياسية	منذ ١٩٣٣
٢ ــ موشيه شرتوك	المباي	وزير الخارجية	رئيس الدائرة السياسية للوكالة	منذ ١٩٣٣
٣ ــ اليعازر كابلان	المباي	وزير المالية	امانة الصندوق	أمين صندوق الوكالة منذ ١٩٣٣
٤ ــ دافيد رميز	المباي	المواصـلات	رئيس الفاد ليئومي	أحد مؤسسي الهستدروت
٥ ــ يتسحاق غرونباوم	صهيوني عمومي	الداخليــة	دائرة العمل في الوكالة	عضو اللجنة منذ ١٩٣٧
٦ ــ بيريتز برنشتاين	صهيوني عمومي	التجارة والصناعة والتموين	دائرة التجارة والصناعة	منذ ١٩٤٦
٧ ــ الحاخام يهوذا لايب فيشمان (ميمون)	مزراحي	وزير الشؤون الدينية	دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة	منذ ١٩٣٥
٨ ــ موشيه شابيرا	عمال المزراحي	وزير الهجرة	رئيس دائرة الهجرة	منذ ١٩٤٦
٩ ــ أهارون زيسلنغ	المابام	وزير الزراعة	اللجنة التنفيذية للهستدروت	أحد مؤسسي حزب « العمل الموحد »
١٠ــ موردخاي بنتوف	المابام	العمل والاشغال العامة	زعيم هاشومر، الهستدروت	عضو اللجنة التنفيذية للهستدروت
١١ــ بنحاس روزنبلوت (روزين)	الهجرة الجديدة	وزير العـدل	رئيس المنظمة الصهيونية الالمانية وزعيم المهاجرين الالمان	عضو سابق في اللجنة التنفيذية (١٩٢٦ ــ ١٩٣١)
١٢ــ بيهور شالوم شطريت	السفارديون (المباي)	وزير الشرطة (والاقليات)		قـاض
١٣ــ الحاخام اماثير ليفين*	اغودات	وزير بلا وزارة	رئيس اللجنة التنفيذية العالمية لمنظمة اغودات اسرائيل	

* تقول بعض المصادر الصهيونية (الجويش كرونيكل ، ٤٨/٥/٢١) انه عرضت على الحاخام ليفين وزارة البرق والبريد . والملاحظ من جدول الحقائب الوزارية انه لا توجد حقيبة لوزارة التربية والتعليم ، أو لوزارة الصحة .

هناك سبعة وزراء في الحكومة المؤقتة جمعوا حتى شهر أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٤٨ بين الحقيبة الوزارية والمسؤولية عن احدى الدوائر التابعة للوكالة اليهودية واللجنة التنفيذية الصهيونية . والعضو الثامن بين أعضاء اللجنة الذين انتقلوا الى الحكم مع احتفاظهم بالمنصب الصهيوني هو غولدا مايرسون (مئير) ، التي تعينت سفيرة اسرائيل في الاتحاد السوفياتي (١٩٤٨ ــ ٤٩) . وفي التقارير الصهيونية الرسمية نقرأ ان الاعضاء الذين دخلوا في الحكومة المؤقتة قدموا استقالتهم من عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية اثناء دورة انعقاد المجلس الصهيوني العام في تل أبيب بين ٢٢ آب (اغسطس) و٣ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٤٨ ، باستثناء السيد اليعازر كابلان .

لكن الرواية التحريفية تتحدث عن موقف للصهيونيين الاميركيين داخل المجلس ، اذ طالب هؤلاء باقصاء الوزراء الاسرائيليين في الحكومة المؤقتة عن عضوية اللجنة التنفيذية . فهي تقول ، مثلا ، ان المفاجأة التي شهدتها دورة المجلس الاولى بعد قيام الدولة كانت في تصميم الصهيونيين العموميين (واكثرهم من المندوبين الاميركيين) على ايجاد فصل تام بالنسبة للمسؤولين والوظائف بين حكومة اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية . ونعرف من مذكرات ناحوم غولدمان انه وقف آنذاك ضد دعاة الفصل في الوظائف: « كنت واحدا من القلائل الذين عارضوا هذا الفصل في الوظائف ، لانني أدركت ان ما يبدو بمثابة الاجراء العادي في بلدان سوية قد يكون غير ملائم بالنسبة لنا ، ويشكل خطرا علينا » . ثم يتابع غولدمان مؤكدا : « لقد صوتت أكثرية المجلس الصهيوني العام الى جانب هذا الفصل في السلطات ــ فالاسرائيليون صوتوا معه بدافع الحماس للدولة ، وغير الاسرائيليين خوفا من اتهامهم بالولاء المزدوج » . هنا تدخل رواية التحريفيين من جديد لتربط بين أمرين: تحقيق الائتلاف الوطني داخل اللجنة التنفيذية التي شكلها المجلس العام ، والتوصل الى اتفاق بشأن انسحاب الوزراء الحكوميين من عضوية اللجنة . فالاوساط الصهيونية المحسوبة على الماباي ــ يقول التحريفيون ــ اخذت تراهن على العداء التقليدي بين « المابام » والتحريفيين بقصد الحيلولة دون ضم ممثل او اكثر عن الحركة التحريفية لعضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية . لكن ميل التحريفيين الى الوقوف بجانب الصهيونيين الاميركيين ضد تحالف الماباي ــ المابام جعل معارضي الفصل يتراجعون عن موقفهم . كما تقدم الصهيونيون الاميركيون باقتراح يرمي الى استبدال فرع الوكالة اليهودية القائم آنذاك في نيويورك بفرع اميركي يمثل اللجنة التنفيذية الصهيونية . وسوف نعود الى تناول هذا الموضوع بعد قليل .

اما « الحل الوسط » الذي تم التوصل اليه ــ بعد تمديد اجتماعات المجلس ــ فقد تضمن العناصر التالية :

أ ــ انسحاب الاشخاص الذين دخلوا الحكومة المؤقتة من عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية ، باستثناء وزير المالية ــ كابلان ــ الذي اشترط المعارضون لبقائه في اللجنة أن يبقى دون حقيبة صهيونية .

ب ــ انضمام التحريفيين الى اللجنة التنفيذية الصهيونية في صيغتها الائتلافية الجديدة بعد توقيعهم على بيان (١٩٤٨/٩/١) يتعهدون فيه بما يلي :

« نعترف بكون « جيش الدفاع الاسرائيلي » هو القوات المسلحة الوحيدة لدولة اسرائيل، والتي ينبغي وضعها بتصرف الحكومة .

« نعرب عن معارضتنا الواضحة لوجود اية وحدات مسلحة ومنشقة تسعى لممارسة وظائفها في أرض اسرائيل والخارج . وسوف نحارب مثل هذا العمل .

« لن ندخل ، سواء مباشرة أو بطريق غير مباشرة ، طرفا في أي اتفاق مع اية جماعة

سياسية في هذه البلاد أو خارجها — متى كانت محكمة المؤتمر الصهيوني تعتبر نشاطات هذه الجماعة متعارضة مع المبادىء المذكورة أعلاه .

« نتعهد بالامتناع عن القيام بأي نشاط سياسي منفصل ويمكنه ان يتنافى مع الانضباط الصهيوني » .

ج — اعتماد التركيب العددي التالي في تشكيل اللجنة التنفيذية : الماباي ٧ مقاعد (مقعدان منهم للحركة الصهيونية العمالية في أميركا) ، الصهيونيون العموميون ٦ مقاعد (من جملتهم مقعد للهداسا) ، المزراحي وجناحه العمالي ٣ مقاعد ، المابام مقعدان ، التحريفيون مقعد واحد ، وبهذا يكون المجموع ١٩ مقعدا .

والملاحظ من هذا التوزيع الجديد أن المباي تقدم على الصهيونيين العموميين في النسبة العددية ، مما أتاح له مجال السيطرة عن طريق التحالفات ، تارة مع المابام وطورا مع المزراحي — كما في الحكومة المؤقتة — بحيث لا يستطيع الصهيونيون العموميون ان يتغلبوا على كتلته حتى ولو كسبوا تأييد التحريفيين .

أما اللجنة التنفيذية « الجديدة » للمنظمة الصهيونية فقد توزع أعضاؤها على مركزين : في اسرائيل ونيويورك ، بالاضافة الى فرع لندن الذي قام على ادارته البروفسور سيليغ برودتسكي — كما في السابق — وبقي يشغل هذا المنصب الصهيوني حتى تعيينه رئيسا للجامعة العبرية في القدس (تموز ، ١٩٤٩) .

فالفرع الاسرائيلي احتفظ بالاعضاء التالين : ١ — الياهو دوبكين (المباي) : بقي على رأس دائرتي « التنظيم والاعلام » و« الشباب والرواد » ، وقسم المبعوثين الى الخارج ، ٢ — اليعازر كابلان (المباي) : وزير المالية ، وعضو في اللجنة بدون حقيبة صهيونية ، ٣ — بيرل لوكر (المباي) : رئيس الدوائر في القدس (أي رئيس فرع اللجنة التنفيذية الصهيونية في اسرائيل) ورئيس دائرة العلاقات العامة (التي حلت محل الدائرة السياسية في الوكالة سابقا) ، ٤ — ليفي اشكول (المباي) : دائرة الاستيطان الزراعي (وفيما بعد جمع اشكول بين أمانة الصندوق في اللجنة التنفيذية وبين وزارة المالية في الحكومة الاسرائيلية) ، بينما شغل حينذاك (١٩٤٨ — ٤٩) منصب المدير العام في وزارة الدفاع ، ٥ — اسرائيل غولدشتاين (رئيس الكونفدرالية العالمية للصهيونيين العموميين) : دائرة أمانة الصندوق ، حتى استقالته عام ١٩٤٩ من عضوية اللجنة التنفيذية ، وعودته الى نيويورك (آب ، ١٩٤٩) شغل المنصب بعده يتسحاق غرونباوم (١٩٤٩/٥/٥) ، وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة ، ثم احتله ليفي اشكول ، ٦ — موشيه كولدوني (كول) — (الصهيونيون العموميون): دائرة هجرة الاحداث والشبان، ٧ — اسحاق فيرفل (روفائيل) : دائرة الهجرة ، ٨ — ي. زوربابل (المباي) : رئيس دائرة اليهود في الشرق الاوسط ، ٩— مئير غروسمان (التحريفيون) : الدائرة الاقتصادية ، ١٠ — الحاخام ز. غولد (مزراحي) : دائرة انماء القدس ، ١١ — حاييم غرينبرغ (الصهيونية العمالية في أميركا) : دائرة التربية والثقافة في الشتات ، ١٢ — ي. براجنسكي (مزراحي) وزفي هيرمان (صهيوني عمومي) : دائرة استيعاب المهاجرين، ١٣ — ش. ز. شراغاي (مزراحي) : بدون حقيبة صهيونية .

أما الفرع الاميركي فقد تألف من هؤلاء الاعضاء : ١٤ — ناحوم غولدمان : أصبح رئيسا لفرع اللجنة التنفيذية في نيويورك بعد استقالة الحاخام ابا هيلل سيلفر في مطلع ١٩٤٩ ، ١٥ — عمانوئيل نويمان : رئيس الدائرة الاقتصادية في الفرع الاميركي ، استقال مع الحاخام سيلفر في مطلع ١٩٤٩ ، ١٦ — السيدة روزهالبرين: صهيونية عمومية (أميركا)، ١٧ — حاييم غرينبرغ (أنظر أعلاه) ، ١٨ — زفي لوريا (صهيوني عمالي) — المابام (١٩٠٦ — ١٩٦٨) ، ١٩ — الحاخام ابا هيلل سيلفر (تسلم رئاسة « دائرة العلاقات

العامة » التي حلت محل الدائرة السياسية هناك) وترأس فرع اللجنة التنفيذية في نيويورك حتى استقالته في مطلع ١٩٤٩ ، ٢٠ — باروخ زوكرمان (لا يمثل حزبا صهيونيا ، وهو ما يسمى في قاموس الصهيونية بـ Virilist) ، ٢١ — الحاخام ليون غيلمن (مزراحي) انتقل الى اسرائيل « بعد أيلول ١٩٤٨ » ، واشترك في فرع نيويورك بصفة مستشار ، ٢٢ — جوزيف شختمان (تحريفي) نائب عضو في اللجنة .

ومن الملاحظ ان التقارير الصهيونية الرسمية تتحاشى الحديث عن دوائر الفرع الاميركي، تاركة الامر للتقرير المرفوع من اللجنة التنفيذية هناك . كما يؤكد تقرير اللجنة التنفيذية (والوكالة اليهودية) الى المؤتمر الثالث والعشرين ان الدوائر الخمس التي انتقلت الى حكومة اسرائيل هي التالية : الدائرة السياسية ، دائرة التجارة والصناعة ، دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة ، دائرة العمل ، دائرة توطين رجالات الخدمة السابقين .

وفي مقدمة التقرير ترد أسماء الدائرة الاحصائية والقسم الديني في عداد الدوائر التي توقفت عن أداء وظائفها . مثلما يتبين لنا من القائمة المدرجة أعلاه أن التنظيم الصهيوني في ظل الدولة اليهودية بادر الى استحداث دوائر جديدة في اللجنة التنفيذية، وهي الدوائر التي ، انشئت بدافع المهمات الملحة التي تتعلق بتجميع المنفيين : من افتتاح مكتب لرئيس اللجنة التنفيذية تتبع له « دائرة للعلاقات العامة » ، الى دائرة استيعاب المهاجرين ، ودائرة تطوير القدس ، ودائرة التربية والثقافة في الشتات ، والى دائرة الشؤون اليهودية في الشرق الاوسط ودائرة استرجاع الممتلكات اليهودية في المانيا . هذا بالاضافة الى التغييرات والتوسيعات التي جرى احداثها في اطار الدائرتين : الاقتصادية والاعلامية .

٤ — توزيع المهمات من جديد :

غداة اعلان قيام الدولة اليهودية سارعت بعض الاوساط الصهيونية في الخارج الى استخلاص النتائج المترتبة عن وجود اسرائيل بالنسبة للحركة الصهيونية ويهود العالم وعلاقة الوكالة اليهودية بالدوائر والاجهزة الرسمية التابعة للدولة . فالدكتور ناحوم غولدمان كتب مقالة منشورة بتاريخ ٢١ أيار (مايو) ١٩٤٨ يقول فيها ما يلي : « ان الدولة اليهودية سوف يقوم على توجيهها السياسي كل من يهود فلسطين والاقلية العربية داخل الدولة ... ومن الطبيعي ان يولي اليهود من خارج فلسطين اهتمامهم العميق ، روحيا ومعنويا ، بتطور هذه الدولة . بيد انه لن يقوم رابط على الصعيد السياسي بين يهود الشتات والدولة اليهودية . أما الوكالة اليهودية على الشكل الذي توجد به اليوم ، فانها سوف تختفي من الصورة . اذ مع نهاية الانتداب يكون الاساس القانوني لوجود الوكالة اليهودية قد انتهى أيضا » .

بينما تحدثت المجلة الصهيونية التي نشرت مقالة غولدمان (وهي مجلة ناطقة بلسان الاتحاد الصهيوني البريطاني) في مطلع مقالها عن «الذين مهدوا السبيل أمام قيام الدولة» من أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية ، فأشارت الى كون الحكومة المؤقتة لدولة اسرائيل هي « الزعامة الجديدة لليشوف » . ثم استدركت قائلة : « لكن الحركة الصهيونية العالمية مستمرة قيد الوجود ، وأمامها وظائف كثيرة تنتظر التحقيق . ومع ان الوكالة اليهودية قد فقدت وضعها الدولي بموجب صك الانتداب على فلسطين ، فهي سوف تبقى الهيئة التمثيلية للشعب اليهودي في جميع المسائل المتصلة بالوطن اليهودي» . وانتهت المجلة الى القول بأن التركيب الجديد للحركة الصهيونية سوف تنظر بأمره الدورة التالية لانعقاد المجلس الصهيوني العام ، كما يتوقع ادراج الموضوع على جدول أعمال المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين « في وقت لاحق من هذه السنة » (١٩٤٨) — باعتبار ان انعقاد المؤتمر يحين موعده كل عامين ، بموجب دستور المنظمة .

وهناك رأي صهيوني ثالث أعربت عنه المذكرة التي أعدهـا الفرع البريطاني للوكالة اليهودية الموسعة ، وأصدرها في كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٥٠ . تقول المذكرة ان الوكالة الموسعة « فقدت الكثير من غرضها الاصلي » . ثم تؤكد ان المهمات الرئيسية للوكالة اليهودية خارج اسرائيل تتضمن — الى جانب حملات جمع الاموال وجباية التبرعات — تدريب الرواد وتشجيع الهجرة والعلاقات العامة والنشاط الاعلامي ، بالاضافة الى نشر اللغة والثقافة العبرية بين اليهود المقيمين خارج اسرائيل ، وتشجيع التوظيفات والاستثمارات المالية في اسرائيل ، متى أمكن ذلك . لكن هذه المهمات تحتاج مبادرتها وتطويرها الى حركة قوية ذات ايديولوجية حيوية . وهنا تستدرك المذكرة بقولها : « ان هذه الميزات الاخيرة لم ترمز الى الوكالة الموسعة اطلاقا ، بل هي متأصلة في المنظمة الصهيونية العالمية » . ما العمل ، اذن ؟ تقترح المذكرة ان يصار الى حل الوكالة اليهودية الموسعة باتفاق حبي . وانتقال وظائفها الى المنظمة . والاساس القانوني ؟ ان أصحاب المذكرة يلفتون الانتباه الى « حقيقة » مطوية لكي ينبشونها مؤكدين انها تقوم مقام الاساس القانوني المنشود . وهذه « الحقيقة » تبدو لهم على النحو الآتي : بعد انشاء الوكالة اليهودية الموسعة (١٩٢٩) ، طلب الى الحكومة البريطانية — بموجب دستور الوكالة — اعطاء التأكيدات بأنه فيما لو جرى حل الوكالة ، سوف تتمتع المنظمة الصهيونية بالوضع القانوني ذاته والذي تمتعت به قبل توسيع الوكالة بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب . والحكومة البريطانية في ذلك الحين قدمت التعهدات والتأكيدات المرجوة . لكن المذكرة لا توضح طبيعة التعهدات المعطاة ، بل تنتقل مباشرة الى استخلاص النتيجة التالية : بما ان الانتداب قد انتهى الآن (١٩٥٠)، وعلما بأن دستور الوكالة اليهودية ينص على البند المذكور أعلاه ، فانه ليس من غير المعقول تصفية الوكالة اليهودية ونقل وظائفها الى المنظمة الصهيونية العالمية .

ولدى مراجعة « دستور الوكالة اليهودية الموسعة » يتبين من مواد الاتفاقية المعقودة بين وايزمن — سوكولوف (عن المنظمة الصهيونية) ، من جهة ، وبين مجموعة من الاشخاص الذين وضعوا تواقيعهم عن « اللاصهيونيين » في عدد من البلدان ، من الجهة الاخرى — ان المادة ١٥ (« وضع الاتفاق موضع التنفيذ ») تتحدث بالفعل عن « البند » الذي أشارت اليه المذكرة . لكن هذا التلاعب والدوران حول النصوص لا يغير شيئا من حقيقة انتهاء الصفة القانونية للوكالة مع نهاية الانتداب على فلسطين .

ففي أواخر شهر آب (اغسطس) من العام ١٩٤٨ تنادى المجلس الصهيوني العام لعقد دورته الرابعة (الاولى بعد اعلان قيام اسرائيل) ، لكي « ينظر في المشاكل المتعلقة بالصلات بين الدولة اليهودية والحركة الصهيونية ، ويعمل على رسم الحدود الفاصلة لسلطات كل من الطرفين في جميع الحقول الواقعة خارج فلك الدولة السيدة » . ويمضي التقرير الرسمي ، المرفوع من اللجنة التنفيذية ، الى القول ان « احدى النتائج الرئيسية لاجتماع المجلس كانت في تكليف اللجنة التنفيذية الصهيونية بمهمة تنظيم الهجرة » الى اسرائيل . فالقرار المفصل الذي اتخذه المجلس آنذاك جاء على تعيين الدوائر التي تحتفظ بها اللجنة التنفيذية الصهيونية مثلما قام بتحديد الوظائف والمهمات المنوطة بكل دائرة منها . وسوف ننقله هنا كما ورد بنصه الحرفي في التقارير الرسمية الصهيونية (١٩٥١) :

« تحتفظ اللجنة التنفيذية الصهيونية بالدوائر التالية :

١ — **دائرة الهجرة** : ويشمل نطاق عملها ما يلي : (أ) تدريب المهاجرين (باستثناء الرواد والطلائعيين منهم — أنظر : دائرة الشباب والطلائع — الرواد) . (ب) ادارة « مكاتب فلسطين » في الخارج . (ج) التقدم من الحكومة ، بين وقت وآخر ، بمقترحات حول « كوتا » الهجرة ، على أن تحتفظ الحكومة بالقرار النهائي لتثبيت الكوتا .

(د) توزيع حصص الهجرة على البلدان المختلفة ، بالتشاور مع الحكومة . (هـ) اختيار المهاجرين من بين أفراد كل كوتا ، لجهة انتمائهم الى فئات الرواد ــ الطلائع والهجرة العمالية (والفئات التي لا يشملها هذا البند : الراسماليون ، واقارب المقيمين في البلد ، وطلاب المؤسسات التربوية في البلد،والخبراء الخ ــ اذ يتلقى هؤلاء اذونات الدخول من حكومة اسرائيل) . (و) تنظيم الهجرة ونقل المهاجرين الى شواطىء اسرائيل .

٢ ــ **دائرة استيعاب المهاجرين** : العناية بالمهاجرين توضع بيد المنظمة الصهيونية ، وهي التي تقوم على تزويد الاموال اللازمة . سوف يتم انشاء هذه الدائرة الجديدة لكي تعمل بالتعاون مع الحكومة .

٣ ــ **دائرة الاستيطان الزراعي (الاستعمار)** : تتعاطى نشاطات الاستيطان الجديد ، على نحو مماثل في نطاقه للنشاطات المدرجة تحت دائرة الاستعمار سابقا في الوكالة . (Hityashvut).

٤ ــ **دائرة هجرة الاحداث والشبان** : تشمل جميع النشاطات في اسرائيل والخارج . (Youth Aliyah).

٥ ــ **الدائرة الاقتصادية** : وتتضمن مهماتها ما يلي : أ ــ تعبئة الرساميل الخاصة بقصد التوظيف في اسرائيل . ب ــ تزويد الخارج بمعلومات عن الشؤون الاقتصادية في البلد . ج ــ بث الدعاية في الخارج لترويج المنتوجات الاسرائيلية . د ــ تشجيع السياحة وتنظيمها .

٦ ــ **دائرة انماء القدس وتطويرها** .

(جاء في قرارات المجلس الصهيوني العام تحت موضوع « القدس » ما يلي : الى أن يتقرر الوضع السياسي للقدس ، تنشأ دائرة خاصة لتطوير القدس تحت اشراف عضو واحد أو اثنين من أعضاء اللجنة التنفيذية . وتقام في القدس ادارة محلية تمثل جميع الهيئات العامة المسؤولة عن مصير المدينة) .

٧ ــ **دائرة أمانة الصندوق** .

٨ ــ **دائرة العلاقات العامة** (ملحقة بمكتب رئيس الدوائر ، ورئاسة اللجنة التنفيذية) . والسبب الرئيسي وراء انشاء هذه الدائرة ، بعد اغلاق الدائرة السياسية في الوكالة وانتقال المسؤولين عنها الى وزارة الخارجية في الحكومة المؤقتة ، هو كما تقول التقارير الصادرة عن اللجنة التنفيذية :

« وحتى بعد انشاء دولة اسرائيل وقيام حكومتها ، فما زال من الضروري الحفاظ على مقدار معين من العلاقات الخارجية ، لشن حملة اعلامية صهيونية على نطاق واسع ولخلق جو من التفهم والعطف في أوساط الرأي العام غير اليهودي على منجزات اسرائيل ومشاكلها ، ولتقوية مركزها في الميدان الدولي » .

٩ ــ **دائرة التنظيم والاعلام** : تشرف على شؤون الاعلام الصهيوني وقضايا الدعاية الصهيونية .

١٠ ــ **دائرة الشباب والرواد (الطلائع)** : تقوم على تدريب الرواد .

١١ ــ **دائرة النشاطات التربوية والثقافية في الشتات*** .

١٢ ــ **دائرة فرعية للشؤون اليهودية في الشرق الاوسط** (بالاشتراك مع دائرتي الهجرة والتنظيم) . »

وقد جاء في القرارات الصادرة عن المجلس الصهيوني العام آنذاك (أيلول ، ١٩٤٨) ان هذا المجلس « يلفت انتباه اللجنة التنفيذية للوكالة الى الحاجة الملحة في انشاء

« دائرة فرعية خاصة لانقاذ اليهود في البلدان العربيـــة والعمل على تهجيرهم الـــى اسرائيل » .

ان هذا التشكيل الجديد للدوائر الصهيونية ، واعادة تعيين المهمات الملقاة على عاتقها في ظل الدولة اليهودية ، يؤكد على مجموعة بارزة من الحقائق التي يصعب تجاهلها . فالمنظمة الصهيونية ــ الوكالة اليهودية (وهما اسمان لمسمى واحــد) قامت بدور « حكومة الظل » خلال الانتداب البريطاني على فلسطين . والوصف الذي جاء عنها في تقرير لجنة بيل ــ من انها « حكومة قائمة جنبا الى جنب مــع الحكومة المنتدبة » ــ ينطبق عليها تمام الانطباق . أما عندما انتقلت « حكومة الظل » الى مقاعد الحكم الفعلي لدى اعلان قيام الدولة وتأليف الحكومة المؤقتة ، فان المنظمة الصهيونية لم تشأ ترك الساحة وتصفية أعمالها . بل فرضت على نفسها الاستمرار في ظل ما قيل انه مبدأ الفصل التام بين صلاحياتها وسلطات الحكومة . ومن الواضح ان معظم المهمات التي أنيطت باللجنة التنفيذية للمنظمة ــ الوكالة هي من الامور التي تقع ضمن سيادة الدولة وتخضع لاشرافها .

معنى ذلك ان المنظمة الصهيونية تابعت ممارسة وظائفها كهيئة عامة الى جانب دولة اسرائيل . وهذا على الرغم من « ان نهاية الانتداب البريطاني وقيام دولة اسرائيل في ١٤ أيار (مايو) ، ١٩٤٨ ، قد أنهت السلطة القانونية للوضـــع الذي تمتعت به المنظمة الصهيونية ــ الوكالة اليهودية كهيئة عامة . فالامم المتحدة لم تتخذ اي اجراء لتزويد المنظمة بالاساس الحقوقي الذي يؤمن استمرارها . وبما ان خلق دولة اسرائيل كان هدفا سياسيا من اهدافها الرئيسية ، فالمرء قد يستنتج بأن المنظمـــة انتهت الى الحل الآن . لكن الحقائق والوقائع تشير الى استمرارها في ممارسة الوظائف » .

والتقارير الصهيونية الرسمية التي جيء على ذكرها أعلاه تؤكد صحة هذا التحليل . فالدائرة السياسية لدى الوكالة اليهودية تحولت الى وزارة الخارجية ، لكي تأخذ محلها « دائرة العلاقات العامة » . ودائرة الشؤون الاجتماعيـــة أصبحت وزارة الشؤون الاجتماعية ، بينما تحولت منظمة الهاغاناه الى « الجيش الاسرائيلي » . أما دوائر الهجرة والاسكان واستيعاب المهاجرين والاستيطان الزراعي فبقيت « مشتركة » بين المنظمة والدولة ذات السيادة . حتى أن مهمة استقطاب المهاجرين واستجلابهم الى فلسطين بعد قيام الدولة استمرت في كونها من ابرز الوظائف المنوطة بالمنظمة الصهيونية العالمية. والدور المالي للوكالة اليهودية ، من خلال مواصلة الصناديق القومية لحملات الجباية وجمع التبرعات ، يبرز على حقيقته في التقارير الرسمية عن الفترة الممتدة من ١٩٤٦ الى ١٩٥١ ، حيث تقرر اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ان الصناديق المالية الصهيونية قامت « بتمويل المجهود الحربي ضد الدول العربية في أثناء الشهور الاولى من القتال وخلال الفترة السابقة لنشوب القتال » .

لقد تساءلت صحيفة « الجويش ستاندرد » ، الناطقـــة بلسان التحريفيين ، في احدى مقالاتها المنشورة بتاريخ ١٣ شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، تحت عنوان « مستقبل الحركة الصهيونية » ، عما تراه سيحل بالمنظمة الصهيونية العالمية لدى ظهور الدولة اليهودية الى حيز الوجود . واستطرد كاتب المقالة مؤكدا : « ومما تجدر ملاحظته ان السؤال اياه لم يطرح بالنسبة للوكالة اليهودية ، لان الافتراض السائد في كل مكان يشير الى تعذر وجود الوكالة جنبا الى جنب مع حكومة الدولة ، بل سوف يتم حلها وتختفي بصورة آلية » .

أن مثل هذه التساؤلات والتوقعات ــ على ما فيها من تجاهل مقصود لوحدة الحال بين المنظمة والوكالة ــ تبددت كليا غداة قيام الدولة وتوزيع المهمات بين الحكومة والادارة

الصهيونية . وفي النقطة الاولى من البيان الذي أصدره المجلس الصهيوني العام (٣/٩/ ٤٨) في ١٤ نقطة ، وبمثابة القرارات السياسية ، نقرأ ما يلي : « انشاء الدولة هو بداية حقبة جديدة في تاريخ الشعب اليهودي ... ان الحركة الصهيونية ، وهي التي تجمع في ذاتها بين الشعب اليهودي المقيم في الدولة وبين أولئك الذين أخلصوا لفكرة الاحياء القومي وهم يتوزعون في سائر انحاء العالم ، واجهت المهمات الضخمة في تنظيم الهجرة الحرة وتجميع المنفيين واستعمار المناطق الموات من أرض اسرائيل واخصاب صحاريها». ثم جاء البند الثامن ليؤكد « الحق الاساسي لجميع اليهود في مغادرة بلدان شتاتهم والاستيطان في بلدهم القومي » .

وفي منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٤٨ ، أعلنت الوكالة اليهودية انها تنوي انشاء مائة مستوطنة جديدة في « مجرى السنة اليهودية الحالية » كجزء من مشروعها للاستعمار الاستيطاني ، مع تخصيص ميزانية بقيمة مليوني جنيه استرليني لهذا الغرض فورا . ثم عمدت اللجنة التنفيذية الصهيونية (للوكالة اليهودية) الى اثبات التزامها بما جاء في « أعلان قيام اسرائيل » عن تجميع يهود العالم وفتح ابواب البلاد أمامهم — والى استباق قانون العودة ١٩٥٠ — فاتخذت خلال اجتماعها الذي عقدته عند اواخر ١٩٤٩ القرار التالي بشأن الهجرة : « تمشيا مع قرارات المجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الاخيرة بالقدس ، تؤكد اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية من جديد على مبدأ الهجرة الحرة ، هذا المبدأ الذي يؤلف شرطا مسبقا لتجميع المنفيين . وتعلن ان المبدأ المذكور بقي في موضع الاساس من سياسة اللجنة التنفيذية في حقل الهجرة والاستيعاب». « ان ابواب دولة اسرائيل مفتوحة امام كل يهودي يرغب في الهجرة او يقدر عليها او ترغمه الظروف على الهجرة الى وطنه » .

---

* بادرت اللجنة التنفيذية عام ١٩٤٨ الى انشاء هيئة خاصة أو لجنة فرعية وأوكلت اليها مهمة القيام بتقصي مشاكل الاعلام الصهيوني والتربية الصهيونية . وتحددت مهمات هذه اللجنة بما يلي : أ — توضيح معنى التربية الصهيونية . ب — اقرار الوسائل اللازمة للقيام بالدعاية الصهيونية من جانب كافة المؤسسات التي تنهمك بمثل هذا العمل . ج — استقصاء تدريس الصهيونية في المعاهد اليهودية القائمة في سائر انحاء الشتات . د — دراسة الوسائل الاعلامية المتبعة حاليا . هـ — وضع الخطوط الرئيسية للتركيب الصهيوني الجديد في حقل التربية والتعليم .

الوقوف على الحد الفاصل

خالد ابو خالد

أسميكِ

...   ...

ماذا أسميكِ ؟

مخفورة في الذهابِ

ومغدورة في الإيابِ

ندىً

أو دماً

تارة يتخزن تحت الترابِ

وأخرى سحاباً يغطي سما الضفتين

وما بين نارين تنتفضين

ويسّاقطون فرادى وجمعاً .. رفاقي

تضيعين مني ؟

تضيعين .. حتى أساميكِ

ما بين محترف الزيفِ والزيفِ

في زمن بدويٍ

يناقش موضوعة الاحتلالِ

ويلعب دور المخدّر في المذبحة

أغمس كفي بأشلاء أهلي

وفي جسد الوطن العربي المسجّى

على طول تلك المسافة ما بيننا

حيث كنتِ ... أكون

وحيث تصيرين ... أنشل ضلعي
وأكتب حرفاً وحرفاً
أعاشر معتقلات البداوةِ والغزوِ

في حالتينِ
تداخلتُ
صوّرت بالعين عرضاً طويلاً لكل العصيِّ
وكل الكرابيجِ
سجلتُ في جسدي متحفاً
فيه كل صنوف الذخيرةِ
ماذا اسميك ؟
إني أسميك باسمي
وانت الملايينُ
والحبُّ
والارضُ
والليلُ
ما بين قطبين
وجهي .. وعكا

يقولونَ ...
ماذا يقولون ... ؟ قبل الاناشيدِ
خلف الاناشيدِ
او بَعدها
في المنابرِ
او تحتها
في المواخيرِ
لا تنصتي
إنني اذ أحاصرُ ما بين شطينِ
أقتل بالصمتِ والصخبِ

أقتل داعية للتخطي من الارضِ للارضِ
اقتل تحت شعار مكافحة الخارجين على جدول الضربِ
والسحق
أقتل باسم القضاء على الأوبئة

وأقتل في وطني
آه .. في وطني
ألف عمان قائمةٌ
ظهرها في جبين فلسطينَ
أما السكاكين
والجندُ
والمدفعيةُ
والطائراتُ

فلا تخجلي
إنها أُشرعت في الكمين الاخيرِ
وتنتظر الأمرَ من سترة لمّعت كل ازرارها
بالجاعة ... والدمّ
إني ارى مقتلي قاب قوسٍ وأدنى
فقومي
أناديك بالصوتِ
والموتِ
من كل ما احتل مني
ومن كل ما ظلّ منا
ومن صدر أمي
ومن مأزق المرحلة
اراكِ
وإني ارى خلف وجهي .. وجوهاً
تداري به ذلها

انهم يتقنون التنكرَ
فالكرنفال الذي كرسوه طقوساً
يصير تقاليد في وطن ضيّعوه ُ
وضاعت تقاليده ُ
لست منهم
فهم بعد ُ كانوا
وظلوا
طوال زمان الهزائم والأمنياتِ
وعبر تطوّر حرب الاذاعاتِ
ظلوا
الى القدس لافتةً
ولهاثاً الى الغلة الكاذبة

وان قلت يا وردة الدم خلفتهم يهدرون مصيري
وغادرتهمْ
صرت منهمْ
وان قلت واكبتهم
صرت منهمْ
وما بين هذين تنصب مشنقتي والمذابحُ
كل المطارات مسدودةٌ والمعابرُ

ما بين هذينِ
متهم بالتخلي عن النومِ والنائمينَ
ومتهمٌ بالهزيمة
متهم بالجريمة
لكنني بين هذين أصمدُ
أشحذ صوتي وأسلحتي وعذابي
وأجترح المعجزة

أناديكِ ..
ماذا أناديكِ ؟
« قطر الندى »
كلما أمطرت مقلتاكِ .. وقلبي .. دمي
أرعنت في جبال الخليلِ الخلايا
وشرق الشريعةِ
فوق تخوم بلادي
أرى الارض خارطةً عمرتها الحرائق بالحرب
بالثورة العربيةِ
من ساحة المغرب العربيِّ
الى المشرق العربيِّ
على جبهة القصرِ
ألقاكِ بعدُ محاربةً في الطريق الى الناصرة
وإني ارى فقراء القرى والحواري
غداً يخرجون اليّ
وبيرقهم بيرقي
وشعاري من النهر للبحرِ
صار شعاراً من البحرِ
للبحرِ
للبحرِ

حيفا كبيروتَ
واللد .. كالقاهرة ..
سألتك يا جوهر الحزنِ والنارِ
ماذا يفرق بين بنيكِ
وبين الأقاليمِ
وحدّنا توأمان .. البطولةُ والصبرُ
فرّقنا توأمان .. العصاباتُ
والسادةُ الجانحون

الى ذبح مدريد
عبر مذابح كل البلاد التي يحكمونَ
البلاد التي يذبحون البنات الصغيراتِ فيها
وتحت شعارٍ
يقول : نجنبها المذبحة

سألتك بالدمّ
هل شاركوا الدم مجراهُ
أم شاركوا الامراء التواقيعَ
والدخلاء المشاريع والكأس
والوقفات المذلةِ
في مجلس الأمنِ
قرب العظام التي يعرضون على المائدة

أحاورك الليلة اتفقوا
ان يخيطوا لهم علماً
من بقايا ثيابكِ
أن يغسلوها
لتخرج بيضاء من غير أبنائك الشهداءِ
ومن غير بصمات كفك فيها
وعمرك فيها
ورائحة الدمّ والعشبِ والجمرِ والطرق المتربات
لتخرج بيضاء من غير سوءٍ — كما يزعمونَ —
تؤهلهم ان يسوقوا صغار بلادي الى المقبرة
وها .. انني الآن أرفع كفي
أقرأوا فيه مجزرةً ونذيراً
أحذّر من كل جيش يموت من البردِ
تحت الحريقِ

وتحت الشعاراتِ
والامتيازاتِ
والجوع للعبة الخاسرة

وأنذركم ان نازلة تتخفى وراء الحجارةِ
والطاولاتِ
وفي لغة الخطباءِ
وفي لغة السفهاءِ
وفي لغة الحكماءِ
وفي الصحف الرائجة

هنا أنتضي الآن صوتاً ذبيحاً
يحذر من كل بوابة للخروج سوى الحرب بالشعبِ
إني أسميكِ حربي
وإني أناديكِ حربي
وما بين موتكِ
والأرضِ
ما بين نصركِ
والأرضِ
أن تسقطي الأدعياءَ
التوابيتَ
أن تربطي حول زندي شرايين قلبكِ
أن تمنحيني عظامي جسوراً
على الماءِ
أن تعبري فوقنا مرتينِ
الى الغربِ
والشرقِ
بالشعبِ
بالشعبِ
والأسلحة

ملاحظات اولية على حزب الشعب الثوري الاردني

عصام الصالح

لم تكن الحركة الوطنية في الاردن ، منذ بداياتها الاولى ، بمعزل عن التيارات السياسية والاحداث التي اجتاحت تاريخ العرب المعاصر ، بل على العكس من ذلك تماما كانت دائما في الصميم منها ، تنفعل بها وتؤثر فيها على سواء . واذا استعرضنا تاريخ هذه الحركة لوجدنا ان ارتباطها بالقضايا العربية الكبرى كان دائما ارتباط مصير اذ كانت هذه القضايا محورا اساسيا بل تكاد تكون محورا منفردا شغل هذه الحركة طوال تاريخها واستقطب جهد العاملين فيها منظمات وافرادا . وتاريخيا ، تمثلت البدايات الاولى للحركة الوطنية في شرقي الاردن بحزب الاستقلال الذي انشأته جمعية العربية الفتاة في سوريا في العام ١٩٢٠ في اثناء الحكم الفيصلي . وقد اتخذ اعضاء هذا الحزب بعد معركة ميسلون وانهيار الحكم الفيصلي ، اتخذوا من شرقي الاردن قاعدة لعملياتهم في سوريا*، وبذلك ارسى هذا الحزب منذ اللحظة الاولى لتأسيس الكيان الاردني تقليداً في التوجه نحو القضايا العربية في شكل اصبح هذا التوجه سمة الحركة الوطنية في الاردن خاصة عندما اصبحت القضية الفلسطينية في المركز من القضايا العربية . وقد وعت القوى الوطنية في الاردن مركزية القضية الفلسطينية ، فوجهت لها جهدا خاصا ، وهو ان كان عفويا وغير منظم الا انه دليل واضح على اتجاه اصبح تقليدا في الحركة الوطنية في الاردن** . وقد كرس هذا التقليد وحافظ عليه ودفع به في اتجاه متصاعد قبل العام ١٩٤٨ **حزب اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني** الذي تأسس في العام ١٩٢٩ والذي

* نظر الاستقلاليون الى اتفاق الامير عبدالله مع تشرشل في العام ١٩٢١ على انه معاكس لاهدافهم في استعادة سوريا من الفرنسيين وقد خيب هذا الاتفاق آمالهم . وفي محاولة لاكتساب دعمهم قدم لهم عبدالله مناصب عليا في ادارته ، وكان رشيد طليع اول رئيس لمجلس المشاورين من بين صفوف حزب الاستقلال . (انظر : Naser Aruri, *Jordan: A study in Political Development*, p. 25) وقد دخل الحزب في صراعات مع الامير عبدالله «وكان قصد رجال هذا الحزب اضعاف شوكة الامير وارغامه على الاستسلام لهم ليكون طوع ارادتهم او انهم يهدفون الى خلعه » . (انظر : عودة القسوس ، **مذكرات عودة القسوس** — نسخة محفوظة في مركز الابحاث) . وبعد أن تصاعدت اعمال الاستقلاليين ضد القوات الفرنسية ضغطت بريطانيه على الامير عبدالله لاخراج أعضاء الحزب من الاردن وتم له ذلك في العام ١٩٢٤ . (انظر : سليمان موسى، **تأسيس الامارة الاردنية** ، ص ١٦٩ ، ١٧٠) .

** في العام ١٩٢٠ قام سكان منطقة عجلون بعمل ايجابي في مقاومة البريطانيين في فلسطين فقد جمعوا جموعا غفيرة وعقد اجتماع كبير تقرر فيه القيام بهجوم على الانجليز واليهود . وقد أغارت جموع الاهلين في نيسان ١٩٢٠ على سمخ وبيسان وبعض القرى اليهودية . وانقطع نتيجة هذا الهجوم سير القطارات بين حيفا ودمشق وتعطلت المواصلات الهاتفية ، فسارعت السلطات البريطانية وأرسلت طائراتها لقصف تحشدات المهاجمين بالقنابل ، فاضطر المهاجمون الى التراجع والعودة الى قراهم بعد أن قتل عشرة من رجالهم بينهم الشيخ كايد المفلح ، زعيم ناحية الكفارات . (انظر : منيب الماضي وسليمان الموسى ، **تاريخ الاردن في القرن العشرين** ، ص ٩١ ، ٩٢) .

قاد المعارضة في شرق الاردن مدة طويلة . وقد تصدى هذا الحزب للامير عبد الله وقاوم محاولاته بيع أراضي شرقي الاردن للصهيونية في العام ١٩٣٤ ، كما قاد الانتفاضة الوطنية المسلحة في شرق الاردن منذ اواخر العام ١٩٣٧ حتى العام ١٩٣٩ والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالثورة الفلسطينية الكبرى* . وقد تأتى هذا الافق العربي للحركة الوطنية في الاردن نتيجة عوامل عدة : فبالاضافة للعوامل الجغرافية التي جعلت من شرقي الاردن منطقة محاذية لمناطق الاحداث الرئيسية في العالم العربي ـ خاصة فلسطين ـ وبالاضافة الى ارتباط مصير شرقي الاردن بمصير الوطن العربي ، فقد كان للعوامل التي ارتبطت بتأسيس الامارة نفسها أثر في هذا التوجه العربي الملح . فقد كان خلق الانجليز لامارة شرق الاردن في العام ١٩٢١ كدولة منفصلة خلقا من العدم تماما ولم يكن الاردن من قبل قد اتحدت اجزاؤه او دانت بالخضوع لعاصمة واحدة في داخل البلاد**، وبذلك فان أي شعور بالانتماء الاقليمي كان غير وارد في ظل تطلعات القوى الوطنية نحو تحرير الوطن العربي وتوحيده ، كما ان هذه القوى كانت تدرك ان الكيان الاردني كيان مستحدث ومصطنع لم تترسخ جذوره بعد . لذلك فان الاشواق الوطنية لم تكن لتتوقف عند الحدود التي اصطنعت بل كانت تتعداها الى رحابة الوطن العربي الكبير . لذلك فلم يكن بمستغرب ان يواجه الامير عبد الله وادارته اول ما يواجهان تظاهرات صاخبة قامت في عمان في شهر اب ١٩٢١ بسبب اعتقال السلطات البريطانية المجاهد السوري ابراهيم هنانو في القدس***. كما ان ادارة الامير واجهت في الوقت نفسه هياجا شعبيا في عمان عندما حاول الضابط البريطاني بيك (الذي كان يتولى قيادة القوة السيارة في شرق الاردن) القاء القبض على احمد مريود المسؤول عن حادث الهجوم على الجنرال غورو في ١٩٢١/٦/٢٣ ومحاولة اغتياله ، مما اضطر بيك ان يسترجع قواته العسكرية التي خرجت من عمان لتلك الغاية****. كذلك لم يكن بمستغرب ان تلجأ المعارضة يوما الى المنفى في دمشق وتقود معارضتها من هناك ، كما حدث مع **جماعة الشباب الاحرار** التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية بزعامة الدكتور صبحي ابو غنيمة والتي اضطرت الى هذا اللجوء بعد اشتداد حملة الامير عليها.

وبعد العام ١٩٤٨ ترسخ هذا الخط ذو الافق العربي : أصبحت الحركة الوطنية في الاردن امتدادا لحركة التحرر العربية وجزءا منها . وقد لعبت الاحزاب والمنظمات السياسية التي نشأت خارج الساحة الاردنية دورا كبيرا في هذا المجال اذ انشأت فروعا لها في الاردن ارتبطت تنظيميا بالمركز الذي كان دائما خارج الاردن . كما كان لنضوج الوعي القومي الذي أسهمت نكبة العام ١٩٤٨ في بلورته وتصعيده دور كبير في استشراف الافاق القومية من جانب الحركة الوطنية في الاردن . وفي الوقت نفسه لا نقلل من الدور الذي قام به الفلسطينيون في الاردن في انشداد الحركة الوطنية الى آفاقها القومية .

ومن الملاحظ ان جميع الحركات والاحزاب السياسية الوطنية التي قامت في الاردن بعد العام ١٩٤٨ كانت جميعا ـ باستثناء الحزب الوطني الاشتراكي ـ امتدادا لاحزاب وحركات عربية ترتبط معهذه الاحزاب والحركات بروابط تنظيمية معينة تنفي عنها ان تكون احزابا محلية .

---

* راجع تفاصيل هذه الانتفاضة في كامل محمود خلة ، **التطور السياسي للمملكة الاردنية ١٩٢١ ـ ١٩٤٨** ، في الصفحات ٢٩٣ ـ ٢٩٨ (وهي رسالة ماجستير في جامعة القاهرة . نسخة من الرسالة محفوظة في مركز الابحاث) .

** الدكتور أنيس صايغ ، **الهاشميون والثورة العربية الكبرى** ، ص ٢٣٠ .

*** موسى ، **تأسيس الامارة** ، ص ١٣٩ . وقد اتهم ضابطان في الجيش بالتحريض على التظاهرات هما الرئيس صالح النجداوي وأخوه توفيق النجداوي ، وشملت التهمة كذلك الزعيم علي خلقي الشرايري .

**** **المصدر نفسه** ، ص ١٣٨ . وفي اثر تلك الحادثة قدم رشيد طليع استقالته الى الامير عبدالله .

هذه المقدمة وجدناها ضرورية تمهيدا لقراءة وثيقة صدرت عن حزب اردني اعلن عن تأسيسه في تشرين الاول ١٩٧٢ ، واضح من تسميته « حزب الشعب الثوري الاردني » ومن الوثيقة الصادرة عنه « ملامح اولية حول مسألة الثورة الوطنية الديمقراطية في الاردن » انه يجهد لان يكون حزبا محليا في الاردن ، وهو امر لافت للنظر بعد ان تبين من خلال ما سلف أن الحركات السياسية في الاردن كانت في الاغلب امتدادات لاخرى عربية.
والسؤال الذي يطرح هنا هو ما هي الظروف التي تدفع نحو تشكيل حزب في الاردن بعد ان كان الشعار المطروح حتى الان هو تشكيل جبهة وطنية تشارك فيها القوى الوطنية الاردنية وحركة المقاومة الفلسطينية على حد سواء . ان الاجابة عن مثل هذا التساؤل تكمن في تقديرنا في حقيقتين متناقضتين تماما ومتسببة عنهما معا في وقت واحد : تجربة حركة المقاومة في الاردن حتى ايلول ١٩٧٠ ، وتصاعد المد المضاد الذي قاده النظام الهاشمي والذي اتخذ شكلا اكثر شراسة في ايلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ .
ان الوجود الكثيف لحركة المقاومة في الاردن بعد العام ١٩٦٧ لم يتح الفرصة كاملة للحركة الوطنية الاردنية في النمو والاتساع والتصاعد . فبالاضافة لظروف الحركة الوطنية الاردنية الذاتية نفسها والتي كانت تعاني من ضعف نتيجة الحملات التي قادها ضدها النظام الهاشمي قبل ١٩٦٧ بالاضافة الى ذلك مثلت حركة المقاومة امام الجماهير قفزة نوعية متقدمة وتجاوزا للحركات الوطنية التي سبقتها . فانشدت الجماهير اليها وانخرطت في صفوفها متجاوزة هي الاخرى حالات التأييد التي منحتها للحركات السياسية التي كانت قائمة قبل نشوء المقاومة الفلسطينية . بتعبير اخر كانت الصورة كما يلي : حركة وطنية ضعيفة وممزقة ، وجماهير معرضة عنها متجهة الى بديل استجاب اكثر الى طموحاتها وفهمها للعمل . بجانب ذلك فان الحركات والقوى الوطنية العربية التي كان لها امتدادات في الساحة الاردنية حولت هي الاخرى امتداداتها التنظيمية الى فصائل تعمل ضمن أطار حركة المقاومة . ومن هنا فان الجهد الذي قامت به الحركة الوطنية في الاردن بعد العام ١٩٦٧ (تمثلت هذه الحركة بالامتدادات العربية وبالشخصيات الوطنية والمنظمات المهنية والنقابية) كان جهدا متجها نحو رفد حركة المقاومة الفلسطينية ودعمها وتهيئة الاجواء لتصاعدها . وهذا الجهد — ولا نقلل من اهميته وخطره — لانه كان متجها نحو تدعيم حركة المقاومة الفلسطينية والمشاركة فيها لم يلتفت جديا وجذريا الى معالجة القضايا الاردنية المحلية التي وان كان لها مساس مباشر بالقضية الفلسطينية الا انها تظل منفصلة عن برنامج حركة المقاومة الفلسطينية المتجهة بصورة اساسية — وهذا مبرر وجودها — نحو النضال من اجل تحرير فلسطين.
واكثر من ذلك ففي المرات القليلة التي التفتت فيها الحركة الوطنية الاردنية نحو معالجة القضايا المحلية فقد كان هذا الالتفات يتم تحت راية المقاومة الفلسطينية . فيلاحظ مثلا ان النضال المطلبي الذي قامت به نقابات العمال والذي بلغ اوجه في الاشهر القليلة التي سبقت مجزرة ايلول ارتبط ارتباطا وثيقا بحركة المقاومة وكان فعلا متمتعا بحمايتها ، وما كان له ان يحقق انجازاته في تلك الفترة لولا تلك الحماية*. ومن جهة اخرى كانت تصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن سببا في انكشاف ظهر القوى الوطنية فيه . واذا كانت هذه التصفية قد تلبست بقناع اقليمي فقد كان واضحا من خلال

* نشرت صحيفة « **فتح** » ١٩٧٠/٧/١ رسالة من عمال وأصحاب مصانع الخياطة العسكرية تتقدم بالشكر للمكتب العمالي لحركة فتح للمساعي الحميدة التي قام بها واسهمت في انهاء الخلاف بين اصحاب العمل والعمال بالشكل الذي ضمن للعمال جميع مطالبيهم بعد اضراب استمر يوما . نشرت « **الهدف** » ٧٠/٦/٢٠ بيانا صادرا عن الجبهة الشعبية حول مطاليب عمال شركات المواد العمرانية قالت فيه : أن ج.ش.ت.ف. التي وقفت باستمرار مع اضرابات العمال انطلاقا من التزامها الايديولوجي والسياسي ترى في المطاليب التي قدمها عمال الشركة مطاليب عادلة لا بد من اسنادها .

ممارسات النظام القمعية التي لم تميز بين وطني فلسطيني ووطني اردني ، ان النظام قد استفرد بالقوى الوطنية الاردنية بعد زوال الحماية التي منحتها لها حركة المقاومة لذلك فان هذه « النشوة الاقليمية » التي حاول النظام اسكار الجماهير الشرق أردنية بها سرعان ما سوف تتبخر ، عندما تكتشف الجماهير هذه ان هذا النظام الذي حاول ان يجعل منها اداته في قمع حركة المقاومة هو هو جلادها القديم ، وان ممارساته القهرية والاستغلالية القديمة هي ذاتها التي تمارس ضدها راهنا وان كان بوطأة اشد بعد أن اصبح وحيدا في مواجهتها . والنتيجة الحتمية والمنطقية لذلك ان تبدأ الجماهير بالدفاع عن نفسها وتشرع في خلق تكتلاتها القادرة على التصدي للنظام . وبسبب غياب حركة المقاومة العلني عن الساحة الاردنية ، وهي الحركة التي ساندت القوى الوطنية فان **الاتجاه سوف يكون بالضرورة نحو خلق منظمات سياسية اردنية فلسطينية محلية تعمل من خلال بحث الجماهير عن مصالحها واشباع تطلعاتها ، على تحقيق المهمات الوطنية الاردنية التي لم تدخل في صلب برامج حركة المقاومة الفلسطينية ، وفي الوقت نفسه سوف تكون هذه المنظمات حليفة حركة المقاومة في الاردن لان القضية الفلسطينية هي في المحور من المهمات الوطنية الاردنية .**

من هنا يدرك الاهتمام بالاعلان عن تأسيس حزب أردني ، يؤكد من جانب على « مركزية القضية الفلسطينية » والعمل لتحريرها تحريرا كاملا ترابا وشعبا (ص ٦ من الكراس ، الطبعة الثانية) ، ولكنه في الوقت نفسه يلتفت الى هموم الجماهير في الاردن ويتصدى لحلها ويطرح لنفسه مهمات محلية : سياسية واجتماعية واقتصادية ، ويحاول بالاضافة الى ذلك ان يضع قضية التحالف بين النضالين الاردني والفلسطيني في صيغة تستفيد من التجارب التي مضت ولكنها تخطو بها خطوة متقدمة أكثر فهما لمعنى التحالفات . فالشعار السابق الداعي الى اقامة الجبهة الوطنية الفلسطينية — الاردنية يتخذ له هنا شكلا تفصيليا واكثر تحديدا . فاقامة مثل هذه الجبهة يتطلب في البداية « **وجود جبهة وطنية اردنية** تضم مجموع القوى الوطنية والديمقراطية في الاردن **تتحالف** بارقى اشكال صيغ التحالف وأكثرها جدية مع **جبهة وطنية فلسطينية** تضم بدورها فصائل المقاومة الفلسطينية » (ص ٣٧) . ومن الواضح ان ايجاد هذه الجبهة الوطنية الاردنية ليس من مهمات حركة المقاومة ، بل هي منوطة بتصاعد الحركة الوطنية في الاردن ومرتهنة بقدرتها على التصدي للعمل ، وان كانت حركة المقاومة ، باعتبارها حركة ثورية عربية، يتوجب عليها ان تقوم بدور في تهيئة الظروف الملائمة لقيام مثل هذه الجبهة ومدها بالاسباب التي تساعدها على تحقيق أغراضها . ان مهمة بلورة النضال الاردني هي مهمة القوى الوطنية في الاردن بالدرجة الاولى سواء اكانت هذه القوى شرق اردنية ام فلسطينية ، ذلك « ان اي تعبئة لقوى الشعب الاردني لا تعني استثناء الفلسطيني [الموجود في الاردن] ما دام هناك واقع طبقي واحد ، فالخصم واحد ولا بد من برنامج واحد لتعبئة كل الطاقات في مواجهة كل الخصوم » (ص ٢٨) . وفي المقابل « فان تعبئة الجماهير الفلسطينية وحدها لتواجه كل القوى المعادية ضرب من الخيال لا يجيز لنا سوى الاستهلاك المادي والبشري والمعنوي » (ص ٢٨) . ان هذه المعادلة بين الحركة الوطنية الاردنية وحركة التحرر الفلسطيني تجعل العلاقة بينهما محددة واضحة . فاذا كان المطلوب من حركة التحرر الفلسطيني ان توجه جهدها في الاساس الى تنمية ذاتها لتحقيق هدفها في التحرير وفي الوقت نفسه تخلق الاجواء الثورية في العالم العربي — والاردن خاصة — لتنمية الاتجاهات الثورية الجذرية ، فان امام الحركة الوطنية الاردنية انجاز المهمات العامة للثورة الوطنية الديموقراطية وفي الوقت ذاته تهيئة المناخ الملائم الذي يمكن حركة المقاومة الفلسطينية من الوصول الى اهدافها .

والمهمات الوطنية التي يطرحها الحزب في كراسه (ص ٣٤ — ٣٩) تندرج تحت العناوين

الرئيسية التالية : اسقاط النظام الرجعي القائم واقامة نظام وطني ديموقراطي يستند الى تحالف جميع القوى والطبقات الديموقراطية ويفسح المجال لتحرير الاقتصاد الاردني من القيود التي تفرضهـا عليه الوصاية الامبريالية والرجعيـة وارساء قاعـدة صلبة للتصنيع ، واقامة اقتصاد زراعي موجه وتحرر العلاقات السياسية للاردن من كل انواع التبعية واقامة السياسة الخارجية على اسس من مركزية القضية الفلسطينية من جهة ونهج عربي وطني تقدمي معاد للامبريالية والصهيونية والرجعية من جهة ثانية واقامة اوسع العلاقات والصداقة مع المعسكر الاشتراكي من ناحية ثالثة .

وهذه العناوين الرئيسية تستند الى فهـم الحزب لطبيعة المجتمع الاردنـي والنظام الهاشمي الحاكم . ففي مقدمة الكراس يوضح الحزب أن « الاردن محكوم من قبل نظام رجعي مرتبط مع الاستعمار » (ص ٥).كما أن النظـام الهاشمي ما وجد الا لتسهيـل اقامة الوطن القومي اليهودي وطمس فلسطين من ذاكرة الامة العربية* » (ص ٩) . اما عن نمط علاقات الانتاج في الاردن وهو النمط الذي يقرر شكـل المجتمع ، فنقرأ في الكراس (ص ٢١ — ٢٤) العناوين التالية : يعيش الاردن كمـا تعيش دول العالـم الثالث المتخلف ، تنمو فيه تجارة الاستيراد والانتاج الاستهـلاكي واقتصاد الخدمـات والعقار ، اما الطبقة السائدة في الاردن فهي طبقة الوكلاء التجاريين في المدينة والاقطاع في الريف والمدينة ، ومع ازدياد انتشار الثقافة توسعت طبقة البرجوازية الصغيرة عبر الوظائف والاستخدامات وقد تحول بعضها الى مواقع بيروقراطية الدولة المساهمة في الحكم المتحالفة مـع الاقطاع العشائري والرأسمـال التجاري ، والجيش هو احدى المؤسسات الاقتصادية في الاردن كما انه اداة السلطة لارهاب الجماهير مدعوما بذراع الدولة البوليسية والمخابـرات الفاشية . اما العامـل فهو يبيع قوة عمله الى صاحب المؤسسة مقابل كسب بسيط لا يكفيه لنصف حياته** .

مثل هذا المجتمع تتضح فيه أي القوى التي لها مصلحة في بقاء نظام الحكم القائم حاليا ، وأي القوى التي لها مصلحة أساسية في التغيير . وقد حدد الكراس (ص ٢٩ — ٣١) القوى الاولى ، والتي وصفها بأنها « خصم الجماهير وعدوها » ، بأنها طبقة كبار الملاك الذين لهم أجود الاراضي الزراعية ولها أملاك عقارية واسعة في المدن وهي تسيطر كذلك

---

* في محادثات القدس التي تمت بين تشرشل والامير عبدالله التي ابتدأت يوم ٢٨ آذار ١٩٢١ أوضح تشرشل في الجلسة الاولى عندما عرض ان تكون شرقي الاردن تحت ادارة حاكم عربي (وكان مؤتمر الشرق الاوسط في القاهرة الذي عقد برئاسة تشرشل في ١٢ آذار ١٩٢١ قد اوصى بالتوصل الى ترتيب مرض مع عبدالله الذي كان قدم من الحجاز) أوضح ان الحكومة البريطانية تتوقع من ذلك الحاكم ضمانا بأن يتفادى القيام بنشاطات معادية لليهود في شرقي الاردن وألا يسمح بقيام نشاطات من هذا النوع ، ومن المفترض في ذلك الحاكم أن يتقبل السياسة البريطانية في فلسطين الى الغرب من نهـر الاردن لتتمكن الدولة المنتدبـة (بريطانيه) من الوفاء بالتزاماتها الدولية . وقد وافق عبدالله على ذلك . (انظر : سليمان موسى ، **المصدر السابق** ، ص ١١٢) . كما نذكر هنا بما كتبه السير اليك كركبرايد ، المعتمد البريطاني في شرقي الاردن في عهد عبدالله ، الذي ذكر ان الحكومة البريطانية كانت منهمكة في انشاء ادارة مدنية في فلسطين ، ولم تلق كثيرا من الاهتمام للمناطق البعيدة وغير المتطورة شرقي نهر الاردن ، والتي كان يقصد ان تكون **مناطق احتياط** تستعمل لاعادة توطين عرب فلسطين بعد أن يتحقق الوطن القومي لليهود في فلسطين والذي تعهدت بريطانيه بدعمه . (انظر : (Alec Kikbride, *A Crakle of Thorns*, p. 19) .

** نشير هنا الى أن معدل الاجور للمستخدمين في الصناعات الاردنية في العام ١٩٦٨ كان ٢٦٨ دينارا أردنيا في السنة. ومن الملاحظ ان هناك نسبا متدنية جدا في اجور بعض الصناعات مثل الكسارات (١٩٢ دينارا)، الملابس والخياطة (١٩١) ، الاثاث والمفروشات (١٨٠) ، منتجات المطاط (١١٢) ، الالات غير الكهربائية (١٦٥) ، معدات النقل (١٧٥) . (المصدر : **دائرة الاحصاءات العامة** ، تقرير الدراسة الصناعية للعام ١٩٦٨ ، عمان ١٩٧٠ ، جدول رقم ١ — ٢) .

على مؤسسات الدولة مثل الجيش والحكومة والبرلمان ، كما تضم البرجوازية الكبيرة المسيطرة على المصانع والشركات ، ووكلاء الشركات الاجنبية والسماسرة (الكمبرادور) الذين يقومون بعملية استغلال يومية لجماهيرنا نتيجة علاقاتهم المتشابكة مع الطبقة البرجوازية الكبيرة . وحدد الكراس هذه الطبقات بأنها تمثل نسبة ٥ بالمئة من السكان. أما القوى التي لها مصلحة في التغيير أو قوى الثورة كما يسميها الكراس فهي العمال (نحو ربع مليون) والفلاحون (أكثر من نصف مليون) والبرجوازية الصغيرة والمثقفون الثوريون وشرائح من البرجوازية الوطنية ، والبدو وهم أكثر القطاعات تخلفا وجهلا وضياعا (ص ٢٦) . أما الطريق الذي يتشوف اليه الكراس وصولا الى تعبئة قوى الثورة والانتصار على « العدو الطبقي » فهو في قيام التنظيم الثوري القادر على استيعاب كل القوى الوطنية والثورية وابدال حنقها وحقدها الى عمل مبرمج . وهذا التنظيم السياسي « الحزب الثوري » يستند الى فكر الطبقة العاملة وبرامجها ويمارس العنف الثوري ، بالاضافة الى جبهة وطنية عريضة تحمل السلاح (ص ٢٧) ، فالعنف الرجعي لا يمكن ان يواجه الا بالعنف الثوري القادر على صد هجمات وشراسة الرجعيين ، خاصة وان كل طبقة تستميت في الدفاع عن مواقعها وما على قوى الثورة الا استعمال العنف الثوري المستند الى تحليل سياسي وطبقي وايديولوجي حتى تحقق الانتصار على خصومها (ص ٣٣) .

هذه هي الافكار الرئيسية التي طرحها الحزب في كراسه حول مهمات التحرر الوطني الديموقراطي في الاردن . وقد أشرنا سابقا الى مركزية القضية الفلسطينية في برنامج الحزب . ذلك ان الحزب يعتبر « ان فلسطين وأرضيتها تشكل الان قوة لمسيرة الثورة العربية ومادة انتصارها ، كذلك هي جزء من حركة الثورة العربية التي هي حركة الجماهير ، وليست حركة الانظمة ، ويجب أن تتسع التحاما بالجماهير العربية الثورية حتى تؤمن لها الثورة الرافدة على طريق حرب الشعب الطويلة الامد القادرة على فهم مهمات التحرير الوطني الفلسطيني الكامل لكل التراب الفلسطيني واسقاط الوجود الصهيوني على الارض العربية » (ص ٢٩) .

يبقى هناك بعض الملاحظات التفصيلية على الكراس نوردها كما يلي : ١ — بعض المعلومات التاريخية : جاء في الصفحة (١٠) ان لقاء تشرشل وعبدالله في القدس كان في ١٧ آذار ١٩٢١ ، والصحيح ان اللقاء كان في ٢٨ آذار ١٩٢١ واستمر الى ٣٠ آذار . وفي الصفحة نفسها ايضا جاء انه في السنة ١٩٢٨ تألفت أول قوة عسكرية بالاردن عرفت باسم قوة حدود شرق الاردن . والصحيح ان قوة الحدود شكلت في العام ١٩٢٨ اما اول قوة عسكرية شكلت في شرق الاردن فقد كانت في العام ١٩٢٠ (قبل تأسيس الامارة) بعد أن أرسل الضابط البريطاني فردريك بيك الى شرق الاردن لتنظيم الادارة وقد خوله المندوب السامي في فلسطين تشكيل قوتين صغيرتين واحدة من مئة رجل لتقوم بحراسة طريق عمان — فلسطين والاخرى من ٥٠ رجلا لتساعد المعتمد البريطاني في الكرك . وبعد قدوم الامير عبدالله الى شرق الاردن وتأسيس امارته فيها اخذ بيك على عاتقه مهمة تشكيل كتائب وقوات عسكرية متدرجا بتوسيع هذه القوات . وفي أيلول ١٩٢٣ اعطيت هذه القوات اسم « الجيش العربي » ، وفي تشرين الثاني من العام نفسه أعطى الامير عبدالله لقب أمير لواء للضابط بيك الذي أصبح قائدا للجيش*.

٢ — حول تأسيس الامارة : اذا كان صحيحا باطلاق ان النظام الهاشمي ما وجد الا لتسهيل اقامة الوطن القومي اليهودي وطمس فلسطين من ذاكرة الامة العربية (ص ٩) فانه صحيح كذلك ان هذا الدافع الرئيسي وراء انشاء الكيان كان يصاحبه دوافع أخرى

---

* لمزيد من التفصيل حول انشاء الجيش الاردني انظر P. J. Vatikiotis, *Polotics and the Military in Jordan*, Chapter IV

لا نقلل من قيمتها . فكما لاحظ الدكتور انيس صايغ* عند تعليقه على تأسيس امارة شرق الاردن « أصبحت التفرقة بسبب الكيانات عملا شرعيا له حرمته . أصبحت الولاية او المحافظة السابقة وطنا له شعاره ورايته ودستوره وأصبح العمل على ازالة هذه الرموز ، أي العمل للوحدة ، خيانة بحق الكيان . وقامت مع الكيانات طبقة المنتفعين بها . وتحول الكثيرون من رجال الحركات الوطنية العاملة قبل ١٩٢٠ للوحدة والاستقلال الى سند يدعم الكيانات لانهم ينتفعون منها ، واخذوا يقاومون اي حركة صحيحة للوحدة ... [كما] افشلت الكيانات الجهاد في سبيل الاستقلال ... [و] رأى السياسيون البريطانيون هذه المكاسب لهم في التفرقة ، بنظرهم البعيد ، قبل حصولها فعملوا لها وحققوها في وقت قصير » . بالاضافة الى ذلك فينبغي الا نقلل من أهمية العوامل البترولية في خلق الكيان الاردني. وعودة الى التاريخ الذي سبق تأسيس الامارة تكشف هذه الاهمية . ففي الفترة ما بين ١ و٤ كانون الاول ١٩١٨ عقدت في لندن جلسات

بين لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيه ، وكليمنصو ، رئيس الحكومة الفرنسية ، جرى فيها تعديل سري على اتفاقية سايكس — بيكو ، وقد طلب جورج في تلك المحادثات **نقل الموصل وفلسطين الى نصيب بريطانيه** ، وقد وافق كليمنصو على ذلك**. وغني عن البيان ان هذا الطلب البريطاني كان لتأمين منابع البترول في الموصل وطرق شحنه عبر فلسطين التي كانت بالاضافة الى حدودها الاقليمية الان تشمل ما وراء نهر الاردن شرقا . وفي مذكرة عمل قدمتها بريطانيه في العام ١٩١٩ تتعلق باحتلال سوريا وفلسطين والعراق الى ان يتخذ قرار بشأن توزيع الانتداب جاء ما يلي : « وفقا للمبادىء التي تتضمنها اتفاقية سايكس — بيكو فان الحكومة الفرنسية لن تعارض حق انشاء سكة حديدية بين **حيفا والعراق** ... كما انه سيكون لبريطانيه العظمى الحق في انشاء خطوط أنابيب للنفط ... وتشعر الحكومة البريطانية الحكومة الفرنسية والامير فيصل عن عزمها على القيام فورا بمسح هندسي بغية العثور ، اذا كان هذا الامر ممكنا ، على ممر للسكة الحديدية ولخطوط النفط يقع كليا في منطقة الانتداب البريطاني»***. وقد أوردنا هذه الامثلة ليس بهدف تأريخي وانما تأكيدا على الدور الذي يقوم به النظام الهاشمي في خدمة المصالح الامبريالية في المنطقة العربية .

٣ — الحركة الوطنية الاردنية : يعزو الحزب فشل الحركة الوطنية في الاردن بين العامين ١٩٥٠ و١٩٦٧ الى أن طبيعة قيادات الحركة الوطنية وبنيتها الطبقية بقيت معزولة ضمن المدن ولم تمتد الى الريف لتشكل قوة مسلحة في وجه النظام بل عانت الكثير لاعتمادها البرجوازيين اساس تكوينها أولا ، ولعدم امتلاكها القدرة على تنظيم فقراء الفلاحين ، خاصة في غياب طبقة عمالية ظاهرة كقوة رئيسية في الاردن (ص ١٦) كما انه مما زاد أو ساهم في عجز الحركة الوطنية عن أخذ مبادرة العنف الثوري في التصدي للنظام العميل هو عجزها عن امتلاك أفق نظري واضح واستراتيجية سياسية تحدد لها الطريق مما أوقعها اسيرة أحلامها كأن تفيق يوما على مارشات عسكرية وبلاغ رقم ١ (ص ١٧).

ان الحكم على أي ظاهرة ، سياسية كانت أم اجتماعية ، يجب أن يراعي الظروف الموضوعية التي أوجدت تلك الظاهرة ، وفي الوقت نفسه يحاكمها بمقاييس المرحلة التي افرزتها دون ان تنتزع هذه الظاهرة من السياق التاريخي الذي وجدت فيه . ومحاكمة الحركة الوطنية في الفترة من ١٩٥٠ — ١٩٦٧ تتم فقط من خلال وضع هذه الحركة في

---

* صايغ ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

** زين نورالدين زين ، **الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان** ، ص ٩٥ — ٩٧ .

*** *Notes of Meeting of Heads of Delegations of the Five Great Powers*, Paris, Sept. 15, 1919. ذكرها زين ، **المصدر نفسه** ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

اطارها الصحيح من حيث طبيعتها ، الظروف المحيطة بها ، الفئات الاجتماعية التي قادتها ، الاهداف التي سعت الى تحقيقها ، وفي ضوء ذلك كله يدرس فشلها او نجاحها. الحركة الوطنية في الاردن كانت ذات أفق وطني ، وجدت في المدينة ليس لانها **لم تستطع** أن تمد لها جذوراً في الريف وانما لان الطبقة التي قادت هذه الحركة (شريحة المثقفين من الطبقة البرجوازية الصغيرة) **موطنها** المدينة ، وبذلك فان عملها مرتبط بالمدينة . وهي لم **تعتمد** على البرجوازيين ، وانما كانت هي الحركة التي أوجدتها البرجوازية . اما قضية العنف الثوري فهي غير واردة أصلا لانها لا تدخل في برنامج الطبقة التي قادت هذه الحركة ، لذلك فلم يكن ثمة بديل عن التفكير بالانقلاب العسكري عن طريق الجيش ، لانه من خلال التجارب التي حدثت في العالم العربي والعالم الثالث ثبت ان هذا الاسلوب هو الذي تلجأ اليه الحركة الوطنية ذات الافق البرجوازي للوصول الى السلطة . ومن هنا فان محاكمة الحركة الوطنية في الاردن ينبغي أن تتم في اطار فهم هذه الحركة على انها حركة قادتها البرجوازية الصغيرة وسعت الى تحقيق طموحاتها الوطنية بالاساليب التي تتماشى وتنسجم مع طبيعتها . وفي هذا الاطار فشلت الحركة الوطنية في الاردن عن تحقيق أهدافها ، ولسنا هنا في صدد دراسة هذه الحركة بيد ان العناوين التالية قد تكون صالحة لدراسة اسباب هذا الفشل : • ان الطبيعة المتذبذبة للطبقة التي قادت الحركة الوطنية خلال الخمسينات والستينات ، جعلت هذه الحركة غير قادرة على الحسم ومترددة في الموقف من النظام بينما كان النظام على العكس منذلك تماما حاسما تجاهها. • القوى السياسية التي كانت تقود الحركة الوطنية كانت امتدادات لقوى أخرى مركزها خارج الساحة الاردنية ، وكانت هذه القوى الاخيرة تخضع للعبة التوازنات والتسويات العربية (مؤتمرات القمة كمثال) مما جعل تأثيراتها تنعكس سلبيا على الحركة الوطنية الاردنية نفسها . • ان دخول الولايات المتحدة في أواسط الخمسينات الى حلبة السياسة الاردنية* مع ظهور مبدأ ايزنهاور ، كان له دور كبير في تثبيت أقدام النظام ومده بالقوة التي واجه بها الحركة الوطنية وتصدى لها . كما ان المعونات الاقتصادية الاميركية ومشاريع التنمية ساعدت على خلق ازدهار اقتصادي مشوه ومكن النظام من توسيع قاعدته البيروقراطية في محاولة لتطويق البرجوازية وضمها الى صفوفه بل وجعلها في وجه من الوجوه جزءا منه ومستفيدة من وجوده .

٤ ــ أغفل الحزب في برنامجه موقفه من الوحدة العربية ، والذي يدفعنا الى اظهار هذا الامر أن الاردن كيان لا يستطيع أن يقوم وحده وان النضال من اجل ارتباطه بالامة العربية ضمن اطار وحدوي هو الكفيل فقط بابطال الاسباب التي أوجد من أجلها هذا الكيان . كما أغفل الحزب كذلك الموقف من الضفة الغربية ، وعلى الرغم من انه اعتبر ان ضم الضفة الغربية تم بعد انتخابات زائفة في الضفتين في ١١ نيسان ١٩٥٠ الا انه لم يشر الى مصير العلاقات بين الضفتين راهنا ومستقبلا .

---

* يلاحظ هنا دور الولايات المتحدة في الحركة الانقلابية التي قادها النظام على تجربة الحكم الوطني في العام ١٩٥٧ . ومن المؤشرات الدالة على ذلك الدور انه قبل يوم واحد من تاليف وزارة ابراهيم هاشم التي عينت في ٢٤ نيسان ١٩٥٧ (استقالة حكومة النابلسي كانت في ١٠ نيسان ١٩٥٧ وفي الفترة ما بين الوزارتين شهد الاردن اضطرابات وأحداثا سببها الانقلاب المضاد الذي قاده النظام) صرح جون فوستر دالس ، وزير الخارجية الاميركي « ان لنا ثقة كبيرة في الملك حسين لاننا نعتقد حقيقة انه يكافح من اجل الحفاظ على استقلال بلده في وجه صعوبات عظيمة ... وان لدينا الرغبة في دعم الملك حسين في هذا الشأن الى الحد الذي ينكر هو اننا قادرون على أن نكون مفيدين» . وفي ٢٩ نيسان ١٩٥٧ تقدم سمير الرفاعي، وزير الخارجية الاردني ، بطلب مساعدة من ليستر مالوري ، السفير الاميركي في عمان ، وفي اليوم نفسه وافق مالوري على منحة قيمتها عشرة ملايين دولار اعترافا « بالخطوات الشجاعة التي اتخذها جلالة الملك حسين وحكومة الاردن وشعبه للحفاظ على وحدة البلاد واستقلالها » (انظر: عروري، **المصدر السابق** ، ص ١٤٤ ، ١٤٥).

مراجعـــات

محمد أبو شلبايه ، **الطريق الى الحرية والخلاص والسلام**
(مطبعة الشيخ جراح التجارية ، القدس : ١٩٧٢)

بات مؤلف هذا الكتاب معروفـا لسكان المناطـق المحتلة وخارجها ، كواحد من اشهر المتحمسـين لاقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطـاع غزه ، تأخذ على عاتقها مهمة الاعتراف بالكيان الاسرائيلي ، كحل وحيد للمشكلـة الفلسطينية ، وكمدخل لانهاء الصراع العـربي ـ الاسرائيلـي « لتحقيق سلام دائم ونهائي في المنطقة » — علـى حد تعبيره .

ساعد ابو شلبايه على ترويج افكاره هذه ، عمله كصحفي في عدد من الجرائـد الاسرائيلية التـي تصدرها سلطات الاحتلال باللغة العربية ، ونشره سلسلة طويلة من المقالات والندوات على صفحاتها. وقد بلور الكاتب افكاره في كتابين اصدرهمـا في الداخل — احدهما بعنوان « لا سلام بدون دولة فلسطينية حرة » ، والاخر الماثل بين ايدينا .

يتجه الكتاب نحو اهداف محددة تتلخص : بضرورة اقامة قيادة فلسطينية جديدة ، متجاوزة المنظمـات والاحزاب الفلسطينية الراهنة والانظمة العربيـة (وخاصة النظام الاردني) ، لتعمل وفق ميثـاق وطني لتشكيـل حزب مشروع داخـل الاراضي المحتلة ، يدعو لاقامة دولة فلسطينية على جزء من الارض التي تمنحها قرارات الامم المتحدة ، يكون لها نظام سياسي واقتصادي وتعليمي واجتماعي ، يتوافق مع برنامج عمله ومنسجمـا مع اسـس دعوته .

وفي اطار هذه الاهداف يردد ابو شلبايه مقولاتـه والتي يمكن تلخيصها بفكرتين اساسيتين :

الاولى — الدوافع والاسس التي جعلته يتقـدم بمشروع الدولة الفلسطينية .

الثانية — الخطوات التنفيذية والعملية الواجـب اتخاذها لتنفيذ ذلك المشروع .

تكمن خطورة الكتاب والافكار التي تضمنها ، ليس في التشويهات والاخطاء لتاريخ القضية الفلسطينية فحسب ، بل كونها تقود الى اتجاه استسلامـي وتصفوي خطير يحاول أن يشق طـريقه بمساعدة العدو لابراز وجوه فلسطينية جديدة تقبل شروط اسرائيل ، وتنهي القضيـة الفلسطينية لمصلحـة العدو الصهيوني — الامبريالي .

ما هي الاسس الذي اعتمدها الكاتب لاقامة دولة فلسطينية ؟!

يقول الكاتب :

« ان قيام وحدة عربية ذات جيش يبلغ الملايـين ، وذات امكانات عسكرية حديثة ، لا يعني ابدا القدرة على سحق الكيان الاسرائيلي . وذلـك بسبـب الظروف الدولية التي تمنع الولايات المتحدة مـن احتـلال كوبا ، واسرائيـل من احتـلال جنوب لبنان ... » .

رغم ان التفسـير العلمي للتاريـخ ، وقوانينـه الاساسية تؤكد على ان القوى الذاتية هي العامل الاساسي لحسم التناقـض ، وان ثمة علاقـات ديالكتيكية متفاعلة ومتطورة بين موازيـن القوى الدولية الراهنة ، تجعل من حركة التاريخ تتجه في سيرها الى الامام ولصالح الشعوب المضطهـدة والمستغلة ، ورغم ان هناك تغيرات عديدة طرأت على تلك الموازين خلال السبعين عاما الماضية ، نجـد ابو شلبايه بمنطقه الصـوري ونظـراته الاستاتيكية للعلاقات الدولية ، يريد أن يوقف عجلة التاريخ ويجمد موازين القوى الراهنة الى الابد ، ليعزي استحالة المواجهـة لقوى خارجيـة (أي الظروف الدوليـة) مضفيـا عليهـا صفة الثبات والديمومة والاستمرار وبالتالي اعطائها الـدور الرئيسي في تقرير مصير الشعوب .

وفي سياق هذا الفهم الدغمائي للعلاقات الدولية يتجاهل ابو شلبابه المكانة الاستراتيجية الهامة التي تتمتع بها منطقتنا ، والتي استحوذت على اهتمام خاص لاحد اطراف القوى الدولية المتصارعة وهي الامبريالية العالمية ، ممثلة بالمصالح الاستراتيجية السياسية والاقتصادية (وخاصة البترولية) الضخمة التي تملكها ، والتي شكلت عنصرا اساسيا في تأييد ودعم اسرائيل ليس كعامل دائم وثابت في المنطقة فحسب ، بل كحارس امين على تلك المصالح من خلال مواجهة وقمع اي حالة تعرض مخططات الامبريالية ومصالحها للخطر .

اراد الكاتب ان يضع الظروف الدولية كنقطة ارتكاز لتثبت مبدأ « استحالة المواجهة » ، مما جعله يتجنب الحقائق والوقائع التاريخية السابقة والراهنة ، التي تؤكد على الارتباط العضوي والتطابق الاستراتيجي السياسي والعسكري بين العدو الصهيوني وقوى الامبريالية العالمية . وذلك بهدف الغاء التناقضات الرئيسية والثانوية بين القوى الدولية المتصارعة ، واضعا اياها على نفس المستوى في مواقفها السياسية تجاه الصراع القائم في المنطقة .

واذا كانت المهام الوطنية والثورية تتطلب ادراك الظروف الدولية ، واكتشاف مدى وحجم تأثيرها من اجل تجييرها لمصلحة قواها الذاتية ، والاستفادة من التناقضات القائمة فيما بينها للنضال ضد معسكر الاعداء الرئيسي ، فالكاتب — على العكس من ذلك — يريد ان يثبت عدم جدوى القتال والنضال ، وذلك من خلال استسلامنا للظروف الدولية ، ووضع مستقبل قضيتنا رهينة لتوازنها .

ثمة سبب اخر جعل ابو شلبابه اكثر قناعة بمشروعه ، وهو خشيته ان يضيع شعبنا «الممكن» في طلب « المستحيل » .. يقول الكاتب :

« ان تاريخ القضية اكد لنا في جميع الحالات ، اننا كنا نضيع الممكن في طلب المستحيل » و « انا اصبحنا اناسا سلبيين نقتات بالخطب الرنانة دون ان تكون لنا مغارة نختبىء فيها او شبر من الارض نقف فوقه » .

أما الكيفية التي يريد انينقذ أبوشلبابه بها تاريخنا الذي اضاع الممكن في طلب المستحيل فيقول : ان تحقيق الممكن يأتي عن طريق « حسن النوايا » و « زرع الثقة » و « اقناع الشعب الاسرائيلي اننا لا نريد الحرب » و « الالتجاء الى الدول الكبرى » و « حمل اغصان الزيتون .. الخ » .

تناول أبو شلبابه ايضا بعض المعضلات الاساسية التي تقف امام مشروعه ، وذلك بوضعه حلولا « ممكنة » لها كمسألة القدس ، و « المستوطنات الجديدة » التي اقامتها اسرائيل على الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ .

بالنسبة للقدس يقول « .. انني اتصور مستقبلا زاهرا تكون فيه القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية ، وتكون فيه القدس الاسرائيلية عاصمة لدولة اسرائيل ، واني اتصور المدينتين متصلتين بلا حواجز ولا اسوار » .

اما فيما يتعلق بسكان « المستوطنات الجديدة » يقول الكاتب : « ان هناك وسيلة ممكنة .. فعند قيام الدولة الفلسطينية المقترحة ودولة اسرائيل سيجعل عددا من المواطنين الاسرائيليين يقيمون في الدولة الفلسطينية ، وسيجعل عددا من المواطنين الفلسطينيين (ويقصد عرب المنطقة المحتلة ١٩٤٨) يقيمون في الدولة الاسرائيلية .. اي سيجعل لدولة اسرائيل جالية يهودية في الدولة الفلسطينية . وسيجعل للدولة الفلسطينية جالية فلسطينية في الدولة الاسرائيلية » .

لا يمكننا تناول أفكار أبو شلبابه هذه بمعزل عن الاتجاهات الاستسلامية السائدة بين اوساط عربية وفلسطينية داخل المناطق المحتلة وخارجها ، اذ ان المأزق السياسي والعسكري الذي تعيشه أغلبية الانظمة العربية ممثلا باتجاهها طريق التنازل ورهانها على « تسوية » من قبل الولايات المتحدة، وتحديد وتطويق نشاط المقاومة الفلسطينية فيالداخل والخارج ، ساعد الى حد كبير في نمو تيارات واتجاهات في الداخل تدور حول نفس الاطر السياسية التي تنتهجها تلك الانظمة ان لم تكن تتجاوزها .

كذلك فان أفكار ابو شلبابه ليست بعيدة عن التطورات الاقتصادية التي واكبت الاحتلال الصهيوني ، من حيث التنامي المتزايد لمصالح البرجوازية الفلسطينية الكبيرة الاقتصادية في الاراضي المحتلة ، وسعيها المستمر في بلورة اتجاهات سياسية منسجمة مع تلك المصالح تطمح في الصعود على الهرم السياسي لتمثيل الشعب الفلسطيني بمعزل عن القوى الفلسطينية الثورية الاخرى والذي لا تتعدى مسألة اقامة دولة

فلسطينية « مسالمة » ونبذ كافة الاتجاهات التي تدعو الى تحرير الارض الفلسطينية ومواجهة الهجمة الامبريالية الشرسة في المنطقة .

وتعتبر افكار ابو شلبايه نموذجا تصفويا جديدا تكمن اهميته السياسية في انه يعبر عن وجهة نظر عدد من الشخصيات الفلسطينية الذي نجح العدو الى حد ما في ربط مصالحهم الاقتصادية بسياسته داخل الارض المحتلة ، ليتخذ هذا الاتجاه الاستسلامي الخطير طابع التنازل الاكبر والقبول الاكثر لشروط العدو الصهيوني ، مما ترتب عليه — بغض النظر عن النوايا — ان وضع نفسه في نفس الاتجاه الذي تسعى اليه سلطات الاحتلال في تطويع الارادة الفلسطينية وكسب ولاء سكان المناطق المحتلة عن طريق خلق زعامات فلسطينية تقبل « الامر الواقع » الذي فرضه الاحتلال ، ووضع تلك الزعامات كاحتياط سياسي في حالة عدم تجاوب الدول العربية للشروط الاسرائيلية الراهنة والمستقبلة .

وعلى امتداد هذا النهج سعى ابو شلبايه الى ايجاد أسباب أخرى للمشكلة الفلسطينية بعيدة عن الاطماع التوسعية الصهيونية ، وذلك من خلال ارجاعه أسباب المشكلة الى صيغ ديماغوجية » كحسن النوايا » و « زرع الثقة » . ومن الطبيعي ان يأتي الحل المستند الى تلك المفاهيم بشكل يتوافق مع أسس دعوته وفي اطار الهدف الذي حدده ، والذي عبر عنه أبو شلبايه بانتهاجه طرق الهداية والتبشير في حل الصراعات الاستغلالية والاستيطانية ، واتباع ما اسماه بطرق « الاقناع المتسامح والعقلاني للشعبين الاسرائيلي والفلسطيني . ان المؤامرات الدولية (...) تريد لهذين الشعبين عدم الاستقرار والاستمرار في الحروب » على حد تعبيره .

واذا كانت الاتجاهات الاستسلامية الراهنة قد وصلت الى حد الاعتراف بالكيان الاسرائيلي وفق شروط معينة كالانسحاب من الاراضي المحتلة ووضع حد لسياسة التهجير والتهويد والاستيطان التي ينتهجها العدو في الاراضي المحتلة ، فان الكتاب يدعو الى التكيف مع الاطماع التوسعية وتعبيراتها العملية (المستوطنات ، تهويد القدس ، الاستيلاء على الارض) من خلال قبوله لما يسمى بالحقائق الجديدة التي اقامها الاحتلال ، واضفائه صفة المواطنة لشعوب المستوطنات واعترافه بها « كجاليات يهودية » شرعية تملك نفس الحقوق التي يتمتع بها شعبنا الاصيل .

ومهما يكن من امر ، فباستطاعتنا القول ان العقل العربي والفلسطيني مهما بلغت درجة يأسه ومعاناته للظروف الصعبة التي يعيشها لن يتقبل اتجاهات وافكارا من شأنها ان تصفي القضية الفلسطينية وتنهي حقوق الشعب الفلسطيني التاريخية فوق الارض الفلسطينية ، باستثناء العناصر المرتبطة مع الصهيونية والعاملة علىتنفيذ مخططاتها .

ينطلق ابو شلبايه بأساسه الثالث من خلال وصفه الاوضاع الفلسطينية الراهنة وما يحيط بها من ظروف اجتماعية وسياسية ونفسية صعبة فيقول « .. على ان التيه الذي نضل فيه الان ، والضياع الذي نتردى في هاويته السحيقة ، والظلموالارهاب والوصايات ، على ان هذا كله هو اول واقوى دافع يدفعنا من جديد للبحث عن طريق الحرية والخلاص » .

وكعادته يتجاهل الكاتب البحث عن الاسباب الجوهرية الاساسية التي ادت بالشعب الفلسطيني الى تلك الاوضاع متناولا اياها في ثلاثة اتجاهات :

١ — ابراز الخصائص والميزات التي يمتاز بها الشعب الفلسطيني عن باقي الشعوب العربية الاخرى ، واصفا الشعب الفلسطيني بأنه « ملح البلاد العربية » و « ان نهضة كثير من الشعوب العربية الحديثة قد قامت بالدرجة الاولى على اكتافه » .

٢ — مقارنة الايجابيات التي يمتاز بها بالاوضاع الصعبة التي يعيشها فيقول « انه الشعب الوحيد في العالم الذي ليس له هوية ولا كيان ولا ارض ولا وطن .. الخ » .

٣ — وضع الدول العربية والمنظمات الفلسطينية بانها المسؤولة عن تلك الاوضاع بقوله : « ان الشعب الفلسطيني يتلقى دوما جزاء سنمار » ويخضع « للوصايات والسجون » و « يرفع شعارات دون ان يملك ارضا او مغارة » . وتأتي محصلة عرضه لتلك الاوضاع في تثبيت قاعدة تقول « ان اصل القضية هي الشعب الفلسطيني وان الازمة العربية الاسرائيلية تتفرع عن الاصل .. فقد أثبتت تجارب ٤٨ — ٥٦ أن التفاهم الاسرائيلي مع الدول العربية وحدها لا يحقق سلاما وانما يحقق

هدنة ، لانه يجب ان يقوم ويستند على تفاهم اسرائيلي — فلسطيني » .

تجمع كافة الاراء والاتجاهات المستندة الى تحليل علمي للعدو، على ان الاطماع التوسعية الصهيونية قد شكلت وتشكل حجر الزاوية الرئيسية في صرح السياسة الاسرائيلية منذ بدء الصراع العربي الصهيوني وحتى الوقت الحاضر ، وعلى امتداد تلك الحقبة التاريخية شهدت القضية الفلسطينية سلسلة من الوقائع والحقائق الموضوعية ، اكدت جملة من البديهيات التي تفسر الاسباب الجوهرية والاساسية التي ادت الى الاوضاع الفلسطينية بتراكمها المأساوي الراهن ، من حيث رجوعها الى العدو الصهيوني باطماعه التوسعية وانتهاجه سياسة التهجير والتهويد والاستيطان ، والتي شكلت السبب المباشر في طرد الشعب الفلسطيني من ارضه ولجوئه الى الاراضي العربية المجاورة . ويستدل من انتهاج ابو شلبايه الاسلوب الوصفي لشرح الاوضاع الفلسطينية الراهنة دون البحث والتحليل عن الاسباب والمسببات التي ادت الى تلك الاوضاع ، انه عمد على حصر مطالب الشعب الفلسطيني ضمن اختيارات محددة بعيدة عن جوهر الصراع من جهة ومتجاوزة الحقوق التاريخية لشعبنا فوق ارضه من جهة اخرى . حتى انها تخطت المبدأ العام الذي التزمت به الدول العربية العاجزة حيال مسألة حقوق الشعب الفلسطيني والذي تمثلت بقبولها قرارات الامم المتحدة التي لم تتجاوز مبدأ « التعويض او العودة » . فتأتي مطالب الشعب الفلسطيني — حسب رأي الكاتب — ضمن الحدود الذي رسمها والتي لا يتجاوز حدها النهائي مسألة الحصول على دويلة على جزء من الارض الفلسطينية التي تمنحها قرارات من الامم المتحدة .

وقد حرص الكاتب على ان يتناول « مأساة » الشعب الفلسطيني في اتجاهين :

أ — ترغيب الشعب الفلسطيني بامكانية حصوله على دولة اذا ما انتهج الوسائل السلمية ، وقبل مبدأ التفاهم والتعاون مع الاحتلال الصهيوني بمعزل عن الدول العربية والاحزاب والمنظمات الفلسطينية .

ب — تمجيد الشعب الفلسطيني وابراز خصائصه وتميزه عن الشعوب العربية الاخرى بهدف ابراز القطرية الفلسطينية لمواجهة الدول العربية والمنظمات على اعتبار انها تقف عائقا امام الحل « العقلاني والعلمي !!! » المستند على تفاهم اسرائيلي — فلسطيني مشترك لحل المشكلة الفلسطينية حلا نهائيا واقامة دولة فلسطينية .

.. ومن نافلة القول ان الشعب الفلسطيني هو عنصر اساسي للمشكلة الفلسطينية ، ولكن التحليل السطحي للامور الذي انتهجه الكاتب دون الغوص عن الحركة الصهيونية وأهدافها وعلاقة اسرائيل بالدول الامبريالية ومخططاتها التوسعية ودورها في المنطقة لا تستجلب انتباه ابو شلبايه ، بل حتى قلما تجد في كتابه اية اشارة لتلك الاطماع ، فليس ذكرها في مصلحة الكاتب لانها من شأنها ان تقوض اسس افكاره ومقوماتها . فيأتي عرضه للاوضاع الفلسطينية كاسلوب رخيص لاستدرار المشاعر الفلسطينية واستخدامها كوسيلة في ترويج افكاره الاستسلامية بما ينطوي عليها من اخطار في ابعاد الشعب الفلسطيني عن مهماته النضالية ، ليدور حول « ممكنات نظرية » لا تمت الى الواقع العملي والموضوعي بأية صلة .

بعد عرضه للاسس والاسباب التي جعلته يتقدم بمشروع الدولة الفلسطينية يخصص الكاتب فصولا عدة لعرض الخطوات العملية الواجب اتخاذها لتنفيذ ذلك المشروع .

ويخلص بذلك على ضرورة انشاء «حزب مشروع!» في الاراضي المحتلة يتجاوز المنظمات الفلسطينية والنظام الاردني ويجعل من المقدمات التي ذكرها « ميثاقا وطنيا » لهذا الحزب .

ويستطيع القارىء ان يدرك السبب الذي جعل ابو شلبايه يدعو للتصدي للمقاومة الفلسطينية « وسحب البسط من تحت ارجلها » على اعتبار ان المقاومة الفلسطينية تقف على نقيض كامل لتحليلاته وافكاره واهدافه ، بنفس الوقت الذي لا يجد المرء اية خلافات جوهرية واساسية بين ما يطرحه « مشروع الملك حسين » وبين « مشروع الدولة الفلسطينية » الذي ينادي به ابو شلبايه . فتأتي دعوته للتصدي لمشروع « المملكة العربية المتحدة » مفتقرة الى اية اسس موضوعية او مضامين سياسية وايديولوجية .

.. ثم يتناول الكاتب مهمات الحزب فيقول « ان الوطنية العاقلة تتطلب تأليف حزب مشروع في المناطق المحتلة يحمل في يده اغصان زيتون ويستغل

جميع الوسائل السلمية من اجل افهام الرأي العام في اسرائيل والعالم ان شعبنا لا يريد الحرب » . كذلك فقد اعطى الكاتب تفسيرات جديدة للايمان ، وللقومية العربية والوحدة العربية بشكل يتلاءم واسس دعوته : فيقول الكاتب « ان الصفة الاولى التي ينبغي ان تكون عليها عقيدتنا المكتملة هي الايمان بفلسطين وبالارض وبالشعب » . ولا يجد القارىء اي عناء في البحث عن المقصود بالايمان بفلسطين فقد حددها الكاتب بـ « الارض في الجزء الذي منحته اياه القرارات الدولية من ارض الوطن » .

وتحت ستار شعار « العقلانية » و « العلمية » يمضي الكاتب بنقده لكافة المفاهيم التقدمية للقومية العربية واضعا مفاهيم جديدة لها فيقول «ان المفهوم الصحيح للقومية العربية هو القادر على الاعتراف بكيان اسرائيلي غير توسعي (...) في جزء من فلسطين » .

والخلاصة :

يعتبر هذا الكتاب تلخيصا للاتجاهات الاستسلامية والتصفوية التي تنامت في كنف الاحتلال الصهيوني، وجاءت نتيجة نجاح العدو في وضع بعض الفئات الفلسطينية داخل الارض المحتلة ضمن مخططاته لابراز وجوه فلسطينية تأخذ على عاتقها مهمة التصدي للمقاومة الفلسطينية وسحب البسط من تحت اقدامها ، لتصفية القضية الفلسطينية لصالح العدو الصهيوني الامبريالي .

صبحي طه

غسان كنفاني : الآثار الكاملة ، المجلد الاول ــ الروايات .
(لجنة تخليد غسان كنفاني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت . الطبعة الاولى : تشرين الثاني ١٩٧٢)

رغم كل ما كتب عن غسان كنفاني ، فانه يبقى مفاجئا . يفاجئنا بقدرته على الابداع وبتغلغله داخل الاشياء والعلاقات ليعيش في الرحم ، في مكان توالد الانفجارات وذهول التجاوز . في المجلد الاول من آثاره الكاملة ، تفاجئنا ثلاث روايات لم تنته : العاشق ، الاعمى والاطرش ، برقوق نيسان . وهذه الروايات تفاجىء لانها تدفعنا الى اعادة النظر في الكثير مما كتب عن روايات كنفاني . فهو يتقدم نحو واقعية شفافة تتجاوز « عائد الى حيفا » ويصل اليها بكثير من الشفافية في برقوق نيسان ، حيث لا يعود الصوت لام سعد وحدها ، او لصوت الحقيقة السياسية عارية على وجه سعيد س. بل يصبح صوت البرقوق الدامي (الشعر ــ الرؤيا) هو الذي يقود عربة الرواية . وتتحول القصص الشعبية في العاشق الى رؤية واقعية تنفجر بالاحساس الشعبي النادر ، حيث الاقدام مغروسة عميقا في التراب . أما الاعمى والاطرش فانها تعيدنا الى « رجال في الشمس » و« ما تبقى لكم »، واذا كانت الرؤيا الفنية في الروايتين تقودنا الى احساس حاد بفلسطينية هذا الادب ، فان فلسطينية المنطلق تقودنا في الاعمى والاطرش الى رؤيا شاملة تمس الانسان العربي ــ طاقة الفعل في الوعي الثوري العربي ــ ناقلة اياه الى التجذر في مسألة التحول . حيث البنية القديمة لا تنحل انحلالا وسط الحلم الثوري الرومانسي كما في ام سعد ، بل هي بنية لا يتعامل معها الا من خلال نبض الفعل الثوري في طريق طويل ومعقد ــ التحول لا يعود مسألة الفلسطيني الذي يثور مع المقاومة في انطلاقتها ويكتشف ضرورة التجذر في بنية التحول ، بل يصبح الانسان العربي عاريا أمام القمع وأمام تحدي الفعل .

أ ــ **العاشق** : رواية بدأ كنفاني بكتابتها سنة ١٩٦٦ . لكنها توقفت عند لحظة منها ولم تتم . هذا القسم من الرواية لا يزيد شيئا على معرفتنا بأدب كنفاني سوى طموحه الى كتابة ادب شعبي ملحمي. أي ان قصص المقاومة التي عرفناها في مجموعات كنفاني السابقة ، تعود هنا وبقامة جديدة . انها نسج حول بطل شعبي يتحرك في جسده الماضي النضالي المقاوم للشعب الفلسطيني . والرموز تكاد تكون معدومة . هناك صورة واحدة تتكرر هي صورة الفرس . الفرس التي ترافق البطل الشعبي وتتداخل فيه . لكنها تبقى منفصلة عنه في الوقت نفسه . النسيج « الملحمي » الشعبي الذي أرادته هذه الرواية لنفسها هو نسيج نضالي ، بمعنى انه

يحاول ان يقدم الماضي النضالي على بساط غنائي دافىء . حيث تصير التقنية الروائية اسيرة البعد الذي وضعه الكاتب لروايته . انها رواية تتابع وليست عمل تجاوز للانتاج السابق . تتابع بمعنى النمو الطبيعي ، النمو الذي لا يفاجىء وان كان له ايقاعه المتجدد . انه تتابع في اتجاه آخر . فعوض الحاضر ، يعيد الكاتب تضمين الماضي وصياغته . والبطل الشعبي هنا يختلف عن ام سعد ، فاذا كانت ام سعد ، تعبيرا عن الواقع المعاش لرومانسية ابن المخيم الثورية في فترة صعود المقاومة ، فان قاسم أو شتى تنويعات اسم هذا الفارس الشعبي ، هو حلم الحركة المستقبلية موضوعا في اطار الماضي الذي ينظر اليه بشكل متحرك . اي انه الآتي في رؤية الكاتب لماضيه . انه اعادة ترتيب للماضي الذي أريد له ان ينسى في غبار المخيم وعذابات المنفى .

واذا كان كنفاني يستعمل أسلوبا سينمائيا ، ويترك الماضي يتمازج بالحاضر ، فان الاسلوب ليس أكثر من طريقة لعرض وقائع محددة . يعلم تماما ايقاعها وأهدافها . أي ان هذا المزج الذي لا نجد فيه أي أثر للتعقيد هو محاولة لبسط الماضي أمامنا ، والنظر اليه من مواقع جديدة ، ومتحركة .

« العاشق » توقفت ، فالماضي وحده ، دون الحاضر وآفاقه ، اي معنى يصير له ؟ والبطل الشعبي الذي ننسج حوله احلام تحركنا ، الى اي حد يستطيع ان يحتمل هذه الاحلام ؟

« العاشق » ليست كتابة وثائقية . انها نسيج للعلاقة مع المستقبل . من هنا ، فهي حلم متوتر ، لكنه حلم لا يطال آفاقه الواقعية . فاللغة تتعقد مخرجة النص من اطاراته الشعبية . وتعقد النص هو الذي يحمل آفاق الارادة التي يذكرنا بها كنفاني . ارادة المستقبل ، اي توظيف هذا الماضي في خدمة المستقبل .

هل تقدر الرواية التي تؤرخ ، ان تنسج نفسها حول بطل شعبي ، وتترك نفسها كي تقفز فوق حدودها الكلاسيكية لتطال المستقبل ؟ كنفاني لم يعطنا جوابا في « العاشق » . بل طرح سؤالا . فالرواية غير المكتملة ، وفي هذه الرؤية هي مجرد سؤال . النسيج حول الماضي ، هو مجرد مشروع واقعي .

لكن « العاشق » من ناحية أخرى مليئة بالبعد الزمني . الزمن الفسيح ، الزمن المترابط حول البطل الشعبي ، حول انتصاراته . انها مقدمة للدخول الى الرواية الواقعية . مقدمة غير مكتملة لام سعد ، ولبرقوق نيسان . وهي من جهة اخرى — تاريخية — تحمل ولعا شديدا بتسجيل البطولة في اطاراتها الشعبية. البطولة التي تنساها الذاكرة العربية المستظلة بايديولوجية الهزيمة والمبشرين بها . فالبطل الشعبي هو من حيث المبدأ ميدان الذاكرة الجماعية الثورية ، في مقابل ذاكرة الابطال الرسميين .

ب — **الاعمى والاطرش :** مع الاعمى والاطرش ننتقل الى مستوى آخر . الى مستوى البطل الواقعي ، المليء بالرموز . فالرواية تتحرك في اطارين :

١ — اطار واقعي شديد الالتصاق بالهموم اليومية، بالمشاكل اليومية ، التي يخرج منها المستوى الرمزي ، « ان الرغيف هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يرى بالاصابع ، تماما مثلما يرى بالعين ». الواقع المليء بالتفاصيل المقنعة . الاعمى والاطرش قبل اللقاء وبعده أمام الولي عبد العاطي ، مع كل الهموم ، ومع الحياة اليومية في مكاتب وكالة الغوث . والناس الذين يموتون والذين يولدون .

٢ — اطار رمزي : يجري فيه انتقاء الرموز بعناية شديدة . أعمى ، لا يرى سوى بيده المليئة بعرق جبهة أمه التي تحمله على ظهرها من ضريح ولي الى ضريح ولي آخر . وأطرش ، كان لا بد ان يكون اطرش حتى تنقذه عاهته من الموت ، وتحيله الى أداة من أدوات الوكالة ، تستعملها لتلقي الشتائم . وولي ، اليه يجري النظر كي ينقذ المحرومين من « عيشة النكد » التي يحيونها . والسنة هي سنة ٦٧ والحرب والمقاومة ومصطفى فدائي « الطاق طاق » وحمدان ووالده .

الرموز الواضحة ، الشفافة ظاهرا ، تعطي انطباعا بسهولة الرواية ، لكنها تعطيها اطارا جديدا . فالواقع — أي الاطار الاول — يتحرك ضمن الرمز — الاطار الثاني — ليخرج من هذه الحركة ارهاص بفعل ما . أو محاولة للتجذر في فعل من مستوى آخر .

عندما يلتقي الاعمى والاطرش أمام ضريح الولي عبدالعاطي ، فان هذا اللقاء يأخذ معنى جديدا : « ووضع كفه على كفي . وخيل الي انها التصقت بي الى الابد . اين يمكن لاصم وأعمى ان يلتقيا

الا عند ضريح عبد العاطي » . هذا اللقاء يؤدي الى فعل آخر . فمن دخان الصلوات ، يتولد الجدل الاجتماعي . فالصلوات هنا هي بديل للفعل، لكنها ارادة تمثل هذا الفعل . من هنا ، عند اللقاء يبدأ التحرك . فيصعد الاعمى على كتفي الاطرش ليلمس وجه عبدالعاطي وليجده فطرا . « انه فطر ، مجرد فطر ، ثم ادركت انه لا يسمع ، فصحت بصوت عال انه فطر ، فطر » . اما جواب الاطرش فكان أكثر حدة : « يسمونه ايضا فقعا وسكت . سأظل كل عمري اضحك على نفسي كلما أتذكر اني جئت اطلب من حبة فقع اذنين اسمع بهما » .

« اثنان من طيرة حيفا ، يلتقيان حول حبة فقع ! أليس ذلك معجزة يا عبد العاطي ؟ » . اثنان من طيرة حيفا ، جمعتهما الفجيعة والتقيا . حول اوهامهما ، كلا ليس حول اوهامهما ، بل حول افيون الجمود الذي أورث الهزائم والبكاء ، هذا الافيون الذي هو جزء من بنية القمع . « قلت لنفسي ها قد صار عند الولي جهاز شرطة » . هذا اللقاء يولد ارادة للفعل . يجب قتل الولي ، يجب ان نبول عليه ، يجب اعادة قتله . لكن ارادة الفعل تأخذ طريقا آخر . فأبو قيس يحلم نفسه يخطب وسط جموع اللاجئين ، ويحلم بهم يصيرون جموعا ثائرة تعيد الطنين الى أذنيه . ارادة الفعل تتحرك من الواقع نفسه . من اكتشاف منطق علاقاته الداخلية .

هذا التداخل بين الاطارين الواقعي والرمزي ، يجد لنفسه خطا ، يتلون باللونين ، انه اللحن المرسل ، الذي يوقعه كنفاني في المقطعين ٥ و١٢ من روايته . هذان المقطعان يأخذان تشكيلة صلاة وثنية ، لكنها في الواقع صلاة من نمط آخر . صلاة من نمط السهم الذي تتكشف عنه هذه العلاقة بين الاطارين . الواقع يستحيل رموزا تتداخل في بنيته. ومن خلال علاقة الولي ، بالاعمى والاطرش ، تنكشف علاقة الاطرش بمصطفى وعلاقة الاعمى بحمدان . مصطفى هو الشخصية الواقعية مئة في المئة في هذه الرواية لكن واقعيتها هي الواقع الذي يراد تجاوزه ، والتخلي عنه . وعندما تتوقف الرواية عند ارادة هذا التجاوز الذي لم يتحقق ، فان كنفاني يترك الواقع نفسه يتحرك فينا . لقد رسم هو سهم هذا التحرك . « وانا الاعمى الذي أعرف ان المعجزة انما تجترح من القاع ، فالمعجزة هي ثمرة الجذور الضاربة في رحم الارض » . اللغة في رواية « الاعمى والاطرش » هي شعر بالغ النقاء . اللغة تنسج نفسها حول رؤيا المستقبل ، لذلك فايقاعها الموسيقي هو مؤشر على الخروج . انها لغة الجذور ، الذي يصفي الحوار فيحيله من مجرد حديث له طابع التأشير في الرواية الى عالم مستقل . عالم يتوالد فيه النقيض ، ويخرج من رحمه علامة جديدة . الحوار ، يتجاوز الواقع الذي يشد مصطفى وحمدان الرواية اليه ، بل يتجاوز الاطار الاول بأسره ، ليصبح نسيجا لواقع أكثر تعقيدا . المطروح هنا ليست فلسطينية كنفاني. انه لا يقودنا الى فلسطين ، بل يقود فلسطين الى مستقبلها ، ينطلق منها ، من اطاراتها الواقعية ليصلنا بالازمة الكبرى التي تعيشها حركة الثورة العربية . فحركة البحث عن آفاقنا ، علاقتنا بالتراث ، مستقبلنا عبر لغة تتجدد وقدرة مذهلة على الانتقال بالصورة الشعرية الى ذروة التوتر هو ما يميز رواية الاعمى والاطرش .

كنفاني في روايته ، يتحرك في اتجاه واحد . انه اتجاه معرفة الواقع ، اضاءته وتجاوزته في آن معا . انها اول رواية غير فلسطينية — بالمعنى المباشر لهذه الكلمات — يكتبها كنفاني . انها رواية عظيمة . لا تنقل الينا ارادة التحول ، بل تطمح اكثر من ذلك ، تطمح ان تنقل الينا عملية التحول في اطاراتها المباشرة المفروسة وسط الرموز المنتقاة بعناية ، والتي تسمح لهذه العملية بأن تأخذ كامل مداها وتصل الى ذروتها .

ج — **برقوق نيسان** : برقوق نيسان هي الاستعادة. القطيعة التي اعلنتها « عائد الى حيفا » عبر تعرية سعيد س. وادانته ، وسحقه واحتقار دموعه . تستعاد هنا بشكل آخر . ابو القاسم الذي ينكر جثة ابنه الشهيد هو الوجه الاخر لسعيد س. هو وجه الهرب الذي استعاد وعيه في حيفا عبر الضربة الساحقة — هزيمة حزيران — ليستعيد هنا وعيه ثانية عبر وردة البرقوق الحمراء . عبر سعاد وحركيتها النضالية ، التي هي واقع التحرك في اتجاه المقاومة . فاذا بهذا التحرك يحيل ابا القاسم من سعيد س. آخر الى مناضل من نمط جديد .

الرواية تتحرك عبر خطين متوازيين :

١ — خط الواقع : الذي تمثله الهوامش .

فالهوامش هي نمط جديد من التداعي الذي يلجأ اليه كنفاني . لكنه نمط واقعي . فالتداعي هنا يستعيد الواقع ، يرسم خلفيات شخصيات روايته ، يؤطرها ، ويرينا كيف يتحرك المثقفون عبر خطوط هذا الواقع ، كما في شخصية سعاد . او انه يكتفي برسم الاطار الخلفي للشخصيات الذي يضيء حركة الرواية ، ويزودنا بمعرفة خلفية واقعية للذي يجري على سطح الواقع .

٢ — خط الحركة : حيث يستحيل الواقع الى سهم متحرك ، حيث السطح هو حركة علاقة الشخصيات ببعضها البعض في اطار التحرك الثوري ، عبر هذين الاطارين يتحرك الشاعر في كنفاني ، فكنفاني هنا هو رجع الصورة الواقعية. هو غطاؤها الفني. حيث هناك حركة ثالثة تتحرك في تجاوز لشخصيات الرواية . انها الشعر . حين تضيء الهوامش الخلفية الواقعية للرواية ، فاننا ننتقل الى جو مألوف ، ولكن هذه الالفة التي لا تنقطع من خلال جو الحركة لا تلبث ان تنقطع مع الرجع الفني . الكاتب هنا ، ليس محرك الواقع . الواقع يتحرك وهو يتدخل في حركته من آن الى آخر . لكن الكاتب هو صوت مختلف . انه يتلقى هذا الواقع ويعيد صياغته من جديد : « عندما جاء نيسان ، اخذت الارض تتضرج بزهر البرقوق وكأنها بدن رجل شاسع ، مثقب بالرصاص . كان الحزن وكان الفرح المختبىء فيه مثلما تكون الولادة ويكون الالم ، هكذا مات قاسم قبل سنة » . هذا الصوت لا يفرض نفسه على سير الاحداث انه يفرض ايقاعه عليها. يعاملها بالشعر وينفصل عنها دون ان يبتعد .

السياق الذي تجري ضمنه الاحداث ، سياق شديد الواقعية ، فالواقع هو الذي يفرز ارادة تخطيه ، طريق الخلاص الوطني تأتي من الاحداث نفسها . فالرجل الذي انكر جسد ابنه الممزق بالرصاص لا يلبث ان يعي دوره النضالي ويتحرك باسلوب جديد على فهمه القديم . والحركة نفسها ، هي التي تضم العناصر جميعها اليها . عندما تستجوب الرواية الواقع ، فانها تضعه في اطاراتها الخاصة، لا تسقط عليه شيئا . فقط ترسم له اطاره ،وابطال الرواية هم الذين يصنعون حركتها .

كنفاني في « برقوق نيسان » عاشق من نوع خاص جدا . عشقه للارض يدفعها الى الامتداد في داخل لغته ، امتدادا صاخبا . والرصاص ينبت زهرا على جسدها ، والبرقوق يصبح دماء المقاتلين. هذه الحركة الفنية تعطي للقصة عمقا جديدا . انها بحث عن آفاق المقاومة . الصوت الشعري الذي يتردد صداه في تقاطيع الكلمات ، هو في الواقع بحث عن الافق . كنفاني يجعل من الافق بابا مفتوحا ، انه يستعير حادثة جزئية ، يستجوبها في سبيل ان ينهمر عليها شاعرا من نمط مختلف . هذا في رأينا هو الذي يبرر الانتقال من اطار شديد الحساسية الرمزية ، وشديد الانتماء الى عملية البحث عن افق جديد ، الى رواية واقعية ، تتابع في الواقع مسيرته في « ام سعد » وفي « عائد الى حيفا » ولو من زاوية مختلفة . كنفاني يستجمع الحدث الصغير ، يتركه ينمو ويكبر ، ويمتد شاعرا في تقاطيع الكلمات . ان هذا لا يعني فصل الشعر الذي في الرواية عن مضمونها الاجتماعي بالقدر الذي يعني ، البحث عن مستقبل تشقه الكلمة بنفسها وبالصورة الدامية ، كما في هذه الرواية . واذا كان الحدث شديد الصلة بآلية التقدم في حركة مقاومة وطنية ، فان اللغة الشعرية شديدة الصلة هي الاخرى بآفاق هذا التقدم المرتبط بالارض ، وبالدماء التي تشربها هذه الارض وبالارادة التي تتجلى عبر التعامل معها .

في رواياته الثلاث غير المكتملة كحياته ، يعود كنفاني الينا على فرس الكلمات مزودا برؤيا شاعرية شديدة الشفافية ، حاملا معه فلسطين التي تتجاوز نفسها باستمرار . فلسطين الرؤيا هي فلسطين برقوق نيسان الذي يتجمع في القبضة التي تتحفز. كنفاني في خط رواياته يتقدم نحو القدرة على التحرك من ضمن حركة الواقع ، وهو في كل ما كتب ، في كل رموزه ، وصوره الشعرية ، كان يتقدم ليس نحو الواقع ، بل نحو مستقبل هذا الواقع . وهنا تقع اهميته التاريخية .

قدرته على ان يتحول داخل جسد فلسطين ، الى رؤيا غير مكتملة المعالم . تاركا الواقع الذي تصنعه الجماهير ان يكمل هذه الرؤيا وان يحدد معالمها .

الياس خوري

Jean Lartéguy, **Les murailles d'Israël**, préface de Mosché Dayan (Editions Presses Pocket, Paris 1972).

صدر مؤخرا في باريس كتاب « أسوار اسرائيل » لجان لارتيغي ، مع مقدمة لموشي دايان ، وعنوان صغير : « اسرار الجيش الاكثر سرية في العالم ». يقع هذا الكتاب ذو الحجم الصغير في ٣١٧ صفحة، وهو من منشورات دار « برس بوكت » (باريس ١٩٧٢) . ويرمي واضع هذا الكتاب الى ان يحكي حكاية الجيش الاسرائيلي بأسلوب ادبي يجمع بين اشكال التعبير الصحفي (مقابلات عديدة) والتصوير الميداني (زيارات اماكن في الارض المحتلة) وبين النبوءات التاريخية السريعة — التبريرية غالبا . والكاتب يعزل موضوعه عن كل ابعاده الراهنة وعن كل مدارات الصراع في الوطن العربي ، ويحصر تفوق البنية العسكرية الخاصة بالمجتمع الاسرائيلي ، بالجانب النفساني المتفوق عند الجندي الاسرائيلي . جيش اسرائيل هو سورها وسرها : هذه هي الموضوعة الاساسية التي ينطلق منها الكاتب . ثم يبرهن انه لا يوجد سور ولا سر . اذن كيف يفسر الكاتب ظاهرة العسكرية الاسرائيلية وبماذا يبرر حروبها المتتالية وما قابلها من هزائم عربية ؟

لا بد من التوضيح ان كتاب « اسوار اسرائيل » يتبع المنطق العام للغزو الاسرائيلي ، والمهم فيه هو انه يحاول كشف مزايا الغزاة ، مع نقد جانبي لبعض مغالطاتهم . ويقارن هذه المزايا ، من وجهة نظر الاسرائيليين ، مع ما يقابلها عند العرب . ينقسم الكتاب الى قسمين : القسم الاول من ١١ فصلا : كمين على نهر الاردن ، اعراس القدس ، النبي المسلح ، كومندوس نصف الليل ، الجيش الممزق ، الميراج ، كوكبة المدرعات ، جنرالات وكولونيلات اسرائيل ، المظليون امام حائط المبكى، صورة الجندي الاسرائيلي . والقسم الثاني يتألف من مقدمة وفصلين : الفلسطينيون ، وعزلة اسرائيل . ونحن سنحاول استعراض نظرة الاسرائيليين الى انفسهم بالذات .

١ — في المقدمة الصغيرة للكتاب ، يشيد دايان بـ « المزايا المعنوية » و « التضحية » التي يتصف بها جنوده ، ويركز على تكيف الجيش مع الاوضاع الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط ، (مدرعات مظليون ، طيران) . ويحدد مفهوم الدفاع الاسرائيلي بقوله : « ان اسرائيل ، منذ ١٩٤٨ ، لم تقم ابدا بحماية حدودها وراء شبكة من الاسلاك الشائكة او خلق خط من التحصينات . ان الدفاع ... كان وسيبقى الهجوم ، الهجوم على العدو فوق أرضه بالذات » . ومرارا يؤكد دايان مبدأ « الهجوم الدائم » ، ولكنه يشير الى « الهوة بين القيم السائدة في الحياة المدنية وفي الحياة العسكرية » . ويذهب الى القول انه لا يوجد « اي تمييز طبقي » داخل الجيش ، اذ ان الضباط تعلموا ان لا يحاربوا وراء جنودهم ابدا ، بل ان يحاربوا امامهم دائما او قدر الامكان : « هذا هو سر قوة جيشنا » .

٢ — القسم الاول من الكتاب يضعه مؤلفه في حدود ايار ١٩٦٨ ، ويبدأ بالحديث عن كمين نصبته وحدة من المظليين الاسرائيليين للفدائيين على ضفة نهر الاردن . ويأخذ الكاتب برسم مزايا الجيش الاسرائيلي :

— قلة الكلام ، والانشغال الدائم بحل مشكلة « الانتصار الدائم » . وهذا يعني ان الجيش الاسرائيلي لا يفسح له المجال ابدا بطرح مشكلات الوعي والوجدان او الضمير .

— الجندي الاسرائيلي يجب ان يعرف كل شيء يتعلق بالاوامر المعطاة له ، ولهذا بات قادرا على الحلول محل الضابط او نائب الضابط .

— الجندي الاسرائيلي يعيش نصف حياته في الحرب الدائمة ، ونصفها الاخر في افلام الكوي — بوي .

— الاسرائيلي يقتل بدون تردد وبكل بساطة وبرودة اعصاب .

— في الكمين الذي ينصبونه للفدائيين يقتلون ويجهزون ايضا على الجرحى — كمين ابادة .

— الجنود الاسرائيليون يفضلون سلاح الكلاشينكوف الهجومي على الرشاش « عوزي » .

— الضباط يسيرون دائما في المقدمة ، ولهذا كانت نسبة الضباط القتلى خلال حرب ١٩٦٧ حوالي ٣٠٪ من مجموع الخسائر الاسرائيلية .

— اذا كان الاسرائيليون يعرفون نقاط مرور الفدائيين ، فان الفدائيين يعرفون بدورهم كمائن المظليين ، واحيانا يلغمونها .

ـ قتل الفلسطينيين هو نوع من **الصيد العادي** في نظر الاسرائيليين . ويعترف الاسرائيليون بأن « الفلسطينيين شجعان ، ولكنهم غير مجربين كفاية، وسلاحهم جيد جداً » . .

ـ يطلق الاسرائيليون اسم «فتح» على كل منظمات المقاومة الفلسطينية ويخشون من الفدائيين العاملين بكل وضوح من اجل اهداف واضحة ومحددة : « استعادة ارضهم السليبة بالنضال لا بالكلام ، والتحرر من سحر الكلام الذي يدمر كل الانظمة وكل حركات المقاومة » . ولهذا فان الجنود الاسرائيليين الشباب بدأوا يشعرون بتقدير معين لهؤلاء المقاتلين الفلسطينيين .

ـ الجندي الاسرائيلي فردي جدا ، يشعر بالخطر الداخلي عليه ـ خطر مجتمع الاستهلاك ـ ويعتبر انه لا يحق له ان يخسر معركة واحدة .

ـ الجيش الاسرائيلي عجيب : منضبط وغير منضبط في آن واحد ، يأكل حسب وصايا التوراة ولكن ٨٠٪ من جنوده ملحدون او ضد الدين .

ـ الجندي الاسرائيلي مصاب بـ « عبادة طفولية للاسرار » ، فيرى الجواسيس في كل مكان ، ويعتبر ان اقل نقد له هو دليل على « العداء للسامية » . وفضلا عن ذلك فهو يجمع بين الطاعة المطلقة للاوامر وبين القلق والصلف .

ـ يعتبر الاسرائيليون ان العرب متعطشون للدعاية المضخمة ، وهذا مما يجعل العرب لا يؤمنون بشيء ولا يصدقون ما يسمعون .

ـ الجنود الاسرائيليون يبحثون عن القتال التلاحمي، وذلك لاعتقادهم بأن العرب يخافون من القتال المتلاحم ، وانهم يتخيلون كثيرا في الليل خاصة ، فيرون حفنة من الاسرائيليين وكأنها الوف من الاعداء .

ـ الكمين المنصوب للفدائيين لم يقع فيه اي اشتباك ، ويكتفي الكاتب ، كما رأينا ، بابراز مزايا وصفات **المغامر العسكري الاسرائيلي** ، المأخوذ بحلم « اورشليم الذهبية » ، على طريقة الوسترن الاميركي مع الهنود الحمر .

٣ ـ يتحدث الكاتب عن الاستعراض العسكري الاسرائيلي في ايار ١٩٦٨ . يقول : في القدس سبعون الف عربي ، مسيحي ومسلم ، يرفضون الغزو ، ويشبهون يهود اسرائيل بالصليبيين الذين مكثوا قرنا في فلسطين ثم اخرجوا منها .

في الاستعراض انطلقت اغنية حرب الايام الستة ، وهي اغنية اسطورية حالمة :

« اذا نسيتك يا اورشليم ، اورشليم الذهب الخالص .

فليحرق اسمك شفاهي كقبلة الملاك الناري .

يا اورشليم الذهب والنحاس ، والنور ... »

ثم يكشف الكاتب ان حملة الاسرائيليين على مخيم الكرامة كانت الغاية منها تأمين نجاح هذا الاستعراض .

٤ ـ « النبي المسلح » هو دافيد بن غوريون ، لانه لا يريد السلام ، اي سلام . يقول : « ان الصهيونية الوحيدة ، الصحيحة ، هي استعمار فلسطين ، وكل الباقي ما هو الا خداع وثرثرة واضاعة وقت » . لقد كان بن غوريون يدعي « الاشتراكية » واذا بها تمحي امام العنصرية الصهيونية . ولقد علم الاسرائيليين حب التجسس والتكتم وايضا الانقسامات الحزبية والكره الداخلي المتبادل . وهو يشعر دائما بحاجة الى « اذلال خصومه » . ويعتبر بن غوريون ان الحرب الدائمة تنقذ الجيش من ازماته وصراعاته الداخلية ، فهو لا يؤمن ابدا بـ « السلام العربي » ، وعلى هذا ربى تلميذه العسكري موشي دايان وسواه . ولا يوجد في الجيش الاسرائيلي « اوامر » « الى الامام » ، وانما هناك امر واحد : « اتبعوني ». ويسأل الكاتب بن غوريون عما اذا كان على اسرائيل اعادة الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة ، فيجيبه : « اذا كان علي ان اختار بين السلم والحرية فحسب ، فسوف اختار الحرية واقول انه يجب الاحتفاظ بالاراضي المحتلة. ولكنني اتمسك بالسلم والحرية معا . ولهذا فليس علينا سوى الاحتفاظ بالاراضي المحتلة ، اذ ان الشرق الاوسط في تبدل دائم ، والسلام لا يمكن ان يقوم الا بدعم القوى الكبرى : اوروبا ، روسيا واميركا ... واوروبا وحدها تستطيع ان تقودنا الى السلام ، ولكن اوروبا متحدة » . ويدعي بن غوريون ، فيما يدعي ، بان الاسرائيليين « هم حقا فيتكونغ الشرق الاوسط » ، ولكنه يشير الى ان تاريخ اسرائيل هو **تاريخ عسكري** ، وان «الاسرائيليين ليسوا رحيمين مع اعدائهم المقهورين» و « الجيش لن يسقط ابدا » .

٥ ــ وينتقل الكاتب الفرنسي ، جان لارتيغي الى سرد حكاية الجيش الذي يريده الاسرائيليون « اسطورة الاساطير » ، فهو كما يصفونه عجيب في كل شيء ، فريد من نوعه في العالم . ولكنهم لا يستطيعون ان يصدقوا ذلك دائما . وهذه ستكون نقطة ضعفهم في النهاية . لقد بدأوا بتجربة مستوطنات « ابناء الموت » ، « واثبتوا عدم تضامنهم فيما بينهم » ، فكان شعارهم ، بعد ظهور منظمة الحرس السري « الهاشومير » : « لقد سقطت يهودا في الدم والنار ، وستنهض يهودا في الدم والنار » . ثم اقاموا « مستوطنات زراعية » و « مستوطنات عسكرية » ، ومارسوا «المقاومة» الداخلية والخارجية ، ومع الانكليز انشأوا « منظمة الدفاع اليهودية » التي وصفوها بانها « سوداء ــ بيضاء » اي قادرة على التقلب حسب الاوضاع السياسية ، ومارسوا كل الوان القتل والحرق والتعذيب والسلب والاحتلال ، وتجسسوا في كل مكان ، وكونوا مع الانكليز ايضا « البوليس الريفي » ، ولكنهم انتهوا حيث بدأوا : الغزو الدائم ، الحرب الدائمة . لقد اصبح « الارهاب الاعمى هو الحل الوحيد المناسب لوجودهم ... » . ومع ذلك ففي اذار ١٩٤٨ خسر اليهود معركة الطرقات في كل فلسطين ، والذي انقذهم هو عدم التصميم العربي على القتال واسترسالهم في خلافاتهم الذاتية . العرب الذين اوقفوا القتال ارتكبوا خطا مميتا ، سيتكرر مرارا ، وسينقذ اسرائيل . ولكن ذات يوم قد لا يرتكب العرب هذا الخطأ . لقد عاد العرب الى حرب العصابات ، ولكن الامور تبدلت : فالهجوم اصبح استفزازا يجر اسرائيل الى حرب انتقامية . في حرب ١٩٤٨، قاتل الفلسطينيون بحزم ، وخسر اليهود ستة الاف قتيل ، وفي حملة ١٩٥٦ خسروا ٢٠٠ قتيل خلال عشرة ايام ، وفي ١٩٦٧ خسروا ٨٠٠ قتيل خلال ستة ايام . وهذا يعني ان الحرب الطويلة هي الخطيرة فعلا على اسرائيل .

٦ ــ الجيش الاسرائيلي ، « اسطورة الاساطير »، له ازماته الخطيرة ، التي يستعرضها الكاتب بالتحديد : ازمة ١٩٤٨/٥/٣ عندما قام بن غوريون بابعاد اسرائيل غاليلي ، وكانت هذه الازمة الاولى ازمة قيادة وسلطة . ثم الازمة الثانية وهي اخطر من الاولى ، اذ قام جنود اسرائيليون باطلاق النار على بعضهم بعضا ، عندما اندلع الصراع بين الهاغانا والايرغون والشترن ، فسقط اربعون قتيلا ، واخذت الاذاعة السرية تتهم بن غوريون بالجبن والحماقة والديكتاتورية ، وكان وراء هذا الصراع بيجن وعصابة الايرغون .

اما الازمة الثالثة فكانت في ايار ١٩٦٧ ، قبيل الحرب بالضبط . وهذا ما يؤكده الجنرال رابين : « لا اعتقد انه كان بالامكان وقوع انقلاب عسكري في اسرائيل ، ولكننا كنا قريبين جدا من وقوعه » . وانهار الجنرال رابين عصبيا ، وعاشت اسرائيل اسبوعا من الشعور بالنكبة ومن اليأس ، وتقررت الحرب ضد العرب لانهاء ازمة الجيش الاسرائيلي الذي لا يزال يتصرف وكانه وحدة من الكومندوس. يقول جان لارتيغي (ص ٩٩) : « في تموز ــ يوليو ــ ١٩٦٨ قام الكولونيل ريغيف ، قائد كتيبة المظليين (ورتبة كولونيل توازي في فرنسا رتبة جنرال بنجمتين) ، بنفسه وعلى رأس بضعة رجال ، بمطاردة مجموعة فدائية فلسطينية اقدمت على اجتياز نهر الاردن. ويبلغ ريغيف سن الخامسة والثلاثين ، ويعتبر واحدا من افضل الاختصاصيين في مكافحة حرب العصابات ، فقتل في معركة التحام مع رجال فتح . واعترضت الحكومة الاسرائيلية وتساءلت اذا كان من الضرورة المطلقة تعريض كبار الضباط للنيران مثلما يتعرض لها الجنود العاديون ... » . ونعتقد ان في هذا القول ما يدحض نظرة الاسرائيليين القائلة بخوف العرب من القتال المتلاحم وفي الليل .

٧ ــ يقول لارتيغي ان السلاح الفعال في الجيش الاسرائيلي ليس الطيران ولا المدرعات وانما المخابرات التي تضم « رسميا » خمسة اجهزة متميزة : مخابرات الموساد العاملة في الخارج والمرتبطة برئاسة الحكومة ، المخابرات العسكرية او المكتب الثاني : جهاز الامن الداخلي والجاسوسية المضادة ، جهاز الابحاث والوثائق (الخارجية) ومهمته درس الوضع السياسي في البلدان العربية المجاورة ، واخيرا جهاز الاستقصاءات . ويقود هذه الاجهزة معا مسؤول ايسر هاريل ، ثم ياريف . وهنا ايضا اسطورة وتضخيم ، ولكن لا شك في ان المخابرات الاسرائيلية تلعب دورا خطيرا وتستند الى المخابرات الغربية. اسطورة لان الاسرائيليين يدعون معرفة كل شيء عن العرب ، والعرب بدورهم لا يعرفون شيئا ، وتضخيم لان محدودية عملائهم تجعل من المستحيل التصديق بأن كل الوضع العربي مكشوف لاسرائيل.

صحيح ان الاسرائيليين يستفيدون كثيرا من اخطاء العرب العسكرية والسياسية ، ولكن هذا لا يعني انهم بدورهم بدون اخطاء قاتلة ، لا يستفيد منهـا العرب في نضالهم . ان ياريف يعترف بما يلي : « ان الحرب مضنية ولهذا فاننا لا نترك الجنرالات يهرمون في مناصبهم ... ومـن ثم فوضعنا غير ميؤوس منه بعد ، ومن واجبنـا ان نجني مـن انتصارنا الحد الاقصى من المكاسب الستراتيجية ... ومن جهة ثانية فان العرب لن يبدلوا علـى الفور موقفهم وسلوكهم ... ففي الاراضي المحتلة نرى زيادة السكان العرب مليونا ومائة وعشرين الفا ، وعندها تثار مشكلة التخريب . واعتقد اننا سنواجه متاعب من هذه الجهة بالذات ، وانهـا لمتاعب خطيرة » . « ان السكان العرب لا يحبون الاسرائيليين » وهم يشعرون بانهم مرغمون علـى القتال وعلى مساعدة مقاتليهم . يقول لارتيغي : في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، عندما رجعت الى اسرائيل ، كان الجنرال ياريف ومخابراتـه يتعرضون لمتاعب خطيرة . الم يكونوا قد قللوا كثيرا من تقديرهم للعرب ؟ ويشير لارتيغي الى محاولات المخابـرات الاسرائيلية الرامية الى التغلغـل في اوساط الاقليات داخل البلدان العربية .

٨ — وينتقل الى قضية طائرات الميراج المعلقة بين فرنسا الديغولية وبين اسرائيل ، ملمحا الى ان « العقيدة الاسرائيلية قائمة بمجملها على الهجوم والحرب الخاطفة ، وان تعبئة ١٢٪ من السكان الشباب والعاملين تشل اسرائيل ، فضلا عن ان الجنود الاسرائيليين المبالغ في تدريبهم واعدادهـم للحرب **لا يستطيعون أن يصمدوا اكثر من شهر ، بدون أن يتعرضوا للانهيار** ، ولا يجوز لهـم ان يخوضوا حربا في مواقعهم ، وانما حربهم في مواقع الاخرين . اذن جيش اسرائيـل هو قوة صدامية قادرة على التدخل البالغ السرعة والبالغ الوحشية في اراضي العدو . ولكن هذا الجيش لا يمكنه ان يكون فعالا الا اذا كانت السماء خالية من الطائرات المعادية » .

ان الاخطاء والنواقص موجودة عند الاسرائيليـين والعرب ، ولكن هؤلاء الاخـيرين لا يستفيدون الا نادرا من اخطاء الاوائل . يقول لارتيغي : « حقا اي بلد غريب هي اسرائيل حيث يخفون عليكـم مفتاح حقل العمليـات كما لو انه سلاح سري ، وحيث ينشر قائد السلاح الجوي في جريدة واسعة الانتشار كل اسرار الاستراتيجية الجوية في بلده » . ان « الدفاع » الوحيد لاسرائيل هو بالطبع سلاحها الجوي ، والسماء هي ميدانها المفتوح الوحيد : « الارتفاع والافق هما عمقنا الاستراتيجي » — هذا ما يقوله الجنرال وايزمان .

ويوضح لارتيغي ان طائرات اسرائيل مزودة دائما بالقنابل والنابالم ، وان الطيارين في شركة العال كلهم ضباط في الجيش ، ومعظمهم من الكيبوتسات (٣٥٪ من طياري اسرائيـل) . وبخجل يفضح لارتيغي مزاعم محـدثيه الاسرائيليين : « اصغوا جيدا : طوال حرب الايام الستة في المعركة الجوية لم تتمكن اية طـائرة معادية من اسقاط طـائرة اسرائيلية واحدة . فكـل معاركنا الجوية كانـت معارك مطاردة . ولم تجابهنا ابدا اية طائرة ، حتى الميغ ٢١ . لقد ضربناهـا من خلف . (هذا غير صحيح) . لقد سقطت طائرات اسرائيلية في المعركة الجوية : ثلاث طائرات بالضبط » (ص ١٥٤) . ويكشف كيف انتقل طيارو شركة العال الى طائرات حربية واشتركوا في القتال سنة ١٩٦٧ ، ويشدد على ان انتصار الطيارين الاسرائيليين كان بالدرجة الاولى بسبب اخطاء الطيارين العرب ، وثانيـا بسبب التدريب الجيد ، وثالثا بسبب « الخـوف المقدس » الذي بذروه في قلوب العرب .

٩ — يتبين من كل ما تقدم ان الجيش الاسرائيلي هو **جيش غزو دائم** ، ولا يمكنه في حرب الحركة الا ان يحارب في اراضي العرب الاخرى . ويتسـاءل كيف يعمل السلاح الاسرائيلي المدرع ؟ اولا : وفقا للسيطرة المطلقة على الجو ، وثانيا بالافادة مـن خطوط دفاع العرب غير المتصلة . ويعترف لارتيغي ان المدرعات المصرية في سيناء قاومت في كل مكان، ولكن الطيران الاسرائيلي والمظليين ضربوها مـن خلف ، وان المظليين الاسرائيليين تكبدوا خسائـر فادحـة (اكثر مـن ٥٠٪) ، ويعتـرف بـان « الفلسطينيين قاتلوا ببسالة في غزة » (ص ١٧٣). وبعد ذلك يتحدث ، باسلوب دعائي صريح ، عن جنرالات اسرائيل وكولونيلاتها . والاسرائيليـون هؤلاء يطيب لهم تأكيد اللازمة الدائمة : « ولكـن انتصارنا لا يعود الى العتاد ولا الى التكتيكـات ولا الى القـادة الذين يستخدمونهـا او الـذين وضعوها ، وانما يعود الى الجندي الاسرائيلي... المطبوع قبل كل شيء بتدريبه المظلي » (ص ١٩٤).

١٠ — فمن هـم هؤلاء المظليون ؟ انهـم يعتبرون

« الحرب عملية كومندوس واسعة تشمل ابعاد الحرب الكلاسيكية » . اذن المظليون هم الكومندوس الذي « يضرب بسرعة وبقوة » . « من الكتيبة الى الفرع ، تعمل كل وحدات الجيش الاسرائيلي وفقا لاسلوب الكومندوس ولروحيتهم » اسلوبهم : مفاجأة ، ضرب ، اختفاء . « جنودنا يظهرون هناك حيث لا ينتظر احد ظهورهم ، ولا يتوقفون ابدا ، بل يتوغلون دائما نحو الهدف المنشود . **وهذا الهدف هو دائما تدمير جيش عدو** » . المظلي هو الفدائي بالضرورة ، يتدرب ليلا ، ينام قليلا ، ويحمل ما خف وقل . يقول الجنرال اوزي ناركيس : « اقدر بشهرين امكانية المقاومة في المعركة التي يمكن الجندي الاسرائيلي الطليعي الصمود فيها . اذن نحن مرغمون على شن الحروب السريعة . والحرب الاخيرة استمرت ستة ايام » . هذا درس كبير للعرب . تعاليمهم هي : « العربي يخاف من الليل ، فكونوا جنود الليل . العربي يخاف من الالتحام والسكين : فقاتلوا بالسكين وبالالتحام . والذي يخيف الاخر يكسب اذا استفاد من نقائصه » . ولتدريب المظليين غايتان : الاولى تزويدهم بالقدرة القتالية وهذا امر سهل ، والثانية اثارة رغبة حقيقية في القتل عندهم .

١١ — يرسم الكاتب صورة غريبة وعجيبة للجندي الاسرائيلي ، على مثال الجيش الاسرائيلي الذي « لا يميز الضابط عن الجندي » . ويذهب ابعد من ذلك مدعيا ان اسرائيل بلد بدون طبقات ، وجيشها بدون طبقات (ص ٢٣٢) . ثم يتحدث عن تعبئة الفتيات للقتال بين ١٨ و ٢٠ سنة لمدة ٢٠ شهرا ، ويذكر انه مما يسهل ذلك هو « المدرسة المختلطة في كل الاعمار » . وتبلغ نسبة النساء في الجيش الاسرائيلي العامل ٣٥٪ . ويوضح ان الخدمة العسكرية النسائية تلعب دورا تربويا كبيرا ، وان جيش النساء خاضع للنساء (العقيدة ستللا ليفي). واما الوحدة العسكرية الاسرائيلية فهي تضم العناصر الذكية والاقل ذكاء ، القوية والضعيفة ، الجديدة والقديمة . وينقل لارتيغي المبادىء الاساسية للتكتيك الاسرائيلي عن الجنرال مارشال في كتابه Sinai Victory ، وهي :

« — القيادة تعني الانتقال الى درجة الخطر الاعظم ،

— لا عذر لمن يبقى متأخرا ،

— عندما لا تتلقى اي امر ، تصور الامر الممكن ،

— في حالة الشك اضرب . اقرب طريق الى الامن هي طريق الهضبة المعادية ،

— لا تهاجم مجابهة ، فهناك عادة طريق افضل ،

— اذا هاجمت مجابهة ، فليكن هدفك محصورا ،

— عندما تكون القوات مستنفدة ، توقف ، ودعها للراحة ،

— لا تؤخر القتال بسبب الافتقار للتموينات ، تصرف وكأنها في طريقها اليك ،

— عندما تسلط النيران عليك ، الحركة افضل من الارتماء ارضا ،

— وعندما تهاجم ، تشجع ، تجاسر ، تجاسر . هذا هو تكتيك الكومندوس الذي لا قيمة له بدون نوعية الانسان وعزمه » .

١٢ — ومع ذلك فاسرائيل تعاني العزلة ، ويواجهها الخطر الفلسطيني ، الذي تحاول حله بواسطة الزمن و « التنازلات » والابادة . ويعتبر الاسرائيليون « ان الفلسطينيين ، بدون ارض ، هم عنصر من العناصر الاكثر ديناميكية وانفتاحا في العالم العربي » . واليوم يعيش مليون ونصف مليون فلسطيني داخل « اسرائيل الكبرى » مقابل ٢٢٠٠٠٠٠ يهودي . « ولقد تكبد جيش اسرائيل سنة ١٩٦٩ خسارة بالارواح بلغت يوميا ثلاثة قتلى ،وهذه خسارة باهظة جدا على اسرائيل ، باهظة اكثر من حملة سيناء وحرب الايام الستة » (ص ٢٧١) ، « وفي المقابل لم تتمكن اسرائيل من القضاء على المقاومة الفلسطينية ، بل ان المقاومة لم تزدد الا توطيدا . واذا كان هناك فشل اسرائيلي ، فهو هذا بالذات » (ص ١٧٦) . واما عزلة اسرائيل فهي دائمة . لماذا ؟ « لان اسرائيل لكي تعيش يا سيدي تحتاج الى الحرب اكثر مما تحتاج الى السلم » — هذا ما قاله شمعون بيريز لجان لارتيغي (ص ٣١٥) . ويختم لارتيغي «ولكن الحرب ضرورية للعرب ايضا . فهذه الحرب ضد اسرائيل هي بالنسبة الى العرب الوسيلة الوحيدة لقيام نقطة مشتركة بينهم ، ولاعطاء معنى ملموس للقومية العربية هذه التي اصبحت على كل شفة ولسان » (ص ٣١٦) . وهذا الكتاب يبقى له قيمة تعريفنا بالعدو الاسرائيلي .

الدكتور خليل احمد خليل

Khalid Kishtainy, The New Statesman and the Middle East,
(Palestine Research Center, Beirut, November 1972).

لماذا يخصص كاتب قدير مثل الاستاذ القشطيني دراسة كاملة في كتاب كالذي نحن بصدد مراجعته يعالج تغطية مجلة بريطانية واحدة لقضية فلسطين خلال فترة نصف قرن من الزمن ؟ والواقع ان هذا السؤال يتبادر الى الاذهان بمجرد رؤية عنوان الكتاب : **النيوستايتسمان والشرق الاوسط** . الا ان هذا السؤال نفسه يبقى معلقا في الاذهان حتى بعد الانتهاء من قراءة الكتاب . لا يبدو ان الهدف الرئيسي ارتكز على تقديم عرض تاريخي شامل لتطور مواقف المجلة حول القضية . فالدراسة اقتصرت على ايراد مواقف المجلة من عدد محدود نسبيا من الاحداث التي اختيرت ، على ما يبدو ، لاظهار توجهات المجلة عامة ازاء القضية . ولا يسع القارىء الا ان يحس ان الاستنتاج الذي توصل اليه المؤلف في صدد توجهات المجلة حول القضية بالذات ، وهو ان المجلة كانت تحبذ الصهيونية باستمرار طوال الفترة المعنية ، كان استنتاجا متوقعا مسبقا . الا ان المؤلف لم يطرح استنتاجه على شكله البسيط هذا ، بل أورده ضمن اطروحة تقول — ليس دائما مباشرة بل أحيانا ضمنيا — ان المجلة عرفت بمعارضتها للوراثة الاستعمارية البريطانية ولكنها لم تلتزم بمبدئها هذا في حالة واحدة : مسألة فلسطين .

ان تدعيم مثل هذه الاطروحة يتطلب معالجة مواقف المجلة من احداث شهدتها بلدان افريقية — آسيوية أخرى ، ومقارنتها مع موقفها ازاء القضية الفلسطينية . ولكن باستثناء بضع ملاحظات عابرة ومبعثرة في متن الكتاب عن موقف المجلة من بعض شؤون مصر والعراق خلال الخمسينات ، فان المؤلف لم يتطرق الى موقف المجلة من احداث اي من البلدان الافريقية والاسيوية بالتحديد . وحتى بالنسبة لمصر والعراق ، لم يثبت المؤلف ان المجلة رفعت مبدأ معارضة « الوراثة الاستعمارية البريطانية » الذي تكلم عنه . فقد اخبرنا المؤلف ان المجلة عارضت حلف بغداد (ص ٨) ، الا انه لم يخبرنا من اي موقف جاءت معارضتها له ، سوى قوله (ص ٧٨) انها تهجمت على حلف بغداد مثلما تهجمت على « تفكير بريطانيه الآمل بارضاء العرب على حساب اسرائيل » . اما بشأن مصر ، فقد قال المؤلف (ص ٧٩ — ٨٠) « ان الانظمة الاكثر تقدمية ، وخاصة مصر ، حظيت ببركة المجلة » . الا ان ما اورده من اقوال المجلة بهذا الصدد اظهر ان المجلة لم تعط بركتها للنظام المصري (الناصري آنذاك) ، بل كانت مترددة بشأنه كما عبرت عن تخوفها من « ديكتاتورية (ناصر) وتهديداته ضد اسرائيل » . كما اخبرنا المؤلف ان المجلة دعت الى انسحاب بريطانيه (من مصر ؟ ص ٨٠) وان دعوتها هذه جاءت انطلاقا من « مبادئها الاشتراكية » ، الا انه اخبرنا انها دعت ايضا الى « الحفاظ على النفط » . وقد اخبرنا المؤلف ان المجلة أيدت حق عبدالناصر في تأميم قناة السويس ولكنها عارضت حقه في منع الملاحة الاسرائيلية فيها . ويقول المؤلف ان مواقف المجلة (المتناقضة هذه ؟) جعلتها محط انظار « المثقفين العرب » الى ان ادى موقفها من فلسطين والصهيونية الى « افتراق الطرق » بين المجلة و« العالم العربي »» ، حين اتضح ، على حد قول المؤلف (ص ٩٠) ، « ان المجلة أيدت العدالة في كل مكان باستثناء فلسطين » . الا ان المؤلف لم يجد اي ضرورة لتحديد من هم هؤلاء « المفكرون العرب » ، كما انه لم يخبرنا متى تم « افتراق الطرق » !

قدم المؤلف عرضه لموقف المجلة من المسألة الفلسطينية بداية بالحرب العالمية الاولى واظهر انها دعت الى تأييد الصهيونية طوال الفترة منذ ذلك الحين : فقد نشرت المجلة مقالة مديح للصهيونية واعمالها في فلسطين عند بداية الحرب. وفي عام ١٩١٧ رحبت المجلة بوعد بلفور ووصفته بأنه خطوة سياسية بارعة . وبعد انتفاضة ١٩٢١ العربية نشرت المجلة مقالات زعمت فيها ان العرب يستفيدون من المشروع الصهيوني كما عبر محرر الصحيفة عن رأيه بأن مخاوف الفلسطينيين « لا أساس لها » . وبعد انتفاضة عام ١٩٢٩ نشرت المجلة مقالات تهجمت فيها على الكتاب الابيض (باسفيلد — ١٩٣٠) الذي اخذ حقوق الشعب الفلسطيني بعين الاعتبار . واقترحت المجلة فيما اقترحت آنذاك ان يتم نقل الفلسطينيين العرب الى شرقي الاردن . وفي عام ١٩٣٦ عارضت المجلة المشروع المقترح لاقامة مجلس تشريعي في فلسطين وزعمت ان مثل هذا المجلس من شأنه ان يؤدي الى النزاع بين اليهود والعرب لانه يعطي اغلبية

في عضويته للعرب . واقترحت المجلة « اقامة دولة يهودية في جزء من فلسطين » آنذاك ، قبل بضعة اشهر من صدور تقرير لجنة بيل الذي اقترح تقسيم فلسطين. وبعد عام ١٩٣٩ ساهمت المجلة في الحملة التي أطلقها الصهيونيون ومؤيدوهم ضد الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ والذي حدد اعداد المهاجرين اليهود الذين سيسمح بقدومهم الى فلسطين . وفي تموز – يوليو ١٩٤٧ دعت المجلة الى تحقيق تقسيم فلسطين « اما لا قانونيا بقوة الهاغانا اليهودية او قانونيا بموافقة وتأييد المجموعة الدولية » . وباندلاع الحرب بعد ذلك في فلسطين ايدت المجلة الهاغانا وأعمالها لدرجة انها رحبت بجلاء الفلسطينيين عن الاراضي التي سيطرت عليها الهاغانا ووصفت هذا الجلاء على انه « أحد انتصارات اسرائيل » . وقبيل عدوان السويس عام ١٩٥٦ نشرت المجلة مقالة جاء فيها « ان اسرائيل قد تضطر الى التحرك طالما ان العرب يرفضون توقيع اتفاقية سلام ، و(يرفضون) توطين اللاجئين في اراضيهم ، و(يرفضون) وضع حد للتسلل ضد اسرائيل » . وفي عام ١٩٦٧ أيدت المجلة العدوان تأييدا تاما ووصفته بأنه حرب وقائية.

عالج المؤلف تاريخ موقف المجلة من قضية فلسطين بقدر كبير من التفصيل في الفصول المتتالية التي تشكلت منها الدراسة وأظهر مدى عدائها التاريخي لحقوق شعب فلسطين . الا ان معالجته للظروف التي جعلت المجلة « تحبذ » الصهيونية لم تكن وافية . فالاطروحة التي أوردها بهذا الصدد هي كلاسيكية الى حد بعيد وهي تقول ان المجلة كانت تجهل وقائع الامور في فلسطين ، فوقعت تحت تاثير الصهيونيين في ظروف انعدام التأثير العربي المماثل. الا ان هذه الاطروحة لا تفسر لماذا لم تعبأ المجلة بآراء اللاصهيونيين من اليهود الذين أقاموا في بريطانيه وناهضوا الصهيونية بشدة . وعلى ذلك ، فقد تجنب المؤلف معالجة التوجهات الاساسية للمجلة التي جعلتها قابلة للوقوع تحت تأثير الصهيونيين دون غيرهم منذ البداية . ونذكر مثالا لتوضيح هذه المسالة : ان المقالة الاولى التي وجدها المؤلف حول الموضوع في المجلة صدرت عام ١٩١٤ وكانت بقلم الصهيوني المعروف ألبرت هايمسون ودعت الى تأييد الصهيونية وبرنامجها الداعي الى تهجير يهود بولنده بشكل خاص الى فلسطين . كما اننا نعلم ان اعلان بلفور الذي رحبت به المجلة صدر علنيا بعيد الثورة البولشفية التي كان من شأنها ان تؤثر على أوضاع اليهود في بولنده التي كانت جزءا من روسيه القيصرية . وقد أكد المؤلف بصدد تأييد المجلة لوعد بلفور ان محرريها لم يكونوا على معرفة بحقائق الامور في فلسطين . الا أنه لم يتطرق الى ما اذا كان المحررون على اطلاع بأوضاع اليهود في شرقي أوروبه الذين يبدو أنهم كانوا الهدف الرئيسي لمشروع التهجير ولم يتطرق المؤلف الى موقف المجلة من موضوع هجرة هؤلاء (يهود بولنده) تجاه الغرب . كما لم يتطرق المؤلف الى موقف المجلة من الثورة البولشفية . وعلى ذلك ، فلم يعالج المؤلف ما اذا كانت نظرة المجلة نحو وضع اليهود في أوروبه ، وأوروبه الشرقية بشكل خاص ، هي التي جعلتها تفتح صفحاتها للصهيونيين . وهناك مثال آخر على هذا النقص في الدراسة : فقد تكلم المؤلف في الفصل الخامس عن اعداد الهجرة اليهودية الهائلة التي شهدتها فلسطين خلال الثلاثينات وقال المؤلف « ان هتلر كان سبب ذلك كله » . الا انه لم يتطرق بأي شكل من الاشكال الى موقف المجلة من الحزب النازي الالماني قبل اعتلائه السلطة وبعد ذلك ، كما انه لم يذكر شيئا عن موقف المجلة من قانون الجنسية النازي الذي نزع حق المواطنية عن اليهود منذ عام ١٩٣٥ . وعلى ذلك فالتساؤل يبقى لدينا : ان المؤلف اظهر لنا موقف المجلة من فلسطين . الا انه لم يظهر لنا شيئا عن موقفها من اليهود في أوروبه – هذا الموقف الذي لا بد وان يكون له أثر على موقفها من فلسطين .

عند نهاية الكتاب قال المؤلف (ص ١١٨) ان موقف المجلة المؤيد للصهيونية يشكل « مثالا خطيرا على جهلها بحقائق الامور وعلى فشلها في حمل رسالة مؤسسيها، رسالة الامية والاشتراكية والعلمية». لكن المؤلف لم يقل لنا سوى القليل عن مؤسسي المجلة : انهم كانوا بمعظمهم مرتبطين « بطريقة او أخرى» بالجمعية الفابية (Fabian Society)، وانهم كانوا « زمرة من الاصلاحيين الاجتماعيين » ، وانهم كانوا « يلتزمون بالاشتراكية التدريجية وليس الاشتراكية الثورية » . ولكنه لم يعالج المحتوى الايديولوجي لعقائد هذه المجلة (والجمعية) حول الامور الاجتماعية ولم يورد ولا فقرة واحدة تعبر عن آراء المجلة في هذا الصدد ، كما انه لم يطلع القارىء على موقف المجلة من النضالات الاجتماعية المختلفة التي شهدتها بريطانيه ، وأوروبه عامة ، منذ انشاء المجلة عام ١٨٨٢ حتى الان . وعلى ذلك

فقد جاء قوله باشتراكية المجلة عابرا وعاما دون توضيح ودون تدعيم وثائقي . ويقول لنا المؤلف ان رئيس التحرير الاول للمجلة — الذي شغل المنصب حتى عام ١٩٣١ — كان « ملتزمـا بمنع الفقر » (ص ١٠) . اما عن رئيس التحرير الثاني الذي شغل المنصب منذ ذلك الحين حتى أواخر الستينات ، فيقول لنا المؤلف انه اختير للمنصب « رغم عدم وجود اي علاقة سابقة له بالحركة الاشتراكيـة ككل » ، وانه اعتبر « فابيـا Fabian تماما في أسلوبه ، يتخوف من أثر الدعاية الشيوعية على حزب العمال » (ص ٤١) . وبنـاء على هذه الادلة ، فلا يمكن ان يقتنع القارىء بأن المجلة كانت اشتراكية وأيدت الصهيونية ووعـد بلفور نظرا لجهلها بوقائع الامور ، خاصة وان اسم المجلة بحد ذاته ، « السياسي الجديد » ، كان قد جاء ، كما يخبرنا المؤلف ، بناء على اقتراح آرثر بلفور صاحب الوعد المشهور !

بناء على ما ورد في الكتاب (وعلى ما لم يرد فيه) ، لا يمكن أن يتوقع من القارىء مجاراة المؤلف في قوله ان المجلة كانت اشتراكية معادية للاستعمار ، ايدت العدالة في كل مكان باستثناء فلسطين . فهذه الاطروحة لو صحت لكان على المؤلف ان يدعمها باشارات محددة الى مواقف المجلة من شؤون عدد من الاحداث في البلدان المختلفة . ولعل السبب الذي دعا الى هذه الاطروحة هو ان المؤلف أورد طرحه للموضوع على صيغة عتاب ، شخصي الطابع الى حد بعيد ، أرسله الى المجلة التي سبق وكان له اهتمام بها . وأسلوب المعاتبة تطلب من المؤلف الصـاق صفات بالمجلـة (صفات الاشتراكيـة وتحبيـذ العدالة الـى جـانب صفات اخرى) لا يبدو انها تستحقهـا . كما ان هـذا الاسلوب استدرجه الى جدال ايديولوجي مبهم جعله يطلق عبارات غامضة عديدة في متن الكتاب ، مثل قوله ص ١٦ ان موقف المجلة من المسألة الاستعمارية كان يتطابق مع موقف لينين منها بعد قدومه الى السلطة ، وقوله ص ١٧ ان الشخصية الاشتراكية للمجلة انعكست ، بين الامور ، في « النظرة الباردة الى الاحصاءات والمصالـح البريطانية » وهـذه العبارات أساءت الى معنى الاشتراكية . لقد رفض المؤلف مزاعم الاشتراكية الصهيونيـة دون تردد (ولو بغموض) في كتابـه ، لكن فهمه لمزاعـم اشتراكية المجلة لم يكن سوى تعبير عن التردد .

لا ندري ان كان المؤلف يعتقد ان هذا الاسلوب المعاتب سيكون له أثره لدى المعنيين من العاملين في المجلة ومن قرائها وخاصة في اوساط حزب العمال البريطاني التي تمثل وجهة نظره الى حد بعيد . ولكن بالنسبة للقارىء العام الذي لا علاقة محددة له بالمجلة ، فان الاسلوب الذي اتبعه المؤلف ، على اعتذاريته ، لم يكن افضل السبل لتقديـم قضية فلسطين . فالقضية الفلسطينية هي قضية حقة بشكل يجعل اي طرح واضح لهـا مفيدا اعلاميا . من هنا فائدة الدراسة الحالية التـي تضمنت عرضا هاما ومفيدا لمواقف مجلة بريطانيـة ذات اثر في الاوساط البريطانية العامة . كمـا تضمنت الدراسة نقدا قيما لهذه المواقف . ولا شك ان هذه الفائدة كان من شأنها ان تكون افضل لو اكتفى المؤلف بالطرح الوثائقي لمواقف المجلة والنقد الموضوعي لهـا دون الاطروحة الغامضة التـي تضمنتها ودون الاسلوب الاعتذاري التبريري الذي انعكس في الكلام عن اشتراكيتها ومثاليتها وما قابله من كلام عن جهلها بحقائق الامور . ولكن على اي حال ، فان هذه الدراسة لم تكن بمستوى القدرة على البحث الذي يتمتع به المؤلف والذي اظهره في دراساته السابقة وخاصة في دراسته ، **عمران فلسطين** ، التي صدرت عن مركز الابحاث عـام ١٩٧١ .

أ . ن . سعد

تقارير اعلامية

الاسبرانتو والاعلام العربي

يرجع اول عهدي بلغة الاسبرانتو الدولية الى يوم من اواخر ايام سنة ١٩٦١ عندما كنت اجتاز الحدود الايطالية بالقطار الى النمسا . وعندما جاء قاطع التذاكر النمساوي دخلت معه في جدل حول مفعول بطاقتي الايطالية التي كانت تخولني السفر بالقطار لمدة شهر كامل . وكان موضوع النقاش هل ان تلك البطاقة كانت تصلح للركوب لمدة شهر داخل القطارات الايطالية ام داخل حدود ايطاليا نفسها. ولما احتد اللغط بيننا اخذت اخلط معه كلمات ايطالية باخرى المانية . وهنا تدخلت سيدة نمساوية كانت جالسة في المقعد المجاور فاقترحت حل النزاع بان تتبرع هي بفرق الاجرة — مما دعاني الى ان أمد يدي الى جيبي حالا وادفع لقاطع التذاكر فانحل بيننا النزاع . وكانت هذه مناسبة للتحدث مع تلك السيدة التي قالت لي فيما بعد انني كنت اتكلم مع قاطع التذاكر مزيجا لغويا يشبه «الاسبرانتو». ولما سألتها ما الاسبرانتو لم تكن تعرف عنها سوى انها **اللغة الدولية** وانها صادف ان سمعتها مرة مع صديقتها في احد النوادي .

وبعدها لم تبرح من بالي كلمة « لغة دولية » ولا الفكرة التي اثارتها في ذهني تلك الكلمة خاصة بعد تلك المشادهة مع قاطع التذاكر التي كان سببها الاول هي **المشكلة اللغوية** . وفي ربيع ١٩٦٦ صادف ان لمحت في احدى مكتبات بغداد كتابا بالانكليزية لتعليم الاسبرانتو فرجعت بي الذاكرة الى ذلك الحادث ، وبعد عدة ايام وجدتني اكتب رسالة باللغة الدولية الى عنوان تلك السيدة النمساوية وجاءني جواب بالاسبرانتو من سكان العنوان الجدد ان تلك السيدة كانت قد هاجرت قبل سنين الى استراليا وان احد معارفهم الاسبرانتويين قد حرر لي الرسالة . وهكذا تحققت لي كلمة عابرة كنت قد سمعتها قبل ذلك بخمس سنين .. لقد الف الطبيب البولوني زامنهوف لغة الاسبرانتو واخرجها على الملأ في سنة ١٨٨٧ . وكانت الاسبرانتو في الواقع واحدة من محاولات عديدة مماثلة جرت في القرن التاسع عشر لتأليف لغة دولية اصطناعية مبسطة سهلة تكون في متناول جميع الناس من كل الاقطار كلغة مشتركة بينهم بالاضافة الى اللغات القومية المحلية . وكانت الاسبرانتو هي المحاولة الوحيدة التي كتب لها النجاح من بين كل مثيلاتها فانتشرت انتشارا واسعا وذلك بعد الحرب العالمية الاولى وخاصة في اوروبا والامريكتين ، كما كتب لها قسط من النجاح فيما بعد في بعض الاقطار المتطورة الاخرى مثل اليابان واستراليا والصين في الوقت الحاضر . وتعتبر المجلات الصينية الاسبرانتوية الان مرجعا معتمدا لتطور اللغة الدولية وذلك لانها اكثر المجلات الاسبرانتوية انتشارا في العالم في الوقت الحاضر . ويقدر عدد الذين يتكلمون الاسبرانتو الان بحوالي العشرين مليونا منتشرين في معظم اقطار المعمورة ، (وكان تقدير التايمس اللندنية لهم ٨ ملايين في سنة ١٩٥٣) .

وتشتق الاسبرانتو في الغالب من الجذور اللاتينية، كذلك من اللغات الاوروبية الاخرى . وتتسم الاسبرانتو بطابع منطقي دقيق بحيث يمكن تعلمها بمثل سرعة تعلم بعض مبادىء الرياضيات البسيطة. ويتألف نحوها وصرفها من ١٦ قاعدة بلا شواذ يمكن استيعابها جميعا خلال ساعة زمنية واحدة . وحروفها الهجائية لاتينية ، ولكن طريقة التهجي **صوتية** ، اي تكتب كما تسمع وتقرأ كما تكتب ، اذ أن لكل حرف هجائي صوت واحد فقط لا يتغير . وقد روعي في اختيار كلماتها وطريقة اشتقاقاتها الاختصار والدقة والموسيقى اللفظية ، كذلك الوضوح الكامل في التلفظ الذي يساعد عليه ان حروف العلة الخمسة في اللغة الدولية كلها **ذات نبرة طويلة** . ولحسن الحظ كلها موجودة فعلا **بالضبط** في النطق

العربي نفسه ، وقد اجتمعت كلها في اللفظ العربي للكلمات العربية الثلاث التالية ــ رافدين ، نور ، روما . ويتمكن كل من يعرف لغته القومية ان يتعلم الاسبرانتو بـ ١٥ ساعة دراسية . اما الذي لديه مبادىء من الانكليزية او الفرنسية مثلا فيمكنه تعلمها بسرعة اكبر . وبعكس ذلك ، فان تعلم الاسبرانتو يساعد كثيرا على تعلم اللغات الاوروبية خاصة اللغات اللاتينية منها كالفرنسية والاسبانية مثلا . واعتقد جازما ان انكليزيتي التي بدأت تعلمها منذ سنين طويلة قد تحسنت تحسنا كبيرا بعد تعلمي الاسبرانتو . (حتى اصبحت الان استطيع التحرير ونظم الشعر بها وتظهر لي اثار ادبية في المجلات الانكليزية بين الحين والاخر) . كما وجدت تعلم الفرنسية اسهل من ذي قبل بكثير . والسبب واضح ، الا وهو ان قواعد الاسبرانتو هي قواعد تحليلية وهي لذلك تمرين لغوي رائع ومفيد جدا حتى في اعادة فهم نحو اللغات القومية نفسها من جديد .. بطريقة ادق وافضل . يضاف الى ذلك جذورها المشتركة مع اللغات الاوروبية . وتظهر حقا في الاسبرانتو عبقرية الصناعة الفكرية الانسانية . واستطيع ان اضيف الى ذلك بكل ثقة ان التحدث باللغة الدولية او الكتابة بها هو بحد ذاته تمرين يساعد على ممارسة التفكير المنطقي بصورة عامة عند الانسان .

لقد صدر باللغة الدولية خلال الـ ٨٤ سنة الماضية عشرات الوف الكتب في شتى فنون المعرفة والاداب وسائر النشاط الفكري الانساني ، المترجم اليها من اللغات القومية والمؤلف فيها اصلا . ويجد المرء الان روائع الاداب العالمية ــ الكلاسيكية منها والحديثة ــ مترجمة الى الاسبرانتو . وقد ترجم القرآن الكريم في العام الماضي الى اللغة الدولية وقد حاز على رقم قياسي بالتوزيع بين الاسبرانتويين . وقام بالترجمة مستشرق ايطالي واضعا النص العربي أمام النص الاسبرانتوي وتظهر هذه الترجمة الان كدرة في مكاتب الاسبرانتويين . ويصدر بالاسبرانتو في الوقت الحاضر مئات من المجلات والنشرات الخاصة في مختلف مجالات الثقافة والعلوم والسياسة والاقتصاد والقانون والطب وحتى الفضاء . وتذيع بها ٢٢ دولة من بينها الصين وبولونيا وامريكا وفرنسا وايطاليا وبريطانيا والنمسا ويوغسلافيا وغيرها . كما تصدر بها عشرات الدول نشرات اعلامية وسياحية وثقافية مختلفة . وقد صدر للاسبرانتو اكثر من ٧٠ قاموسا ــ وهذا العدد من القواميس لا يتوفر لكثير من اللغات الحية في الوقت الحاضر . كما صدرت بالاسبرانتو افلام واغان كثيرة . وتتفرع من منظمة الاسبرانتو الدولية مئات من الجمعيات والنوادي القومية في اكثر من ٨٠ قطرا في العالم . وتجد حركة الاسبرانتو في الوقت الحاضر اقبالا كبيرا بين شعوب الدول الاوروبية والاشتراكية منها بصورة خاصة وذلك كمخرج من تنافس اللغات المحلية فيما بينها ، كذلك كمهرب من محاولة لغات بعض الدول الكبرى السيطرة « كلغات دولية » تبعا لنفوذها السياسي .

لقد كانت منظمة عصبة الامم قد اتخذت توصية في سنة ١٩٢١ بحق الاسبرانتو ، كما تبعتها منظمة الثقافة والفنون (اليونيسكو) في الامم المتحدة فاتخذت قرارا في سنة ١٩٥٤ اعترفت فيه لحركة الاسبرانتو الدولية بخدماتها الجلى في مجال العلاقات الثقافية الدولية خلال السبعين سنة الماضية واوصت فيه الامم الاعضاء بتشجيع تعليم الاسبرانتو في مدارسها . وتعقد منظمة الاسبرانتو الدولية (ومقرها في روتردام هولندا) مؤتمرات دولية سنوية تكون بمثابة « سوق عكاظ » عالمي . ويعقد مؤتمرها الـ ٥٦ هذه السنة في لندن (خلال اب القادم) ، وكان قد عقد المؤتمر السابق في فيينه .

ان ابرز ما لاحظته عندما تعلمت اللغة الدولية وبدأت اقرأ بها انها كانت خلوا من اي أثر عربي .. فلا خبر عن العرب الا ما « يجود » علينا به الخصوم الامبرياليون والصهاينة من الاضاليل والتلفيقات والمغالطات المضحكة . وبالرغم من أن الصهاينة اساتذة في فن التضليل ــ غالبا عن طريق الصراخ والبكاء والتظلم الكاذب ــ فان مستوى اعلامهم ، خلافا لما يتصور البعض ، يظل هزيلا نوعا ما بالرغم من كمه ونشاطه الواسع . واذا ما وجدوا ان الحجة تعوزهم ، تراهم يلجأون للقذف والتشنيع . ويندر جدا ان يجد المرء اي اثر للمنطق والرزانة فيما يكتبون ، وتجدهم مسترسلين في اكاذيبهم عندما يجدون انفسهم « مختلين » بالسامع او القارىء مطمئنين الى انهم لا يجدون ردا ولا معارضة ما دام الطرف الاصلي غائبا عن الميدان ــ « خلا لك الجو فبيضي واصفري . » . وبالرغم من أن صحافة الغرب الاسبرانتوية اكثر « رزانة » الا انها بصورة مبدئية تمالؤهم وقلما

تسمح بمعارضة حقيقية لهم على صفحاتها . اما المجلات الاسبرانتوية في الدول الاشتراكية فقد نشطت بعد حرب حزيران في الدفاع عن القضايا العربية ، شأنها في ذلك شأن سائر اجهزتها الاعلامية . الا ان السؤال الذي يتبادر حالا الى الذهن — اين هم اذن المثقفون العرب انفسهم عن هذه الجبهة الاعلامية الدولية الكاملة التي يسرح ويمرح بها الخصوم كأنهم يقاتلون بها اشباحا خفية ؟.. لقد كان هذا حقا شيئا مخجلا .

لقد كانت هذه اول فرصة حقيقية لممارسة هوايتي الادبية التي اكتسبتها عندما كنت ادرس العلوم الاسلامية وعلوم اللغة العربية في مدينة النجف الاشرف قبل عشرين عاما قبل ان اضطر ترك مدينتي تلك طلبا للرزق . وقبلها كنت قد قضيت معظم سني الطفولة في جنوب لبنان على حدود فلسطين مباشرة حيث كنا نحن اطفال القرية نتغنى فيما نتغنى باهازيج « عتابا » الثوار الفلسطينيين مما ترك اثرا خاصا في نفسي للثورة الفلسطينية . اما السياسة فهي « العلم الذي لا يحتاج الى تعلم » كما قال احدهم .. (وهي على كل حال تتلخص بكلمتين اثنتين — قوة وضعف — بمعناهما الواسع) . فباشرت باصدار ما يشبه النشرة ضمنتها مقالات ادبية وسياسية عن العالم العربي وخاصة عن القضية الفلسطينية ، وشرعت في توزيعها على الاسبرانتويين ومجلاتهم ونواديهم في القارات الخمس . وكم كانت دهشتي وسروري عظيمين عندما لاحظت بعد مدة وجيزة ان رد الفعل كان حسنا ومشجعا جدا . وانهالت علي مئات الرسائل مستحسنة ومهنئة ومشجعة . لقد لاحظت ان الاسبرانتويين هم بصورة عامة من عشاق الادب والمتطلعين للمعرفة والاطلاع وطلاب الحقيقة ، وانهم بصورة عامة يتعاطفون مع الثقافة العربية ومع نضال الشعوب العربية . ولشد ما اظهروا سرورهم البالغ انه — بعد لأي ، كما يقول المثل — اصبح لديهم بعض المواد العربية باللغة الدولية . وتتلخص مواضيع هذه المواد بالكتابة وبعض الترجمات عن الادب العربي (مقتطفات مناسبة من القرآن الكريم — اللغة العربية — امثال وحكم عربية — مقتطفات من الرحلات العربية القديمة — المعري وغيره — وقصائد ومواضيع عربية اجتماعية حديثة وغيرها) ، وكذلك كتابات وترجمات سياسية مناسبة عن كفاح الشعب العربي ونضاله لاسترداد حقوقه والدفاع عن كيانه امام اطماع القوى الامبريالية المحيطة بالوطن العربي وركيزتهم اسرائيل . وقد استفدت كثيرا من منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وترجمت قسما من مواده فلاقت قبولا حسنا جدا (ولكن مركز الابحاث لم يستطع مع الاسف اعادة طبع هذه المواد او طبع غيرها وذلك لاسباب مالية ، فهلا تحركت بعض النخوات العربية ؟..) لقد بلغ عدد المقالات والبحوث التي تيسر لي كتابتهاونشرها بين الاسبرانتويين حوالي المائة خلال السنوات الخمس الماضية ، وقد اقتبست مجلات الاسبرانتو الكثير منها ، كما اذيع عدد كبير منها من اذاعات وارسو وبودابست وزاغرب وغيرها . كما علمت ان قسما منها قد ترجم الى اللغات الالمانية والبرتغالية (مقال عن اللغة العربية ظهرت ترجمته كافتتاحية في مجلة المجتمع اللغوي البرتغالي ، لشبونة) والبولونية واليابانية والاكرانية والفرنسية وربما الى غيرها . ويقوم الاسبرانتويون بهذه الترجمات الى لغاتهم القومية اظهارا لتعاطفهم مع القضايا العربية . واستطيع ان اقول بفخر وتواضع اني استطعت ان اوصل وجهة النظر العربية الى قطاع مهم من الرأي العام المستنير متمثلا في جمهرة الاسبرانتويين خاصة في اوروبا والامريكتين وهي البلاد التي لا تزال تخضع لاثار سياساتها علينا في الوطن العربي . كما وزعت بينهم حوالي عشرة الاف بطاقة بريدية ملونة بديعة الطبع وبعض المواد الاعلامية والسياحية الاخرى خاصة عن العراق ولبنان . كذلك ترجمت ثلاث كراسات سياحية عن هذين البلدين العربيين الى اللغة الدولية اسوة بعشرات الدول التي تستخدم الاسبرانتو في المجال السياحي ، وقد وعد المسؤولون بطبع هذه الكراسات ونرجو ان يتم ذلك قريبا . وتبادلت مع الاسبرانتويين الاف الرسائل الشخصية تكاد تكون بالنسبة لي « دائرة معارف » لما تحتوي من اخبار وآراء وثقافات وتعليقات وانتقادات ومعلومات شيقة عن بلاد واقوام مختلفة. وكثير من هذه الرسائل كانت صريحة في ان على الشعوب العربية نفسها ان تشدد من نضالها ضد جيوب التخلف قبل ان تتوقع ان تحتل مكانها اللائق بين الامم . ولن يستطيع اي مخلص واع الا ان يرى ان التقدم الحضاري في الوطن العربي القائم على الانتفاضة على مخلفات الماضي الفاسدة ، ثم بناء المجتمعات على التقدم التكنولوجي والعدالة الاجتماعية وتطوير الثقافات الوطنية والمشاعر

القومية على اسس انسانية حديثة هو **المخرج الوحيد** الذي لا بديل عنه للالتحاق بركب الشعوب المتحررة كاملة السيادة . اما السلاح بحد ذاته فسيبقى بأيدينا مثله مثل سيف طويل تحاول التلويح به ذراع هزيلة ، الى أن نطهر كياناتنا الداخلية من الادران والامراض والنفايات السامة فنربي بذلك جسما سليما قادرا على الدفاع عن نفسه بكفاءة وعزم .

هذه خلاصة لقصتي مع اللغة الدولية التي فتحت امامي — كمثقف عربي — ابوابا على عالم جديد وطريف لحمته وسداه اناس هم حقا مدعاة للاهتمام . وهم يمثلون قطاعا واعيا من الرأي العام في مجتمعاتهم لانهم في الغالب من اصحاب المهن الفكرية والثقافية او من محبي الثقافة والاطلاع ، لذلك فانهم وسط مناسب جدا وبالغ الاهمية للاعلام العربي ولتطوير العلاقات الثقافية بيننا وبين شعوبهم — مما لا يمكن اغفاله ونحن نتلمس طريقنا للتعريف بقضايانا القومية ثم لتطوير واغناء علاقاتنا الحضارية والثقافية مع العالم الخارجي الاكثر تقدما منا — وذلك عن طريق هذه اللغة الدولية السهلة الجميلة الدقيقة الغنية بما لذ وطاب من آداب الامم الاخرى ومشاعرهاوثقافاتها العديدة المتنوعة . ثم ان استخدام اللغة الدولية سيظهرنا امام العالم باننا مجددون في افكارنا واساليبنا جادون في اللحاق بركب الزمن من حولنا. وأود ان اذكر بهذه المناسبة اني نشرت مؤخرا مقالا في مجلة « الورود » البيروتية (عددي ايار وحزيران) عالجت فيه موضوع اللغة الاصطناعية بطريقة علمية وكيف اننا نستطيع اتقان هذه اللغة بسهولة ويسر لا يمكن ان يتسنى لنا مثله — خاصة نحن العرب — في تعلم اي لغة اوروبية اخرى . واوصي القارىء الكريم بالرجوع اليه ليرى ان الصعوبة الوحيدة في اللغة الدولية تتمثل فقط في مرحلة فهم الفكرة — فكرة لغة دولية — نفسها وتبين ضرورتها لعالم اليوم الذي يتسارع تقارب اجزائه بعضها الى بعض يوما بعد يوم بحيث أصبحت مسألة تقبل لغة دولية ثانوية مشتركة ضرورة قصوى وشرط اساسي من شروط تطوير مجتمع دولي افضل .

هذه دعوة مخلصة لاخواني المثقفين العرب وخاصة اخواننا الفلسطينيين منهم ممن يرغبون في الاسهام بمعركة القلم في المجال الدولي . واستطيع ان اؤكد ان مجهودي المتواضع قد فعل فعله ايضا في اغاظة الخصوم الصهاينة ومواليهم واثار حنقهم . فقد حرر احد كتابهم المعروفين مقالا كاملا عني نعتني فيما نعتني باوصاف سيئة . كما استلمت من بعضهم تهديدا صريحا بان نشاطي هذا « خطير » (وان لم يقل على من ؟!) وانه « كان الاجدر بك ان تستخدم نفوذك في اصلاح ما بين الشعوب (!) العربية نفسها». حتى ان آخر ما كتب كان تعليقا في احدى المجلات ابدى فيه « عجبه » مع « تهانيه القلبية » لعربي استطاع ان يكتشف اللغة الدولية وان يتعلمها . وكان جوابي الحزين له أن العالم العربي يهب (؟؟) من عقول ابنائه ١٥ الف عقل مفكر يسرقهم منا اسياده في الغرب كل عام .

حسين محمد العاملي

نشاط الطلاب العرب الاعلامي في اميركا

« ساعدوا غزة » . كانت هذه العبارة مكتوبة باحرف كبيرة على يافطة عريضة في قلب جامعة كاليفورنيا بمدينة بركلي في « يوم غزة » الذي اقامه الطلبة العرب في الجامعة لمناصرة غزة الباسلة . وكان الشعار لذلك اليوم : « غزة — اكبر مخيم اعتقال في العالم ؛ وهذه المرة يحميه اليهود الصهيونيون »(١).

« من فلسطين الى فيتنام : نضال واحد وجبهات عديدة » وهذا الشعار ايضا اصبح يتزايد في الجامعات الاميركية ، ويعود السبب في ذلك الى نشاط الطلبة العرب المتزايد والى انصارهم الاميركيين . فهؤلاء الطلبة يحاولون ايضاح وجهة النظر العربية الى الطلاب الاميركيين وحقائق قضية فلسطين والشرق الاوسط . وجدير بالذكر ان برامج امثال « يوم فلسطين » و « يوم غزة » اصبحت تقام اليوم في معاهد التعليم العالي الكبرى الاميركية ، وتقام مدعومة من قبل اشخاص معروفين ومحترمين في اوساط الطلبة الاميركيين . ومن بين هؤلاء السيد روبرت شير ، المحرر السابق لمجلة « رامبرت مغازين » الذي يقوم حاليا (١٩٧٢)

بحملة واسعة النطاق لاعلام الطلبة الاميركيين حول الوضع الراهن في الشرق الاوسط(٢).

وقام الطلبة العرب في جامعة ستنفورد الشهيرة بولاية كاليفورنيا بتظاهرة ضد اسحق رابين ، سفير « اسرائيل » لدى واشنطن . ونتيجة لذلك اضطر تأخير حديثه ١٥ دقيقة . هذا وحضر الحديث ٥٠ شخصا فقط ، في حين بلغ عدد الذين تظاهروا ضده ٤٠٠ شخص ، كما وزع الطلبة العرب اكثر من ١٠،٠٠٠ منشور (كراسة) توضح للاميركيين ظلم الصهاينة في فلسطين المحتلة(٣).

وفي جامعة ولاية بنسلفانيا ، قام طالب عربي بعرض وجهة النظر العربية للقضية الفلسطينية في « مؤسسةهليل » اليهودية وهي مؤسسة تخدم الطلبة اليهود في الجامعات هنالك . وكذلك قام طالب عربي اخر في نفس الجامعة بالقاء محاضرة حول النزاع العربي الاسرائيلي الى احد صفوف التاريخ . وكلا المحاضرتين قوبلتا بالاستحسان والتفهم للقضية(٤).

هذه هي بعض النشاطات التي يقوم بها الطلبة العرب ، جماعات وافرادا ، في معاهد التعليم العالي الاميركية ، مستهدفين ، في ذلك ، ايصال حقائق القضية الفلسطينية الى رفاقهم في الجامعات وغيرهم من المواطنين الاميركيين . وفي هذا التقرير، يدور بحثنا حول نشاط الطلاب العرب في الولايات المتحدة وجهودهم الشخصية لخدمة القضية العربية الاولى ، القضية الفلسطينية . وسنركز في حديثنا هذا على معالجة النقاط الرئيسية التالية : لمحة موجزة عن عدد الطلاب العرب وحقول تخصصهم، مدى معرفة الاميركيين بالبلاد العربية عامةوبالقضية الفلسطينية خاصة ، ووضع الطلبة العرب الاستراتيجي لخدمة القضية في الجامعات ومجالات العمل الاعلامي والوسائل المستخدمة للاعلام ، والصعوبات التي تواجه الطلاب العرب في عملهم، والقاء نظرة سريعة حول اثر العمل الطالبي في الاميركيين ، واخيرا ، نقدم اقتراحات لتحسين الوضع الاعلامي العربي على صعيد الجامعات . ومما يجب الاشارة اليه هو ان هذا البحث يركز على نشاط الطلبة العرب في جامعات الولايات المتحدة الاميركية بعد حرب ١٩٦٧ فقط .

لمحة عن الطلبة العرب :

والحديث عن الطلبة في اميركا ، يفرض علينا تقديم لمحة موجزة عن عددهم وحقول دراساتهم . تفيد احدث الاحصاءات المتوفرة لدينا للعام ١٩٧١ ، ان عدد الطلبة العرب الذين يتابعون دروسهم في الولايات المتحدة الاميركيةبلغ ٨،٢٠٤ طلاب وطالبة، ينتمون الى ١٨ قطرا عربيا ويتابعون تعلمهم في مئات الجامعات والكليات الاميركية . وبالتحديد ، فان اكبر مجموعة من هؤلاء اتت من لبنان (١٢١٠ طلاب) يليها مصر (١١٠٣) ، فالاردن وفلسطين (٩٨٧) ، فالمملكة العربية السعودية (٩٣٨) فسوريا (٤٦٥) ، فالعراق (٤٤٦) ، فالكويت (٣٥٣) ، فليبيا (٣٨٩) ، فتونس (١٢١) ، فالسودان (١١١) ، فالمغرب (٧٨) ، فالجزائر (٤٦) ، فقطر (١٧) ، فاليمن (١٤) ، فالبحرين (١٣) ، فجنوب اليمن (٥)، فالامارات المتصالحة (٢) ، واخيرا طالب واحد من مسقط . ومعظم الطلبة العرب هم من الرجال ، بنسبة ٩٤ في المائة مقابل ٦ في المائة للنساء ، وكذلك معظمهم يتابعون تخصصهم في الدراسات العليا ، بنسبة ٦٠ في المائة . ومن حيث حقل الدراسة ، فان اكبر نسبة تدرس الهندسة (٢٧٪) يليها العلوم الطبيعية (١٢٪) ، فالعلوم الاجتماعية (١١٪) ، فالانسانيات (٩٪) ، فادارة الاعمال (٨٪) ، فالعلوم الطبية (٥٪) ، فالتربية (٣٪) واخيرا الزراعة بنسبة ٢ في المائة . ويذكر ان عدد الطلبة الاجانب من كافة انحاء العالم الذين يتابعون دراساتهم في الولايات المتحدة ١٤٤،٧٠٨ للعام ١٩٧١(٥).

منظمة الطلبة العرب :

وللطلاب العرب في الجامعات الاميركية منظمة تدعى « منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة وكندا ». تأسست في عام ١٩٥١ عندما بادر عدد من الطلبة الذين ادركوا ان مثل هذه المنظمة يمكن ان تكون وسيلة مثلى لخدمة القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة . وتكونت المنظمة لتحقيقالاهداف التالية : المساهمة في اماني العرب في التحرر والوحدة ، نشر المعلومات والحقائق عن الامة العربية وتاريخها وحضارتها وامانيها واهدافها وامكانياتها ونواحي التقدم فيها ، تشجيع الطلبة العرب في اميركا لدراسة المشاكل الاساسية التي تواجه العالم العربي وامكانية التغلب عليها ، تقديم المساعدات الممكنة للطلبة العرب الذين يدرسون في اميركا والذين ينوون الدراسة فيها في

حدود امكانياتها ، تنمية الصداقة والتفاهم مع الشعب الاميركي ، الاتصال بالمنظمات الطالبية الاخرى سواء كانت في اميركا او خارجها لتنمية اواصر الصداقة وتبادل النشرات والمعلومات(٦). واما في مؤتمر ١٩٧٠ فقد جرى تحول جذري في اهداف المنظمة . اذا استطاعت القوى التقدمية في المنظمة حشد عدد كبير من الطلبة العرب من اجل انقاذ المنظمة من الفئات اليمينية والانتهازية . واستطاع حشد الطلبة التقدميين ان يحرز الانتصارات التالية : اجراء تغييرات على دستور المنظمة والتي اتسمت بالصبغة التقدمية والتي تشكل ضمانة لاستمرار هذا الخط التقدمي الثوري. فاحد البنود الاساسية ، مثلا ، ينص ان على المنظمة ان تبني من الطالب العربي انسانا ملتزما بالفكر الثوري كي يستطيع ممارسة دوره فيما بعد عودته للوطن للمساهمة في حل القضايا والمشاكل التي تواجه حركة التحرر العربي عامة وحركة التحرر الوطني الفلسطيني خاصة (٧).

ومن خلال القاء نظرة سريعة على البرامج التي تركز عليها ، او تدارستها ، في مؤتمراتهاالسنوية، يمكن للقارىء ان يدرك اهتمام المنظمة بالقضية الفلسطينية بشكل خاص . ففي المؤتمر الحادي والعشرين الذي انعقد في ٢ — ١٩٧٢/٩/٦ في جامعة الينوي (فرع شيكاغو) كان من بين المواضيع التي تباحثها المؤتمرون النقطتان التاليتان : دور الطلبة العرب في عملية تقييم حركة المقاومة واخراجها من ازمتها التاريخية الاتية ، وعقد ندوة بعنوان « المهام الراهنة امام حركة المقاومة » القاها ممثلو فصائل المنظمات الرئيسية(٨). وفي المؤتمر العشرين الذي انعقد في جامعة هيوستن في تكساس في ٢٦ — ١٩٧١/٨/٢٩ فقد خصص جميع برامجه للقضية الفلسطينية تحت عنوان « الثورة الفلسطينية والثورة العربية — تحديات وآفاق » . والمواضيع التي بحثت تشمل : النضال الفلسطيني عبر التاريخ ، المقاومة منذ ايلول ١٩٧٠ ، فلسطين الديمقراطية ، الوحدة الوطنية خلال مراحل فلسطين التحرير ، دور المثقفين في الثورة العربية ، الثورة الفلسطينية والواقع العربي . وقد دعي الى المؤتمر اكثر من عشرين منظمة طالبية اميركية ، كما دعي عدد من الشخصيات العربية الفكرية المهتمة بالشؤون الفلسطينية(٩).

وركز المؤتمر السنوي التاسع عشر الذي انعقد في مدينة لونج بيش بولاية كاليفورنيا في ٨/٢٩ — ١٩٧٠/٩/٢ على حلقة دراسية حول « العمل الطالبي في خدمة الثورة الفلسطينية » (لقاء مع وفد طلاب فلسطين) ، وحلقات دراسية عن « الثورة الفلسطينية ، البعد العربي واستراتيجية الثورة » ، ثم حلقات دراسية عن « البعد العالمي للثورة الفلسطينية »(١٠).

وختم المؤتمر اعماله بعد ان اقر شجب الحلول الاستسلامية كما اقر الخط السياسي الجديد للمنظمة . ومن ابرز نقاط الخط الجديد الكلمات التالية : « ان الصهيونية هي حركة استيطانية عنصرية حليفة للاستعمار ومعادية لتطلعات الجماهير العربية وامانيها في التحرر والاستقلال والتقدم ، كما وان اسرائيل تشكل قاعدة امامية للاستعمار والامبريالية تستعمل كأداة ودرع وتأخير لمسير الثورة العربية ، ولا بد من مواجهة هذا العدو وقلعه من الارض الفلسطينية ودحره الى الابد . اكدت تجارب شعوب القارات الثلاث — اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية — في حربها ضد قوى الاستعمار ، ان التحرر والخلاص الوطني من قبضة الاستعمار لا يأتي الا عن طريق حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد ، التي فيهما يتم حشد مجموع طاقات الشعوب وتعبئتها لمحاربة القوى الاستعمارية »(١١).

وتصدر اللجنة التنفيذية في منظمة الطلبة العرب صحيفة تدعى « الاخبار » ، وهي نشرة تربوية ثقافية تستهدف تحسين الروابط بين الشعبين الاميركي والعربي ، وتنقل اخبار الطلاب العرب ونشاطهم وكل ما يتصل بالقضية الفلسطينية باللغتين الانكليزية والعربية.

جهل الاميركيين بالمنطقة والقضية :

ولا بد لنا من تذكر بعض الشيء عن جهل الاميركيين بالمنطقة وبالقضية الفلسطينية ، وكل من يزور اميركا ويتباحث مع اهلها يدرك ذلك تمام الادراك. فالاميركيون اجمالا غير مطلعين على الشؤون الدولية، كما يتوقع من شعب متعلم وقوي ومتقدم . ويعود ذلك الى ان الصحف الاميركية وغيرها من وسائل الاعلام تركز عادة على الاخبار المحلية والاميركية اكثر من اي اخبار اخرى . واما بالنسبة للشرق الاوسط ، فان اخبار اسرائيل تحتل الصدارة في

وسائل الاعلام ، نظرا لطغيان الدعاية الصهيونية هناك ، ولغياب الوجود الاعلامي العربي الرسمي المنظم .

والامثلة التالية تلقي الاضواء على صحة ذلك : جاء في مقال في صحيفة « مدل ايست انترناشونال » التي تصدر في لندن في مقال لها عن الطلاب العرب في الولايات المتحدة ان سيدة فلسطينية نشيطة في حقل القضية كتبت رسالة الى البيت الابيض حول ازمة الشرق الاوسط . ورد البيت الابيض برسالة جاء فيها : « اشكرك على استفسارك عن قضية فيتنام » ، اي ان البيت الابيض اخذ يخلط بين الشرق الاوسط وفيتنام . ونقل كاتب المقال عن لسان طالب مصري بأنه عندما يعرف عن نفسه انه طالب مصري ، فان جواب الشعب يأتي دوما « حسنا » ، انت يهودي « اي انهم يخلطون ايضا بين المصري واليهودي ، رغم ان الشاب المصري هذا غير يهودي . وهذا لا يقتصر على عامة الشعب فقط ، بل حتى طلاب الدراسات العليا يجهلون ابسط الحقائق عن المنطقة وبالتالي عن القضية . ويطرح الشعب اسئلة تظهر سذاجتهم بشكل واضح ومنها : هل انت من العربية (الجزيرة) ؟ كما انهم يظنون ان مدينة دمشق هي في مصر . كما يظن الشعب الاميركي بان قضية الشرق الاوسط هي قضية نزاع بين العرب واليهود ولا يعلمون جوهر القضية التي هي نزاع بين الفلسطينيين والصهيونيين »[١٢]. هذا ولقد اختبر كاتب هذا المقال تجارب اغرب مما ذكر ، ومن ابرزها ان لبنان يقع في اوروبا ، في مكان ما بجوار سويسرا وفرنسا . او حتى البعض منهم لا يعرف بان ثمة بلدا اسمه لبنان . وبالاضافة الى كل ذلك ، يطرح الاميركيون من طلاب وغيرهم اسئلة بسيطة جدا ، تبرهن عن الجهل الفادح بالمنطقة وبوسائل العيش الاساسية. فالاسئلة التي تطرح هي : هل تعيشون في الخيم؟ هل عندكم تلفونات؟ هل عندكم تلفزيونات؟ هل تجلسون على الكراسي ؟ كيف تأكلون : باليد ام بالشوكة والسكين ؟ الخ .

وعلى الرغم من كل ذلك الشيء الذي ينبغي التشديد عليه هو ان الشعب الاميركي اجمالا لطيف ، وطيب القلب ومنفتح على الاخرين ، وفوق ذلك يحب ان يعلم عن الاخرين ، ولا يخاف ان يقول : انا لا اعرف ، حدثني عن بلدك او عن نفسك .

مجالات العمل :

والان نأتي الى صلب الموضوع ، بحيث يتجسد نشاط الطلبة العرب الاعلامي في مجالات عديدة ، ابرزها : مؤتمرات سنوية للمنظمة (كما ذكرنا) ثم قيام برامج تدعى « اسبوع فلسطين » و « يوم غزة » ، وقيام حفلات شاي وقهوة ونزهات ، عقد ندوات وكتابة رسائل الى الصحف وتوزيع نشرات ، القاء محاضرات واحاديث في الجامعات وفي خارجها ، تنظيم تظاهرات والاشتراك بالمعارض وبالمهرجانات الدولية ، الخ .

١ — **اسبوع فلسطين ويوم غزة :** ومن ابرز ما يقوم به الطلبة العرب في الجامعات الاميركية ربما تنظيم برامج حول « فلسطين » و « غزة » يدعون الطلاب والاساتذة اليها ، يتكلم عادة في تلك البرامج شخصيات اميركية مهتمة في القضية الفلسطينية ومفكرين عرب . وتشمل الوسائل التي يستخدمها الطلبة العرب في البرامج عادة عرض صور وافلام عن فلسطين وتوزيع مناشير حول القضية ، وتنظم رحلات ونزهات وعرض ازياء عربية وفلسطينية تشترك فيها فتيات عربيات واميركيات، وتختتم عادة بجمع تبرعات لصندوق فلسطين . ويشترك في البرامج هذه مفكرون وكتاب عرب ، وممثلون عن المقاومة ، واساتذة اميركيون، وسفراء اميركيون سابقون في البلاد العربية ، وممثلو الدول العربية في الامم المتحدة ، ويهود غير صهيونيين . وفي يوم غزة ، في جامعة كاليفورنيا ، الذي سبق القول عنه ، خصصت صحيفة « ذي دايلي كاليفورنيا » وهي صحيفة الجامعة الطالبية التي توزع ٤٠،٠٠٠ نسخة يوميا، صفحة كاملة عن نشاط الصهيونيين ومقاومة ابناء غزة لهم . واثناء النهار طافت سيارة تحمل مكبر الصوت في شوارع بركلي، ودعت الشعب الى حضور الاجتماع . ونتيجة لذلك فقد حضر الاجتماع ٦٠٠ شخص . وعلقت الصحيفة المذكورة على ذلك بان هذا العدد الكبير من الحضور اثار دهشة بعض المراقبين هناك لانه كان اكبر عدد يحضر اجتماعا سياسيا في الجامعة خلال عام اتسم بالركود الطالبي . وكان المتكلم الرئيسي السيد روبرت شير ، وهو اميركي من اصل يهودي ولكنه ينتمي الى اليسار الجديد ، فجذب انظار الحضور واوضح كيف يجب على اليهود ان يتحرروا من الصهيونية ، ثم تطرق الى القاء نظرة حول تاريخ حركة المقاومة الفلسطينية من خلال احداث غزة

وذعا اليهود التقدميين الى تحرير انفسهم من الدعاية الصهيونية . وفوق ذلك فان محاضرته قد اذيعت في اليوم التالي من على الراديو بحيث وصلت الى ملايين الناس كما نشرت الصحف نشاط يوم غزة على نطاق واسع(١٣).

٢ ــ **تعلموا عن فلسطين :** وفي جامعة كولومبيا الشهيرة في نيويورك اقيم مهرجان تعليمي Teach-in حول قضية التحرير العربية التي تواجه الامبريالية الصهيونية . وكان الغرض من المهرجان المذكور دعم النضال الثوري العربي . ومن ابرز المواضيع التي بحثت المحاضرات والمناقشات التي دارت حول : حركة التحرير الفلسطينية ، طبيعة واستراتيجية اسرائيل ، الثورة العربية ، الصهيونية ، ودور الاستعمار والامبريالية في المنطقة . وقد تكلم في البرنامج عدد من العرب والاميركيين المهتمين بالقضية الفلسطينية(١٤).

٣ ــ **رسائل الى الصحف :** ويرسل الطلبة العرب رسائل الى الصحف تنشر عادة في بريد القراء ، مقدمين ايضاحات حول ملابسات القضية الفلسطينية .

٤ ــ **الاتصالات بالمنظمات الراديكالية :** يعمل الطلبة العرب مع التنظيمات الطالبية الراديكالية واليسارية الجديدة التي تجتاح معظم الكليات والجامعات الكبيرة في الوقت الحاضر في اميركا . وهذه المنظمات تتعاطف مع حق الشعب الفلسطيني في الحياة والحرية والعودة الى ارضه الاصلية . وفي هذا المجال ،قابلت الانسة الشابة لندا جانس في جامعة جنوب الينوي اثر محاضرة القتها في الخريف الماضي في مهرجان انتخابي . هذه الفتاة مرشحة عن حزب العمال الاشتراكي . عندما سألتها ، في سياق حديثنا، عن رأيها في القضية الفلسطينية، اجابت بالكلمات التالية : « نحن ، في حزب العمال الاشتراكي ، نعارض الحركة الصهيونية ونعتبرها جزءاً لا يتجزأ من الامبريالية العالمية . ونحن ندعم حقوق الشعب الفلسطيني ، غير اننا لا نقف مع فريق ضد الاخر في الصراع القائم حاليا في الشرق الاوسط . لذا ، نحن نؤيد حركة فتح الفدائية التي تدعو الى قيام دولة ديمقراطية تضم العرب واليهود في أمة واحدة على السواء »(١٥). هذا ولقد قرأت خبرا في صحيفة الحزب المذكورة والتي تدعى « ذي ميلتنت » عن حركة المقاومة وكان الخبر في الواقع مكتوبا بدقة وبموضوعية ، قلما ترى خبراً من هذا النوع في تلك البلاد .

٥ ــ **اتصالات شخصية :** ولعل افضل الوسائل لخدمة القضية الفلسطينية تتمثل في الاتصالات الشخصية والفردية ، وهذا دون شك افضل وسائل الاعلام الذي يستخدمه الطلاب العرب . وجدير بالذكر ان معظم احاديث الطلبة العرب ، وخاصة الفلسطينيين ، تركز بشكل رئيسي حول القضية الفلسطينية وشرح ملابساتها وتقديم الحقائق عنها .

اثر نشاط الطلبة :

بعد كل ما تقدم ، السؤال الذي يطرح نفسه بصورة جد بديهية هو : ما هو اثر نشاط الطلاب العرب في اميركا وما هي مدى فعاليته ؟ في الواقع لا يستطيع احد ان يعرف تماما اثر نشاط الطلبة الاعلامي ، لان هذا الباحث لم يعثر على ايةدراسة حول هذا الموضوع ، غير ان جميع الدلائل المتوفرة، نتيجة للتجارب والاتصالات الشخصية ، تشير الى ان نشاط الطلاب ذا اثر ، وذلك ضمن امكاناتهم المحدودة . ففي كل حوار او مناقشة يتفوق الطلبة العرب على الصهيونيين . وهذا ما لمسته غير مرة في اميركا ، لان الحضور يتجاوب مع الافراد الذين يقدمون اكبر نسبة ممكنة من الارقام والحقائق . وهذا ما يفعله الطلبة العرب .

وفي هذا المجال بدأت المنظمات الصهيونية تعرب عن ضيقها بنشاط الطلاب المتزايد فكتب مراسل النيويورك تايمز يقول ، نقلا عن تقرير للمنظمة الصهيونية المسماة « بناي بريث » التي ادعت ان جماعات الدعاية العاملين في الولايات المتحدة الذين يتعاونون مع جماعات اميركية متطرفة ، يدعمون حركة فتح الفدائية التي تشن حربا ضد اسرائيل . وقال السيد ارنولد فوستر ، من المجلس العام للعصبة المذكورة ، ان جماعات الدعاية تشمل حوالي ١٠،٠٠٠ طالب في منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة كما تشمل جماعات شيوعية واليسار القديم والراديكاليين الجدد ، وبعض السود الثوريين . وجاءت هذه الهجمات والادعاءات في تقرير للعصبة من ٢٧ مكتبا اقليميا في جميع انحاء الولايات المتحدة . وكان التقرير قد صدر نتيجة لتزايد العطف على العرب في الغرب والذي سبب اثارة اهتمام اسرائيل . وتابع فوستر يقول « ان حملة تبرع ودعاية قامت لمنظمة فتح في العام الماضي (١٩٦٨) ، وقام بها جماعة من الطلبة

الفلسطينيين العرب في هذه البلاد . وفي ديترويت بولاية ميشغان يقوم اعضاء منظمة الطلبة العرب بحملة لجمع التبرعات . وفي بعض الاحيان يقومون بالتعاون مع الجماعات الناشئة من التروتسكيين وحزب العمال »(١٦). وقبل هذا التقرير بسنوات، كانت منظمات الصحف الصهيونية قد بدأت ايضا الاعراب عن ضيقها بنشاط الطلبة العرب ، فكتبت صحف اسرائيلية ، تحذر من نشاطهم المتزايد في الولايات المتحدة ، كما فعلت الشيء نفسه صحيفة « النيويورك تايمز » في مقال نشر في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٦٦(١٧). هذا وقد بدأت السلطات الاميركية ، منذ حادث ميونخ ، تمارس سياسة ارهابية ضد الطلبة العرب في الولايات المتحدة تتمثل في الملاحقات المستمرة والمضايقات المتنوعة .

هذا ويتجلى اثر نشاط الطلبة العرب في الجهود التي يبذلها بعض الاميركيين والاجانب في نصرة القضية الفلسطينية . ففي هذا السبيل ، كتب البروفسور الاميركي « ثرمان ل. بروكس » ، وهو استاذ العلوم السياسية في جامعة جنوب الينوي بالاشتراك مع طالب الدكتوراه الهندي السيد س . كماراتنام ، الى صحيفة الجامعة « ذي دايلي ايجبشان » رسالة الى المحرر تحت عنوان : « من هو اللاجيء ؟ » ذكرا فيها ان العالم يتناسى اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من بلادهم الاصلية بالقوة وهم اليوم مازالوا في حالة يرثى لها.

وفوق ذلك، لا يمكن للقارىء ان يتصور مدى اثر نشاط الطلبة العرب وفعاليته في الوقت الحاضر، لانهم يقومون بنشاط مع الطلاب في الجامعات . ولا يخفى ان هؤلاء الطلبة اليوم لا نفوذ لهم في الحكومة ولا في سياسة اميركا الخارجية . ولكن النقطة التي اود ان اركز عليها هي : ان الطلبة العرب يدرسون مع قادة المستقبل في اميركا وزعمائها وطليعة الرأي العام الاميركي . فمن هؤلاء دون شك سيتخرج الحكام والسياسيون والمحامون والقضاة والاطباء والمهندسون والاداريون والعلماء والمدرسون ورجال الاعمال وربات البيوت ، الخ. ومعنى ذلك ان البذور التي يغرسها اليوم طلبتنا في الخارج سوف تنمو وتكبر وتصبح يوما شجرة كبيرة ، تعطي اثمارا . ولكن الذين يريدون نتائج لنشاط الطلبة على جناح السرعة ، فهذا شيء شبه مستحيل في الوقت الحاضر . وثمة مثل غربي يقول : « لم تبن روما بيوم واحد » .

صعوبات تواجه الطلبة :

يمر نشاط الطلبة العرب الاعلامي وجهودهم بعقبات جمة ، منها داخلية ومنها خارجية ، البعض منها يمكن التغلب عليها بسهولة والبعض الاخر يتطلب جهودا كبيرة . ومن ابرز الصعوبات التي تواجه عملهم الاعلامي في اميركا تتلخص بما يلي :

١ — لعل اول ما تعاني منه منظمة الطلبة العرب في الوقت الحاضر هو الحصول على المال الكافي للقيام بنشاطها على خير ما يرام . فالمال مهم في الحقل الاعلامي ، كما لا يخفى على احد . وتعاني المنظمة بشكل خاص من صعوبات مالية نظرا للحصار الذي فرضته السفارات العربية عليها ، فقد ادى هذا الحصار الى الحد من قدرة المنظمة على التحرك والانطلاق واتمام المشاريع التي كانت قد وضعتها ووعدت الطلبة بها واهمها اصدار المجلة الدورية .

٢ — ويعاني العمل الطالبي الاعلامي من فقدان العمل الموحد في هذا الشأن . فمن المعلوم ان الطلبة العرب في اميركا لا يسيرون وفق خطة مدروسة وموحدة ، بل وفق فئات مختلفة ، سياسيا واجتماعيا . فهذه الفئات لا تستجيب الى اهداف المنظمة وبرامجها . اضف الى ذلك ان ثمة عددا من المؤسسات العربية التي تعمل ايضا بشكل مستقل ولا تبدي رغبتها في التعاون مع المنظمة ، مما يؤدي الى تشتت الجهود الاعلامي العربي . وثمة فئات أيضا من الطلبة العرب تتأثر ببعض الجماعات الطالبية بالفكر غير الواعي لبعض فئات اليسار الجديد في الولايات المتحدة ، مما يسبب وجود مزيد من التنافر بين الطلبة العرب في أميركا ، ويأتي كل ذلك في الوقت الذي يحتاج فيه العرب الى المزيد من الاتحاد وليس المزيد من التباعد والتنافر. فخلافات الدول العربية نفسها هنا تنعكس هناك أيضا . فكل فئة تميل الى دولة عربية أو أكثر .

٣ — واخيرا ، لا بد من ذكر ضغوط الدعاية الصهيونية . فمما لا جدال فيه ان عدد الطلاب العرب ضئيل جدا بالنسبة لعدد اليهود الصهيونيين وأنصارهم . فقوة الدعاية الصهيونية والاسرائيلية نفسها كبيرة وقوية جدا وذات نفوذ وخاصة في وسائل الاعلام الجماهيرية ، كالراديو والتلفزيون والصحف والمجلات . والدعاية الصهيونية صناعة

قديمة ومدروسة للغاية ، يقوم بتخطيطها علمــاء واختصاصيون في هذا الفن .

اقتراحات لتقوية النشاط الاعلامي

وختاما ، فما هي أبرز الخطوات الواجب اتخاذها لجعل نشاط الطلبة العرب الاعلامي أكثر فعالية وايجابية ؟ لعل ابرز الامور التي يمكن القيام بها لتوحيد الجهود ولتصعيد النشاطات الاعلاميةتتلخص بما يلي : تزويد الطلاب العرب بأحدث الكتــب والمنشورات والوثائق والصحف والمجلات حــول القضية الفلسطينية باللغة الانكليزية . ثم توفير المال الكافي الى منظمـــة الطلبة العرب لاتمــام مشاريعها الاعلامية وفصل السياسة عـــن النشاط الاعلامي . وكذلك يجب توفير نوع من الحماية العربية للطلاب العرب الذين يتعرضون للضغـــوط الصهيونية او الذين يحتاجون الى مساعدات مالية نتيجة لجهودهم للمساهمة في النشاط الاعلامي . ويحسن استقطاب العناصر الطالبية الاميركيـــة المتعاطفة مع القضية وتجنيدها للعمـــل الاعلامي العربي ودعمها ماديا ومعنويا ، كما يحسن تقديم منح للطلاب الاميركيـــين المهتمين بالقضية الــى الدراسة في الجامعات العربية وذلك كي يطلعوا عن كثب على أحوال قضايا البلاد العربية واحوال اللاجئين . وكذلك يجدر تسهيل الزيـــارات لبعض الفئات والافراد الاميركيين المتعاطفين مع القضية الى زيارة البلاد العربية وخاصـــة قرى الحدود ومخيمات اللاجئين التي تتعرض للعدوان الاسرائيلي بين الحين والاخر . واخيرا ، لا بد من تأليف لجنة اعلام عربية عليا توجه عمل الطلاب في اميركا .

الدكتور الياس زين

١ — *The Daily Star* (Beirut), January 20, 1972.

٢ — *Ibid.*

٣ — *Ibid.*

٤ — *News* (Organization of Arab Students in the USA), May, June 1970, p. 5.

٥ — *Open Doors 1971*, (New York: Institute of International Education).

٦ — عن كتيب تحت عنـــوان : **مؤتمر الطلاب العرب الاول** ، مارس ١٩٥٩ (منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة الامريكية) ، ص ٣ — ٥ .

٧ — مجلـــة « **الهدف** » (بيروت) ، ١٤/٨/١٩٧١ .

٨ — مجلة « **الرايـــة** » (بيروت) ، ١٠/٧/١٩٧٢ .

٩ — « **الهدف** » ١٤/٨/١٩٧١ .

١٠ — وصفحة واحدة على ستانسل ، دون تاريخ ، باللغة الانكليزية (مكتبة الدراسات الفلسطينية) .

١١ — نشرة « **الاخبار** » (منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة) تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ ، ص ٦ .

١٢ — Henry P. Burn, "Arab Students in the USA," *Middle East International (London)*, Vol. 12, March 1972, pp. 27 - 29.

١٣ — *The Daily Star*, January 20, 1972.

١٤ — *The Militant* (publication of Socialist Worker's Party, USA), 11/4/1969.

١٥ — مقابلة الكاتب مع الانســـة لندا جـــانس اجريت في جامعة جنوب الينوي في ٩/١٠/١٩٧١ .

١٦ — *The New York Times*, (April 20, 1969).

١٧ — « **الاسبوع العربي** » (بيروت) ، ٢٠/٢/١٩٦٦ .

يقتضي التعرض للاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية البدء بتحديد مفهوم الاعلام ومدى اختلافه عن مفهوم الدعاية . ويمكن القول ان الاعلام Information عبارة عن مجموعة من الحقائق المرتبطة بموضــوع او قضية معينـــة أو مواضيع أو قضايا معينة تنقل مـــن مرسل لهذه الرسالة الاعلامية الى مستقبل audience لها عن طريق عدة وسائل أبرزها وسائل الاعلام الجماهيري mass media والاتصال المباشر .

وهذا يختلف عنمفهوم الدعاية Propaganda وهو عبارة عن مجموعة من الحقائق المغرضة او المشوهة او المناقضة التي تهدف الى تغيير المنطق الذاتي لمتقبلي الرسالة الاعلامية وتجعلهم يتخذون موقفا معينا ما كانوا يتخذونه لو لم يتعرضوا لمثل هذا العمل الدعائي(١).

وتعتبر جامعة الدول العربية اطارا من اطارات العمل العربي المشتــرك في المجالات السياسية والاعلامية والاقتصادية والثقافية والصحية والفنية الخ ... اي ان الاعلام العربي المشترك يعتبر أحد جوانب العمل العربي المشتــرك في اطار جامعة الدول العربية(٢).

ويقتضي التعرض للاعلام العربي المشترك تناول ما يلي(٣). اولا : تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العــربية . ثانيا : المنطــق الاعلامي المشترك للدول العربية . ثالثا : وظيفة الاعلام العربي المشترك .

اولا : تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العربية :

يمكن تحديد الاطار التنظيمي لجهاز الاعلام العربي فيما يلي :

(١) اجهزة التخطيط والتوجيه والمتابعة

مجلس وزراء الاعلام العرب : يتألف مـــن وزراء الاعلام في الدول الاعضاء ، وعادة ما يجتمع مرة سنويا ، وينظر المجلس في السياسة الاعلاميـــة العربية المشتركة ، ويقوم بدراسة ما يرفع اليه من تقارير عن الدعاية المضادة وطرق مجابهتها كمـــا يدرس توصيات اللجنة الدائمة .

اللجنة الدائمة للاعلام العربي : تتألف من رؤساء أجهزة الاعلام في الدول الاعضاء ، وتجتمع مرتين في العام كما يجوز أن تجتمع على دورات استثنائية لدراسة المشروعـــات الاعلامية واقتراح الخطـــة الاعلامية والعمل على وضع السياسة الاعلامية التي يرسمها مجلس وزراء الاعلام موضع التنفيذ وتتابع جهود جهـــاز الاعلام بالجامعة ومكاتبـــه بالخارج .

وللجنة أن تستعين في دراساتها بالمتخصصين العرب في مجال الاعلام بوصفهم خبراء لاعداد بحوث في موضوعات تعينها لهم .

المكتب الدائم للدعوة العربية : يتألف من الملحقين الصحفيين في السفارات العربية بالقاهرة ومندوب عن هيئة الاستعلامات المصريـــة لتحقيق الصلـــة المستمرة بين الامانة العامـــة والدول الاعضاء . ويشمل اختصاص المكتب المشروعات الاعلامية التي يستدعي تنفيذها مراجعة الدول الاعضاء والاتصال بها وتقوم الامانة العامة باطلاع المكتب على تقارير مكاتب الاعلام العربي في الخارج المفصلة لاوجه نشاطها والحملات الاعلامية والرأي العام في المنطقة التي تعمل بها بحيث يكون المكتب الدائم صلة فعالة بين جهاز الاعلام العربي في الامانة العامة والدول الاعضاء ، اما الهيئة التي يستمد منهـــا المكتب سلطته بجانب الدول الاعضاء فهي اللجنة الدائمة للاعلام العربـــي التي تقدم اليهـــا تقارير المكتب وتوصياته(٤).

(٢) الهيكل التنظيمي للجهاز

يرئس الجهاز الامين العام المساعد المشرف على شؤون الاعلام ويتكون الجهاز من ادارة مركزية وفروع في الخارج .

١ — **الادارة المركزية :** يرئسها مدير . ونص قرار الامين العام رقم ٩٤ لعام ١٩٦٩ على أن العمل يتوزع في الادارة بين لجنة ومكتبين وثلاثة اقسام :

أ — **لجنة التخطيط والمتابعة :** يرئسها مدير الادارة وتشكل من الوكيل ورؤساء الاقسام وتجتمع يوميا برئاسته واسبوعيا برئاسة الامين العام المساعد المشرف على جهاز الاعلام ، ومهمة هذه اللجنـــة دراسة اعمال المكتب الفنـــي وتحديد السياسة المرحلية والدائمة للعمل الاعلامي ودراسة مشروعات الخطط الاعلامية والبرامج التي يقترحهـــا قسم التخطيط والمتابعة ومشروعات الانتاج التي يقترحها

قسم الانتاج الاعلامي والنظر فيما يعد للعرض على اجهزة التخطيط والمتابعة وتقييم العمل الاعلامي في ضوء تقارير المتابعة ووضع برامج التفتيش الفني والاداري والمالي على اعمال مكاتب الجامعة في الخارج وتنسيق العمل بين اقسام ادارة الاعلام.

ب — **المكتب الفني** : يتلقى ما يرد من جميع مصادر الانباء والمعلومات كما يتلقى تقارير الحكومات العربية ومكاتب الجامعة في الخارج وذلك مباشرة او عن طريق قسم التخطيط والمتابعة الذي يزود المكتب بصور ما يرد اليه ويدرس المكتب كل ذلك بهدف تحليل اتجاهات ومواقف الرأي العام والتوصية بالسياسة الواجب اتباعها واقتراح مضمون الخطط الاعلامية والتوصية بما ينبغي ان يصدر من بيانات او مطبوعات ويدرس ما يتعلق بشؤون المقاطعة بالتعاون مع باقي الاقسام .

جـ — **مكتب العلاقات العامة والصحافة** : ينقسم العمل بهذا المكتب الى (١) مركز العلاقات العامة ويقوم باعداد وتنظيم زيارات الوفود والشخصيات للبلاد العربية بالتعاون مع مكاتب الجامعة في الخارج من جهة وحكومات الدول الاعضاء من جهة اخرى كما يقوم بالاتصالات التي يكلف بها على الصعيدين العربي والدولي . (٢) المركز الصحفي ويتولى تنظيم الاتصال بأجهزة الاعلام ورجال الاعلام واهل الفكر وينظم عقد المؤتمرات الصحفية ويصدر البيانات والنشرات الصحفية ويدعو رجال الاعلام للاجتماعات العربية .

د — **قسم الشؤون الادارية** : يعتبر مسئولا عن حسن سير العمل في جميع اقسام ووحدات الادارة فيتلقى بريد الادارة ويتابع تنفيذ التعليمات ويتولى العمل الاداري المتعلق بالجهاز ... الخ .

هـ — **قسم الشئون المالية والعاملين بجهاز الاعلام** : يوجد بالادارة المالية وشئون الموظفين قسم للشئون المالية والعاملين بجهاز الاعلام تسند اليه جميع الاعمال المالية والحسابية وشئون العاملين ويتولى مراقبة ومراجعة مصروفات الجهاز .

و — **قسم التخطيط والمتابعة** : يتولى اقتراح مشروع الخطط الاعلامية وتنسيق العمل الاعلامي وتجميع المعلومات والوثائق وتبويبها واعداد البحوث والدراسات ومتابعة تنفيذ الخطط والبرامج الاعلامية والاشراف على اعمال مكاتب الجامعة في الخارج .

ويعمل على تعزيز العلاقات بالاتحادات والمنظمات العربية والاجنبية والجاليات العربية وجمعيات الصداقة ومنظمات الطلبة والعمال العرب في الخارج ويتولى العمل في هذا القسم شعبتان :

١ — **شعبة المتابعة** : وتقوم بمتابعة اعمال الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة والمنظمات المختلفة واوروبا وافريقيا واسيا والامريكتين .

٢ — شعبة **الوثائق والمعلومات والبحوث** : ينقسم العمل بها الى ثلاث وحدات : ١ — **المعلومات** : تتولى هذه الوحدة تبويب المعلومات وحفظها وحفظ الوثائق وتقوم بتنظيم مكتبات الافلام والصور والخرائط . ٢ — **البحوث**: تتولى اعداد الدراسات والبحوث وتتعاون مع مراكز البحوث والدراسات وتقترح البرامج المرحلية وبعيدة المدى تمهيدا لتوزيع اعبائها بينها وبين المراكز الاخرى : ٣ — **الترجمة** : تقوم بأعمال الترجمة .

ز — قسم الانتاج الاعلامي :

مهمته انتاج المواد الاعلامية ويتولى العمل في هذا القسم : ١ — **شعبة التحرير والمطبوعات** : تتولى امور النشر وتعميمه والاشراف على اصداره . ٢ — **شعبة الصوت والصورة** : تتولى اعداد الشرائح الملونة والصور الفوتوغرافية وانتاج الافلام السينمائية الخاصة بالاعلام واعداد التسجيلات الاذاعية . ٣ — **شعبة المعارض والسياحة** : تتولى تنسيق التعاون العربي في مجال المعارض في اطار الهيئة العربية للمعارض وفي مجال السياحة بالتعاون مع الاتحاد العربي للسياحة . ٤ — **شعبة الطباعة** : تقوم بتصوير المستندات وطبع الكتيبات والنشرات(٥).

٢ — **مكاتب الجامعة العربية في الخارج** : وهي مكاتب الجامعة العربية في الولايات المتحدة الامريكية / مكتب نيويورك ، واشنطن ، شيكاغو ، سان فرنسيسكو ، دلاس/ ، مكتب الجامعة في كندا/اوتاوا/ ، مكتب الجامعة في بيونس ايرس بالارجنتين ، مكتب الجامعة في ريو دي جانيرو بالبرازيل ، مكتب الجامعة في لندن ببريطانيا ،مكتب الجامعة في باريس بفرنسا ، مكتب الجامعة في جنيف بسويسرا ، مكتب الجامعة في روما بايطاليا، مكتب الجامعة في بون بالمانيا الغربية ، مكتب الجامعة في نيودلهي بالهند ، مكتب الجامعة في طوكيو باليابان ، وبالنسبة لافريقيا هناك ملحق

صحفي في نيروبي واخر في داكار(٦). وعادة ، يوجد بهذه المكاتب مسئولون عن العلاقات العامة والصحافة والبحوث ... الخ وفقا للامكانيات المتاحة واحيانا تقوم بمهام تمثيلية مثل مكتب نيويورك .

وتتعاون الهيئات العربية التالية مع المكاتب الخارجية : أ ــ **لجنة رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية** : تتألف من رؤساء البعثات الدبلوماسية والقنصلية العربية ومديري المكاتب في المنطقة التي يعمل بها المكتب ومهمتها التعاون وتبادل الرأي والاتفاق على الخطة العربية . ب ــ **اللجنة الاعلامية** : تتكون من مديري المكاتب الخارجية ويجتمعون اجتماعات دورية لدراسة الموقف الاعلامي العربي وتبادل المعلومات وتوحيد الخطط الاعلامية التي ينفذها كل مكتب حسب امكانياته المتاحة . جـ ــ **اللجنة الاقتصادية** : تتألف من القائمين على الشئون الاقتصادية في السفارات العربية في الخارج ومهمتها دراسة المصالح العربية الاقتصادية في الدول التي تعمل بها ومتابعة النشاط الاسرائيلي الاقتصادي واقتراح طرق مجابهته . د ــ **اللجنة الثقافية** : تتألف من الملحقين الثقافيين بالسفارات العربية . وتعمل اللجان الثلاث بتوجيه من مجلس رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية(٧).

ثانيا : المنطق الاعلامي المشترك للدول العربية :

يمكن تقسيم هذا المنطق الى منطق سلبي ومنطق ايجابي(٨).

المنطق السلبي : يمكن تحديد المنطق السلبي للاعلام العربي المشترك فيما يلي :(٩)

ــ **اسرائيل حقيقة إستيطانية** : يستند المنطق الاعلامي العربي الى ابراز الحقائق عن الصفة الاستيطانية لاسرائيل والتصدي لمزاعمها التاريخية وابراز الادلة العلمية التي تثبت عروبة فلسطين وابراز اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ والعوامل التي مهدت لذلك ، والاستناد في هذا المصدر الى الادلة الاثرية وكتابات الاجانب ومنهم بعض اليهود غير الصهاينة لاثبات الصفة الاستيطانية لاسرائيل .

ــ **ابراز الحقائق الدينية المرتبطة باسرائيل واليهود والعرب** : وذلك بتفنيد « الوعد الالهي » وغير ذلك من المزاعم الصهيونية مع الاستناد الى المتخصصين في هذا الصدد وان الوعد شمل العرب ايضا .

ــ **ابراز وجود الديانة اليهودية وعدم وجود ما يسمى بالعنصر اليهودي** : تفنيد الادعاءات الخاصة «بالعنصر اليهودي» و«الامة اليهودية» و«القومية اليهودية» وحقيقة وجود ديانة يهودية لاناس مختلفي العناصر والاصل الانتروبولوجي مع الاستناد الى كتابات المختصين في الانتروبولوجيا والتاريخ وغيرها .

ــ **اسرائيل حقيقة استيطانية مرتبطة بالغرب** : ابراز الصفة المهاجرة للعنصر البشري في اسرائيل وابراز دور العنصر البشري المهاجر من الغرب واهميته النسبية ، وحقيقة الاقتصاد الاسرائيلي الذي يتسم بالاصطناعية فهو منقول Transmitted economy اساسا من الغرب .

ــ **اسرائيل تعبر عن صورة جديدة للفاشية والنازية** : تعبر اسرائيل عن صورة جديدة للتسلطية مثل الفاشية والنازية وذلك لاهدارها حقوق الانسان العربي وحرياته الاساسية في الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ وما بعدها وذلك بالاضطهاد واهدار الحريات ومصادرة الممتلكات والقتل وهدم الممتلكات وابعاد السكان ... الخ.

ــ **التقدم التكنولوجي الاسرائيلي منقول من الخارج:** ابراز الحقيقة العصرية والتكنولوجية لاسرائيل واثبات صفتها الاصطناعية سواء اكان ذلك في العنصر البشري والامكانيات المادية والفنية وان اسرائيل لم تحول الصحراء الى اراضي خصبة ولكن التقدم التكنولوجي ولا سيما الموارد من الغرب هو الذي قام بهذه المهمة .

ــ **اسرائيل دخيلة على الشرق الاوسط** : اسرائيل جزء دخيل على الشرق الاوسط ويتسم وجودها بعدم الاستقرار لانها دخيلة عليه ، لقيامها على ارض فلسطين وطرد السكان الاصليين منها .

ــ **اسرائيل تمثل الفكرة العنصرية** : وذلك بكشف الاسس العنصرية للمجتمع الاسرائيلي سواء اكان ذلك ضد العرب او بين اليهود انفسهم وتشابه ذلك مع النظم العنصرية في افريقيا الجنوبية .

هذه هي ابرز نقاط المنطق السلبي للاعلام العربي المشترك ، اما ابرز نطاق **المنطق الايجابي** للاعلام العربي المشترك فيمكن توضيحها فيما يلي :(١٠)

ــ **حتمية الوحدة القومية** : ابراز مقومات الوحدة القومية التاريخية والسياسية والاقتصادية وغيرها مع توضيح اهمية التكامل السياسي والاقتصادي في عالم اليوم .

— **شرعية المقاومة الفلسطينية** : ابراز الادلة القانونية والسياسية والتاريخية لشرعية المقاومة الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واعتبارها حركة من حركات التحرير الوطني ومرتبطة بالنضال من اجل التحرير الوطني .

— **الدول العربية تأخذ بالتقدم التكنولوجي** : تاخذ الدول العربية بالتقدم التكنولوجي في حدود امكانياتها كدول حديثة العهد بالاستقلال وتسير بخطوات في هذا الصدد .

— **ابراز مساهمة العرب الحضارية** : ساهم العرب في الحضارة الانسانية في المجالات المختلفة كما ان اوروبا استفادت مما اضافه العرب الى الحضارة والعلم مع الاستدلال بالبقايا الاثرية وكتابات المختصين في هذا الصدد .

— **ابراز الطابع القومي العربي** : توضيح الطابع القومي العربي واتسامه بالانسانية والتعاون والاخاء مع التصدي للمحاولات التي تهدف الى تشويهه والنيل منه .

— **انسانية الموقف العربي تجاه القضية اليهودية**: تأكيد الموقف الانساني للشعب العربي تجاه القضية اليهودية وابراز تاريخ الاخاء العربي اليهودي وتمتع اليهود بحقوق المواطنة في الدول العربية(١١)

ويأخذ هذا المنطق في اعتباره عدة عوامل اهمها :

— **مستقبلو الرسالة الاعلامية** : يأخذ المنطق الاعلامي العربي في اعتباره مستقبلي الرسالة الاعلامية ومن هنا تبرز تعدد وسائل الاعلام وتعدد مؤسساته وابراز المداخل المناسبة لمستقبلي الرسالة الاعلامية وعلى هذا الاساس تبدو اهمية معرفة الرأي العام القطاعي Sectorial والمناطق المتعلقة بمستقبلي الرسالة الاعلامية .

— **التخطيط السياسي** : يعتبر الاعلام العربي المشترك احد وسائل السياسة الخارجية العربية المشتركة ولذلك فالتخطيط الاعلامي العربي يسير في اطار التخطيط السياسي العربي المشترك وعلى هذا الاساس يأخذ التخطيط الاعلامي العربي في اعتباره اهداف السياسة الخارجية العربية ودور الاعلام في تحقيق هذه الاهداف .

— **الدعاية الاسرائيلية** : يضع الاعلام العربي في اعتباره الدعاية الاسرائيلية المضادة ووسائلها وامكانياتها وكفاءة العاملين فيها واستراتيجيتها الطويلة وما يتعلق بذلك من امور مرحلية بالاضافة الى المنطق الدعائي الصهيوني ومراحله وتطوره والعوامل المؤثرة فيه(١٢).

ثالثا : وظيفة الاعلام العربي المشترك :

يمكن تحديد وظيفة الاعلام العربي فيما يلي :

وظيفة الاتصال بالجماعات المؤثرة: يقوم الاعلام العربي بالاتصال بالجماعات المؤثرة مثل جماعات الضغط Pressure groups والجماعات المصلحية interest groups واللوبيهات Lobbies والشخصيات البرلمانية والحزبية ومختلف المؤسسات المؤثرة في صناعة القرار السياسي .

وهنا يؤخذ في الاعتبار طبيعة النظم السياسية السائدة وطرق اتخاذ القرار ومدى ديمقراطيته او اوتوقراطيته وهل يفرض من القيادة او تساهم فيه الفئات الحكومية .

وعلى هذا الاساس فان الاتصال بالجماعات المؤثرة عامل هام في التأثير على موقف الدولة من القضايا التي يطرحها الاعلام العربي وفي هذا الصدد يؤخذ في الاعتبار درجة الموقف السياسي للدولة وتتراوح هذه المواقف بين التأييد التام والتأييد والحياد والمعارضة التامة والمعارضة وهنا تكون وظيفة الاعلام العربي تحديد درجة الموقف السياسي للدولة والعمل على زحزحته نحو درجة التأييد الممكنة لصالح القضايا العربية ويكون موقف الدولة معيارا لتحديد الطريقة التي يتدخل بها الاعلام العربي ومدى الامكانية المتاحة لهذا الاعلام وقدراته والظروف التي يعمل بها في هذا الصدد .

ويتعدى الاعلام العربي هذه الوظيفة للقيام بوظيفة مرافقة الا وهي وظيفة العلاقات العامة .

وظيفة العلاقات العامة : يمكن تلخيصها في انها نقل الحقائق الى مستقبلي الرسالة الاعلامية ومعرفة رد الفعل Feed-back للمتقبلين واخذه في الاعتبار عند توجيه الرسائل الاعلامية التالية وهنا يتم توزيع الكتب والكتيبات والمنشورات والنشرات والبيانات الصحفية والاتصال بالصحف والاذاعة والتلفزيون واجراء المقابلات مع وسائل الاعلام والسياحة وذلك بتشجيع الحركة السياحية للعالم العربي ... الخ .

وهذه الوظيفة تؤثر في الرأي العام بشكل عام الامر الذي يؤثر على المستقبلين بغض النظر عن مدى تأثيرهم في اتخاذ القرارات(١٣).

وظيفة تمثيلية : تنحصر في القيام بوظائف تمثيل جامعة الدول العربية باعتبارها ليست منظمة اقليمية فحسب بل هي ايضا منظمة قومية لانتماء اعضائها الى عقيدة القومية العربية وعلى هذا الاساس نجد ان مكتب نيويورك مثلا يقوم بوظيفة تمثيلية بالاضافة الى صفته الاعلامية وهذا يرجع الى وجود الامم المتحدة في نيويورك ومن هنا يبرز دور المجموعة العربية والاتصال بها عند تحديد المواقف والتصويت عليها في الامم المتحدة .

خاتمة : استعرضنا فيما سبق تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العربية والمنطق الاعلامي العربي المشترك للدول العربية ووظيفة الاعلام العربي المشترك واذا اخذنا ذلك في الاعتبار لتحديد فاعلية الاعلام العربي فان الامكانيات المتاحة والاشخاص القائمين بها والظروف المرتبطة بذلك وطرق الاختيار بين البدائل، كل ذلك في جانب والدعاية الاسرائيلية والصهيونية ولا سيما استراتيجيتها ومراحلها والعوامل المؤثرة فيها وامكانياتها ومنطقها الدعائي وتخطيط هذا المنطق ، كل ذلك في اطار الظروف الدولية والاعتبارات السياسية ، وعلى هذا الاساس يمكن القول ان الاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية سار على نحو لا بأس فيه وحقق اهدافا معقولة في حدود امكانياته وان الحكم المطلق على دور الاعلام العربي المشترك بالفشل او النجاح دون الاخذ في الاعتبار هذه العوامل يعتبر اما جهلا بالحقائق او حبا في الهجوم فالاعلام العربي المشترك كجزء من نشاط جامعة الدول العربية يعتبر انعكاسا لارادة العمل العربي وارادات الدول الاعضاء ، كما ان الجامعةالعربية بدأت تستفيد من المتخصصين والفنيين والخبراء في كافة المجالات في حدود امكانياتها الامر الذي يجب النظر اليه بعين الجد .

محمد علي العويني

---

١ — فيما يتعلق بهذه المفاهيم انظر تعريفات اخرى في :

— د. حامد ربيع — المخطط الدعائي في الاستراتيجية الصهيونية — مجلة **السياسة الدولية** — العدد ١١ — يناير ١٩٦٨ .

— د. حامد ربيع — **فلسفة الدعاية الاسرائيلية** — مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية بيروت — يوليو ١٩٧٠ .

— Klapper: *The Effects of Mass Communication,* 1961

— Symposium Ljubljana 1968, Mass Media and International Understanding, School of Sociology, Political Science and Journalism, Ljubljana, 1969.

وعرضنا لهذا الكتاب في مجلة **السياسة الدولية** — العدد ٢٧ — يناير ١٩٧٢ — ص ص ١٦٧ — ١٧١ .

٢ — د. سيد نوفل — **العمل العربي المشترك ماضيه ومستقبله** — الكتاب الاول — ١٩٦٨ — منشورات معهد البحوث والدراسات العربية — جامعة الدول العربية — ١٩٦٨ .

— د. سيد نوفل — **العمل العربي المشترك في المجال الدولي** — منشورات معهد البحوث والدراسات العربية — جامعة الدول العربية — ١٩٧١ .

٣ — اعتمدنا في هذه الدراسة على الاندماج في الظاهرة موضع الدراسة احيانا و الاحتكاك بها أحيانا اخرى وملاحظتها بالاضافة الى الاحالات المرجعية واعتمدنا في الجزء الخاص بالمنطق الاعلامي على تحليل المضمون .

٤ — قرار سيادة الامين العام رقم ٩٤ بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٦٩ .

— **المجلة المصرية للعلوم السياسية** — عدد خاص عن جامعة الدول العربية — العدد / ٦٧ — يوليو ١٩٧٠ — ص ص ١٨٨ — ١٩١، ٢٤٠ .

— دليل جامعة الدول العربية — **ملحق الاهرام الاقتصادي** — عدد ١٥ مارس ١٩٧٠ — تقديم د. بطرس بطرس غالي — ص ص ٤٨ — ٤٩ ، ٥٣ — ٥٥ .

٥ — قرار سيادة الامين العام رقم / ٩٤ بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٦٩ — مرجع سابق .

— **المجلة المصرية للعلوم السياسية** — العدد / ٦٧ — مرجع سابق .

٦ — لمزيد من التفصيل انظر :

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — **ميزانية عام ١٩٧٠ / ١٩٧١** من ١٩٧٠/٧/١ حتى ١٩٧١/٦/٣٠ . والتي وافق عليها مجلس الجامعة بجلسته المنعقدة في يوم ١٩٧٠/٣/١٤ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — جهاز الاعلام — تقرير عن نشاط مكاتب الجامعة في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي — ١٩٧٠ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — تقرير عن موقف الاعلام العربى عن النصف الاول من ١٩٧١ .

٧ — قرار سيادة الامين العام السابق الاشارة اليه .

المجلة المصرية للعلوم السياسية — مرجع سابق ص ص ١٩٠ — ١٩١ .

٨ — وصلنا الى هذا المنطق اساسا عن طريق تحليل المضمون وهو اسلوب من اساليب تحليل المواد الاعلامية .

انظر فيما يتعلق بتحليل المضمون :

Lindzev, Aronson : *The Handbook of Social Psychology*, Vol. II, 1968, p. 63.

د. حامد ربيع — **نظرية الدعاية الخارجية** — كلية الاقتصاد والعلوم السياسية — جامعة القاهرة ١٩٧٠ — ص ٩٧ وما بعدها .

انظر بعض الدراسات في تحليل المضمون مثل :

Suleiman, Michael W., « The Mass Media and the June War» & H.H., «The Middle East Crisis of 1967 and the New York Times», in *Essays on the American Public Opinion and the Palestine Problem*, P.L.O. Research Center, Beirut, February, 1969.

٩ — اعتمدنا في الوصول الى هذا المنطق السلبي على تحليل مضمون نشرات وكتب صادرة عن مكاتب الجامعة في الخارج والادارة المركزية للاعلام مثل :

— *The Arab World*, Published by the Arab Information Center, New York, U.S.A.
— *Al'arab*, Published by the League of Arab States Mission, New Delhi, India.
— *Informations Arabes*, Centre d'Information Arabe, Genève.
— *Actualités Arabes*, Publié par le Bureau de la Ligue des Etats Arabes, Paris.
— *The Arab*, Published by the Arab League Office, London.
— *The Arab Review*, Published by the Arab League Office, Tokyo.

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — نشرة الاعلام العربي .

١٠ — اعتمدنا في هذا الصدد على المراجع السابقة نفسها .

١١ — جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — مذكرة بشأن تنسيق الامكانيات الاعلامية في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي — ١٩٧٠ — وضع هذه المذكرة لجنة من الخبراء مكونة من د. بطرس بطرس غالي ، د. عاطف عبيد ، د. نبيل شعث ، د. انيس صايغ ، والاستاذ تحسين بشير .

١٢ — محمد علي العويني — **السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا** — رسالة ماجستير — كلية الاقتصاد والعلوم السياسية — جامعة القاهرة — يوليو ١٩٧١ — ص ص ٢٥٤ — ٢٥٧ .

— تحسين بشير — **النشاط الاعلامي العربي في الولايات المتحدة** — مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية — بيروت — ١٩٦٩ .

— منذر عنبتاوي — **اضواء على الاعلام الاسرائيلي** — مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية — بيروت — ١٩٦٨ .

Kishtainy, Khalid : *Verdict in Absentia*, P.L.O. Research Center, Beirut, 1969.

١٢ — انظر مثلا :

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — جهاز الاعلام ، تقرير عن نشاط مكاتب الجامعة في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي — ١٩٧٠ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — تقرير عن موقف الاعلام العربى عن النصف الاول من عام ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في طوكيو — نشاط المكتب عن الفترة من منتصف نوفمبر حتى منتصف ديسمبر ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في لندن — نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في روما تقرير عن اهم نشاط المكتب خلال شهر ديسمبر ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في البرازيل — تقرير عن نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — مكتب بون — تقرير عن نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

— جامعة الدول العربية — مكتب جنيف — التقرير الاعلامي لشهر نوفمبر ١٩٧١ .

جماعة السينما الفلسطينية
وجماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث

مع بداية شهر شباط ١٩٧٣ كان الاتفاق قد تم نهائيا بين أغلبية أعضاء [جماعة السينما الفلسطينية]، بقبول المشروع الذي تقدم به مركز الابحاث بتبني الجماعة . وبعد هذا القبول ، أصبح اسم الجماعة كالآتي [جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث] . وقد ظلت أهداف الجماعة كما أعلنت عنها في بيانها الذي صدر في شهر حزيران ١٩٧٢ .

ما هي جماعة السينما الفلسطينية ؟ وما هي جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث ؟ كيف تكونت، وكيف تم هذا اللقاء بينها وبين الجماعة في مركز الابحاث وما هدفه .

تحدثت الجماعة في بيان لها عن اهمية السينما الفلسطينية وضرورة تطويرها « كي تستطيع الوقوف بجدارة الى جانب المقاتلين الشجعان ، وتعكس حقيقة القضية وتصور مراحل كفاح الشعب الفلسطيني لتحرير ارضه وتعكس الماضي والحاضر وتستشرف المستقبل . ومثل هذه السينما ينبغي ان تنمو وتتطور ضمن جهود منظمة مجتمعة .. » . من هذا المنطلق تكونت الجماعة من المهتمين بشؤون السينما والادب والفكر وقد أعلنت عن أهدافها كما جاء في البيان كالآتي :

« **ضمن الانتاج** : تحقيق أفلام ثورية تحشد الجماهير حول الثورة وتعرف بكفاح شعبنا وقضيته للعالم .
ضمن الوثيقة : انشاء مكتبة سينمائية (أرشيف ، يضم الوثائق المصورة المتحركة والثابتة التي تحتوي على صور نضال شعبنا ومراحل تطور قضيته) .
ضمن التعاون : توطيد العلاقة مع الجماعات السينمائية الثورية والتقدمية في العالم والمشاركة في مهرجانات السينما باسم فلسطين ، وتقديم التسهيلات السينمائية المتوفرة الى كل الجهات الصديقة التي تعمل ضمن أهداف الثورة الفلسطينية » .

وقد تكونت جماعة السينما الفلسطينية عبر نقاشات طويلة وبعد لقاءات عدة ابتدأت في بداية عام ١٩٧٢ . وقد ساهم في هذا النقاش اطراف رسمية مثل قسم الثقافة الفنية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية — في بداية النقاش الاولى ثم انسحب هذا القسم من المشاركة في النقاش فيما بعد . وقد كان مهرجان دمشق الدولي الاول لسينما الشباب الذي انعقد في نيسان ١٩٧٢ ، عاملا هاما في تنشيط النقاش والبحث عن صيغة تمكن هؤلاء « المهتمين بشؤون السينما والادب والفكر » ، استخدام هذه الوسيلة الجماهيرية الهامة — السينما .

اما حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، فتح ، فقد أيدت الفكرة ووضعت كافة امكانيات قسم السينما التابع للاعلام المركزي من معدات وأرشيف بمتناول الجماعة . وفي نفس الوقت تم لقاء بين ممثلين عن (الجماعة) ومركز الابحاث ، وقد أعرب المركز عن اهتمامه بالموضوع ، وعرض على (الجماعة) مقرا لها في المركز كما ابدى اهتماما كبيرا بفكرة انشاء مكتبة سينمائية فلسطينية .

هذه العوامل فتحت أبوابا هامة أمام (الجماعة)، ومنحتها الدعم المعنوي . وقد أعلنت الجماعة بيانها وأقرت نظامها الداخلي بعد هذا التشجيع والدعم بوقت قصير . وزعت الجماعة بيانها بشكل واسع ، وأقامت صلات مع بعض السينمائيين التقدميين ، وخاصة اثناء المهرجان الدولي الرابع للايام السينمائية بقرطاج ، والذي أقيم في تونس في بداية اكتوبر ١٩٧٢ ، كما أجرت اتصالات مع مدير مؤسسة السينما السورية السيد عبدالحميد مرعي، ومدير مؤسسة السينما التونسية المعروفة (بالساتباك) السيد حمادي الصيد . وأجرت اتصالا مع مركز الفنون السمعية والبصرية الجزائرية ، وآخر مع السكرتارية العامة للمهرجان الدولي الاول لافلام وبرامج فلسطين والذي يعقد في بغداد في الفترة ما بين ١٩ و٢٢ آذار ١٩٧٣ . في وقت لاحق ، وفي حوالي منتصف كانون الاول ١٩٧٢ تقدم مركز الابحاث ، بعد ان حصل على موافقة من جامعة الدول العربية بدعم مشروع المكتبة السينمائية ، تقدم المركز بمشروع تبني جماعة السينما الفلسطينية وذكر في مقدمة المشروع المقترح ما يلي :

« يرى المركز أن مزيدا من الالتحام بينه وبين الجماعة سيؤدي الى خير السينما الفلسطينية : ذلك ان المركز يعلق اهمية كبيرة على وجود الطاقات الفنية الواعية التي تضمها الجماعة ،

الامر الذي يشجعه على تبني نشاطاتها وتوفير الدعم الادبي والمادي كي تحقق الجماعة أهدافها التي أعلنت عنها في بيان تأسيسها . وسوف يوظف المركز سمعته التي اكتسبها على كل صعيد كي يفتح أمام الجماعة مداخل واسعة تلج منها الى ميدان تحقيق طموحاتها وممارسة أعمالها على الوجه الاكمل » . وقد احتوى المشروع اقتراحا لتنظيم العلاقة بين المركز وجماعة السينما الفلسطينية شملت الصيغة العامة للعلاقة ، والنواحي الفنية ، والقضايا المالية وأمورا عامة. وفيما يلي أهم البنود التي وردت في مشروع مركز الابحاث :

« **الصيغة العامة للعلاقة :**

أ — اسم الجماعة : جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث .

ب — الجماعة تمثل المركز وتنطق باسمه في جميع الميادين السينمائية وهي تمارس عملها من ضمن هذه الصيغة ، وبذلك فان كل اتصال لها او نشاط معنوي أو مادي (مهرجانات انتاج ، انتاج مشترك ، تمويل) ينحصر في هذه الصيغة .

. . .

د — تختار الجماعة احد اعضائها ليتفرغ للعمل السينمائي في المركز بشرط أن تتوفر فيه الشروط الفنية التي تؤهله لهذا العمل . »

وفي القضايا المالية :

« أ — ينشأ صندوق خاص باسم جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث ترصد فيه جميع الاموال التي ترد الى هذا المشروع . ويتم الصرف من هذا الصندوق على جميع الاحتياجات الفنية للجماعة . ومدخول هذا الصندوق يخصص فقط للمشاريع السينمائية ولا ينفق منه على اي من مشاريع المركز الاخرى .

. . .

د — يتم تدقيق الحسابات حسب الانظمة المتبعة في الصندوق القومي الفلسطيني . »

وتحت بند أمور عامة :

« أ — تضع الجماعة لنفسها نظاما داخليا يحدد سير عملها .

. . .

ج — يهيىء المركز جميع الظروف الممكنة التي تساعد الجماعة على تأدية مهماتها ، كما يوفر حاليا مكانا للجماعة ويوفر لها التسهيلات الادارية . »

وبعد مناقشة هذا المشروع ، رأت اغلبية أعضاء جماعة السينما الفلسطينية ، ان قبول هذا المشروع سيكون بمثابة بدء عملي في تحقيق الاهداف التي أعلنت عنها . فأقرت المشروع ، وبهذا أصبح الاسم الجديد (جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث) وقد بوشر بالعمل من بداية شباط ١٩٧٣ في مركز الابحاث ، من اجل تحقيق أهداف الجماعة المعلنة .

من بين أهداف الجماعة ، تبرز المكتبة والارشيف كهدف هام ، فالمكتبة التي ستشمل اللقطات السينمائية عن فلسطين والشعب الفلسطيني ، منذ مطلع هذا القرن ستكون مصدرا هاما للاعلام الفلسطيني والعربي . ان المطلع على القضية الفلسطينية ، يدرك ان جميع الوثائق التي تخص هذه القضية ، هي وثائق في صالح قضية الشعب الفلسطيني . والوثائق التي تخص وعد بلفور ، وكذلك الوثائق التي تخص الهجرة الصهيونية والاساليب التي طبق الصهاينة فيها خططهم لشراء الاراضي واقامة المستعمرات ، وكذلك الوثائق التي تخص النضال الفلسطيني منذ ١٩١٧ مرورا بعام ١٩١٩ ، ١٩٢٩ ، وثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، وكذلك النضال الذي تلا ضد الانتداب الانجليزي والصهيونية مرورا بعام ١٩٤٨ ، وكذلك الوثائق التي تخص مأساة هذا الشعب في التشرد والضياع ... هذه الوثائق وغيرها الكثير ، تؤكد حق الشعب الفلسطيني بفلسطين ، وتكشف طبيعة العدوان الواقع على هذا الشعب — والوثيقة السينمائية من بين جميع الوثائق هي الاهم ، لانها تمتلك خاصية نقل الحدث الحي ، صوتا وحركة وصورة. ان مساعدة الاطراف المهتمة بالعمل في سبيل القضية الفلسطينية ، والعاملة في تحقيق آمال الشعب الفلسطيني والممثلة بثورته المسلحة ، مساعدة مادية ومعنوية ، ضرورية لانشاء هذه المكتبة السينمائية الفلسطينية ، وانشاء سينما فلسطينية قادرة على نقل تجربة الشعب الفلسطيني.

مصطفى ابو علي

شـهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

شهدت حركة المقاومة شهرا صاخبا مليئا بالحيوية والنشاط والمعارك السياسية والعسكرية التي شملت اكثر من بلد . وتميز هذا النشاط بتنوع انماطه وتعدد نتائجه ، وطرح اسئلة واحتمالات سياسية من نوع جديد . كما استطاع هذا النشاط ان يكون محورا لكثير من التحركات والمواقف العربية ، سواء على صعيد الانظمة او على صعيد الاحزاب والقوى الشعبية ، التي انشغلت كلها بما اثارته نشاطات حركة المقاومة طوال الفترة الممتدة من ١١ شباط الى ١٠ اذار ١٩٧٣ .

العدوان الاسرائيلي على مخيمات لبنان :

الموقف الاسرائيلي الدائم والمعلن ، ان اي نشاط فدائي ينطلق من البلاد العربية ، يكون الرد عليه في البلاد العربية نفسها ، وذلك تحقيقا لاهداف متعددة . في مقدمتها ضرب العمل الفدائي نفسه ، ودفع الحكومات العربية الى التضييق على حركة المقاومة تفاديا للخسائر التي تحدثها الاعتداءات واحداث انقسام بين الفدائيين والسكان المدنيين نتيجة الخسائر التي يتعرضون لها . وكذلك استخدام جو التوتر الناشيء لضرب الثورة العسكرية العربية . وسابقا كان التكتيك الاسرائيلي يحرص على توجيه الضربات العسكرية حين تكون هناك عمليات فدائية كبيرة ، او عمليات فدائية صغيرة يجري تضخيمها اعلاميا ، وذلك لايجاد مبررات تستخدم كغطاء في الاوساط الدولية .ولكن هذا الموقف تبدل بعد عملية ميونيخ الشهيرة . فعلى اثر هذه العملية اعلنت اسرائيل رسميا وبقرار من الكنيست ، انها ستضرب في كل مكان وبكل وسيلة ، وبدون انتظار للمبررات ، معتبرة ان هناك معركة مفتوحة بينها وبين الفدائيين ، وبينها وبين كل بلد يقدم مساعدات للفدائيين . واضافة الى ذلك طورت اسرائيل اساليبها ،فأخذت تمارس رسميا سياسة الارهاب والاغتيال ، كما اصبحت مستعدة لقصف وضرب تجمعات المدنيين على نطاق واسع . وقد كان نصيب لبنان ، ونصيب التجمعات الفلسطينية في لبنان ، كبيرا من هذه السياسة ، وادى مثلا الى اتفاق فدائي لبناني بتجميد العمل العسكري المنطلق من مناطق الجنوب منذ عدة أشهر ، رغم قناعة حركة المقاومة بأن اعتداءات اسرائيل ليست مرتبطة بنشاطات الفدائيين فقط .

وفي منتصف ليل ٢٠ شباط تأكدت قناعة حركة المقاومة ، وسقطت حجة الحكومة اللبنانية الداعية الى تجميد النشاط الفدائي ، وذلك حين اقدمت اسرائيل على شن هجوم عن طريق البحر على المدنيين الفلسطينيين في مخيمي نهر البارد والبداوي في المنطقة الشمالية من لبنان . وكان من الواضح ان هدف اسرائيل الاساسي ايقاع خسائر كبيرة بالمدنيين تحدث هزة معنوية في صفوفهم ، وضرب المكاتب الادارية للعمل الفدائي ، ليس لقيمتها العسكرية ، بل لما تمثله من رمز معنوي للفلسطينيين .

كان العدوان الاسرائيلي مفاجئا وسريعا واحدث خسائر كبيرة بالارواح . ولكنه بالرغم من ذلك ووجه بمقاومة باسلة من متطوعي الميليشيا في المخيمات ، لا تعني من القول بضرورة رفع كفاءتهم القتالية ودرجة تيقظهم ، وصياغة تواجدهم في المخيمات حسب خطط دفاعية تلائم كل مخيم على حدة . والجدير بالملاحظة هنا ان عبء المقاومة تحملته قوات الميليشيا في المخيمات دون اي تدخل من قبل الجيش اللبناني ، وان ردود الفعل على الحادث لم تكن فلسطينية فقط ، انما كانت هناك ردود فعل لبنانية على نطاق واسع . فحين شيعت طرابلس ١١ فدائيا من شهداء الاعتداء سار وراء جناز التشييع اكثر من ٣٥ الفا من سكان المدينة

كانوا يهتفون كلهم ضد الحكام الذين يلهثون وراء الحل السلمي ، ووزعت الاحزاب اللبنانية في الجناز بيانات تندد بموقف السلطة اللبنانية . وتكررت الظاهرة نفسها في تشييع مدينة صيدا بجناز ضخم لفدائيين من شهداء الحادث ، وفي جناز مماثل لفدائيين اخرين بمدينة بيروت ، واضرب الطلاب في بيروت وصيدا احتجاجا على عدم تدخل الجيش اللبناني في المعركة .

أما على الصعيد الرسمي فقد طرح موقف الحكومة للنقاش في مجلس النواب ، واثار نواب المعارضة حملة عنيفة ضد الحكومة بسبب موقفها ، وردت اوساط الرئيس صائب سلام تقول ان عدم قيام رد فعل لبناني على الهجوم الاسرائيلي يعود الى عنصر المفاجأة ، لان الحكومة كانت تتوقع الهجوم على جنوب لبنان وليس على منطقة الشمال . وحين سئل رئيس الوزراء عن السبب الذي لم يكتشف فيه الرادار تحرك طائرات الهليكوبتر التي نقلت الجنود الاسرائيليين اجاب بأن الرادار تنقصه بعض القطع الحساسة . واحيت هذه الردود من جديد منطق الحملة الاعلامية الرسمية التي حاولت تبرير هزيمة حزيران .

وفي جملة سعيه لتطويق نتائج الاعتداء الاسرائيلي قابل صائب سلام السيد ياسر عرفات وعرضا الوضع الناشىء عن الاعتداء . وفي نفس اليوم (٢٣ شباط) زار السيد عرفات موقع الاعتداء وخاطب جماهير المخيم قائلا « لتفهم كل القوى المستسلمة في الارض العربية ان المقاتل الفلسطيني لن يستسلم ، وسيظل يعلق بندقيته حتى يفرض الفلاح الفلسطيني والفدائي الفلسطيني ارادتهما ، كما فرضها الفلاح الفيتنامي بعد اكثر من ١٩ عاما من القتال » .

الاردن وقضية ابو داوود :

اثيرت قضية ابو داوود علنا صباح ١٥ شباط في جريدة النهار البيروتية ، بعد مضي خمسة أيام على اعتقاله مع ١٦ فدائيا اخرين توجهوا الى عمان من الحدود السورية والعراقية وعن طريق المطار . وكانت رواية النهار للقضية شبيهة بالروايات البوليسية ، وهي رواية تتلخص بأن ابو داوود توجه مع رفاقه لاحتلال عمان !! ومنذ البداية تبين ان هذا التضخيم للعملية يهدف الى استغلالها اعلاميا ضد حركة المقاومة ولصالح النظام الاردني ، كما يمهد لاستصدار احكام قاسية ضد الفدائيين المعتقلين . وردا على هذا التضخيم سارعت حركة المقاومة الى توضيح حقيقة الحادث . فعقد السيد محمد النجار (ابو يوسف) رئيس الدائرة السياسية في اللجنة التنفيذية ، ورئيس اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان اجتماعا مع السفراء العرب في بيروت عرض عليهم فيه انباء الاعتقالات في عمان ، وسلمهم مذكرة بتوقيع اللجنة المركزية لحركة فتح جاء فيها : ان الحركة قررت دفع قياداتها الى داخل فلسطين المحتلة ، وان قسما منهم دخل اليها فعلا ، ونتيجة للتنسيق بين المخابرات الاسرائيلية والاردنية تم اعتقال عدد من ثوارنا كانوا يستعدون لدخول الاراضي المحتلة ، وفي مقدمتهم ابو داوود ورفاقه. ومضت المذكرة تقول : لا نجد ضرورة للرد على الرواية الاردنية (رواية النهار) حول احتلال عمان، فاختلاق هذه الرواية هدفه ايجاد الذرائع لارتكاب مجزرة سيكون ابو داوود جزءا منها . وحملت المذكرة السلطات الاردنية مسؤولية حياة ابو داوود وسائر رفاقه ، وطالبت الدول العربية بتحمل مسؤولياتها ، لانها لا تستطيع ان تتقبل الصمت العربي على جرائم النظام الاردني .

ثم أعقب هذا اللقاء مؤتمر صحفي عقده السيد كمال عدوان احد قادة فتح ، عرض فيه اولا مجرى النقاش والقرارات في مجلس الدفاع العربي الذي عقد مؤخرا في القاهرة ، واتجاهها نحو المصالحة مع الاردن ونحو تطويع المقاومة لصالح النظام الاردني . ثم اوضح للصحفيين ان حركة فتح رأت ان مواجهة حالة العجز العربي لا يمكن ان تتم الا بدفع قيادات من مراتب عليا الى داخل الارض المحتلة لقيادة النضال الفلسطيني في المرحلة المقبلة، وقد نفذت الحركة ذلك فعلا ، فدخل البعض ، واشتبك البعض الاخر مع العدو ، واعتقل البعض في عمان ومنهم ابو داوود . واضاف كمال عدوان يقول : ان الحركة اختارت عمان للعبور باعتبارها احدى نقاط التماس مع العدو ، واكثر الواجهات العربية هدوءا ، ولان اخر ما تتوقعه سلطات الاحتلال ، عبورا فدائيا من هذه الواجهة . ثم اوضح مؤكدا : ان المعتقلين من فتح ، وليس كما يقال تزويرا من ايلول الاسود . والتركيز على انهم من ايلول الاسود يهدف الى تبرير اجراءات منتظرة للتصفية ، وهي محاولة تريد ان تستبق قرارات مجلس الدفاع العربي بتشكيل لجنة عربية تذهب الى عمان لبحث امكان اعادة بناء الجبهة الشرقية

من جديد كجبهة مقاتلة اساسها المقاومة . واخيرا قال كمال عدوان : ان القيادات التي اندفعت للداخل لن نسمح ان تصفى في عمان . وان الانظمة العربية التي ظلت تتفرج منذ ايلول ١٩٧٠ لم يعد امامها اليوم اي مبرر للصمت ، وان الموقع القيادي للاخ ابو داوود ولرفاقه لا يسمح باي تلاعب بمصيره . وختم كمال عدوان كلامه مهددا : **ليتحمل الكل بعد هذا مسؤولية ردود الفعل اينما كانت وعلى اية ارض ، ولا يلومننا يومها احد .**

والقاسم المشترك بين مذكرة ابو يوسف ومؤتمر كمال عدوان الصحفي : الحرص على حياة ابو داوود ، والاصرار على انه كان مكلفا بمهمة في الارض المحتلة وليس في الاردن . ثم الانزعاج من الموقف الرسمي العربي والاستعداد الواضح للهجوم عليه .

يوم ١٩ شباط بث التلفزيون الاردني مقابلة مع ابو داوود جاء فيها : ان هدفه كان احتلال مقر رئاسة الحكومة الاردنية واحتجاز اعضائها من اجل اثبات وجود حركة فتح نافيا ان يكون قدم الى الاردن متوجها الى الارض المحتلة ، وقائلا ان الاعداد للعملية تم في بغداد بالاشتراك مع السيد صلاح خلف (ابو اياد) وان القصد منها اثبات الوجود ونسف التفاهم بين الاردن والدول العربية الذي برز في مجلس الدفاع . وفورا نفت حركة فتح ان يكون ما اذيع هو صوت ابو داوود ، وقالت انها تسجيلات مزورة تثير الكثير من علامات الاستفهام حول مصيره ، واعلنت انها ستذيع اشرطة بصوته من ندواته الشعبية السابقة في عمان .

ويوم ٢٠ شباط قالت اذاعة عمان في تعليق لها ان ابو داوود سيتحدث في مؤتمر سيحضره كل من يريد ان يسمع الحقيقة . وفورا قال مصدر رسمي في حركة فتح اننا : نتحدى ان يقوم النظام الاردني بعقد مؤتمر صحفي للاخ ابو داوود على ان يكون هذا المؤتمر مفتوحا للجميع ويتم باشراف لجنتين ، الاولى من اتحاد الاطباء العرب ، والثانية من اتحاد المحامين العرب .

ويوم ٢٥ شباط بث التلفزيون الاردني مقابلة ثانية مع ابو داوود جاء فيها : دعوة المقاومة الفلسطينية الى تركيز عملياتها في الارض المحتلة ، واتهام لحركة فتح بانها مسؤولة عن حوادث ايلول ١٩٧٠، مع اشارة الى وجود خلافات داخل القيادة ، وان المقاومة هي الان تحت رحمة الحكومات العربية .

والجدير بالذكر ان هذه المقابلة اذيعت بعد أن كان النظام الاردني قد اعلن ان محاكمة ابو داوود ورفاقه قد بدأت يوم ١٩ شباط امام محكمة امن الدولة وبتهمة « دخول الاردن في محاولة للقيام باعمال تخل بالامن » . وقد بقي مكان المحاكمة ووقائعها وزمنها سرا لم يكشف عنه حتى الان . ولم يعرف ما اذا كانت المقابلة الثانية التي بثها التلفزيون الاردني قد جرت اثناء المحاكمة او بعد انتهائها . ولكن لوحظ انه مع انتهاء عملية السفارة السعودية في الخرطوم اذاع الاردن يوم ٤ اذار نبأ الحكم بالاعدام على ابو داوود وعدد من زملائه دون تحديد لهذا العدد !! وفي نفس اليوم أذاع الاردن ان الوزارة صادقت على الحكم ، وان الملك حسين صادق عليه بدوره . وكان واضحا من طريقة الاعلان عن النبأ سعيه لأن يوحي بان الاعدام سينفذ بسرعة ، اما توقيت الاعلان فقد اراد الاستفادة بشكل واضح من اجواء عملية الخرطوم .

ردود الفعل :

اثار اعتقال ابو داوود ورفاقه ضجة سياسية واعلامية كبيرة عربيا وعالميا ، ونشاطا دؤوبا على الصعيدين الشعبي والرسمي ، كانت ابرز ملامحه : نشاط حركة المقاومة (اللجنة التنفيذية — المنظمات الفدائية) . الاحزاب والهيئات الشعبية العربية (الاحزاب اللبنانية — الجبهة العربية المشاركة). الاتحادات الشعبية الفلسطينية. الاتحادات العربية (نقابات المحامين — اتحاد الصحافيين — لجنة الدفاع عن الدستور والحريات في لبنان) . المنظمات الدولية (منظمة التضامن الاسيوي الافريقي) . رؤساء الدول العربية (بومدين — السادات — الاسد — الصباح — فيصل — بورقيبه) . الجامعة العربية . شخصيات سياسية عربية (جنبلاط — المعوشي — كميل شمعون — ببير الجميل) . شخصيات فلسطينية (الحاج امين الحسيني) . هيئة السوفيات الاعلى التي ناشدت الملك الغاء احكام الاعدام ، والتي اثار موقفها استغرابا واسع النطاق لانه يشكل بادرة هي الاولى من نوعها ، وتعتبر خرقا للاعراف الديبلوماسية ، لم تقدم عليها هيئة السوفيات الاعلى مثلا عند صدور احكام الاعدام على عبد الخالق محجوب ورفاقه في السودان . وعناوين هذه القائمة (التي لا تحصر كافة ردود الفعل) كافية لتبرز نوع الضجة العربية والعالمية التي اثارها اعتقال ابو

داوود ورفاقه . وهي ضجة بدأت فور الاعلان عن اعتقاله ، واستمرت الى ما بعد صدور احكام الاعدام ، وكان تصاعدها يتنامى يوما بعد يوم . والى جانب المعاني العميقة التي يبرزها هذاالتحرك الواسع تأييدا لمظهر واحد من مظاهر نشاط حركة المقاومة ، والذي يكشف عن الاحترام والتقدير الواسع الذي تتمتع به ، فمن المهم ان نسجل الملاحظات التالية :

١ — بدأت الحملة الاعلامية على اساس الافراج عن ابو داوود ورفاقه المعتقلين ، في جو من الادانة للنظام الاردني ، ثم تحولت بعد صدور احكام الاعدام على اثر عملية الخرطوم الى طلب تخفيف الاحكام .

٢ — شاركت في الحملة الاعلامية بعد عملية الخرطوم شخصيات سياسية رجعية تميزت مواقفها بالمناشدة والاسترحام ، وبالثناء على شهامة الملك حسين ، وبالتركيز على الجانب الانساني من القضية ، دون اي اشارة من قبلهم للجوانب السياسية في القضية . وساعدت هذه البرقيات في ابراز الموقف الاردني بمظهر من يتوجه الجميع لاسترضائه .

٣ — حاول الملك حسين ان يستغل الحملة الداعية للافراج عن ابو داوود ورفاقه لاملاء شروط على الفلسطينيين وعلى الحكومات العربية ، فطلب في رده على رسالة الشيخ صباح السالم الصباح حاكم الكويت التي ارسلها بطائرة خاصة يوم ٥ اذار : وضع حد نهائي لما أسماه باعمال التآمر التي تقوم بها حركة المقاومة ، على ان يكون ذلك بضمانة الدول العربية . وانتقد بعض الحكومات العربية قائلا انها تعرف الحقيقة ولكنها تفرش الرياحين للذين يقومون باعمال التآمر ، ثم ألمح الى ضرورة دعم الصف العربي ، وتهيئة فرص الدعم والصمود له ، في اشارة الى اموال الدعم التي اوقفت الكويت صرفها للاردن بعد احداث ايلول ١٩٧٠ . وقد ردت المقاومة على هذا الموقف الاردني فوصفته بالابتزاز السياسي وقالت : ان القضية ليست قضية ابو داوود بقدر ما هي قضية استراتيجية ، وموقفنا من النظام الاردني حسم منذ زمن ، وحددت منظمة التحرير هذه العلاقة في برنامجها السياسي . وهذه اشارة ضمنية الى ان مهمة ابو داوود لها جانب يتعلق بالاردن شبيهة بالاشارة التي وردت في تعليق لاذاعة المقاومة في درعا يوم ٢٨ شباط وجاء فيها ان مهمة ابو داوود كانت القيام بعمليات ضد النظام الاردني .

٤ — حاولت بعض الدول العربية ان تستفيد من طلب المقاومة منها التدخل للافراج عن ابو داوود ورفاقه ، لاثارة قضية مبدأ العلاقات بين الاردن والمقاومة ، وضرورة احياء اللجنة التي قرر مجلس الدفاع العربي تشكيلها للبحث في اسس عودة المقاومة الى الاردن ، بما يضمن هيمنة النظام الاردني عليها . ولكن لم يظهر في الافق ما يشير الى ان هذه المحاولات قد اثمرت .

٥ — تميزت حملة المقاومة الاعلامية بهجوم على مواقف الانظمة العربية واتهام لها بالتباطؤ في التحرك .

عملية الخرطوم :

في الوقت الذي كانت فيه قضية ابو داوود تتفاعل عربيا وعالميا ، كان وفد من حركة فتح برئاسة ابو يوسف وعضوية ابو مازن وابو هشام وابو الفهد، يقابل الملك فيصل في الرياض يوم ٢٣ شباط ، ويبحث معه امكانية تدخله للافراج عن ابو داوود ورفاقه . وواضح من طبيعة تشكيل الوفد ان فتح كانت تعطي اهتماما خاصا لهذه المقابلة وللنتائج التي يمكن ان تسفر عنها . ولكن ما ان مضت ستة ايام على هذه المقابلة حتى قام ثمانية من اعضاء منظمة ايلول الاسود مساء الاول من اذار باقتحام مبنى السفارة السعودية في الخرطوم واحتجاز خمسة ديبلوماسيين كانوا يحضرون حفل استقبال في السفارة هم : (السفير السعودي — القائم بالاعمال الاردني — السفير الامريكي — القائم بالاعمال الامريكي — القائم بالاعمال البلجيكي) . واذاع رجال ايلول الاسود ستة مطالب مقابل الافراج عن الرهائن ، مهددين باعدامهم اذا لم تلب مطالبهم . المطالب كانت : ١ — اطلاق ابو داوود ورفاقه الـ ١٦ خلال ٢٤ ساعة . ٢ — الافراج عن رافع الهنداوي وكل العسكريين الاردنيين المحتجزين بعد محاولة الانقلاب الفاشلة. ٣ — الافراج عن ٥٠ معتقلا في سجون الاردن من اعضاء المقاومة . ٤ — ان تفرج الولايات المتحدة عن سرحان سرحان . ٥ — ان تفرج دولة الاحتلال الصهيوني عن الاخوات المعتقلات في السجون الاسرائيلية . ٦ — ان تفرج حكومة المانيا الغربية عن جماعة بادر — ماينهوف .

في اليوم الثاني للعملية (٢ اذار) انتهت مدة الانذار دون ان يستجيب اي طرف من الاطراف المعنية للطلبات المقدمة ، فمدد الانذار لفترة اخرى بناء على طلب اللواء الباقر وزير داخلية السودان ، مع طلب بتجهيز طائرة تقل رجال ايلول الاسود مع الرهائن الى الولايات المتحدة ، على ان يرافقهم بالطائرة منصور خالد وزير الخارجية ، وعمر الحاج موسى وزير الاعلام . والا فان الاعدام سينفذ بالرهائن . لم تستجب حكومة السودان للطلب ، وانتهت مدة الانذار ، فاعدم ثلاثة من الرهائن هم (السفير الامريكي والقائم بالاعمال الامريكي والقائم بالاعمال البلجيكي) . وبعد ان تم الاعدام طلب الفدائيون مرة اخرى طائرة تقلهم مع السفير السعودي والقائم بالاعمال الاردني الى جهة رفضوا تحديدها ، وقلصوا مطالبهم الستة الى مطلب واحد هو الافراج عن ابو داوود ورفاقه المعتقلين في الاردن . وفي اليوم الثالث للعملية (٣ اذار) طلب السودان من الفدائيين تسليم انفسهم فرفضوا ، كما رفضوا تسليم جثث الرهائن الثلاثة ، وطلبوا من جديد طائرة تقلهم جميعا الى ليبيا . وفي اليوم الرابع استسلم رجال ايلول الاسود في الساعة السادسة صباحا بعد ٥٩ ساعة مضت على بدء العملية ، واثار استسلامهم دهشة واسعة في الخرطوم . وخلال هذه الساعات الطويلة كانت ابرز مواقف الاطراف المعنية كما يلي :

الاردن : كان اول من تحرك ضد العملية وقال على لسان وزير الخارجية صلاح ابو زيد هذه العملية « ليست في مصلحة الفدائيين وستزيد الامور تعقيدا » . وفي اليوم التالي رفض الاردن مطالب الفدائيين واعلن انه يرفض اجراء « اي تسوية او مساومة مع المجرمين » .

السعودية : تميز رد فعلها بالبرود الشديد ، وارسل الملك فيصل في اليوم الثاني للعملية برقية الى النميري قال فيها « اننا لواثقون من حكمة فخامتكم في تصريفكم للامور ووضع حد لمثل هذه التهديدات والاستفزازات التي تضر بقضايا العرب ووحدة الصف » . ثم نشرت انباء صحفية على لسان مسؤولين سعوديين تقول ان السعودية ستعيد النظر في علاقاتها مع حركة المقاومة وفي وجود كثير من الموظفين الفلسطينيين لديها . ولكن السعودية سارعت الى نفي النبأ الذي يتعلق بالفلسطينيين المقيمين في السعودية دون ان تنفي الشق الاول من الانباء .

الولايات المتحدة : اعلن الرئيس الاميركي نيكسون ان الولايات المتحدة لن ترضخ للتهديد ولن تستجيب للمطالب . وبعد ان تم اعدام الرهائن دعا الى محاكمة رجال ايلول الاسود . ثم وجه رسالة رسمية الى الحكومة السودانية طلبت بشكل غير مباشر عدم تمكين رجال ايلول الاسود من مغادرة الاراضي السودانية . اما بعد ان استسلموا للحكومة السودانية فقد اعلن روجرز ان رجال ايلول الاسود يستحقون عقوبة الاعدام .

اسرائيل : رفضت اسرائيل بدورها الاستجابة للطلبات المقدمة ، وركزت صحفها على الاختيار الصعب المطروح امام النميري بين تأييد الفدائيين وبين حاجته للمساعدات الامريكية . وحين اعلن حظره لكل نشاط يتعلق بحركة المقاومة في السودان، اثنت الصحف الاسرائيلية على هذا الموقف ودعت بقية الحكام العرب للنسج على منواله ، قائلة ان مثل هذه المواقف تفسح المجال امام انجاح التسويات السياسية .

السودان : في اليوم الاول للحادث اجتمعت الوزارة السودانية في جلسة طارئة ، قامت على اثرها قوات عسكرية بتطويق مبنى السفارة السعودية . وفي اليوم الثاني تم تدعيم القوات العسكرية حول المبنى . وقد اتخذت هذه الاجراءات دون الاعلان عن اي موقف سوداني رسمي . ولكن ما ان استسلم رجال ايلول الاسود حتى بدأت الحكومة السودانية حملة على كافة المستويات استهدفت حركة المقاومة بمجملها بالادانة والتجريح . فقالت مصادر مطلعة ان المعتقلين سيحاكمون بتهمة القتل وشنت الصحف السودانية (٥ اذار) حملة ضد حركة فتح واتهمتها بالاشتراك بالعملية . وفي اليوم التالي (٦ اذار) أعلن النميري في خطاب شعبي وضع حد لكل نشاطات المقاومة في السودان ، وأكد ان الفدائيين سيحاكمون « وسيكون عقابهم منصفا » ، واتهم مكتب حركة فتح بانه يقوم بنشاطات تخريبية في السودان ، ويتصل بعناصر هدامة في اثيوبيا (ثوار اريتريا) بواسطة عناصر سودانية ، وتحدى عرفات ان يندد علنا باحتلال السفارة ، واعتبر الحادث عدوانا على الشعب السوداني !! ثم بعث النميري برسائل الى الحكام العرب دعاهم فيها الى وضع قيود على حركة

الفدائيين مشيرا الى ان ليبيا تقف وراء الحادث . ثم اتسع نطاق الحملة السودانية ليشمل اعتقال ستة سودانيين واثنين من ثوار اريتريا وجهت لهم تهمة الاتصال بمنظمة ايلول الاسود . ثم اتسعت الحملة اكثر ، فاعتقل مدير مكتب منظمة التحرير بالخرطوم ، وطالبت السودان بتسليم مدير مكتب فتح الذي غادر الخرطوم قبل الحادث متوجها الى ليبيا لمحاكمته ، واشاعت السلطات السودانية ان المعتقلين كانوا ينوون اختطاف امبراطور الحبشة هيلاسيلاسي .

المقاومة : كان اول رد فعل لحركة المقاومة في اليوم الثاني للعملية بعد ورود الانباء الاولى عن اعتقال مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ، اذ بعث السيد ياسر عرفات ببرقية الى النميري استغرب فيها اعتقال مدير المكتب ، مبينا انه ليس لمنظمة التحرير علاقة بالحادث ، ومناشدا النميري استخدام الحكمة حتى لا تتكرر مأساة حادث ميونيخ . وكان رد الفعل الثاني لحركة المقاومة في اليوم الثالث للعملية حين بدا من طبيعة الحشد العسكري حول السفارة ان هناك نية لاقتحامها فأرسل عرفات برقية اخرى الى النميري قال فيها ان قرار اقتحام السفارة سيؤدي الى اراقة الدماء ، وان مندوبا عن منظمة التحرير سيصل الى الخرطوم ليساعد على حل الازمة . ثم اعلنت حركة فتح في يومين متواليين ان لا علاقة لها بالحادث ، في اليوم الاول (٥ اذار) ردا على حملة الصحف السودانية ، وفي اليوم الثاني (٦ اذار) ردا على حملة النميري نفسه . وهنا اضافت انها تحقق في الانباء التي تحدثت عن اشتراكها في العملية ، وان النميري اخطأ حين وجه لها هذا الاتهام . وحين تصاعدت حدة الموقف السوداني برز موقف هجومي لحركة المقاومة ، عبر عن نفسه في الرسالة التي بعث بها عرفات الى الحكام العرب ، محتجا على موقف السودان من حركة المقاومة ، وقائلا ان هناك مؤامرة صهيونية امريكية تحاك ضدها (٨ اذار) . وفي نفس اليوم ردت حركة فتح على خطاب النميري وعلى رسائله « التي تمثل اتجاها جديدا لا يرضاه مخلص في السودان » ، وقالت ان هذا الموقف : يشكل محاولة لتحريض الانظمة العربية ، وانعكاسا للضغط الامريكي الاثيوبي ، وحكما مسبقا في قضية لم ينته التحقيق فيها بعد .

وبذلك تكون عملية الخرطوم قد كشفت عن الانسجام في الموقف من حركة المقاومة بين السودان والأردن، واظهرت سرور اسرائيل لهذا التطور في الموقف السوداني ، واوضحت مدى التأثير الامريكي على السياسة السودانية ، واوجدت ازمة فدائية — عربية ، اخذت مداها في السودان ، ولم يعرف بعد كيف ستعبر عن نفسها في السعودية .

اوضاع المقاومة الداخلية :

تميزت اوضاع المقاومة الداخلية خلال هذه الفترة بنشاطات جماهيرية اثارت اهتماما واسعا في الاوساط السياسية . ففي ٢٥ شباط نظمت الجبهة الديمقراطية مهرجانا شعبيا في مخيم شاتيلا بمناسبة ذكرى تأسيسها الرابعة . وتميز المهرجان بحضور شعبي واسع ، وباسهام الاحزاب التقدمية اللبنانية فيه بوزن ملحوظ ، وبحملة من قبل هذه الاحزاب على موقف الحكومة اللبنانية اثناء الاعتداء الاسرائيلي على مخيمي البارد والبداوي . والقى نايف حواتمة الامين العام للجبهة الديمقراطية كلمة طويلة في المهرجان عرض فيها للملامح البارزة للسياسة العربية الراكضة وراء الحلول التصفوية، مقارنا بينها وبين النضال الجماهيري الفلسطيني والعربي . وحين تطرق في حديثه الى تأثيرات المساعي باتجاه الحلول التصفوية على مستقبل حركة المقاومة نقل كلاما عن الرئيس صائب سلام قاله لوفد من حركة المقاومة جاء فيه : ان على المقاومة الفلسطينية ان تلملم بنادقها وترحل ، لان الحل السلمي آت . واثار هذا المقطع من الخطاب اهتمام الصحافة اللبنانية التي نقلته بشكل بارز . وفي اليوم التالي نفى صائب سلام ما ورد في خطاب حواتمه وقال : انا لا اعرف السيد حواتمه، واربأ باي اخ فلسطيني ... ان يضع على لساني كلاما لم أقله بتاتا ، ورأيي بالحل السلمي معروف وهو ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ،وموقفي من المقاومة محبة وتفهم ومساندة . وعلى الفور ردت الجبهة الديمقراطية فقالت : نؤكد صحة ما ورد في حديث سلام بانه لم يلتق يوما بالرفيق حواتمه . ولكن الحديث صحيح وورد في لقاء مع وفد من حركة المقاومة يوم ٧٣/٢/٧ ، وعلى اثره صرح صائب سلام قائلا ان المقاومة هي الان على مفترق طرق ٧٣/٢/١٠ . واضافت الديمقراطية في ردها : ان المحبة والتفهم للشعب الفلسطيني تتم بالتضامن النضالي معه لا بالمواقف اللفظية . ولقد كانت تجربة العدوان على مخيمي البداوي ونهر

البارد مقياسا عمليا لمدى جدية هذين (المحبة والتفهم) » . واستمرت تفاعلات هذه القضية حتى يوم ٢ اذار حيث نسبت وكالة الانباء الوطنية للسيد ياسر عرفات بعد لقاء له مع صائب سلام انه نفى خلال الزيارة صحة ما اعلنه نايف حواتمه في خطابه .

واثار مهرجان جماهيري اخر نظمه طلاب الجامعة الاميركية في بيروت ضجة مماثلة اثر خطاب القاه السيد هاني الحسن (فتح) يوم ٩ اذار حين كانت ازمة المقاومة مع السودان في ذروتها ، وكذلك قضية ابو داوود بعد تصديق احكام الاعدام . تميز خطاب هاني الحسن بالوضوح والعنف فهاجم المسؤولين المصريين الذين كانت لهم تحفظات على الاتحاد السوفياتي ولكنهم تحولوا الى الارتماء في احضان اميركا ، وحيا الصداقة الفلسطينية السوفياتية ، وثمن العلاقات المبدأية بين المقاومة والصين الشعبية ، ثم وصف الاردن والسعودية والسودان بأنها قلاع للامبريالية الاميركية في المنطقة ، وقال ان الثورة الفلسطينية عقبة تقف في وجه المخططات الامبريالية ، وهي تقود شعبا سيطلق النار على قائد يعقد اتفاقات على حساب الشعب الفلسطيني وحقوقه . واعلن ان المقاومة الفلسطينية تدعم الثوار في ايران وتركيا واريتريا .

اما على صعيد التوتر في العلاقات الداخلية فلم يكن هناك سوى حادث واحد جرت مواجهته بسرعة وذلك حين اقدمت الصاعقة على تعليق عضويتها في اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان ، وسحبت عناصرها من قيادة الكفاح المسلح ، وذلك احتجاجا على اطلاق عناصر فدائية النار على المواطن اللبناني محمد راشد دوغان في منطقة صبرا . وقد تدخل السيد ابو يوسف فورا للتفاهم مع الصاعقة حول معالجة الموضوع ، وتدخلت الشخصيات البارزة في الحي لتطويق ذيوله وازالة حالة التوتر التي رافقته .

ومن القضايا التي أثارت نقاشا في اوساط المقاومة ، قضية العميد عبدالرزاق اليحيى والشهادة التي أدلى بها أمام المحكمة الفدرالية العليا في الولايات المتحدة . وهي المحكمة التي تنظر في قضية الطائرات التي استولت عليها الجبهة الشعبية ونسفتها قبيل مجازر أيلول ١٩٧٠ في مطاري القاهرة والزرقاء بالاردن ، وذلك بعد ان رفعت شركتا البان اميركان والخطوط الجوية الاميركية عبر العالم دعوى أمام المحكمة المذكورة للحصول على ٣٤ مليون دولار من شركات التأمين . ومع ان القضية قضية قانونية بحتة ، الا أن مجرى النقاش فيها تطور الى منحى سياسي . فبحسب قانون شركات التأمين يجري دفع قيمة الطائرات المطلوبة ضمن ظروف متعددة منها حالة الحرب ، وحالة الحرب الاهلية . وانطلاقا من ذلك دار النقاش في المحكمة بين وجهتي نظر :

وجهة نظر شركات الطيران المعنية باثبات وجود حالة حرب بين الفلسطينيين واسرائيل والجهات التي تدعمها (الولايات المتحدة) ، وبوجود حالة حرب أهلية بين الفلسطينيين والنظام الاردني ، حين تم خطف الطائرات ونسفها . وتعتمد شركات الطيران في سعيها لاثبات وجهة نظرها على ادبيات الجبهة الشعبية التي شرحت فيها عملية الخطف ودوافعها واهدافها .

ووجهة نظر شركات التأمين التي ترفض الاعتراف بذلك وتقول انه لا وجود لشعب فلسطين منذ عام ١٩٤٨ ، وان الذين خطفوا الطائرات مجموعة من رجال العصابات المسلحين ، ليسوا في حالة حرب مع اسرائيل ، ولا في حالة حرب اهلية مع النظام الاردني ، وان النظام الاردني اضطر لضرب هذه العصابات في ايلول ١٩٧٠. وتعتمد شركات التأمين في دعم وجهة نظرها على مجموعة من الوثائق والمعلومات قدمتها شخصيات اسرائيلية .

وقد اهتمت المؤسسات العربية والفلسطينية في الولايات المتحدة (الجامعة العربية ومكتب منظمة التحرير) بمجرى النقاش السياسي الدائر في المحكمة . ورأت ان صدور حكم يستند الى وجود حالة حرب بين الفلسطينيين واسرائيل يقدم خدمة للقضية الفلسطينية ، اذ يعطي نوعا من الاعتراف بقانونية النضال الفلسطيني يمكن الاعتماد عليه في حملات الاعلام في الولايات المتحدة وعلى النطاق الدولي . وبناء على ذلك تجاوبت مع طلب المحامين المعنيين بالقضية . واقترحت عليهم مجموعة من الشهود من بينهم العميد عبد الرزاق اليحيى باعتبار انه كان قائدا لجيش التحرير الفلسطيني أثناء معارك ايلول .

وحين علم العميد اليحيى باختياره للشهادة ، بحث الموضوع مع الجهات المعنية في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وبناء على هذا البحث سافر الى الولايات المتحدة . وقد تلقى مركز الابحاث

الفلسطينية رسالة من شخصية فلسطينية مطلعة في الولايات المتحدة أشارت بالتقدير لمستوى ونوعية الشهادة التي أدلى بها العميد اليحيى واعتبرتها خدمة « ممتازة لصالح القضية الفلسطينية » .

والجدير بالذكر ان جولدا مئير كانت قد حذرت السفارات الاسرائيلية في الخارج من استعمال العبارة التي تقول « بوجود حالة حرب بين اسرائيل والمنظمات الفلسطينية » . وذلك حتى لا تستعمل التصريحات الاسرائيلية التي تستخدم هذه العبارة كدليل في المحكمة الفدرالية التي تنظر بقضية الطائرات (هآرتس — ك ١ — ١٩٧٢) .

محادثات بلغاريا والمانيا الديمقراطية :

قام وفد من المقاومة الفلسطينية برئاسة السيد ياسر عرفات ، يضم ممثلين عن كافة المنظمات الفدائية بزيارة الى دولتين من دول اوروبا الشرقية هما بلغاريا والمانيا الديمقراطية . واجريا في هاتين الدولتين محادثات هامة انتهت يوم ٢٢ شباط .

ولوحظ ان الوفد الفلسطيني اصطحب معه ممثلين عن الاتحادات والنقابات الفلسطينية ، واتاح ذلك فرصة اجراء اتصالات ومحادثات مع المؤسسات الشعبية في البلدين ، اضافة الى المحادثات السياسية التي اجراها وفد اللجنة التنفيذية . كذلك لوحظ بان الوفد الفلسطيني استقبل على مستوى رؤساء الدول ، وكشفت طبيعة الاستقبال عن مدى اهتمام البلدين بالزيارة وبالمحادثات التي اجريت خلالها . ومع انه لم يصدر رسميا ما يشير الى طبيعة المحادثات ، الا ان ما نشر عنها يكشف عن تأييد البلدين الحار لحركة المقاومة ونضالها ، واستعدادها لتقديم كل دعم تطلبه . ويأتي هذا الارتفاع في مستوى دعم دول المعسكر الشرقي لحركة المقاومة ، بعد المحادثات الهامة التي اجريت في الزيارة الاخيرة التي قام بها السيد ياسر عرفات الى موسكو .

بلال الحسن

« المذيع : ما هو شعورك بعد انتقالك الى تل أبيب ؟

الجندي : ليس جيدا ولكن يجب ان نتغلب على ذلك .

المذيع : لماذا ليس جيدا ؟

الجندي : لاننا نتعامل مع مواطنينا وهم ليسوا سكانا عربا وهذا أمر صعب . لقد تعلمنا اسلوب التعامل مع طبيعة العرب اما اسلوب التعامل مع مواطنينا فلم ندرسه بعد .

المذيع : ماذا تدرسون ؟

الجندي : ندرس كيفية التعامل مع مواطنينا وهو تعامل ليس مثل اسلوب التعامل مع العرب في غزة. المطلوب هنا أسلوب اكثر **نعومة** واكثر **اجتماعية** هنا السكان « ليسوا عربا بل يهود » .

المذيع : ماذا كان الهدف من وجودكم في غزة ؟

الجندي : كان الهدف في غزة **اثبات الوجود** حتى يشعر العرب ان هناك قوى عسكرية ... وشرطة تجوب الشوارع طول الوقت .

المذيع : الهدف الآن كما أفهم ان تشعر العصابات واللصوص في تل ابيب بمثل هذا الشعور .

الجندي : لن يكون شعوري بالمرتاح جدا عندما اصطدم بالسكان اليهود. لقد كان أسهل أن نصطدم بالسكان العرب وان نصيب المخربين رغم الخطر الذي نواجهه هناك . أما هنا في تل أبيب فهذا غير مفرح . سنحتاج للتعامل بليونة أكثر وان نتصرف **وفق القانون** ، متقيدين **بقوانين الشرطة** ، والا فاننا لن نستطيع اعتقال اشخاص واذا اعتقلناهم فسوف يطلقون سراحهم اذا لم نعتقلهم حسب نصوص القانون.

المذيع : أعتقد ان **الاعتقال في غزة** كان يتم حسب القانون ؟

الجندي : **في غزة** كان الموضوع بسيطا .. كنا مخولين باعتقال الشخص بمجرد قيامه بأي عمل.. او بمجرد الاشتباه به .. او في اي ظرف نشاء .. **وفي غزة** عندما كنا **نقتل** احد السكان العرب **كانت الفرحة تعم الجميع** (!!) وهنا يختلف الوضع نهائيا .. لا سمح الله اذا اضطررنا لاصابة احد المواطنين ولو كان لصا فهو أولا وقبل كل شيء يهودي (!!) » .

كان هذا نص المقابلة الاذاعية التي أجراها راديو العدو الصهيوني باللغة العبرية مع احد جنود حرس الحدود الصهاينة ضمن أحد برامجه التي بثها يوم ١٩٧٢/٨/٢٥ .

كانت هذه المقابلة تتويجا لما اعلنه دايان قبل ذلك الوقت بقليل من ان المقاومة في غزة قد انتهت فضلا عن الاجراء العملي الذي اتخذته السلطات الصهيونية ايضا قبل ذلك الوقت ونقلت بموجبه مجموعات من حرس الحدود الذين استنزفت قواهم المقاومة طيلة أكثر من اربع سنوات فصلت ما بين الاحتلال الصهيوني لغزة عام ١٩٦٧ وحتى مجازر الاحراج تموز عام ١٩٧١ .

وقد اخترت هذه المقابلة بالذات لتكون مقدمة لهذا المقال لعدة اسباب **بدءا** من عنوان المقال « غزة مقاومة دائما » وهي قضية اساسية لا بد من تسليط الاضواء عليها **وانتهاء** بأن الارادة القتالية الفلسطينية قد تعمقت أكثر وازدادت اخصابا بعد ان صقلتها التجربة وأكسبتها المؤامرات مزيدا من الصلابة والاصرار على النضال .. وهي قضية اساسية كذلك. **ومرورا** بالطبيعة الفاشية العنصرية للصهيونية التي تكرست في أبشع الصور والاشكال ممارسة ضد شعبنا في فلسطين المحتلة .

وعلى أي حال فانني لن اخوض تفصيلا في استنباط الفاشية العنصرية التي تميز حتى ذهن الجندي الصهيوني البسيط فذلك أمر يستطيع كل من قرأ الحوار في مقدمة المقال ان يتبينه بيسر وخاصة حينما يصل الى العبارة التالية : عندما كنا نقتل **احد السكان العرب** كانت **الفرحة تعم الجميع** ... وهنا يختلف الوضع نهائيا (يعني في تل أبيب) لا سمح الله اذا اضطررنا لاصابة أحد المواطنين ولو كان **لصا** فهو أولا **وقبل كل شيء يهودي** !!

انه كلام واضح لا يحتاج الى كثير من فطنة ، انها العنصرية الفاشية يترجمها هذا الجندي الصهيوني بمنتهى البساطة وبدون اي تكلف .

تبقى اذن قضية غزة مقاومة دائمة في وجه الاحتلال، وتعمق الارادة القتالية الفلسطينية التي طرحت بشبهة خلال سؤال لماذا لا تقاتل الثورة الفلسطينية فوق

الارض المحتلة، هذا السؤال الذي يبدو ان طرحه قد أصبح لهجة من لهجات القوى المضادة للتشكيك بالثورة الفلسطينية والذي يبدو ايضا ان بعض المثقفين من قصار النفس ومن الذين لا يملكون غير الصالونات ينظرون للثورة من خلالها ضاربين صفحا عن كل ما يحيط بالثورة الفلسطينية من تآمر ومؤامرات متجاوزين الظروف الموضوعية القائمة ورياح السلم الامريكي الاسرائيلي التي تلطم وجه المنطقة والتي استطاعت عبر وقت قصير نسبيا ان تركع معظم انظمة هذه المنطقة ، ومتجاهلين كذلك ان رأس الثورة الفلسطينية قد أصبح مطلبا ليس أمبرياليا صهيونيا فحسب وانما ايضا مطلب بعض الانظمة التي تداعبها احلام الانسحاب الاسرائيلي بدون أي ثمن سوى الركوع !!

وفي الواقع فانه برغم ان عنوان المقال « غزة مقاومة دائمة » فانه لا انفصال ... فغزة تقاتل حينما تدفع الثورة الفلسطينية لغزة بخيرة كوادرها يقودون القتال داخلها . وغزة تقاتل حينما يمتد القتال الى العمق من الارض المحتلة وفوق اي جزء من أجزائها .

ان الارتباط بين النضال الجماهيري في غزة وفي الضفة الغربية وفي الجليل وبين توغل الفدائيين عبر خطوط المواجهة وامعانهم في ضرب العدو في أعمق نقاطه داخل الارض المحتلة هو ارتباط جدلي مادي يرتفع كلما تصاعد مد الثورة وكلما مضت عبر شعاب الارض المحتلة توقع الخسائر بالعدو وينخفض كلما انكمشت العمليات وتضاءلت . ان النضال الجماهيري داخل قطاع غزة يسحب نفسه على كل شبر في القطاع عندما كانت الثورة الفلسطينية تملك ان تعبر من اي نقطة فوق النهر وعندما كانت العمليات الفدائية تشغل جزءا كبيرا من قوات العدو العسكرية فضلا عن جزء آخر من الاحتياطي ...

وعندما بدا ان الثورة الفلسطينية تذبح فوق الارض العربية وعندما توقف قتال الاستنزاف ، بدا واضحا ان النضال الجماهيري داخل قطاع غزة سوف يتأثر بل سوف يمنى بضربات قاسية وقاصمة . وعمليا فانه لم تمض شهور على مجازر الاحراج وعلى اغلاق الحدود أمام الثورة الفلسطينية ثم على وقوف القوات الملكية الاردنية حارس أمن على طول خط المجابهة مع العدو حتى انصرف العدو بمعظم قواه نحو الداخل يمعن فيه قمعا مكرسا كل ما يملك من قوة غاشمة لتصفية النضال الجماهيري في القطاع اولا وفي باقي المدن والقرى الفلسطينية الاخرى...

ولقد اتبع العدو بالنسبة لقطاع غزة كل الاساليب التي تتاح لعدو عنصري يملك الامن والطمأنينة على كل الجبهات ، كما يملك الادوات العصرية القادرة على القمع :

● وسع العدو شوارع المخيمات في القطاع بحيث تتيح لدورياته التحرك والتجول عبرها بحرية في محاولة لقمع المقاومة الفلسطينية: « ان معسكر اللاجئين في جباليا والذي كان منذ سنة مصدرا «للارهاب» قد يختفي من الخارطة خلال فترة قريبة . ان عملية شق طرق الامن وتخفيف كثافة مباني المعسكر التي جرت قبل سنة ادت الى خفض عدد سكان المعسكر من أربعين ألفا الى ثلاثين ألفا وسينقل حوالي نصف العائلات المخفضة الى مناطق جديدة » . (أمنون نداف مراسل اذاعة العدو في برنامج شخصيات واحداث فيالاخبار باللغةالعبرية). (« وفا » ١٩٧٢/١٠/١٩) .

● أمعن في زج شباب القطاع في السجون لمجرد الشبهة تارة وحتى بدونها تارة أخرى وقام بتفتيش المنازل والمحلات التجارية في عملية مسح استغرقت العدو طوال شهور في مدينة غزة والمخيمات .

« بلغ عدد المعتقلين في قطاع غزة من المواطنين العرب خلال عام ١٩٧٢ أكثر من ألفي مواطن بعضهم بقي أشهر طويلة رهن الاعتقال ودون محاكمة وبعضهم مثل أمام محاكم العدو العسكرية وحكم عليه بالسجن والبعض الاخر افرج عنه » .

● نثر عملاءه وأعوانه في كل مكان من القطاع في محاولة لتطويق الفدائيين وكشف مواقعهم .

● وجه حربه النفسية الى كل المواطنين الفلسطينيين في كل الارض المحتلة وخاصة الى المواطنين في قطاع غزة . وجند العملاء الذين يحاورون الاردن « رشاد الشوا زار عمان اربع مرات قابل الملك خلالها للمساهمة في تسليم القطاع وتقسيمه بين الملك حسين واسرائيل » والعملاء الطامعين في حكم القطاع عن طريق المجالس المحلية « ذيب الهربيطي وغيره » كل ذلك من اجل الايحاء للمواطنين في القطاع بأن لا أمل سوى الاستكانة والخضوع والاستسلام . ولقد وجه حربه النفسية باتجاه القطاع والمواطنين الفلسطينيين في كل الارض المحتلة وخارجها عبر اذاعاته وصحفه

وشائعاته مستغلا في ذلك ، ذلك الشرخ العميق التي خلفتهمجازر الملك في عمان ، أيلول الاسود عام ١٩٧٠ وفي احراج جرش وعجلون ، تموز عام ١٩٧١ .

وأمام هذا كان لا بد ان ينكمش النضال القطاع بدرجة كبيرة حتى لقد بدا لكل من لم يمارس الثورة ولم يؤمن بنضال الجماهير ان هذا النضال قد وصل الى نقطة النهاية . وفي الحقيقة ، فان سببين أساسيين دفعا الى هذه الحالة الانكماشية النضالية : **الاول** ، ما ذكرناه من التوجه الملكي الاردني نحو ذبح الثورة الفلسطينية مضافا اليه توقف الرصاص العربي الرسمي فوق الارض العربية . **الثاني** ، هو ما اقتضته المرحلة الجديدة من ضرورة تغيير تكتيك النضال الجماهيري داخل الارض المحتلة .

« غزة في الليل للفدائيين » هكذا كان عنوان مقال افتتاحي للصنداي تايمز عام ١٩٦٩ .

« غزة يحكمها الفدائيون في الليل » بهذه العبارة اعترف دايان في يوم من ايام شهر سبتمبر/أيلول عام ١٩٦٩ ...

ثم وذات يوم من أيام شهر مايو/أيار ١٩٧٢ يعلن دايان ان المقاومة في غزة قد انتهت ، وانه قد تمت تصفية آخر جيوب « المخربين » . ثم يأمر دايان بسحب حرس الحدود من قطاع غزة ...

ثم تتوجه اجهزة الحرب النفسية بكل شراسة نحو القطاع تواكبها مخططات لضم القطاع نهائيا الى العدو وذلك عن طريق توليد ارادة محلية داخل القطاع هي ارادة كبار التجار الذين تمثلوا برشاد الشوا الذي بدا في تلك الفترة انه يلعب بالاضافة الى ضم القطاع الى اسرائيل لعبة الاداة التي يجري عبرها تكريس الصلح الواقعي بين المؤسسة العسكرية الصهيونية وبين نظام الملك حسين .

« قتل الجندي الاسرائيلي يتسحاق فيلدمان (١٩ سنة) من رمات جان وأصيب جندي آخر بجروح اليوم في انفجار تنبلة يدوية تذفت على شاحنة عسكرية في غزة . وقع الحادث في الساعة **العاشرة والنصف صباحا** عندما قذف أحد المخربين تنبلة يدوية الى داخل شاحنة عسكرية كانت تسير في شارع غزة الرئيسي وقد دخلت القنبلة قرب السائق وانفجرت وباشرت قوات الامن باجراء التحقيق » . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث ، ١٩٧٣/٣/٨) .

« دارت صباح اليوم معركة مواجهة بين الثوار الفلسطينيين وقوات الاحتلال الصهيوني في غزة استمرت اكثر من ساعة وتكبد العدو خلالها عدة اصابات بين جنوده لم يفصح عنها حتى الان . وفي اعترافه بتطورات المعركة قال ناطق عسكري اسرائيلي ظهر اليوم ان المعركة بدأت في الساعات الاولى من صباح اليوم عندما فتح الفدائيون النار على قوات الاحتلال التي كانت تقوم بتمشيط منطقة حي الرمال بغزة ودارت الاشتباكات بين الجانبين ولم يعترف الناطق العسكري الصهيوني بخسائر قواته رغم اعترافه بأن الفدائيين هم الذين بادروا باطلاق النار .

وقال الناطق الصهيوني ان ثلاثة فدائيين بينهم قائد فدائي هو المناضل محمد محمود مسلم الاسود ويلقب تشي غيفارا قد استشهدوا . أما المناضلان الآخران فهما كمال عبدالعزيز حنون وعبدالهادي ابراهيم عبدالعزيز الحايك .

ومن ناحية أخرى أعلن الناطق العسكري الصهيوني ان الدكتور رشاد موسى مسمار قد اعتقل في حي الرمال بغزة وزعم انه عثر في منزله على مخابىء للاسلحة وكمية من المنشورات ورسائل تهديد الى العملاء والمتعاونين مع الاحتلال . ومما يذكر ان الدكتور مسمار كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات لاشتراكه في عمليات فدائية ضد قوات الاحتلال . » (نشرة وكالة الانباء الفلسطينية «وفا» ١٩٧٣/٣/٩) .

« انفجرت قنبلتان يدويتان في حي الرمال بمدينة غزة . زعم ناطق عسكري صهيوني اليوم ان دورية عسكرية اكتشفت القنبلتين اليدويتين وان خبير متفجرات قام بتفجيرهما ». (« وفا » ١٩٧٣/٣/٩).

كان ينبغي أن نقفز هكذا حتى نصل الى آخر العمليات التي نفذها الثوار الفلسطينيون فوق الارض المحتلة في قطاع غزة .

ذلك ان دايان كان قد أعلن في الاسبوع الاول من شهر أيار/مايو انه قد تم القضاء على شبكات « المخربين » في القطاع ثم أتبع ذلك بخطوة عملية هي نقل بعض حرس الحدود من قطاع غزة الى الداخل كترجمة عملية لما يؤكد ويقول كما اشرنا في بداية المقال .

ولكن لم تمض فترة على تصريحات دايان حتى بدا ان ما يقوله لا يمثل الحقيقة والواقع على الاطلاق اذ بدأت قنابل غزة تتفجر واحدة بعد الاخرى وبدا ان الهدوء والامن الذي ظنوه لم يكن سوى عودة لترتيب الصفوف واعادة ترتيب التنظيم على صعيد المقاومة ثم انطلقت السواعد الثائرة في غزة تفجر من جديد أمن العدو معلنة ان غزة ثورة دائمة ضد الاحتلال .

ورغم انه وحتى في فترة الهدوء النسبي التي أرادها الثوار الفلسطينيون فانه كان هناك عمليات متفرقة بين حين وحين هي لتأكيد الوجود على المستوى العربي والعالمي اكثر منها لشن حملة جديدة من العمليات يوقتون لها ...

ولا نريد لهذا المقال ان يكون سردا لعمليات الثوار الفلسطينيين في قطاع غزة او غير قطاع غزة ... خلال سنة مضت مثلا ، لكنه لا بد من العودة الى سلسلة العمليات التي نفذها هؤلاء الثوار خلال فترة الربع الاخير من العام الماضي وحتى الربع الاول من هذا العام فيقطاع غزة بالتحديد. وسنعرض لها باختصار شديد حتى تكون شاهدا على ان الثورة الفلسطينية ما زالت تتمترس في خنادقها متسلحة بشموخ ارادة القتال الصلبة فيها ... تقاتل ما وسعها القتال ولكن يبدو لاكثر من سبب هو في ضمير الاعلام العربي وفي وعي معظم الحكام العرب الذين يسيطرون عبر الرقيب على أجهزة اعلامهم يبدو ان التركيز والقاء الضوء على عمليات الثوار الفلسطينيين غير وارد ... ان ثمة حقيقة باتت معروفة وهي ان تعتيما متعمدا بدأ يلف الثورة الفلسطينية وعمليات ثوارها بل اننا نذهب في القول الى ما هو أبعد من ذلك وهو ان بعض الانظمة العربية ممن هللت للثورة الفلسطينية وتقصدت تضخيم عملياتها ذات يوم بات يقلقها ويؤرقها ويثير أعصابها كثيرا وكثيرا جدا ان يكون للثورة الفلسطينية عمل قتال متصاعد فوقالارض المحتلة.

على أي حال فان المرء يستطيع أن يعد سبعا وعشرين عملية في قطاع غزة في الفترة ما بين ٨/٢٥ و١١/١٦ نفذها الثوار الفلسطينيون. وهذه العمليات اعترف العدو بخمس عشرة عملية ولم يعترف بالباقي . واننا لنود ان نلفت النظر الى ان كثيرا من العمليات لم يعلن العدو عن وقوعها بينما وقعت فعلا ... ذلك ان العدو لا يعلن الا عندما تكون العملية مكشوفة لا يستطيع أن يضرب حولها نطاقا من السرية التي يضربها عادة من حول عملياته وخسائره ...

وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد نفذت ٢٧ عملية عسكرية في قطاع غزة على الاقل في الفترة ما بين ١٩٧٢/٨/٢٥ و١٩٧٢/١١/١٦ . (يمكن الرجوع الى اعداد شؤون فلسطينية السابقة لهذا الغرض).

وأمام هذه الحقيقة التي انكر العدو جزءا منها — حينما استطاع اخفاء الكثير من عمليات الثوار الفلسطينيين التي تمت في مواجهة قواته العسكرية في قطاع غزة وكل الارض المحتلة — لم يستطع العدو الا ان يعترف وفي مناسبات متفرقة وعلى لسان كبار زعمائه وقادته تارة وفي صحفه تارة اخرى ، من ان القتال الفلسطيني ما يزال واقعا يفرض نفسه على امتداد الارض المحتلة ...

● يقول شلومو هليل في جزء من حديث له أمام المستوطنين وأذيع من راديو العدو باللغة العبرية يوم ١٩٧٢/١٠/٢ « علينا ان نعد انفسنا لمجابهة تجدد الارهاب على طول الحدود وداخل اسرائيل » (وفا) .

● وتدعو صحيفة عل همشمار يوم ١٩٧٢/١٠/١٢ الى الاستعداد جيدا لمواجهة الارهاب داخل دولة اسرائيل (رصد اذاعة اسرائيل — مركز الابحاث).

● وتقول صحيفة دافار شبه الرسمية «ان الخسائر التي ألحقت بالدولة نتيجة للحرائق بلغت ٢٠٩ أشخاص بينهم ٣١ قتلوا و٧٢ اصاباتهم خطيرة و١٠٦ اصابات غير خطيرة » (وفا ١٩٧٢/١١/١٧).

● وتقول صحيفة هاتسوفيسه « ان الحرب ضد الارهاب والتخريب هي حرب طويلة الامد وعلى جهات الامن اظهار المبادرة والجرأة لقطع دابر المخربين » . (رصد اذاعة اسرائيل — مركز الابحاث ١٩٧٣/١/٢٢) .

● وتقول وكالة رويتر للانباء تعليقا على عمليات الثوار الفلسطينيين في القطاع والضفة الغربية والعمق من اسرائيل « ومما يذكر ان السلطات الاسرائيلية تحدثت قبل أسابيع عن ازدياد النشاط السياسي والتنظيمي للفدائيين في مناطق نابلس وجنين وقلقيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة واعتقل ١٢ شخصا بعلاقاتهم بالمنظمات الفلسطينية» (رويتر ١٩٧٣/٢/٣) .

لقد وصل الامر بوكالة انباء رويتر الى أن تلاحظ

بأن عمليات الفدائيين الفلسطينيين والى أن نشاطهم التنظيمي والسياسي في تزايد ... وهذه شهادة انتزعتها الثورة الفلسطينية رغم ما تحاط به من تعتيم اعلامي متعمد وطوق حصار مادي على حركة ثوارها .

« ان الوضع اليوم هادىء تماما .. لقد انتهت مرحلة المظاهرات والاضطرابات وقضي على العمل التخريبي في هذه المرحلة بصورة نهائية » . (دايان في برنامج شخصيات وأحداث في الاخبار — رصد اذاعة اسرائيل ، ١٩٧٢/١٢/١٣) .

قال دايان ذلك ثم استسلم لابتسامة عريضة وعبر الى مواضيع أخرى في حديثه . ولم يكن دايان يدري ان ما يدبره الثوار الفلسطينيون عبر خلاياهم في الضفة الغربية والقطاع وفلسطين المحتلة منذ عام ٤٨ سوف يقلق دايان كثيرا وسوف يقتلع منه الابتسامة العريضة .

وبالفعل لم تمض ايام على مقولة دايان هذه حتى تفجر النضال في غزة من جديد وحتى تصاعد هذا التفجر الى درجة انه استهدف عملاء العدو في غزة والقطاع بالاضافة الى جنود العدو نفسه ودورياته ومنشآته العسكرية ...

فعدا عن نسف عدد من خطوط السكة الحديدية في القطاع وتفجير بعض مصانع العدو « اعترف العدو بذلك مؤخرا » (نشرة مركز الابحاث ، رصد اذاعة اسرائيل ، شهر ١٩٧٣/٣) وعدا عن الهجوم على دوريات العدو وآلياته وجنوده فقد قتل الثوار الفلسطينيون المدعو ذيب الهربيطي الذي كان رئيسا للجان المجالس المحلية التي كاد العدو بالتعاون مع العملاء ان يفرغ من تشكيلها كما أطلقت النار على رشاد الشوا وأصيب مرة أخرى .

ثم بعد ذلك كانت معركة الرمال الاخيرة ... معركة جيفارا غزة ورفيقيه التي جاءت بعد ساعات فقط من القاء قنبلة على شاحنة عسكرية صهيونية قتلت سائقا وجرحت اثنين — اعتراف العدو ضمن مبدأ عدم الاعلان عن كل خسائر — وبعد ساعات ايضا من جرح جنديين صهيونيين نتيجة انفجار لغم في سيارة عسكرية للعدو في القطاع .

وقد وصفت هآرتس (٧٣/٣/١١) المعركة التي تمكنت قوات الاحتلال الاسرائيلي فيها ، من اكتشاف مقر ثلاثة من قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع : محمد محمود الاسود (٣٠ سنة) عضو المكتب السياسي وقائد قوات الجبهة في القطاع، وكامل العمصي (٢٥ سنة) ، وعبدالهادي حايك (٣٥ سنة) من قادة الجبهة في القطاع ، بقولها : « في الساعة الخامسة والنصف من فجر يوم الجمعة ، قامت قــوات الجيش الاسرائيلي بتمشيط بيوت حي الرمال في غزة ، كعادتها كل يوم . وعندما دخلت القوة الى الفيللا التي ترتفع عليها لافتة : الدكتور راشد مسمار ، وجدت ابناء العائلة ، نساء واطفالا ، وعلى الطاولة فناجين قهوة ، تدل على ان ثلاثة رجال ، انتهوا قبل دقائق قليلة من شربها . وعندما بدأ جنود الجيش الاسرائيلي يفتشون الغرفة بدقة ، وجدوا مسدسا وأربع بلاطات ملونة تحت أحد الاسرة ، لم تكن موضوعة في مكانها كما يجب . قرع الجنود على البلاطات فسمع صدى غريب . واتضح ان في المكان نفقا . وجه الجنود نداء بالخروج بأيد مرفوعة ، فلم يستجب أحد . وضعت عبوة ناسفة لتفجــير النفق ، وعند تفجير العبوة ، بدأ اطلاق النار من اسلحة اوتوماتيكية من داخل النفق ، باتجاه الجنود الاسرائيليين ، فردوا بأسلحة اوتوماتيكية وقنابل . واتضح بعد قليل ، ان هؤلاء كانوا المخربين الثلاثة المطلوبين ، في الدرجة الاولى ، في القطاع . قتل اثنان منهم في المكان ، واصيب الثالث بجــروح بليغة ... وتوفي بعد نقله الى المستشفى » .

وقالت هآرتس ايضا ، انه « اتضح بصورة قاطعة انهم هم الذين قتلوا ذيب الهربيطي رئيس لجنة مخيم الشاطىء ، في ١١ شباط (فبراير) ، وقتلوا الكاهن يوحنا النمري . ووجدت في الفيللا وثائق كثيرة تدل على نشاطهم ، وأسلحة ... و٤٢ الف ليرة اسرائيلية مخصصة لتمويل عمليات التخريب في القطاع ...

« لقد اختبأ الثلاثة في النفق الذي كان يستعمل كاراجا داخل فيللا الدكتور مسمار . واستعمل النفق ايضا مقرا للقيــادة ، وتشهد على ذلك المعدات الكثيرة التي وجدت فيه : آلة ستانسل ، طابع الجبهة ، جوازات سفر ... » .

وقالت هآرتس : « ان الجريح عبد الهادي ، الذي توفي بعد ذلك ، كشف انه هو شخصيا الذي ألقى القنبلة في مخيم الشاطىء يوم الاحد الماضي ، حيث أصيب ثلاثة جنود اسرائيليين . وان صديقه كامل هو الذي قتل ... الهربيطي والنمري ... » . واضافت هآرتس : « ان الدكتور مسمار الذي

اختبأ المخربون في بيته ، كان قد أطلق سراحه منذ وقت قصير من سجن غزة ، بعد أن حكم عليه بالسجن خمس سنوات لمساعدته المخربين ، أمضى منها ثلاث سنوات ... والان يتضح انه عاد الى مساعدة المخربين » .

وقالت هآرتس : « ان جميع الدلائل تشير الى ان في القطاع مخربين آخرين ينتمون الى الجبهة » . وقالت هآرتس ، في مكان آخر من العدد نفسه ، ان ضابطا كبيرا من قادة الحكم العسكري في غزة أعلن « ان القضاء على قيادة منظمات الارهاب في القطاع هو ضربة مؤثرة ستؤدي الى فترة من الهدوء ، ولكن ينبغي عدم اعتبار ذلك نهاية لنشاط المخربين في القطاع » .

ووصف الضابط الاسرائيلي محمد محمود الاسود المعروف باسم غيفارا ، بأنه « كان معروفا كقائد مدرب وخبير . لقد اعتقل قبل بضع سنوات وقضى فترة في السجن في غزة . وبعد اطلاق سراحه ، سافر الى الصين حيث أمضى فترة من التخصص ، وعاد الى القطاع عن طريق لبنان . وحتى يوم الجمعة كانت قد فشلت جميع الجهود لالقاء القبض عليه » .

وكانت هآرتس (٧٣/٣/٢) قد تحدثت عن تجدد النشاط الفدائي في قطاع غزة ، فقالت : « عاد المخربون الى العمل خلال الاسبوعين الاخيرين ... وقتلوا هذه المرة وجهاء معروفين » . « وكما حدث في الماضي يحدث الان ، بدأت عمليات القتل بأحجام صغيرة ، ثم أخذت تتزايد . وقد توقفت بعد نشاط متواصل من قبل اجهزة الامن تحت قيادة العميد ارئيل شارون ، قائد المنطقة الجنوبية ، الذي اشترك اكثر من مرة شخصيا في مطاردة المخربين . وكانت عملية المطاردة تستمر ٢٤ ساعة في اليوم في جميع انحاء القطاع والمخيمات ... » .

واضافت هآرتس : « ان الغرض من انتخاب لجان محلية في احياء غزة ومخيمات اللاجئين ، هو اجراء انتخابات بلدية على غرار ما حدث في الضفة الغربية . وفي اليوم الذي قتل فيه رئيس لجنة مخيم الشاطىء الهربيطي كانت اللجان تنوي التداول في اختيار مرشح لرئاسة البلدية ، وكان القتيل الاكثر حظا في النجاح . ولم يكن مقتل الهربيطي في اليوم نفسه مصادفة » .

وقالت هآرتس : ان الفدائيين « نجحوا في تعطيل جميع اللجان في الاحياء والمخيمات. وفي هذا الوقت لن يتم انتخاب رئيس جديد لبلدية غزة . وسيضطر أوري تشيشك ، رئيس البلدية الاسرائيلي ، الى الاستمرار في منصبه » .

واشارت هآرتس الى معلومات تقول « ان على رأس المخربين في القطاع اليوم محمد الاسود الملقب بـ تشي غيفارا ...

« والاسود معروف كجندي مدرب جيدا ... وقد تلقى ، قبل ٤ سنوات ، تدريبا عسكريا في الصين ... وعندما شددت اجهزة الامن مطاردتها للمخربين نجح في الاختفاء ، وامتنع عن ممارسة اي نشاط تخريبي . ولكنه جدد الان نشاطه التخريبي . ويبدو انه يقوم بذلك بحذر شديد . ان التحدي الذي تقف أمامه اجهزة الامن الان في القطاع هو اعتقاله » .

ولقد أعلن العدو بعد معركة الرمال الاخيرة أنه باستشهاد غيفارا غزة « محمد احمد مسلم الاسود » ورفيقيه فانه « قد تم تصفية آخر حلقات التخريب — دايان نشرة رصد اسرائيل مركز الابحاث » وانه لم يعد هناك في قطاع غزة سوى الاستقرار والهدوء . واتهم الناطق العسكري الصهيوني غيفارا غزة ورفيقيه بالقاء قنبلة على الشاحنة العسكرية التي قتل فيها احد جنوده وجرح آخران كما اتهمتهما بقتل ذيب الهربيطي « وكالة وفا » .

على انه لم تمض اربع وعشرون ساعة على ذلك حتى أعلن العدو من جديد بأن « رجال الشرطة الاسرائيلية تمكنت من القاء القبض على شاب عربي وصفته بأنه هو الذي ألقى قنبلة الشاحنة ثم بعد ذلك بيومين اعلن ناطق عسكري آخر بأن عشرين من قطاع غزة قد اعتقلوا بتهمة انتمائهم الى شبكات التخريب » . («وفا» ١٩٧٣/٣/١٣) .

ويتضح من هذا جيدا ان العدو لم يستطع أن يحفظ على وسائل حربه النفسية خطا معينا حتى لاربع وعشرين ساعة اذ سرعان ما دحضت الوقائع زعمه بأن المقاومة قد انتهت باستشهاد المناضل البطل محمد مسلم الاسود ورفيقيه في قطاع غزة ... واكدت غزة كعهدها دائما انها المقاومة دائما وابدا في مواجهة الاحتلال .

ويقينا فان غزة التي هي المثل على المقاومة الجماهيرية الثورية داخل فلسطين المحتلة كلها قد سحبت نفسها على كل مدن وقرى فلسطين . وان

جماهير هذه القرى والمدن قد أفرزت طلائع تمكنت من خلال اتصالها بالثورة الفلسطينية المسلحة واتصال الثورة بها ان تقود سلسلة عمليات ناجحة وفعالة ومؤثرة في مناطق العمق من فلسطين المحتلة ...

وان ما حملته الايام التي مضت عبر الشهر الحالي لتعبر عن ارتفاع في الخط البياني لعمليات الثوار الفلسطينيين ليس داخل قطاع غزة فحسب وانما ايضا في تل ابيب والقدس ويافا ونابلس وغيرها من مدن فلسطين المحتلة .

ان وضعا جديدا قد بدأ ينشأ بعد ان تمكنت اطراف الحصار المادي والاعلامي والنفسي من أن تفعل فعلها في تقليص عمليات الثوار الفلسطينيين في الوطن المحتل فلسطين ... هذا الوضع تمثل في العودة الى القنص والاستفراد بالعسكريين الصهاينة فضلا عن الانتشار عبر اوسع رقعة من العمق لتفجير امن المستوطنين والحاق الخسائر النفسية والمادية بين صفوفهم .

ولعل من ابرز الامثلة على تلك الصورة حادثة طعن جندي صهيوني مسلح في اوائل هذا الشهر في مدينة القدس وانتزاع سلاحه منه على يد الثوار الفلسطينيين ... ثم حادثة قنص احد جنود العدو في هرتسليا في العمق والتي جاءت بعد ايام قليلة من الحادثة الاولى ... ثم عمليات يوم التاسع عشر من هذا الشهر الثلاث التي تمثلت في تدمير واجهة احد المطاعم في شارع الزهراء بمدينة القدس وتفجير سيارة أمام مركز البوليس في مدينة نابلس ثم اطلاق النار على احد رجال المخابرات في مدينة يافا المحتلة منذ عام ١٩٤٨ واصابته بجروح بليغة .

ان هذا كله يعني ان العمل الثوري المسلح داخل فلسطين المحتلة يمضي في تصاعده يوما بعد يوم وانه يسير في اتجاهه السليم والصحيح المرتكز على حرب العصابات وعلى استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد في مواجهة العدو ...

وبالتأكيد فان تصاعد النضال داخل فلسطين المحتلة رغم التعتيم الاعلامي سوف يعكس نفسه وينسحب بعميق اثره على حركة الجماهير العربية وسوف تشهد الارض العربية — رغم تيار السلم الامريكي الاسرائيلي المندفع بشراسة نحو المنطقة مستندا الى بعض الانظمة العربية — تحولات كبيرة هي بالتأكيد لمصلحة القتال ضمن استراتيجية حرب الشعب وضمن خندقة الارض العربية وبالتالي فهي لمصلحة ارادة القتال الفلسطيني والقرار الفلسطيني باستمرار بقاء البندقية مشرعة في وجه العدو الصهيوني والامبريالي وفي وجود العملاء في المنطقة العربية .

ان استشهاد المناضل البطل محمد الاسود ، غيفارا غزة ... قد دفع الى النضال الفلسطيني بشحنة جديدة من اليقين الجماهيري العربي بأن القرار الفلسطيني بمواصلة القتال هو القرار الحتمي المطلوب تعميمه لانتزاع النصر . وانه الطريق الوحيد لانقاذ الحضارة والوجود والمصير العربي ...

ان في غزة ألف غيفارا غزة وفي فلسطين المحتلة الالاف من غيفارا غزة الذين يعمقون بالدم رؤية الجماهير العربية لطريق النصر والتحرير ... ويوما ما ، وهو يوم قريب جدا بالتأكيد ، سوف تحقق غزة مثلما حققت دائما دحرا لاقاويل العدو ومزاعمه ... وسوف تمضي غزة ومعها كل جماهير الارض المحتلة والجماهير الفلسطينية في مخيمات البنادق الرائدة ... على الطريق الذي حفرته بدماء اعظم الرجال وأعز الرجال ... ولتكون غزة وكل فلسطين المحتلة ثورة دائمة في مواجهة الاحتلال .

زياد عبد الفتاح

جيفارا غزة : رمز عطاء القطاع المتدفق المتواصل

من بطن الارض العظيمة الحبلى بالرجال الابطال ومن جوف ليلها المخضب بدماء المناضلين تدفق جيفارا غزة .

كان يخرج كل ليلة وكان يضرب بعزيمة فولاذية لا تلين ...

محمد محمود الاسود ، جيفارا غزة ، كانوا يعرفونه جيدا وكانوا يعلمون انه في شريط غزة الساحلي الضيق ، وظلوا لاربع سنوات يبحثون عنه ...

ولان جيفارا غزة ثائر ولانه عرف كيف يمارس الثورة وكيف يقترب من الجماهير يلامس اعماق معاناتها ويترجم منتهى طموحاتها وآمالها النضالية ، فان العدو لم يكتشف لشهور طويلة مكان جيفارا . لقد وضعته الجماهير في حدقات عيونها وأطبقت عليه حتى اذا ما انتهى التمشيط عاد جيفارا برفاقه ليضرب من جديد ليس في نقطة معينة وانما في نقاط متعددة .

محمد محمود الاسود ، جيفارا غزة ، جند كل طاقات العقل لخدمة الثورة ... وبينما كان العدو يضرب في شوارع غزة بحثا عن جيفارا وعن حملة البنادق رفاق جيفارا كان جيفارا بعيدا عن متناول العدو ... لم يكن يمكث في مكان ست ساعات متواصلة ... وعندما ضيق العدو الخناق كثيرا كان لجيفارا مكان يلجأ اليه لا يهتدي اليه العدو... من بطن الارض العظيمة الحبلى بالرجال الابطال... من قطاع غزة ... من مدينة حيفا مسقط الرأس في شمال فلسطين ... من معاناة قرية دير ياسين المذبحة ... من احزان القهر في قرية كفرقاسم... من محنة الاجتياح في قبية وقمة مأساة الانتهاك العربي الرسمي في قرية السموع ... من مذبحة الشعب الفلسطيني في أيلول عمان الاسود ... ومن قلب مخيم الوحدات يداس بالدبابات الملكية الغاشمة ...

من هذا كله كان جيفارا غزة ... نبت وتشكل وتعمد عاشقا لرمال غزة وحيفا ... ولكل ارض فلسطين ...

وجيفارا مثله مثل كل ثوار القطاع الابطال وظف كل ما يملك لاستمرار القتال ليعطي النموذج والمثل على ان الصمت موت ... والاستكانة اذلال ... والتراجع جريمة والانتظار عار وفقدان كرامة ...

وحيث لم يكن يتوفر السلاح كان ثوار القطاع يصنعون السلاح ضمن ابسط الامكانيات المتاحة ..

وحيث لم تكن تتوفر الامكانيات كانت المدى هي السبيل لانتزاع السلاح من جندي افلت من رقابة الدورية في احد ازقة القطاع ...

وربما كان ثوار القطاع وبينهم جيفارا غزة ... اعظم الثوار على الاطلاق ومن استشهد منهم فهو بالتأكيد اعظم الشهداء ... ذلك لانه غير حب فلسطين ... غير حب الوطن ... كانت تحركهم ايضا ... ارادة ان يقولوا للامة العربية بالرصاص ودون ان يخرجوا عن صمتهم بكلمة واحدة ... ان الرصاصة المسيسة ... خير من اكداس من الطائرات لا تعرف طريقها الى الهدف ... وانه بابسط الاسلحة واقل الامكانيات تقطع الجماهير المسلحة المدربة المعبأة المنظمة اوسع الخطوات على طريق الانتصار .

ثم ...

استشهد محمد محمود الاسود جيفارا غزة في حي الرمال لكن في غزة الف محمد محمود الاسود ، ألف جيفارا غزة ، الف يمضون وعلى الدرب ألوف .. فأرض غزة وأرض حيفا وأرض كل فلسطين خصبة تنبت الرجال في كل حين ..

وهي ابدا حبلى بالابطال يتوالدون بالثورة ... ليرفدوا الثورة وليصفعوا بقبضات ايديهم العظيمة وجوه المستسلمين والمتخاذلين والراكعين ومن قلب المتوسط الهادر الامواج على شواطىء غزة ...

ومن بين أزقة معسكر جباليا ومعسكر الشاطىء ودير البلح في قطاع غزة ... من ازقة المعسكر والمدينة في خانيونس ونواصيها تنبت البنادق وينبت الرصاص .

وجيفارا غزة لم يكن يوما الابن الوحيد لرمال غزة جيفارا له اخوة وله رفاق ...

والارض الحبلى بالثورة ... سوف تظل تعطي وتلد وتزهر وتفجر الثورة ...

زياد عبد الفتاح

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

ان الاتجاه العام الذي يتحكم بالسياسة العربية الان يمكن ان يسمى اتجاه المصالحة . وهذه المصالحة مزدوجة . انها على الصعيد العربي تقارب وتفاهم بين انظمة مختلفة ومتناقضة ، ولكنها الان تسعى من اجل التقارب والتفاهم في سبيل انقاذ نفسها من مأزق العجز الذي تعيشه ، العجز عن القتال والعجز عن الاستسلام . وهي على الصعيد العالمي محاولة لايجاد المدخل الملائم الى قلب الولايات المتحدة ، فلعلها « وعساها » تحن وتشفق على الجميع بنظرة حنون .

وقد أخذت الوفود تتحرك عربيا ، واخذ الرؤساء يتحركون ، كما لم يحدث من قبل . لقد زار حسين الرياض ، ثم زار الامير سلطان الاردن ، وزار السادات ليبيا ، ثم اجتمع السادات والاسد والقذافي فيالقاهرة . وتحرك « مسؤول اردني كبير الى دمشق، ومسؤول كبير اخر زار القاهرة»، كما زار « مسؤول مصري كبير عمان » (النهار ١٩٧٣/١/١٤) .

وكانت هنالك تحركات واتصالات على الصعيد العالمي ، رافقت خطوات انهاء الحرب في فياتنام مستبشرة بها .

ولقد كان الاردن نشيطا في هذا المجال ، لانه يرمي منه الى ما يلي : اولا عزل المقاومة عربيا ، ثانيا تدعيم وضعه السياسي والاقتصادي ، ثالثا ضمان عدم وجود معارضة جادة عربية لاي تحرك ديبلوماسي يقوم به مستقبلا ، رابعا تحويل المقاومة الى « قوة » تابعة للانظمة محتواة عربيا ، وانهاء دورها السياسي والعسكري .

ويحاول النظام الاردني في سبيل ذلك ان يقنع الدول العربية بانه مستعد « للانفتاح من جديد على العالم العربي » ومستعد « للالتزام بكل ما تفرضه مقومات الوضع الراهن واحياء الجبهة الشرقية » . كما ان النظام الاردني يحاول ان يستر موقفه من المقاومة ، بانه ليس ضد العمل الفدائي « لكنه كان في الاصل ضد خروج المنظمات على الفداء ، اذ حولت عملها ، المفروض ان يكون ضد المحتل ، الى ثورة ضد النظام في الاردن والخروج على القوانين » . ولهذا فالاردن مستعد لان يقبل المقاومة ضمن خطة عربية موحدة تتحمل مسؤوليتها الدول العربية ، كما ان مشروع الملك حسين لن يطبق الا بعد انسحاب جيوش الاحتلال الصهيوني. (النهار ٧٣/١/١٤) .

ويشدد النظام الاردني خلال ذلك كله على ان مساندة الاردن سياسيا واقتصاديا ضرورية وهامة للمعركة لان الجبهة الاردنية جبهة اساسية ، تلعب دورا اساسيا في معركة التحرير .

ويجد هذا التحرك الاردني تجاوبا عربيا واسعا . وتلعب دول مثل المملكة العربية السعودية دورا بارزا فيه . ولذلك ظلت المملكة العربية السعودية حريصة ، ومنذ ايلول سنة ١٩٧٠ على بقاء النظام الاردني « وكان في نظرة المملكة ... انه يجب على الاردن ان يصمد مهما كلف الامر » . ولكن كيف يصمد ؟ هنا يأتي الجواب واضحا على لسان الناطقين باسم المملكة العربية السعودية في بيروت: « لكي يصمد فلا بد من استمرار دعمه ماديا ومعنويا ، كما ولا بد من مواصلة المساعي لايجاد اي مقدار من التفاهم ما بين النظام الاردني من جهة ومنظمات المقاومة من جهة ثانية ، حتى تتوفر مع الايام ظروف ملائمة لاعادة المياه ما بين الجانبين الى مجاريها الطبيعية ، في هذه الظروف غير الطبيعية والبالغة الخطورة » . ولهذا ظلت المملكة العربية السعودية تقدم المساعدات التي قررها مؤتمر الخرطوم للاردن ، مع ان ليبيا والكويت قد قطعتا هذه المساعدات ، وربما زادت السعودية هذه المساعدات احيانا لتعوض الاردن « عن المعونات التي قطعتها بعض الشقيقات العربيات عنه » (الجديد ٣٢٠ ، ٧٣/١/٢٦) .

وتحاول المراجع السعودية ان تقنعنا الان بان التطورات التي تحدث تنسجم مع المخطط السعودي مؤكدة « صواب وجهة النظر السعودية التي وضعها العاهل السعودي ضمن اطار استراتيجية قومية بعيدة النظر » . ذلك ان النظام الاردني حسب ما تذيعه هذه المراجع قد اخذ « ... يتزحزح ، ربما ببطء شديد ، انما بثبات واستمرار عن مواقعه الاولى ... » . وتضيف هذه المراجع ان الملك الاردني قد خطا مجموعة من الخطوات الجذرية على الصعيدين الداخلي والعربي . فلقد اصدر في الداخل اكثر من عفو عن رجال المقاومة.

كما انه خطا عربيا عدة خطوات هامة باتجاه مصر وسورية (الجديد ، العدد ٣٢٠ ، ٧٣/١/٢٦) . وتضيف هذه المراجع ان تجاوب مصر وسورية تأكيد على صواب وجهة النظر السعودية .

واذا كانت المملكة العربية السعودية تنفذ خطا رسمته ، فان عددا من الانظمة العربية يجد مصلحة له في التجاوب معه . ذلك ان القتال ليس مطروحا على محمل الجد.وتردد الاوساط العربية الرسمية ان العرب غير مهيأين للقتال . وان التهيؤ للقتال يستلزم جهدا عربيا موحدا ، وهذا ما ليس حاصلا كما يقتضي امكانيات عسكرية غير متوافرة . وعليه فان « الامكانيات العسكرية لحسم ازمة الشرق الاوسط ، آخذة في التضاؤل ، وان الحديث عن حرب ثأرية ، مجرد الحديث ، أصبح غير مقبول » (الدستور ، ١٢٣ ، ٧٣/٢/١٩) .

ولقد قامت القاهرة باتصالات عربية واسعة من أجل تنسيق الجهد العربي . وكان من ثمرة ذلك ، عدد الاتصالات والوفود ، مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع في الكويت ، ثم مؤتمر رؤساء الاركان في القاهرة ، ثم مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع أخيرا .

وكان واضحا ان هذه الاتصالات والوفود والمؤتمرات تريد شيئا أو أشياء ، ولكن هذا الشيء او هذه الاشياء ليست توحيد الجهد العربي من اجل القتال . ذلك ان الاتصالات والوفود والمؤتمرات لا توحد قوى متناقضة مستسلمة او مهادنة من اجل القتال . وليس طريق توحيد الجهد هو طريق الاتصالات والوفود والمؤتمرات فحسب . ان العمل من اجل القتال ، بدء القتال ، اتخاذ مواقف قتالية هو الذي يجعل للاتصالات والوفود والمؤتمرات معنى قتاليا . ولذلك فان المطلوب ، في حالة كالتي نعيشها ، ان تتفق الدول العربية على أمرين : أولهما — وضع المقاومة الفلسطينية ضمن خطة الانظمة العربية وثانيهما — السير على طريق الحل السلمي بلا مزايدات ولا مهاترات .

ولهذا أصبحت المقاومة الان هي المشكلة . انها المشكلة لانها ترفض طريق الاستسلام . وهي مشكلة لان عملياتها تقود الى صدامات مع دولة الاحتلال الصهيوني . وهي مشكلة لان الانظمة العربية لن تستطيع التقدم على الطريق الذي اختارته ، اذا كان الشعب الفلسطيني مصمما على الاستمرار في القتال . ولهذا كله كانت المقاومة مشكلة مؤتمر الكويت ومشكلة مؤتمري القاهرة . وستبقى مشكلة الانظمة العربية جميعا ، ما دامت تقاتل وتصر على توحيد الجهد العربي ، من اجل القتال ، لا من اجل اي شيء آخر .

وليس غريبا بعد هذا كله ان تحاصر المقاومة ، وأن تبذل المساعي لعزلها وتطويقها وضربها . فالمقاومة التي تريدها الانظمة غير هذه الموجودة . ان الانظمة تريد مقاومة مرتبطة بها ، تتحدث عن القتال ، ولا تقاتل ، وترفض الاستسلام ، ولكنها تبحث عن طرق ووسائل للتكيف معه ، تنطق باسم الشعب الفلسطيني ، ولكن من اجل فرض استراتيجية الانظمة العربية عليه . اما المقاومة الموجودة فهي مرفوضة . ولا بأس من ان يأخذ الرفض اشكالا عدة . فهي مرفوضة في جهة لانها لا تقاتل ! وهي مرفوضة في جهة اخرى لانها ماركسية ، وهي مرفوضة مرة ثالثة لانها غير موحدة الخ ... وهي مرفوضة حقا لانها الطرف الوحيد المقاتل فعلا ، الواقف في طريق الاستسلام فعلا مهما كانت عيوبها واخطاؤها .

وما تريده الانظمة العربية منها هو أن تصبح غير ما هي عليه . ان تتوحد ، أي أن تتطهر من القوى المقاتلة ، المعادية للاستسلام ، وان تختار مواقعها السياسية والايديولوجية التي تؤهلها لدخول صالون الانظمة العربية . وهناك كثير من المحاولات لايضاح هذه الحقيقة . (الجديد ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٧٣/١/١٢ و ٧٣/١/١٩) .

ولقد جاء انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع ما بين ١/٢٧ و١/٣٠ في هذا الجو . وكان انعقاده جزءا من التحرك العربي الشامل الذي يستهدف ما ذكرناه .

وكان واضحا ان المؤتمر يستهدف اعادة النظام العميل في الاردن الى الحظيرة العربية ، وعزل حركة المقاومة . وتمثل ذلك فيما يلي :

١ — حذف موضوع الخلاف بين المقاومة والنظام الاردني من جدول الاعمال ، مع ان الجدول مقر في مؤتمر الكويت . وتبين ان الامين العام للجامعة العربية هو الذي طلب حذف هذا البند من الجدول .

٢ — لم يرد ذكر المقاومة اطلاقا ، الا على اساس أنها قوة ستشارك في الجبهة الشرقية .

٣ — قدم الفريق احمد اسماعيل تقريرا الى

المؤتمر ، حدد فيه مهمات المقاومة بانها عمليات العمق وأية عمليات أخرى في العالم ، دون ان يكون لها مثل هذا الحق على الحدود وبالقرب منها.

٤ ـ طالبت الخطة الموحدة بتخصيص مبلغ ٩٠ مليون جنيه استرليني (الانوار ٧٣/١/٢٩) لدعم مصر وسوريه والاردن . وقد استثنيت المقاومة . وعندما طالب ممثلها بأن تكون لها حصة من المبلغ المخصص رفض اقتراحه . وحين تقدم رئيس الاركان الليبي باقتراح زيادة المبلغ وتخصيص قسم منه للمقاومه رفض اقتراحه ايضا .

٥ ـ تقدم وفد العراق بمشروع لبناء الجبهة الشرقية ، حدد فيه القوى التي ستشارك في الجبهة تخطيطا وتنفيذا ، بأنها دول الاتحاد الثلاثي والعراق والاردن والمقاومة . وأعلن العراق استعداده للمشاركة في الجبهة ، ولكنه اشترط مشاركته بتأميم النفط ، أو تخفيض الانتاج ، وبعدم بيع النفط للولايات المتحدة . ولقد رفض المشروع العراقي .

٦ ـ نوقشت طلبات المقاومة في الجلسة الختامية . وقد قدم اقتراح بتشكيل لجنة خاصة تقوم بزيارة الاردن والاجتماع بالملك حسين وبحث قضايا المقاومة معه ، بعد أن أعلن ممثل الاردن في المؤتمر بأنه لا يملك الصلاحيات للموافقة على مثل هذه المطالب. ولقد تشكلت اللجنة من : المغرب ، الجزائر ، مصر ، المملكة العربية السعودية ، الكويت ، سوريه ، والقائد العام للجبهات الثلاث الفريق أحمد اسماعيل والامين العام لجامعة الدول العربية . وما أن تمت الموافقة على تشكيل اللجنة حتى بدأ المؤتمر يناقش موضوع اصدار قراراته ومنها : بناء الجبهة الشرقية ورفع الحصار عن الاردن ، واعادة المساعدات المقطوعة . ولكن وفد المقاومة اعترض على ذلك ، وأيده الوفد الليبي، مما حدا بالمؤتمر ان يربط اتخاذ مثل هذه القرارات بنتائج زيارة اللجنة الى عمان .

ولقد سافر الملك الى واشنطن ، وانشغل بشهر العسل ، فلم تتمكن اللجنة من زيارته بعد . الا ان زيارة الملك للولايات المتحدة قد فتحت آفاقا جديدة . وجاء في الاخبار ان الملك مستبشر ، وبانه سيخبر الدول العربية بما سمع ورأى من اهتمام الولايات المتحدة بأزمة الشرق الاوسط .

وتتردد في هذا الوقت أحاديث عن القتال في هذه العاصمة العربية أو تلك ، في الوقت الذي يجري فيه الحديث عن بادرة اميركية جديدة . ولكن الاميركيين لم يطرحوا شيئا حتى هذه اللحظة . لماذا ؟ لانهم يريدون موافقة عربية ، تكليفا عربيا ، قبل أن يتكلموا . انهم هذه المرة لن يبادروا كما فعلوا في المرة السابقة ، ليقال لهم نعم أو لا ، انهم يريدون أن يبادروا والموافقة المسبقة في أيديهم. وما يطرحه الاميركيون واضح ومحدد : انه حل جزئي ، وفتح قناة السويس بالذات .

وقد ترددت أنباء في الايام الاخيرة (النهار ٧٣/٢/١٧) عن تنسيق مصري روسي بريطاني لقبول البادرة الاميركية الجديدة على أن يسمى الحل الجزئي حلا مرحليا . وليس بمستبعد ان يكون اللجوء الى التسمية الجديدة مخرجا من المأزق . ان التسمية هامة جدا ، وما لا يمكن ان يقبل باسم الحل الجزئي ، يمكن ان يقبل ويبرر باسم الحل المرحلي. القضية الاساسية في هذا كله ان اي حل جزئي أو مرحلي لا يمكن ان يتحقق اذا ظلت المقاومة قوة معارضة . وعليه فلا بد من ان يكون ثمن الجدية الاميركية خطوة أخرى على طريق تصفية المقاومة . فهل ستستطيع الولايات المتحدة ان تنجز هذه الخطوة ؟

ان ذلك يعتمد على موقف المقاومة ونضالها وعلى موقف القوى الوطنية العربية . ومعركة الايام القادمة هي معركة المقاومة بالذات . معركة استقلالها أو احتوائها ، معركة بقائها او فنائها .

١ ـ قضية أبو داوود : دخل أبو داوود عمان في هذا المناخ . وكان دخول أبو داوود عمان يسير في الاتجاه المعاكس . ذلك ان الهدف كان من وجوده :

أ ـ هز ثقة النظام بنفسه ، وثقة سادته (الولايات المتحدة) به . فالنظام يناور دوليا من أجل أن يؤكد صفته ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني ، وحريصا على تصفية ارادة القتال وعلى السير نحو التصفية . ولا بد لافشال لعبته الدولية من مفاجأته بضربة صاعقة ، لا تسقطه ، ولكنها تهزه هزا عميقا ، وتحرمه بالتالي من أن يدعي ضمان الاستقرار واستتباب الامن في ربوعه .

ب ـ افساد مناورات النظام لخلق مناخ انفتاح عربي ، يخرج الاردن الرسمي من عزلته العربية ، ويفتح أمامه كل امكانيات التغطية المادية والمعنوية

لنشاطاته المشبوهة .

جـ — رفع معنويات جماهيرنا في الارض المحتلة والاردن ، برد موجع على عمليات المطاردة والقمع والاذلال .

ولكن أبو داوود اكتشف يوم ٢/٨ . ولم يعلن النظام شيئا عن المحاولة الا يوم ٢/١٥ (النهار ٧٣/٢/١٦) ، دون ذكر ابو داوود ، بينما أعلنت فتح بيانها يوم ٢/١٦ (النهار ٧٣/٢/١٧) ، مع انها كانت تعلم بما حدث في حينه .

بدأت حملة المقاومة من اجل انقاذ ابو داوود ، باللقاء مع السفراء العرب في بيروت يوم ٢/١٦ ، والمذكرات التي قدمتها فتح الى الحكومات العربية. ثم تحركت وفود من فتح الى بعض البلاد العربية ، وجرت اتصالات مع بلاد أخرى .

وكان رد الفعل على الصعيد الشعبي واسعا وعميقا، ذلك ان المنظمات الشعبية العربية أصدرت بيانات الاستنكار ، ضد النظام الاردني . كما أن اتحادات المحامين تحركت من اجل الدفاع عن المعتقلين ، ولكن السلطات الاردنية لم تتح لها فرصة الوصول الى عمان ، وردت الوفد العراقي برئاسة فيصل حبيب خيزران ، نقيب المحامين العراقيين ، من مطار عمان ، على الرغم من ان الوفد ابرق لنقابة المحامين في الاردن ولوزارة العدل فيه بموعد قدومه .

ولقد عبرت المنظمات الشعبية العربية عن موقفها من النظام الاردني ، كما عبرت عن تأييدها لمهاجمة النظام الاردني في مواقعه الحساسة . ولكن الموقف الرسمي ، لم يكن كالموقف الشعبي ، وان كانت هنالك بعض الخلافات .

كان أول رد فعل رسمي صادرا عن بومدين والقذافي ، ذلك انهما كانا مجتمعين ، وأرسلا برقية الى الجامعة العربية تطالبها بالتدخل في سبيل انقاذ حياة ابو داوود . ولم يكن ممكنا ان يبرق بومدين والقذافي للسلطات الاردنية مباشرة ، لان العلاقات بينهما وبينها مقطوعة .

أما فيما عدا ذلك ، فقد كانت النظرة الى قضية أبو داوود مرتبطة بموضوع العلاقة بين الثورة الفلسطينية والنظام في الاردن . وأراد البعض ان يستخدم رأس ابو داوود رهينة للتفاوض والضغط ، وان يغتنم هذه الفرصة ، لا للمحافظة على حياة ابو داوود ، بل لدفع المقاومة الى خط جديد في علاقاتها مع الاردن خاصة ، والانظمة عامة .

وكان يطرح على وفد فتح هذا السؤال : كيف تريدوننا ان نتوسط في موضوع ابو داوود ، دون ان نخوض في القضية كلها ؟

ولقد عبرت هذه الاوساط عن وجهة نظرها هذه ، من خلال صحفها . وكتبت احدى هذه الصحف تسمي الوساطة الوساطة الناقصة . لماذا ؟ لان انقاذ ابو داوود ممكن و« ... بسهولة ويسر ...» « متى استطاع الوسطاء ان يقيموا قاعدة سليمة للتعايش بين العرب ، جميع العرب ، بصرف النظر عن آرائهم وميولهم واتجاهاتهم ... » (الحياة ٧٣/٣/٧) . وعادت الصحيفة لتؤكد انه : « ... اذا كانت قد أطلت من خلال هذه الغيوم الكثيفة بارقة أمل واحدة فهي استجابة الملك حسين للنداء الذي وجه اليه لعدم تنفيذ حكم الاعدام بابو داوود ورفاقه من الفدائيين ... غير ان بارقة الامل هذه لن يكون لها مردودها المثمر على صعيد العلاقات العربية ، الا اذا تحولت الى بداية لجمع الكلمة ورص الصفوف ، وتناسي الاحقاد والعمل من جديد ، ضمن خطة موحدة ، وفي سبيل غاية واحدة ، وهدف مشترك ... » (الحياة ٧٣/٣/٨). « وتحل قضية العلاقات بين الثورة الفلسطينية والنظام في الاردن بسهولة ويسر . ذلك اننا في كفاحنا ضد اسرائيل لا غنى لنا عن الاردن الذي يرابط على أطول خط من خطوط مواجهتنا ضد العدو ، ولا غنى لنا عن العمل الفدائي الذي أصبح في آخر الشوط المخرز الوحيد الذي ينخز في جوانب أعدائنا ، فهل يجوز لاي عربي ان يسكت عن استمرار الصراع بين هاتين القوتين العربيتين ؟... » (الحياة ، ١٩٧٣/٣/٧) .

ويتضح ان هدف هذا المنطق هو أن نصل الى أن المصالحة يجب ان تتم . كيف ؟ وعلى أي الاسس ؟ على اساس تناسي الاحقاد وبدء صفحة جديدة من العلاقات !. ولكن هل يمكن أن تتم المصالحة وان يبقى من الثورة الفلسطينية غير أشلاء . هذا ما لا يجيبنا عليه الوسطاء علنا ، ولكن الخطط التي طرحت في الاشهر الماضية ، ومنذ محادثات جدة قالت كل شيء : ثورة فلسطينية ضمن استراتيجية عربية موحدة شاملة . وهذا يعني ان تخضع الثورة لاستراتيجية الانظمة خضوعا كاملا . وهذا يتطلب ان يحدث من التغييرات فيها ما يجعلها قادرة على أن تكون كذلك .

لقد تحدثنا في هذه الزاوية كثيرا عن هذه الناحية ، ولكن ما هو مطلوب يمكن تلخيصه بالآتي : توحيد الثورة الفلسطينية بتصفية الاتجاهات الثورية فيها، وبانهاء طابعها الشعبي ، وباخضاع كل قواتهـا العسكريـة لبرنامج عسكـري موحد ، واخضاع ديبلوماسيتها للديبلوماسية الرسمية .

وعاد الملك حسين من زيارته للولايات المتحدة فواجه الحملة بتصديق احكام الاعـدام على أبو داوود ورفاقه . ويبدو انه كان يريد من ذلك : أ — تعليق السيف على رقبة الثورة الفلسطينية في محاولة لارهاب قياداتها وجماهيرها ووضعها امام خيارين : اما أن تقبل بالتفاوض حسب شروط النظام في عمان أو تعطي المبرر لمزيد مـن القمع والبطش والارهاب . ب — دفع الانظمة العربية لممارسة مزيد من الضغط على الثورة الفلسطينية من أجل محاصرتها بالخيارين السابقين المذكورين أعلاه . ج — استغلال وساطة الانظمة لاستئناف الحـوار معها من اجل انهاء حالة الحصار التي يعيشهـا الاردن الرسمـي ، والحصول على المساعـدات « المقطوعة » .

وحين كتب أمير الكويت ، متمنيا على الملك الا ينفذ أحكام الاعدام أجابه الملك برسالة ، عممتها اجهزة الاعلام الاردنية وكان أهم ما جاء فيها: أـ«... ان الحكم الذي صدر بحق المجموعة التي تصدت لتنفيذ المؤامرة ، هو حكم قانوني وعادل صدر عن جهات قضائية ومسؤولة ... » . ب — ان نداء أمير الكويت كان له وقع ايجابي في نفس الملك ، وان الملك يسمع معه ايضا « ... نداء عميقا ينطلق من أعماق الضمير العربي كله ، داعيا الى بناء سد أبدي في وجه تيارات الفرقـة والتصدع ، واعادة النظر في قواعد التعامل بين اعضاء الاسرة العربية كلها ، والوقوف بموضوعية وأمانة أمام انفسنا نتحرى فيهـا أسباب الضعف والخطأ ، والعزم على مراجعة المواقف بما يوفر للقضية المزيد من أسباب القوة والاقتدار » .

وطالب الملك أن يكون في طليعة ذلك : أولا : وضع حد نهائي وفوري والى الابد لكل تآمر وعمل تخريبي مادي او اعلامي ضد هذا البلد العربي وشعبه الوفي وجيشه البطل ومؤسساته جميعا ، وأن تتعهد المنظمات بأن توجه جهودها وطاقاتها ، وما تضعه الامة بين أيديها من طاقات لخدمة القضية خدمة أمينة مخلصة ، وأن لا تتعرض لا للاردن ولا لغيره من البلدان الشقيقة بشيء قليل أو كثير ، بل ان يكون دورها أن تجمع ولا تفرق ، وأن تبني ولا تهدم ، وأن تكون سلاحا للقضية في وجه أعدائها لا سلاحا للاعداء في وجه القضية في كل عمل وقول، وفي الدنيا بأسرها . ثانيا : ان يواجه الاشقاء مسؤولياتهم تجاه موقفنا هذا بجرأة وصراحة ، وأن تكون مواقفهم من اي اخلال بهذا التعهد صارمة ومعلنة » (الانوار ٧٣/٣/٧) .

ومن الجدير بالذكر أن المصادقة على حكم الاعدام جاءت بعد تنفيذ مقاتلي أيلول الاسود حكم الاعدام بالديبلوماسيين الثلاثـة في الخرطوم ، وبعد أن استشاطت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحـدة غضبا ، حتى انها ما لبثت أن طالبت علنا باعدام منفذي عملية الخرطوم .

هل هذا يعني أن باب الوساطة ما زال مفتوحا... انه ما زال فعلا ، بسبب وجود تيار عربي رسمي يرى المصالحة ضرورية ، ويرى ان تحل قضية ابو داوود ورفاقه بالعمل الديبلوماسي ، لا بالحملات الاعلامية ، ولا بالعمليات الانتحارية . ولهذا التيار امتداداته الفلسطينية .

والملك حسين أيضا يريد هذه المصالحة ، لانها تصفي الثورة الفلسطينية من داخلها . وهذا ما يسهل على الملك خطواته ، ويريحه من مشاكله الحالية والمقبلة مع الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني كما يتوهم . وهو اذا كان يريد تصفية ابو داوود ، فلا تهمه التصفية المادية بمقدار ما تهمه التصفية المعنوية . وهذا ما يحاوله النظام الان . انه يعمل جاهدا لاسقاط خط ابو داوود من خلال ابو داوود . كيف ؟ من خلال اظهار ابو داوود متراجعا عن خطه ومن خلال طرح المصالحة ثمنا لراسه .

وبعد ، هل سيعدم ابو داوود ؟

ان الاجابة مرهونة بعدد من العوامل السياسية والمواقف السياسية ، كما انهـا تتعلق بالثورة الفلسطينية والنظام الاردني والانظمة العربية . وأن يعدم ابو داوود أو لا يعدم مرهون بعدد من هذه العوامل المتغيرة .

ولقد أعلن الملـك حسين في ٣/١٤ ، في رسالة وجهها الى رئيس وزرائه بالوكالة تخفيف حكـم الاعدام « لاعتبارات انسانية » واستجابة لنداءات عدد من القادة العرب . ويخطو الملك بذلك خطوة

أخرى على طريق المصالحة ، وعلى طريق تحريض الانظمة العربية ضد الثورة الفلسطينية ، اذا لم نستجب « لشروط » المصالحة (البيرق ٧٣/٣/١٦) .

٢ ــ **قضية الطائرة الليبية** : وأسقطت الطائرات الاسرائيلية المقاتلة في هذا الجو الطائرة الليبية . كان حافظ اسماعيل ، مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي يريد التوجه الى الولايات المتحدة . وقد خشي البعض ان يمنع الحادث الزيارة . ولكن الزيارة تمت ، وهذا ما رجاه رسميو الولايات المتحدة .

هل كان الحادث يستهدف التأثير في رحلة حافظ اسماعيل ؟ ان الاجابة على هذا السؤال ليست سهلة . ذلك ان كل الدلائل تشير الى ان الولايات المتحدة الاميركية ودولة الاحتلال الصهيوني ليستا مختلفتين حول ما يسمى موضوع أزمة الشرق الاوسط . وما دامتا ليستا مختلفتين فما الحاجة الى عرقلة المساعي الحسنة التي تقوم بها الولايات المتحدة لمصلحة دولة الاحتلال الصهيوني ؟ اذا قلنا بأن دولة الاحتلال الصهيوني تريد عرقلة المساعي قادنا ذلك الى الاعتقاد بأن هناك خلافا بين الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني . وهذا ليس حاصلا الان . ذلك ان ما تطلبه الولايات المتحدة لا يتعدى ما تطلبه دولة الاحتلال : حل جزئي ، يكون مقدمة لحل شامل ، تحتفظ فيه دولة الاحتلال الصهيوني « بحدود آمنة » ، وتنال في المقابل مكاسب هامة لا حدود لها ، تبدأ من تصفية الثورة الفلسطينية ، وتنتهي بالاعتراف .

ما الدافع اذن الى مثل هذه الجريمة النكراء ؟

ربما استهدفت دولة الاحتلال من ذلك ما يلي : أ ــ خلق اسباب لمزيد من الخلافات بين ليبيا ومصر . ذلك أن ليبيا تعلن مواقف مضادة للحلول الاستسلامية وتعلن على لسان رئيسها : « ان موضوع تحرير فلسطين واعادة شعبها أصبحت منتهية من أذهان الحكام العرب » وان السياسة العربية تجاه فلسطين مصابة بـ « الافلاس والعقم والشلل » (الحياة ٧٣/٣/٨) . بينما تتحدث مصر عن التعبئة والحرب وترسل الرسل الى واشنطن الخ . ان توسيع شقة الخلاف داخل اطار الاتحاد الثلاثي ، يربك مصر ، ويضعف امكانياتها القتالية والسياسية . ب ــ الانتقام من ليبيا بسبب تبني السلطة فيها عمليات « أيلول الاسود » ، وهو ما اعلنت عنه سلطات الاحتلال سلفا . ولقد استهدفت دولة الاحتلال الطائرة ، لانها تسعى الى زعزعة ثقة المواطن العادي بخط حكومته . وليس غريبا بعد هذا ان تتجه المظاهرات العفوية التي حدثت ضد العلاقات المصرية الليبية . ج ــ « كسر أنف القذافي » واشعاره ان دولة الاحتلال قادرة على الرد ، وانها « تمهل ولا تهمل » ، وان تحديها عبث ومكابرة .

وهنالك احتمال آخر ان تكون استهدفت من ذلك استدراج الطائرة الليبية الى الاراضي المحتلة من أجل اصطياد « رهائن » ليبية هامة ، كانت تعلم بوجودهم على الطائرة . او لانها تريد استغلال اصطياد طائرة ليبية في عملية حوار تكون ليبيا فيه مضطرة .

وسيان كان هذا كله او كان غيره ، فان العملية واحدة من آلاف العمليات التي قامت بها دولة الاحتلال الصهيوني ضد شعبنا الفلسطيني وجماهيرنا العربية . وهي عملية اثارت كثيرا من السخط العربي المؤقت ، مثل مثيلاتها ، الا انها سرعان ما أضيفت الى سجل الاعتداءات . وهي تؤكد اسلوب الحوار الدموي الذي انتهجته دولة الاحتلال منذ كانت ، او حتى قبل أن تكون .

ماذا ستفعل ليبيا ؟

يتوقع بعض منا ضربة مماثلة . ولكن جماهيرنا يجب ان تخرج من دائرة ردود الافعال . ان ما نطلبه ليس حادث طائرة مماثل . ان ما نطلبه يتلخص في التصميم على القتال فقط . ولان هذا التصميم العربي غير مكرس رسميا تقبل جماهيرنا اية ضربة ، ردا على الضربة المؤلمة .

٣ ــ **عملية أيلول الاسود في الخرطوم** : أثارت عملية الخرطوم ما لم تثره عملية اخرى من عمليات أيلول الاسود على الصعيد العربي . وكان واضحا أن هناك على الصعيد العربي الرسمي ، وشبه الرسمي ، وفي محافل رجعية كثيرة توجسا وخيفة واستنكارا وحيرة . لماذا حدث ذلك ؟

لقد قتل وصفي التل رئيس وزراء الاردن ، وفي القاهرة ، وخلال دورة اجتماعات في الجامعة العربية . ومع ذلك كان هنالك تجاوب شعبي كبير ، ولم تكن هناك مظاهر السلبية التي اتضحت اثر عملية الخرطوم .

وجدير بالذكر ان اوساطا مثل جريدة النهار ، تبنت الدعوة لمنهج « أيلول الاسود » ، وقفت هذه المرة

تقول : « ولكن ... ولكن ... هل يمكن ان يصبح « الارهاب الفدائي » ارقى مراتب النضال ، بل النضال الوحيد ومجال الثورة الابرز والافعل ؟ ذلك هو السؤال الذي تطرحه « قضية الخرطوم » خصوصا بعدما انتهت الى ما انتهت اليه ، ومرت بما مرت به » (النهار ٧٣/٣/٥) ودعا في النهار داعية آخر من دعاة ايلول الاسود المتحمسين ، الى الحوار مع قيادة الثورة من اجل « ... شق طريق اخرى غير هذه الطريق » (النهار ٣/٨) . واستنكرت صحيفة عربية اخرى الحادثة بقولها : « ان عملية أيلول الاسود في الخرطوم جاءت بمثابة نكسة مذهلة للعالم العربي ، مثلما كانت جريمة مروعة » (الحياة ٣/٦ نقلا عن الكويت تايمز) .

ان الذي قاد الى هذا كله كان ما يلي :

أولا : ان كثيرين من الذين شجعوا فكرة « أيلول الاسود » وعملياتها كانوا يفعلون ذلك من اجل انهاء وجود الثورة العلني والشرعي. كانوا يطرحون « أيلول الاسود » بديلا لما هو قائم . وكان هذا يقتضي ان تزول القوات والمواقع والمعسكرات والمنظمات الجماهيرية مقابل عمل سري مجهول . ولكن هذا العمل السري أصبح واقعا الان واصبحت له مسؤولياته . ولذلك أسرع كثيرون ممن أيدوه وهو فكرة الى التنصل منه عندما اصبح واقعا . ثانيا : كانت عملية الخرطوم عملية على أرض عربية تستهدف أكثر من جهة عربية ، وأكثر من جهة دولية . وكونها قامت على أرض عربية ، ومست اكثر من جهة عربية ، بينها المملكة العربية السعودية ، أمر له اهميته الكبرى . فالمملكة العربية السعودية تلعب دورا بارزا في احداث المنطقة الان . وهي حتى الان تحاول ان تظل مهيبة في علاقاتها العربية والدولية . لذلك فان احتلال سفارتها وارتهان سفيرها وضيوفه وقتل بعض منهم كان لا بد من ان يهز دوائر عربية معينة . كما ان قيام مثل هذه العملية على أراض عربية ، اخاف أنظمة وأوساطا عربية من أن تقوم عمليات مماثلة على أراضيها .

وزاد الامر تعقيدا بالنسبة لبعض الاوساط العربية ان ديبلوماسيين امريكيين قد قتلا . وهو ما لا يرضاه انصار التفاهم مع الولايات المتحدة .

اما موقف الخرطوم الرسمي فلم يكن متوقعا ان يكون غير ذلك . ذلك ان حكومة الرئيس النميري قد قررت منذ حركة هاشم العطا ان تسير في خط جديد ، دعائمه ثلاث : الولايات المتحدة ، المملكة العربية السعودية ، قادة جنوب السودان . وقد قادت هذه الدعائم الثلاث السودان الى السير في الخط الاميركي . وجاءت عملية الخرطوم لتكشف هذه الحقيقة كما لم تكشف من قبل .

ولذلك استغلت حكومة النميري هذه الحادثة لتتخذ موقفا معاديا من الثورة الفلسطينية كلها . ولقد بادر النميري فألقى خطابا اعلن فيه الحرب الشعواء . ولم يكتف بذلك بل أرسل رسالة الى الملوك والرؤساء العرب دعا فيها الى تحرير الناشئة الفلسطينية من سيطرة العقلية المتعطشة للدم ووضع ضوابط للعمل الفدائي . وكان هذا يعني وقوف السودان الى جانب الاردن في عملية سحق ارادة الشعب الفلسطيني .

ان ما حدث في السودان جدير بالاهتمام . ذلك ان هذا الموقف العلني الصريح من الثورة الفلسطينية وافتعال المظاهرات المطالبة باعدام الذين نفذوا عملية الخرطوم ، لا تعبر عن « مدى الضغوط التي يتعرض لها النميري الان من اميركا لاعدام الفدائيين في الخرطوم ... » فقط (لسان الحال ٧٣/٣/٨). هناك أكثر من ذلك هناكخط داخلي يتبلور في اتجاه الولايات المتحدة .

واليوم يعود الحوار مع الخرطوم من جديد . ويبدو ان الحوار تطع شوطا بعيدا علـى طريق انهاء الازمة .

ولا بأس من الاعتقاد ان هذه الازمة مع حكومة السودان ستسوى مؤقتا ، ولكن هذا لا يعني ابدا ان مواقف حكومة السودان كانت « نرفزة » عابرة، وانها كانت بلا دلالات . ان دلالاتها كبيرة ، وهي تستحق ان نقف عندها باهتمام ، لانها مؤشر من المؤشرات الهامة على علاقة الثورة الفلسطينية بالانظمة العربية ، خلال مسيرتها المقبلة .

وبينما يجري هذا كله تظل الحياة السياسية العربية تتكشف كل يوم عن متناقضاتها ، وعن انحدارها على طريق الاستسلام . ففي لبنان قامت قوات الاحتلال الصهيوني بعدوانها على مخيمي البداوي ونهر البارد ، دون ان تواجه بطلقة من غير « حرس المخيمات » . وفي المغرب اعلن الملك الحسن الثاني (البيرق ٣/٥) عزمه على ارسال متطوعين الى سوريه في الوقت الذي كان زعماء

الحركة الوطنية في المغرب يعتقلون بتهمة القيام بأعمال مسلحة ، وفي الوقت الذي كان التحرك الشعبي يزداد عنفا وحركة القمع تزداد شراسة . وفي مصر استمر الحديث عن الحرب ، واستمر قرع الابواب من اجل السلام ، واستمرت حركة التطهير في أجهزة الاعلام . أما في سوريه فقد حاولت بعض الفئات تحريك فتنة دينية ، ولكنها ضربت بسرعة . وضاع الحديث في هذه الاجواء عن الجبهة الشرقية، وسط سرعة الاحداث وصخبها .

اما الجبهة العربية المشاركة فقد جاءت دورتها الاولى ما بين ٣ و٥ آذار ، الا انها جاءت دون اطراف اساسيين هم : سوريه ومصر وليبيا . ومع ذلك فقد كان اجتماع امانتها العامة مفيدا ، أصدرت على أثره عددا من البيانات وقررت دعوة مجلسها العام في حزيران (الانباء ٧٣/٣/٩) .

ان المرحلة القادمة مرحلة اكثر تعقيدا ، وستزداد الاتجاهات نحو الاستسلام افتضاحا ، وستزداد محاولات التصفية شراسة .

ناجي علوش

بعد توقيع اتفاق وقف اطلاق النار في فيتنام تبلورت معالم حملة ديبلوماسية عربية على الصعيد الدولي هدفها جذب اهتمام الدول الكبرى بشكل جدي الى النزاع العربي الاسرائيلي والى ضرورة احراز بعض التقدم المقبول باتجاه حله سلميا في أقرب وقت ممكن . وكانت المظاهر الاهم لهذه الحملة زيارة الملك حسين لواشنطن في كانون الثاني ١٩٧٣ ، وقيام حافظ اسماعيل — مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي — بزيارة كل من موسكو ولندن وواشنطن بالتتابع ، حيث اجرى مباحثات مع كبار المسؤولين في تلك العواصم حول ازمة الشرق الاوسط . وكجزء من هذه الحملة الدبلوماسية يقوم وزير خارجية مصر — الزيات — بزيارة كل من الهند والباكستان وايران وتايلاند ، كما يقوم الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي — سيد مرعي — بزيارة عدد من دول اوروبا الشرقية . من جهة أخرى استمرت السياسة الامريكية الموجهة نحو الحكومات العربية المعنية بالايحاء بأنها تنوي التحرك لاخراج أزمة الشرق الاوسط من المأزق الواقعة فيه (ولكن بدون أن تتحرك فعلا) ، وهي تقدم ايحاءات يلفها الغموض المتعمد بهدف خلق اجواء هي في الوقت نفسه مزيج من التفاؤل والامل من ناحية ، ومن الحذر والتحفظ من ناحية ثانية . على سبيل المثال « أوحت » الدبلوماسية الامريكية للملك حسين اثناء زيارته لواشنطن (وفقا لتمريحاته هناك) بأن التفاؤل بامكانية ايجاد حل مرض لطرفي النزاع في الشرق الاوسط ممكن لان امريكا تقوم بدور كبير في خلق جو يمكن ان يزدهر فيه السلام العالمي . كما « أوحت » له بأن دور منطقة الشرق الاوسط سيأتي في المرتبة الاولى على جدول اعمال الرئيس نيكسون لان حكومته مهتمة كثيرا بمصيرها مما يعني ان تحركا ما سيحدث قريبا تأخذ فيه امريكا زمام المبادرة . وقد بررت الدبلوماسية الامريكية ايحاءاتها هذه بقولها ان العالم يسير الان نحو حل المشاكل المستعصية وازالة اسباب التوتر المزمنة التي تهدد السلام العالمي ، لذلك لا بد لهذا الاتجاه من ان يشمل مشكلة الشرق الاوسط باعتبارها تشكل أهم مصدر للخطر على السلام العالمي . وعلى هذا الاساس اعلن الملك حسين اثناء زيارته الامريكية « انه سيبلغ المسؤولين في سوريا ومصر من خلال اتصالات خاصة ما لمسه من اهتمام حقيقي بقضية الشرق الاوسط في الولايات المتحدة ».
اما بالنسبة لمصر فقد أطلقت الدبلوماسية الامريكية ايحاء من النوع نفسه اخذ صورة ابداء رغبة الحكومة الامريكية باستقبال شخصية مصرية مسؤولة على مستوى رفيع لاجراء محادثات على أعلى المستويات في واشنطن . ويبدو ان بريطانيا كانت الوسيط الذي نقل هذه الرغبة الامريكية الى المسؤولين في مصر ، كما ان وليم روجرز أعلن عنها في مؤتمر صحافي عقده في منتصف شباط ١٩٧٣ . وعلى اثر ذلك يبدو ان الرئيس السادات قرر ارسال مستشاره الخاص حافظ اسماعيل اولا الى الاتحاد السوفياتي للتشاور هناك بشأن التحرك الامريكي ومن ثم الى الولايات المتحدة ، مرورا بلندن ، لتبادل وجهات النظر مع المسؤولين الامريكيين بمن فيها الرئيس نيكسون . ويبدو من نتائج الزيارة المصرية لموسكو (راجع : القضية الفلسطينية دوليا ، « شؤون فلسطينية » ، عدد ١٩) ، ان الزعامة السوفياتية لم تعترض على مهمة حافظ اسماعيل في لندن وواشنطن .

في لندن قابل حافظ اسماعيل رئيس الوزراء ووزير الخارجية . وقد أوضحت مصادر وزارة الخارجية البريطانية ان المحادثات اقتصرت على تبادل وجهات النظر حول امكانات تحقيق التسوية السياسية في الشرق الاوسط ولكنها لم تتطرق الى أية اقتراحات محددة للوصول الى هذا الهدف . ويبدو ان السبب في ذلك الاعتقاد السائد حاليا لدى كافة الاطراف المعنية بأن مفتاح حل أزمة النزاع العربي الاسرائيلي هو في يد الولايات المتحدة. وقد أوضحت المصادر البريطانية انها « تؤيد التحرك الامريكي الجديد الرامي الى احياء الحوار غير المباشر بين الدول العربية واسرائيل » . كما ترددت انباء صحفية بأن المسؤولين البريطانيين قد أشاروا على حافظ اسماعيل بضرورة مسايرة مصر للتحرك الامريكي والقبول به « لان الظروف الدولية لا تسمح بأية حلول اخرى في الوقت الحاضر » .

اما في واشنطن فقد رحب الناطق باسم وزارة الخارجية بزيارة حافظ اسماعيل باعتبارها فرصة « للاطلاع على آراء الحكومة المصرية » حول أزمة الشرق الاوسط و« لعرض الرأي الامريكي على

مصر حول الموضوع ذاته » . كما ابدت الاوساط السياسية الامريكية ارتياحها لان حافظ اسماعيل قد جاء الى واشنطن بعد المشاورات التي كان قد أجراها في موسكو ، ولان زيارته تأتي بعد محادثات الرئيس نيكسون مع الملك حسين وقبل مقابلته لغولدا مائير . وقد قابل المبعوث المصري كلا من الرئيس نيكسون ووزير خارجيته وليم روجرز ومستشاره الخاص هنري كيسنجر . وفي استقبال المبعوث المصري عاد الرئيس نيكسون الى تكرار الايحاءات العامة والغامضة حول عزم حكومته على التحرك لاخراج أزمة الشرق الاوسط من مأزقها . فقد أكد رغبة بلاده الكبيرة في المساعدة على احلال السلام في منطقتنا ، ثم اضاف ان حكومته تدرك أيضا ان تحقيق السلام الفوري ليس الا حلما (وهذا يعني تحقيق السلام على مراحل : أي التسوية الجزئية ، محادثات الجوار، الخ...). كما أشار الى أن هدفه الحالي بالنسبة للشرق الاوسط هو « تحريك القضية من مكانها » . وقام حافظ اسماعيل بتسليم الرسالة التي بعث بها الرئيس السادات الى نيكسون. وعلى اثر الاجتماع مع نيكسون أعلن الناطق باسم البيت الابيض انه تم عقد الاجتماع في جو ودي ، واعرب عن الامل الامريكي بأن يكون بالامكان اجراء مفاوضات عربية — اسرائيلية . وقد رددت المصادر السياسية الامريكية ان الرئيس نيكسون ووزير خارجيته واثقان من ان محادثاتهما مع اسماعيل « قد تسفر عن سعي امريكي — مصري الى احلال السلام في الشرق الاوسط » . لذلك اعتبرت هذه الاوساط ان زيارة اسماعيل قد اسفرت عن نتيجة ايجابية مهمة . وعلى اثر اجتماع المبعوث المصري بوليم روجرز أعلن الطرف الامريكي ان « العلاقات بين مصر والولايات المتحدة قد أصبحت أكثر انفراجا » وان المحادثات مع وزير الخارجية « كانت مفيدة جدا وسجلت تقدما » .

على الرغم من كل هذه الايحاءات الامريكية فان التدقيق في هذا الموضوع يبين ان المحتوى الكامن خلف هذه الايحاءات ما زال هو هو ، اي الموقف الامريكي المعروف من النزاع العربي — الاسرائيلي. لذلك لا بد من الاستنتاج انه اذا كان صحيحا ان مهمة حافظ اسماعيل في واشنطن قد حققت نتيجة ايجابية مهمة بالنسبة « للسعي الامريكي — المصري لاحلال السلام في الشرق الاوسط » وان تقدما قد تحقق بهذا الاتجاه ، بالاضافة الى انفراج في العلاقات الامريكية المصرية ، فان المسؤول عن تحقيق هذه النتائج ليس بالتأكيد اي تغير او تساهل في الموقف الامريكي ، مما يتركنا أمام احتمال واحد هو ان الموقف العربي قد أصبح أكثر تساهلا في الفترة الاخيرة . ويمكننا استخلاص ثبات الموقف الامريكي حيال النزاع في منطقتنا واستمراريته من عدة تصريحات صدرت على أعلى المستويات . ففي منتصف شباط المنصرم عقد وليم روجرز مؤتمرا صحافيا حدد فيه موقف بلاده من مسألة تسوية النزاع العربي الاسرائيلي على النحو التالي :

(١) ضرورة البدء ، عما قريب ، بالمفاوضات بين الدول العربية المعنية واسرائيل . قال روجرز ان بلاده ستقوم بدور نشط جدا في الاسابيع المقبلة من اجل بدء هذه المفاوضات ، وستفعل كل ما تستطيعه لحمل الجانبين العربي والاسرائيلي على التفاوض .

(٢) التأكيد من جديد على اهمية « البدء بالمحادثات الخاصة بين جميع الفرقاء المعنيين » (اي محادثات الجوار باشراف امريكا) والاصرار على ان الطريق الى السلام يكمن في الاجراءات الجزئية (أي التسوية الجزئية واعادة فتح قناة السويس) التي تشكل خطوة أولى نحو التسوية النهائية للنزاع . قال روجرز ان حكومة بلاده ستسعى في نشاطها للحصول على مثل هذه الاجراءات الجزئية. وأعرب عن اعتقاده بأن تحقيق تسوية جزئية للنزاع بين مصر واسرائيل يبدو أسهل من تحقيقها بين اسرائيل والاردن خاصة وان فكرة التسوية الجزئية صدرت أصلا عن الرئيس السادات نفسه .

(٣) نفى روجرز ان يكون هناك ثمة شيء مثل البادرة الامريكية للسلام التي كثر الكلام عنها . قال بهذا الصدد ان بلاده لا تسعى الى عرض أي مشروع جديد لتسوية النزاع . والهدف من هذا النفي هو تأكيد الموقف القائل بأن الولايات المتحدة لن تفرض على المنطقة أي حل من الحلول مهما كان . وبعد تحديد الموقف الامريكي على النحو المذكور بين روجرز ان حكومة بلاده قد نقلت وجهات نظرها هذه حول التسوية الجزئية الى الاطراف المعنية بالنزاع بما فيها الاتحاد السوفياتي ، ثم اعلن ان السلطات الامريكية ترحب باستقبال شخصية مصرية بارزة ، وانها بالتأكيد سترد الزيارة اذا تمت .

وبعد انتهاء زيارة حافظ اسماعيل الى واشنطن عادت المصادر السياسية هناك الى تأكيد الموقف

الامريكي نفسه عن طريق الاشارة الى ان المسؤولين الامريكيين يأملون بأن يبين المبعوث المصري للرئيس السادات ان الولايات المتحدة « لا تريد سوى تحريك قضية الشرق الاوسط من جمودها » . وذكرت هذه المصادر ان هؤلاء المسؤولين قد امضوا ساعات طويلة يشرحون لحافظ اسماعيل كيف انه لا يمكن الوصول الى اية نتائج بالنسبة لازمة الشرق الاوسط الا بالعمل خطوة بعد خطوة ، وكيف ان اهم شيء الان هو البدء بعملية المفاوضات لان اول اجراء يبشر بنتائج ملموسة هو الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس. كذلك اكدت هذه المصادر ان نيكسون وروجرز اوضحا للمبعوث المصري ان الولايات المتحدة « غير راغبة وغير قادرة على فرض صيغة للتسوية في الشرق الاوسط ، ولهذا فان تحقيق السلام يبقى مرهونا بالطرفين المتنازعين » . وفي مقابلة تلفزيونية اوضح جوزيف سيسكو — بعبارات دبلوماسية — ان الموقف الامريكي من الشرق الاوسط لم يتغير (بالرغم من الزيارات العربية) وان امريكا لا تنوي استخدام نفوذها لدى اسرائيل (باعتبارها تمد اسرائيل بالمال والسلاح) لجعل موقفها « اكثر ليونة » بالنسبة لمسألة الاراضي العربية المحتلة . كما عاد سيسكو الى التأكيد على ان حكومة بلاده ما زالت متمسكة بفكرة تنفيذ التسوية الجزئية والعمل على البدء بمفاوضات بين الطرفين من أجل تحقيق هذا الهدف. وكنوع من التطمين لمصر أقر سيسكو بأن الحكومة الامريكية تدرك ان هناك صلة بين التسوية الجزئية (الهدف الامريكي المباشر) وبين الجهود التي ينبغي بذلها فيما بعد من اجل تحقيق التسوية الشاملة عن طريق تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على المدى الابعد (الهدف المصري الملح) . ورفض سيسكو الكلام الذي يقال عن وجود مبادرة امريكية جديدة لان ذلك « يوحي بوجود مشروع سلام شامل ستعمل امريكا على فرضه في المنطقة » وهذا مخالف تماما لموقف الحكومة الامريكية وسياستها .

وجدير بالاشارة هنا ان حافظ اسماعيل اجتمع بالامين العام لهيئة الامم (فالدهايم) قبل مغادرته الولايات المتحدة . وقد صرح المبعوث المصري قائلا ان مباحثاته مع فالدهايم « كانت مثمرة جدا وصريحة وشاملة » . أما الناطق باسم الامين العام لهيئة الامم فقد ذكر ان المحادثات تطرقت الى موضوع « محادثات الجوار » مع اسرائيل وامكانات تحقيقها .

تمت آخر حلقة في مسلسل الزيارات الرسمية الشرق أوسطية لواشنطن في أوائل آذار حيث قابلت غولدا مائير كبار المسؤولين الامريكيين بمن فيهم الرئيس نيكسون ، كما زارت لجنة العلاقات الخارجية التابعة للكونغرس الامريكي . وعلى اثر محادثاتها مع نيكسون ، التي حضرها كيسينجر ، أعلن الجانب الامريكي ان الاجتماع كان وديا وصريحا ومفيدا ، كما صرح ناطق باسم البيت الابيض بأن الرئيس نيكسون اكد لمائير استمرار الدعم العسكري والاقتصادي الامريكي لاسرائيل ، وذكر انه ينبغي الا يتوقع احد حلولا فورية لازمة الشرق الاوسط . ولكن مع ذلك فان الحكومة الامريكية ستواصل بذل كل ما في وسعها لايجاد حل سلمي للازمة في المنطقة . كذلك اعلن جوزيف سيسكو ان حكومة بلاده لن تمارس اي ضغط على مائير من اجل التوصل الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط ، لكنها « ستستخدم ما لديها من نفوذ لدى اسرائيل في محاولة للتقريب بين مواقف الطرفين ». واثناء وجود مائير في واشنطن وافق الكونغرس الامريكي على التشريعات المتعلقة بالمساعدات الخارجية الامريكية التي تضمنت مخصصات لاسرائيل بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون دولار لتمويل مشترياتها من المعدات الحربية و٥٠ مليون دولار لتمويل المشاريع الاقتصادية . وجدير بالاشارة هنا ان انباء ترددت حول اجتماع الملك حسين بمائير اثناء وجودهما معا في واشنطن ، مما دعا الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية الى التصريح « بأن الملك حسين كان في واشنطن اثناء وجود مائير فيها الا انه لا علم لديه حول اي اجتماع تم بينهما » .

ويبدو ان نيكسون يعيد الان ترتيب الاجهزة الحكومية العليا المرتبطة به مباشرة والمشرفة على تنفيذ السياسة الخارجية الامريكية في المناطق الحساسة بحيث ينصب اهتمامها على اوروبا والشرق الاوسط، بعدما كان هذا الاهتمام موجها الى الحرب في فيتنام . وهذا يعني ان حكومة نيكسون مصممة على الدفع بخطها السياسي (الذي أوضحنا معالمه) بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي والعمل على تنفيذه في المدى القريب . فقد أعلن البيت الابيض في الاسبوع الاول من شهر آذار ان مجلس الامن القومي الامريكي يمر بمرحلة تحول كاملة بهدف نقل سياسة الرئيس نيكسون الخارجية من عصر فيتنام الى عصر اوروبا والشرق الاوسط . ومعروف ان

المسؤول عن مجلس الامن القومي هو هنري كيسنجر الذي سيوجه اهتمامه الان بشكل متزايد الى منطقتنا . وهذا واضح من خروج بعض مساعدي كيسنجر المختصين بشؤون فيتنام من المجلس (مثل الجنرال اليكساندر هيغ) وتعيين اختصاصيين بمنطقة الشرق الاوسط مكانهم ، مثل الجنرال كروفت الذي حضر اجتماعات نيكسون الاخيرة مع الملك حسين وحافظ اسماعيل وغولدا مائير. وتعيين وليم كواندت كمساعد لكيسنجر وهو من الباحثين المنتمين الى مؤسسة راند المشهورة وواضع دراسة مفصلة عن حركة المقاومة نشرتها مؤسسة راند نفسها .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي استمرت علاقاته بمصر في تأرجحها وترددها بين الفتور من ناحية وبين الميل الطفيف نحو التحسن من ناحية أخرى . فقد ظهرت مقالات في الصحف السوفياتية مؤخرا تنتقد الاوضاع الاجتماعية والسياسية في مصر بصورة عامة . ومن جهة اخرى قام وفد عسكري مصري برئاسة وزير الحربية ، الفريق أحمد اسماعيل ، بزيارة للاتحاد السوفياتي في أواخر شباط حيث قابل كبار القادة هناك . وقد اجتمع اسماعيل بليونيد بريجنيف لفترة طويلة بحضور وزير الدفاع السوفياتي الماريشال غريشكو ، ويبدو ان المقابلة جاءت استكمالا للمحادثات التي كان قد اجراها حافظ اسماعيل في وقت سابق مع الزعامة السوفياتية ، وذلك قبل سفره الى الولايات المتحدة وكجزء من الحملة الدبلوماسية المتشعبة بهدف تركيز اهتمامات الدول الكبرى على المأزق الذي وصل اليه النزاع العربي الاسرائيلي . وقد ترددت انباء مفادها ان من الاهداف الرئيسية لهذه الزيارة حصول مصر على أسلحة سوفياتية . كما ذكرت هذه الانباء ان الاتحاد السوفياتي سيستمر في تقديم الدعم العسكري والسياسي لمصر ، بدون اي تحديد حول ما اذا كان هذا الدعم يشمل تلبية طلبات مصر الحالية للحصول على المزيد من الاسلحة . وعلى صعيد آخر قامت هيئة رئاسة السوفيات الاعلى بمناشدة الملك حسين الغاء حكم الاعدام الصادر بحق ابو داوود ورفاقه لان مثل هذا « العمل الانساني يستجيب لمصالح تعزيز القوى الوطنية للشعوب العربية في نضالها ضد العدوان الاسرائيلي ، ولانه سيحظى بالاستحسان من قبل جميع اصدقاء العرب » . ويعتبر هذا النداء تصرفا استثنائيا من جانب السلطات السوفياتية مما يبين الاهمية التي ما زالت حركة المقاومة تتمتع بها في عرقلة التدهور المستمر للوضع السياسي العربي الرسمي العام في المنطقة .

بالاضافة الى ذلك قام الرئيس تيتو بنشاط ملحوظ في تدعيم الجهود الدبلوماسية المصرية ، اولا عن طريق التصريح بأن تسوية أزمة الشرق الاوسط مرتبطة ، في نهاية الامر ، باتفاق بين الدول الاربع الكبرى ، على ان تمر عملية الوصول الى هذه التسوية بمرحلة اعادة فتح قناة السويس بضمانة الدول الاربع الكبرى . كما ذكر تيتو ان مثل هذه التسوية يجب ان تنص على وضع الاماكن الحساسة في الشرق الاوسط تحت رقابة الامم المتحدة والدول الاربع الكبرى ، وان الرئيس السادات (الذي كان في زيارة تيتو قبل فترة وجيزة) ما زال مستعدا للموافقة على اعادة فتح قناة السويس كمرحلة اولى نحو تسوية شاملة ونهائية للنزاع في المنطقة . ثانيا ، قام الرئيس تيتو بتوجيه رسائل الى عدد من قادة الدول في العالم ناقش فيها ازمة الشرق الاوسط حيث طرح اقتراحاته وافكاره المذكورة ، وشدد على ضرورة تحقيق حل عادل وسريع للازمة مؤكدا المسؤولية التي تتحملها هيئة الامم في العمل على تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وكل القرارات الاخرى الصادرة عن المنظمة الدولية والتي ترفض اسرائيل تنفيذها .

أما بالنسبة لمواقف دول اوروبا الغربية ازاء النزاع العربي الاسرائيلي فلم تطرأ عليها اية تغيرات هامة باستثناء المزيد من الميل الواضح للانضباط ضمن اطار الخطوط العامة للموقف الامريكي وتكرار الحجج والاعتبارات التي يتستر بها ، مما يبين ان ما قيل في السابق عن الاستقلالية النسبية لموقف دول اوروبا الغربية الرئيسية ازاء النزاع في منطقتنا قد تبخر كليا (باستثناء فرنسا). وكان هذا الاتجاه واضحا في التصريحات التي أطلقها وزير الخارجية الايطالي بعد زيارته لكل من جدة والقاهرة وبيروت حيث اجرى محادثات مع كبار المسؤولين تتعلق بأزمة المنطقة وبالعلاقات الايطالية العربية . وجدير بالاشارة هنا ان الدبلوماسية الايطالية اخذت تنشط منذ فترة في العالم العربي على اساس الفكرة المطروحة عن ضرورة تحييد البحر الابيض المتوسط وسحب الاساطيل الغربية منه كجزء من التسوية المنتظرة في المنطقة ، مما سيتيح الفرصة امام الدول

الاوروبية الاكبر (ايطاليا وفرنسا بشكل خاص وبالاشتراك مع اسرائيل ، الدولة الاقوى في منطقتنا) للسيطرة على حوض البحر الابيض المتوسط كليا . أعلن وزير الخارجية الايطالي ان بلاده تعمل من اجل السلام في الشرق الاوسط ومن اجل تأمين الاتصالات السياسية الضرورية لتحقيق هذا الهدف . ومما يلفت الانتباه بهذا الصدد تشديد الوزير على اهمية بدء المفاوضات بين الطرف العربي والاسرائيلي من اجل الوصول الى السلام في المنطقة . اي يبدو ان جهوده خلال الزيارة « لتأمين الاتصالات السياسية الضرورية » تعني على الصعيد العملي السعي لخلق الاجواء المناسبة من اجل بدء المفاوضات ، بصورة من الصور ، مع اسرائيل . وذكر الوزير « ان من مصلحة الجميع ان تبدأ المفاوضات السياسية التي ستحل كلا من مشكلة الاراضي العربية المحتلة ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين » . ثم اشاد بالدور الذي ستقوم به اسرائيل بقوله « ستستطيع اسرائيل القيام بدور سلمي وتساهم في التقدم الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الاوسط » . كما عاد الوزير الى تكرار النغمة المطروحة من قبل امريكا وانصار التسوية السياسية القائلة ان اتفاق وقف اطلاق النار في فيتنام والانفراج المتوقع في اوروبا قد جعلا من النزاع العربي الاسرائيلي مصدر الخطر الوحيد المتبقي على السلام العالمي ، مما يستدعي القيام بعمل سريع ونشيط لبدء المفاوضات السياسية بين الاطراف المعنية بالنزاع ، الخ ، على حد قول الوزير الايطالي .

وفيما يتعلق باوروبا الغربية من الضروري الاشارة ايضا الى ان الحكومة البلجيكية تدرس حاليا مشروعا اسرائيليا تشارك فيه كل من بلجيكا والولايات المتحدة لانتاج طائرات وصواريخ اسرائيلية على الارض البلجيكية (طائرات عرفا وصواريخ غابريال) . ويبدو ان الدبلوماسية العربية تسعى لدى الحكومة البلجيكية لاقناعها بعدم الموافقة على تنفيذ المشروع . كذلك من المهم ملاحظة ان المصنع سيقام في منطقة متخلفة نسبيا في ميدان التصنيع بحيث يستفيد من مساعدات الحكومة البلجيكية عملا بسياستها في دعم المناطق المتخلفة من البلاد ، ومن تخفيضات ضريبية كبيرة بالاضافة الى غيرها من الضمانات والتسهيلات الحكومية . كما ستشتري الحكومة البلجيكية ما قيمته ١٠ ملايين دولار من منتجات المصنع في السنوات الثلاث الاولى من مباشرة العمل .

اما في فرنسا فقد اوضح جورج مارشيه ، الامين العام للحزب الشيوعي (الذي خاض الانتخابات النيابية متحالفا مع الحزب الاشتراكي) السياسة التي يسترشد بها تحالف اليسار ازاء اسرائيل والنزاع القائم في المنطقة . ولا يخرج الموقف الذي شرحه مارشيه عن حدود التفسير المصري — السوفياتي لمعنى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومعنى تطبيقه . كما انه لا يختلف كثيرا عن الموقف الفرنسي المعروف الذي اعلنه الجنرال ديغول ازاء النزاع العربي الاسرائيلي بعد ١٩٦٧ ، مع العلم ان هذا الموقف قد تعرض لكثير من التمييع العملي وعلى صعيد السياسات اليومية والتفصيلية بعد غياب الجنرال . على هذا الاساس شدد مارشيه على ضرورة موافقة اسرائيل على تطبيق قرارات الامم المتحدة واحترام الحقوق الوطنية لشعب فلسطين . كما ذكر ان تبني اسرائيل لمثل هذه السياسة سيؤدي الى زيادة تعاون فرنسا معها .

بالنسبة لبريطانيا قام اللورد كارادون واضع مشروع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الشهير بزيارة لاسرائيل حيث اطلق تصريحات حول القرار تؤيد التفسير الاسرائيلي — الامريكي لنصوصه . ويكتسب هذا الموضوع بعض الاهمية للسبب التالي : من المتعارف عليه انه عندما يحدث خلاف جذري حول تفسير وثائق دولية من هذا النوع كثيرا ما ترجع الاطراف المعنية الى « النوايا » التي كان يريد واضعو الوثيقة التعبير عنها عند صياغتها من اجل اخذها بعين الاعتبار ، والاحتكام اليها في تسوية الخلاف . وقد اوضح اللورد كارادون في تصريحاته ان « النوايا » التي كان يراد التعبير عنها في قرار مجلس الامن كما صاغه هو وكما تمت الموافقة عليه من قبل كل الاطراف المعنية لم تكن تشمل تحديد خريطة السلام في الشرق الاوسط ، بل كان غرضها دعوة اسرائيل لسحب قواتها من الاراضي العربية المحتلة الى حدود آمنة ومعترف بها ، وهذا لا يعني طبعا الانسحاب الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ . لذلك ذكر كارادون ان الحدود الآمنة والمعترف بها ، او حدود السلام النهائية في المنطقة على حد تعبيره ، متروكة للمفاوضات بحيث يتم رسمها بين الاطراف في النزاع مباشرة .

كان لاسقاط اسرائيل طائرة الركاب المدنية

الليبية التي ضلت طريقها فوق سيناء المحتلة ، ولاحتلال الفدائيين الفلسطينيين للسفارة السعودية في السودان (حيث اعدموا السفير الامريكي ومساعده وديبلوماسيا بلجيكيا) اصداء وتأثيرات دولية هامة لا بد من الاشارة اليها .

عندما سقطت كل امكانات المكابرة بالنسبة لجريمة اسرائيل في اسقاط طائرة الركاب الليبية (كسون قائد الطائرة فرنسيا وتكذيب التسجيلات اللاسلكية بين الطائرة وبرج المراقبة في القاهرة كل الحجج والتبريرات التي قدمتها اسرائيل بسرعة لتغطية جريمتها) لم يعد باستطاعة اكثر دول العالم تأييدا لاسرائيل واكثر الصحف العالمية عطفا عليها الا استنكار هذا العمل البشع . ففي الامم المتحدة تبنت جمعية منظمة الطيران المدني الدولية قرارا باكثرية ساحقة نددت فيه بعمل اسرائيل وطلبت من رئاسة المنظمة اجراء تحقيق في الحادث . وبسبب فظاعة الحادث اضطرت الولايات المتحدة للتصويت الى جانب القرار بالرغم من فشل محاولاتها لتعديله بهدف تخفيف حدة عباراته المنددة بعمل اسرائيل . كذلك تبنت لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم قرارا ادانت فيه « مذبحة الابرياء » التي اقترفتها اسرائيل باسقاطها طائرة الركاب الليبية ، كما قررت ، في اجراء غير مألوف ، ارسال برقية الى الحكومة الاسرائيلية للتنديد « بالعمل الوحشي الذي لم يكن له اي مبرر » وللتعبير عن استيائها الشديد من هذا العمل داعية اسرائيل «الى احترام قواعد السلوك المتمدن والانساني بين الشعوب والدول وتطبيقها » . كما ان الاتحاد الدولي لجمعيات الطيارين ندد بالعمل الاسرائيلي ودعا الى اجراء تحقيق محايد في الحادث . وانتقدت جمعية الطيارين البريطانيين العمل الاسرائيلي بشدة . وفي بروكسيل اصدر اتحاد العمال العالمي تنديدا شديد اللهجة بعمل اسرائيل ووصف سلوكها « بالعمل الذي لا يغتفر » لانه كان عملا متعمدا جاء نتيجة اوامر صريحة اعطيت باسقاط الطائرة المدنية .

أما بالنسبة لعملية احتلال السفارة السعودية في الخرطوم ونتائجها ، فقد اصدر الرئيس نيكسون بيانا دعا فيه الى « وقفة دولية حازمة ضدالارهاب» والى محاكمة الفدائيين المسؤولين عن العملية . كما ارسل مذكرة خاصة الى الرئيس النميري عبر فيها عن تقدير الولايات المتحدة للجهود التي بذلتها السلطات السودانية لانقاذ حياة الرهائن مع التأكيد على ضرورة اعتقال الفدائيين ومعاقبتهم . بالاضافة الى ذلك صرح وليم روجرز قائلا ان اية دولة تمنح حق اللجوء السياسي للفدائيين الفلسطينيين المسؤولين عن عملية الخرطوم ستعتبر « شريكة في جريمة القتل » ، كما دعا الى تنفيذ حكم الاعدام بهم واثنى على ما سماه « بموقف الحكومة السودانية الحازم » واعرب عن امله في ان تتصرف كل دول العالم بالحزم نفسه . كذلك ارسل الرئيس النميري رسالة خاصة الى نيكسون ندد فيها بمقتل الدبلوماسيين الامريكيين في الخرطوم على يد منظمة ايلول الاسود وارسل مبعوثا خاصا الى واشنطن — عبد الرحمن عبد الله ، وزير الخدمات العامة — الذي اجرى محادثات مع الرئيس نيكسون ووليم روجرز حول عملية الخرطوم وذيولها . وفي الاتحاد السوفياتي انتقدت صحيفة « البرافدا » بعبارات معتدلة نشاط منظمة ايلول الاسود ، وذكرت ان عملية الخرطوم وامثالها « تسيء الى المقاومة الفلسطينية والكفاح المشترك للدول العربية من اجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلي » ، كما نشرت « البرافدا » بيانا لمنظمة التحرير تعلن فيه ان لا علاقة لها بحادث الخرطوم .

صادق جلال العظم

رسالة من مراسلنا في السويد

يناقش البرلمان السويدي خلال النصف الاخير من شهر فبراير ومطلع شهر مارس ، مشروع القانون المسمى « بقانون الارهابي » ، والذي قدمته لجنة خاصة تم تشكيلها بموجب قرار حكومي عقب حادثة اختطاف طائرة « الخطوط الجوية الاسكندنافية » SAS في شهر سبتمبر ١٩٧٢ . اما الجهة التي تحملت المسؤولية في عملية الاختطاف فقد كانت منظمة Ustaja الكرواتية (Croation) ، وهي نفس الجهة التي قامت باغتيال السفير اليوغسلافي في ستوكهولم عام ١٩٧١ ، ويعتقد بانها هي المسؤولة ايضا عن وضع قنبلة على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية اليوغسلافية ، والتي انفجرت في الجو في طريقها من كوبنهاغن الى بلغراد عام ١٩٧٢ ، وقتل جميع من كان على متن تلك الطائرة .

تعرف اللجنة التي شكلت عقب حادثة الاختطاف ، تعرف مشروع القانون الجديد بما يلي :

« ... لمجابهة ازدياد الارهاب الدولي ، كما يظهر في خطف الطائرات والاغتيالات . (واذا ما صدق على مشروع القانون هذا) يصبح من الممكن بناء عليه طرد اي مهاجر يظن انه ينتمي الى منظمة تستخدم اعمال العنف التي قد يتأثر بها اناس ابرياء في السويد . اما اذا كان الشخص المعني لاجئا سياسيا ، فيمكن اخضاعه — بعد اتخاذ الحكومة قرارا بذلك — الى تفتيش شخصي وتفتيش بيته ومراقبة رسائله ومكالماته التليفونية ... ».
ان الدافع المباشر لتقديم مشروع القانون ، كما هو مذكور اعلاه ، هو عملية اختطاف الطائرة . الا ان هذا الدافع في حد ذاته ، مجرد ذريعة ، حيث ان المراقبين السياسيين ذكروا ان مشروع قرار كندا تم بالفعل بحثه ودراسته ومناقشته عقب عملية ميونيخ في مطلع شهر سبتمبر ١٩٧٢ ، وقد تم بالفعل استدعاء عدد من الفلسطينيين الى دوائر البوليس لاجراء تحقيقات معهم . وكان الشعور السائد في تلك الفترة ، هو شعور باليقظة من جهة السلطات تجاه الفلسطينيين ومناصريهم ، وكذلك انتظار اللحظة المواتية للمباشرة في عملهم ضد الجهات الفلسطينية .

اذن ، فان مشروع القرار في حد ذاته مشروع موجه بالدرجة الاولى ضد الفلسطينيين . هذا

وقد ذكرت الصحف السويدية ان مشروع القرار موجه بالدرجة الاولى ضد منظمة Ustaja وكذلك ضد تنظيمات فلسطينية لها علاقة بمنظمة ايلول الاسود . ولكن الواقع ان الجهة الاولى — اي منظمة Ustaja — لن تتأثر بالقرار وذلك للاسباب التالية :

١ — ان العاملين داخل هذا التنظيم والمعروفين لدى جهات البوليس جميعهم يحملون الجنسية السويدية ، ولذلك فانهم لن يتأثروا بالقرار .

٢ — ان عددا كبيرا من المتعاطفين وكذلك العاملين داخل التنظيم المذكور تم احضارهم الى السويد عقب الحرب العالمية الثانية كلاجئين ولكونهم عنصرا مناهضا للشيوعية .

لقد ذكر عضو البرلمان وممثل الحزب الشيوعي السيد جورن سوينسن ان « الارهاب ضد الابرياء في السويد يمارس من جهة واحدة فقط وهي منظمة Ustaja . ولمحاربة هذه الجهة لا داعي قط الى « قانون ارهاب » سيؤثر على التنظيمات الديمقراطية والتقدمية » .

يظهر واضحا اذا ان الارهابي ، او من يسمى ارهابيا بالامكان او بالاحتمال ، هو من ينتمي بالفعل الى تنظيم تقدمي مناهض للامبريالية والفاشستية ، وبما ان منظمة Ustaja هي منظمة فاشستية معروفة بعلاقتها خلال الحرب العالمية الثانية بالنازية والفاشستية ، فان القانون بحد ذاته وبشكل غير مباشر يسقط هذا التنظيم الفاشستي من حسابه ، ويحارب التنظيمات المناهضة للفاشستية . ولذلك فقد دعا التقدميون القانون « بقانون الارهاب الفاشستي » . اذ ان اي شخص اجنبي يسكن في السويد يعتبر ارهابيا بالامكان يتم تطبيق بنود القانون عليه حتى وان لم يستطع البوليس اثبات التهمة الموجهة اليه . لقد تساءل احد المحامين السويديين قائلا : « هل ستقوم الحكومة السويدية بطرد جولدا مئير من السويد في حالة قيامها بزيارة لهذا البلد ، انطلاقا من ان مشروع القانون الجديد ينطبق عليها ، لكونها رئيسة لتنظيم حكومي ارهابي ، يمارس الارهاب ليس فقط في المنطقة العربية بل في اوروبا ايضا » .

ان مشروع القرار له نتائج خطيرة على الحركة التقدمية في السويد ، وبالدرجة الاولى على الحركة الفلسطينية وامكانية حظر ممارستها لاي عمل فلسطيني اعلامي مستقبلا . ان احد اهداف مشروع القانون الجديد هو ارهاب الاجانب العاملين اعلاميا لحركات التحرر العالمية ، واشعارهم بعدم الامان وبعزلهم عن المجتمع السويدي في حالة السماح لهم بالبقاء في البلد ، وفي حملهم على مغادرة البلد بسبب المضايقات التي سيسببها البوليس لهم . اذ ان مشروع القانون يعطي الصلاحية الكاملة للبوليس باصدار قرار الى اي شخص اجنبي يعمل في نشاط اعلامي سياسي او لا يعمل بنقله من المكان الذي يسكن فيه اما للعمل او للدراسة الى مكان اخر يقره البوليس السويدي ويطلب من ذلك الشخص اثبات وجوده في اوقات تحددها دوائر البوليس .

ان رئيس وزراء السويد الذي شبه قصف فيتنام الشمالية في شهر ديسمبر ١٩٧٢ باعمال النازيين ، يجب ألا يعطي صورة مضللة ، فهو نفسه الشخص المتعاطف مع اسرائيل والذي قام عقب عملية ميونيخ بمرافقة سفير اسرائيل في السويد باقامة صلاة تذكارية ، وكذلك بادانة وشجب الفلسطينيين . الا ان رئيس الوزراء هذا لم ينطق بكلمة واحدة ولم يدن ولم يشجب اسقاط الطائرة الليبية خلال شهر فبراير من هذا العام . ان رئيس الوزراء هو الذي اصدر قرارا بتشكيل لجنة عقب حادثة الاختطاف وهو يساند مشروع قانون الارهاب مساندة كاملة. ان النقاش الدائر في البرلمان هذه الايام نقاش لا يوصف بانه حاد ، اذ ان جميع الاحزاب السياسية الممثلة في البرلمان باستثناء الحزب الشيوعي تساند مشروع القانون ، علما بان هناك معارضة شديدة في الصحف ولدى عدد كبير من اساتذة الحقوق والمحامين والصحفيين ومنظمة العفو الدولي وتنظيم « شبيبة الاشتراكيين الديمقراطيين » وهي الشبيبة التالية للحزب الحاكم في السويد ، والتنظيمات التقدمية السويدية والاجنبية .

وقد كانت الحملة التي شنتها صحيفة Dagens Nyheter « اخبار اليوم » وهي اكثر الصحف انتشارا ، كانت ولا تزال حملة مركزة ضد مشروع القانون الذي سمته « بانه انتهاك للحركات الديمقراطية » ومن المعروف ان الصحيفة المذكورة تساند اسرائيل ، الا انها قامت في الوقت ذاته بحملة شديدة ضد اسرائيل عقب اسقاطها للطائرة الليبية . واما صحيفة Afton Bladet المسائية فقد طالبت برفض مشروع القانون واسقاطه ووصفته بانه كارثة كبيرة .

وعلى الصعيد الشعبي قامت تظاهرات ضخمة في عدد من مدن السويد وكذلك ندوات اتخذت قرارات بمحاربة مشروع القانون .

ملاحظة : في حالة الموافقة على مشروع « قانون الارهابي » فان القانون سيكون ساري المفعول ابتداء من ١٥ ابريل ١٩٧٣ ولغاية ١٥ ابريل ١٩٧٤، ويتم تمديده لسنة ثانية في حالة موافقة البرلمان على تمديده .

هـ. د.

(٤) المناطق المحتلة

اتسمت هذه الفترة باحتدام الجدل السياسي حول مصير المناطق المحتلة بين صفوف حزب العمل الحاكم لدرجة اندفع فيها رئيس الهستدروت بن اهارون الى الخروج على الخطــوط المألوفة والمجوجة للاجنحة المتصارعة داخــل الحزب ، وبتصــاعد النضال الوطنــي بين صفــوف سكان الهضبــة السورية ، الذي عبر عن نفسه في اقامة خلايا للمقاومة المحلية استطاعت ان تعمل طيلة عامين الى ان اكتشفت مؤخرا ، وباحتدام معركة التحدي بين الثورة والكبت ، بين جماهير القطاع ممثلة في رجال المقاومة الفلسطينية وبين الكيان العنصري الاسرائيلي ممثلا في قوات الاحتلال .

احتدام الجدل السياسي : احتدم النقاش السياسي مؤخرا بين زعامة حزب العمل الحاكم ، ولم يكن النقاش بحد ذاته أمرا جديدا ، كما ان الاحتدام في الحوار والنقاشات لا يعتبر أمرا جديدا ، انما الجديد الذي افرزته المناقشات الاخيرة هو التصريح الذي ادلى به رئيس الهستدروت بن أهــارون حول امكانية الانسحاب من مناطق محتلة معينة دون التوقيع على اتفاقية سلام .

ومن الجدير بالاشارة هنا قبل التطرق الى تصريح بن اهارون وردود الفعل التي عكسها ، الى ان زعامة حزب العمل تقسم الى فئتين رئيسيتين ، تتحكم فيهما شهوتان متناقضتان الفئة الاولى تضم التوسعيين الذين يعرفون « بالصقور » والفئــة الثانية تضم دعاة التوسع الجزئي الذين يعرفون بالحمائم ، يقف على رأس الفئــة الاولى وزيــر الدفاع موشيه ديان واعضاء رافي « سابقا » في حزب العمل وكذلك رئيسة الحكومة (مباي سابقا) ونائبها (أحدوت هعفوداه سابقا) يجال الون ، اما الفئة الثانية فيتزعمها وزير المالية بنحاس سبير المنافس القوي لديان والون على خلافة غولدا مئير ، ويقف الى جانبه اعضاء من حزب العمل مثل اريه الياف (مباي سابقا) وبــن اهارون رئيس الهستدروت (أحدوت هعفوداه سابقا) . تتحكم في هاتين الفئتين شهوتان ، شهوة التوسع ، وشهوة نقاء المجتمع اليهودي وهاتان الشهوتان متناقضتان لان التوسع يجلب معه نقيض الشهوة الثانية ، فهو يجلب اعدادا كبيرة من السكان « الاغيار » بين صفوف « المجتمع المبني على طهارة اليهود » وهذا أمر لا يريده احد من المهيمنين على زعامة حزب العمل او حتى جميع الاحزاب الاسرائيلية التي تدين بالصهيونية ، وكان من نتيجة ذلك ان اخذت هاتان الشهوتان تستقطب كل واحدة منهما انصارا لها من بين صفوف حزب العمل، بيد ان هذا الاستقطاب ليس استقطابا جديا ، لانه ناجم عن عملية الاختيار بين شهوتين عزيزتين ، ولذا فاننا نرى دائما مسحة من الروح التوسعية تفوح بين فئة دعاة المحافظة على طهارة المجتمع اليهودي ، ومسحة مقابلة من المحافظة على صفاء المجتمع اليهودي ، تفوح بــين فئة الداعين الى التوسع والضم . بــين هــاتين الشهوتين وجد حزب العمل نفسه منقسما علــى نفسه ، وما ينطبق على حزب العمل ينطبق ايضا على بقية الاحزاب العمالية والاشتراكية المؤمنــة بالصهيونية في اسرائيل ، اما الاحزاب الدينيــة واليمينية فهي تجمع بــين الشــهوتين . وعملية الاستقطاب تجاه الشهوتين ليست واردة تقريبــا لانها ترى ان عمليتي التوسع « والنقاء » يمكــن لهمــا ان تتعايشا وتنسجمــا اذا ما ارفقت بعملية تهجير غير معلنة وذلك من خلال سياسة قمع السكان الاصليين ومصادرة اراضيهم .

لقد تغلبت شهوة « النقاء » عند رئيس الهستدروت على شهوة التوسع ، ولذا اخذ يبرز الخطــورة الكامنة في العمل العربي في المرافق الاقتصاديــة الاسرائيلية ، ويضرب على وتر الاستغــلال الذي يواجهه هؤلاء ، ليس لانه يعارض مبدئيا استغلال العامل العربي ، فلو كــان الامر كذلك لاصــدر تشريعات تنص على مساواة العامل العربي بالعامل اليهودي ، لكنه يستثمر هذا الاستغلال من اجــل الحفاظ على « نقاء » المجتمع الاسرائيلي . ولكــي نقف على التصريح الخطير الذي ادلى به بن أهارون لا بد من الرجوع قليلا حول نظرته للعمل العــربي والامور المترتبة عليه ، ذلــك انه يعتبره خطــرا كبيرا يحيق بالمجتمع الاسرائيلي وحذر منه قائلا : « ان العمل العربي من المناطق هو بمثابة قنبلــة زمنية سنحترق جميعا منها . هنالك استغلال واقع على العمال العرب الذين يتلقون ثمنا بخسا مقابل عملهم . لقد خلق نوع من طبقة افندية جديــدة بالنسبة للعمال العرب .. ان استغــلال موارد القوى البشرية في البــلاد غير مستغل بما فيــه

الكفاية ، كما وان العمال اليهود يهجرون العمل اليدوي ليحتله العرب ، ينبغي ان تشغل هذه المشكلة بال الهيئات الحكومية » (هآرتس ٧٢/٥/٢٣) .

ويبدو ان تخوف رئيس الهستدروت من « القنبلة الزمنية » قد اخذ يتصاعد الى درجة ادت به الى تفجير « قنبلة » على شكل تصريح خطير يعتبر الاول من نوعه ، حين دعا بشكل مبطن خلال بحث السياسة الاسرائيلية تجاه المناطق في سكرتارية حزب العمل الى الانسحاب من مناطق معينة قبل التوقيع على اتفاقية سلام : « انني لا اعرف اذا كان ما نحتفظ به بايدينا (المقصود المناطق المحتلة) هو بمثابة اوراق مساومة او بمثابة جمرات متقدة تحت اسسنا . انني لست متأكدا تماما ، وربما اشذ في ذلك قليلا ، بانه ينبغي علينا ان نرجىء اتخاذ قرارات حاسمة تجاه المناطق حتى التوقيع على السلام ، **انني لست متاكدا من اننا لن نصل في احد الايام الى استنتاج بانه من الافضل ان يكون هنالك قطاع معين من السكان ومنطقة معينة من البلاد ، خارج اطار سيطرتنا ومسؤوليتنا ، دون ان نحصل على توقيع الطرف الاخر** » . (دافار ٧٣/٢/٢) .

لقد اثار هذا التصريح ردود فعل عنيفة بين اوساط الصقور ، كما وجعل فئة « الحمائم » في موقف حرج ، فهي تتفق معه فيما يتعلق بنقاء المجتمع اليهودي وخطورة العمل العربي على « النقاء » الا انها لا تستطيع ان تذهب اكثر من ذلك ، الى درجة المطالبة بشكل مبطن بالانسحاب من مناطق معينة دون التوقيع على اتفاقية سلام . أما فئة الصقور فقد تصدت له بعنف لخروجه عما يعرف بسياسة الاتفاق الشفهي ، ومن اجماع الحزب بأن « لا انسحاب قبل التوقيع على معاهدة سلام » . وكان اول من تصدى له اعضاء حزبه «احدوت هعفوداه» المنضمون الى حزب العمل حين قال موشيه طبنكين « بأن المناطق المحتلة ليست اوراق مساومة وليست جمرات ، بل هي حجر اساس في الطريق المؤدي الى السلام » كما ودعا عضو الكنيست بن فورات (من حزب العمل) رئيس الهستدروت الى تقديم استقالته بقوله « ينبغي على بن اهارون ان يستقيل ومن ثم يكون بوسعه التعبير عن رأيه الشخصي تجاه المناطق ... ينبغي ان نقبل التذرع القائل بأن ذلك كان بمثابة رأي شخصي ، ذلك ان عضو الكنيست او عضو اللجنة التنفيذية للهستدروت باستطاعته ان يعبر عن رأي ، ولكن ليس الاشخاص المهيمنون على السلطة التنفيذية . انه من غير المسموح لبن اهارون ان يتفوه باقوال مناقضة لسياسة الحكومة الا في حالة استقالته من السلطة التنفيذية ، ينبغي ان يتحلى الانسان بالجرأة عندما يقرر التخلي عن التقيد للعمل من اجل فكرة معينة ، ولكن ليس عندما تكون مرتبطا بكرسي التنفيذ الذي تجلس عليه » (هآرتس ٧٣/٢/٩) .

ازاء حملة النقد التي تعرض لها اضطر بن اهارون للتراجع قليلا وانكار التفسيرات التي وردت في الصحف والقائلة بانه يدعو الى « انسحاب ... دون توقيع الطرف الاخر » وانه لم يكن يعني ذلك ، بل انه اراد ايقاف المسؤولين على خطورة العمل العربي ، بيد ان جناح التوسعيين استغل حالة الضعف والبلبلة التي سادت الفئة الاخرى واخذ يدلي بتصريحات حول تصوره لمصير المناطق المحتلة ، والحقيقة ان افكار هذه الفئة اقوى بكثير من افكار الفئة الثانية بحكم سيطرة اصحابها على معظم المؤسسات الفاعلة ، فقد اعرب ديان عن تصوره للسلام المنفرد مع الاردن قائلا : « ينبغي ان تنص اتفاقية سلام مع الاردن على **حقنا في السكن والاستيطان** في كل مكان من الضفة الغربية »واعرب عن اعتقاده بان من حق اليهود الاستيطان في جميع المناطق المحتلة بدون استثناء ووجه كلامه بشكل خفي الى رئيس الهستدروت قائلا « **انني لا اعتقد** ان هناك شخصا ما يحق له القول لليهود بأنهم لا يملكون حق الاستيطان في ارض ابائهم » . كما وعرض خريطة « السلام » التي يؤمن بها بقوله : « لا نستطيع النزول من هضبة الجولان ، وينبغي على جيشنا ان يبقى مترابطا على ضفاف الاردن ، كما ينبغي ان يحظر على الجيوش الاخرى اجتياز النهر ، وينبغي علينا ايضا ان نحتفظ بشرم الشيخ الذي سيشكل بداية خط للحدود التي ستمر منه حتى مكان ما على البحر المتوسط . اما قضية اين سيمر هذا الخط ، فهي مطروحة للمفاوضات » (معاريف ٧٣/٢/٨) . يمكن تلخيص ما سبق بالقول ان الجدل الذي احتدم مؤخرا حول مصير المناطق المحتلة ليس جديدا ، وانما الجديد فيه ربط قضية الانسحاب من المناطق المحتلة دون التوقيع على اتفاقية سلام ، بالقضية الاساسية التي شغلت المجتمع اليهودي قبل وبعد قيام اسرائيل ، الا وهي سياسة « العمل العبري »

التي تعني حصر جميع الاعمال في المجتمع اليهودي بايد يهودية ، الا ان عملية الربط الخطيرة هذه لا تملك اسباب النجاح بسبب قوة جناح التوسعيين في حزب العمل ، ومن المحتمل ان تخرج صاحبها من رئاسة الهستدروت .

مقاومة سكان الهضبة للاحتلال : تمتاز هضبة الجولان عن سائر المناطق المحتلة بامرين اساسيين (١) صغر حجم المنطقة بالنسبة للمناطق المحتلة الاخرى (٢) ضآلة عدد سكانها ، ويعود ذلك الى الهجرة شبه الجماعية التي سببتها حرب حزيران، فقد بلغ تعداد سكانها عشية الحرب قرابة ٦٠ الف نسمة بقي منهم عقب الحرب ٦٣٠٠ نسمة وارتفع طيلة سني الاحتلال حتى غـدا قرابة تسعة الاف نسمة يعيشون في اربع قرى . وقد اغتنمت سلطات الاحتلال هاتين الميزتين فاخذت تشيد المستوطنات اليهودية هناك بغرض تهويـد المنطقة ، وقطعت شوطا كبيرا في هذا المجال حيث غدا الطابع العام للهضبة يهوديا ، ذلك ان عدد المحتلين سواء كانوا على شكل مستوطنين او جنود يفوق بكثير عـدد السكان الاصليين . اضف الى ذلك ان سلطـات الاحتلال حاولت منذ ان وطأت اقدامها منطقة الهضبة العمل باتجاهين يخدمان اغراض ومخططات الاحتلال (١) خلق زعامة تقليديـة في الهضبة (٢) اتبـاع سياسة اليد الناعمة تجاه سكانها العرب ،واعتبار ان هؤلاء السكان هم دروز في المقام الاول ، والعمل على تنمية روح « القومية الدرزية » بين صفوفهم، اسوة بالمحاولة المتعثرة بين صفوف العرب الدروز في فلسطين المحتلة ، بيد ان هذين الاتجاهين لقيا فشلا ذريعا بفضل الوعي الوطني لابناء الهضبة ، وخير دليل على ذلك شبكة المقاومة التي عملـت طيلة عامين هناك قبل ان يعلن عن اكتشافها عند مطلع شهر فبراير من هذا العام ، ففي ذلك التاريخ اعلنت سلطـات الاحتـلال عن اكتشافها لخليـة « تجسس وتخريب » بين صفوف سكـان الهضبة وعن اعتقالها لستة افراد ، ثم اخذ عدد المعتقلين يزداد مع مرور الوقت مع اعلان سلطات الاحتلال عن اكتشاف افراد اخرين بين الفينة والاخرى الى ان استقر العدد النهائي على ٥٢ شخصا .

ومن الجدير بالذكر ان اعتقال المجموعة الاولى تم في شهر اوكتوبر من العام الماضي ، ولم تكشـف سلطات الاحتلال عن ذلك الا عند مطلع شهر فبراير من هذا العام . وبعـد اعلان الاكتشاف فقط ، اخذت سلطات الاحتلال تلقي القبض على اعداد من المواطنين على فترات متقطعة ، الامر الذي يدل على ان افراد المجموعة الاولى صمدوا امـام وسائل القهر والتعذيب ولم يعترفوا عن زملائهم . لقـد اعترفت المصادر الاسرائيلية بان هذه الخلية كانت من اخطر الخلايا التي عملت ضد اسرائيل واعتبرت المخابرات الاسرائيلية ان عملية اكتشافها « تنطوي على اهمية بالغة » .

ما هي التهم المنسوبة الى افراد التنظيم ؟ تقسم التهـم الى قسمين (١) تهمـة جمع المعلومـات العسكرية الامنية ، خاصة وان افراد التنظيـم سخروا سياسة اليد الناعمة التي تتبعها سلطات الاحتلال تجاه سكان الهضبة ، لصالحهم ، حيـث كانوا مطلقي الحرية في التجـول من ايلات وحتى المطلة وكذلك داخـل سينـاء ، (٢) القيـام بنشاط فدائي ، مثل تخزين السلاح والاعتـدة ، وارسال طرود بريدية ملغومـة بواسطة البريـد الاسرائيلي من كريات شموناه الى الرئيس الاميركي نيكسون ووزير خـارجيته روجرز ووزير الدفـاع ملفين ليرد ، خلال شهر اوكتوبر من العام الفائت وكذلك ارسال رسائل ملغومـة بواسطة البريـد الاسرائيلي الى شخصيـات اسرائيليـة في ينايـر ١٩٧٢ ، مما ادى الى جرح معلمة في كريات جات .

وذكرت المصادر الاسرائيلية ان التنظيم عمل مـن خلال اربع خلايا بقيادة شكيب ابو جبل ، ولم يغفل التنظيم النشاط السياسي فقد قام بنشاط سياسي علني بين السكان كشف فيه مخططات الاحتـلال وحقق نجاحين بارزين في هذا المجـال (١) نجح في احباط مخطط سلطات الاحتلال بشأن تعيين لجـان محلية لادارة اعمال القرى ، حيث وقف سكـان الهضبة ضد هذا المخطط (٢) خلق معارضة بـين صفوف السكان بشأن المخطط الاسرائيلي الرامي الى اقامة محكمـة شرعية من ابناء الطائفـة في الهضبة ، وبالاضافة الى ذلك اخذ افراد الشبكة ينشطون في دعوة السكان الى الامتناع عن دفـع الضرائب لسلطات الاحتلال .

كان وقع اكتشاف الشبكة عـلى وسائل الاعـلام الاسرائيلية شديدا ، فقد اخذت وسائل الاعلام تبدي استغرابها وتعجبها من لجوء سكان الهضبة الـى مقاومة الاحتـلال ، وتبرز في الوقت نفسه مـدى البحبوحة الاقتصادية التي « ينعم » بها سكـان الهضبة ، وعلى سبيل المثال ذكرت بعض الصحف

ان سكان الهضبة كانوا يمتلكون عشية حرب حزيران ٤ وسائط خاصة بينما وصل عدد وسائط النقل الان الى حوالي ٣٠٠ ، وذكرت ايضا انهم كانوا يمتلكون ٤ جرارات ووصل عدد الجرارات الى ٨٠ جرارا لتستنتج ان « شبكة التجسس والتخريب» ناجمة عن شيء اسمه «بطر»! أما معظم الصحف فقد ابتعدت عن الاسباب الحقيقية الكامنة وراء تنظيم المقاومة لابناء الهضبة واوردت اسبابا بعيدة عن الواقع ويمكن ايجازها بالتالي (١) عامل القرابة ، حيث استغله المنظمون في تكوين خليتهم (٢) القرب الجغرافي من سوريا (٣) الضغط السوري على السكان بواسطة احتجاز اقارب سكان الهضبة الموجودين في سوريا كرهائن !! ومع ذلك فقد اعترفت بعض الصحف بجزء من الحقيقة حين قالت ان «معظم شباب الشبكة الذين تم القبض عليهم هم شباب ذوو ايديولوجية تعمل للقضية العربية ، كما هي مطروحة في برنامج حزب البعث السوري » وأعاد مراسل وكالة عتيم للاذهان « ان فرع حزب البعث قد لعب دورا نشيطا في الهضبة ابان الحكم السوري وان قسما من اعضاء الشبكة كان نشيطا في هذا الفرع » ، اما الحقيقة الكاملة التي تعامت عنها وسائل الاعلام الاسرائيلية هي ان الاحتلال يولد المقاومة ، حتى ولو كان عدد المستوطنين والجنود في المنطقة المحتلة يفوق بكثير عدد السكان الاصليين . وليست هذه هي المرة الاولى التي يتصدى فيها سكان الهضبة لسلطات الاحتلال ، فقد سبق وان صفع الشيخ كمال كنج الذي حاولت سلطات الاحتلال فرش البسط الحمراء امامه بغرض اقامة نواة لزعامة تقليدية ، سلطات الاحتلال عندما ظهر لها انه يعمل سرا لمصلحة وطنه سوريا (للاستزادة انظر شهريات المناطق المحتلة ش. ف. عدد ٤) كما وتمثل تصدي السكان للاحتلال من خلال التظاهرات الوطنية مثل، التظاهرة الكبيرة التي قام بها سكان الهضبة خلال مسيرة الحداد على الرئيس عبد الناصر والتي تحولت الى تظاهرة ضد الاحتلال ، وكذلك من خلال توزيع المنشورات المعادية لاسرائيل داخل مدارس الهضبة .

بعد اعلان السلطات الاسرائيلية اكتشاف تنظيم المقاومة في الجولان ، حركت سلطات الاحتلال الزعامة التقليدية للطائفة الدرزية في فلسطين المحتلة على امل التأثير على ابناء الهضبة لمصلحة سلطات الاحتلال ، فتحرك الزعيم الروحي للطائفة الشيخ طريف ، الا ان تحركه لم يجد نفعا لتلقيه رسالة من السكان هناك يطالبونه فيها « تركهم وشأنهم » ، غير ان ذلك لم يرض الشيخ جبر معدي نائب وزير المواصلات الذي اخذ يدلي بتصريحات عنترية مثل قوله : « انا اعدكم بانه اذا خولتني الحكومة العمل في الهضبة فانني خلال فترة قصيرة لن تزيد عن ستة اشهر سأتمكن من تحقيق قطع أية صلة للدروز في الجولان مع سوريا ، حتى يصبحوا جهة مخلصة وموالية لدولة اسرائيل » (رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث) . وافصح الشيخ عن خطته فذكر انها تعتمد على تطبيق القانون الاسرائيلي في الهضبة والغاء الحكم العسكري واتخاذ اجراءات حاسمة ضد العناصر المحرضة ، والعمل على ضم الجولان .

التحدي الكبير : ان ما يجري في القطاع في الآونة الاخيرة هو بمثابة تلخيص امين لقصة القطاع الطويلة مع الاحتلال ، انه باختصار تحد كبير بين طرفين اثنين يسعى كل منهما لتصفية الطرف الاخر، صراع بين الثورة والبطش ، بين جماهير القطاع ممثلة في رجال المقاومة الفلسطينية وبين الكيان العنصري الاسرائيلي ممثلا في قوات الاحتلال .

ماذا حدث في القطاع ؟ ان ما حدث في الآونة الاخيرة في القطاع مرتبط ارتباطا وثيقا بالاحداث التي سبقته ونكتفي هنا بالاشارة اليها لكي نضع الاحداث الاخيرة في سياقها الطبيعي .

في اعقاب حملة التهجير والتشريد والهدم التي قامت بها سلطات الاحتلال في شهر اب من عام ١٩٧١ بغرض تحويل سيطرتها من «سيطرة رمزية» الى سيطرة فعلية ، عينت رشاد الشوا رئيسا لبلدية غزة آملة ان تخلق منه نواة لزعامة تقليدية اسوة بالزعامة التقليدية في الضفة الغربية ، بعد فشلها في خلق زعامة تقليدية ووجاهة محلية في القطاع لان الرئيس السابق للبلدية راغب العلمي ومخاتير القرى والمخيمات كانت خاضعة لرجال المقاومة «خشية من ساعد المقاومة الذي لا يرحم»، بيد ان محاولتها مع الشوا لم تجد نفعا ، فقد حاول ان يكوّن له نوعا من الاستقلالية كما وانه كان يميل الى النظام الملكي في الاردن ، ولم تجد فيه سلطات الاحتلال الزعيم المحلي الذي يمكنها من تمرير مخططاتها ، هذا علاوة على انه كان يخشى على حياته فيما لو وافق على مخططات سلطات الاحتلال . ومن هنا ارتأت سلطات الاحتلال ان

تقوم بنفسها بفرض تلك المخططات دون الاخذ بعين الاعتبار رأي الزعامة المحلية ، فأقدمت في شهر اب من العام الماضي على تنفيذ مخطط لتصفية قضية لاجئي قطاع غزة الذين يشكلون ثلثي السكان هناك بواسطة اقامة ضواح جديدة بالقرب من مخيماتهم والحاق المخيمات والضواحي بالمجالس البلدية القريبة منها بغرض توطين اللاجئين في اماكنهم وتصفية قضيتهم ، وقد تمت التجربة الاولى في مخيم رفح ومن ثم امتدت الى سائر المخيمات حتى وصلت الى مخيم الشاطىء في غزة ، وعندما رفضت بلدية غزة الاجراء الاسرائيلي ، اصدر قائد المنطقة أمرا بتنحية الشوا عن منصبه ، وبذلك اصبحت غزة مرة اخرى بدون مجلس بلدي محلي ، ونصبت سلطات الاحتلال الضابط اوري تشاشيك رئيسا لبلدية غزة بالوكالة (للتوسع حول مخطط تصفية المخيمات واقالة الشوا ، أنظر شهريات المناطق المحتلة ش. ف عدد ١٤ ، ١٦) وخلال ذلك كانت المقاومة الفلسطينية قد اعادت تنظيمها من جديد واخذت تقوم بنشاطات ضد العدو الاسرائيلي ، وقامت بمحاولة لتصفية رشاد الشوا. ويبدو أن هذه المحاولة كانت من بين الاسباب الرئيسية التي منعته من الموافقة على ضم مخيم الشاطىء لبلدية غزة . الا ان سلطات الاحتلال استمرت في تنفيذ مخطط التصفية وابتكرت طريقة جديدة لخدمة اغراضها فاعلنت عند منتصف شهر اوكتوبر من العام الماضي ضم مخيم الشاطىء الى مدينة غزة وارسلت دعوات الى ٢٥٠ شخصا من سكان المخيم لحضور اجتماع يعقد في مدرسة فلسطين في غزة دون ان يحاط المدعوون علما بماهية الاجتماع ، وقد فوجىء الكثيرون منهم عندما علموا بأن قائد قطاع غزة المقدم ي. عيني قد دعا لهذا الاجتماع بغرض انتخاب لجنة محلية «للمشاركة في تطوير المخيم » وقد بدأ قسم من المجتمعين يحتج على فكرة اجراء انتخابات ، بيد ان المقدم عيني أصر على موقفه ودعاهم لترشيح أسماء من بينهم، وتحت وطأة الضغط تم ترشيح ٢٠ شخصا ونودي على كل شخص مرشح الى المنصة لكي يقف امام المجتمعين بغرض التعرف عليه ! وانتهت مهزلة الانتخابات، التي وصفتها وسائل الاعلام الاسرائيلية بـ « السابقة الديمقراطية » داخل المخيمات ، بفوز سبعة اشخاص في اللجنة المحلية لادارة المخيم يقف على رأسهم ديب الهربيطي .

ومن الجدير بالذكر هنا ان شباب المخيم عبروا عن رفضهم جهارا لمخططات الاحتلال كما ذكر مراسل صحيفة هآرتس على لسان شباب المخيم « اذا كان الحكم العسكري يريد لنا ان نعيش كما يعيش الناس في اسرائيل فعليه ان يدعنا نعود الى منازلنا التي سلبتمونا اياها عام ١٩٤٧ . اننا نريد العودة الى اراضينا وبيوتنا التي سكناها قبل ٢٥ عاما . اننا لا نريد خدمات للمخيم ولا نريد طرقا ممهدة انما نريد فقط العودة الى بيتنا » (هآرتس ٧٢/١٠/٢٧) الا ان ديب الهربيطي اراد عكس ذلك فربط نفسه في خدمة سلطات الاحتلال . على ضوء « السابقة الديمقراطية » في مخيم الشاطىء ارتأت سلطات الاحتلال ان تعممها على مدينة غزة بواسطة تقسيمها الى ثماني حارات ، وتهدف من وراء ذلك تحقيق هدفين اساسيين خطيرين : (١) انتخاب مجلس بلدي في غزة بواسطة مندوبي لجان الحارات الذين سيشكلون فيما بينهم لجنة تنسيق ، حيث تقوم هذه اللجنة بانتخاب رئيس البلدية من بين صفوفها (٢) اشتراك مندوبين عن لجنة مخيم الشاطىء في لجنة التنسيق وهذا يعني موافقة على ضم المخيم الى البلدية . وبالفعل أقدمت سلطات الاحتلال في النصف الثاني من شهر يناير هذا العام بالبدء بعملية انتخاب لجان الحارات ، التي انتهت في ٧٣/١/٢٤ . كانت طريقة الانتخاب بسيطة وشبيهة الى حد كبير بعملية انتخاب لجنة الشاطىء ، حيث يرسل الحاكم العسكري دعوة لممثلي العائلات التي تدفع ضرائب في كل حارة لحضور اجتماع انتخابي يعقد في مدرسة اليرموك ، وقد خصص لكل حارة يوما معينا لانتخاب اعضائها ، وقد حرص المقدم عيني على حضور كل اجتماع والقاء كلمة فيه تدور حول « مدينة غزة التي تعتبر أكبر مدينة عربية في البلاد ، بيد أنها مفككة وفقيرة وتفتقر الى زعامة موحدة . ان الحكم العسكري سعى الى خلق زعامة من السكان بيد أنهم لم يعرفوا كيف يتنظموا ، ولذا فان جهاز الحكم العسكري يجيء لتشجيع السكان في هذا المجال ، ومن هنا جاءت مبادرة انتخاب لجان الحارات » (معاريف ٧٣/١/٢٦) . ويبدو ان بعض الوجهاء التقليديين قد سقطوا اسرى كلمة المقدم الاسرائيلي وتعاموا عن الطرف الاصيل في القطاع ، فقد اخذ البعض منهم يلقي كلمات يشيد فيها بالاجواء الديمقراطية «.. واخيرا وصلت الديمقراطية الى القطاع » الامر الذي دفع بعض المعلقين الاسرائيليين الى القول « ان الايام الثمانية

للانتخابات اثبتت مدى بعد الشوط الطويل الذي قطعه سكان غزة في العام الاخير من عالم الارهاب» (المصدر السابق) .

في اعقاب النتائج التي اسفرت عنها الانتخابات (للتوسع انظر مجلة الهدف عدد ١٩٣) اخذت الزعامة التقليدية تعقد الحفلات والاجتماعات لدخول المرحلة الاخطر : انتخاب مجلس بلدي ورئيس له، كما كانت تهدف سلطات الاحتلال ، واخذ الحديث يجري عن اعتزام عبد الرحمن الدربي احد اثرياء غزة ترشيح نفسه لرئاسة البلدية وتعيين ديب الهربيطي نائبا له ، وعن اعتزام الشوا العودة الى رئاسة البلدية . وقد عملت سلطات الاحتلال على اذكاء روح التنافس بين الاطراف المختلفة ، الامر الذي اعمى أبصار الزعامة التقليدية عن وجود الطرف الاصيل وتحذيراته المستمرة من المخطط الاسرائيلي ، وفي ٧٣/٢/١٠ تحرك افراد المقاومة الفلسطينية ووضعوا حدا لحياة رئيس لجنة الشاطىء ديب الهربيطي ، وفي اليوم الثاني تحركت المقاومة مرة اخرى حين اطلقت مجموعة فدائية النار على الشوا عندما كان متوجها الى معمل التوضيب ، فاصابت زجاج سيارته ، مما تسبب باصابته بجروح في وجهه ، ومن الجدير بالذكر هنا ان وسائل الاعلام الاسرائيلية اخذت تستبعد ان يكون الفدائيون وراء الحادث، واخذت تلمح الى أن الحادثتين نجمتا عن التنافس بين انصار الشوا والهربيطي ، كما ان الشوا تفاجأ ان يكون طرف واحد وراء الحادثتين عندما صرح للصحف الاسرائيلية « كيف يمكن ربط الحادثتين معا ؟ لقد اراد الهربيطي ضم مخيم الشاطىء لمدينة غزة ... بينما انا استقلت من رئاسة البلدية لانني رفضت ضم الشاطىء للمدينة . فقد عارضت محو هوية مخيم اللاجئين طالما ان قضية اللاجئين لم تحل » الا انه في مكان اخر اعترف بأن « المنظمات » تريد رأسه « ... ان التنظيمات تريد قتلي ، لا استطيع القول اي تنظيم او مجموعة منها . لقد استمرت محطات الاذاعة التابعة للتنظيمات في مصر وسوريا بمهاجمتي . انهم لا يريدون ان يكون هنالك رجل قوي في المناطق باستثنائهم . انهم يدركون بأن الرجل القوي سيتحدث وان حديثه سيجد من يستمع اليه . انهم يريدون ان يستمعوا لهم فقط » (معاريف ٧٣/٢/٣) . كما وحاولت سلطات الاحتلال الايحاء بأن الفدائيين ليسوا وراء الحادثتين ، واحذت تدلي بتصريحات بأن ذلك لن يؤثر على عملية الانتخابات ، بيد أن ذلك كان امرا بعيد المنال ، فبعد مرور اسبوع اصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع بيانا تم توزيعه في مدن القطاع وقراها طالبت فيه لجان الحارات في المدينة « بالكف عن العمل في اللجان ، وعدم التعاون مع الحكم الاسرائيلي » وبالفعل استجاب معظم اللجان للطلب خشية من ساعد الثورة ، وتنافست فيما بينها باعلان استقالتها من اللجان في الصحف العربية التي تصدر في المناطق المحتلة ، الا ان شخصا استمر ، في غيه ، وانحرف عن وظيفته كرجل دين الى رجل احتلال الا وهو المطران يوحنا النمري ، الذي اخذ يعمل من اجل « الصداقة اليهودية العربية » ويروج لذلك بين صفوف من الشباب الخاضعين «النفوذه» «فهؤلاء الشباب زاروا اسرائيل وعملوا من أجل الاخوة والصداقة بين اليهود والعرب ، نحو غد مشترك » الامر الذي دعا رجال المقاومة لوضع حد لحياة النمري كرجل احتلال في ٧٣/٢/٢٦ . ومن الجدير بالذكر ان وسائل الاعلام الاسرائيلية اعترفت في النهاية ان رجال المقاومة هم الذين يقفون وراء الاحداث بقولها « أصبح الان واضحا تماما سبب ذهول الـ ٥٦ شخصا الذين انتخبوا كممثلين في لجان الحارات والذين اخذوا يسرعون نحو الصحف العربية في اسرائيل للاعلان بأنهم اصبحوا بحكم المستقيلين من مناصبهم » (معاريف ٧٣/٢/٢٧) . أما رد الفعل لدى جهاز الحكم العسكري فقد اتسم بالعجز الكلي عن مواجهة الموقف حين أعلن انه لا يتدخل في موضوع استقالة اللجان، مع أنه بذل جهودا كبيرة من اجل الانتخابات . وبذلك كسبت المقاومة الفلسطينية في القطاع المعركة مع سلطات الاحتلال بافشال مخططها الرامي الى توطين اللاجئين من خلال اقامة زعامة تقليدية شبيهة بزعامة الضفة الغربية. ولم يبق امامها الا الاستمرار في توجيه الضربات ضد قوات الاحتلال ، وبالفعل اخذت المقاومة الفلسطينية تنشط عسكريا في معركة المواجهة مع العدو ، سقط خلالها شهداء من خيرة الرجال وعلى رأسهم عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الملقب « تشي غيفارا » واثنين من رفاقه ، وبقي التحدي الكبير بين الثورة والقمع قائما في القطاع .

عبد الحفيظ محارب

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

تقدم شؤون فلسطينية اعتبارا من هذا العدد بابا جديدا في شهريات القضية الفلسطينية يعنى بعرض وتحليل التطورات التي تطرأ على ميزان القوة العسكرية بين الدول العربية واسرائيل ، كما يعنى بعرض وتحليل النشاطات العسكرية التي تقوم او تشترك بها المقاومة الفلسطينية او الدول العربية او اسرائيل .

اولا : عملية مخيم نهر البارد ومخيم البداوي :

تمثل عملية ٧٣/٢/٢١ البحرية — الجوية ضد مخيمي البداوي ونهر البارد وقواعد المقاومة المجاورة لهما تنفيذا للسياسة الاسرائيلية الجديدة التي تحدث عنها قادة العدو بعد عملية ميونيخ ولا يزالون . وتتلخص هذه السياسة في التخلي عن مبدأ العين بالعين والسن بالسن . وعدم ربط العمليات الانتقامية بعمليات المقاومة ، وعدم الرد على الضربة بضربة ، بل وضع خطة كاملة لمجابهة المقاومة في كل مكان على الارض العربية ، وتسديد ضربات متعاقبة تكون في جوهرها **فعلا لا رد فعل** ، تستهدف دفع قوات المقاومة الى التخلي عن الهجوم والانتقال الى خندق الدفاع .

وكانت العملية تستهدف تحقيق الاغراض التالية :

١ — ضرب قواعد التدريب التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والقاعدة البحرية التابعة لفتحوعدد من المكاتب التابعة لحركة المقاومة .

٢ — ردع حركة المقاومة عن طريق تهديدها بامكانية الوصول الى المخيمات وضربها وتهديد حياة المدنيين فيها : خاصة وان المخيمات هي اكبر هدف حساس تستطيع اسرائيل ضربه والحاق الخسائر به لردع حركة المقاومة بشكل غير مباشر ، بعد ان فشلت كل محاولات الردع عن طريق ضرب القواعد .

٣ — فصل رجل المقاومة عن الانسان الفلسطيني، واقناع هذا الاخير بأن وجود رجل المقاومة الى جانبه يعرض حياته وامنه لخطر لا قبل له به .

ولقد تم تنفيذ الهجوم الاسرائيلي بقيادة الرائد ابتزاك في الساعة الاولى من الصباح بعمليتين استهدفت اولاهما عددا من مكاتب المقاومة وقواعدها في مخيم نهر البارد ، ومعسكرا للتدريب في مخيم البداوي . وكانت القوات المشتركة في المعركة الاولى عبارة عن مجموعات كوماندس بحرية تم نقلها بمراكب شيربور ثم جرى انزالها على الشاطىء بواسطة مراكب مطاطية ليتم انسحابها بعد ذلك بطائرات الهليكوبتر ، على حين نفذت العمليات الثانية مجموعات من القوات المحمولة بالهليكوبتر .

ولعل اغرب ما يلاحظه دارسو هذه العملية المزدوجة هو انها حققت المفاجأة الاستراتيجية والمفاجأة التكتيكية . واذا كان من واجبنا ان نسجل لرجال المقاومة والميليشيا في المخيمين اندفاعهما البطولي لقتال عدو يتمتع بكل فوائد المفاجأة ، فان من واجبنا ايضا ان نسجل على المقاومة وقوعها في فخ المفاجأتين بشكل غير مبرر .

فلقد ظهر من سير العمليتين (عدم اطفاء الانوار خلال المعركة —وعدم وجود مراكز تجمع للمقاتلين— عدم وجود خطة دفاعية متكاملة — عدم وجود نقاط اسعاف ميدانية — اعتقاد السكان بان صوت الرمايات تدريب ليلي — عدم شن هجمات معاكسة منظمة ... الخ) . ان المخيمين الواقعين في شمال البلاد لم يكونا ينتظران ضربة بمثل هذا العمق ، وفي مثل تلك الفترة الهادئة على الحدود اللبنانية الاسرائيلية . لذا حقق العدو **مفاجأته الاستراتيجية في الزمان والمكان** . كما ان المقاتلين ورجال الميليشيا الذين قاتلوا خلال الاشتباك ببسالة وقدموا عشرات الضحايا لم يكونوا ينتظرون ضربة من هذا النوع يستخدم العدو فيها هذا الاسلوب ، ولذا تحققت **المفاجأة التكتيكية بالزمان وأسلوب القتال** . ويكمن السبب الرئيسي لهذا الخطأ في ضعف مستوى الحذر الثوري وانخفاض مستوى الاستنفار النفسي والمادي بشكل دائم . وهما نابعان من عاملين هما : ١ — **عدم فهم السياسة الاسرائيلية الجديدة** وما تتضمنه من استمرارية احتمال الصدام طالما ان هناك شعبا فلسطينيا ثائرا يحمل السلاح ويرفض الحلول الاستسلامية . ٢ — **جهل طبيعة الحرب** : لقد حملت المقاومة السلاح وأعلنت الكفاح المسلح حتى يتحقق النصر . وهذا يعني انها أعلنت استخدام العنف الثوري بكل اشكاله . وكان عليها

ان تعرف بأن العدو الراغب في الحفاظ على وجوده الاستعماري سيلجأ الى استخدام العنف القمعي المضاد حتى يلقي اخر مقاوم بندقيته . وما دامت حركة المقاومة صامدة تقاتل كل يوم ، وتخطط لتصعيد المعارك التحررية ، فان من طبيعة الامور ان يخطط العدو لتصعيد المعارك القمعية حتى في فترات الهدوء النسبي . ان الحرب بطبعها هي « العنف المدفوع الى حده الاقصى » . وما دام هناك طرفان متحاربان ، فان العنف هو الحكم الاخير بينهما ، وكل من ينسى ولو لحظة واحدة هذه الحقيقة عبارة عن شخص يجهل جوهر الحروب ومفهومها واسلوبها ، ويدفع من دمائه ثمن جهله .

٣ — **انعدام الحذر الثوري** : لقد كانت عملية مخيمي البداوي ونهر البارد من الجانب الاسرائيلي مغامرة محسوبة تعتمد على تحقيق التفوق على ارض المعركة والافادة من المفاجأة وضعف تدابير الامن والحذر عند الخصم . وكانت من الجانب العربي صمودا ومقاومة شرسة غير مرتبطة باستعداد محسوب مسبق . ولو ترافقت الجرأة والاستعداد للتضحية مع التخطيط الجيد والرصد والانذار المتكاملين لانقلبت مغامرة العدو المحسوبة الى مصيدة باهظة التكاليف ، ولترك الغزاة على أرض المعركة عشرات القتلى والجرحى ، ولعلمتهم فداحة خسائرهم ان ضرب المخيمات لم يعد « نزهة عسكرية » سهلة .

ثانيا : زيارة الفريق اول احمد اسماعيل لموسكو وزيارة غولدا مائير لواشنطن :

في ١٩٧٣/٢/٢٦ زار وزير الحربية المصرية الفريق اول احمد اسماعيل موسكو برفقة وفد عسكري على مستوى عال ، لاجراء مباحثات تتعلق بتسليح الجيش المصري . وابدت الاوساط العالمية اهتماما بالغا بهذه الزيارة التي جاءت بعد سبعة اشهر من خروج الخبراء السوفييت من ج.ع.م. وتباينت التكهنات حول سبب هذه الزيارة ومراميها ، وطبيعة المحادثات والنتائج التي ستنجم عنها والتي ظهرت بوادرها الاولية في التأكيد على انتقال العلاقات المصرية — السوفييتية الى مرحلة جديدة ضمن اطار توثيق التعاون العسكري المصري — السوفييتي ، دون التفكير بعودة الخبراء السوفييت الذين خرجوا من مصر في شهر تموز من العام الماضي (L'Orient - Le Jour, 3/3/73) .

ولقد دفعتنا اهمية مسألة التسليح السوفييتي ومحوريتها بالنسبة للصراع العربي — الاسرائيلي الى افراد مقال خاص بها في هذا العدد (الصفحة ٣٣) يشرح جوانبها المتعددة التاريخية والتكنولوجية واحتمالات المستقبل وتأثيراتها المنتظرة .

وفي مطلع اذار كانت غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل تزور الولايات المتحدة الامريكية بغية اجراء مباحثات سياسية — عسكرية تتعلق بوضع الاحتلال ، وامكانات انسحاب اسرائيل من بعض الاراضي المحتلة وشروط هذا الانسحاب . ولقد طلبت غولدا مائير من الرئيس الامريكي اعتمادات عسكرية بمبلغ ٣٠ مليون دولار لشراء ٦٠ طائرة (٣٠ فانتوم و ٣٠ سكايهوك) وقذائف تقاد باشعة ليزر وقذائف تقاد تلفزيونيا وطائرات هليكوبتر من طراز كوبرا وصواريخ بحر — بحر وعددا من الزوارق المحمولة بالطائرات العمودية (الهليكوبتر) . كما طلبت الحصول على اعتمادات غير عسكرية ومنح يبلغ مجموعها ٢١٥ مليون دولار (نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٧٦ L'Orient - Le Jour 1/3/73).

ويأتي هذا الطلب الاسرائيلي منسجما مع سياسة تل ابيب وادعاءاتها حول ضرورة الحصول على التفوق العسكري بغية تحقيق السلام . فلقد صرحت غولدا مائير في واشنطن (٧٣/٣/١) في نادي الصحافة الوطني « ان اسرائيل قوية هي افضل ضمانة لا للشعب الاسرائيلي فحسب ... بل انها تشكل افضل ضمانة للسلم العالمي » (هيرالد تربيون ٧٣/٣/٢) . ويشبه الطلب بجوهره طلبات عيزر وايزمان وموشي دايان وغيرهما من قادة العدو لتأمين التفوق العسكري الاسرائيلي بشكل يجعل اسرائيل قادرة على ردع العرب ومنعهم من شن الحرب ، والانتصار عليهم اذا ما انخفض مستوى الردع واندلع القتال .

ولقد حملت غولدا مائير طلباتها الى واشنطن لتساوم عليها ، وتعتبر الحصول عليها شرطا « للتعاون » مع المحاولات الدبلوماسية المبذولة لتسهيل الوصول الى حل سلمي لازمة الشرق الاوسط .

وبالرغم من الصعوبات المتزايدة التي تتعرض لها برامج المساعدة الامريكية واهمها ازمة الدولار ، فقد حصلت غولدا مائير من الكونغرس الامريكي على تأكيد كامل باعطاء الاعتمادات الاسرائيلية المطلوبة للتسليح افضلية على غيرها من الاعتمادات (أ. ب) . وفي مساء ١٩٧٣/٣/٢ اكد الرئيس

الامريكي نيكسون في خطاب القاه خلال مأدبة العشاء التي دعا اليها البيت الابيض على شرف رئيسة الوزراء غولدا مائير ان الولايات المتحدة ستقف دائما الى جانب اسرائيل « من اجل قضية السلام » (الاوريان — لوجور ٧٣/٣/٣) .

وتذكر المصادر الاسرائيلية ان محادثات غولدا مائير خلال زيارتها كانت « مفيدة جدا » بالاضافة الى انها « صريحة وواقعية » . ولكنها تتكتم حول نتيجة طلب الاسلحة الجديدة . ولقد دلت تصريحات وزير العمل الاسرائيلي يوسف الموجي في مطار اللد وتهربه من الاجابة عن اسئلة الصحفيين حول نوايا واشنطن بالنسبة لتزويد اسرائيل بالاسلحة على ان الاوساط الرسمية الاسرائيلية تلقت تعليمات صارمة مشددة بعدم اعطاء اية معلومات حول هذا الموضوع . بيد ان تلاقي السياسة الامريكية الراغبة في فرض سلام امريكي — اسرائيلي في المنطقة عن طريق اركاع العرب بعد تيئيسهم من امكانية تحقيق أي نصر عسكري ، والسياسة الاسرائيلية التي تربط دعوتها الى السلام بقوة عسكرية متفوقة ، وتريد من العرب ان يوقعوا شروط السلام الاستسلامي والمسدس مصوب الى صدغهم ، ان تلاقي هاتين السياستين يؤكد ان اسرائيل ستحصل على مبتغاها من الاسلحة لتأمين التفوق العسكري المادي الذي يضمن الحفاظ على «الوضع القائم » تماما كما حصلت منذ حرب حزيران حتى الان على اسلحة امريكية وغير امريكية تضمن بقاء الاحتلال الى ان يقبل العرب حلا هو في جوهره تهدئة كاملة للمنطقة وتخل مطلق عن حقوق الشعب الفلسطيني .

وتشير الانباء الواردة من نيويورك في ٣/١٤ (و. ص. ف — ي. ب — رويتر) على أن من المحتمل ان تتقدم الولايات المتحدة لاسرائيل ٢٤ طائرة فانتوم (ف — ٤) و٢٤ طائرة سكاي هوك (أ — ٤) خلال عامين على أن يبدأ التسليم بعد انتهاء تسليم صفقة عام ١٩٧١ التي نصت على تسليم الطيران الاسرائيلي ٢٤ طائرة فانتوم (ف — ٤) و ٨٠ طائرة سكاي هوك (أ — ٤) [انترناشونال هيرالد تريبيون ٧٣/٣/١٥] ويأتي الاختلاف بين عدد الطائرات التي طلبتها مائير (٦٠ طائرة) وعدد الطائرات المحتمل تقديمها الى اختلاف في طرق حسابات موازين القوى في الولايات المتحدة واسرائيل واذا كانت اسرائيل قد طلبت ستين طائرة لتحقيق التفوق الجوي وفق حساباتها والمعلومات المتوفرة لديها عن التسليح العربي ، فان موافقة واشنطن (في حالة تأكدها وانتقالها من حالة الاحتمال الى حالة الواقع) تعني ان الحسابات الامريكية ترى ان ٤٨ طائرة عدد كاف لتحقيق التفوق المنشود وتعويض الخسائر المحتملة الناتجة عن حوادث التدريب او خسائر المعارك المحدودة خلال العامين المقبلين اذ ما بقي الوضع العسكري في الشرق الاوسط على ما هو عليه .

والاسلحة التي تطلبها اسرائيل متعددة الاغراض متباينة الاهداف . واذا كان طلب طائرات فانتوم وطائرات سكايهوك يستهدف زيادة القوة الضاربة الاسرائيلية في مجابهة الجيوش العربية ، فان محاولة الحصول على القذائف المزودة بكاميرا تلفزيونية (سمارت بومب) التي جربت في فيتنام والقذائف المقادة باشعة ليزر عبارة عن محاولة لرفع المستوى التقني للسلاح الجوي الاسرائيلي، وزيادة القدرة على التسديد والاصابة . الامر الذي يؤدي الى زيادة القدرة النارية الحقيقية لسلاح الجو الاسرائيلي ورفع كفاءته في القتال الجوي وقصف الاهداف البرية وتدمير قواعد الصواريخ أرض — جو، وتخلخل بالتالي ميزان القوى لصالح اسرائيل حتى لو لم تزد عدد طائراتها . ومن المعروف أن قلب ميزان القوى الجوية لا يتم دائما بزيادة عدد الطائرات ، بل يمكن ان يتم عن طريق تحسين التدريب ، ورفع مستوى اجهزة التسديد والتوجيه والكشف والمراقبة ، وزيادة طاقة الخدمات الارضية لزيادة عدد الطلعات .

اما الزوارق الخفيفة السريعة (سرعة ٤٥ عقدة) المحمولة بطائرات الهليكوبتر والمسماة بـ « السمكة القناصة » فغايتها ولا شك تشكيل قوة بحرية — جوية متحركة قادرة على مجابهة قوارب المطاردة التي يمكن ان تهدد الملاحة المدنية الاسرائيلية ، ومجابهة التسلل البحري الذي تقوم به قوات المقاومة الفلسطينية لتسديد الضربات الى عمق اسرائيل او لتموين القواعد الداخلية العاملة في قلب خطوط العدو . لان مثل هذه القوة قادرة على نقل القوارب المسلحة الخفيفة بطائرات الهليكوبتر بسرعة ، وانزالها على مقربة من قوارب المقاومة او قوارب المطاردة بغية الاشتباك معها بمعركة مفاجئة غير متوقعة .

ويدل الاتجاه نحو الحصول على طائرات هليكوبتر

مقاتلة من طراز كوبــرا (٣٠٩ — كينغ كوبرا) والمزودة بمدافع عيار ٢٠ — ٣٠ ملم و ٤ صواريخ هيوز tow و ١٩ قذيفة صاروخية عيار ٧٠ مم تحت كل جناح وتلفزيون يعمل بالاشعة تحــت الحمراء الى ان في اسرائيل اتجاها لتجاوز مرحلة استخدام الهليكوبتر لحمل القوات الى حقل المعركة ودعمها بشكل محدود ، والانتقال الى مرحلة خلق قوات محمولة بالهليكوبتر المقاتلة القادرة على نقل الجنود ودعمهم بشكل فعال خلال الاشتباك . الامر الذي سيخلق امام القوات العسكرية العــربية وقواعد حركة المقاومة مهمات جديدة ، ومعضلات متزايدة تتعلق بمجابهة القوات المحمولة بالهليكوبتر. وبالرغم من صناعة اسرائيل لصواريخ بحر — بحر من طراز غبرييل المستخدمة في المراكب الفرنسية شيربور والمراكب الاسرائيلية الجديدة المشابهة فان طلب صواريخ بحر — بحر امريكية يعني محاولة رفع مستوى كفاءة القوة البحرية الاسرائيلية لمجابهة القوة البحرية العربية في البحرين الابيض المتوسط والاحمر ، وخاصة في البحر الاحمر الــذي تعتبر اسرائيل ان انقطاع مواصلاتها فيه امر حيوي يؤدي الى « الخنق الاستراتيجي » .

وفي معرض الحديث عن الاسلحة الاسرائيلية نذكر ان محاولات اسرائيل للحصول على اسلحة امريكية متطورة لا يوقفها عن متابعة تطوير صناعتها الحربية التي تستهدف صناعة اسلحــة ومعدات محليــة او تطوير الاسلحة القديمة المتوفرة التي تجاوزتها التطورات الحديثة بغية جعلها قادرة على مجابهة السلاح العربي واعادتها الى الخدمة في الصف الاول .

وتذكر صحيفة معاريــف ٧٣/٢/١٣ ان الصناعة الحربية الاسرائيلية ادخلت على الدبابة الانكليزية سنتوريــون — ٥ التي كانت دبابــة الخمسينات تحسينات تكنولوجية جعلتها دبابة صالحة للاستخدام في السبعينات . وتتمثل هذه التحسينات في تركيب مدفع عيار ١٠٥ وزيادة عدد الذخيرة التي تحملها الدبابة (اي زيادة القوة النارية ومدى الرمي) . واستبدال المحرك البريطاني Matawar الذي توقف صنعه بمحرك امريكي Continental يعمل بالمازوت ، بشكل رفع قوة المحرك من ٦٥٠ حصانا الى ٧٥٠ حصانا ، وتحسين الغيارات (اي زيادة سهولة الاستعمال) ، وزيادة السرعة من ٣٥ كم/ساعة الى ٤٣ كم/ساعة (اي زيادة القدرة الحركية اللازمة للمناورة) . ويمكن تقييم اهمية هذا العمل اذا عرفنا انه يحقق الامور التالية :

— زيادة عدد الدبابات الاسرائيلية القادرة علــى الاشتراك في القتال بدلا من تنسيق هذه الدبابات واخراجها من الخدمة .

— توفير ملايين الدولارات .

— الحصول على دبابات قادرة على مجابهة الدبابات العربية (السوفييتية الصنع) ت — ٥٤ و ت — ٥٥ . مع عدم القدرة طبعا على مجابهة الدبابات السوفييتية الحديثة ت — ٦٢ التي حصلت ج.م.ع على عدد منها .

المقدم الهيثم الايوبي

« تقرير »

صواريخ سام السوفياتية

اتضحت فعالية صواريخ سام السوفياتية الصنع* قبل انتهاء حرب الاستنزاف بقليل ، عندما تمكنت من اسقاط عدد من طائرات العدو يوم ٣٠ حزيران ١٩٧٠ ، وازداد الاهتمام بها في الاونة الاخيرة ، عندما اسقطت صواريـــخ سام ٢ المطورة ، وفي فترة قصيرة ، اكثر من ثلاثين قاذفة امريكية عملاقة من طراز ب ٥٢ . والحقيقة ان المعارف الغربية عن صواريخ سام كانت ، والى حد قريب ، محــدودة جدا ، « وهي ما زالت كذلــك بالنسبة لبعــض انواعها مثل سام ٥ و ٦ » . الا ان استخدام هذه

* نظم هذا التقرير وفق المعلومات الفنية المأخوذة عن مجلة الطيران والبحرية الايطالية ، عــدد تشرين الثاني ١٩٧٢ .

الصواريخ في صراعات دولية ، خاصة حرب فيتنام والحرب العربية ـ الاسرائيلية ، اوصل عدة وحدات منها الى ايدي المراقبين الغربيين ، بالاضافة الى المعلومات التي حصلوا عليها نتيجة مراقبتهم لطريقة عمل هذه الصواريخ خلال العمليات الحربية ايضا .

وتجدر الاشارة هنا الى ان حلف شمال الاطلسي (ناتو) يطلق اسماء خاصة على انواع الاسلحة الشرقية ، وهذا الاسم تطلقه لجنة خاصة مكونة من اعضاء من البلدان الانكلوسكسونية الحليفة للولايات المتحدة ، وتتميز هذه الاسماء بان الحرف الاول فيها يوضح نوعية السلاح ، فالحرف S يشير الى الصواريخ ارض ـ ارض (باستثناء الصواريخ التكتيكية من فئة الصاروخ الامريكي اونست جون "Honest John") ويدل حرف G على الصواريخ ارض ـ جو مثل سلسلة صواريخ سام ، وحرف K على القذائف جو ـ ارض ؛ وحرف A للصواريخ جو ـ جو . بالاضافة الى ذلك تستعمل وزارة الدفاع الامريكية رموزا من حروف وارقام ليس لها صلة برموز حلف الاطلسي.

واصول الصواريخ السوفياتية غير معروفة ، ولكن يعتقد بان السوفيات قد استولوا على اعداد كبيرة من الصواريخ الالمانية المضادة للطائرات طراز (F.V.P. C-2 WASSERFALL) وكانت هناك انباء عن استخدام السوفيات لاعداد قليلة من الصواريخ الالمانية المذكورة لحماية قواعدهم المهمة، حتى بدأت في اوائل الخمسينات الدراسات لتطوير صاروخ ارض ـ جو متوسط المدى للدفاع ضد قاذفات القنابل الاستراتيجية المعادية من صنف مشابه لصاروخ نايك ـ اجاكس "NIKE-AJAX" الامريكي .

وكانت المفاجأة في ٨ نوفمبر ١٩٥٧ في العرض العسكري السنوي بمناسبة ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عندما ظهر نوع جديد من الاسلحة هو الصاروخ **سام ٢** او (V-75 SM) حسب التسمية الروسية انذاك مركب على جرار تجره شاحنة من طراز زيل ١٥٧ ، وقد سمي "M-2" من قبل وزارة الدفاع الامريكية ، واسماه حلف الاطلسي غايدلاين "GUIDELINE" ، وهو مكون من صاروخ دافع "booster" يعمل بالوقود الصلب مع اربع زعانف على شكل شبه منحرف ، كسطح للسيطرة على الصاروخ ، وطبقة اساسية ثانية مع محرك مسير "Sustainer" يعمل بالوقود السائل ، مدة الاحتراق فيه ٢٢ ثانية ، والرأس الحربي في النماذج رقم ٢ و ٣ من سام ٢ محشو بمتفجرات تقليدية، مع اصناف متعددة من الصواعق تنفجر بالصدمة ، او الاقتراب ، او باللاسلكي . وهناك نماذج متعددة من سام ٢ ، فالنموذج رقم ١ "M-2" وبعدها S 2 واخيرا سام ٢ » يمكن تمييزه بوضوح بهوائياته القائمة الزاوية على شكل شفرات مثبتة حول الرأس الحربي ، ورادار توجيهه منطراز فانسونغ ـ أ "FAN SONG-A" (بقاموس حلف الاطلسي) يعمل على الموجة S ، وهو رادار غير دقيق ويمكن التأثير عليه بسهولة باجهزة الحرب الالكترونية المضادة (ECM) . اما نسبة اصابة الصاروخ فلم تكن تزيد عن ٤ ـ ٨ بالالف ، وقد وزع على دول حلف وارسو بالاضافة الى كوبا ، واندونيسيا ، والعراق وفيتنام الشمالية . تبعه بعدها النموذج رقم ٢ ، المميز بهوائياته المائلة بدلا من القائمة الزاوية ، وبتحسين نظام توجيهه برادار من طراز فان سونغ ـ ب ، والذي يحقق اصابات تزيد عن ٨ بالالف ، اذا اطلقه جنود مهرة ، ويتراوح مداه العامل ما بين ٥٠٠ متر كحد ادنى الى ١٨٬٣٠٠ متر . وفي يوليو ١٩٦٢ بدىء باستخدام نموذج جديد من سام ٢ هو "V-750 VK VII/62" مع تحسين كبير في نظام التوجيه ومدى العمل الذي يصل الى ١٩٠٠٠ متر ، وربطه برادار طراز فان سونغ ـ د، الذي زاد دقة الصاروخ الى ٤ ـ ٥ بالمئة ، مع تحسينات كبيرة فيما يتعلق بالنوعية ، ومن الخارج يمكن تمييز التعديلات التي ادخلت على هيكله ، بالاضافة الى توسيع سطح زعانف طبقته الثانية . وجميع نماذج سام ٢ المذكورة تطلق بزاوية مقدارها ٨٠ درجة ، « وتشبك » برادار التوجيه بعد ٦ ثواني من اطلاقها ، ويبقى بالامكان توجيهه لمدة ١٥ ثانية ، دون ان تتعرض لعدد زائد من التعديلات في اتجاهها .

وأحدث انواع سام ٢ هو النموذج رقم ٤ الموجه برادار فان سونغ ـ ي الذي ظهر في نوفمبر ١٩٦٧ ، وقد زود به حلفاء الاتحاد السوفيتي ، بالاضافة الى مصر وفيتنام الشمالية والهند ، ولهذا النموذج رأس اطول بـ ٤٠ سم من النماذج الاخرى، وبامكانه حمل رأس نووي ، وبفضل جهاز راداره الذي يعمل على الموجة C ، فان بامكانه العمل على ارتفاع اقل من ٥٠٠ متر ، ويتابع الهدف حتى

ارتفاع ٩٠ مترا شريطة ان تتم السيطرة عليه بالرادار من ارتفاع اعلى .

وهناك نموذج بحري من سام ٢ هو "SA-N-2" الذي يقتصر استخدامه على الطراد السوفياتي دزيرجنسكي .

وقبل سام ٢ طور الاتحاد السوفياتي صاروخا موازيا له في الصنف هو **سام ١** ، الذي ظهر لاول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٠ ، وهو مشابه للطبقة الثانية من سام ٢ ، وقد اعتقد الخبراء الامريكيون في البداية انه صاروخ سابق لسام ٢ ولكن اتضح فيما بعد انهما سلاحان مختلفان . فمقاسات سام ١ اكبر وزعانفه مختلفة ، وقد احاطت الشكوك بنظام دفعه ، ففي البدء اعتقد البعض انه يدفع بصاروخ يعمل بالوقود السائل ، ولكن فيما بعد رجحت فرضية في انه يدفع بواسطة محرك يعمل بالوقود السائل ، اما مداه فيتراوح بين ٤٠ — ٤٨ كيلو مترا ويعمل على ارتفاعات من ٤٨٠ — ١٨،٥٠٠ متر ، وهو مستخدم على نطاق ضيق في الجيش السوفياتي .

اما **سام ٣** الذي اشتهر لاسقاطه عددا من طائرات الفانتوم فوق القناة ، فهو صاروخ بطبقتين ، صمم خصيصا ليكون سلاحا أساسيا لاستخدام القوات البحرية ، وتستخدم الوحدات البحرية السوفياتية الحديثة مثل « موسكفا » صواريخ من طراز "SA-N-3" وهو نوع محسن من سام ٣ صالح لجميع الاحوال الجوية والصاروخ الجديد "SA-N-4" والذي يعتقد بأنه من صنف مشابه لصاروخ « سي سبارو » "SEA SPARROW" الامريكي ، وهو موجه برادار من طراز "HEADLIGHT".

والصنف البري من سام ٣ محمول على شاحنة هي قاعدة اطلاقه من طراز زيل ١٥٧، والحقيقة ان للقواعد المتحركة اهمية كبرى خاصة في الاوضاع المشابهة لوضع مصر على قناة السويس ، حيث تستطيع المدافع الاسرائيلية الثقيلة ذاتية الحركة من عيار — ١٧٥ ملم قصف قواعد الصواريخ الثابتة التي تقع على مدى اكثر من ٣٠ كيلومترا بسهولة، بعد تحديد مواقعها ، ولكن الامر يختلف بالنسبة للصواريخ المحمولة على قواعد متحركة التي تستطيع تغيير مواقعها بسهولة ، لتفادي قصف المدفعية ، او لنصب كمائن للطائرات المعادية . وكما سبق وقلنا فسام ٣ صاروخ بطبقتين ، الطبقة الاولى قصيرة وضخمة قطرها حوالي ٥٠ سم ، فيها ٤ زعانف قائمة الزاوية ، والطبقة الثانية بها زعانف على شكل شبه منحرف تنتهي بهوائيات شبيهة بتلك المثبتة على سام ١ ، وهو يعمل بالوقود الصلب مع مدى يتراوح بين ١٥ — ٢٠ كم ، وعلى ارتفاعات تتراوح ما بين ٣٠٠ — ١٢،٠٠٠ متر .

وتمتلك مصر صواريخ سام ٣ الخفيفة الحركة ، ويعتقد كذلك بأنها تمتلك الصاروخ **سام ٤** ، والذي صمم خصيصا لمواجهة المواقف التي تتطلب حركة سريعة ، وقد ظهر لاول مرة في عرض مايو ١٩٦٤، وهو يشبه صواريخ « المدرسة الانكليزية » يدفع بمحرك ثابت ، او بأربعة صواريخ دافعة ، تعمل بالوقود الصلب مركب على ناقلة مجنزرة هي قاعدة اطلاق ايضا لكل اثنين معا ، ومجنزرة اخرى تحمل رادار التوجيه طراز "PAT HAND" تشكل مع الناقلة الاولى وحدة متكاملة ، وتؤهله مواصفاته للعمل على ارتفاعات منخفضة ولمسافة تبلغ ٥٠ كيلو مترا .

واطلق اسم سام ٥ على صاروخ مستوحى بشكل عام من سام ٢ ، وقد عرض لاول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٣ ، وهو صاروخ بطبقتين الى ثلاث طبقات ، مكون من صاروخ دافع يعمل بالوقود الصلب ، ومحرك مسير يعمل بالوقود السائل ، ورأس يمكن فصله مجهز بمحرك صاروخي يعمل بالوقود الصلب لتعديل سير الصاروخ في المرحلة الاخيرة ، وتؤكد التصريحات الرسمية من ان لدى **سام ٥** القدرة لاستخدامه كمضاد للصواريخ ، ويعتقد انه دخل الخدمة عام ١٩٦٠ ، وان بامكانه العمل حتى ارتفاع ٢٧٠٠٠ متر ، ولمسافات تزيد عن ٥٠ كيلو مترا ، ومن المفروض ان يكون قادرا على اعتراض كل انواع الطائرات ، (يعتقد بان صاروخا مشابها هو الذي اسقط طائرة التجسس الامريكية يو — ٢ بقائدها باورز في مايو ١٩٦٠) بالاضافة الى الصواريخ جو — ارض والصواريخ التكتيكية .

اما احدث الصواريخ السوفياتية فهو **سام ٦** ، وهو صاروخ صغير يعمل بالوقود الصلب ، ويحمل على قاعدة مجنزرة كل ثلاثة معا . ظهر لاول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٧ ، ودخل الخدمة في الاتحاد السوفياتي في النصف الثاني من عام ١٩٦٠ ، وقد وزع حديثا على فيتنام الشمالية ويعتقد مصر ايضا (نيويورك تايمز ١٩٧٢/١١/١٣) ، ولا يعرف نوع

رادار سام ٦ ، ولكن المؤكد انه رادار حديث يعمل على الموجة X او S ، ومن الصعب تحديد قدراته ، ولكن يمكن القول ان بامكانه العمل على ارتفاع يتراوح بين ٩ — ٩٠ مترا كحد ادنى والى ارتفاع ١٠،٠٠٠ متر .

وقد اختلف الخبراء الامريكيون على تحديد الصاروخ **سام ٧** ، فقد اطلق هذا الاسم على صاروخ ضخم، اطلق عليه حلف الاطلسي ايضا اسم « غالوش » "GALOSH" ، واطلق كذلك على صاروخ فردي في مستوى صاروخ « رد أي » "REDEYE" الامريكي ، وسمي « جافير » "GAFFER" . وكان اطلق على غالوش اسم سام ٧ ، ولكن هذه التسمية اهتزت الان بعد ظهور الصاروخ الفردي المسمى « ستريلا » "STRELA" ، وفي قاموس حلف الاطلسي اطلق عليه اسم «غريل» "GRAIL" وهو صاروخ صغير مزود بنظام توجيه بسيط بواسطة الاشعة تحت الحمراء ، وصفين من الزعانف التي يمكن طيها . وفي الايام الاولى لاستعماله في فيتنام تمكن من اسقاط ٥ طائرات سكاي رايدر المروحية ، وطائرة هيلوكبتر « هوي » "HUEY" وطائرة مراقبة سيزنا ، ولم تتأكد مسؤوليته عن اسقاط هيلوكبتر اخرى و ٢ — ٤ مقاتلات نفاثة . وتمكنت طائرة مراقبة سيزنا من تفاديه ، وفي هذه العمليات كانت التقديرات الاولية لدقته في الاصابة ٤٠ بالمئة . وقد استولى الامريكيون على عدة قواذف ، وهي ترمى بعد الاستعمال ، وصواريخ من هذا الطراز ، وقال الخبراء الامريكيون ان فيه مفاجآت عديدة وهو صاروخ لا يزيد طوله عن ١،٢٠ متر وقد وصفه الطيارون الذين رأوه يعمل بانه سريع جدا .

وهكذا نرى ان قوات الدفاع الجوي العربي تملك صواريخ من طراز سام ٢ للاهداف المحلقة على ارتفاعات عالية ، والانواع الحديثة من هذه الصواريخ مزودة باجهزة مضادة للحرب الالكترونية المضادة (ECCM) . وصواريخ طراز سام ٣ وسام ٦ للارتفاعات المتوسطة والمنخفضة ، والمعارف المتوفرة عن هذه الصواريخ قليلة جدا . ومهما يكن من امر فالشبكة المصرية المكونة من هذه الصواريخ هي احدى افضل الشبكات ، وكان هذا راي الخبراء العسكريين حتى قبل حديث المصادر الغربية عن استلام مصر لصواريخ سام ٦ .

ومن بين هذه الصواريخ يحظى باهمية خاصة الصاروخ الفردي سام ٧ (ستريلا) والذي يعتبر سلاحا رهيبا ضد الطائرات المحلقة بسرعة تقل عن سرعة الصوت ، سواء اكانت مروحية او هيلوكبتر ، بالاضافة الى امكانية استخدامه في وحدات المشاة الصغرى ، او في مفارز المغاوير او الفدائيين التي تستطيع ان تكمن به في اماكن مناسبة لاصطياد الطائرات المعادية ، ويستطيع هذا الصاروخ ان يقلب الموازين تماما اذا ما استخدم لمواجهة العمليات الخاصة التي تقوم بها قوات العدو المجوقلة (المحمولة جوا) .

النوع	تسمية الناتو	الطول	فتحة الزعانف	القطر	مجال العمل أدنى	مجال العمل أقصى	المدى
سام١	GUILD	—١٢،م	؟	؟	٤٨٠م	١٨،٥٠٠م	٤٠كم
سام٢	GUIDELINE MK2	١٠،٦م	١،٧م	٠،٦٦م	٥٠٠م	١٨،٥٠٠م	٤٠كم
سام٣	GOA	٥،٩م	١،٢٢م	٠،٥٠م	٣٠٠م	١٢،٠٠٠م	٢٠كم
سام٤	GANEF	٩،١٥م	٢،٣٠م	٠،٨٠م	؟	٢٤،٤٠٠م	٤٨كم
سام٥	GRIFFON (?)	١٦،٥٠م	٤،٦٠م	١،٠٧م	؟	٢٧،٠٠٠م	٥٠كم
سام٦	GAINFUL	—٦،م	؟	؟	٩٠ م	١٠،٠٠٠م	؟
؟	GALOSH	٢٠،٤٠م	—	٢،٧٥م	؟	؟	؟
سام٧(؟)	GRAIL	١،٢٠ م	؟	؟	١٠٠م	١،٠٠٠ م	؟

هشام عبدالله

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ٢/١١ — ١٩٧٣/٣/١٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١	٢/ ٩	—	سويمة/غور الاردن	اشتباك	أسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غيرمحدد	غير محدد	—	—	٥	تصريح عسكري رقم٦٨٦	٢/١٣
٢	٢/١١	—	القدس(١)	حــرق	—	— —	حرق مطبعة .. أتت النار على قسم المطابع والارشيف	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٨٧	٢/١٣
٣	٢/١٦	٣٠—	بين عكا وصفد	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جسر وسيارة عسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٨٨	٢/١٦
٤	٢/١٦	—	قبع تايم	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مسكن مدير سجن الرملة الياس درنتس	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٨٩	٢/١٦
٥	٢/٢٠	٢٢٣٠	بين القنطرة وتل الصرمان/ الجولان	تفجير	عبوات ناسفة	— —	نسف ٢٠٠ متر من اسلاك شائكة وتفجير حقل الغام	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩١	٢/٢١
٦	٢/٢٠	٢٢٠٠	تل الصرمان/الجولان	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	١	—	١	تصريح عسكري رقم٦٩٢	٢/٢١
٧	٢/٢١	١٠٠	نهر البارد والبداوي/ لبنان	اشتباك	أسلحة رشاشة وقنابل	غيرمحدد	غير محدد	١٥	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٠	٢/٢١
٨	٢/٢٢	٢٠٠	المطلة	هجوم	صواريخ	غيرمحدد	اشعال النيران	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥
٩	٢/٢٣	٤٠٠	خلة غزال/الجليل الاعلى	هجوم واشتباك	قذائف صاروخية	غيرمحدد	غير محدد	—	١	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥
١٠	٢/٢٣	—	جبل الشيخ	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير آلية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥
١١	٢/٢٣	—	اراميا/الجليل	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة الموقع	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥

١٢— ٢/٢٥	—	على طريق بيت لحم(١)	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	اعطاب سيارة	—	—	—	تصريح عسكري رقم[illegible]
١٣— ٢/٢٥	—	القــدس(٢)	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	اعطاب سيارة في الحي الالماني	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٤ ٢/٢٦
١٤— ٢/٢٥	—	صبحا/غور الاردن الجنوبي	تفجير	شبكة ألغام	غيرمحدد	تدمير آلية عسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٨ ٧ /٣
١٥— ٢/٢٧	٢٠٠٠	بين الشيخ زويد والعريش/سيناء	كمين	عبوات ناسفة وأسلحة رشاشة وقنابـل	غيرمحدد	تدمير آلية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٥ ٢/٢٨
١٦— ٤ /٣	١٨٠٠	مخيم الشاطىء/غزة	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	اصابة افراد الدورية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٦ ٥ /٣
١٧— ٦ /٣	—	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مطعم	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٧ ٦ /٣
١٨— ٨ /٣	—	غربي قرية بتير	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تفجير خط سكة الحديد بين القدس وتل ابيب وتعطيله	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٩ ٨ /٣
١٩— ٨ /٣	١٠٠٠	غــزة	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	اصابة افراد الدورية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٠ ٨ /٣
٢٠— ٨ /٣	٢٠٠٠	القــدس	كمين	سكين	— ١	تجريد الجندي سلاحه	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠١ ٩ /٣
٢١(٤) ٨ /٣	—	نهــاريا	تفجير	قنبلة يدوية	غيرمحدد	حرق ملهى ليلي	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٢ ٩ /٣

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٢/١١ ــ ١٩٧٣/٣/١٢

الرقم	تاريخ العملية		موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية		خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة			المصدر	تاريخه
	اليوم	الساعة				قتيل	جريح		شهيد	جريح	مفقود		
١ ــ	٢/١٢	ــ	غور الاردن	اشتباك	غير محدد	غيرمحدد		ــ	١	ــ	٤	ن· عدد١٦٠ ص٢ــ٣	٢/١٣
٢ ــ	٢/١٤	ــ	معلوت/الجليل	تفجير	الغــام	ــ	٢	اصابة شاحنة	ــ	ــ	ــ	ن· عدد١٦٢ ص٦	٢/١٥
٣ ــ	٢/١٦	ــ	جنعتايم	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد		اصابة منزل مدير سجن الرملة ايلياس ديرنتسير	ــ	ــ	ــ	ن· عدد ١٦٣ ص٨	٢/١٦
٤ ــ	٢/١٦	ــ	بين عكا وصفد	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	اصابة سيارة	ــ	ــ	ــ	ن· عدد١٦٣ ص١٠	٢/١٦
٥ ــ	٢/٢١	١٠٠	نهر البارد والبداوي	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		غير محدد	٤٠ــ٥٠ اصابة			ن· عدد١٦٧ ص١٠	٢/٢١
٦ ــ	٢/٢٠	٢٢٠٠	القنيطرة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		ــ	١	ــ	ــ	ن· عدد١٦٧ ص١١	٢/٢١
٧ ــ	٢/٢٧	ــ	سيناء	تفجير	الغــام	ــ	٢	اعطاب سيارة	ــ	ــ	ــ	ن· عدد١٧٣ ص٤	٢/٢٨
٨ ــ	٣/ ٤	ــ	مخيم الشاطىء/غزة	تفجير	قنبلة يدوية	ــ	٢	ــ	ــ	ــ	ــ	ن· عدد١٧٧ ص٨	٣/ ٥
٩ ــ	٣/ ٦	ــ	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	ــ	ــ	تدمير جزء من مطعم	ــ	ــ	ــ	ن· عدد١٧٨ ص١٠	٣/ ٦
١٠ ــ	٣/ ٨	ــ	غــزة	تفجير	قنبلة يدوية	١	١	اعطاب سيارة	ــ	ــ	ــ	ن· عدد١٨١ ص٤	٣/ ٩

١ ــ اعترف العدو بالعملية ، راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٦٠ بتاريخ ١٩٧٢/٢/١٣ ، صفحة ٢ .

٢ و٣ ــ أعترف العدو بهاتين العمليتين ، راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٧١ بتاريخ ١٩٧٣/٢/٢٦ ، ص ٦ .

٤ ــ كما قامت منظمة ايلول الاسود بعملية في السفارة السعودية في الخرطوم قتل على اثرها اثنان من السفارة الاميركية والقائم بالاعمال البلجيكي .

تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها

١ ــ تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العـامة لقوات الثورة الفلسطينية .

٢ ــ ن· : نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

اسرائيليات

البداوي ونهر البارد : معركة في « حرب زمام المبادرة »

ثلاث قضايا ، على ثلاثة أصعدة مختلفة ، كانت هي الاهم بين أحداث شهر شباط (فبراير) الماضي الاسرائيلية :

١ ــ على صعيد المواجهة الفلسطينية ــ الاسرائيلية ، كان الحدث هو الغارة التي قامت بها قوات من جيش الاحتلال على مخيمي نهر البارد والبداوي في شمال لبنان .

٢ ــ على صعيد « أزمة الشرق الاوسط » ، كانت زيارة غولدا مئير الى الولايات المتحدة ، والتي قابلت خلالها الرئيس الاميركي نيكسون .

٣ ــ وعلى الصعيد الاسرائيلي الداخلي ، كان الجدل الذي ثار من جديد حول « العسكر والسياسة » في اسرائيل .

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة على « أعمق غارة نفذها مقاتلون من الكوماندو البحري ومظليي جيش الدفاع الاسرائيلي ، الذين أنزلوا (الى الشاطىء اللبناني شمال مدينة طرابلس) من السفن ، وأعيدوا الى اسرائيل بطائرات الهيليكوبتر » (معاريف ٧٣/٢/٢١) ، أسقطت مقاتلات اسرائيلية طائرة ركاب مدنية ليبية فوق رمال سيناء المحتلة ، فغطت هذه الجريمة بردود فعلها العنيفة في كافة اقطار الارض ، على الغارة التي لم تحظ ، نتيجة ذلك ، من المعلقين الاسرائيليين (وغيرهم) بما تستأهله من اهتمام ، ولم تفرد لها من افتتاحيات الصحف الاسرائيلية ، غير افتتاحيتي جريدتي « معاريف » و « يديعوت احرونوت » المسائيتين يوم ٧٣/٢/٢١ ، واللتين صدرتا في الفترة التي فصلت بين الغارة واسقاط الطائرة الليبية .

من هنا ، فان محاولة التعرف على موقع هذه الغارة في خريطة المواجهة الفلسطينية ــ الاسرائيلية ، ومن وجهة النظر الاسرائيلية بشكل خاص ، تستلزمنا العودة الى بعض أهم ما قاله الاسرائيليون من رسميين وشبه رسميين ومعلقين ، حول موضوع المواجهة والاهداف التي تسعى اسرائيل الى تحقيقها على هذا الصعيد ، وفي هذه المرحلة ، وحول الوسائل والاساليب التي تستخدمها ، او تدعو ــ بلسان بعض معلقيها ــ الى استخدامها .

والسؤال الاول : ما هو الجديد في المواجهة الفلسطينية ــ الاسرائيلية ، وما هو التطور الابرز في سلم الاولويات للاهداف الاسرائيلية في هذه المرحلة الجديدة ؟

قبل كل شيء ، يجدر التذكير ، بأن ما تعتبره اسرائيل « المرحلة الجديدة » ، هو الفترة التي بدأت بعملية ميونيخ الفدائية في شهر أيلول (سبتمبر) الماضي ، وما زالت مستمرة . وفي هذه المرحلة يركز الاسرائيليون في تعداد أهدافهم على ثلاث نقاط :

١ ــ ابادة الفدائيين ، بكل معنى كلمة الابادة .

٢ ــ الغاء أي وزن أو تأثير للعمل الفدائي في أي تطور سياسي في الشرق الاوسط .

٣ ــ عزل الفدائيين عن التيارات العالمية المناصرة لحقوق الشعب الفلسطيني ، والعمل على كسب عناصر هذه التيارات الى جانب وجهات النظر الاسرائيلية .

وكان الجنرال دافيد العازار رئيس أركان جيش الاحتلال ، قد ردد في مقابلة طويلة اجرتها معه جريدة معاريف (٧٢/١١/٣) تعبير «ابادة الفدائيين» ثلاث مرات ، وتعبير « القضاء على الفدائيين » أكثر من ذلك ، وقال : « ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيستمر في ضربه للمخربين ، حيث التوقيت ، والاساليب والوسائل والمكان ، تفحص جميعا بمقياس واحد هو : احراز أكبر نتائج تصفية الفدائيين ، ... وانني أعطي المعركة المباشرة

ضد المخربين ، ابادتهم ، وتشويش نمط حياتهم ، الافضلية في سلم الاولويات .. » .

وفي مناقشة أجرتها اذاعة العدو يوم ٧٢/١٠/٧ ، وشارك فيها اربعة من الاساتذة في مؤسسات التعليم العالي في اسرائيل ، تردد مثل هذا الكلام ، حيث قال البروفيسور يهوشواع اريئيلي « ان حربنا ضد الارهاب يجب ان تكون بتصفية الارهابيين وليس القيام بارهاب مضاد ... » ، وقال البروفيسور بنيامين اكتسين المشهور بعنصريته وكراهيته للعرب ، « من الواضح انه يجب اتخاذ وسائل جدية لهدم جهاز الارهاب ، بوسائل جدية وحتى شديدة » .

لكن أوري دان ، الصحافي الاسرائيلي الذي كتب مقالا في معاريف يوم ٧٣/٢/١٦ (أي قبل اربعة ايام فقط من العدوان الاسرائيلي على مخيمي نهر البارد والبداوي) ، كان أكثر تواضعا في تحديد الاهداف التي يجب ان تسعى اسرائيل الى تحقيقها ، حيث قال : « يبدو انه لا مفر — رغم ما في الامر من ازعاج — من اجراء فحص دقيق ومتزن لامكانية محاربة المنظمات بصورة مباشرة (أي ليس بتوجيه الضربات لدول عربية للتأثير عليها واضطرارها للضغط على الفدائيين لايقاف نشاطهم) ، وذلك بضربهم لاضعافهم الى درجة لا يعودون معها يشكلون مشكلة » ، وكان أوري دان في مقاله المذكور بعنوان « كيف نحارب الارهاب العربي بعيدا عن حدود اسرائيل » قد وصل الى هذه النتيجة بعد تأكيده « ان الخبراء في الشؤون الفلسطينية في اوروبا ، مستعدون الى الاعتراف حاليا بملء أفواههم ، بانهم أخطأوا عندما استهانوا بنوعية هذه الحركة (الفدائية) ، وذلك عندما التقوا بنشيطيها في فرانكفورت ، باريس ، روما وغيرها ، وان بياناتنا بعد «عمليات الارهاب» ضد الفلسطينيين والتي كانت ممتلئة بمشاعر « الانتصار النهائي » عليهم ، تثير حاليا السخرية ، حيث انه لم يتم القضاء على المشكلة » .

وحول النقطة الثانية من سلم الاولويات الاسرائيلية في المواجهة الفلسطينية الاسرائيلية ، قال دافيد العازار في المقابلة المذكورة : « .. ويجب ان نحارب مستهدفين تقليص تأثير المخربين على جميع التطورات في الشرق الاوسط . وأنا أريد ان لا يكون المخربون عنصرا ذا وزن في اية خطوة سياسية في الشرق الاوسط ، وان لا يكونوا هم ممثلي الفلسطينيين ، وان لا يكون لهم تأثير حاسم على احتمالات السلام في المنطقة ، وعلى التسويات لتأمين قواعد حياة ، حتى وان كانت هذه القواعد غير واردة في اتفاقيات سلام كاملة وموقعة ، وعلى الاتصالات مع الدول العربية وعلى احتمالات استمرار وقف اطلاق النار » .

وحين كان الجدل في اسرائيل ، دائرا حول مسألة الرد على « الارهاب العربي » بارهاب مضاد ، كان الصوت الاقوى هو الذي طالب بأن يكون الرد محصورا في الجهات الرسمية المسؤولة خشية ان يؤدي الاخذ بوجهة النظر المعاكسة الى التأثير سلبيا على صورة اسرائيل لدى الاوساط المؤيدة لها في العالم ، واشترط بعض الاسرائيليين ان تقوم هذه الجهات بتنفيذ « الاعمال القذرة » على ان لا تعلن الحكومة مسؤوليتها عنها ، حيث انه « بشكل عام هناك قواعد ونظم دولية ، وهناك لعبة قذرة تمارسها جميع الدول ، وهناك معاهدات دولية بشأن الموضوع ، واللعبة تقتضي اولا : الصمت ، وثانيا : عدم اخذ اية حكومة مسؤولة العمل على عاتقها . ولكن تبقى فقط حقيقة ان العمل قد نفذ » (حديث مع العميد اول (احتياط) حاييم هرتسوغ — رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٢/١٠/٢).

واذا كان ذلك عن الاهداف الاسرائيلية على صعيد المواجهة حاليا ، فماذا عن الاساليب ؟

عن سؤال شبيه بهذا ، اجاب العازار — وهو المسؤول الاول عن هذا الموضوع في اسرائيل — في المقابلة المذكورة ، بتأكيده : « كما في كل حرب أخرى تنقسم هذه (الحرب ضد الفدائيين) الى أسلوبين معروفين : الدفاع والهجوم ، وانني لا استهين بأي من الوسائل المعدة للدفاع في مواجهة المخربين ... لكن ، ليكن واضحا دون ادنى شك : لا يمكن بوسائل الدفاع حسم اية معركة او اية حرب . وفي الدفاع لا يمكن الانتصار على المخربين وارهابهم . وهدفنا ليس ان ندافع ، بل ان ننتصر ... ولا يمكن القضاء على الارهاب العربي وابادة المخربين بوسائل دفاعية فحسب . وهكذا ، فاننا في هذه الحرب ، كما في كل من حروبنا ، ملزمون بالحفاظ على زمام المبادرة ، وذلك يعني : ان نفرض على الطرف الثاني الخطوط والقواعد (التي يتبناها) ، وان نبادر الى عمليات واعمال ، ان نهاجم — ونفحص النتائج فيما بعد » .

« ... وبالنسبة لنا ، وبرغم ان رغبتنا في الحفاظ

على وقف اطلاق النار كاملة ، فانها ليست اكبر من رغبتنا وصلابة قرارنا بمحاربة المخربين . ولهذا ، فان رغبتنا في الحفاظ على وقف اطلاق النار ، لا يمكن ان تمنعنا من القيام بعمليات ضد المخربين ، حتى وان كانت هذه العمليات تعرض وقف اطلاق النار للخطر ... ولقد قضينا على نشاط المخربين في منطقتنا ، وسوف نضربهم ايضـا في أماكـن أخرى ... »

وبكلمات مشابهة ردد حاييم هرتسوغ وجهة النظر ذاتها ، بقوله : « اعتقد ان مثل هذه العمليات (ضد قواعد الفدائيين داخـل الدول العربية) جيدة ، بشرط أن تكون ضمن نطاق خطة شاملة ، وليست عمليات مفردة . وهذا يتطلب الا تكون مجرد رد على اية عملية للمخربين ، لاننا اذا ما انتظرنا قيامهم بالعمليات حتى نرد عليها ، فاننا نكون قد تركنا المبادرة في أيديهم ، وان ما يجب ان يحدث هو العكس . يجب ان نكون نحن المبادرين ، ويجب ان يكون هدفنا مطاردتهم في كل مكان . والقواعد في الدول العربية احد هذه الاهداف ... وان المخربين لا يقيمون في لبنان لاسباب صحية فقط او للتمتع بجمال الطبيعة ، بل انهم يستعدون للعمل ضدنا ، ... وحسب اعتقادي فان مجرد وجودهم هناك يبرر عملياتنا،... والاساس في هذه الحرب كما هو الحال بالنسبة لاية حرب ، هو اخذ زمام المبادرة ، لانه بدون المبادرة في الحرب ، لا يمكن تحقيق الانتصار » . (رصد اذاعـة اسرائيـل ٧٢/١٠/٢) .

و« انتقادا » للسياسة الاسرائيلية ، حتى الى ما قبل قيام قوات الاحتلال بالغارة على المخيمين في شمال لبنان بأربعة ايام ، قال أوري دان فـي معاريف (٧٣/٢/١٦) : « ... ولقد عملنا اقل مما ينبغي ، وتأخرنا اكثر مما ينبغي ، لقد جررنا ولم نبادر . وتمترسنـا خلف ابواب مصفحـة وسياجات ، ورجال أمن واجهزة تصوير تلفزيونية في دوائر مغلقة ، وكأنه بالامكان ان نجعل « خط بارليف » (خط الدفاع الذي أقامه جيش الاحتلال على جبهة السويس اثنـاء تولي بارليف لرئاسة أركانه) يحيط بكل الاهداف والممثلين الاسرائيليين في العالم » .

ومن هنا نصل الى السؤال الاهم ، وهو : ماذا حققت اسرائيل من أهدافها في هذه الغارة ؟

وكما ذكرنا ، فان عملية اسقاط الطائرة الليبية ، قد طغت على الغارة على المخيمين ، ولم تحظ هذه بأي تقييم من قبل المسؤولين الاسرائيليين ، او على الاقل ، فان صحف العدو ، واجهزة اعلامه الاخرى قد خلت تقريبا ، من اي تقييم لها .

لكن ما يبدو واضحا ، ان جميع الاهداف الاسرائيلية لم تتحقق ، بل ان بعضها غير قابل اصلا للتحقيق. ومن جميع التجارب التي سجلها التاريخ الحديث ، يظهر تماما ان محاولات الابادة التي قامت بها دول وجيوش تفوق اسرائيل وجيشها قوة ، قد فشلت ، وبشكل ذريع ، في احراز هدف الابادة الشوفيني والوحشي ، الذي هددت به شعوب وثورات اقل قوة من الشعب الفلسطيني وثورته .

ومحاولات اسرائيل المستمرة من اوائل الخمسينات وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، لفرض « زعامة » فلسطينية متعاونة معها ، قد فشلت هي الاخرى حتى الان ، وليس هناك مـا يشير الى احتمال النجاح في فرض مثل تلك الزعامة ، وهذا ما اكدته مؤخرا تطورات غزة حيث قضت الرصاصات التي أعدمت ذيب الهربيطـي (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٢) وتلـك الرصاصات التي استهدفت رشاد الشوا ، رئيس بلدية غزة السابق ، على محاولات اسرائيل خلق زعامـة عربية متعاونة ، واستقال اعضاء لجنة مخيم الشاطىء وجمد نشاط جميع لجان بقية الاحياء في غزة ، ثم استقالت ثلاث لجان اخرى ، ولحق ذلك استقالة جميع اعضاء اللجان . (رصد اذاعة اسرائيل ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٧٣/٢/٢٢) .

يبقى أن يقال بأن الغارة الاسرائيلية ، تنسجم تماما مع الخط واسلوب التفكير الاسرائيليين ، وهي ، وان تكون تصعيدا — نظرا « لعمقها » وطريقة تنفيذها — لم تكن ولم تشكل مفاجأة الا « لهواة التفاجؤ » على حد تعبير مراقب فلسطيني.

زيارة غولدا مئير الرابعة لواشنطن

لو ان اسرائيل ، رسميا ، هي الولاية الواحدة والخمسون في دولة الولايات المتحدة الاميركية ، لما حظي مسؤولوها بالكثافة ذاتها من الدعوات واللقاءات في واشنطن مع الرئيس الاميركي نيكسون.

ومنذ اعادة انتخاب نيكسون في نهاية العام الماضي ، لفترة رئاسته الثانية والاخيرة ، وحتى الان ، زار الولايات المتحدة من الوزراء الاسرائيليين كل من : موشي دايان ، يغآل ألون ، ابا ايبان ، بنحاس سابير ، وأخيرا رئيسة حكومة العدو غولد مئير ، كما زارها ايضا رئيس دولة العدو زلمان شازار وغيره كثيرون من حملة الالقاب الاكثر تواضعا .

وما نحن بصدده الان ، هو آخر هذه الزيارات وأهمها ، التي بدأتها غولدا مئير في السابع والعشرين من شهر شباط (فبراير) الماضي ، واستمرت اسبوعين ، وقابلت نيكسون خلالها ، رغم انها « زيارة غير رسمية » كما ذكرت المصادر الاميركية والاسرائيلية .

ومع ان الزيارة بحد ذاتها هي حدث هام ، فان مجيئها بعد زيارة كل من الملك حسين ، والسيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس انور السادات الى واشنطن (انظر حول هاتين الزيارتين مقالا في مكان آخر من هذا العدد) قد زاد من اهميتها ، خاصة وان سفير اسرائيل السابق لدى واشنطن ، اسحق رابين (أنهى عمله يوم ٧٣/٣/٩) ، كان قد ذكر « ان الرئيس نيكسون كلف هيئة من الخبراء اعداد دراسة سرية شاملة حول امكانات التسوية (لازمة الشرق الاوسط) وان غولدا مئير معنية بمحاولة الاستباق في ممارسة وسائلها الاقناعية على الرئيس قبل ان يتخذ قراره » . (هآرتس ٧٣/١/٩) .

قبل بدء الزيارة كانت جميع الاوساط الاسرائيلية تقريبا متفائلة جدا من نتائجها ، الى درجة دعت المعلق الاسرائيلي المعروف دان مرغليت الى القول: « ان هذه الزيارة مرتكزة على تقدير سياسي لم تعرف اسرائيل مثيلا له من قبل ، ولم يكن جيدا الى هذا الحد في اي وقت مضى ، حتى انه لا مجال لتوقع حدوث تحسن (في العلاقات الاسرائيلية الاميركية) ، ومن كل زاوية حكومية يسمع حاليا التقدير القائل بأن اسرائيل لم تأمل ابدا ان يكون وضع علاقاتها مع الولايات المتحدة افضل مما هو عليه ، والفروقات بين تعابير الوزراء هي فروقات صياغة اكثر منها فروقات في المحتوى » . (ملحق هآرتس ٧٣/٢/٢٣) ، ... « وفي حين انه في كل زيارات غولدا مئير السابقة الى الولايات المتحدة ، أرسلت كمهاجم وسط (في لعبة كرة القدم) يبذل جهدا لتسجيل هدف وتغيير النتيجة ، فانها هذه المرة قد أرسلت كحارس مرمى مهمته المحافظة على استمرار الوضع الحاضر » (المصدر السابق) . بهذا الجو من التفاؤل الاسرائيلي ، بدأت غولدا مئير زيارتها الرابعة — بصفتها رئيسة للحكومة — الى الولايات المتحدة ، وكانت زياراتها السابقة قد تمت على التوالي في السنوات ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ .

وقبل اسبوع واحد من وصول مئير الى اميركا ، كان بنحاس سابير قد أعلن في واشنطن ، بعد اجتماعه مع وزير المالية الاميركي جورج شولتس ، انه أقر في الاجتماع تشكيل لجان مشتركة لدراسة الجوانب المختلفة، للمشاكل الاقتصادية الاسرائيلية. وبرغم رفض سابير الاعلان عن حجم الطلبات المالية الاسرائيلية من اميركا ، فان مراسل معاريف في واشنطن قد ذكر انه « علم من مصادر موثوقة للغاية ان المبلغ الذي طلبته اسرائيل من اميركا ومن البنوك الاميركية هو ٦٢٥ مليون دولار ، موزع على النحو التالي : ٣٠٠ مليون دولار اعتماد عسكري ، ٥٠ مليون دولار مساعدة ، ٥٠ مليون دولار لاستيعاب يهود الاتحاد السوفياتي (وذلك بموجب توصية من الكونغرس) ، ١٠٠ مليون دولار لمشاريع اسكانية ، ٦٥ مليون دولار فائض اغذية ، ٣٠ مليون دولار قرض جديد من بنك التصدير والاستيراد للتطوير الاقتصادي ، وحوالي ٣٠ مليون دولار كمنح لمؤسسات ثقافية وصحية في اسرائيل ، وعلم كذلك ان جهودا تبذل لانهاء عمل هذه اللجان قبل لقاء غولدا مئير ونيكسون » (معاريف ٧٣/٢/٢١) .

وفي الاول من آذار (مارس) ، قبيل التقاء مئير بنيكسون ، قالت يديعوت احرونوت « ان اللقاء سيكون ذروة الزيارة ، لانه اذا كان نيكسون يرغب في التراجع عن موقفه المتعاطف معنا ، فقد أعطيت له الفرصة الان ، وسنعلم اليوم ما اذا كانت

ستتحقق تنبؤات اولئك الذين قالوا ان نيكسون سيتنكر لنا، او اذا ما صدقت رئيسة الحكومة عندما قالت عنه انه صديقنا الكبير في البيت الابيض » .

واجتمعت مئير مع نيكسون ، ثم خرجت بعد المقابلة التي استغرقت ساعة ونصف لتقول « انه لم يكن هناك اي جدل بينها وبين الرئيس ، ولفتت الانظار الى انها في مقابلتها السابقة للرئيس قالت انه يوجد لنا صديق في البيت الابيض ، وانه ليس هناك من داع لتغيير ما قالته » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٢) .

وذكر مراسل اذاعة العدو نقلا عن « مصادر عليمة » قولها « ان الولايات المتحدة تعلم بأن حل النزاع هو في نهاية المطاف امر يخص الاطراف نفسها وانها لا تعتزم فرض حل او الضغط على اسرائيل » واشارت المصادر ايضا ، الى ان الرئيس نيكسون « لم يطالب اسرائيل بابداء مرونة ، كما انه لم يتقدم منها بأية مطالب » . (المصدر السابق) .

ومن ناحية أخرى « تعهد الرئيس نيكسون لرئيسة الحكومة غولدا مئير ، باستمرار تقديم المساعدات الاميركية في المجال العسكري والاقتصادي ... وحذر الناطق الرسمي بلسان البيت الابيض من الامل بايجاد حل سريع ، ورفض الادلاء بتفاصيل عن المساعدات التي ستقدمها الولايات المتحدة ، وقال فقط ان الولايات المتحدة ستواصل تقديم المساعدات » (المصدر السابق) .

وفي جميع التصريحات التي نسبت الى مئير في واشنطن ، لم يلاحظ اي تغيير على سياسة اسرائيل ، بل ان العكس هو الصحيح ، حيث لوحظ تشدد وتشديد على المواقف الاسرائيلية المعلنة بشأن حل أزمة الشرق الاوسط باستثناء موقف واحد فسره بعض المراقبين المتفائلين ، على انه قد يكون اشارة الى استعداد اسرائيل « التنازل » عن أجزاء من الاراضي العربية المحتلة في حرب حزيران ، لم تكن في السابق تترك مناسبة الا وتؤكد فيها عزمها على « الاحتفاظ » بها ، وذلك في قول مئير اثناء مؤتمر صحافي عقدته في واشنطن يوم ٧٣/٣/١ : « ان اسرائيل لا تستطيع التنازل عن هضبة الجولان ، ولكن اسرائيل لا تعتبر قناة السويس ، الحدود النهائية بينها وبين مصر ، ... وكذلك لا يمكن اعادة شرم الشيخ الى مصر لان هذه النقطة هي خط حياة لاسرائيل » .

وكما كان متوقعا من قبل ، فان غولدا مئير قد قبلت بنصيحة رابين التي لخصها دان مرغليت في جريدة هآرتس (٧٣/٢/٨) والتي تقول « ان جميع الافكار الجديدة زائدة ، وفي اكثر الحالات مضرة ». وشدد رابين على ضرورة التركيز على التسوية الجزئية ، وقال : « لا أدري كيف يمكن التقدم نحو التسوية الشاملة » (دافار ٧٣/٢/٢) ، وكان يرد بذلك — كما يبدو — على قول وزير الخارجية الاميركي وليم روجرز في خطاب ألقاه يوم ٧٣/١/١٧، وطالب فيه « العمل لتحقيق تسوية جزئية ، يعاد بها فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، على ان تكون هذه خطوة أولى على طريق التسوية الشاملة » .

وهكذا ، فانه على صعيد ازمة الشرق الاوسط ، لم تحدث زيارة مئير لواشنطن اي تطور كان ، الا اذا اعتبرنا ترسيخ التعاون بين اسرائيل والولايات المتحدة تطورا يذكر .

ويبقى بعد ذلك ملاحظتان :

الاولى : هي ان غولدا مئير التي كانت في كل مرة تسأل فيها عن احتمال استمرار توليها منصب رئاسة الحكومة بعد الانتخابات النيابية المقبلة في اسرائيل (في شهر تشرين الثاني — نوفمبر — المقبل) تؤكد اصرارها على رفض البقاء في منصبها ، ولكنها في مقابلة تلفزيونية اذيعت عبر احدى الشبكات الاميركية يوم ٧٣/٣/٤ ، ردت على سؤال حول هذا الموضوع بأسلوب مغاير ، حيث قالت : « ان استمراري في منصبي يرتبط بقرار الحزب » واضافت : « وجهوا هذا السؤال الى حزبي » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٥) .

وعندما بدا واضحا ان مقابلات مئير في واشنطن ، وخاصة مع نيكسون ، هي السبب الاهم وراء تراجع مئير عن موقفها المذكور ، سأل مراسل اذاعة العدو ، سكرتير حزب العمل اهرون يادلين : « لماذا — حسب اعتقادك — قالت السيدة مئير مثل هذه الامور في الولايات المتحدة بالذات ، وليس في اسرائيل ؟ » ، ورد يادلين : « لا اعرف . من الممكن ان تكون قد أرادت ان تسرع بزف البشرى لنا ، من انها استجابت لالحاح الزملاء (ولم يقل أي زملاء) ، ولم تنتظر قدومها الى اسرائيل لاعلان هذا النبأ السار » .

وألح المراسل : « هل بالامكان القول ان هذا

القرار تبلور لديها اثناء جولتها في الولايات المتحدة؟» فقال يادلين : « من الممكن ان تكون جولتها في الولايات المتحدة قد اضافت اعتبارا آخر لمجمل الاعتبارات ، التي استمعت اليها في محادثاتها مع كثير من الزملاء » .

والثانية : هي حرص نيكسون اثناء لقائه مع مئير ، وهو اللقاء الذي حضره الدكتور هنري كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون ، واسحق رابين وسمحا دينتس ، مدير مكتب مئير سابقا وسفير اسرائيل الجديد لدى واشنطن ، على تهنئة السفير رابين بعيد ميلاده الواحد والخمسين ، وقوله « اننا سنفتقد السفير رابين كثيرا ، فقد كان سفيرا كبيرا لدولته ، ونأمل ان تحسنوا استغلال مواهبه » وقد لوحظ في هذا الكلام اكثر من مجرد مجاملة ، ولم يستبعد ان يكون نيكسون قد قصد من وراء هذا « الاطراء » ايضاح « تبني » البيت الابيض لرابين ، مع كل ما هو معروف عن رابين وخلافاته المزمنة مع ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل .

ورغم ان اي من المصادر الاسرائيلية — المتوفرة — لم تبرز اهمية ودلالة النقطتين المذكورتين ، فان فيهما ما يؤكد قدرة اميركا ليس على التأثير في سياسة اسرائيل الخارجية فحسب ، بل قدرتها على التدخل والتأثير في الشؤون الاسرائيلية الداخلية .

« عسكرة السياسة ، وتسييس الجيش »

في الثالث عشر من شهر شباط (فبراير) الماضي ، اجرى مراسل اذاعة العدو ، مقابلة مع دوف بن مئير ، سكرتير حزب العمل الاسرائيلي في لواء تل ابيب ، وذلك بمناسبة قرب صدور كتابه (يفترض ان يكون قد صدر في مطلع آذار (مارس) الماضي) الذي يناقش — بين ما يناقشه — ، مسألة دخول رجال الجيش ميدان الحياة السياسية في اسرائيل. (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٤) .

وقبل هذا التاريخ بأربعة ايام فقط ، اجرى مراسل اذاعة العدو مقابلة مع الدكتور شيفاح فايس ، الباحث في العلوم السياسية ، حول الموضوع ذاته ، بمناسبة بحث اجراه فايس عن التوزيع الوظيفي لكبار ضباط الجيش في اسرائيل . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/٩) .

وبعد ثلاثة ايام فقط من اجراء المقابلة مع دوف بن مئير ، « انضم العميد اول (احتياط) شلومو لاهط رسميا الى حزب الاحرار ، واعلن رئيس الحزب اليميلخ ريملط في جلسة الادارة ، انه سيقترح بأن يوضع لاهط في طليعة مرشحي حزب الاحرار لبلدية تل ابيب ، وعلى هذا ، يقترح ايضا ان يرئس قائمة غاحال (المكونة من الاحرار وحيروت) . وقال لاهط في الجلسة ، انه انضم الى حزب الاحرار اقتناعا منه بمبادئه على اثر المباحثات التي اجراها مع زعماء الحزب » (رصد اذاعة اسرائيل ١٧/ ٧٣/٢) .

وقبل جميع هؤلاء ، كان الصحافي الاسرائيلي المعروف امنون روبنشتاين قد كتب مقالا في غاية الاهمية في جريدة هآرتس (٧٣/١/١٩) ، عن علاقة الجيش بالسلطة المدنية في اسرائيل ، واكد فيه — استنادا الى وقائع واسباب اوردها — ان الحكومة الاسرائيلية لا تملك حق اقرار او حتى تقديم النصح بالنسبة الى تعيين رئيس اركان الجيش الاسرائيلي .

وهذه الفورة في نقاش مسألة « عسكرة السياسة وتسييس الجيش » في اسرائيل ، هي في الواقع حلقة جديدة من مسلسل متصل ، تكاد لا تنتهي احداها الا لتبدأ الاخرى ، وكانت الفورة السابقة قد بدأت لدى انعقاد المؤتمر العام الاخير — قبل بضعة أشهر — لحزب العمل الاسرائيلي الحاكم ، حيث عارض « شباب الحزب » استيلاء كبار ضباط الجيش (المتقاعدين) على المراكز الحساسة في الحزب ، وأطلق هؤلاء على الضباط في حزبهم وفي الاحزاب والمؤسسات الاخرى لقب « العمداء المظليون » ، اي اولئك الذين يهبطون بالمظلات مباشرة من الجيش الاسرائيلي الى مناصب كبرى في السياسة .

اما الحلقة السابقة لهذه ، فكانت قد بدأت في مطلع العام الماضي ، عندما عين الجنرال حاييم بارليف الرئيس السابق لاركان جيش الاحتلال ، وزيرا للتجارة والصناعة في الحكومة الاسرائيلية ، التي

كانت تضم حتى قبل دخوله عددا من كبار ضباط الجيش السابقين ، بينهم موشي دايان ، ويغآل آلون ، ويسرائيل غاليلي وغيرهم .

وقد سأل مراسل في اذاعة العدو حاييم بارليف (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٩) : « لقد قمت بعمليات هبوط بالمظلات من الطائرات في الجيش ، فكيف تشعر بعد أن نزلت الى السياسة ؟ هنالك من يعتقد بأن الهبوط هنا اخطر بكثير حتى من عملية الهبوط الحرة ؟ »

ورد بارليف : « كلا ، لا اشارك في هذا الرأي ، ولا أرى هنا أي شيء خطر ، وأعلم ان حجم خيبة الامل هو من حجم الامل ، وانا لم اقدر ان الوضع بالنسبة لي سيتبدل بصورة اساسية ، فقد كانت لدي الفرصة كرئيس للاركان ، للاطلاع المباشر على اعمال الحكومة » .

وشبه دوف بن مئير النزاع الذي ادى — عشية حرب حزيران — الى تسليم موشي دايان وزارة دفاع العدو ، بذلك النزاع الذي سبقه بسنين ، وادى الى عزل بنحاس لافون من وزارة الدفاع ، وقال في المقابلة المذكورة : « ... وانا اقصد بهذا التأثير السياسي الذي كان لقضية لافون وللمواجهة بين القيادة الرسمية ، وبين القيادة التقليدية في السياسة الاسرائيلية ، وهي المواجهة التي وصلت اوجها خلال الصدام بين وزير الدفاع بنحاس لافون وبين جيش الدفاع الاسرائيلي . ولهذه المواجهة آثار وابعاد ، من بينها طرد وزير الدفاع انذاك ، او اجباره على تقديم استقالته . وهنا اعتقد ان الضغط الذي مورس لانتزاع وزارة الدفاع من ايدي ليفي اشكول في سنة ١٩٦٧ (وتسليمها للجنرال دايان) له نفس الطابع . وانا استغرب اذا كان بالامكان في الظروف الحالية وضع وزارة الدفاع في ايدي شخص مدني ، وما اذا كان بامكان شخصية مدنية ، خلال مواجهة جديدة (مع العرب) ، لا سمح الله ، ان تقود جيش الدفاع الاسرائيلي في المعارك . وهذه هي احدى المشاكل التي لها ابعاد بالطبع في موضوع عسكرة الدولة ودخول الجنود والضباط السابقين الى معترك الحياة السياسية » .

وعن النتيجة التي سيؤدي اليها هذا المسار ، قال بن مئير : « اننا في النهاية سنصل الى وضع متوازن ، تنجح فيه تلك الفئة الناجحة من الضباط ، واما غير الناجحين فلن يتم استيعابهم في السياسة » .

وعلى الذين يتوقعون استيلاء العسكريين — في النهاية — ، للسلطة ، واحتكارهم لها ، رد الدكتور شيفاح فايتس — عبر بحثه الذي اجراه على ٧٥ شخصا فقط من الضباط الذين انهوا الخدمة ، وليس بفعل السن ، وعبر المقابلة الاذاعية المذكورة — ان « المنتخبين في مراكز سياسية من هؤلاء الضباط الذين خلعوا البزة العسكرية يشكلون ١٣٫٣٪ فقط من مجموع الضباط المتقاعدين بينما يعمل في وظائف ادارية داخل جهاز الامن وفي الادارة الجامعية ومديري الوزارات ٧٥٪ من مجموع الضباط » . ورد فايس سبب وجود الانطباع باستيلاء العسكريين على الحياة السياسية الى « النقاش الشعبي الذي جرى حول ضباط مثل بارليف ورابين ودايان ، ومثل عيزر وايزمان اليوم » .

اما امنون روبنشتاين ، فقد تطرق الى الموضوع من زاوية اخرى ، واثبت « استقلالية » الجيش الاسرائيلي عن الحكومة ، واستدل على ذلك بابرازه بعض الاحداث التي وقعت مؤخرا ، على النحو التالي :

« ١ — قرر الجيش تخفيض مدة الخدمة العسكرية بالنسبة الى المهاجرين الجدد . وقد اتخذ الجيش هذا القرار ، دون عرضه على أية جهة اخرى لاقراره ، وحتى الكنيست لم يطلب الحصول على معلومات حول هذا الموضوع .

٢ — ان قرار عدم تخفيض الخدمة العسكرية لجنود الخدمة الاجبارية ، بحث وبت فيه على الصعيد العسكري فقط .

٣ — وقع العميد ، قائد المنطقة الشمالية (الجليل) امر اغلاق قريتي اقرت وكفر برعم قبل ان يلفت نظر الحكومة الى هذا الموضوع ، ودون عرضه على الكنيست مطلقا » .

ويتابع روبنشتاين : « ... وفي حين تقر الحكومة تعيين كل سفير وكل قنصل اسرائيلي في الخارج ، فانها لا تملك صلاحية اقرار ، او حتى تقديم النصح ، بالنسبة الى تعيين رئيس الاركان ، فهذه المسألة تعود بالكامل قانونيا ، الى وزير الدفاع الذي يحق له ان يفعل بالنسبة الى التعيينات داخل الجيش ما يشاء ... ويعرض التعيين على الحكومة بعد ذلك كحقيقة منتهية » .

ولاحظ روبنشتاين ان في اسرائيل وثيقة واحدة فقط تتعلق بتركيب الجيش وهي « امر جيش الدفاع

الاسرائيلي » ، الذي صدر خطأ عن رئيس الحكومة في ايار (مايو) ١٩٤٨ ، ولم يصدر كما يفترض بصورة تشريعية ، ويحظى بموافقة مجلس الشعب (الذي سبق انتخاب اول كنيست) » . « ... وكانت هذه الوثيقة مبهمة ومتسرعة ، ولكنها مع ذلك لم تغير حتى الان ، وبعد مرور ٢٥ سنة على اصدارها » . واخطر ما في هذه الوثيقة باعتقاد روبنشتاين هو خلوها من اية كلمة عن تعيين رئيس الاركان ، ومدة خدمته وخضوعه للحكومة ، وفي نص الامر المذكور انه « بموجبه ينشأ جيش الدفاع الاسرائيلي ، المكون من اسلحة البر والبحر والجو ... ويحظر تشكيل قوات مسلحة خارج نطاق الجيش الاسرائيلي » ... وينتهي الامر — غير الشرعي — بالقول : « ان وزير الدفاع مسؤول من تنفيذ هذا الامر » ، ولاحظ روبنشتاين ان هذه الكلمات القليلة ، منحت وزير الدفاع (وهو في حينه بن غوريون) صلاحيات غير محددة وغير مقيدة مكنته ان يفعل ما يريد داخل الجيش . دون الرجوع الى الحكومة او البرلمان .

وفي « امر جيش الدفاع الاسرائيلي » ليس هناك اي ذكر للمناصب الرئيسية في الجيش ، مثل مدير المخابرات ، ورئيس شعبة العمليات . بل ان تسميات المناصب لم تحدد ايضا ، ويذكر ايسر هرئيل « المشرف » الاسبق على المخابرات الاسرائيلية انه قد حصل على لقبه المذكور (اي « المشرف ») في حفل حضره مع بن غوريون ، فقدمه هذا الى ضيف اجنبي على انه « السيد هرئيل ، المشرف على المخابرات » ، واصبح لقب « المشرف » بذلك اسما ومنصبا رسميا . (كتاب « المشرف » تأليف بارزوهر) . عموما فان اول ما يلاحظه المراقب ، هو الازدياد المستمر في نسبة الضباط الاسرائيليين الذين يتحولون الى العمل السياسي ، ويتسلمون المناصب العالية في المجتمع الاسرائيلي ، من ادارة المطارات المدنية ، الى الموانىء الى الشركات الكبرى والمؤسسات العامة ، وبموجب اخر احصاء متوفر فان « ٤٥٪ من سياسي اسرائيل على الاقل ارتبطوا بالعمل العسكري بشكل او باخر » (كتاب « رجال السياسة الاسرائيليون » — سلسلة حقائق وارقام — رقم ٣٣ ، تحرير انيس صايغ واعداد غازي دانيال — مركز الابحاث الفلسطينية — بيروت — ١٩٧٠ ص ١٨ ، و« رجال السياسة » في هذا الكتاب هم اعضاء الكنيست الاسرائيليين) .

ولا يستبعد ان يثور الجدل والنقاش في اسرائيل مجددا ، ويصل الى ابعاد لم يصلها من قبل ، وذلك بعد عودة اسحق رابين في اذار (مارس الماضي) الى اسرائيل بعد انتهاء فترة عمله كسفير لدى الولايات المتحدة ، واحتمال تعيينه وزيرا في حكومة العدو ، ليصبح فيها اذاك ثلاثة رؤساء اركان سابقين .

عماد شقور

وثيقة خاصة :
افادات اعضاء الجبهة الحمراء

تنفرد « شؤون فلسطينية » فيما يلي بتقديم ترجمة عن الاصل العبري للبيانين اللذين ادلى بهما خلال محاكمتها كل من داوود تركي ، زعيم التنظيم العربي — اليهودي الذي درجت الصحافة العربية على تسميته باسم « الجبهة الحمراء » ، وأودي اديف ، احد الاعضاء الاربعة اليهود في التنظيم . ويظهر البيانان ، بما لا يدع مجالا للشك ، ان الحملة الاسرائيلية لتصوير التنظيم بانه شبكة تجسس للاستخبارات السورية لا أساس لها من الصحة وانها مجرد محاولة للتشهير به . والمجلة اذ تقدم ترجمة لهذين البيانين ، اللذين تمكنت من الحصول عليهما بوسائلها الخاصة ، تود ان توضح انها تتعامل معهما كوثيقتين توضحان الدوافع الايديولوجية والسياسية وراء التنظيم ، وانها لا تتبنى او ترفض كل ما جاء فيهما ، ولها تحفظات شديدة ازاء بعض النقاط الواردة . وننوه بأن محاكمة كل من داوود تركي واودي اديف ، مع اربعة آخرين من اعضاء التنظيم ، بدأت يوم ٢٥ شباط ١٩٧٣ ، وان الحكم بشأن الاشخاص الخمسة الاساسيين من بين الذين تم تقديمهم للمحاكمة لم يصدر بعد . ويحمل بيان داوود تركي تاريخ ١٩٧٣/٣/٥ ، ولم نتمكن من قراءة التاريخ على بيان اديف .

(١) افادة داوود تركي

الملف رقم ٧٣/٢٩
١٩٧٣/٣/٥

القاضي : تركي ! جاء دورك الان ! وعليك ان تختار احد الاسلوبين التاليين :

بوسعك ان تدلي بشهادتك بعد حلف اليمين ، وفي هذه الحالة سيتولى ممثل النيابة استجوابك ، كما أن بوسعك ان تدلي ببيان من مكانك دون حلف اليمين ، وفي هذه الحالة لك ان تختار عدم الادلاء بشهادة .

داوود تركي : أختار الادلاء ببيان من مكاني !

هيئة المحكمة الموقرة ! اود تقديم نفسي ، وقد سجلت رؤوس اقلام عن القضية بأسرها من بدايتها الى نهايتها ! اسمي داوود سمعان تركي . ولدت لاب وأم من الفلاحين الفقراء في قرية المغار عام ١٩٢٧ ، وقد عشت في قريتنا هذه نحو خمسة اعوام . وكان والدي ووالدتي يعملان في صنع الفحم والكلس ، غير ان ما كانا يكسبانه من ذلك لم يكن يكفي لاعالة العائلة ، ولذلك اضطررنا الى النزوح الى حيفا في عام ١٩٣٢ حيث اشتغل والدي عاملا في بلديتها . وعند اعتقالي كنت اعمل في مكتبتي التي اسستها عام ١٩٦٢ ، وقبل ذلك مارست مهنا مختلفة لم تكن تشبع ميولي ولا توافق اهوائي . فقبل تأسيسي المكتبة اشتغلت مدة خمس سنوات كعامل طباعة في مطبعة « ألف وواحد » في حيفا . وقبل ذلك

عملت في البناء والصيد وفي حانوت بقالة وفي صناعة البلوكات ، ورغم ان هذه جميعا هي مهن شاقة فانه لم يكن يتيسر لي العثور على عمل فيها بسهولة وذلك نتيجة الظروف التي كان يواجهها العامل العربي وبسبب ملاحقة الهستدروت للعمال غير المنظمين واقدامها على طرد العرب من هؤلاء من اعمالهم متغافلة عن واقع انها حينذاك لم تكن تسمح للعرب بالانضمام اليها وان عضوية الهستدروت كانت تقتصر على اليهود فقط . اما النقابات المهنية الخاصة بالعرب والتي كانت تعمل في اطار ما يدعى « بمؤتمر العمال العرب في اسرائيل » فقد كان قسم منها يؤمن العمل لبعض العمال العرب ولكنه كان عملا هامشيا ولا يستوعب سوى قطاعا ضئيلا من المجموع بينما لم يكن لدى القسم الاخر من هذه النقابات ما يقدمه ... وفي عام ١٩٤٦ اثناء فترة الانتداب البريطاني قدمت طلبات للعمل لجميع الدوائر الحكومية وتلقيت ردا ايجابيا من ثلاث منها — دائرة الجمارك في حيفا ، ودائرة البريد ومصلحة السكك الحديدية — وقد اخترت من بين الدوائر الثلاث هذه دائرة الجمارك التي شعرت ان العمل فيها يناسبني أكثر من غيرها . وظللت اعمل هناك من مطلع عام ١٩٤٦ حتى انتهاء فترة الانتداب . في تلك الفترة ، عندما تقدمت بطلبات العمل هذه ، لم اكن بحاجة الى « محسوبية » أو « واسطة » ، بل كانت مؤهلاتي هي التي حددت قبولي . اما بعد قيام دولة اسرائيل فقد اصبح الزاما على من يريد الحصول على عمل ان يستنجد « بالمحاسيب » ، خاصة اذا كان طالب العمل مثلي عربيا ويعتنق ايديولوجية يسارية — اشتراكية — شيوعية .

واثر سقوط حيفا انتقلت الى قريتي « المغار » للاقامة فيها وبقيت هناك حتى عام ١٩٤٩ . وخلال فترة اقامتي في المغار كان يتحتم علي من أجل العمل خارجها الحصول على تصريح للخروج . ولم يكن بالامكان الحصول على تصريح كهذا بسهولة ولا سيما لاولئك الاشخاص الذين يحملون اراء سياسية معارضة لسياسة وآراء النظام السياسية . وهذا الوضع ، بالاضافة الى امور اخرى مثل سلب الاراضي وعدم المساواة في الحقوق للاقلية العربية في البلاد وملاحقة العمال والاهالي العرب وهدم البيوت — كل ذلك اهاج في خاطري ذكرى ان ابي — رحمه الله — كان في ايامه يؤيد ويتعاطف مع الشيوعيين الذين كان يعرفهم باسم البلشفيين . وقد سنحت لي الفرصة في حياته — وكنت حينئذ صبيا يافعا — ان اتعرف شخصيا على سكرتير الحزب الشيوعي الفلسطيني ، وكان انذاك عربيا يدعى نجيب سبيريدون . وقد كان هذا الشخص بالنسبة لي مثالا للانسان الشيوعي في مسلكيته . فالتحقت بالحزب حينئذ ومن ثم التحقت بصفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » في عام ١٩٤٨ . وقد كان انتمائي هذا علاوة على كوني عربيا هو العلة في كل تلك الملاحقات التي تعرضت لها .

وقد آمنت بأنه ما من أحد يستطيع ان يفرض على اي انسان آراء ومواقف تخالف آراءه ومواقفه تجاه اي شيء او تجاه سياسات النظام القائم اذا كان هو مقتنع بما يحمله من آراء وافكار ازاء السياسة العامة للحكم القائم ...

لقد كنت مضطرا للعمل خارج قريتي لتأمين لقمة العيش لعائلتي المؤلفة من خمسة افراد (أنا وزوجتي وبناتي الثلاث) ، ولذلك كنت احتاج الى تصريح من الحاكم العسكري يسمح لي بالتنقل بين قريتي ومكان عملي ولم اكن احصل على هذا التصريح الا بشق الانفس . وقد كان الصراع من اجل الحصول على هذا التصريح يستغرق اسبوعا كاملا اذ كان يتعين علي ان انتظر قدوم الموظف المختص التابع للحاكم العسكري ، كما كنت اضطر الى خسارة يوم عمل كلما حان اجل تجديد التصريح . وكانت قضية الحصول على هذا التصريح مشكلة بالنسبة لي ولجميع العرب الذين كانوا يقطنون خارج المدن (أماكن عملهم) . واذكر انه في سنة ١٩٥٨ ، وبعد ان كنت قد خضت نضالا مريرا لنقل مكان اقامتي الى حيفا الى ان تم لي ذلك ، اذكر في ذلك الوقت أنني رغبت في زيارة قريتي

المغار لمناسبة عيد الفصح لقضاء عطلة العيد مع اهلي واقاربي ، فحصلت من مركز الشرطة في حيفا على تصريح للسفر الى الناصرة حيث كان يتوجب علي الحصول من مركز الشرطة هناك على تصريح اخر للسفر الى قريتي المغار . وهناك في الناصرة ، عانيت الامرين اذ رفض الموظف المختص اعطائي التصريح . لقد حدث هذا في الوقت الذي علمت فيه ان بعض الاشخاص قد حصلوا في هذه المناسبة — مناسبة توافق حلول عيد الفصح وعيد المسلمين في الوقت ذاته — على تصريح لقضاء عطلة العيد مع اهلهم رغم انهم قدموا من خارج الحدود — من شرق الاردن — هذا ، بينما أنا الذي لم أغادر بلادي توضع العراقيل في طريق وصولي الى قريتي لقضاء عطلة العيد بين اهلي وذوي . واخيرا ، وبعد جهد جهيد وعناء ومساع شاقة لدى جهات عدة في الشرطة والحكم العسكري اعطوني تصريحا لمدة يومين فقط ، وعدت بعدهما الى حيفا ...

ان انواع المشاكل التي تواجه الانسان العربي في هذه البلاد ، واليساري منهم بشكل ، كثيرة جدا وتستحق الوقوف عندها طويلا ، بيد أن الوقت المتاح اضيق من ان يسمح لي بأن اتقصاها جميعا . لقد كنت عضوا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » وذلك من خلال الايمان بالاشتراكية وليس انطلاقا من الايمان بأفراد معينين . وفي سنة ١٩٦٠ ثار الخلاف والجدل بين الحزب الشيوعي السوفييتي والحزب الشيوعي الصيني . ولقد ساهمت بقسط فعال في هذا الجدل داخل صفوف الحزب مؤيدا موقف الحزب الشيوعي الصيني ، وعلى هذا الاساس فصلت ، او بالاحرى انفصلت ، عن صفوف الحزب . ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي في حينه ، وقبل انقسامه ، لم يقدم الحل الصحيح في معالجته للنزاع الاسرائيلي — العربي ، بل كان يغير مواقفه وفق الظروف وبموجب الحقائق التي خلقت بعد ذلك . وبناء على ذلك ، ومن ناحية مبدأية ، لم اعتبر توجه الحزب هو الحل الصحيح ، مما أدى الى خروجي من صفوف الحزب نظرا لايماني باستحالة التعايش السلمي بين الشيوعية والاشتراكية من جهة وبين الراسمالية والامبريالية من جهة اخرى . وانا اؤمن بأنه يتعذر الحاق الهزيمة بالاستعمار والامبريالية سوى بالقوة والنضال وباعداد الجماهير لهذا النضال من اجل قيام الثورة الاشتراكية التي توفر الحل للمشاكل القومية فيعيش تحت لوائها كل انسان بمساواة مع اخيه الانسان دون فرق في القومية او الدين او الجنس . ومنذ خروجي من الحزب « ماكي » كرست اهتماماتي للسياسة المحلية والعالمية ، واعتبر نفسي جزءا لا يتجزأ من الحركة الثورية العالمية . فكفاح وبطولة شعب فيتنام هو كفاحي ... وكفاحي من اجل التحرر الوطني والاجتماعي هو كفاح جميع المناضلين من اجل الحرية في امريكا اللاتينية، وهو كفاح جميع اولئك القابعين في السجون من اجل هذا الهدف .. ولقد اعطيت ، وأعطي ، وسأستمر في بذل كل ما لدي وكل ما استطيع وحياتي من اجل هذا الهدف . لقد كانت اوضاع العرب الذين يعانون في هذا البلد من صنوف التمييز الذي يمارس ضدهم هي احد العوامل التي ساهمت في تشكيل آرائي ، فسلب الاراضي والحكم العسكري والطرد من العمل الخ ... كل هذا ترك اثرا بالغا في نفسي ، وشعرت بأنه يتحتم علي الكفاح من اجل تغيير هذه الاوضاع . وبعد حرب الايام الستة طرأ تغير على موقفي من دولة اسرائيل . قبل الحرب ربما كنت افكر هكذا : انني ضد الالام التي لحقت بالشعب اليهودي على ايدي النازيين والفاشست غير ان الحرب ضد مضطهدي الشعب اليهودي هي حرب جميع الشعوب وليست حرب الشعب اليهودي وحده . أنا أؤمن ان الشعب اليهودي كان جزءا لا يتجزأ من جميع المضطهدين في ذلك الزمن عندما كان يعاني من اضطهاد النازيين والفاشيست . وكان يتوجب على الشعب اليهودي ان يخوض نضاله ضد اي شكل من اشكال التمييز القومي او الطائفي على الارض التي يتواجد فيها . ان احضار اليهود من جميع البلدان الى فلسطين التي انا جزء منها ومن شعبها ليس هو الحل الصحيح . ان الحل الصحيح هو في ان يكافح كل شعب وكل

أناس يعانون من الاضطهاد او الظلم ضد ما يعانون منه لايجاد حل للمشاكل في البلد الذي يوجدون فيه . ان الصهيونية التي حملت لواء فكرة جلب اليهود من جميع انحاء العالم الى فلسطين على اساس الصلة التاريخية بين اليهود وهذه البلاد قد اساءت استغلال هذه الصلة ولم تضع في حسابها وجود شعب فلسطيني في هذه البلاد له حياته وثقافته التي استمرت خلال الفين من السنين . وعندما فكرت في قيام دولة اسرائيل على اساس العطف على الشعب اليهودي والتضامن معه في كفاحه ضد مضطهديه اتضح لي في سنة ١٩٤٧ ان الشعب اليهودي يرغب حقا في ايجاد مكان له يجيء فيه بهدوء ويدبر فيه أمور حياته القومية كما يرغب ، لكن الصهيونية لم تقدم له ذلك بل فعلت العكس . فقد اظهرت رغبتها في التوسع . ولم تكتف بالمليون انسان عربي الذين طردوا او هربوا من الحرب ، بل ان لديها رغبات في التوسع تتعدى الاماكن التي احتلتها بعد حرب عام ١٩٦٧ ، وتطمح في تحقيقها في مراحل قادمة لاكمال احتلال المناطق التي بقيت للتوصل الى حدود مملكة اسرائيل التاريخية .

ان جيش الدفاع الاسرائيلي عندما دخل الى الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء لم يستقبله السكان المحليون أصحاب الحق المبدئي والاساسي فيها بالترحاب والاكبار كما كان الحال ، ابان الحرب العالمية الثانية ، في فرنسا والاتحاد السوفييتي وجميع البلدان التي كانت تحت ظل الاحتلال . ان من حق السكان العرب الذين يرزحون تحت نير الاحتلال ، بل من واجبهم ان يحاربوا الاحتلال بجميع الوسائل التي يرونها صحيحة ويتسنى لهم استخدامها ، كما ان هذا ايضا هو واجب جميع محبي السلام والحرية في دولة اسرائيل سواء كانوا عربا او يهودا .

ان الاحزاب في دولة اسرائيل هي في غالبيتها احزاب صهيونية . ورغم ان هنالك احزابا لا تنتمي الى الفكر الصهيوني فان مجرد موافقتها او تسليمها بالحقائق التي تخلقها الصهيونية تجعلني اعتبرها مساعدة للصهيونية ومتقبلة لها . ولهذا لا اجد لي مكانا في اي حزب من هذه الاحزاب رغم ان البعض القليل منها لديه استعداد لقبول الاعضاء العرب في صفوفه . وبعد الحرب شعرت بالحاجة الى اقامة تنظيم جديد يسير على هدى الماركسية ـ اللينينية ، آخذا بعين الاعتبار تجارب وتعاليم الثوريين الاخرين في العالم مثل البطل الاممي تشي غيفارا وزعيم الحزب الشيوعي الصيني ماوتسي تونغ . وقد توخيت في التنظيم الذي فكرت في اقامته ان يضم ، قبل كل شيء ، جميع اولئك الاشخاص في اسرائيل ، من يهود وعرب ، ممن يتوفر لديهم استعداد للالتزام بالعقيدة والايديولوجية الاشتراكية ، والعمل من اجل هذا البرنامج والمشاركة في جميع نشاطاته الفكرية والتنظيمية . ان هدف هذا التنظيم هو اقامة نظام اشتراكي في اسرائيل والدول العربية. وللاسف الشديد لم تتم بعد صورة هذا التنظيم كما توخيت ، وقد راعيت في تحديد اطار العلاقات بين الاعضاء الانضباط بالديمقراطية المركزيةبحيث يختار الاعضاء ، بصورة سرية ، قيادة التنظيم التي تتولى ادارة وتوجيه نشاطات التنظيم بحيث لا يتصرف كل عضو كما يحلو له . أنا أؤمن بأن أعضاء التنظيم من اليهود لهم مكان فيه وهم يشاركونني في هذا الهدف لانني لا ارى أي تنظيم فلسطيني يأخذ في برنامجه الشعب اليهودي بالحسبان . وبغض النظر عن عدد اليهود الموجودين في البلاد فأنا لا أدعو ولن أدعو في أي وقت الى طرد اليهود او القائهم في البحر . بل على النقيض من ذلك ، أنا أقف ضد هذا التوجه بكل قوة ، وأنا على استعداد لتقديم كل ما بوسعي تقديمه للحيلولة دون معاناة أي انسان بسبب أصله او دينه او قوميته . والاعضاء اليهود في التنظيم يشاركونني في هذا الهدف . ونحن يوجد لنا برنامج هدفه الاشتراكية . ان الاشتراكية هي الهدف المشترك لجميع الكادحين والفلاحين والمضطهدين في المجتمع الاسرائيلي . ويوجد لليهود قسط ، ويجب ان يكون لهم قسط ، لانهم اعضاء متساوون معي في التنظيم،

من أجل اقامة حكم جديد ونظام جديد يوفر للشعب اليهودي وللشعب العربي المشاركة بفعالية في نضال الشعب العربي من اجل التحرير .

ان الصهيونية في كل تاريخها في البلاد سواء قبل قيام الدولة او بعد قيامها وضعت الشعب اليهودي والسكان اليهود في صراع مع الشعب العربي الفلسطيني وباقي الشعوب العربية . وهي بدل ان تتخذ لها موقفا سياسيا ملائما ومحايدا او مؤيدا للصراع العربي من اجل التحرير الوطني والاشتراكي تقف بجانب عدوه ، بجانب الامريكيين الذين يضهدون الشعب الفيتنامي . والى جانب الامبريالية الامريكية التي تستغل شعوب امريكا اللاتينية وشعوب اسيا وافريقيا ، وتضع الشعب اليهودي ضد الشعب العربي الى الابد ، واني اعتقد ان هذا الموقف هو موقف اجرامي بحق الشعب اليهودي والشعب العربي على حد سواء .

ليس هناك اي اساس للاعتقاد بأن منظمتنا مرتبطة بالاستخبارات السورية او بالاستخبارات المصرية او مع اية استخبارات اخرى . نحن نعتقد اننا هنا لسنا الوحيدين المشتركين بل لنا شركاء من دول عربية أخرى لا يؤمنون بالحدود الحالية القائمة ، واذا كان لنا اي ارتباط مع اية دولة اخرى فهو ارتباط على اساس المشاركة الايديولوجية والمشاركة في الهدف .

ان حبيب قهوجي متهم كعميل اجنبي وانا متهم بالارتباط او بالاتصال معه. لقد ولد حبيب في فلسطين ، وهو من مواليد قرية فسوطة الموجودة على حدود دولة اسرائيل . انه أنسان ، اعرفه بصفته معلم وشاعر وكاتب وبصفته انسان وطني ومتطور بأفكاره . اني اعرفه منذ خمس وعشرين سنة ، وحبيب قهوجي عندما كان موجودا هنا في البلاد الى حين حرب الايام الستة كانت له اراء قومية متطرفة ، ولكنه بعد الحرب ابتدأ يفكر بشكل آخر ، ولقد ابتدأ يفكر بالمضمون الاجتماعي لحركة التحرير القومية العربية .

انا لا أقول ذلك للتمويه بل لانه سبق لي وتناقشت مع هذا الانسان ، وعندما ناقشته فيما يتعلق باشتراك اليهود في التنظيم وبمكانهم فيه ، وافق على هذا الاشتراك وقال انه عدل ولليهودي كل الحق ، ولقد اعترف بحق الشعب اليهودي بالعيش معنا في دولة واحدة ، تتصرف بمساواة تجاه جميع مواطنيها . وهو — كما اعتقد — وحتى الان ، لا أؤمن انه عميل اجنبي . وهو غير مرتبط مع اية استخبارات ، انه يقاتل من أجل الحرية، انه مضطهد وقد طرد من البلاد على ايدي السلطات الصهيونية ، واذا كان له اي اتصال مع عرب من خارج البلاد ، فهذا الاتصال هو مع اناس وليس مع سلطات او غيرها ، اتصال مع اشخاص يشاركونه كفاحه من اجل التحرير الوطني والاجتماعي سواء كانوا من منظمات فلسطينية او من احزاب قائمة في الدول العربية بما فيها سوريا . لقد ابتدأ اتصالي مع هذا الشخص بعد ان استلمت منه رسالة عن طريق جد امرأته ، يطلب مني فيها كتبا اختارها انا والتي أرى فيها انها تتوافق مع افكاره لانه يريد مطالعتها ،فارسلتها له بشكل منتظم بالسبل الاكثر قانونية وبواسطة البريد . ان الطرود التي ارسلتها لحبيب قهوجي كتبت عليها عنوانه الكامل وعنواني الكامل في اسرائيل . لقد كان لي اتصال مع حبيب قهوجي وتحدثت معه عدة مرات بالاضافة الى الاحاديث اليومية التي كنا نتبادلها عندما كان في البلاد حتى عام ١٩٦٨ . وقد قلت له في الخارج عندما تحدثت اليه اننا نعتقد اننا العرب واليهود يجب ان نمنع هذه الحرب الدموية الدائرة منذ ٢٥ سنة . وحسب ما نرى اليوم لا نهاية لهذه الحرب ، وان من واجب كل انسان وطني ، وكل انسان يفكر بمستقبل شعبه والشعوب الاخرى وشعوب العالم ، ان يجد طريقنا لتنظيم يهودي — عربي يكافح ويحارب من اجل تغيير انظمة الحكم ، والسلطات الحاكمة في البلاد وفي الدول العربية .

وكان حبيب قهوجي مشاركا لرايي وهو أيضا ضد مضطهدي الشعوب في البلاد وفي الدول العربية . وهو يرى ان هذا الاضطهاد يعمـــق الانقسام بين الشعب اليهودي والشعب العربي مع ان مستقبلهم واحدا اذ سيعيشون معا في وطن واحد وفي ظل دولة واحدة ، متحررة من أي تأثير اجنبي ومتحررة من كل استغلال اجتماعي .

عندما اعترفت امام المحققين قلت انني طلبت من حبيب قهوجي سلاحا ، وكان قصدي ان ذلك سيكون لامد بعيد ، اي من اجل الدفاع عن النفس ، اي في حالة تعرض تنظيمنـــا لهجوم من جانب « رابطة الدفاع اليهودية » التابعة للحاخام كاهانا . وقلت في اعترافي ان تنظيمي سيكون سريا ، ليس لاني اخاف التعبير عن افكاري ، وانما لان مجرد التعبير عن آرائي سيسبب لي الاضطهاد والمضايقة في سبل العيش . ولو عبرت عن آرائي فان مصادر رزقي ستضرب ، كما علمتني التجارب .

ان الديمقراطية في دولة اسرائيل هي ديمقراطية الطبقة الحاكمة . وهي ليست ديمقراطية كاملة . واذا حدث ان ادى استعمال هذه الديمقراطية الى تضارب مع مصالح الطبقة الصهيونية الحاكمة ، فعندئذ لا تبقى هناك ديمقراطية ، بل تنقلب للعكس تماما .

ومن تجربتي ، عندما كنت عضوا في الحزب الشيوعي خلال ١٦ سنة تعرضت لاضطهاد الدولة لانني عبرت في حرية عن آرائي وكان يجب ان احصل على حماية من هنا وهناك او ان ابيع آرائي ومعتقداتي واتنازل عن ابسط الحقوق الاولية لاي انسان ، وهو حقه في التفكير دون حدود ، ومع ان هذا التفكير وهذا الحق مؤمنان في الديمقراطية وجدت ان هـــذه لا تكون ديمقراطيـــة كاملة اذا لم تؤمـــن العيـــش لانســـان يفكر بعكس مـــا يفكـــر الحكم ، وعقليتـــه تتعارض مـــع عقليـــة الحكم القائم . واليـــوم كل انســـان يعتقد بأمور تناقض ما يعتقده الحكم ، او يتنفس هواء دون موافقة الطبقة الحاكمة في البلاد هو عميل ، وخائن . وقد تأثرت جدا البارحة من شهادة الخبير عندما وقف وقال بالاضافة الى كل ما قاله . . . ان هذا الذي يأكل بيده اليسرى هو يساري رديء يكـــره اليهود ويريد ان يفني الشعب اليهودي .

لانه بمثل هذه العقلية وبمثل هذا التفكير يصعب على الصهيونية محاربة العرب الذيـــن يناضلون من اجل الحرية ، والصهيونية تبحث لها دائما عن دواع ووسائل للدعاية امام الامم لتظهر المناضلين العرب بانهم ضد اليهود وانهم يكرهـــون اليهود ويبغون ابـــادة الشعب اليهودي . ان هذا الحكم وهذه العقلية لا تتحمل اشخاصا مثلنا ، يعملون معا يهودا وعربا ، لان هذا الوضع يخرب لهم كل برامجهم ، والطريق التي يسيرون عليهـــا والتي ساروا عليها منذ تأسيس الحركة الصهيونية والهجـــرة الاولى الى هـــذا البلد ، والطريق التي ساروا عليها هي طريق التفرقة ، لقد كانوا ضد سكان البلد الاصليين ومع المهاجر الغريب . لقد قلت في سياق اعترافي انني قابلت حبيب حسب طلبي ، وقد قابلني مع شخص شعرت من لهجته بانه فلسطيني مقيم في مصر . ان هذا الشخص ليس مـــن الاستخبارات المصرية ، ولكنه ، حسب ما اعتقدت في ذلك الوقت ، وفي تلك الساعة ، انه رجل يستطيع ان يشاركني في قسم كبير من آرائي .

ان هدف تنظيمي لم يكن ليمس سيادة دولة اسرائيل ، ولكن ضمن هذه الحدود ، ومـــن خلال هذا النضال المشترك كنت انا ــ والذين سيجيئون من بعدي ــ وعنـــدما يحين الوقت سنعمل ما اردنا الا وهو ثورة اجتماعية ــ وهذا كان سيأخذ منا وقتا كثيرا جدا حتى نصل اليه . وعندما اقول : « عندما يحين الوقت » لا أعني غدا او بعد غد . ان الشكل النهائي لتنظيمي لم يكتمل . قبل كل شيء نحن عشرون شخصا او مئة شخص لا نستطيع ان نجرب اسقاط حكم او قلب نظام حكم .

من قبل ، كان هذا الشيء أصعب بكثير من ان يجرؤ شخص في مثل ظروفنا ان يفكر به

كان هذا الشيء بعيدا جدا عن التفكير ، او حتى ان يسمح اي انسان لخياله ان يتصور انه يمكن ان يحصل غدا او بعد غد او بعد عشر سنين .

ان هذا الشيء وهو قلب الحكم واقامة حكم من طبقة العمال والفلاحين يستغرق وقتا كثيرا من التهيئة الفكرية ، والتنظيم ، ودرس المشاكل ، وكل هذه الاشياء . ورغم كل هذا فنحن نقول ونعترف اننا لا نستطيع اسقاط هذا الحكم الذي يمثل طبقة الحاكم ـ الطبقة البرجوازية ـ طبقة الذي يمثل الصهيونية ، نحن لا نستطيع ان نغير هذا الحكم او ان نسقطه الا بالقوة . انا اعترف بذلك ملء فمي . وعندما فكرت بالعمل ضمن حدود تنظيمي ، لم افكر بمساعدة العدو ، ولم افكر بمساعدة اي عدو كان ضد اسرائيل . وفي ارتباطي مع حبيب قهوجي ، أنا وهو بصفتنا اعضاء في هذا التنظيم الذي هو تنظيم اقليمي محض وبصفتنا شركاء في هذا التنظيم تبادلت معه الآراء ، واذا سلمته اي شيء فلم اسلمه سوى معلومات عن الاعضاء في التنظيم وعن التنظيم ذاته .

وانا لم اسلم له اية معلومات تمس أمن الدولة او تساعد اعداء الدولة او تساعد العدو . وخلال وجودي في سوريا ، زرت دمشق ، ولم يكن لي اي اتصال مع اي شخص ذي صفة رسمية .

ان اهم اتصال لي كان مع حبيب قهوجي ومع اشخاص اخرين غير مرتبطين بالسلطة حسب ما فهمت من آرائهم وانهم فلسطينيون حسب ما تأكد لي جيدا من لهجتهم العربية الفلسطينية .

انني استغرب اعتقال حبيب قهوجي عند اندلاع حرب الايام الستة ، لا اعرف التهمة الموجهة اليه ، بل التهمة المزعومة بان له ارتباطات مع الاستخبارات المصرية . انني استغرب ، كيف تطلق السلطات بعد عام سراحه مع انها تقول انها تملك مستمسكات ضده . بودي ان اذكر واشير هنا ان زيارتي له في ١٩٦٩ كانت على اساس انه لا يعتبر رجلا خطرا في نظر السلطات ، ذلك انه لم يقدم الى المحاكمة ، الامر الذي دفعني للاعتقاد بانه من الممكن والمسموح اجراء اتصال مع هذا الرجل ، والاستمرار بتنمية زمالتي وعلاقتي معه .

عند الساعة الحادية عشرة والنصف قدمت مجموعة من عناصر الاستخبارات « الشين بيت » برفقة شرطي واحد يدعى مئير ياشي ، واخذت تفتش منزلي ، وبعد ذلك بساعة واحدة اعتقلت حيث اعتليت سيارة برفقة الشرطي والسائق توجهت بي الى مكان ما لم اتمكن من معرفته الا بعد مضي وقت على اعتقالي . وصلت الى المعتقل بعد ٤٥ دقيقة وهناك ادخلوني غرفة معزولة ، استطعت ان أنام فيها ساعة واحدة ، وفي الساعة الثانية والنصف ليلا ايقظني المحققون فجأة . لقد كان النعاس يداهمني لانني لم أذق طعم النوم خلال ٤٨ ساعة بسبب كثرة المشاكل التي كنت اواجهها .

داهمني المحققون بهذا السؤال : اين ابنتك عايدة الان ؟ عايدة هي ابنتي البكر ، وهي غالية على نفسي ، ان ما افتقرت اليه في هذه الحياة اردت ان اصل واياه اليه . ان ابنتي عايدة الفتاة العربية الوحيدة والاولى التي قبلت في معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) في حيفا ، حيث درست ثلاثة اعوام موضوع الهندسة الكيمائية . والان يجيء المحققون ليسألونني عن اعز ما املك . اين ابنتك عايدة ؟ انني اعلم ان ابنتي تتلقى دراستها في جامعة استانبول في تركيا . ان واقع طرح السؤال بهذا الشكل اثار في نفسي الشكوك حول مصيرها . فلربما حدث لها مكروه على يد رجال الشين بيت . فسئلت : أين هي ؟ قلت لهم انها في تركيا ، بيد انهم قالوا لي لا . قلت لهم انها في تركيا ، وسألتهم اين هي ، هل هي موجودة هنا ؟ قالوا لي « احزر » . اذا اردت ان لا يمسها مكروه وان لا يتحدث معها احد لتستمر في دراستها في تركيا فما عليك الا ان تحدثنا حول

قضيتك بالتفصيل وحول ما جرى معك . في تلك اللحظات كنت اريد ان اكون مطمئنا عن وضع ابنتي عائدة ، هل هي بخير ام لا . قال المحققون : ان باستطاعتنا عمل كل شيء، لان ذلك امرا سهلا بالنسبة لنا ، فنحن مرتبطون مع السلطات التركية بعلاقات حسنة للغاية ، وباستطاعتنا الاتصال مع السلطات التركية لابلاغها باننا سحبنا الجنسية الاسرائيلية عن هذه الشابة ، لانها تقوم عندكم بنشاط سري ، فيقومون باعتقالها ، وأنت تدرك سلوك السلطات التركية وتصرفاتها الوحشية . انهم يعرفون كم اعز ابنتي عايدة فهي بالنسبة لي عالمي الذي اريده . قالوا لي : اذا اردت ان لا يحدث لابنتك مكروه فما عليك الا ان تروي لنا ما جرى ، وبذلك نضمن لك سلامة ابنتك ومواصلة دراستها في تركيا . لم أكن انا الذي طلبت من المحققين اتفاقا كهذا . منذ اليوم الاول بل الدقيقة الاولى من التحقيق ، اثاروا موضوع ابنتي عايدة واستغلوها في جميع المناسبات في التحقيق ، استغلوها عندما وجدوا صعوبة في ارغامي على التفوه بامور ليست قائمة حول زملائي ورجال اخرين .

قال لي المحققون انك تراسل ابنتك عايدة ، لتقوم هي بدور تحريرها الى الاستخبارات السورية والمصرية . قلت : نعم انني اراسل ابنتي عايدة ، وليس الاستخبارات سواء منها المصرية او السورية . بل حبيب قهوجي الذي كنت اراسله واكتب اليه حول المشاكل التي اواجهها في التنظيم ، كما وكان يكتب الي حول مشاكله هو الاخر في التنظيم، ومشاكله مع اصدقائه الذين يعيشون معه في البلدان العربية .

اثناء اتصالاتي مع حبيب ، كنت اجهل ان يكون له ارتباط مع الاستخبارات السورية ، ولا زلت حتى الان متأكدا من انه لا ينتمي الى اية استخبارات ، ومن هنا فانني لم ارسل معلومات الى أية استخبارات . ليس هدفي ، او هدف تنظيمي ، المس في أمن الدولة .

خلال استجوابي وجدت نفسي مضطرا لاستخدام المصطلحات التي يستخدمها المحققون، لانهم ارادوا ان اقول : منظمة تخريب ومواد تخريب واستخبارات . واذا ورد على لساني اسم شخص مصري ، كانوا يهتمون باضافة صفة عليه دون علمي . لم يقرأوا الاستجواب الذي اخذوه مني ، كانوا يضيفون في افادتي مصطلحات وتعابير مثل : استخبارات سورية او استخبارات مصرية ، او مواد متفجرة ومنظمات تخريب .

كان التنظيم يسعى الى الثورة الاشتراكية واقامة النظام الاشتراكي ولم يدر بخلدي ولو للحظة واحدة انه يمكن الوصول الى هذا الهدف بواسطة قتل اناس او التعرض للمواطنين . بل اعتقد ان الطريق للوصول الى هذا الهدف يأتي فقط عن طريق تجريد العدو الطبقي من سلاحه وسلبه امكانية الاستمرار في حربه ، كما وانني لم افكر بانه ينبغي على ان اكون البادىء في حرب من اجل هذا الهدف ، انني لا اعتقد بانه من الممكن بهذا العدد البسيط البدء في ذلك . واذا كان لدينا عدد اكبر فاننا نبدأ فقط اذا اصبحنا في وضع لا نستطيع فيه تحمل اساليب القمع والاستغلال التي يتبعها النظام . هذا ما اعتقدته ولا زلت اعتقده حتى اليوم .

بالرغم من كوني مواطنا اسرائيليا فانني اعتبر نفسي عربيا فلسطينيا وجزءا لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني الذي يعتبر جزءا من هذه الامة الكبيرة ، الامة العربية ، ومع ذلك فان نظرتي هي نظرة أممية ولا أجد أية حواجز بيني وبين رفاقي اليهود ، انني اؤمن ان من واجبي كعربي ، واؤمن ايضا انه من واجب رفاقي اليهود كيهود ، من أجل مصلحة شعبهم ، ان نعمل جميعا جنبا الى جنب في الطريق الطويل . وان هنالك مكانا للشعب اليهودي ، بل ومن الضروري ان يساهم في هذا الهدف ، للحيلولة دون حروب أخرى وسفك مزيد من الدماء، ومنع العناصر الاجنبية من التدخل في سياستنا وشؤوننا . انني لا أكن الكراهية لاي شعب ، لا للشعب اليهودي ولا للافغاني ، ولا للفرنسي ، الا

اذا كان هذا الفرنسي ، بالرغم من انه يؤمن بنفس الديانة التي أؤمن بها ، يجيء الى هذه البلاد بنفس الشكل الذي سلكته الصهيونية ، فانني أعارضه .

ان تاريخ شعب هذه البلاد ، اثبت ان مقاومة الشعب العربي للمستوطنين الذين يأتون رغما عنه ، لم تكن من خلال نظرة عنصرية او شوفينية ، بل من خلال منطق مقاومة الاحتلال والسلطة الاجنبية .

(٢) افـادة اودي اديف

انني أعتبر نفسي شيوعيا ، صاحب فلسفة حياة ماركسية لينينية ، وعندما اقول فلسفة حياة ، فانني أقصد النظرة الى التاريخ ، وبموجب هذه الفلسفة فان التاريخ ليس مجموعة عشوائية من الاحداث تتكرر دونما نظام أو أسلوب بل هو مسيرة ذات بداية واتجاه مسيرة مليئة بالتناقضات والمفارقات التي تخلق أحيانا انطباعا بأن لا قانون يحكمها وليس ثمة شيء ما يتخطاها بينما هي مسيرة تحكمها قوانين معينة تكتسب الاحداث ضمن اطارها معناها ووجهتها . وهذا التطور التاريخي (بموجب السطر الاول في البيان الشيوعي) ليس الا تاريخ حرب الطبقات ومنذ المرحلة التاريخية التي أصبح الانسان فيها قادرا على حيازة ممتلكات وبشكل خاص طعاما وجدت الفروقات بين الطبقات وعندما حوّل صاحب الاملاك ابن القبيلة الاخرى الذي اعتاد سابقا أن يقتله الى عبد لديه ، وفي هذه المرحلة تماما نجحت ضرورة قيام نظام حكم يحمي أصحاب الاملاك من عبيدهم الذين لا أملاك لهم (ويمكن الافتراض ان مثل هذا التطور قد حدث في تاريخنا عندما طلب ابناء اسرائيل من شموئيل أن يتوج ملكا عليهم) ومنذ ذلك الوقت وحتى الان تفسر كل الحروب وكل الثورات الكبرى ، جميعا على هذا الاساس ، صراع الطبقة المضطهدة ضد مضطهديها ، وفي مرحلتنا أصبحت الطبقة المتسلطة طبقة عالمية تتخطى اطار الدول مركزها في الولايات المتحدة الاميركية واسمها الاستعمار . ان الاستعمار من الناحية الاقتصادية نظام معقد لا مجال لشرحه هنا بل انني أيضا لا أدعي فهمه حتى النهاية ولكنه في الاساس نظام جمع رأسمالا كبيرا على مدى مئات السنين ويستعبد بواسطته جميع اجزاء العالم الاخرى .

ويقوم الاستعباد على مبدأ هدم الاقتصاد التقليدي المحلي وادخال البلد في اطار سوق منتوجاته ، وهي عملية تمت في القرن الماضي ومطلع القرن العشرين عن طريق الاحتلال العسكري واحياء الاستعمار الجديد بمساعدة حكومات الدمى (التي تضطر ، نتيجة لضغط الجماهير أن تتحول الى نظم ديكتاتورية أكثر فأكثر) . ان جوهر علاقات الولايات المتحدة واوروبا الغربية مع دول افريقيا وآسيا واميركا الجنوبية هو اخراج المواد الخام بسعر رخيص ثم بيعها كمنتجات صناعية جاهزة بسعر غال مع الحرص الدائم على الا تنجح اية دولة في الوصول الى وضع تصبح فيه مؤهلة بمفردها لاستغلال كنوزها الطبيعية والافلات بذلك من اطار وصيغة استغلالها من قبل الاستعمار.

كل ذلك كان صحيحا حتى الثورة الروسية حين تحررت دولة او الاصح نصف قارة لاول مرة من علاقات الاضطهاد هذه . وأقصد بذلك ان طبقة العمال في روسيا استولت على السلطة وحاولت لاول مرة في التاريخ أن تقيم نظاما لا يكون كله اضطهاد للاغلبية العاملة من قبل الاقلية صاحبة الاملاك بل على العكس نظاما يدافع عن الاغلبية ، العمال والفلاحين ، ضد الزعماء الحاكمين في العالم بأسره والذين اتفقوا معا على العمل

لاسقاطه (وجدير بالذكر ان هذا ليس الا تفسيرا شعبيا بعيدا عن الادعاء بأنه تحليل علمي دقيق للثورة الروسية) .

لكن الناحية الاقتصادية ، تقدم تفسيرا فقط وتصف الاساس أي اطار النظام الذي هو في النهاية نظام انساني . ولكي نفهم ونستوعب المعنى الكامل للاستعمار ، يجب ان نلقي نظرة على قيمة الانسان في هذا النظام ولا أعتقد بأنه سيصعب عليّ تصوير ذلك . ها أنا أرى الحقائق الواضحة التالية ماثلة أمام عيني : الظلم ، المقاساة من التمييز العنصري، ملايين الناس المقتولين من ابناء البشرية من جانب ومن الجانب الاخر أقلية صغيرة صاحبة امتيازات هي المسؤولة عن الوضعية التي يقاسي منها اولئك الملايين . ولا بد من ان أضيف هنا المقولة التي تظل صحيحة على المستوى العالمي وان كانت ليست بذات المقدار من الوضوح في اوروبا حيث يتم توزيع بشكل اكثر تساويا ولكن هذا لا يغير الصورة العامة لوضعية الانسان داخل هذا النظام ، هذه هي الخلفية العامة للموضوع المسمى الصهيونية — دولة اسرائيل — الثورة الاشتراكية .

ان الحركة الصهيونية منذ بداية نشوئها وأعني بها الصهيونية السياسية التي أسسها هرتسل والتي رأت في الامبريالية التي كانت أوروبه آنذاك حاميتها وراعيتها ، ليست حركة تحرير قومية للشعب اليهودي كما يحاولون تصويرها وانما هي ترتيب مع المضطهد (بكسر الهاء) يصبح الشعب اليهودي بموجبه محاربا مرتزقا وشرطيا لحساب راعيه في كل انحاء العالم الثالث . وكما قال هرتسل ، كان الهدف اقامة مستعمرة اوروبية في آسيا ، مستعمرة تحمي مصالح اوروبه . ومن الواضح ان تاريخ الحركة الصهيونية يعزز وجهة النظر هذه . في البداية كانت تركيا والمانيا هي الراعية للصهيونية ومن ثم حلت محلها انكلترا . وبالطبع لم تكن الامور بهذه البساطة. أقصد بذلك انه من الصعب القول ان الصهيونية كانت وما تزال مجرد أداة في أيدي القوى الكبرى الامبريالية حيث انه كان وما زالت لها مصالحها الخاصة . وكانت خدمة مصلحة الاستعمار في المنطقة وراء الرغبة في قيامها . ومن المهم ان نشدد هنا على الفرق الكبير القائم بين الصهيونية السياسية الهرتسلية ، ومتمميها ، وايزمن ، بن غوريون وبين كل حركات حب صهيون وعلى سبيل المثال حركة « احاد هعام » ، وهي التي رضعت من مصادر اخرى تماما . ان فكرة احاد هعام عن صهيون كمركز روحي كمكان لهجرة* ثقافية من الشعب اليهودي ، كطريق لاعادة ايمانه بنفسه ولتجديد حياته ليس فيها ما هو مرفوض ، وكل علاقة بينها وبين الصهيونية السياسية هي محض صدفة ، وهكذا كانت العلاقات فعلا كما هو معروف بين احاد هعام وهرتسل .

ولاثبات الموضوعة المذكورة اعلاه ، الارتباط بين الصهيونية والاستعمار ، قد يكون من الضروري أن نورد هنا تاريخ الحركة الصهيونية في فلسطين في الـ ٧٠ سنة الاخيرة . ولكن لا أنوي القيام بذلك حاليا وانما سأكتفي هنا بذكر عدد من المؤشرات الهامة :

أولا : وعد بلفور ، تصريح من الدولة الاستعمارية الاولى في العالم يتضمن حقيقة التبني. تعترف بريطانيا انها تنظر بعين الرضى الى الحركة الصهيونية وتنوي دعمها .

ثانيا : الارهاب العربي في فترة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ المسمى في قاموس المصطلحات الصهيونية « أحداث الـ ٣٦ » . تمرد جزء كبير من السكان العرب في فلسطين ضد الاستعمار البريطاني ولكي يقمعه البريطانيون حشدوا عددا من الفرق العسكرية وهي قوة كبيرة بالمقاييس التي كان متعارفا عليها ، وما كان معروفا باسم السكان اليهود تم تجنيده لقمع هذا التمرد (أنظر كتاب « شبيتاي طبيت » ، موشى دايان) .

ثالثا : حرب ١٩٤٨ ، مؤامرة بريطانية صهيونية اشترك فيها الملك عبدالله لتقسيم الدولة

---

* الكلمة العبرية التي تعني « هجرة » هي ذاتها التي تعني « حج » وقد يكون المقصود المعنى الثاني للكلمة.

الفلسطينية التي كان من المفروض قيامها مع خـروج البريطانيين في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ .

وجدير بالملاحظة ان تسلم حزب العمال للسلطة بعد الحرب العالمية الثانية للمرة الاولى أدى الى جعل الزعامة الصهيونية على مدى فترة قصيرة جدا تتخذ خطا معاديا لبريطانيا ولكن هذا الوضع كان استثنائيا ومخالفا لطابع العلاقات الذي ساد دوما بين الزعامة الصهيونية وبين بريطانيا ــ وحتى هذا الخلاف سوي بعد وقت قصير . ولاعطاء فكرة عن تناقض وجهات النظر بين الصهيونية وبريطانيا فانه شبيه الى حد بعيد مع ما هو قائم (أو كان قائما) بين المستوطنين الفرنسيين في الجزائر وبين باريس ، وحيث كانت الصهيونية ، كما هو الوضع حاليا مع الولايات المتحدة تحاول أن تقنع بريطانيا بما هو أفضل بالنسبة لها (بريطانيا) .

رابعا : عملية سيناء ، ربما كانت هي التعبير الاوضح ، والاقل اثارة للاختلاف من كل الاحداث التي أشرت اليها عن التماثل بين الزعامة الصهيونية والاستعمار وتضامنها معـه .

خامسا : حرب الايام الستة والفترة التي تلتها حددتا نهائيا موقع دولة اسرائيل كقلعة للاستعمار في هذه المنطقة .

ان جميع هذه المؤشرات تشرح السياسة فقط اي الارتباطات والاطـار الذي عملت الحركة الصهيونية ضمنه ولا تزال . لكن الذنب الاساسي الذي ارتكبته هو عملية سلب الشعب العربي الفلسطيني الذي سكن هذه الارض . وما أقصده هنا ليس كل تلك الحكايات عن شراء وبيع الاراضي حتى سنة ١٩٤٨ رغم أن جرائم ليست قليلة نفذت في هذا المجال أيضا . انني أقصد عملية السلب الكبرى العظيمة في حرب ١٩٤٨ والتي تمثلت في سلب مئات الالاف من البشر ( ) أيا كانت ضحية السلب ( ) مدنا كاملة ، مئات القرى ، ملايين الدونمات الزراعية ، كلها أفرغت من سكانها ببساطة وسهولة. هذا هو بخطوط عامة ، تاريخ دولة اسرائيل ولقد رافقت هذه الاعمال نقاشات حادة بين الاطراف المختلفة في الصهيونية ، التي تستطيع ان تثبت نوايا اخرى (نوايا) أفضل ، مثلا عند « هشومير هتسعير » (الحارس الشاب) . لكن كل هذه (النوايا) ظلت مجرد نوايا حسنة . وكما هو معروف فان الطريق الى جهنم مفروس بالنوايا الحسنة .

وربما كان بالامكان تبرير الصهيونية لو انها على الاقل مثلت حلا للشعب اليهودي . وبالنسبة لي كيهودي ، يكفي هذا التفسير لمعارضة هـذه الحركة أو تأييدها لكـن الصهيونية كأيديولوجية ، ليس فقط لا تحل مشكلة اليهود بل انها تجعلها أكثر خطورة . وسيكون من غير الضروري ان نستعرض الحيثيات المضادة للصهيونية سواء جاءت من اليمين او من اليسار ، من المتدينين او غير المتدينين . وربما اود ان اذكر حيثية واحدة متجسدة في أناس من أمثال مئير كهانا* الذين يدعون ان ينتظر يهود اميركا ــ الولايات المتحدة ــ كارثة على غرار الكارثة النازية ولذلك فان عليهم أن يتركوا « أن يهربوا » الى الدولة الملجأ ــ دولة اسرائيل . ولو كانت وجهة النظر هذه خاصة فقط بكهانا ، كان يمكن ان نفهم ، ولكن ان يتقبل جمهور كبير مثل المؤتمر اليهودي ويدعم الموضوعة التي تقول بأن الولايات المتحدة سترغب في ابادة يهودها وتدعم دولة الملجأ التي سيهربون اليها في الوقت ذاته ، مثل هؤلاء ، في الحركة الصهيونيـة أناس ساذجون الى حـد اعتقادهم بأن دولة اسرائيل تستطيع الصمود ليوم واحد دون دعم الولايات المتحدة . ان هذه سخافة مفضوحة . لكن الاساس ليس الايديولوجية التي لم تكن في يوم من الايام مقنعة وهي اليوم أقل اقتناعا ، وانما المهم العمل الصهيوني . واذا كان الوضع غير

* رئيس رابطة الدفاع اليهودية ، يميني عنصري معروف .

واضح أبدا لليهود المقيمين في اسرائيل قبل حرب الايام الستة ، فانه أصبح بعدها واضحا تماما . فقد حولت الصهيونية ، او ، لزيادة الدقة ، الزعامة الصهيونية ، اليهود في دولة اسرائيل الكبرى الى شعب من الاسياد وفق النمط الكلاسيكي ، ومع كل العلامات الفارقة للاستعمار الاستيطاني والاضطهاد الاوروبي ضد شعوب العالم الثالث . كل ذلك بدعم رأس المال الاميركي والسلاح الاميركي .

لقد قدمت المناطق المحتلة حديثا والممتدة على مساحة تزيد كذا ضعف عن المساحة السابقة ، والتي يستوطنها ما يزيد عن المليون عربي ، للاقتصاد الاسرائيلي أيد عاملة عربية من ناحية ، وقدمت من الناحية الثانية سوقا كبيرة للمنتجات . ويتم كل ذلك في ظل حكم عسكري يمنع عن هؤلاء المواطنين كل امكانية لمقاومة هذا الوضع او رفضه . ولكن الحقائق الجافة ، كالعادة ، لا تكفي للوصول الى فهم دقيق للوضع بل يمكن التوصل لمثل هذا الفهم من خلال نظرتنا الى قضية اللاجئين في غزة . في سنة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، طردتهم الصهيونية من المجدل على سبيل المثال ، وحولتهم الى معدمين يسكنون في أكواخ لا تليق حتى بالحيوانات . واليوم ، وبعد عشرين سنة ، جاءت (الصهيونية) لاتمام المهمة ، لاستخدامهم كعبيد لاقتصادها . وعندما يتجاسرون لرفع رؤوسهم للمعارضة ، يدخلون لهم حرس الحدود والجرافات وينكلون بهم . ان حكومة اسرائيل تعرض اليهود أمام أعين العرب في المناطق القديمة (المحتلة سابقا) والجديدة ، وفي الشرق العربي بكامله ، على انهم محتلون « أصحاب عمل »* ومضطهدون (بكسر الهاء). ان هذا الوضع يخلق هوة من الكراهية تتعمق وتتسع مع كل يوم يمر ، اذ انه من الواضح تماما ماذا سيكون عليه رد أولئك العرب — اللاجئين في غزة على كل ما يعاملون به : قتل اليهود . وهذا هو بالضبط ما يحاولون القيام به . وحكومة اسرائيل ترد عليهم باللغة الوحيدة التي لديها « قوة جيش الدفاع الاسرائيلي الرادعة » ، وهي طبعا التي تجعل مقاومة الجانب العربي أكثر حدة ، وهكذا الى ما لا نهاية .

ان الدرس الذي تعلمته من تاريخ صراع المضطهدين (بفتح الهاء) من أجل التحرير ، هو انه ليس هناك اي نظام حكم أو دولة صمدت زمنا طويلا في هذا الوضع . كل الامبراطوريات الكبيرة ، التي كان يبدو انها ستصمد بقوة حرابها الى الابد قد اختفت ، نزلت من على مسرح التاريخ . وأنا كشيوعي مقتنع بذلك دون أدنى شك . ان صراع المضطهدين (بفتح الهاء) عادل وسينتصر في نهاية المطاف . وفي ذلك اليوم ، وربما قبل ذلك بكثير ، اذا لم يتغير شيء في الوسط اليهودي في اسرائيل ، فسيكون مصير اليهود هنا سيئا ومريرا . انهم سيضطرون الى دفع ثمن غال جدا لاعمالهم ، بل حتى لسكوتهم في حال كونهم غير مشاركين عمليا في كل أعمال الصهيونية . ان وعي هذا الواقع الاعوج يجعل من الصعب التسليم به (أو الجلوس بهدوء) .

ومن المهم التأكيد انه ليس صدفة ان كل نشاطي السياسي ، وليس نشاطي أنا فقط ، قد أصبح مكثفا الى درجة كبيرة بعد حرب الايام الستة ، حيث نشأ وضع دولة محتلة ، وضع يضيف مع كل يوم يمر حقائق لا نهاية لها تعزز آرائي . وكما ذكرت ان نظرتي (فلسفتي) الى الصهيونية ، هي جزء من نظرتي الى العالم بشكل عام ، وحرب الايام الستة لم تغير ولم تحدد شيئا بشكل أساسي .

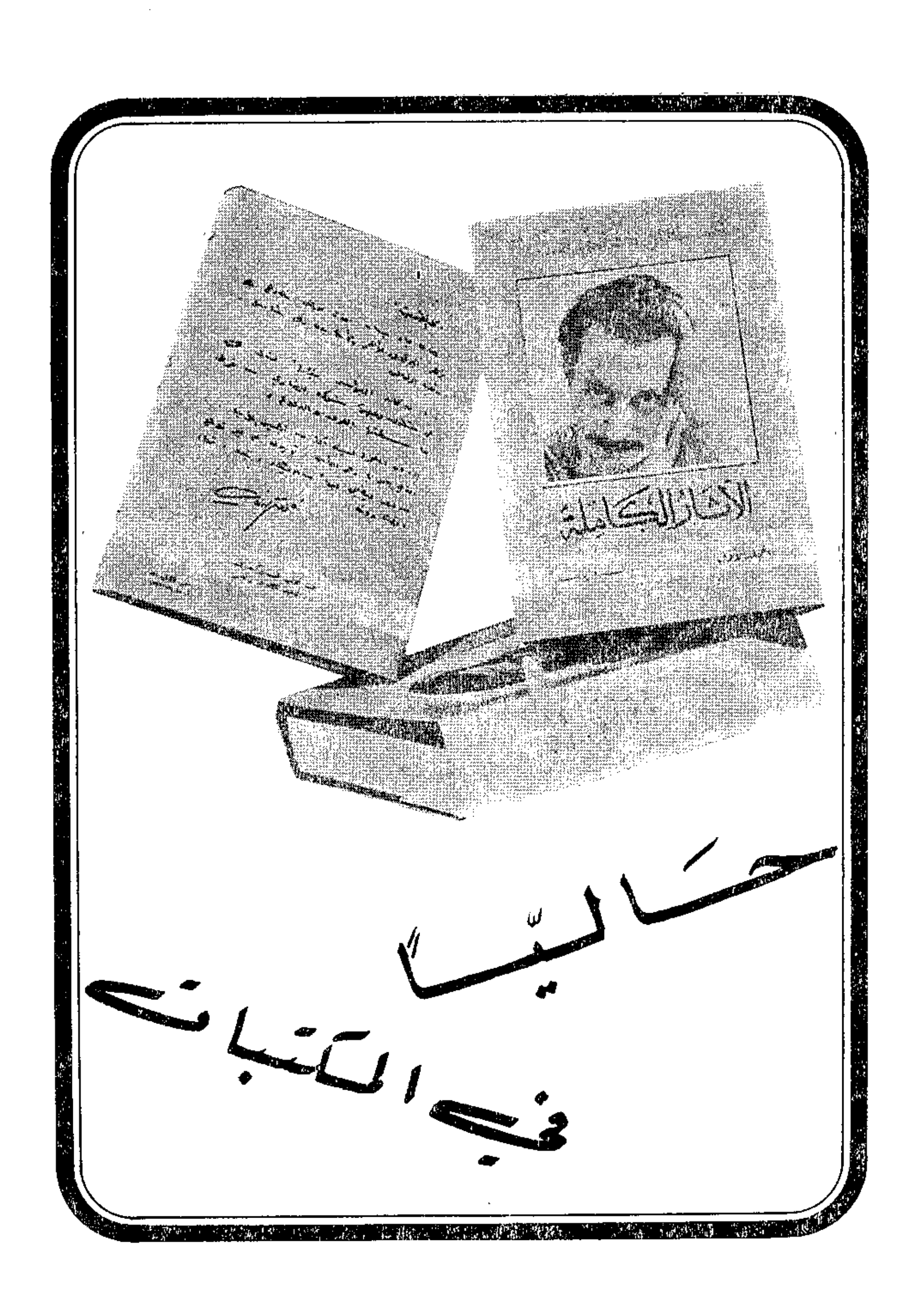
ما العمل ؟ كرد على هذا السؤال وضع لينين كتابا كاملا تقريبا ، أما أنا فسأحاول الاكتفاء بأقل من ذلك . الشيء الاول : ماذا تقترح الاحزاب أن يعمل ، وماذا تقترح المنظمات الشيوعية في اسرائيل ، راكاح — الحزب الشيوعي المؤيد للاتحاد السوفياتي ، وهو وفي للخط الروسي في التعايش السلمي ، ويسلم ، بل حتى يؤيد دولة اسرائيل الـ ٤

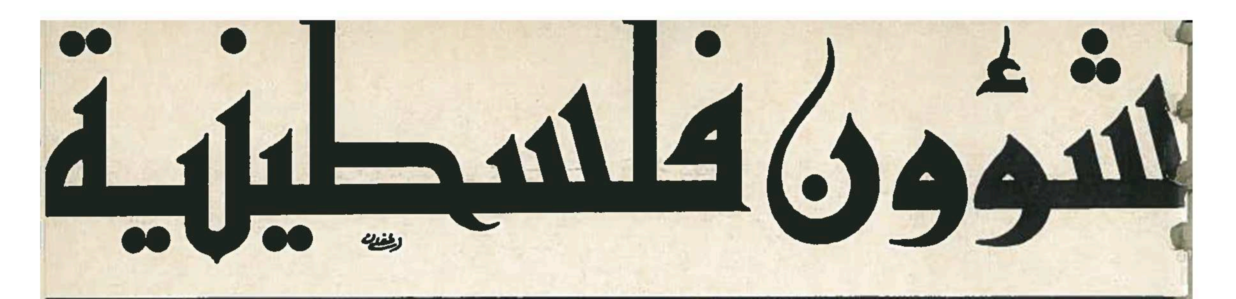
---

* ربما كان المقصود « مستعبدون » (بكسر الباء) .

حزيران (يونيو) . انها تتجاهل تماما المشكلة الفلسطينية ــ الصهيونية التي هي في اساس كل الصراع الشرق أوسطي ، أي انها ترى مشكلة الشعب العربي الفلسطيني كمشكلة أقلية مضطهدة في دولة اسرائيل ، ومهمتها هي تبني نضاله العادل للمساواة في الحقوق . ان هذه (النظرة) لا تحل المشكلة ، انما هي تحاول جعلها أكثر صعوبة للهضم ، ونوع دعايتها أيضا هو انه سيكون من الافضل لاسرائيل أن تقبل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وان تكون حيادية في الصراع بين الكتل ، وما شابه ذلك ، الامر الذي يدل على عدم فهم مطلق ، أو تجاهل واع لطبيعة الحــركة الصهيونية وكان بامكــان الصهيونية ودولة اسرائيل ان تختارا لنفسيهما طريقا آخر ، معادية للاستعمار . وبشكل عام يمكن القول عن نظرة راكاح انها ، كما ذكرنا ، انعكاس لنظرة البيروقراطية الحاكمة في الاتحاد السوفياتي ، التي يئست من قدرة الجماهير المضطهدة في بقية العالم على القيام بما قام به عمالهم وجنودهم قبل ٥٦ سنة ، اي القيام بثورة اشتراكية ، وهذه نظرة لا شيوعية ولا ماركسية ، لا أقبلها بالطبع . ماتسبين ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، بكل تياراتها ، هي صاحبة نظرية ، ايديولوجية صحيحة ، لكنها تفتقر تماما الى فصل « ما العمل » للوصول الى ذلك الشرق اوسط المتعدد القوميات ، الاشتراكي ، الذي تتحدث عنه ، وجميعهم في نشاطهم السياسي يقصرون كلامهم على دولة اسرائيل اليهودية وحدها . أي انهم يشغلون أنفسهم باقناع اليهود ، ويتجاهلون تماما النضال العربي ، وخصوصا ، النضال العربي الفلسطيني ضد الصهيونية ودولة اسرائيل . ان دلالة هذا التجاهل كبيرة ، اذ ينتج عنه نوعان من النضال ضد السلطة : أولهما : « ليس عن طريق القوة » كما يقول زعماء ماتسبن ، وهذا لا يؤدي الا الى كلام فقط . وثانيهما ، وهو الخاص بالعرب ، عمل غير نظيف وعنيف ودموي ، ولا أثر فيه للكلمة او الايديولوجية . ان هذا الوضع ، أبقى المشكلة ، من جديد ، بدون حل ، أي انه لم يقلص حتى الهوة القائمة بين اليهود والعرب في هذه البلاد، ولقد بقيت كل مسببات انعدام الثقة والشكوك والكراهية من جانب العرب ، قائمة حتى بالنسبة الى اليسار اليهودي .

ان هذا الوضع الاعوج يجب تغييره ، وهذا ما حاولت ان أفعله ، بالتهيئة للنضال ضد دولة اسرائيل وهو ذلك الذي كان حتى الان بمثابة حرب من جانب العرب ضد اليهود ، ونضال للمضطهدين ضد مضطهديهم ، في الوقت الذي يقف فيه كل من العرب واليهود على جانبي المتراس ، وتحويله من نضال قومي الى نضال طبقي ، وهذا يمكن عمله فقط بأن يقوم يهود ويثبتون للعرب الذين يحاربون الصهيونية منذ عشرات السنين ، بأنهم (أي اليهود) يقفون الى جانبهم ، ومستعدون أن يضحوا بكل ما لديهم ، وان يتعرضوا « للمعاملة » ذاتها وأن يقتسموا واياهم كل الامور ، دون أي تمييز أو أفضلية لكونهم يهودا . وبدون ذلك لن يثق أي عربي بصدق ثورية أكثر ثوري يهودي استقامة . وان أية ايديولوجية ، ولو كانت الاكثر مساواة وتقدمية ، لن تستطيع أن تقنع العرب ما لم يرافقها عمل من قبل اولئك الذين يحملونها . ان التنظيم الذي كنت عضوا فيه أصدر عددا من النشرات شرحت أهدافه وبرنامجه . وبما ان حلفاءنا في صراعنا هم المنظمات الماركسية اللينينية في المنطقة ، فقد حاولت وسأحاول طالما استطعت ذلك أن أتصل بهم من أجل خلق جبهة عمل مشتركة . ان موقفي من الكفاح المسلح هو موقف ايجابي ، طالما كان يعمل على دفع الثورة ، اي عملية تحرير الجماهير الى الامام، وبشكل ملموس، فان المقصود هو تنظيم يضم بعض مئات من الاشخاص ، ويعمل بشكل شرعي ، اي عن طريق الصحف والمنشورات والدعاية ، وبشكل غير شرعي ، اي عن طريق الجناح العسكري للتنظيم ، الذي يعمل من أجل تحقيق كل ما ذكر أعلاه .


الآثار الكاملة
حالياً
في المكتبات



٢١

ايار (مايو) ١٩٧٣

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

زقم ٢١ | ايار (مايو) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢½ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

صور الغلاف : شهداء الثورة الفلسطينية : ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان .

المحتويـــات

الثورة مستمرة

هذه الصفحات ليست رثاء .

فالانسان يرثي الاموات . ونحن ليس لدينا أموات . بل لدينا ثلاثة رفاق ، رفاق كبار ، موجودون معنا ، وسيظلون معنا ، ما دامت ثورتنا موجودة وباقية ومستمرة .

انهم باقون أبدا ، معنا ، يسيرون في نفس المسيرة ، ويشاركون في الجهاد حتى النصر .

أبو يوسف موجود وباق ، يحمل مشاكل شعبه ويكرس نفسه لثورته ، ولا يتعب ولا يتخاذل ولا يهدأ .

كمال العدوان موجود وباق ، يناقش ويصحح ويوجه ويحذر ويخطط ، بحيوية لا تضعف وديناميكية لا تنفد .

كمال ناصر موجود وباق ، يكتب ويخطب ويوفق ويؤاخي ، قلم لا ينضب لانه يعبر عن قلب دافق بالايمان والحب .

انهم معنا لانهم فينا . وسيظلون معنا لانهم سيظلون فينا .

لذلك نحن لا نرثيهم . ولا نبكيهم . ولا نلبس السواد . ولا نتقبل التعازي .

لكننا نتذكر . ولكننا نتعلم . ولكننا نحاول أن نقتدي . ونحاول أن نتمم الرسالة ونواصل السعي .

شؤون فلسطينية

فلنشدد ضرباتنا ...

ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية
والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية

كم هي حارة متفجرة دماؤهم لكي تفعل كل ذلك ؟ كم هي سخية معطاء لتتوزع على كل تلك الجماهير من المحيط الى الخليج ، فتسري في شرايينها ، فتجدد دماءها ، فتعطيها نفحة الامل والقوة ، وتشدد من عزيمتها واصرارها على مواصلة العطاء . هل يفعل الموت العظيم كل ذلك النصر العظيم . بلى وأكثر . ففي الاستشهاد ، تماما كما في الحياة ، كان أبو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان رموزا لعظمة شعبنا ، عظمة تضحياته وعظمة انتصاراته . وبظل من هذه العظمة المزدوجة صنع القادة الابطال النصر لثورتهم ولجماهيرها التي خرجت وهي تودعهم لتعلن تجديد بيعتها للثورة ومزيد التحامها بها والتفافها من حولها ، ولتكرس الى الابد من وحي تضحية الابطال المنتصرة أن دماءها ، دماء هذه الجماهير ، هي التي ستسدد الدين للقادة الذين استشهدوا ، وان اجسادها ، أجساد هذه الجماهير ، هي السقف الذي تستظل به الثورة وكل انجازاتها الرائعة .

ذلك هو المعنى الكبير لاستشهاد الاخوة رفاق الدرب الثلاثة: التضحية المنتصرة التي تكبت في القلب تفجرات الحزن وتبريح الالم. وهو المعنى الذي يرفعنا فوق الحزن وفوق الالم على جلال الحزن والالم . ان الانتصار حتى في الموت هو اجلى الحقائق التي تمخضت عنها مسيرتنا التي شارك في ارساء اسسها الاولى الاخوة رفاق الدرب . ومن وحي هذه الحقيقة كان تفجير الثورة في مطلع العام ١٩٦٥ ردا على الضعف والاستخذاء ، وكان استئنافها وتجديدها في آب ١٩٦٧ رفضا للسقوط والهزيمة . لقد ادركت ثورتنا منذ البداية ان قوتها تكمن في التحامها بالجماهير العربية التي احتضنتها بالفعل لانها كانت في الحقيقة تعبيرا عن مشيئتها . فوحدت الثورة ذاتها مع الجماهير

وجاهدت لان تكون في الوقت نفسه بؤرة استقطاب لقواها بحيث تعبر الواحدة من خلال الأخرى عن طموحاتها واهدافها .

وفي اثناء هذا التفاعل لم تكن القوى المعادية بغافلة عما يجري في الساحة العربية . فلاول مرة، منذ زمن طويل، تشهد هذه الساحة مثل هذا الالتقاء الوثيق العرى بين الطلائع المقاتلة والجماهير العريضة على اهداف واضحة وضمن استراتيجية معروفة الابعاد محددة الخطى . وكان هذا الالتقاء الامثل يعني تهديدا حقيقيا وجذريا للقوى المعادية المثلثة الوجوه : الصهيونية وركيزتها اسرائيل ، الاستعمار ومصالحه في المنطقة ، القوى المحلية العميلة التي ربطت مصالحها بمصالح الاستعمار . وكانت هذه القوى مجتمعة تعي ان استمرار الثورة وتصاعدها وشمولها والتحام الجماهير بها وما يمثل ذلك كله من حالة ثورية شاملة ومتقدمة على امتداد الوطن العربي، يعني تصفية للمصالح الاستعمارية في الوطن العربي ووضع حد لنهب خيراته واستغلاله ، كما يعني استحالة تمرير المشاريع الاميركية — الاسرائيلية — العميلة الهادفة الى اعادة ترتيب الخارطة السياسية في المنطقة العربية بحيث تضمن هذه الخارطة العتيدة تركيع الامة العربية واستسلامها وضرب قوى التحرر فيها لمصلحة العدو المثلث الوجوه وضمان سيطرته ونفوذه .

وفي سبيل المحافظة على المصالح الاستعمارية في المنطقة ، من أجل ان يظل النفط يتدفق في شرايين مستغلي أمتنا ومضطهديها ، من أجل ان تظل الاسواق العربية واجهة استهلاكية لمنتوجات السوق الرأسمالية الدولية ، من اجل ان يظل عمالنا يبيعون جهدهم وعرقهم لتجار هذه السوق وصناعييها بابخس الاثمان ، من اجل تمرير الحلول التصفوية الاستسلامية ولكي تظل اسرائيل حامية لكل هذه المصالح كان لا بد من ان يرافق ازدياد قوة الثورة تصعيد في شراسة الهجمة عليها وعلى جماهيرها العربية والفلسطينية على حد سواء بعد ان توحدت ذات الثورة مع ذات الجماهير . وتوزعت القوى المعادية الادوار فيما بينها ضمن مخطط واسع يستهدف الوجود الثوري نفسه من جهة وارادة الجماهير النضالية من جهة ثانية . وقد اندفعت القوى العميلة في هذا الشوط الى اقصى ما تستطيع ، وكانت الهجمة الشرسة التي قام بها النظام الهاشمي على قواتنا في الاردن حضيض ما انحطت اليه هذه القوى التي تآمرت على أنبل ظاهرة انجبها تاريخ العرب المعاصر .

كما نهجت هذه القوى المعادية منهجا راهنت طويلا على نجاحه عندما سعت جاهدة الى تفكيك عرى التلاحم بين الثورة وجماهيرها العربية. فقام النظام الهاشمي من جانبه بخلق النعرات الاقليمية وتغذيتها بين شعبنا العربي الفلسطيني الاردني الواحد ، كما عمدت اسرائيل على جبهة أخرى وضمن المخطط نفسه الى توجيه ضرباتها الى قرى الجنوب اللبناني بهدف استعداء جماهيرنا هناك على الثورة ومن ثم حرمانها من قواعدها البشرية المتينة .

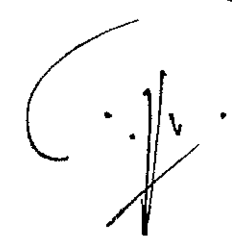
وعندما فشل هدف اسرائيل في ذلك وظلت جماهيرنا في جنوبنا اللبناني درع الثورة وقاعدتها ، صعدت القوى المعادية من شراسة هجمتها ، فكانت العملية الاخيرة في قلب بيروت مزدوجة الهدف : تصفية بعض قادة الثورة ضمن مخطط تصفية الوجود الثوري نفسه ماديا ، وضرب العمق اللبناني لخلق حالة من التناقض بين مصالح الشعب والثورة . غير أن مراهنة القوى المعادية على نجاح هذين الهدفين كانت مراهنة خاسرة . فدماء ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان ورفاقهم من الشهداء الابطال من فلسطينيين ولبنانيين انسكبت لتخصب تربة اللقاء والتلاحم بين الثورة وجماهيرها العربية ، كما ان ضرب العمق اللبناني حفز كرامة جماهيرنا العربية في لبنان ووضعها بشكل حاسم في مواجهة صدامية مع العدو الذي وضحت من خلال هذه العملية صورته المثلثة الوجوه بعد ان اشارت جميع الدلائل الى ان تنفيذ العملية تم على أيدي القوات الاسرائيلية بمساعدة من الامبريالية الاميركية وعملائها . وبوضع جماهيرنا العربية في مثل هذه المواجهة الصدامية الحاسمة التي عمدت بالدم اللبناني في تلك الليلة حقق ابو يوسف وكمال عدوان وكمال ناصر باستشهادهم انتصارا اخر اضافوه بشرف ونبل الى انتصارات مسيرتنا المظفرة التي اثبت تاريخها وواقعها ان موت الرجال فيها هو قوة لها وتأجيج لعنفوانها وشموخها .

ان الالم بفقد الاخوة الثلاثة كان فاجعا . فابو يوسف كان متميزا بين الرجال ، ابو يوسف الرجل الذي كان يخفي خلف مرونته تصلبا في الحق وتمسكا بالمبدأ قل له نظير ، ابو يوسف سيظل بين الثوار بسلوكيته الصادقة وبتصلبه في الحق ، بعفويته الثورية النقية التي هي تعبير عن عفوية شعبنا وصدقه ، وسيظل الثوار من شعبنا يحملون ابو يوسف بقلوبهم ومع بنادقهم . وكمال ناصر ، ضمير

الثورة ، الرجـل الذي احب الجميع من ثوارنـا واحبه الجميع من ثوارنا ، سيظل رمزا كبيرا للنضال من أجل وحدة هؤلاء الثوار التي قاتـل الضمير من أجل الوصول اليها ، بأنبل دوافـع الحب للثورة وأظهر الحوافز لتماسكها ووحدتهـا . وكمال عدوان ، رجل المهمات الدقيقة ، الحاد بذهنية ذات رؤيـة واضحة تدرك ابعـاد العنـف ومدلولاته ونتائجه ، والذي كان وجوده في كل مهمة عهدت اليه كثيفا ممتلئا . كمال عدوان ، مع استشهاده ، سيظل معنا بكل الوجـود الكثيف الممتلىء الحاضر دوما ، وبكل العنف الثوري الهادف الذي كان كمال احد فرسانه .

الالـم فـاجع ، غير أن عظمـة الثـورة ، اي ثـورة ، وجدارتها في الحياة هي في قدرتهـا على تجـاوز آلامهـا والارتقاء فـوق جراحها . وعلى الرغم من ثخانة الجرح الـذي خلفه فقدان رفـاق الدرب فلن نجهر بحزننا . فلقد ادركنـا منذ الليلة التي التقت فيها بنادقنا لاول مرة واطلقنا فيها الرصاصة الاولى اننا جيل الاضاحي ، جيل الاجساد الممدودة جسورا ليعبر من فوقها العائدون المحررون . غير أن عزاءنا هو في وعينا لحقيقة شعبنا المعطاء السخي برجاله . ذلك هو العزاء الحقيقي الا انه مع كل هذا فان دماء رجالنا ليست رخيصة علينا . ان المسببين ــ كل المسببين ــ سيدفعون نزفا في مواردهم البشرية، نزفا في مصالحهم الاقتصادية ، نزفا في مؤسساتهم نفسها مهما كان شراسة هـذه المؤسسات : احتلالا استيطانيا في ارضنا المغتصبة أم مصالح استعمارية تنهب ثروات امتنا في وطننا الكبير .

فلنشدد ضرباتنا في قلب فلسطين المحتلة وليبـدأ نضال جماهيرنـا العربية في كـل مكان ضد ركائز الاستعمـار في المنطقة . هذا هو الشعار ، وهذا هو الرد . ووعدا منا للرجال الذين استشهدوا وهم واقفون : سنكمل المسيرة التي من اجلها استشهدوا ، فالبندقية التي رفعت مرة لن تنخفض مطلقا ، وثورة حتى النصر .



ابو يوسف ... رمز جيل كامل

خالد الحسن

شهيدنا أبو يوسف

كل كتابة عنه ستكون ناقصة ، لان قضيته لم تكتمل بعد .

ذلك أن أبو يوسف ، لم يكن في حياته وفي التزامه مجرد شخص اختار طريق النضال والثورة ، بل كان الى جانب ذلك نموذجا بارزا لجيل فلسطيني كامل . ومن خلال تمثيله لهذا الجيل ، ومن خلال تعبيره عنه ، اكتسب قيمته كمناضل وقائد .

في عام ١٩٤٨ شارك في القتال ضد اغتصاب فلسطين ، وخرج من مشاركته تلك ببتر في يده ، حمله علامة لا تزول تذكره بقضيته وبالثمن الذي تستحقه . وحين وقف عام ١٩٦٥ بين تلك الحفنة المجهولة من الرجال التي اعلنت انبثاق الثورة الفلسطينية وحددت لها هدف التحرير الكامل كان أبو يوسف نموذج التواصل في النضال . ولم يكن بذلك يمثل نفسه ، انما كان يمثل جيله بأكمله . هذا الجيل الذي لم يخذله ، فلبى الدعوة حتى أصبحت احدى أقوى حقائق التحدي في المنطقة .

قبل ذلك ، واجه أبو يوسف مثل جيله بأكمله ، التشرد والجوع والفقر . وحين حملته احدى السفن الى سوريا قادما من مخيمات غزة كان بالكاد يملك ما يقيم أوده . ومن خلال نقطة الصفر التي كان عليها انطلق يواجه مشاق الحياة ، واستطاع بجهده وكفاءته أن يبني لنفسه حياة خاصة مريحة تغري اي انسان بالركون للراحة والهدوء . ولكنه أيضا مثل جيله بأكمله ، تخلى بسرعة وبوعي كامل عن كل ما بناه أثناء تلك السنين وقرر الالتحاق بالثورة . وأبرز بقراره هذا حنين الفلسطيني للارض واصراره على النضال من اجل العودة اليها . أثبت أكثر من ذلك ، ان ما خطط لاستيعاب الفلسطيني وتذويبه في مدن العالم ومشاريعه يتهاوى بلحظة واحدة يلوح فيها بريق العمل من أجل فلسطين .

وحين دخل عالم القيادة ، ظهرت من خلال أسلوبه في العمل ميزات تراثه النضالي ، فهو لم يكن ذلك النموذج المتطرف من الرجال . ولم يكن ذلك النموذج المرن من الرجال . كان مزيجا من التطرف والمرونة ، من الصراحة المطلقة والصمت ، من الايجاز في الحديث والممارسة المستمرة . وبهذه الروحية ، وبهذا الاسلوب، كان يعالج كل مشاكل المسيرة،

سواء داخل الاطار التنظيمي او في مهماته السياسية . وبقدر ما كان الكثيرون ينزعجون من صراحته ، كان الجميع يحبونه ويقدرونه ، لانهم كانوا يعرفون في النهاية اي رجل صريح ، أي رجل صلب ، اي رجل مرن ، هذا الذي يتعاملون معه .

وقد استشهد أبو يوسف وتركنا فجأة . ولكنها ليست مفاجأة على الاطلاق أن يستشهد أبو يوسف ، فالذي يعيش حياته كلها مناضلا تكون الشهادة نصب عينيه دائما . وحين تأتي ، تأتي كجزء من العمل . تأتي كرمز لهذا العمل ، تماما مثل الرمز الذي حمله معه منذ أن هاجر بعيدا عن الوطن . كل ما فعله أبو يوسف أنه أكمل الرمز حتى النهاية . أكمل حلقة الحياة التي بدأها وهو شاب . وهو بهذا يبتعد قليلا عن جيله . يبتعد خطوة الى الامام ، يطل فيها ويراقب المسيرة . وطالما ان هذه المسيرة ماضية في طريقهـا ، سيظل هناك ما يكتب عنها . ومتى تكتمل المسيرة ، ستبقى كل كتابة عن أبو يوسف ناقصة . لان قضيته هي قضية المسيرة ، هي قضية الجيل الذي يصنع المسيرة ، وهي قضية لم تكتمل بعد .

كمال عدوان رجل في ثورة وثورة في انسان

فاروق قدومي (ابو اللطف)

لقيته لاول مرة قبل اربعة عشر عاما في مدينة الدمام بالسعودية وكان كلانا يعمل في شؤون البترول . كان رجلا نحيل القامة تبدو في نظراته علائم الذكاء والفطنة وكان شابا في مقتبل عمره سريع الحركة والاشارة . فاذا تكلم تخرج كلماته كالحمم من بركان ثائر، وكالقنابل الزمنية تنفجر عند حدود فمه .

كان كمال شابا في مقتبل العمر جاء الى السعودية ليتدرب في حقل اختصاصه . التقينا معه كما التقينا مع رفاق اخرين ، جمعتنا الثورة وضمتنا الحركة في اطارها .

ومرت السنوات الطويلة لنلتقي مرة اخرى في عمان حيث جاء كمال ليتفرغ بشكل نهائي للعمل النضالي مكرسا كل وقته وجهده للثورة وشؤونها . فلا عجب فقد كان طاقة وطنية متقدة تحتاج لمثلها الثورة .

تسلم كمال مكتب الاعلام فكان مسؤولا دؤوبا في عمله دائم البحث والتنقيب عن كل طاقة ثورية خيرة ليحشدها في هذا المكتب المتواضع واستطاع ان يستقطب الداني والقاصي من الصحفيين ورواد الكلمة من العرب والاجانب وكان يجالس الكثير منهم ويتحدث الى البعض وينقل كل افكاره وتصوراته عارية من الرتوش وأساليب المجاملة ، فاذا أحس بأن هناك من يحاول ان يحتال على الخبر او يزيف الكلمة انطلق كمال يرشقه بجمل طاحنة لا تجعل لمحدثه مجالا للهروب او التهرب . كانت الحقيقة بارزة في كلمته والفكرة واضحة في حديثه . فلا مكان للمجاملات على حساب الثورة او المبادىء.وكم من الناس من غضب لصراحته او لكلمة حق يقولها . ولكنه لا يخشى لومة لائم ويقيم الدنيا ويقعدها بحجة ثاقبة ورأي حصيف اذا دافع عن قضية او مسألة .

لقد كان في كمال عدوان من صدق الثائر وجرأته ما يعجز الواقع عن تحمله فيثير فيه بكلماته وأعماله موجات متلاحقة من التأزم فيجعل هذا الواقع قلقا مستنفرا يبحث عن الحقيقة بكل ما فيها من مرارة وعن الخلاص بكل ما فيه من تضحيات .

كان كمال عدوان صورة من صور الحياة النابضة بالوطنية والطموح الخلاق يرنو الى العلا في كل مجال من مجالاته ويتقن فن الثورة ويحفظ دروسها عن ظهر قلب ويلقنها

الناس . لقد كان تلميذا واستاذا في آن واحد وكان قمة في التحدي والتجاوز البناء . لقد عظم الكلمة في فكره وعقيدته وأجل العمل في نضاله وكفاحه اليومي ، واجتاح أرض الثورة بنظره الثاقب فكان فارسا يجيد السباق في كل ميدان من ميادين العمل والمعرفة الوطنية . كان كمال صاحب حجة قوية وعقل منظم وذهن وقاد تتدافع الافكار في رأسه كأمواج البحر تتلاطم بعنف لتعود مرة اخرى الى الاعماق في حركة مد وجزر واعيـة مستمرة لا تنقطع أبدا .

كان كمال بعيدا عن المجاملة في صداقته وصحبته فاذا غبت عنه وعدت اليه تراه هو هو بسجيته وطبيعته لا يعطيك اكثر مما تستحق ولا يأخذ منك الا ما يرى انه في وسعك أن تعطيـــه .

وفي عمان رفعت الثورة شعارها « أيها الرفاق اصعدوا الى الجبل » ، فكان أول مـــن لبى النداء فقام بتنفيذ الامر وتحقيق الشعار واصبح اعلام الثورة يصدر من جبـــال السلط ومن كهوفها .

لقد اخرج جريدة «فتح» واشرف على ادارتها وعبأ لها الكوادر والكفاءات فكانت واسعة الانتشار توزع عشرات الالاف من النسخ في ساعات قليلة . وكانت تتلقفها ايدي الناس بسرعة مذهلة . وكثيرا ما كان كمال يكتب الافتتاحية بقلم ساخر منتقدا اوضاعا خاطئة او نظاما عربيا متخاذلا فكانت كلماته لاذعة قارصة تجلد الخطيئة في مهدها بأسواط الحق وتكشف الانحرافات بوضع الحقائق عارية تحت نور الشمس . لــم تكن للاعــراف الدبلوماسية حظ وفير في حديث كمال ومقالاته فاذا دافع عن رأي كان دفاعه صلبا عنيدا فيه حدة وفروسية ويندفع الى الامام بجرأة وشجاعة يخوض المعارك غير هياب ولا وجل ولكن اذا صدرت له التعليمات وقف عند حده وكان خير من التزم بها وأول من نفذهـــا بدقة واخلاص .

كان مشروع روجرز بداية الانفجار في نفسه وخاض نتيجة ذلك حربا ضروسا ضد كـــل الخصوم وفي كل اتجاه حتى فقدنا احدى وسائل اعلامنا الكبرى ، فارتد يبحث عن كـــل وسيلة محلية يستخدمها ويطورها ليسد كل عجز في وسائل اعلامه وامكاناته المتوفرة . وكنت أراه يتحرك بسرعة مذهلة يبحث وينقب عن دروب جديدة في العمـــل والكفاح .

وفي أيلول كان كمال جنديا مقاتلا شرسا في قتاله وقد عاش في عمان بعد احداث ايلول مع كل الرفاق وعانى ما عاناه اخوته من غدر الحكم الهاشمي وخيانته ، وانتقل بعدها الى جرش ودبين يعمل وينظم ويقود في ايمان وثقة لا تتزعزع . وخرج الى دمشق وبيروت ليعيد بناء الاعلام من جديد وكانت الصحف الصفراء تكيل التهم لقادة الثورة . فحاربها وتغلب عليها بقلمه الجارح وبالحقيقة الناصعة ولم تنل منه هذه التهم ولم تثنه عن عزمه بل زادته ايمانا بنفسه وثورته وقدرته على التغيير والتبديل .

كان كمال يكره التراجع والتردد ويندفع كالسهم يخترق الاجواء ويشد قـافلة الثورة الى الامـام .

وكان يتمنى لو استشهدت القيادة لتبقى الثورة في عمان . فالجماهير كفيلة بخلق قيادة جديدة لها .

كان رحمه الله يكره الهزيمة ولا يعرف الاستسلام ويتمنى لو يصبح قنبلة زمنية تنفجر كل يوم وتصيب اعداءه . وفي الاشهر الاخيرة من حياته اشرف كمال على المسيرة النضالية داخل ارضنا المحتلة فكان قائدا فذا في ارادته وصائبا في خططه . وقد تسلم بالاضافة الى مهامه الاساسية مسؤوليات اخرى ، كان يتولاها بطيبة خاطر دون تذمر وينجزها في حينها او قبيل الاوان .

لقد كان كمال مثلا في الالتزام والطاعة وقدوة في العمل والتنظيم وخلية حية متفجرة من خلايا الثورة وكان سيد نفسه في كل موقف لا يمل ولا يكل ، يعطي ولا يبخل حتى كـان عطاؤه الاخير ، فجاد بروحه ودمه في أنصع صورة من صور العطاء .

رحم الله كمال عدوان فقد كان رجلا في ثورة وثورة في انسان .

كمال ناصر ... والثورة مستمرة

صلاح خلف (ابو اياد)

من الصعب ان أرثي الشهيد بالكلمة وهو الذي قال « لقد فقدت الكلمة محتواها » ومن الصعب ان أرثيه بالدمع الساخن لان مآقينا جفت منذ حملنا البندقية ... وأصعب من الرثاء ان اكتب عنه بموضوعية تامة لانني أفقد موضوعيتي عند الحديث عن كمال الصديق والرفيق ... خاصة وان نفسي تبعثرت بفقده وتمزقت من الطريقة التي تمت بها عملية الغدر والاغتيال هذا فضلا عن استشهاد رفيقين الى جانبه من أعز الرفاق مزق استشهادهم بقايا الحزن في نفوسنا وافئدتنا ... ولكنني رغم كل الاسى والالم والتمزق والبعثرة ما زلت أعيش الحوار المستمر الذي كان يدور في هدأة الليل بيني وبين الشهيد كمال ناصر حول الثورة والقضية وما زال هذا الجانب من الحوار لا تشمله حالة البعثرة النفسية التي أعيشها لانه جانب مشرق بالحقائق الدائمة ومضيء بالحسم الذي لا يمكن للموت ان يمحوه او يؤثر في جوهره .

ولا يمكنني في هذه العجالة ان إكشف كل افكار الحوار المفتوح الذي كان يدور بيننا ولكن أهم القضايا التي كنا نتطرق اليها وتأخذ وقتا طويلا من احاديث الليل كانت تكشف الايمان العجيب الذي يعمر قلب الشهيد بالثورة وقدرتها على تخطي ازماتها الذاتية ومجابهة كافة المؤامرات التي تحاك ضدها... هذا الايمان الذي كان دوما يتناول الازمات ويحللها من الجوانب الايجابية مبددا كل سلبياتها بتفاؤل الثوار في وقت يكون فيه التفاؤل ضربا من الجنون كما يكون الايمان مأساة المؤمنين الصادقين .

وبهذه المعادلة البسيطة الايمان والتفاؤل كان يحاكم كافة القضايا المطروحة في الساحة رغم شراسة الظروف وخطورة الوضع ولا يعني هذا انه كان يبسط الامور ولا يحاكمها محاكمة موضوعية فلقد كنا نلجأ اليه في كافة القضايا الهامة نستطلع رأيه فيها ورؤيته لابعادها فنخالفه او نتفق معه ولكن رأيه في محصلته كان يشكل بالنسبة لنا القرار الحاسم وقلما كان يخطيء في التقييم او يتجاوز الاسس . ولم يكن الشهيد مستشارا في الثورة تعرض عليه القضايا ليؤخذ رأيه فيها بل كانت كثير من قضايا الثورة الهامة تعرض من قبله ويؤخذ رأيه وتحليله العلمي والعملي كأساس لاية خطة للمجابهة او التصدي او تشكيل القرار . وكان الشهيد لا يكتفي بعرض وجهة نظره وانما كان يقاتل من أجلها بشجاعة نادرة غير آبه بما يقوله الاصدقاء والاعداء على السواء وكم خاض

المعارك تلو المعارك من أجل مبادئه وافكاره وآرائه في قضايا الثورة الاساسيـــــة والفرعية ... ولعل أهم هذه المعارك التي خاضها واستشهد وهو يصب من قلبه دما من أجلها هي قضية الوحدة الوطنية بين فصائل الثورة فقد كان له رأي محدد في هذا المجال لم يهتز ايمانه به الى آخر لحظة في حياته فقد كان يرى « ان القضية الفلسطينية ولدت من جديد من خلال الثورة والكفاح المسلح وان من حق الذين يموتون ويقاتلون ان يقودوا المرحلة وبالتالي فعلى كل حملة البنادق والملتزمين بخط المقاتلين ان يتوحدوا في جبهة واحدة وعلى أرضية واحدة » ورغم كل الخطوات الوحدوية التي خطتها لقاءات المجلس الوطني الفلسطيني الاخير الا انها كانت دون مستوى طموح الشهيد « لن ينتهي الحديث عن الوحدة الوطنية الفلسطينية الا باقامة التنظيم الثوري الموحد ولن ينتهـــي النضال الدؤوب من أجل تحقيق وحدة أداة الثورة الفلسطينية الا بخلق التنظيم الثوري الموحد »... هذه كانت آخر نبضات قلبه عن الوحدة الوطنية وايمانه الذي لا يتزعزع بها وكم دفع ثمن هذا الايمان المطلق بهذه القضية عند الكثيرين الذين لم يكونوا يستوعبون مزايا وبعد نظر الشهيد حيث كانت تكال له التهم جزافا عن تجيير معنى الوحدة لصالح هذا التنظيم او ذاك وأشهد كانسان عاصر كل مراحل النضال من اجل الوحدة الوطنية ان كمال ناصر كان متحيزا للثورة الفلسطينية نشيده الكبير وتنظيمه الكبير واشهد كم كان يتمزق وهو يرى العصبية التنظيمية تضع القناع على العيون لتحجب عنها مخاطر التشرذم والفرقة ولكنه رغم كل معاناته الحقيقية كان لا ييأس ولا يتوقف عن اداء دوره كرسول محبة ووفاق فلا ينقل للاطراف والفصائل الا الصورة المشرقة والكلمة الطيبة التي تفتح القلوب وكان يختزن في اعماقه كل الصور المحزنة المؤسفة والمواقف المنفعلة والمتشنجة من هذا الطرف او ذاك حتى تكاد نبضات قلبه تقف من كثرة معاناته وصبره ومثابرته وعندما كنت أثور عليه وأتساءل مشفقا عليه ألم تتعب من هذا الدور يـــا ضمير ...؟؟ كانت اجابته الدائمة « أنا لست على هذه الساحة النضالية بالصدفة فأنتم لا تعرفون قيمة ثورتكم كما أعرفها أنا بحسي الناري أرى ان قضية الوحدة هي قضية عمري وسأناضل من أجلها وستنتصر ارادة الوحدة رغم كل المعوقين والحاقدين ... »

وكنت دائما رغم حبي له أتلذذ بتعذيبه بهذا الحوار حول دوره في الثورة وقضاياها لان الثورة كانت حبه الكبير الذي أعطاه عصارة أفكاره وعاطفته وله في حبه ما لكل المحبين من عذابات وجراحات حتى كان الحسم في كافة قضـــاياه الشخصية وجوانب حياته الخاصة عندما يصل الامر الى الخيار بين الثورة وحياته الحضارية كما كان يحلو له ان يسميها وكما ان المحبين تعصر الغيرة قلوبهم كان شهيدنا كمال يغار على الثورة من الحاقدين عليها باسم النقد خاصة اولئكم الذين كانوا يضعون الاخطاء الى جانب الخطايا حيث كان يرى الثورة بكل سلبياتها اشرف مـــا في الساحة العربية لانها تقاتل ولانهـــا نقطة الدم الساخن الذي ينزف بالكبرياء والكرامة ولانها شرف هذه الامة الذي لم يساوم ونبض عزتها الذي لم ينحن واكثر ما كنت اراه غاضبا ساخطا عندما كان يسمع ان زعيما

غريبا يتشدق من فوق المنابر بكلمات النقد والتجريح بالثورة وكان يصرخ من ألمه مجروحا « هؤلاء لا يحق لهم ان ينتقدوا لان انتقاداتهم من موقع التربص وليس من موقع التفهم لواقعنا والالتزام بخطنا » .

ونفس الغضب والثورة الجامحة كانت تلازمه عندما يقرأ ما يكتب على الجرائد او في الكتب من نقد للثورة من بعض المثقفين الذين يصبون أحقادهم على الثورة من خلال « الجمل الثورية » التي يرددونها دون وعي لظروف المرحلة ولما يجب ان يقال ومتى يجب أن يقال حيث كان يصفهم بالمثقفين المترفين الذين لم يمارسوا النضال ممارسة يومية من موقع الالتزام الثوري والمعاناة الحقيقية لظروف الثورة وقضاياها . . . فيضعون انفسهم من حيث يريدون او لا يريدون ومن حيث يشعرون او لا يشعرون ضمن جوقة الحرب النفسية التي تشنها الدوائر الامبريالية والصهيونيين على الثورة الفلسطينية . . . لقد كانت الغيرة على الثورة تتعدى هذه المواقف وتتجاوزها وكان ايمانه ينطلق بلا حدود الى حتمية انتصار الانسان العربي على الهجمة الامبريالية الصهيونية الشرسة لان الثورة الفلسطينية كانت بالنسبة له طليعة تفجر مناخ النضال وتعمق ارادة القتال والرفض لدى الجماهير العربية ومن ثم تستطيع هذه الجماهير من خلال ثورتها العارمة ان تمد يدها الى كل القوى الصديقة والمعسكر الاشتراكي وكافة قوى التحرر في العالم من أجل العدالة والحرية والسلام ومن أجل ان ينتصر الانسان المضطهد والمعذب في كل انحاء الارض .

هذه كانت خطوط الرسالة التي حملها الشهيد كمال ناصر وكان ايمانه بحتمية الانتصار العربي ينبع من ثقته بالجماهير التي لا يمكن ان تقبل بعار الهزيمة ولان حركة التاريخ مع الجماهير وخطها السياسي الواضح المؤمن بحرب الشعب الطويلة المدى ولان طليعة هذه الجماهير هم ثوار فلسطين الذين يقاتلون ويصنعون تاريخ أمتهم بتضحيــــاتهم وبصلابتهم كان يرى الشهيد ان الثورة الفلسطينية مستمرة ومنتصرة لانها في اتجاه التاريخ الذي لا يخطيء الطريق ولا ينحرف عن اتجاهه السليم مهما تكالبت قوى الشر للانحراف به عن مجراه .

وكما بدأت الحديث اجدني مشدودا في نهايته الى بدايته الصعبة وما ذلك الا لضعفي امام كمال الصديق والرفيق فهو بالنسبة لي كما لغيري كتاب كبير تناولته فجأة ريح عاتية مجرمة فمزقت صفحاته ونشرتها في كل اتجاه فكيف يستطيع الصديق والرفيق ان يجمع هذه الصفحات وهو يعيش حالة الذهول والضياع من خلال الصدمة ولكنني رغم الضياع والحزن والحيرة أجدني مضطرا لان اكرر نفسي وأقول :

لقد فقدت الثورة الفلسطينية والعربية رجلا شجاعا لان الشجاعة في معناها الحقيقي الالتزام بخط الثورة في المحنة والرخاء وكذلك كان كمال ناصر . . .

وفقدت الثورة رجلا مفكرا صاحب كلمة شجاعة وهادئة وعاقلة وثورية في نفس الوقت وقيمة الكلمة ان تكون كذلك في مرحلة خطيرة تمر بها الثورة ...

وفقدت الثورة انسانا كان يتعذب بصمت دون ان يجعل الاخرين يحسون بهذه المعاناة القاسية كان بين الحين والحين يتجسس مواقع الخطر فيتحدث ولكن بدون ألم وينذر ولكن بلا ضجيج ويحذر ولكن بالتزام كامل ... والانسان الكبير وحده هو الذي يستطيع ان يجترح هذه المعجزة فيصمت عن احزانه ليبدو ايمانه أكبر من جراحاته وليبدو تفاؤله أقوى من واقع آلامه ومعاناته ... والخسارة هنا في كمال لا تعني المدلول المادي للكلمة بقدر ما تشير الى عمق الفراغ الذي سيخلفه غيابه الابدي عنا ...

ولن يحس بهذا الفراغ القاسي الا اولئك الذين عاشوا مع كمال في أحلك الظروف وأقساها والذين كان يسكب في قلوبهم من حنانه واشراقة محياه ما يجعلهم ينسون أحزانهم . وأخيرا ، لقد قتلوك ثم صلبوك وكأنهم يريدون ان ينذروا كل الاديان هذا مصير الفكر والعقيدة ولكنهم ما دروا ان دمك الغالي جعل المسلمين مسيحيين وجعل المسيحيين مسلمين فصلوا عليك في المسجد وصلوا على رفيقيك ابو يوسف وكمال عدوان في الكنيسة ... نعم اغتالوك واغتالوا معك أعز الرفاق وأعظم الرجال وأحب الاخوة والمناضلين ولكنهم لم ولن يغتالوا القضية التي قضيت ورفاقك من أجلها . .

لقد تركتنا يا كمال أنت ورفاقك لنكتب فيكم الرثاء ونحن نعيش أدق وأخطر مراحل القضية ولكن عزاءنا اننا سنظل على العهد وعلى نفس الطريق واصرار على نفس الخط ثورة مستمرة لن نخون او ننحني او نستسلم وسيظل نضالنا من اجل مبادئكم أكبر من الالم واقوى من الجرح نصارع الاحزان ونحن نردد كلماتك يا كمال :

« أما القيادات فتتغير وأما الاشخاص فسيزولون وتبقى القضية أكبر من القيادات والاشخاص ولا بد ان يذوب الجزء في الكل وان يذوب الكل في الثورة قبل ان تسقط الثورة الاجزاء التي لا تستحق الحياة » .

كمال ناصر ... شاعر في ورشة الثورة

الدكتور كلوفيس مقصود

يبدو أن العدو سبقنا بتقييم أهمية كمال ناصر في حياته حتى أخذنا الآن ندرك حقيقة عظمته بعد استشهاده . فالعدو أدرك أن كمال ناصر كان انسانا بمنتهى الخطورة . لقد أدرك انه وان لم يكن في الجهاز القتالي المباشر للثورة الفلسطينية الا أنه كان عاملا رئيسيا في جعل القتال محببا للجماهير،وهذا عنى ان بقاءه سيكون من العوامل المساعدة على ديمومة الجماهير في استعدادها ورغبتها أن تمد الثورة بالمزيد من المقاتلين . كما ان كمال ناصر كان خطرا لأنه في طليعة من ساهموا في تأمين احتضان شعبي واسع ومكثف لفكر المقاومة وممارساتها ، وبالتالي ساهم بشكل رئيسي في دحر المحاولات المتكررة التي لجأ اليها العدو وحلفاؤه بغية عزل المقاومة عن قطاعات الشعب الفلسطيني .

كان كمال ناصر محاورا وملتزما . كان الحوار بالنسبة له تأكيدا للالتزام وقدرة في جعل ما يلتزمه جزءا من قناعات العالم . كان يؤمن بالحوار من أجل اقناع الغير بعدالة وصوابية قضيته بالاضافة الى اعتباره أسلوبا جدليا يثري الالتزام ويطوره . فالالتزام العاجز عن التحاور يصاب حتما بالجمود ويتقوقع في حالة من الترهل والتزمت .

ادرك العدو ايضا ان دور كمال ناصر في كونه شاعرا في ورشة الثورة ، من شأنه أن يرسخ في وجدان الجماهير ديمومة الثورة وحتميتها . وحيث أن الملتزم الذي يعمل في ورشة الثورة يمارس ويفعل وهو عارف مدى ما باستطاعته انجازه مرحليا ، والشاعر في الثورة — أو حتى شاعر الثورة — يسجل أحلام الثورة والثوار فتكون أبياته تعبيرا عن معاناة أو اعلانا عن تأملات مستقبلية ، لكن الشاعر في ورشة الثورة مثلما كان كمال ناصر فهو الذي عنده الاستعداد والرغبة أن يضع يديه ورجليه وأظافر عقله وأسنان ضميره في **ورشة** الثورة . هكذا يدخل الحلم بالموجود فلا يعود الموجود قانعا وكافيا وينتقل المستحيل الى حيز الممكن . فيلتقي في الورشة الثائر بالشاعر في كل انسان فلا يعود الملتزم يكتفي بالممكن ولا أحد يعود يعترف بالمستحيل . كمال ناصر كان نموذجا طليعيا للملتزمين المجددين في الثورة الفلسطينية المعاصرة . من أجل هذا قتلوه لانهم اعتقدوا أنهم اذا اغتالوا النموذج تمكنوا من وقف انتشار العدوى .

كان كمال ناصر واقعيا داخل الثورة وكان بنفس الوقت ثائرا على الواقع . كان يستمد

ثورة مستمرة

من الثائرين في الثورة حيوية جددت من فعاليته في الثورة على الواقع . تصور كمال ناصر مهمته كونها ايصال الواقع الى الثورة حتى لا تنقطع الثورة عن الواقع . من خلال معرفته الدقيقة للواقع أدرك كمال ناصر كيف يصبح باستطاعة الثورة أن تغير الواقع . هنا وجد نفسه في مأزق كبير . كانت شاعريته المرهفة تفضل أن يردد انشودة الثورة فيصبح فارسا من فرسان أحلامها الا أن كمال ناصر اختار ورشة العمل يغامر بشاعريته بدلا من المغامرة في ثوريته المتأصلة في كيانه وتاريخه وسيرته . وكم بدا وكأنه مزدوج الشخصية عندما كان يحنو الى ايقاع الحان أشعاره ويتأمل مـــا يمكنه عطاءه في هذا المضمار وفي نفس الوقت يستدرك استباقا منه لهاجس الخوف الحقيقي من أن يؤدي به الحنين الى استعداد نفسي للتخلي عن الممارسة الثورية . كان مكانه الاول والاخير رغم كل الظواهر ، هو في ورشة الثورة .

لم يكن كمال ناصر هكذا في الثورة الفلسطينية المعاصرة فحسب بل كان هكذا في ورشة الثورة العربية التي عاش بكليته تعرجات وتضاريس مسيرتها المتعثرة والمنتكبة . . وكان كمال ناصر يقلق على مصير الورشة وكان يتمزق فهو قد وجد نفسه ــ ايام البعث ــ في مواقع التفكير لكنه بعيدا ومبعدا عن مواقع التقرير . . وكانت مأساته ان طلاقا حصل بين مواقع التفكير والتقرير وجسد الضياع وحالة التيه التي عاشها جيله بأمانة كاملة ، لكن في الوقت نفسه كان كمال ناصر يفتش عن طريق وعن منهاج وعن وسيلة يعيد بها بناء ورشة الثورة لان كل سلطة ، بنظره ، دون مستوى الثورة تكون فاقدة للأهلية وللشرعية. كمال ناصر أصر أن لا سلطة خارج الثورة ولا ثورة حقيقية مع سلطة مبتورة.

وجاءت هزيمة ١٩٦٧ ووجد كمال ناصر نفسه وجها لوجه مع العدو فنفذ ببصيرته الى حقيقة مراميه فترسخت قناعاته بضرورة ترميم الثورة . . وحيث كان يفتش كان يغني مآسي شعبه وطموحاته حتى شرده العدو وكان من أوائل من أخرجتهم سلطات الاحتلال واذ به ثاني يوم معركة الكرامة يجد ورشة الثورة فينخرط في صفوفها يحمل اليها تجربة خصبة وتصميما فولاذيا ــ ظنها الكثيرون نقيضا للشاعرية ــ على تجنيب ورشة الثورة الجديدة أخطاء وفواجع ورشات الثورات العربية السابقة . وكان لا بد أن يعي ويضغط على أن تكون عناصر التفكير والتقرير في موقع واحد ، وفي خندق واحد .

من أجل ذلك استبقى كمال ناصر استقلاليته التنظيمية اعتقادا منه ان باستطاعته ان يساهم في ابقاء فصائل المقاومة بأوثق وأدفأ العلاقات فيما بينها ومع الملتزمين المصدومين من هزيمة ١٩٦٧ والمؤسسات التي أوصلتنا الى الهزيمة . من هنا كان دور كمال ناصر في أن يبقى مستقلا عن تنظيم الفصائل لكنه بنفس الوقت مؤتمنا على الانضباط في وحدتها الوطنية .

كان جريئا في تصديه للتشرذم ولكل محاولات التفرد في العمل أو المبادرة . في هذا المضمار لعب دورا رئيسيا في ارساء قواعد الوحدة الوطنية ومواثيقها وجعل من دائرة الاعلام

والتوجيه القومي التي كان مسؤولا عنها في منظمة التحرير تنبض بالحيوية التي تختزنها هذه الوحدة . ولما كان مقتنعا ان لا اعلام بدون سياسة ، توجـه من خـلال تمرسه بالمسؤولية القيادية المباشرة الى جعل السياسة العامة للثورة متماسكة بحيث تحول دون طغيان أية عصبية تنظيمية أو أية تزمتات مذهبية . لذلك فان استقلاليته الملتزمة كانت بمثابة القاسم المشترك الفكري والسياسي بين الفصائل العاملة في المقاومة مما مكنه من التصرف مع كل منها وكأنه في « بيته » السياسي . هذا ما جعل من لقب « ضمير » الذي حمله لسنوات مصدقا ومقبولا على انه أكثر من مجرد لقب . واذا نحن درسنا ما عانته المقاومة من جراء غياب الوحدة الوطنية لأدركنا الاهمية التاريخية للدور الذي قام به كمال ناصر أثناء ممارساته القيادية .

من موقع كمـال ناصر في الثورة تمكن أن يوصل اعلاميا ثقـل المقاومة الـى مختلف القطاعات . فكانت افتتاحياته في « فلسطين الثورة » بمثابة توجيهات تستهدف تعميق مفاهيم الالتزام بأهداف الثورة الستراتيجية والمرحلية . كان يتعمد أن يشارك المستهدف من اعلام الثورة كل أوجه المعاناة والمراحـل التفكيرية التي أوصلتـه الى القناعات والنتائج . فلم يكن ما يقوله أو ما يكتبه هو مجرد محصلة ونتيجة التفكير النهائي للمقاومة بل اشراك القارىء والمستمع بكيفية الوصول الى هذه المحصلة أو تلك النتيجة . كانت نظرته في هذا المضمار أن القناعات تتكون من خلال اشراك الناس بخلفية النتائج المتوخاة بدلا من جعل ترديد النتائج أو السياسات معيار الولاء أو الالتزام . الاعلام بنظره لم يكن وسيلة لفرض وصاية فكرية أو سياسية بل تفتيحا لآفاق الملتزمين وجعلهم مجندين من أجل قناعات الثورة وسياساتها .

وعى كمال ناصر تعقيدات التحدي الذي تواجهه الثورة ووعى أهمية دور الاعلام في الاجابة على التحدي. أدرك أنه من الضروري بحث كل البدائل والاحتمالات ليتمكن القرار السياسي أن يكون محيطا بكل المضاعفات المرتقبة ويكون القرار بالتالي محصنا في موقفه وقادرا على الاقتحام وعلى اضاءة طريق المسيرة. من هنا الحاحه في الدرس والاستقصاء وعرض أفكاره على عدد من أصدقائه الملتزمين أو من معاونيـه في مجلس الاعلام قبل طرحها حتى عندما سجلت كلاما وأحرفا كانت بمنتهى الوضوح والنضج والشمول . وكانت أكثر من ذلك ، كانت بمثابة المواقف التي لا تستقيم ثورة بدونها .

ومع الذين جاؤوا من كل أرجاء العالم يستفسرون عن هذه الثورة التي قامت على أنقاض هزمية ، او مع الذين جاؤوا وهم مختمرون بالمسلمات الصهيونية، أو مع المراقبين الذين يريدون تجميع المعلومات دون التعرف الى معاناة الشعب الفلسطيني ، مع الذين أرادوا منه تلخيص القضية ، بخمس دقائق للتلفيزيون ، مع الكتاب والمعلقين الاجـانب من أصدقاء ومحايدين وخصوم، كان كمال ناصر يوصل اليهم نزعة التفاؤل التاريخي بمستقبل قضية شعبه . كان يفند بشكل حاد أضاليل الصهاينة وكان يستثير قطاع الوجدان عند

« المراقب » و« المحايد » لان المراقبة والحياد لا يجوزان وغير ممكنان في قضية عادلة كقضية شعب فلسطين . في الخارج مثله في الداخل حبب المقاومة والقضية الى من ظن بأنهم أبعد الناس عن المقاومة وعن القضية .

مرات عديدة كنت أتذمر ان أعدل قضية مخدومة اسوأ خدمة... هزه هذا التذمر وعمل، فكان هو من قافلة خدامها الخيرين ... المتزايدين .

ماذا كان يوصي فداء لاستشهاده ... مزيد من الثورة وابتعاد عن أساليب الثأر ... الثورة كانت له أشمل وأعمق من الانتقام ... من أجل هذا خافه العدو الفاشستي الذي تأنف الثورات مسه لانه متلوث بجاهلية الثأر .

كمال ناصر .. فرع الثوار في ورشة الثورة العظمى .

طوبى لشيء لم يصل !

محمود درويش

هذا هو العُرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
في ليلة لا تنتهي ..
هذا هو العرس الفلسطينيّ
لا يصل الحبيبُ الى الحبيبْ
إلّا شهيداً أو شريدا

دَمُهم أمامي ..
يسكن اليوم المجاورَ —
صار جسمي وردةً في موتهمْ ..
وذبلتُ في اليوم الذي سَبَقَ الرصاصةَ
وازدهرتُ غداةَ أكملت الرصاصةُ جُثّتي..
وجمعتُ صوتي كله لأكون أهدأ من دمٍ
غطّى دمي ...

دَمُهم أمامي
يسكن المدنَ التي اقتربتْ
كأنّ جراحهم سفنُ الرجوعِ
ووحدهم لا يرجعون ...

دَمُهم أمامي ..
لا أراهُ

كأنه وطني
أمامي .. لا أراهُ
كأنه طُرُقات يافا —
لا أراهُ
كأنه قرميد حيفا —
لا أراهُ
كأنّ كل نوافذ الوطن اختفتْ في اللحمِ
وحدهمُ يرون
وحاسّةُ الدم أينعتْ فيهم
وقادتهم الى عشرين عاماً ضائعاً
والآن ، تأخذ شكلها الآتي
حبيبتُهم ..
وترجعهم الى شريانها .

دمهم أمامي ..
لا أراهُ
كأنّ كل شوارع الوطن اختفتْ في اللحمِ
وحدهمُ يرون
لأنهم يتحررون الآن من جلد الهزيمة
والمرايا
هاهمُ يتطايرون على سطوحهم القديمةِ
كالسنونو والشظايا
هاهمُ يتحررون ...

طوبى لشيء غامضٍ
طوبى لشيء لم يصل
فكّوا طلاسمه ومزّقَهُمْ

فأرّخْتُ البداية من خطاهم
[ها هي الأشجار تزهرُ
في قيودي]
وانتميت الى رؤاهم
[ها هو الميناء يظهرُ
في حدودي]
والحلم أصدق دائماً . لا فرق بين الحلم
والوطن المرابطِ خلفَهُ ..
الحلم أصدق دائماً . لا فرق بين الحلم
والجسد المخبّأ في شظيّة
والحلم أكثر واقعيّة

ألسفحُ اكبر من سواعدهمْ
ولكنْ ..
حاولوا أن يصعدوا
والبحر أبعد من مراحلهم
ولكن ..
حاولوا أن يعبروا
والنجمُ أقرب من منازلهم
ولكن ..
حاولوا أن يفرحوا
والأرض أضيقُ من تصورهم
ولكن ..
حاولوا أن يحلموا

طوبى لشيء غامض
طوبى لشيء لم يصل
فكوا طلاسمه ومزّقهم
فأرّخْتُ البداية من خطاهم

وانتميت الى رؤاهم
آه .. يا أشياء ! كوني مبهمه
لنكون أوضح منك
أفلستِ الحواسُ وأصبحتْ قيداً على أحلامنا
وعلى حدود القدسِ ،
أفلست الحواس ، وحاسّةُ الدم أينعت فيهم
وقادتهم الى الوجه البعيد
هربت حبيبتهم الى أسوارها وغزاتها
فتمردوا
وتوحدوا
في رمشها المسروق من أجفانهم
وتسلّقوا جدران هذا العصرِ
دقّوا حائط المنفى
أقاموا من سلاسلهم سلالمْ
ليقبّلوا أقدامها
فاكتظّ شعبٌ في أصابعهم خواتمْ
هذا هو العرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
هذا هو العُرسُ الفلسطينيُّ
لا يصل الحبيبُ الى الحبيبْ
الاّ شهيداً .. أو شريدا

— من أي عامٍ جاء هذا الحزنُ ؟
— من سَنةٍ فلسطينيةٍ لا تنتهي
وتشابهتْ كل الشهور ، تشابه الموتى

وما حملوا خرائط او رسوماً او اغاني
للوطن
حملوا مقابرهم ..
وساروا في مهمتهم
وسرنا في جنازتهم
وكان العالم العربيّ أضيق من توابيت الرجوع.

أنراك يا وطني
لأن عيونهم رسمتْكَ رؤيا .. لا قضية !
أنراك يا وطني
لأن صدورهم مأوى عصافير الجليل وماء
وجه المجدلية !
أنراك يا وطني
لأن اصابع الشهداء تحملنا الى صفدٍ
صلاةً .. او هويّة
ماذا تريد الآن منّا
ماذ تريد ؟
خذهم بلا أجرٍ
ووزّعهم على بيّارة جاعت
لعلّ الخضرة انقرضت هناك ...

ألشيءُ .. أم هُمْ ؟
إن جثة حارسٍ صمّامُ هاوية التردّي–
[هكذا صار الشعار ، وهكذا قالوا]
ومرحلةٌ بأكملها أفاقتْ – ذات حلم –
من تدحرجها على بطن الهزيمة ، [هكذا ماتوا]

وهذا الشيء .. هذا الشيء بين البحـر
والمدن اللقيطة ساحلٌ لم يتّسع الاّ لموتانا ،
ومروا فيه كالغرباء [ننساهم على مهل]
وهذا الشيء .. هذا الشيء بين البحـر
والمدن اللقيطة حارسٌ تعبت يداه من الاشارة
لم يصل احدٌ ومروا من يديه الآن
فاتسعتْ يداهُ
كلُّ شي ينتهي من أجل هذا العرسِ ..
مرحلة بأكملها أفاقت — ذات موت —
من تدحرجها على بطن الهزيمه ..

ألشيء .. أم هم ؟
يدخلون الآن في ذرات بعضهمِ ،
يصير الشي أجساداً ،
وهم يتناثرون الآن بين البحر والمدن
اللقيطة
ساحلاً
أو برتقالاً —
كل شيء ينتهي من أجل هذا العرس
مرحلة بأكملها .. زمانٌ ينتهي
هذا هو العرس الفلسطينيّ
لا يصل الحبيب الى الحبيب
الا شهيداً أو شريداً .

آخر حديث للشهيد كمال عدوان

بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاغتصاب ارض فلسطين دعا مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية الى ندوة حول المجابهة العربية — الاسرائيلية . وقد مثل المقاومة الفلسطينية فيها الاخ الشهيد كمال عدوان . واشترك في الندوة الاخوة الهيثم الايوبي وياسين الحافظ ويوسف صايغ ونديم عبد الصمد وكلوفيس مقصود وعبد الرزاق اليحيى ، وأدارها الاخ ابراهيم العابد . واذ نأمل ان ننشر في الاعداد القادمة من « شؤون فلسطينية » مشاركات الاخوان في الندوة ، نقدم فيما يلي نصا حرفيا لمشاركة شهيدنا الكبير كمال عدوان . وتتكون المشاركة من حديث الشهيد ثم ملاحظاته على زملائه ، وقد كان هذا الحديث وهذه الملاحظات آخر مشاركة فكرية لكمال عدوان ، اذ سبقت استشهاده بخمسة ايام فقط .

— انا احسدكم لانه سيكون لكم الحظ بمناقشتنا ، والتحكم بنا كما تريدون ، وكنت أتمنى ان أكون واحدا منكم كي اناقش الاخ عبد الرزاق فيما قاله ! كي لا تمر اقواله كمسلمات. احب أن أوضح : انني لست مراقبا ، ولست ناقدا ، ولكني ملتزم ، وبالتالي لا اتحدث من موقع المراقبة او موقع النقد ، لانني اتكلم من الموقع الذي ينوي ان يحرك الاخرين في اتجاه رؤياه .

الموضوع اولا ، لي ملاحظة عليه ، تسميته « بالمجابهة العربية » ، يحتاج لتوضيح ، لانه في الحقيقة لا يوجد شيء اسمه المواجهة العربية ! هنالك نظريتان للمجابهة القائمة الان : **نظرية المجابهة الرسمية ، ونظرية المجابهة الجماهيرية التي تطرحها الثورة الفلسطينية .** ولا يجوز ان يجري الحديث عن النظريتين كشيء واحد وبلا تحديد ، والا اصبح خلطا ، واصبح انشاء . ومن ثم لا يمكن ان نصل الى نتائج صحيحة . وفي المقابل ايضا ان النظريتين في حالة صراع . من منهما النظرية التي يجب ان تتبناها المنطقة ، لكي تصل الى نتائج ؟ فالعملية ليست ترفا ، ولكن هي نتيجة لتحليلات . في الحقيقة هناك اكثر من تحليل، وكل تحليل قاد، ويقود، لشكل المجابهة كما يراها كل طرف . وهذا يستدعي مني ان اقدم تحليلنا — كثورة فلسطينية — الذي قادنا لاختيار مجابهة من طبيعة مختلفة للمجابهة التي تتولاها الدول العربية الرسمية ، او التي تدعو لها الدول العربية الرسمية .ولا استطيع التحدث عن طرف ثالث، وهو الطرف الذي :«يعلن يجب ان تعمل الدول العربية كذا وكذا ، ويجب ان يعمل كل مسؤول عربي كيت وكيت . ويجب ان يعمل ... ويجب ان يعمل الخ» . ولكن المسؤول العربي الذي يسمع كل هذه اليجب غير موجود ، وكذلك غير موجودة الدول العربية التي تسمعها . لقد كان عبد الناصر — أقوى شخصية عربية موجودة — كان غير قادر على تحقيق هذه الطلبات جميعا ، لان الواقع العربي لم يكن يمكنه من تجنيد كافة الامكانيات ، بالاضافة الى ان في تحليله ما هو مختلف عن تحليلنا .

في البداية ، يهمني ان احدد ، في أي صراع ، ما هي عناصر الصراع الرئيسية . بهذا التحديد استطيع ان اصل بالنتيجة التي تقول كيف يجب ان تكون المجابهة .

عناصر أي صراع دائما هي :

١ ــ قضية الصراع ، واهدافه .

٢ ــ شكل الصراع واطرافه وادواته .

٣ ــ ساحة الصراع .

٤ ــ توقيت الصراع .

ــ طبعا اسمحوا لي ان استعمل كلمة « صراع » في مكان « مجابهة » ، لانها يمكن ان تؤدي نفس المعنى ، بصورة ادق واشمل .

اولا ــ قضية الصراع :

في نظرنا ان قضية الصراع تتناول موضوع التناقض الحدي ، بين اطراف الصراع في المنطقة . ان اطراف الصراع يهدفون دائما ، الى معالجة موضوع التناقض القائم . فمن جانبنا ان الوجود الاسرائيلي بالنسبة لنا يشكل حالتين : حالة احتلال استيطاني : انتزع الارض وافرغها ، والحالة الثانية هي : حالة القاعدة . القاعدة لقوى الاستعمار في المنطقة التي تريد ان تستهلك امكانيات المنطقة ، ان تستنزف امكانيات المنطقة . وان تشل امكانيات الفعل في اتجاه التطور والتغيير . يقول الدكتور يوسف صايغ ان الحاجة الاميركية للطاقة في العالم تتزايد ، الحاجة الاميركية للطاقة تستند على الا يتمكن العرب من السيطرة على مصادر الطاقة، الامر الذي يستدعي وجود عناصر تستنزف هذه القوى ، وتشد اهتماماتها وتشل قدرتها على الفعل ، هذا فضلا عن ان تكون مرتكزا للقدرة الاميركية للقفز منها على مصادر الطاقة في أية لحظة . من هنا : كيف يمكننا ان نحدد أهداف الصراع ؟ ما دامت طبيعة الصراع قد اتضحت : ١ ــ احتلال استيطاني في المجال الفلسطيني ، ٢ ــ قاعدة لتهديد المنطقة العربية واستنزاف قدراتها . ومن هنا طرحت النظريتان المختلفتان في المنطقة العربية : النظرية التي تقول بتنفيذ قرارات ١٩٤٨ ، والنظرية التي تقول تصفية الوجود الصهيوني . النظرية الاولى تمثل **نظرية الامن الاقليمي** ، أي كل دولة عربية تبحث عن أمنها ضمن حدودها ، وترفع فلسطين من الحساب . المهم ان تصل للاتفاق مع الوجود الصهيوني على ترتيبات أمنية لحدودها، في الاطار الاقليمي . اما النظرية الثانية فتمثل **نظرية الامن القومي** ، والتي تتبناها الثورة الفلسطينية ، والتي تقول : ان الوجود الاسرائيلي على الارض العربية مهما تضاءل حجمه ، لا يقاس بالكيلومترات ، ولكنه يقاس بوجود القاعدة على أي حجم كان ، أي تظل قاعدة مؤهلة لاستنفاذ جهد المنطقة وقاعدة لتهديدها ، وللاستعمال ضدها عند الحاجة . من هنا ، حتى تستطيع ان توفر الامن القومي للمواطن العربي لا بد ان يصفى هذا الوجود . هنا نقطة البداية في الخلاف بين نظريتي المجابهة . نظرية الامن القومي التي تدعو لتحرير كامل الارض الفلسطينية بتصفية هذه القاعدة ، ونظرية الامن الاقليمي التي تدعو للتفاهم مع الاحتلال ، مهما اخذ هذا التفاهم من تسميات ، «تسوية»، « قرار ١٩٤٨ » ، « قرار التقسيم » ، « قرارات الامم المتحدة » ، « قرار مجلس الامن ٢٤٢ » ، « مشروع روجرز » ، ليس المهم التسمية . النتيجة بالتفاهم مع الاحتلال ونعني الاعتراف به .

ثانيــا : شــكل الصراع :

تحكم الصراع الخصائص الاساسية التي تتمايز بها اطرافه . من هو الذي يريد ان يقود الصراع، ويحاول ان يستثمر امكانياته . ففي المجال الاسرائيلي : يحاولون ان يستثمروا خصائصهم ومميزاتهم.ونحن أيضا مطلوب منا أن نستثمر خصائصنا ومميزاتنا (!) ولهذا فالطرف الذي يستطيع أن يفرض على الاخر شكل الصراع ، بالتأكيد ، سوف يضمن

نتائج الصراع . في الطرف الاسرائيلي ، الخصائص هي : مستوى حضاري متقدم ، جيش ميكانيكي باستراتيجية هجومية ، ندرة في المساحة البشرية والجغرافية — وهذه نقطة الضعف — ، دعم خارجي سريع الحركة . اما من ناحيتنا ، ففي المجال القومي لدينا : عمق جغرافي ، عمق بشري ، تخلف حضاري ، بطء في التحرك الجماهيري العربي . اذا ، في مقابل الدعم الخارجي السريع الحركة ، وحتى نستطيع ان نعبىء الجماهير العربية ، تلزمنا فترة زمنية أطول . لان الجماهير العربية لا تتحرك بقرار ولكنها تتحرك من ضمن حالة جماهيرية ، بينما الجيش الاسرائيلي يتحرك بقرار. من هنا يتحدد شكل الصراع الذي يريد ان يحدده كل طرف . فالطرف الاسرائيلي يختار الحرب الخاطفة ، لان في الحرب الخاطفة ينتصر من يتحرك أسرع ، فينقل المعركة الى خارج حدوده ، فتصبح المعركة في الارض العربية وليس في التجمعات الاسرائيلية . والطرف العربي ، عندما تنقل المعركة الى ارضه ، يصبح في حالة دفاع . كيف اذن ؟. الخيار الوحيد يصبح أمام المنطقة العربية هو الحرب التي تستثمر فيها امكانيات المنطقة وهي الحرب الطويلة الامد ، الحرب التي ينتصر فيها من يصمد أطول ، وليس من يتحرك اسرع . من خلال هذا الصمود تتاح فرصة تحريك الجماهير العربية . ولقد اثبتت تجربة ٦٨ و١٩٦٩ ، ان هناك تحركا جماهيريا في المنطقة قد بدأ يعبر عن نفسه ، وفي المقابل تركز الجهد العربي المعادي للثورة ، تركز في امتصاص هذا التحرك الجماهيري ، وفي سلخه عن الثورة الفلسطينية ، لان هذا التحرك هو الذي سيؤدي الى حالة التغير في المنطقة ، لاحداث حالة تغيير في مواقع القرار العربي ، لاحداث حالة التوحيد للجهد العربي لحساب قضية النضال .

اطراف الصراع : الاستعمار وقاعدته « الطليعية » اسرائيل . الامة العربية وطليعتها الشعب الفلسطيني .

ادوات الصراع : من ؟ الكل يتحدث عن الطرف الثالث دائما ، ليعمل العرب ... ، ليعمل العرب ... ، يعمل العرب ... ، كلا، الجواب : ان تتحرك طليعة متميزة تأخذ على نفسها مسؤولية احداث هذا التغيير وقيادته . قد تبدأ صغيرة ، وقد تبدأ ضئيلة ، وقد تبدأ محدودة الفعل ، ولكنها قادرة على أن تتطور . المهم ان تملك هي زمام القرار والفعل . هي الفاعل ، ولا تتحدث عن الفاعلين . لا تتحدث دائما عن الطرف الثالث . الحديث عن الطرف الثالث هو حديث مراقب. بقينا ننادي بتسليح الفلسطينيين، « بدنا سلاح ... ، بدنا سلاح ... بدنا سلاح ... » عشرين سنة ، ولم يستجب احد ، واخيرا حملنا السلاح ، بدأت بمحمود حجازي ، « ستن »*صدىء وثلاثين « فشكة » ، وبعد ذلك تدفق السلاح ... واصبح السلاح الذي بأيدينا يعني الكثير ، حالة مختلفة ، لهذا عليك ان تبدأ أنت باعتبارك الفاعل وليس باعتبارك المراقب ، لاحداث هذا التغيير ، ان تبدأ بطليعة متميزة ، تملك قضية وتقود في اتجاهها.

ثالثا : ساحة الصراع : ما هي ؟ أين ؟

يظل كل طرف حريص ان ينقل الصراع خارج دائرته البشرية ، دائما ، حتى يقلل من خسائره ويضع الطرف الاخر في حالة دفاع . اذن اين تكون ساحة الصراع على ضوء هذا ؟ في فلسطين ... ، هناك التجمع السكاني المهاجر، الذي احتل الارض واستوطنها، لا بد من ان تكون المعركة هناك . كيف تكون هناك ؟ هنا السؤال ! هل تكون ، « على رأي ... بأمر الجنرال فلان ... والجنرال فلان ... والجنرال فلان ... » الجنرالات هذه جميعا عاجزة عن الدفاع عن حدودها . لهذا لا بد من البحث عن صيغة لكيفية نقل الصراع الى الداخل . هنا يأتي دورنا ايضا !.

رابعــا : توقيت الصراع :

كثيرون يقولون ان عامل الزمن معنا . هذا غير صحيح . ان العامل الزمني مع اسرائيل، اما القول ان العامل الزمني لمصلحتنا ، فهذه عملية تخديرية . العامل الزمني هو في صالح من يستثمره واسرائيل هي التي تستثمر العامل الزمني . تستثمره لتركيز الوجود السكاني والصناعي.تستثمره في بناء المجتمع و«القومية» . وتستثمره في تعمير القدرة الدفاعية والهجومية ، تستثمره في تأمين الحماية الدولية ، الرسمية والرأي العام . و « احنا بنتفرج وبنحكي عن الزمن » .

متى تفقد اسرائيل استثمار الزمن ؟. عندما يصبح الزمن مستثمرا من جانبنا ، في تلك اللحظة يصبح الصراع : من منا يستثمر الزمن أكثر ؟ اسرائيل تستثمر هــذا الزمن في تحريك النمو في داخلها ، ونحن يجب ان نستثمر الزمن في ايقاف حركة النمو في داخلها وزيادة حركة النمو في داخلنا . كيف نوقف حركة النمو في اسرائيل ؟ هنا السؤال . ما هو محور الاستراتيجية الاسرائيلية ؟ اذا اتجهنا الى محور الاستراتيجية الاسرائيلية ، هناك يمكن ان نوقف حركة النمو . ليس ، بالضرورة ، ان نتمكن فورا من ايقافها نهائيا، ولكن من الممكن ان نحدث تباطؤا ، وهذا التباطوء يزيد بزيادة قدرة الفعل عندنا . تتركز الاستراتيجية الاسرائيلية على الانسان . سواء الانسان بالتوليد او الانسان بالهجرة . ومن هنا تنشأ حاجتها لتوفر لهذا الانسان أمنا وحماية وانتصارا دائما ليظل العنصر المميز . وكذلك خلق الظروف لبناء المجتمع و«القومية»، من خلال صهر مجمل التناقضات في اسرائيل ، ليصبح هذا المجتمع مؤهلا للتوسع والسيطرة والاستيعاب . وبمزيد من هذا التأهيل تتطور قدرته للقفز خارج اطاره . من هنا حددت اسرائيل استراتيجيتها الهجومية ، لكي تؤمن لهذا الانسان حماية وأمنا ، ولكي تخلق حالة نفسية لدى المجتمع الاسرائيلي لتشد اطرافه المتناقضة الى بعضها البعض ليتمكن البرنامج الاسرائيلي من تحقيق التذويب للاختلافات ، وتحقيق التوحيد في المجتمع المحلي . هذه الاستراتيجية تفرض علينا استراتيجية في المقابل : ما دام الانسان هو محور استراتيجيتهم ، فلا بد من ان يكون الانسان ايضا لدينا هو محور استراتيجيتنا . نعود للسؤال ما هي عناصر القوة في الجانب الاسرائيلي ؟ ما هي لكي نرى كيف نستطيع ان نهز هذه القوى ؟ لان أي انسان يريد ان يقود معركة مع أي طرف ، مطلوب منه ان يجعل الطرف الاخر في أضعف حالاته ، حتى تثمر نتائج معركته . اذن لنبحث عن عناصر القوة لدى العدو ، حتى نفكر كيف نضعف منها . طبعا هناك عناصر كثيرة ، وانا الان لا اتكلم بالتفصيل ، اعطي رؤوس اقلام ، عناصر القوة هي : (١) الانسان ، وحالة الشتات ، والهجرة . (٢) المستوى الحضاري والعقل المنظم والمحرك . (٣) الارتباط الخارجي مع الاستعمار العالمي والاستعمار الدولي . (٤) شبكة العلاقات الدولية والاستثمار غير المحدود للرأي العام الدولي . (٥) الاستراتيجية الهجومية التي تنقل المعركة بعيدا عن التجمعـات البشرية المحلية . طبعا ربما كان هنالك عناصر اخرى كثيرة ، ولكن العناصر التي تعنيني هي التي ذكرت . الآن ، من أجل التصدي لعناصر القوة الاسرائيلية هذه ، يجب بالمقابل : (١) القضاء على شعور الاطمئنان ، ووقف الهجرة . ان القضاء على شعور الاطمئنان يحدد تدريجيا . فتكون المعادلة : يتزايد عدم الاطمئنان = يحد من الهجرة أكثر . اذن ، أحد عوامل وجود الانسان في اسرائيل ، بدأت تهتز فيه . الانسان يوجد في اسرائيل في احدى حالتين : اما بالولادة أو بالهجرة . (أ) بالولادة يحتاج الى ١٧ عاما ، ١٧ عاما لخلق انسان في اسرائيل . (ب) بالهجرة : الهجرة تتم بقرار ، بفعل ارادي . فاذا استطعت أن تهز حالة الامن في اسرائيل ، يمكنك أن تؤثر بداية في الهجرة . ومن ثم تتعامل مع الانسان بالولادة . طبعــا هذا يعني اصبح الزمن بطيئا بالنسبة لهــم . (٢) زيادة التناقض بين المواطن العادي وبين المؤسسة العسكرية ، وذلك بتكريس

عجز الجيش عن توفير الحمايات ، ودفع العلاقات الداخلية الى طبيعتها الاساسية المتناقضة بتناقض الاصول التي جاؤوا منها . وعندما يحس المواطن ان الجيش غير قادر على توفير هذه الحماية، تنحل قبضة المؤسسة العسكرية على المواطن في اسرائيل. وتبدأ تنمو ظواهر ايجابية لمصلحتنا ، مطلوب استثمارها والتوسع فيها . (٣) فك ارتباط الاقتصاد الاسرائيلي بالاقتصاد الدولي وتدميره ، وزيادة اعبائه وتكلفته . يجب ان يحس العالم ان ثمن قيام اسرائيل اكثر من ان يحتمل... أكثر من ان يحتمل... كانت التكلفة في ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ تتزايد ، كانت في اليوم الواحد مليون ونصف مليون دولار . أي أصبحت التكلفة السنوية تعادل تكلفة حرب حزيران . (٤) تعرية الوجه الاسرائيلي في المجال الدولي على حقيقته لافقاده التعاطف الدولي .

في مقابل هذا العرض يتحدد كيف يجب ان تكون الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة الاستراتيجيةالاسرائيلية وذلك لضربها في القلب. ان العدو يفكر باتجاه، وانا افكرباتجاه. ولهذا تتركز الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة عناصر القوة تلك ، بالعمل على تجميد حركة النمو في اسرائيل ، كمقدمة لتحطيم ركائز هذا الوجود وكياناته الاساسية . هذا التركيز على الانسان الاسرائيلي يعكس نفسه فورا على الانسان العربي ، من خلال حالة انتصار تشده الى الثورة مصحوبة بمزيد من الجهد والاستقطاب والتحـول في نفسية المواطن في اطار الجماعة . التحول في نفسية المواطن ، اعادة صياغة الانسان العربي من خلال المواجهة . الحرب هنا ليست قرارا ، الحرب هنا حالة جماهيرية . من هنا تبدأ بدايات خلق مجتمع الثورة . لقد تكلم د. يوسف عن « المجتمع الاستهلاكي » ، وهذه « قضايا لا تحل بقرارات » ولكنها تحل بالحالات الجماهيرية التي تنشأ . لا تستطيع أن تفرض منع استيراد البرادات في بيروت ! سوف يهربونها .. يشترونها من السـوق السوداء . ولكن يجب أن تنشأ حالة جماهيرية نفسية هي التي تقود الى تحويل عقلية هذه الجماهير .

منطلقات الثورة الفلسطينية : تنطلق الثورة الفلسطينية في مواقفهـا ومؤسساتها من قواعد اساسية .

اولا : ان اسرائيل قاعدة للاستعمار في المنطقـة ، تستنزف جهدها وطاقتهـا ، وتهدد مستقبل التطور والتغيير فيها ، ولهذا فان الامن القومي يفرض تصفية وجود هذه القاعدة من المنطقة نهائيا لطبيعتها الاستعمارية والعدوانية .

ثانيا : ان الكفاح المسلح من خلال حرب الشعب طويلة الامـد هو اسلوب المواجهـة الوحيد ، الذي يستطيع ان يستثمر المزايا والخصائص المتوافرة في المنطقة العربيـة ، وتعبئة الجماهير وحشدها وتمليكها القوة من خلال القتال لتحقيق الانتصار . وهذا يعني اعادة صياغة الانسان العربي .

ثالثا : ان بروز الشخصية الفلسطينية من خلال المقاتل الفلسطيني ، باعتبار الشـعب الفلسطيني يمثل حدية التناقض على ساحة الصراع مع الاحتلال الصهيوني ، يشـكل ضرورة اساسية لمواجهة الجهد المكثف المضاد الذي يحاول تغييب الشعب الفلسطيني من ساحات الصراع المحلي والدولي . ولهذا فان ابراز الشخصية الفلسطينية من خلال المقاتل الفلسطيني يعيد للقضية ، في الاطار الدولي ، حجمها ووجهها الحقيقي .

رابعا : الشعب الفلسطيني يظـل الطليعة لحـركة التحرير العربية من اجـل تحرير فلسطين .

خامسا : استقلالية الثورة الفلسطينية ، ورفض الوصاية العربية الرسمية شرطـان اساسيان للاحتفاظ بالهوية المميزة للثورة عن واقع الانظمة الرسمي مع كل ما يقـوده هذا التمايز من حركة تغيير في المنطقة .

ثمة نقطة يمكن ان نراجعها بسرعة . والكل يعرفها ولكن لها مدلولات . وهذه النقطة تتعلق بتطور الصراع العربي الاسرائيلي . كيف تطور الصراع العربي الاسرائيلي ؟ لقد مر الصراع العربي — الاسرائيلي في اعقاب سنة ١٩٤٨ في ثلاث مراحل : **المرحلة الاولى** هي مرحلة تغييب الشعب الفلسطيني عن قصد ، لكي يأخذ الصراع طابعا عربيا اسرائيليا في غياب الشعب الفلسطيني ، وكان الحرص على تغييب الشعب الفلسطيني مسألة اساسية من جانب اسرائيل لكي تؤكد ما طرحته في المجال الدولي من نظرية الفراغ في فلسطين . « أرض بلا شعب تعطى لشعب بلا أرض » . لذا كان من الضروري فرض غياب الشعب الفلسطيني . وبقي الشعب الفلسطيني غائبا ما دامت الانظمة العربية ، تحت المظلة الاسرائيلية ، في حالة دفاع . اما **المرحلة الثانية** : فكانت ميلاد الثورة الفلسطينية في عام ١٩٦٥ ، فنشأ واقع جديد . اذ بدأ الصراع يأخذ شكله الحقيقي ، فلسطيني — اسرائيلي . ولكن اسرائيل كانت ، منذ اول لحظة ، حريصة على ان لا يتسع او يتأكد هذا الواقع . وبدأت تدفع في الطرف العربي لتغييب الشعب الفلسطيني . ضربات في الجانب العربي لكي يقوم الجانب العربي بضرب الثورة الفلسطينية . وبدأ الصراع يأخذ طابع عربي — فلسطيني . فقد ارادت اسرائيل ان تصفي الثورة الفلسطينية بالجهد العربي . واخذ الصراع طابع عربي — فلسطيني . واصبحت القيادة العربية الموحدة ، هي السيف المسلط على رقاب الفلسطينيين . طاردتهم واعتقلتهم اينما كانوا باسم القيادة العربية الموحدة ، باسم الجهد العربي الموحد ، باسم التحرير . وجاءت هزيمة حزيران ، واختفت قدرة القمع العربية ، ونشأ واقع جديد وعادت القضية الى صورتها الحقيقية : صراع فلسطيني — اسرائيلي من جديد أي دخلت **المرحلة الثالثة** . وقد بدأ هذا الصراع في غياب قدرة الفعل — العربية ، في اعقاب هزيمة كافة الافكار والتحليلات العربية . وراحت الجماهير العربية تستقطب وتتحرك باتجاه الرؤية الفلسطينية لاسلوب المواجهة . ولكن لا الطرف العربي الرسمي، ولا القوى المعادية الدولية كان يروقها هذا . ان استقطاب الثورة الفلسطينية للجماهير العربية يقود فورا الى احداث سلسلة من التغيرات في المنطقة العربية ، تهدد مصير « الامر الواقع » في الانظمة العربية . وبالتالي كان لا بد من رفع قدرة التأثير الفلسطيني من الاطار العربي وشلها ، وبالتالي لا بد من ترسيم العلاقات الفلسطينية — العربية جماهيريا . ولا حاجة بنا للمجيء بالشواهد لان أكثر من دولة عربية لعبت اللعبة ، الى ان جاء مشروع روجرز . طبعا اثناء الصراع الفلسطيني — الاسرائيلي ، كان الصراع العربي — الفلسطيني غير مرئي . اخذ اشكالا من الاختراق في الساحة الفلسطينية ، محاولة ايجاد تعدد منظمات في الساحة الفلسطينية . محاولة توليد . محاور متناقضة في الساحة الفلسطينية واغراقها بها . وعندما جاء مشروع روجرز . كان المشروع يمثل حالة الانتكاس العربية الرسمية . كانت الثورة الفلسطينية تراهن على قدرتها على تحريك قدرة القتال في المنطقة العربية . ارادة تحريك ارادة القتال الجماهيرية ، وما يمكن أن تفرزه ارادة القتال الجماهيرية في مواقع قرار التغيير . وكانت الموافقة على مشروع روجرز قرارا بالعجز من واقع القدرة . حيث كانت القدرة الجماهيرية العربية ، او حالة ارادة القتال العربية قد وصلت ، في يونيو ١٩٧٠ ، اقصى ما وصلت اليه طوال مسيرتها . وكان من الممكن لها ان تستمر ، ولكن قبول مشروع روجرز كان كأنه يضع حدا : هنا قف ! لا نريد ان نستمر . فورا دخلت الثورة الفلسطينية في حالة تناقض حاد ، مع الانظمة العربية . مشروع روجرز يمثل العودة الى منطق الامن الاقليمي . نريد ان نسوي الخلاف بالتفاهم لنؤمن حدودا مصرية واردنية وسورية ولبنانية على الحساب الفلسطيني . « خدوا اللي بدكم اياه » . المهم الامن الاقليمي المصري ، الامن الاقليمي الاردني ، الامن الاقليمي السوري ، الامن الاقليمي اللبناني ، أما ثمن هذا الامن الاقليمي في المنطقة العربية ، فيدفع من الرصيد الفلسطيني . طبعا ، هنا بدأ الصراع

الحدي بين نظرية الامن القومي الذي تمثله الثورة الفلسطينية ، والامن الاقليمي الذي تمثله الانظمة العربية . طبعا كان العنصر الذي يحكم الصراع هو ارادتنا كفلسطينيين وارادة الاسرائيليين . نحن نريد ان نحرك ارادة القتال العربية لكي نحشد بها جهدا عربيا يقود الى احداث التغيير في العقلية وفي القرار وفي اتجاه الفعل . والاسرائيليون يريدون تحريك كافة القدرات التي يمكن تجنيدها لمحاصرة قدرة الفعل الفلسطينية وتطويقها وخنقها ، قبل ان تتسع وتتغلغل في عمق الجماهير العربي . كان لا بد من اجل الوصول الى تسوية من تغييب الشعب الفلسطيني ، لتصبح هناك حرية في التصرف ، نيابة عنه ، وعلى حسابه . كان لا بد من اعادة الصراع الى مستواه الرسمي العربي — الاسرائيلي، **بدل أن يكون صراعا بين الجماهير العربية والاحتلال الاسرائيلي** . امام هذا الحصار كان لا بد من نشر النيران في اوسع دائرة ، هم يحاولون ان يخنقوا النار ، ونحن لا بد ان ننشرها في اوسع دائرة . الفانتوم الاسرائيلي نقلت الاستراتيجية الاسرائيلية الى الكويت وعدن. ونحن ملزمون ان ننقل الاستراتيجية الفلسطينية الى المدى الذي لا تصله الفانتوم . هذا المدى هو في عمق الارض المحتلة وفي خارجها . هذا المدى هو في البيت الاسرائيلي . حيث لا تصل الفانتوم . قرار الحرب لا يكفي ولكن المطلوب تحديد هوية الحرب . في حزيران اسرائيل احتلت الارض . ولكن ولدت ارادة شعبنا . واليوم يريدون ان يعيدوا ارضا ليعيدوا شعبنا الى الموت . هذا هو الهدف .

الان ، لو انتهينا من هذا العرض الذي جاء كمقدمة . طبعا كان المقصود ان يطرح خلفية المجابهة . نأتي الى ما هو الموقف الان. هنالك كما يقال مشروعات تسوية، او احتمالات تسوية ، فما هو الهدف ، لماذا ؟ هل صحيح ان التسوية تحقق انتصارا عربيا ؟؟ التسوية هي هروب من المواجهة العربية مع الاحتلال الاسرائيلي ، للتقوقع ضمن اطار المنطق الاقليمي . نحن كثورة فلسطينية نواجه السؤال : اذا تمت التسوية ، مطلوب تصفية الثورة . وحتى لا تتم التسوية مطلوب استمرار الثورة . تصورنا التالي ايضا : ليس هنالك ، حقيقة ، تسوية ، ولكن هناك قطعة حلوى مماثلة لمشروع روجرز ، هدفها العرض الاميركي او الالحاح الاميركي على ضرورة البحث عن تسوية، على ضرورة دخول مفاوضات مباشرة او غير مباشرة . جزئية ضمن حل شامل ، او شاملة ضمن حل جزئي ! هذا الهدف — الهدف الاميركي هو — اولا : نقل القضية من اطارها الدولي ، من اطار اهتمامها الدولي الى اطار الاهتمام المحلي . عندما تبدأ مفاوضات عربية ، تنتقل القضية فورا من الاهتمام الدولي ، الى الاطار الثنائي لاطراف — المفاوضات — . ان اسرائيل تلح منذ مدة طويلة على عملية النقل هذه . اذا تم الدخول في مفاوضات — مباشرة او غير مباشرة — يحدث فورا تناقض ، بين الثورة الفلسطينية والدولة العربية التي ستدخل في اطار المفاوضات . وكان مطلوبا قبل ذهاب الملك حسين ، وحافظ اسماعيل — قبل الحج الى اميركا — كان مطلوبا احداث وئام عربي ، لكي تكون حالة التناقض بين الثورة الفلسطينية ومجمل الواقع العربي الذي ناله الوئام ، حتى تصبح امكانية خنق الثورة الفلسطينية اسهل مما لو بقيت هناك حالة تناقض عربية . المقصود هو (١) جر الطرف العربي الى مفاوضات . (٢) احداث تناقض عربي يقود الى صراع ، هذا الصراع يقود الى انحطاط في القدرة العربية على الجانبين ، على جانب الثورة الفلسطينية ، وعلى الجانب العربي الذي دخل الصراع . (٣) فتح قناة السويس ، ان امكن ، لتفريغ الاهتمام الدولي من اهتماماته بالقضية ، لتعود القضية محلية جدا يتكرس من خلالها امر واقع مماثل لامر واقع الـ ١٩٤٨ . يعني ليس هناك تسوية ، ولكن هناك محاولات اغراء تقود الى تحطيم القدرة القتالية العربية ، او الى مزيد من الانحطاط في القدرة القتالية العربية . طبعا ، لا احد في الواقع الرسمي العربي قادر على استكشاف هذه الحقيقة حتى الان ، والا لقرر ان ست سنوات من المفاوضات كانت كافية ، ولبدأ يبحث عن معالجة بديلة . اما استمرار المعالجة بنفس الاسلوب على

طول السنوات الست فانه يؤكد ان قدرة الاستكشاف العربي لحقيقة ما تريده اميركا واسرائيل في المنطقة لا يزال عاجزا .

من هنا يأتي واجبنا كثورة فلسطينية . الثورة الفلسطينية تضع معادلة : استمرار الثورة يعني لا تسوية ، تمرير التسوية يعني تصفية الثورة الفلسطينية . بالتالي نحن امام واجبات : ان تستمر الثورة حتى لا تمر التسوية . حتى تستمر الثورة مطلوب تحقيق شروط . اما الشروط لاستمرار اية ثورة وطنية فهي شرطان : وجود احتلال تواجهه مقاومة تدفع بالجماهير لتتبنى برنامج ثورة (٢) قيام سلطة وطنية تتبنى برنامج الثورة ، وتدفع بجماهيرها لتتبنى برنامج الثورة ، وتقوم هي بتحمل مسؤولية نتائج هذا التبني .

الشرط الاول : وجود الاحتلال : الاحتلال موجود . فالمطلوب اذن هو اعادة تصحيح هذا الواقع القائم ليظل الصراع صراعا فلسطينيا ــ اسرائيليا على الارض الفلسطينية . وتنمية قدرات الثورة الفلسطينية بشكل يجعلها مشكلة اسرائيلية تقع مسؤولية تصفيتها على سلطات الاحتلال وليس على النظام العربي . وبالتالي سيشكل هذا قيدا على اتجاه اسرائيل نفسها الى التسوية ، الى ما بعد ان تنتهي من تصفية الثورة الفلسطينية . وهنا يأتي القمع الاسرائيلي ، وهذا القمع بالنسبة للثورة الفلسطينية ظاهرة صحية وليس ظاهرة مرضية . ظاهرة صحية لانه يدفع الجماهير للانحياز . عندما صعدنا القتال دخل الجيش الى نابلس ، ودخل القدس ، والاعتقالات تتزايد ، ان الدوريات الان في نابلس . في حين لم يكن احد قبل مدة يرى جيشا اسرائيليا ، الى حد كأنه لا يوجد احتلال ، أي كان احتلالا غير مرئي . اما الان فالاحتلال مرئي وزادت المجابهة . الشرط الثاني : السلطة الوطنية التي تتبنى برنامج الثورة : هنالك في المنطقة دول الطوق ، وهي الدول المطلوب منها ان تكون اطرافا في التسوية ، اذا لا بد من ان تسقط احدى هذه الدول بيد سلطة وطنية ، تكون هذه السلطة رافضة للاستسلام ، رافضة للتسوية ، وتتبنى برنامج الثورة . الدولة المرشحة رقم واحد ، بغض النظر عن حدود القدرة ، الان او غدا او بعد غد ، هي الاردن . من اجل هذا مطلوب تغيير في واقع السلطة في الاردن .

على هذا الاساس يمكن ان نقول ان مهمات المرحلة ــ كمهمات شاملة وليست تفصيلية ــ هي :

اولا : استمرار الثورة الفلسطينية في التركيز على تنمية البناء الثوري في الارض المحتلة، وترتيب اوضاعها في قواعد الارتكاز .

ثانيا : تبديل القناعات العربية التي لازمت القرار في السنوات الماضية واعادة تركيب الامور على اساس الاقتناعات الجديدة ، التي هي ، بالاصل ، يجب ان تكون على ضوء نظرية المجابهة الفلسطينية . وترتيب الامور على اساسها في قواعد الارتكاز والمواجهة .

ثالثا : تدويل الصراع العربي ــ الاسرائيلي وتوسيع دائرته حتى يتزايد الاهتمام الدولي، ويحس بضخامة الخطر الاسرائيلي واعبائه .

النظام العربي لا يستطيع ان يقاتل ، والمواطن العربي يعيش حياة الاسترخاء .

النظام العربي الذي يخشى ان يرى السلاح في يد جماهيره ، يخشى ان يقاتل والسلاح بيد اعدائه .

المعركة في الاساس معركة جماهير تجري تعبئتها وقيادة نفسيتها وقدراتها في اطار المعركة ، وليست معركة قرار .

النظام الذي يحلم بالحرب الخاطفة هو نظام ذاهب للتسوية او للتسليم ، ليس له من احدهما فرار .

النظام الذي يذهب للحرب بدون جماهيره ، هو نظام ذاهب للتسوية ، ولا يمكن ان يغطي ذلك ، او يخفيه هدير المدافع والطائرات .

ان امكانية تحويل هزيمة التسوية الى انتصار — امكانية معدومة . لانهم ان استطاعوا ان يخدعوا شعبهم يوما او يومين ، فلا بد ان تتكشف الحقيقة ، ولا بد ان يتلوها تغيرات اكثر اشراقا من التغييرات التي حدثت بعد ١٩٤٨ .

*

ملاحظــات :

جرى نوعان من الملاحظات ، ملاحظات قدمها الاخ الهيثم الايوبي والاخ كلوفيس مقصود وملاحظات الاستاذ ياسين الحافظ ، وهي من طبيعة مختلفة .

ملاحظات الاستاذ الحافظ كانت تختلف معي بالمنهج جذريا . فالفرضيات التي قدمها ، والتحليلات التي قدمها، لا تلتقي معي مطلقا ولا تقابل بيننا ، ونحن في موقعين متناقضين، والحوار فيه غير مجد . الاستاذ الحافظ قدم ظواهر عجز ، واعتبرها حقائق قائمة لا يمكن التغيير فيها ، واخشى ان يقود هذا الى الاستسلام . **ان كنت انا احمل الامـاني ، فهو يحمل اليأس . والافضل ان احمل الاماني وان اصنعها** . فقد كان الحلم الاسرائيلي في سنة ١٨٩٧ اماني غير مرئية ، وأصبح في سنة ١٩٤٧ اماني حقيقية ، واقعا يفرض نفسه .

دعني أعش بأماني اصنعها ، خير من أن استسلم ليأسي .

ملاحظات الاخ هيثم والاخ كلوفيس : ليس بيني وبين الاخ هيثم أي تناقض ، ولكن يبدو ان العملية كانت عدم التقاط للكلمات . هو قال انه لا يجوز ان تكون مجابهة بين الشعب الفلسطيني والعدو الاسرائيلي . صحيح ، انا لـم اقل هذا . قلت ان المجـابهة بـين **الاستراتيجية الفلسطينية والاستراتيجية الاسرائيلية** . واوضحت التناقض بين نظريتي المواجهة العربية الرسمية والفلسطينية ، بدليل انني قلت أن اطراف الصـراع هـي الاستعمار وطليعته اسرائيل من جهة ، والامة العربية وطليعتها الشعب الفلسطيني من جهة ثانية . فأنا لم افصل ، ولكن احببت ان اركز عـلى ان تكون المواجهة من خـلال الاستراتيجية الفلسطينية .

اما ملاحظات الاخ كلوفيس فمنها ما يلي : اراد الاخ كلوفيس ان يضيف انه لا يجوز ان يكون نقل مركز الثقل بالعمل الفلسطيني في الارض المحتلة ، هروبا : من تحميـل مسؤولية القمع للنظام العربي . لا ، ليس هذا هو الهدف . ليس الهدف في نقل ثقـل العمل الفلسطيني الى الارض المحتلة هو الهروب من مواجهة القمع العربي . ولكن لان حركة النضال الفلسطيني في الارض المحتلة لا تتم في الفراغ ، وهي حركـة تتفاعل مع الجماهير العربية خارجها . فان خلق حالة الرفض للاحتلال في الداخل وتعميقها ، يخلق بالتالي عند الاحتلال حالة رفض للتسوية . والاحتلال هو الطـرف الاقدر للاشتراك في موضوع التسوية . وبالتالي هو لن يمرر التسوية ، وعناصر « عـدم الامن » ، كمـا يسميها ، لا تزال قـادرة على الفعـل في الارض . من هنـا نحن نضمـن استمرارية النضـال ، **بما يعكسه هذا الاستمرار في النضال على نفسية الجماهير العربية في الارض العربية ، ويمهد بالتالي لاحداث حركة التغير تجاه القرار والفعل في المنطقة .**

تحدث الاستاذ كلوفيس ايضا عن انه يجب الا ننسى المحاولة الجديدة لايران والخبشة . صحيح ، لم ننسها . وبالعكس ، قلنا ان علينا ان ننشر دائرة النيران في اوسع نطاق . قلنا اكثر ، يجب ان ننقل استراتيجيتنا حيث تصل الفانتوم . وكنا اكثر تحديدا في واجبات المرحلة : « الواجب الثالث هو تدويل الصراع العربي ـــ الاسرائيلي وتوسيع دائرته ، حتى يتزايد الاهتمام الدولي ويحس بقيمة الخطر الاسرائيلي واعبائه ولست مطالبا بتقديم تفاصيل». اما ملاحظة الاستاذ كلوفيس على رايي بالكفاح المسلح بان ذلك يقود الى انهاء النضال السياسي فهي ليست صحيحة. النص هو « الكفاح المسلح بحرب الشعب طويلة الامد هو الاسلوب الوحيد » . هنا حقيقتان : الكفاح المسلح ـــ واحد ـــ وحرب الشعب طويلة الامد ـــ اثنين ـــ **حرب الشعب طويلة الامد هي الاسلوب الوحيد . الكفاح المسلح هو المنهج لما يمكن توظيفه لخدمة حرب الشعب** . الكفاح المسلح لا يمكـــن ان يبدأ من فراغ . لا بد من ان يخلق حالة نفسية ، لخلق اجواء الثورة بداية : **ان اجواء الثورة لا يمكن ان تتم بطريقة ميكانيكية . ولكنها تتم بالتعبئة الجماهيرية . النضال السياسي فيها اساسي** ، وبالتالي ، فان **الكفاح المسلح منهج ، وحرب الشعب طويلة الامد الاسلوب الوحيد** . هنا التمييز .

اما عن موضوع العلاقات الثنائية التي قالها كلوفيس . فيجب ان اوضـــح : نحن نعي تماما حقيقة الواقع العربي . حقيقة حتى اصدقائنا وحدود التعامل معهم . نحن نعرف ان العلاقات لا تحدد في موعد واحد . للتحليل دائما بعدان ، بعد زماني وبعد مكـاني . لو بدأنا سنة ١٩٦٥ نحدد من معنا ومن ضدنا ، لم يكن احد معنا ، اذا لكان انتهى بنا كل شيء. ولكننا كنا نراهن على قدرتنا على احداث التغيير التاريخي : التاريخ المتحرك. في عام ١٩٦٥ لم يكن احد معنـــا . في سنة ١٩٦٨ كان الكل يبدو كـأنه معنا ، **ولكن ، حقيقة ، كانت الجماهير العربية معنا** . نحن نراهن على العمق الزمني الذي نهبـط من خلاله نغير في واقع الجماهير العربي ، لكي تحدث هذه الجماهير ، بدورها ، التغير في اطارها المحلي . نحن نعرف الارتباطات في كل الاقطار العربية ، ونعرف الى اي مـدى نستطيع ان نتعامل وفي اي حدود . فصداقاتنا غير مباحة ولا مفتوحة وليست مقدمة على بطاقة بيضاء . نعرف ماذا في الجزائر ، نعرف ماذا في السعودية ، ونعرف ماذا في مصر ، ونعرف ماذا في سوريا ، ونعرف ماذا في العراق ، ونعرف ماذا في الاتحاد السوفياتي . لو كان يجب أن نأخذ مواقف من الاخرين ، لكان يجب ان نأخذ موقفا من صديقنا الاتحاد السوفياتي ، بعد قرار الهجرة . وانتم تعرفون الى أي مدى تشارك عملية الهجـرة لاسرائيل ، ومن اي اتجاه جاءت ، في دعم الطاقة البشرية الاسرائيلية . ولكننا لا نسمح باستثمار هذا التعارض وهذا التناقض القائم الان بفعل الهجرة . لن نسمح بدفع الامور الى حد التناقض . ولكننا نركز على اصدقائنا ونبـذل جهدا معهم ، لوضع حـد لهذه الهجرة ، لوقفها ، وللتغيير في مواقفهم ورؤياهم . لو كنا نريد ان نراهن على مواقف الاخرين ، لكان موقف الاتحاد السوفياتي في سنة ١٩٦٩ ، يتطلب منـا موقفا غـير موقفنا من الاتحاد السوفياتي اليوم . لقد تطورت العلاقة بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ـــ مثلا ـــ مواقفه سنة ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، اما الان فالاتحاد السوفياتي يقف موقفا غـير موقفه سنة ١٩٦٩ . ونحن نراهن على تطوير موقف الاتحاد السوفياتي . لا يجوز ان يطالبنا احد بأن نأخذ مواقف حدية من مجرد ظواهر خطأ . اما في اللحظة التي يتحـول فيها الخطأ الى خيانة ، في تلك اللحظة نحن مطالبون ان نقف مواقف جدية. ونحن نعرف مواقف الكل بوضوح . سؤال يحتاج الى اجابة : ولكن لماذا هذه العلاقات ؟ من شروط انتصار الثورة الفلسطينية ، من شروط قدرة الثورة الفلسطينية على احـداث التغيير هنالك شرط اساسي : **استقـلال الثورة وتميزهـا** . كيف تريـدون ان تكون الثورة الفلسطينية مستقلة في وسط عالم يتنازعها فيه كل في اتجاه ، **وهي لا تقف على أرضها ؟ من مداخلنا لتحقيق الاستقلال، استقلالية الارادة الفلسطينية، تعدد علاقاتنا وصداقاتنا.**

وذلك لكي لا يتمكن احد منهم ان يملي علينا موقفا . نحن نحـاول ، في هذا التعدد في العلاقات ان نضمن موقفا مستقلا نفلت به من محاولة الضغط من اي اتجاه أتى . ولكن يجب ان يعي الجميع بوضوح ان صداقاتنا ليست رخيصة ولا تقدم على طبق من فضة بالمجان .

هناك بعض الملاحظات التي تحتاج مني الى تعليق . قضية النضال العربي من اجـل تحرير فلسطين . هذه النقطة التي يلومنا بها البعض هي نقطة قوتنا . هذه النقطة هي بداية المدخل القومي للثورة الفلسطينية . كيف ؟ نحن نعتقد بضرورة توظيف كل الجهد العربي لحساب التحرير . كيف يتم هذا ؟ نحن ننادي بالتغير ، ننادي بالوحدة . **ولكن لا بد لاية حركة تحرير ولا بد لاية وحدة من قضية ، قضية واحدة . ولا بد لهذه القضية من طليعة تتبناها** . لو استعرضنا كافة قضايـا الوطن العـربي المرشحة للنضال من حولها ، فسنجد ان هناك قضايا كثيرة متعددة . في العراق ، في سوريا ، في عدن ، في الخليج ، في مصر ، في الجزائر ، في لبنان . **ولكن ما هي القضية الحدية ، التي تمثل حدية الصراع . والقضية المؤهلة لاستقطاب الجميع** ؟. يقول الاخ نديم عبد الصمد ان كـافة القوى العربية التقت حول تأييد الثورة الفلسطينية ، رغم ان بينها خلافات . وهـذا حقيقي . لو باشـرت هـذه القوى تبحث عن قضية اخرى لتعـذر الموقف . ان قضية فلسطين ، هي قضية التناقض الحدي مع الاستعمار ، ومع اسرائيل ، وهي المرشحة لاستقطاب كافة القوى المناضلة ، وكافة الطلائع العربية المناضلة . وكذلـك فان اي عمل ، اي تحرك ، اي بناء ، اي اداة ، لا بد لها من بداية . ولا تستطيـع ان تنتظـر لتنادي وتستنجد وتستحث اطرافا اخرى لتبدأ بدلا منها . لا بد من جهة ما معينة تقـوم بالتصدي لهذه المسؤولية . وتقود النضال من اجلها ، وتشكل محور الاستقطـاب . **الجهة المرشحة لهذا هي الجهة ذات التماس المباشر مع هذه القضية بداية . ولكن هذا لا يوقف العمل عندها . ولا يحصر اطاره فيها** . ولكنه يعطيها وضع الملزم بحكم تماسه المباشر مع القضية الحدية . من هنا ، **تتوفر القضية ، تتوفر الطليعة ، وتدور حـركة النضال ، وتنعكس اثارها على الجماهير العربية ، فتفرز حالة جماهيرية ، تتطلع الى التغيير من خلال الطلائع المحلية في كل قطر . ويتم لقاء كافة هذه الطلائع . حول قضية واحدة ، في معركة واحدة** . فيتم من خلال ذلك توحيد للجهد في شكـل توحيد للاداة ، بداية ، من اجل ما نطمح اليه جميعا ، **الوحدة العربية** . من هنا جاء شعارنا : «النضال من أجل فلسطين هو الطريق للوحدة » . عكس الشعار المطروح سابقا : « الوحـدة هي طريق العودة » . الوحدة من يقوم بها ؟ وحدة حسابات ؟ قامت وانفصلت . اذا لم تتم الوحدة من خلال تفاعل نضالي ، كيف تتم؟ ان الاستنجاد بالاطراف الاخرى لا يجدي. لا بد من أن تتصدى طليعة لهذه المسؤولية ولهذا الواجب . من هنا، وبهذا النص الدقيق الذي طرحته الثورة الفلسطينية ــ باعتبارها الطليعة لحركة النضال العربي من اجل تحرير فلسطين ــ كانت تعكس بعدها القومي . وشكرا .

آخر حديث للشهيد كمال ناصر

فيما يلي ترجمة عربية لاخر حديث أدلى به الشهيد كمال ناصر ، وذلك في مقابلة تلفزيونية جرت في السادس من نيسان (ابريل) في قسم الثقافة الفنية في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت ، وكانت المقابلة مع مايك والاس مراسل التلفزيون الاميركي سي. بي. اس.

سؤال : استاذ كمال ، ما هو دورك في حركة المقاومة الفلسطينية ؟

جواب : انني عضو اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية والناطق الرسمي باسمها ، وهي تمثل حركة المقاومة الفلسطينية .

س : ما هي م. ت. ف. ؟

ج : هي منظمة أنشئت في العام ١٩٦٤ . وفي العام ١٩٦٧ قررت مختلف منظمات المقاومة الفلسطينية ان تعتبر م. ت. ف. ارضية للقاء وتوحيد الجهد في القتال في سبيل تحرير فلسطين .

س : ما هي ضرورة اقامة منظمة مشتركة . الأنه كانت هناك خلافات بين مختلف المنظمات ؟

ج : انها مطلب وطني . فعندما توحد قواك تقوى وتتقدم .

س : هل هناك مقاومة فلسطينية واحدة ؟ ام ان هناك بضع حركات فلسطينية تستخدم وضع الفلسطينيين في صالحها هي ؟

ج : قطعا هناك حركة مقاومة واحدة تمثلها قيادة شرعية منتخبة من قبل المجلس الوطني الفلسطيني .

س : هل أنت عضو في فتح ؟

ج : لا .

س : لا ؟ الست عضوا في فتح ؟

ج : لا . انني فلسطيني مستقل .

س : الم تكن عضوا في فتح قط ؟

ج : أبدا . لقد عملت في السياسة على مدى العشرين سنة الماضية . وانني لست عضوا في فتح . ليس كل فلسطيني يعمل في م. ت. ف. بالضرورة عضوا في منظمة فلسطينية ما . ان م. ت. ف. هي المنظمة الام . وهي تمثل الكيان الفلسطيني .

س : ماذا تريد المقاومة الفلسطينية ؟

ج : يريد الفلسطينيون ، بكل بساطة ، العودة الى ديارهم فلسطين .

س : تحت اية ظروف ؟

ج : تحت اية ظروف كانت .

س : ما هي صورة الدولة الفلسطينية لديهم ؟

ج : كانت المقاومة الفلسطينية هي الطرف الوحيد في العالم العربي ، بما في ذلك الانظمة العربية كافة ، الذي طرح حلا للمسألة الفلسطينية ، تلك المسألة المعقدة والفريدة من نوعها ، والمعروفة دوليا بأزمة الشرق الاوسط .

لقد طرحنا حلا ينادي بدولة فلسطينية ديمقراطية علمانية حيث تتمتع جميع الطوائف فيها بحقوق متساوية وفي ظل قانون واحد بسلام وانسجام تامين .

س : ما هي الارض التي سوف تعيشون عليها ؟

ج : انها أرض فلسطين .

س : ما هي الارض التي ستضمها ؟

ج : ستضم فلسطين ، فلسطين التي كانت في ظل الانتداب البريطاني . فلسطين التي عاش الفلسطينيون فيها آلاف السنين . وهذا أمر ليس تكتيكا بل هو أمر استراتيجي . ذلك لاننا ننادي منذ أمد بعيد بأننا نفرق بين الصهيونية واليهودية .

س : هل حركة المقاومة الفلسطينية هي حركة قومية ؟ ام قوة ثورية ؟

ج : انها حركة قومية وثورية في آن معا . ولا تناقض بين الاثنين . انه لا يمكنها الا ان تكون قومية لان الفلسطيني جزء من أمة ، وان تكون ثورية لان وسيلتها هي الكفاح المسلح وحرب الشعب في سبيل تحرير وطننا .

س : ثورة ضد من ؟

ج : انها ثورة داخل العالم العربي وداخل صفوف الفلسطينيين لحشد القوى للسير في سبيل تحرير فلسطين . اننا نسميها حركة المقاومة الفلسطينية . ان هدفها هو تحرير الوطن السليب وليس الحرب بحد ذاتها لان أحدا لا يحارب او يقاتل من أجل الحرب أو القتال .

س : عندما نتحدث عن الثورة هل يمكننا القول ان حركة المقاومة الفلسطينية ترغب في اسقاط أي حكومة عربية ؟

ج : في الحقيقة ، لنا مشاكلنا الخاصة في العالم العربي . ان المسألة ليست اسقاط الانظمة العربية انما هي حمل بعض الانظمة العربية المترددة على القتال معنا في سبيل تحرير فلسطين . فهناك انظمة عربية معينة تتردد او ربما ليس لديها الامكانيات او الايمان او ارادة القتال الان بينما تؤمن الجماهير العربية بأن فلسطين حق لها وان الصهيونيين معتدون ويغتصبون أرضها .

س : يقال ان هناك داخل حركة المقاومة الفلسطينية يمينيين ويساريين وان هناك معركة بين الفلسطينيين . ما رأيك ؟

ج : لا بد ان أقول بوضوح اننا نجمد التناقضات الثانوية داخل صفوفنا ، ذلك لمواجهة التناقض الرئيسي وهو الصهيونية . الا انك لا تستطيع منع الناس من التفكير في ما يعتقدون . فهناك وسائل وطرق متنوعة للتحرير . الا اننا في هذه المرحلة القومية نجمد فعلا تناقضاتنا الثانوية في وجه التناقض الرئيسي وهو الصهيونية .

س : هل تقوم المقاومة الفلسطينية حاليا بعمليات عسكرية أو شبه عسكرية داخل اسرائيل ؟

ج : نعم ! اننا نقوم بذلك .

س : لماذا لا نسمع بها اذن ؟

ج : هناك بعض الاسباب . هناك مثلا الكثير من التعمية التي تفرض على عملياتنا .

س : من يفرض تلك التعمية ؟

ج : وسائل اعلامية متنوعة في العالم .

س : هل تستطيع أن تذكر لنا عمليات ناجحة واحيطت بالتعمية الاعلامية ؟

ج : اعتقد ان عشرات العمليات في الداخل تمت بنجاح جيد جدا واحيطت بالتعمية .

س : مثلا .

ج : لا استطيع ان اذكر الان ولكننا نقوم بعمليات ضد اسرائيل كل يوم وبامكانك الرجوع الى السجلات الاسرائيلية . ان اسرائيل ، بين الفينة والفينة ، لا تذكر العملية الفدائية الا اذا كانت واضحة وبارزة امام الصحافيين . والعمليات الفدائية لا تجري في مكان واحد انما هنا وهناك . اننا نعتقد ان الحكومة الاسرائيلية لا تعلن عن كل عملية فدائية الا اذا كانت معروفة من قبل الصحافيين والشعب . والقيام بذلك هو جزء من الاستراتيجية الاسرائيلية .

س : هل تنظمون عمليات خارج اسرائيل ؟

ج : اننا لا نعمل من الحدود اللبنانية ولكننا نحاول العمل من اي مكان اخر . اننا نحاول أن نعمل في العمق .

س : أسألك مرة أخرى : هل تنظمون عمليات عسكرية او شبه عسكرية داخل اسرائيل؟

ج : نعم .

س : أي نوع ؟

ج : جميع أنواع العمليات . ولكن الشيء الرئيسي اننا لا نعمل الان عبر الحدود وانما في العمق واننا نعبر بالطبع الحدود العربية باستثناء الحدود اللبنانية ونعمل في العمق من أي مكان نريد لاننا عندما برزنا كحركة مقاومة لم نستأذن أحداً .

س : اذا كنتم لا تعملون عبر الحدود اللبنانية فانكم تعملون اذن عبر الحدود السورية ؟

ج : اننا نعمل من أي مكان نختاره ولدينا القدرة على ذلك سنعمل حتى تتحرر فلسطين .

س : هل تنظم المقاومة الفلسطينية عمليات خارج اسرائيل ؟

ج : مثل ماذا ؟

س : عمليات من جميع الانواع مثلما تقوم به أيلول الاسود على سبيل المثال .

ج : اننا حركة مقاومة ونؤمن بالكفاح المسلح وحرب الشعب طويلة النفس . ليست هناك منظمة تسمى ايلول الاسود داخل منظمة التحرير الفلسطينية . ان منظمة كتلك لا توجد ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية . انني اعتقد ان منظمة ايلول الاسود كما افهمها هي حالة ذهنية تعيش وتحيا بين الفلسطينيين . انها ظاهرة نرقبها وندرسها بحذر . ان وضع الفلسطينيين يفسر هذه الظاهرة بسهولة . لقد عانى الفلسطينيون في السنوات الخمس والعشرين الاخيرة من الاحباط والمرارة ، لقد فقدوا ارضهم وبعضهم يعيش تحت الاحتلال وبعضهم الاخر لا يزال في الخيام . ويبدو ان العالم بأسره لا يريد فهم هذه المأساة . انه من الطبيعي اذن أن تبرز ظواهر كهذه. الا أنني كمسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية اقول لك لن اقبل ابدا أن تكون مثل هذه الظواهر بديلا لحركة المقاومة . ان ظاهرة ايلول الاسود أو غيرها ليست بديلا لحركة المقاومة .

س : ما هي اذن ؟

ج : انني شخصيا لا اتحدث باسمها ونحن في منظمة التحرير الفلسطينية لا نعرفها . انها بالنسبة الينا ظاهرة وقد تكون منظمة أو لا تكون . انني اعتقد ان ظاهرة ايلول الاسود يمكن اعتبارها ابنا شرعيا لمجزرة ايلول التي وقعت في الاردن وقد يكون الامر ان عددا من الفلسطينيين شعروا بالاستياء من المذبحة ويريدون العالم اجمع ان يسمعهم ويسمع مشاكلهم ومراراتهم .

س : هل فتح عضو في منظمة التحرير الفلسطينية ؟

ج : ان فتح هي اكبر فصيل في منظمة التحرير الفلسطينية .

س : لقد قال ابو داود وهو عضو في فتح ان ايلول الاسود ليست تنظيما منفصلا وانما هي عبارة عن مجموعة من الناس من فتح ذاتها .

ج : اعتقد ان ابو داود وهو سجين في ايدي السلطات الاردنية ربما وضع في ظرف اضطر فيه الى قول ما يملى عليه من قبل النظام الاردني وقد يكون ذلك نتيجة للتعذيب. وهناك طرق كثيرة لحمل الناس على الكلام .

س : لقد قال ابو داود على سبيل المثال ان ابو اياد خطط عملية ميونيخ وابو يوسف خطط عملية اللد وان اناسا اخرين من قيادة فتح يعملون في ايلول الاسود . هل تعتقد ان ذلك غير صحيح ؟

ج : قطعا . انني واثق ان ذلك غير صحيح . لقد قال ابو داود مؤخرا في مقابلة مع صحافية امريكية أن فتح ليست ايلول الاسود وان الاسماء التي كان قد ذكرها لم تكن اسماء قادة في ايلول الاسود . ان بعض المتطرفين الفلسطينيين قد يكونون ايلول الاسود ولكن ليس فتح .

س : ان لدينا فلما اعده بيتر سنو المراسل البريطاني في مقابلة ابو داود في سجنه في الاردن وانني اعرف ما قاله ومتأكد منه .

ج : ان بيتر سنو معروف تماما بأنه من رجال العائلة المالكة في الاردن وهو يكتب عنهم ويضع سجل حياتهم وتاريخهم .

س : هناك تقرير في صحيفة « الواشنطن بوست » لا بد انك قرأته يقول ان ياسر عرفات زعيم فتح كان في مركز ارسال ايلول الاسود في بيروت عندما صدر الامر باعدام الدبلوماسيين الثلاثة في الخرطوم في اثناء عملية أيلول الاسود الاخيرة فيها ؟

ج : انني اريدك كما اريد بقية الشعب الامريكي وحتى الحكومة الامريكية ايضا ان تعرفوا أننا لو كنا أيلول الاسود ولو كان لنا أية صلة بهم لما خشينا ان نعلن ذلك . وانني اعلن هذه الحقيقة للعالم باسره لاننا نناضل ونؤمن بقضيتنا وبأي شيء يقربنا من التحرير . انني أؤكد لك ان القوى المضادة للثورة في الغرب وفي العالم العربي تحاول ربطنا بايلول الاسود . اننا حركة مقاومة ونعرف معنى ذلك بالضبط .

س : اذا عرفات ليس من ايلول الاسود وليس له صلة بتخطيط الاغتيال او التهنئة به ؟

ج : ان ياسر عرفات هو زعيم حركة المقاومة الفلسطينية . انه زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ونحن مهتمون بأي شيء يبرز في فلسطين وعن فلسطين وفي صفوف الفلسطينيين . ولو كان عرفات من أيلول الاسود لقال ذلك للعالم بأسره لان لديه ما فيه الكفاية من الشجاعة والرجولة ليقول ذلك للعالم .

س : لماذا لا يحضر عرفات الى هنا ويقول لنا ذلك ؟

ج : ان ياسر عرفات هنا الان ولكنه قال ذلك اكثر من مرة .

س : لماذا لا يظهر عرفات في المناسبات العامة ؟

ج : ان ياسر عرفات يظهر في المناسبات العامة عندما يكون ذلك ضروريا . ان الرأي العام العالمي مهم بالنسبة لنا . ولكني أؤكد لك انه لا بد للرأي العام من ان يعرفنا معرفة افضل ويفهم خط سيرنا ، عندما يعرف اننا نخوض معركة ونحقق بعض النصر لاننا نفهم ما يقف ضدنا ونعرف ان مسيرتنا طويلة جدا .

س : انك لا تتنصل من عمل ايلول الاسود ؟

ج : انني اتفهمه .

س : افصح .

ج : كما سبق وقلت لك ان تلك الظواهر تبرز في ظروف معينة وتكتسب شعبية اكثر فأكثر .

س : هل تتنصل منظمة التحرير الفلسطينية مما تقوم به ايلول الاسود ؟

ح : ان م. ت. ف. لا تضم منظمة تدعى ايلول الاسود وانا لا اتحدث باسم ايلول الاسود ولكنني مسؤول فلسطيني مهتم بأية ظاهرة تبرز في صفوف الفلسطينيين واستطيع تفهمها تفهما جيدا . لقد عانى الفلسطينيون من الاحباط والمرارة وطردوا من بيوتهم ويعيشون تحت الاحتلال وفي الشتات في العالم باسره . اذن نحن نتفهم ايلول الاسود والظواهر المماثلة لها ونأمل ان يهتم العالم بأسره بهكذا ظواهر ويتفهمها لانها قد تسهل الامور للعالم كله .

س : كيف تسهل ؟

ج : بمعنى ان يصبح العالم اكثر اهتماما بالقضية الفلسطينية . بآلام واحزان الشعب الفلسطيني الذي طرد من وطنه في السنوات الخمس والعشرين الاخيرة .

س : برزت ايلول الاسود في ايلول ١٩٧٠ عندما اهلك الملك حسين معظم تلك الحركة في الاردن .

ج : ان المقاومة لن تهلك ابدا . وربما بدأت هذه الظاهرة علنا في ذلك الوقت .

س : قبل ذلك الوقت بدا ان حركة المقاومة الفلسطينية كانت تحرز تقدما وانها سيطرت على خيال الناس في العالم ولكن في العام ١٩٧٠ وبعد هزيمتكم على يد حسين بدا انكم تخسرون اهتمام العالم ؟

ج : لقد خسرنا في الاردن بلا شك ولكننا نقيس حركة المقاومة عادة بمستقبلها وليس بحاضرها وانتكاساتها . ان حركة المقاومة لم تتوقف قط عن العمل والقتال .

س : من يمول ايلول الاسود ؟ من ينظمها ؟

ج : لقد قلت لك انني لا اتحدث باسمها .

س : وعرفات لا يعرف ؟

ج : قطعا . لو كان لنا صلة بها لما اخفيناها .

س : بمعنى اخر ان هذه المنظمة تخفى عليكم .

ج : قطعا .

س : وتخفى على حكومة اسرائيل ؟

ج : انها خافية على العالم كله . وهذا الظواهر ليست جديدة في تاريخ العالم كله اذا درست تاريخ الثورات وتاريخ الامم تجد دائما اناسا يتبعون العنف في سبيل حمل العالم على الاستماع اليهم . ان فلسطين محتلة والفلسطينيون يعانون من الاحباط والاحتلال . لقد تعبوا وسئموا من هذا الوضع .

س : هناك من يعتقد ان الشبان لجأوا الى ايلول الاسود لان م. ت. ف. لم تكن تعمل شيئا ولم تكن تتقدم تقدما كافيا .

ج : ليست المسألة مسألة صغار وكبار انما هي ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية هي قيادة عسكرية وسياسية تفهم مختلف التيارات في العالم العربي وتعرف النزاعات التي تواجهها وتفهم الامبريالية والصهيونية وتعرف حجم القوى المعـادية . اننا نهدف الى بقائنا والحفاظ على أمننا ونؤمن ان الظواهر المشابهة لظاهرة ايلول الاسود واعمالها لن تنجح بتحرير فلسطين . اننا حـركة مقاومة تخوض حـربا طويلة الامد مـع الصهيونية . انني اريد ان اوضح جيدا اننا نحن الفلسطينيين نعتقد ان قدرنا هو تحرير اليهود من الصهيونية واقامة دولة فلسطين الديمقراطية .

س : من هو عدوكم ؟ هل هو اسرائيل ام الولايات المتحدة الامريكية ، ام بعض الدول العربية الاخرى ؟

ج : لا شك اننا نعرف اعداءنا واصدقاءنا .

س : من هو عدوكم ؟

ج : ان عدونا هو الصهيونية وهذا امر واضح لكل فلسطيني واتضح بعد حرب الخامس من حزيران لكل عربي . ولا شك ان الولايات المتحدة منحازة لاسرائيل وتدعمها وهذا واضح جدا بالنسبة لنا .

س : والاردن ؟

ج : لا شك ان هناك بعض الانظمة المحافظة ضدنا ولا تؤمن بالكفاح المسلح ولا تريـد محاربة الصهيونية لانها حسب اعتقادنا لا تفهم فعلا مخاطر الصهيونية . ان من واجبنا ايضا حملهم على فهم ذلك .

س : لماذا لا تذكر اسماء هذه الدول التي تشعر انت انها رجعية ؟

ج : لانني لا أرى أي سبب للخوض في تلك التفاصيل معك .

س : ولكنك ذكرت اسرائيل والولايات المتحدة ؟

ج : ان اسرائيل والولايات المتحدة هما عدونا الاساسي وبامكانك ان تقول بعض الانظمة المحافظة . واستطيع ان اقـول اننا كطليعة فلسطينية مستاؤون من معظـم الانظمة العربية بسبب الطريقة التي يعالجون بهـا الصهيونية وذلـك حسب اعتقادنا لانهم لا يفهمونها .

س : هل تقصد انهم مهتمون بالسلام في الشرق الاوسط ؟

ج : بالنسبة لي انهم ليسوا مهتمين بالسلام لانهم لا يحاولون تحقيق السلام الحقيقي في الشرق الاوسط طالما لم يرض الفلسطينيون فلن يكون سلام في الشرق الاوسط ابـدا . ولم يطرح أحد السلام في الشرق الاوسط بصورة جدية . هناك حلول سياسية وقد قبلت بها بعض الانظمة العربية . ولكن السؤال هو هل قبلت اسرائيل أيا من تلـك الحلول السياسية والسلمية التي طرحت هنا وهناك .

س : اذن ، لا الفلسطينيون ولا الاسرائيليون يريدون حلا ؟ انهم حلفاء ؟

ج : انني ارفض ان اضع ذلك في تلك الصيغة .

س : ربما كان ذلك هو الامر الواقع ؟

ج : لا يمكننا ان نكون حلفاء للاسرائيليين ابدا . نحن اصدقاء للشعب اليهودي ، ونحن نحب اليهود ولكننا نفرق بين اليهود والصهيونيين كما اننا لا نستطيع ابدا ان نكون حلفاء لدولة توسعية فاشية .

س : لو لم تكن ايلول الاسود موجودة لكان عليكم خلقها ؟

ج : هذا انطباعك انت ؟

س : لا .

ج : تقصد بين الفلسطينيين .

س : نعم ، انك بالتأكيد لا تتنصل مما يفعلون ، انك تقول انك لا تعرفهم ولا تعرف من يمولهم ولا من ينظمهم . لماذا يعتقد اناس كثيرون ومصادر كثيرة لا مصلحة لها في هذا الامر في العالم ان فتح وايلول الاسود هما شيء واحد .

ج : ان هذا سؤال مهم . انني اعتقد ان القوى المضادة للثورة والغرب يحاولان بكل الوسائل تصويرنا في الغرب على اننا ارهابيون ، انهم يحاولون تصفيتنا ، تصفية حركة المقاومة الفلسطينية التي لا يستطيع احد ان يصفيها وهذا ما سيثبته الزمن .

س : لماذا يبدو ان هناك انطباعا بأن فتح وايلول الاسود هما في الواقع شيء واحد . لماذا يوجد الانطباع في العالم بان عددا كبيرا من قادة فتح يخططون لايلول الاسود ويعرفونها ويساعدونها ويمولون عملياتها .

ج : انني اعتقد ان هناك دولا وعلى رأسها الولايات المتحدة الواقعة تحت تأثير الصهيونية تحاول تصفية حركة المقاومة الفلسطينية وان من الممكن جدا انها تريد طرح فتح وحركة المقاومة كحركة ارهابية لتبرير تصفيتها امام العالم . انني اعتقد شخصيا ان لا احد يستطيع تصفية حركة المقاومة الفلسطينية لاننا لسنا ايلول الاسود ولاننا حركة مقاومة . وهنا تكمن عظمة الطليعة الفلسطينية المتواضعة . انه من السهل دائما تصفية ظاهرة من الظواهر ولكنه ليس من السهل تصفية حركة مقاومة يخوضها شعب يؤمن بعدالة قضيته .

س : عندما كانت اسرائيل تحاول ان تصبح امة ساعدت في ذلك منظمات ارهابية صهيونية مثل شتيرن والارغون ويعتقد بعض الناس ان ايلول الاسود تلعب دورا مماثلا . هل ترى تشابها في الحالتين ؟

ج : انني لا اعتقد ان تلك المنظمات الارهابية ساعدت في ولادة اسرائيل . ان اسباب ذلك اعمق واكبر ولا اريد ان اخوض هنا في تفاصيل هذا الامر ، الا انني لا اعتقد ان مثل هذه العصابات ساعدت كثيرا في خلق اسرائيل .

س : الا يثبت التاريخ الى حد ما ان عمليات تلك المنظمات الصهيونية مثل نسف فندق الملك داود في القدس هزت البلاد ؟

ج : ان تلك الظواهر لا تبني دولا ولا تخلق امما . ان ولادة اسرائيل كانت ولادة غير شرعية وتمت على أيدي قوى معروفة لك كما هي معروفة في الغرب .

س : هل الارهاب الذي تقوم به ايلول الاسود هو في مصلحة الفلسطينيين أم ضدها ؟

ج : ليست ايلول الاسود مرتبطة بنا وهذه حالة مختلفة كليا لان شتيرن والارغون وغيرهما من المنظمات الصهيونية الارهابية كانت مرتبطة بالقوات الصهيونية الرسمية .

س : ان ايلول الاسود ترتبط في ذهن الراي العام بحركة المقاومة الفلسطينية فالشبان الذين نفذوا عملية ميونيخ جاءوا من مخيمات اللاجئين في لبنان وهذا امر معروف جيدا .

ج : وان كان اولئك الشبان جزءا من الشعب الفلسطيني فانــه لا يعني انهم من ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية التي تضم مختلف المنظمات الفدائية الفلسطينية . لقد كانت الارغون وشتيرن منظمتين . واعتقد ان ايلول الاسود هي عبارة عن افراد .

س : بعد عملية ميونيخ ذهب الفدائيون الثلاثة الذين نجوا من تلك العملية الى طرابلس الغرب في ليبيا حيث استقبلهم القذافي وحكومته استقبال الابطال ، وقد عقدوا مؤتمرا صحافيا هناك . كيف يمكنك اذن ان تقول انك لا تعــرف من هم ومن اين يأتون وانهم ليسوا جزءا من المنظمات الفلسطينية .

ج : انني اعرف، انهم من ابناء الشعب الفلسطيني . ولكنني في الحقيقة لا اعرفهم .نحن فلسطينيون ولا سلطة لنا عليهم ولا نعرف قادتهم . اننا لو اردنا ان نعمل مثلهم لعملنا افضل منهم وبدقة اكثر وفعالية اكبر . اننا لو اردنا الوصول الى تلك المرحلة او لــو وصلنا تلك المرحلة اؤكد لك ان لدينا الادمغة للقيام بذلك بفعالية اكبر ولكننا لن نتناقض مع انفسنا ابدا لان لنا ايديولوجيتنا ولدينا حركة مقاومة .

س : هل تعتقد ان قدر الشعب الفلسطيني هو ان ينير الطريق للشعوب العربية ؟

ج : اننا جزء من الشعب العربي ونعتقد اننا اكثر تقدما منهم سياسيــا وفكريا ، اكثر تقدما من الانظمة العربية . اننا نؤمن ان الجماهير العربية ستكون في النهاية معنــا في مسيرتنا الطويلة .

س : المسيرة الى اين ؟

ج : الى تحرير فلسطين واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطيــة وانقاذ الفلسطينيين واليهود من الصهيونية .

س : وعندما تحتلون مكانكم كدولة في الشرق الاوسط . هل ستصبحون الدولة القائدة في هذه المنطقة ؟

ج : ان ذلك يعتمد على مقدار ما نستطيع نحن واليهود عمله لا نحــن والصهيونيين . وذلك أمر ليس سهلا ولا يتم في فترة قصيرة .

س : ما هو الذي يعجبك في اليهود ؟

ج : ان المسألة ليست مسألة اعجاب . انني اعتقد حقا اننا كنا دوما نحب اليهود ونعزهم عندما كانوا يعيشون معنا في فلسطين . وقــد صعقني ان الحركــة الصهيونية زادت المسألة اليهودية تفاقما وزاد ما يسمى بالاضطهاد ضدهم في الغرب .

س : ما يسمى بالاضطهاد ؟ لقد كان هناك اضطهاد .

ج : انني اعتقد انها كانت مأساة وذلك موضوع اخر .

س : ولكن يبدو انك تتحدث عن اليهود باعجاب .

ج : ليست المسألة مسألة اعجاب . انني أعجب بكل الشعوب . ان اليهود اذكياء وربما حل بهم ظلم في اوروبة وامريكة . ولكن لماذا تحــل مسألتهم على حسابنــا ؟ هذا هو السؤال . لقد عاش اليهود بيننا ، اننا طويلو النفس ، اننا أمــة عظيمة . اننا سنحل هذه المسألة وليست مهمة الولايات المتحدة حلها . انها لا تحل بالقوة .

س : تقول ايلول الاسود ان اعضاء منظمة التحرير الفلسطينية وقادتها كبار في السن ومعتدلون جدا .

ج : هل قالوا ذلك ؟

س : بعضهم قال .

ج : انني اعتقد ان ايلول الاسود والذين قاموا بعملية ميونيخ لم يريدوا قتل اليهود ، لم يريدوا قتل الاسرائيليين . لقد ارادوا كما تعلم اسرهم من اجل اطـلاق سراح رفاقهم المسجونين في اسرائيل . وانني اعتقد ان الحكومتين الالمـانية الغـربية والاسرائيلية مسؤولتان عما حدث في ميونيخ . أما فدائيو ايلول الاسود فلم يريدوا قتلهم .

س : اعود الى سؤالي : تقول ايلول الاسود ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية معتدلة جدا ، تتحدث وتجلس في المكاتب في بيروت ؟

ج : ان كل معلوماتك عن حركة المقاومة خاطئة ، ان شخصا مثلي قد يأتي الى بيروت بين الفينة والفينة ويجلس الى المكتب لانني مسؤول عن الاعلام أما المقاتلون فلا يفعلون ذلك ولن نسمح لاي كان ان يسيء تمثيل حقيقتنا . اننا حركة مقاومة ونحترم انفسنا ونقاتل واصحاب قضية عادلة نحيا في سبيلها .

س : ان ذلك النوع من الارهاب يبقي الامر في الصفحة الاولى . ويبدو لي ان حركات مثل الجيش الجمهوري الايرلندي وشتيرن وايلول الاسود هي طليعة اية حركة ثورية .

ج : انني طالب تاريخ واذا احتاجت ثورة ان تقاتل بهذا الاسلوب فانها تلجأ اليها . اما نحن فلسنا بحاجة اليه لحد الان وهو ليس ضمن استراتيجيتنا . واذا كـان الناس لا يصدقوننا فان ذلك لا يهمنا . ومثل هذه الظواهر ستزول الا ان الغرب يضخمها .

س : كيف يضخمها وقد قتل ديبلوماسيان امريكيان وديبلوماسي بلجيكي .

ج : ان الكثيرين يقتلون في امريكا كل يوم . ان عصابة المافيا تعمل في الولايات المتحدة . ما هو تأثير عملها ؟

س : انني افهم ما تقول . ماذا سيحدث في الخرطوم ؟

ج : لا اعتقد انهم سيقتلوهم .

س : انني افترض ان شخصا ما سيعترف وانني انتظر الاعتراف بشوق .

ج : انهم لا يعرفون اي نوع من الشباب هم . ان هناك أناسا مستعدون لتفجير انفسهم وتفجير الاخرين .

آخر حديث للشهيد أبو يوسف

نص الكلمة التي القاها الشهيد ابو يوسف باسم الثورة الفلسطينية في الاحتفال الذي جرى في بيروت في ذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي ، وذلك قبل استشهاده بيومين .

حين تقف الثورة الفلسطينية لتحتفل مع البعث في ذكرى مولده فلا بد من أن نشير الى ان ذكرى تأسيس هذا الحزب الذي طرح شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية انما كانت شعارات رفعها مؤسسوه والقوى الدولية في ذلك الحين كانت تعمل جاهدة لتمزيق هذه الامة وتخطط وتنفذ لاقتطاع جزء عزيز من جسدها لتعطيه لقمة سائغة للصهيونية العالمية لتقيم عليه اسرائيل .

ومن هنا فان قيام حزب البعث كان استجابة لعامل البناء والتصدي داخل هذه الامة عملية بناء ضد محاولات التمزيق والاقتطاع وعملية تصدي ايضا لمحاولات التمزيق والاقتطاع .

ويوم ان طرح الحزب شعارات التمرد على الحدود وان رسالته هي استمرار لحمل رسالة امتنا الخالدة فمما لا شك فيه انها كانت عملية خلق جديد في تاريخ امتنا العربية امتدت حتى يومنا هذا ترفع الشعارات فتضم بين جوانحها هذه القلوب المؤمنة بأمتها من محيطها الى خليجها . الا ان قوى الشر المتربصة دوما وباستمرار بهذه الامة وتعرف أن في وحدتها ضمان لوجودها وفي حريتها ضمان لتثبيت هذا الوجود حاولت ولا زالت فصم هذه الوحدة واهدار هذه الحرية في داخل صفوفنا .

ومن هنا فانه لا بد من ان نقرر حقيقة طالما حاول اعداؤنا طمسها، انه في اليوم الذي حلت فيه نكبة الاستعمار بقرار التقسيم واقتطاع الجزء الغالي من وطننا فلسطين كان هذا الحزب يخرج الى النور ، بعد ثلاثين عاما بالضبط وبعد نكسة عام ٦٧ خلقت الثورة الفلسطينية وتجسدت ارادتها بعد أن مهدت لها طلائع شعبنا المكافح في فاتح يناير ٦٥ .

والتقت المسيرتان لتعطي دفعة جديدة لهذه المسيرة وبدأت تحمل لهذه الامة تباشير العودة بأن هذه الرسالة الخالدة لها من يحميها ويذود عنها .

الا انه كالعادة وقفت غربان الشر تحاول من جديد ان تجلل هذه المسيرة بالسواد معتقدة ان عملية تاريخ هذه الامة يمكن ان يعود الى الوراء وانه سيطلب من هذه الجموع التي أصبحت لا تعرف للراحة طعما ما دام في الوطن السليب محتل ان تستسلم . وما دروا ان بحرب التحرير وحرب التحرير الطويلة الامد اصبح كل انسان في هذا الوطن يعيش يومه وغده .

وانه في الوقت الذي تقف فيه غربان هذه الامة بكل أسف تحاول ان تشكك في حماة المسيرة وأبنائها نؤكد انطلاقا من ايمان الرجال كل الرجال أن تاريخا صنعه شهداؤنا وعهدا قطعه من هم على قيد الحياة انهم في سبيل الهدف سيناضلون وعلى العهد سيظلوا قائمين حتى يتحرر الوطن وتعاد لهذه الامة كرامتها وحريتها .

ومن هنا فان من واجبنا في ذكرى مولد البعث ان نطالبه انطلاقا من فهمنا لاخوة السلاح ورفاقية الدرب ان قدره في ان يظل امينا على شعاراته مؤمنا برسالته التي هي رسالتنا تحرير الارض والانسان .

وان من واجبنا ونحن نحيي الذين اخرجوا هذه الشعارات واقاموا تحت ظلها نظما ترعى هذه الشعارات ان يكونوا معنا في حماية المسيرة مسيرة البناء والتصدي لكل اعداء هذه الامة .

ومن هنا فان عبء المرحلة ثقيل وثقيل جدا . ولعل من المفيد ان نقول في هذه الذكرى أن ثورتنا الفلسطينية وهي ترقب بأمل ورغبة ان تأتي هذه الذكرى وقد ضم البعث جناحيه ليرعى أبناء هذه الامة محققا اسمى هدف من أجل تحرير الارض والانسان اللذين هما هدفه وسر وجوده .

ومن هنا فان الثورة الفلسطينية ترى لزاما عليها أن تجدد العهد من جديد امام الشعب كل الشعب في انها ستظل وفية لمبادئها واستراتيجيتها لا تنحرف ولا تخون ولا تهادن على حق وان من يفكر في شيء من هذا فلا شك انها ستلفظه من صفوفها كما يلفظ البحر الكبير الجيفة النجسة .

ومن هنا أيضا فان كل الذين يمكرون ويتآمرون ويدبرون في الخفاء لجر هذه الامة الى مصير مجهول وقذفها في مستنقع آسن تختنق فيه لن يصلوا بحول الله الى ما يريدون وان مؤامرة تحاك هنا او هناك من قوى الاستعمار واربابه لا بد وان تعطينا دفعة جديدة ودما جديدا يبعث فينا الحياة من جديد .

ان مشروعا يحاول فيه حكم العمالة في عمان ان ينهي ثورتنا وحق شعبنا في الوجود والمصير لا بد وان يلقى حتفه .

وان مؤامرة تستهدف ايجاد حلول استسلامية لا بد أن تلقى بالتالي حتفها لان مصير الشعوب لا يرتبط بمتخاذل ولا بمفرط بحق الشعب والامة .

وان مؤامرة تحاك في الارض المحتلة لشراء الاراضي لا بد وان يجند لها كل الجهد والمال لمنع هذا التآمر الجديد ومن هنا نسأل اين المال العربي الذي يتدفق على بنوك العالم ويوضع بطريق غبي جبان في بنوك العدو في اوروبا وامريكا من ان يقف وقفة شجاعة لينقذ الارض والانسان .

ان اعباء جساما ملقاة على عواتقنا فهل سنكون على قدر المسؤولية ؟ ان روح التفاني والتضحية التي لا بد وان يكون ابناء هذه الذكرى ، ذكرى مولد البعث ، مطالبين بها هي ان يكرسوا الحقيقة بنفس المنهج الذي اختطوه لانفسهم منذ ان آمنوا بالمسيرة واهدافها.

ونحن بكل طاقاتنا وامكاناتنا التي هي دماؤنا ولا سواها نقف في هذه الذكرى مع البعث اينما وجد لنحقق نحن واياه عملية البناء والتصدي وخلق جبهة عريضة متراصة في وجه أدوات الاستسلام التي تريد العار والهزيمة لهذه الامة .

فتحية منا للبعث في يوم مولده وتحية منا لكل البنائين في صفوفه والصامدين في جبهته والمرابطين في خنادقه من يوم أن عرفنا البعث يقود التظاهرات من أجل الفتح وفلسطين ومن يوم ان عرفنا جبهة البعث تحمي ثوار فلسطين على حدود العدو من أجل تثبيت الثورة وحمايتها ومن اجل تحرير الارض والانسان .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

خمس وعشرون سنة ونحن نعيش المأساة . وخمس وعشرون سنة ونحن نتكلم عن المأساة . ومع هذا فان الكثير من حقائق المأساة ، من وقائعها ومن تفاصيلها ومن خلفياتها ومن نتائجها المباشرة ، لا يزال غير مؤرخ ، ذكريات متخفية في الاذهان ومعلومات موزعة لدى شهود عيان مبعثرين .

تحاول شؤون فلسطينية ، في هذه الذكرى الكئيبة لنكبة فلسطين قبل ربع قرن ، ان تلملم بعض هذه المعلومات وان تسجل بعض هذه الذكريات لتكون في النهاية جزءا من مرجع تاريخي يفيد منه الباحثون عندما يفطنون الى أن حقائق النكبة لا تزال بحاجة الى من يسجلها والى من يستنطقها العبر .

وهي ذكريات أليمة ، وذكريات متهمة جارحة . انها ذكريات أيام سود وقعت وما نزال نحصد ثمارها المرة . الا أن من بين أشواكها تنبت ، ولو ببطء شديد ، زهور الامل — الامل بنصر يسترجع الوطن ويعيد الغرسة الفلسطينية الى تربتها التي انتزعت منها طيلة هذه السنوات الخمس والعشرين . وان كان هذا العدد من شؤون فلسطينية قد أفرد صفحات كثيرة لتصوير الاشواك فان غدا مشرقا ، لا بد انه آت ، ستذوي فيه هذه الاشواك ، التي الفناها حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا ، وستينع فيه ازاهير النصر والعودة التي ما فتىء الشعب الفلسطيني يتعهدها ويسقيها من دماء بنيه (خيرة بنيه) ومن امثولات نضاله ومن اماله الكبيرة .

حدود مقفلة وجسور مفتوحة
((واقع الساحة الفلسطينية))

الدكتور حسام الخطيب

١ ــ تمهيد

منذ أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن وما نجم عنها من اضطرار الثورة الفلسطينية الى التخلي عن ساحة انطلاقها الرئيسية تدور على ألسنة الجماهير العربية والشبيبة الواعية والمثقفين الثوريين أسئلة كثيرة حول الوضع الذي انتهت اليه الثورة الفلسطينية والآفاق التي ينتظر أن تتطور التجربة الثورية الفلسطينية باتجاهها سواء أكانت هذه الآفاق وضاءة مبشرة بالنصر أم كالحة ومشحونة بصعوبات وتحديات جديدة .

واليوم بعد انقضاء أكثر من سنتين ونصف السنة على هزيمة أيلول الفلسطينية المحزنة وبعد انقضاء حوالي ست سنوات على هزيمة حزيران العربية المأساوية ، لا بد للمرء من ان يجد عذرا ومسوغا للتساؤلات الكثيرة التي تثار حول مستقبل الثورة الفلسطينية بل حول مستقبل القضية العربية بالمعنى القومي الشامل لهذه الكلمة . ولا شك أن هناك تساؤلات كثيرة نابعة من نوايا تخريبية ومجندة لخدمة حملة التشكيك الكبرى التي يشنها علينا العدو الصهيوني والامبريالية بغية تحطيم ثقة الجماهير العربية بنفسها وخلخلة ولائها لقضيتها وتهيئتها لتقبل مشروعات التصفية والاستسلام . الا أن هذه الحقيقة يجب أن لا تحجب عن أذهاننا أن جانبا كبيرا من التساؤلات التي يسمعها المرء في كل مكان من الوطن العربي انما هو تعبير عن قلق حقيقي على مستقبل هذه الامة وحيرة سياسية وعجز عن اختراق الضباب الذي يلفع المرحلة ويحجب عن العين رؤية الاحتمالات الكثيرة المبشرة التي ينطوي عليها واقع الوطن العربي. على ان الاعتراف بهذا الواقع أو محاولة تجاوزه يجب أن لا يكون مسوغا لاتجاه تبشيري في معالجته او لاتجاه الى تجنب الخوض في المسائل الشائكة المطروحة أمام الوطن العربي بحجة **الحرص على المعنويات** . ان البحث الحالي يحاول تجنب هذه المزالق ولكنه يقوم على دعوى واضحة الحدود ، وهي أن النظرة الواعية الى مستقبل النضال العربي يجب ان تنطلق من معطيات الواقع المر الحالي لتفتق الحجب عن امكانات المستقبل . ان الرؤية المجردة للعوامل الموضوعية على جانبي الصراع لتؤكد ان الطرف العربي يملك من الامكانات ما يؤهله للقبض على زمام الامور وتسيير دفة الصراع لصالح تثبيت الحق العربي الواضح واجتثاث العدوان الصهيوني الامبريالي القائم على منطق القوة والباطل .

ومن الواضح ان البحث الحالي ينحصر في نقطة محددة جدا وهي الواقع الحالي لساحة

---

* وزعت نسخة مختصرة من هذا البحث في مؤتمر الادباء العرب التاسع الذي عقد في تونس بين ١٨ ــ ٢٥ آذار ١٩٧٢ ، ويعتبر المؤلف النص الحالي للبحث المرجع الوحيد الذي يعترف به .

الثورة الفلسطينية ويتجنب الخوض في المشكلات المتعلقة بقوى الثورة ذاتها ، الا أن التركيز حول هذا الموضوع غير ممكن على الاطلاق دون ربط المسألة باطارها العربي الوثيق من جهة وكذلك باطارها الدولي من جهة أخرى ، وليس بالامكان فصل القضية عن هذين البعدين وذلك لاسباب كثيرة أبرزها المصير المشترك بين الثورة العربية والثورة الفلسطينية من جهة والتلاحم العضوي بين الصهيونية والامبريالية العالمية من جهة أخرى . وكذلك يبدو أنه لا مندوحة لنا عن ربط الحاضر بالماضي على أن تجري الاشارة الى الاطار العام بالقدر الذي يساعد على ايضاح جوانب الحاضر واضاءة الزوايا المهمة التي ستكون بنية المستقبل .

٢ ــ محاولة لفهم ساحة الثورة الفلسطينية

ان الثورة الفلسطينية تمثل حالة فريدة بين الحالات الثورية وساحتها بالضبط ــ ولنقل مجالها المغناطيسي ــ ليست من صنعها وحدها ولا هي من صنع الدياليكتيك الطبيعي الذي يقوم بين الخصم والخصم وينتج عنه تركيب معين يكون لكل من الطرفين نصيب واضح في تحديده . ان العوامل المتضاربة العربية والدولية والصهيونية التي تدخل في صنع « التركيب » المسمى بساحة الثورة الفلسطينية تجعل دور الثورة الفلسطينية في تحديد طبيعة ساحتها دورا غير مؤكد وغير مطرد التأثير ومن هنا يبيح هذا البحث لنفسه أن يتحدث عن ثورة من جهة وعن ساحة من جهة أخرى دون أن يسمح بالفصل المصطنع بين الجهتين .

وبعد ان وضعنا الاعتبارات السابقة في الذهن يمكن أن نتساءل : ما معنى ساحة الثورة الفلسطينية وما حدودها وكيف تبدو في هذه الايام وما هي المؤشرات التي تحملها سلبا او ايجابا بالنسبة للاهداف القومية العربية ؟

لنحاول الاعتماد هنا على نوع من التحديد الجغرافي ، فهو يبدو باديء ذي بدء غاية في السهولة وربما ضربا من المسلمات . ساحة الثورة الفلسطينية هي بالضبط فلسطين بحدودها المعروفة أيام الانتداب (من البحر الابيض غربا الى نهر الاردن شرقا) . ولكن ما أن نضع هذا التحديد حتى نتساءل : ولكن أين الفلسطينيون وهل يستطيعون اثبات وجودهم في هذه الساحة اذا تبنينا مثل هذا التحديد ؟ ان نصف الفلسطينيين يعيشون خارج وطنهم ولذا ينبغي ان تكون الساحة أوسع من ذلك . ولكن هذا العامل ليس هو العامل الوحيد الذي يقتضي توسيع مفهومنا لساحة الثورة ، فهناك عامل آخر لا يقل عنه أهمية من الناحية العملية وهو واقع الاحتلال الصهيوني الذي تجاوز أرض فلسطين واقتطع أجزاء من دول عربية مجاورة ولا بد أن تكون هذه الدول بطبيعة الحال ساحة مباشرة للتحرك ضد العدو . واذا لنقل ان الساحة المباشرة للثورة تشمل أرض فلسطين كلها بالاضافة الى أراضي الدول العربية المحيطة بفلسطين ، وكلها بالفعل تعرضت لخسارة أجزاء بسيطة أو كبيرة من أراضيها حتى الآن وكلها تعيش حالة من التوجس والقلق وتخشى فقدان أجزاء أخرى من أراضيها .

على ان هذا التحديد للساحة المباشرة يبدو عاجزا عن تغطية العامل الاول وهو التشتت الفلسطيني الذي لا يقف عند حد الدول العربية المحيطة باسرائيل بل يمتد شرقا وغربا حتى يتجاوز حدود الوطن العربي الى أقطار أخرى كثيرة من العالم . كذلك يبدو هذا التحديد عاجزا عن تغطية العامل القومي العربي الذي يقوم على فهم أوسع للصراع العربي الاسرائيلي ويتضمن فيما يتضمن وجوب اشتراك الوطن العربي كله في المعركة المصيرية ضد العدو الصهيوني الذي تتناول مطامحه التوسعية المنطقة العربية بأسرها . واذا لكي نراعي هذه العوامل كلها لنقل ان ساحة الثورة الفلسطينية يمكن ان تفهم عمليا ضمن ثلاثة خطوط :

آ ــ ساحة الصدام المباشر ، وتتضمن في المرحلة الحالية أرض فلسطين والمناطق العربية المحيطة بها .

ب ــ الساحة العربية ، وهي تشكل العمق الاستراتيجي للجبهات العربية ، وليست في منأى عن الخطر أبدا ولكن طبيعة اسهامها في المعركة يمكن أن تكون ذات ملامح خاصة ليس من الضروري أن تتطابق تماما مع ملامح ساحة الصدام الفعلي .

جـ ــ الساحة الدولية وهي ليست ساحة ثانوية أبدا وان كانت لها اعتباراتها وقوانينها الخاصة . وتمتد حيثما وجدت المصالح الامبريالية أو الصهيونية وحيثما وجد الصدام بين قوى التحرر وقوى الظلم والاستعمار .

وفي البحث الحالي سيجري التركيز حول ساحة الصدام المباشر وسوف يجري التعرض للبعدين الآخرين للساحة من خلال مقتضيات البحث في النقطة الاولى .

٣ ــ الواقع الحالي للساحة

اذا كانت الصورة الحالية للجانب العربي من الساحة تبدو مريضة ومتدهورة فانها من خلال المنظور الاوسع للجانبين تبدو مشحونة بالمفارقات حتى منزاوية الموقف الفلسطيني نفسه . فعلى الجانب العربي يتلخص الموقف في ان الساحة المحيطة مباشرة بالعدو المحتل قد أغلقت تماما في وجه الحركة الفدائية بحيث أصبح تحرك أي فدائي على الحدود يصطدم بسياج من القوات العربية المرابطة (لا الاسرائيلية) ، وبحيث أصبحت الحركة الفدائية بالتالي خاضعة خضوعا مباشرا لاعتبارات السياسة المحلية في كل قطر من الاقطار العربية ما دام تحرك قواتها باتجاه الهدف مرهونا بارادة هذه الاقطار . وبالمقابل تجري على الساحة المعادية تجربة غريبة من نوعها تحمل مفارقة واضحة لما يجري على الطرف العربي وان كانت هذه المفارقة لا تفهم الا من خلاله . فمقابل قيام القوات العربية باغلاق الحدود امام الفدائيين* تقوم سلطات العدو بتنفيذ سياسة الجسور المفتوحة وتشجع تنقل الفلسطينيين عبر الحدود وتحاول ان تخلق من حول هذا التنقل جوا نفسيا وسياسيا يوحي في الظاهر انه طبيعي وغير مصطنع .

واذا يمكن القول ان ساحة الصدام الفعلي للثورة الفلسطينية تتميز بالموقفين التاليين :

آ ــ الحدود العربية المقفلة في وجه الحركة الفدائية .

ب ــ الجسور الاسرائيلية المفتوحة في وجه الفلسطينيين .

ومن زاوية الثورة الفلسطينية بالذات لا بد أن هذا الامر يبدو مربكا ويقتضي اتخاذ اجراءات وتدابير ذات مستوى غير اعتيادي حتى تتمكن الثورة من الاحتفاظ ولو بالحد الادنى من القدرة على التحرك ومن تأمين الالتفاف الجماهيري حولها .

ولنحاول فهم الموقف من خلال هاتين النقطتين :

آ ــ الحدود العربية المقفلة في وجه الحركة الفدائية

من الواضح ان النتائج التي ترتبت على أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن كانت بالغة الخطورة على مستقبل الثورة الفلسطينية ، وقد اثبتت أحداث السنتين الماضيتين ان هزيمة الاردن كانت ضربة على المستوى الاستراتيجي لم تستطع الثورة حتى الآن معالجتها أو التعويض عنها بل انها ما زالت تعاني من عقابيلها ، وأبرز هذه النتائج بالنسبة لمصير الثورة هي خسارتها لقاعدة انطلاقها الرئيسية واضطرارها لتوجيه القسم الاكبر من مجهوداتها الحالية من اجل استعادة قاعدتها الرئيسية وهي مجهودات لا تنبىء حتى اليوم بأية درجة ملموسة من درجات التقدم باتجاه هذا الهدف ، وان كان ذلك لا

* لاسباب متفاوتة سنأتي على ذكرها فيما بعد .

يعني استحالة تحقيقه . لقد خسرت الثـورة في الاردن قاعدة انطلاق وساحة تؤهلها عوامل كثيرة لان تكون ساحة صدام رئيسية ، وأهم هذه العوامل امتداد الجبهة الاردنية مع العدو على طول ٦١٥ كم ، وغياب الحواجز الطبيعية بين الضفة الغربية والارض المحتلة قبل حزيران ١٩٦٧ ، ووجود مجال حيوي للثورة في النقب وايلات بوجه خاص ، وضعف الكثافة السكانية الاسرائيلية على الجانب الآخر من الحدود ، والاتصال البشري الوثيق بين شرق الاردن والضفة الغربية وكذلك بين الاردن وعدد من الاقطار العربية المجاورة ذات الاهمية الاستراتيجية ، والعمق الاستراتيجي للجبهة الاردنية جغرافيا وبشريا ، وأخيرا وأهم من ذلك كله — كون الاردن هو التجمع الفلسطيني الاكبر خارج الارض المحتلة ووجود هذا التجمع في بيئة متجانسة تماما وموحدة التكوين والمصير .

على أن المسألة ليست نظرية فحسب ، ويزيد الامر خطورة أن الثورة كانت قد أعدت عدتها على أساس أن الاردن هو قاعدة الانطلاق الرئيسية وقطعت في هذا الاعداد شوطا كبيرا ، اذ كدست الساحة الاردنية بالرجال والسلاح والمال وعبأت الجماهير الفلسطينية تعبئة سياسية وعسكرية غيرت من مجرى الحياة اليومية لهذه الجماهير التي دافعت عن نفسها بشكل لم تعرفه منطقة الشرق العربي منذ زمن ، وكانت هدفا أساسيا لحملة الابادة الجماعية التي قامت بها قوات النظام الملكي لصالح المخطط الصهيوني الامبريالي. لقد اتخذت الخسارة الفعلية للثورة نتيجة احداث أيلول شكلا مخيفا لان الثورة أصلا صبت جهودها الرئيسيـة في الاردن وكرست فيـه جل مواردهـا وامكاناتهـا . وبالطبع ليس المجـال الآن مجـال احصاء الخسائـر لتحليـل الاسباب وتحـديد المسؤوليات ، فذلك كلـه له مجال آخر ، ولكـن المهـم الآن ان نتصـور واقـع الثورة الحالي بعد أن فقدت الاردن فقدانـا شبه تـام . لنتذكر الوضـع الجغـرافي للارض المحتلة، في الجنوب وصل الاسرائيليون الى الشواطىء التي تؤلف حاجزا طبيعيا، خليج العقبة والبحر الاحمر وقنال السويس . ومن هنا لا مجال للحديث عـن العمل الفدائي وحتى لو افترضنا امكان تجاوز هذه الحواجز الطبيعية فان الوضع البشري في شبه جزيرة سيناء وطبيعة أرضها الصحراوية يجعلانها أيضا حاجزا طبيعيا آخر يسهم في محاصرة قطاع غزة ويجعل الاتصال بينه وبين مصر مسألة صعبة جدا في ظل ظروف الاحتلال وتقدم الوسائل التقنية المتوافرة لسلطات العدو العسكرية . اذا ما الذي يتبقى بعد ذلك ؟ هناك طبعا مرتفعات الجولان السورية ولبنان . وبالنسبة للهضبة السورية بالذات تبرز صعوبات واضحة ، فها هنا جيش عربي رابض في كل مكان على الحدود ذات الامتداد المحدود وهو يحمي قطرا عربيا يمثل الصلابة القومية في موقفه من العدو ومن مشروعات التصفية والاستسلام ، وأن أي تحرك فدائي لا يمكن الا أن يسبب له البلبلة وأن يضطره الى البقاء في حالة استنفار كامل وربما جره جرا الى معركة سابقة لاوانها وغير منسقة مع الجبهات العربية الاخرى ، يضاف الى ذلك ان الجيش العربي السوري كان طوال الفترة التي تلت هزيمة حزيران منهمكا باعادة بناء الجبهة ولم يكن ذلك عملا هينا وعلى الرغم من كل ذلك لم تنقطع العمليات الفدائية عبر الجبهة السورية طوال المدة السابقة بل انها في فترات كثيرة تصاعدت تصاعدا واضحا ولكن من المغالطة بالطبع اعتبار هذه العمليات المتقطعة المحدودة بديلا للعمل الفدائي المنشود .

وهكذا لم يبق أمام الحركة الفدائية الفلسطينية سوى لبنان ، وهكذا كان طبيعيا ان ينتقل التركيز الاساسي من الاردن الى لبنان . لقد كان لبنان حلا للازمة وذلك لاسباب كثيرة فلسطينية ولبنانية وعربية واستراتيجية . ولسنا هنا في معرض تحليل هذه الاسباب ولكن لا بد من القاء نظرة سريعة عليها حتى تكتمل الصورة الحالية لوضع المقاومة .

فمن الناحية الفلسطينية ، يسهل على المرء أن يتصور أن المخيمات الفلسطينية في لبنان تشكل تربة خصبة للبؤر الثورية نتيجة لمعاناة سكانها التي استمرت منذ ١٩٤٨ . فلقد

عاش سكان هذه المخيمات تحت وطأة ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية قاسية جدا . لقد كانت الجماهير الفلسطينية في لبنان محرومة من أبسط حقوق الانسان، كانت محرومة حتى من حق العمل ولم يكن من السهل ان يحصل اللاجيء الفلسطيني على اجازة عمل وكثيرا ما سمعنا عن مطاردة قوات الامن للعمال الفلسطينيين واصحاب الحوانيت الصغيرة والصيادين بغية منعهم من العمل . وقد وجهت ضغوط مستمرة في الماضي لمنع الجماهير الفلسطينية من ممارسة اي نشاط تنظيمي سواء كان ذا صبغة سياسية أم اجتماعية ، ولم يكن يسمح للشباب الفلسطيني ان ينتسب الى فرقة كشافة او ان يكون فرقة لكرة القدم مثلا . وكانت ظروف الاحتقار والتمييز ضد الفلسطيني تجعله يعيش حالة من النقمة المستمرة ، وهكذا تضافرت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية لتجعل من (البروليتاريا الدنيا) في المخيمات نواة خصبة مهيأة للانخراط في الثورة وتكوين القاعدة الصلبة لها ، وحين اخذ التركيز الثوري الفلسطيني ينتقل من الاردن الى لبنان وجد التربة مواتية ووجد المخيمات الفلسطينية ، التي كانت قد قطعت شوطا جيدا في الاسهام في الثورة ، وجدها جاهزة لاحتضانه ودعمه. ومن الواضح اليوم ان بروليتاريا المخيمات الفلسطينية التي حصلت على السلاح وذاقت معنى التحرر والانتظام في العمل الثوري هي التي تشكل السياج الواقي للثورة التي ساعدتها على تحقيق انجازات اجتماعية وسياسية واقتصادية ملموسة . ولولا هذه الجماهير لكان ضرب القوات الفدائية المنظمة عملية غير معقدة* .

ومن الناحية اللبنانية لم يكن الوضع السياسي والاجتماعي في لبنان يتضمن عراقيل وتهديدات ذات خطورة اساسية بالنسبة للثورة الفلسطينية . فطبيعة النظام السياسي في لبنان القائم على اللبرالية والتوازن سمحت للثورة الفلسطينية ان تثبت حق وجودها من خلال صراع متواصل ولكنه متفاوت في حدته وضراوته . وعلى الرغم من تفاقم هذا الصراع في المرحلة الحالية ، فمن الواضح ان هناك ادراكا واضحا بأن اي حرب ضد الثورة الفلسطينية ستعني التصدي لمخيمات الفلسطينيين التي تضم حوالي مئتي الف نسمة ومعظم شبابها ورجالها مسلحون ومدربون . وعلى الرغم من الضغوط الاسرائيلية المتواصلة وعلى الرغم من الاعتداءات التي تشنها اسرائيل باستمرار على جنوب لبنان فمن الثابت ان السياسة الاسرائيلية الرامية الى احراج الحكومة اللبنانية ودفعها للدخول في معركة مكشوفة وفاصلة مع قوات الثورة غير قابلة للتحقيق ، بسبب العوامل التي ذكرناها وعوامل اخرى كثيرة . ومن هنا كان التطور الاخير في طبيعة الاعتداءات الاسرائيلية على الجنوب ولا سيما في النصف الثاني من عام ١٩٧٢ ، اذ يشير مستوى الهجمات وتتابعها ومكوث القوات الاسرائيلية في مواقع لبنانية معينة الى ان القوات الاسرائيلية لم تجد محيصا عن التصدي المباشر للفدائيين وتولي عمليات القمع بنفسها وهو امر حاولت اسرائيل دائما ان تتجنبه لاسباب عسكرية وسياسية ونفسية . وقد نجحت تماما في تجنب المواجهة المباشرة في الاردن بعد ان قامت القوات الملكية بهذا الدور ، ولكنها — فيما يبدو — اضطرت الى اتباع الاسلوب المباشر في لبنان للتوصل الى اقفال الحدود اللبنانية الفلسطينية في وجه الفدائيين .

ومن الناحية العربية بدا جليا ان معظم القوى السياسية المسيطرة على الساحة العربية ادركت بعد تفجر الازمة في الاردن ان الثورة الفلسطينية لا يمكن ان تمحى من الوجود بفعل اية ضربة مهما كانت محكمة وانه لا بد من وجود قاعدة يتمركز فيها النشاط الثوري الفلسطيني ويتخذها متنفسا له ، ولم يكن لدى هذه القوى مانع من اتخاذ لبنان بديلا من الاردن لاعتبارات كثيرة منها الشعور بان حدود لبنان محمية دوليا مما يخفف كثيرا من

---

* للتفصيل في وضع الفلسطينيين في لبنان أنظر : الحر ، ليلى : **الفلسطينيون في لبنان** ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ولا سيما ج ٢ (العلاقة مع الدولة اللبنانية) ، ملف **النهار** ، بيروت ، تموز ١٩٧٠ .

احتمال قيام اسرائيل باقتطاع اجزاء من ارضه بعد التذرع بوجود العمل الفدائي فيه ، وهناك اعتبارات اخرى بعضها غير متناقض مع المصلحة القومية وبعضها نابع من دوافع السياسة العربية المحلية .

ومن الناحية الاستراتيجية كانت هناك ايضا عوامل نوعية خاصة تجعل العمل الفدائي على النحو الذي تمارسه الثورة الفلسطينية ممكنا ، فالحدود اللبنانية الفلسطينية متصلة جغرافيا ، وهي غير محصنة تحصينا شديدا على الجانبين وتقل على الجانب الاسرائيلي نسبيا المستعمرات العسكرية خلافا لمناطق الحدود الاخرى في مواجهة الجبهات العربية ، ثم ان بعض مناطق الحدود اللبنانية السورية الفلسطينية كالعرقوب تؤلف مجالا طبيعيا ملائما جدا لتمركز مقاتلي العصابات واختبائهم ومناورتهم ، وقد اثبتت تجارب السنوات الماضية صحة هــذا الحكم اذ اضطر العدو الصهيوني للقيــام بسلسلة من العمليات الانتقامية بدأت اولا بالغارات الجوية الكثيفة وبعــد ان ثبتت ضآلة هذه العمليات قام العدو بعمليات غزو بري على نطاق واسع ، ولم يكن احتلاله لمنطقة معينة بالذات يعني انه قضى على العمل الفدائي ففي كل مرة كــان الفدائيون ينسحبون او يتوارون ثــم يعودون الى التمركز والشروع في عمليات جديدة . ومن هنا اقدم العدو على الاحتفاظ بنقاط مراقبة وتفتيش ثابتة داخــل الاراضي اللبنانية واغلب الظن انه سيحتفظ بهذه النقاط الى ان ينجح في دفع السلطة الى تسلم مهمة بوليس الحدود ومنع الفدائيين من التسلــل كما يحدث في معظم مناطق الحدود العربية الاسرائيلية . وان التطورات التي حدثت في عام ١٩٧٢ لتشير الى ان الطوق الذي يراد احكامه حول الحركة الفدائية قد قارب على الانتهاء وثغرة العرقوب اصبحت بالتدريج ضئيلة الفعالية ، ومن الواضح ان التطورات الداخلية في لبنان وفي الحركة الفدائية الفلسطينية نفسها تشير الى انتهــاء الحدود اللبنانية الى الانغلاق التام ، وبذلك يمكن القول ان السياسة التي رمت اليهــا اسرائيل منذ نشوئها ومنذ أن كانت هناك عمليات تسلل فردية أو منظمة ، هذه السياسة قد نجحت تماما عام ١٩٧٢ واحرزت درجة شبه كاملة من التطبيق ، **ويعني ذلك بالتحديد أن تصبح القوات العربية من حول اسرائيل بمثابة بوليس عربي يحمي الحدود الاسرائيلية من عمليات التسلل الفلسطينية فردية كانت ام منظمة ويوفر على قوات الامن الاسرائيلية مشقة الاحتفاظ بعدد ضخم من القوات في حالة تعبئة كاملة كما يؤمن للسكان الاسرائيليين ــ ولا سيمــا على الحدود ــ فرصة استثمــار الارض والتمركز والعيش الآمــن ،** هذه الامنيات التي طالما حلم بها سكان الحدود الاسرائيليون . ولعل اكبر دليل على اهمية هذه الامنيات بالنسبة لهم ذلك الفرح الذي ظهر في تعليقات الصحف الاسرائيلية على اثر أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن اذ انصبت التعليقات على ما سوف ينتظــر قرى الحدود من أمن واستقرار وهدوء بعد ان تم القضاء على الحركة الفدائية وتولي الجيش العربي المختص مسألة الامن على الحدود .

ب ــ الجسور الاسرائيلية المفتوحة في وجه الفلسطينيين

من خلال التحليل السابق لا بد ان يبرز سؤال حيوي وضروري . مــاذا عن العمل في الداخل ؟. لقد تناول الحديث حتى الان تطورات العمل الفدائي التسللي الذي يتخذ لــه قواعد في الاراضي العربية المجاورة للارض المحتلة . ولكن هذا العمل ليس هو النوع الوحيد من العمل التحرري غير النظامي ، فهناك ايضا رديف هذا العمل (لا بديله بالنسبة للوضع الفلسطيني) وهو المقاومة من الداخل على نحو ما كان يحدث خــلال السنوات الخمس الماضية في قطاع غزة واجزاء مختلفة من الضفة الغربية . لقد اثبت هذا العمل فعالية واهمية من خلال ما احدثه في صفوف العدو من بلبلة ومخــاوف على المستوى الشعبي ومن كلفة وخسائر وتعبئة مستمرة على مستوى قوات الامن ومن فضح للعدو الصهيوني على المستوى الدولي باعتباره غازيــا ومحتلا غاشما لا يتورع عن استخدام

اشد اساليب البطش والابادة لمقاومة حركات التحرير وكبت ارادة الشعوب . ومن جهة اخرى كانت بسالة قطاع غزة بالذات تعطي دفقة معنوية للثوار العرب في كل مكان وتثبت لهم أن العدو ليس ذلك الوحش الاسطوري الذي لا يمكن أن ينال منـه او يؤذى وان شعبا صغيرا استطاع ان يتحدى قوات الاحتلال الغاشمة وان يحدث البلبلة في صفوفها على الرغم من انه محصور من جميع الجهات وامكانـات امداده ضعيفة جدا والفرص العامة التي تتيحها له المنطقة محدودة جدا . ذلـك ان المقاومة في غزة خلال السنتـين الاخيرتين كانت النقطة الوحيدة المضيئة في ظلام المنطقة العربية وكان واضحا ان الناس في غزة يحاربون ويقاومون دون ان تلوح لهم في الافق اية بوادر تشير الى تحسن موقفهم السياسي والقتالي او حدوث اي تطورات يمكن ان تؤدي الى تخفيف الضغط عنهـم . والواقع أن التحليل الموضوعي كان يفيد دائما ان مستقبل المقاومة في غزة غير مضمون على الاطلاق وانه كان في احيان كثيرة نوعا من العنف الشعبي الذي لا يحمل مؤشرات نمو ثوري منظم وان كان ينطوي على امكانية قوية للعمل الثوري ، وهي حالة حذر لينين وغيره من القادة الثوريين من الركون اليها وتركها دون تطوير وتوجيه(*).

واليوم بعد انقضاء خمس سنوات على الاحتلال الاسرائيلي لقطـاع غـزة والضفة الغربية وسيناء والجـولان يتساءل المرء : مـاذا جرى للمقاومة العـربية في الارض المحتلة ؟... وهل صحيح ان العدو الاسرائيلي في حالة ممتازة يحسده عليها اي محتل اخر في العالم من حيث استتباب الامن والهدوء ومن حيث اقبال الناس على التعاون معه اقتصاديا واجتماعيا وبالتالي سياسيا ؟. لا شـك ان الصورة العامة قاتمة وليس من الخطأ على الاطلاق الاعتراف بأن المحتل الصهيوني قد حقق نجاحا يتمناه اي محتـل في هذا العصر ، بل انه يكون ضربا من الغباء والانتحار السياسي لو تعامى العرب عن هذا الواقع وانكروا وجوده . ولكن ــ مع ذلك ــ يجب ان لا تقبل هذه الصورة العامة دون تمحيص ودون تفصيل .

ــ لنقرر اولا حقيقة ربما كانت لا تحتاج الى براهين كثيرة وهي أن المقاومة في الارض المحتلة وحدها لا تكفي لاحراز اي تبديل جوهري في الواقع العسكري للمحتل الذي يتمتع برجحان ميزان القوى الى جانبه بشكل واضح حتى اليوم .

ــ ولنقرر ان استمرار اي شعب في المقاومة من خلال واقع لا يبشر بأي تغيير جوهري ربما يتحول الى نوع من الانتحار وقطع الطريق على بروز مقاومة منظمة في المستقبل . وبالنسبة للوضع الفلسطيني بالذات يمكن القول ان المقاومة غير الواعية ربما تؤدي الى اعطاء المحتل مسوغا مستمرا للبطش وتنفيذ خطط التهجير والتدمير والكشف عن الخلايا الثورية قبل نضجها .

ــ ولنقرر ايضا ان المقاومة الفلسطينية في الضفة الغـربية وفي غزة بوجه خاص بلغت الاوج خلال السنة التي تلت مذابح ايلول ١٩٧٠ ، كما لو كان ذلـك محاولة لشد ازر

---

* انظر : الخطيب ، د حسام ، **في التجربة الثورية الفلسطينية** ، دمشق ، ١٩٧٢ ، ص ٨٦ ــ ٨٧ ، حيث جرى تحليل لوضع المقاومة في غزة اختتم بالتعليق التالي « وصحيح ان العنف في غزة ما زال يؤدي وظيفة حساسة في احباط خطط قوات الاحتلال لتطويع المنطقة وهضمها وكذلك في رفع الروح المعنوية لدى المواطنين، الا أن المرء يلمح في هذا النوع ظل الاعراض المرضية التي اتصف بها العمل الفلسطيني بمجمله ، والنمو الكمي في عدد العمليات او جوادث العنف يجب أن لا يصرفنا عن الحقيقة المؤلمة وهي القصور عن احداث تغيير نوعي في مستوى العمليات . وغني عن القول ان هذا التغيير لا يحدث الا بعد توحيد القوى المقاتلة وتنظيمها ووضع برنامج مرحلي لاهدافها العسكرية والسياسية يرافقه برنامج تدريبي وتنظيمي في مستوى الاهداف المرسومة . واذا لم يتم التحرك بهذا الاتجاه ، واذا لم تساعد المنظمات من الخارج على تطوير الامور بهذا الاتجاه فعلينا ان لا نتوقع استمرار مقاومة غزة الى الابد » .

الثورة والتعويض عن الشلل الذي أصاب قواتها عقب هذه المذابح ، ولنتذكر ان المقاومة اخذت بالتضاؤل في العام الماضي (١٩٧٢) بعد أن ثبت أن الثورة الفلسطينية في المنفى لم تستطع ان تتغلب على عقبتها وبالتالي لن تستطيع ان توجه كامل جهدها للارض المحتلة في وقت قريب ، وكذلك بعد ان ثبت ان الوضع على طرفي الصراع — سياسيا وعسكريا — لا ينبيء بأي تبدل جوهري لمصلحة الجانب العربي في الفترة الحالية . وما دام الحال على هذا المنوال فما الذي يمكن ان ينتظره اي مراقب موضوعي ؟ هل يقول للناس انتحروا مهما كانت الظروف ؟ والفرج لا بد ان يأتي عاجلا او آجلا . لقد قررنا سابقا ان المقاومة الفلسطينية في الارض المحتلة كانت اقرب الى التلقائية خلال السنوات الماضية فلماذا لا نفترض ان سكوتها اليوم ناجم عن شعور شعبي مشترك بأن المرحلة صعبة وهي تتطلب التريث والصبر وتقوية الخلايا والاستعداد للساعة التي تشير عقاربها الى مواتاة الظروف . لقد ابتلي الشعب الفلسطيني على مدى اجيال متعاقبة بضعف قياداته — بل غيابها عن اي تأثير فعال في كثير من الاحوال — ولكنه استطاع بفضل وعيه التلقائي العام ان يحافظ على وجوده وان يستمر ويعيش رغم كل المخاطر والمؤامرات التي استهدفت انهاء وجوده كشعب . ولنقل ان تصرفه في هذا الموضوع بالذات انما يدل على شعور تلقائي بضرورة التحفز والتربص . ولو كانت هناك قيادة فعلية في الارض المحتلة ربما يتصور المرء انها — من خلال تحليل الظروف المختلفة — قد تنتهي الى اتخاذ قرار بتجميد الوضع أو التريث أو على الاقل بتقنين العمليات .

والمهم — على اي حال — هو ان لا نفسر كل الظروف والتطورات لصالح العدو وان ندرك من خلال رؤية غير وحيدة الجانب ان طاقات شعبنا موجودة وكامنة وانها تنتظر القيادة التي تحسن تعبئتها واعدادها وبالتالي اطلاقها باتجاه هدف التحرير المنشود ، وان فترة الهدوء الحالية هي من نوع الفترات التي تسبق العاصفة عادة .

على ان التأكيد على الحقيقة السابقة يجب ان لا يدفعنا الى الاعتقاد بان الصمت تام ومطبق في الارض المحتلة وان الجو هناك طبيعي والامن مستتب استتبابا تاما كما تحاول اجهزة الدعاية الصهيونية ان تصور الامر . وعلينا ان نذكر انه لا يمضي اسبوع الا وتقع عملية في الارض المحتلة سواء التي احتلت بعد ١٩٤٨ او بعد ١٩٦٧ ، وعلينا ان نفترض كذلك ان هناك عمليات كثيرة تتم وتنقضي دون ان يسمع عنها احد لانها عمليات متفرقة يستطيع العدو خنق اي خبر متعلق بها . ان الانسان لو استقصى عدد هذه العمليات من خلال اخبار الوكالات الاجنبية لوجد انها اكثر مما يعتقد عادة ، والسبب واضح جدا ، وهو ان رقابة هذه العمليات تركت اثرا نفسيا على القاريء العربي بحيث اصبح يتجاهل هذه العمليات حين يجدها في الصحيفة او يسمع عنها في الاذاعة ثم يوهم نفسه بأنها غير موجودة . ويزيد الامر سوءا فقدان قابلية التصديق لدى الفرد العربي لدرجة انه يتشكك حتى فيما تنقله الصحافة الاجنبية ، وربما اعتمد على الاذاعة الاسرائيلية اعتماد المصدق من اجل التأكد من اخبار العمليات ودقة الاصابات والخسائر الناجمة عنها . ان هذا التصرف واضح البطلان ومن الطبيعي ان يفترض المرء ان المصادر لاسرائيلية تحاول دائما اسدال ستار من الصمت حول عمليات الفدائيين ، وان التناقض الذي يظهر دائما بين نص خبر معين في النشرة العربية وفي النشرة الانكليزية أو الفرنسية او العبرية من الاذاعة الاسرائيلية يجب ان يشكل لدى كل مواطن القناعة الطبيعية بأن العدو ، اي عدو ، لا يمكن ان يعتبر مصدر ثقة في مثل هذه الاحوال*.

---

* من أجل متابعة عمليات الثورة الفلسطينية راجع الجداول التي ترد عادة في **شؤون فلسطينية** ، وفي العدد (١٨) مثلا نجد تقريرا حول ١١ عملية بين ٧٢/١٢/١٣ — ١٩٧٣/١/١٢ ، اعترف العدو بعشر منها ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

والامر الذي يجب ان نتأكد منه هو ان المقاومة لم تنعدم تماما كما يحاول العدو ان يوهمنا وان كانت هناك فترة سكون نسبي ناجمة عـن الروح التراجعية التي تسود المنطقة العربية وتجعل المقاومة في نظر المواطن العربي في فلسطين المحتلة عملا غير واضح الاهداف وغير مرتبط بتحرك شامل نحو التحرير ، وان المرء اذ يقـدر الاسباب الكامنة وراء هذا الركود ، لا بد ان يميز بين نوعين من الركود : ــ الركود الذي يسبق العاصفة والذي يعبر عن تحفز وتربص والنوع الثاني وهو الركود الناجم عن الارتخاء والاستسلام لخطط العدو واليأس من احداث اي تغيير . وبالطبع ليس من السهل الحكم على الركود العربي في الارض المحتلة بمثل السهولة التي يلجأ اليها المستخفـون والانهزاميون حين يصورون المسألة وكأنها قد سويت نهائيا لصالح العدو .

ولنحاول ان نفهم الوضع الحالي على طريقة الاحتمالات المتغيرة بدلا من ان نطلق حكما ثبوتيا يتعارض مع معطيات التاريخ . لنتصور الوضع الحالي معادلة ذات طرفين من الاحتمالات . الطرف الاول ، وهو الطرف العربي الفلسطيني ، تحكمـه عوامل داخلية متأثرة تأثرا مباشرا بمـا يجري في المنطقة العربية ، والطـرف الثاني وهو الطـرف الصهيوني ، تحكمه قوانينه الخاصة المتأثرة تأثرا مباشرا بالعوامل الخارجية ولا سيما بالولايات المتحدة الاميركية سواء على مستوى السياسة الداخلية فيها أم على مستوى سياستها الامبريالية العالمية . ويبدو الطرف الثاني اكثر قدرة على التخطيط والحركة والمبادرة في الظرف الحالي ، ولذلك كان ضروريا ان يعرض الموقف من زاويته مع بيان الاحتمالات التركيبية التي لا بد ان تنجـم من تصادم موقفه مع موقف الطرف العـربي الواقع تحت الاحتلال . ولنبدأ بعناصر سياسة العدو في الارض المحتلة .

اولا : ان العدو الاسرائيلي ، كأي محتل في هـذا العالم ، يهمه اولا استتباب الامن في المنطقة المحتلة ويهمه ثانيا الاستفادة الاستراتيجية والاقتصادية من المنطقة المحتلة . وفي المجال الاستراتيجي نجد اسرائيل تعمل جاهدة على استكمـال مفهوم (الصندوق المحصن) فهي تزرع المستعمرات العسكرية على طول نهر الاردن وعلى حدودها الاخرى مع البلاد العربية بحيث تظل هذه المستعمرات حصونا طبيعية ومراكز هجومية او دفاعية حسبما يقتضي الموقف . والمهم ان هذه المستعمرات تغني اسرائيل عن الاحتفاظ بقوة عسكرية كبيرة ضاربة على الحدود بحيث تستطيع توفير القوة البشرية العاملة والمختصة من اجل تشغيلها في التنمية الاقتصادية بدلا من تجميدها على الحدود كما تفعل الـدول العربية ذات الجيوش الكبيرة العدد نسبيا .

ومن الواضح ان هذه الاهداف لا يمكن أن تتحقق الا بممارسة أساليب مختلفة من الضغط والارهاب والانتهاك لحقوق المواطن العربي الراسف في قيود الاحتلال . وقـد اثبتت التجربة خلال ربع القرن الماضي ان هذا الهدف الاستراتيجي هو الهدف المقدم على كل هدف آخر ، وان مقتضياته تتحكم تحكما كاملا بالسياسة الاسرائيلية . فمنذ أن قامت الدولة الصهيونية حرصت على اخضاع مناطق الحدود والمناطق التي يسكنها العرب لحكم عسكري غريب من نوعه يعطي السلطة العسكرية صلاحيات مطلقة ويجعل لهـا اليد العليا في تصريف شؤون المناطق المذكورة ، على الرغم من وجود حكومة مدنية تتولى شؤون سائر البلاد ، وتمتد هذه الصلاحيات لتشمل اغلاق مناطق معينة وتحديد حرية الحركة للمواطنين واعتقال أي مواطن ، وأخيرا ــ وأهم من ذلك كله ــ مصادرة الاملاك أو اتلافها*.

ولست هنا في مجال استقصاء هذه النقطة فهي مسألة معروفة تماما وقد كتب فيها الكثير ،

---

* من اجل التوسع في فهم طبيعة الحكم العسكري المشار اليه انظر بوجه خاص كتاب جريس ، صبري ، **العرب في اسرائيل** (الجزء الاول) ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٦ ص ١٢٠ ــ ١٢٢ .

وانما أود أن أشير الى بعض الامثلة الصارخة التي تثبت ان الضرورة العسكرية او الامنية تتحكم بأي عامل آخر في السياسة الاسرائيلية سواء بالنسبة للاراضي المحتلة بعد عام ١٩٤٨ أو بعد عام ١٩٦٧ . وان قضية الاستيطان اليهودي في مشارف رفح هي من أهم الامثلة التي توضح هذه السياسة . ففي عام ١٩٧٢ جرى تشريد آلاف البدو العرب من المنطقة الواقعة بين قطاع غزة والعريش ، وأقيمت عدة سياجات أمنية أولها سياج الامن البالغ طوله نحو ثلاثين كيلومترا بمحاذاة الحدود القديمة ، وسياج آخر في القسم الجنوبي من رفح صادرت السلطات العسكرية بموجبه ٢٦ ألف دونم ، ثم السياج الاخير الذي تم تحت ستاره تهجير آلاف العرب ومصادرة أربعين ألف دونم . وقد منعت الرقابة العسكرية نشر الانباء حول هذه الاجراءات الى أن وصلت الى الصليب الاحمر الدولي ، وحينها أعلنت الحكومة الاسرائيلية أنها لم تكن على علم باجراءات التسييج والمصادرة والتهجير ، وأسفرت التحقيقات التي اجرتها الحكومة على توبيخ ونقل بعض الضباط*.
وهناك حدث آخر لا يقل أهمية عن الحدث السابق ويتعلق بالاراضي المحتلة بعد سنة ١٩٤٨، وهو اقدام السلطات الاسرائيلية اثر الاحتلال مباشرة على اخلاء قريتي كفر برعم واقرت الواقعتين على الحدود الفلسطينية اللبنانية واجبار سكانهما من العرب المسيحيين على ترك أراضيهم بالقوة واعتبار القريتين من ضمن مناطق الامن التي لا يجوز لاصحابها العرب العودة اليها . وعلى الرغم من الضجة الكبرى التي أعقبت هذه العملية ، وعلى الرغم من استمرار نضال الاهالي للعودة منذ أوائل الخمسينات حتى هذه الايام ، وعلى الرغم من تدخل سلطات دينية مسيحية على أعلى مستوى واتصال بعض هذه السلطات بكبار الحاخامين في نيويورك ، وعلى الرغم من استمرار استغلال فئات من المعارضة الاسرائيلية لهذه القضية ، فان الحكومة الاسرائيلية لم تتزحزح قيد شعرة عن موقفها المتصلب بل انها لم تصغ الى قرار محكمة العدل العليا التي أصدرت في ٣١ — ٧ — ١٩٥١ بناء على شكوى قدمها أهالي اقرت قرارا ينص على « أنه لا يوجد أي عائق قانوني لاعادة المشتكين الى قريتهم » . كما أصدرت في أول أيلول ١٩٥٣ قرارا مماثلا بالنسبة لاهالي قرية كفر برعم . ومنذ ذلك التاريخ رفضت سلطات الامن تنفيذ هذين القرارين وأعلنت اراضي القريتين «مناطق امن» ونسفتهما**. وحتى اليوم تصر سلطات الامن والحكومة والصحافة الاسرائيلية على ضرورة الوقوف في وجه أية محاولات يقوم بها العرب الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية من أجل العودة . وتشير جميع ردود الفعل الاسرائيلية الرسمية الى هذا الاتجاه ، ويكفي أن نقتطف التعليق التالي لحاييم بارليف حول هذه المسألة :

« قبل كل شيء هناك قضية أمنية . توجد أهمية كبرى لعدد قرى الاقليات مع الحدود اللبنانية ، ويجب عدم زيادة هذا العدد . وبالاضافة الى الناحية الامنية هناك قضية أخرى تتعلق بسكان أبعدوا هم أيضا عن قراهم مثل أهالي كفر برعم أثناء حرب ٤٨ . ان هذا الوضع يشكل مأساة بالنسبة لهؤلاء ، وقضية صعبة ومستعصية بالنسبة لدولة اسرائيل . فاذا ما قمنا باعادة أهالي كفر برعم الان فاننا نكون قد سجلنا سابقة . وهناك قرى أخرى لا أعرف بالضبط عددها أبعد أهاليها . فماذا نقول لهم ؟ هل نقول لهم اننا

---

* من مقال للسيد محمد ابو عزة بعنوان « الاستراتيجية الصهيونية وعرب الارض المحتلة » ، جريدة **البعث** السورية ، ١٩٧٣/٢/١١ ، ويسند كاتب المقال معلوماته الى **هآرتس** الاسرائيلية (١٩٧٢/٥/١٨) . راجع ايضا نشرة م. د. ف. ١٩٧٢/٧/١٦ .

** أجلي سكان اقرت في ١٩٤٨/١١/١٥ وسكان كفر برعم في ١٩٤٩/١١/١٥ ، ونسفت القريتان بعد ذلك . من أجل تفصيلات وافية عن هذه القضية راجع نشرة م. د. ف ١٩٧٢/٧/١٦ .

سمحنا لاهالي كفر برعم بالعودة لانهم موارنة ، ولن نسمح لكم لانكم مسلمون »*.

ويتضح من مراجعة الموقف الاسرائيلي تجاه هذه القضية بالذات ان المسألة ليست مسألة أمن فحسب بل هناك مقتضيات الاستيطان اليهودي التي تتخذ من « الامن » ذريعة لاغتصاب مناطق عربية مقصودة وطرد سكانها . ويقدر صبري جريس الاراضي التي تمت مصادرتها تحت ذريعة المقتضيات العسكرية أو غيرها بمليون دونم**. على ان الاعتراف بالدوافع الاستيطانية والاقتصادية يجب أن لا ينسينا مطلقا أن الاعتبارات العسكرية والامنية تفوق كل اعتبار آخر عند العدو ، بل لقد دلت تجربة ربع القرن الاخير ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تظل لها اليد العليا في تقرير وتنفيذ اية سياسة متعلقة بالعرب والاراضي العربية واذا كان النظام السياسي الاسرائيلي يسمح لقوى سياسية بمزاحمة المؤسسة العسكرية فيما يتعلق بالشؤون الاسرائيلية فان الشؤون العربية بقيت حتى الآن وبشكل تام بيد السلطة العسكرية وقادة المناطق المحتلة أو الحكم العسكري بوجه خاص .

ومغزى هذا الكلام بالنسبة لما تحاول أن تصل اليه هذه الدراسة هو ان اية سياسة للتهدئة يمكن أن يتبعها المحتل الاسرائيلي في المناطق المحتلة لا يمكن أن تكون فعالة على المدى البعيد لانها تتصادم أصلا مع اعتبارات الامن العسكري للعدو ومقتضيات مطامحه التوسعية .

ثانيا : وفي المجال الاقتصادي ، وعلى الرغم من اعتراضات محلية كثيرة ، تعمل اسرائيل على الحاق اقتصاد الضفة الغربية بمصالح الاقتصاد الاستعماري الاسرائيلي واستيعاب القوة العاملة العربية بأرخص الاثمان ، ذلك ان المجتمع الاسرائيلي كغيره من المجتمعات المتقدمة صناعيا يحتاج الى طبقة عاملة رخيصة تساعده على انتاج سلع رخيصة يمكن أن تدخل سوق المنافسة الدولية . وتتطلع اسرائيل بوجه خاص الى غزو الاسواق في بلدان آسيا وافريقيا مستفيدة من قربها الجغرافي من معظم هذه البلدان وكذلك من معرفتها لطبيعة الانتاج المرغوب نفسيا في بلدان آسيا وافريقيا .

وقد وجدت بعد انتصارها في حرب ١٩٦٧ فرصة مؤاتية لتنفيذ مرحلة جديدة من مراحل توسعها الاقتصادي فأخذت تزيد من الطاقة الانتاجية لمصانعها التي صممت أصلا لتلبية حاجات التوسع الاقتصادي والتي لم تكن تعمل بكامل طاقتها الانتاجية في المراحل السابقة . وقد استغل الرأسمال الصهيوني فرصة وجود آلاف العمال المتعطلين في الاراضي المحتلة وعمد الى تشغيلهم في المصانع بأجور منخفضة جدا بالنسبة لمستوى معيشة العامل الاسرائيلي ، ومرتفعة جدا بالنسبة لمستوى المعيشة في المجتمعات العربية المحتلة***. ومن هنا يسمع المرء كثيرا عن ارتفاع اجور العمال العرب من أبناء الضفة الغربية الذين يعملون في المصانع الاسرائيلية ، ويسمع أكثر عن انتشار نوع من أنواع الرخاء الاقتصادي هناك ، ويتوهم الكثيرون ان هذه الحالة دائمة ويعتبرونها مؤشرا مظلما بالنسبة لمستقبل القضية العربية .

ومن الاسف ان حالة اليأس التي تخيم على مجتمعنا تيسر الانتشار لمثل هذه الافكار التي تتنافى مع الواقع الموضوعي للمجتمع الصهيوني الرأسمالي في الاراضي المحتلة . وحتى

---

* انظر : درويش ، محمود : لا دولة صهيونية بدون طرد العرب ومصادرة اراضيهم ، **شؤون فلسطينية** ، عدد ١٣ ، حيث ورد هذا النص ونصوص اخرى مشابهة تمثل الموقف الاسرائيلي المشار اليه .

** جريس ، صبري ، **العرب في اسرائيل** ، الجزء الاول ، ص ١٦٤ — ١٦٧ .

*** الرقم الرسمي لعدد العمال العرب من المناطق المحتلة الذين يعملون في اسرائيل هو ٥٣،٠٠٠ . انظر نشرة م. د. ف. ، ١٩٧٢/١٢/١٦ . وتشير الصحف الاسرائيلية عادة الى وجود اعداد اخرى من العمال الذين يعملون بصورة غير قانونية .

تكون الصورة واضحة ومستكملة يجب أن نتذكر أن العدو الصهيوني متأثر بالعوامل الدولية تأثرا مباشرا وفريدا من نوعه في العالم المعاصر. ان اسرائيل – أكثر من اية دولة أخرى في العالم – تعتمد في وجودها وقوتها على مقومات خارجية كالحركة الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية . وهي تتلقى قدرا من المساعدات المالية والاقتصادية يصل الى درجة خيالية ولا نكاد نعرف له مثيلا في العصر الحديث ، وعلى الرغم من اعترافنا بأن العدو الصهيوني قد قطع شوطا كبيرا منذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن في تثبيت أقدامه وتحقيق نوع من المقومات الداخلية للاستمرار فاننا يجب ان لا ننسى أبدا أن ارتباط اسرائيل العضوي بالامبريالية هو عامل قوة وعامل ضعف في وقت واحد ولا بد أن تكون له انعكاسات في المستقبل طبقا لتطور المعركة ذات الوجوه المتعددة (السياسية والاجتماعية والاقتصادية) بين حركات التحرر الوطني والقوى الامبريالية على مستوى العالم كله .

واذا أردنا لكلامنا أن يكون أكثر دقة وتخصيصا فلنقل أن نجاح سياسة العدو الاقتصادية او اخفاقها سوف يعتمد على عوامل دولية كثيرة ، وفشل اسرائيل مثلا في ايجاد أسواق خارجية لسلعها أو دخولها في منافسات حامية في المستقبل مع دول رأسمالية أخرى سوف يعرض اقتصادها للاعراض المرضية المعروفة عامة في العالم الرأسمالي ، واذا قدر لازمة الدولار الحالية أن تتطور تطورات حاسمة بالنسبة لاقتصاد الولايات المتحدة الامريكية فان الاقتصاد الرأسمالي التابع في اسرائيل سوف يعاني من ضربة محققة لانه أقل تحملا للصدمات من الاقتصاد الام ، وسوف تكون البطالة بين العمال من ابرز مظاهرها ؛ ويتوقع المرء أن اية موجة قادمة من البطالة في الارض المحتلة سوف تقلب الميزان في الارض المحتلة وتفقد المحتل الاسرائيلي كثيرا من المواقع الداخلية التي اكتسبها مؤقتا ، وقد تجعل الوضع أسوأ مما كان عليه في فترة الاحتلال الاولي ، ذلك ان العرب سيكونون أول المطرودين من اعمالهم كما تقول **دافار*** ، واذا قدر لموجة البطالة ان تتفشى تفشيا قويا فانها ستهيىء الطبقة العاملة الفلسطينية لربط مصيرها بمصير الثورة ، وهو أمر تفرضه طبيعة الامور وسوف تعجل الظروف الاقتصادية السيئة بتحقيقه ، وعند ذاك سيكون العامل العربي أكثر فعالية وقدرة على النيل من العدو وذلك بفضل ما اكتسبه من خبرات نجمت عن تغلغله في المؤسسات الاقتصادية الاسرائيلية . وان المناقشات الحالية الدائرة بين الاحزاب السياسية الاسرائيلية حول مستقبل الاراضي المحتلة لتشير بوضوح الى تخوف الاسرائيليين من هذه النتيجة** . ويجب ان لا يفهم من هذا الكلام طبعا أن اشتغال العمال العرب في المصانع الاسرائيلية مسألة يمكن أن تكون في صالح الثورة أوتوماتيكيا ، بل هو دعوة الى الاستفادة من الامـــر الواقع وقلبه لصالح الثورة وهذه بالاصل هي وظيفة الثورة ، وقد سبق للثورة الجزائرية أن خاضت تجربة في هذا المجال ، اذ حاولت منع العمال الجزائريين من العمل مع المستوطنين الفرنسيين وحين رأت ان الامر غير ممكن أطلقت شعار (خذ الغلة وسب الملا) وانصرفت الى تجنيد هؤلاء العمال في صفوف الثورة . كما ان التحليل السابق لا يعني ان ارتباط الطبقة العاملة العربية بالثورة متوقف فقط على الهزات الاقتصادية المرتقبـــة في اسرائيل . ان هذه

---

* نقلا عن **المصدر السابق** .

** أوضح يوسف الموغي ، وزير العمل الاسرائيلي ، في دورة نقاش اجريت في سكرتارية حزب العمل أن نسبة العمال العرب العاملين في اعمال بناء فعلية في اسرائيل تصل الى ٣٥٪ ، بينما تصل نسبتهم في قطاع البناء الى ٦٠٪ ، وتبلغ نسبة العمال العرب العاملين في الزراعة في اسرائيل ٣٠٪ ، وفي الصناعة ٥٪ . ويقول الموغي : « حان الوقت للحيلولة دون زيادة نسبة العرب العاملين في اسرائيل ، ان الكمية تتحـــول الى نوعية ، واذا ارتفعت هذه النسبة نكون قد زرعنا لانفسنا لغما موقوتا يشكل خطرا على مجتمعنا » . راجع نشرة م.د.ف. ١٩٧٢/١٢/١٦ حيث نقل هذا الكلام عن **معاريف** ، ١٩٧٢/٩/٢٢ .

الهزات سوف تقرب من أمد هذا الارتباط وتعطيه دفعا وقوة ولكنها ليست الاحتمال الوحيد ، وهناك احتمالات كثيرة سوف تنجم عن الوضع البشري والاقتصادي الجديد في الاراضي العربية المحتلة ، والفارق الملحوظ في مستوى المعيشة على الجانبين العربي والاسرائيلي سوف يكون في المستقبل عاملا قويا يمكن أن تستغله الثورة استغلالا منظما وفعالا . ومن المهم أن ننبه منذ الآن ان العدو الصهيوني غير غافل عن هذه النقطة بالذات . وهناك أخبار عن مجموعة اسرائيلية تسمى « ريحوفوت » قامت بوضع برنامج يهدف الى رفع مستوى المعيشة في الضفة الغربية والى التقليل من الفارق في مستوى المعيشة بين العرب واليهود وذلك بهدف جعل التوحيد بين الاقتصاد الاسرائيلي واقتصاد الضفة الغربية ممكنا أو بعبارة أصح اخضاع اقتصاد الضفة الغربية كلية لمتطلبات الاقتصاد الاسرائيلي وذلك عن طريق انشاء مشاريع متعددة صناعية واقتصادية وزراعية وسياحية بالاضافة الى مشاريع أخرى متصلة بالخدمات العامة ، وتلقى هذه المشاريع اهتماما متزايدا من السلطات الاسرائيلية التي بدأت بوضع بعض هذه المشاريع في حيز التنفيذ* .

ومهما يكن من أمر التطورات الاقتصادية المتوقعة التي يمكن ان تؤثر في فعالية خطط العدو فلا بد من الاشارة هنا الى ظاهرة ارتفاع تكاليف المعيشة التي بدأت تعاني منها الضفة الغربية . صحيح ان اجور العمال ارتفعت لدرجة ان بعض حملة الشهادات وبعض مالكي الاراضي الصغار (الكولاك) اصبحوا يفضلون الالتحاق بالمعامل والتخلي عن الوظيفة أو الارض ، ولكنه صحيح ايضا ان ارتفاع تكاليف المعيشة في الضفة الغربية آخذ بالازدياد وفقا لنسب غير طبيعية أبدا وسوف تتلاشى في القريب العاجل نظرة المقارنة بين الماضي والحاضر او بين الضفة الشرقية والضفة الغربية لتفسح المجال لنوع من النقمة العامة على الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية الجديدة التي تحيط بالسكان العرب .

وأخيرا لا تكتمل صورة الوضع الاقتصادي دون الاشارة الى ناحية مهمة معروفة في تاريخ الاحتلال ، ومتمثلة بشكل أحد وأقوى في حالة الضفة الغربية وهي التناقض الموضوعي بين مصلحة المحتل ومصلحة الشعب الواقع تحت وطأة الاحتلال . وفي حالة الاحتلال الاسرائيلي لا بد أن يؤدي هذا التناقض الى صدام حتمي ، ذلك ان الاطماع الاسرائيلية في الارض لا تقف عند حد أبدا ، ولدى الاسرائيليين خطط ثابتة للاستيلاء على الارض العربية وفقا لضرورات اقتصادية او استراتيجية . وعلى الرغم من سياسة التهدئة العامة التي تنتهجها السلطة الاسرائيلية فان ذلك لم يمنعها من تنفيذ مخططها لتهويد منطقة القدس والاراضي المحيطة بها ويتخذ هذا التهويد شكل اغتصاب قسري للارض عن طريق الجمعيات أو شكل مصادرة عن طريق الدولة ، ويمكن للانسان أن يتصور حالة الفلاح الذي تغتصب أرضه وكثيرا ما تكون خصبة أو ذات أهمية معينة ، وكثيرا ما يصبح المالك عاملا في الارض ذاتها .

وبمناسبة الكلام عن موقف الفلاح من الارض يجدر بنا أن نتذكر حوادث كثيرة في الضفة الغربية انطوت على استعمال العنف أو التدابير الجذرية ضد الفلاحين الذين رفضوا العمل في المشروعات الاقتصادية الاسرائيلية ، اذ أحرقت السلطة مزروعاتهم ومنعتهم من فلاحة أرضهم وقطعت عنهم اية فرصة لكسب الرزق حتى يكون العمل في المشروعات الاسرائيلية (وأحيانا في الموسم الزراعي المنافس لمحصولهم نفسه) هو الاختيار الوحيد

---

* للتوسع في هذه النقطة وفي موضوع السياسة الاسرائيلية في الضفة الغربية راجع : عنبتاوي ، د. منذر ، « بمناسبة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : اسرائيل ودبلوماسية البنغ بونغ » ، **مجلة شؤون فلسطينية** ، عدد ٨ ، نيسان ١٩٧٢ ، ص ١٥ — ٢٧ .

امامهم . ومن امثلة ذلك الاستيلاء القسري على اراضي قرية عقـربة وقطع اشجـار البيارات في قلقيلية بالجرارات لاكراه العرب على هجر الارض واخبار هذه الحوادث ميسورة في الصحف الاسرائيلية . **لقد أوردنا كل تلك الشواهد لنؤكد على حقيقة يتجاهلها الكثيرون في هذه الايام وهي انه مهما بلغت سياسة التهدئة الاسرائيلية من براعة ومرونة فان الظروف الاقتصادية نفسها في الضفة الغربية ـ بصرف النظر عن العوامل الاخرى الوطنية والنفسية ـ سوف تمثل بالتدريج عاملا حادا من عوامل التناقض الابدي بين مصالح العدو المستعمر ومصالح الشعب المغلوب على أمره ، وان وصول هذا التناقض الى درجة معينة سيكون عاملاً من عوامل تهيئة المناخ الثوري الذي يمكن ان تستغله الثورة بشكل واع ومنظم .**

ثالثا : وبالاضافة الى الهدفين الاستراتيجي والاقتصادي تعمل السياسة الاسرائيلية على **استيعاب المناطق المحتلة** وتطويعها واستخدامها جسرا للوصول الى أهدافها البعيدة وهي خلق حالة طبيعية من التعامل مع الوطن العربي تتوج الانتصارات العسكـرية الاسرائيلية وتجعل الوطن العربي مجالا حيويا لمطامح الصهيونية السياسية والعسكرية والاقتصادية دون أن تقيد اسرائيل نفسها بمعاهدات وحدود دولية .وفي البدء لجأ العدو المحتل الى أقصى درجات القمع والارهاب ، وبعد أن أتيح له كسر شوكة المقاومة اثر أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن نهج نهجا جديدا قائما على التهدئة العامـة في الضفة الغربية ويتمثل هذا النهج رسميا بسياسة (الجسور المفتوحة) التي أصابت حتى الآن نصيبا من النجاح ومن أهم مظاهر هذه السياسة :

١ ـ ابقاء الجسور مفتوحة بين الضفتين وتسهيل خروج السكان ودخولهم منها ضمن قيود معينة جرى تخفيفها تدريجيا حتى أصبح التنقل بين الضفتين أسهل بكثير من التنقل بين بلد عربي وآخر بل بين المدن الاردنية نفسها . ٢ ـ السماح لزوار الضفة الغربية بدخول الاراضي المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ بأذون خاصة في باديء الامر ثم بدون اذن وعلى مدار السنة ابتداء من ١ ـ ٧ ـ ١٩٧١ . ٣ ـ السماح لابناء المناطق المحتلة المقيمين في الخارج بزيارة اقاربهم وأصدقائهم داخل هذه المناطق خلال الصيف وقد سمح ابتداء من ٢٥/١/١٩٧٢ للفلسطينيين المقيمين في الاقطار العربية بزيارة الضفـة الغربية طوال العام . ٤ ـ السماح للعمال العرب بالعمل في مجالات متعددة داخل اسرائيل . ٥ ـ السماح لابناء الضفة الغربية بتصريف منتجاتهم الزراعية والصناعية في الضفة الشرقية او عبرها . ٦ ـ ادارة البلاد فيما عدا الشؤون المتصلة بالامن ، من خلال الموظفين العرب الاعضاء أصلا في جهاز الدولة الاردنية والسماح لهؤلاء باستمرار قبض رواتبهم الاردنية رغم منحهم رواتب أخرى مساوية لها . ٧ ـ الابقاء على المجالس البلدية التي كانت قائمة عند الاحتلال وتجديد انتخاباتها وفقا للقوانين الاردنية . ٨ ـ الافراج عن عدد من الفدائيين الذين اجتازوا الضفة الغربية خلال احداث ١٩٧٠ في الاردن تلبيـة لالتماسات استعراضية من جانب الزعامات التقليدية في الضفة الغربية*.

لقد كسب العدو الصهيوني كثيرا من وراء هذه السياسة ذات المظهر اللبرالي ولا سيما ما يتعلق منها بتسهيلات التنقل والسفر لانها تعد حدثا جديدا في المنطقة العربية التي يعاني سكانها من عقدة الاجراءات البليدة على الحدود بين كل قطر عربي وآخر . ويتحدث الناس كثيرا عن سهولة المرور عبر الجسور وعن سهولة التجول في الضفة الغربية وجميع المناطق في فلسطين المحتلة ويضفي الحديث عادة على هذا الامر هالة أسطورية . ويستطيع المرء أن يفهم هذا الموضوع تماما ولكن المواطـن الواعي ـ ولنقل المراقب البصير ـ يجب ان لا يؤخذ بهذه الامور . صحيح ان الاسرائيليين يسمحون لمعظـم

* نقلا عن **المصدر السابق** ص ١٦ ـ ١٧ مع تعديلات طفيفة .

الراغبين بالعبور ـــ ولا سيما أولئك القادمين من عملهم في بلدان الخليج من أجل قضاء اجازة شهر أو شهرين ، وصحيح انه في حالات كثيرة جداً أعطيت اجازات مرور لاناس عرف عنهم الانتماء للمنظمات الفدائية او لاقارب زعماء فلسطينيين عاملين أو لزوجاتهم ، وصحيح أن بعض هؤلاء لا يتعرضون لاي ضغط ظاهري في اسرائيل ، ولكن الاعتراف بكل هذه الامور يجب ان لا يلفتنا عن حقيقة الفارق التكنيكي الكبير بين اساليب الامـــن المتخلفة في بلادنا العربية وبين الاساليب المتطورة التي يستخدمها العدو . وبالنسبة للمواطن العربي البسيط في هذه المرحلة ربما بدا الامر نوعا من المعجزة نظرا للمشقات الهائلة والتعقيدات السمجة التي يعاني منها اي مواطن عربي تقتضي ظروفه ان ينتقل عبر الحدود العربية من دولة لاخرى ، ويزداد الامر تعقيدا حين يكون هـــذا المواطن فلسطينيا اذ تسد في وجهه معظم الحدود . ان المسألة يجب أن لا تفهم الا على اساس تقدم في وسائل الامن ، فالدولة التي لا تطمئن لكفاءة أجهزة المراقبة الخفية عندها تغلق حدودها وتختلق الصعوبات اللازمة أحيانا وغير اللازمة في أحيان أخرى من أجل احكام الرقابة في الداخل وعلى الحدود . ان المواطنين في أوروبا يتجولون عبر حدود الدول المختلفة دون أية معاناة ، ولكن هذا لا يعني على الاطلاق ان المراقبة معدومة بل هي خفية وذكية . والاختصاصيون طبعا يستطيعون أن يتحدثوا طويلا في هذه النقطة ، نزيد على ذلك ايضا رغبة اسرائيل في الظهور بمظهر الدولة المنفتحة الواثقة من نفسها ، ولنا ان نتصور طبعا كم تكلفها هذه السياسة من استخدام لوسائل أمـــن متقدمة جدا . ويستطيع المرء بسهولة أن يفترض أن أي نجاح عربي في الاستفادة من سياسة الجسور المفتوحة لخلق جو من الاضطراب في اسرائيل سوف يضطر سلطات الاحتلال لتغيير هذا الموقف الذي يتزيا بزي الليبرالية .

على أن الصورة العامة التي تتناقلها الالسن عن تسهيلات العبور في اسرائيل ليست كاملة أيضا ولا دقيقة . صحيح ان سلطات الامن تحاول دائما عدم التعرض للمواطنين الا عندما تقتضي الحاجة الملحة ذلك ، ولكنه صحيح ايضا ان سلطات الامن توجه اهتماما خاصا للشباب ولا يكاد يدخل شاب جامعي مثلا الى الارض المحتلة حتى يتعرض لساعات من الاستجواب وأحيانا يعتقل أو يطرد خارج البلاد . وتمارس على الشباب أساليب نفسية مستندة الى غنى المعلومات التي توفرها المخابرات الاسرائيلية عن هؤلاء الشباب بحيث يواجه الشاب بتفصيلات متعلقة بحياته اليومية في البلدان العربية بغية تحطيم معنوياته ودفعه الى الافضاء بما عنده من معلومات أو ـــ اذا أمكن ـــ تجنيده في جيش المخبرين العاديين الذي تعنى السلطات الاسرائيلية بتوسيعه وبثه في كل مكان . وان حوادث التحقيق اليومية التي تجري مع الشباب هي دليل آخر على عدم اطمئنان العدو الى فعالية سياسة التهدئة واضطراره المستمر الى استخدام الاساليب القمعية المعروفة في تاريخ أي احتلال .

وأخيرا يجدر بالمرء كلما تحدث عن النجاح النسبي الذي حققه العدو في تطبيق سياسة (الجسور المفتوحة) ، ان يضع هذا النجاح في اطار من واقع الضفـــة الغربية قبـــل الاحتلال حتى لا يقع في منزلق المبالغة في تقييم هذا النجاح . ان العدو الاسرائيلي يمكن ان يعتبر من اسعد المحتلين في التاريخ المعاصر لان الظروف العامة على الطرف الآخر كانت مؤاتية له باستمرار ، ولم يكن عليه سوى أن يستعين بوسائله المتقدمة سياسيا وتقنيا ليقطف ثمار التخلف العربي . وفي حالة الضفة الغربية بالذات تسلم الاسرائيليون المنطقة دون مقاومة تذكر من السلطات الملكية الاردنية التي كانت تمثل نوعا من الحكم المتخلف القائم على الارهاب وكبت الحريات والرشوة والفساد . وقد احتفظ الاسرائيليون بالقوانين الملكية واستخدموها من أجل تشديد قبضتهم على الضفة الغربية مستخدمين نفس الطبقة الاقطاعية ـــ البرجوازية التي كان يعتمد عليها الملك . وبالنسبة للجماهير

المسحوقة ــ اذا افترضنا امكان عزل العامل القومي ــ كانت المسألة استبدال سلطة غاشمة بسلطة غاشمة لا أكثر ، والمآسي التي خلفها الحكم الملكي في الضفة الغربية لم تساعد الناس كثيرا على الشعور بضرورة الاستبسال في مقاومة العدو وزاد الامر سوءا وجود شعور مشترك بغموض الهدف من النضال التحريري : هل يحارب المواطنون ويضحون بأرواحهم من أجل اعادة السلطة الملكية ؟ أم يحاربون من أجل تحرير فلسطين الكامل ؟ أم من أجل اقامة الدولة الفلسطينية ؟ وما هو شكل هذه الدولة ؟ وهل مــن المصلحة ان تقوم ؟ ان هذه الاسئلة ومثيلاتها ما زالت قائمة ويجب أن تدفعنا الى الاسراع في تحديد استراتيجية التحرير ومضمون التحــرير ، أي نوع المجتمــع المحرر الذي نسعى اليه .

لقد وجد الاسرائيليون بعد نجاح المؤامرة الامبريالية في اقصاء الثورة الفلسطينية عن الاردن الجو مهيأ للعمل على ايجاد مناخ جديد في المناطق المحتلة . وقد بدأوا بالطبقة الحاكمة نفسها التي كان الحكم الملكي يستعين بها فشجعوا الزعامات التقليدية المتمثلة بالاقطاعيين ورؤساء البلديات وكبار برجوازيي المدن ــ وهم الذين كانوا يشكلون عماد الحكم الملكي ، ومنحوهم الامتيازات الكافية واستطاعوا أن يخلقوا بواسطتهم جوا من الهدوء أخذ يعيد مجاري الحياة الى طبيعتها ــ وقد أردفوا ذلك بتشغيل العمال العرب في المصانع الاسرائيلية وخلقوا بالتدريج جوا اقتصاديا جديدا يمكــن تسميته بالرخاء النسبي اذا تذكرنا الشروط القاسية التي كانت تكتنف حياة الطبقة العاملة العربية في ظل الحكم الملكي الاقطاعي وخلاصة القول أن سياسة الاستيعاب الاسرائيلية تتخذ طريقين : الاول : طريق الطبقات الاقطاعية البورجوازية وكبار موظفي العهد الملكي ، والثاني : طريق الطبقــة العاملة يضاف الــى ذلك ان هناك محاولات لاسترضــاء الفلاحــين الذين لا تدخل أراضيهم ضمن مخطط الاستيلاء الاسرائيلي وذلك عن طريق تقديم خدمات زراعية توجيهية وأخرى وقائية لحماية المحاصيل بالاضافة الى افساح مجالات عديدة لتصريف هذه المحاصيل . ويكمن في هذا التخاطب المنظم مع الطبقات المختلفة سر النجاح النسبي الذي حققه العدو في ادارة الضفة الغربية بوجه خاص . وتشير التطورات الجديدة الى أن العدو أخذ يحاول تطبيق سياسة مماثلــة في قطاع غزة بعد ان بلــغ الاضطهاد هناك مستويات مخيفة . وتبدأ هذه السياسة باستخدام الزعامات التقليدية وتحريكها داخليا وعربيا لتنفيذ مآرب السلطات الصهيونية واذا لم تحدث تغيرات هامة في الوضع على الجانب العربي من خط المواجهة فان المــرء يستطيع أن يتصور ان السياسة الاسرائيلية في الاراضي المحتلة ستأخذ طريقها الى التنفيذ معتمدة على التعاون الكامل الذي يبديه النظام الملكي الاردني بشكل سافــر وأنظمة عربية أخــرى بشكل مكشوف . وسواء استمر الوضع الاحتلالي على ما هو عليه أم تمخض عن انشاء كيان فلسطيني هزيل مرتبط بالاردن أو باسرائيل فان مفتاح الاراضي المحتلة يظل متعلقا من زاوية العمل العربي بأمرين : **الاول** : مقدار مــا يسهم به الوضع العربي مــن حول الاراضي المحتلة من فتح آفاق جديدة من الامل بالنصر أمام الجماهير المسحوقة تحت وطأة الاحتلال والواقعة تحت ضغط اختيارات محدودة جدا وغير مبشرة حاليا علــى الاقل . **الثاني** : مقدار ما تستطيع أن تقوم به الثورة من نشاط تنظيمي في الداخل معتمد على تأييد وتفهم شعبيين .

*

ان سياسة الجسور المفتوحة منسجمة تماما مع المخطط الاسرائيلي الهادف الى خلق جو طبيعي من العلاقات مع الجانب العربي يمكن اسرائيل من تنفيــذ مآربها السياسية والاقتصادية في المنطقة ، بل ان هذه السياسة تبدو بديلا لسياسة الصلح الرسمية لانها ستمكن الاسرائيليين من اقامة صلات تدريجية مع المنطقة العربية من خلال الجسور

المفتوحة ، وجر المنطقة بالتدريج الى التعامل اليومي المباشر بصرف النظر عن الموقف السياسي العام ، وهي مسألة خطيرة جدا ما زال القادة العرب ينظرون اليها من خلال النافذتين الصغيرتين لجسري اللنبي ودامية على ان هذه السياسة في الوقت نفسه تبدو متعارضة مع العناصر الاخرى للسياسة الاسرائيلية جزئيا أو كليا . فبالنسبة **للهدف الاستراتيجي** يظل صحيحا أن وجود حالة من الهدوء والنظام الطبيعي للحياة مسألة ضرورية لاي محتل لانها تؤمن له فرصة تحريك قواته حسب مقتضيات مخططاته الخاصة لا حسب ردود الفعل في الاراضي المحتلة ، ولكن الهدف الاستراتيجي نفسه في حالة الاحتلال الصهيوني ينافي سياسة التهدئة ، فاحاطة المناطق العربية بالمستعمرات الاسرائيلية من كل جانب واجلاء السكان عن أراضيهم وتغيير معالم القرى العربية ومسح بعضها من الوجود ، هذه التدابير ومثيلاتها تجعل الطريق مسدودا أمام اية تهدئة وحتى لو حصلت هذه التهدئة فانها تظل موقوتة .

ثم ان **العنصر الاقتصادي** نفسه ينافي العنصرين الامني والاستراتيجي ذلك ان السماح لالوف العمال العرب بالعمل في المصانع ومراكز الانتاج الاسرائيلية يحمل في ذاته خطرا مباشرا على الامن داخل اسرائيل والاراضي المحتلة لان امكانية استغلال هذا الوضع من قبل حركة ثورية منظمة امكانية واردة كما أسلفنا ، وهو يشكل كذلك خطرا على المدى البعيد بما يتيحه من احتكاك وتفاعل بين الطبقة العاملة العربية والاسرائيلية من جهة وبما يتضمنه من جهة أخرى من خرق لمبدأ الانغلاقية الذي تقوم عليه الدولة الصهيونية اذ يجد اليهود أنفسهم ثانية مشتركين بالمعيشة اليومية مع غير اليهود ، ومثل ذلك يمكن أن يقال عن سياسة الجسور المفتوحة. ان المناقشات التي تدور في اسرائيل حول الوضع في الاراضي المحتلة تدل فعلا على أن العدو واع لصعوبة التوفيق بين هذه العناصر المتضاربة*. وعلى الرغم من المقدرة التي أبداها العدو في تحقيق مخططاته حتى الان فمن الواضح أن سياسته تتضمن ثغرات وتناقضات تتيح للجانب العربي امكانات عمل كبيرة ، وهناك أقوال ومواقف اسرائيلية كثيرة تشير الى هذا الوضع ليس آخرها ما كتبه يشعياهو بن فورات في صحيفة **يديعوت احرونوت** (١٩٧٢/٧/١٤) دعما لموقف غولدا مائير المتعنت من قضية اقرت وكفر برعم :

« من واجب القادة الاسرائيليين أن يفهموا الجمهور ، بصراحة وشجاعة ، عددا من الحقائق طمست بمرور الزمن ، وأولها أنه ليست هنالك صهيونية ، وليس هنالك استيطان ولا دولة يهودية بدون طرد العرب وبدون مصادرة أراض »**.

ولنحاول أن نتصور كم تكون النتيجة ايجابية لو كانت هناك حركة فدائية منظمة قادرة على ارسال العناصر الى الداخل وتنظيم الشبكات والتهيئة لمقاومة داخلية فعالة .

ان سياسة الجسور المفتوحة وسياسة تشغيل العمال في المصانع الاسرائيلية وغيرها من سياسات العدو تشكل أمرا واقعا يستقي اهميته عند العدو من عجز الجانب العربي وضعف تحركه التنظيمي ونكوصه عن الاستفادة من الفرص ، ولكن هذا الوضع غير دائم ، والجانب العربي يستطيع في أية لحظة استغلال هذا الامر الواقع الذي يشكل بطبعه وضعا ذا حدين وتحويل عناصره لصالح عمل نضالي منظم وهادف .

---

* يمكن للمرء ان يتابع هذه المناقشات في الصحافة الاسرائيلية حيث تبدو التناقضات التي اشرنا اليه بارزة بل اكثر حدة مما ذكر في هذا البحث . انظر على سبيل المثال نشرة م. د. ف. ، ١٩٧٢/١٢/١٦ التي تظهر حدة هذه المناقشات وتباعد وجهات النظر المتمثلة فيها .

** نشرة م. د. ف. ، ١٩٧٢/١٢/١٦ .

خاتمة

هكذا يتبين لنا من استعراض عناصر المرحلة الحالية ان الثورة الفلسطينية في موقف لا تحسد عليه اطلاقا . فظروف الساحة العملية لا تتيح لها أي تحرك فعال من شأنه أن ينقذها من التوقف أو يعيد اليها ثقة الجماهير الفلسطينية والعربية بها كما يبدو ان هذه الجماهير معرضة لتجربة خطيرة يقوم بها العدو المحتل بغية هز قناعاتها ووضعها في جو اقتصادي واجتماعي ونفسي يباعد ما بينها وبين الانخراط في المقاومة ويجعلها تتوهم ولو الى حين أن أمامها اختيارات أخرى غير اختيارات الصمود والمواجهة . ومن الواضح ان الثورة الفلسطينية تواجه اليوم هذا الوضع الصعب الذي هو ناجم في جزء كبير منه عن صعوبة المرحلة الحالية وتعقيداتها . ومن هنا يجب ان لا يساء فهم طبيعة المعضلة التي وقعت بها الثورة الفلسطينية، واذا كان صحيحا ان جزءا من المسؤولية عن هذه المعضلة هو من صنع الثورة فان جزءا كبيرا أيضا لم يكن من صنعها بل كان من صنع الوسط الرسمي العربي وقوى وظروف محلية ودولية لا تدخل ضمن نطاق امكانات الثورة .

على ان الاعتراف بهذا الواقع كله يجب ان لا يحجب بصرنا عن رؤية الامكانات الغنية التي يزخر بها الموقف العربي . **وقد حاولنا خلال السطور الماضية أن نؤكد على حقيقة علمية لا شأن لها بالتوجيه أو التبشير وهي ان الواقع القائم ليس ثبوتيا ولا نهائيا بل هو واقع دينامي مليء بعناصر التغيير وأن مؤشرات هذا التغير لن تستمر في صالح العدوان والاحتلال** ، وان موقف العدو على الرغم من نجاحه الموقوت لا ينطوي على عناصر القوة الجوهرية التي يحلو له أن يتظاهر بها والتي أخذ بها الكثيرون في بلادنا على المستوى الرسمي والشعبي ، بل ان عناصر سياسته نفسها تحمل بذور التناقض والتضارب . ان اغلاق الحدود في وجه الحركة الفدائية لا يمكن ان يستمر الى الابد لسبب بسيط هو أن الدول العربية المجاورة لا يمكن الا أن تكون طرفا مباشرا وفعالا في الصراع ولا بد ان تؤدي بها التطورات المقبلة الى مراجعة هذا الموقف ولا سيما ان الاحداث تحمل لنا كل يوم دليلا جديدا على عمق التناقض بين الطرفين العربي والاسرائيلي واستحالة التوفيق بين الحق العربي والباطل الصهيوني الاستعماري ، وذلك بالاعتراف المستمر لسعاة التسوية السلمية أنفسهم . وحتى لو أمكن للمساعي الدولية أن تثمر في أي شكل من أشكال توقف الصراع العسكري بين اسرائيل وطرف عربي واحد أو أكثر فان هذا الامر — على خطورته — ليس مدعاة لليأس لان كل المؤشرات تدل على انه لا بد أن يكون موقوتا وغير ثابت . ان الصراع بين الاستعمار وبين حق الشعوب يبقى رغما عن كل الملطفات والوساطات مسألة تناقض حيوي اي مسألة حياة أو موت ولا سيما في حالة التصارع العربي مع المطامع الواسعة للاستعمار الصهيوني الاستيطاني . ودون لجوء الى العواطف أو الخيال بامكاننا أن نتصور الضرر الذي يمكن ان يلحق بكيان هش مثل اسرائيل اذا استطعنا خلق حركة مقاومة جدية داخل الاراضي المحتلة . ان التنبؤ والتنجيم ليسا من صفات أي بحث جدي ولكن الاستسلام لمعطيات واقع معين والعجز عن ادراك ما ينطوي عليه الواقع من مؤشرات للتغير هما أخطر بكثير من التنبؤ والتنجيم. ان أية محاولة لتجاوز ضباب الواقع الحالي من شأنها أن تتيح لنا أن نتخيل الشعب العربي في الاراضي المحتلة ، سواء أبقيت رقعتها على حالها أم تغيرت ، وقد انتظم خلال سنوات معدودات في حركة مقاومة بطولية تحقق التواصل الثوري بين القوى الشعبية داخل سور الاحتلال وبين قوات الثورة الفلسطينية خارج هذا السور ، وعند ذاك بالفعل تصبح الثورة الفلسطينية طليعة الثورة العربية والشرارة التي تشعل النار في الحقل كله.

القضية الفلسطينية
من ١٩٤٨ الى ١٩٥٠ ودروسها

منير شفيق

اعلن قيام دولة الكيان الصهيوني — « دولة اسرائيل » — في الرابع عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ ، اي قبل يوم واحد من انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين . وكان رد فعل الشعب العربي الفلسطيني عنيفا ضد اعلان قيام دولة الكيان الصهيوني الذي جاء تتويجا لقرار تقسيم فلسطين الصادر عن هيئة الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . ولم يكن رد فعل الجماهير العربية بأقل من ذلك ، لان قرار تقسيم فلسطين ، واعلان قيام دولة الكيان الصهيوني جاءا متعارضين تماما مع المصلحة الوطنية والاماني القومية للشعب الفلسطيني والامة العربية . وما كان بمقدور احد ان يعطي لهذين الاجرائين اي مسوغ يخفف من رفض الشعب العربي الفلسطيني والامة العربية لهما . وحتى غروميكو الذي فاجأ العالم بالتحول لتأييد قرار تقسيم فلسطين ، مندوبا عن الاتحاد السوفياتي ، وصف القرار بانه « احسن حل سيء » .

لقد كان من الواضح تماما ان قرار تقسيم فلسطين ، وفرض اقامة «وطن قومي لليهود» ، بصورة ظاهرة الاصطناع ، في فلسطين ، جاءا نتيجة تآمر الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية على الشعب الفلسطيني والامة العربية . وهو تآمر لم يكن وليد عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، وانما امتد وتواصل منذ اواخر القرن التاسع عشر ، وبرز ، بشكل سافر ، في وعد بلفور ١٩١٧ ، وكرس تنفيذه ، بكل اساليب الخداع والقوة والارهاب ، من قبل الامبريالية البريطانية خلال فترة سيطرتها المباشرة على فلسطين (١٩١٧ — ١٩٤٨) ، ولاقى مختلف اشكال الدعم والتأييد من قبل الامبرياليتين الامريكية والفرنسية ، دون ان تكون الامبرياليتان النازية والفاشية بعيدتين عن دعمه ، بصورة غير مباشرة ، — من خلال الضغط لتشجيع الهجرة . وقد قوبل ذلك التآمر ، طول تلك الفترة ، بنضالات مستمرة ضده شنتها الجماهير الفلسطينية والعربية ، الامر الذي ولد وعيا جماهيريا عميقا — عربيا وفلسطينيا — ضد قيام كيان صهيوني في فلسطين . ومن هنا اعتبر قرار تقسيم فلسطين ، واعلان قيام دولة الكيان الصهيوني ، منذ اللحظة الاولى ، اجراءين معاديين لمصلحة الجماهير العربية في فلسطين والبلاد العربية ، متعارضين مع الاماني القومية لتلك الجماهير ، الى حد لم يكن من الممكن معه زعزعة موقف الجماهير هذا من قبل اي طرف كان سواء جاء ذلك الطرف من الداخل او من الخارج ، ومهما تكن هويته السياسية ، او الطبقية .

كان الشعب العربي الفلسطيني قبيل صدور قرار التقسيم قد امتلك الدلائل التي تؤكد على ان الخطوة الاخيرة من تنفيذ المؤامرة الكبرى ضده قد اصبحت قريبة جدا ، فراح يحاول الاستعداد لمواجهة العاصفة القادمة ، فأخذ ، بمبادرة جماهيرية ، يسعى للتسلح ويطالب بالاعداد للمعركة ، الى حسد اصبحت معه ظاهرة بيع الفلاح والعامل لحلي

النساء واثاث البيت من اجل شراء قطعة سلاح ، ظاهرة عامة في القرى وفي الاحياء الفقيرة من المدن . كان الشعب قد لمس بتجربته المباشرة ان عدوه الصهيوني قد تدجج بالسلاح ، وانتظم في سرايا وكتائب ، وواظب على التدرب العسكري بلا كلل ، الامر الذي دفع مسألة تسليح الشعب الفلسطيني ، الى المقدمة ، كمطلب جماهيري فلسطيني وعربي . وما كان من مجلس الجامعة العربية المنعقد في عاليه ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ ، امام هذا الضغط ، الا ان يوافق على تقرير الخبراء العسكريين بوضع عرب فلسطين تحت السلاح ، كما هو الحال بالنسبة للعدو الصهيوني ، ومساعدتهم على تحصين مدنهم وقراهم . كما قرر الا تدخل الجيوش العربية الى فلسطين ، والاكتفاء بالمرابطة على حدود فلسطين . وبهذا اتخذت اللجنة العسكرية العربية دمشق مقرا لها، وخصصت معسكر قطنة السوري لتدريب الفلسطينيين . وفعلا بدأ التدريب بألف متطوع فلسطيني . ولكن سرعان ما تدخلت بريطانيا وبعثت برسالة الى الامانة العامة للجامعة اعتبرت فيها تسليح الفلسطينيين وتدريبهم « عملا غير ودي » ، وذكرت انها ما زالت منتدبة على فلسطين . وفورا اسرعت الجامعة لوقف تدريب الفلسطينيين في معسكر قطنة ونزعت سلاحهم . وراحت تكوم الاسلحة في المخازن في وقت كان الشعب الفلسطيني يتحرق فيه للحصول على قطعة سلاح .

على ان جامعة الدول العربية خوفا من نقمة الجماهير العربية على حجب السلاح عن الفلسطينيين قامت بتشكيل جيش الانقاذ على ان تكون اغلبيته من متطوعين عرب ، وتحت اشرافها مباشرة ، وتحت قيادة ضباط اعيروا له من الجيوش العربية . ودخل جيش الانقاذ الى فلسطين ، وهو يحمل تعهدا لبريطانيا ، كما ورد ، ضمنا ، في تصريح وزير المستعمرات البريطاني ، في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، على عدم القتال قبل انتهاء الانتداب البريطاني . وفعلا نفذ جيش الانقاذ هذا التعهد . فلم يخض قتالا طوال الفترة حتى نهاية الانتداب ، رغم رؤيته ، بالعين المجردة ، تدهور وضع المناضلين الفلسطينيين ، وسقوط بعض المواقع بيد القوات الصهيونية . وعندما انتهى الانتداب ودخلت الجيوش العربية انسحب جيش الانقاذ الى شمال فلسطين حيث دخل معارك جزئية محدودة ولكنه عاد فانسحب من الشمال الفلسطيني ، بلا قتال ، وفي ظروف « غامضة » — اشتهرت تحت عبارة « اوامر عليا » — وكان ذلك في اثناء سريان مفعول الهدنة الثانية ١٩٤٨ ، تاركا الارض للعدو الصهيوني .

كان الشعب الفلسطيني ، بعد صدور قرار التقسيم ، قد الح في طلب السلاح الذي حجبته عنه الدول العربية ، ورغم ذلك اعلن الثورة في ٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، فشكلت الهيئة العربية العليا جيش الجهاد المقدس . وبدأ هذا الجيش الذي انخرط فيه الاف المتطوعين من ابناء الشعب الفلسطيني يدافع عن القرى والاحياء والمدن العربية التي كانت تتعرض باستمرار لعمليات ارهابية وتدميرية وتوسعية من المنظمات الارهابية الصهيونية وجيش الهاغاناه . (من ١٩٤٧/١٢/١٣ الى ١٩٤٨/٢/١٠ القيت سلسلة من القنابل والبراميل المتفجرة على مقاه واسواق وشوارع عامة عربية اسفرت عن استشهاد ١٠٥ اشخاص وجرح ٢٩٢ شخصا . ومن ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ الى ٣١ اذار (مارس) ١٩٤٨ هوجمت شاحنات ركاب عربية ونسفت قطارات ركاب أسفرت عن ١٠٩ شهداء و ١٩٥ جريحا . وما بين ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ الى ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ نسفت بيوت وفنادق عربية اسفرت عن ١٦٧ شهيدا و ٩٧ جريحا) . كما تعرضت ثماني عشرة قرية فلسطينية لهجمات شرسة ومجازر ما بين ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ و ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، بلغت ضحاياها ٤٨٩ شهيدا و ١٩٦ جريحا . ولكن رغم كل هذه الغارات استطاع جيش الجهاد المقدس بالجماهير الفلسطينية ان يدافع عن المناطق العربية ، ويمنع توسع العدو الصهيوني ،

بفضل وحدة الشعب واستعداده الجماعي للقتال والتضحية . وهكذا بقي القسم الاعظم من فلسطين بيد العرب الى ان بدأ التدهور الذي يمكن أن نحدد علامته ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، وهو ذكرى استشهاد القائد الوطني البارز عبد القادر الحسيني الذي كان يقود جيش الجهاد المقدس ، وقد قرر في ذلك اليوم خوض معركة انتحارية (معركة القسطل) كاحتجاج على الدول العربية فور عودته من زيارة لها ، رفضت فيها ، باصرار ، ان تقدم له السلاح .

والجدير بالذكر هنا ان الشعب الفلسطيني قاتل في ظروف صعبة تميزت بتآمر الحكومات العربية عليه فضلا عن التآمر الامبريالي والصهيوني ، وعن تهرؤ قيادته السياسية . وقد كان تسلحه ضعيفا للغاية مؤلفا من خليط عجيب من البنادق والمسدسات التي جعلت قوة نيرانه ضعيفة ، وحالت دون امداده بالذخيرة ، بصورة جيدة ، فقد كان سلاح الفصيل الواحد مشكلا كما اتفق من بنادق طليانية وفرنسية وكندية تعود تواريخ صناعتها لما قبل الحرب العالمية الاولى . هذا من جهة اما من الجهة الاخرى فقد كانت السلطات البريطانية في فلسطين قد جردته من السلاح في فترة الحرب العالمية الثانية ومن بعدها ، حيث سنت ضده قوانين صارمة ، طبقتها فعلا ، تقضي بانزال عقوبة الاعدام بكل فلسطيني يوجد في حوزته سلاح ، ولو كان بلا ذخيرة . ولهذا كان الحصول على السلاح سباقا مع الزمن ويتم بمبادرات فردية اساسا ، وبشق النفس ، وباثمان غالية ، وتحت طائلة عقوبة الاعدام .

بدأ وضع المقاومة الفلسطينية يتدهور ، كما ذكر ، بعد ١٩٤٨/٤/١٧ ، فمن جهة حصلت الوكالة اليهودية على كميات كبيرة من الاسلحة بعضها من الجيش البريطاني الذي كان يعد العدة للانسحاب من فلسطين ، وبعضها جاء عن طريق التهريب امام بصر السلطات البريطانية ومراقبتها . ومن جهة ثانية ، اتضح للشعب العربي الفلسطيني ان لا امل له بوصول اسلحة من الدول العربية . اما من الجهة الثالثة ، فقد اخذت الحكومات العربية تطمئن الفلسطينيين والعرب الا يقلقوا لان جيوشها ستتدخل ، وسيتم التحرير ، وقد جاء تبديل قرار الحكومات العربية من تزويد الشعب الفلسطيني بالسلاح والمرابطة على الحدود فقط ، الى حجب الاسلحة عن الفلسطينيين وقرار التدخل المباشر ، ضربة ساعدت على تدهور الاوضاع تحت التعلل « بأمل » الخلاص القريب . وهكذا تضافرت تلك العوامل مع تصاعد المجازر التي قامت بها المنظمات الصهيونية الارهابية تحت مظلة جيش الهاغاناه والجيش البريطاني ، ضد المدنيين الفلسطينيين العزل من السلاح في القرى والمدن ، وكان ابرزها مذبحة دير ياسين (٢٥٤ شهيدا بتاريخ ٩ و ١٠ نيسان ١٩٤٨) ، الى اجبار اعداد كبيرة من الفلسطينيين على هجر قراهم ومدنهم ، خاصة ، تفريغها من النساء والاطفال . ولكن اذا كان الوضع العسكري قد اخذ يتدهور الا انه لم يسفر عن تخلي المقاتلين الفلسطينيين عن اكثر مواقعهم التي راحوا يذودون عنها ببسالة ممزوجة باليأس .

أمام الغضب العارم الذي عم الشعب العربي في فلسطين وفي سائر البلاد العربية ، على قرار التقسيم ، واعلان قيام دولة الكيان الصهيوني ، وانتشار اخبار تدهور الوضع في فلسطين نتيجة حجب الحكومات العربية للسلاح عن الفلسطينيين ، وجدت الحكومات العربية نفسها ، في ذلك الحين ، مضطرة الى الاعلان عن انها سترسل جيوشها الى فلسطين ، بحجة مساعدة الشعب الفلسطيني على تحرير وطنه ، ومنع قيام دولة العدو الصهيوني . ولكن الاهم ان اكثر تلك الدول ، خاصة مصر التي لم تكن راغبة في ارسال جيشها الى فلسطين ، وقعت تحت ضغط بريطاني لادخال جيوشها الى فلسطين ، فقد كانت الدول الامبريالية ، خاصة بريطانيا وامريكا ، تريد من دخول الجيوش العربية : (١) ابعاد الشعب الفلسطيني عن القتال وتحويل القضية الى قضية بين الحكومات

العربية الخاضعة للامبريالية وبين الكيان الصهيوني حيث تصبح عملية تمرير المؤامرة الكبرى مضمونة (٢) عودة النفوذ البريطاني الى فلسطين من خلال الجيش الاردني حيث تعاد السيطرة على المناطق العربية التي ستكون خارج دولة الكيان الصهيوني ، وبهذا يحطم الشعب الفلسطيني عن طريق سلطات عربية ، بقوة الارهاب والبطش والتذويب ، بعد تجريده من السلاح ، وتمزيق مؤسساته الوطنية .

وفعلا ، في الخامس عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ ، دخلت الجيوش العربية الى فلسطين واشتبكت مع جيش الهاغاناه الصهيوني ، بعدة معارك ، واخذت تتقدم ، خاصة الجيش المصري ، وبدا واضحا ان ميزان القوى العسكرية كان يميل لمصلحة الجيوش العربية ، مما دفع وزارة العدو الصهيوني الى ان تطلب من امريكا وبريطانيا وفرنسا ضرورة الضغط على الحكومات العربية لعقد هدنة ووقف القتال . فبادرت الدول الامبريالية من خلال مجلس الامن ، دون ان تبرز فيه معارضة ، تضغط على الدول العربية بوقف القتال وعقد هدنة . وقبلت الحكومات العربية العميلة فورا وقف اطلاق النار وعقدت الهدنة الاولى في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ لمدة اربعة اسابيع تحت حجة ان مجلس الامن سيعيد النظر بقرار التقسيم . ولكن هذه الهدنة كانت تعني كسب الوقت بالنسبة للعدو الصهيوني لاعادة تنظيم صفوفه ، وجلب صفقات اسلحة تدفقت عليه من اوروبا وامريكا وتشيكوسلوفاكيا ، ومعها عدد كبير من العسكريين الغربيين . وكان من بين تلك الاسلحة آليات وطائرات ومدفعية ثقيلة ، فضلا عن دخول عشرة الاف مهاجر يهودي جديد كانوا ينتظرون في قبرص . حدث كل ذلك خلال الاسابيع الاربعة التي تلت توقيع الهدنة الاولى ، في حين لم تفد الجيوش العربية شيئا من مدة الهدنة بل زاد ضغط حكوماتها عليها بالتراخي . وتقدم الكونت ف. برنادوت بعد اجتماعه بممثلي الدول العربية والكيان الصهيوني في رودس ، بمشروع الى مجلس الامن في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ . وقد اقره في ٤ تموز (يوليو) ١٩٤٨ . ولكن الطرفين رفضاه ، فقد كان يقضي بتوحيد فلسطين وشرقي الاردن بحيث تقام دولتان احداهما عربية والاخرى الكيان الصهيوني يربط بينهما اتحاد فيدرالي . وتحرك مجلس الامن في السابع من تموز (يوليو) ١٩٤٨ يطلب تمديد الهدنة ، ولكن الدول العربية رفضت حين اصبح واضحا ان وضعها العسكري قد ساء بعد ان تعزز جيش العدو الصهيوني عسكريا . وبهذا استؤنف القتال في ٩ تموز لكي تنتقل هذه الجيوش الى الهزيمة بعد ان كانت ، قبل الهدنة ، في وضع عسكري متفوق . وفي ١٨ تموز ١٩٤٨ بعد فقدان الكثير من المواقع قبلت الدول العربية بالهدنة الثانية ، في وقت مضى الجيش الصهيوني يتوسع فيه تدريجا ، وبصورة حثيثة ، حتى في اثناء مفاوضات توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة في ربيع ١٩٤٩ . عندما توقف اطلاق النار في ١٨ تموز ١٩٤٨ في الجبهة الشرقية وتقيد به الجيش الاردني والعراقي تقيدا صارما ، تحول الجيش الصهيوني الى الجنوب واشتبك مع الجيش المصري ، واصدر مجلس الامن قرارا في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ بوقف القتال والانسحاب لخطوط الهدنة الثانية ، لكن جيش العدو الصهيوني استمر في التقدم . فاصدر مجلس الامن قرارا اخر يطلب فيه وقف القتال والانسحاب الى خطوط ما قبل ٤ تشرين الاول . ولكن العدو استمر ايضا بالتقدم ، الامر الذي دعا مجلس الامن لاصدار قرار اخر في ٢٩ كانون الاول ١٩٤٨ يطلب فيه وقف القتال ، وكأنه كان يطلب من جيش العدو ان يتقدم . واستمر القتال حتى ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ حيث توقف بعد ان كان العدو قد احتل جنوب فلسطين والنقب ولم يبق بيد الجيش المصري غير قطاع غزه الحالي . وعلى هذا الاساس وقعت اتفاقات الهدنة مع مصر في ١٩٤٩/٢/٢٤ في رودس ، ثم مع لبنان في ١٩٤٩/٣/٢٣ في الناقورة . اما مع الاردن فقد احتلت اسرائيل اثناء الاجتماعات في رودس شريطا على البحر الاحمر عرضه ١٥ كلم عرف فيما بعد باسم «ايلات»، ووقع اتفاق الهدنة في نيسان (ابريل) ١٩٤٩ بعد ان تنازل المفاوض الاردني عن اراضي

المثلث الخصيب في وسط فلسطين . واخيرا تم توقيع اتفاقيات الهدنة مع سوريا في ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٤٩ ، في جسر بنات يعقوب . ويبدو من الواضح بعد كل هذا ان مجلس الامن كان يكرس في كل مرة طلب فيها وقف اطلاق النار ما حققه العدو الصهيوني من توسع ومكاسب . وقد توج ذلك ، في تلك المرحلة ، بتشكيل لجنة التوفيق الدولية من (فرنسا وامريكا وتركيا) في ١٩٤٨/١٢/١١ لتبحث الوضع الناشيء وتجد له حلا . وجاءت الى المنطقة في ١٩٤٩/٣/٢١ لاستطلاع آراء الاطراف المعنية ، وخرجت باقتراح يدعو لعقد مؤتمر فيلوزان في سويسرا في١٩٤٩/٤/٢٦ يضمالدول العربية و«اسرائيل».
وقد كان خط لجنة التوفيق الدولية منسجما مع خط الدول الامبريالية في تغييب الشعب الفلسطيني عن قضيته ، وتحويل المسألة الى مفاوضات بين الدول العربية والكيان الصهيوني . وقد لقي هذا الخط الذي كان يتطلب تصفية المقاومة الفلسطينية ، ومختلف المؤسسات الفلسطينية ، تجاوبا لدى الدول العربية ، وحماسة منقطعة النظير من الملك عبد الله الذي كان متهالكا على توسيع مملكته . وتقدم الكيان الصهيوني خلال انعقاد مؤتمر لوزان بطلب الى الامم المتحدة للانضمام لعضويتها ، وقبل عضوا بعد ان تعهد بتطبيق قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين ومسألة اللاجئين . وهكذا لم تشترط هيئة الامم على الكيان الصهيوني ان ينفذ قراراتها كشرط مسبق لقبول عضويته ولكنها ناورت معه على اخذ التعهد الشكلي . وبعد توقيع بروتوكول لوزان في ١٩٤٩/٥/١٢ الذي ينص على تطبيق قرار ١٩٤٨/١٢/١١ ، قبل الكيان الصهيوني عضوا في الامم المتحدة . وما ان تم له ذلك حتى اعلن ان بروتوكول لوزان غير عملي ، وعاد يتحدث عن الصلح والمفاوضات المباشرة . وهكذا انفض اجتماع لوزان بعد ان عقد ثانية في ١٨ تموز (يوليو) ١٩٤٩ . واصبحت سياسة لجنة التوفيق الدولية البحث عن توطين اللاجئين . ولم يبق بنظرها من القضية غير قضية اللاجئين الفلسطينيين . وشكلت لجنة فنية لهذا الغرض برئاسة غوردون كلاب (امريكي) ، وعضوية مندوبين عن فرنسا وتركيا وبريطانيا . وكانت توصية هذه اللجنة التي رفعتها للجنة التوفيق الدولية هي تشكيل « وكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم » . ثم رفعت التوصية للجمعية العمومية فاقرتها في ١٩٤٩/١٢/٨ .

الوضع بعد اتفاقيات الهدنة الدائمة ١٩٤٩

مع توقيع اتفاقيات الهدنة المشار اليها اعلاه اصبح الوضع في فلسطين : (أ) ٨٤٪ من فلسطين تحت احتلال الكيان الصهيوني ، (ب) الضفة الغربية (تضم منطقة نابلس والقدس والخليل ـــ القدس القديمة وجزءا صغيرا من شرقيها وشمالها بيد العرب اما القسم الاعظم فكان تحت سيطرة العدو الصهيوني) ، وقعت تحت احتلال الجيش الاردني الذي كان على رأسه الجنرال البريطاني غلوب باشا ، (ج) قطاع غزة تحت حكم الجيش المصري (د) فصلت الاراضي التي شملها الكيان الصهيوني بين قطاع غزة وبين الضفة الغربية ، اي اصبح الكيان الصهيوني يقطع الطريق البرية التي تصل مصر والسودان والبلاد العربية في شمال افريقيا من جهة مع بلاد المشرق العربي (فلسطين، الاردن ، سوريا ، لبنان ، العراق) من الجهة الاخرى .

لقد اصبح هذا التوزيع اساس اتفاقيات الهدنة ١٩٤٩ ، والذي بقي حتى حرب حزيران ١٩٦٧ . ولكن هذا التجزيء لفلسطين والشعب الفلسطيني لم يكن مجرد تجزئة جغرافية ـــ طوبغرافية سكانية ـــ دولية فحسب ، وانما امتد ايضا الى جذور المجتمع العربي الفلسطيني والكيان الفلسطيني ومزقهما شر ممزق في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والقانونية الخ . ومن ثم احدث في الوضع السابق تغييرات كيفية خطيرة . فقد تخلخل المجتمع الفلسطيني ، واضطرت اعداد ضخمة من الفلسطينيين (حوالي مليون وربع المليون نسمة) لهجرة المناطق التي تحت احتلال جيش

الكيان الصهيوني . وعلى الرغم من انها فعلت ذلك تحت الارهاب ، والخوف من خطر التعرض للمذابح الجماعية وللاعتداء على الاعراض ، فقد اثبتت التجربة فيما بعد ان قبول التعرض لكل ذلك اهون شرا من الهجرة وتفريغ الأرض . وبهذه الهجرة التي كان بعضها تهجيرا جماعيا بالقوة كما حدث لاهالي اللد والرملة ، لم يبق من السكان العرب ضمن ما يسمى بالكيان الصهيوني غير ١٠٪ من الشعب الفلسطيني اي ما يعادل ١٥٠ الى ١٧٠ الفا . اما المليون وربع المليون فلسطيني الذين طردوا من بيوتهم واراضيهم ، فقد توزعوا بين ما يسمى الان بالضفة الغربية ، وقطاع غزة ، فضلا عن شرقي الاردن ولبنان وسوريا والعراق . وبهذا فقد الفلسطينيون وجودهم على وطنهم الذي اغتصبه العدو الصهيوني وتمزقوا الى كتل منفصلة عن بعضها بعضا ، تعيش كل منها ضمن ظروف واوضاع اقتصادية وسياسية وقانونية وجغرافية خاصة متمايزة (حوالي ٩٠٠ الف في شرقي الاردن والضفة الغربية ، وثلث مليون في قطاع غزة ، وثلث مليون في لبنان وسورية ، وبضع عشرات من الالوف في العراق والاقطار العربية الاخرى) . والذين بقوا على ضفتي الاردن رزحوا تحت سيطرة الحكم الهاشمي ، واصبحوا تلقائيا تحت المعاهدة البريطانية الهاشمية . والذين كانوا في قطاع غزة اصبحوا تحت سلطة الحكم العسكري المصري ، اي حكم الملك فاروق الذي كان مرتبطا مع بريطانيا بمعاهدة ايضا . اما الاخرون الذين توزعوا في لبنان وسوريا والعراق وسائر البلاد العربية فقد اصبحوا تحت سلطة تلك الدول مباشرة ، واعتبروا مهاجرين لاجئين خاضعين لحكم المخابرات والشرطة . وكانت كل تلك النتائج مصحوبة مع سياسة هادفة ترمي الى الامعان في تصفية كل المؤسسات الفلسطينية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والنقابية والعسكرية . فمن جهة عمدت دولة الكيان الصهيوني الى اقتلاع المجتمع الفلسطيني من جذوره ، والقته خارج مناطق سيطرتها ، وانتهجت سياسة قمع وتصفية لكل ما هو فلسطيني فيما بين الفلسطينيين الذين بقوا تحت سيطرتها ، حيث ابقتهم تحت الاحكام العسكرية العرفية ، والغت قانونيا شخصيتهم الفلسطينية والحقتهم بكيانها « كمواطنين » من الدرجة الثالثة . اما في الضفة الغربية وشرقي الاردن فقد عمد الملك عبد الله وغلوب باشا الى تصفية كل ما هو فلسطيني عن طريق الغاء كل ما تبقى من مؤسسات فلسطينية وضم الضفة الغربية قانونيا وسياسيا ودوليا الى المملكة الهاشمية . كما عمد حكم الملك فاروق الى حكم قطاع غزة بوساطة حاكم عسكري مصري ، وهنا تجدر الاشارة الى ان قطاع غزة بقي محتفظا بطابع فلسطيني نوعا ما ولكنه مفرغ من كل مضمون سياسي .

قطاع غزة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠

كانت الهيئة العربية العليا قد حاولت تشكيل حكومة فلسطينية يعلن عنها فور انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين . ولكن هذه المحاولة اصطدمت بمعارضة شديدة من قبل الجامعة العربية . ولم تكن اصابع بريطانيا وامريكا بعيدة عن الضغط على الدول العربية بهذا الاتجاه ، خوفا من ان تضطر هيئة الامم للاعتراف بها بموجب قرار التقسيم . كما كان ذلك تمهيدا لعزل الشعب الفلسطيني كلية كطرف في الصراع ضد الكيان الصهيوني . ولكن دخول الملك عبدالله الى فلسطين ، وبدءه العمل باتجاهين : الاول ضم الاجزاء العربية المتبقية من فلسطين ، والتي تحت سيطرة جيش غلوب باشا ، الى مملكته ، والثاني : العمل على التفاوض والصلح مع حكومة الكيان الصهيوني ، ثم مجيء بعثة الوسيط الدولي الكونت ف. برنادوت تعزيزا لسياسة الملك عبدالله اذ اقترح ، كأساس لمفاوضات « السلام » ان « تشكل فلسطين وشرقي الاردن اتحادا يمثله عضوان احدهما عربي والاخر يهودي » (ايلول ــ سبتمبر ١٩٤٨) ، أدى الى ان تلقى تلك السياسة معارضة من بعض الدول العربية التي كانت تخشى من اطماع الملك

عبدالله . ولهذا تحركت الجامعة العربية للرد على سياسة الملك عبدالله بمناورة سياسية صرف فأعلنت عن قيام ادارة فلسطينية ، حرصت على ان تكون مؤسسة اسمية تخدم فقط اغراض المساومة مع الملك عبدالله . ولكن الحاج امين الحسيني الذي شعر ان مخطط الملك عبدالله من جهة ، وسياسات الجامعة العربية من جهة ثانية ، ستفضيان الى انهاء زعامته واخراجه من حلبة الصراع السياسي كممثل لشعب فلسطين ، بادر الى تجديد دعوته السابقة لتشكيل حكومة فلسطينية ، تقوم على اساس انتخاب جمعية عمومية . وقد جاءت تلك الدعوة في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، قبيل اجتماع الجمعية العمومية في هيئة الامم المتحدة لمناقشة مشروع الكونت ف. برنادوت آنف الذكر . ولم يكن الحاج امين ، في ذلك الوقت ، قد فقد نفوذه كلية ، او فقد زعامته على الهيئة العربية العليا ، مما اضطر الجامعة العربية ، في تلك الظروف ، للموافقة على تشكيل حكومة عموم فلسطين برئاسة احمد حلمي عبد الباقي . وجاء ذلك تشجيعا للحاج امين ليخطو الخطوة الثانية فتحرك الى غزة في ١٩٤٨/٩/٢٨ حيث دعت الهيئة العربية الى عقد مؤتمر فلسطيني ، عقد فعلا في شهر اكتوبر — تشرين اول ١٩٤٨ وقرر انتخاب الحاج امين الحسيني رئيسا له ، واعلن تأييده لحكومة عموم فلسطين ، كما اعلن استقلال فلسطين ، واقرار دستور مؤقت لحين التمكن من اجراء انتخابات عامة . ولكن ذلك كله ازعج الجامعة العربية وحرك بريطانيا لتمارس ضغطا على حكومة النقراشي في مصر . ودفع الملك عبدالله ليقوم بخطوات مضادة سيأتي ذكرها فيما بعد . وبهذا امر النقراشي باستدعاء الحاج امين الى القاهرة ، وابعاده عن غزة ، وهكذا سحب الحاج امين في ليلة ٧/٦/ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ الى القاهرة شبه مخفور ، وبعد ذلك سحبت حكومة عموم فلسطين من غزة لتستقر في القاهرة مع الهيئة العربية العليا . ولم يبق لهاتين المؤسستين المتبقيتين من المؤسسات الفلسطينية سوى الوجود الاسمي ، واصدار البيانات بكل مناسبة دون ان يكترث احد بتلك البيانات التي اصبحت اجراء شكليا ميتا .

والجدير بالذكر هنا ان نلاحظ ان خط الامبريالية العالمية والحكومات العربية العميلة قد هدف الى تغييب الشعب الفلسطيني عن مسرح الصراع ، وعمد الى تصفية مؤسساته على اختلاف انواعها ، بما في ذلك الهيئة العربية العليا ، رغم قيادتها المتخلفة التي كانت تمثل الزعامات العائلية وكبار ملاك الارض والتجار ، ولكن باتجاه وطني معاد للصهيونية والامبريالية . لقد كان من الواضح ان تلك السياسة هدفت الى تصفية كل المؤسسات والمنظمات الفلسطينية مهما كان طابعها الطبقي او السياسي .

الضفة الغربية تحت حكم الملك عبد الله وغلوب باشا

لقد واظب الملك عبدالله وغلوب باشا ، منذ اليوم الاول ، لدخول الجيش الاردني فلسطين ، على العمل باتجاهين : (١) ضم ما هو تحت سيطرة الجيش الاردني الى المملكة الاردنية الهاشمية . (٢) العمل على التفاوض والصلح مع الحكومة الصهيونية في فلسطين . ولكن هذه السياسة قوبلت بمعارضة ، بادىء الامر ، من قبل الجامعة العربية وبعض الدول العربية ، خاصة مصر .

عندما دخل الجيش الاردني ارض فلسطين كان احمد حلمي عبد الباقي ، الذي اصبح رئيس حكومة عموم فلسطين فيما بعد ، حاكما عسكريا لمدينة القدس . ولكن لم يأت شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ حتى كان خارج الحدود وقد عين الملك عبدالله الكولونيل عبدالله التل حاكما عسكريا مكانه ، ثم توالت الضغوط لفرض الاستقالة على قادة جيش الجهاد المقدس ، فاستقال في ٢٢ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٤٨ محمد طارق الافريقي الذي كان يقود المناضلين الفلسطينيين في مدينة القدس القديمة . وكان الملك عبدالله في تلك الفترة قد قرر اتخاذ خطوات سريعة للرد على حكومة عموم فلسطين والمؤتمر

الفلسطيني الذي عقد في غزة ، فاوعز الى الزعامات الفلسطينية المعارضة تاريخيا للحاج امين ، والتي كان لاكثرها ارتباطات مشبوهة بالامبريالية البريطانية والحكومات العربية العميلة ، لعقد مؤتمر فلسطيني في عمان ، حيث قرر المؤتمرون مبايعة الملك عبدالله على فلسطين ، واستنكار مؤتمر غزة ، وحكومة عموم فلسطين . فاتخذ الملك عبدالله مقررات هذا المؤتمر كجسر يعبر عليه لشن هجمة شرسة ضد المؤسسات الفلسطينية المتبقية في الضفة الغربية ، خاصة ، عناصر الجهاد المقدس . فجرت اعتقالات واسعة ، تبعها فورا اعلان من وزارة الدفاع الاردنية بتجريد الفلسطينيين من السلاح . وفعلا قام الجيش الاردني بحملات تمشيط واسعة لجمع الاسلحة تحت شعار « من يريد القتال فلينضم للجيش الاردني » . وتمكن الملك عبدالله وغلوب باشا من المضي بعيدا في تحقيق التصفية لمؤسسات الشعب الفلسطيني واحداث انقسام في الصف الفلسطيني . وقد ساعدهما على ذلك تخلي الزعامة الوطنية التقليدية ـــ الهيئة العربية العليا ـــ عمليا ، وان لم يكن قولا ، عن الكفاح المسلح الفلسطيني ضد العدو الصهيوني، وتحولها الى اداة بيد الجامعة العربية ، رهن الاعتقال ، في ركض محموم لاقامة حكومة فلسطينية اسمية . فكانت تطلب من الجامعة العربية ومن الدول العربية السماح للشعب الفلسطيني بالاستمرار في تنظيم نفسه ، وتولي قضيته ومتابعة القتال . ولكنها لم تتعد حدود المطالبة ، فاذا لم يؤذن لها في ذلك ، قبلت في وضعها المقيد « مغلوبا » على امرها ، وكأنما من يريد القتال وتنظيم الشعب الفلسطيني لا يستطيع ان يفعل ذلك الا بأذن من الجامعة العربية والدول العربية . بيد ان الجامعة العربية والدول العربية لم تشأ ان تأذن في ذلك ، فما كان من الهيئة العربية الا التخلي عمليا عن مواصلة القتال ، الامر الذي ترك الجماهير الفلسطينية في حيرة من امرها لا تدري ماذا تفعل ، وهي تحت الارهاب والقهر من كل جهة ، ما دامت البنادق قد نكست ، وسحبت الاسلحة ، ولم تتحرك طلائع وطنية جديدة لمواصلة الكفاح المسلح .

لقد أدى هذا الوضع الى تشجيع الملك عبدالله للاقدام خطوة اخرى في طريق تصفية الوجود الفلسطيني ، بعد مؤتمر عمان وحملة الاعتقالات وضرب العناصر الوطنية ، فاوعز الى عملائه من الفلسطينيين ، مجموعة مؤتمر عمان نفسها ، لدعوة مؤتمر فلسطيني اخر يعقد في أريحا ، في الاول من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ . وعقد في ذلك التاريخ ، وقرر مبايعة الملك عبدالله ملكا على كل فلسطين ودعا الى انتخاب ممثلين عن الشعب الفلسطيني . وقد لاقت مقررات مؤتمر أريحا معارضة من الشعب الفلسطيني . ولكن الملك عبدالله رفع مقررات مؤتمر أريحا للبرلمان الاردني الذي صادق عليها . وتشكلت لجان لوضع مسودة الدستور الجديد ، والتحضير للانتخابات العامة في الضفتين الغربية والشرقية ، في حين صعد الحكم العسكري في الضفة الغربية اعمال البطش والاعتقالات ، وسحب الاسلحة . واعلن في اذار (مارس) ١٩٤٩ ، استبدال الحاكم العسكري للضفة الغربية بحاكم مدني . ثم أعلن في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ عن منح كل الفلسطينيين الجنسية الاردنية . وفرض على فلسطينيي الضفة الغربية ، ومعهم الفلسطينيون النازحون الى الضفة الشرقية ، التخلي عن الهوية الفلسطينية ، والتجنس بالجنسية الاردنية . واصبحت الضفة الغربية ، عمليا ، جزءا من المملكة الاردنية الهاشمية .

جرت الانتخابات البرلمانية الاولى للضفتين ، في نيسان (ابريل) ١٩٥٠ ، في ظروف الارهاب الشديد والاعتقالات الجماعية . ورغم ذلك ، فقد سارت تظاهرة في نابلس ضدها ، واصدرت عصبة التحرر الوطني بيانا يدعو لمقاطعتها ، مما صعد حملات الاعتقال ، وقد امر الملك عبد الله بجلب مجموعة من الشباب الذين قادوا تظاهرة نابلس ، الى عمان سيرا على الاقدام مقيدين تجرهم خيول « الفرسان » . وقد استشهد

احدهم مما اوقف المسيرة ، ثم نقلوا الى المعتقلات الصحراوية . وكانت هذه هي التظاهرة الثانية التي يقوم بها الفلسطينيون بعد دخول الجيش الاردني ، اذ كانت التظاهرة الاولى قد اندلعت من مدينة السلط في شرقي الاردن اثر انسحاب الجيش الاردني من اللد والرملة ، حيث تجمع عدد كبير من النازحين الفلسطينيين ، وتوجهوا الى قصر بسمان (قصر الملك عبدالله) وهم يهتفون « يا بايع اللد والرملة » . ويرجع السبب في استخدام الجماهير لعبارة بيع اللد والرملة ، ان غلوب باشا قائد الجيش الاردني جرد قوات الجهاد المقدس المرابطة في مطار اللد ، ومحطة السكة الحديد ، ومناطق اخرى ، من السلاح ، تحت ذريعة المحافظة على الهدنة الاولى ، مع وعد بارجاع الاسلحة فور انتهاء الهدنة . ولكن لم تكد تنتهي تلك الهدنة في تموز (يوليو) ١٩٤٨ حتى سحب غلوب باشا الجيش الاردني من منطقة اللد والرملة فجأة ، وبلا قتال ، ودون ان يعيد السلاح المصادر لقوات الجيش المقدس والمناضلين الفلسطينيين ، فسقطت اللد والرملة ، بلا قتال ، ومعهما عشرات القرى ، ليضاف الى النازحين الفلسطينيين مائة وخمسون الف نازح جديد من بينهم خمسون الفا نزحوا لمدينتي اللد والرملة من يافا .

عندما انعقد البرلمان الجديد الذي تمخض عن انتخابات نيسان (ابريل) ١٩٥٠ ، اعلن وحدة الضفتين تحت اسم المملكة الاردنية الهاشمية . ولم تكد هذه القرارات تعلن حتى بادرت كل من حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، في شهر ايار (مايو) ١٩٥٠، باصدار بيان مشترك تعهدت فيه بصيانة الامن والسلام في الشرق الاوسط والمحافظة على الوضع القائم ، الراهن ، فيه اي الاعتراف بدولة اسرائيل والمملكة الاردنية الهاشمية ، اساسا ، وفقا للحدود التي اقرتها اتفاقات الهدنة ١٩٤٩ . ثم تبع ذلك اعتراف الامم المتحدة بالمملكة الاردنية الهاشمية . وهكذا صهر الجزء الفلسطيني المسمى بالضفة الغربية الان ، في شرقي الاردن انصهارا كاملا ، ثم اعترف بهذا الصهر دوليا وعربيا .

امام اجراءات الملك عبدالله وغلوب باشا في ضم الجزء الفلسطيني المسمى الان بالضفة الغربية ، وامام الدعم الذي قدمته الامبرياليات البريطانية والامريكية والفرنسية لتلك الاجراءات ، قامت الجامعة العربية بمناورة تهدد فيها بطرد المملكة الاردنية الهاشمية من الجامعة العربية . ولكن سرعان ما توصل الطرفان (الجامعة العربية والمملكة الاردنية الهاشمية) الى اتفاق يقضي ، من جانب الملك عبدالله ، بالتخلي عن مساعيه الرامية الى الصلح مع الكيان الصهيوني ، في حين توافق الجامعة العربية ، من جانبها ، على ضم الضفة الغربية للمملكة الاردنية الهاشمية كعهدة لدى الملك عبدالله الى حين تحرير كامل التراب الفلسطيني . وبهذا اعترفت الدول العربية « بالامر الواقع » ، واصبحت المهمة المشتركة هي تكريس هذا الامر الواقع من خلال الاستمرار في العمل على محو الشخصية الفلسطينية ، وكل وجود فلسطيني مستقل . فشنت حملات ارهاب على الفلسطينيين في قطاع غزه وفي مخيماتهم في لبنان وسوريا والعراق ، وسنت ضدهم قوانين محلية تحرم عليهم التنقل بين الدول العربية ، او القيام باي تنظيم سياسي او نقابي ، واعتبارهم لاجئين مؤقتين لا حقوق مدنية او سياسية لهم . وقد جرى ذلك كله في ظل الاحكام العرفية ، والبطش بالحركة الوطنية والجماهير العربية في البلاد العربية.

مقارنة

على الرغم من خطأ الموضوعة التي تقول ان التاريخ يعيد نفسه ، الا ان استمرار بعض الملامح الاساسية في اوضاع معينة في مرحلة تاريخية محددة يجعل من الممكن ولادة احداث تاريخية توحي وكأن التاريخ اخذ يعيد نفسه ــ ولكن طبعا ضمن الملامح الاساسية في اوضاع معينة ، ومع أخذ الفارق وملاحظته ، ورصد التغيرات التي وقعت

الى جانب استمرار الملامح الاساسية . ولهذا قبل عقد المقارنة بين تلك الفترة الزمنية القصيرة التي تناولناها وبين الفترة الزمنية التي نعيشها ، لا بد من ان تحدد الاسباب التي جعلت كثيرا من السياسات والاحداث تعيد نفسها مع الفارق : (١) استمرار الكيان الصهيوني ، بكل طبيعته وسماته التي تكون عليها في ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، (٢) استمرار شرقي الاردن محكوما من قبل العائلة الهاشمية ممثلة لطبقة الاقطاع والكومبرادور وعميلة للامبريالية العالمية (٣) استمرار النفوذ الامبريالي والاطماع الامبريالية في البلاد العربية ، واستمرار تحالف الامبريالية الامريكية مع العدوالصهيوني. (٤) استمرار التجزئة العربية والاوضاع الاقليمية من جهة ، واستمرار وجود حكومات عربية عميلة للامبريالية من جهة اخرى .

ولكن قبل عقد المقارنة ، لا بد من التأكيد على ان استخلاص الدروس هو الشيء الاهم . الان ، اين يمكن ان تعقد المقارنة ؟ وما هي دروس تلك التجربة التي يمكن ان تفيدنا في الوقت الحاضر ، وفي المستقبل ؟

اذا تذكرنا الاحداث التي وقعت ما بين ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، ولخصنا الادوار التي لعبتها كل من دولة الكيان الصهيوني ، والدول الامبريالية ، وهيئة الامم المتحدة ، ومجلس الامن ، والدول العربية ، والجامعة العربية ، والمملكة الاردنية الهاشمية ، فسنجد شبها قويا في الجوهر بين ادوار تلك الدول والهيئات وبين ادوارها في مرحلة ١٩٧٠ — ١٩٧٣. اولا : كما فعلت دولة الكيان الصهيوني ١٩٤٨ — ١٩٥٠ تفعل الان ، فهي من جهة تفرض الحدود التي تريد بينها وبين الدول العربية . وهي التي تقرر متى يقف اطلاق النار . وهي من جهة ثانية ، تعمد لتكريس وجودها فوق المناطق العربية والفلسطينية التي تحت سيطرتها باتجاه التهويد ، وازاحة الشعب الفلسطيني ، وتحطيم مؤسساته ، ورفض الاعتراف بوجوده ، وحقه في تقرير المصير ، مدعومة من الامبريالية العالمية ، وعلى التحديد من الامبريالية الامريكية ، بصورة رئيسية . الى جانب العمل المشترك مع الامبريالية العالمية لاخضاع الدول العربية ودفعها لتصفية الثورة الفلسطينية وتغييب الشعب الفلسطيني وقبول الامر الواقع ، ودعم الحكومات العميلة العربية الموالية للامبريالية لضرب حركة الجماهير العربيه وحركة التحرر الوطني في اقطارها .

ثانيا : كما فعلت الدول الامبريالية — الامبريالية الامريكية اساسا في اعوام ١٩٤٨ — ١٩٥٠ تفعل في المرحلة الراهنة ، فهي من جهة تقدم الدعم المادي والسياسي والعسكري والتقني للعدو الصهيوني وتؤيده في كل سياساته ، وهي من جهة ثانية تضغط على الدول العربية ، مبتدئة بالدول العميلة لها ، لضرب الثورة الفلسطينية وتغييب الشعب العربي الفلسطيني ، ومهادنة العدو الصهيوني وحماية حدوده . وهي من جهة ثالثة ، تعمل على التسلل الى كل الدول العربية ، بما في ذلك تلك التي خرجت من ربقة السيطرة الاستعمارية ، لتدخلها في مناطق نفوذها وتحولها الى دول عميلة تضرب حركة التحرر الوطني وتسحق الحركة الجماهيرية ، وتقبل بالتسوية ، المكتوبة او غير المكتوبة ، مع العدو الصهيوني .

واذا كانت الامبريالية الامريكية في الاعوام ١٩٤٨ — ١٩٥٠ قد تحركت بالمناورات والمبادرات تحت ستار لجنة التوفيق الدولية ، والوسطاء الدوليين التابعين للامم المتحدة، من اجل تمييع الوضع القتالي ضد العدو الصهيوني ، وترك المنطقة تتفسخ بانتظار حل عن طريق تلك المناورات والمبادرات ، واعطاء الفرصة الكافية للعدو الصهيوني لترسيخ مكاسبه ومضاعفة قوته واعطاء فرصة كافية للحكومات العربية العميلة لتصفية الثورة الفلسطينية والمؤسسات الفلسطينية وحركة التحرر الوطني في بلادها ، فانها — اي الامبريالية الامريكية — تتحرك الان من خلال مبعوثيها المباشرين ومشاريعها مباشرة —

مشروع روجرز ، وزيارات سيسكو ، وما يسمى بالمبادرة الامريكية الجديدة لتلعب الدور السابق نفسه .

ثالثا : كما وقف مجلس الامن الدولي وهيئة الامم في الاعوام ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ عاجزين عن تنفيذ قراراتهما كذلك يقفان الان اشد عجزا . وكما لعبا في ذلك الوقت دورا ضاغطا على الدول العربية لقبول وقف اطلاق النار ، في حين تركا للعدو الصهيوني ، عمليا ، الحق في ان يقرر هو متى يوقف اطلاق النار والتوسع ، يلعبان الان الدور نفسه ، الى جانب ابقاء المنطقة تحت الشعور بقرب تنفيذ قراراتهما والتوصل لحل من خلال استخدام المبعوثين والبعثات الدولية كستار لهذه المناورة في حين يستمر العدو في تنفيذ مخططاته ، في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ كان برنادوت ورالف بانش ولجنة التوفيق الدولية ، وفي هذه الفترة يارينغ وفالدهايم . وفي الفترة السابقة مؤتمر لوزان وفي هذه الفترة اقتراحات عقد مؤتمر السلام .

رابعا : كما لعبت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بقيادة الملك عبدالله في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ دورا رئيسيا في تصفية الثورة الفلسطينية وتجريد الفلسطينيين من السلاح ، والقضاء على الشخصية الفلسطينية ، واردنة ما بين ايديها من ارض فلسطين وشعب فلسطين ، والادعاء بتمثيل الشعب الفلسطيني جنبا الى جنب مع السعي لعقد صلح منفرد مع العدو الصهيوني ، كذلك لعبت وتلعب حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بقيادة حفيد الملك عبدالله ــ الملك حسين ــ في فترة ١٩٧٠ ــ ١٩٧٢ ، وفي الوقت الحاضر ، ذلك الدور نفسه .

خامسا : كما تبنت الدول العربية والجامعة العربية في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ سياسة التضييق على الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية ، والاقرار ، بعد معارضة شكلية ، بالوضع الراهن ، خاصة ، فيما يتعلق بأجراءات حكومة المملكة الاردنية الهاشمية ، ومن ثم تصفية المؤسسات الفلسطينية واحتواء المنظمة الفلسطينية الرئيسية القائدة لكفاح الشعب الفلسطيني وتحويلها الى اداة صورية بعد عزلها وتجريدها من كل نفوذ وصلاحية ، مع تكريس هدنة دائمة مع العدو وتهدئة الحدود ومنع اي تحرك عبرها ، كذلك مطلوب الان منها ان تتبنى تلك السياسة نفسها وتلعب الدور نفسه ، وكان اتجاه مؤتمر مجلس الدفاع العربي المشترك الذي انعقد في القاهرة ، ما بين ١٩٧٣/١/٢٧ و ١٩٧٣/١/٣٠ مؤشرا قويا لتكرار الدور السابق حيث بدا من الواضح ، عودة المصالحة مع حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بعد ازمة جاءت نتيجة مجازر تموز ١٩٧١ واخراج الثورة من الاردن ، ثم طرح الملك حسين لمشروعه ، وزيادة مساعيه للتفاهم مع العدو الصهيوني . والى جانب المصالحة كشف مجلس الدفاع عن نيته باحتواء الثورة الفلسطينية تحت شعار احياء الجبهة الشرقية ، ووضعها تحت امرة القائد العام لجيوش الجبهة الشرقية . ولكن وجود بعض التمايز في الدول العربية الان عن وضعها في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ ، لان هنالك دولا ترفض لعب ذلك الدور ، الى جانب استمرار الثورة الفلسطينية واصرارها على عدم الرضوخ للضغوط مدعومة من جانب الحركة الوطنية العربية والجماهير العربية ، قد افشل الى حد ما اتجاه مؤتمر مجلس الدفاع العربي المشترك في هذه المرحلة ، دون ان يلغي ذلك الاتجاه الذي ما زال قائما .

نتيجة : استخلاص دروس

ان مراجعة الفترة التاريخية ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ ، مع المقارنة اعلاه ، تكسبان اهمية خاصة ، في هذه المرحلة ، لما تحتويانه من دروس ثمينة يجب ان تفيد منها الثورة الفلسطينية والثورة العربية والجماهير العربية الفلسطينية والجماهير العربية ، من

أجل المساعدة في مواجهة المؤامرات والمخاطر التي تتعرض لها الان من الكيان الصهيوني والامبريالية الامريكية والقوى العربية المضادة للثورة. وهنا أيضا يمكن استقاء الدروس من التجربـــة السابقة ـــ فترة ١٩٤٨ ـــ ١٩٥٠ ـــ التي مرت بهـــا الحركة الوطنيـــة الفلسطينية والجماهير الفلسطينية والحركة الوطنية العربية والجماهير العربية .

اولا : لقد رضخت الهيئة العـــربية العليا في الفترة ١٩٤٨ ـــ ١٩٥٠ وما بعد ، لضغوط الدول العربية والجامعة العربية ، واستسلمت ، عمليا ، لاجراءات ضم الضفة الغربية، وقبلت لنفسها ان تعزل عن الجماهير الفلسطينية وتتخلى عن الكفاح المسلح ، وتتحول هي وحكومة عموم فلسطين الى الوجود الاسمي الصوري . وكان لهذا الموقف المتخاذل اكبر الاثر في تمرير المؤامرة التي رأيناها تتحقق مـــا بين ١٩٤٨ ـــ ١٩٥٠ . وكأن قيادة الشعب وممارسة الكفـــاح المسلح يجب ان تأذن بهما الـــدول العربية . فاذا كان من الطبيعي ان يسعى الكيان الصهيوني والامبريالية العالمية والـــدول العربية العميلة ، وخاصة ، حكومة المملكة الاردنية الهاشمية في فترة ١٩٤٨ ـــ ١٩٥٠ ، لوقف الكفـــاح المسلـــح الفلسطيني وسحب الاسلحـــة من المناضلين الفلسطينيين ومحو الشخصية الفلسطينية ، بـــل فلسطين كلهـــا من الخارطة ، فان هذا لا يعني ان يتـــم الرضوخ والاستسلام لهذا الواقع ، وانما يفرض على القيادة الفلسطينية ان تتحدى وتستمر في القتال تحت كل الظروف ، ما دام هنالك احتلال من قبل عدو قومي لارض فلسطين .

ان هذا الدرس يوضح الطريق امام منظمة التحرير الفلسطينية في المرحلة الحالية التي تدور فيها كـــل المحاولات لجعل مصيرهـــا كمصير الهيئة العربية العليا وحكومة عموم فلسطين . الامر الذي يتطلب من منظمات المقاومة وقيادة الثورة الفلسطينية ان تضع على رأس مهماتها رفض الرضوخ للضغوط التي تريد لها ذلك المصير ، بحيث تكـــون مستعدة للتحدي ، مهما كلف الثمن ، ولمواصلـــة الكفاح المسلح تحت اقسى الظروف وأصعبها .

ثانيا : لقد تناولت احدى خطوات المؤامرة في فترة ١٩٤٨ ـــ ١٩٥٠ احـــداث شرخ في صفوف الشعب الفلسطيني كما تجلى في مؤتمري عمان واريحا مقابل مؤتمر غزة . وهذا ما تحاول المؤامرة انجازه في هذه المرحلة من خلال مشروع الملك حسين ، او من خلال تقسيم الشعب الفلسطيني الى قسم يضم اولئك الذين تحت الاحتلال والى قسم يضم اولئك الذين خارج الاحتلال . وبدهي ان تفسيخ صفوف اي شعب يناضل من أجـــل تحرير وطنه يؤدي الى افشال كفاحه ، وتمرير المؤامـــرات المعادية عليه وعلى وطنه وقضيته . ولهذا فان على رأس المهمات التي تواجه شعبنا الفلسطيني في هذه المرحلة هي مهمة المحافظة على وحدته تحت الاحتلال وخارجه ، وترسيخ هـــذه الوحدة اكثر فأكثر ، والنضال بكل قوة ، وبكل اشكال النضال ، لافشال محاولات شق وحدة الشعب الفلسطيني سواء جاءت عن طريق مشروع الملك حسين او عن اي طريق اخر .

ثالثا : لقـــد نفذت مؤامرة ١٩٤٨ ـــ ١٩٥٠ عن طريـــق تجريد الشعب الفلسطيني من السلاح وتصفية ثورته ومن ثم الغاء شخصيته وهويته ومؤسساته ، الامر الذي ادى الى تغييبه عن الكفاح لتحرير وطنه ، وساعد على تكريس تمزقه والامعان في اذلاله ، والقائه في حومة الضياع والعجـــز والتسول . وهذا ما تسعى لتحقيقه ، من جديد ، المؤامرة التي يواجهها الشعب العربي الفلسطيني في هذه المرحلة التاريخية التي نعيشها، الامر الذي يفرض على الجماهير الفلسطينية ان تدافع عن بنادقها ومواقعها وثورتها ، مهما كلف الثمن ، وترفض تجريدها من السلاح ، مهما كـــانت قسوة المعارك المقبلة ، ومهما كلف ذلك من تضحيات . الامر الذي يلقي على طلائع الشعب الفلسطيني مهمة البقاء في المعركة ومواصلاتها ، **اي ان تتولد ، باستمرار ، الطلائع التي تواصل القتال .**

رابعا : ان تصفية الثورة الفلسطينية وتغييب الشعب الفلسطيني في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ وتحويل الصراع حول القضية الفلسطينية الى صراع عربي رسمي ــ اسرائيلي، أدى في الوقت نفسه الى تغييب الجماهير العربية والثورة العربية عن معركة التحرير ضد العدو الصهيوني ، وقد صحب ذلك حملة بطش بالجماهير العربية وحركة التحرر العربي في اكثر الاقطار العربية في ظل احكام عرفية شرسة . في حين تــرك العدو الصهيوني يمضي ، بأمان ، في تكريس وجوده والتحضير لتوسع جديد ، مدعوما مــن الامبريالية العالمية التي راحت بدورها تحكم سيطرتها ، من خلال عملائها ، على البلاد العربية ، وان هذا كله هو ما تهدف اليه المؤامرة في المرحلة الراهنة ايضا .

ان ادراك هذا الدرس يؤكد صحة الموضوعة التي ترى الترابــط العضوي بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، هــذا الترابط الذي تدركــه الامبريالية العالمية والعدو الصهيوني والقوى العربية المضادة للثورة ، والذي يترجم الى اصرار دائم على تغييب الشعب الفلسطيني عن تولي زمام قضيته ، وعلى تصفية الثورة الفلسطينية المسلحة ، وتحويل الصراع الى صراع عربي **رسمي** ــ اسرائيلي **لان ذلك يعني ، فيمــا يعنيــه ، تغييبا للجماهير العربية والثورة العربية عن معركة التحرير أيضا . وتمهيدا للسيطرة على البلاد العربية كل قطر على حدة .**

ان ادراك هذا الدرس يطرح عــلى الثورة الفلسطينية الان مهمة تعميق تلاحمها مــع الجماهير العربية وفصائل الثورة العربية ، كما يطرح على الجماهير العربية وفصائل الثورة العربية مهمة الدفاع عن الثورة الفلسطينية ، ورفض تغييب الشعب الفلسطيني، بما في ذلك اللجوء الى السلاح جنبا الى جنب مــع التهيئة للمشاركة الفعالة في الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني . على الا تكون المشاركة تعنى التضامن المعنوي فقط ، او تكون التهيئة شعارا مؤجل التنفيذ الى ما لا نهاية .

سقوط الناصرة والجليل :
دور فوج حطين ــ اجنادين

أكرم ديري

هذا جزء من مذكرات عن حرب فلسطين ١٩٤٨ يعدها الكاتب العسكري العربي السيد أكرم ديري الذي اشترك في هذه الحرب كضابط في جيش الانقاذ ثم شغل بعد ذلك العديد من المناصب العسكرية والسياسية الهامة .

الوضع العام قبل ١٠ حزيران ١٩٤٨

كانت بعض قوات الانقاذ وقوات حرس البادية السورية وفوج من الجيش اللبناني مدعم ببعض المفارز الهندسية قد استعادت المالكية وقدس بهجوم ناجح مدعوم بالطيران السوري والمدفعية اللبنانية وبطارية مدفعية سورية .

وفي يوم ١٩٣٩/٦/١٠ تلقى فوج حطين ــ الذي اشترك في هذه المعركة بامرة الرئيس (النقيب)مدلول عباس ــ الامر بالحركة والتجمع في الرامة . وتحرك فعلا اليها . وفي صباح هذا اليوم اعلمني قائد الفوج بصفتي مساعداً له ان بعض القوات الاخرى ستلتحق بنا ، وأننا سنتحرك غدا لكي نصل قبل موعد وقف اطلاق النار (الهدنة الاولى) الى مشارف مستعمرة العفولة بعد أن نتجمع في المغار . وسنضرب هذه المستعمرة بمدفعيتنا ان لم نتمكن من احتلالها وتحقيق الاتصال مع الجيش العراقي الموجود في منطقة المثلث العربي (جنين) .

وفي صباح ١٩٤٨/٦/١١ تأخرت حركتنا من الرامة واعتراها بعض الاضطراب . اذ تأخر تموين آلياتنا المستأجرة بالمحروقات وكان تموينها من مسؤولية الجيش اللبناني . وتحركنا اخيرا ، وما كاد رتل الفوج يصل الى مفترق طريق المغار ــ طبريا ــ الناصرة حتى تعرض لنيران حامية من الرشاشات ومدافع الهاون . فترجل جنود الفوج بسرعة من السيارات وبدأوا يتسلقون تلال الشجرة . وانتشرت المدفعية في الخلف وأخذت تقصف مواقع الاسرائيليين بعنف . وكانت هذه المعركة من أسرع المعارك التي خاضها جيش الانقاذ واكثرها حسما . وما كدت أصل مع السرية الخلفية الى المفترق حتى وجدت الرئيس (النقيب) مدلول عباس قائد الفوج والمقدم عامر حسك من اركان فوزي القاوقجي والدكتور امين رويحه وهما على حافة الطريق يقودون عملية تسلق المرتفعات واحتلالها . وترجلت من السيارة ، فما كان من عامر حسك الا ان طلب الي عدم التوقف بتاتا ومتابعة التقدم مع بقايا الفوج الى الناصرة بأسرع ما يمكن للوصول اليها قبل حلول موعد وقف اطلاق النار . وامتطى سيارة مصفحة ، وتحركنا خلفه ووصلنا الناصرة حوالي الساعة العاشرة . وفي حوالي الساعة ١٢٠٠ من ذلك اليوم (١١ حزيران) وصل فوزي القاوقجي والامير مجيد ارسلان الى مقر المجلس البلدي بعد أن استقبلهما سكان الناصرة استقبالا حافلا . وأخذنا نستمع الى تبادل الكلمات الحماسية والبليغة من كلا الطرفين .

الدفـاع عن الناصرة

كان فوج حطين برغم الخسائر التي تعرض لهـا في **معركة الشجرة الاولـى** واحتلاله لمرتفعاتها (٤٣ بين قتيل وجريح) قد أوكلت اليه جبهة طولها ٦٠ كم تمتد من شفاعمرو غربا الى قرية حطين شرقا (الموقع التاريخي المشهور) . وخلال فترة الهدنة بقيـت السرايا التي اشتبكت في معركة الشجرة في مواقعها . الا انه أجري فيها بعض التبديل، وزودت بعدد محدود من أدوات الحفر اليدوية لتحصين مواقعها الدفاعية وذلك بحفر الخنادق ووضع مساتر من الرمل او الحجارة نظرا لعدم توفر اية امكانية لتحصـين وتحكيم فنيين . وبعد عدة أيام من حلول الهدنة قدم الى الناصرة المقدم الركـن عامر حسك مندوبا عن القاوقجي ومعه ضابط عراقي آخر ، وجرى الاتفـاق معهما علـى اجراء التوزيع التالي للقوات بعد استطلاع الناصرة وكل النقاط الحاكمة فيها :

١ ــ سرية مشاة ومقر قيادة فوج حطين في الناصرة ذاتها على ان تتولى هذه القوات الدفاع عن جبل القفزة ــ طريق العفولة والمرتفعات الواقعة على طريق يافا ــ المجيدل ــ معلولا مقابل مستعمرة نهلال ومستعمرة رامات دأفيد ، والدفاع عن مركز البوليس في المدينة . ٢ ــ ١٥٠ شرطيا فلسطينيا في المدينة ذاتها . ٣ ــ سـرية ابو ابراهيم الصغير التابعة للهيئة العربية العليا ــ ويبلغ عدد افرادها حوالي ١٢٠ مسلحـا ــ للدفاع عن غربي المدينة مقابل مستعمرة كفار هاخوريش (كانت هذه القوة موجودة قبل وصول قوات الانقاذ)(١). ٤ ــ سرية فلسطينية برئاسة النقيب ابـو محمـود الصفوري الذي كان ضابطا سابقا في حرس الحدود وتضم ١٥٠ مسلحا وتملك بعض الالغام والمتفجرات بالاضافة الى دعم كل سكان القـرية الذين كان معظمهم مسلحين وكانت تابعة للهيئة العربية العليا(٢). وتتولى هذه السرية حماية الناصرة مـن طريق حيفا ــ شفاعمرو ــ صفورية ــ الناصرة (كانت هذه القـوة موجودة قبل وصـول قوات الانقاذ) . ٥ ــ فصيلة مشاة في شفاعمرو من فوج حطين بقيـادة ضابط صف متطوع من الجيش السوري . ٦ ــ سرية مشاة من فوج حطين في مرتفعات الشجرة معززة بفصيلة في قرية لوبيا ، وفصيلة مشاة أخرى معززة برشاش في قـرية حطين الواقعة على بعد ثلاثة كيلومترات الى الشرق من طبريا .

وعززت هذه القوات قريبا من مفترق طريق الشجرة ــ طبريا ببعض المصفحات التـي كان جيش الانقاذ قد استولى عليها من الاسرائيليين او من قوات الانتداب البريطانية ، يقودها بعض المتطوعين من اليوغوسلافيين بقيادة النقيب عز الدين الجراح .

عوامل الضعف في هذا التوزيع

يتضح من هذا التوزيع لفوج لا يملك اكثر من ٤٠٠ مقاتل هم في الاساس جنود غـير نظاميين ما يلي : ١ ــ عدم وجود جهد رئيسي للدفاع ، بل كان هناك توزيع غير ملائم لقوة صغيرة مخصصة اساسا لاعمال الازعاج والكمائن والاغارات . ولو أن قيـادة قوات الانقاذ كانت تملك خطة متكاملة وصائبة للدفاع عن هذا الجزء لاقتضى ان يوجه هذا الجهد الدفاعي الرئيسي اساسا في هذه المنطقة على مرتفعات الشجرة لمنع عـزل الناصرة عن لواء الجليل وسحب كل قوات فوج حطين اليها ، علما بان فوج حطين لم يزد القوة الدفاعية الاساسية للناصرة ذاتها بأكثر من ١٠٠ مقاتل . ٢ ــ اطالة خطوط المواصلات بين مقر القيادة العامة لقوات جيش الانقاذ وبين فوج حطين ، حتـى أن التموين اليومي لهذه القوات كان يقتضي جهدا بالغا علما بأن تموين الناصرة (المقر في

---

١ ــ كانت هذه المجموعة تتقاضى ميزانية ٣٠٠ مقاتل من الجامعة العربية . وقد طلب اليها العمل على تجنيد ما يعادل هذا العدد .

٢ ــ كانت تتلقى مساعدات من الجامعة العربية ومن جيش الانقاذ ايضا .

مركز البوليس) كان يتطلب يوما كاملا اذ كان التموين بالخبز والخضار يأتي يوميا من مدينة صور وجويا اللبنانيتين . ٣ — عدم وجود اتصالات سلكية او لاسلكية بين قيادة الفوج والسرايا والفصائل ، حتى ان فصيلة شفاعمرو والفصائل الاخرى الموزعة حول الناصرة كانت تتصرف كوحدات مستقلة ومنعزلة . ٤ — عدم وجود اتصال سلكي بين الناصرة والقيادة العامة لقوات جيش الانقاذ . ٥ — الافتقار الى ذخيرة كافية من الطراز الفرنسي مع أن معظم أسلحة الفوج كانت فرنسية قديمة مع بعض الاسلحة الالمانية القديمة . ٦ — عدم وجود أسلحة ثقيلة — وكان الفوج كله يملك فصيلة هاون ٨١ مم (سلاح متوسط) تمركزت في الشجرة . ٧ — كانت مستعمرة كفار هاخوريش تمثل نقطة ضعف أساسية في مدينة الناصرة . ومع أنها مستعمرة صغيرة الا أنها متصلة عبر السفوح الجبلية بمستعمرات مرج ابن عامر . وتشكل نقطة مراقبة وتجسس على المدينة ، ونقطة وثوب خطرة . وكان من واجب قوات الانقاذ احتلالها ولكن هذه القوات تمسكت بنصوص الهدنة . ٨ — كانت العفولة وهي أهم مركز سياسي وعسكري وسط مرج ابن عامر لا تبعد عن الناصرة أكثر من ثمانية كيلومترات .

اثر الهدنة على الوضع في الناصرة

مما لا شك فيه ان هدنة الاسابيع الاربعة التي وقعها العرب لم تزد قوة فوج حطين ، بل زادته ضعفا . فلم تستغل هذه الفترة في التدريب والتسليح واعادة التنظيم نظرا لانتشار الفوج وافتقار قواته أساسا للسلاح . ففي الوقت الذي اتضح فيه أن الاسرائيليين يحصنون مواقعهم في كل مكان ويستخدمون معدات التحكيم ويزرعون الالغام امام خنادق الشجرة ، وينصبون الاسلاك الشائكة ، ويقتربون من خنادق قواتنا ليحدثوا الجنود ويمارسوا ضدهم حربا نفسية ، كانت قوات حطين في عطالة تامة . ومارس الاسرائيليون ايضا طيلة هذه الفترة حربا نفسية في قرية شفاعمرو مستغلين انعزال فصيلة من فوج حطين وبعدها عن مقر قيادتها حوالي ٢٠ كم ، وتمكنوا من ضم نائب قائد الفصيلة اليهم . كما وقعت حوادث كثيرة بين جنود جيش الانقاذ والسكان سببها عدم الانضباط ، والافتقار الى التلاحم بين قوات الانقاذ وسكان المدينة نظرا لتعدد التنظيمات الحزبية فيها وعدم وجود جبهة وطنية داخلية تمارس أثرها السياسي .

ورغم زيارة العميد الركن طه الهاشمي مفتش المتطوعين العام للناصرة وكل مراكزها العسكرية ووصوله الى شفاعمرو واطلاله على سهل حيفا ، ووقوفه على تل القفزة (التل الذي قفز منه المسيح عندما كان اليهود يطاردونه) واشرافه منه على العفولة ومرج ابن عامر ، الا ان هذه الزيارة لم تحدث أي تغيير او تبديل في مواقع القوات ، ولم تعززها بالعتاد والسلاح والاليات ، او على الاقل لم تغير من استراتيجيتها الخاطئة .

سقوط الناصرة والشجرة

ما كاد يوم ٩ تموز ١٩٤٨ يطل ويطل معه موعد استئناف القتال حتى اشتعلت جبهة قوات جيش الانقاذ في كل مكان . وبدأت **معركة الشجرة الثانية** التي حشد فيها جيش الانقاذ معظم قواته الجاهزة وغير المشغولة بواجبات دفاعية في قطاعات اخرى . وزج فوج حطين بقيادة الرئيس (النقيب) مدلول عباس بكامله في هذه المعركة التي استنزفت كل قوى الفوج ما عدا فصيلة شفاعمرو ، وفصيلة المرتفعات المطلة على مستعمرة نهلال ، وفصيلة أخرى في الناصرة وسرية المقر التي بقيت في مركز البوليس بقيادة الملازم الاول الفلسطيني اسماعيل طهبوب . وأخذت مواكب الجرحى والقتلى تتوالى على مستشفى الناصرة الذي بذل فيه اطباؤه وسيدات الناصرة وممرضاتها وعلى رأسهن صبا الفاهوم جهودا جبارة نظرا لافتقار المستشفى الى المواد التموينية والطبية،

علما بأن قيادة فوج حطين كانت تزوده بكل ما تستطيع من المواد التموينية ، وتم نقل الكثير من الجرحى والقتلى الى مستشفى الانقاذ في الرامة او مستشفيات صور وصيدا وبيروت ودمشق .
ووصلتنا أوامر سرية بالتزام الدفاع في كل المواقع نظرا لعدم توفر الذخيرة الفرنسية لاسلحتنا ، وضرورة استخدام القوات المزودة ببنادق المانية الصنع .

وفي فترة ٩ — ١٣ تموز جرح في معركة الشجرة قائد الفوج الرئيس (النقيب) مدلول عباس جروحا بليغة ، كما جرح اقدم ضابط في الفوج بعده وهو النقيب كمال العبدالله، واستشهد الضابط الشاعر الفلسطيني الملازم عبد الرحيم محمود ، وأصبت بجرح طفيف في قدمي بقيت بسببه في المستشفى لمدة ٤٨ ساعة فقط. وبلغ ما خسره الفوج أكثر من مائتين بين قتيل وجريح . وتكبدت قوات جيش الانقاذ الاخرى عددا مماثلا من القتلى والجرحى من الضباط والجنود. وبتاريخ ١٢ تموز قدم الى الناصرة الدكتور امين رويحه ومساعده الدكتور احمد السواح وقاما باخلاء بعض الجرحى ، وأرادا اخلائي فرفضت.

وبتاريخ ١٤ تموز وصل الى الناصرة المقدم اديب الشيشكلي قائد لواء اليرموك لاستطلاع منطقة الناصرة اذ كانت القيادة تنوي تبديل فوج حطين (الذي لم يبق فيه سوى ضابطين على قيد الحياة هما اسماعيل طهبوب وأنا وحوالي ٢٠٠ جندي موزعين بين الشجرة وشفاعمرو) بلواء اليرموك . وطلب مني مرافقته على أن لا أنزل من سيارته مراعاة لوضعي الصحي ولتزويده بفكرة عن الموقف . وبعد أن قمنا بزيارة كل المواقع حول الناصرة ، تحركنا معا الى صفورية . والتقينا بقائد السرية النقيب ابو محمود الصفوري واخذنا نناقش معه كل خطته الدفاعية ، فلاحظنا خطأ المواقع التي يحتلها ليلا ونهارا . وبعد مناقشة كل الترتيبات التي ينبغي ان يتخذها ، طلبنا اليه تغيير مواقعه ، ولغم بعض المنعطفات وحراستها، والححنا على ضرورة تحقيق الاتصال مع شفاعمرو رغم بعدها عنه . وكان احساسنا ان صفورية بما تملك من سلاح لدى السكان ، وبما تملك من الغام ومتفجرات لا يمكن ان تسقط بيد العدو بسهولة . ونبهنا قائدها الى اهمية موقعها لانها لا تتحكم بطريق الناصرة فحسب ، بل تتحكم بمحور صفورية — كفركنه الذي يعزل قوات الناصرة عن قوات الشجرة لو تمكن الاسرائيليون من السيطرة عليه .

وتابعنا طريقنا الى شفاعمرو . وهناك على مقربة من المرتفعات القريبة منها لاحظنا تحركا مشبوها ، وكان الوقت قد شارف الغروب . واخذنا نتساءل ماذا يعني هذا التحرك . وعدنا فورا الى صفورية ونبهنا قائد الحامية وطلبنا منه فورا زرع الالغام ولغم الطريق وحراسة المواقع الحاكمة وارسال بعض الرصاد الاماميين ، وأكدنا على ضرورة الاتصال المستمر معنا ، وضرورة تنفيذ ما اتفقنا عليه فورا .

وعاد المقدم أديب الشيشكلي الى مقره في الرامة بعد أن أوصلني الى مقر القيادة في مركز البوليس . وكان أول عمل لي في مركز القيادة هو شرح الموقف لقائد الفوج بالوكالة الملازم الاول اسماعيل طهبوب . وبدأنا الاتصال بحامية شفاعمرو فلم نتلق منها أي رد . كان الاتصال غامضا ومشوشا ولم نستطع أن نتحدث مع قائد الفصيلة .

وفي صباح يوم ١٥ تموز وصل الينا أحد الجنود من فصيلة شفاعمرو وأعلمنا ان قائد فصيلة شفاعمرو ومراسله بوغتا بالدبابات تحاصر مقرهما ففرا وانه لا يدري شيئا عن مصير الفصيلة والقرية . وقد اذاعت محطة اسرائيل يوم ١٥ مساء سقوط شفاعمرو بدون قتال .

وبدأنا نتخذ الترتيبات في مواجهة كفار هاخوريش وطريق صفورية . وكان قائدا الحاميتين على اتصال دائم بي اذ تربطهما بي صداقة واحترام متبادلين استمرا الى ما بعد حرب ١٩٤٨ بسنوات .

وفي ليلة ١٥ — ١٦ بدأ العدو بمهاجمة صفورية وارسل قائد الحامية مراسلا الينا . وكانت لدينا مصفحة واحدة (ج. م. س) فجمعت في الساعة الواحدة من صباح ١٦ تموز ما استطعت جمعه من قوات لا تزيد عن ثلاثين جنديا وأركبت قسما منهم المصفحة، وركب الباقون احدى السيارات وتحركت بمنتهى الحذر باتجاه صفورية . وعندما اقتربت منها ترجل الجنود وبدأوا بالتحرك على المرتفعات يمين ويسار الطريق ، وقوبلنا بنيران هائلة وبمدفعية مضادة للدروع منطلقة من المرتفعات والمنعطفات التي كنا — المقدم اديب الشيشكلي وانا — قد طلبنا وضع قوات لاشغالها ولغم مناطق التقرب اليها . وتوقفت حركتنا تماما على بعد مئتي متر من القرية بنيران مضادة للدروع . وتسللت مع مجموعة فلسطينية بسيارة جيب الى داخل القرية من مسلك خلفي في الساعة الخامسة صباحا وقبل شروق الشمس . كان الصمت والسكون يخيم على القرية من الداخل . لم يكن هناك اي أثر فيها للاحتلال الاسرائيلي ، ويبدو ان حاميتها انسحبت باتجاه كفر كنه مع معظم سكان القرية . وعدت للتمركز خلف المرتفعات وفي حماية بعض المنعطفات . وعندما أشرق يوم ١٦ تبلور الوضع . كانت القوات الاسرائيلية تحتل المرتفعات المشرفة على صفورية فقط . فعدت الى مقر الفوج واعلمت قائده بالوضع وأخذنا نتبادل وجهات النظر حول الموقف، فلم نجد امامنا اي سبيل سوى تعزيز الدفاعات حول الناصرة ذاتها . كان موقفنا كالتالي : ١ — مفرزة صغيرة في التلال جنوبي صفورية ، ٢ — سرية ابو ابراهيم الصغير في مواجهة كفر هاخوريش ، ٣ — ٣٥ جنديا في جبل شنلر شمال المدينة ، ٤ — مفرزة صغيرة على طريق العفولة ، ٥ — ٨٥ جنديا بما فيهم عناصر مقر الفوج بين يافا — الناصرة — المجيدل .

وما كاد النهار ينتصف حتى جاءنا المقدم عامر حسك واعلمنا بأن مصفحات جيش الانقاذ قد وصلت الى مدخل الناصرة من جهة الشجرة وانها ستقوم بهجوم معاكس لاسترجاع صفورية . وكنا قد ارسلنا برقية بواسطة لاسلكي البوليس الفلسطيني الى القيادة العراقية في جنين لتقوم بقصف جوي ومدفعي للعفولة وقصف جوي لشفاعمرو وطريق صفورية فتلقينا جوابا مشجعا عليها . ولكن دهشتنا كانت كبيرة عندما وصلتنا برقية من السلاح الجوي السوري يعلمنا فيها بأنه هاجم بعض الاهداف على طريق شفاعمرو وشاهد رتلا كبيرا من السيارات ودبابات تشرشل في المقدمة على طريق شفاعمرو — الناصرة . وكانت راجمات الالغام قد بدأت باطلاق نيرانها من مرتفعات كفار هاخوريش على مركز البوليس الذي كنا نتمركز فيه وكان اخر معقل من معاقلنا . وابتدأ المركز يتصدع وينهار من القصف . ورددنا على نيران راجمات الالغام بالرشاشات الموجودة بحوزتنا ومن سطح المركز ، ولكن كفار هاخوريش كانت في مرمى سرية ابو ابراهيم الصغير لا في مرمى مركز البوليس ، ولهذا كنا نتعرض للقصف ونحن عاجزون عن الرد . وكان القتلى والجرحى يتساقطون . فقررنا استطلاع الموقف في المدينة . ولهذا ارسل الملازم الاول اسماعيل طهبوب قائد الحامية دورية الى مدخل المدينة الشمالي — الشرقي فعادت الدورية لتؤكد بأن النيران تنطلق في المدينة من كل مكان ، ولم تتمكن الدورية من تحديد ما اذا كان العدو قد احتل بعض الدور العليا من المدينة او أن طابورا خامسا يقوم بهذه الاعمال . واكدت الدورية ان المصفحات بقيادة النقيب عزالدين الجراح والتي كان من المقرر ان تقوم بهجوم معاكس على صفورية قد احترق معظمها ، وقتل عدد من جنودها وتشتت الباقون . وكان الجنود قد ترجلوا دون أن

يقدروا خطورة الموقف وبدأوا في عملية فك المدافع والرشاشات وتنظيفها . فباغتتهم المصفحات والدبابات اليهودية وقطعت الطريق الى الناصرة وعزلتها تماما .

ازاء هذا الموقف وبعد محاولات عقيمة للاتصال بالقيادة العامة وجدنا ان من الافضل ان نخرج من المعسكر الى الخلاء لان ذلك افضل ، وخرجنا من معسكر البوليس عند الغروب . وكان القصف ما زال مستمرا ، والمناوشات مستمرة ومسموعة في كل مكان . وفي حوالي الساعة ١٨،٠٠ تسللنا بما امكننا من السلاح والعتاد متجهين الى مرتفعات الشجرة عبر المنطقة الجبلية الموازية لمحور الناصرة ــ مفترق لوبيا . ووصلنا على مقربة منها حوالي الساعة الرابعة صباح ١٦ تموز . وكانت المنطقة خالية من القوات . اذ انسحبت جميع القوات دون ان تخطر قوات الناصرة ، ولم تكن القوات الاسرائيلية قد احتلت هذه المناطق بعد . فاتجهنا من المرتفعات وتسللنا الى طرعان جنوبي سهل البطوف .

وبعد مسيرة طويلة وصلنا الى المغار يوم ١٦ تموز ظهرا . والجدير بالذكر ان بقايا فوج حطين وقوات الهيئة العربية العليا التقت في طريق الانسحاب بما فيها قوات ابو ابراهيم الصغير ، وشاهدنا بأم اعيننا بقايا المصفحات مع سيارة الجيب التابعة للمقدم عامر حسك بعد أن تعطلت ولم تتمكن من السير في الجبال .

وبعد أن تجمعت بقايا فوج حطين يوم ١٦ و١٧ نقلت الى معسكر خيام بالقرب من سعسع للاستراحة ، وأعيد تنظيمها وتشكيلها من جديد تحت اسم **فوج أجنادين برئاسة النقيب كمال العبدالله** ، الذي تسنم القيادة بعد شفائه وخروجه من المستشفى .

أسباب سقوط الناصرة

١ ــ كان الدخول الى الناصرة حركة تظاهرية لا تتضمن أي محتوى سياسي . وحتى لو انها كانت تشكل هدفا سياسيا في ذلك الوقت ، فان تحقيق هذا الهدف لا يتلاءم مع امكانات قوات الانقاذ ووسائله ، فجيش الانقاذ بكل قواته لا يشكل في جيش نظامي أكثر من لواء مشاة يفتقر الى وسائل النقل والاسلحة الثقيلة . ٢ ــ عدم وجود اتصال وارتباط بين القوات المدافعة عن مرتفعات الشجرة وحامية الناصرة سواء كانت تابعة لجيش الانقاذ او للهيئة العربية العليا . ٣ ــ كان من الواجب بقاء فوج حطين كله للدفاع عن مرتفعات الشجرة وترك أمر الدفاع عن الناصرة للسكان المدنيين . ٤ ــ عدم وجود مفارز هندسية والغام للغم المحاور الرئيسية . ٥ ــ عدم كفاءة قوات الانقاذ في الدفاع نظرا لعدم توفر تدريب وعتاد وأسلحة ثقيلة وأسلحة مضادة للدروع . ٦ ــ سقوط شفاعمرو بدون قتال مما ترك محور شفاعمرو ــ الناصرة مفتوحا امام الخصم . ٧ ــ سقوط صفورية بدون قتال حقيقي رغم ان قوة صفورية الفلسطينية المحلية تشكل اقوى وأكبر حامية في قوات الناصرة . ٨ ــ انسحاب سرية ابو ابراهيم الصغير دون أوامر . ورغم انقطاع الاتصالات الهاتفية بين قائد حامية الناصرة وبينها الا انها انسحبت قبل أن تنسحب بقايا فوج حطين ، والتقت هذه المفارز ببعضها في طريق الانسحاب ، في حين بقيت الفصائل المنعزلة التي انقطع معها الاتصال الهاتفي في مواقعها طيلة يوم ١٦ . ٩ ــ وصول مصفحات قيادة جيش الانقاذ متأخرة جدا ، ودون أن تكون معدة اعدادا كافيا للدخول في معركة تصادمية مباشرة . وكان من الواجب وصولها مع بعض المفارز الهندسية (التي لا يملكها جيش الانقاذ) في صباح ١٥ تموز . ١٠ ــ عدم امكان الركون في الدفاع لقطعات محلية تسكن عائلاتها على مقربة منها الا اذا كان شعارها « البحر من ورائكم والعدو أمامكم » .

الخلاصة : استنزفت قوات الانقاذ استنزافا كاملا في مرتفعات الشجرة . ولو ان حامية صفورية بقيت في مواقعها وصمدت معها سرية أبو ابراهيم الصغير لما سقطت الناصرة

لان هذه القوات كانت سليمة . وقد تمكنت القوات الاسرائيلية من مشاغلة قوات الانقاذ في مجد الكروم والرامة . وحسمت معركة الناصرة على مرتفعات الشجرة .

سقوط الجليل

الموقف العام

رغم توقيع اتفاقية **الهدنة الثانية** استمرت الاشتباكات مع القوات الاسرائيلية بعد ان تمركزت قوات جيش الانقاذ بين منطقة الرامة والمغار ومنطقة ميرون — صفصاف — ترشيحا — المالكية — قدس على الحدود اللبنانية . وكان واضحا ان العدو على علم بموعد الهدنة الثانية قبل وقوعها ، لهذا عزز مواقعه في كل القطاعات ، وراح يحتل مزيدا من المواقع الحاكمة .

وكان المقدم عامر حسك قد استلم قيادة لواء اليرموك ، بعد ان استقال قائده السابق المقدم محمد صفا والتحق بالجيش السوري . ويعتبر هذا اللواء من أفضل قطعات جيش الانقاذ وأحسنها تنظيما نظرا لما اتسم به المقدم صفا من مزايا قيادية وكفاءة عسكرية . واحتل هذا اللواء قطاعا كبيرا يمتد من مجد الكروم وشعب وسخنين وكفرمندا وكوكب وعيلبون الى كفر عنان والسموعي . وقد دعم هذا اللواء بفصيلة مدفعية بامرة الملازم الاول فايز قصري (كان في الحقيقة مسؤولا عن فصيلة مدفعية ترشيحا ايضا يعاونه الملازم محمود صبري السيد) . والى يمين هذا القطاع كان فوج اجنادين (فوج حطين سابقا بعد اعادة تشكيله وضم سرية فلسطينية محلية من أهالي ترشيحا اليه) يدافع عن قطاع ترشيحا الذي يواجه مستعمرات الساحل الفلسطيني من الزيب شمالا الى جنوبي مستعمرة نهاريا .

والى يسار قطاع لواء اليرموك الاول كان الفوج العلوي بقيادة النقيب غسان جديد يدافع عن قطاع ميرون وصفصاف والجش غربي صفد .

كانت مواقع جيش الانقاذ في الجليل تشكل خطرا هاما على القوات الاسرائيلية . وكان أمام هذه القوات الاختيار الاستراتيجي التالي على ضوء التصور الاستراتيجي العام للجبهتين العربيتين : السورية واللبنانية . ١ — القيام بهجوم باتجاه المنطقة الساحلية نهاريا — عكا بالارتباط مع الجيش اللبناني . ٢ — القيام بهجوم باتجاه وادي الحولة بالارتباط مع الجيش السوري وتحقيق الاتصال معه .

وكانت المنطقة التي يحتلها جيش الانقاذ ملائمة جدا لحرب العصابات وصالحة عموما للدفاع ، لان أرضها تتمتع بالتضاريس الجبلية والمضائق والمناطق المشجرة . بيد ان عيبها الاساسي هو انه لا يمكن أن يستخدم فيها الا طريق وحيد في الاتجاه شمال جنوب وأربع طرق في الاتجاه شرق غرب . وتصب كل المحاور التي تمركز عليها جيش الانقاذ في القطاع الغربي او الشرقي (غربي صفد) في ملتقى طرق أساسي هو قرية سعسع يمر منها محور الطريق الوحيد الى الحدود اللبنانية ويعتبر طريقا للتموين والانسحاب . ولهذا كان ينبغي ان يركز جهد الدفاع الاساسي لقوات الانقاذ على محور الجش — سعسع — سحماتا ، وان يتمفصل الترتيب الدفاعي لهذه القوات على خط المالكية — صالحه — سعسع — الجش — الصفصاف — فراضية — المغار . وكان من الواجب ان يمارس جيش الانقاذ ، بدءا من هذه النقاط ، حرب عصابات في القطاع الغربي تربيخا — معليا — ترشيحا — يانوح — مجد الكروم — وسخنين وكفر منده — طريق شفاعمرو ، وعلى القطاع الشرقي في مواجهة صفد بدءا من الجش والصفصاف وميرون والسموعي وجبل الجرمق .

وسأقتصر في هذه المذكرات على ذكر دور فوج اجنادين عند هجوم العدو على الجليل .

الهجوم المزدوج

الموقف قبل الهجوم

كانت قوات فوج اجنادين تشتبك بصورة متواصلة بالقوات الاسرائيلية . ولم تكن اسرائيل تحترم وقف اطلاق النار على هذه الجبهة . وقد خاض هذا الفوج عدة معارك ناجحة في التل الاحمر غربي معليا وفي خربة جدين جنوب غربي ترشيحا مقابل مستعمرة جدين ، خلال فترة الهدنة حضرها المراقبون الدوليون والمفتش العام لقوات الانقاذ العقيد محمود الهندي والدكتور أمين رويحه وخاضت بقية قوات الانقاذ معارك في عدة مواقع أشهرها معركة المنارة يوم ٢١ و ٢٢ تشرين الاول غنمت فيها قوات الانقاذ كثيرا من السلاح وأوقعت باسرائيل كثيرا من الخسائر .

الهجوم

في الساعة ١٦،٠٠ من يوم ٢٧ تشرين الاول كنت عائدا مع المقدم مهدي صالح قائد قطاع ترشيحا من عين ابل مقر قيادة فوزي القاوقجي . واثناء عودتنا في طريق ترابي كنا قد حاولنا شقه بمعونة السكان يربط سحماتا بدير القاسي عبر منطقة جبلية الى رميش وعين ابل في الاراضي اللبنانية ، فاجأتنا الطائرات القاذفة الاسرائيلية التي كانت تقصف المنطقة وتركز قصفها بشكل خاص على ترشيحا وسحماتا . وما أن وصلنا الى مقر قيادة القطاع في سحماتا حتى بدأنا تقدير الموقف .

وكانت خلاصة تقديرنا هي التالية : اذا استمر القصف الجوي ، وتبعه قصف مدفعي ينبغي أن نتوقع هجوما شاملا على القطاع ، والا فان من الممكن تفسير القصف بأنه قصف يستهدف تدمير قواتنا وتشتيت تجمعاتنا القتالية .

كان فوجنا مؤلفا من ثلاث سرايا : ١ ـ سرية فلسطينية محلية تدافع عن الطريق الرئيسي معليا ـ الكابري ـ نهاريا . ٢ ـ السرية الاولى اليمنية تدافع عن التل الاحمر. ٣ ـ السرية الثانية تدافع عن خربة جدين والوديان المحيطة بها جنوب طريق نهاريا ـ ترشيحا . ٤ ـ السرية الثالثة وتدافع عن قرية ينوح على يسار السرية الثانية وهناك فرجة بينهما تفصلها الوديان والمرتفعات المشجرة يبلغ عرضها أكثر من ثلاثة كيلومترات. ٥ ـ سرية المقر مع فصيلة هاون ٨١ مم في مركز بوليس ترشيحا وتدافع عن مرتفع غرب القرية ، ومستشفى قوات الانقاذ برئاسة الدكتور أمين رويحه . ٦ ـ مقر قيادة القطاع في سحماتا ، وفصيلة المدفعية بامرة الملازم محمود صبري السيد .

والتحقت بالسرية الثانية فورا لان قائدها كان قد حصل على اجازة طويلة . وكنت قد استلمت قيادتها بالوكالة طيلة مدة غيابه . وكانت هذه السرية تضم عددا من ضباط الصف الفلسطينيين الاكفاء ، وتحتل قطاعا من أهم وأخطر القطاعات في ترشيحا .

كان القصف المدفعي قد بدأ وكانت القنابل تستهدف خربة جدين ومقر القيادة وترشيحا ذاتها وسحماتا . واستمر التمهيد المدفعي مدة طويلة . وفي الساعة ٢٠،٠٠ ليلا كنت قد غيرت تمفصل السرية بشكل كمائن حول المداخل الرئيسية للوديان الصالحة للتسلل ، وأمنت الاتصال بين المفارز بواسطة المراسلين واتفقت معهم على السلوك الواجب اتباعه . الا أنني لم اتمكن من الاتصال بالسرايا الموجودة الى يميني ويساري ، وكنت أكتفي بالاتصال بقائد الفوج النقيب كمال عبدالله الذي اعطى صلاحية كاملة لفصيل المدفعية ليكون تحت تصرفي لتحديد الاهداف على جبهة القطاع كله طبقا لتقديري للموقف كله . واتخذت مكاني في خربة جدين التي كنا قد قمنا بحفر الخنادق فيها وتحصينها بالمواد المحلية المتوفرة .

وحوالي الساعة ٢٢،٠٠ بدأ قصف مدافع الهاون الاسرائيلية بالاضافة الى قصف

المدفعية . واكتشفت لاول مرة في حياتي العسكرية اتجـاه هجوم العدو الذي كـان يستهدف نقطة الاتصال بيني وبين سرية ترشيحا من خلال تحديد محوره ببعض الطلقات النارية وقنابل الهاون المضيئة . فاتصلت بقائد الفوج كمال عبدالله وأعلمته رأيي بأن الهجوم يستهدف احتلال ترشيحا في منطقة حدود السريتين باعتبار ان هذه المنطقة أضعف المناطق دفاعيا ، ورجوته اتخاذ بعض الاجراءات خلفهما . وكانت قذائف الهاون مركزة على خربة جدين بصورة خاصة الا ان طبيعة الارض ساعدتنا الى حد كبير . وضبط الجنود أعصابهم وفق التعليمات المحددة . وبدأ الهجوم الاسرائيلي يشق تقدمه عبـر الصخور والارض الوعرة مثبتا تلة جدين وسرية ترشيحا بنيرانه ، يحاول التقدم في الفرجة الفاصلة بين السريتين . وكانت الاوامر قد أعطيت للكمائن بعدم فتح النار الا عندما أبدأ باعطاء الاشارة المتفق عليها من خربة جدين . وعندما انسحبت الكمائن بما فيه الكفاية وتوغل هجوم العدو داخل الارض الوعرة أمرت بفتح النيران واتصلت بالملازم محمود صبري السيد الذي فتح نار مدفعيته على الاهداف التي كنت أحددها . وكنـا نشاهد أشباحهم ونسمع صرخاتهم من خربة جدين . واستمر الاشتباك حتى الساعة الرابعة صباحا فقمنا بهجمات مضادة صغيرة طردنا بها فلول العدو . وما أن بزغ الفجر حتى كانت سرية ينوح تتعرض لهجوم جديد . لقد بوغتت السرية من مسافة أمتار ولكن بطولة قائدها الملازم فتحي (من الخليل) جعلت السرية تصمد وتوقف الهجـوم الذي استمر أكثر من ساعتين . وكان الاسرائيليون قد تسللوا عبر أرض وعـرة ومشجرة وتسلقوا سفوح ينوح الا انهم باءوا بفشل ذريع . وقد أصيب الملازم فتحي بجرح في يده ، وسقط بين صفوف سريته عدد صغير من القتلى والجرحى .

وعند الفجر أرسلنا بعض الدوريات الى أمام فغنمنا كثيرا مـن الاسلحة والبنكلـور والمتفجرات ، والخرائط ، وجمعنا كثيرا من الوثائق والاوراق ، والبطاقات الشخصية للقتلى . وكانت أرض الاشتباك مضرجة بالدماء .

ومضى يوم ٢٨ وكان هادئا جدا يتخلله بعض طلقات المدفعية وغارات الطيران فقط . ولكن معنوياتنا كانت عالية جدا لولا خوفنا من نقص الذخيرة الفرنسية . وفي المساء تجدد الهجوم المعادي على كل سرايا الفوج ولكن كان هجوما ضعيفا ومترددا نظرا لما أصابه في الليلة السابقة . وصمدنا في مواقعنا حتى الساعة الرابعة صباحا . فاتصل بي قائد الفوج كمال عبدالله وأعلمني بأن الجش والصفصاف سقطتا وان فوجا سوريا قام بهجوم مضاد فأسرت بعض قواته وان سعسع قد سقطت بيد الاسرائيليين وان ترشيحا قد دمر معظمها بقنابل الطائرات والمدفعية ، وأن معظم أفراد سرية ترشيحا التي تدافع عن المحور الرئيسي قد انسحبت تحت ضغط المصفحات الاسرائيلية ونظرا لاصابة منازلهم في القرية ، وبغرض ترحيل عائلاتهم . وطلب الي البدء بالانسحاب ومقابلته في سحماتا . وانسحبنا مشيا على الاقدام بعد أن جمعنا خيامنا ومعظم تجهيزاتنا . ولم يكن انسحابنا تحت ضغط العدو . وفي سحماتا كانت كل هذه القوات تتجمع لتسير نحو الاراضي اللبنانية بحماية بعض وحدات لواء اليرموك الثاني التي انسحبت من الرامة وحمايـة فصيلة المدفعية بقيادة الملازم الاول فايز قصري الذي أبدى شجاعة فائقة في مواجهة المصفحات الاسرائيلية يوم ٢٩ ظهرا بمعونة بعض مفارز لواء اليرموك . وتجمعنا في رميش على الحدود اللبنانية بعد مسيرة طويلة على الاقدام استمرت يوما وليلة .

وهكذا نجح الهجوم الاسرائيلي المزدوج الذي استهدف احتلال ترشيحا في القطاع الغربي بذراع من ذراعي كماشة القوات الاسرائيلية ، بينما قام الذراع الاخر بهجوم آخر من صفد باتجاه سعسع النقطة الحيوية الاساسية في لواء الجليـل ، مع هجوم ثانوي تشتيتي في الجنوب والجنوب الغربي .

أسباب سقوط الجليل

١ ـ عدم وجود اختيار استراتيجي للاهداف الحيوية التي ينبغي الدفاع عنها ، فقد أراد جيش الانقاذ حماية كل المواقع فخسرها كلها .

٢ ـ عدم تلاؤم الهدف مع الامكانيات والوسائل .

٣ ـ عدم اتباع نموذج استراتيجي ملائم لامكانيات قوات الانقاذ ووسائلها .

٤ ـ عدم تعاون الجيشين السوري واللبناني من جبهتيهما مع جيش الانقاذ عند احتدام المعركة . وبالرغم من أن الجيش السوري زج بفوج من قواته ليلة سقوط الجش والصفصاف ، وأسر قسم منه نظرا لعدم معرفته بالمنطقة وخوضه المعركة ليلا ، وزج الجيش السوري بفوج آخر عزز فيه الحدود اللبنانية ، الا انه كان من الافضل أن يقوم الجيش السوري بهجوم معاكس من جبهته . وكان بوسع الجيش اللبناني القيام بهجمات معاكسة من الشمال لتخفيف الضغط عن ترشيحا لان قوات ترشيحا كانت صامدة ، الا أن مقاومتها لا يمكن ان تستمر نظرا للنقص الفادح في الذخيرة الفرنسية .

٥ ـ عدم وجود آليات لنقل لواء اليرموك الثاني الذي كان بوسعه القيام بهجوم معاكس من فراضية ، كما كان بوسعه استعادة سعسع .

٦ ـ عدم وجود ذخيرة فرنسية كافية لان معظم قوات الانقاذ سلحت بأسلحة فرنسية قديمة من مخلفات الجيش السوري ، علما بأن أسلحة الجيش السوري ذاتها كانت من مخلفات أسلحة الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية .

٧ ـ رغم الانسحاب كان بوسع قوات الانقاذ العودة لاحتلال تربيخا ـ الصالحه وتشكيل جيب مقاومة داخل الارض الفلسطينية يمكن منه التسلل الى الجليل لممارسة حرب العصابات واستعادة سعسع ، واقامة قواعد للمقاومة على أسس جديدة . وكان من الممكن لمثل هذه الاستراتيجية أن يكون لها أثرها في تهديد خطوط المواصلات المعادية ومنع استيطان الاسرائيليين للجليل . بيد أن أوامر عليا صدرت لقوات الانقاذ بعدم القتال على الحدود اللبنانية . فتجمعت هذه القوات ، وأعيد تنظيمها في لواء بامرة الزعيم (العميد) أنور بنود من الجيش السوري، وأوكلت اليها مهمة الدفاع عن القطاع الاوسط من الجبهة اللبنانية يعززها فوج سوري نظامي .

وبضياع الجليل فقد العرب أهم قاعدة في المستقبل لحرب التحرير الشعبية ، ولو بقي الجليل عربيا حتى الان لتغير مجرى تاريخ القضية الفلسطينية من أساسه .

ان كل هذه الهزائم تثبت بما لا يدع مجالا للشك الى أن العرب لم يهزموا سياسيا فحسب ، بل انهم هزموا في كل المجالات لانهم لم يتفقوا على تصور سياسي موحد ، واستراتيجية سياسية وعسكرية موحدتين . ولو انهم نجحوا في هذا لتمكنوا من الدفاع عن المعاقل الحيوية الاساسية في فلسطين ، ولما تمكنت اسرائيل من احتلال أراض تتجاوز حدود مشروع التقسيم .

سقوط مدينة صفد :
من مذكرات حرب فلسطين (جيش الانقاذ)

جادو عز الدين

هذا جزء من مذكرات عن حرب فلسطين ١٩٤٨ يعدها الكاتب العسكري العربي السيد جادو عزالدين الذي اشترك في هذه الحرب كضابط في جيش الانقاذ ثم شغل بعد ذلك العديد من المناصب العسكرية والسياسية الهامة .

مقدمة :

كنا مجموعة من الضباط جميعنا برتبة ملازم ورفاق دورة واحدة . ثم تعينا فور تخرجنا من الكلية العسكرية في مركز تشكيل وتدريب جيش الانقاذ . وكان التحاقنا في هذا المركز في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . وتبع ذلك أن تطوع(١) معظمنا في وحدات هذا الجيش ، ودخل كل منا فلسطين مع الوحدة التي عين فيها ليشترك في الواجبات والعمليات التي كلفت بها وحدته . وبعد ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، تاريخ دخول الجيوش العربية فلسطين ، أخذت رئاسة الاركان العامة في سوريا تعيدنا تباعا الى وحدات الجيش السوري . وقد استمر بعضنا في جيش الانقاذ حتى آخر عملياته التي خاضها في خريف ١٩٤٨ ضد الهجوم الاسرائيلي الشامل على منطقة الجليل . هذا الهجوم الذي انتهى بسقوط هذه المنطقة الحيوية والهامة في يد القوات الاسرائيلية وانسحاب قوات الانقاذ الى معسكرات قطنا حيث تم تسريحها وتصفيتها . وسقط في معارك جيش الانقاذ وفي جميع بقاع فلسطين الحبيبة المئات من الشهداء الابرار وفاز بالشهادة على أرضها رفاق أعزاء كانوا وسيظلون مثالا للبطولة والتضحية في سبيل استعادة حق سليب وأرض عربية مغتصبة .

دخلت فلسطين ليلة ١٦ كانون الاول (ديسمبر)١٩٤٧ مع السرية الاولى من فوج الحسين الاول(٢) وهي سرية عراقية . وقد كان قائدها ضابط عراقي برتبة ملازم اول وكنت معاونا لقائد هذه السرية(٣) . وعبرنا نهر الاردن ليلا الى الضفة الغربية ، من مخاضة

١ — المتطوعون هم : جودت أتاسي ، أكرم ديري ، جادو عز الدين ، جمال الصوفي ، عبد الحميد السراج ، شفيق عبيسي ، عدنان مراد ، سالم اتاسي ، مصطفى الدواليبي .

٢ — تم تشكيل هذا الفوج من متطوعين عراقيين وعين لقيادته الرئيس الاول الطيار (الرائد) محمود الهندي وهو ضابط عراقي . وكان الفوج يضم ثلاث سرايا مشاة فقط ولم يكن في تشكيله وحدة اسناد او أية أسلحة ثقيلة (رشاشات — هاون ٨١ — أسلحة ضد الدروع) .

٣ — كان تشكيل السرية من أربع فصائل ، ثلاث منها من العراقيين والفصيلة الرابعة من الفلسطينيين . وقد روعي ذلك في تشكيل جميع سرايا الفوج للمساعدة في التعرف على المناطق وتيسير التعامل مع السكان . وكان تسليح السرية مقتصرا على البنادق والرشاشات الخفيفة مع عدد محدود من القنابل اليدوية .

تقع الى الجنوب من جسر المالح . وتابعنا مسيرتنا بواسطة أدلاء الى قريتي تياسير وطوباس حيث كان مقررا أن يكون تمركز السرية في هاتين القريتين الواقعتين ما بين جنين ونابلس .

وكلفت السرية خلال وجودها في هذه المنطقة والذي امتد ثلاثة أشهر كاملة بكثير من المهمات . وكانت معركة الزراعة أهم العمليات التي شاركت فيها السرية . وقد خطط لهذه المعركة وقاد تنفيذها المقدم محمد صفا . وتم وضع السرية الاولى من فوج الحسين تحت تصرفه لتعزيز الفوج الذي كان يقوده في عملية الهجوم على مستعمرة الزراعة . وكانت خسائر السرية في هذه المعركة خمسة عشر قتيلا وثمانية وعشرين جريحا .

الانتقال الى منطقة الجليل :

في النصف الثاني من شهر آذار (مارس) ١٩٤٨ تلقت السرية أمرا بالتحرك الى شمال فلسطين لتنضم الى وحدات الانقاذ الموجودة في منطقة الجليل بقيادة المقدم أديب الشيشكلي ، الذي كان يتولى مسؤولية العمليات في هذه المنطقة الهامة . ولتنفيذ هذه الحركة من المثلث العربي في الضفة الغربية الى شمال فلسطين كان لا بد من العودة الى شرقي الاردن والتحرك الى سوريا فلبنان ثم الجليل ذلك لان سهل مرج ابن عامر الواصل بين شمال فلسطين وجنوبها واقع بأكمله تحت سيطرة المستعمرات اليهودية المتحكمة بشبكة الطرق التي تخترقه .

وفي ليلة ٢٠ آذار (مارس) ١٩٤٨ تحركت السرية الى الاردن فسوريا ، حيث قضت يومين للراحة في معسكرات قطنا . وفي ليلة ٢٣ آذار (مارس) تابعت حركتها الى الجليل سالكة طريق دمشق — بيروت — صيدا — صور — بنت جبيل — المالكية — كفر برعم — الصفصاف (شمال غربي صفد) والتي كانت وقتئذ مقرا لقيادة المنطقة ، فبلغناها قبيل الفجر . وتمركزت السرية فيها تمركزا موقتا انتظارا للتعليمات التي تحدد منطقة عملها ومهامها .

وفي ليلة ١٩٤٨/٣/٢٥ قام الصهيونيون بهجوم كثيف على مركز بوليس النبي يوشع الواقع شرق قرية قَدَس بغرض احتلاله ، فتلقت السرية أمرا بالحركة الى قرية قَدَس لنجدة قوات المركز وفك الحصار عنها . وكانت هذه أول عملية شاركت السرية فيها بعد وصولها لهذه المنطقة بأقل من ثماني واربعين ساعة . وقد دخلت ارض المعركة دون أن يكون لديها فكرة عن طبيعتها لانها لم تكن قامت بأية استطلاعات في هذه المنطقة ، واعتمدت السرية في تقدمها نحو قرية قَدَس على بعض الادلاء المتطوعين الفلسطينيين الذين قادوها الى منطقة عملها وخط انطلاقها وأرشدوها الى أهدافها. وقد انتهت معركة النبي يوشع هذه بفشل قوات العدو وانسحابها بعد أن تركت على أرض المعركة ما يقرب من الاربعين قتيلا بعضهم على الاسلاك الشائكة المحيطة بالمركز وبعضهم قريبا من بابه وجدرانه ، وكانت قوة الدفاع عن مركز النبي يوشع بقيادة الملازم شفيق عبيسي،وقد بقي في هذا المركز يصد كل الهجمات اليهودية المتكررة عليه حتى سقط فيه شهيدا في ليلة ١٦ أيار (مايو) ١٩٤٨ .

منطقة تمركز السرية ومهمتها :

بعد انتهاء معركة النبي يوشع انسحبت السرية الى قرية قَدَس وكانت تتمركز في هذه القرية وحدة متطوعين بقيادة الملازم صلاح الشيشكلي . وفي قَدَس تلقت السرية أنذارا لان تكون مستعدة للحركة لاماكن تمركز جديدة .

وبعد استراحة قصيرة أرسل المقدم أديب الشيشكلي يستدعي قائد السرية ويستدعيني واصطحبنا معه الى مركز بوليس قرية سعسع ثم الى قرية طربيخا ومركز بوليس قرية اقرت .

وكان هذان المركزان مشغولين بعدد محدود جداً من المقاتلين المدنيين من سكان قريتي سعسع واقرت . فأوضح لنا أهمية هذين المركزين وقرر أن يكون تمركز السرية فيهما محددا مهمتها بالآتي :

منع محور الكابري ــ البصة ــ اقرت ــ طربيخا ــ سعسع .

ولتنفيذ هذه المهمة كان المطلوب احتلال مركزي بوليس قرية سعسع وقريــة اقــرت . والحفاظ على هذين المركزين الاساسيين وعدم تمكين العدو من احتلال أي منهما بالدفاع عنهما حتى آخر طلقة ، والدفاع عن قريتي اقرت وطربيخا بعناصر المقاومة الشعبية بعد تعزيزها ببعض أسلحة السرية بالاضافة الى تعزيزها بعدد من أصحاب بعض الرتب حتى ولو كانت رتبهم صغيرة لتتولى قيادة ومسؤولية الدفاع عن المراكز الرئيسية في كل قرية .

وفي أول ليل ٢٦ آذار (مارس) تحركت السرية الى منطقة عملها . وأتمت احتلالها لمراكزها قبل الفجر . واثناء ذلك اليوم واليومين التاليين جرى استطلاع المنطقة والتعرف عليها وتعديل توزيع السرية وفقا لمقتضيات وأهمية واجباتها وتم تدعيم المقاومة الشعبية في قريتي اقرت وطربيخا . ولم تمض أيام قليلة على تمركز السرية في مواقعها حتى صدر أمر من قيادة جيش الانقاذ في دمشق (طه الهاشمي) بنقل قائد السرية الملازم الاول حسين عبداللطيف الى قيادة فوج الحسين معاونا لقائده فانفك عن قيادة السرية يوم ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ وتسلمت بدءا من هذا التاريخ قيادتها حتى ٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، وهو تاريخ اعادتي الى الجيش السوري حيث تلقيت أمر تعييني في فوج المشاة الاول ، الذي كان وقتئذ في منطقة القنيطرة ، قائدا للسرية الاولى فيه اعتبارا مــن ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ .

لقد كان تعداد السرية حين التحاقها في منطقة الجليل تسعين مقاتلا فقط وذلك نتيجة للخسائر التي كانت قد اصيبت بها وهي في منطقة نابلس ، فأعيد تشكيلها بثلاث فصائل تعداد الواحدة منها خمسة وعشرون فردا : ــ الفصيلة الاولى بقيادة الملازم علي عراك . ــ الفصيلة الثانية بقيادة الملازم عبدالعزيز . . . ــ الفصيلة الثالثة ويقودها الملازم سيد قريشي . ــ حضيرة قيادة (خدمات السرية) بقيادة رئيس عرفاء يدعى جهاد .

لقد قامت هذه السرية منذ تاريخ التحاقها بمنطقة الجليــل الى تاريخ اعادتها الــى معسكرات قطنا في سوريا يوم ٢٩ أيار (مايو) ١٩٤٨ بالواجبات التي أسندت اليها ، واشتركت مع سواها من قوات الانقاذ التي كانت في المنطقة نفسها طوال هذه الفترة (على الرغم من قلة عدد هذه القوات وهزالة تسليحها) في عمليات عدة أهمها : ــ صد الهجوم المعادي على النبي يوشع . ــ الهجوم على مستعمرة الهراوي . ــ معركة مدينة صفد وسنتكلم عنها تفصيلا . ــ معركة المالكية وقدس ضد الهجوم الصهيوني على هاتين القريتين ليلة ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ .

معركة مدينة صفد وسقوطها بيد العدو :

كانت مدينة صفد ذات أهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة للعرب وبالنسبة للصهيونيين أيضا . وكان كل من الطرفين حريصا على انتزاعها من خصمه والسيطرة الكاملة عليها . وقد بدأت الاشتباكات المسلحة في هذه المدينة الهامة عقب صدور قرار هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين وانشاء الكيان الاسرائيلي في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . وكان القتال داخلها يزداد عنفا يوما بعد يوم حتى سقطت بيد العدو في ليلة العاشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ . علما بأن صفد لم تكن في قرار التقسيم داخل المنطقة اليهودية .

واني اذ اكتب عن المعركة التي انتهت بسقوط هذه المدينة أرى لزاما عليّ أن أنبه مقدما الى النقاط التالية :

— اني لم أكن قائدا لهذه المعركة لاكون ملما بكل جوانبها وتفصيلاتها الكاملة بل كنت أحد الضباط الذين شاركوا في الاعدادات التي اتخذت لانقاذ هذه المدينة ، وشهدوا عن قرب تطورات الحوادث ومجرياتها ونهايتها البائسة .

ان ما أكتبه انما هو ذكريات أعتمد في ايرادها على الذاكرة . اذ ليس بوسعي الاعتماد على سجل للوقائع كالذي يكون عادة لكل معركة . لان معارك جيش الانقاذ لم تعرف للاسف مثل هذا التنظيم الذي يؤرخ لكل معركة هدفها وفكرتها وخطتها وتنفيذها ويحفظ لها تاريخها دقيقا وبعيدا عن كل تشويه .

— اني أدعو كل الاحياء الذين كانوا في هذه المعركة وشهدوا احداث هذه المأساة أن يبادروا لتوضيح ما قد أكون قصرت فيه أو تصحيح ما كتبت اذا ما ارتكبت خطأ أو أغفلت واقعة ، ففي ذلك خدمة جليلة ومطلوبة لمعرفة حقيقة أحداث جسام تستحق التسجيل والدراسة لانها تشكل جزءا من تاريخ أمتنا خلال حقبة من الزمن .

— ان الاحداث التي أتناولها هنا انما هي أحداث الايام الاخيرة من هذه المعركة ، وبالتحديد الاحداث التي وقعت ما بين الاول من أيار (مايو) ١٩٤٨ والعاشر منه وهو تاريخ سقوط المدينة ونزوح العديد من أهلها وانسحاب القوات المدافعة عنها .

حامية المدينة في ١ أيار (مايو) ١٩٤٨ :

كانت القوة المكلفة بالدفاع عن المدينة تتألف من : — سرية متطوعين أردنيين بقيادة الرئيس (النقيب) ساري الفنيش من الجيش الاردني . وكان يساعده في قيادة السرية الملازم اميل جميعان وهو ضابط أردني أيضا . — ما يعادل فصيلتين من المشاة او بقية سرية متطوعين سوريين من فوج المقدم أديب الشيشكلي كانت قد دخلت مدينة صفد لتعزيز الدفاع عنها منذ الايام الاولى لدخول قوات الانقاذ الى منطقة الجليل . وكان يقود هاتين الفصيلتين الملازم هشام العظم . — ما يقارب الثلاثمائة مسلح من أهالي صفد بقيادة صبحي الخضرا ، يفتقدون الى التنظيم والتدريب والانضباط ، وهي عوامل أنقصت من قدرتهم على المساهمة بصورة فعالة في واجب الدفاع عن مدينتهم وحمايتها .

ولقد كانت حامية صفد كلها بقيادة الرئيس (النقيب) ساري الفنيش ولم يكن هذا الضابط حسبما اتضح من مجريات الاحداث أهلا لمثل هذه القيادة أو قادرا على حمل مسؤولياتها أو حتى التحسس بها . وكان ساري الفنيش ومعاونه اميل جميعان موضع شكوى مستمرة لتقاعسهما واستهتارهما وتغيبهما المتكرر عن مقرهما القيادي وتركهما المدينة أحيانا خلال الاشتباكات .

المراكز الاساسية ومسؤولية الدفاع عنها :

كانت المراكز الحيوية والاساسية في المدينة تحت سيطرة القوات العربية . وأهم هذه المراكز : القلعة القديمة — مركز البوليس — مقر رئاسة البلدية — مستشفى المدينة — نقاط عديدة مشرفة على الحي اليهودي .

أما الواجبات فقد كانت موزعة كالآتي : — الدفاع عن القلعة من مسؤولية سرية المتطوعين السوريين . — الدفاع عن مبنى رئاسة البلدية وعن مركز البوليس من مسؤولية السرية الاردنية . — الدفاع عن الاماكن الحساسة في المدينة (مفارق — أماكن حاكمة — منافذ ...) من مسؤولية المقاومة الشعبية من ابناء صفد . وعلى صورة مخافر قتال موزعة في كل انحاء المدينة . وكانت المخافر ذات الاهمية الخاصة معززة ببعض الافراد وبعض الاسلحة من السرية الاردنية او سرية المتطوعين السوريين . كان واجب الدفاع عن المستشفى ملقى على عاتق مفرزة صغيرة لا تتجاوز الحضيرة

(عشرة أشخاص) من السرية السورية مدعمة بعدد من المقاومة الشعبية . والمجموعة بقيادة الدكتور فيصل ركبي .

وكانت القلعة هي المركز الاكثر اهمية في جميع دفاعات المدينة لانها الموقع الاكثر مناعة والذي يؤمن سيطرة كبيرة على كثير من المنافذ والاجزاء الهامة من المدينة .

الموقف القتالي وتطوره :

كان القتال في صفد يزداد ضراوة يوما بعد اخر . وتبلور موقف حاميتها في التزامها جانب الدفاع الثابت لانعدام قدرتها على القيام بأية عملية هجومية مهما كان حجمها صغيرا . بينما اصبح الموقف بالنسبة للعدو على النقيض من ذلك فقد انتقل الى وضع الهجوم . ولم تكن تنقضي ليلة واحدة دون ان يقوم الاسرائيليون فيهـــا بعملية هجومية على اكثر من مركز من الدفاعات العربية . وكان اصرارهم قويا على احتلال القلعة لان سقوط هذا الهدف المنيع في ايديهم سيكون بداية سيطرتهم الكاملة على المدينة وكل ما سيتبع نجاحهم في معركة القلعة من قتال لن يكون بنظرهم اكثر من عمليـــات تطهير لجيوب مقاومة لن تستطيع الاستمرار طويلا .

وكانت هنالك مشكلة ظلت قائمة على الدوام دون ايجاد حل لهـــا . وهي مشكلة تنوع الاسلحة الموجودة في ايدي قوات الحامية العربية فاسلحة السريـــة الاردنية (بنادق ـــ رشيشات ـــ قنابل يدوية) مختلفة عنها لـــدى سرية المتطوعين السوريين ومختلفة ايضا عن اسلحة المقاومة الشعبية من اهالي صفد . ناهيك عن نقص الذخيرة بالنسبة لكل انواع الاسلحة ، الامر الذي كان يزيد من صعوبة القتال ويجعل ادارة المعركة اكثر تعقيدا .

وهكذا اخذ موقف حامية صفد يزداد حراجة في مواجهة القوة المعادية التي كانت تملك التفوق في نوع الاسلحة المستخدمة في القتال وعددها وحداثتها . فالهجمات الاسرائيلية متكررة كل ليلة دون انقطاع . والخسائـــر في الوحدات العربية المـــدافعة في تزايد . وتناقص هذه الوحدات مستمر نظرا لعدم امكان تعويض العناصر التي تخرج من القتال بسبب اصابتها . وفترات الراحة مفقودة بسبب استمرار الاشتباكات حتى أثناء النهار الامر الذي كان يزيد من تعب المقاتلين .وذخيرة المدافعين في كثير من الاشتباكات في تناقص الى الحد الذي يقارب نفادها . وكانت هذه المشكلة شديدة التأثير على المقاتل . في حين كانت قيادة المنطقة تبذل جهودا كبيرة حتى تيسر الامـــداد بالذخيرة بالقدر الذي تتطلبه المعركة .

وكانت الهجمات الاسرائيلية تتميز بكثافة نارية غير عادية . اما الاسلحة المستخدمة فيها فهي البنادق والرشاشات الخفيفة والمتوسطة وكلها حديثة بالقياس الى الاسلحة المماثلة لدى المجاهدين العرب . واستخدم الاسرائيليون وبكثرة مدفع الهـــاون ٣٫٢ بوصة في دعم هجماتهم ، واستخدموا اخيرا في معركة صفد وليلة سقوطها ما يسمونه « براجمة الالغام » ، وهو جهاز يطلق قذائف ذات صوت انفجاري ضخم دون أن يكون لها تأثير تدميري ملحوظ . وقد كان لراجمات الالغام اثر سيء كبير على معنويات المقاتلين الذين فوجئوا بهذا السلاح ، ولم يكونوا قد سمعوا عنه شيئا أو عرفوا خصائصه او خبروا تأثيره .

عرض الموقف في صفد على القيادة العامة لجيش الانقاذ :

لقد كان المقدم اديب الشيشكلي قلقا للغاية بسبب تردي الموقف في مدينة صفد وكذلـــك بالنسبة للوضع في مدينة عكا الذي لم يكن اقل سوءا . فسافر الى دمشق في ايار (مايو) ١٩٤٨ ليعرض الوضع بكل تفصيلاته على قيادة جيش الانقاذ (العميد طه الهاشمي)

أملا في الحصول على بعض القوات والاسلحة والذخيرة لتعزيز وحداته المبعثرة في انحاء الجليل من عكا الى صفد الى المالكية الى قرب الناقورة وهي منطقة يقارب عرضها الخمسين كيلو مترا وعمقها كذلك .

فكرة التمسك بمدينة صفد وتعزيز حاميتها :

بتاريخ ٧ ايار (مايو) ١٩٤٨ كانت السرية العراقية التي أقودها متمركزة في منطقة اقرت ــ طربيخا كما سبقت الاشارة الى ذلك . وفي ظهر ذلك اليوم تلقيت برقية انذار صادرة من قيادة منطقة الجليل تقضي باعداد السرية للحركة مع ابقاء اقل عدد ممكن في مركزي بوليس سعسع واقرت ــ بينما تعود السرية من مهمتها او تلتحق بها العناصر المتخلفة .

ومع فجر في ايار (مايو) ١٩٤٨ وصل المقدم أديب الشيشكلي فجأة الى مركز بوليس اقرت ومعه فقط جندي مرافق وابلغني فور وصوله التعليمات التالية : ــ ان السرية ستتحرك الى صفد لتدخلها اثناء الليل . ــ انه سيقوم بذاته باصطحابي وقادة الفصائل اثناء النهار الى صفد لاستطلاع طريق دخول السرية والاجتماع بقائد حامية المدينة ليطلع منه على اخر تطورات الموقف فيها . وليحدد لنا واجبات السرية والتعرف بصورة أولية على القطاع الذي ستحتله في اطار المخطط الدفاعي عن المدينة .

ــ وفي اليوم التالي وبعد دخول المدينة تستكمل السرية استطلاعاتها تفصيلا ويتم توزيعها على مراكزها الجديدة . ويتم ايضا تحديد المهمة القتالية لكل مفرزة من مفارز السرية بشكل واضح ودقيق . وحوالي الساعة السابعة من صباح اليوم نفسه وصلت الى مقر السرية اربع سيارات نقل مدنية مستأجرة فتم تحميل التجهيزات والذخيرة واركاب الجنود والتوجه الى قرية ميرون . واصطحبني المقدم شيشكلي معه في سيارته وسبقنا القافلة ليتسنى لنا بلوغ ميرون قبلها بوقت كاف لتحديد منطقة ترجل السرية ومنطقة تمركزها المؤقت ليمكن التوجه بعد ذلك الى صفد .

وعلمت منه أن فصيلة مدفعية ميدان عيار ٧٥ مم بقيادة الملازم أول فايز قصري كانت قد وصلت بالامس وانها اخذت مرابضها شرقي ميرون . وتكلم طويلا عن حراجة الموقف في صفد وصعوبة وضع الوحدات المدافعة عنها وتآكلها المستمر بسبب عدم امكانية تبديلها او تعويض خسائرها . وشكا من قائد الحامية الرئيس ساري الفنيش ومن تصرفاته التي لا تدل على تقدير مسؤولية القيادة التي يتولاها . ولم يخف تخوفه مما قد يقدم عليه ساري الفنيش فيؤدي تصرفه الى ضياع مدينة صفد وسقوطها في يد العدو . خاصة وان هذا الضابط يجاهر في كل مجلس ويردد بين جنوده وأمام أهالي صفد ان استمرار الدفاع عن هذه المدينة أمسى عملية انتحارية دون ثمن ، وان الاحتفاظ بها ضرب من المحال .

وتساءلت ان كان يجوز ابقاء هذا الضابط في هذه القيادة الحساسة فأجاب المقدم اديب الشيشكلي انه فكر في ابعاده وحاول تنفيذ فكرته فتعذر عليه ذلك للاسباب التالية :
ــ لان ساري الفنيش برتبة رئيس (نقيب) بينما لا يوجد في وحدات الانقاذ العاملة في الجليل وقتئذ من هو أقدم منه أو حتى برتبته . ــ لان سحب ساري الفنيش من مدينة صفد يقتضي سحب السرية الاردنية التي يقودها ، والوضع الدفاعي في المدينة اضعف من ان يحتمل هذا الاجراء ما دام النقص الذي تعانيه القيادة في الوحدات المقاتلة يجعل من المتعذر تيسير سرية بديلة . ــ لان السرية الاردنية ليست ــ في الاصل ــ من قوة الانقاذ بل كانت ملحقة بها ووجودها في صفد كان بتعليمات من قيادة جيش الانقاذ بالذات ومراعاة لرغبة قيادة الجيش الاردني .

واضاف المقدم الشيشكلي بانه يأمل ان يصبح دفاع صفد أفضل بعد دخول السرية

العراقية اليها كما سيغدو أقدر على الصمود أمام الهجمات الاسرائيلية المتكررة كل ليلة بغرض احتلال المدينة قبل ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ وهو تاريخ دخول الجيوش العربية فلسطين فيتحول الموقف لصالحنا بعد هذا التاريخ .

وبلغنا حوالي الساعة التاسعة صباحا قرية الصفصاف (مقر القيادة) فوجدنا فيها المقدم عامر حسك وهو ضابط عراقي وصل منذ بضعة ايام الى المنطقة وعين رئيسا لاركان القوات العاملة في الجليل . فاعلم المقدم اديب الشيشكلي ان هناك سرية متطوعين على وشك الوصول الى الصفصاف . وان هذه السرية من المتطوعين الاردنيين وأن قائدها الملازم الاول عز الدين التل وهو ايضا ضابط اردني . فأعطى المقدم الشيشكلي تعليماته بأن توجه السرية الى قرية ميرون كما أوعز الى المقدم عامر حسك بالمجيء معنا الى ميرون ، وهناك انصرفت الى استطلاع عاجل لاماكن التمركز المؤقت للسرية التي لم تتأخر في الوصول ، وبعد اتمام توزيع السرية على مواضعها صعدت الى قرية ميرون وتقع على قمة عالية ومشرفة على مدينة صفد وعلى مستعمرة عين زيتيم القريبة من مدخل المدينة والمتحكمة بالطريق العام الموصل اليها . وأبلغت المقدم الشيشكلي بوصول السرية فطلب أن اظل وقادة الفصائل جاهزين للتحرك الى صفد لاجراء الاستطلاع الذي أخطرني به .

وقبل ظهر ذلك اليوم ١٩٤٨/٥/٨ وصلت سرية المتطوعين الاردنيين بقيادة الملازم الاول عز الدين التل وكانت تتألف من أربع فصائل كاملة . وكان تعدادها في حدود المائة والثلاثين مقاتلا . وقد ترجلت السرية في منطقة ميرون للاستراحة وانتظار الاوامر .

قرار القيام بالهجوم على الحي اليهودي وتصفية الموقف في المدينة :

وفي ميرون تداول المقدم اديب الشيشكلي والمقدم عامر حسك في الموقف وذلك بحضوري والملازم الاول عز الدين التل والملازم الاول فايز القصري . وانتهى ، بعد أن تيسرت لديه القوات المذكورة الى القرار الاتي : — القيام بهجوم من داخل صفد بالتعاون مع هجوم من خارجها على الحي اليهودي فيها لتصفية التهديد الذي كان يمثله . وفي نجاح هذه العملية يتحول الموقف القائم في منطقة الجليل كلها وتنتقل المبادأة الى يد العرب بعد أن كانت حتى ذاك التاريخ بيد العدو .

وقد يصبح ممكنا بعد ذلك عمل شيء مؤثر لانقاذ عكا(١) من الخطر الذي كان يتهددها بالاحتلال الكامل . ومن أجل نجاح عملية صفد الهجومية نسب المقدم اديب الشيشكلي : — ان تدخل السرية الاردنية التي يقودها الملازم عز الدين التل الى صفد بدلا من السرية العراقية التي كانت بقيادتي . والسبب في هذا التعديل هو تأمين أكبر قدر من التجانس بين الوحدات العاملة داخل المدينة ما دام موجودا فيها بالاصل سرية اردنية وقائد الحامية كلها ضابط اردني . ثم ان السرية الاردنية اكثر تعدادا وأكمل تسليحا من السرية العراقية .

وفي اليوم ذاته ٨ — ٥ — ١٩٤٨ توجه المقدم الشيشكلي الى مدينة صفد عن طريق مركز بوليس الظاهرية(٢) واصطحب معه الملازم الاول عز الدين التل ومعظم قادة فصائل السرية الاردنية ليطلع على اخر تطورات الموقف وابلاغ قائد الحامية بقراره الاخير

---

١ — كانت حاميتها بقيادة الملازم عدنان مراد وتتألف من : فصيلتين من المتطوعين السوريين بقيادة المحامي خليل الكلاس ومن سرية من ست مصفحات من مخلفات الجيش الفرنسي مسلحة بمدافع ٣٧مم يقودها الملازم عدنان مراد . وغالبا ما كانت مهمة هذه السرية تأمين حماية القوافل .

٢ — غربي صفد ويقابل الجزء الجنوبي منها ويبعد عنها حوالى ٢،٥ كيلومتر تقطع سيرا على الاقدام لعدم وجود طريق صالحة لمرور السيارات .

واعطائه اوامره المتعلقة بمهمته، واعطاء الملازم الاول التل الفرصة للقيام بالاستطلاعات الاولية التي تقتضيها مهمة سريته . وعاد المقدم الشيشكلي مع غروب ذلك اليوم الى ميرون ومعه بعض قادة الفصائل وبعض الادلاء ليساعدوا في عملية توجيه السرية وادخالها الى صفد بعد أن استبقى فيها قائد السرية . وتحركت السرية مع آخر ضوء الى مركز بوليس الظاهرية وتم ادخالها فصيلة بعد الاخرى الى المدينة مستخدمة الرواحل لنقل الذخيرة وبعض تجهيزات السرية . وهكذا كانت السرية بكاملها قبل فجر ٩ — ٥ — ١٩٤٨ داخل صفد وكان أمامها النهار كله لاستكمال استطلاعاتها وتلقي واجباتها حتى تبدأ مع اخر ضوء ذلك اليوم احتلال مراكزها الى جوار السرية الاردنية الثانية ضمن ترتيب الهجوم المقرر تنفيذه في الليلة ذاتها(١) (ليلة ١٠ — ٥ — ١٩٤٨) .

وكنت بعد أن استقر الرأي على ادخال سرية الملازم الاول عز الدين التل الى صفد قد تلقيت امرا بابقاء السرية في ميرون انتظارا للاوامر التفصيلية التي ستعطى لنا في اليوم التالي . مع اعطائي واجب يقتصر على حماية فصيلة المدفعية .

خطة الهجوم :

في صباح ٩ ايار (مايو) ١٩٤٨ استدعيت والملازم الاول فايز قصري الى قرية الصفصاف (مقر القيادة) وكان هنالك المقدم عامر حسك والملازم عبد الحميد السراج حيث اصدر المقدم اديب الشيشكلي تعليماته النهائية بقرار الهجوم على صفد . متضمنة ما يلي :

١ — **فكرة الهجوم** : القيام بهجوم من داخل صفد على الحي اليهودي فيها متعاونا مع هجوم من خارج المدينة هدفه الحي اليهودي ايضا بغرض احتلاله بعد القضاء على كل مقاومة فيه وتطهيره .

٢ — **الوسائط** : أ — **الوسائط المخصصة للهجوم من داخل المدينة :**

(١) **الوحدات المهاجمة :**

— السرية الاردنية التي يقودها الرئيس ساري الفنيش .

— السرية الاردنية التي يقودها الملازم الاول عز الدين التل .

— ما يعادل سرية من المقاومة الشعبية بقيادة صبحي الخضرا .

(٢) **الوحدات الثابتة كقاعدة للهجوم** (للمشاركة في الدعم الناري — تلقي الاخلاء — حماية ارتداد الوحدات المهاجمة في حالة فشل الهجوم) .

— سرية المتطوعين السوريين المتمركزة في القلعة بقيادة الملازم هشام العظم .

— بقية قوة المقاومة الشعبية (ما يعادل سرية تقريبا) .

(٣) **الدعم الناري** : يكون لفترة محدودة قبل انطلاق الهجوم . أما اثناء الهجوم فحسبما تسمح وسائل الاتصال بذلك . ويتألف هذا الدعم من :

— نيران فصيلة مدفعية الميدان بقيادة الملازم الاول فايز قصري .

— نيران الاسلحة الموجودة في القلعة وعلى المراكز الواقعة في متناولها .

(٤) **توزيع المهمات بالتفصيل** : من مسؤولية الرئيس ساري الفنيش قائد الحامية وقائد الهجوم داخل المدينة .

---

١ — رؤي ان يتم الهجوم دون تأخيره عن التاريخ المذكور اعلاه لمفاجأة العدو وعدم اتاحة الوقت له باستقدام قوات اضافية .

ب ــ **الوسائط المخصصة للهجوم من خارج المدينة :**

(١) **الوحدات المهاجمة :**

ــ سرية مصفحات(١) من ٦ مصفحات (بقيادة الملازم عبد الحميد السراج) .

ــ سرية مشاة بقيادة جادو عزالدين .

(٢) **الدعم الناري :**

ــ نيران فصيلة مدفعية الميدان (المكلفة بدعم الهجوم من داخل المدينة) ووفقا للتعليمات نفسها .

(٣) **توزيع المهمات :**

لسرية المصفحات :

ــ التقدم على طريق مستعمرة عين زيتيم ــ صفد .

ــ القضاء على المقاومات التي تعترض تقدم السرية وشق طريقها الى مدخل صفد بما أمكن من السرعة .

لسرية المشاة :

ــ الانطلاق من قاعدة هجومها (الهضبة شرق قرية ميرون والمطلة على مدخل صفد من جهة الحي اليهودي) .

ــ التقدم يمين سرية المصفحات مع عدم الاقتراب من مستعمرة عين زيتيم ــ تحاشيا لنيرانها كي لا تتأخر حركة السرية الى هدفها الرئيسي .

ــ دخول الحي اليهودي والقضاء على كل مقاومة بالتعاون مع سرية المصفحات .

ــ تحقيق الاتصال والتعاون مع القوات المهاجمة من الداخل .

٣ ــ **تاريخ الهجوم : يوم ١٠ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ :**

٤ ــ **ساعة الصفر** : لجميع الوحدات المهاجمة الساعة ٤٣٠ . (أول ضوء) ما عدا سرية المشاة المتقدمة من شرقي قرية ميرون فقد كانت ساعة الصفر بالنسبة لها الساعة ٤٠٠ . لتكون مع اول ضوء على مقربة من هدفها لان المسافة بين خط انطلاق السرية وتخوم الحي اليهودي حوالي ٢،٥ كيلو متر .

وقد قامت فصيلة المدفعية عصر يوم ٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ باحكام رماياتها على عدة نقاط من الحي اليهودي تسهيلا لعمليات الدعم التي قد تطلب منها أثناء الهجوم .

تطورات الاحداث وسقوط المدينة المفاجيء بيد اليهود :

ظل المقدم أديب الشيشكلي طوال يوم ٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ يتتبع الوضع في صفد مستعلما عن مدى تنفيذ تعليماته الخاصة بالهجوم ومؤكدا على دقتها ؛ ومهتما بمعرفة أية معلومات عن تعزيزات معادية للمدينة . ومع اخر ضوء هذا اليوم بدأت سريتا المشاة والمصفحات الموجودتين في ميرون باحتلال قاعدتي هجومهما .

ــ سرية المشاة في الهضبة الواقعة شرقي ميرون وخلف خط تبدل الانحدار المطل على صفد .

---

١ ــ هي السرية ذاتها الموجودة في عكا . فلقد تم استقدامها للاشتراك في الهجوم واسندت قيادتها الى الملازم عبد الحميد السراج .

ـــ سرية المصفحات : الى يسار (شمال) سرية المشاة وعلى طرفي طريق مستعمرة عين زيتيم ـــ صفد .

ـــ فصيلة المدفعية : في مرابضها غربي الطريق العام المار شرقي ميرون .

ومر المقدم الشيشكلي على هذه الوحدات بعد انتشارها والتقى بقادتها وعاد ليظل على اتصال مستمر بصفد ومتتبعا الوضع داخلها .

وفي الساعة العاشرة مساء من ليلة ١٠ ـــ ٥ ـــ ١٩٤٨ بدأت الاشتباكات في صفد وقد كان مقدرا ان يقـــوم الاسرائيليون مثل كل ليلة بمحـــاولات هجومية على بعض المراكز العربية وخاصة القلعة ولكن الاطمئنان كان كبيرا الى أن هذه الهجمات ستتكسر وترتد بعد الوضع الجديد لحامية المدينة .

ونظرا لاننا كنا خارج المدينة وفي اماكن مشرفة عليها وقريبة منها فقد كنا نلاحظ المعركة بمجملها ونراها بصورة شاملة . وبعد أقل من ساعة اتسعت الاشتباكات حتى شملت كل المواقع العربية وبدا القتال عنيفا لكثافة النيران المتبادلة . وحوالي الساعة الثانية عشر ليلا بدأ العدو بقصف مواقعنا بالهاون وبراجمات الالغام التي استعملها لاول مرة تلك الليلة وقد اتضح بعـــد انتهاء القتال انه كان لها تأثـــير سيء للغاية على معنويات المدافعين . وقرابة الساعة الواحدة من صباح تلـــك الليلة (ليلة ١٠ ـــ ٥ ـــ ١٩٤٨) هدأت الانفجارات وخفت حدة الاشتباكات مع استمرار تبادل النيران بصورة متقطعة .

وحوالي الساعة الثانية والنصف صباحا جاءني مراسل من المقـــدم اديب الشيشكلي يستدعيني اليه ويرشدني الى مكانه على الطريق العام قريبا من فصيلة المدفعية حيث وجدت ايضا الملازم الاول فايز قصري والملازم عبد الحميـــد السراج . وكان المقـــدم الشيشكلي في غاية الالم والتأثر يحاول جهده أن يتمالك نفسه . فأعلمنا بأن مدينة صفد سقطت بيد العدو . وأعتذر ساعتها عن ان يتكلم عن كيفية سقوطها واكتفى بابلاغنا ايقاف عملية الهجوم مع اضافة التعليمات التالية :

ـــ تكلف مجموعة ميرون (المشاة ـــ المصفحات ـــ المدفعيـــة) بتأمين الحماية للنازحين من أهالي صفد خشية أن يقوم العدو بعملية ملاحقة للمدنيين .

ـــ من أجل تنفيذ هذه المهمة تعدل سرية المشاة تمركزها الى موقع يشرف على الوادي الممتد بين مركز بوليس الظاهرية ومدخل صفد من الجنوب (طريق الانسحاب) .

ـــ تبقى سرية المصفحات وفصيلة المدفعية في اماكنهما جاهزتين لتنفيذ اية اوامر بشأن هذه المهمة . ومع اول ضوء بدأت سرية المشاة تعديل وضعها وكانت قبل شروق الشمس في مراكزها الجديدة .

لقد كان سقوط صفد بيد العدو نكسة كبيرة ذات اصداء واسعة وآثـــار سيئة علـــى المعنويات بالنسبة للفلسطينيين ولقوات الانقاذ وبالنسبة للعرب جميعا . وكـــان منظر الاف النازحين من نساء واطفال وشيوخ مؤلما ومحزنا . وكان منظر الكثيرين من شباب صفد المنسحبين بسلاحهم واحزمتهم ملأى بالذخيرة مثيرا للتساؤل وباعثا على اليأس . واستمر هذا السيل المتدفق بمناظره القاسية من فجر ١٠ ـــ ٥ ـــ ١٩٤٨ حتى مسائه .

وبعد ظهر ذلـــك اليوم أعطى المقـــدم أديب الشيشكلي اوامره الى مجموعـــة ميرون بالانسحاب الى الاماكن التالية وبالترتيب التالي :

١ ـــ فصيلة المدفعية تنسحب الى منطقة قدس ـــ المالكية . وتتمركز قريبا من مدخـــل قدس من جهة المالكية .

٢ ـــ سرية المصفحات تنسحب الى المالكية .

٣ ـــ سرية المشاة تنسحب الى قرية قدس ولكنها لا تنفك عن مواقعها الا بعد حلـــول الظلام تماما فتتحرك بعدئذ الى مركزي بوليس سعسع واقرت لاخذ عناصرها التي كانت لا تزال في هذين المركزين ثم تلتحق بقدس على ان تبلغها قبل أول ضوء من يوم ١١ ايار (مايو) ١٩٤٨ .

وبما ان حركة السرية كانت اثناء الليل فقد تصور بعض المجاهدين في منطقة سعسع ، نتيجة للهزة المعنوية التي خلفها سقوط صفد ، أن هذه الاليات المتحركة ليلا انما هي قوة اسرائيلية فنصبوا لها كمينا كاد يقضي على السرية لولا ان أمكن التعارف بكثير من المشقة قبل اطلاق النار .

وبلغت السرية قرية قدس مع الفجر وتمركزت فيهـــا وقامت بالدفاع عنهـــا عندما شن الاسرائيليون هجومهم على المالكية وقدس ليلة دخول الجيوش العربية فلسطين في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وتركت هذه السرية على ارض قرية قدس في ذاك اليوم سبعة قتلى احدهم ضابط واحد عشر جريحا .

اسباب سقوط صفد :

كان الامل كبيرا في نجاح الهجوم العربي وتحقيق السيطرة الكاملة على هذه المدينة ولم يكن باقيا على ذلك الا ساعـــات قليلة . غير ان الاسرائيليين كـــانوا اسبق بالهجـــوم واستطاعوا انتزاع المدينة من أيدي المدافعين عنها واحتلالهـــا بالكامل . وليس سهلا معرفة الاسباب التي أدت الى تلـــك المأساة . ولكـــن وفقا لما افصح عنه المقدم اديب الشيشكلي فيما بعد وما ذكره بعض الذين كانوا داخل المدينة ليلة المعركة يمكن ان نعزو سقوط المدينة الى الاسباب التالية :

١ ـــ شعور الاسرائيليين بالتعزيزات العربية التي وصلت الى منطقة صفد . واستقدامهم تعزيزات من جانبهم وسبقهم بالهجوم على المدينة واحتلالها .

٢ ـــ استهتار قائد حامية المدينة ـــ الرئيس ساري الفنيش ـــ وعدم شعوره بواجبه ، وعدم تقديره لمسؤوليته . وكان هذا يتمثل بغيابه المتكرر عن المدينة دون العودة للقيادة المرتبط بها .

٣ ـــ تبني قائد الحامية فكرة عدم جدوى الاستمرار في الدفاع ومناداته بذلك بين الضباط والجنود واهالي المدينة دون ان يلقى حسابا على هذا السلوك الانهزامي .

٤ ـــ تجاهله كـــل الاوامر المعطاة له بشأن الهجـــوم المقرر تنفيذه داخـــل المدينة ليلة ١٠ ـــ ٥ ـــ ١٩٤٨ . وعدم تنفيذه للتعليمات المتعلقة بذلك . وقد اتضحت بعد ايام من سقوط المدينة الحوادث التالية :

ـــ عدم قيامه بتعديل التمركز وفقا لتعليمات الهجوم وبروح الحرص على انجاحه .

ـــ قيامه ليلة ١٠ ـــ ٥ ـــ ١٩٤٨ بعملية تبديل سريته وتسليم جميع مراكزها الى سرية الملازم الاول عزالدين التل بتعليمات دفاعية . وهذا مخالف لما حددته واجبات الهجوم .

ـــ قيامه بسحب سريته الى جنوب صفد بدلا من تعديل تمركزها وفقـــا لترتيب الهجوم المقرر لتقوم بتنفيذ الواجبات المحددة لها فيه .

ـــ عندما قام الاسرائيليون بهجومهم على مواقع سرية الملازم الاول عز الدين التل (التي لم تكن قد ألفت القتال) لم تستطع الصمود للصدمة وتراجع جنودها دون انتظام . ولم يبادر الرئيس ساري الفنيش وهو المسؤول الاول عن صفد الى نجدة سرية عز الدين التل او التدخل بسريته المجتمعة لوقف الهجوم المعادي . بل سحب جنوده وترك المدينة دون أمر وتابع انسحابه الى دمشق دون ان يعلم احد بشيء مما اقدم عليه .

وكـــان أول اشعار تلقاه المقـــدم أديب الشيشكلي عن سقوط صفد من حـــامية القلعة (المزودة بلاسلكي) والتي كانت تقاوم الهجوم عليها بثبات .

٥ ــ كـــان لسقوط بعض الدفاعات بيد العدو أثـــر معنوي سيىء وسريع السريان بين الاهلين، ولما شاع ايضا ان الرئيس ساري الفنيش قائد الحامية انسحب هو وجنوده وتخلى عن المدينة ، ضعفت روح المقاومة عند المتطوعين المدنيين من السكان وبـــدأوا يتخلون عن مراكزهم . ودبت روح الفوضى وبدأت عملية النزوح القاسية . ولـــو ان المقاومة الشعبية تشبثت بمواقعها ودافعت عنها باصرار ربما أمكن وقف تقـــدم العدو وحصره في أضيق الحدود ، وربما امكن في اليوم التالي اعادة الوضع الى ما كان عليه . خاصة وأن القلعة بقيت صامدة ولم تتلق حاميتها امرا بالانسحـــاب الا بعد ان تبين ان الموقف يائس بلا أمل .

وترددت في ذلك الحين شائعة تقول ان انسحاب ساري الفنيش من صفـــد انما كان بالامـــر . وفقا للرواية التي قالت انه بتاريـــخ ٩ ايار (مايو) ١٩٤٨ وهو اليوم التالي لزيارة المقدم أديب الشيشكلي الى صفد وادخالـــه سرية عز الدين التل اليها واعطائه تعليمات الهجوم ، ذهب الملازم اميل جميعان معاون الرئيس ساري الفنيش الى بيروت وعاد في اليوم نفسه الى صفد ومعه برقية من جهة اردنية (لم تحدد) فيهـــا التعليمات التي تصرف الرئيس ساري الفنيش بموجبها .

والجدير بالذكر أنه تم القبض على الرئيس ساري الفنيش فور وصوله لدمشق وأودع سجن المزة ليقدم للمحاكمة باعتباره المسؤول عن هزيمة صفد وسقوطها . الا انه لم يبق طويلا في السجن ولم يقدم للمحاكمة !!

فلسطينيون يتكلمون : القتال في سبيل البروة

نافذ يوسف عبدالله

لقد رفضنا ان نستسلم ويلحق بنا العار امام اخواننا العرب الذين كنا نثق بانهم سيحررون قريتنا .

البروة قرية فلسطينية على طريق عكا ــ صفد ، وتقع على بعد ١٠ كلم شرقي مدينة عكا . كان عدد سكانها في اواسط الاربعينات ١٤٦٠ عربيا ومساحتها ١٣٥٤٢ دونما يمتلك منها المسلمون والمسيحيون العرب ١٢٩٣٩ دونما ، بينما يمتلك اليهود ٥٤٦ دونما ، و٥٧ دونما املاك عامة(١) .

كان معظم اهالي البروة مزارعين يحرثون ارضهم . وكانت هذه القرية ، مثل معظم القرى الفلسطينية ، مستقلة تقريبا وتتمتع باكتفاء ذاتي . ورغم أن فائض المحصول كان يرسل الى مدينتي عكا وحيفا ، فان عددا قليلا من اهالي القرية كان يجد ما يدعوه لمغادرة قريته . فالسفر كان نادرا وكان اذا تم فانما لهدف ، أي يكون المسافر « قاصدا او خاطرا » . ولم يكن السفر لحب الاستطلاع أبدا .

تتبع اهالي البروة انباء الحرب عام ١٩٤٨ بقلق . فقد سمعوا باحتلال اليهود لطبريا وحيفا وصفد عبر جهاز راديو يملكه حسن درويش ، مختار القرية . كما سمعوا من اهالي قرية تمره ان « اليهود كانوا شريرين يسيئون معاملة الكهول والنساء والاطفال ... وانهم قتلوا امراة وطفلها من قريتهم » . وحالا قفزت مذبحة دير ياسين الى اذهانهم .

في ١٨ أيار ١٩٤٨ سقطت مدينة عكا في ايدي اليهود . وعلى اثر ذلك سقطت القرى التي تقع شمال ــ غرب قرية البروة وهي : المكر ، جديدة ، جوليس ، كفر ياسيف ، وابو سنان . وأصبح الخطر يتهدد قرية البروة فأرسل اهلها وفدا الى القرى المجاورة ــ وهي شعب، ميعار ، مجد الكروم، البعنه ، دير الاسد ، والنهر ــ لاخبارها بالخطر المقبل واقتراح انشاء خط دفاعي موحد لمجابهة الهجوم الاسرائيلي الذي لن يتقدم ما لم تسقط البروة . وقد رفضت القرى المجاورة الخطة المقترحة تاركة لكل قرية مسؤولية الدفاع عن نفسها . وفي نفس الوقت استقبلت البروة وفدا درزيا من القرى التي استسلمت أرسلته اسرائيل لكي يقنع سكان البروة بالاستسلام وتجنب الهجوم الاسرائيلي وما سينتج عنه من دمار حتمي . ولم يستطع اهل البروة التوصل الى اجماع حول الامر لان ولاءاتهم كانت موزعة بين عائلات درويش وسعد والكيال . كان بعضهم يخشى من تفوق قوة العدو وكان بعضهم الاخر يرفض الاستسلام ويرغب في القتال حتى الموت .

لم يكن أهل البروة مهيئين للصمود أمام هجوم اسرائيلي . وكانت قوتهم تقدر بأربعين من رجال الميليشيا(٢) المسلحين بأنواع مختلفة من البنادق ورشاش واحد . وكان لدى كل رجل منهم ما بين ثلاثين وخمسين رصاصة كان قد ابتاعها حسب مقدرته المالية(٣) .

وقد استعد أهل البروة لمواجهة الهجوم الاسرائيلي باخراج الكهول والنساء والاطفال من القرية . مثلا ، قام الحاج علي فياض باخراج عائلته من القرية في ٢٣ أيار ونقلهم الى قرية البعنه التي تبعد عشرة كيلومترات الى الشرق . وقام عبد حسين بشر بارسال احدى زوجتيه مع ستة من اولاده الى بيروت في ٢٤ أيـار ، ثم أرسل خلفهـا زوجته الثانية مع اربعة من اولاده بعد أسبوع واحد . وقام محمود سعد بارسال عائلته الى البعنه في ١ حزيران ، بينما ارسل نجيب سعد عائلته في ٦ حزيران . وقد بقي في القرية ٣٠ ـــ ٤٠ رجلا مسلحا ، بينما تجمع حوالي ٤٥ كهلا مسلما ومسيحيا في كنيسة القرية مع الاب جبران .

بعد ظهر العاشر من حزيران تقدمت ثلاث سيارات مصفحة اسرائيلية باتجاه البروة من الغرب . وعندمـا اقتربت من القرية اخـذ القرويون يطلقون عليهـا النار . وقد ظن الاسرائيليون في بادىء الامر ان القرويين يطلقون النار احتفالا بدخولهم القرية . ولكنهم ادركوا مع استمرار اطلاق النار ان النار موجهة نحوهـم فتراجعوا . وعند المغيب في نفس اليوم عاد الاسرائيليون ، الذين يقدر عددهم بـ ١٠٠ ـــ ١٢٠ رجـلا ، الى القرية بسياراتهم المصفحـة وسيارات الجيب . ولم يستطـع القرويون ايقافهم سوى فترة قصيرة « لقد نفدت ذخيرتنا ولم نعرف ماذا نفعل . وبدأ رجالنا بالتراجع فرادى باتجاه الشرق »(٤) .

وقد تبع الاسرائيليون على اطراف القرية طوال الليل . وفي فجر ١١ حزيران ، قبل اقرار اول هدنة من قبل الامم المتحدة ، دخل الاسرائيليون القرية واحتلوها(٥) .

ترك الرجال الذين كانوا يدافعون عن البروة كل شيء وانسحبوا للالتحاق بعائلاتهم في مجد الكروم وشعب والبعنه وغيرهـا . ولم يكونوا يتوقعون احتـلالا اسرائيليا طويلا لقريتهم . فقد قال الحاج علي فياض : « لقد تركنا بيوتنا مفتوحة وحقولنا بدون حصاد . كان لنا امـل كبير في العودة بمساعدة اخواننـا في جيش الانقـاذ العربي الذين كانوا يتمركزون في « تل ـــ اللييات » على بعد ستة كيلومترات شرقي البروة » .

وقد ظل اهالي البروة خارج قريتهم ثلاثة عشر يوما تقريبا . وقد اعتمدوا في هذه الاثناء على حسن ضيافة القرى الاخرى . وقد ارسل الاسرائيليـون الاب جبران لزيارتهـم والطلب اليهم ان يستسلموا ويعودوا لبيوتهم . وقد رفض كل أهل القرية تقريبا ذلـك العرض الاسرائيلي لانهم ادركوا انه خدعة . كـانوا لا يثقون بالاسرائيليين ويفتخرون بمقاومتهم لهم . ومن الاسباب الاخرى لرفضهم الاستسلام خشيتهم من ان تعيب القرى الاخرى عليهم استسلامهم بعد أن يحرر العرب فلسطين .

وفي صبيحـة ٢٣ حزيران قرر اهـالي البروة استعادة قريتهـم لكي يتمكنوا من حصد حقولهم . وقد انتشرت انباء خطتهم هذه في كافة القرى المجاورة . وقد اجتمع اهـالي البروة في « تل ـــ اللييات » وكانوا ، طبقا لقول شهود عيان ، اكثر من مئتي رجل وامرأة مستعدين للقتال من اجل قريتهم ومحصولهم . كـان ٩٩ رجلا منهم تقريبـا مسلحين بالبنادق المختلفة ولدى كل واحد منهم ٣٠ ـــ ٤٥ طلقة ذخيرة .

وقد قال جاسم ، الضابط العراقي المسؤول عن جيش الانقاذ العربي المرابط في « تل ـــ اللييات » ، للقرويين انه غير قادر على مساعدتهم لان لا أوامر لديه بذلك ، لكنه أعطاهم بعض الطلقات اثناء هجومهم عبر خطوط جيش الانقـاذ العربي باتجاه القرية وهـم يصرخون الله اكبر(٦) .

وقد تابع القرويون هجومهم واجبروا الاسرائيليين على التراجـع الى تلة كيسان والى منطقة ابو لبن على بعد نصف كيلو متر غربي البروة(٧) . وقد خلف الاسرائيليون وراءهم في البروة ثلاثـة رشاشات ثقيلة مثبتة ، وتركـوا في زيتون دار سعد سبع حاصدات

ميكانيكية استعملوها لحصاد قمح القرية ، وتركوا أيضا بضع أكياس من القمح . وقد وجد القرويون في بيت احمد اسماعيل سعد وعبد درويش (حيث كان الاسرائيليون يمكثون) اكياسا مملوءة بثياب زوجاتهم وثيابهم ، ووجدوا ٢٠ ــ ٣٠ فنجان شاي ساخن ، ومأكولات معلبة ، وكمية كبيرة من السكر والشاي والقهوة .

وقد سر اهل البروة لوجود القمح المحصود والمعبأ في اكياس ، وسارعوا الى نقله الى بيوتهم . وقد قال نجيب سعد : « لقد عدنا الى القرية لاننا كنا جائعين . كنا كل عام ننتظر وقت الحصاد بفارغ الصبر . فكيف كنا سنترك ما زرعناه للاسرائيليين ؟ لقد حاولنا نقل الحاصدات الميكانيكية الى القرية لكن الاسرائيليين المتمركزين غربي القرية اخذوا يطلقون النار علينا واجبرونا على ترك الحاصدات في مكانها » .

وقد ظل اهل البروة مدة يومين في قريتهم . وقد قال لي شهود عيان ان اربعة ممثلين عن الامم المتحدة حضروا يوم ٢٣ حزيران الى القرية وهم يحملون الاعلام البيضاء . وقد تحدثوا الى سليم أسعد العبد الله ، وموسى حوراني ، واحمد أسعد وهم رجال شرطة سابقون أيام الانتداب البريطاني . وقد طلب ممثلو الامم المتحدة ان يقابلوا قائد رجال الميليشيا الذي قاد الهجوم اثناء الهدنة . « وقد ضحكنا ... واخبرناهم انه ليس لنا اي قائد ... وان هذه قريتنا وقد عدنا لحصاد محاصيلنا واستعادة قريتنا من الغزاة الاسرائيليين . وقد أرادوا ان يمروا عبر قريتنا لكي يقابلوا قائد جيش الانقاذ العربي في تل ــ الليات ، لكننا لم نسمح لهم بذلك لاننا لم نثق بهم » .

وفي ٢٤ حزيران دخل حوالي ١٠٠ رجل من جيش الانقاذ العربي قرية البروة . وقاموا اثناء تقدمهم بقصف المواقع الاسرائيلية غرب القرية . « كنا سعيدين وفخورين الى أبعد الحدود لان اخواننا العرب قد هبوا لمساعدتنا . وكنا واثقين من انهم لن يتخلوا عنا . كنا متعبين وكادت ذخيرتنا تنفد . كانت القوات العربية بقيادة الضابط جاسم وضابط لبناني يدعى مهدي . وكانت لديهم اسلحة حديثة » .

وقد اثنى الضابط مهدي على شجاعة أهل القرية وصمودهم وردد عليهم قوله « الله يعطيكم العافية » ، ثم طلب منهم ان يعودوا الى عائلاتهم في القرى المجاورة ويأخذوا قسطا من الراحة . « لقد كنا نعتقد انه كان صادقا ومخلصا في قوله وبذلك ائتمنا القوات العربية على قريتنا » .

وفي مساء اليوم نفسه سمع القرويون اطلاق نار في القرية. وقد قال محمود سعد : « لقد اردنا العودة الى القرية ولكن بعضنا كان يثق باخواننا العرب المسلحين تسليحا جيدا وبقدرتهم على صد الهجوم . كنا نثق فيهم الى درجة جعلتنا نؤمن بانهم سينقلون المعركة الى عكا ويستعيدونها . ولكن خلال فترة قصيرة رأيناهم يتراجعون عن القرية . لم نصدق اعيننا . لقد جاءوا لمساعدتنا وحمايتنا لكنهم قاموا بدلا من ذلك بتسليم القرية الى الاسرائيليين » .

بقي اهالي البروة في القرى المجاورة . وقد ظل نجيب سعد وزوجته واولاده على اطراف قريتهم مدة اسبوع قبل ان يقرروا الرحيل شمالا الى لبنان . وقد عارضت زوجته الذهاب الى لبنان بشدة على أمل العودة القريبة الى قريتهم . وقد انتظر عدد صغير من اهالي القرية مدة طويلة قبل ان يقرروا الرحيل شمالا . فقد مكث الحاج علي فياض ، مثلا ، مدة شهر في البعنه بعد سقوط قريته للمرة الثانية : وعندما يئس من استعادتها رحل الى لبنان . أما طريق النزوح الذي اتبعه القرويون فكان الى الشرق من البعنه ثم الى الشمال عبر دير الاسد ، كسرا ، كفر سميع ، سحماتا ، دير القاسي ، رميش ، وبنت جبيل .

وقد تمكن بعض القرويين من التسلل الى قريتهم من أجل « سرقة » بعض متاعهم

وممتلكاتهم الشخصية من بيوتهم . وقال نجيب سعد : « لقد وصلنا الى لبنان ولم تكن الحياة كما توقعنا . كانت احوالنا سيئة . لم يكن لدينا ما نعيش عليه . وقد يئست وقررت ذات ليلة ان اترك عائلتي واعود الى قريتي لكي احضر بعض الاموال التي كنت قد دفنتها في أرضي خارج منزلي قبل وقوع الهجوم الاسرائيلي . ولم اتمكن من الوصول الى قريتي . فقد قبض علي واودعت سجنا اسرائيليا . لم أبق طويلا في السجن . فقد جمعنا الاسرائيليون ذات يوم وعصبوا عيوننا ثم وضعونا في شاحنة واخذونا الى حدود غزة . وقد ضربنا الاسرائيليون ونحن في طريقنا ونحن في الشاحنة وانتزعوا ساعاتنا وخواتمنا . وعندما وصلنا الى حدود غزة جمعنا الاسرائيليون مرة اخرى واختاروا رجلا بطريقة عشوائية ثم اطلقوا الرصاص عليه وقتلوه امامنا . وبعد ذلك امرونا بالركض بأسرع ما يمكننا الى الناحية الاخرى من الحدود دون ان ننظر خلفنا . وبينما كانوا يطلقون النار في الهواء ركضت كما لم اركض من قبل . وقد اشتغلت في غزة فترة قصيرة وجمعت بعض الفلوس ثم سافرت الى لبنان للانضمام الى عائلتي » .

اعلن الاسرائيليون ، عام ١٩٥٠ ، وطبقا للمادة ١٢٥ من « قوانين الدفاع » التي سنت عام ١٩٤٥ ، قرية البروة منطقة « مغلقة » لاسباب أمنية . وقد سن هذا القانون لمنع عرب فلسطين من العودة الى وطنهم ، حتى بالوسائل الشرعية ، ولاجبارهم على قبول التعويض المالي بدلا من وطنهم . [لمزيد من التفصيل راجع : صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** ، مركز الابحاث] .

لقد قام الحاج علي فياض بزيارة قريته البروة ١٩٧٢ . ووصف زيارته بقوله : « لقد زرت اختي في البروة . وعندما وصلت لم اجد قرية البروة . فقد ازالها الاسرائيليون ونقلوا العدد القليل من اهلها الذين لم يغادروها عام ١٩٤٨ الى قرى اخرى . وقد بنى اليهود قرية جديدة مكان قريتنا . وقد أجبرت اختي على ترك منزلها وقريتها وهي تعيش حاليا في قرية البعنه » . [بنى الاسرائيليون موشاف احيهود مكان قرية البروة] .

---

١ — جرى تقدير عدد السكان في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٤ ، وملكية الارض في نيسان ١٩٤٥ . سامي هداوي ، **احصاءات الاراضي والملكية في فلسطين (١٩٤٥)** (بيروت ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٠) ص ٤٠ .

٢ — كان عدد قليل من هؤلاء مدربا تدريبا عسكريا وقد تلقوا تدريبهم ، كاعضاء في قوة الحدود (الزنار الاحمر) أو كأعضاء في البوليس الفلسطيني .وكان من بينهم : سليم سعد ، يوسف كيال ، محمد اسماعيل الشيخ خليل ، مصطفى محمود ميعاري ، نجيب سعد ، محمود جودة ، حسن محمد ، حسن صافية ، صالح ميعاري ، سليم أسعد العبد الله ، موسى الحوراني ، وأحمد سعد .

٣ — كان القرويون مضطرين الى شراء بنادقهم وذخيرتهم . وكانت البندقية تكلف ما بين ١٠٠ و ١٢٠ جنيها فلسطينيا ، بينما كان ثمن الرصاصة عشرة قروش فلسطينية . وقد باع العديد من القرويين ماشيتهم او ارضهم او حلى زوجاتهم لكي يشتروا بندقية يدافعون بها عن أنفسهم وعائلاتهم .

٤ — كان من بين الشهداء : علي حسين جودة ، علي محمد يونس ، احمد محمود نجم ، محمد طه عيشان ، نمر مصطفى سعد ، وفاطمة نجم. ومن بين الجرحى : محمد علي يوسف حسين ، محمد علي عيشان ، وعلي حسيان .

٥ — اشار عارف العارف الى ان البروة سقطت يوم ٢٣ ايار (**النكبة** ، ١٩٦٤ ، الجزء الثاني، ص ٤٢٥) .

٦ — قال لي شهود عيان ان ١١ متطوعا فلسطينيا في جيش الانقاذ ، من قرية عقربة هجروا وحدتهم وانضموا الى القرويين في محاولتهم لاستعادة القرية .

٧ — من بين الذين استشهدوا : جميلة محمد الخسمية ، محمد سعيد (سخنين) ، فرج اسماعيل عبد الله (مجد الكروم) ، صالح رباح (دير الاسد) ، رضوان عودة ولبيبة الرضوان . ومن بين الجرحى : صالح الدوخي، احمد العيسى ، وقاسم الحلو .

من ذكريات ١٩٤٧ ـــ ١٩٤٨ :
هكذا كنا نجمع السلاح

عبد الرحمن علي
و
عبدالله مهنا

عقد مراسل شؤون فلسطينية في القاهرة جلسة مع كل من الاخ عبدالرحمن علي (من لفتا) وعبدالله مهنا (من المسمية الكبيرة) ، رويا له فيها كيف كانت تتم عمليات شراء الاسلحة للمناضلين الفلسطينيين في جهاد ١٩٤٨ .

الجلسة الاولى مع عبد الرحمن علي

في اواخر عام ١٩٤٦ زرت مصر للسلام على الحاج امين الحسيني والشهيد عبد القادر الحسيني ، وتهنئتهما بسلامة الوصول الى مصر . وكان الحاج امين مقيما في الاسكندرية بسيدي جابر ، في حين كان الشهيد عبد القادر يقيم في شارع منية السيرج بحي شبرا بالقاهرة . وقد حضر معي من فلسطين الاخوة : خليل منون (من عين كارم) محمد رشيد ابو خضير (من شعفاط) وآخرون . وقد سألنا الحاج امين عما اذا كان لدى الناس والمجاهدين أسلحة .

وأذكر أن البندقية كانت تساوي في فلسطين حينذاك ٢٥ جنيها .

وقد زرت الشهيد عبد القادر ثم عدت الى لفتا ، بعد أن مكثنا في مصر قرابة اسبوع . وفي ٦ شباط (فبراير) ١٩٤٧ عدت لزيارة مصر ، بمناسبة « عيد الشعلة » في مصر ، كما حضر نفس الاشخاص الذين كانوا قد أتوا معي في الزيارة الاولى . وقد حضرت بعض فرق « النجادة » و« الفتوة » ، وخيمنا جميعا في المعرض الزراعي الصناعي بالجزيرة . واخذت النجادة والفتوة في الاتصال بالحاج أمين ، الذي سعى بدوره للتوفيق بين الفريقين المذكورين .

وعلمت ان الشهيد عبدالقادر كان قد اخذ في شراء وجمع الاسلحة من مصر .

وقد كلفني عبد القادر والمفتي بالبقاء في مصر للقيام بشراء الاسلحة ، ووافقت .

ووجدت عند الشهيد عبد القادر سيارة « ستيشن واجن » ، كان يقودها اخ سوداني اسمه محمود دياب ، وقد طلب مني الشهيد عبد القادر مصاحبة محمود دياب الى الاسكندرية ، وفعلا رافقته اليها حيث عدنا للقاهرة بعد أن اشترى محمود مسدسين . وكان محمود هذا طالبا في الطيران المدني . ودلوني على منطقة « ابو رواش » قرب هرم سقارة ، باعتبارها منطقة سلاح ، وفعلا ذهبت للشخص الذي دلوني عليه ، فوجدت عنده اربع او خمس بنادق ، فأخذناها وعدنا . ولم تكن البنادق حديثة ، وكانت اسعارها تتراوح بين ٧ و ١٠ جنيهات .

وقد سألت البدوي الذي باعنا هذه البنادق عن مصدر السلاح ، فدلنا بدوره على مناطق « حوش عيسى » و« أبو المطامير » عند كوبري العبد بمحافظة البحيرة ، كما دلنا على « فاقوس » قرب مدينة الزقازيق ، والتي يحضر اهلها الاسلحة من الجنود الانجليز الموجودين في معسكرات فايد وما جاورها .

وتوجهنا ، أنا وخليل العوري (من بيت عور) الى فاقوس ، الا اننا لم نعثر على أسلحة، واستمهلنا الرجل الذي سألناه بضعة أيام ، فتركنا الاخ خليل عنده وعدنا ، محمود دياب وأنا ، الى القاهرة .

وتأخر خليل اربعة أيام ، ثم أبلغني بالتليفون في كابسيس هاوس ، حيث انزل ، بأنه موجود عند شخص يدعى عوض الجهمي في « أبو المطامير » عند كوبري العبد . وكان محمود دياب قد ذهب لشراء اسلحة من سوداني آخر . فاصطحبت سائقا مصريا اسمه كامل كان قد احضره محمود للعمل معنا ، وذهبت انا وكامل ، الى كوبري العبد ، حيث الفينا خليل العوري عند عوض الجهمي وقد اشترى بعض البنادق والذخيرة . فأخذنا الاسلحة المشتراة ، وعدنا الى القاهرة ، في حين استمر خليل مقيما عند عوض الجهمي. وقد سألنا عوض وبعض أصحابه عن مصدر السلاح فأخبرونا بأنها الصحراء الغربية .

وفكرت في أن يصاحبنا ضابط مصري في تنقلاتنا ، للامان . وكنا قد تعرفنا على « محمد بك نصير » عضو مجلس النواب المصري ، وهو من جمجرة ، وتعرف هو بدوره على الشهيد عبد القادر . وقدم لنا نصير بك اليوزباشي جلال حسن ندا ، من بنها ، (اصيب فيما بعد في عراق سويدان بفلسطين) لمصاحبتنا وتأمين تنقلاتنا . وأخذ جلال يصاحب سيارتنا من كوبري العبد حيث كانت تنقل السلاح الى القاهرة . في حين كان الشهيد عبد القادر يستلمها ويخزنها في اماكن لم نكن نعرفها حتى ذلك الوقت . وكان حجم الاسلحة المشتراة هنا قليلا ، مجرد عشرات قليلة .

وظلت الامور تسير على ما يرام ، الى ان فوجئنا بخفراء عزبة البستان يعترضون الطريق التي كنا نمر منها بخشبة كبيرة ، وكان امر شرائنا الاسلحة قد شاع ، ووصل الى اسماع حكمدار دمنهور « محمد بك مصطفى » .

وقررت أن أواجه الامور بنفسي ، فانتقلت الى عزبة البستان ، ومعي كامل ، ودخلت الى عمدتها « أحمد اسماعيل علي » ، ورفضت شرب القهوة عندما قدمها لي ، واشترطت عليه أن يعرفني . وقلت للعمدة « أنا الفلسطيني اللي بتفتشوا عليه ، وأنا بدافع عن بيت الله والمسجد الاقصى ، اللي ماليش فيه اكثر منك ، خذني وسلمني اذا كنت تريد الدنيا » . وأفهمت العمدة اننا نعمل سرا ، وانه سيأتي اليوم الذي نعمل فيه علنا . فبكى العمدة ، ووافق على تسهيل مهمتنا . وافهمته ان هناك صهيونيين يشترون سلاحا مثلنا ، اما سيارتانا فقد أعطيته رقميهما ، حتى يسهل لهما مهمتهما .

وكان الحاج امين قد انتقل الى القاهرة قبل عودتي لزيارة مصر في المرة الثانية ، حيث اقام في شارع الكمال بحلمية الزيتون . وقد زاره عمدة البستان ، وبعد مدة تبرع لنا العمدة نفسه بخمسة صناديق ذخيرة ، وواصل تقديم مساعدته لنا .

وفي احدى المرات التي ذهبت فيها الى أبو المطامير ، مر عندنا مخبر اسمه محمد درهاب، وكان يركب دراجة نارية ، عندها طلب الينا العرب الابتعاد عنهم لانهم كانوا يخشون درهاب هذا ، خاصة وانه قد نما الى علمه امر شرائنا السلاح من العزبة . فما كان مني الا أن لحقت بدرهاب ، وعندما وصلناه بسيارتنا ترجل عن دراجته وأدى لنا التحية العسكرية ، فسألناه عن وجهته فقال « انني أفتش عن سيارة تقوم بتهريب السلاح »

فقلت له «هذه هي السيارة، وهي تنقل السلاح للدفاع عن المسجد الاقصى والصخرة». فبكى واستعد لتقديم مساعداته لنا ــ عندها طلبت اليه أن يصاحب سيارتنا وفعلا حضر معنا في السيارة وترك دراجته في العزبة ، وطلب الينا أن نمر عبر طريق غير مطروق حتى نتجنب عيون البوليس ، وفعلا مررنا بالسيارة عبر طريق يمر بكفر الدوار .

ولدى وصولنا الى القاهرة ، تركنا درهاب في كابسيس هاوس ، وتوجهت بالسيارة الى الشهيد عبد القادر الحسيني ، الذي نقلنا بدوره الى «عزبة النخل» في ضواحي القاهرة، حيث ادخلنا منزلا وجدنا فيه ثلاثة آلمان .

واتفقت مع درهاب ان يستمر في مصاحبة سيارة السلاح . واقترح علـي درهاب ان نضمن مزرعة بطيخ ، ونشتري سيارة نقل لنهرب بها المتفجرات تحت البطيخ الذي ننقله بالسيارة . وفعلا ضمنا مزرعة بطيخ بأربعين جنيها ، واخذنا في نقـل المتفجرات الى القاهرة بالطريقة التي اقترحها درهاب ، واستمر درهاب في ملازمة السيارة في ذهابها وايابهـا .

ومن بين الذين ساعدونا في ذلك الوقت عبدالعزيز بك مخيون ، نائب ابو حمص ، والذي كان قد عرفنا عليه محمد بك نصير . كما قدم لنا المعونـة ضابط البوليس رؤوف ابو السعود وملازم ثان جيش احمد صدقي .

ولم تكن الاسلحة التي اشتريناها من كوبري العبد لتكفينا ، فظللنا نبحث عـن وسيلة نتمكن بها من الوصول الى مرسى مطروح ، المصدر الرئيسي للسلاح . وقال لنا محمود دياب ان له ابن عم يعمل وكيلا لمحافظة مرسى مطروح اسمه سيد بك فرح وانه يمكنه تسهيل وصولنا الى مرسى مطروح ، اذ كانت منطقة حدود يستحيل الوصول اليهـا بدون تصريح خاص . وفعلا أرسل محمود دياب برقية الى سيد فرح يخبره فيهـا بأنه واصهاره سيزورونه في مرسى مطروح، وطلب محمود اليه ان يعطي امرا للبوابـات التي تقع بين الاسكندرية ومرسى مطروح بالسماح لنا بالمرور . والبوابات هي : برج العرب ، الحمّام ، الضبعة ، فوقه ، حنيش ، حتاواه ، وجراولة . وقد سهلت تلك البوابات مرورنا عندما سافرنا الى مرسى مطروح . وقد أخذنا سيارتين من القـاهرة الاولى « كرايزلر » و« ستيشن واجن » ، استقل الاولى محمود دياب مع زوجته، في حين استقل الثانية عبد القادر الحسيني ومحمود جميل الحسيني وأنا . وكان عبـد القادر يقود سيارتنا في حين كان محمود يقود السيارة الاخرى . وفي الطريق نفد البنزيـن من سيارتنا ، فنزل رفيقاي وانضما الى سيارة محمود دياب ، وعند وصولهم الى مرسى مطروح أرسلوا لي شاويشا يحمل صفيحة بنزين ، افرغها بالسيارة ثم انطلق بهـا الى مرسى مطروح .

ونزلنا عند سيد فرح ، وسألت المرحوم عبدالقادر أن أفاتح سيد فرح بمهمتنـا ، عند وضع مائدة الطعام ، فوافق عبد القادر . عندها قلت لسيد : « هل تعلم من ضيفك ؟ » وأردفت دون أن أنتظـر جوابا « ضيفك هو المجاهـد الكبير عبد القادر الحسيني » . فازداد ترحيب الرجل بنا . عندها استطردت : « جئنا عندك لما سمعناه عنك ». وأفهمته أننا نستعين به للدفاع عن المسجد الاقصى ، لما عرفناه من تاريخه الوطني ، اذ كان قد سبق ان حكم عليه بالاعدام لاشتراكه في انتفاضة عام ١٩٢٤ في السودان ، كما تعاون مع عمر المختار في ليبيا .

ووافق سيد فرح على تقديم المساعدات لنا ، وسارع الى ارسال ابنه سيف مع الشهيد عبدالقادر الى بعض البدو ، حيث أحضرا نحو ٥٩ بندقية . وحملنـا السلاح وعدنا بالسيارة الى القاهرة ، وتركنا محمود دياب بالسيارة الثانية ليعود بمزيد من السلاح . ووصلنا بالسلاح الى عزبة نخل حيث أخفيناه في المخزن . وكان هذا السلاح من أنواع

متعددة ، فمنه الالماني والفرنسي ، والطلياني والانكليزي . وكان الطلياني في حالة جيدة. وقد علمت ان البيت الذي نزلنا فيه في عزبة نخل كان لحفيد احمد عرابي ، عز الدين عرابي .

*

أخذت الوفود تتوافد من فلسطين على الشهيد عبدالقادر للتخطيط والتحضير واستلام السلاح . واتصلنا بالدكتور فهمي ... من اشمون ، الذي استصدر لي تصريحا رسميا، باعتباري من اشمون ، يتيح لي السفر الى مرسى مطروح ، وكان التصريح صادرا عن سلاح الحدود ويصلح لمدة ثلاثة أشهر .

واستأجرنا محلا في شارع الاصباغ بمرسى مطروح للتخزين . وقدمت طلبا الى محافظ مرسى مطروح أعرب فيه عن رغبتي في فتح صيدلية بالبلدة . واعطاني عبدالقادر أدوات طبية بنحو مائة جنيه للتمويه اخذتها معي الى مرسى مطروح ، حيث وضعتها في الفندق الذي كنت أنزل فيه ، والذي كان يملكه يوناني اسمه كرياكو . ثم استأجرت حانوتا لستة أشهر بدعوى استخدامه كصيدلية .

واتسعت علاقاتي بالناس في مطروح ، ومن البحيرة أخذت اسم شخص في مرسى مطروح اسمه العمدة الدربالي ، وهو من المرابطين ، وقد عاصر أنور باشا وكمال باشا (من الاتراك في الحرب العالمية الاولى) ، كما سبق له وتعاون مع صالح حرب باشا . ودلني جلال ندا على مجاهد طرابلسي (من ليبيا) اسمه الحاج رجب الرطب، وكان يقيم في مرسى مطروح . كما تعرفنا بسيدي ابراهيم السنوسي ، وكان مقدسا عند العرب هناك . كما كان اليوزباشي جمال الدين ملش يقدم لنا المساعدات (استشهد فيما بعد في الشيخ نوران بفلسطين) وكان ضابط نقطة سيدي براني وتعاون معنا عبدالرحمن زهير ، وهو مدني كان قد أسره روميل عندما وصل الى سيوه . واليوزباشي محمد عبدالله ، والقائمقام محسن ... والشيخ محارب زغلول ، من المرابطين ، والشيخ عبدالزين جبريل والعمدة ابراهيم عبدالرحمن ، والحاج عبدالكافي السمين (ليبي) والحاج كريم شعيب (من السوم) وكان الخمسة الاخيرون يجمعون لنا السلاح ، وكان محمد سليم (من مرسى مطروح) يعاونني ايضا في جمع السلاح .

ويبدو أن أخبارا وصلت الى البوليس المصري فيمرسى مطروح بشرائنا الاسلحة وتهريبها الى القاهرة . وفي أحد الايام كنت في مقهى يمتلكه يوناني اسمه « بنايوتي » في مطروح، وفوجئت بشخصين يسألان بنايوتي همسا ثم ينصرفان . وبعدها مباشرة جاءنا صف ضابط (صول) اسمه « ختال » وسألني عما اذا كنت قد أتيت من مصر ، وما اذا كنت أحمل تصريحا بدخول مطروح . وبادرت فأعطيته التصريح ودوّن بدوره المعلومات الواردة فيه لديه . ثم انصرف وعاد ليطلب مني مصاحبته لمقابلة مأمور قسم مطروح . وكان الشخصان اللذان تهامسا مع بنايوتي في القسم ، الاول هو اليوزباشي حسين حتاته من مخابرات الجيش المصري والثاني هو البكباشي جميل عبدالوهاب (مأمور القسم) . وسألني المأمور : « هل أنت مصري ؟ » اجبته : « انا عربي » قال : « منين ؟» قلت : « انا من هنا » فقال : « مين أهلك » قلت : « أهلي من مراكش الى مرسين » . قال : « أنا عايز أعرف أنت من فين ؟ » قلت : «عايزني أكون من فين» قال « عايزك تكون من فلسطين » سألته : « لماذا » قال : « انا كنت على الحدود المصرية الفلسطينية ، وأعرف ناس كثير من فلسطين » . فقلت له : « انا من فلسطين » . فسألني عما اذا كنت قد قدمت طلبا لفتح صيدلية وعن سبب تأخري في فتحها وأجبته بأنني لم أعثر ، بعد، على الصيدلي المناسب. وعاد يسألني: « لماذا اخترت هذه المهنة ؟ » أجبته: « لان الشرق مريض » فقال : « ليس هكذا يعالج الشرق » فقلت له : « بهذا وبغيره » . وعند هذا

الحد رد لي المأمور تصريحي وعرض علي خدماته . وتركت القسم وتوجهت لفوري الى سيد فرح وأخبرته بانكشاف أمري . فطلب مني الذهاب الى نادي الضباط في اليوم التالي ، وكان يوم جمعة ، وفيه يتجمع الضباط بما فيهم الضابطين المذكورين . وفعلا ذهبت للنادي والتقيت بالضابطين وسلمت عليهم بكل ثقة ، وربما أوحت لهم تلك الحركة ان ثمة سنداً لي في الحكم . وبعدها عدت الى القاهرة وأبلغتهم بالامر .

ثم عدنا نخزن الاسلحة عند عبدالزين جبريل ، توطئة لنقلها الى صيدا عن طريق البحر . حيث كان معروف سعد (نائب صيدا السابق) قد أعرب للشهيد عبدالقادر عن استعداده لنقلها الى صيدا ، ونقوم من ثم بنقلها الى داخل فلسطين .

وكانت المفاجأة عندما اعتقل البوليس المصري ، فرج جبريل ، شقيق عبد الزين جبريل ، ومعه بعض الاسلحة الخاصة بنا غرب النخيلة . وتصادف ان كان أحمد عطية باشا ، وزير الحربية المصري آنذاك ، موجودا في مطروح وشاهد بنفسه الاسلحة المضبوطة في قسم مطروح ، وقد التقط البوليس عدة صور فوتوغرافية للاسلحة المضبوطة . عندها سارعت بالاتصال بسيد فرح ، الذي طلب الي سرعة مغادرة مطروح الى القاهرة . وأذكر ان هذه الحادثة وقعت ابان انتشار وباء الكوليرا في مصر (أيلول ١٩٤٧) .

وقد أخبرت المفتي ومحمد بك نصير لدى وصولي للقاهرة بما جرى في مطروح ، وقابل نصير وزير الحربية ، الذي أفهمه أن الامر قد خرج من يده الى يد محمود فهمي النقراشي باشا ، رئيس الوزراء .

وعدت أنا الى مطروح ، وكان سيد فرح قد ذهب الى قسم مطروح ،وطلب الى المأمور تسجيل قضية الاسلحة المضبوطة « ضد مجهول » ، كما أمره بالافراج عن فرج جبريل ، وقد نفذ المأمور تعليمات سيد فرح لكن السلاح ، وهذا هو المهم ، ظل مصادراً .

*

وبعد ذلك شكلت الجامعة العربية « اللجنة العسكرية » وانضم اليها صبحي الخضرا من فلسطين . وتحولنا الى العمل العلني في ظل اللجنة العسكرية وترك لنا عز الدين عرابي منزله لنستخدمه مخزنا للاسلحة . وتوسع عملنا بعد أن تحولنا الى العلن ، وانضم الي في الصحراء الغربية خليل العوري وأقام في السلوم ، بينما ظللت انا اتنقل من مكان لاخر . وأحضرنا الماناً من ليبيا بواسطة البدو ، وفتحنا ورشة صيانة يشرف عليها الالمان. وكان هؤلاء أسرى لدى الانكليز .

وأخذنا ننقل الاسلحة ونخزنها علنا ، وكنا نحملها بسيارات النقل ودخلت الالغام والمدافع ضمن الاسلحة المشتراة في المرحلة العلنية . وكان عبدالفتاح عبدالباسط التميمي مسئولا عن مخازن الاسلحة . وكانت البندقية تساوي ٥ ــ ٧ جنيهات . وكنا عندما نشتري من أحد البدو ، كان يصر أن نشتري كل ما عنده من اسلحة ، دون انتقاء ، وكان القليل من هذه الاسلحة جيدا وبعضه كان متوسطا وبعضه كان فاسداً ، وكنا مضطرين لشرائها جميعا .

*

فاتني أن أذكر انه بعد ان ذهبنا الى مرسى مطروح في المرة الاولى، تعرفنا على الاميرالاي محمد نجيب (اللواء محمد نجيب فيما بعد) وزار بدوره المفتي وعبدالقادر وابدى استعداده لتسهيل توصيل الاسلحة الى فلسطين عبر سيناء . وأذكر انه كان نائب قائد سلاح الحدود آنذاك . اما في العلن فأذكر ان الضباط الاتية اسماؤهم قد ساعدونا : يوزباشي انور سلام (الحمام) ، اليوزباشي عبد الحميد عطية (الضبعة) وهو نجل احمد باشا عطية . يوزباشي فتحي زين العابدين (سيدي براني) ، يوزباشي حلمي

جمعة (السلوم) وقد استشهد في بئر السبع فيما بعد . ويوزباشي محمد الصباحي والصاغ محمد ابراهيم فهمي (سلاح الهجانة) . وكان يساعدني في التفتيش على السلاح وتنظيفه كل من الصاغ أحمد الله جابه ، ويوزباشي حسن الماظ ، ويوزباشي سرور . . . وهم سودانيون ، واصبح الثالث فيما بعد قائد الحامية المصرية في « شرفات » قرب بيت صفافا . وكان هؤلاء الضباط الثلاثة يقومون بتدريب المتطوعين الليبيين الذين تدفقوا للدفاع عن فلسطين ، وقد نظم لهم معسكر تدريب بمرسى مطروح .

*

وحضر صبحي الخضرا وعبدالقادر الحسيني الى مرسى مطروح ، ورافقتهما ، وزرنا معا محافظ مرسى مطروح القائمقام احمد بك سيف اليزل ، وأقام لنا مأدبة غداء . وأبدى المحافظ استعداده لتقديم المساعدات لنا . ومن المعروف أن القائمقام احمد سيف اليزل قد خلف الشهيد احمد عبدالعزيز في قيادة المتطوعين المصريين في فلسطين . واستفسر عبدالقادر مني عن الاسلحة التي اشتريناها ، وكنا قد اشترينا بنادق طويلة « بويز » ضد الدبابات ، ورشاشات برن ، ومدافع واحد هاون عيار ٢ بوصة ، وأذكر ان قنبلة كانت تعترض ماسورته عند الشراء . وواصلنا شراء الاسلحة ، وكنت أقدم بالاسلحة المشتراة كشوفا تفصيلية الى الهيئة العربية العليا . ولم أكن وحدي الذي يشتري الاسلحة للهيئة العربية العليا ، ففي مناطق أخرى كان هناك أناس غيري يقومون بشراء الاسلحة . وغالبا ما كانت أثمان الاسلحة أعلى من تلك الاسلحة التي كنت أشتريها . كما ان بعض الاسلحة المشتراة كانت فاسدة ، وكنا مرغمين على شرائها من أصحابها ، مما كان يضيف أثمانها الى أثمان الاسلحة الصالحة فيرفعها . وأذكر اننا اشترينا أسلحة بما يزيد عن مائة ألف جنيه مصري . وكلفني صبحي الخضرا بشراء أسلحة لمجاهدي الشمال ، ورأيت أن أستأذن المفتي لارتباطي به ، وفعلا حضرت للقاهرة وسألته فوافق وقال : « كلها فلسطين ايش الفرق بين الشمال والجنوب » .

*

كان المساعد الاول لتوصيل السلاح الى فلسطين ، عبر سيناء ، هو الصاغ رشاد مهنا (القائمقام فيما بعد) . وكان ذلك بترتيب بينه وبين المفتي والشهيد عبد القادر ، وذلك ابان المرحلة السرية . ولم يكن لي علاقة بموضوع توصيل الاسلحة . كما علمت انه في المرحلة السرية كان أحد مشايخ بدو سيناء ، ويدعى الشيخ سلمى ، يقوم بنقله عبر سيناء .

وكان الشهيد عبدالقادر يرسل الاسلحة الى مركزين لتخزينهما : الاول في « صوريف » والثاني في « بير زيت » ، وقد اختار هذين الموقعين نظرا لبعدهما عن المستعمرات الصهيونية والقدس معا . وكان الشهيد ابراهيم ابو ديه مسؤولا عن صوريف وما جاورها في حين كان صلاح الحسيني وبهجت ابو غربية وآخرون مسؤولين عن بير زيت .

في أوائل عام ١٩٤٦ جاءني قومندان بوليس غزة ، وهو انكليزي ، وكان يوجد حينذاك صدام بين الانجليز والقوات الصهيونية ، وقال لي انه سيطلب مني شيئا ، ورجاني الا أخبر به أحدا ، واستطرد : « هل يمكنك أن تجند لي ألف شخص من المنطقة ؟ » وعندما سألته عن الهدف من ذلك ، قال : « لأسلحهم وأعطي كل واحد منهم ١٥ جنيها شهريا » . وعندما سألته عن الوظيفة التي سيعملون بها ، قال : « سرية » . وسألته عن مصير من يلقى القبض عليه منهم بالسلاح ، فقال : « يحاكم محاكمة عسكرية » . وعندها طلبت اليه ان يجمعني بمن هو أعلى منه . فأجابني بتعذر ذلك . وقبل أن ينصرف القومندان قال لي : « يا عبدالله اذا استطعت أن تبيع وتشتري سلاحا فلا تقصر » . وأخذت أفكر طويلا في هذا الكلام .

وفي صباح اليوم التالي توجهت الى القدس حيث قابلت حمدي الحسيني — مدير صندوق الأمة آنذاك — وقصصت عليه ما كان من القومندان . وطلبت من الاستاذ حمدي ان يعطيني بعض المال من الصندوق . فسألني عن الضمان ، قلت له : «بيارتي» . فوافق ، وأمهلني أسبوعا ، وعندما عدت اليه بعد اسبوع أخبرني بأن ادارة الصندوق رفضت طلبي ، وعليه قدم حمدي الحسيني استقالته من الصندوق ، وتوجه الى مصر للعمل في الجامعة العربية .

وبعد مدة اجتمعت بزميلي صبحي الشهابي ، مدير الزراعة بغزة ، وكان قساميا يعتمد عليه . وتباحثنا في هذا الموضوع ، ووعدني صبحي بالذهاب الى مصر ومقابلة الحاج امين الحسيني . وفعلا ذهب صبحي الى مصر وقابل الحاج أمين ، الذي طلب اليه أن يبلغني ضرورة انشاء مخازن للسلاح في بيارتي ، على غرار المخازن التي كنت أقمتها ابان ثورة ١٩٣٦ . ووعد الحاج بتغطية نفقات بناء هذه المخازن . وأخذت في جمع الاسلحة . وذهبت الى العريش أنا ومصطفى العبادله (من خانيونس) واجتمعنا بشخصين أحدهما قاهري والآخر عرايشي ، واتفقنا معهما على تسليمنا بعض الاسلحة ، وحددنا أسعارها بحيث يكون مدفع البرن بـ ٢٠ جنيها والبندقية بـ ١٥ جنيها ورشاش الستن بخمسة جنيهات ورشاش التوميجن بعشرة جنيهات ومشط الذخيرة بخمسة قروش . وقد فهمنا أنهم سيحضرون لنا أسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية . وقد دفعت ٢٠٠ جنيه من جيبي الخاص عربونا لهما .

وبعد شهرين أرسل اليّ هذان الشخصان يطلبان حضوري للعريش ، فذهبت اليهما واشتريت أسلحة بنحو ٦٥٠ جنيها ، ووعدتهما بالعودة اليهما بعد أسبوعين لاستلام الاسلحة واعطائهما ثمنها . وأرسلت للحاج أمين — بواسطة صبحي الشهابي — أطلب المبلغ المذكور ، فوعد الحاج أمين بارساله في القريب . ومضت ثلاثة أشهر دون أن يصلني شيء من سماحته . وبعد ذلك انتقل سماحته الى لبنان وطلب الي اللحاق به هناك . وعندما قابلته في بيروت وعدني باعطائي المبلغ في اليوم نفسه أو في الغد . الا أنه لم يعطني المبلغ الا بعد مرور أحد عشر يوما . وعندها خرجت من بيروت الى دمشق فيافا والعريش ، حيث وجدت السلاح قد بيع الى داود القواسمي (من الخليل) بضعف الثمن . وعدت للمسمية . وفي اليوم التالي زارني المجاهد الباسل ابراهيم أبو ديه (من صوريف) فسلمته المبلغ طالبا اليه اعادته للمفتي ، وابلاغه أن اهماله كان السبب في ضياع السلاح .

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، جمعت نحو ٥٠٠٠ جنيه من المسمية والقرى المحيطة بها ، دفعها الاشخاص الراغبون في اقتناء السلاح والقتال . وعند وصولي الى

مصر لشراء السلاح ، قابلت سماحة المفتي — وليتني لم أقابله — وأخبرته عن الهدف من حضوري الى مصر .

وكنت قد اغتلت صهيونيا اسمه يوسف كان قائدا لمخابرات الجنوب لدى الصهيونيين ، وكنيته أبو اسماعيل ، وهو عمدة مستعمرة البنات المواجهة لقرية عاقر . كما اغتلت الخواجه بنيامين قائد الهاجاناه في مستعمرة رحابوت ، وقد قمت باغتيالهما في وادي الصرار في منزل محمد هديوي المشارفة ، الذي كان يعمل ناطورا لديهم . ومن يومها أخذ الصهيونيون في مطاردتي ورصد تحركاتي .

وفي مصر سألني المفتي عن سبب حضوري الى مصر ، وعندما أخبرته ، قال لي : « ضع المبلغ في الصندوق ، فقد ذهب عبدالقادر الحسيني الى مرسى مطروح لشراء أسلحة ، والبندقية لا تكلف الا خمسة جنيهات فقط » . وقد وضعت المبلغ في صندوق الهيئة العربية العليا انتظارا لعودة المرحوم عبدالقادر الحسيني من مطروح . وبمجرد عودته قابلت سماحة المفتي ، الذي أخبرني بأنه خصص لنا ٢٥ بندقية من النوع الطلياني . فقلت له : « هذا سلاح رديء » . فقال لي : « هذا هو الموجود » . وسألته عن ثمن البندقية فقال: « ٢٥ جنيها » . فرددت عليه « انت قلت خمسة جنيهات ، علما بأن البندقية الطليانية لا آخذها بجنيه واحد بسبب ندرة ذخيرتها » . عندها قال لي الحاج أمين الحسيني أن احد وجهاء غزة أخبره بأن البندقية تباع في فلسطين بخمسة وأربعين جنيها . فأجبته : « هل الثورة تجارة عندكم يا سماحة المفتي ؟ » ثم رفضت شراء أسلحة منه ، وطلبت نقودي ، فنادى المفتي امين الصندوق سعد الدين عبد اللطيف وطلب اليه تسليمي مبلغي ، فاستمهلني سعد الدين لليوم التالي ، وفي اليوم التالي عاد واستمهلني لليوم الذي يليه ، وهكذا حتى مر أسبوع كامل دون أن يعيد لي نقودي . وبعد مرور الاسبوع دخلت عليه، فوجدت عنده كلا من رجائي الحسيني ومنيف الحسيني واسحق الحسيني ، وطلبت منه النقود وبمساعدة رجائي الحسيني استرجعت المبلغ .

وتمكنت بمجهودي الخاص من شراء ٤٥ بندقية انجليزية و٥ رشاشات ستن و١٠ رشاشات توميجن ، و١٢ مدفع برن ، ونحو خمسة آلاف طلقة ، وقد اشتريتها من القاهرة ، ومن جماعات متعددة .

وكنت أضع السلاح في « فندق البرلمان » بالعتبة ، حيث كنت أجمعه هناك علنا . ثم أحمله حتى مدينة الاسماعيلية ، حيث ينتظرنا ضباط مصريون ليمررونا حتى العريش بسيارات الجيش المصري . ومن العريش كنا نحملها بسيارات فلسطينية ، نمر بها عن طريق رفح ، ثم نوزعها على المقاتلين في القرى . وكان معي في هذه العملية حلمي الآغا (من خانيونس) .

ومن يومها انقطعت علاقتي بالحاج أمين الحسيني ، وان ظلت علاقتي بالمرحوم عبدالقادر الحسيني على ما يرام . وأذكر أن عبدالقادر طلب الي أن أنسى ما وقع لي مع الحاج أمين لان عبدالقادر مقهور منه أكثر مني .

وكانت المناوشات بيننا وبين الصهيونيين قد بدأت . وكان معسكر وادي الصرار قرب قريتنا ، حيث كانت تقيم فيه قوات انجليزية — أردنية مشتركة . وفي شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، أخلى الجيشان المعسكر ، فبادرنا باستلامه ، وكانت مساحته نحو ١٠،٠٠٠ دونم ، وكنا نحو ٥٠٠ مسلح . واشتريت صناديق الذخيرة من القرويين الذين كانوا قد استولوا عليها من المعسكر عند اخلائه ، وقد اشتريت الصندوق بخمسة وستين جنيها . أما تموين الكتيبة المرابطة في المعسكر وأغذيتها فقد تولت قريتنا ، المسمية الكبيرة ، أمره .

وقد حضر الى معسكرنا ١٣٠ مقاتلا من جيش الانقاذ — ما بين سوري ولبناني وعراقي

وأردني وفلسطيني ـ وكان على رأسهم عبدالجبار الشمري (عراقي)وقد أتوا بخطاب من الشيخ حسن سلامه . وبدأ الشمري يجري اتصالات بالانجليز ، علنا ، وأنا أرجح ان ضربنا بالقنابل كان يتم من قبل رجال الامن الانجليز ، الذين كانوا يجوبون الشوارع التي تفصل القرى عن بعضها بدبابات تحمل المدافع . وكان ضربنا يتم عقب كل زيارة للانجليز الى معسكرنا . وكان على بوابة المعسكر رجال من جيش الانقاذ ، فاستبدلتهم بفلسطينيين ، أوصيتهم بعدم السماح لاي جندي انجليزي بدخول المعسكر الا بأمري . وقد حصل أن حاول الانجليز الدخول فمنعوهم . وعندما علم عبد الجبار بالامر غضب . وبعدها بأسبوع ـ وكنا قد حصنا المعسكر ـ واذا في حوالي الثانية عشرة ظهرا بأهالي قرية « اشوع » فارين الى معسكرنا هربا من هجوم سكان مستعمرة عرطوف المواجهة لهم . فاجتمعت أنا وعبد الجبار وانتخبنا ٧٠ مناضلا ، وأخذت معي الغاما ، وذهبنا الى عرطوف وطوقناها من جميع الجهات ـ بعد المغرب ـ وهاجمناها حوالي الساعة الثانية عشرة في منتصف الليل ، وقد واجهنا مقاومة شديدة من الصهيونيين الذين كانوا يدافعون عن مستعمرتهم وهم مختفون تحت الارض ، وكانت المستعمرة المذكورة عالية وتحيطها الاحجار من كل جهة ، ووراء تلك الاحجار كانت الاسلاك الشائكة . فنسفنا الاسلاك لنفتح ثغرة ، ونجحنا في احتلال باب المستعمرة ، وأرسلت عشرة مناضلين لتعطيل الكشاف الجنوبي وعشرة آخرين لتعطيل الكشاف الشمالي ، اللذين كان يستخدمهما الصهيونيون ضدنا من داخل المستعمرة . وأخذت المجموعتان في ضرب الكشافين بالرصاص ، في حين اقتحمت ثلاث مجموعات المستعمرة ، وأخذنا في نسف المباني حيث تمكنا من نسف ١٢ منها . وفجأة انهمرت علينا قنابل الانجليز من خارج المستعمرة . وكان هناك مركز بوليس انكليزي قرب المستعمرة ، يبدو انه استحضر القوات التي أمطرتنا بقنابل مدافعها .

وعند هجومنا كان عبد الجبار موجودا في « اشوع » ، فاتصل به القائد الانجليزي وطلب اليه انسحاب قواتنا من المستعمرة . وأرسل عبد الجبار يطلب مني الانسحاب الا أنني رفضت ، عندها هدد القائد الانجليزي بتدمير المستعمرة فوق رؤوسنا . وعند الفجر انسحبنا . وعاد أهالي القرية العربية الى قريتهم . ولم يعد الصهيونيون لمهاجمتهم مرة اخرى . وقد خسرنا في هذه المعركة سبعة جرحى وثامنا فقد احدى عينيه .

وفي أوائل آذار (مارس) ١٩٤٨ ، حدث أن تعرضنا للقوافل الصهيونية الآتية من تل أبيب عن طريق عاقر ـ خلده ـ جنوبي باب الواد ، والمتجهة الى القدس . وقد لجأ الصهيونيون الى هذا الطريق بعد أن منعتهم القوات الاردنية من المرور بباب الواد . وقد تعرضنا لاحدى هذه القوافل الساعة السابعة صباح أحد أيام آذار وكانت آتية من تل أبيب ومتجهة الى القدس . وكنت عندئذ في المسمية لترتيب الحصول على الاغذية للمناضلين . فأرسل عبد الجبار ٣٥ مسلحا لاعتراض القافلة المذكورة . وأخذ المناضلون في اطلاق النار عليها من بنادقهم ، فنزل منها الصهيونيون وطوقوا مناضلينا الـ ٣٥ . عندها أرسل عبد الجبار لي يستعجل عودتي للمعسكر . وحضرت من فوري فوجدت عبد الجبار بعيدا عن ميدان المعركة قرابة ٣ كيلومترات ، فأحضرت نحو ٣٠٠ مناضل ، وتوجه كل ٥٠ منهم الى رأس جبل في المنطقة ، وعندما بدأنا في اطلاق النار على الصهيونيين ، انسحب هؤلاء ونجحنا في انقاذ مجموعتنا . الا ان الصهيونيين طلبوا نجدة بعد أن شعروا بأنهم محاصرون . وسرعان ما أتت اليهم النجدة من مستعمرة جديرة (قطرة) ومستعمرتي عاقر ورحابوت . وتدخلت الطبيعة لصالحنا وكان النصر حليفنا بعد أن أمطرت الدنيا بغزارة . وكانت النجدات قد أتت للصهيونيين مشيا على الاقدام . وكانت قطرة تبعد قرابة ٧،٥ كم عن مكان المعركة وعاقر نحو ٣،٥ كم ورحابوت ١٠ كم . وكانت النجدات الصهيونية تضم نحو ٤٠٠٠ مسلح . في حين كان المحاصرون من

الصهيونيين نحو ٤٥ دبابة وسيارات شحن واتوبيسات وتراكتــور واحد . ورأى قائد مناضلينا في الجبل الغربي النجدات الصهيونية آتية من الغرب ، عبـــر أرض محروثة بالتراكتور . فانتظر عليهم حتى أصبحوا على بعد ٢٠٠ متر من قوته ، ففتح عليهم النار وسقط منهم الكثير . وفر الباقون الى أحراش مستعمرة خلدة ، وبعد أن تجمعوا في الاحراش عادوا وهاجمونا تؤازرهم احدى الطائرات . وكانوا يستخدمون الاسلحــة الاتوماتيكية والمدفعية ، وقد أرسل الينا حسن سلامة نجدة مكونة من ٢٥ مناضلا تقلهم مصفحتان ، وقد وصلتنا هذه النجدة دون طلب منا ، ويبدو ان ركاب السيارات المارة بالطريق قد أخبروه بالمعركة فبادر بارسال رجاله .

وطلب الي عبد الجبـــار الانسحاب الى المعسكر والتحصن داخله ، الا أنني رفضت ، وجمعت وحدة رشاشات البرن ــ وكانوا ١٣ رشاشــا ــ وكان مع جيش الانقاذ رشاش برن فرنسي ، وبدأنا هجومنا المضاد حيث دحرنا القوات الصهيونية المهاجمة ، ووصلنا الى الدبابات فوجدنا تراكتور، وسيارة شحن من نوع ماك ألمانية فسحبناها بعد غياب الشمس الى المعسكر ، وكان بها ١٥ طن أغذية ، وسيارة أخرى حمولة ٨ طن أغذية و٥ مصفحات ، ونسفنا الاتوبيسين وسيارتي الشحن الاخريين ، لعجزنا عن سحبهما بسبب غوص عجلاتها في الوحل . وبقيت مصفحتان في كل منهما ١٥ صهيونيــا ، استمرا في مقاومتنا ، فنسفناهما بألغام ، وقد قام بنسفهما « سلام » الالماني ، الذي قتل في المعركة، نسفهما بعد اصابته بشظية من اللغم الذي نسف به الدبابة الثانية . وقد نقلنا قتلانا الى المسمية ، أما الجرحى فكان ينقلهم الهلال الاحمر المصري الى مدينة الرملة حيث كان مرابطا .

وقد خسرنا يومها ٤٠ شهيدا ونحو ٨٠ جريحا . ودامت المعركة ١٤ ساعة . وقد علمت من حاكم لواء غزة الانجليزي ــ عندما التقيت به في اليــوم التالي بالمسميــة ــ أن الصهيونيين فقدوا حوالي ٣٠٠ شخص بين قتيل وجريح . وقال الحاكم « اذا بقي العرب هكذا فان الصهيونيين سوف يفنون » . وأذكر مــن الشهداء : محمد حسين بدوان (المسمية) ، أحمد زايد النجار (المسمية) ، محمود ريان (القسطينة) .

وحدث عند عودتنا بالدبابات والسيارات المغنومة ، أن التقت بنا قوات الامن الانجليزية وطلبت الينا اعادة الغنائم للصهاينة ، فرفضت ، وكدنا نشتبك مع الانجليز ، لولا ان القائد الانجليزي قال انه سيحضر الى معسكرنا في اليوم التالي ، للتفاهم معي بصدد هذه الغنائم . الا انه لم يحضر .

وتجددت المعارك بيننا وبين الصهيونيين في تلك المنطقة ، وبشكل يومي .

وفي يوم معركة القسطل (١٩٤٨/٤/٨) وقعت معركة طاحنة بيننــا وبين العصابات الصهيونية . وكان المرحوم عبد القادر الحسيني قد أرسل الي طلبا للنجدة في القسطل ، الا أن الذين أوفدهم الينا لهذا الغرض رجعوا اليه بعد أن رأوا معركتنا التي استمرت من التاسعة صباحا حتى الواحدة والنصف مساء ، وقد توقفت المعركة بعد نفاد ذخيرتنا . وعندها ركبت احدى المصفحات وتوجهت الى الرملة ومعــي عشرة مناضلين ، بهدف احضار ذخيرة ، حيث قابلت محمد نمر المصري (عضو اللجنة القومية في الرملة) وأخذت منه ورقة الى فندق بانوراما برام الله ، وهناك التقيت بسيدة ــ أعتقد انها زوجة المرحوم عبد القادر الحسيني ــ واخبرتني انها أحضرت ١٥ صندوق ذخيرة من الجيش الاردني وأرسلتها بكاملها الى عبد القادر في القسطل . وعدت بدون ذخيرة الى المعسكر . ويبدو ان الصهيونيين كانوا يهدفون ــ من وراء جرنا الى هذه المعركة ــ الى الحيلولة دون نجدة اخواننا في معركة القسطل .

وفيما بعد نجحت في الحصول على صندوقي ذخيرة من القرى المجاورة ، ودفعت مائة

وعشرين جنيها للصندوق الواحد . وقد عجزت فيما بعد عن الحصول على ذخيرة ، مما دفعنا الى الانسحاب من المعسكر لعدم تمكننا من الدفاع عنه بذخيرتنا القليلة . وعدت الى بلدي بالمقاتلين الذين بقوا معي ، في حين عاد بقية المقاتلين كل الى قريته .

وعندما أخذ الصهيونيون في احتلال القرى العربية المجاورة لنا ، هاجر معظم هؤلاء الى قريتنا ، حتى أصبح سكانها حوالي ٥٠،٠٠٠ نسمة ، وكان سكانهـا الاصليون نحو ٨،٠٠٠ فقط .

وعند دخول الجيش المصري الى فلسطين ، لم تصل قواته الى قريتنا . وفي حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ذهبت الى غزة حيث قابلت قائدا مصريا هناك ، وسألتــه « اذا كنتم تريدون حقا أن تحاربوا ، فرجاء احتلال تل الصافي والمسمية ، لبناء خط قتالي من تل الصافي ــ المسمية ــ أسدود » . وقد أخبرني القائد المصري أن هذا الخط هو نفس خط الجنرال اللنبي في الحرب العالمية الاولى . وكان هدفي ان يضع الجيش المصري مدفعيته في القرى الثلاث في حين يقوم مناضلونا بملء الفراغات بين هذه المواقع الثلاثة . ووعد القائد المصري بالحضور الى قريتنا بعد انتهاء الهدنة الاولى ، وان كان قد تحفظ بأنهم لن يحضروا في حالة انسحاب قوات الملك عبدالله من اللد والرملة ، لان انسحابها هذا من شأنه كشف جناح الجيش المصري في اسدود . وسألت القائد عـن موقفي في حالـة انسحاب قوات الملك عبدالله وعدم حضور القوات المصرية ، خاصة من قلة أسلحتنا وذخيرتنا . فرد علي القائد المصري : « اذا انسحب الملـك عبدالله ولم نحضر نحن ، استعمل مخك » !!

وعند انتهاء الهدنة الاولى سحب الملك عبدالله قواته من اللد والرملة، وبادر الصهيونيون باحتلال تل الصافي وياسور وتل الترمس والخيمة وبشيت والقسطينة في الليلة الاولى لانتهاء الهدنة . ولم تبق الا بلدتنا . وعندها جمعت أهل البلدة وأخبرتهم أن قواتنــا وأسلحتنا لا تكفي للدفاع عن البلدة أكثر من عشر ساعات . فأجمع الاهالي على ضرورة الرحيل ، خاصة بعد انقطاع المواد التموينية في البلدة ، من دقيق وكيروسين ... الخ . ورحلنا الى الشرق حيث وضعنا رحالنا في ارض مغلس (ضواحي الخليل) . وذهبت وقابلت حاكم بيت جبريل المصري ، وأعلنت لــه عن استعدادي لاسترداد تل الصافي والاقامة فيها ، وقابلنا السيد بك طه وعرضنا عليه الامر فأبلغ القيــادة التي رفضت الاقتراح . وبعدها ذهبت الى بتولا ومنها ــ في آب (اغسطس) ــ الى غزة .

فاتني أن أذكر انني فكرت انا وعبدالله أبو ستة وابراهيــم أبو ديه ــ في شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ ــ بتكوين جيش متحرك في قضاء السبع ، وشاورنا في ذلك الحاج أمين الا أنه رفض الفكرة .

نشرة الثأر
قراءة في مقدمات الفكر المقاوم

عصام سخنيني

الفكر الفلسطيني المقاوم في صورته الراهنة ، أو في صيغه الراهنة ، ليس منبت الجذور ولم يولد من عدم ، بل هو في الحقيقة محصلة تتويجية لتطورات سبقته ، كانت احيانا جنينية واخرى مكتملة النضوج ، تكاثرت منذ كانت النكبة الاولى التي طرحت على العقل العربي تساؤلات عن اسباب هـذه النكبة ووسائل مجابهتها ، ثم ما استتبعته هذه التساؤلات من تصورات ، مرة كانت صائبة واخرى لم يحالفها الصواب ، تحاول ان ترسي لها قواعد في الفهم وتقاليد في العمل ، ان تطويرا لقديم او استحداثا لجديد منسجم مع هول ما وقع . والفكر الفلسطيني ـ نعني ذلك المتجه نحو فلسطين دون شبهة من اقليمية ـ ما انفك منذ كانت النكبة يطرح تساؤلاته وبالتالي تصوراته . ولعل من أبرز سمات هذا الفكر ـ اذا استعرضنا تاريخه ـ انه دائم التطور نحو فهم أكثر تحديدا وعمقا للظاهرة ـ النكبة . فاذا كان الفهم هو انعكاس العالم في العقل ، واذا كان التعرف على جوهر الظاهرة هو بمقدار ما يتكشف من هذا الجوهر أمام العقل ، فان تطور الفهم الفلسطيني لجوهر النكبة كان يترافق مع ازدياد اكتشاف جوانبها ، في شكل تصطرع فيه المفهومات (والفرضيات) ضمن جهد وممارسة فاعلين ، متجاوزة المفهومات القديمة (بالنقيض والتركيب) ، محاولة الوصول ، وهـي تصل فعلا ، الى مفهومات جديدة ، مستخلصة من المقدمات نتائج جديدة اوجدها التناقض من جانب وتراكم التجربة الممارسة من جـانب اخر . وبحكم ان هذا الفكـر هو نتاج تعرف تاريخي متطـور و « مكتشف » ، ولانه مؤسس على قواعد من الممارسة ، ولكونه محصلة (أو تركيبا) لمفاهيم تناقضت تاريخيا ، فهو يتجه بالضرورة نحو الاحسن . وان رصد تطورات هذا الفكر في مراحله السابقة ، وهي التي قادت الى المرحلة الحالية الاحسن ، لازم لفهم معطياته الراهنة وتوقعاته القادمة ، مدركين ان ذلك التطور هو نتيجة عوامل موضوعية تتطور هي الاخرى وتنعكس في الفكر وتفعل فيه . وفي هذه المقالة اخترنا من تلك المراحل نشرة الثأر موضوعا للقراءة . وهي (النشرة) تمثل تاريخيا نوعا من الفهم للنكبة وفي الوقت ذاته كانت ترهص بميلاد فكر مقاوم احسن فهما وأكثـر انتظاما ، مـن خلال ما طرحته النشرة من مقدمات (أو فرضيات) استخلص منها الفكر المقاوم (ومن غيرهـا بالتأكيد) عن طريقي النقض والممارسة نتائج اكثر تقدما .

وقد صدر العدد الاول مـن النشرة في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٢ واستمرت في الصدور اسبوعيا حتى اواسط العام ١٩٥٨ . وهي من « منشورات هيئة مقاومة الصلح مـع اسرائيل » التي كانت نواة لحركة القوميين العرب . اما الاعداد التي تسنى لنا الاطلاع عليها ومراجعتها فهي اعداد السنة الاولى من ١٩٥٢/١١/٢٠ الى ١٩٥٣/١١/٥ والسنة الثانية من ١٩٥٣/١١/١٩ الى ١٩٥٤/١١/٤ والسنة الثالثة مـن ١٩٥٤/١١/٢٥ الى

١٩٥٥/١١/١٧ والسنة الرابعة من ١٩٥٥/١١/٢٤ الى ١٩٥٦/١١/٢٥ والسنة السادسة من ١٩٥٧/١١/٢١ الى ١٩٥٨/٥/٨ . اما الموضوعات التي تناولتها النشرة فكثيرة بتكاثر ابعاد القضية التي تصدت لها وتشابكها . وهي احيانا تعالج القضية « فكريا » فتطرح مفاهيمها ، واحيانا اخرى تلاحق تطوراتها السياسية ، على أي صعيد كان هذا التطور ، تكشف ابعاده وتحرض الجماهير ضد الاخطار التي تتعرض لها القضية . وهنا سنقرأ الجانب الفكري من النشرة وهو الجانب الذي يوضح فهم النشرة للموضوعات الاساسية للقضية الفلسطينية والتي سوف نجملها تحت العناوين الرئيسية التالية : ١ — **فهم النكبة** . ٢ — **تحديد العدو** . ٣ — **تصور الطريق والهدف** .

اولا — فهم النكبة : نلاحظ ، من مراجعة الاعداد التي ذكرت ، ان نشرة « الثأر » لم تول هذا الجانب كثيرا من الاهتمام قياسا باهتمامها بالبحث عن الطريق نحو المستقبل . فالكلام عن اسباب النكبة ، على الرغم من ان النشرة فردت له في بعض اعدادها حقولا خاصة ومتتابعة ، ظل يشغل حيزا اضيق من ذلك الذي خصص للكلام عن الحل . ربما يعود ذلك الى أن شعارات المستقبل التي رفعتها النشرة كانت تعني ضمنا نقيض الاسباب التي ادت الى النكبة ، وبذلك فان فهم هذه الشعارات كان يقود بالضرورة الى فهم نقائضها . كما ان الهدف التحريضي (او التعبوي) الذي كانت تسعى اليه النشرة فرض عليها ان تبشر بالحلول التي ترتئيها تبشيرا ملحا مستديما استوجب توسعا في الحديث وتكاثرا في التناول .

ومن خلال هذا الحيز الذي تحدث عن أسباب النكبة ومسببات الهزيمة التي حدثت في العام ١٩٤٨ تبرز لنا الموضوعات التالية : « نحن لم تهزمنا الصهيونية ، بل هزمتنا الفوضى والذخيرة الفاسدة والتدجيل والخيانة »(١) . و « لقد كان السبب الرئيسي لنكبة العرب في فلسطين هو واقع الشعب العربي ، وما هو عليه من ضعف وجبن وجهل واستسلام ، فلولا ضعف هذا الشعب واستسلامه ، لما جرؤ ملك على ان يخون ولا رئيس ان يعقد هدنة »(٢) . وان « اول اخطائنا في المعركة السابقة الجهل ، الجهل عند القائد وعند الجندي وعند المواطن البسيط على حد سواء . . . لقد خضنا المعركة وليس لدينا ادنى فكرة عما نمتلك من سلاح وذخائر . . . وكنا نجهل قوة الخصم فلم يكن لدينا دائرة منظمة للاستخبارات . . . وكنا نجهل موقف الاستعمار من قضيتنا . . . وكان فينا من يجهل علاقة اليهود بالاستعمار »(٣) . و « من افدح الاخطاء التي ارتكبت في المعركة الماضية اهمال العرب للسرية »(٤) . ولقد « دخلنا المعركة مرتجلين . . . كنا دائما متهاونين . . . لم نحشد امكانياتنا »(٥) . و « من الاخطاء التي كانت سببا هاما في هزيمتنا اهمالنا التام للمحافظة على متانة جبهتنا الداخلية »(٦) . كذلك « كان ينقصنا البرنامج الواضح السليم الذي يتبناه كل مناضل ، فخضنا المعركة شيعا واحزابا متفرقة »(٧) و « لقد كان المفهوم الاقليمي في معالجة قضية العرب في فلسطين سببا من اسباب النكبة »(٨) .

يلاحظ ان هذه الاسباب التي أوردتها النشرة ، مجتزأة في أكثر من عدد ، لم يكن ينتظمها شامل تحليلي ، بل هي في الحقيقة ، كانت **مظاهر لسبب ورصدا خارجيا للظاهرة** دون التعرض ، ليس عن قصد بطبيعة الحال ، للاسباب الحقيقية الكامنة في طبيعة الظاهرة نفسها فلسطينيا وعربيا ودوليا . وقد أدى هذا الرصد الخارجي الى « وصف » ما اعتبر اسبابا للنكبة وصفا جزئيا تناول حالات منفردة (ومتراكمة) دون معالجتها من خلال نظرة شمولية تربط الجزئيات بناظم واحد يمثل علة العلل او السبب الاول الذي من خلال فهمه يمكن فهم جميع العلل الناجمة عنه والتي هي لواحق للسبب الاول . وربما نكون مغالين في طلبنا اذا توقعنا من نشرة صدرت في ذلك الوقت المبكر من عمر الفكر الفلسطيني (المتجه نحو فلسطين) ان تعطي اكثر من رصد وصفي للنكبة في وقت

لم يكن هذا الفكر بمجمله قد امتلك بعد الادوات التحليلية التي يسبر بها غور المجتمع العربي فيستخلص من جوفه المستنقعي الاسباب الحقيقية التي أدت الى نكبة العرب الاولى . بالاضافة ، فأن كثيرا من حقائق النكبة على كل صعيد تأخر اكتشافها ، مما يجعل جهد النشرة في رصد هذه الظواهر وملاحظتها أمرا ذا قيمة مرحلية يقود بالتالي الى اكتناه اعماقها (بعد ان لوحظت من خارج) عندما يتوفر العقل التحليلي .

ثانيا ــ تحديد العدو : ان تحديد « من هو العدو » يعتبر في قمة الاهمية في الفكر المقاوم، ففي ضوء هذا التحديد يجري اختيار الادوات والاسلوب لمقاومة هذا العدو . بيد ان مسألة التعرف على العدو وتحديده مرتبطة بمسألة فهم القضية (التي يتعادى فيها طرفان او اكثر) ، وبالتالي بمسألة اسلوب هذا الفهم . ومن هنا فأن اسلوب الرصد الخارجي الذي ساد في فهم مسببات النكبة انعكس ايضا في التعرف على العدو وتحديده في نشرة « الثأر » . واذا كانت النشرة منذ اعدادها الاولى قد حددت اليهود بانهم العدو، فقد احتاجت الى أربع سنوات (في العام ١٩٥٦) لكي (تصنف الاعداء) على انهم : اليهود ، المستعمرون ، وقوف البعض من الحكام العرب في صف الاستعمار ، كثرة التيارات الفكرية والعقائدية وتضاربها ، تعدد الاحزاب الشعوبية ، الفئات المستغلة المستثمرة من اقطاعية ورأسمالية(٩) . وقد كانت هذه هي المرة الوحيدة التي تجري فيها النشرة هذا التصنيف . وينبغي هنا ان نستدرك فنوضح ان النشرة ان لم تهتم بتصنيف الاعداء فهي بممارستها الكشف عن المؤامرات التي تحاك ضد القضية الفلسطينية (او قضية العرب في فلسطين كما تسميها النشرة) تشير الى هؤلاء الاعداء (بالاضافة الى اليهود) اشارات واضحة صريحة . فهي تدعو الى معركة « نخوضها ضد اليهود **والاستعمار** » كما هي تدرك ان « وقوفنا » هو « في وجه اليهود **والمعسكر الغربي** »(١٠) . وتفضح مساعي اميركا لتسفير ٢٠٠٠ شاب نازح اليها(١١)، وتعتبر كذلك « ان الاستعمار على اختلاف اتجاهاته حليف لليهود ، وجميع مشاريعه وحلوله انما تهدف لتثبيت كيانهم في ارضنا المحتلة »(١٢) . غير ان النظرة الى الاستعمار تظل في هذه الاحوال جميعا ، وفي غيرها ايضا ، من خلال **العلاقة : الاستعمار ــ اليهود** . ففي تعليق للنشرة على السياسة الخارجية لبريطانية تقول « هي اليوم كما كانت في وعد بلفور ، **يهودية استعمارية ، ولا فرق عندنا بين الاستعمار واليهودية** »(١٣) .

وان تركنا الاستعمار جانبا فأن « الحفنة الحاكمة » ان لم تصنف باطلاق ضمن خانة الاعداء فهي ليست الامل المرتجى في « الثأر » ، ذلك ان « الفئة الحاكمة وهي التي اضاعت فلسطين لا تثأر ، فهي لا تشعر شعور الشعب ولا تضمر الحقد والعداء لليهود ... وانه لمن الخسارة للعرب ان يؤمل بعضهم خيرا في الفئة الحاكمة او ينتظر خيرا على يدها »(١٤) كما « ان الدول المجاورة الحالية [لاسرائيل] لن تستطيع منفردة بكياناتها الهزيلة ان تقاوم طويلا »(١٥) . وكانت النشرة قد حكمت قبل ذلك ان الدول العربية تريد الصلح مع اسرائيل و « نقطة الخلاف بين المسؤولين العرب وبين الدول الغربية لا تتناول مفاوضات الصلح او الصلح نفسه من حيث المبدأ ، اي ان الدول العربية تقر الصلح مع اسرائيل مبدئيا ، الا انها تشترط بعض الشروط بتنفيذه »(١٦) .

اما اليهود ، باعتبار انهم الاعداء المباشرون ، فقد استأثروا باهتمام النشرة الكبير . وهناك امر جدير بالملاحظة بالنسبة لفهم النشرة لليهود كاعداء هو رفض التمييز بين اليهودية والصهيونية « فهما اسمان لمسمى واحد . فاليهود سواء كانوا في فلسطين او في خارجها تكاتفوا في صف واحد كشعب له خصائصه من اجل بناء اسرائيل... ان هدف الوكالة اليهودية والارغون والعناصر الدينية والشيوعيين اليهود هو في النهاية واحد ، انهم جميعا يريدون اسرائيل الكبرى وكلهم يعمل في نطاق المصلحة اليهودية ... اننا نؤمن بأن التمييز بين الصهيونية وبين اليهود كشعب هو خدمة لليهود ، لان في هذا

التميز ما يساعد اليهود ، وخصوصا اليهود القاطنين في الوطن العربي ، على تحقيق اهدافهم العدوانية . ان عداءنا هو لليهود **كشعب** لا فرق بين يميني او يساري »(١٧).
ان في هذه الفقرة التي اقتسبنا عدة امور لافتة للنظر : فهي بالاضافة الى اصرارها على عدم التمييز بين اليهودية والصهيونية تعتبر ان هذا التمييز « خدمة لليهود » كما انها ترى اليهود اينما كانوا شعبا واحدا ، (يلاحظ ان تشديد كلمة (شعب) الواردة في النص اعلاه جاء كذلك في النشرة) ، والنشرة كذلك ، في هذه الفقرة وغيرها ، لا تقيم وزنا للخلافات العقائدية بين الفرق اليهودية (يسارية ام يمينية) فالعداء لها واحد .
وهذه الامور جميعا في تقديرنا مبررة ومفهومة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان العرب ، وهم المخاطبون في النشرة ، كانت جراحهم العميقة التي سببتها نكبة العام ١٩٤٨ لا تزال تنزف على أيدي الفرق الاسرائيلية تلك اليمينية والاخرى « اليسارية » ، فمن الطبيعي ان يتوجه العداء للخصم كجسم واحد ان اختلف في جزئياته فهو في العين العربية المدماة يبدو واحدا (وهو بالفعل واحد) . كما ان الصهيونية وهي التي أستأثرت باهتمام العالم وهي التي كانت مخاطبة في العالم ، كانت قد طغت على كل صوت يهودي معارض وطمسته فلم يرتفع مثل هذا الصوت ليشير ـ ولو اشارة فيها الاعلام عن وجوده وخاصة لدى المتلقي العربي ـ الى اي نافذة يمرق منها التمييز بين اليهودية والصهيونية او يجعل هذا التمييز واضحا ومقبولاً في وقت كان الفكر الوصفي طاغيا ما يزال على العقل العربي .

ربما كانت هذه النظرة الى اليهودية والصهيونية ناتجة ـ بالاضافة الى ما ذكر ـ عن فهم النشرة لليهود . فهي تعتبرهم شعبا واحدا له خصائصه وصفاته المميزة ليس للتاريخ والمكان دخل في تغيير هذه الصفات ، فهم « لا يشعرون بولاء لغير يهوديتهم بغض النظر عن البلد الذي يعيشون فيه ... واليهودي يظل يهوديا أكان رأسماليا او كان اشتراكيا او كان ماركسيا متطرفا »(١٨). وهذه النظرة الى « الطبيعة الثابتة » لليهود التي لا تزول ولا تحول كانت سائدة في الفترة التي عنها نكتب . وقد أدى هذا النمط من الفهم الى وضع الصراع العربي ـ الاسرائيلي ضمن اطار « تاريخي » فتكتب النشرة ان « هذه المعركة الناشبة بيننا وبين اليهود معركة قديمة يعود تاريخها الى قرون بعيدة في أغوار الزمن ، فهي ليست وليدة العصر الحديث ولا من نتاج الحركة الصهيونية ، بل انها تاريخية ، في قدمها ومظاهرها ، أثارها اليهود ولا يزالون بقصد الاستيلاء على أرضنا في فلسطين وخارجها ... ولقد تبلور عزمهم وظهر سافرا في القرن الماضي بقيام الحركة الصهيونية التي أعلنت بوقاحة وصفاقة انها تريد فلسطين وما وراءها »(١٩). هل هي اللاسامية ؟ نستطيع بكل اطمئنان أن ننفي ذلك . فهذا الحقد الذي « تأصل تاريخيا » مسوغ أمام شراسة الهجمة التي قام بها العدو ، وهي شراسة تحتاج الى تعبئة مضادة تتوسل كل شيء وأي شيء ـ بما في ذلك التاريخ ـ لملاقاتها وصدها ، في وقت لم يكن هناك من وسيلة لمقاومة الاستسلام التام والنهائي سوى الدفع المعنوي والتحريض الجماهيري . والتاريخ يظل سلاحا من هذه الاسلحة المعنوية التي تفعل في الجماهير وتؤثر . فازاء كثير من محاولات التسوية التي كانت تستهدف انهاء القضية « سياسيا » والتي كانت النشرة تتصدى لها بعنف(٢٠) كانت النشرة لا تجد من وسيلة أمامها سوى التأكيد على ان هذه المرحلة الراهنة من الصراع لا تنفصل عن « العداوة التاريخية » ، وانه حتى في حال اقدام الدول العربية على توقيع صلح مع العدو ينهي هذا الصراع الراهن فان القضية لا تحل ذلك « ان عداءنا لليهود أمر تقرره متطلبات الدفاع عن **الكيان القومي** »(٢١) وهي تستنجد بالتاريخ لترسيخ مقولاتها تلك . وتجدر الاشارة هنا الى أن النشرة أدركت منذ وقت مبكر الخطر الذي تمثله اسرائيل ليس على فلسطين وشعبها فحسب ، وانما على الامة العربية أيضا « فان المتتبع لتاريخ الحركة اليهودية العالمية منذ نشأتها حتى اليوم يدرك أن أهدافها لا تقتصر على اسرائيل الحالية ، فهي أضيق من أن

تسكن يهود العالم ... أن اسرائيل ستلجأ حتما الى التوسع من تلقاء ذاتها حتى ولو اننا تناسينا فلسطين »(٢٢). وفي العدد نفسه كتبت « اسرائيل اذا ما فتحت في وجهها أسواق الوطن العربي فانها بمساعدة الرساميل الاميركية ستقضي حتما على الصناعة العربية الناشئة » .

ثالثا ــ تصور الحل (الطريق والهدف) : شغل هذا الموضوع حيزا واسعا من اهتمام النشرة حتى لم يخل عدد من اعدادها من حديث عنه . فكيف نظرت النشرة الى الحل ؟ في البداية نقرر أن الهدف الظاهر من اصدار النشرة هو « مقاومة الصلح مع اسرائيل »، وهي في أعدادها الاولى تعتبر هذا الهدف هدفا مرحليا فـ« يجب أن تتركز جهود العرب في هذه الفترة ضد ابرام الصلح مع اسرائيل ، لان في هذا التركيز ضمانة لمنعه »(٢٣). كما تؤكد ان « الخيانة بعينها أن ينادي عربي بالصلح مع اسرائيل باسم الاخوة وحسن الجوار »(٢٤). وهي في سبيل ذلك تقوم بفضح جميع التحركات الدوليــة والعربية ، والفلسطينية كذلك ، والتي يشتم منها اية رائحة تفوح بالصلح . غير ان النشرة ومع هذا النضال المشرف الذي كانت تخوضه لتحقيق ذلك الهدف ، كانت في الوقت نفسه ترسي تصورات لما ينبغي أن يكون عليه الحل النهائي للقضيــة العربية في فلسطــين والوسائل التي يجب توسلها وصولا الى ذلك الحل . وقبل الحديث عن هذه التصورات سنورد فيما يلي ــ كمقدمة لها ــ الامور التي رفضتها النشرة وناضلت في سبيل رفضها معبئة الجماهير ضدها وهي أمور كانت تطرح آنذاك بالاضافة الى الصلح : ١ ــ **العودة الجزئية** : « أن يعود جزء من النازحين الى ديارهم لا يعني العودة ، وأن تتراجع اسرائيل بضعة أميال الى الوراء لا يعني العودة ، أن يعود أصحاب الاملاك العرب الى فلسطين لا يعني العودة »(٢٥). كما تكتب النشرة : « اننا لا ندعو الى عودة النازحين تحت حكم اليهود ... ولا ندعو الى عودة العرب ليعيشوا في ظل حكومة مشتركة مع اليهود »(٢٦). ٢ ــ **التعويض** : « لن نسلم بفكرة التعويض عن فلسطين اطلاقا لان القبول بالتعويض هو تنازل طوعي عن حق الامة العربية في هذا الجزء المغتصب من وطنها ... علينا ان نقاوم فكرة التعويض عن فلسطين لانها دسيسة يهوديــة »(٢٧). ٣ ــ **المفاوضــات والتسويات** : « اننا نكفر بانصاف الحلول والتسويــات ولا نرى جدوى مطلقا في أي مفاوضات أو مباحثات تهدف الى حل قضية العرب في فلسطين »(٢٨). ٤ ــ **الاسكان** : « اننا نقاوم مشاريع الاسكان لانها مشاريع يهودية أستعمارية ، وضعت لغاية معلومة هي طمس قضية العرب في فلسطين وعقد الصلح »(٢٩).

هذا الرفض المقاوم ، والذي كان فاعلا ومؤثرا في الحقيقة ، كان ينبع من تطلعات النشرة الى ما يجب أن يكون عليه الحــل والذي تختصره النشرة وتحدده بكلمة واحدة هــي « الثأر » . وهي توضح في كثير من أعدادها مفهومها لهذا الشعار « حين ننادي برفع شعار الثأر ... انما نقصد المطالبة باسترداد فلسطين خالصة للعرب وطرد الغزو اليهودي من على الثرى العربي »(٣٠)، ثم هي تفصل هذا المعنى فتكتب « نعني بالثأر الجماعي او القومي أن تبادر الامة للدفاع عن حقوقها واسترجاع ممتلكاتها المغتصبة والذود عن شخصيتها وكرامتها والاقتصاص ممن يحاول طعنها في شرفها ووجدانها . اذا فالثأر له مدلول هجومي في نطاق الدفاع فحسب ، وهذا ما يميزه عن مفهوم الانتقام الذي ينتبذه كل فرد انساني خير »(٣١). هذا الشعار ، شعار الثأر ، الذي ترفعه النشرة كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بموضوعة عالجتها النشرة في جميــع أعدادها تقريبا هــي **الموضوعة القومية** فهي منطلقها الاساسي في النضال من أجل الثأر ، وعنها تصدر جميع مفهوماتها المتعلقة بالقضية التي تعالج . وفي المقابل اعتبرت « المفهوم الاقليمي في معالجة قضية العرب في فلسطين سببا من أسباب النكبة » كما رفضت اثارة « موضوع فلسطين بشكل **اقليمي قذر** يبعد بين عرب فلسطين والجماهير العربية الاخرى »(٣٢). والنشرة في

رفضها المفهوم الاقليمي لقضية فلسطين انما انطلقت مـن فهم واضح لعلاقة فلسطين بالعرب ومن ثم علاقة العرب باسترداد فلسطين ، فـ « فلسطين للعرب ... وواجب استردادها واقع على جميع العرب أينما كانوا وحيثما حلوا »(٣٣). وهذا الايمان العميق بعروبة القضية وقوميتها جعل النشرة تمتنع عن وصف القضية بالفلسطينية ، فالتعبير السائد لديها كان منذ البداية حتى النهاية **قضية العرب في فلسطين** ، وهو أمر جديـر بالانتباه خاصة اذا وضعنا في الحساب أن معظم محرري النشرة كانوا فلسطينيين . وكان لا بد للموضوعة القومية أن تنعكس بالتالي على التصور الذي طرحتـه النشرة ازاء أمرين : الوحدة العربية ودورها في استرداد فلسطين ، والفلسطينيون ومهماتهم في العمل .

الوحدة العربية : ان الدعوة الى الوحدة العربية كانت السمة المميزة للنشرة فهي ضرورية في نظرها ـ بجانب انها هدف بحد ذاته ـ باعتبارها طريق الخلاص « فالمهم أن توجد بجوار اليهود **دولة قوية** ، والدول المجاورة الحالية لن تستطيع منفردة بكياناتها الهزيلة أن تقاوم »(٣٤) . وقد وجهت النشرة جل اهتمامها ـ في الدعوة الى الوحدة ـ الى الدول المحيطة باسرائيل ، أو حسب التعبير المستحدث ، الى دول المواجهة ، ذلك انه « ما لم توجد الدولة الموحدة التي تضم العراق والاردن وسوريا (كخطوة اولى) فان وقوفنا في وجه اليهود والمعسكر الغربي سيكون أمرا شبه مستحيل »(٣٥) . ومع هذا الحماس للوحدة واعتبارها طريق الخلاص كانت النشرة في دعوتها تلك تضع الدول العربية في سلة واحدة دون النظر الى طبيعة انظمتها السياسية وتركيبها الاجتماعي وارتباطها (أو عدم ارتباطها) بالارادات الغربية عن المنطقة . فقد وجدت النشرة ـ في تعليق لها على تكرار الاعتداءات الاسرائيلية على قرى الحدود الاردنية ـ ان العلاج الصحيح لهـذه المشكلة هو انقاذ الاردن من براثن الانجليز « وهذا لا يتم الا بضم الاردن الى سوريا او العراق ... وقد يقال بأن العراق مرتبط مع بريطانيا بمعاهدة وأن لا فائدة من انضمام الاردن اليه فكلاهما مرتبط بالانكليز . أما الجواب على هذا القول فهو أن العراق بلد غني بموارده ومستقل تمام الاستقلال عن بريطانيا ماليا . ثم ان العراق لم يسلس القياد يوما لبريطانيا ... [و] الاستعمار البريطاني ليس مستقرا في العراق »(٣٦) . هذا المنطق الساذج في النظر الى الوحدة قد يكون مبررا اذا أدركنا ان النشرة تؤمن بأن « الوحدة والتحرر من الاستعمار معركة واحدة »(٣٧) . فالنضال من أجل الوحدة يسير اذا جنبا الى جنب مع النضال من أجل التحرر من الاستعمار . والنشرة تدرك تماما ان الحكومات العربية غير قادرة على خوض معركة الثأر التي بابها الاول هو الوحدة لذلك « فنقطة الانطلاق في رسم معالم طريق النضال العملي لتحقيق الوحدة ، هي أن سلاحنا الرئيسي في المعركة يكمن في قوة الشعب وينبعث من ارادة الجماهير »(٣٨) . ومع هذا الايمان الكامل بدور الشعب في صنع الوحدة (على الرغم من أن موضوعة الشعب غير موضحة بتحديد في فكر النشرة) ، ومع ان النشرة تعتبر « ان الفئة الحاكمة هي التي أضاعت فلسطين ... ولا تشعر شعور الشعب »(٣٩)، مع هذا كله فهي تتوجه الى « الساسة العرب وتخص منهم حكام سوريا ومصر ـ اذا كانوا جادين فعـلا في رفض الاحلاف ومقاومتها ـ أن يسرعوا الى تحقيق اتحاد سياسي واقتصادي وعسكري يكفل لهم القوة التي تدعم موقفهم ... ويكون مثل هذا الاتحاد خطوة نحو الوحدة العربية الشاملة التي تضمن القضاء على دولة اليهود »(٤٠) . ولكن مع هذا التوجه الى الساسة العرب تظل الدعوة قائمة وملحة الى تغيير الاوضاع في العالم العربي ، فحشد الامكانات العربية يتطلب أن يدخل الشعب العربي نفسه « عاملا فعالا في الميدان ... فيرغم الحكومات على تنفيذ ما يريد أو يحل محلها قادة قادرين على حشد امكانياته وقواه »(٤١) . ويلاحظ ان صعود هؤلاء « القادة القادرين » الى قمة المسؤولية في الوطن العـربي كان خطـا استمرت الدعوة اليه في مسار النشرة جميعا . فلكي « تستقيم دفة السياسة العربية »

يتحتم « أن يرفع الشعب ... قادة الثأر الى دفة القيادة »(٤٢)، كما « ان الضمانة الوحيدة للنصر في هذا الصراع التاريخي العنيف هي أن تستقر دفة الحكم في يد الفئة المخلصة المؤمنة بحق هذه الامة في التحرر والحياة . ان الضمانة الوحيدة للنصر هي أن يرفع قادة الثأر الى مراكز القيادة »(٤٣). باجمال ، فان النظرة القومية للقضية العربية في فلسطين هي التي كانت سائدة في فهم النشرة ، والايمان بالشعب العربي وامكاناته كان ايمانا غير محدود ، فـ « انقاذ فلسطين واستعادة أرضنا المغتصبة لن يتم الا على يد الشعب العربي »(٤٤)، ومطلوب من هذا الشعب كي يصل الى مبتغاه « أن يهدم هذه الحدود المصطنعة وأن يضرب هذه النغمات الاقليمية ضربة واحدة قاضية ، فيربط بين كل مشكلة مهما صغرت ، وفي أي بلد عربي حدثت بمجموع القضية العربية... والنتيجة الحتمية ... هي حشد رائع جبار لموارد الامة وامكانياتها ... [فـ] قضية العرب في فلسطين جزء من قضية العرب الواحدة ، ولا حل لقضية العرب في فلسطين اذا لم توجد القوة الشعبية العربية الواعية »(٤٥).

الفلسطينيون : بعد كل الذي سبق عن الفهم القومي لقضية فلسطين يبدو واضحا اننا لن نجد أثرا « للفلسطينية » في فكر النشرة . فالفلسطينية ان لم تفهم على أنها هوية نضالية وليس أطروحة اقليمية هي نقيض الفكر القومي الذي بشرت به « الثأر » ودعت الى ترسيخه حلا للقضية . غير انه مع مقاربة السنة الثالثة من عمر النشرة على الانتهاء بدأ التفاتها الى البحث عن دور « للنازحين العرب » كما بدأ ادراك أهمية هؤلاء « النازحين » في المعركة . فـ « النازحون العرب تحت خيامهم البالية في مخيمات الشقاء يستطيعون — اذا أرادوا — أن يصبحوا قوة فعالة في تقرير مصيرهم ومصير الوطن الذي سلبه اليهود ... أن حوالي مليون نازح عربي، عندما يقودهم شباب مخلص قادر، يستطيعون أن يصبحوا قوة تفرض ارادتها وتساهم في رسم مستقبل شعبنا »(٤٦). والامر الملاحظ أن النشرة لم تستعمل قط تعبير الفلسطينيين ولا تعبير الشعب الفلسطيني ، وانما كان التعبير السائد في الاعداد التي راجعنا هو « النازحون » او « النازحون العرب » او « عرب فلسطين » . أما نظرة النشرة الى « النازحين » فهي كما يلي : ان من **حق** النازحين أن يساهموا في رسم مستقبلهم غير ان حل مشكلة النازحين لا يقوم على عاتق النازحين وحدهم وان نضالهم ليس منفصلا عن نضال المجموعة العربية(٤٧). وفي المقابل فانه **يجب** على النازحين أن يساهموا في حل مشاكلهم ومشاكل الامة العربية ، كما يجب أن يساهموا في رسم المستقبل العربي(٤٨). غير ان للنازحين دورا متميزا فهم « الطليعة التي ستقود الامة العربية نحو ميدان المعركة »(٤٩).

ولانجاز هذا الدور شددت النشرة على قضية تنظيم « النازحين » ذلك انه « من العسير عليهم الدخول في المعركة والخروج منها منتصرين فعلا ما لم ينخرطوا في تنظيم جماعي منسق يرسم لهم طريق العمل الجدي المثمر »(٥٠). والدعوة الى هذا التنظيم اتخذت لها اكثر من صيغة . فقد دعت النشرة الى ايجاد هيئة تمثل « النازحين » وتنطق باسمهم وتسعى لتحقيق أهدافهم « هيئة يستطيعون عن طريقها أن يساهموا في ابداء رأيهم وتدبير شؤونهم وتقرير أمورهم ... ومن واجب النازحين ان يوجدوا الهيئة التي تمثلهم وتقودهم في طريق الحياة التي يريدون »(٥١). كما دعت النشرة ، في صدد التنظيم ، الى تشكيل مكاتب عمال في مخيمات « النازحين » وهي رأت « أن مكاتب العمال هي محاولة تعمل على دفع ارادة النازحين الى حيز العمل وتخرجها للواقع ... ان مكاتب العمال هي الاداة الفعالة لتوحيد نضال النازحين من أجل العودة واعدادهم للمعركة »(٥٢). وبالاضافة الى مكاتب العمال دعت النشرة الى ايجاد **التنظيم الثوري** الذي يضع النازحين في الطليعة(٥٣). غير ان أيا من هذه الصيغ لم يتبلور في النشرة صعدا في خط واحد ومعمق ولم يتخذ له شكلا مفصلا مرسوم الملامح معروف الأبعاد .

بهذه المنطلقات والابعاد حددت النشرة الطريق نحو الحل الذي رأته في « العودة بالقوة » فكتبت « لن ينقذ فلسطين الا القوة ولن يعيد النازحين الى ديارهم الا القتال »(٥٤). أما العودة فمعناها « عودة السيادة العربية على أرض فلسطين ، سلطة مطلقة مسيطرة . العودة هي أن تعود فلسطين الى العرب ، لا أن يعود العرب الى حكم اليهود الاعداء »(٥٥). أما مصير اليهود في فلسطين فالنشرة حاسمة في موقفها فهي توضح منذ أعدادها الاولى « اننا لا نحمل وزر تشريد اليهود في العالم ولا يترتب علينا اذن واجب حل مشاكلهم »(٥٦) وهي تؤكد انهم « في معركة الثار سيستسلمون ويطلبون الصلح ولكنهم سيرحلون أو يبادون »(٥٧). لقد كان الوقت مبكرا بعد للدعوة الى الدولة الديموقراطية في فلسطين التي يتعايش فيها الجميع دون نظر الى دين أو جنس ، وفي ظل الوهن والضياع ، اللذين كانا سائدين آنذاك ، والتآمر كذلك ، وفي غياب العمل الجاد الهادف الى استخلاص الحق ، كانت كل دعوة فيها شبهة من تنازل عن الحق العربي ، كامل الحق ، سوف توصم بالخيانة .

وبعد ، فمهما اختلفت المقاييس والمنطلقات الراهنة للفكر المقاوم ، فان النشرة تظل جزءا من تراث هذا الفكر ، قيمتها — بالاضافة الى نضالها — في فرضياتها التي طرحتها ، والتي كان على الفكر المتجه نحو فلسطين ان يتفحصها بالممارسة وتركيب النقائض ، كي يتجاوزها ، في ضوء المعطيات المستجدة دائما ، نحو فهم للقضية أفضل .

---

١ — عدد ١٩٥٢/١١/٢٠ .
٢ — ١٩٥٣/٣/٢٦ .
٣ — ١٩٥٣/١٢/١٩ .
٤ — ١٩٥٤/١/١٤ .
٥ — ١٩٥٤/١/٢٨ .
٦ — ١٩٥٤/٢/١١ .
٧ — ١٩٥٤/١٢/٢٥ .
٨ — ١٩٥٤/١٢/٢ .
٩ — ١٩٥٦/٢/٢٣ .
١٠ — ١٩٥٤/٣/٢٥ .
١١ — ١٩٥٥/٣/١٧ .
١٢ — ١٩٥٦/٥/١٠ .
١٣ — ١٩٥٣/٥/٢١ .
١٤ — ١٩٥٣/٥/١٥ .
١٥ — ١٩٥٤/٣/٢٥ .
١٦ — ١٩٥٢/١٢/١٨ .
١٧ — ١٩٥٣/١/٢٩ .
١٨ — ١٩٥٢/١٢/٤ .
١٩ — ١٩٥٣/١١/٥ .
٢٠ — نشير الى عدد ١٩٥٢/١٢/١٨ حول قرار اللجنة السياسية الخاصة التابعة للامم المتحدة الذي يدعو العرب واليهود الى الدخول في مفاوضات مباشرة للصلح ، والى عدد ١٢/٢/ ١٩٥٤ الذي تحدث عن مؤامرة لتحقيق الصلح بين العرب واسرائيل وعن وجود مفاوضات في لندن بين مندوبين عرب وممثلين لاسرائيل وقد قام اشخاص فلسطينيون سمتهم النشرة بجمع تواقيع تتضمن المطالبة بانهاء الحرب مع اسرائيل ومصالحتها ، والى عدد ١٩٥٣/٧/١٦ الذي حمل على مشاريع الاسكان والى عدد ٤/٢٣/ ١٩٥٣ الذي بين الاخطار الكامنة في فكرة التعويض.
٢١ — ١٩٥٣/٣/١٢ .
٢٢ — ١٩٥٢/١٢/١٨ .
٢٣ — ١٩٥٣/٢/١ .
٢٤ — ١٩٥٢/١٢/٤ .
٢٥ — ١٩٥٧/١١/٢١ .
٢٦ — ١٩٥٣/٦/١٨ .
٢٧ — ١٩٥٣/٤/٢٣ .
٢٨ — ١٩٥٣/٤/٩ .
٢٩ — ١٩٥٣/٧/١٦ .
٣٠ — ١٩٥٨/٣/٦ .
٣١ — ١٩٥٨/٣/١٣ .
٣٢ — ١٩٥٤/١٢/٢ .
٣٣ — ١٩٥٧/١١/١٢ .
٣٤ — ١٩٥٤/٣/٢٥ .
٣٥ — **المصدر نفسه .**
٣٦ — ١٩٥٣/٦/٤ .
٣٧ — ١٩٥٤/٧/١ .
٣٨ — ١٩٥٦/٣/١ .
٣٩ — ١٩٥٣/٥/١٥ .
٤٠ — ١٩٥٥/٣/٣ .
٤١ — ١٩٥٥/٥/١٥ .

٤٢ — ١٩٥٣/٧/١٦ .
٤٣ — ١٩٥٣/١١/٥ .
٤٤ — ١٩٥٣/٥/١٥ .
٤٥ — المصدر نفسه .
٤٦ — ١٩٥٥/٧/٢٨ .
٤٧ — ١٩٥٥/٨/١٨ .
٤٨ — المصدر نفسه .
٤٩ — ١٩٥٦/٩/٢٠ .
٥٠ — ١٩٥٦/٨/٢ .
٥١ — ١٩٥٥/٨/١٨ .
٥٢ — ١٩٥٦/٨/٢ .
٥٣ — ١٩٥٦/٩/٢٠ .
٥٤ — ١٩٥٣/٤/٩ .
٥٥ — ١٩٥٧/١١/٢١ .
٥٦ — ١٩٥٣/١٢/٤ .
٥٧ — ١٩٥٣/١/٢٩ .

وزارة الخارجية الاميركية وسياستها الفلسطينية

مايكل أ. جانسن

لقد اخطأت الحكومات والشعوب العربية باستمرار في قراءة افكار الولايات المتحدة ومعرفة نواياها حول المسألة الفلسطينية . ولقد مضى اكثر من خمسين سنة على التزام الولايات المتحدة « بدولة يهودية في فلسطين » ، وخمس وعشرين سنة على تورطها مع اسرائيل ، ومع ذلك ما زال بعض العرب يأملون في ان تغير اميركا موقفها وارتباطها هذا . وللان لم يحدث ما يبرر للعرب آمالهم . وفي الواقع على العرب ان يسألوا انفسهم لماذا هذا التمني ولماذا هذا الايمان الراسخ بان اميركا ستغير موقفها . أحد العوامل الرئيسية — على مستوى المؤسسات الحكومية والاشخاص في الحكم — لسوء تفسير العرب لسياسة الولايات المتحدة يمكن تسميته بـ خرافة « وزارة الخارجية الطيبة » . ويمكن تفسير هذه الخرافة كالتالي : ان النفوذ الصهيوني الكبير في الولايات المتحدة يضطر رئيس الجمهورية اتباع سياسة مؤيدة لاسرائيل ، فاذا استطعنا ازالة قبضة هذا النفوذ عن الرئيس ، يصبح بامكان وزارة الخارجية الطيبة ان تحدث التغييرات التي يطلبها العرب في السياسة الخارجية لاميركا .

وقد ابتكر العرب خرافة « وزارة الخارجية الطيبة » هذه نتيجة للسياسة المعادية للعرب والمؤيدة للصهيونية التي يتبناها « البيت الابيض الشرير » . اما الذين خلقوا وما زالوا يؤمنون بهذه الخرافة فهم بعض العرب الذين يرفضون التخلي عن اميركا والذين يبحثون باستمرار وتفاؤل عن اصدقاء في واشنطن . ولكن هذه الآمال واهية وخادعة لان وزارة الخارجية منذ ١٩٤٧ لم تدافع ككل عن المصالح العربية في فلسطين ، كما ان المجموعة المؤيدة — للعرب في الوزارة قد هزمت في كل مرحلة من مراحل تكوين سياسة الولايات المتحدة . وان الوثائق التي افرجت الحكومة الاميركية عنها حديثا وقد صدرت بعنوان « العلاقات الخارجية للولايات المتحدة ، ١٩٤٧ » (عن مكتب الحكومة الاميركية ، للطباعة ، ١٩٧١) تظهر كيف هزم اصدقاء العرب وكيف تابعوا خدماتهم للوزارة باخلاص ولعبوا دورهم في صنع سياسة كانوا يعارضونها بشدة .

قبل ان نصف ما حدث قبل ربع قرن ، عام ١٩٤٧ ، علينا ان نتفحص باقتضاب دور وزارة الخارجية الاميركية في عملية رسم السياسة الخارجية . علينا اولا ان نسأل هل بامكان وزارة الخارجية احداث تغيير اساسي في السياسة الاميركية ؟ الجواب هو كلا . فان الرئيس ، وليس وزارة الخارجية ، هو المسؤول عن رسم السياسة الخارجية . اما مسؤولية الوزارة فتنحصر في اجراء الدراسات ، وكتابة التوصيات ، وتطبيق قرارات الرئيس جزئيا على الاقل . اذن « فالخرافة » تتضمن اعتقادا خاطئا بوجود وزارة خارجية عليا ومسؤولة .

الوجه الاخر الخاطىء « للخرافة » هو اعتبار وزارة الخارجية كلا واحدا بدلا من تجمع مناصب واقسام مختلفة وغالبا ما تكون متصارعة مع بعضها بعضا . ان الايمان العربي « بوزارة طيبة » يقوم على اساس معرفة العرب « بالخبراء » في قسم الشرق الادنى

ومكتب شؤون الشرق الادنى والشؤون الافريقية ، وعلى اساس معرفتهم بموظفي وزارة الخارجية في السفارات العربية . وقد وقف العديد من هؤلاء الاشخاص الى جانب العرب حول المسألة الفلسطينية واعربوا لاصدقائهم العرب عن معارضتهم للسياسة الاميركية في هذه المسألة . ولكن هؤلاء الاشخاص يشكلون اقلية صغيرة من موظفي وزارة الخارجية . ويجب الا ننسى ان للوزارة رئيسا سياسيا يعين تعيينا ، وزير الخارجية ، وانه يخضع مباشرة لرئيس الجمهورية . فليس هناك اية سياسة **مستقلة** لوزارة الخارجية حول اي موضوع ، فالوزير وموظفوه يقومون بتفسير السياسات التي يرسمها رئيس الجمهورية وبتطبيقها ، سواء احبوا تلك السياسات او لم يحبوها .

ففي عام ١٩٤٧ قامت الدوائر العليا في وزارة الخارجية — وزير الخارجية ومساعده ، ومكتب الشؤون السياسية الخاصة والمكتب المسؤول عن ادارة المناطق التي احتلتها اميركا في المانيا والنمسا — بفرض سياسة رئيس الجمهورية على بقية اقسام الوزارة . وكانت السياسة التي فرضوها هي سياسة تقسيم فلسطين . وبذلك قامت المعارضة داخل الوزارة بالمشاركة على مضض — نتيجة لهزيمتها وعزلها — في حملة عشرة اشهر لفرض السياسة الاميركية حول فلسطين على الامم المتحدة . وقد كتب الكثير حول اللحظات الاخيرة لهذه الحملة ، وحول الضغوطات والتهديدات التي استعملت لجمع ثلثي الاصوات الذي يتطلبه تبني الجمعية العامة لقرار التقسيم ، ولكن لم يجر الكشف عن تلك الحملة بكاملها الا حين اطلقت هذه الوثائق مؤخرا .

لقد التزمت الولايات المتحدة بالتقسيم في ٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٦ عندما اعلن الرئيس هاري س. ترومان ، خلافا لتوصية ونصيحة « خبراء » وزارة الخارجية ، تأييده لخطة التقسيم التي وضعتها الوكالة اليهودية في اب (اغسطس) ١٩٤٦ . وقد أوصت هذه الخطة بحدود يهودية مماثلة لخطوط هدنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ التي اقامها الجيش الاسرائيلي ، دون المطالبة بمثلث الوسط والقدس . ولم يكن الصهاينة ، قبل وضع هذه الخطة ، قد حددوا الارض التي سيقبلون بها . (كانوا بالطبع يريدون دولة يهودية في فلسطين كلها ، ولكنهم قبلوا بأقل من ذلك مؤقتا ، حينئذ) . وقد جاء اعلان آب ليقلب السياسة الاميركية حول فلسطين رأسا على عقب : فقد ايد الرئيس ترومان الجهود الرامية الى التسوية بين الطرفين في فلسطين . وبناء على هذا الهدف تم اعطاء التعليمات للممثلين الاميركيين في لجنة التحقيق الانجلو — اميركية عام ١٩٤٦ لكي يوصوا بدولة موحدة في فلسطين تضم مقاطعات عربية ويهودية . وقد اعطيت الصلاحية للسيد هنري غرادي ، المبعوث الاميركي ، لكي يرسم خريطة الدولة المقترحة . وقد ادى خطاب الرئيس في ٤ تشرين الاول ، والذي جاء نتيجة لضغوط صهيونية ومتطلبات سياسية شخصية ، الى عكس سياسة التوفيق الاميركية ووضع الولايات المتحدة في مجرى لا يمكن معه الا ان تصطدم بالعرب في النهاية .

وكانت هناك اسباب اخرى دفعت الولايات المتحدة الى تفضيل حل التقسيم للمعضلة الفلسطينية : اولا ، كان هناك التزام من جانب اميركا للصهيونيين عام ١٩١٩ «بالاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تبرز الدولة اليهودية الى حيز الوجود » . (كما جاء في مذكرة أعدها عام ١٩١٩ مستشارو الرئيس ودروو ولسون لتتقدم الى مؤتمر باريس للسلام) . ورغم ان عام ١٩٤٦ كان بعيدا عن وجود دولة يهودية ، الا ان الصهاينة كانوا متشوقين للحصول على اية دولة . وهكذا عرضوا تقسيم فلسطين على اساس ان التملك الفوري لنصف فلسطين كان أفضل من الانتظار لتملكها كلها فيما بعد .

من المؤكد ان قرار الرئيس ترومان بتأييد خطة الوكالة اليهودية كان نفعية سياسية ، الا ان التقسيم المبكر لفلسطين وانشاء دولة يهودية هناك كان له جانب نفعي اكثر اهمية لان الدولة اليهودية كانت ستشكل مركزا ملائما لتجميع اليهود اللاجئين من اوروبا ،

وخاصة الذين كانوا يعيشون في المناطق التي كانت القوات الاميركية تحتلها والذين كانوا سببا للاحتكاك الدائم بين حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا . وكان ترومان قد طلب عام ١٩٤٥ السماح لمئة الف لاجيء يهودي بدخول فلسطين . وقد رفضت بريطانيا بحث هذا الطلب ، خوفا من نتائج دخول ذلك العدد الكبير من اليهود الى فلسطين ، رغم ان الرئيس ترومان كرره في مناسبات عديدة . وكانت حسابات الرئيس ترومان تشير الى ان دولة يهودية يمكن أن تستوعب المئة الف لاجيء واكثر بكثير . وقد استمر الصهاينة في الضغط على ترومان من اجل اولئك المئة الف يهودي لان هذا العدد من المهاجرين سيعطي الصهاينة **الامر الواقع** الديموغرافي الذي كانوا ينشدونه في فلسطين .

واخيرا ، كان انصار التقسيم ، العمليون لكن السذج ، يرون في التقسيم أفضل حل **آني** للمشكلة الفلسطينية المزعجة والتي كانوا عازمين على انهائها في دورة ١٩٤٧ للجمعية العامة للامم المتحدة .

وقد سعى صانعوا السياسة الاميركية الى تمرير قرار التقسيم عبر الامم المتحدة لانهم كانوا يرغبون في تفادي نتائج سياستهم هذه . وكان خوف اميركا الرئيسي ان يقوم العرب بطرد القوات البريطانية من مواقعها الاستراتيجية في العالم العربي . وكان الاميركيون يشعرون ان ذلك سيعني نهاية الهيمنة الغربية في المنطقة وبداية النفوذ السوفياتي . أما مصالح اميركا الاخرى — النفط ، التجارة والمعاهد التعليمية — فقد كانت ذات اهمية ثانوية .

وقد تم تخطيط وتنفيذ الجزء الاكبر من الحملة الاميركية من اجل التقسيم من قبل وزارة الخارجية . وكان يتزعم هذه الحملة الجنرال جورج س. مارشال (الذي اصبح وزيرا للخارجية في ١٤ كانون الثاني ١٩٤٧) الذي كان يتمتع باحترام كبير ولا يسمح لارائه الشخصية بالتدخل في عمله . وقد فسر دوره على انه ضابط مسؤول عن تصميم استراتيجية الشؤون الخارجية بحيث تحقق الاهداف التي حددها رئيسه الاعلى ، اي رئيس الجمهورية . وقد طلب مارشال ، في أول اجتماع عقده مع كبار موظفي وزارة الخارجية ، من دين اتشسون الذي كان يشغل منصب مساعد وزير الخارجية ان يستمر في عمله وان يعتبر نفسه كبير موظفيه . وكان اتشسون ، مثل مارشال ، يهتم بخدمة رئيسه على احسن وجه ، ولكنه كان يتحرك بدافع طموحه الشخصي ، وذلك أمر كان يفتقده مارشال . وقد جنى اتشسون ثمار خدماته فيما بعد اذ تم تعيينه كوزير للخارجية (لم يكن تعيين وزراء الخارجية يأتي دائما من خارج مسلاك الوزارة) . ويبدو ان دين اتشسون كان مولعا شخصيا بالتقسيم كحل للنزاعات على البلد الواحد . فقد قام عام ١٩٦٠ ، بعد ان فشل التقسيم فشلا ذريعا في كل من الهند وفلسطين ، بوضع خطة لتقسيم قبرص حاولت الحكومة الاميركية ان تفرضها على الجزيرة . وكان لدور اتشسون في المراحل الاولى لتطوير استراتيجية التقسيم أهمية خاصة لان الوزير مارشال كان مشغولا اساسا ، حتى حزيران على الاقل ، باوروبا وليس بالشرق الاوسط (تم خلال النصف الاول من عام ١٩٤٧ وضع خطة مارشال لاعادة تنظيم اوروبا) .

ويمكن ان نذكر من بين انصار التقسيم في وزارة الخارجية الذين لعبوا دورا رئيسيا في الحملة : هرشل ف. جونسون ، مساعد مندوب الولايات المتحدة في الامم المتحدة ، والجنرال جون هيلدرينغ ، مساعد وزير الخارجية لشؤون المناطق المحتلة ، ودين راسك ، مدير مكتب الشؤون السياسية الخاصة ومساعده روبرت م. مكلنتوك الذي أصبح فيما بعد سفيرا لاميركا في لبنان . أما كبار الرسميين ، من خارج وزارة الخارجية، الذين كانوا يدعمون التقسيم فهم : السيدة فرانكلين د. روزفلت ، ارملة رئيس الجمهورية السابق ومندوبة اميركا في الامم المتحدة ، ودافيد نيلز ، مساعد خاص لرئيس الجمهورية .

أما المعارضون الرئيسيون للتقسيم في وزارة الخارجية فكانوا : لوي هندرسون وموظفو مكتبه لشؤون الشرق الادنى وافريقيا ، وعدد من موظفي السلك الدبلوماسي . وقد انضم روبرت لوفت ، مساعد وزير الخارجية والوزير المؤقت فيما بعد ، الى المعارضة لكنه قبل في وقت لاحق السياسة التي كان يعارضها . وقد عارض التقسيم ايضا مبعوث مجلس النواب الى الجمعية العامة ، السناتور وارن اوستين . اما جون فوستر دالس، عضو الوفد الاميركي للامم المتحدة ، فلم يتخذ موقفا من التقسيم والتزم الصمت .

وقد بدأت الحملة قبل اجتماع الجانبين البريطاني والصهيوني في لندن للبحث عن حل للمشكلة . فقد قابل اللورد انفرتشابل ، السفير البريطاني في واشنطن ، مساعد وزير الخارجية اتشسون في مكتبه في ٢١ كانون الثاني . وقد أبلغ أتشسون ان امام الحكومة البريطانية ثلاثة سبل يمكن اتباعها وانها ستقرر ايها تختار اثناء محادثات لندن . وهذه السبل هي : التقسيم ، والاقلمة (سيادة الاقاليم ضمن دولة موحدة) ، وتسليم الانتداب للجمعية العامة للامم المتحدة بدون تقديم اية توصيات . وكانت لدى اللورد انفرتشابل تعليمات بجس نبض اتشسون حول الموقف الاميركي من التقسيم بشكل خاص ــ « كان السيد بيرنز [وزير الخارجية السابق] قد طرح ، في محادثاته مع السيد بيفن ، مسألة التقسيم وحث على التفكير فيها ، ولكن بيفن لم يتخلص من شكوكه حول موقفنا من التقسيم » . من الواضح ان بيفن ، وزير الخارجية البريطانية ، اعتقد ان الوزير الجديد ، مارشال ، كانت له افكاره الخاصة حول المسألة . ولكن اتشسون خيب آماله حين اجاب بان « الحل الاسهل تأييده على الولايات المتحدة هو الحل القائم على اساس التقسيم » . وقد قام اتشسون بتسليم مذكرة رسمية الى اللورد انفرتشابل في ٢٧ كانون الثاني تؤكد الموقف الاميركي وتشدد على تردد اميركا في قبول الاقلمة كحل بديل .

وقد أدت اعادة تأكيد اتشسون لسياسة ترومان ٤ تشرين الاول الى تلبيد جو المفاوضات في لندن بالغيوم . وكان ارنست بيفن يأمل في موافقة يهودية على اقتراح الاقلمة ، ولكن الممثلين اليهود تمسكوا بمطلب التقسيم الذي كانوا يعلمون ان الولايات المتحدة تؤيده . وقد قامت الحكومة البريطانية ، نتيجة لذلك باختيار البديل الثالث الذي ذكره اللورد انفرتشابل لاتشسون وسلمت مشكلة فلسطين الى الامم المتحدة بدون اية توصيات ، وكانت هذه الخطوة تشكل ثاني أفضل بديل يلي التقسيم ، بالنسبة لصانعي السياسة الاميركية . وهكذا لم تقدم بريطانيا أية توصية للامم المتحدة لا يمكن للولايات المتحدة ان تؤيدها ، او قد تضطر الولايات المتحدة الى معارضتها كما هو الحال مع حل الاقلمة .

وخوفا من ألا يتولى البريطانيون أي دور قيادي في الجمعية العامة مما يخلق فراغا قد يملأه السوفييت ، قام اتشسون بضمان الدور القيادي لاميركا لكنه فعل ذلك بشكل لا يضطر الولايات المتحدة للالتزام **علنا** بأية محادثات مع الحكومة البريطانية . وكان اتشسون يخشى ان يجابه الحل القائم على أساس التقسيم والذي تفضله اميركا « مصاعب كبيرة تجعل تمريره على المجتمع الدولي مستحيلا » بالرغم من « فوائده المحلية » . وبذلك فضل ان يرى كيف يتطور الوضع الدولي قبل ان يعلن التزام الولايات المتحدة بذلك الحل . وقد أتفق لوي هندرسون مع اتشسون حول هذه النقطة . وهكذا غابت سياسة الرئيس ترومان حول التقسيم عن المسرح خلال الاشهر الاولى من الحملة.

أما المناورة التكتيكية الثالثة فكانت الترتيب لتكوين لجنة تحقيق جديدة من قبل الجمعية العامة للامم المتحدة لكي تذهب الى فلسطين وتعود بتوصيات للدورة العادية للجمعية في أيلول (سبتمبر) . وكان التقسيم التوصية الرئيسية التي تسعى اليها هذه المرة ، لان توصية لجنة التحقيق الانجلو ــ اميركية لم تعجب الصهاينة . وبعد مفاوضات مطولة بين واشنطن ولندن ، دعت الحكومة البريطانية بصفتها منتدبة على فلسطين الى عقد جلسة خاصة للجمعية العامة حددت جدول اعمالها بتكوين لجنة تحقيق جديدة . وقد

منعت هذه الخطوة الوفود العربية من اثارة كافة الامور المتعلقة بمستقبل فلسطين . وقد تم عقد الجلسة الخاصة في ٢٨ نيسان (ابريل) .

في تلك الاثناء ، ارسل وزير الخارجية في ١٧ نيسان مذكرة (كتبها دين راسك) الى رئيس الجمهورية يقترح عليه ثلاثة اختيارات لتكوين لجنة التحقيق . كان الاختيار الاول يتضمن لائحة بالبلدان التي اعتبرت « دولا لا مصلحة لها في الامر » ، مع استبعاد الخمسة الكبار والدول العربية . وقد تضمنت اللائحة كندا ، نيوزيلاندا ، السويد ، بلجيكا ، تشيكوسلوفاكيا ، البرازيل ، المكسيك ، كولومبيا ، النرويج ، وسيام . كان هذا التوزيع لصالح اوروبا واميركا اللاتينية ، وخاصة الدول الصديقة للولايات المتحدة والمرتبطة بها . وقد حقق وزير الخارجية مارشال انتصارا في ١٦ أيار (مايو) اذ تبينت الجمعية العامة الاختيار الاول للولايات المتحدة ، مع تعديلات بسيطة وتوسيع التوزيع الجغرافي . فقد استبدلت نيوزيلاندا باوستراليا ، وبلجيكا بهولندا ، والدول اللاتينية بغواتيمالا واوروغواي والبيرو ، وسيام بالهند وايران كأعضاء آسيويين ، والنرويج بيوغوسلافيا . وفي الواقع كانت اللجنة التي شكلتها الجمعية العامة اكثر نفعا لانصار التقسيم من اللجنة التي اقترحتها الولايات المتحدة أصلا . فقد ضمت ١١ عضوا يتوقع ان يقف سبعة منهم الى جانب التقسيم بينما يعارضه اربعة وهم الاسيويان والشيوعيان. وقد تألفت اللجنة من مندوبين عينتهم حكوماتهم ويتصرفون حسب تعليماتها . وقد كانت تلك الدول « غير مهتمة » بمعنى عدم تورطها مباشرة في النزاع ، ولكن هذا لا يعني انها حيادية . فلم تكن تلك الدول حيادية ، خاصة بعد ان كشف مارشال في ٥ حزيران (يونيو) عن خطته لاعادة تنظيم اوروبا . وبالتالي كانت نتائج تحقيقات اللجنة الخاصة للامم المتحدة حول فلسطين معدة سلفا . كانت سياسة الولايات المتحدة بتبني مشروع التقسيم ، وكانت تلك اللجنة ستعلن انها الى جانب التقسيم ايضا .

وقد رفضت الولايات المتحدة ، من أجل تدعيم وهم التحقيق النزيه ، أن تفرض نفسها أثناء الجلسة الخاصة . وقام الرئيس الاميركي في ٥ حزيران ، بناء على ايحاء من مارشال ، باصدار بلاغ يطلب فيه « من كل مواطن اميركي وكل مقيم في أميركا » أن « يمتنع عن» أي نشاط قد يعرقل بحث الامم المتحدة الموضوعي عن حل لمشكلة فلسطين. ورغم ان لوي هندرسون وموظفيه كانوا فريقا في الخديعة فقد حاولوا تفادي نتائج التقسيم باقتراحهم اقامة دولة ديمقراطية مستقلة فيفلسطين تكون الهجرة اليها محدودة. واتبع وارن اوستين خط هذا الفريق في الامم المتحدة . وقد عبر الوزير مارشال للسناتور أوستين في رسالة بتاريخ ١٣ حزيران عن اعتقاده بأنه على الولايات المتحدة « ألا تعطي أي تصريح علني عن آرائها ... الا اذا حدثت تطورات غير متوقعة » .

وفي ٧ تموز قدم لوي هندرسون الى الوزير مارشال مذكرة أعدها موظفوه تتضمن أربع خطط حول مستقبل فلسطين . كانت أولى هذه الخطط حول « دولة ذات قومية واحدة في فلسطين » ، والثانية حول « دولة ذات قوميتين » ، والثالثة والرابعة حول التقسيم . كانت خطة التقسيم الاولى تعطي اليهود ١٥٠٠ ميل مربع من فلسطين ، والثانية تعطيهم ١٥٠٠ ميل مربع بالاضافة الى النقب ومساحته ٥٠٠٠ ميل مربع . وكانت المذكرة تفضل الخطتين الاولى والثانية على خطتي التقسيم . ولكن الخطتين الثالثة والرابعة هما اللتان حازتا على اهتمام الدوائر العليا في وزارة الخارجية واللتان شكلتا أساس المطالب المتعلقة بالارض التي قدمتها الولايات المتحدة للجمعية العامة أثناء بحث التقسيم . وهنا ايضا قام « الخبراء » بدورهم وهزموا .

وفي ٣١ تشرين الاول أعلنت اللجنة الخاصة نتائج تحقيقاتها . كانت هناك توصيتان حول مستقبل فلسطين : الاولى يؤيدها غالبية اعضاء اللجنة (غواتيمالا ، اوروغواي ، تشيكوسلوفاكيا ، كندا ، هولندا ، بيرو ، والسويد) وتدعو الى تقسيم فلسطين .

والثانية تدعمها الاقلية في اللجنة (الهند ، ايران ، يوغوسلافيا) وتدعو الى دولة اتحادية مستقلة . وقد امتنعت اوستراليا، بناء على ايحاء من بريطانيا ، عن ابداء رأيها.

وفي ١٥ أيلول عقد الوزير مارشال في نيويورك أول اجتماع حول استراتيجيته . وقد حضر الاجتماع أعضاء وفد الولايات المتحدة للامم المتحدة المؤيدين للتقسيم . وكان هدف هذا الاجتماع معرفة مارشال رأي أعضاء الوفد حول الوقت الذي يجب ان تعلن فيه اميركا قرارها حول تقرير لجنة التحقيق الخاصة . وكان الوزير قد أحضر معه من واشنطن تصريحا كتبه مساعداه لوفت ولوي هندرسون لكي يلقيه أمام الجمعية العامة في ١٧ أيلول . وقد عارض الجنرال هليدرنغ والسيدة روزفلت ما جاء في التصريح . وقالت السيدة روزفلت ان على الولايات المتحدة أن تؤيد تقرير الاغلبية على اساس تأييد جهود الامم المتحدة ، سواء كانت صائبة او خاطئة ، جيدة أو سيئة (جدير بالذكر أن هذه الكلمات استعملها اللورد بلفور ليصف وعده) ، لان ذلك الموقف « سيقوي مكانة الامم المتحدة في أذهان الشعب الاميركي » . أما الاعتبار الذي كان يشغل فكر مارشال فكان مسألة تطبيق التقسيم . وكان يرى ان على الولايات المتحدة متابعة المسألة — اذا أيدت تقرير الاكثرية — ولو اضطرت الى وضع قوات في فلسطين .

وفي ١٧ أيلول أعلن الوزير مارشال أمام الجمعية العامة ان الولايات المتحدة تعطي « وزنا كبيرا ليس فقط للتوصيات التي حظيت باجماع أعضاء اللجنة الخاصة ، وانما للتوصيات التي حظيت بموافقة اكثرية أعضاء تلك اللجنة أيضا» وهكذا قام مارشال بتعديل التصريح الذي أعطاه اياه « الخبراء » في واشنطن ليتلاءم مع ما يريده أنصار التقسيم في نيويورك. وقد رفضت الوفود العربية تصريح الوزير ، بينما حاولت بريطانيا عبثا أن تعرف من الوفد الاميركي « المعنى الدقيق » لتصريح الوزير . لكن لوي هندرسون كان يعرف جيدا معنى تصريح مارشال . وقام في ٢٢ أيلول بارسال مذكرة « سرية جدا » اليه يعبر فيها عن آرائه وآراء أعضاء مكتب شؤون الشرق الاوسط وافريقيا . وقد قال في المذكرة « لن يكون في صالح المصالح الوطنية الاميركية ان تقوم الولايات المتحدة حاليا بتأييد اي خطة لتقسيم فلسطين أو انشاء دولة يهودية في فلسطين » . بعد ابداء هذا الرأي ، انتقلت المذكرة الى تقديم حجج تفصيلية ضد « تأييد الولايات المتحدة لخطة الاكثرية » . وقد أرفق هندرسون بالمذكرة رسالة يؤكد فيها انه «رغم الآراء الواردة في المذكرة فان موظفي مكتبي يعملون باخلاص لتطبيق القرار الذي اتخذته يوم الاثنين الماضي (١٥ أيلول) ، وما لم تبلغنا خلاف ذلك فاننا سنستمر في تنفيذ القرار بشكل يقلل قدر الامكان الضرر الذي سيلحق بعلاقاتنا ومصالحنا في الشرقين الادنى والاوسط » . ولم تتخط معارضة لوي هندرسون وموظفيه « المؤيدين للعرب » للتقسيم حدود مذكرات «سري جدا» و«سري». وبالرغم من أن رسميي وزارة الخارجية هؤلاء كانوا يعتبرون ان تلك السياسة ستلحق أضرارا بالمصالح الوطنية للولايات المتحدة ، وبالرغم من أن واجبهم الاساسي هو خدمة بلدهم وليس خدمة سياسات ادارة رئيس معين ، فقد اكتفوا بتسجيل اعتراضاتهم ، وتابعوا تطوير وتنفيذ السياسة التي اعتبروها مضرة . ولم تحصل أية استقالات أو أي احتجاجات علنية . وفي المقابل ، أدى العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ الى ثلاث استقالات في وزارة الخارجية البريطانية : انتوني ناتينغ ، وايفان لورد ، وكان حينئذ ملحقا في سفارة بريطانيا في بكين على بعد آلاف الاميال من السويس وأصبح فيما بعد وزيرا في حكومة العمال ، وبيتر مانسفيلد الذي كان حينئذ دبلوماسيا يدرس اللغة العربية في لبنان ويعتبر الآن من كبار الخبراء البريطانيين في الشؤون العربية . أما الرسميون الاميركيون الذين عارضوا التقسيم فقد استعملوا المذكرة لارضاء ضمائرهم ثم تابعوا أعمالهم وكأن شيئا لم يحدث .

وفي ٢٣ أيلول دعا الوزير مارشال المندوبين العرب ، السعودي والسوري والعراقي والمصري واللبناني ، الى حفلة غداء أكد لهم خلالها أن الولايات المتحدة لم تلتزم تماما بالتقسيم . وقد تمكن مارشال بواسطة هذه الخطوة من الاستمرار في خداع العرب . ثم دعا مارشال الى اجتماع آخر حول استراتيجيته في ٢٤ أيلول عندما بدأت الجمعية العامة تبحث مشكلة فلسطين . وكان بين الحضور السيدة روزفلت ودين راسك والجنرال هيلدرينغ ، وكلهم من أنصار التقسيم . وقد حدد الوزير كيفية تصرف مندوب الولايات المتحدة في اللجنة التي شكلتها الجمعية العامة لبحث موضوع فلسطين . وقد ذكر ان على المندوب : ١) أن يمتنع عن القاء كلمة افتتاحية ، ٢) ان يؤيد ويشجع البحث العام (لايهام الآخرين بحرية ونزاهة التحقيق والدراسة) . ٣) ان يقوم عند انتهاء البحث العام باعطاء آراء الولايات المتحدة . وكان موقف الولايات المتحدة يؤيد خطة الاكثرية — مع التشديد على التقسيم والهجرة الواسعة النطاق . واقترح مارشال أيضا تحديد « موقف بديل » اذا لم تحصل خطة التقسيم على ثلثي الاصوات الضرورية لاقرارها .

وفي ٣٠ أيلول قام مكتب لوي هندرسون بالتعاون مع مكتب دين راسك بتسليم الوزير مذكرة حول استراتيجية حملته : الهدف الرئيسي للاستراتيجية الاميركية هو الحصول على « توصية من **الامم المتحدة** حول مشكلة فلسطين والعمل على فرض موقف الولايات المتحدة بهذا المجال بشكل **لا يمكن أن تعتبر معه التوصية الاخيرة للجمعية العامة خطة أميركية** » . ويمكن القول أن اخفاء دور أميركا كان محاولة من قبل اصدقاء العرب للاحتفاظ لاميركا برصيد وسط ذلك الوضع الخطير . ولكن محاولتهم كانت فاشلة مثل محاولة الاولاد الذين يضبطون وهم يسرقون بأن يلقوا اللوم على الآخرين . وقد فشل ذلك التكتيك هذه المرة . ولكن علينا أن ننظر اليه على حقيقته ، فقد كان محاولة من جانب « أصدقاء » العرب في وزارة الخارجية الاميركية لخداع العرب .

وقد عقد اجتماع الاستراتيجية العليا في مكتب مارشال في ٣ تشرين الاول ، وقد انضم للذين حضروا الاجتماعين الاولين السناتور أوستين والسفير هرشل جونسون . وقد اتفق الحاضرون على أن خطة التقسيم لن تحظى بالاصوات المطلوبة لتبنيها وبالتالي يجب ان تكون هناك محاولة لاسترضاء العرب . وكان لدى الولايات المتحدة بعض التعديلات « لصالح العرب » (اعطاء النقب الجنوبي للعرب وتغيير في توزيع أرض الجليل) التي قد تزيد من امكانية تبني الخطة . وقد قال مارشال أن الولايات المتحدة مستعدة لان تلعب دورها في تطبيق الخطة من خلال الامم المتحدة . واتفق على أنه في حال هزيمة قرار التقسيم ، يكون الموقف الاميركي البديل هو المطالبة بشكل من أشكال « الوصاية » . وأخيرا اتفق على ألا تحاول الولايات المتحدة كسب الدعم للتقسيم في أوساط أعضاء الامم المتحدة . وكان هذا القرار من بقايا الخط السياسي الذي نصح به « الخبراء » المؤيدون للعرب في واشنطن . ولكن حتى هذا ما لبث أن هزم .

وفي ١٣ تشرين الاول أعلن الاتحاد السوفياتي ، الذي كان الى ذلك الحين قد أعطى الانطباع بأنه لن يؤيد التقسيم ، تأييده للتقسيم . وبذلك أصبحت الطريق ممهدة امام هذا المشروع .

وقد قام أنصار التقسيم في واشنطن بدفعة استراتيجية أخيرة في مكتب دين راسك . فقد قال روبرت مكلنتوك في مذكرة مؤرخة ٢٠ تشرين الاول أن أمام الولايات المتحدة « طريقا واحدا فقط : أن تؤيد بحزم خطة الاكثرية ... وان تعمل على اقرارها في جلسة الجمعية العامة الحالية » . وقد عبر لوي هندرسون في ٢٢ تشرين الاول عن معارضته ومعارضة موظفيه لهذه السياسة وأصر مرة أخرى على الوصاية كأفضل حل بديل .

وفي ٢٢ تشرين الاول فوض الوزير مارشال رسميا كلا من الجنرال هيلدرينغ والسفير جونسون في الامم المتحدة بأن « يجمعا الاصوات اللازمة لتأييد المقترحات الاميركية » المعدلة لخطة الاكثرية والمتعلقة بتطبيقها . وكانت هذه المذكرة الرئيسية بالطبع قابلة لتفسير أشمل . وبالتالي بدأ وفد الولايات المتحدة يجمع الاصوات بنشاط لتأييد خطة التقسيم نفسها ولتأييد التعديلات الاميركية عليها . وقد أيدت الولايات المتحدة أيضا تقصير فترة السنتين الانتقاليتين التي اقترحتها اللجنة الخاصة واقترحت انشاء الدولتين في أول تموز (يوليو) ١٩٤٨ . وكان الاقتراح الاخير لصالح الصهاينة بالطبع .

وكان قرار تجميع التأييد للتقسيم بكل نشاط نهاية نفوذ معارضي التقسيم . وقد انتقلت عملية صنع السياسة جغرافيا من واشنطن الى نيويورك . وهناك أيضا ، في مقر الوفد الاميركي ، هزم معارضو التقسيم مثل وارن أوستين والحياديون مثل جون فوستر دالس ، بينما انتقل جونسون وهيلدرينغ ودافيد نيلز المقرب من رئيس الجمهورية الى الهجوم .

وفي ٢٤ تشرين الاول أبرقت الوزارة الى سفاراتها في العالم العربي بوجوب اجلاء الرعايا الاميركيين ، فقد كانت هناك توقعات كبيرة بانتقام العرب من الافراد الاميركيين والمؤسسات الاميركية .

وهناك حادثة حصلت يوم ١٩ تشرين الثاني ، أثناء تحديد المواقف النهائية حول توزيع الاراضي ، تدل على مدى تتبع الرئيس الاميركي شخصيا لما كان يحدث في نيويورك . فقد اتصل ترومان هاتفيا بالجنرال هيلدرينغ الذي كان على وشك أن يطرح موقف الولايات المتحدة من النقب . وكانت وزارة الخارجية قد أعطت هيلدرينغ تعليمات باقتراح النقب الجنوبي منطقة عربية . لكن الرئيس ، الذي قابل حاييم وايزمن في نفس اليوم ، أوضح لهيلدرينغ ان الولايات المتحدة تلتزم بتقرير الاكثرية الذي أعطى النقب كله لليهود . وهكذا قرر الجنرال هيلدرينغ تأجيل تصريحه السياسي ، على أمل انه في حال تبني الجمعية العامة لتوزيع الاراضي حسبما جاء في خطة الاكثرية يصبح النقب كله يهوديا .

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ تبنت الجمعية العامة خطة التقسيم التي وضعتها الاكثرية في لجنتها الخاصة . وقد أيدت الخطة ٣٣ دولة وعارضتها ١٣ دولة وامتنعت ١٠ دول عن التصويت وغابت دولة واحدة . وبذلك نجحت حملة وزير الخارجية مارشال . وخلال وقت قصير قدمت وزارة الخارجية تبريرا شفهيا لنجاح خطة التقسيم . ففي ٢٦ كانون الاول ، أبرق روبرت لوفت ، وزير الخارجية الاميركية بالوكالة (كان مارشال في لندن) الى سفارة الولايات المتحدة في القاهرة يعطي تفسيرا للسياسة التي اتبعتها اميركا جاء فيه : « بعد مراجعة التصريحات السياسية لمسؤولين اميركيين كبار ، ومراجعة قرارات الكونغرس ، ومراجعة برامج الاحزاب خلال الثلاثين عاما الماضية ، توصلت الحكومة الاميركية الى الاقتناع بأنه ما لم يكن هناك عامل غير محسوب في الوضع فان اتجاه الرأي العام والسياسة المبنية على أساسه قد أجبرت عمليا الولايات المتحدة على تأييد التقسيم » . وقد وقع البرقية الرئيس ترومان للدلالة على موافقته . وانتهت المسرحية ، لكن كانت لها ذيولها . ففي ٣٠ تشرين الثاني تم تدمير مقر البعثة الاميركية في دمشق ، وفي ٤ كانون الاول هوجمت السفارة الاميركية في بغداد . وقد بدا في تلك اللحظة ان أسوأ مخاوف « الخبراء » في وزارة الخارجية ستتحقق وان محاولتهم خداع العرب قد فشلت . ولكن الجزاء المخيف الذي توقعه « الخبراء » لم يقع . فلم يجر أي ترحيل جماعي للاميركيين من العالم العربي ، ولم تدمر المصالح الاميركية التجارية والتعليمية ، ولم تمس المصالح الانجلو ـــ أميركية الاستراتيجية . وقد احتفظت بريطانيا بموقعها في قلب المشرق العربي لمدة عشر سنين اخرى وفي الخليج العربي لعشرين سنة أخرى .

اما الامر الذي أنقذ الاميركيين فكان خرافة « وزارة الخارجية الطيبة » . ورغم ان هذه الخرافة اختراع عربي فانها خدمت المصالح الاميركية لا العربية . وقد ساهم في دعم التضليل الميكافيليون في وزارة الخارجية الذين يريدون من العرب ان يستمروا في الاعتقاد بأنه في يوم أبيض قد تتبنى الولايات المتحدة سياسة توفيقية حول فلسطين . كما ان المؤيدين للعرب قد لعبوا دورهم في هذا المجال أيضا . فقد ساهم أمثال لوي هندرسون وهنري بيرود (وأمثال هارولد بيلي في الجانب البريطاني) في جعل الخرافة قابلة للتصديق . ولكن من الامور الملفتة للنظر انه لم يرتفع أي من هؤلاء الرجال الى القمة ، ولا حتى الى الصف الاول ، في وزارة الخارجية ، بينما أصبح اتشسون ودالس ودين راسك وزراء للخارجية . وبالاضافة الى ذلك، ما زالت سيطرة الميكافيليين على الوزارة، التي ترسخت عام ١٩٤٧ ، مستمرة . فعلى المسرح الحالي استطاع المتصلب جوزيف سيسكو أن يضعف موقف تشارلز يوست الذي اعتبر موقفا توفيقيا جدا لصالح وجهة النظر العربية .

اذا لم يكن واضحا من قبل ، فقد أصبح مؤكدا الآن ، مع توفر وثائق عام ١٩٤٧ ، أن الفئة المؤيدة للعرب في وزارة الخارجية الاميركية كانت دائما غير قادرة على احداث تغييرات في السياسة الاميركية وان معارضي السياسة المؤيدة لاسرائيل كانوا غير مهيئين او مستعدين للعمل ضد تلك السياسة بشكل علني . فهم لم يكونوا مستعدين لنقل معارضتهم الى الشعب الاميركي أو للاستقالة من الوزارة وسط عاصفة من الاحتجاج .

واذا استمر المسؤولون العرب ، رغم هذا الدليل ، في التمسك بخرافة « وزارة الخارجية الطيبة » ، ما عليهم الا أن يطلعوا على حقيقة جديدة : ففي آذار ١٩٧٣ قام الرئيس الاميركي بنقل كامل مسؤولية رسم السياسة الاميركية حول شؤون الشرق الاوسط من وزارة الخارجية الى **مجلس الامن القومي** الذي يعمل تحت امرته مباشرة . فهذه الحقيقة يجب أن تكون كافية لكي تقنع في النهاية اولئك الذين ما زالوا يتمسكون بالخرافة بأن ذلك التمسك لا معنى له .

أضواء حول
جذور معطيات الاستراتيجية العسكرية الصهيونية
عشية حرب ١٩٤٨

محمود عزمي

يقول الكاتب الاسرائيلي الامريكي الجنسية « ناداف صفران » في كتابه « من حرب الى حرب » « تشكل حرب ١٩٤٨ موضوعا لا غنى عنه للدراسة لكل من يريد أن يفهم كافة تعقيدات الصراع العربي ــ الاسرائيلي الذي دشنته هذه الحرب »(١).

والواقع أن دراسة الاستراتيجية الاسرائيلية بصفة عامة سواء كانت الاستراتيجيــة الشاملة أو الاستراتيجية العسكرية ــ وهي ليست الا تطبيق الاستراتيجية الشاملة للحركة الصهيونية في الحقل العسكري المباشر ــ تتطلب ضرورة دراسة الاستراتيجية الاسرائيلية التي طبقت خلال المرحلة الممتدة من صدور قرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ الى توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة في بداية ١٩٤٩ . وهي المرحلة التي نتج عنها التكوين الرسمي لدولة اسرائيل واعتراف المجتمع الدولي واهدار كيان فلسطين .

ولما كانت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية المطبقة في المرحلة الاولى مــن مراحل المواجهة العسكرية الشاملة بين الشعوب العربية والاستعمار الصهيوني الاستيطاني ، ليست وليدة يوم صدور توصية هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطــين ، وانما تشكلت مقوماتها وتكاملت معطياتها تدريجيا وعبر تخطيط طويل استغرق حقبة تاريخية ممتدة من عام ١٩٠٩ على الاقل حتى عام ١٩٤٧ . لذلك كان لا بد من القــاء أضواء البحث العلمي التاريخي حول مرحلة التكون التاريخي لمعطيات هذه الاستراتيجية العسكرية .

وبطبيعة الحال لن تعرض دراستنا هذه لكافة تفاصيل أحداث وتطورات تلك الحقبة التي تشكل جذور الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وانما ستعرض للاحداث بالقدر الذي يخدم رؤية الخطوط العامة الرئيسية للموضوع . كما انها لن تعرض لجانب النضال العربي المضاد للمخطط الصهيوني ، لان ذلك يخرج بها عن الغرض والحيز المحدد لها .

هدف الاستراتيجية العسكرية الصهيونية :

يقول « ليدل هارت » ان الاستراتيجية هي « فن توزيع واستخدام الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف السياسة »(٢). ويقول « أندريه بوفر » أنهــا « فن استخدام القوة للوصول الى أهداف السيـاسة »(٣). كما يقول « كلاوزفيتز » أنها « نظرية استخدام المعارك كوسيلة للوصول الى هدف الحرب »(٤).

ولقد كان هدف الحركة الصهيونية ومن ورائها الامبريالية العالمية هــو انتزاع أرض فلسطين وطرد شعبها لاقامة دولة يهودية عنصرية عن طريق القوة . دولة ذات مقومات مفتعلة بالكامل ، دولة يجري تصدير أجزائها من خارج البلاد ويعاد تركيبها فوق أرضها بالقوة ! دولة يعلم المخططون من أجل زرعها في قلب الوطن العربي تمام العلم أنها لا تمتلك أصلا أو موضوعيا وتاريخيا اي مقومات حقيقية لوجودها . وليس أدل على ذلك

من تقرير لجنة الخبراء الامريكيين المقدم الى الرئيس « ويلسون » حول هذه المسألة في ١٢ يناير ١٩١٩ والذي جاء فيه أنه « من الصحيح أن فلسطين يجب أن تصبح دولة يهودية فيما لو جعلها اليهود كذلك ، ومتى أتيحت لهم الفرصة الكاملة . . . بيد ان اليهود في الوقت الحاضر ، لا يكادون يؤلفون سدس مجموع السكان البالغ عددهم ٧٠٠ الف في فلسطين . . . وباختصار فان فلسطين أبعد ما تكون بلدا يهوديا الآن . الا انه يمكن الاعتماد على بريطانيا ، كدولة منتدبة ، لكي تمنح اليهود ذلك المركز الممتاز (المميز) الذي يجب حصولهم عليه »(٥)!

لقد أرادت الاحتكارات الامبريالية الدولية لهذه الدولة أن تقوم ، وهي بسبيل تخطيطها لخريطة المنطقة في مرحلة التصفية النهائية للامبراطورية العثمانية الاقطاعية المتخلفة واعادة تقسيمها مرة اخرى بين مراكز النفوذ الجديدة في العالم الرأسمالي ، أرادت الاحتكارات الرأسمالية وهي في عنفوان بداية عصر الامبريالية لاسرائيل ان تقوم حتى تكون « حاجزا بشريا قويا وغريبا على الجسر البري الذي يربط اوروبا بالعالم القديم ويربطهما معا بالبحر الابيض المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة ، وصديقة للدول الاوروبية ومصالحها »(٦) ؛ وذلك كما جاء في توصيات مؤتمر « كامبل بنرمان » الذي دعا اليه حزب المحافظين البريطاني ورفع توصياته الى حزب الاحرار الحاكم في عام ١٩٠٧ ، وقد حضر جلساتـــه التي انعقدت في لندن كبار علماء التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والبترول والزراعة من كافة الدول الكبرى الاستعمارية ؛

وقد حدد الرئيس الامريكي «ترومان» دور هذه الدولة في المنطقة ــ بعد أن تحقق المخطط في ظروف زعامة الولايات المتحدة للعالم الامبريالي وسعيها المستمر من أجل اعادة تقسيم المنطقة لصالحها على حساب بريطانيا وفرنسا ــ بقوله عقب اعلانها في مايو ١٩٤٨ « لقد قامت اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط ، لكي تتصدى لتيار النعرة الوطنية ، فاذا لم تستطع أن تحقق هذا ، فلا اقل من أن تجتذبه بعيدا عن مصالح البترول الامريكي في الشرق الاوسط »(٧)!

ولما كان تنفيذ المخطط الصهيوني ــ الامبريالي بالاستيلاء على فلسطين وطرد سكانها العرب وانشاء دولة اسرائيل لا يمكن له أن يتم دفعة واحدة وبطريقة فجائية سريعة ، نظرا لان فلسطين نفسها كانت لا تزال في أيدي تركيا ، ونظرا لان ظروف الصراع المسلح بين بريطانيا وتركيا والمانيا أثناء الحرب العالمية الاولى كانت تستوجب الاستعانة بقوى الثورة العربية ضد الاستعمار التركي (لورنس والوعود باستقلال الدول العربية الخ) ، هذا فضلا عن تأثير التناقض بين بريطانيا وفرنسا من جهة والولايات المتحدة الامريكية من جهة أخرى حول ثروات المنطقة ، بعد أن اقتسمت كل من بريطانيا وفرنسا المنطقة فيما بينها بمقتضى معاهدة « سايكس ــ بيكو » في عام ١٩١٧، ومحاولات أمريكا اجتذاب ولاء الحركة الصهيونية في فلسطين نحوها مما دفع بريطانيا الى محاولة ايجاد نوع من التوازن النسبي في المنطقة حتى لا تراهن بمصالحها كلها على جواد الصهيونية الجامح . ونتيجة لكل ذلك بالاضافة الى أن الهجرة اليهودية نفسها لم تكن تسير بالسرعة اللازمة نحو فلسطين الى أن حفزتها الحركة النازية في المانيا ابتداء مـــن ١٩٣٣ ، كان لا بـــد للاستراتيجية الصهيونية الشاملة ، وبالتالي استراتيجيتها العسكرية في مرحلة استكمال عناصر ومقومات وجودها وفاعليتها ، أن تتبع أسلوب الاستراتيجية غير المباشرة ، ذات الطابع المرحلي المتسلسل التدريجي ، والتي تعتمد على المناورات الخارجية أساسا للحصول على القدر اللازم الجزئي من حرية العمل في كل مرحلة فوق ساحة التطبيق المحلي أو الداخلي .

معطيات الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية في طور التكوين :

تتمثل المعطيات الاولية أو العناصر والمقومات الاساسية لاي استراتيجية عسكرية في عناصر : القوة البشرية ، الوضع الجغرافي ـــ الاستراتيجي ، الموارد الاقتصادية ، القيم الوطنية والروح المعنوية ، المقدرة التنظيمية والقيادية . ويشكل العنصر الاخير في واقع الامر عنصر القدرة الانسانية الذاتية ومدى كفاءتها في استخدام المعطيات أو العناصر الموضوعية الاخرى وتحويلها الى قوة تنفيذية عسكرية فعالة قادرة على تحقيق أهداف السياسة .

ونظرا لعدم وجود أي مقومات طبيعية أصلا للكيان الصهيوني في فلسطين فقد جرى تصدير معظم أو كل المعطيات الاولية اللازمة للاستراتيجيةالعسكريةالاسرائيلية تدريجيا، وتم اختلاق وتدعيم وتعزيز هذه المعطيات من خارج البلاد أساسا وفقا للمخطط الشامل لانشاء هذه الدولة الشاذة التكوين بصورة تدريجية مرحلية. وسنبحث الآن طريقة اعداد كل عنصر أو معطى من معطيات هذه الاستراتيجية منذ أن بدأ تنفيذ المخطط الاستعماري في بدايات هذا القرن حتى استكملت معظم صورتها الاساسية عند بداية القتال الفعلي في عام ١٩٤٨ قبل وبعد النشأة الرسمية لدولة اسرائيل :

١ ـــ **القوى البشرية** : في عام ١٨٨٢ كان السكان اليهود في فلسطين حوالي ٢٤ الف نسمة ، ثم تتابع وصول موجات من اليهود المهاجرين من روسيا القيصرية وبولندا عقب عمليات اضطهاد لليهود حدثت هناك اثر اغتيال الكسندر الثاني في عام ١٨٨١ فوصل فلسطين نحو ٢٥ الفا آخرين فيما بين عامي ١٨٨٢ و١٩٠٣(٨). وعند صدور وعد « بلفور » عام ١٩١٧ كان يسكن فلسطين ٥٦٦٧٠ يهوديا(٩)، وعند حصول بريطانيا على صك انتداب فلسطين عام ١٩٢٢ كان عدد اليهود ٨٣٫٨ ألف يمثلون ١٢٫٩ ٪ من جملة سكان البلاد . ونتيجة لاعمال الهجرة المنظمة من قبل الحركة الصهيونية العالمية والمنفذة نتيجة لوعد « بلفور » البريطاني بصورة رسمية أو سرية فقد وصل تعداد السكان اليهود في فلسطين عند صدور قرار التقسيم من هيئة الامم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ الى ٦٥٨ ألفا تقريبا ، ثم الى ٧٥٩ الف يهودي تقريبا في ديسمبر ١٩٤٨ عقب انشاء الدولة وقرب نهاية حرب ١٩٤٨ .

وكانت المنظمة الصهيونية العالمية تعمد الىاختيار الشباب أساسا لارسالهم الى فلسطين في هذا التهجير المنظم الذي تم أساسا من دول شرق أوروبا والمانيا خاصة عقب قيام النظام النازي ، وهكذا وجدت المنظمات العسكرية السرية الصهيونية وعلى رأسها « الهاجاناه » حاجتها اللازمة من القوى البشرية الصالحة في معظمها لمباشرة الاعمال القتالية . وحول هذه المسألة يقول « ايجال آلون » بصدد تطور « الهاجاناه » في فترة ١٩٢٠ ـــ ١٩٣٩ « وقد تدعمت الهاجاناه خلال تلك الفترة بسيل الهجرة اليهودية القادمة من دول كثيرة ، وخاصة من شرق أوروبا . وهذه الهجرة لم تزد مـــن المورد البشري للهاجاناه من الناحية الكمية فقط ، ولكنها دعمته من ناحية الكيف أيضا . لقد كانت غالبية الوافدين الجدد شابة ومثالية متحمسة ، ولقد ذاق الكثير منهم طعم النشاط السري شبه العسكري ، عندما كانوا يدافعون عن الاحياء اليهودية في شرق أوروبا ضد الغارات المعادية للسامية »(١٠).

وفي الفترات التي كانت بريطانيا تحد نسبيا من سيل الهجرة لاعتبارات سياسية معينة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية تتصل بتهدئة السكان العرب أو محاولة تقليص النفوذ الامريكي المتزايد على المنظمات الصهيونية والوكالة اليهودية ، كانت أمريكا تضغط بشدة من أجل السماح بمزيد من الهجـــرة ، وذلك مثلما حدث مـــن طلب الرئيس الامريكي « ترومان » الموجه الى رئيس الوزراء البريطاني « آتلي » في ٣١ أغسطس ١٩٤٥ بأن

يمنح حق الهجرة لمائة الف يهودي بصفة اضافية الى فلسطين . وعندما أبدى وزير خارجية بريطانيا « بيفن » معارضة لهـذه المطالب في يونيو ١٩٤٦ هدد الكونجرس الامريكي بعدم اعتماد قرض قدره ٣٧٥ مليون دولار لبريطانيا ! الامر الذي أجبر بريطانيا على التراجع واتخاذ موقف أقل تشددا من موضوع الهجرة . وهكذا عملت أمريكا على سرعة استكمال بناء القوة البشرية المطلوبة للجيش الاسرائيلي الذي كان يجري اعداده بصورة سرية ظاهريا في فلسطين تحت اشراف الوكالة اليهودية (وهي الحكومة الاسرائيلية غير الرسمية من الناحية الفعلية) . وقد تم خلال الفترة من ١٩٤٦ حتى مايو ١٩٤٨ ادخال نحو ٦٢ ألف يهودي الى فلسطين بمختلف طرق الهجرة السرية ورغم بعض المحاولات المحدودة التي قامت بها بريطانيا لمنع الهجرة غير الشرعية ، ضمن سياستها العامة لتحديد نطاق النفوذ الامريكي في فلسطين .

٢ ـ **المستعمرات تصنع الوضع الجغرافي ـ الاستراتيجي** : لقد جرت عملية التسلل التدريجي للاستعمار الصهيوني الاستيطاني في اتجاهين ، الاول يقضي بزيادة نسبة السكان اليهود في المدن الرئيسية خاصة المدن الواقعة على شاطىء البحر الابيض المتوسط مثل « تل أبيب » ـ التي كانت أصلا مجرد ضاحية لمدينة يافا ـ و« حيفا » و« عكا » وكذلك في « القدس » باعتبارها القاعدة الاساسية في وسط البلاد والتي تركز عليها الدعاية الدينية للحركة الصهيونية والاتجاه الثاني ويقضي بخلق وجود مادي زراعي واستراتيجي صهيوني حول المدن وعند النقاط الاستراتيجية وقرب حدود البلاد ، عن طريق انشاء مستعمرات زراعية تخلق ارتباطا اقتصاديا وشعورا بالتوطن بين المهاجرين و« أرض الميعاد » ، وتبدل من عاداتهم الاصلية في الاعمال التي درجوا عليها من قبل كأقليات يهودية تخصصت في أغلب الحالات في أعمال غير انتاجية بشكل مباشر وبالصورة المطلوبة لانشاء دولة ذات كيان مستقل قائم على السكان اليهود فقط . مستعمرات يسهل تحويلها الى قلاع وحصون ذات اكتفاء ذاتي دفاعي الى حد ما تكون بمثابة رأس جسر عميق داخل جسم البلاد العربية ، تحمي مؤخرتها المدن والقواعد الساحلية التي ستتدفق منها أفواج المهاجرين والاسلحة اللازمة لاستكمال كيان الدولة . وبهذه الصورة يمكن ان يخلق الوجود الصهيوني ويصنع الواقع او الوضع الجغرافي ـ الاستراتيجي للدولة الصهيونية . ويقول آلون بصدد انشاء المستعمرات وسياسة اختيار مواقعها خاصة في الثلاثينات « وكان تطوير وتخطيط المستعمرات الصهيونية الرائدة يتقرر من البداية وفقا للاحتياجات السياسية ـ الاستراتيجية . لم يكن اختيار الموقع يتم وفق الاعتبارات الاقتصادية وحدها ، بل كان الاهم منها ، احتياجات الدفاع المحلي ، والاستراتيجية العامة للاستيطان الصهيوني ، التي كانت ترمي الى ضمان وجود سياسي يهودي في كافة انحاء البلاد ، وكذلك الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه المجموعة أو تلك من المستعمرات في أي صراع عام يحدث في المستقبل ، والذي قد يكون حاسما . وفقا لذلك كانت الاراضي تشترى ، وفي معظم الاحيان تستصلح ، في أجزاء نائية من البلاد وفي أعماق مناطق آهلة بالسكان العرب ، أو على مقربة من الحدود السياسية للبلاد اذا كان ذلك ممكنا »(١١) . لقد كانت سياسة انشاء المستعمرات تتم قبل الثلاثينات في الاغلب الاعم على اساس مجرد انشاء وتدعيم الوجود المادي الصهيوني داخل الريف الفلسطيني ، ولذلك كانت المستعمرات تنشأ في الوديان والسهول ذات الصلاحية الزراعية بطريقة اقتصادية . ومع تزايد فاعلية ووعي النضال العربي ضد الوجود الصهيوني والاستعمار البريطاني في فلسطين ، أخذت خطة الوكالة اليهودية في اختيار مواقع انشاء المستعمرات الجديدة ـ خاصة من نوع « الكيبوتز » ـ تتأثر في الاساس بالعوامل العسكرية الاستراتيجية وليس بمجرد أهداف الوجود المادي السياسي الصهيوني والعوامل الاقتصادية المتصلة بالانتاج الزراعي المتوقع من أرض المستعمرة الجديدة . لقد أصبح اختيار مواقع

المستعمرات يتم على أساس أن يوفر الموقع المختار للمستعمرة « الاشراف على المناطق الحيوية أو حصار المدن الهامة أو تأمين الدفاع عن الحدود وتوفير الاتصال والحماية المتبادلة بين المستعمرات ومناطقها وأخيرا تأتـي مدى صلاحية المكان من الوجهـة الاقتصادية وخاصة خصوبة الارض وتوفر المياه »(١٢). لقد كانت شبكة المستعمرات تعد بحيث تلعب دورا استراتيجيا هاما في الصراع المقبل مع العرب داخل فلسطين وخارجها، ذلك لان هذه الحصون كانت عنصرا أساسيا لازما لزيادة العمق الاستراتيجي الضئيل للبلاد أو على الادق للتقليل من خطورة ضحالة العمق الاستراتيجي للدولة المزمع قيامها ازاء احتمال مهاجمتها من الدول العربية المجاورة التي قد تستشعر الخطر من قيامها . وخاصة ان واقع احاطة هذه الدول بفلسطين من ثلاث جهات باستثناء البحـر فقط ، سيفرض على القيادة العسكرية الصهيونية ضرورة الحركة السريعـة على الخطوط الداخلية ونقل قواتها من جبهة الى أخرى (وهو ما حدث فعلا بعد ذلك عند نشوب حرب ١٩٤٨ وفي حرب ١٩٦٧) الامر الذي يتطلب تثبيت احدى الجبهات أو اكثر أثناء تركيز العمليات الهجومية ضد جبهة أخرى ، والمستعمرات باعتبارهـا نقاطا حصينة ثابتة تستطيع أن تساعد كثيرا على تحقيق هذا الهدف خاصة وأنها لن تتطلب والحال هذه الدفاع عنها بقوات كبيرة أو بقوات متحركة ، وبذلك تساعد على توفير القوة الضاربة الهجومية المتحركة التي سيجري تحريكها على الخطوط الداخلية ، بفضل اقليمية أو محلية وسائلها الدفاعية المتمثلة في مزارعيها الذين يجمعون بين صفتـي المزارعين والمحاربين في آن واحد وتحصنهم داخل استحكاماتها . ويوضح « آلون » هذه المسألة فيقول « أصبح على كل مستعمرة يهودية أن تكـون قلعة هاجاناه في الوقت نفسـه . وصحب التخطيط الاقتصادي والزراعي لبناء المستعمرات ، تخطيط عسكري وترتيبات حربية . كان على ميزانية الهجرة أن تهتم بالسيف والمحراث على السواء . ان هذه الاحتياجات قد أدخلت على التخطيط والتنفيذ العسكري للهاجاناه عناصر جديدة كثيرة ، بما في ذلك استراتيجية أكثر دقة على مستوى البلاد كلها ، تراعي الاعتبارات المحلية والتخطيط الشامل والقدرة الاكبر على الحركة . وفوق ذلك كله ، فان هذه الاحتياجات عجلت بانشاء « قيادة عليا » مدنية سرية ـــ تتصرف بتفويض كامل من جانب المؤسسات السياسية الشرعية للمجتمع اليهودي في فلسطين ـــ وهيئة أركان حرب عامة عسكرية سرية ، تتكون من الفروع المعتادة لمثل هذه الهيئة ويرئسها رئيس لهيئة الاركان »(١٣). هذا وقد اتخذت المستعمرات الزراعية ـــ الاستراتيجية أحد شكلين أساسيين ، الاول عرف باسم « الكيبوتز » والثاني عرف باسم « الموشاف » . ولكن « الكيبوتز » كان هو النوع الاكثر انتشارا بين المستعمرات اليهودية المنشأة قبل أيار (مايو) ١٩٤٨ ، وذلك بحكم أنه كان الشكل الاكثر ملاءمة لتحقيق أهداف الاستعمار الاستيطاني في الاستيلاء على الارض واستغلالها اقتصاديا بسرعة وكفايـة أسلوب الانتاج الكبير وحمايتهـا بفاعلية ، فضلا عن دورها كنقاط ارتكاز استراتيجية . لقد كان « الكيبوتز » هو المعسكر الانتاجي ـــ الحربي الذي شكل البوتقة اللازمة لاعادة صهر معدن الانسان اليهودي غير المعتاد على العمل اليدوي الانتاجي والروح القتالية العسكرية واعداده لمرحلة الصدام الحتمي المنتظرة مع العرب .

وقد بلغ عدد « الكيبوتزات » المنشأة قبل ايار (مايو) ١٩٤٨ نحو ١٧٦ « كيبوتز » ضمت في بداية اكتوبر ١٩٤٧ عشية قرار تقسيم فلسطين ٤٧،٤٠٨ من سكان فلسطين اليهود البالغ جملتهم وقتئذ نحو ٦٤٩،٠٠٠ اي بنسبة ٧،٣٪ . بينما لم ينشأ طوال الفترة من ايار ١٩٤٨ حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ سوى ٥٩ « كيبوتز » فقط(١٤)، واتجه انشاء المستعمرات الى « الموشاف » وغيرها من انواع المستعمرات الاخرى . ويرجع هذا الى الاهمية الخاصة التي كانت لحركة « الكيبوتز » في بداية الاستعمار الاستيطاني وما صاحبها من دعاية أيديولوجية ديماغوجية حـول دورها الاشتراكي التقدمي ومـا

أسبغته عليها هذه الدعاية الصهيونية من هالة مزيفة حول حماس الطلائع من الشباب الذين ذهبوا الى فلسطين ليحرثوا الارض ويزرعونها وينتزعون الوطن السليب مرة اخرى بعد قرون طوال من الحياة في المنفى الخ .

وقد كانت المسحة الاشتراكية المزعومة لحركة « الكيبوتز » (وذلك من حيث الادعاء بأن العمل فيها يجري وفقا للعقيدة الماركسية القائلة « من كل حسب قدرته ولكل حاجته » وأنه لا وجود لاي تمايز طبقي بين صاحب العمل والاجراء داخل الكيبوتزات(١٤)، بينما ان صاحب العمل هو المنظمة الصهيونية العالمية وصناديقها المالية المختلفة ، والذي يخضع هذه الكيبوتزات وعمالها الذين يعيشون حياة عسكرية اسبرطية تحت شعار الملكية الجماعية والحياة المشتركة لخدمة المخطط الاستعماري الامبريالي ، وكأن هذه المستعمرات يمكن ان تقيم اشتراكية خاصة بها داخل الاطار العام للمجتمع الاسرائيلي الرأسمالي المحيط بها والذي يعيش في صلة عضوية وتكامل مع الاحتكارات الرأسمالية العالمية بالاضافة الى الصفة البروليتارية المزعومة ايضا لحركة « الهستدروت ») ، كان لها تأثير مضلل الى حد كبير على قطاعات كبيرة من المهاجرين اليهود الذين قدموا الى فلسطين من روسيا ورومانيا وبولندا نظرا لتأثر الكثيرين منهم بالحركات الثورية والاشتراكية في اوطانهم الاصلية ، كما كان لها بعض التأثير على عديد من المنظمات اليسارية العالمية وعلى بعض الدول الاشتراكية مثل تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٤٨ ، خاصة وأن العرب بنظمهم الاجتماعية المتخلفة وحكامهم من الملوك الاقطاعيين وتبعيتهم للاستعمار البريطاني كانوا يبدون في ظل هذه الدعاية الصهيونية وتنظيماتها السياسية والاجتماعية كقوة رجعية متخلفة تريد الوقوف في وجه قوى تقدمية ثورية ! لقد خلقت المستعمرات عنصر الارض والموقع الاستراتيجي لكيان اسرائيل المصنوع ، وكان « الكيبوتز » أساسا شكل الحياة والعمل الملائم لاغراض المستعمرات عسكريا ، بحكم انه الاكثر صلاحية لاجتذاب الشباب اليهودي المضلل من بين الطبقات الكادحة في دول شرق اوروبا التي عانى عقدة « الجيتو » حتى يقدم دمه بحماس على مذبح الصهيونية الاستعمارية ، كان « الكيبوتز » هو مدرسة الكادر الصهيوني الثوري — ان صح التعبير — ففيها تعلم اليهود لغتهم القومية وهي العبرية وفيها تعلموا امساك الفأس والبندقية ، وفيها نشأت « الهاشومير » ثم « الهاجاناه » وفيها نشأ معظم قادة اسرائيل ومنها خرجت احزابها السياسية .

٣ — **الامبريالية توفر الموارد الاقتصادية والعسكرية** : لقد قدمت الرأسمالية الامريكية ذات الميول الصهيونية الموارد المالية الرئيسية اللازمة لعمليات تسلل الاستعمار الاستيطاني في فلسطين قبيل التكوين الرسمي لاسرائيل . فمثلا « بلغ مجموع تبرعات المنظمات اليهودية والصناديق الخاصة في الولايات المتحدة في الفترة ما بين ١٩٣٩ حتى نهاية ١٩٤٨ والتي قدمت الى المستوطنين الصهيونيين من ٢٨٢ مليونا الى ٣٠٢ مليون دولار »(١٤) . وهذا بالاضافة الى نحو ١٤٠ مليون دولار اخرى تلقتها اسرائيل كمعونات من الولايات المتحدة في عام ١٩٤٨ بعد انشاء الدولة(١٤) .

وليس هناك احصاء دقيق معروف لكمية الاموال الهائلة التي جمعتها المنظمة الصهيونية العالمية طوال سني نشاطها منذ نشأتها عام ١٨٩٧ وحتى عام ١٩٤٨ ، ومولت بها عملية الاستعمار الاستيطاني في فلسطين سواء من ناحية شراء الاراضي الزراعية او نفقات بناء المستعمرات او ترحيل أفواج المهاجرين أو انشاء صناعات ومصارف الخ . ولكن يكفي ان تعلم ان دخل هذه المنظمة العالمية بلغ في عام ١٩١٤ مثلا ٢٣٧،٢٨٤،٨٣ ماركا المانيا من روسيا ، ١٤٤،١٣٣،٢٧ ماركا من النمسا ، ١٤٣،٧٤٠،٥٠ ماركا من امريكا الشمالية ، ١٠٧،٩٠٥،١٧ ماركا من المانيا، ٣٧،٥٦٣،٥٠ ماركا من كندا، ١٨،٨٦٢،١٤ ماركا من بريطانيا ، ٢٠،٧٦٦،٩٧ ماركا من افريقيا الجنوبية(١٥)!

ونتيجة لكل هذه الاستثمارات ارتفع الانتاج الصناعي في فلسطين وتحت سيطرة العناصر الصهيونية من مبلغ ٢،٦١ مليون جنيه استرليني عام ١٩٢٩ الى ٣٦،٦٣ مليون جنيه استرليني عام ١٩٤٢ ، كما زاد عدد العمال اليهود من ٧٦٠٠ عامل سنة ١٩٣٠ الى نحو ٥١ ألف عامل سنة ١٩٤٨(١٦). كما بلغت جملة الاراضي الزراعية التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية، سواء بالشراء او بالاستيلاء بالقوة، نحو مليون و ٦٥٠ الف دونم في عام ١٩٤٨(١٤) . وعلى هذه الاسس نشأ الاقتصاد الاسرائيلي اللازم للدولة الجديدة الغاصبة ، ولكنها لم تكن كافية لتحقق نموا اقتصاديا يكفل حماية الدولة وتدعيمها لتواصل الاستمرار في خدمة تحقيق الاهداف الامبريالية التي خلقت من اجلها . ولذلك نجد اسرائيل تعاني في السنة الاولى من نشأتها عجزا خطيرا في ميزانها التجاري اذ وصلت قيمة وارداتها (سيف) ٢٥٢ مليون دولار بينما بلغت قيمة صادراتها (فوب) ٢٩ مليون دولار في عام ٤٨ ـ ٤٩(١٦) . فكان أن تلقى هذا الاقتصاد الذي لا تتوفر له موارد محلية كافية سواء في مصادر وخامات الانتاج او رؤوس الاموال كميات هائلة من المساعدات ورؤوس الاموال ، خاصة اذا ما وضعناها بالنسبة لعدد السكان ومساحة البلاد . ففي خلال السنوات من ١٩٤٨ الى ١٩٥١ بلغت قيمة الدخل القومي نحو ١،٦٩ مليار دولار بينما بلغت قيمة رؤوس الاموال الوافدة نحو ٨٢٢ مليون دولار اي بنسبة ٤٠٪ من الدخل القومي . وبلغت نسبة التمويل الخارجي في جملة الاستثمارات العامة ٥٥٪ في عام ١٩٤٩ ، ٤٢٪ في عام ١٩٥٠ ، ٤١٪ في عام ١٩٥١(١٤). هذا وقد بلغت جملة الاموال التي تلقتها اسرائيل من الولايات المتحدة الامريكية منذ عام ١٩٤٨ حتى نهاية ١٩٦٢ ، في شكل مساعدات او قروض او تبرعات المنظمة الصهيونية في امريكا أو رؤوس أموال أو بيع سندات اسرائيل في الولايات المتحدة ، نحو ٣١٨٦،٢ مليون دولار(١٤). وهذا بخلاف التعويضات الالمانية وغيرها من القروض والمساعدات المباشرة وغير المباشرة من الدول الاستعمارية الاخرى .

٤ ـ **الصهيونية تصنع عنصر القيم المعنوية** : لقد بنت الحركة الصهيونية دعايتها الفكرية الهادفة الى انشاء وطن قومي ودولة اسرائيلية لليهود ، على مجموعة منسقة من الافكار المستندة الى الخرافات المتعارضة مع الواقع التاريخي لفلسطين واليهود أنفسهم الذين لا تربطهم أي رابطة قومية حقيقية من أي نوع أو درجة . أفكار مؤداها أن على الشعب اليهودي في جميع انحاء العالم ، حيث يتكلم افراده نحو ٧٠ لغة ، ان يعود الى أرض الوطن بعد ١٩ قرنا من التشتت في المنفى ! وذلك حتى يمكن له أن يتخلص نهائيا من آلام الاضطهاد التي عانى منها على مر القرون في جميع البلاد التي يعيش او عاش فيها في أي مرحلة من التاريخ . ولذلك كان من مصلحة الدعاية الصهيونية ـ وهي حركة سياسية تماما وليست بأي حال حركة دينية يهودية ـ أن تستفيد من الحركات المعادية للسامية بل ان تذكيها وتشعل نارها اذا خمدت حتى تحفز اليهود في هذه الدول على الهجرة الى فلسطين . ولذلك كتب « دافيد بن جوريون » بصدد بطء حركة الهجرة وكيفية تنشيطها يقول « انني لن اخجل من الاعتراف بأنه لو كان لدي من السلطة بقدر ما عندي من الرغبة ، لانتقيت الشباب الموهوب والوفي لقضيتنا وأرسلتهم الى البلدان التي غرق فيها اليهود في رضا آثم عن النفس ، ولأمرتهم بالتظاهر باللايهودية وملاحقة اليهود بالاساليب اللاسامية السمجة تحت شعارات « أيها اليهود القذرون ارحلوا الى فلسطين » وأؤكد لكم ان نتائج الهجرة قد تتخطى عشرات الاف المرات النتائج التي يحصل عليها رحالتنا الدعاة ، الذين يكيلون المواعظ للصم منذ عشر سنوات »(١٨). وقد كتب أيضا بصدد هذه المسألة أحد قادة المخابرات الالمانية مستشهدا برأي « بولكس » العميل الصهيوني والنازي يقول « كان يسود الاوساط اليهودية القومية ارتياح عميق لسياسة المانيا الجذرية تجاه اليهود ، وذلك لان هذه السياسة تساعد على زيادة السكان اليهود في فلسطين »(١٨).

وهكذا أخذت الدعاية الصهيونية تعمل على اجتذاب اليهود ــ وخـاصة الشباب منهم الصالح للقتال ــ تحت شعار العودة الى أرض الميعاد فرارا من الاضطهـاد وبحثا عن الامن والاستقرار ، محفزة اياهم بأنهم « شعب الله المختار » الذي يجب ان يتوحد فوق أرض الوطـن المسلوب ويسيطر عليه بحكـم تفوقه وارادة الله او الرب الذي أمـر « سليمان » بأن يبنى هيكله في « أورشليم المقدسة » . ورغم ان الدعوة كانت تقودها المنظمة الصهيونية العالمية من قلب اوروبا الغربية والولايـات المتحدة وتنفق عليهـا الاحتكارات الرأسمالية هناك ، فان المهاجرين اليهود مـن امريكا الى فلسطين في الفترة من ١٨٨١ الى ١٩٣٠ لم يزد عددهم عن نحو ١٢٠ ألفا بينما هاجـر الى امريكا (أي الولايات المتحدة) في نفس الفترة نحو ٣٦٢ مليون يهودي بحثا عن فرص افضل للحياة ! كما بلغت جملة اعداد المهاجرين اليهود الى فلسطين في الفترة ١٩٢٠ ــ ١٩٤٧ نحو ٤٤٥ ألف مهاجر من جملة مليون و٤٨٣ الف مهاجر يهودي(١٩) في جميع أنحاء العالم ! وهذا ما دفع « ترومان » الى مطالبة « آتلي » في ١٩٤٥ بفتح باب الهجـرة لمائة ألف يهودي كانوا محشودين في معسكرات « النازحين » في أراضي دول اوروبا الغربية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية تحت اشراف الجيش الامريكي، وذلك حتى يقدم للحركة الصهيونية وقودا بشريا من الذين عانوا مرارة الاعتقال النازي تستخدمهم بعد أن تعاد صياغتهـم نفسيا بالقيم الصهيونية ــ وباستغـلال عقدة الاضطهاد لديهـم التي عاشوا مرارتها بالكامل ــ المعنوية القائمة عـلى فكرة غزو شعب الله المختـار لارض الميعاد في غزو فلسطين ، وحيث يعيشون في « الكيبوتزات » أو الاحياء اليهودية في مدن فلسطين داخل « جيتو » جديد تحت اشراف « الهاجاناه » تحت مشاعـر كره العرب وخطرهم عـلى وجودهم ومستقبل آمالهم في حياة رغدة خالية من الاضطهاد في وطنهم الجديد ، وأنهـم اذا لم يحملوا السلاح ويقتلوا العرب قبل ان يقتلوهم فانهم سـوف يتعرضون لخطر الابادة ، وهو الخطر الاسطوري الذي ما زالت اسرائيل تروج خرافته حتى الان لتدعم وحدتها الداخلية وتغطي تناقضاتها الاجتماعية في مواجهة الخطر الخـارجي المشترك لجميع سكانها . والـذي خلقت من أجله نظرية « الحرب الوقـائية » و « الضربـة الاجهاضية المضادة » التي تزخر بها الكتابات الاستراتيجية الاسرائيلية . وهكذا جرى ويجري صنع القيم المعنوية اللازمة لاستراتيجية الدولة الاستعمارية الصهيونية والتي تساندها مزاعم اخرى تروجها الدعاية الصهيونية العالمية حول اسرائيل « واحة التقدم والديمقراطية » وسط العالم العربي المتخلف !

٥ ــ **الامبريالية توفر السلاح والخبرات** : مع نشأة أول « كيبوتز » في عام ١٩٠٩ تشكلت أول منظمة عسكرية صهيونية داخل فلسطين من طلائع الشباب المتحمس للدعوة وكان معظمهم من أعضاء الفوج الثاني من المهاجرين القادمين من روسيـا القيصرية ودول شرق أوروبا (وذلك في الفترة بين ١٩٠٤ ــ ١٩١٤ وعددهم ما بين ٣٥ ــ ٤٠ ألفا جاء معظمهم من روسيا بعد الهزائم والمـذابح التي وقعت بين ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ تحت تأثير الدعاية الصهيونية)(٢٠) وكان من بينهم « بن جوريون » الذي وفد الى فلسطين في عـام ١٩٠٦ . وكانت مهمة هذه المنظمة هي حراسة المستعمرات بدلا من الحراس القدامى المستأجرين من « الشركس » . ولذلك سميت بأسم « هاشومير » أي « الحراس » ، وكانت أول مستعمرة تتم حراستها بواسطة هذه المنظمة هي مستعمرة « سيجيرا » التي أنشأت بواسطة صندوق الاستعمار اليهودي في الجليل ، وكان « بن جوريون » يسكنها وقتئذ . ولم يحل عام ١٩١٤ حتى كانت كل المستعمرات تحرس بهذا الاسلوب . وقـد سلمت السلطات التركية لهذه المنظمة بعض الاسلحة لتساعدها في مواجهة العرب ! ويصف « بن جوريون » في مذكراته شعور أفراد المنظمة عند الحصول على الاسلحـة فيقول « كنا ننتظر مجيء الاسلحة ليلا ونهارا ولم يكن لنا حديث الا الاسلحة وعندمـا جاءتنا الاسلحة لم تسعنا الدنيا لفرط فرحتنا . . . كنا نلعب بالاسلحة كالاطفال، ولم نعد

نتركها أبدا . . . كنا نقرأ ونأكل ونتكلم والبنادق في أيدينا او على أكتافنا »(٢١). ومنذ ذلك الوقت حملت الحركة الصهيونية السلاح في فلسطين ولم تلقه من يدها مطلقا بعد ذلك الى اليوم . وفي اثناء الحرب العالمية الاولى عندما لاحت مرحلة بدء تحقيق المخطط الامبريالي بصورة عملية نظرا لانضمام تركيا الى صف المانيا في الحرب ، انتهزت بريطانيا الفرصة للزحف على فلسطين وبقية المشرق العربي لتصفية تركة « الرجل المريض » واعادة تقسيمها بينها وبين فرنسا ، وكانت معاهدة « سايكس ــ بيكو » في ايار (مايو) عام ١٩١٦ ، التي ادخلت فلسطين ضمن حصة بريطانيا من تركة الامبراطورية التركية ، ثم كان « وعد بلفور » في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ الذي ضمن للصهيونية حق اقامة وطن قومي في فلسطين . وكان لا بد من اتخاذ خطوات اكثر جدية وحسما على طريق بناء جهاز الدولة الاسرائيلية المزمع اقامتها وضرورة بدء اعداد نواة الكوادر العسكرية اللازمة . فكان ان شكلت اول كتيبة اسرائيلية نظامية تابعة للجيش البريطاني في عام ١٩١٤ من نحو ٥٠٠ جندي ، ٥ ضباط انجليز ، ٨ ضباط يهود. وقد اشتركت الكتيبة المذكورة ــ والتي وسعت الى لواء تقريبا في عام ١٩١٧ ــ في القتال لاول مرة في الانزال البرمائي الذي تم بشبه جزيرة « غاليبولي » ، ثم شاركت في بعض المعارك التي دارت في فلسطين وآخرها في « اللد » عام ١٩١٨ ، حيث تبقى من رجالها نحو ١٥٠ جنديا و ١٥ ضابطا . كما لعبت المنظمة الصهيونية دورها بفاعلية ــ كما هو عهدها دائما في عمليات المخابرات العالمية ــ في أعمال التجسس والمخابرات وراء الخطوط التركية ــ الالمانية بواسطة منظمة سرية تدعى « نيلي » التي اقامها جماعة من شباب المستوطنين اليهود في فلسطين كما يروي « آلون » في كتابه « انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي » والذي يستطرد قائلا بصدد دور الكتيبة اليهودية المذكورة « وفي تلك الفترة ، انشئت اول كتائب يهودية تابعة للجيش البريطاني الذي كان يقاتل على مسرح الشرق الاوسط . وكانت تضم متطوعين يهودا من فلسطين وبريطانيا وامريكا . وهي التي أتاحت لشباب اليهود فرصة اكتساب تدريب عسكري وتنظيم أفضل ، كما حصلوا على كمية معينة من المعدات العسكرية الخفيفة ، اثبتت بعد ذلك انها كانت ذات قيمة كبرى »(٢٢).

وبعد انتهاء الحرب وعقد مؤتمر الصلح وتشكيل عصبة الامم ، حرصت القوى الامبريالية الدولية على استكمال الخطوات اللازمة لاستيلاء الصهيونية على فلسطين وانشاء نواة جهاز الدولة الاداري الاسرائيلي مع اعطاء وجوده صفة شرعية في وثيقة دولية صادرة عن عصبة الامم وهي صك انتداب بريطانيا لادارة شئون فلسطين ، فضمنت الصك المذكور ضرورة التزام بريطانيا بتنفيذ « وعد بلفور » (في الديباجة والمادة الثانية) كما ضمنته الاعتراف بالمنظمة الصهيونية وخولتها صلاحية أن « تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن اليهودي »(٢٣)! وضمنته ايضا الاعتراف « بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التي قد تؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد على أن يكون ذلك خاضعا دوما لمراقبة الادارة »(٢٣)! وهكذا تشكلت الوكالة اليهودية أو جهاز الحكومة الاسرائيلية قبل الاعلان الرسمي عن دولة اسرائيل بأكثر من خمس وعشرين سنة ! كما تشكل « الهستدروت » ــ أي الاتحاد العام للعمال اليهود ــ في ديسمبر ١٩٢٠ والذي قال عنه « بن جوريون » « بدون هذا الاتحاد اشك في أننا كنا سنحصل على دولة »(٢٤). وفي عام ١٩٢١ تأسست « الهاجاناه » كجزء من الهستدروت في بادىء الامر وحلت محل « هاشومير »، ثم تطورت في ١٩٣٠ لتشمل اليهود غير الممثلين في الهستدروت ، وفي عام ١٩٣٣ تم تشكيل هيئة أركان دائمة للهاجاناه باعتبار انها

الجيش السري للوكالة اليهودية ، وهكذا تم اعداد كافة الاجهزة الاساسية لنواة الدولة الاسرائيلية وتلقى كوادرهـا العسكريون والاداريون والسياسيون تدريبهـم النظري والعملي ما بين خلايا وتشكيلات الهاجاناه وتنظيمات الوكالة اليهودية بعـد ان يكونوا قد تشربوا بالروح الصهيونية والتربية الاسبرطية الجديدة في « الكيبوتزات » التي كانت معامل اعادة صياغة لليهود المهاجرين . وتعمد هذا الكادر مبدئيا في الاشتباكات الاولية التي وقعت مع الشعب العربي في فلسطين في اعوام ١٩٢١ ، ١٩٢٩ . ثم كانت مرحلة الثورة العربية الكبرى ضد الاستعمار البريطاني والوجود الصهيوني المتزايد في فلسطين في الفترة ١٩٣٦ ـــ ١٩٣٩ ، هي المرحلة التي تطورت فيها « الهاجاناه » . وزادت خلالها حركة بناء المستعمرات « الكيبوتز » على النحو الذي اشار اليـه « آلون » في كتاباته السابق ذكرها عند حديثنـا عن دور « الكيبوتزات » في تشكيـل الواقع الجغرافي ـــ الاستراتيجي للاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي .

ففي هذه المرحلة قدمت سلطات الانتداب البريطاني كل المساعدات العسكرية والتدريبية اللازمة لتدعيم قوة وخبرة « الهاجاناه » حتى تلعب دورا أكثر فاعلية في مقاومة الحركة الثورية العربية وحماية المنشآت البترولية البريطانية . ويروي « آلون » بعض تفاصيل هذه المساعـدات الامبريالية البريطانية فيقول « وفي ذلـك الوقت ساهمت بـادرتان مشجعتان من جانب الانجليز ، في تطور الهاجاناه الى حد كبير . كانت الاولى رسمية ، وهي انشاء « شرطة المستعمرات اليهوديـة » ، وهي قوة كـانت تضم ثلاثة عناصر : أ ـــ عدد صغير من الوحدات المتنقلة ، تدفع مرتباتها وتزودها بالمهمات حكومة الانتداب، للقيام بكافة واجبات الحراسة المحلية . ب ـــ عدد اكبر من قوات الشرطة الخـاصة ، يسمح لها باستخدام اسلحة القوة المتنقلة للتدريب وفي حالات الطوارىء . جـ ـــ وحدات متنقلة تقتصر خدمتها على مناطق محددة ، تمولها الحكومـة ايضا ، وهي المسئولة في مناطقها عن القيام بدوريات الحراسة للطرق والمحصولات ، وتعزيز حاميات المستعمرات التي تتعرض للهجـوم ، ونصب الكمائن للفدائيين العـرب اثناء اقترابهم من المناطـق اليهودية أو انسحابهم منها. أما البادرة الثانية فكانت غير رسمية، وان لم تقل عن الاولى أهمية : فلقد ظهر على مسرح فلسطين الكابتن ـــ الجنرال بعد ذلـك ـــ اورد وينجت Orde Wingate . وكانت مصالح شركة بترول العراق هي التي أدخلته في الصورة . فلقد انزل الفدائيون العرب خسائر جسيمة بخط الانابيب التابـع للشركة والممتد الى مصافي حيفا . ونتيجة لذلـك انشئت وحدة يهودية ـــ انجليزية مشتركـة تحت قيادة وينجت لحماية خط الانابيب الحيوي عرفت باسم « الفرق الليلية الخاصة » . ولكن هذه الفرق كانت اقل عددا وافقر تسليحا من ان تستطيع اداء مهمتها . ولذلك تعاون وينجت سرا مع وحدات الهاجاناه المشابهة لوحدته والتي تمارس نفس المهمة بالفعل ، وكثيرا ما كان يقترض السلاح من ترسانة الهاجاناه للقيام بغاراته وكمائنه ، وكان معظمها يتم ليلا في مناطق شاسعة بالجليل على جانبي خط الانابيب . وفي الصباح كانت الوحـدات غير الرسمية تختفي تماما، وتعود الوحدات الرسمية الى قاعدتها . وقد زودت الهاجاناه قوتي الشرطة هاتين ، الرسمية وشبه الرسمية، بالرجال واستخدمتهما كغطاء لتدريباتها وعملياتها . وكان ظهور « وينجت » ـــ بحماسة الصهيوني غير العادي ـــ حدثا ذا أهمية تاريخية للهاجاناه . . . لقد وهب نفسه دون تحفظ للتعاون مع جيش اليهود السري . وكان زميل « وينجت » على الجانب اليهودي ورفيقه في الفرع السري للهاجاناه « اسحق صاده» ، الذي كان عبقرية عسكرية . . ولقد ادخل مع « وينجت » تعديـلات جوهرية على تكتيكات الهاجاناه »(٢٥) ثم يستمر « ايجال آلون » في سرد تفاصيل عديدة هامة عن الفوائد التي جنتها الهاجاناه من تعاون « وينجت » معها والصفات الممتازة العسكرية التي كانت له والخبرات التي وفرها للهاجاناه نتيجة لذلك مثل « انـه كان يصر على النظام الدقيق ، المرتبط بغرض مفيد مع التركيز على الجوانب العملية لا الشكلية »(٢٥)

ــ وتلك احدى خواص الضبط والربط الاسرائيلي حاليا ــ ومثل « انه كان دقيقا وبالغ الحرص في رسم الخطط التمهيدية للعمليات . وكان يحرص قبل كل عملية على التأكد من ان رجاله يفهمون أسس خطته واهدافها . . . كما كان يحرص على منح السلطة لضباطه وتدريبهم على تولي القيادة ، وبأن يحزموا رايهم ويتخذوا قراراتهم دون الرجوع اليه »(٢٥) . وما زالت هذه الاساليب التنظيمية في القتال مطبقة في الجيش الاسرائيلي ، ومثل انه كان يدرك « أهمية تركيز القوات حول الهدف الرئيسي . . . ومع ذلك فقد كان شديد البراعة في استخدام القوات المشتتة والمتفرقة اذا استدعت ظروف القتال ذلك . كما كان يهتم اهتماما خاصا باستغلال عنصر المفاجأة والحركة السريعة »(٢٥) هذا كما انه كان «يؤكد أهمية الدافع الايديولوجي في الحرب . . . وكثيرا ما كان يستشهد بالتوراة . وكان يؤمن أن الشعب اليهودي شعب فريد ، ومن حقه ان يعود الى وطنه القومي التاريخي »(٢٥) . ومثل انه « لما كان قد وهب نفسه لنظرية الدفاع الايجابي ، اي بلغة العسكرية الاسرائيلية الحديثة نقل الحرب الى أرض العدو،فقد كان شديدالحماس لافكار وعمليات مجموعات الكوماندوز اليهودية التي كانت تتقدم كثيراً اثناء الاشتباكات ولا تكتفي بالقتال من وراء المتاريس . ولقد ساعد الحاقه بعض المقاتلين اليهود بوحداته ، على اتاحة فرصة التدريب العملي لهم في ظروف ملائمة نسبيا . كان « وينجت » يعتبر نفسه من الناحية الفعلية، عضوا في الهاجاناه. وكنا جميعا ننظر اليه كذلك»(٢٥) . وهكذا يلقي « آلون » ــ الذي حرصت على أن انقل كثيرا من أقواله بنصها لشدة دلالاتها ــ ضوءا واضحا على الكيفية التي امدت بها الامبريالية العالمية جيش المرتزقة الصهيوني بالخبرات التنظيمية والقتالية والقيادية فضلا عن الدعم بالسلاح والمال ، ولو انه يحاول جاهدا ان يصور حماس « وينجت » ، وصلاحيته للدور اللورنسي الذي عهدت اليه به المخابرات البريطانية والاحتكارات البترولية ، على انه حماس صهيوني فردي خاص بشخص وينجت نفسه بمعزل عن الاستعمار البريطاني . الا ان « ليدل هارت » ــ المنظر الاستراتيجي البريطاني الشهير والشديد الحماس للصهيونية ودور اسرائيل في المنطقة ــ يروي في مذكراته المنشورة في عام ١٩٦٥ جانبا من قصة وينجت الحقيقية وصلته بجهاز المخابرات البريطاني وبأهداف الاستعمار البريطاني فيقول « لقد زارني وينجت ليبحث ويناقش معي تدريب وتكتيك الوحدات المضادة للعصابات التي كان ينظمها في فلسطين من متطوعين يهود لتواجه العصابات المسلحة العربية التي سببت اضطرابا كبيرا للغاية منذ ١٩٣٦ استوجب ارسال تعزيزات ضخمة من القوات المرابطة في بريطانيا للحامية البريطانية هناك بلغت ما يزيد عن قوة فرقة . وقد أوضح لي وينجت أنه يطبق هناك الافكار التي ضمنتها كتبي المبكرة عن تكتيكات المشاة وكتابي الحديث عن « مستقبل المشاة » . . ولقد كانت وجهات نظره حول الموقف في الشرق الاوسط ، وأهمية الامكانيات العسكرية المتوفرة لدى الشباب الصهيوني ، متطابقة تماما مع وجهات نظري بهذا الصدد . ولذلك كتبت عنه رسالة الى « تشرشل » واخرى الى « ايدن » ايضا»(٢٦) . ويستطرد « ليدل هارت » موضحا ما اورده في رسالته الى « تشرشل » الذي كان « وينجت » شديد الرغبة في الالتقاء به والتي كتب يقول فيها « منذ ايام قليلة مضت التقيت بالكابتن أورد وينجت وهو أحد رجال مخابرات قيادتنا العامة في فلسطين ، والذي يؤدي حاليا دورا مشابها لدور « لورنس » (بطريقة عكسية) في مقاتلة العصابات الارهابية العربية في فلسطين . وقد قال لي انه شديد الرغبة في الحصول على فرصة لقائك . . وقد لخصت لك الاساليب التي يطبقها بنجاح ملحوظ في المذكرة المرفقة بخطابي، والتي أبعث بها اليك بصفة خصوصية . ونتيجة لها فقد اجيز له أن يحاول تطبيقها وأن يشكل ويدرب مجموعات ليلية خاصة لاداء هذا الغرض . ومما يؤسف له ان امكانية توسيع النجاح الذي تحقق بالفعل قد عرقلت بواسطة تردد السياسيين في السماح بتوسيع هذه القوة الخاصة الى الحد الملائم لها لتأدية الهدف المطلوب »(٢٦) . ثم يقول

« ليدل هارت » في مذكراته ان « وينجت » سلمه ملفا ضخما فيه كافة الاوراق الخاصة بتعليماته واوامره الخاصة بالتدريبات والعمليات التي كان يقوم بها بالنسبة لهذه القوة اليهودية ويعرض استعداده لتسليم هذه الاوراق بكل سرور الى مركز الوثائق القومية الاسرائيلي باعتبار ان « وينجت » ذو الذكرى التي لا تنسى في اسرائيل يعتبر بطلا قوميا لديها(٢٦)! ويروي « ليدل هارت » بعد ذلك انه « في ١٩٣٨ وفي العام الذي سبقــه قدم لزيارتي عدد من الزعماء الصهيونيين عندما جاءوا الى لندن في زيارة لها ، ليتبادلوا معي الرأي في الاوجه الاستراتيجيــة للموقف في الشرق الاوسط ، وموقعهم فيه على وجــه الخصوص . وقد كان من بينهم وايزمان ، رئيس اسرائيل في المستقبل ، بن جوريون ، جاليلي ، موشي شرتوك »(٢٦) .

لقد قصدت من ايراد هذه المقاطع الطويلة نسبيا من كتابات ممثل رئيسي من ممثلي الفكر العسكري الاستراتيجي لدى كل من اليهود الصهيونيين والامبرياليين البريطانيين ، حتى تتضح من هذه الوثائق شبه الرسمية والى ان يكشف الغطاء تماما عن الوثائق السرية الكاملة للحركة الصهيونية ومنظماتها العسكرية ولوزارة الخـــارجية والحربية وادارة المخابرات البريطانية وللشركات البترولية الامريكية والبريطانيــة وادارة المخـــابرات الامريكية الخ ، حتى تتضح حقيقة الدور الذي لعبته القوى الامبريالية في امداد الجيش الاسرائيلي السري بكافة مقومات القتال من سلاح وتدريب ، وخبرات تنظيمية وقيادية. وقد تم الجانب الجذري في هذه المسألة اثناء مرحلة الثورة العربية ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ ، وكادت أن تستكمل مسألة تكوين جهاز الدولــة العسكري الاسرائيلي وتنشأ الدولــة رسميا (توصيات لجنة اللورد بيل عام ١٩٣٧ بتقسيم فلسطين الى دولتين احداهمـــا عربية والاخرى يهودية) لولا اضطرار بريطانيا الى مهادنة العرب بسرعة ازاء تصاعد خطر الحرب العالمية الثانية واحتمـــال تحالف القوى العربية مـــع المانيا وايطاليا ضد بريطانيا . فكان أن صدر الكتاب الابيض عام ١٩٣٩ الذي تعهدت فيه بريطانيا بتحديـــد الهجرة اليهودية الى فلسطين بحيث لا تزيد عن ١٠ الاف مهاجر تقريبا كل سنة وبتشكيل حكومة فلسطينية مستقلة يساهم فيها العرب واليهود بعد عشر سنوات . ولكن هذا كان مجرد تأجيل للصراع يتم في غير صالح العرب ، لانـــه ادى الى تصفية القوة الثوريـــة العربية الفلسطينية الرئيسية وهذا يفسر قول « آلون » ربمـــا يكون الصهيونيون قـــد كسبوا حرب فلسطين في الثلاثينات ، ولكن لا جدال في أن اللجنة العربية العليا قد كسبت الصراع السياسي . ويبدو ان القوة المتصاعدة لدول المحور ودعايتها في الشرق الاوسط هي التي أدت الى زيادة القوة السياسية العربية في ذلك الوقت الحرج(٢٧) . والواقع أن هذا الكسب السياسي العربي الذي يتحدث عنه « آلون » والمتمثل في عدول بريطانيا مؤقتا عن تقسيم فلسطين وتكوين دولة يهودية وصدور الكتاب الابيض كان كسبا ظاهريا زائفا فرضته ضرورات تأمين الجبهة الداخلية العربية التي تشكل مؤخـــرات الصراع العسكري بين بريطانيا وفرنسا من جهة والمانيا وايطاليا فوق ساحـــة الشرق الاوسط وحوض البحر الابيض المتوسط . فلقد كـــانت الثورة العربية المسلحة قد هزمت فعلا وقتل الكثير من كوادرها وقادتها (مثـــل عبد الرحيم الحـــاج محمد القائد العام الذي استشهد في ٢٧ مارس ١٩٣٩) كما تفسخت قيادتها السياسية ، بينمـــا انزلق البعض الاخر الى مهاوي الثورة المضادة مثل عناصر حزب الدفاع التي شكلت عصابات مسلحة مضادة للثورة سميت « فصائل السلام » بقيادة فخري النشاشيبي(٢٨) . وتبعثرت بقايا التنظيم السري المسلح للثورة الذي أنشأه أصلا الشيخ عز الدين القسام(٢٩) .

لقد خرجت حركة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني من مرحلة صراع ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ أقوى مما دخلتها بكثير ويلخص « آلون » نتائج هذه المرحلة الهامة التي تقرر فيهـــا في حقيقة الامر مستقبل حركة الصراع العربي ــ الاسرائيلي في عام ١٩٤٨ فيقول « وتحت

ضغط القومية العربية الحربية ، نمت الهاجاناه حجما وقوة ، وضمت الى عضويتها كل يهودي ويهودية في فلسطين تقريبا ، كل يخدم في الوحدة المناسبة . ودربت الهاجاناه عددا كبيرا من ضباط الصف والضباط الشبان ، وحصلت على سلاح أكثر وافضـــل . وفوق ذلك ، نمت طابعها القومي ، ودعمت قيادتها ، وحققت بداية ناجحة في محاولتها انشاء قوة احتياطية دائمة . . وكان هناك بطبيعة الحال بعض النكسات والهزائـــم ، ومع ذلك فانه من الممكن أن نقول ان هذه الفترة بصفة عامة هـــي التي أعطت النصر لليهود . ان مستعمرة واحدة لم يهجرها سكانها ، وبنيت مستعمرات جديدة ، وتكونت مجموعات من المستعمرات في مناطق هامة . وعندما وجد العرب ان هجماتهم تتزايـــد تكاليفها على الدوام ، بدأت مبادرتهم تتلاشى بالتدريج ، حتى امكن تحقيق سلام نسبي ــ وكان سلاما غير مستقر ــ في ربيع ١٩٣٩ »(٣٠).

وواصلت الهاجاناه نموها كميا وكيفيا اثناء الحرب العالمية الثانية بفضل الدعم المستمر المقدم لها في صور عديدة من جانب بريطانيـــا والولايات المتحـــدة والمنظمة الصهيونية العالمية . فقد اخذت بريطانيا تجند في صفوف جيشها خـــاصة في فلسطين الاف اليهود بصورة اوسع بكثير مما حدث خلال الحرب العالمية الاولى وبدأ التفكير في انشاء لواء او فرقة يهودية يأخذ سبيله الى التنفيذ منذ عام ١٩٤٠ ، فقد كتبت « مسز دوجال » ابنة أخ اللورد « بلفور » في مذكراتها يوم ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ تقول « أنه يوم سعيد ، بل يوم عظيم ، ففيه يجتمع حاييم (تقصد وايزمان) باللورد لويد وانتوني ايدن . وقـــد علمت منهم ان آمالنا كلها قد تحققت . ويجري تحضير قوة مقاتلة يهودية تعدادها عشرة الاف رجل ، يجند ثلاثة آلاف منهم في فلسطين . . . وقد قابلت « حاييم » بعد الظهر وهو يكاد يطير من الفرح وقال لي : انه يوم يعادل في عظمته يوم اعلان وعد بلفور . وكان وينجت حاضرا ايضا . وفي اليوم الثاني شرح لي خطته وتقدمه في مضمار التجنيد والتدريب ، ورأيه في كيفية استخدام القوة اليهودية المقاتلة في المستقبل »(٣١). كما كتب « تشرشل » في مذكراتـــه عن الفترة يونيو ــ اغسطس ١٩٤٠ بخصوص الوضع في مصر والشرق الاوسط يقول « لقد أردت أن أسلح اليهود في « تل ابيب » ، الـــذين يستطيعون ، متى توفرت لهم الاسلحة المناسبة ، أن يقاتلوا بكفاءة ضد جميع الغزاة »(٣٢). وقد تم بالفعل تجنيد الالاف من المتطوعين اليهود داخل وحدات الجيش البريطاني اثناء الحرب . وحول هذه المسألة يقول الكاتب الامريكي « روبرت دونوفان » في كتابه المسمى « **اسرائيـــل تقاتل من اجل البقاء** » « لقد استطاعت الجالية اليهودية في فلسطين ــ التي كان عددها لا يزال لم يتعد بضعة مئات قليلة من الالاف ــ ان تعبيء قوتها الى حدها الاقصى من أجل الحرب . فقد تم تجنيد نحو ٢٧ ألفا من أبنائها في الجيش البريطاني ، حيث اشتركوا في القتال ضمن اللواء اليهودي الذي حارب الالمـــان والايطاليين في أوروبا . وفي داخـــل فلسطين نفسها كان هناك الجيش السري المعروف باسم « الهاجاناه » والذي أوجد منذ فترة طويلة لحماية المستعمرات اليهودية ، وقد أصبح قـــوة ضاربة صغيرة ولكن ذات فاعلية قوية . وعندمـــا أخذت قوات رومل تقتـــرب من قناة السويس ، استجـــابت « الهاجاناه » لنداء بريطانيا بطلب المساعدة وخاضت القتال معها . وعندما انقشع خطر الغزو الالماني ، عادت الهاجاناه مرة اخـــرى الى السرية . وبعد أن أثبتت الهاجاناه قدراتها القتالية على هذا النحو ، أخذت تعد نفسها لخوض حرب من اجل تأسيس دولة يهودية . وبمجيء يوم النصر في نهاية الحرب العالمية الثانية ، كان اليهود قد قطعـــوا شوطا طويلا في اعداد انفسهم للصراع الموشك الوقوع من أجل اقامة دولتهم »(٣٣). ويروي الكاتب البريطاني « جوردون لاندزبورو » في كتابه « **الاغارة على طبرق** » عـــن تفاصيل اشتراك مجموعة خاصة من اليهود ذوي الاصل الالماني والموطن الفلسطيني في الاغارة الفدائية التي قامت بها وحدات الكوماندوس البريطانية على قاعـــدة المحور في طبرق خلال شهر سبتمبر عام ١٩٤٢ ، وأن هذه المجموعة كانت تضم ٢١ يهوديا من بينهم

ضابطين وكان يعهد اليها بمهـام خطرة خاصة ، وأنها كانت تعـرف في صفوف القوات البريطانية باسم "Special Identification Group" وكان نشاطها وأفرادها محاطون دائما بسرية وغموض(٣٤).

هذا ويقول الكاتب الامريكي « كينيت لوف » في كتابه «**حرب السويس التي وقعت مرتين**» « لقد منحت الحرب العالمية الثانية رجال « الهاجاناه » فرصا طيبـة ليس فقط لخوض القتال ضد النازية ولكن ايضا في الحصول على التدريب والاسلحة من اجل الامل المتوقع حدوثه وهو اقامة دولة في فلسطين بالقوة . وقد سعت الوكالة اليهودية باستمرار طوال متابعتها لاهدافها هذه ، لتحصل على حق تشكيل جيش يهودي ، ولكنهـا لم تنجح في مساعيها هذه الا متأخرة وبصورة جزئية . وقد التحق معظم الشباب اليهودي بالجيش البريطاني كأفراد . وبلغ عددهم أكثر من ١٤ ألفـا عند نهاية الحرب . وقـد اعتبروا أنفسهـم يخدمون اثنين من السادة ، قيادة الهاجاناه والقيادة البريطانية أيضا ، وقـد انتهزوا الفرص التي تتيحها ظـروف الحرب وقاموا بسرقة كميات ضخمة من الاسلحة والذخيرة نقلوها الى المستودعات السرية للهاجاناه . ولقد كانت تلك الاسلحة والتدريب عناصر هامة للغاية خلال الحرب العربية ـ الاسرائيلية في عام ١٩٤٨ »(٣٥).

ولقد أفادت الهاجاناه كثيرا من تدريب آلاف اليهود كجنـود في الجيش البريطاني ، أو كجنود ضمن الفرقة اليهودية المستقلـة التي وافقت الحكومة البريطانية رسميا علـى تشكيلها في مارس ١٩٤٥ وساهمت في المعارك الاخيرة ضد المانيا الهتلرية . هذا وقد شكلت الهاجاناه في مايو ١٩٤١ قوة خاصة ضاربة دائمة التعبئة مستقلة عـن الجيش البريطاني عرفت باسم « البالماخ » (أي الصاعقة) بدعوى الاستعداد لمواجهة احتمالات الغزو الالماني لفلسطين ووضع خطة مفصلة لذلك الاحتمـال بالاشتراك مع بريطانيا . ولقد ساهمت بريطانيا مساهمة فعالة في انشاء هذه الوحدات من نواحي التدريب والتمويل والتسليح . ويقول « آلون » بصدد نشأة وتطور وحدات « البالماخ » ـ التي لعبت دورا هاما في حرب ١٩٤٨ والتي تولى قيادتها منذ عام ١٩٤٥ ـ « ان التعاون مع الانجليز ، قد أعطى « البالماخ » ، رغم قصر حياته ، فرصة فريدة لتدريب عسكري افضل في ظروف علنية ، وبالتالي أكثر سهولة ، على ايدي مدربين من البالماخ نفسها او من الانجليز . وقد تخصصوا في التخريب وعمليات الكوماندوز وأعمال المخابرات والاتصالات من النوع المطلوب لمحاربة الالمان اذا وصلوا الى فلسطين . وبغطاء من المئات القليلة الذين اعترف بهم الانجليز ومولوهم ، تلقى الالاف من شباب اليهود تدريبا وخبرات عسكرية مماثلة . وقد عمل بعض افراد البالماخ مستقلين كمظليين محاربين في دول البلقان . . . واشترك البعض الاخر مع القوات البريطانية ، في غارات عميقة وراء خطوط العدو في الصحراء الغربية . كما قام آخرون ـ ممن يتقنون الالمانية ـ بالتسلل الى معسكرات الالمـان لاغراض المخابرات ، ولنفس المهمة تنكر اخرون كعرب ودخلوا سوريا ولبنان استعدادا لاحتمال غزو الماني للبلدين . . . وبدأ ادخال مستوى الكتيبة كوحدة تكتيكية ، كما بدء في تكوين الالوية ، ولكن لم يسمح لذلك بأن يكون على حساب مرونة البالمـاخ كقوة حرب عصابات . . . ان تدريب البالماخ ، المتعدد الاهداف ، كان من أعظم مقوماتها . فلقد تلقى افرادها تدريبا بدنيا صارما من النوع الاسبارطي ، تعلموا استخدام مختلف الاسلحة ، من السكين والقنبلة اليدوية الى الرشاشات ومدافع الهاون والمفرقعات . ودرسوا على الطبيعة طبوغرافية البلاد في طولها وعرضها . . بل انهم كرسوا جزءا كبيرا من دراستهم لمعرفة العادات القومية والهياكل العسكرية لاعدائهم المحتملين في المستقبل . . ولما كانت البالماخ هي القوة اليهودية الوحيدة الدائمة التعبئة ، فقد أخذت على عاتقها خلق نواة لسلاحين جديدين ، اسطول وقوة جوية . وتم استخـدام النوادي الرياضية ، البحرية والجوية ، في تدريب عشرات الجنود على قيادة الطائرات البسيطـة . . ودرب مئات

الجنود كبحارة محترفين .. وفي السنة الثالثة من حياة البالماخ تقرر انشاء نظام للاحتياط خاص بها الخ .. »(٣٦)! ويستطرد « آلون » موضحا الكيفية التي خلقت بها نواة الجيش الاسرائيلي بمعاونة الاستعمار البريطاني تمهيدا للاستيلاء على فلسطين وطرد شعبها ، الذي تفككت قياداته القديمة المتخلفة اثر ثورة ١٩٣٦ وافتقد وجود قيادة ثورية في مستوى الموقف طوال هذه المرحلة الهامة من تنفيذ المخطط الامبريالي ، فيقول « لقد كانت البالماخ معمل التجارب للهاجاناه ، تختبر فيه الاساليب الجديدة للتدريب والتنظيم (المكتسبة طبعا من وينجت وامثاله من كوادر الامبريالية العالمية) .. لقد كانت في الواقع اول جيش يهودي دائم التعبئة يعمل تحت سلطة يهودية كاملة الاستقلال .. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية كان هناك أربع كتائب بالماخ جيدة التنظيم والتدريب والانضباط ومستعدة دائما للعمل ، وحولها وحدات اخرى كثيرة للهاجاناه ، على استعداد للتعبئة كلما دعت الضرورة »(٣٦). ثم يقول في موضع اخر « لا شك ان الحرب العالمية الثانية بصورة عامة ، قد زادت من قوة المجتمع اليهودي في فلسطين زيادة كبيرة. لقد اكتسب عشرات الالوف من المتطوعين اليهود في مختلف فروع القوات البريطانية المسلحة تدريبا عسكريا قيما وخبرة فنية طبية ، ولقد جلبوا معهم خبراتهم هذه الى الهاجاناه ، مما عاد عليها بفوائد كبرى في مراحل تالية »(٣٦).

وقد قال « بن جوريون » الذي كان يتولى زعامة الوكالة اليهودية طوال فترة الحرب ـــ أي الحكومة الاسرائيلية السرية ـــ بصدد فوائد التعاون مع الانجليز اثناء الحرب « لم يكن في وسعنا ان نحصل مطلقا على وحدات المدفعية التي لدينا الان لو لم نلبس البزة العسكرية البريطانية . وليس هذا كل شيء ، فهل كنا نستطيع ان ندرب عشرين الف الشاب الموجودين في الجيش النظامي ذلك التدريب الذي تلقوه ؟ »(٣٧). وهكذا تكاملت للقيادة السياسية والعسكرية الاسرائيلية العاملة في خدمة الامبريالية في منطقة الشرق الاوسط كافة معطيات الاستراتيجية العسكرية المطلوبة لتنفيذ مخططها عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وعشية حرب ١٩٤٨ الوشيكة الوقوع .

الصراع البريطاني ـــ الامريكي حول فلسطين عشية حرب ١٩٤٨ :

بحكم أن الاستراتيجية الاسرائيلية الشاملة وثيقة الاتصال والتأثر بالعوامل الدولية الخارجية ، وهي مسألة مؤثرة في أي استراتيجية بصفة عامة الا انها ذات وضعية أكثر خصوصية بشكل كبير بالنسبة للاستراتيجية الاسرائيلية بالذات ، نظرا للعلاقة العضوية بين الحركة الصهيونية وحركة الامبريالية العالمية . لذلك يكون من الضروري لاي دراسة موضوعية لمجرى تطور الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية خاصة في الفترة التي تلت انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى قيام دولة اسرائيل في مايو ١٩٤٨ وطوال مرحلة الحرب النظامية العربية ـــ الاسرائيلية الاولى التي انتهت في يناير ١٩٤٩ ، ان تدرس واقع التناقض البريطاني ـــ الامريكي، الناتج من محاولة الولايات المتحدة تصفية نفوذ ومصالح بريطانيا منمنطقة الشرق الاوسط ، وباديء ذي بدء من فلسطين باعتبارها اضعف حلقات مراكز السيطرة والنفوذ البريطاني نتيجة لوجود عناصر الدولةالاسرائيلية الكامنة فيها ، وباعتبار ان نقطة البداية بالنسبة للقوى الامبريالية الراغبة في ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية في احكام سيطرتها على المنطقة اقتصاديا واستراتيجيا (وفقا لاسلوب الاستعمار الجديد الذي كانت ملامحه الاولية قد بدأت في التشكل) هي ضمان ولاء وتبعية الدولة الصهيونية التي توشك ان تولد في المنطقة ، باعتبار أنها تجمع المرتزقة العصريين العاملين في خدمة الدول الرأسمالية ضد شعوب المنطقة كما حددت وثيقة مؤتمر « كامبل بنرمان » المبكرة في عام ١٩٠٧ السابق الاشارة اليها . لقد عملت الولايات المتحدة منذ وقت طويل وقبل أن تصبح قوة مؤثرة وذات مصالح جوهرية في الشرق الاوسط والوطن العربي ، اي منذ الحرب العالمية الاولى ، على قيام الوطن

القومي لليهود والدولة الصهيونية في فلسطين ، وذلك كما توضح كثير من الوثائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية ومنها على سبيل المثال الوثيقة السابق الاشارة اليها والخاصة بتقرير لجنة الخبراء الامريكيين الى الرئيس « ويلسون » في عام ١٩١٩ . ومنها أيضا الاتفاقية الانجلو امريكية بشأن فلسطين عام ١٩٢٤ .

هذا فضلا عن التصريح الواضح المحدد الذي قاله الرئيس « ولسون » في مارس ١٩١٩ الذي جاء فيه « لقد قررت الامم المتحالفة الى جانب التأييد القوي لحكومتنا وشعبنا وضع الاساس للدولة اليهودية في فلسطين »(٣٨) .

لقد مارست الولايات المتحدة الامريكية سياسة حذرة معقدة تجاه العالم العربي خلال فترة ما بين الحربين بحكم انها تسعى للتسلل التدريجي الى منابع الثروة البترولية في المنطقة وتوجد لها موطىء قدم وسط المنافسة القوية من جانب الدولتين اللتين اقتسمتا المنطقة باتفاقية « سايكس — بيكو » بريطانيا وفرنسا ، وقد حصلت بالفعل على امتيازات بترولية في البحرين عام ١٩٣٢ ، ثم في السعودية عام ١٩٣٩ « ولذلك كانت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية تسعى الى المحافظة امام الدول العربية على الوقار الخارجي لانشطتها السياسية . فامتنعت حكومة الولايات المتحدة الامريكية عن الاعتراض الرسمي على حكومة بريطانيا ، وعن التأييد العلني للصهيونيين ، ولكنها كانت تلهب المشاعر ضد الانجليز بجميع الوسائل .. وفي فترة الحرب العالمية الثانية استمرت الولايات المتحدة في ممارسة نفس الخط السياسي وهو « عدم التدخل » في الامور الفلسطينية ولكنها في الوقت نفسه كانت تمارس نشاطا سريا فعالا »(٣٩) .

وفي مايو ١٩٤٤ قدم الى الكونجرس الامريكي ومجلس الشيوخ مشروع قرار يعلن النواب بمقتضاه ان الولايات المتحدة الامريكية ستقدم خدمات جليلة باتخاذ « الاجراءات المناسبة للتصريح بهجرة اليهود غير المحدودة الى فلسطين واعتبار فلسطين دولة يهودية ديمقراطية حرة »(٣٩) . وقد تأجل التصويت على هذا القرار واعلانه في اللحظات الاخيرة قبل صدوره مراعاة لحساسيات ظروف الحرب والمجهود الحربي ضد المحور في الشرق الاوسط(٣٩) .

ولقد كان هذا القرار هو مقدمات طلب الرئيس «ترومان» الى «آتلي» في ديسمبر ١٩٤٥ بالسماح بهجرة مائة الف يهودي بصفة اضافية وكافة نشاطات الولايات المتحدة الاخرى التي تبعته تجاه القضية الفلسطينية حتى صدور قرار التقسيم في عام ١٩٤٧ . كما كان هذا القرار وغيره من القرارات والخطوات العلنية التأييد لسياسة انشاء اسرائيل في قلب الوطن العربي ، نتاج التسخين المباشر للسياسة الامريكية تجاه الموضوع الذي ترتب على عقد اللجنة الامريكية للشئون الصهيونية مؤتمر « بلتمور » في نيويورك في مايو عام ١٩٤٢ . وهو المؤتمر الذي أسفر عن تأييد الطلبات التي قدمها « بن جوريون » الى الرئيس « روزفلت » في بداية العام . وتتلخص في ضرورة مقاومة سياسة الكتاب الابيض البريطاني الصادر في ١٩٣٩ ، وفتح أبواب الهجرة غير المحدودة الى فلسطين ، واهمية تشكيل لواء يهودي مستقل يحارب الى جانب الحلفاء ، وتطوير فلسطين بعد انتهاء الحرب الى كومنولث يهودي ضمن ديمقراطيات العالم(٤٠) .

هذا وقد كتب « بن جوريون » ، حول رأيه في مراكز الثقل في السياسة الدولية ابتداء من عام ١٩٤١ ، يقول « لم أعد أشك في أن مركز الجاذبية لعملنا السياسي في الميدان الدولي قد انتقل من بريطانيا الى الولايات المتحدة التي تزعمت العالم وتحتوي على مجموعة كبيرة من اليهود . ان اوروبا أصبحت في قبضة النازيين وانها حتى بعد أن تتغلب على المانيا ستكون منهوكة القوى وستكون معتمدة اقتصاديا على امريكا لسنوات عديدة بعد التحرر ، حتى المسائل السياسية ستكون تحت التأثير الامريكي »(٤١) .

وهكذا وضعت الحركة الصهيونية نفسها بالكامل فيخدمة السيد الامريكي صاحب ملايين ومليارات الدولارات والوريث الشرعي المقبل للامبراطورية البريطانية في الشرق الاوسط ، وانطلقت امريكا بسرعة في تدعيم استيلاء عصابة المرتزقة الصهيونيين ، او جنود الصدام النازيين الجدد ، على فلسطين ذات الموقع الاستراتيجي الهام للسيطرة على الشرق الاوسط ، ليؤدوا الدور المطلوب منهم ضمن سياسة الاستعمار الجديد التي تمارسها . ولذلك انطلقت العصابات الاسرائيلية المسلحة السرية « الهاجاناه » و« الارجون » و« شتيرن » ــ بتوزيع متقن للادوار وان كان يعكس بعض الاختلاف في منهج التطبيق ــ تمارس ضغطا عسكريا شديدا على بريطانيا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة تقريبا وحتى عام ١٩٤٧ حين أعلنت بريطانيا رغبتها في احالة المشكلة على هيئة الامم المتحدة . فكانت عمليات نسف وتخريب خطوط السكك الحديدية ومختلف مرافق حكومة الانتداب ومهاجمة المطارات وسرقة مخازن السلاح وقتل الجنود الانجليز وجلد ضباطهم علنا في شوارع المدن . كل ذلك والسلطات البريطانية لا تستطيع ولا تريد ان تتخذ اجراءات حاسمة مضادة للعصابات الاسرائيلية كالتي كانت تتخذها في « كينيا » أو «الملايو» مثلا ! لقد كانت بريطانيا تريد حلا بريطانيا صرفا لمشكلة فلسطين، حلا يضمن انشاء دولة اسرائيلية تعمل في خدمتها أساسا وضمن كومنولث بريطاني ــ عربي ــ اسرائيلي يضمن مصالحها بعيداً عن تزايد النفوذ الامريكي وسيطرته . ولذلك عملت على الحد من الهجرة والتقليص النسبي لقوة العصابات السرية بواسطة حملات التفتيش عن الاسلحة وضبطها ومقاومة سفن الهجرة غير المشروعة الخ. وقد كان هذا هو محتوى المشاريع البريطانية المختلفة المقدمة الى العرب واليهود عقب الحرب (مشروع « موريسون » المقدم في سبتمبر ١٩٤٦ في مؤتمر لندن الذي كان يتضمن تقسيم فلسطين الى ٤ أقسام ، منطقة عربية واخرى يهودية ، منطقة القدس ، منطقة النقب ، مع وجود حكومة مركزية مختلطة تشمل فلسطين كلها تتولى شئون الدفاع والخارجية والجمارك تتبع المندوب السامي البريطاني . ثم مشروع « بيفن » المقدم في ١٩٤٧ الذي لا يختلف كثيراً عن مشروع موريسون) وقد اتبعت « الهاجاناه » ــ خلال المرحلة التي امتدت من عام ١٩٤٥ حتى فبراير ١٩٤٧ حين أعلنت بريطانيا تحويل مشكلة فلسطين الى الامم المتحدة ، ــ استراتيجية عمليات عسكرية محدودة يطلق عليها « آلون » اسم « استراتيجية الحرب البناءة »(٤٢) يمكن تلخيصها في الآتي :

تنشيط الهجرة السرية بكل الطرق بحرا وبرا وطوال الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨ عبرت البحر الابيض المتوسط ٦٥ سفينة وبلغ عدد المهاجرين نحو ١٠٠ الف معظمهم ممن كانوا في معسكرات الاعتقال النازية . وانشاء مستعمرات « كيبوتزات » جديدة في « المناطق الحيوية استراتيجيا لمواجهة الاحداث المتوقعة »(٤١) . ثم توجيه ضربات عسكرية محدودة الى مراكز الجيش البريطاني والادارة البريطانية وفقا لتكتيكات حرب العصابات في المدن والمقاومة السرية ، وعلى أساس « ان تتجنب الخسائر في الارواح او على الاقل تنخفض بها الى الحد الادنى سواء على الجانب البريطاني او اليهودي في جميع عملياتها »(٤١) . ولقد كان هدف هذه الاستراتيجية كما يقول « آلون » تمهيد الارض لنشاط صهيوني في لندن وفي غيرها من العواصم وفي الامم المتحدة ، توجهه وتنسقه الادارة السياسية للمجلس التنفيذي للصهيونية العالمية في القدس ... لقد كنا نفضل هدف ارغام بريطانيا على تسليم انتدابها الى الامم المتحدة »(٤١) . وبطبيعة الحال كانت أمريكا في الامم المتحدة توجهها كما تشاء .

ويستطرد « آلون » فيقول « كان هدف العمليات الحربية هو تقويض مركز القوات البريطانية وشعورها بالامن ومكانتها ، وفوق ذلك كله اقناع « هوايت هول » مرة اخرى وأخيرة أنه بدون موافقة اليهود لن تستطيع بريطانيا ابقاء فلسطين كقاعدة آمنة ومفيدة في هذه المنطقة الحيوية... وفي النضال العسكري ذاته ، أثبتت الاستعدادات

التي تمت أثناء الحرب — بمساعدة الانجليز الى حد كبير — لمقاومة الغــزو الالمــاني المحتمل ، قيمتها الكبرى للوحدات ، التي أصبح عليها الآن ان توجه عمليــاتها ضد الانجليز »(٤١) .

لقد كانت مرحلة استراتيجية « الحرب البناءة » هذه التي مورست فيها عمليات حرب عصابات محدودة وتهريب للمهاجرين وبناء مستعمرات جديدة سرا أثناء الليل خلال يوم واحد الخ ، مرحلة أخيرة قبيل المعركة الشاملة الكبيرة المنتظرة مع العرب عند اعــلان الدولة ، تم فيها تدشين وحدات الجيش الاسرائيلي السري ظاهريا واكسابها مزيدا من الخبرات القتالية اللازمة للمرحلة القادمة مرحلة حرب ١٩٤٨ . فعمليات تنظيم وصول سفن الهجرة السرية التي كانت تنظم رحلاتها « قيادة الهاجاناه السرية في اوروبا التي تتكون أساسا من رجال البالماخ ، واليهود الفلسطينيون الذين كانوا يخدمون في الجيش البريطاني ولكنهم بقوا في اوروبا بعد الحرب خصيصا لهذا الغرض ، وبعض مقاتلــي احياء اليهود في اوروبا والانصار وغيرهــم »(٤١) قد مكنت « الهاجاناه علــى ان تطور نفسها الى منظمة عسكرية قادرة على التخطيط والتوجيه والتنفيذ في مثل هذه العمليــة المعقدة . كما انه زود الوحدات التي اشتركت في عمليات الانزال الفعلية على الشاطىء بخبرات قيمة عن العمليات الساحلية المشتركة بكل ما تتضمنه من جوانب خاصة بالنقل والامداد والتموين وغيرها من النواحي التنظيمية والادارية . . . كما تعلم المجتمع اليهودي في فلسطين — من خبرة مشاركته الصادقة في المشروع — قيمة ان يكون له دولة »(٤١) . كما أن عمليات انشاء المستعمرات الجديدة سرا (أي بناء هيكل مؤقت للكيبوتز أثنــاء الليل ينشأ عنه أمر واقع لنواة مستعمرة تستكمل بعد ذلك وذلك مثلما كان يحدث فــي الثلاثينات مع فارق ان مستعمرات الثلاثينات المؤقتــة كانت تبنى خلال نهار واحــد بينما مستعمرات مرحلة الاشتباك مع الانجليز كانت تبنى في ليلة واحدة) قد زادت هي الاخرى « كثيرا من خبرة الهاجاناه العسكرية . وكان تخطيط هذه العمليات يشمــل اختيار الموقع وصنع المستعمرة الجاهزة واقامتها ، ومعالجة ترتيبات النقل والدفــاع والتعاون بين المدنيين والجنود وقد ساعدت هذه العمليات على تطور الهاجــاناه كقوة عسكرية »(٤٢) .

ويستطرد « آلون » — ونحن نحرص على اثبات الحقائق التي تعالجها دراستنا هذه من واقع نصوص كتابات واقوال قادة العدو الصهيوني أنفسهم قدر الامكان — موضحــا الخبرات التي اكتسبتها الهاجاناه خلال هذه المرحلة الهامة التي سبقت حرب ١٩٤٨ مباشرة ، فيقول « ومع ذلك فان اعظم الخبرات ، كانت تلك التي قدمتها العمليــات الحربية بمعناها الضيق ، سواء كانت صغيرة او كبيرة . كانت الاهداف المختارة لهــذه العمليات الحربية هي السكك الحديدية والجسور والعربات المصفحة ومراكز الشرطة والقواعد العسكرية ومعسكرات الاعتقال ومحطات الرادار والزوارق المسلحة والسفن في فلسطين وفي قبرص . . . لقد اتيح لكل فرد من افراد البالماخ وعدد كبير من افــراد الوحدات الاخرى التابعة للهاجاناه ، فرصة اكتساب خبرة قتالية على جميع المستويات ، وقد تم هذا عمدا لصهر قدراتهم القتالية وروحهم المعنوية واعدادهم لمهام أكبر فــي المستقبل »(٤٢) .

والواقع أن سياسة « استراتيجية الحرب البناءة » هذه كانت قد أقرت في المؤتمر الثاني والعشرين للحركة الصهيونية الذي انعقد في « بال » في ديسمبر ١٩٤٦ ، والذي تم خلاله رسميا استكمال سيطرة الجناح الموالي لامريكا في الحركة الصهيونية على قيادة الحركة ، اذ أشار الدكتور « موشيه سنيه » ، وهو أحد اعضاء الوكالة اليهودية ، الى ان « النفوذ السياسي للولايات المتحدة الامريكية وحده مع ضغط قوى اليهود الفلسطينيين المسلحة بمقدورهما ارغام بريطانيا على تنفيذ مطالبنا »(٤٣) .

واخيرا عندما أدركت بريطانيا انها لا تستطيع الاستمرار في السيطرة علـــى فلسطين بأسلوب الانتداب في مواجهة هذا الضغط الامريكي ، وانها لا تستطيع ايضا ان تخلق دولة اسرائيلية في جزء منها وفقا لمتطلبات السياسة البريطانية ومصالحها في المنطقـــة وبعيدا عن النفوذ الامريكي ، قررت في فبراير ١٩٤٧ احالة المشكلة الفلسطينية برمتهـــا الى الامم المتحدة . وقد ألقى وزير المستعمرات البريطاني «كريتش جونز» بعض الضوء على دوافع ومرامي سياسة بريطانيا في احالة المشكلة الى الامم المتحدة ، حين قـــال أثناء مناقشة المشكلة بمجلس العموم وقتئذ « اننا نتوجه الى هيئة الامم المتحدة لا لكي نرفض الانتداب ولكننا نذهب الى هيئة الامم المتحدة نضع المشكلة كي نحصل علـــى نصيحة في كيفية ادارة الانتداب . فاذا كان الانتداب لا يضار بهذا الشكل الحالي فنحن نريد ان نستوضح كيف يمكن تحسينه »(٤٤) .

لقد أرادت بريطانيا أن تضع الضغط الامريكي تحت دائرة ضوء المجتمع الدولي لعلهـــا تحصل منه على سند سياسي يساند موقفها في فلسطين ، ويجعلها تستطيع ان توجد اسرائيل بريطانية الولاء كما كان القصد أصلا والهدف منذ صدور وعد « بلفور » عام ١٩١٧ ، حين كانت هي الدولة المتزعمة للعام الرأسمالي الامبريالي ، اي حينما كانت هي « بريطانيا العظمى » وكانت عصبة الامم ـــ التي رفضت امريكا الدخول فيها ـــ أداة قوية في يدها دوليا . ولكن هيئة الامم ، تلك المنظمة الدولية الجديدة التي تشكلت فـــي ظروف عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، الذي انتزعت فيه الولايات المتحدة الامريكية عالم الزعامة الامبريالية ، قررت تقسيم فلسطين يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الى دولتـــين احداهما يهودية والاخرى عربية بضغط امريكي حاد وشديد على الدول الصغرى ، وكان قرار التقسيم هذا مجرد الخطوة الاولى الممكنة في ظل مختلف الظروف والتناقضـــات الدولية والمحلية وخاصة التناقض البريطاني ـــ الامريكي لاقامة دولة اسرائيل . وعلى أن يتم فيما بعد بطبيعة الحال استكمال سيطرة هذه الدولة على البلاد كلها على ضوء المتغيرات المنتظرة في السنوات التالية لصالح امريكا عندما تنحسر شمس الامبراطورية البريطانية الغاربة عن المنطقة تدريجيا . وكان ان تحدد يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ كموعـــد نهائي لانسحاب القوات والادارة البريطانية من فلسطين ، أو بالاحرى من الجزء المقرر اقامة اسرائيل عليه مؤقتا . هذا وقد ترك الصراع البريطاني ـــ الامريكي على فلسطين بصماته بوضوح على مختلف مراحل المواجهة العربية ـــ الاسرائيلية المسلحة المسماة بحرب ١٩٤٨ .

الهاجاناه تستكمل ترسانة سلاحها السرية :

في ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ ذهب « بن جوريون » الى الولايات المتحدة الامريكيـــة ليدرس ويبحث امكانيات الحصول على السلاح من هناك ، بعـــد أن انتهت الحرب العالمية الثانية وانتهت معها مرحلة التعاون الوثيق بين الوكالة اليهودية والهاجاناه وبين السلطات البريطانية في فلسطين وبات الصدام معها وشيكا ، وبالتالي أصبح من المتوقع أن تنتهي سياسة التغاضي شبه الرسمية من جانب السلطات البريطانية عن عمليات انتقال الاسلحة من مستودعات الجيش البريطاني عن طريق « السرقة » الى مستودعات الهاجاناه السرية . وقد عقد « بن جوريون » و« العازر كابلان » و« وريفين زاسلافي » ، اللذان صحباه من فلسطين في رحلته هذه ، اجتماعا سريا يوم ٧ يوليو ١٩٤٥ في منزل احد كبار رجال الاعمال اليهود الامريكيين يدعى « رودلف سونبرن » بمدينـــة نيويورك حضره ١٥ شخصا آخر من أعضاء المنظمة الصهيونية العالمية الامريكيين . وقد طلب « بن جوريون » في الاجتماع تكوين لجنة أو هيئة سرية في الولايات المتحدة تتولى تدبير الاموال اللازمة للحصول على الاسلحة من امريكا والقارة الامريكية بصفة عامة وتدبير وسائل نقله الى فلسطين سرا . وقد تكونت بالفعل هيئة سرية اطلق عليها « مؤسسة

سونبرن » تولت جمع ملايين الدولارات وأنشأت مكاتب لشراء الاسلحة وشركات وهمية تتولى شحنها بعد شرائها أو الحصول عليها مجانا من مخازن سلاح الجيش الامريكي . وقد شملت هذه الاسلحة المشتراة أو المأخوذة من أمريكا عددا من الدبابات الخفيفة والمدفعية الخفيفة والمتوسطة والسيارات المدرعة الخفيفة وسيارات النقل(٤٥).

وكان يجري فك أجزاء هذه الاسلحة وشحنها بالسفن أو الطائرات ـ فقد شكلت مؤسسة سونبرن شركة طيران وهمية تضم بعض طائرات النقل الامريكية ـ على أنها آلات زراعية . هذا ويقول « بن جوريون » بصدد هذه الوقائع في تسليح الهاجاناه « منذ نهاية الحرب اهتميت في البحث عن أسلحة ثقيلة وقد استجاب الامريكيون لي واشترينا أسلحة بقيمة ما يقارب مليون دولار هربناها الى فلسطين رغم مراقبة حكومة الانتداب . ووافقت فرنسا وتشيكوسلوفاكيا على بيعنا الاسلحة على أن تجلب الاسلحة الثقيلة بعد قيام الدولة »(٤٦).

وبالاضافة الى هذا فقد تم شراء آلات مصانع صغيرة لصنع الاسلحة الخفيفة والذخيرة سرا داخل فلسطين من الولايات المتحدة . وحول هذه المسألة أيضا يقول « بن جوريون » « بأقل من مليون دولار اقتنينا عتاد المعامل الحربية الذي يساوي عشرات الملايين ، والذي نقل الى فلسطين كاملا سالما »(٤٧) . وقد ضمت هذه الالات الى ما كان موجودا من ورش صنع السلاح السرية الاخرى في فلسطين منذ الحرب العالمية الثانية والتي ساعدت بريطانيا على انشائها لتزويد قواتها في الشرق الاوسط ببعض احتياجاتها من الذخيرة والاسلحة الخفيفة مثل رشاشات « ستن » ، الالغام ، القنابل اليدوية « ميلز ٣٦ » الخ. وهناك احصائية تقول انه حتى شهر مارس ١٩٤٨ كانت المصانع الحربية الصغيرة السرية اليهودية تنتج ١٠٠ رشاش خفيف يوميا ارتفعت الى ٢٠٠ مدفع بعد ابريل ١٩٤٨ ، نحو ١٥٠ ألف قنبلة يدوية ميلز ، حوالي ٣٠ ألف قذيفة هاون عيار ٣ بوصة ، ٤٠٠ ألف طلقة عيار ٢٣ مم للرشاشات شهريا(٤٨).

هذا ويقول « بن جوريون » أيضا بصدد صفقات السلاح السرية التي تمت قبل اعلان الدولة الاسرائيلية رسميا « كان أول مبلغ كبير تلقيته لشراء الاسلحة الثقيلة هو ٣ ملايين دولار وذلك بناء على قرار الهيئة الصهيونية التنفيذية في باريس في أغسطس ١٩٤٦ . أما في عام ١٩٤٧ فقد رأيت ان هذا المبلغ لا يكفي على الأطلاق . وكانت أكثر الدول تمتنع عن بيعنا الاسلحة الا أن عملاءنا استطاعوا عقد صفقات سرية عديدة لشراء الاسلحة من الخارج . أما الدولتان اللتان كانتا ترسلان لنا الاسلحة والمعدات علنا فهما فرنسا وتشيكوسلوفاكيا . وقد ساعدتنا تشيكوسلوفاكيا قبل أن تصبح جمهورية شعبية وبعد أن أصبحت شيوعية . (أثبتت أحداث ١٩٦٨ في تشيكوسلوفاكيا مدى تغلغل العناصر الصهيونية في الاجهزة الحاكمة) وقد اشترينا من فرنسا مقابل عملات صعبة طائرات وزوارق طوربيد ودبابات ومدافع هاون ، وحصلنا من تشيكوسلوفاكيا على طائرات « مسر شميدت » الالمانية وطائرات « سبيتفير » الانجليزية وقنابل ورشاشات من شتى الانواع وما لا يحصى من الذخيرة . وحصلنا على بعض الطائرات والدبابات والزوارق الحربية من أمريكا مباشرة . كما حصلنا على بعض الطائرات والمدافع من سويسرا والمكسيك . وقد اشترينا بالمجموع : ٢٠٤ طائرات ، ٣٨ وحدة بحرية مختلفة الانواع ، ٤٠ دبابة ، ١١٩ سيارة مدرعة ، ٤١٦ مدفعا ، ٢٤ هاونا ثقيلا ، ١٥٨ رشاشا ثقيلا ، ١٤١٧ رشاشا متوسطا ، ٦٠٣٤ رشاشا خفيفا، ٥٢٣ رشاشا صغيرا، ٥٣٣٩١ بندقية، ١٧٥٥ مسدسا . ولم نستطع أن ندخل الى البلاد قبل اعلان الاستقلال الا قسما ضئيلا من هذه الاسلحة وهي : ٢٠ طائرة كنا اشتريناها من الجيش البريطاني في فلسطين ، ٥٢ سيارة مدرعة ، ٢٦ مدفعا رشاشا ثقيلا ، ٥٤ رشاشا متوسطا ، ٤٦٤ رشاشا خفيفا ، ٤١٧ رشاشا صغيرا ، ٦٢٤٠ بندقية ، ٥٠٠ مسدس . هذا عدا الاسلحة التي

كانت تملكها الهاجاناه سرا من قبل وتلك التي كنا ننتجها داخل البلاد . وبهذه الاسلحة كان علينا أن نقف في الفترة الاولى التي أعقبت اعلان الاستقلال وقيام دولة اسرائيل ضد الجيوش العربية ، وكان لنا احتياطي كاف من اليهود الذين خدموا في الحرب العالمية الثانية الخ . . . »(٤٩) !

وهكذا تكاملت للقيادة العسكرية الصهيونية كافة معطيات استراتيجيتها العدوانية الهادفة الى الاستيلاء على موطىء قدم أو رأس جسر قوي فوق أرض فلسطين . فقد كفلت لها الهجرة الموارد البشرية ، وحققت لها « الكيبوتزات » وبقية انواع المستعمرات الانتشار الجغرافي والركائز الاستراتيجية اللازمة ، فضلا عن دورها في خلق معنويات وقيم الصهيونية في نفوس هؤلاء المهاجرين المزارعين — المقاتلين ، وضمنت لها الاحتكارات والدول الامبريالية المال والسلاح والعتاد والخبرة القتالية والتنظيمية ، والعلاقات والمناخ الدولي المناسب لشرعية قيام الدولة المزعومة . وقد تم تكامل الدعائم الرئيسية لهذه المعطيات ومقومات الوجود العسكري لدولة اسرائيل قبل أن يبدأ الاشتباك الفعلي الواسع النطاق الاول بين الشعوب العربية واسرائيل ، أي في عشية حرب ١٩٤٨ .

---

١ - Safran, Nadav : *From War to War,* New York, Pegasus, 1969, p. 28

٢ — Hart, Liddell : *Strategy, The Indirect Approach,* London, Faber & Faber, 1967, p. 335.

٣ — بوفر ، اندريه ، **مدخل الى الاستراتيجية** ، ترجمة أكرم ديري والهيثم الايوبي — بيروت — دار الطليعة — ١٩٦٨ — صفحة ٢٨ .

٤ — كلاوزفيتز ، كارل ، **في الحرب** ، الجزء الاول — ترجمة أكرم ديري والهيثم الايوبي — القاهرة — الكاتب العربي — ١٩٦٩ — صفحة ٢١٨ .

٥ — **موسوعة القضية الفلسطينية** ، الجزء الاول ، القاهرة ، مركز دراسات الشرق الاوسط ، صفحة ٣١٥ ، ٣١٦ .

٦ — **المرجع السابق** ، صفحة ١٤٣ .

٧ — صلاح منتصر ، الاستراتيجية البترولية الامريكية والشرق الاوسط ، القاهرة ، **السياسة الدولية** ، اكتوبر ١٩٧٠ ، صفحة ١٥ .

٨ — محمد فيصل عبدالمنعم ، **فلسطين والغزو الصهيوني** ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ ، صفحة ٩٤ .

٩ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل : خصائص التطور السياسي والاقتصادي** ، القاهرة ، دار الهلال ، صفحة ٤٨ .

١٠ — آلون ، ايجال ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ترجمة عثمان سعيد ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧١ ، صفحة ٦٦ ، ٧٩ .

١١ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحة ٦٦ .

١٢ — Howard, Michal; *The Theory And Practice of War,* London, Cassell, 1965, p. 339.

١٣ — آلون ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحات ٦٧ ، ٦٨ .

١٤ — Leon, Dan.: *The Kibbutz, A New Way of Life,* Oxford, Pergamon Press, 1969, 201,8,9.

١٥ — نيكيتينا ، جالينا ، دولة اسرائيل ، **المرجع السابق** ، صفحات ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٠١ ، ١٨٠، ٢٦٠ .

١٦ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، وكالة نوفستي ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، صفحة ٧٧.

١٧ — يوسف مروه ، **أخطار التخطيط الصناعي في اسرائيل** ، مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨ ، ص ٣٤ ، ٤٥ .

١٨ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، **المرجع السابق** ، صفحات ٩٣ ، ١٠٢ .

١٩ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل** ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

٢٠ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل** ، **المرجع السابق** ، صفحة ١٦٣ .

٢١ — تهاني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، صفحة ٢٣ .

٢٢ — آلون ، ايجال ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، **المرجع السابق** ، صفحة ٦٤ .

٢٣ — **موسوعة القضية الفلسطينية** ، الجزء الاول ، **المرجع السابق** ، صفحة ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

٢٤ — تهاني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، المرجع السابق ، صفحة ٣٦ .

٢٥ — آلون ، ايجال ، **نشأة وتكويـن الجيش الاسرائيلي** ، المرجع السابق ، صفحات ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ .

٢٦ — Hart, Liddell: *The Liddell Hart Memoirs*, Volume II, London, Cassell, 1965, p. 181, 182.

٢٧ — الون ايجال ، **المرجع السابق** ، ص٨٠ .

٢٨ — عبدالقادر ياسين، « ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية بداية الكفاح المسلح ضد الصهيونية » ، مجلة **الطليعة** ، القاهرة ، مايو ١٩٦٩ ، صفحة ٧٩ .

٢٩ — صبحي ياسين ، « حرب العصابات في فلسطين » ، القاهرة ، **الكـاتب العـربي** ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

٣٠ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحة ٧٨ ، ٧٩ .

٣١ — نص أورده هيثم الكيلاني في كتابه **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، بيروت ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ١٩٦٩ ، صفحة ٧٧ .

٣٢ — Churchill : *The Second World War 4. The Commonwealth Alone,* London, Cassell, 1964, p. 90

٣٣ — Donovan, Robert : *Israel's Fight For Survival,* New York, Signet Books, 1967, p. 19.

٣٤ — Gordon, Landsborough : *Tobruk Commando,* London, Mayflower Books, 1968, p. 31-33.

٣٥ — Love, Kennett: *Suez The Twice - Fought War,* London, Longman, 1970, p. 50, 51.

٣٦ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحات ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٨٨.

٣٧ — نص أورده هيثم الكيلاني ، **المرجع السابق**، صفحة ٧٨ .

٣٨ — نص أوردته جالينا نيكيتينا في كتابها **دولة اسرائيل** ، المرجع السابق ، صفحة ٢٨ نقلا عن الكتاب التالي :
C. Friedrich, *American Policy Toward Palestine,* Washington, 1944, p. 7.

٣٩ — **المرجع السابق** ، صفحة ٣٨ ، ٣٩ .

٤٠ — نص أوردته تهاني هلسة ، **دافيـد بـن جوريون** ، المرجع السابق ، صفحة ٥٥ ، نقلا عن كتاب :
Ben Gurion, David. *Israel : Years of Challenge,* Anthony Blond, London, 1964, p. 17.

٤١ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحات ٩٩ ، ١٠٠ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

٤٢ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحة ١٠٤ ، ١٠٧ .

٤٣ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

٤٤ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل** ، المرجع السابق ، صفحة ٤١ .

٤٥ — المعلومات المذكورة نقلا عن ملخص كتاب « الوعد » للكاتب اليهودي « ليونارد سلاتر » المنشور بمجلة **روز اليوسـف** عدد ٧٢/٧/٣١ صفحة ٣٠ ، ٣١ .

٤٦ — تهاني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، المرجع السابق ، صفحة ٦٤ .

٤٧ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، المرجع السابق ، صفحة ١٠٠ .

٤٨ — محمد فيصل عبدالمنعم ، **فلسطين والغزو الصهيوني** ، المرجع السابق ، صفحة ٢٢٣ .

٤٩ — نص أورده هيثم الكيلاني في كتابه **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، المرجع السابق ، صفحة ٨٤ .

٤٣ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

الاغنية الشعبية الفلسطينية
من الحزن الى الشوق الى القتال

نمر سرحان

لقد جاءت معركة الكرامة بعد اقل من عام من الهزيمة المدوخة التي حلت بجيوش الدول العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وفي الفترة بين حزيران والكرامة كان الناس يعرفون وهم في غمرة جو معنوي شديد الانخفاض ان الارض العربية مفتوحة للجيش الاسرائيلي الا انه هو نفسه لا يريد اكثر مما حصل عليه من أراضي سوريا ومصر والاردن . وكانت مرارة الهزيمة لا تزال حية في الاذهان كما لو انها حصلت قبل يوم واحـد . ولم يكن الشعب قد صحا بعد على الوضع المذهل الذي وجد نفسه كأن الحزن هو قدره . وكان وجدانه أضعف من أن يعبر عما حصل . ولم يكن يطفو على سطح هذا الجو الحزين سوى بعض تعابير تقطر بالاسى :

رايـب يـا يمـا رايـب
بغنـي والقلـب ذايـب
لـو انـا في بلدنـا
لسـوي أمـور العجـايب

وخلال الساعات الاولى من ساعات المعركة الخمس عشرة وعبر البيانات التي اذاعتها اذاعة اسرائيل والتي قصدت منها تحطيم معنويات السكان خيل للمستمعين انه هو ذاك الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر قد احتل اراض جديدة على الضفة الشرقية من نهـر الاردن وبعد اقل من عام من احتلاله لاراض واسعة (سورية ومصرية واردنية) بعـد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . كانت اذاعة العدو تردد نفس البيانات التي كانت ترددها وهي تجتاح الضفة الغربية والجولان ، ادخلوا الى بيوتكم . احكموا اغلاق الابواب والنوافذ . كل من يطلق النار على جيش الدفاع الاسرائيلي يقتل حالا » . الا انه وفي ساعات المساء من يوم الكرامة وبعد انجلاء غبار المعركة وتوارد الانباء عن بطولات رجال المدفعية في الجيش الاردني والاستبسال الرائع المنقطع النظير الذي ابداه رجال المنظمات الفدائية الفلسطينية والذين جابهوا المحتلين بكل ضراوة ، تغيرت الصورة وتناقل الناس اخبـار الابطال الذين دمروا دبابات العدو ، بعد ان نسفوها باجسادهم والذين حصدوا المظليين الاسرائيليين بالرشاشات والسلاح الابيض والذين التهبت (سباطانات) مدفعيتهم حتى تحولت الى جمر . وروى شاهدو العيان كيف دمرت مدفعية الجيش الاردني سيارة قائد الهجوم الاسرائيلي واطاحت علمها ذلك العلم الذي كان سرعان ما يرفع على ارض عربية بعد كل احتلال . وقد عبر وجدان الجماهير عن هذا الحدث الجديـد في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي بهذا البيت من العتابا :

نكسـت اعلامهـم الا علمنـــا
وقـال الشعب يـا فرحة علمنـا

ويـوم الكرامـة رفعنـا علمنـا
وعـلى اسرائيـل طاب الموت طاب

وبعد الكرامة التزم العدو الاسرائيلي لاول مرة بموقف دفاعي وهو مسمرة الجنود خلف خطوط امن الكترونية في بعض المناطق وبشرية في مناطق اخرى .

واثر هذه المعركة بدأ الناس يرسمون تصورا جديدا ومحددا لرجال المقاومة فبعد أن كان ينظر الى الفدائي على انه شخص يقوم بمهمة انتحارية تؤدي الى نتيجة ليس لها حساب، بمعركة الربح والخسارة فانه أصبح حامي كرامـة الامة والمدافع عن شرفها ومحقق امجادها :

لولا الفدائي ما ظل النا كرامة
المولى اوهبه من عنده كرامـة — هو اللي صان الشرف يوم الكرامة
ولولاه الاعـادي مـا تحسب حساب

وقد سجل الوجدان الشعبي معركة الكرامة كيوم من ايام النصر واعتبرها بداية التحرير وانهاء اقامة الغاصب في الارض العربية الفلسطينية :

بارض الكرامة
سطرنـا النصر بـارض الكرامـة — مـا في اقامـة للجيش الغاصـب
ما في اقامة

وقد تركت احداث الكرامة اثارا بعيدة في وجدان الجماهير ، والتي بـدأت ترفد الثورة بسيل من الشباب الـذين انخرطوا في صفوف المقاتلين والتنظيمات الشعبية المساندة للثورة لقـد عبرت الجماهير عن تقديرهـا للثورة وعن مدى ما تعلقه من امال عليها في التحرير ورد الاراضي المغتصبة وذلك بعمليات الاسناد التي رفدت بها هذه الجمـاهير اولئك الرواد الاوائل للتحرير . واحس الانسان العربي الفلسطيني وكأن ميلادا جديدا قد حدث لموقعه ازاء التحدي المصيري الذي يواجهه . وقد ترك النصر ورد المعتدين عن الارض العربية وضعا نفسيا لدى الجماهير جعلهـا مستعدة للنضال في جبهة عريضة لمحاربة العدو ومن هم وراءه :

انطلقـت ثورتنـا ويسمعهـا نكسـون
ونحـرر وطنـا وع ترابـه نسكـن
سافـر الاعـور يحكـي لويلسـون
خـايف ثورتنـا تشمـل الكونـا

وبعد هذا النصر بدأ الوجدان الشعبي يعكس موقفا صلبا ازاء التحدي وقد لخص هذا الموقف برفض الاستسلام والدعوة للتحرير بقوة السلاح وهو بذلك يقطع الطريق على بوادر روح الانهزام والاستسلام ومحادثات الحل السلمي :

اذا تردوا علـى شـوري ورايـي
لنرفـع للحـرب بيرق ورايـة
انـا قدامكـم وانتـوا ورايـي
وانـا أول ضحيـة للعـرب

ومن جهة أخرى فقد كان الهجوم على الضفة الشرقية من نهـر الاردن يحمل في طياته العدوان على الانسان العربي بالاضافة لكونه اصلا عملا موجها ضد الانسان الفلسطيني بالتحديد . صحيح ان الخطة العسكرية على الكرامة والشونـة الجنوبية وغور الصافي والعمليات الموجهة ضد سكان الغور الشمالي — من ذلك معركة لثماني ساعات مثلا — كانت ردا على عمليات الفدائيين الفلسطينيين بالتحديد الا انها كانت موجهة بطريقة لا

مناص منها ضد السكان الاصليين للضفة الشرقية من النهر وضد ابطال الجيش العربي الاردني ومدفعيته التي طالما حمت وغطت عمليات اخوانهم الفدائيين الفلسطينيين .

وكان النصر يوم الكرامة دافعا لمزيد من التلاحم بين رجال المنظمات الفلسطينية وبين أبناء الضفة الشرقية شعبا وجيشا . وكان لا بد لهذا التلاحم والوقوف صفا واحدا في وجه العدوان الاسرائيلي من ان يترك اثارا ذات ابعد مدى في وجدان الجماهير الفلسطينية والاردنية وبالتالي في الفولكلور الذي تفرزه ذهنية الجماهير . وهناك ظاهرة فولكلورية تستحق الملاحظة والاهتمام وهي سريان روح المقاومة في الفولكلور الغنائي للضفة الشرقية وتتضح هذه الظاهرة في اسلوبين : الاول سريان روح المقاومة في الغناء الفولكلوري بشكل ابتدائي ومباشر . ان اغنية مثل « على الجسرين » اخذت تحمل تأييدا وتعاطفا للفدائي (وهي اغنية نبعت وراجت في الوسط الاردني) :

على الجسرين لاسرع واروح على الجسرين
على التنية لاسرح واروح على التنية
والفدائية يا رب تنصر هالفدائية

والثاني هو تحويل كلمات لحن معين ومعروف في الضفة الشرقية بحيث اصبحت تتضمن مضامين ثورية . من ذلك احدى اغنيات دبكات الجوفية :

سيفنا يخلي الدم شلال

صارت :

كلاشنكوف يخلي الدم شلال
ديكتريوف يغطي انسحابنا

ان عشرات الاغاني الشعبية التي اخذت تعكس روح المقاومة والتي كانت في الاصل ذات مضامين وجدانية بحتة وتنطلق من جهات متعددة في الضفة الشرقية من الاردن لتدل اصدق دلالة على وحدة الانسان العربي وتعاطفه مع قضية الانسان الفلسطيني . ويمكن القول ان هذه التعاطف وهذه الروح الثورية في وجدان الجماهير عائد لانتصار الرواد الاوائل من ثوارنا الذين صدوا العدوان يوم الكرامة .

وفي منتصف عام ١٩٦٩ قام الثوار الفلسطينيون باخطر العمليات واجرئها عندما فتحوا في ليلة واحدة ٢٨ ثغرة في الحواجز الالكترونية التي اقامها الاسرائيليون في الشمال والتي يضعون فيها كل موانعهم (موانع الكترونية — الغام — اسلاك مكهربة) وكذلك عند قيامهم بعمليتي الحمة والحزام الاخضر في المنطقة التي كان ديان يعتبرها منطقة مغلقة في وجه المقاومة .

ان اصداء هجمات الثوار الفلسطينيين وقذائف مدفعيتهم قد اخذ يتردد في حياة الاسرائيليين وبات له انعكاساته في الاقتصاد الاسرائيلي . لقد ازدادت الهجرة من وادي بيسان واقفرت الاراضي الزراعية من العمال الى الدرجة التي ارغمت الحكومة الاسرائيلية على ان تعلن عن اعفاء سكان منطقة غور بيسان من كافة انواع الضرائب ، على ان يشمل هذا الاعفاء كل القاطنين في الغور حاليا اولئك الراغبين في العودة اليه . ويمضي ديان في سياسة المطاردة الساخنة ويبرر اشتراك المصفحات والهليوكوبتر في المطاردة بان مجموعة من المقاتلين الفلسطينيين سوف تحتاج الى لواء كامل لمطاردتها اذا تسربت الى تل ابيب . وفي ميزانية ٧٠ — ٧١ خصصت الحكومة الاسرائيلية مبلغ ٣٧ مليون جنيه استرليني لمواجهة نفقات تدريب الاحتياطي وبناء الملاجيء والنفقات الناشئة من مرابطة قوات عسكرية في خطوط المواجهة . وادت الهجمات الى توقف مصنع البوتاس جنوبي البحر الميت توقفا يكاد يكون تماما . وكان ذلك مما دفع ديان الى احتلال الجبال في غور الصافي حتى يؤمن المصنع ويبعده عن صواريخ الثوار . ولكنه

أرغم على الإنسحاب في معركة باسلة (كانون الثاني ١٩٧٠) . ومن أجل المحافظة على معنويات الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يعرفون مهمتهم فسر الاسرائيليون التراجع عن احتلال الجبال بانه تم بسبب الاحوال الجوية . وكان لا بد لتصاعد العمل الفدائي بهذه الصورة من ان يؤدي الى ردة فعل من الجانب الاسرائيلي تجلت في هجمات الطيران والمدفعية (وبمقدار محدود الكوماندو) على الجهات التي ينطلق منها الفدائيون الفلسطينيون في الضفة ، الشرقية / اربد — وغور الاردن وغور الصافي — والعقبة . وقد ادت هذه الهجمات الى نتيجتين : اولا على الصعيد الشعبي ازداد تلاحم الجماهير الفلسطينية والاردنية في وجه اسرائيل ، فالشخص الذي فقد بيته في الشونة الشمالية واربد والغور واضطر الى النزوح شرقا هربا من المنطقة المحروقة بفعل القصف الاسرائيلي كان لا بد له ان يتحول من مزارع الى مقاتل او نصير للثورة . وثانيا على الصعيد الرسمي تنامت في البلد حساسية بين النظام القائم وحركة المقاومة تجلت في الصدامات التي حصلت بين الجبهتين في ١٩٦٨/١١/٤ و ١٠ شباط ١٩٧٠ واحداث حزيران ١٩٧٠ .

ومهما يكن من امر لقد بدأت مرحلة جديدة من حياة شعبنا ، هذه المرحلة التي بدأت في اليوم الاول من عام ١٩٦٥ وان كانت قد بدأت بشائرها قبل ذلك بقليل مع انبثاق منظمة التحرير الفلسطينية التي بشرت بالكيان الفلسطيني والتنظيم الشعبي وبنت جيش التحرير الفلسطيني . ثم قامت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » التي نفذت اول عملية عسكرية داخل الارض المحتلة في اليوم الاول من الشهر الاول من عام ١٩٦٥ ثم تلتها وجود تنظيمات فلسطينية اخرى تتخذ اسلوب الحرب الشعبية كحل لا بديل له للقضية الفلسطينية . ومن أولى سمات هذه المرحلة ضياع نغمة الحزن الذليلة التي كانت قاسما مشتركا للادب الشعبي الفلسطيني وحلت محل تلك النغمة الذليلة نغمة القوة والتحرير والثورة حتى النصر .

لقد احس الانسان الفلسطيني بفرحة ما بعدها فرحة وهو يتحسس السلاح بيديه ويمتلكه ثم يصوبه الى صدور مغتصبي ارضه وجلاديه ، هذه الفرحة العارمة بالسلاح جاءت اثر سنوات طويلة من التشوق لحمل السلاح والاستغاثة للحصول عليه . وبذلك انطلقت الاهازيج العفوية تكرس هذه الفرحة القوية :

بايدي كلاشنكوف
وفي قلوب العدا خوف
والثورة علمتني
على اكبر ديكتريوف

حتى الفواجع والمصائب لم تعد تهز الانسان الفلسطيني ولم تعد تثير فيه الحزن بل أصبحت حوافز على التصميم وفرصا للتفاؤل بانتصار الثورة . بالامس كنا نرثي الشهيد ونقول :

شفته على تخت الرويد ممددا	**والدم جاري مبلل القمصان**
يا حيف سبع الغاب كرم أمجدا	**يصبح دفين بتربة الوهدان**
شواربه جنح الغراب مرقدا	**وعيونه تلمع كبرق نيسان**
كل البلد تبكي عليه وتتجمدا	**تبكي الرجال وتنحب النسوان**

ولكننا اليوم لا نبكي على الشهيد ، بل يطالب الفنان الشعبي من ام الشهيد ان تغني للبطل الذي دق وجه الارض الفلسطينية بقدميه ونفث النار في صدور المحتلين :

يا ام الفدائي دائما غني	**والله ابنك واصل للجنة**
ربي هالثورة ما تخيب ظني	**وننسول النصر بفلسطيننا**

والسمة الثانية لهذه المرحلة هي ارتفاع الجماهـــير إلى مستوى المعركة الضارية التي تخوضها فالجماهير تحيط الثوار بجو من المودة والتأييد وتفاخر بمن يحمل السلاح لتحرير الارض وتنبذ الهزل والمساخر ما دام المغتصب يعيش على ارضنا :

ويعجبني الذي للسيـف سنـا — نقلت الطرب انـــا من صغر سنـــا
حــرام اضحك وحرام بيان نسنا — والعـــدا تـــدوس في ارض العـــرب

والمرأة هي ايضا غيرت اغانيها العاطفية واستبدلت بها اغان تحض على الثورة والتحرير والانتقام من المغتصبين :

يحرم علينا — نلبس ذهبنـــا — يحرم علينا
ساكنة بلدنا — ما دام العدا — ساكنة بلدنا

يـــا ابو عمـــار حط جيوشك ع الـــوادي
واشبـــع الطـــير من لحـــم الاعـــــادي
يـــا ابـــو عمـــار حط جيوشك ع الميـــة
واطعـــم الطـــير من لحـــم الصهيونيـــة

وحتى الاطفال عاشوا جو الثورة وانطلاقتها ، واصطبغت العابهم واحاديثهم واغــــانيهم بصبغة الثورة . فاطفال فلسطين اليوم يشاهدون الابطال يحملون الكلاشنكوف ويلبسون ثياب الميدان المبرقعة ويصطفون على اطراف الشارع حيث يهـــرول الفدائيون شاكي السلاح وهم يهزجون باناشيـــد المقاومة وحيث يصطف الاشبال ويهرولون هازجين . ولذلك كنا نسمع الاطفال قديما يغنون لدود الصيف :

حرقص برقص قوم ارقص يـــا دود الصيف
واوع تشعبـــط علينـــا يـــا دود الصيـــف

ولكن اطفال فلسطين اليوم يرددون اغـــاني الاشبال والفدائيين والاغاني الهادرة التي يسمعونها من الاذاعات الفلسطينية . فوق ذلك فقد ابتكروا لانفسهم اغانيهم الفولكلورية الثورية :

حـــط المدفـــع ع الميـــدان
فليسقـــط موشي دايـــــان
حـــط المدفـــع ع الـــدوار
فليحيـــى ابـــــو عمـــــار

كما عكس الاباء شوق الصغار للالتحاق بالثورة وترك الحياة الوادعة . ومن ذلك مـــا جاء في بيت الدلعونا هذا :

وابنـــي عن رايـــه عيـــا يتحول
وترك دراسته من الصف الاول
قـــال لي يا يابـــا لازم اتسلـــل
واظـــرب الغاصـــب بفلسطيننـــا

من جانب الثوار عود المقاومة يتصلب والقواعـــد تصبح اكثر استقرارا واكثر مناعـــة وكفاءة التسليح والتدريب تزداد والتنظيم الشامل من اجـــل تحويل قوات المقاومة الى جيش للتحرير الشعبي بأخذ مجـــراه وتتسع قاعدة العمل المسلـــح بتكوين الميليشيا المسلحة . وتتسع القاعدة الشعبية المساندة للثورة كما يبدو في هذا النص الفولكلوري الذي يشيد بجيش التحرير وثوار « فتح » الذين يشنون الغارة كـــل ليلة والذين خلقوا وضعا جديدا يخنق استعلاء وشوفينية المحتلين الاسرائيليين :

وصلوا معاي يا حظور ... ع محمد طه المختار
ونويت انشر لي منشور ... استمعوا مني يا حظار
وبطلب من ربي العالي ... على عباده يسبل الاستار
وبطلب من ربي العالي ... بلسك ينصر الثوار
وبلسك ينصر أمة حبيبه ... ينصرهم ع القوم الكفار
ويا رب يا ابو الكرم ... ع الخرسة تبعثر الامطار
انصر امة حبيبك ... وبحياة النبي المختار
في الوسط سووا عصابات ... في المستودع داروا الشعلات
ودخلك يا قاظي الحاجات ... تعطي النصر للثوار
وهذه عزوة ما تهاب الموت ... بيظربوا لا يفوت الفوت
ابن صهيون يا هلفوت ... اشرفت روحك ع الممات
اتحدت عليك العربان ... وسع عليك الميدان
انت واخوك الشيطان ... وين تلقوا يا كفار
اقرب ما يكون المينا ... وروح اسلك ع الابحار
ما اسمعت بسرية فتحية ... قاموا عليكوا الارظية
ركبت ع كتوفك جنيه ... واكسم قصر راح دمار
بعدين عسكر التحرير ... وعليك يطفو المنير
والا مطالك ما يصير ... وين تلقوا يا كفار
كل ليلة يشنوا الغارة ... اوعوا تظلوا بها الحارة
اعماركم راحت خسارة ... ولحكموا اتنعوف ع الحجار

اود ان اتناول ظاهرة اغتراف الوجدان الشعبي من الاغاني المصنوعة التي تبثها أجهزة الراديو والتلفزيون في البلاد العربية . قلت فيما مضى ان الاغنية الشعبية الفلسطينية ظلت تجتر احزان الجماهير وتروي قصص الهزائم المتلاحقة وتتحدث عن الابطال الذين قاوموا الطائرات البريطانية بالبنادق العتيقة . وظلت الحال هكذا حتى اوائل الستينات عندما بدأت جماهير الشعب الفلسطيني تتململ لتأخذ دورها في تحرير ارضها . وأخذت بعض الاوساط العربية تتعاطف مع آمال هذه الجماهير في تحرير اراضيها وصرنا نسمع صوت فلسطين من هذه العاصمة العربية او تلك . ومع هذه الانتعاشة في آمال الشعب الفلسطيني بتحرير ارضه راجت بعض الاغاني التي تعبر عن شوق الجماهير الى البيارة وزهر الليمون والبرتقال والقرية المهجورة وتطلعها الى معانقة الارض والشجر والهواء في فلسطين . ولم تختلف هذه الاغاني عن الاغاني السابقة الا في كونها تحمل ايحاء بأن هذا الشوق يحمل في احشائه رغبة كامنة في التحرير . ولاول مرة يتحسس الانسان الفلسطيني موقفا جديدا مثل فيه دور البطل المنتصر . وأخذت جماهير الثورة ومقاتلوها وفنانوها تعبر عن ارادة التحرير والصمود بأغان وأهازيج وأناشيد هادرة تنبثق من صفوف المقاتلين وتبثها اذاعة صوت العاصفة ــ صوت فتح .

ان رصدنا لهذه الاعمال الغنائية يتضمن عددا من الاعتبارات فهي ذات مضمون تؤيده الجماهير تمام التأييد وطالما تاقت الى التعبير عنه بقوة ووضوح كما ان هذه الجماهير الفلسطينية موزعة بين اقطار الدول العربية المجاورة لفلسطين في لبنان وسوريا والعراق والاردن ومصر وشبه الجزيرة العربية . ولا بد ان تتأثر هذه الجماهير بالتعابير والالحان العربية فضلا عن الخميرة الفولكلورية الفلسطينية التي تختزنها هذه الجماهير وتكدس فيها أشواقها للارض السليبة . ولا بد من النظر بعين الاعتبار الى عامل تكنولوجي هام له أثره على الاناشيد الشعبية وهو جهاز الراديو وبالتحديد ما يسمع من « صوت العاصفة ــ صوت فتح » ، صوت الثورة الفلسطينية من القاهرة والذي أخذ يبث

سيلا من الاهازيج والاناشيد التي تميزت بوضوح المضمون وقوة الاداء استجابة للجماهير التي ملت التعليقات التعميمية والاحاديث غير المحددة والاغاني الخاوية من كل مطلب مباشر .

ونأتي الآن الى دراسة نماذج اهازيج الثورة سواء منها ما انبثق من بين الجماهير او المقاتلين او صوت العاصفة أو اية اذاعة عربية تنطق باسم الثورة الفلسطينية . ولنبدأ من حيث الشكل . هناك عدة نماذج لحنية للاغاني الجديدة والتي بدأت تروج بعد حزيران ١٩٦٧ . من هذه النماذج ما بني على الحان فولكلورية شائعة في فلسطين والاردن ومنها ما بني على الحان أغان مصنوعة تذيعها اذاعات الدول العربية ومنها نمط ثالث مصنوع مؤلفه معروف وملحنه معروف وقد شارك في صناعة الاغنية مرددون واوركسترا ، ومع ذلك فقد ادخلت هذا النمط ضمن الاغاني الفولكلورية ومبرري في ذلك هو ان هذه الاغاني توافق مزاج الجماعة موافقة تماما . وقد اخذ الناس يرددونها ويغنونها متناسين مؤلفها وانني واثق من ان هذه الاغاني التي أخذت بألباب الجماهير في فترة زمنية قصيرة ستصبح جزءا من تراثهم الغنائي الذي يضيفون كلمات لكلماته ويزخرفون الحانه حسب المزاج الشعبي . ومن جهة أخرى يجدر بنا الا ننسى المرحلة الجديدة التي تعيشها الجماهير الشعبية في ظل أداتي التكنولوجيا الحديثتين الراديو والتلفزيون ، ففي السابق كان حداء مشهور مثل العجاوي او العراني او حافظ موسى او محارب ذيب يؤدي لحنا او ألحانا غنائية فتتناول الجماهير منها ما يناسب مزاجها من حيث المضمون والشكل وتتداوله وتتوارثه فيصبح هذا اللحن فولكلوريا . واما اليوم فان ملحنا مثل صبري محمود او مهدي سردانة وكاتب كلمات مثل ابو هشام او صلاح يتعاونان في صناعة الحان تسمع من صوت فلسطين او صوت العاصفة . وتبادر الجماهير الى تناول ما يوافق مزاجها وما يمكن ان تتداوله وتتوارثه فتصبح الالحان الجديدة الحانا فولكلورية وتتناسى الجماهير كاتب الكلمات ومؤلف اللحن .

ومما يساعد على انتقاء الاغاني والاناشيد الجديدة من حظيرة « الغناء المصنوع » الى حظيرة الغناء الفولكلوري هو ان مؤلفي وملحني هذه الاغاني والاناشيد قد وضعوا اعمالهم الفنية بحيث تكون أقرب ما يمكن الى الفولكلور الغنائي الفلسطيني مساهمة منهم في احياء تراث البلاد الذي يتطلعون الى احيائه وتحريره أو على الاقل أقرب ما يمكن الى اهازيج المظاهرات والمسيرات التي ظلت تسمع هادرة في شوارع عمان والقاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وقد كان الفلسطينيون القاسم المشترك لهتافة هذه المسيرات . وأفضل مثال على هذا النمط الغنائي :

يا جماهير نيسان عدي
عدي
بوابة تشرين عدي
عدي

وكذلك هذه الاهزوجة :

ثوري ثوري ... يا جماهير
الارض المحتلة

ان تغييرا طفيفا جرى على اهزوجة المظاهرات الاولى التي سمعت ايام حلف بغداد والتي كانت تقول :

يا بغداد ثوري ... ثوري

فقد حلت هنا « جماهير الارض المحتلة » محل « بغداد » وظل المضمون واحدا وهو الحاح الانسان الفلسطيني على تثوير الوطن العربي بما في ذلك جماهير الارض المحتلة .

ومن الاهازيج الثورية التي سارت على نفس اللحن الفولكلوري الفلسطيني الاصيل اهزوجة :

جـــر المـدفـــع فـــدائي
لا تستنـــــى السيـــــارة

وهي مبنية على اللحن الفولكلوري الفلسطيني المعروف :

يـــا احليـــوة طـــاب رمانـــي
وأنـــا ع البـــاب بســـتنى

وكذلك أغنيـــة :

بأيـــــدي رشـــــــاشي
وبـــدي أظـــل مـــاشي
وأرضنـــــا المحتلـــــة
مـــا بترجـــع ببـــــلاش

فهي على لحن اغنية من اغاني العطل الدارجة في وسط فلسطين :

حبــة قظامي .. فيهــا اللظامي
يا مــين تيقظــم .. عليش تيقظم
على وزة محشية.. يوخذها ويجوّد
ع الزيتـــــون يهــــــود

ومن هذا النوع من الاغاني والاهازيج اغنية :

يـــا شــــعب كـــبرت ثورتي
كبرت واحنـــا ثـــوارهـــــا
مـــن قـــريتي لمـــــدينتي
مـــن نهـــرهـــا لبحرهـــا
يـــا أم الشـــــهيـد وزغردي
كل الشـــــباب اولادك .

وهي على لحن :

يـــا رب تكـــبر مهـــرتي
تكـــبر وانـــا خيـــالهـــا

وكذلك اغنية « رايحين نقول اريداه » بمضمونيها الوجداني القديم والثوري الجديد : أما اهزوجة « يا شعبنا هز البارود » فهي تنتمي الى الحان اغاني المسيرة ـــ زفة العريس في وسط فلسطين مع زخرفة لحنية واضحة . وكلمات المسيرة التقليدية تقول :

عريســـــنا عنتر عبــــس عنتر عبـــس عريســـنا

ومن الاغاني والاهازيج الثورية التي بنيت على الحان اغان عربية مصنوعة . هـــذه الكلمات المبنية على اللحن المصري المعروف « عدوية » :

بـــأيـــدي كلاشـــــنكـــوف
وفي قلـــوب العـــدا خـــوف
والثـــــورة علمتــــــني
عـــلى حمـــل الدكـــتريوف

وكذلك اغنيــة :

مــدي يــا ثــورتنــا مــدي
اســـــتمرّي ومــــــدي

وهي على لحن اغنية فيروز :

شـــــتي يـــا دنيي شـــتي

ويمكن ان يقال ان لحن اغنية فيروز هذا ينتمي الى لحن معروف في جنوب لبنان وشمال فلسطين من اغاني الاطفال ـــ تقول كلماته :

اشــتي يا دنيــا وزيــدي
بيتنــــا حــديـــدي .

ومن هذا القبيل اهزوجة :

طـيري طـيري يـا حمامــة
مــن الحمــة لارض الكــرامة

وهي مبنية على لحن شعبي عربي ذي صيغ متعددة واهزوجة :

لوحنــا ع القواعــد لوحنــا

وتنتمي للحن :

يا مســعود .. اهلا وسهلا .. يا مسعود

وهناك اغان واهازيج ثورية فلسطينية استعارت اغان والحان من الضفة الشرقية . من ذلك ما سبقت الاشارة اليه عند التحدث عن يوم الكرامة وكذلك هذه الاغنية التي يرددها مقاتلو الجبهة الشعبية :

شــــــعبيــة شعبيـــــة
جبهتنـــــا شـــــعبية
والله لاعيــدك يــا بــلادي
مـــن الميـــة للميـــة .

هذا اللحن (شعبية) مبني على لحن (ريدها) . وهو لحن أصيل في الكرك وقد صيغت منه أغنية مصنوعة .

ومن الالحان المؤهلة لان تدخل حظيرة الاغنية الفولكلورية المتوارثة والمتداولة لملاءمتها مزاج الجماعة هذه المجموعة من اغـــاني الثورة الفلسطينية التي تسمـــع من اذاعة صوت العاصفة :

فـوق التــل .. تحت التـــل
اســـال عنــا .. الريح تنـدل
انــا صــامــد
باســم الله .. باســم الفتح
بلادي بلادي .. فتح ثورة ع الاعادي
لا بنغــادر ولا بنهـــاجر
ولا بنسالــم جيــش الغــادر
وعهــد الله مــا نــرحـل
نمــوت نمــوت ولا نــرحــل
احمي الثــورة بــدمــك احمي

وننتقل الى دراسة هذه النماذج من حيث المضمون . ولا شك ان مضمون أهازيج الثورة الفلسطينية يعكس واقع هذه الثورة ونشوءها وتطورها . لقد ظلت الثورة الفلسطينية تواجه مجموعة من التحديات الكبيرة فهي تواجه اولا « الترسانة العسكرية الاسرائيلية » والمدعومة بالامبريالية الامريكية والاخطبوط الصهيوني الذي ينتشر تقريبا في كل مكان على سطح الكرة الارضية ممثلا بأجهزة الجباية والدعاية والاعلام والمصالح اليهودية والمساندة لها . وثانيا فان الثورة الفلسطينية كانت مطالبة بان ترد على تحديات فلسطينية وعربية . لقد كان هناك من لا يثق بان منظمات الفدائيين ستقدر على قهر الجيش الاسرائيلي الذي لا يغلب والذي غلب جيوش الدول العربية واحتل اراضي ثلاث من هذه الدول . كما ان بعض الجهات العربية اعتبرت الثورة الفلسطينية عملا متسرعا ومتهورا لن يؤدي الا الى توريط الدول العربية « الكسيرة الجناح » في حرب جديدة لا مقدرة لها عليها وبالتالي جذب مزيد من الهزائم للامة العربية كما ان الجماهير الفلسطينية والعربية كانت مصابة بعقدة الفرارية التي رسختها أحداث ١٩٤٨ ، وتسليم المثلث ١٩٤٩ وهزيمة السويس ١٩٥٦ ثم هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، تلك الهزائم التي عبر عنها الوجدان الشعبي بهذه الكلمات :

ل ورا يا هالعربان
ل ورا
انتوا قدامنا
واحنا وراكم كزدرى

وكان الصمود يوم الكرامة محاولة للوقوف بوجه عقدة الفرارية هذه . اما البرجوازيون فظلوا يعبرون الجماهير المنضمة للثورة انها جماهير كانت بلا عمل وهي ترتزق من الثورة او تذهب اليها هربا من التجنيد الاجباري . ولذلك كانت الثورة مضطرة لمجابهة كل تلك التحديات واعادة الثقة الى الانسان الفلسطيني والعربي . وكان ذلك عبئا ثقيلا. وكان لا بد للاغنية الشعبية التي تنبع من اوساط الجماهير او تتبناها هذه الجماهير أن تعكس احساسا قويا بالتحدي ومزيدا من التمسك بزناد البندقية وافتخارا به « بايدي كلاشنكوف .. وفي قلوب العدا خوف » و « بايدي رشاش وبد ظل ماشي وارضنا المحتلة ما بترجع بلاش » و « يا شعبنا هز البارود » . كما توجهت اهازيج الثورة الى الجماهير التي طالما سحقوها تشد من ازرها وتبث المزيد من الثقة في نفسها . وأغنية أنا صامد خير كبسولة لذلك . لقد واجهت الجماهير أعمال القمع والاضطهاد ونسف المنازل في الارض المحتلة بصمود رائع تتجلى في رفض التخاذل وقبول الاحتلال . واذا ما نسف البيت ارتفعت أصوات الناس في أعقاب تفجير الديناميت هازجة « ان اهدموا بيتي .. يا بيتي .. في ظل حظانك انا صامد » وأذا ولد مولود جديد سموه صامد تيمنا بالصمود في وجه الاحتلال . وفي الخارج ــ خارج الارض المحتلة ــ كانت الاهازيج تحيي الثورة كلما خرجت منتصرة بعد ازمة من الازمات « يا جماهير نيسان عدي .. بوابة تشرين عدي » . وفي تشرين ، عندما انطلق الرصاص في لبنان الى صدر الثوار خرجت الجماهير الشعبية في العواصم العربية تهزج بانفعال :

شعب العربي شوف .. شوف
والخيانة ع المكشوف

وبعد الخروج من الازمة كانت الجماهير تنفس الصعداء ثم تدعو الثورة الى :

المد .. المد يا ثورتنا الشعبية
ما بيقدر حد .. يوقف زحف الفدائية

والكلمات هذه حديثة الا انها قريبة من لحن شعبي اصيل طالما حمل روح النضال ضد الاستعمار وتقول كلماته :

هبت النار والبارود غنى
تسلم لينا يا حامي ظعنا

وترتفع عبارات التحية للثوار بعد الاعمال البطولية التي ينفذونها ضد قوى الاحتلال :

غلابة يا فتح يا ثورتنا غلابة
غلابة الايد اللي تدمر دبابة

لقد حظي المقاومون الفلسطينيون بعطف جماهيري واسع سواء كان ذلك من الجماهير الفلسطينية او العربية . واخذت هذه الجماهير تسبغ صفات البطولة والشجاعة بكلمات نابعة من قلوبها لاولئك الابطال الذين اعادوا سمعة الامة التي هزمت في حزيران ١٩٦٧ . وقد امتدت يد التحرير الى الاغاني العاطفية والاغاني القديمة وكذلك الاغاني العربية الاخرى . حتى اغاني زفة العريس العاطفية حورتها الجماهير الى اغان تدعم الثورة وتغدق عليها من تعاطفها وودها وليس أدل على ذلك من تلك الفورة العاطفية التي احاطت بالجماهير الفلسطينية عندما تعرض الفدائيون في احد المخيمات للتحرش والعدوان . لقد وقفت الجماهير في صفوف متراصة تهتف بمقاطع من زفة العريس بعد ان اودعتها مضمونا ثوريا :

ع باب الخيمة اذبحوني
وشيلوني برة وارموني
وهالثورة ما بخونها
وبعيني بصونها
ونخ الخيل .. ونخ الخيل
ونخ الخيل .. على الصفين
والله يمسيكم بالخير
والله يمسي ثورتنا
وهلي حاملة حملتنا

رأيان في كتاب
« دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية »:
هل هو نقد لفكر المقاومة حقا ؟

ناجي علوش
و
وليد نويهض

صدر منذ أسابيع كتاب « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » ، للدكتور صادق جلال العظم ، عن دار العودة في بيروت . وقد أثار الكتاب مناقشات وردود فعل كثيرة. وتخصص « شؤون فلسطينية » باب « مراجعات » هذا الشهر للكتاب المذكور ، فيتناوله بالنقد كل من الاستاذين ناجي علوش ووليد نويهض .

النقد الاول
للاستاذ ناجي علوش

— ١ —

ذكرني كتاب صادق جلال العظم : « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » بقصة الملكة ماري انطوانيت مع الجماهير ، ذلك ان الملكة ماري انطوانيت قابلت صراخ الجماهير الهاجمة على القصر ، والهاتفة نريد الخبز بالحل التالي : « اذا كان ليس هنالك خبز ، فلماذا لا تعطوهم بسكويت». والدكتور صادق جلال العظم أنهى نقده الطويل الذي يملأ مائتين وثلاثا وخمسين صفحة بثلاث نصائح ، احتلت أقل من صفحة وثلث ، اقتبسها من ماوتسي تونغ : وهذه النصائح الثلاث هي : النظرية الثورية ، الحزب الثوري ، الوقوف الى جانب الاشتراكية أو الامبريالية . وهكذا حول صادق هذه القضايا الثورية الاساسية الثلاث ، بالطريقة التي طرحها بها ، الى « بسكويت » مثل بسكويت ماري انطوانيت .

ولقد ساقنا معه مسافة مائتين وثلاث وخمسين صفحة ليقدم لنا بسكويت ماري انطوانيت ، ولكنه في هذه المرة « بسكويت ماركسي » . وكما ان الجماهير التي كانت تحاصر قصر ماري انطوانيت لم تكن تطلب منها الخبز ، فان جماهيرنا الباحثة عن الخبز لم تتوجه الى الدكتور صادق جلال العظم طالبة منه البسكويت .

ولكن الدكتور صادق تبرع بذلك . وتبرعه السخي يكشف عقلية بعض المثقفين ، والعرب منهم خاصة ، الذين يظنون بأن قراءة بعض الكتب تغنيهم عن الممارسة ، وعن فهم الواقع وقراءة ، وتجعلهم يقدمون بسكويتا نظريا لجماهير لا يتعدى حلمها « الخبز اليابس » .

وهم في النهاية لا يعتبرون أنفسهم مطالبين بشيء غير هذه « النصائح الثورية الجميلة » . الحل السهل : انه النظرية والحزب والانحياز الى الاشتراكية ، وكل ما عداه خطأ وانحراف وعجز وقصور الخ ... الخ وعلى الجماهير ان تفهم وان

تتعلم وأن تهضم النظرية وتنشىء الحزب ، وتتخذ الموقف الحازم مع الاشتراكية ضد الامبريالية .

ولقد بدأ صادق كتابه مؤكدا ان منهجه مختلف عن منهج الياس مرقص وانه لا يذهب مذهبه ، ولكنه في الحقيقة يتبنى المنهج ذاته ، ليتخطى الياس بعيدا على طريق الميثولوجيا الماركسية الحديثة ، او على طريق بسكويت ماري انطوانيت .

كيف ؟

لقد كان الياس من حيث المنهج ذاتيا وسطحيا وانتقائيا وأحادي الجانب فجاء صادق ليتبنى هذا المنهج ، وليعزز اقانيمه الثلاثة . الياس تبنى الاثافي الثلاث : الحرب النظامية ، الناصرية ، السلم مقابل : الحرب الشعبية ، رفض الاستسلام واستمرار القتال ، وجاء صادق ليتبنى أثافي ثلاثا أخرى ، بالطريقة نفسها ، هي : النظرية الثورية ، الحزب ، الانحياز الى معسكر الاشتراكية ، مقابل كل شيء ، بعد أن جردها من كل مضمون ثوري ، ومن تماسها المباشر مع الواقع المحسوس .

وقد قاد هذا المنهج الذاتي السطحي الانتقائي الاحادي الجانب صادق جلال العظم الى الوقوع في مزالق التعميم والاجتزاء والاختزال والمغالطة. وسوف نضرب أمثلة واضحة على كل منها :

اولا : **التعميم** سنضرب هنا مثلين :

الاول : حول فكر المقاومة : ان عنوان الكتاب هو دراسة نقدية لفكر المقاومة . ويقول صادق في المقدمة « تطمح محاولتي الى تقديم تقييم نقدي لعدد من الافكار والاتجاهات والممارسات الرئيسية التي سادت في حركة المقاومة وسيطرت على عملها وخاصة في منظمة فتح » (ص ٧) . ولكن صادق ما يلبث ان يقول « ان اي تقييم لهذه المرحلة من الكفاح الفلسطيني لا بد ان ينصب بصورة رئيسية على فتح باعتبارها اهم منظمات العمل الفدائي وأكبرها ، وتشكيلها بالتالي العمود الفقري لحركة المقاومة ». ويضيف صادق الى ذلك ما يلي: « يبدو لي واضحا كل الوضوح ان استراتيجية فتح وبرامجها وتصوراتها الايديولوجية وممارساتها قد طبعت المرحلة المذكورة بطابعها الخاص ، واعطتها اتجاهها العام ولونها السياسي الغالب». ثم يحاول تبرير ذلك قائلا : « هذا الرأي ليس اجتهادا من عندي في تفسير الواقع الذي ساد وتحكم بمسيرة المرحلة المعينة ، بل هو مجرد اقرار غير منقوص بما تقوله منظمة فتح عن نفسها باصرار وشدة ، حيث تعتبر ان الثورة الفلسطينية معادلة لفتح لا اكثر ولا أقل » (ص ١٢) .

وصادق هنا يحاول ان يقنعنا بفكرة مسبقة فلا يجد المبررات المقنعة ، ولذلك يلوذ بفكرة ينسبها لفتح. ولكن هل هذا التعميم صحيح ؟

ان فتح هي « العمود الفقري » للمنظمات ، وهذه نظرة طرحت في بعض ادبيات فتح ، ولكن هناك منظمات اخرى . وهذه المنظمات الاخرى لا تعترف بهذه الحقيقة ، لانها تطالب بالمساواة التامة في المجلس الوطني والمنظمات الشعبية . وهنالك لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير فيها اثنان لفتح من عشرة اعضاء . ثم ان المنظمات ليس بالحجم ، وقد عودتنا المنظمات ان تضرب عرض الحائط بهذه النظرية التي يتبناها صادق ، فالمنظمة الكبيرة اليوم من يقول بأنها ستبقى كبيرة في المستقبل . والاراء والاتجاهات لا تقيم بحجم المنظمات فحسب . وفوق هذا ، فان المنظمات عودتنا ان تنظر الى فتح على انها تمثل الاتجاه اليميني المتخلف في الحركة الوطنية ، وعودتنا ان تنسب لنفسها انها تمثل الاتجاه الثوري الجذري البرولتاري . ولقد كان صادق ، وما زال، كما يبدو في كتابه ، من انصار هذا الرأي . فكيف يسمح لنفسه بأن يقيم حركة المقاومة من خلال فتح ؟ وكيف يرضى ان يفرض هذا التعميم على حركة المقاومة ؟ واذا كانت فتح قد فرضت منهجها وأسلوبها على المنظمات الاخرى ، وخاصة ممثلة الاتجاه الثوري الجذري البرولتاري ، الا يعني ذلك ان هذه المنظمات يجب ان « تقيم » حتى نرى كيف يفرض اليمين المتخلف فكره ومنهجه واسلوبه على اليسار الثوري الجذري البرولتاري ! وهكذا تبدو القضية واضحة ، فحين يبحث موضوع الوحدة الوطنية تصر المنظمات على التكافؤ في التمثيل ، وترفض نظرية العمود الفقري ، وحين يبحث فكر المقاومة في المجلات والجلسات يعتبر فكر فتح متخلفا ، وفكر المنظمات الاخرى متقدما ، وحين تستهدف ادانة فتح يصبح فكرها هو السائد .

ان صادقا لا يجيبنا على هذا كله . انه يكتفي بالقول في نهاية كتابه « ... ان منظمات مثل الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية قد برهنت عن عجز مزمن في القدرة على بناء نفسها تنظيميا وماديا ، وتدريب مناضليها وكوادرها ، ووضع استراتيجيتها وتكتيكاتها بصورة تتناسب مع

تحليلاتها النظرية الصائبة عموما وقناعاتها المتقدمة حول طبيعة حركة التحرر الفلسطينية والمآزق التي تواجهها والحلول الجذرية التي تتطلبها » . (ص ٢٥١) . ولكنه ، وعلى الرغم من هذه الفاجعة لا يرى مناسبا ان « يقيم » افكار هذا اليسار الثوري الجذري البرولتاري ! ويبدو ان صادق ينسى ان هذه الثلاثية ليست جديدة ، وان ذوي الافكار المتقدمة — كما يدعوهم — طرحوا هذه الثلاثية ، وكان صادق معهم ، ولكن هذه الثلاثية ظلت « حلما » . وهكذا نجد ان بسكويت صادق « قديم » .

ومن هنا نرى ان هذا التعميم غير علمي ، وانه فوق هذا يستهدف غايتين :

الاولى : الاجهاز على فتح بتحميلها مسؤولية كل الاخطاء والاخفاقات ، والقاء الاضواء على اخطائها واخفاقاتها وحدها ، دون وضع « فتح » ضمن المنظومة الفلسطينية ، وضمن تفاعلاتها وتناقضاتها. الثانية : تبرئة المنظمات الاخرى من المسؤولية ، مع أنها تتحمل مسؤولية كبيرة، لا تقل عن مسؤولية فتح فيما حدث قبل ايلول وخلالها وبعدها .

ومن هنا يجب ان ينظر الى كتاب صادق على انه جزء من حملة التصفية الايديولوجية لفتح ، وبالتالي لحركة المقاومة .

الثاني : الماوية في فتح : يركز صادق على ان هناك خطا ماويا في فتح . ولكنه لا يقول من اين جاء بهذه الموضوعة ، ولا كيف استنتجها . ويبدو انه بنى قراره على بعض الاقتباسات التي قرأها هنا وهناك . لانه ليس هنالك من يدعي ، داخل فتح ، بأنه يمثل خطا ماويا . هذا بالاضافة الى اننا نرى ان هذه التسمية ليست صحيحة ، فيما يتعلق بثورتنا وقضيتنا ، والاصح ان يقال هنالك خط ثوري صحيح او غير صحيح .

ثم ان ماو لم يعالج قضايا الثورة الفلسطينية والعربية ، وهو ليس مطالبا ان يطرح خطا للثورة الفلسطينية والثورة العربية ، لان ذلك من واجب الثوريين العرب .

ومع هذا نجد ان صادقا يقدمني ويقدم منيرا وهاني الحسن واخرين على اننا نمثلون لاتجاه ماوي . وهو تصنيف لا يقوم على اساس ، ويثير الاستغراب لتهافته ، ويستدعي التفكير بأهدافه ، لانه مكشوف التهافت الى درجة كبيرة ، وخاصة داخل صفوف الثورة الفلسطينية .

ثانيا : **الاجتزاء والاختزال :**

اذا كان التعميم خطرا فان الاجتزاء لا يقل خطورة . وصادق الذي أبلى في الاولى ، يحرز قصب السبق في الثانية . انه يقتبس ما يحلو له دون ان يذكر سياقه ، ودون ان يشير الى الظروف التي قيل فيها . ومن هنا تبدو النصوص المقتبسة غريبة وسط المقاطع التي حبّرها وجعلها فواصل بين الاقتباسات ، كما تبدو الاقتباسات غريبة عن اصولها .

وسأورد هنا مثلين فقط :

الاول : يتعلق باقتباس انتزعه صادق من نص لي ، واكتفي ان يورد منه ما يلي : « ان تتكيف (اي الجيوش النظامية) مع الحرب الشعبية الطويلة المدى ، وان يعاد تثقيفها باحترام الجماهير والثقة بها ومحبتها ، وتقدير امكانياتها حق قدرها واحترام ممارساتها » (ص ١١٢) . وقد اعتبر صادق انني توصلت الى هذه النتيجة الغريبة ، بناء على تشخيصي « لطبيعة التناقض بين المقاومة والنظام الهاشمي» ولذلك يتلخص موقفي بمطالبة «الجيوش النظامية القائمة» بما فيها جيش الملك حسين بأن تتغير (لان ناجي علوش لا يميز في كلامه بين جيش نظامي قائم واخر) .

وعلق صادق على هذا الاستشهاد بقوله : « السؤال الاساسي الذي لا يتطرق اليه ناجي علوش في طرحه الطوباوي لهذا المطلب وما يشبهه هو : من هي القوة العربية المسيطرة حاليا التي يعتقد ان من مصلحتها ان تتكيف « الجيوش النظامية القائمة » مع الحرب الشعبية الطويلة المدى الخ؟» ويمضي صادق في تساؤلاته مضيفا « ... يحق لنا ان نسأله الى من تتوجه بهذه النصيحة الرائعة ؟ الى هيئات الاركان المسيطرة في الجيوش العربية النظامية القائمة؟ أم الى الطبقات العربية الحاكمة» (ص ١١٣) .

وما اقتبسه صادق من نص لي ، منتزعا من سياقه، يجب ان نعيده الى سياقه . والسياق هو مشروع برنامج لجبهة وطنية عربية ثورية ومبادىء وأسس لعلاقات مع الجماهير العربية ، تتجاوز الانظمة ، تقدمية او رجعية وتتجاوز قيادات المقاومة ، وهذا ما هو واضح في النص . والفقرة المقتبسة هي ليست الا الفقرة (جـ) من البند (سابعا) .

وأشرنا في النص الى أن « تحقيق هذا البرنامج

يحتاج الى نضال دائب ووعي سياسي نافذ » ، كما أشرنا الى ان الانظمة العربية عقبة حقيقية في طريق تحقيق هذا البرنامج . ويستطيع القارىء ان يراجع كتابي : الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها الصفحات (١٢٣ — ١٢٨) ليرى ما فعله صادق العظم .

وياتي صادق بعد هذا كله لينهال على القارىء بمجموعة من الاسئلة التي تتهم ناجي علوش بالتوجه الى الانظمة ، والى نظام الملك حسين بالذات من اجل تكييف جيوشها مع الحرب الشعبية ...!

الثاني : انتزع صادق فقرتين من سياقهما ، الاولى من ص ١٢٢ والثانية من صفحة ١٣٠ ودمجهما معا ، وعزلهما عن سياقهما .

اورد صادق النص كما يلي : « تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ، نتيجة عجز الحاكمين فيها عن التكيف مع الثورة الفلسطينية ، ونتيجة ارتباطهم بالامبريالية وخضوعهم لمخططاتها ، ونتيجة فزعهم من نمو التنظيمات الجماهيرية ، واتساع نطاق العمل الشعبي المسلح ... ان تطوير العلاقات مع الجماهير يجب ان يعني دفع الانظمة الى الامام بمقدار تطور العلاقات مع الجماهير . وهكذا تكون الانظمة القادرة على التطور والتكيف قادرة على الاستمرار والتقدم ، وتسقط الانظمة التي تعجز عن التطور والتكيف » (ص ١١٠) .

ويعلق صادق على ذلك قائلا : « لنلاحظ هنا انه نتيجة لاعتباره التناقض مع النظام « المرتبط بالامبريالية والخاضع لمخططاتها » في الاردن تناقضا ثانويا ، يمتنع ناجي علوش عن التركيز على الخطر المباشر (الذي لا يقل في أهميته عن الخطر الاسرائيلي) الذي يشكله هذا النظام على المقاومة . لذلك يصفه بعبارات لا توحي بأن النظام يتحرك بصورة ديناميكية ليضرب المقاومة ويصفيها بل بعبارات مخصصة لوصف ردود الفعل فقط وليس لمن يأخذ زمام المبادرة والاقدام » (ص ١١٠) .

وسوف اورد فيما يلي الفقرتين كما جاءتا في كتابي : الموضوع موضوع العلاقات مع الجماهير العربية ، جاء في كتابي :

« وعلى الرغم من ان هذه القضية كانت تشغل بال الكثيرين ، وكانت موضوع همس في الكواليس وموضوع مناقشات خاصة ، متضاربة وحارة احيانا ، فانها لم تكن موضوع مناقشة عامة واضحة وصريحة . السبب بالطبع ، التحسب من الحساسيات والحرص على عدم الدخول في دوامة التناقضات السياسية العربية .

واذا كان هذا مبررا ، فيما مضى ، نتيجة ظروف موضوعية كثيرة ، ونتيجة الشرط الذاتي للثورة الفلسطينية ، فانه لا يجوز ان يستمر التبرير بعد الان . كانت الثورة فيما مضى بحاجة الى تهدئة الامور وتجميد الخلافات ، مهما كانت ، لتتاح لها فرصة اكبر للنمو والاستعداد ..وكانت الثورة ، بسبب ذلك ، مستعدة لقبول السياسات العربية ، كما هي ، وغير مستعدة للمواجهة الا حين تصبح السياسات العربية خطرا مباشرا على الثورة . ولكن المرحلة الجديدة ، مع انها تحتاج الى تخفيف حدة النزاع والصراع على الجبهة الداخلية ، وفي المؤخرة ، وعدم الانجرار الى معارك جانبية ، فانها تقتضي التأكيد على حقيقتين :

الاولى : ضرورة ان تكون المناطق المحيطة بفلسطين ، والاردن — سوريا — لبنان — بالذات، مناطق تملك الثورة حريتها الكاملة في التحرك فيها، دون عوائق او عقبات ، لكي تستطيع الثورة ان تحرك الداخل وتمده بأسباب الحركة ، ولكي تكمل بناء الحزام المسلح الذي تقيمه حول العدو ، وتعده للهجوم كما تعده للدفاع .

الثانية : ضرورة ان يوضع برنامج للعمل ، يحقق الوحدة الوطنية الفلسطينية من جهة ، ويحقق جبهة وطنية مع الحركات الوطنية والجماهير الوطنية في المناطق المحيطة بالاحتلال خاصة ، وبالبلاد العربية عامة . ومثل هذا البرنامج ضروري لتحقيق التفاعل الحقيقي بين الثورة وجماهيرها الفلسطينية والعربية .

ومن الضروري العمل بسرعة لانجاز هاتين الغايتين لان انجازهما هو الذي يضمن توافر امكانيات تتيح للثورة التقدم خطوات الى الامام .

ان انجازهما يضمن :

أ — توفير مناخ اكثر ملاءمة للتلاحم مع الجماهير .
ب — توفير امكانيات بشرية ومادية اكبر ، تجعل قدرة الثورة على تنمية قواها اكبر .

ج — توفير امكانيات سياسية اكبر لحماية الثورة من المؤامرات الداخلية وتحركات القوى المضادة . وان ما يزيد من أهمية هذا كله هو **المعرفة الاكيدة بمعطيات الواقع ، وشعورنا بان الايام المقبلة تحمل**

لنا **مفاجآت كبيرة** . ولا بد لنا في هذا المجال من التذكير بأمرين :

وهنا سنورد النص الذي اشار اليه صادق كاملا : « الاول : تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ، نتيجة عجز الحاكمين فيها عن التكيف مع الثورة الفلسطينية ، ونتيجة ارتباطهم بالامبريالية وخضوعهم لمخططاتها ، ونتيجة فزعهم من نمو التنظيمات الجماهيرية واتساع نطاق العمل الشعبي المسلح » .

اكتفى صادق ان يقف هنا وشطب الاضافة التالية: **« ان هذا التأزم يهدد بالانفجار في اية لحظة . وهناك قوى مضادة للثورة تتهيأ او تهيأ للعب دور حاسم في مواجهة قوى الثورة المتنامية . ان قوى مرتزقة تعد ومناخا ملائما يخلق من اجل تحرك القوى المضادة على نطاق واسع لضرب قوى الثورة » (١٢١ — ١٢٣) .**

ولقد وضع صادق مكان هذه الفقرة ، التي تناقض استنتاجاته تماما ، فقرة من نص اخر ، سنوردها ايضا ضمن سياقها .

ذكرت انني كنت اقترح مشروع برنامج لجبهة وطنية عربية ثورية . وذكرت أنني اعتبرت الانظمة عائقا . وهذا هو النص : « فالانظمة تريد ان تمر علاقة الثورة الفلسطينية بالجماهير العربية من خرم ابرتها . وهي تعتبر ان أي تجاوز لهذا الخرم هو تجاوز لها واعتداء على وجودها وشرعيتها . ولما كانت الثورة الفلسطينية فيلا كبيرا لا يدخل من خروم الابر ، أصبحت القضية بالنسبة لهذه الانظمة واضحة ومحلولة : ان تضغط الثورة الفلسطينية نفسها لتصبح قادرة على ولوج خرم الابرة ، وان تمنع نفسها من ممارسة اية علاقة مع الجماهير العربية خارج « الخرم الرسمي » .

ولما كان الخرم الرسمي مستعصيا على شعرة من شعرات الفيل ، لا على الفيل كله ، اصبحت علاقة الثورة الفلسطينية بالانظمة العربية علاقة **تلامس وتضاد** : الفيل يحاول ولوج خرم الابرة فيرتد دون اية نتيجة .

وهكذا تقف « الانظمة » حاجزا بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية . ووقوفها حاجزا يحد من امكانيات التفاعل المنظم ، ويعرقل نمو العلاقات وتطورها . و « الانظمة » عموما عاجزة ومقصرة ، تغطي تصورها وعجزها بالبيانات والادعاءات . والثورة لا تستطيع ان تربط مصيرها بالقصور والعجز والمبالغة . فما العمل ؟

انها مهمة شاقة وعسيرة ولكن الثورة مطالبةبالعمل على تحقيقها . وتتلخص هذه المهمة في ضرورة النفاذ الى الجماهير ، مهما كانت الظروف ، ومهما كانت النتائج ، لان تقنين علاقة الثورة بالجماهير **العربية مؤامرة تستهدف خنقها وقتلها . والثورة لا يجوز ان تنتظر مقتلها ، وهي تدري ذلك .**

ثم يأتي النص الذي دمجه صادق ناقصا بالفقرة السابقة . وهذا هو النص : « الا ان النفاذ الى الجماهير ، لا يعني بالضرورة الصدام مع الحكومات ، كل الحكومات مرة واحدة . ولا يعني البدء بالتحريض من أجل حرب أهلية عربية شاملة، لان مثل هذا السلوك سيقود حتما الى فجيعة » .

لقد شطب صادق هذا كله من النص واكتفى بايراد الفقرة التالية منه : « ان تطوير العلاقات مع الجماهير يجب ان يعني دفع الانظمة الى الامام بمقدار تطور العلاقات مع الجماهير . وهكذا تكون الانظمة القادرة على التطور والتكيف قادرة على الاستمرار والتقدم ، وتسقط الانظمة التي تعجز عن التطور والتكيف » .

اكتفى صادق بالفقرة المذكورة اعلاه دون ان يهتم بالفقرة التالية : « ولكي يكون الوضع طبيعيا ، وتكون المسيرة سليمة ، لا بد من ان تقوم الجماهير العربية ، من خلال ممارستها السياسية ، ومن خلال منظماتها الشعبية بعملية التطوير هذه .وهذا يقتضي نمو حركة وطنية جماهيرية قادرة على الاضطلاع بهذه المسؤولية الكبيرة » (الثورة الفلسطينية ص ١٢٨ — ١٣٠) .

وهكذا يبدو واضحا ان صادقا لعب بالنصوص لعبا قاتلا ، ليستخرج منها ، عكس ما رمت اليه . لقد اراد ان يقنع القارىء انني لا ادرك خطورة النظام الاردني ، وانني اتوقع ان تتكيف الانظمة العربية الخ . ولسوف اناقش موضوع موقفنا من النظام الاردني في مكان اخر . ولكني اريد هنا ان اسجل فقط ان صادقا لم يكن امينا في اقتباس النصوص ولا تفسيرها ، وانه اراد ان يلصق بنا تهما كبيرة لا تقوم على اساس .

ويكفي هذان المثلان للتدليل على اسلوب « صادق » في الاجتزاء والاختزال ، انهما يكفيان جدا ، ولا

حاجة للمزيد لانهما يعطيان صورة عن منهجه واسلوبه .

ثالثا : **المغالطة**

وسأقدم هنا بعض امثلة ، اتماما لمحاولتي كشف المنهج الذاتي السطحي الانتقائي الاحادي الجانب الذي انتهجه الدكتور صادق جلال العظم .

أ — يجري صادق مقارنة بين فكرة طرحها منير شفيق قبل ايلول بفكرة طرحتها أنا بعد ايلول ، يقول منير : « ... ولذلك اقول ان وجود الجماهير المسلحة ، الجماهير المنظمة ، ووعيها السياسي الذي استطيع ان اقول انه اعلى واعمق من اي وعي سياسي كان في المنطقة العربية منذ عقود طويلة من السنين ، ولاء الجماهير لحرب الشعب ، واستعدادها للقتال وعدم رهبتها من مواجهة الامبريالية والقوى المضادة وتمسكها الحازم بقضيتها ، هذا يدل على تغيير ثوري » .

وأقول أنا : « وفي مثل هذه الظروف نمت البيروقراطية وروح الارتزاق ، وسادت الروح الاستعراضية ، وسيطرت عقلية الارتجال ،وتفشت عقلية الاستزلام ، وانتهى المفهوم الثوري للديمقراطية ، ليصبح النقد جريمة ، ولتصبح المناقشة تهمة ، وليكون التهديد او السخرية المرة جواب الرأي الواضح السليم » .

ويواصل صادق مقارناته المجتزأة المعزولة عن زمانها ومكانها ، ليؤكد خطأ ما ذهب اليه منير شفيق ، وليثبت فكرة مسبقة في رأسه حول « وهم » الثورة الفلسطينية قبل ايلول وبعده .

وتكمن المغالطة في أن صادق استخدم آرائي حول القيادات وممارساتها ، ليرد على منير شفيق الذي كان يتحدث عن الجماهير والوضعية الثورية . ورأيي طبعا لا يختلف هنا عن رأي منير شفيق ، وفي هذه القضية بالذات . ولقد ذكرت ذلك مرارا وتكرارا . وكان من واجب صادق ان يقرأ ما كتبت ليطرح آرائي الحقيقية ، لا أن يحاول اجراء مقارنات مضللة ، كالتي ذكرت . وسأورد هنا بعض آرائي حول موضوع التحول الثوري الذي تحدث عنه منير شفيق .

لقد أشرت الى هذه القضية قبل ايلول في كتابي « الثورة الفلسطينية : ابعادها وقضاياها » قائلا : « استطاعت الثورة الفلسطينية ان تحقق خلال السنوات الماضية نجاحات كبرى . وأهم هذه النجاحات ثلاثة :

الاول : نقل القضية من ايدي « الاوصياء » الى ايدي الجماهير ، بعد ان ظلت في ايدي الاوصياء حوالي عشرين عاما ، وبعد ان حولها الاوصياء الى « مزايدات كلامية » ممجوجة .

الثاني : تحويل العمل السياسي من عمل مثقفين ثرثارين وسياسيين محترفين وحزبيين قاصرين الى عمل مسلح . واذا كان شعار الجماهير ان « الكف لا تجابه المخرز » فقد كان الجواب : « لنجابه المخرز بالمخرز » . وكان هذا التحول تحولا جذريا، على الرغم من انه لم يكن تحولا ايديولوجيا جذريا .

الثالث : خلق المناخ الثوري لدى الجماهير التي عانت الكثير من الهزائم حتى كادت ان تفقد الامل . وقد ساعد هذا المناخ الثوري على زعزعة انظمة مغرقة في عدائها للجماهير ، ولعى كبح جماح القوى المضادة للثورة في بلادنا العربية ... » (ص ٨٤ — ٨٥) .

وكررت ذلك بعد ايلول . أما حديث البيروقراطية والاستزلام والارتزاق فهو حديث اخر . ان القتال الذي خاضته الجماهير في ايلول يؤكد صحة ما ذهب اليه منير شفيق قبل ايلول ، كما ان المعارك التي خاضتها عمان والرصيفة والبقعة واربد ، بعد ايلول ، تؤكد ما نذهب اليه انا ومنير ، على الرغم من وجود كل ما ذكرته ، بعد ايلول .

ب — يقارن صادق بين نصين احدهما لي والاخر لمنير . يتحدث منير عن الدفاع والهجوم في المدن وأتحدث انا عن الروح الهجومية في الثورة .

يقول منير :

« ان قتال المواقع الثابتة قانون لا مفر منه في الدفاع عن المدن والجماهير شريطة ان تصحبه هجمات غوارية صغيرة في بادىء الامر ، بينما يتم مخطط المنظمات الفدائية في مواجهة معركة ايلول ، التحول للهجوم الشامل المضاد » (مناقشة حول ص ٣٣) .

وأقول أنا ان الانحراف اليميني يعني :

١ — فقدان الروح الهجومية ، ذلك ان الحركة الثورية حركة مهاجمة ، حتى وهي في اشد حالات الضعف . وهي اذا فقدت روحها الهجومية تحولت الى حمل وديع في ساحة الصراع . وهنا لا بد ان ينقض عليها الخصوم ويفترسوها » (الثورة الفلسطينية (ص ٩٨) .

وأوضح هنا أن صادق يقارن بين نصين مختلفين ، فالدفاع والهجوم من الناحية العسكرية شيءوالروح الهجومية والروح الدفاعية في الثورة شيء اخر . وأنا ومنير متفقان في القضيتين، ولكن صادق يحاول ان يدلل على تناقض بين النصين وعلى تناقض في موقفينا قائلا : « هذا مع ان زميل منير شفيق في فتح ، ناجي علوش ، يؤكد في كتاباته عن المقاومة ان من علامات الانحراف اليميني في الحركة الثورية» ما ذكرته وما اشار اليه (ص ٢٠٠) .

ولقد أشرت الى هذه القضية في كتابي نحـــو ثورة فلسطينية جديدة ص ١٢٩ ، ولكن يبدو ان صادق لا يقرأ الا ما يريد فقط .

ثم يحاول صادق ان يغالط ايضا في القضية التي اثارها منير . انه يقول : « على كل حال يبدو لي ان العودة الى التاكيد على هذه النقاط فيها شيء من التفاهة ، لان المسألة بديهية جدا ، ولا تحتاج الى مناقشات مطولة ، ولكن ما حيلتنا اذا كـــان منير شفيق يصر على اثارة موضوع الدفاع والهجوم عـــلى مستوى البديهيـــات والامـــور البدائية » (ص ٢٠٠) .

ومنير يصر على اثارة هذا الموضوع وعلى مستوى البديهيات ، لان ممثلي الاتجاه « اليساري الثوري الجذري » في حركة المقاومة والاتجاه اليميني المتخلف سواء بسواء ، اخـــذوا يرددون بعد ايلول مـــا طرحته بعض الحكومات العربية وبعض القيـــادات العسكرية النظامية عليهم من ان العصابات لا تقاتل حرب مواقع ، ومن ان اللجوء الى حرب المواقـــع كان من اكبر اخطائنا في ايلول . وكنا نحن ، انـــا ومنير نسمع هذا الطرح بآذاننا ، ونناقشه مـــع كثيرين . وكنا نعتبر ان هناك من يحاول ان يزرع في اذهان الجماهير ان قتال المواقع خطأ ، وان على المقاومة بالتالي ان تترك المدن والمخيمات راضية مطمئنة . ولقد حدث هذا بعد ذلك عندما أخليـــت عمـــان والمـــدن والمخيمـــات ، وانتقل المقاتلـــون والميليشيا الى الجبال ليمارسوا حرب العصابات . والباقي بالطبع معروف ، وما زالت هـــذه الاراء تطرح حتى الان . الا يحق لنا بعد ذلك ان نشرح البديهيات ونؤكد عليها ؟

وهكـــذا يـــرى القارىء ان التركيـــز على هـــذه البديهيات ، التي يزعج صادق التركيز عليهـــا ، لا يتضمن كشف خط عسكري منحرف يهمل اهمية الدفاع في القتال عموما وحرب الشعب خصوصا ، ولكنه يتضمن ايضا كشف خط استسلامي يريد أن يبرر الانسحاب من المدن وتصفية مكاسب الجماهير بالتستر وراء موضوعات «عسكرية» خاطئة. وكان أكبر خطأ ارتكبته قيادات المنظمات بلا استثناء ، الموافقة على سحب الاسلحة من المدن والمخيمات، وعدم الدفاع عن الجماهير ومواقعها دفاعا بطوليا مستميتاولكن «المنظرين»العسكريين وغير العسكريين برروا « عملية السحب » باسم ان العصابات لا تدافع عن مواقع . ولهذا كانت الهزيمة بعد ايلول، من بين اسباب اخرى . ان الجماهير قاتلت في ايلول قتالا بطوليا ودافعت عن مواقعها ، كما دافعت بعد ايلول ، وما زلت انا ومنير مصرين على مواقفنـــا التي أعلنها بهذا الصدد ، قبل ايلول وبعده .

واذا كانت هذه البطولات لا تحظى بقليل من اهتمام صادق ، فاننا نذكر صادق « الماركسي » بما قاله ماركس عن جماهير باريس بعد هزيمة الكومونة : « يا لهؤلاء الباريسيين ، يا لمبادرتهم ويا لشجاعتهم! لقد عصفوا بالسماء » . ونذكره ايضا بالاهتمام الكبير الذي اولاه ماركس وانجلـــز ولينين وكـــل الماركسيين لكومونة باريس . وما زالوا يولونه . وكان في كومونة باريس حوالي اربعمائة الـــف مسلح ، ظلوا يحكمون باريس حوالي العام ،وحين هاجمهم جيش تيير هزموا بعد ستة ايام . ومع ذلك تقام الاحتفالات كل عام تخليدا لبطولتهم. وجماهيرنا في عمان والاردن لم تكن تملك عشر السلاح الـــذي ملكته الكومونة ، ومع ذلك واجهت جيشا لا يقل عن جيش تيير عددا، وصمدت في معركة طاحنة استمرت شهرا ٨/٢٨ ـــ ١٩٧٠/٩/٢٨ ، ما عدا المعارك السابقة . وظلت بعد ذلك تقاتل قرابة عام .

وعلى الرغم من ذلك كله فان جماهيرنا في عمـــان والاردن لا يحتفل ببطولاتها ، ولا تخلد ذكرىمعاركها الخالدة ، وبدلا من ان تدرس اخطاء تجربتها وتثمن بطولاتهـــا تركز الاضواء عـــلى الاخطـــاء تركيـــزا « هستيريا » وتنسى البطولات نسيانا كاملا .

أما كانـــت بطولات جماهيرنـــا تستحق من صادق وزملائه وقفة قصيرة ! واذا كانت الاخطاء تستحق كل هذا الاهتمام الا تستحق البطولات والمبادرات اضعاف اضعاف ما استحقته الاخطاء . انالشعوب لا تتعلم من اخطائهـــا فحسب ، انها تتعلم مـــن بطولاتها ايضا .

ولكن الذين لا يثقون بالجماهير ، والذين يحتقرون مبادراتها « العفوية » لا يرون الا اخطاءها ، لانهم

يقدسون « الذات القائدة المنظرة » ممثلة بهم وبحزبهم « الخيالي » ونظريتهم « الطوباوية » ، ويسمون ذلك كله « ماركسية ــ لينينية » .

ــ ٢ ــ

ومن حيث المنهج ايضا ، فان صادق جلال العظم استمرار للمدرسة نفسها التي فرخت بعد حزيران، والتي لبست لبوس الماركسية ، محولة الماركسية الى ميتافيزياء عجيبة . واذا كان الياس مرقص هو استاذها الاول ، فان صادق ليس الا احد تلامذتها الذين استهوتهم استثارة الميتافيزياء الجديدة ، فحملوا رايتها غير هيابين .

وهنا حدث الاشكال : ذلك ان الميتافيزياء هي ليست الماركسية ، وهم يحاولون جعل الماركسية ميتافيزياء . الماركسية هي النظرية المادية في المعرفة ، هي المادية الجدلية والمادية التاريخية ، وهي فوق هذا وذاك بحث ودراسة وتحليل وممارسة . انها معرفة التناقضات لا عن طريق اخضاعها للفكر فقط ، بل عن طريق الاحتكاك بها بالممارسة . وماوتسي تونغ الذي استشهد به صادق كثيرا ، يركز على هذه الناحية كثيرا . ولا بأس هنا من استحضاره . انه يقول :

« ان للمادية الديالكتيكية من الفلسفة الماركسية ابرز ميزتين : اولاهما صفتها الطبقية ، فهي تعلن بصراحة ان المادية الديالكتيكية هي في خدمة البرولتاريا ، والثانية صفتها العملية ، فهي تؤكد تبعية النظرية للممارسة العملية ، حيث ان النظرية تقوم على أساس الممارسة العملية ، ثم تعود لتخدم الممارسة العملية ثانية » .

وحين يتساءل ماو : « من أين تنبع الافكار السديدة ؟ » يجيب : « انها تنبع من الممارسة الاجتماعية وحدها ، تنبع من ثلاثة انواع من الممارسة الاجتماعية : النضال من اجل الانتاج والصراع الطبقي والتجربة العملية » (الكتاب الاحمر ص ٢١٦) .

والماركسية تنطلق « من الحقائق الموضوعية لا من التعاريف المجردة » وتتوصل « ... الى مبادىء مرشدة وسياسات واجراءات عن طريق تحليل تلك الحقائق » (الكتاب الاحمر ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣) ولهذا فالماركسية مجهدة ، وان يكون الانسان ماركسيا معناه ان يجد ويعمل ويبحث ويناضل . ولكن الانسان لا يحتاج الى هذا كله ، اذا اراد ان يكون مثاليا . يقول ماوتسي تونغ :

« ان المثالية والميتافيزيقا هي الشيء الوحيد في العالم ، الذي لا يكلف الانسان اي جهد ، لانها تتيح له ان يتشدق كما يشاء دون ان يستند الى الواقع الموضوعي ، ودون ان يعرض اقواله لاختبارات الواقع . أما المادية والديالكتيك فهي تكلف الانسان جهدا ، اذ انها تحتم عليه ان يستند الى الواقع الموضوعي ، وان يختبر امامه ، فاذا لم يبذل جهدا انزلق الى طريق المثالية والميتافيزيقا» (الكتاب الاحمر ص ٢٢٣ ــ ٢٢٤) .

ولقد اختارت هذه المدرسة (مدرسة مرقص ــ العظم) هذا الطريق . ولهذا وقعت في المزالق التي ذكرناها آنفا ، ووقعت اضافة الى ذلك فيما يمكن ان يسمى الاطلاقية . وهذه النظرة من بعض مظاهر المنهج الذاتي . وقد سماها ماوتسي تونغ النظرة الوحيدة الجانب ، وعرفها كما يلي :

« وهي النظرة الميتافيزيقية الى القضايا . فالنظرة الوحيدة الجانب في تقديرنا لاعمالنا هي اما اثبات كل شيء واما نفي كل شيء .... ومعنى اثبات كل شيء هو ان المرء يرى من اعمالنا الجانب الحسن وحده دون الجانب السيء ، ويقبل المدح وحده دون النقد . والقول بأن اعمالنا حسنة من كل ناحية ، فيما يبدو ، هو قول لا يطابق الحقيقة، اذ ليست كل اعمالنا حسنة ، بل ما زالت هنالك نقائص واخطاء فيها . كما انها ليست سيئة كلها ، لان هذا ايضا يجافي الحقيقة . اذن فالتحليل واجب في هذه الحال . اما نفي كل شيء فهذا يعني ان المرء يعتبر ، دون ان يقوم بأي تحليل ، انه ما من شيء قد انجز بصورة مرضية ، ويخيل اليه ان قضية البناء الاشتراكي العظيمة ، قضية النضال العظيم الذي يسهم فيه مئات الملايين من الناس كلها فوضى وليس فيها ما يستحق التقدير . وبالرغم من ان كثيرا ممن ينظرون هذه النظرة يختلفون عن الذين يضمرون العداء نحو النظام الاشتراكي ، الا ان نظرتهم هذه خاطئة ومضرة جدا ليس من شأنها الا ان تسبب فقدان الثقة بقضيتنا . لذلك فمن الخطأ تقدير عملنا سواء من وجهة النظر القائلة باثبات كل شيء او القائلة بنفي كل شيء » (الكتاب الاحمر ٢٣٢ ــ ٢٣٣) .

وهذا ما فعله صادق ، كما فعله الياس مرقص من قبل . وسندرس هذه الاطلاقية ، كما برزت عند صادق من خلال المظاهر التالية :

اولا : يردد صادق ان الانظمة العربية استوعبت حركة المقاومة و « ... بعد مضي خمس سنوات على هزيمة حزيران اصبح التجانس شبه كامل بين حركة المقاومة والوضع العربي المهزوم من حيث تجميد اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي». ويضيف صادق : « حتى في هذا الامر الهام جدا والحساس الى اقصى الحدود اصبح الفارق بين الوضع الفعلي للمقاومة من جهة وللانظمة العربية من جهة اخرى معدوما وغير ذي بال » (ص ٢٠) ولقد استوعب « الواقع العربي بكل زيفه وضعفه » ... « الثورة الفلسطينية وهضمها ... » (ص ٣٤) . ويضيف في مكان اخر : « ... استقر ميزان التأرجح في علاقات فتح بين طرفي التزامها الرسمي والجماهيري الى جانب الانظمة . حتى على صعيد العمل العسكري استقر التأرجح الى جانب الطرف الرسمي والتبعية لمنطق الجيوش النظامية » (ص ١٦٦) .

ويعلق صادق على بيان اصدره كمال ناصر في ٧١/١١/٢٥ حول رياح الحرب الساخنة التي تهب على المنطقة ، بعد خطابات القاها السادات في الجبهة قائلا :

« لا اعتقد انه بامكان انسان ان يعثر على صك رسمي يكرس تبعية فتح والتصاقها بالانظمة العربية وجيوشها بوضوح اكبر مما فعله هذا البيان » (ص ١٦٩) .

وصادق في هذا كله ، لا يخرج عما قاله ماوتسي تونغ في تعريفه للنظرة الاحادية الجانب ، ونظرته « ... خاطئة ومضرة جدا ليس من شأنها الا ان تسبب فقدان الثقة بقضيتنا » . انه هنا يرى « قضية النضال العظيم الذي تسهم فيه مئات الملايين من الناس كلها فوضى ، وليس فيها ما يستحق التقدير » كما يقول ماوتسي تونغ . واذا ما تحدثنا عن وضعنا بلغتنا قلنا ان صادق يرى ان كل شيء قد انتهى .

هذا ما تعودنا ان نسمعه من مدرسة صادق والياس وغيرهما منذ ما قبل ايلول .

ولكن هل هذا هو الحقيقة ؟

علينا ان نخضع القضية للتحليل .

واذا ما اخضعناها اكتشفنا ما يلي :

أ ــ هنالك تراجعات فعلا ، بدأت منذ البدء بتنظيم الاسلحة وجمعها من ايدي الجماهير في الاردن ، وادت الى فقدان الاردن كله ، والى تجميد العمليات العسكرية من لبنان . وهذه التراجعات اساسية وخطيرة ، كما بينا واوضحنا في اكثر من مكان ، واكثر من مناسبة .

ب ــ السبب الاساسي لهذه التراجعات ذاتي الا ان الظروف الموضوعية لعبت دورا في استعجال هذه التراجعات .

ج ــ هنالك قيادات اصبحت تزداد قناعة يوما فيوما بانتهاج طريق البحث عن « الحل المناسب » ومنهم من ينظر لاخلاء المواقع والقاء البنادق والتقوقع في خلايا معزولة تحت شعار العودة الى العمل السري وبناء الحزب الثوري وتبني النظرية الثورية ، والتخلص من رذائل البرجوازية الصغيرة ومباذلها.

د ــ وهنالك كوادر وقواعد مصممة على القتال والاستمرار ، يساندها رأي عام فلسطيني وعربي وقوى وطنية مع الاستمرار وضد التوقف ، مع القتال وضد الاستسلام .

و ــ وما زال هناك قتال داخل الارض المحتلة ، وما زالت هناك بنادق على الحدود ، وفي المخيمات تدافع عن الثورة ، ولا تقبل الاستسلام . وما زالت هنالك قوى فلسطينية تعمل على احباط الحلول الاستسلامية .

ولذلك فاننا لا نستطيع ان نرفع الراية البيضاء باسم المقاومة ، ولا يجوز لنا ان نرفعها . وحين نفعل ذلك كما فعل صادق لا نخدم قضية القتال بل نضرها . وهذا لا يعني ان نخدع الجماهير ، وان نزين الامور لها ، بل يعني ان نكشف التراجعات وعواملها الحقيقية ، وان نحدد حجمها الحقيقي ، وان نعمل بدأب ووعي لمحاربة العدو وللتمسك ببنادقنا ، ولتثوير الجماهير وتعبئتها ، ولاسقاط القيادات العاجزة والمتراجعة . انه عمل واحد موحد . وهذا العمل لا يتم برؤية جزء واحد من الصورة : التراجعات . لا بد من ان نرى الجماهير المستعدة والقوى الكامنة والكوادر المتحفزة والقيادات التي ما زالت تقاتل حتى النفس الاخير . ومن لا يرى ذلك لا يرى حقائق الواقع ، ولا يعرف ديالكتيك الصراع في المجتمع ، ولا يثق بالجماهير وبامكانيات النصر .

ومن هنا فاننا لا نقول مع صادق ان المقاومة « سقطت » واستوعبت ، اننا نقول : انها تواجه

صعوبات حقيقية وازمات ومخاطر ومع ذلك فمنها قوى ما زالت تعارض وتقاتل ، قدر طاقتها ، وما زالت مختلفة عن الانظمة العربية ، على نقيض ما يؤكده صادق . ونقول أيضا : اذا كانت هنالك قيادات وفئات في المقاومة أصبحت قابلة للسقوط او سقطت ، فهناك داخل المقاومة وداخل جماهير الشعب الفلسطيني مناضلون مصممون على الاستمرار ، وعازمون على مقاومة التبعية والبروقراطية وكل المظاهر السلبية . ايجوز لنا ألا نرى هؤلاء ؟ ثم لماذا تشن الامبريالية والصهيونية والرجعية كل هذه الهجمات الشرسة على المقاومة وقياداتها اذا كانت لا تختلف عن « الانظمة » !

ثانيا : يؤكد صادق على ان المقاومة امتداد لحركة التحرر الوطني العربية ، وان استسلام هذه ناتج عن استسلام تلك وعيوب هذه هي عيوب تلك . وما أظن أحدا يناقش صادق في ان القيادة الفلسطينية هي احدى قيادات البرجوازية الصغيرة العربية . ولكن هذه القيادة الفلسطينية البرجوازية الصغيرة مختلفة عن زميلاتها العربيات . ولقد حاول صادق ان يحدد تفردها (ص ٢٢) ولكنه لم ينجح . انه لم ير وضعها الخاص . ويتلخص في انها منفية ومشردة ، او محرومة من السلطة في الارض المحتلة والاردن وكل مكان ، وأنها لذلك تقاتل ، انها تحمل كثيرا من خصائص زميلاتها العربيات ، ولكنها ستبقى متمردة من بين زميلاتها لانها ما زالت بعيدة عن السلطة . ان هذا يعني ان القيادة البرجوازية الصغيرة الفلسطينية لا تختلف عن زميلاتها العربيات من حيث التكوين الايديولوجي ، ولكنها ستختلف عن زميلاتها العربيات فيما يتعلق بقضية الموقف من دولة الاحتلال الصهيوني ، وقضية الحرب و« السلام » . واذا سقطت شرائح منها ، فستبرز شرائح اخرى بسرعة من الجماهير الفلسطينية التي تنمو برجوازيتها الصغيرة بسرعة . ومن لا يرى هذه الحقائق لا يعرف كيف يعالج قضايا الثورة !

وهذا لا يعني ان القيادات الفلسطينية الحالية ستتجاوز القيادات العربية المماثلة في اتجاه ثوري جذري اشتراكي ، لان هذا من مهمة البروليتاريا وحزبها ولان البرجوازية الصغيرة لا تستطيع أن تقود نضالا وطنيا ديمقراطيا اكثر جذرية من نضالها خلال السنوات الماضية ، ولكن البرجوازية الفلسطينية الصغيرة ستلعب دورا اكثر جذرية في النضال الوطني مما يتوقع صادق ، انها لم تنته ، ولم ينته دورها بعد وستظل كذلك الى أمد غير قصير . أما دورها القيادي ، فيبقى الى ان يقوم الحزب الطليعي الجديد بالقيادة ، وان كان دورها في النضال الوطني الديمقراطي ، حتى بعد ذلك ، لن يتقلص كثيرا ، وسنبقى الى ان يقوم الحزب الطليعي ، حزب الشغيلة والكادحين ، أسرى قيادة البرجوازية الصغيرة وذبذباتها ومصالحها ومطامحها ، ولن نستطيع ان نسقطها بالجمل الطنانة والنضال اللفظي العنيف . ومن هنا فان المطلوب الان ليس اسقاطها ، ما دامت تقاتل ، ولكن المطلوب بلورة خط ثوري صحيح يضع المشروع العملي لبناء التنظيم الثوري واستنهاض الجماهير وبناء الجبهة الوطنية العريضة ، فلسطينيا وعربيا .

ونحن لا نقول ان هذا يتم عفويا ، كما يزعم صادق (ص ٤٢ و١١١) لاننا حددنا موقفنا من هذه القضية منذ وقت طويل ، وفي كتابنا الذي استشهد به صادق مرارا : « الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها » (ص ٨١) . ولكننا نضيف ان ذلك يتم من خلال النضال العملي ، لا من خلال قراءة الكتب وتحبير الاقتراحات الثورية ، ومن خلال الجماهير وحركاتها العفوية .

ثالثا : ويحاول صادق ، منذ السطر الاول لكتابه ، ان يقنعنا بأنه : « ... ليس من الضروري الاسترسال طويلا في التذكير بالانجازات الايجابية الكبيرة التي حققها الصعود العنيف لحركة المقاومة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ » . ويضيف صادق : « بهذا الصدد ، هناك حقائق اصبحت ثابتة ، ومن المتعذر الشك بها أو المكابرة فيها » .

ومما يذكره صادق :

« مثلا التأثير الايجابي الضخم الذي أحدثه الكفاح المسلح في أوساط الجماهير الفلسطينية ، والامكانات النوعية الجديدة التي فتحها هذا الاسلوب في النضال امام الحركة الوطنية على الصعيد الجماعي وأمام الكثيرين من العرب على الصعيد الفردي ، لبناء المستقبل العربي على اسس اكثر ثورية وحداثة وضمانة مما جرى في السابق . يضاف الى كل ذلك عملية التجذير القوية (وان كانت افقية) التي أحدثها الكفاح المسلح في قطاعات واسعة من الجماهير العربية غير الفلسطينية ، خاصة في الاوساط الشعبية والشبابية والطلابية وفي صفوف الانتلجنسيا » (ص ٩) ، وهو هنا بالطبع يردد

ما قاله منير شفيق ، مع انه انتقد منير على مـا ذهب اليه .

ويشير صادق الى أن المناضلين : « الاكثر وعيا وتقدما في الحركة » والمثقفين : « الاكثر راديكالية ممن ارتبطوا بها » كان واضحا لهم منذ البداية أنها « مثقلة باعباء الارث الذي حملته من انماط الحياة العربية الماضية والحاضرة التي جعلت انهيار عام ١٩٦٧ محتما » (٩ — ١٠) . ثم يواصل : « لكن من جهة أخرى كان الكفـاح المسلح يبشر أيضا بامكانية اتخاذ خطوات جادة باتجاه تحقيق مستقبل أفضل حيث تتراجع الهيمنة الامبريالية على الوطن العربي (والشرق الاوسط عامة) وتتقدم قضية الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه أشواطا الى الامام ، كما تنكمش البنى الاجتماعية العربية الرجعية والقمعية السائـدة امام امتداد البنـى الجديدة لصالح التمرد والعمل الثوري واعـادة البناء الاجتماعي على أسس اشتراكية واضحة . كان جليا كذلك أنه بدون السير على ما يشبه هذه الطريق لن يكون باستطاعة الشعب الفلسطينـي العمل بصورة جدية على تحرير ارضه ، كما انه لن يكون باستطاعة باقـي الامة العربية التصـدي بنجاح لاعداء شرسين مثل القوى الرجعية في الداخل والسطوة العسكرية الاسرائيلية في الخارج وهيمنة المصالح الامبريالية على الوطن عموما» (ص ١٠). ويكتفي صادق بمدخل عام لا يتعدى الصفحات الثلاث، ليكرس مائتين وخمسين صفحة للحديث عن تراجعات المقاومة وسلبياتها . ولا يكرس صادق اي فصل او مقطع من هذا الكتاب الكبير للحديث عن المنجزات والانتصارات . ان ماركس ولينين تحدثـا عـن الكومونة ، ولم تكن تستوقفهما أخطاؤها فحسب ، بل كانت تستوقفهما نضالات جماهيرها ، ذلك أننا لا نتعلم من الاخطاء فحسب ، بل نتعلم ايضا من البطولات ، من حماسـة الجماهير واندفاعهـا وتضحياتها ، ومن البطولات الفردية ايضا .

لماذا لا يقدم الدكتور صادق الوجه الاخر للصورة ؟

لان النزعـة الذاتية التي قام عليها منهجه قادته الى هذا المنزلق . لقد اعـدم قادة البرجوازية الصغيرة في رأسه ، ولذلك قد بلا من اعدام حركتهم كاملة ، بما في ذلك نضالات الجماهير وبطولات الكوادر والعناصر .

وهذا هو ديدن هذه المدرسة منذ ظهورها . انها تعدم دائما كل النضالات الوطنية والديمقراطية و« العفوية » ، لانها ليست من منتجات مضنـع « بسكويت » البرولتاريا « الوهمية » !

وهكذا نرى ان المعارك التي خاضتها قوى المقاومة والاثار التي أحدثتها لا تستحق منه الا اشـارة موجزة جدا في اول كتابه ، وهامشا يعيدنا فيه الى كتاب الدكتور حسام الخطيب : « التجربة الوطنية الفلسطينية » (ص ٩) .

ان هذا التجاهـل لنضالات الجماهير وتضحيـات الكوادر والعناصر ، والاستخفاف بالذين يضعون ثقتهم بالجماهير ، والسخرية من الذين يصرون على ان الثورة أحدثت تقدما كبيرا بوجود«عشرات الالوف من الجماهير المسلحة ، الجماهـير المنظمة فـي المخيمات وفي الضواحي الشعبية بوجود التنظيمات الشعبية والتنظيمات الجماهيرية ووجود ميليشيـا شعبية» وان هذه الظواهر « تدل على تغيير جذري في الفكر السياسي لدى الجماهير ، وفي الممارسة الثورية في المنطقة ... » ... ان هذا كله يكشف موقفا ذاتيا بعيدا عن العلم والماركسية ، وبعيدا عن الجماهير ونضالاتها . ان الذين يعرفون الجماهير من الكتب والجرائد طبيعي ألا يقدروا نضالاتها !.. والذين يكتبون عن الثورة جملا طنانة يعطون للجمل الطنانة اهتماما اكبر كثيرا من اهتمامهم بالجماهير .

— ٣ —

ولقد قاد صادق موقفه الذاتي الى ان يتخذ موقفا ذاتيا وعدائيا مني ومن منير شفيق . ويهمني في هذا الموقف ما يلي :

اولا : اتهامنا بالتبريرية

ثانيا : تشويه موقفنا من الاردن .

ونحن في هذين المجالين ، كما في غيرهما ، ليس بيتنا من زجاج ، لانه كان واضحا دائما ، وكنا نود ان لا يتحول الموضوع الى موضوع شخصي ، ولكن الحملات المغرضة منذ سنتين تسير في خط واحد ، يستهدف تشويه مواقفنا الواضحة التي تعرفهـا قيادات وكوادر وقواعد . ولذلك فسنوضح بعض الحقائق دون ان نسمح لاحد بأن يجرنا الى الحديث عن اعمالنا ومواقفنا .

أ — حين انضممنا الـى حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) كنا نعلم أننا ننضم الى حركة تقودها البرجوازية الصغيرة . وكنا نعرف طبيعة الحركة وطبيعة قيادتها ، ولم تخامرنا اية اوهام حول هذه القضية . وكنا نعلم طبيعة البرجوازية

الصغيرة عموما ، وطبيعة البرجوازية العربية الصغيرة خصوصا ، والفلسطينية على الاخص . ولم يدر في خلدنا يوما ان النضال الفلسطيني سليم ومعافى ، وان البرجوازية الصغيرة ستقوده الى شاطىء السلامة . ولذلك قررنا ان نكون مع الجماهير ، وانتقلنا الى صفوفها ، لنقاتل معها ، ولنتعلم منها ، ولنحرضها على مزيد من النضال ، ونكتسب منها الصبر والصلابة والوضوح . وكان منهجنا يقوم على : استخدام معرفتنا لتحليل الواقع، ثم اختبار هذا التحليل عن طريق الممارسة. ولذلك كنا نرفض الافكار « ما فوق الماركسية » ، و« ما فوق الحمراء » ، ونرفض ميتافيزياء يساريي الكتب والمقاهي رفضا قاطعا ، كما كنا نرفض ايضا غيبيات البرجوازيين الصغار ومثالياتهم . وهذا ما جعلنا نقف موقفا نقديا من البرجوازيين الصغار كلهم : الذين رفعوا راية ميتافيزياء الماركسية والذين رفعوا راية ميتافيزياء الافكار البرجوازية الصغيرة . وكنا نعلم ان هذه وتلك اوهام البرجوازية الصغيرة .

ب — كان موقفنا منذ البدء ، وبعد ان استوعبنا مبادىء المعرفة العلمية ، يتلخص بالتالي : الممارسة والتعلم من الممارسة ، النضال والنقد ، النقد لخدمة الممارسة ولخدمة خط الجماهير ، كشف الاوهام من خلال الممارسة وزرع الافكار السليمة خلال الممارسة . ولذلك كنا نرى ان الاوهام لا يمكن ان يسقطها الا مناضلون يملكون الخط السليم ، وان الافكار الصحيحة لا يمكن ان تنمو الا عبر الممارسات الصحيحة ، وعبر جو الجماهير لا في أوساط النخبة .

ولم نكن نعتبر ان هذه مهمة قابلة للتحقق بسرعة . كنا نراها مهمة طويلة تحتاج الى سنوات من العرق والالم والتأمل والممارسة . وكنا نعلم ان انتصار الخط السليم لن يكون نتاج كتابة « الوصفات الثورية » ، ولا نتاج « الطهر الثوري » و« الاحلام الثورية » بل نتاج التجربة العملية والممارسة العملية ، مع الجماهير ، وعبر كل تعقيدات الواقع والتواءات الحياة الانسانية .

ولهذا لم نخف البرجوازنة الصغيرة ، ولا خشينا ان تلوثنا مباذلها ، ولا أن تخدعنا افكارها . لم يكن امامنا مجال غير العمل معها ، ضمن ظروف الحركة الوطنية العربية خلال العشرين سنة الماضية . وكنا لا نريد ان نصنع لانفسنا قصورا ثورية نقبع فيها ، ونطلب توزيع البسكويت على الجماهير المطالبة بالخبز من نوافذها . ولكنا ، وخلال كل حياتنا السياسية منذ اوائل الخمسينات ، ونحن نصارع تيارات البرجوازية الصغيرة ، سيان كان ذلك في الاحزاب التي انتمينا اليها ، او خارج اطار هذه الاحزاب .

ومنذ أن نلنا شرف عضوية فتح والثورة الفلسطينية ساهمنا بجهدنا المتواضع في النضال ضد الاعداء وضد الاخطاء ، وكنا دائما نناضل ونحن وسط الجماهير ، ونتخذ مواقف واضحة ، وننتقد من خلال استنباط خط الجماهير . ولما كانت الاطر التنظيمية ليست ضمانة ، كنا نصر على ان ننقل النقد الى الجماهير . وكتابي « الثورة الفلسطينية: ابعادها وقضاياها » حزيران ١٩٧٠ ، مثل كتاب منير شفيق : « التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية » نوع من النقد العلني لكل افكار البرجوازية الصغيرة ، وبكل قياداتها « ماركسية » وغير ماركسية . ثم ان دراساتنا ومقالاتنا وندواتنا وكتبنا كرست لخدمة هذا الغرض . وهنالك ايضا ما كتبناه بلا أسماء ، وفي صحف ومجالات مختلفة ، وما طرحناه في جلسات سرية .

ولكنا لم نكن مثل صادق ومدرسته في هذا كله ، نثبت كل شيء او ننفي كل شيء ، كما يقول ماو تسي تونغ ، لان الجدل لا يعلمنا هذا الاسلوب الميتافيزيائي . لقد كنا نحاول أن نرى الصورة بكل جوانبها ، والالوان بكل اختلافاتها ، ولم نكن نريح أنفسنا وراء شعارات وكليشهات وافكار طوباوية. هذا كان منهجنا وما زال . ولا يعني هذا أننا لم نخطىء . فقد أخطأنا ، ولا نخاف مناقشة أخطائنا أمام الناس ، لاننا واثقون من صحة منهجنا . ولكنا لم نخطىء مرة واحدة بالوقوف ضد خط الجماهير ، ولا وقفنا مرة واحدة في الابراج العاجية نتهكم على المقاتلين والشهداء ، ونسخر من عفوية الجماهير . وكل خطأ ارتكبناه كان نتيجة عدم معرفة خط الجماهير ، وعدم التعلم منها بتواضع اكثر .

ج — وكان موقفنا ، فيما يتعلق بالاردن واضحا منذ البدء . لقد عشنا مع الجماهير في الاردن ، وعرفنا كل أشكال القمع والبطش والتنكيل . وتربينا وسط شعور جماهيرنا بخيانة النظام العميل في عمان ، وعشنا منذ ١٩٤٩ تآمره وخيانته . ولم نكن من المنظرين الذين عاشوا بعيدين عن الاردن وجماهيره. وكنا فوق هذا نعي الدور الرجعي العميل الذي

يلعبه النظام الاردني ضد الحركة الوطنية الفلسطينية خصوصا وحركة التحرر الوطني العربية عموما . ولذلك كان موقفنا واضحا كل الوضوح ، داخل فتح ، ومع المنظمات الاخرى ، وأمام الجماهير . وسوف لا نطرح هنا المعلومات التي يعرفها صادق وقيادات المنظمات بما فيها الجبهة الشعبية والديمقراطية ، وان كان قد عمل على التشكيك بموقفنا (الصفحات ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٤ — ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠) . سوف نترك الممارسة جانبا ، لان صادقا يحتقر الممارسة ، ولان الحديث عن الممارسة الشخصية ، حتى في مثل هذه الحالة ، يبدو دعاية للنفس ودفاعا عنها . وسوف نناقش النصوص لنرى مدى احترامه « الاكاديمي » لها ومدى أمانته العلمية في فهمها ومناقشتها .

د — يقول صادق ، في هذا الصدد ، بأنني رفضت « قبل هزيمة ايلول بأشهر قليلة » ... أن أتطرق « ... ولو بصفحة واحدة الى موضوع السلطة العميلة ومسألة الاطاحة بها » في كتابي عن « أبعاد الثورة الفلسطينية وقضاياها » (ص ١٤٧) .

ومع انني كنت اقوم بدوري ، بصدد هذه القضية في كل مجال ، فانني أيضا لم أهملها في الكتاب المذكور الذي قرأه صادق على ما يبدو من كثرة الاستشهادات به .

ان الفصل الخاص بـ « العلاقات مع الجماهير العربية » (ص ١٢٠ — ١٢٨) كان واضحا في هذا المجال . ولقد أكدت في هذا الفصل على الحقائق التالية :

أ — ان هناك مرحلة جديدة ، وان هذه المرحلة تقتضي عدم قبول « السياسات العربية » . وتقتضي المرحلة الجديدة ايضا التركيز على حقيقتين الاولى منهما: «ضرورة ان تكون المناطق المحيطة بفلسطين، والاردن وسوريا ولبنان بالذات ، مناطق تملك الثورة حريتها الكاملة في التحرك فيها ، دون عوائق او عقبات ، لكي تستطيع ان تحرك الداخل وتمده باسباب الحركة ، ولكي تكمل بناء الحزام المسلح الذي تقيمه حول العدو ، وتعده للهجوم كما تعده للدفاع » (ص ١٢١) .

ثم تضيف الصفحة التالية :

« وان ما يزيد من أهمية هذا كله هو المعرفة الاكيدة بمعطيات الواقع ، وشعورنا بأن الايام المقبلة تحمل لنا مفاجآت كبيرة . ولا بد لنا في هذا المجال من التذكير بأمرين :

الاول : تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ... ان هذا التأزم يهدد بالانفجار في اية لحظة . وهنالك قوى مضادة للثورة تتهيأ او تهيأ للعب دور حاسم في مواجهة قوى الثورة المتنامية . ان قوى مرتزقة تعد، ومناخا ملائما يخلق من أجل تحرك القوى المضادة على نطاق واسع لضرب قوى الثورة » (ص ١٢٢ — ١٢٣) .

لقد رفض صادق ان يقرأ هذه الفقرات ، مع انه استشهد بفقرات اخرى من نفس الصفحات كما بينا .

سأقدم لصادق دليلا آخر . لقد ارسلت مقالا لدراسات عربية قبل ايلول ، وكان صادق رئيس تحريرها . وجاء في هذا المقال ما يلي :

« ولهذا نرى تحركات مشبوهة في الاردن ولبنان مثلا » . وبعد ان نوضح هذه التحركات نقول :

« ان مثل هذه التحركات تطرح علينا بوضوح قضية الصدامات التي ستحصل قريبا ، والتي ستفرضها الاوساط العميلة على الثورة ... » دراسات عربية ، العدد التاسع ، تموز ١٩٧١ ، ص ٨٥ .

ب — وطرحت هذه القضية ، بعد ايلول مباشرة ، وقبل أن تحصل التراجعات طرحا واضحا ، راح صادق يسخر منه على اساس انه جاء بعد خراب البصرة ، ولكن البصرة لم تكن قد خربت بعد ، وكان ما طرحته بعد أيلول علنا هو استمرار لما كنت أطرحه قبل أيلول .

ج — ونود ان نقول كلمة اخيرة في هذا المجال هي أننا لم نكتف خلال السنوات الماضية ، وفيما يتعلق بالاردن او غيره ، باطلاق الشعارات وكتابة « المقالات » « ما فوق الماركسية » ، بل كتبنا ومارسنا ، ولم نفصل النظرية عن الممارسة ، ولا الكلمة عن البندقية . واذا كنا لم نستطع ان نسقط نظام الحكم الاردني ، فليس لاننا اعتبرنا التناقض مع النظام الاردني تناقضا ثانويا ، ولا لاننا لم نعمل لاسقاطه ، بل لان اصحاب نظرية التعايش من جهة وأصحاب الشعارات الجوفاء من جهة ثانية ، لم يتبنوا خطنا الصحيح : خط التعبئة الجماهيرية ، التنظيم ، التسليح ، الاعداد ، ولكن مع الشعارات التي توحد اوسع الجماهير ، والتي لا تفرض معارك في غير اوانها ومع خوض النضالات والمعارك

حتى النهاية، لا مع اثارة الزوابع والتردد والتراجع في الازمــات .

— ٤ —

لا نعتقد ان منهجا مثل هذا المنهج يمكن ان يقود الى تجاوز الوضع الراهن للمقاومة . واذا كان كتاب صادق يحاول تركيز الاضواء على كثير من الاخطاء والانحرافات فانه :

أولا : لا يأتي بجديد في هذا المجال . والدليل انه لم يقدم فكرة الا قدم عدة استشهادات حولها .

ثانيا : لا يتجاوز منهج مدرسته فيما قبل ايلول ، وبالتالي لا يقدم تحليلا متماسكا ينفذ الى صميم المشكلة .

ثالثا : لا يقدم رؤية واضحة تساعد على اكتشاف طريق الحل ، غير رقيته : النظرية والحزب وهما ليسا حلا ، وليسا حلا جديدا على كل حال .

ولكن الاهم من هذا كله ان صادقا يعلن حكم تصفية او تفليسة بحق المقاومة ، ممثلة بفتح لمصلحــة « الحزب » و« النظرية » والانحياز الى معسكر الاشتراكية . ولما كان الحزب غائبا ، والنظرية غائبة ، لانهما يظلان غائبين ، حتى يتجسدا فــي الواقع ، فان حكم التصفية يصدر لمصلحة مجهول ، او شخصية وهمية . ان صادقا يراهن على الوهم، والمراهنة على الوهم ليست من الثورية في شيء .

ولما كان صادق يتوجه الى الوهم ، بدلا من ان يتوجه الى الجماهير والى الكوادر والقواعد المتألمة المتعطشة الباحثة عن الحل الثوري ، فاننا نقول له : اننا نتوجه الى هذه الجماهير والكــوادر والقواعد دائما ، ولا نتوجــه الى « القيادات الساقطة » ، لان ثقتنا مستمدة من هذه الجماهير اولا واخيرا ، ولان أثافينا الثلاث هي الجماهير ، الوعي الثوري والممارســة الثورية ، التنظيــم الثوري .

النقد الثاني

الاستاذ وليد نويهض

جاءت محاولة الدكتور صادق جلال العظم في كتابه الجديد « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » كمحاولة رد ونقد لمسيرة المقاومة الفلسطينية طيلة ثماني سنوات ، وبالضبط بصد هزيمة الانظمــة العربية في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، وذلك لتحديد سماتها العامة في تلك الفترة ولتحديد معالم المرحلة المقبلة الطويلة والصعبة .

وقد جاءت محاولة العظم بعد مرور سنتين علــى مذبحة ايلول الاردنية العام ١٩٧٠ ، وفي الوقت الذي تلاقي فيه المقاومة الفلسطينية ابشع واوقح المحاولات التصفوية العسكريــة او الاستيعابيــة السياسية ، وفي الوقت الذي انكشفت فيه محاولات الخداع والاضاليل التي مارستها وتمارسها مختلف الانظمة العربية القائمة تجــاه الحركة الوطنيــة العربية التقدمية كمقدمة لخنقهــا والقضاء عليها لتمرير انواع اشكــال الحلــول الاستسلامية — السلمية والمشاريع التآمرية الامبريالية .

ومحاولة العظم النقدية ليست الوحيدة وليســت الاولى من نوعها ولن تكون الاخيرة ، وقــد كان ابرز من سبقه في هذا المجال الياس مرقص ، حيث اصدر مجلده الاول من « نقد الفكر المقاوم » قبل مجزرة ايلول وبعدها اصدر كتابه الثاني « المقاومة الفلسطينية والموقف الراهــن » كانت خلاصة رأيه كنتيجة منطقية لتحليله السياسي « نقض » المقاومة مــن الاساس ورفض اسلــوب الكفاح المسلــح واستراتيجية حــرب الشعب والتزامه بالحــرب النظامية الخاطفة ومراهنته المطلقة على « الانظمة التقدمية » وفي طليعتها الناصرية والنظام المصري وبالتالي الموافقة النهائية على الحل السلمي والقبول بالمبادرات الاستسلامية .

والعظم هنا في كتابه يسير في الاتجاه « النقدي » نفسه مع ملاحظة اساسية تميزه عن مرقص ، وهو انه لا يراهن على الانظمة العربية ولا يقبل بالحل السلمي للمسألة الفلسطينية وبالتالي لا يتوافــق « نقده » مع استنتاجات الياس مرقص وحلولــه السطحية التي سقطت مباشرة بعد ان كشفــت بعض الانظمة العربية عن وجهها القمعي وتراجعها اليميني .

ونحن هنا وبالتحديد في هذا المجال مع العظم وضد مرقص . لاننا نــرى بان المهمة الاساسية عنــد

الثوريين العرب ، هي صياغة واعادة صياغة ليس فقط فكر المقاومة الفلسطينية بل فكر واستراتيجية الحركة الوطنية العربية التقدمية بافق ماركسي — لينيني تحدد نظرية العمل الثورية للثورة العربية الاشتراكية وذلك من خلال كشف القوانين الخاصة لظروف الوطن العربي وخصائصه الذاتية بالاضافة الى نقد واعادة نقد ذاتي صارم ليس فقط لفصائل المقاومة الفلسطينية بل لكافة فصائل حركات التحرر الوطنية في مختلف الاقطار العربية لايجاد الصيغة الثورية البديلة لتلك الممارسات مع تقييم سلبيات وايجابيات تلك الفصائل والاستفادة القصوى من تجاربها النضالية غنية كانت ام فقيرة، صائبة ام منحرفة .

ولذلك جاءت محاولة العظم النقدية في « دراسته » الطويلة هذه ، مقصرة عن فهم ظروف المقاومة الفلسطينية والاطار التاريخي الذي احاط نشأتها ، اذ طغت في كتابه النصوص على التحليل ، والاستشهادات الانتقائية والعشوائية على دراسة الواقع العربي ومن ضمنه الوضع الفلسطيني كمقدمة لفهم معنى انبثاق المقاومة المسلحة ، والارضية المادية — الاجتماعية التي انطلقت منها ، والمحيط العربي في بناه الطبقية واختلاف انماطه الانتاجية وانظمته السياسية الذي طوق المقاومة ، بالاضافة الى توازن القوى السياسية في العالم وطبيعة العدو الصهيوني وبالتالي طبيعة الثورة الفلسطينية في الارض المحتلة وكيفية مواجهتها للمؤسسات الاسرائيلية ومقاومتها لها بالرغم من كل الظروف والضغوط .

ولهذا فان اي محاولة لدراسة فكر المقاومة دون دراسة واقع المقاومة ، تكون محاولة قاصرة وجزئية . وتجاهل العظم لواقع المقاومة دفعه للاغراق في نصوص فكرها لا في تفاصيل نضالها السياسي والمسلح ، الذي كان الطابع المميز لمسيرة ممارستها القصيرة التي تتوجت بصدام دموي مكشوف في الاردن مع النظام الملكي ، ادى الى خسارتها الجولة الاولى وليس الى « هزيمتها » او « نهايتها » كما يحاول ان يقول المؤلف .

كما ان محاكمة العظم للمقاومة ، لم تكن من خلال واقع المقاومة ، بل من خلال جمعه لوثائق وفكر « ادمغة » المقاومة ، ومن هنا جاء فشله في محاكمة « جماهيرية » فصائل المقاومة ، التي حاكمها على اساس انها مشروع حزب يعمل ببطىء وروية لتكوين النواة الطليعية والكوادر الاساسية لبناء التنظيم الذي سيواجه المعركة الوطنية — الطبقية ضد الامبريالية والطبقة الرجعية الحاكمة ، وليس على اساس ان المقاومة كانت منذ البداية مشروع ثورة، مشروع تحرير ، افرزها الواقع وتناقضاته ، افرزتها الهزيمة — هزيمة الخامس من حزيران وهزيمة البورجوازية الصغيرة العربية مع حلفائها او « اعدائها » المحليين من بقايا الاقطاع السياسي وطبقة البورجوازية الكبيرة التجارية والمالية .

ولذلك فالمقاومة عند بداية انطلاقتها عام ١٩٦٥ ، كانت « مقاومة » افراد وليست مقاومة جماهير مسلحة ، لذلك كان فكرها ينبع من «فوهة البندقية» على حد تعبير احد فصائلها ، وليس من الكتاب والقلم . كان فكرها ينطلق كتتمة لصعود الحركة الوطنية في الوطن العربي وكتتويج مسلح لها قبل هزيمتها في ٥ حزيران . وبعد الهزيمة شهدت المنطقة العربية دفقا ثوريا واندفاعات جماهيرية غطت بداية انحسار الحركة الوطنية وطغت عليها. وبعد معركة الكرامة في اذار ١٩٦٨ كانت بداية التحول في بنى فصائل المقاومة ، حيث بلغ الاندفاع الجماهيري اوجه ، وحيث برز الدفق الثوري في أرقى اشكاله ، لدرجة ان المقاومة نفسها لم تستوعب تلك السيول ولم تستطع تأطيرها بسهولة وسرعة في تنظيم جماهيري طليعي مسلح وضمن خطة ومنهج سياسي جاهز وناجز . بل كان على المقاومة ، عبر مسار ثورتها ، وعبر نضالها السياسي والمسلح ، وعبر ممارستها العملية التي من المفترض ان تأخذ وقتا طويلا لتهضم تلك المجموعات المتباعدة والفئات الاجتماعية المتمايزة والقوى الطبقية المتنافرة ، وان تقدم الدليل الثوري الوطني — الطبقي للتحرير القومي والتغيير الاجتماعي للوضع العربي الحاضر ضمن اطار القوانين العامة للثورة العالمية . كان عنصر الوقت هو العائق الرئيسي في عمر المقاومة القصير في مرحلتها الاولى، اذ تراكمت عليها المهام، واصبحت بديلا عن الجميع ، ليس فقط لانها طرحت نفسها كبديل بل لان الجماهير المندفعة نفسها اتخذت من المقاومة بديلا لها عن « الانظمة » ، بل حتى بديلا عن الحركات الوطنية العاملة في ساحاتها السياسية منذ فترات متفاوتة في عدة اقطار عربية . وبذلك تحولت المقاومة الفلسطينية رغم ارادتها من مقاومة فلسطينية الى مقاومة عربية ، واصبحت الحركات الوطنية في مجمل الوطن العربي مجرد ملاحق

للمقاومة وامتدادات عربية لها ، مما اثقل الحمل على كاهلها ، فعجزت عن السير بخطى ثابتة كالسابق وعجزت عن اعادة صياغة نفسها (تركيبها الطبقي — علاقاتها التنظيمية — خطها السياسي قياداتها — ايديولوجيتها) في تلك الظروف القاسية والطاغية على المنطقة العربية ، حيث تراكمت المسؤوليات على فصائل المقاومة ، وتراكمت عليها المهام ، وبالتالي أدت الى تراكم الاخطاء ، التي لا يمكن الا ان تقع بها اي ثورة وحتى اي مشروع ثورة ، لدراسة نفسها من جديد واعادة نفسها من جديد دون تكرار الاخطاء ، وذلك باستعادة دراستها للتجارب الثورية في العالم وتجربتها هي في الدرجة الاولى ، لتحديد مسيرتها الجديدة في ضوء تلك التجارب وتجربتها ، وعلى ضوء الاخطاء العامة واخطائها الخاصة ، فلا تكون تلك الاستعادة تكرارا للاخطاء ، بل استعادة حقيقية لحجم المقاومة الحقيقي .

النقاط الرئيسية في كتاب العظم

قلنا بان العظم انتقد ذاتية المقاومة ، بمعنى انه انتقد العوامل المكونة للمقاومة من الداخل ، قياداتها ، منظماتها ، ايديولوجيتها وخطها السياسي ، ولم يتطرق الا فيما ندر الى الاوضاع العربية والفلسطينية العامة والخاصة التي رافقت نشأة المقاومة والواقع المتحرك الذي انبثقت منه وتحركت من ضمنه ، والقوى السياسية العالمية وتوازن تلك القوى في ميزان الصراع العالمي ما بين المعسكرين الاشتراكي والامبريالي وشراسة الهجمة الصهيونية والرجعية التي واجهتها ساعة الاعلان عن نفسها . ولذلك بقيت دراسة العظم مجرد حوار نقدي مع القيادات ، مع « دماغ » المقاومة لا جسمها ، فوقع في نفس الخطأ الذي سقط فيه ما يسمى بيسار المقاومة الذي خاض نقاشا نظريا مع فتح ولم يحاول ان يتعاطى معها الا في مجال المجادلات النظرية والسجالات السياسية ، التي بقيت تدور في فلك المقاومة وبالضبط بقيت تحلق فوق « زعماء » فتح دون ان تخترق جسمها ، وتتحول القضايا التي طرحها يسار المقاومة الى قضايا جدية وعملية يدور الصراع حولها في قواعد فتح ومختلف كوادرها .

ونأتي هنا الى النقطة الاولى في دراسة العظم ، وهي تتلخص : « ان اي تقييم لهذه المرحلة من الكفاح الفلسطيني لا بد ان ينصب بصورة رئيسية على فتح باعتبارها اهم منظمات العمل الفدائي واكبرها ، وتشكيلها بالتالي العمود الفقري لحركة المقاومة . بعبارة اخرى فتح هي التي حددت — بحكم موقعها ووزنها وحجمها على اقل تعديل — الطبيعة التي اتصف بها الكفاح الفلسطيني المسلح وسماته الغالبة ، بالاضافة الى ايقاعه واتجاه حركته . يبدو لي واضحا كل الوضوح ان استراتيجية فتح وبرامجها وتصوراتها الايديولوجية وممارساتها قد طبعت المرحلة المذكورة بطابعها الخاص واعطتها اتجاهها العام ولونها السياسي الغالب » (ص ١٢) .

والجواب على السؤال المطروح عن سبب تمثيل فتح لمثل هذا الحجم الجماهيري والوزن السياسي، في الوقت الذي كان يسار المقاومة يطرح نفسه كبديل سياسي — مسلح عن فتح ويحاول باستمرار ان يأخذ مكانها ولو بصورة ذاتية لا موضوعية ، ارتكز في الغالب على النظريات اكثر من الممارسات والاقوال اكثر من الافعال . وفي الوقت الذي كان يسار المقاومة يشكل ظاهريا « نصف » المقاومة وخاصة بالنسبة لما يتعلق بخطه السياسي المطروح الذي كانت اغلبية الفئات الاجتماعية المهتمةبالمقاومة على اطلاع عليه ومأخوذة به . على هذه النقطة لا يجيب العظم بشكل صريح،وخاصة انه كان مع يسار المقاومة بعد هزيمة ٥ حزيران ، حيث استطاعت فتح ان تنجح عمليا في الوقت الذي فشل يسار المقاومة ان يحقق طموحه بتمثيل اوسع الفئات الاجتماعية الفلسطينية والعربية التي كانت تمثلها فتح بالذات . اي ان ازمة يسار المقاومة انه كان يشكل نظريا — اعلاميا « نصف » المقاومة ، بينما كانت الساحة على الصعيد العملي مفتوحة لفتح ، ولاستراتيجية فتح وتكتيكاتها وخطها السياسي ، بسبب عملها المسلح الذي « عوض » عن فقدانها للنظرية الثورية ، واستقطب بالتالي أوسع الفئات الاجتماعية لصالح فتح . مما دفع بعض فصائل يسار المقاومة ، للاندفاع في عمليات « عسكرية » لا تخدم في النهاية استراتيجية المقاومة الفلسطينية، ولا تحقق وظيفتها السياسية على صعيد التحرير ام على صعيد تأليب القوى الطبقية والوطنية ضد الانظمة في الساحة العربية ، وبالتالي ساهم هذا الوضع فيما بعد في تقصير مسافة الافتراق ما بين فتح ويسار المقاومة وفي تمييع التمايز المفترض بين خطي المقاومة ، اليسار وفتح . اذ كانت الجماهير الفلسطينية والعربية لا ترى فرقا ساشعا لحدة

الخلاف ما بين الاتجاهين الا ما ظهر في الكتب والبيانات والتصريحات الصحفية ، وبكلمة اوضح كانت حدود التمايز ما بين فتح ويسار المقاومة تتوقف على الورق ولم تترجم عمليا على ساحة الواقع الاجتماعي وبالتالي الثوري . ومن هنا نرى بان مسؤولية ما حصل في الاردن لا تتوقف فقط على فتح بل على المقاومة الفلسطينية ككل ، يسارها ويمينها .

ويتابع العظم كلامه حول « التصاقية » فتح بالواقع العربي فيقول : « ان مشروع الثورة يكون دوما من الواقع الفاسد وضده في نفس الوقت ، وقد وعى بعض قادة فتح هذا الانتماء المزدوج المتعارض لمشروع الثورة ولكنهم لم يفهموا مدلولات هذه الواقعة بصورة ديالكتيكية متحركة بحيث تعني نمو المشروع باتجاه التغليب التدريجي لاحد طرفي التناقض على الاضرار (...) وهذه الالتصاقية بطرف الواقع القائم فعلا من التناقض تكمن خلف ما هو معروف ومعترف به بالنسبة لتحويل فتح للبراجماتية الى فضيلة كبرى ، وتقديسها للعفوية والتلقائية على صعيد الجماهير والافراد ، وغياب استراتيجية لصالح الطغيان الكامل للتكتيك (وفي احيان بمعناه المبتذل) بالاضافة ليس الى مجرد غياب النظرية والجهد التنظيمي في العمل الثوري بل ايضا الى احتقارهما » (ص ٢٧) .

نسي العظم هنا ايضا بأن « التصاقية » فتح بالواقع العربي وانجرافها مع الجماهير في واقعها « الفاسد » دون تغييره ، يقابلها ايضا من الجهة الثانية تحليق يسار المقاومة فوق الواقع وبالتالي فوق حركة الجماهير . حيث تحولت الثورة مجرد الفاظ ، والشعارات مجرد جمل تتكرر وتتردد وتتبدل دون تعبئة ودون تنفيذ وبمعزل عن مدى ملاءمة الشعار لواقع الجماهير « الفاسد » ومدى تقبل تلك الجماهير لسيل من المصطلحات الجديدة التي لم تسمع بها من قبل . وفي الوقت الذي كانت ايديولوجية الطبقة الحاكمة سائدة في صفوفها وراسخة ، بحكم تكونها التاريخي ، بعمق يستحيل استئصالها بسرعة وبقفزة هوائية . وهذا يعني بان يسار المقاومة لم يكن يتعاطى بشكل جدي مع الواقع ، ولم يكن يتعامل ثوريا — ديالكتيكيا مع حركة الجماهير ، بل كان مجمل تعاطيه يتوقف عند حدود فتح — قيادات فتح و « ادمغتها » المفكرة عنها ، ولم يتجاوزها عمليا — ممارسة ، الا عند حدود تسجيل المواقف ذات الصفة النظرية والسجالية مع فتح وخطها السياسي . والعظم يعترف بدوره في الصفحات الاخيرة من كتابه ببعض هذه الوقائع ، اذ يقول : « لا بد من الاشارة هنا الى انه مع ان منظمات يسار المقاومة المعروفة قد فهمت بصورة افضل من غيرها طبيعة المعضلات التي تواجه حركة التحرر الفلسطينية ، والدلالات الاهم والاعمق لكل من هزيمتي حزيران ١٩٦٧ وايلول ١٩٧٠ وادركت الاخطار الكامنة في التوجه العسكري الضيق لحركة فتح ، مع ذلك بقي فهمها لكل هذه الامور اقرب الى الصعيد الفكري والتأملي منه الى صعيد الممارسات العملية على مستوى الواقع المتحرك » (ص ٢٥١) . ولهذا يعتبر العظم بان المقاومة الفلسطينية وصلت « بعد مضي خمس سنوات على هزيمة حزيران اصبح التجانس شبه كامل بين حركة المقاومة والوضع العربي المهزوم من حيث تجميد اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي » (ص ٢٠) وذلك بسبب « ان اي تنظيم ثوري يطمح لقيادة الجماهير يجب ان يعرف كيف يتعلم من الجماهير ولكن يجب عليه ايضا ان يعرف كيف يواجه بنجاح وبنضال حازم اشكال التخلف وجوانب النقص والجمود التي يتصف بها الوعي الجماهيري العفوي المتروك لسجيته من ناحية ، ولوصاية الطبقة الحاكمة واجهزتها « في التثقيف الشعبي » من ناحية ثانية » (ص ٤٥) . ان محاكمة العظم للمقاومة الفلسطينية تأتي من جهة كأنها لم تكن تعايش واقع المقاومة والظروف المحيطة بها — طبعا هذا لا يعني باننا يجب ان نلجأ الى منطق التبرير لا النقد فنقع فريسته دون نتيجة عملية — فهو من جهة يعتبر الحركة الوطنية الفلسطينية « امتدادا » للواقع العربي والحركة الوطنية العربية ومن جهة ثانية يعتبر بان المقاومة الفلسطينية مثلت في مرحلة ما بعد ٥ حزيران دور البورجوازية الصغيرة الفلسطينية التي تخلفت عن البورجوازية الصغيرة العربية وكررت دورها الذي سبقتها هذه في تمثيله قبل هزيمة ١٩٦٧ . وساقه تحليله هذا للقول بأن وضع المقاومة بعد أيلول اصبح « متجانسا » مع « الوضع العربي المهزوم » منذ خمس سنوات ، مستندا في ذلك لحالة وقف « اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي » متجاوزا بذلك عملية خنق المقاومة في لبنان وتصفيتها في الاردن ومحاولة استيعابها سياسيا في بقية الاقطار العربية . هذا عدا عن تجاهله لبعض العمليات العسكرية التي جرت وتجري داخل

الاراضي المحتلة وفي غزة بالضبط ، والتي تدل على ان المقاومة الفلسطينية لم « تنته » ولم « تهزم » بالرغم من نكستها العسكرية — السياسية في الاردن، وبالتالي قدرتها على تجديد نفسهاواستعادة قوتها وحيويتها للاستمرار بمهمتها وذلك مرهون بشكل اساسي بمدى اخلاص القوى الثورية لثورتها ، ومدى التزام القوى السياسية بمبادئها ، مبدأ استراتيجية حرب الشعب وأسلوب الكفاح المسلح ، مع الاخذ بعين الاعتبار ضرورة تطوير ذلك الاسلوب وتعميق تلك الاستراتيجية ،لترتفع الى مستوى المعركة الوطنية — الطبقية التي تخوضها وترتقي الى مصاف الحركات الثورية الوطنية القادرة على انتزاع المبادرة من الانظمة لنفسها — لجماهيرها في حسم توازن القوى السياسية لصالحها .

وينتقل العظم الى مناقشة المقاومة الفلسطينية من زاوية تبريرها « للهزائم » والنكسات ، فيقول : « في هذه المحاولة لدفع مسؤولية الهزيمة عن فتح وعن فهمها العسكري والسياسي لا نجد الا تكرارا حرفيا تقريبا لما قالته الانظمة العربية على اثر هزيمتها الكبرى محاولة التملص من مسؤولية ما حدث عن طريق اسقاطه ، على العوامل الخارجية وحدها مثل شراسة الهجمة الامبريالية والتدخل الاميركي الى جانب اسرائيل الى آخر ذلك مما يذكره القارئ جيدا » (ص ٦٣) .

ان العظم لا يرى هنا وفي كل كتابه تقريبا الا الجانب السلبي من المقاومة ، بالرغم من أن أبسط شروط النقد هو وضع سلبيات الموضوع ومناقشتها بجانب الاعتراف بايجابياته . لا شك بأن كل وطني شريف ومخلص يطمح للتحرير الوطني — الطبقي يرفض الا ان يستفيد من أخطائه وبالتالي يرفض المنطق التبريري والتفكير الذرائعي الذي يقود في النهاية الى الفشل تلو الفشل والسقوط تلو السقوط . الا ان العظم يرفض حتى المنطق النقدي الموضوعي وينجرف في بعض مقارناته ما بين الانظمة العربية والمقاومة الفلسطينية الى درجة الانزلاق «الرجعي» الذي لا يميز بين « أخطاء » الانظمة واخطاء المقاومة وامكانات وظروف الانظمة بالمقابل مع المقاومة والطبيعة الطبقية والتمثيلية او التعبيرية للانظمة بالمقارنة مع المقاومة . وذلك بسبب شغف العظم في « نقد » المقاومة بمعزل عن الواقع — واقعها العام والخاص ، لدرجة التشهير بها وبقدراتها وامكاناتها ، انطلاقا من مناقشته لذاتية المقاومة وبالتحديد لذاتية فتح وتحميله لها مسؤولية الفشل كل الفشل (قياداتها — استراتيجيتها — تكتيكاتها — كوادرها — علاقاتها التنظيمية) ودون درس واحاطة شاملة لولادة المقاومة وتعاطيها مع الواقع من جهة وتعاطي الواقع (الانظمة ، الجماهير ...) معها من جهة ثانية . لذلك لم ير العظم في نقد المقاومة لنفسها الا « تكرارا حرفيا تقريبا لما قالته الانظمة العربية على اثر هزيمتها الكبرى » . هكذا ، وبشطبة قلم ، استطاع العظم أن يصفي حساباته مع المقاومة والانظمة دفعة واحدة ، دون ان يحدد معالم التمايز ما بين الطرفين اللذين يعتبرهما هو في الاصل في حالة تناقض رئيسي ، ودون أن يرى حدود الانظمة التي سقطت برامجها السياسية وفشلت تاريخيا بالرغم من استمرارها على سطح الوطن العربي وحدود المقاومة التي انتكست في جولتها الاولى ولكنها لم تسقط تاريخيا ولم يفشل المنحى العام لبرنامجها السياسي الذي هو وحده القادر ، في حال تطويره وتجذيره ، على قلب موازين القوى الطبقية — السياسية لصالح قوى التحرر والثورة . لذلك نرى ان سبب نكسة أيلول تتلخص بعاملين ، ولهما وجهان ، الاول ذاتي تتحمل مسؤوليته المقاومة والثاني خارج عن ارادة المقاومة ويتمثل — عكس ما يراه العظم — في « شراسة الهجمة الامبريالية والتدخل الاميركي الى جانب اسرائيل » في الوقت الذي لم تكن المقاومة استكملت نفسها وبظل فقدانها للظهير الثوري المساند لها لمواجهة اي حرب نظامية شاملة وواسعة كالتي جرت في الاردن .

ونلاحظ انسياق العظم وراء أحادية « النقد » و« التحليل » في مجمل كتابه من خلال تطرقه لبعض تصرفات المقاومة . فهو مثلا لا يرى في مسألة خطف الطائرات الا بعض الجوانب الانسانية والاخلاقية والاعتبارات العسكرية أو الاقتصادية دون ان يشمل ذلك الموقف السياسي في مناقشته ، والوظيفة السياسية التي تحققها الاعمال العسكرية في حال نجاحها ، فهو يقول : « ليس باستطاعة اية حركة تحرر جدية ان تستمر الى ما لا نهاية في تنفيذ سياسة تعتبر أي مواطن اميركي او اي مسافر هندي يصدف ان يكون على متن طائرة تابعة لشركة بان اميركان مسؤولا عن جرائم الطبقة الحاكمة الاميركية في الفيتنام والشرق الاوسط ، أو عن الاستغلال الامبريالي الذي تمارسه شركة الطيران المعنية في أنحاء العالم ، فيستحق بذلك ان تعرض حياته لخطر الموت والدمار » (ص ٥١) . واذا

سرنا مع العظم في المنهج نفسه ، نستطيع أن نقول أيضا ، ما ذنب المواطن الاميركي ابن العامل والموظف الصغير ، والمواطن الاميركي « المنبوذ » والمحروم حتى من حقوقه المدنية (السود مثلا) عن جرائم الامبريالية الاميركية في فيتنام ، وما مصلحته في القتال ودفع حياته ودمه عربونا ليصب في النهاية في صندوق الاحتكارات الرأسمالية الامبريالية ، وما هو دوره في تنفيذ سياسة « الطبقة الحاكمة الامريكية » وما هي مسؤوليته في كل ذلك ليقتل على يد الفيتكونغ والجيش الفيتنامي الشمالي !؟ الجواب : لا شيء . ولكن هذه هي طبيعة الحروب، حرب التحرير أو حرب الامبريالية .

ولذلك فان مسألة خطف الطائرات ، لا تناقش من هذه الزاوية ، بل من زاوية وظيفة هذه الاعمال « العسكرية » اذا صح التعبير في تحقيق الهدف السياسي — التحرير، وضرب المؤسسات الصهيونية والاحتكارات الامبريالية . كما ان مثل هذه القضايا المغامرة لا يمكن تحديد موقف صحيح اتجاهها الا بوضعها في الاطار الذي حصلت فيه والظروف المحيطة بها ، التي دفعت المنظمات للقيام بمثل هذا العمل . لان العمل الارهابي — المغامر له وجهان ووظيفتان ، وجه ايجابي ووجه سلبي . ففي مرحلة الانحسار الوطني وفي حالة اشتداد الهجمة الرجعية الشرسة ضد القوى الثورية وفي ظرف بروز الوجه القمعي المطلق لديكتاتورية الطبقة الرجعية الحاكمة وفي وقت تضييق عملية الخنق ضد قوى التحرر ومنعها من التحرك ولو الجزئي ، فان العمل الارهابي — المغامر مبرر تاريخيا على الاقل ، اذ انه يصبح من ضرورات المعركة ، وأحد أساليبها التكتيكية لا الاستراتيجية ، عدا عن كونه نتيجة لعملية الخنق المتبع والطوق المحكم بشدة حول عنق الجماهير . فأي عمل ارهابي — مغامر يساهم في فتح ثغرة في جدران القلعة المحكمة الاغلاق ، دون ان يؤدي طبعا الى سقوط « الجدران » وانهيار « القلعة » فهذا من مهمة الجماهير ودورها التاريخي واستهدافاتها الاستراتيجية .

ماوية فتح

ونأتي الى النقطة الثانية في دراسة العظم ، وهي مناقشته لاطروحات « التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » وبالتحديد لادبيات فتح وخلفياتها السياسية .

وفي هذا الموضوع نقول سلفا بأننا نوافق على مجمل ما ورد في مناقشات العظم وتحليلاته تقريبا ، لاننا نرى بأن اسطوانة «التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » ترتفع انغامها عندما يطرح موضوع التحرير الاجتماعي — الطبقي كعلاقة ديالكتيكية مع التحرير الوطني ، مما يدفع بعض القوى الرجعية اليمينية والقوى المحافظة التي تدعي زورا بأنها « وطنية » وتؤمن « بمرحلة التحرير » و« تقديم التحرير الوطني على التحرير الاجتماعي » الى التشديد على موضوعات التناقضات و« اللعب » على التناقضات ، فتبدأ بترتيب سلم التناقض وأولوياته وثانوياته بدرجات متفاوتة تتناسب مع حجمها الطبقي ومصلحتها الطبقية ، أو تبدأ بتفصيل التناقضات وتدريجها لتتناسب مع قياس الطبقة الرجعية الحاكمة ، من الانظمة البورجوازية الى أنظمة التحالف الاقطاعي — البورجوازي ، وذلك كخطة لتبرير تراجعها الوطني وكخدعة للابقاء على علاقاتها مع الانظمة الرجعية وعدم قطع خيوط ارتباطاتها المشبوهة .

ولهذا نرى بأن سماسرة التناقضات ، وتناقض التناقضات ، يبدأون ببيع الجماهير اطنان التعابير التي تدل على خلفية سياسية رجعية ، تطمح في النهاية لا الى تحرير الارض ولا تحرير الانسان ، بل الابقاء على الوضع الراهن كما هو من خلال تلاعبها بالالفاظ ورقصها على أنغام التناقضات ، من « التناقض الاكبر والتناقض الاصغر » و« التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » الى « التناقض الاساسي والتناقض الفرعي » . هذا لا يعني بالطبع اننا نرفض تحديد أولويات التناقض وثانوياته ، ولا الى الاستنكاف عن استعمال المنهج الديالكتيكي لفرز الاعداء من الاصدقاء، وتبدل الاعداء والاصدقاء في كل مرحلة تاريخية ، ولا الى عدم التمييز بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي او التناقض الاساسي والتناقض الفرعي ، لاننا نرى بالمقابل انه مثلما هناك انتهازيون يمينيون يستغلون مبدأ تحديد التناقض وترتيب التناقضات ، فانه هناك ايضا انتهازيون « يساريون » يضعون العالم في سلة واحدة ويطلقون عليه النار دفعة واحدة ، لا تتعدى حدود المقالات والبيانات والكتب ، وبالتالي باسم الثورة يقبع « الثوريون » في منازلهم يحاربون العالم دفعة واحدة من وراء متاريس طاولاتهم ومقاهيهم . يقول العظم : « ان الكفاح ضد الغزو الامبريالي مرتبط بصورة جدلية بالصراع الطبقي ولا يجوز طرح القضية على أساس انها اما تحرر وطني أو صراع

طبقات كما جرى في الاردن بالنسبة للثورة الفلسطينية وعلاقتها بالطبقة الحاكمة ونظامها هناك ، وكأن هذين العنصرين معزولان بعضهما عن بعض » (ص ١٣٠) ويتابع « الحقيقة هي ان كل هذا التنظير حول التناقض الثانوي مع النظام الهاشمي ليس الا محاولات لتبرير الخـــط الوسطـي المتذبـذب والمتأرجح (...) واستخدمت حملة التنظـير التبريري هذه أدوات عديدة لتحقيق اهدافها كان من اهمها وأكثرها بروزا الموضوعات التي طرحتها الثورة الصينية والمقولات الماوية المشهورة ، الا ان الاشكال الكبير في الموضوع هو ان المنظرين المعنيين قد أعادوا تفصيل الموضوعات الصينيـة والمقولات الماوية على هواهم بحيث يتسنى لهـم تطبيقها على حركة فتح والمقاومة عموما بصورة عشوائية وتجريدية وبدون الاخذ بعين الاعتبـار الظروف التاريخية الصينية التي أحاطت بالتجربة الثورية هناك وكانت المنبع الاساسي لاطروحاتها النظرية » . (ص ١١٩) .

ويستنتج العظم بأن فتح لم تفهم الا جانبا واحدا من طرفي التناقض ، فوعت تناقضها هي مع النظام واعتبرته « ثانويا » ولم تفهم الطرف الاخر مـن التناقض ، اي وعي النظام لتناقضه هو مع المقاومة الفلسطينية الذي اعتبره « رئيسيا » . فيقول حول الموضوع : « يبدو لي انه عندما قرر الماويون الفتحويون وغيرهم في المقاومة ان التناقض مع النظام الهاشمي ثانوي لم ينظروا بدقة الا الى جانب واحد من التناقض فقط وهـو جانبهـم فوصلوا الـى استنتاجهم على اساس تطبيق المبدأ الماوي العام الذي أشرنا اليه على هذا الجانب وحده » (ص ١٤١) ، ولذلك لم تميز فتح ما بين التصاقهـا بالواقع لفهـم تناقضاته مقدمـة لتغييره وبـين « التصاقها » بالانظمة اي تعاطيها مع مراكز القوى العربية السياسية . وبفضل هذا ماع عندها عمق وبعد العلاقة الديالكتيكية بين حركة التحرير الوطني وحركة التحرير الاجتماعي — الطبقي ، مما دفعها الى « شن كفاحها ضد الغزو الصهيوني الامبريالي بمعزل عن الصراعات الاجتماعية وطبيعة الطبقة الحاكمة في القاعدة الامنة الاردنية ... » (ص ١٣٤) . وبالتالي فان « تقدير المقاومة لطبيعة التناقض لا يلزم الملك حسين والطبقة الحاكمة بشيء لان لهما تقديراتهما الخاصة والواضحة للموضوع تنبع من مصالح حيوية سيتم الدفاع عنها بشراسة. لا اعتقد انه يوجد اختلاف كبير في الراي في اوساط المقاومة بأن الملك حسين عمل وخطط واعد اجهزة قمعه ، منذ البداية ، على اساس ان تناقضه الرئيسي هو مع المقاومة والحركة الوطنية وليس مع اسرائيل بالرغم من الاحتلال القائم » (ص ٨٩) لانه أحس بأن وضعه في السلطة بدأ بالتزعزع ، وأخذت تنمـو في الاردن نواة ازدواجية السلطـة (سلطة الملك وسلطة المقاومة) وبالتالي « ان كل التعديلات الدقيقة التي يمكـن ادخالها علـى شعارات المقاومة ، وكل حسن السلوك والتهذيب الذي يمكن ان يظهره الفدائيون لا يمكن ان يزيلا من الوجود واقعا ماديا محددا ، هو ان نمو حركة المقاومة قد جرف سيطرة حسين على مملكته . كذلك مهما أعلنت فتح عن رغبتها في عـدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، فان الملك حسين لا يمكن أن ينسى ولو لثانية واحدة حقائق ووقائع ازدواجية السلطة التي نمت في الاردن بسبب نمو قوة المنظمات الفدائية » (ص ٧٥) .

وبظل فقـدان « النظرية الثوريـة » عند فتـح و« الممارسة الثورية » عند يسار المقاومة ، وبظل طغيان موجة الانحرافين اليمينـي و« اليساري » تراكمت اخطاء المقاومة وتقديراتها السياسية في تحديد العدو الحقيقي ، أي في التمييز ما بين العدو المباشر والعدو غير المباشر ، العدو الملموس والعدو غير الملموس ، أي في تعيـين الهدف — العدو للنضال ضده دون الاغراق في « الكفاح » ضد عدو وهمي ، استطاع ان « ينقلب » ضدها في لحظة تاريخية كان فيها توازن القوى لصالحه ، فحسم ازدواجية السلطة لمصلحة الطبقة الحاكمة — طبقته في أيلول ١٩٧٠ ، حيث وافقت المقاومة بعدها على سحب الاسلحة مـن عمان وتفريغ المخيمات مـن المليشيا الشعبية مما أتاح له مرة ثانية اقتناص الفرصة في تموز ١٩٧١ (معارك جرش) وحسم توازن القوى — السلطة لصالحه نهائيا .

نحو مقاومة جديدة !؟

نصل الان الى النقطة المهمة الثالثة ، نصل الى السؤال الذي يجب ان يطرحه كل ثوري على نفسه: ما العمل ؟ ما هو الطريق الثوري الصحيح والنظرية الثورية الصحيحة ؟ للقيام بمهمة الانقاذ ، مهمـة انجاز المشروع الثوري الكبـير الذي يطمح له الكادحون العرب .

يقول العظم حول هذه النقطة : « ومن اسباب ذلك

ان الرد على الهزائم بشكل ثوري لا يمكن أن يأتي عبر مثل هذه الدعوات الطوباوية التجديدية او من خلال وصفات سريعة جاهزة يفترض فيها ان تشكل حلولا فوريا للمعضلات والمآزق التي تواجهها حركة التحرر العربي عامة وحركة التحرر الفلسطيني بشكل خاص . ففي هذا الموضوع لا توجد ايسة أسرار أو أية حلول خفية ينبغي اكتشافهـا أو استنباطها بصورة ما باعتبارها المفتاح السحري الذي يمكن الحركة الثورية من السير على طريق تحقيق النصر والنجاح » (ص ٢٤١) .

ويستعرض العظم بعدها عدة حلول مقترحة من قبل بعض قياديي المقاومة الفلسطينية ، فينتقدهم كلا على حدة ويتهم آراء كل من حسام الخطيب ، أبو اللطف ، ناجي علوش ، أبو اياد ومنير شفيــق بالتجريدية والطوباوية والبعد عن الواقع ، بسبب عدم تعيينهم للوسيلة التي يجب ان ينفذ بها الاقتراح والطريقة التي يطبق بواسطتها الحل المطلوب .

وفي معرض رده علــى أبي اللطف واقتراحاتـه وحلوله ، يطرح العظم المشكلة ، يطرح على بساط البحث أزمة المقاومة التي تتلخص برأيه ، في وجود قيادات قاصرة وانتهازية وقوى مهيمنة على رأس المقاومة ، لايمكن التقدم خطوة واحدة الى الامام دون اعادة النظر فيها وابدالها بقيادات ثوريــة جذرية جديدة ذات برامج سياسية واضحة ، فيقول عن الموضوع : « والسبب في ذلك تهـربه (أبو اللطف) من مواجهة السؤال الاساسي : هــل القيادات والقوى التي أوصلت حركة المقاومة الى هزيمة أيلول قادرة فعلا على تنفيذ اقتراحاته الممتازة من حيث المبدأ ؟ يبدو ان أبا اللطف تجنب هـذا السؤال المحرج والمهم جدا بالنسبة لمستقبل حركة التحرير الفلسطينيــة ، لانه افتـرض ضمنا ان القيادات المعروفة والقوى المهيمنة اياها قادرة على القيام بهذه المهمة » (ص ٢٤٣) . الا ان العظم وقع أيضا في خطـأ « تجريدي » و« طوباوي » وبالتالي أعطى حلا وهميا ، عندمـا حدد بـأن المشكلة — الازمة هي في استمرار القيادات ذاتها وسيطرة القوى نفسها على المقاومة ، دون ان يحدد بالمقابل ، كيفية تبديل هذه القيادات ؟ وكيفية ازالة سيطرة تلك القوى المهيمنة ؟ والطريقة الصحيحة لمعالجة الوضع — المأزق . وما هي الوسيلة الاسلم لاسقاط القيادات وتغييرها ؟ وكيف يتم ذلك ؟

ويكرر العظم ملاحظاته — اقتراحاته دون ان يحدد طريقة العمل لتنفيذ ذلك فيقول : « يضاف الى ذلك ان الوضع الجديد الذي نتج بعد كل من هزيمتي حزيران ١٩٦٧ وأيلول ١٩٧٠ أخذ يعزز وقائعه الخاصة التي سيكون لها شأنها بالنسبة لتحديد مستقبل الحركة التحـررية العربية والفلسطينيـة خاصة ، وكل الدلائل تشير الى ان حركة المقاومة أصبحت غائبة عن الواقع الجديد الذي يتكون وغير قادرة على التأثير فيه » ويتابع « مما يعني ان قيادات وتنظيمات مستقلـة عـن المقاومة التـي عرفناها ، مرشحة لان تنشأ كتعبير موضوعي عن التفاعلات الاجتماعيـة والطبقيـة الناتجة عـن الاستعمار الاسرائيلي الجديد وعـن عودة القمع الهاشمي الى السيطرة على جماهير واسعة من الشعب الفلسطيني في الاردن ، وعن العجز العام الذي برهنت عنه منظمات المقاومة ، كل هذا ضمن اطار عربي عام يتسم باستمرار بتدهور الوضع الوطني العـربي العـام أمام بقـاء الاحتـلال الاسرائيلـي ... » (ص ٢٥٣) . ان هـذه الاستنتاجات تبقى وستبقى مجرد اوهام تجريدية ، ومجرد توقعات (نمو طبقة عاملة في الضفة الغربية — نمو تيار وطني في الاردن) اذا لم يرافقها خطة — نظرية عمل للاستفادة من الوضع الجديد ، أي انها مجرد تخمينات لكل مؤمن بحتمية التطور التاريخي ، وحتمية انفجار التناقضات والتحول النوعي في البنى الاجتماعية القائمة في كافة انحاء الوطن العربي ، سواء في الارض المحتلة ام غير المحتلة . الا ان السؤال الاساسي يبقــى مطروحا : كيف يمكـن الاستفادة من كل هذه الظروف الموضوعية والفرص القائمة ؟ وكيف يمكن ان نختزل طريق الثورة ونختصر طريق التحرير ؟ هذا ما هو مطلوب منا الان بالضبط، وهذا ما لا يجاوب عليه العظم في تساؤلاته العديدة. اذ أنه على العكس من ذلك ، يترك الامور على سجيتها ، متسيبة دون تنظيم ودون تأطير القوى الثورية لمباشرة العمل — التنفيـذ ، اذ يقول : « بالرغم عن الموجة اليمينية والمضادة للثورة التي تجتاح المنطقة العربيـة في الوقت الحاضر والتي تحمل لواءها الطبقـات الحاكمة المحلية ، فـان الاندفاعة التحررية المعادية للامبريالية الضاربة بجذورها بعمق فيحياة الجماهير العربية والفلسطينية ستعود لتؤكد نفسها من جديد بأشكال كفاحية أرقى وعلى أسس تنظيمية وطبقية اكثر جذرية مما عرفناه حتى الان » (ص ٢٥٣) . أظن بأنه ليس هناك من وطني شريف وثوري مخلص يخالف العظم في مثل

هذا الاستنتاج ولمثل تلك التوقعات ، التي ستبقى توقعات تأملية ومستقبلية ، اذا لم يرافقها ممارسة يومية في صفوف الجماهير تبتعد عن التوجيه الفوقي والتشخيص النظري . لان مسألة صياغة واعادة صياغة نظرية الثورة العربية الاشتراكية ، ومسألة نقد واعادة نقد التجارب النضالية الوطنية والطبقية السابقة ، لا تتوقف عند ترك المسألة ، متوقفة على افرازات الواقع وتطور التاريخ ، وما يحمله في احشائه من قــوى طبقية جديدة وقــوى ثوريــة جديدة ، دون أي محاولة جادة منا لصياغة نظرية العمل الثورية التي تتلاءم مــع ظروف المنطقــة العربية والتي لا تتم الا بعملية اكتشاف القوانين الخاصة للثورة العربية الاشتراكية .

ويحاول العظم في نهاية الكتاب ، ان يقدم بعض الاقتراحات « العملية » التي تبقى ايضا نظرية اذا لم نشارك في الممارسة النضالية اليومية التي ، عبر تراكمها الكمي ، تفرز على السطح السياسي قوى ثورية نوعية جديدة وبالتالي نظرية نوعية في العمل الثوري . واقتراحات العظم ثلاثة ، اولا وجود نظرية ثورية (الماركسية — اللينينية) ثانيا وجود حزب ثوري (حزب الطبقة العاملة) ثالثا وجوب فرز وتحديد الاعداء من الاصدقاء (البرنامج السياسي) . ان هذه الاقتراحات الثلاثة ، سليمة ولا غبار عليها ، الا أن لا النظرية الثورية يمكن أن تفهم بشكل صحيح ، ولا الحزب الثوري يمكن ان يقوم ، ولا ترتيب سلم التناقضات يمكن ان يستقيم ، اذا لم تكن هناك قوى ثورية تمارس وتحتك بالواقع الموضوعي ، واقع الجماهير ، لتخرج من وسطها حاملة الى ساحة العمل السياسي تفاصيل القوانين الخاصة للثورة العربية الاشتراكية . والا ستبقى كل الاقتراحات مجرد « وصفات جاهزة » وأدوية « ناجزة » نحاول أن نطبق الواقع عليها بدلا من تطبيقها بشكل خلاق ومبدع مع الواقع .

شـــهريات

(١) المقاومـــة الفلسطينية

في الوقت الذي كانت فيه حركة المقاومة تواجه ذيول عملية السفارة السعودية في الخرطوم ، بادرت الى متابعة نشاطها الجماهيري فلسطينيا وعربيا ، ولعبت دورا سياسيا بارزا على الصعيد الرسمي اثر انفجار أزمة الحدود بين العراق والكويت . وفي الوقت نفسه كانت عملية الصراع بينها وبين اسرائيل تتطور وتتفاعل حتـى وصلت الى ذروة عالية بعد الهجوم الاسرائيلي على مدينة بيروت الذي استهدف بشكل رئيسي اغتيال ثلاثة من القادة هم أبو يوسف وكمال عدوان وكمال ناصر . وفيما يلي تسجيل لابرز مراحل هذا النشاط وأبرز معانيه السياسية في الفترة الواقعة بين ١١ آذار و١٠ نيسان ١٩٧٣ .

١ ـــ ختام عملية الخرطوم :

على اثر حملة الاتهام والتشهير التي قادها النظام السوداني ضد حـركة المقاومـــة بعـد عمليـــة الخرطوم ، تدخلت أكثر من جهة عربية لايقاف هذا التدهور في العلاقات .

ففي ١٤ آذار وصل الـــى بيروت السيد سعدون غيدان وزير الداخلية العراقي قادما من الخرطوم حيث سلم الرئيس نميري رسالة من السيد أحمد حسن البكر ، واجتمع فور وصوله الى السيد ياسر عرفات وابلغه نتيجة اتصالاته .

وفي ١٥ اذار نقل السيد جمال الصوراني رسالـــة من محمود رياض الامين العام للجامعة العربيـــة الى السيد ياسر عرفات تضمنت نتائج اتصالاتـــه حول ذيول عملية الخرطوم .

كذلك استقبل ياسر عرفات وعدد من اعضاء اللجنة التنفيذية في نفس اليوم السيد عبداللطيف ابو حجلة مدير مكتب المنظمة في الخرطوم حيث نقل اليهم اخر تفاصيل الموقف السوداني .

وعلى أثر هـــذه الاتصالات ، اجتمعـــت اللجنـــة التنفيذية (١٤ اذار) وبحثت في المساعي العربيه الجارية مع السودان ، ثم اعلن مصدر مسؤول ان مندوبا خاصا سيصل الى الخرطوم حاملا رسالة من عرفات الى النميري . وفي ١٨ اذار وصل الى الخرطـــوم وفد فلسطيني برئاسة السيد جمـــال الصوراني وعضوية عبد اللطيف ابو حجلة ومحمد ابو ميزر. وبعد جولة من الاجتماعات مع المسؤولين السودانيين صرح الوفد الفلسطيني (٢٠ اذار) ان الفدائيين الثمانية الذين نفذوا عملية الخرطوم مسؤولون شخصيا عن العملية ، وكان ذلك يعني تأكيدا جديدا من حركة المقاومة بأن لا علاقة لحركة فتح رسميـــا بالعملية ، وكـــان نشر التصريح في الصحف السودانية يعني قبول الحكومة السودانية لمضمون الموقف الفلسطيني ، وتراجعها عن موقفها السابق . وكانت اول بوادر الانفراج بعد ذلـــك قول المصادر المطلعة في الخرطوم ان الحكومـــة السودانية قد تكون اقتنعت بوجوب اجراء محاكمة مدنية للمعتقلين ، تفاديا لتأثير نتائج أية محـــاكمة سياسية على العلاقات بين المقاومة والسودان . وقد كان الاجتماع الحاسم في الموضوع هو اجتماع الوفد الفلسطيني مع الرئيس النميري في ٢١ اذار، حيث أعلن على اثره عمر الحاج موسى وزير الاعلام بشكل صريح ان النميري لا يعتبر فتح مسؤولة عن الهجوم على السفارة السعودية ، وانه يحصـــر المسؤولية ببعـــض موظفي مكتب فتح في الخرطوم (٢٣ اذار) . وحين عاد الوفد الفلسطيني الى القاهرة ابلغ السيد سليم اليافي ، الامين العـــام المساعد للجامعة العربية ، ان الخلاف انتهى كليا بين المقاومة والسودان . وفي السابع من نيسان تقرر اعادة مكتب فتح في الخرطوم ، كما قـــررت منظمة التحرير الموافقة علـــى طلب مدير مكتـــب المنظمة بالانتقال للعمل في مكان اخر . وكان ذلك ختام عملية الخرطوم ، وختام العلاقة التي توترت

بسرعة شديدة بين المقاومة والنظام السوداني ، بسبب الاتهامات التي وجهها .

٢ ــ نشاط المقاومة الجماهيري :

كان استشهاد ثلاثة من قادة الجبهة الشعبية في قطاع غزة اثر معركة ضارية مع القوات الاسرائيلية مناسبة للقيام بنشاط جماهيري واسع لابراز معنى الحادث ونتائجه ومتطلبات تطوير الحالة الثورية التي يعبر عنها . وتعبيرا عن ذلك وجه جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية رسالة الى جماهير غزة أشاد فيها بالدور الذي لعبه الشهداء الثلاثة . وقال ان جماهير شعبنا لا يمكن بأي شكل من الاشكال ان ترضى لنفسها ان تبقى في مخيمات الذل والشقاء ... ان تبقى مشتتة في انحاء العالم بلا وطن ولا كرامة . (١٢ اذار) .

وفي اليوم التالي أقيم احتفال جماهيري في جامعة بيروت العربية للمناسبة نفسها القى فيه الاخ احمد اليماني احد قادة الجبهة الشعبية وعضو اللجنة التنفيذية ، خطابا طويلا ابرز فيه ان المطلوب هو « رأس المقاومة ، وهذا امر محتوم ، والسبيل الى وقف هذه المؤامرة هو وحدة المقاومة ، وعلى حركة المقاومة الا تكتفي ، كما في عادتها ، بقرارات تؤخذ ، كالبرنامج الذي اقره المجلس الوطني قبل شهرين ، بل عليها ان تطبق هذا البرنامج السياسي » . وخلص الى ضرورة الاستفادة من تجربة الهجوم الاسرائيلي على مخيمي نهر البارد والبداوي « حيث اظهرت مختلف فصائل المقاومة تخاذلا ، فمقاتلونا استطاعوا ان يضربوا العدو ، لكن ضرباته كان يجب ان تكون اقل من ضرباتنا » . (١٣ اذار) .

ثم أقيم في الجامعة العربية في بيروت احتفال جماهيري اخر تأبينا لشهداء غزة حضره جورج حبش وصلاح خلف ، وكان حضورهما معا دلالة على علاقات خاصة بين فتح والجبهة الشعبية . وفي هذا المهرجان قال صلاح خلف « هناك بعض الايدي العربية والرجعية تتآمر على هذه الثورة ... لن نقبل ان نكون جزءا من المؤامرة الاستسلامية ولن نركع على باب واشنطن ... اننا ماضون ولن نلقي سلاحنا وسنحارب في كل مكان من العالم نستطيع القتال فيه » . ثم القى جورج حبش خطابا مطولا قال فيه :

ــ ان النقطة المركزية في مخطط العدو في هذه الفترة بالذات ... هو ان يدب اليأس في قلوبنا ... وواجبنا . واجبنا بالوعي العلمي ان نحبط هذا المخطط .

ــ ان واجبنا تجاه جيفارا غزة هو ان نعلن اليوم للعدو الصهيوني الامبريالي الرجعي ... انه يستطيع ان يغتال ... وان يوجه لنا ضربات جديدة وغير متوقعة . ولكن لن يستطيع ولا يمكن ان يستطيع ان يدمر فينا ارادة القتال .

ــ اننا لا نستطيع ان نحقق الانتصار بمجرد العواطف والمناشدات ... ان اول واجب من واجباتنا هو ان نخوض نضالا ذاتيا في تنظيماتنا حتى نتخلص من كل حالة الترهل التي تعيشها حركة المقاومة .

ــ ان الجبهة الوطنية الفلسطينية المتحدة .... يجب ان تصبح هدفا اساسيا مركزيا ... والى جانب هذا الخط في قضية الوحدة الوطنية يجب ان يترافق معه تحالفات اساسية ايضا بين بعض التنظيمات .

ــ ثم حدد جورج حبش في خطابه ميادين العمل الاساسية للنضال الفلسطيني داعيا الى تعميق العمل الجماهيري في الاراضي المحتلة ، والى الالتحام مع حركة التحرر الوطني الاردني ، والى النضال الدؤوب بين جماهيرنا في لبنان ومع الحركة الوطنية اللبنانية بشكل خاص .

وكانت قد سبقت هذا المهرجان مسيرة جماهيرية في مخيم شاتيلا . (١٧ أذار) .

وعلى غرار بيروت شهدت مدينة صيدا مهرجانا جماهيريا اخر اقامه « الاعلام الشعبي الفلسطيني » احياء لذكرى الشهداء الفلسطينيين . وتكلم في هذا المهرجان الاخ احمد اليماني الذي كشف النقاب عن وجود تحالف خاص بين فتح والجبهة الشعبية حيث قال « ان لقاء وطنيا تم بين فتح والجبهة الشعبية ، وان هذا اللقاء الثوري هو نواة لتحقيق الجبهة الوطنية الفلسطينية بين مختلف فصائل حركة المقاومة ، انه ليس محورا بل نواة الجبهة الوطنية » . ثم وضع لحركة المقاومة خمس مهمات في المرحلة الراهنة هي : ١ ــ تحقيق الجبهة الوطنية الفلسطينية ، ٢ ــ تعبئة الجماهير تعبئة ثورية ، ٣ ــ الالتحام مع حركة التحرر العربية ، ٤ ــ تشكيل جبهة الرفض العربية ، ٥ ــ توثيق التحالف مع الدول الاشتراكية . (٢٥ اذار) .

وفي مقابلة مع مجلة الهدف الناطقة بلسان الجبهة

الشعبية اوضح السيد احمد اليماني بصورة اكثر تفصيلا موضوع اللقاء بين فتح والجبهة فقال « ان من حق الجبهة الشعبية اذا ارتأت ان في تعاونها الثنائي مع تنظيم اخر ، ضمن اطار البرامج المقرة في المجلس مصلحة للثورة ودفعا لبناء الجبهة الوطنية ، من حقها ان تقوم بهذا اللقاء . ويجب ان لا يفهم باي شكل من الاشكال من الخطوة هذه، انها محاولة لعزل او محاصرة او تصفية اي تنظيم. ان هذا التعاون يتم ايضا على ضوء الظروف التي يخضع لها عملنا الثوري ... وهنا يدخل موضوع التواجد في الارض المحتلة كمقياس ، والفاعلية العسكرية والجماهيرية كمقياس اخر » . (٧ نيسان) .

٣ ـ الجبهة العربية المشاركة :

الى جانب النشاط الشعبي الفلسطيني ، كان لحركة المقاومة نشاط شعبي عربي مماثل . ففي ٣٠ آذار عقدت الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية اجتماعا لها في بيروت. وقد شارك في هذا الاجتماع لاول مرة مندوب الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا ، واعلنت سوريا عن استعدادها للمشاركة في اعمال الجبهة ، بينما استبدل المندوب المصري السابق السيد احمد بهاء الدين بعد عملية العزل التي تعرض لهاالكتاب والصحفيون المصريون . وفي بداية الاجتماع قدم السيد اديب عبد ربه عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تحليلا للوضع السياسي الفلسطيني والعربي ابرز فيه استمرار ونمو المقاومة داخل المناطق المحتلة، وخطورة استجابة الانظمة العربية لمشاريع الحلول الاميركية ، وتأثير هذه الاستجابة السلبي على مستقبل النضال داخل الاراضي المحتلة . داعيا الى مواجهة مؤامرات التصفية ببناء جبهات رفض عربية من خلال النضال من اجل الحريات الديمقراطية للجماهير وقواها الوطنية . ثم جرت بعد ذلك مناقشة موسعة لتقرير اللجنة التنفيذية شاركت به معظم الوفود ، وبرز فيها تياران : الاول يدعو الى مجابهة المؤامرات ضد الثورة الفلسطينية ، وحركة التحرر العربية من خلال اطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير وقواها الوطنية . بينما يدعو التيار الثاني الى التركيز على القضية الفلسطينية في البحث ، وتجنب كل ما يتعلق بالاوضاع العربية . ثم استمر بروز هذين التيارين عند مناقشة القرارات التنظيمية التي ستخرج عن الاجتماع . فبعد ان اقر تشكيل لجان وطنية في كل قطر عربي لتحويل الجبهة المشاركة من جبهة ذات علاقات فوقية ، الى جبهة ذات قاعدة جماهيرية ، نادى الفريق الاول بان تنبثق هذه اللجان عن مؤتمرات تضم الاحزاب والنقابات والهيئات والشخصيات الوطنية ، بينما طالب الفريق الثاني بأن تتشكل هذه اللجان بقرار يصدر عن الاحزاب المشاركة في الامانة العامة . ولكن الاجتماع اقر في النهاية الاتجاه الاول الداعي لعقد مؤتمرات تنبثق عنها اللجان الوطنية القطرية . كذلك أقر المؤتمر اعطاء المكتب التنفيذي للجبهة صلاحية اقامة لجان وطنية خارج الوطن ، ولجان مناصرة للثورة الفلسطينية ، وحق القيام بكل اشكال النشاط السياسي على اساس برنامج الجبهة والمقررات السياسية للامانة العامة .

وبذلك يمكن القول ان اجتماع الامانة العامة الاخير اسهم في تحديد الفوارق بين الاتجاهات الوطنية والتقدمية الجذرية التي تناضل لتغيير صورة الواقع القائم ، وبين الاتجاهات التي لا تريد الابتعاد عن حدود المواقف العامة التي ترضخ للامر الواقع وتناقضاته . وكانت القضية الفلسطينية واساليب دعمها المحور والمنطلق في الصراع الذي دار بين هذين الاتجاهين .

٤ ـ الوساطة الفلسطينية بين العراق والكويت :

وكما كان لحركة المقاومة نشاط جماهيري فلسطيني وعربي بارز ، كان لها ايضا نشاط رسمي فعال ، ظهر في مهمة الوساطة التي تصدت لها بين العراق والكويت ، بعد انفجار أزمة الحدود بينهما . فمنذ اليوم الاول لانفجار الازمة (٢٠ اذار) بعث السيد ياسر عرفات برسالتين الى صباح السالم الصباح ، واحمد حسن البكر ، اعرب فيهما عن « قلق الثورة الفلسطينية » من حوادث الحدود ، واكد استعداد الثورة للقيام بأي دور يطلب منها لمعالجة هذا الموقف الطارىء . ويبدو أن العرض الفلسطيني لقي تجاوبا من البلدين ، ففي ٢٧ اذار وصل عرفات الى بغداد وعقد مباحثات واسعة مع المسؤولين العراقيين ، قالت على اثرها مصادر مطلعة في بغداد ان العراق يميل الى اتاحة الفرصة للمقاومة لتلعب دورا مهما في انهاء الازمة . وبعد ذلك انتقل عرفات الى الكويت (٢٩ اذار) وابلغ اجتماعا حضره الشيخ صباح السالم وكبار رجال الدولة وجهة نظر العراق ، واعلنت مصادر كويتية ان الكويت تعلق أهمية خاصة على وساطة عرفات. ونتيجة لهذا الاتصال بالطرفين العراقي والكويتي

صرح عرفات قائلا انه « متفائل جدا بايجاد حل للازمة .... وبأن ما عرضته سيؤخذ به » . وبعد ان قام عرفات بالجولة الاولى من الوساطة تابعت المقاومة مهمتها من خلال مندوبين ، ابو مازن ، الذي كان يتابع الوساطة من بغداد ، وخالد الحسن الذي كان يتابعها من الكويت ، وكان المندوبان على اتصال دائم مع ابو عمار في بيروت . وفي ٣ نيسان اعلن خالد الحسن في الكويت ان وفدالمقاومة توصل الى تسوية للازمة بين البلدين وقال « ان الجهود ، مضافة اليها الرغبة في التعاون بين البلدين الشقيقين ، ثم التفهم الذي ابداه مسؤولو كل بلد، جعلتنا نصل الى النتيجة الاخوية الحالية». وعلى اساس هذا الاتفاق ، ابرق عرفات من العراق (٥ نيسان) مبلغا حكومة الكويت ان الرئيس العراقي احمد حسن البكر قد امر القوات العراقية بالانسحاب من الاراضي الكويتية ، ثم حضر الى الكويت (٦ نيسان) برفقة وفد عراقي جاء لبحث المشكلة وحلها بالتفاوض وفينفس اليوم غادر عرفات الكويت وصرح قبل مغادرته قائلا ان مهمة الوفد الفلسطيني قد انتهت باجتماع وفدي البلدين .وهذا يعني ان الوساطة الفلسطينية ركزت على منع الاصطدام العسكري ، وعلى اقناع الطرفين بحل المشاكل العالقة بينهما من خلال المفاوضات .

٥ ــ العمليات الخاصة :

بعد مقتل حسين ابو الخير ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في قبرص يوم ٢٥ ك٢ الماضي ، اطلق شاب اردني النار في نيقوسيا على الاسرائيلي سيمحا غيلزر فقتله ، وذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ان غيلزر عميل للمخابرات الاسرائيلية يتخفى تحت صفة رجل اعمال . ثم أعلنت منظمة ايلول الاسود (١٣ اذار) مسؤوليتها عن الحادث موضحة بأن غيلزر هو الذي دبر حادث اغتيال ابو الخير قبل شهرين . وقد اصدرت السلطات القبرصية مذكرة اعتقال بحق الشاب الاردني الذي اختفى بعد الحادث ، ووجهت له تهمة الاغتيال .

كذلك كانت قبرص ميدانا لعمليات اخرى اشد عنفا. ففي صباح يوم التاسع من نيسان شن فدائيون تابعون لمنظمة تدعى « منظمة الشبيبة القومية العربية لتحرير فلسطين » هجوما مزدوجا على اهداف اسرائيلية في قبرص . الهجوم الاول جرى في مطار نيقوسيا حين هاجم ٦ فدائيين طائرة ركاب اسرائيلية تابعة لشركة العال . وقد واجه هجوم الفدائيين نيران القوات القبرصية ونيران رجال الامن الاسرائيليين من داخل الطائرة . وبعد عشرين دقيقة من تبادل اطلاق النار اصيبت الطائرة بأضرار، وقتل فدائي ، وشرطي قبرصي،وجرح ثلاثة فدائيين، وتمكن أحد الفدائيين من الفرار . اما الهجوم الثاني فقد تم في الوقت نفسه على منزل السفير الاسرائيلي أحايم تيمور ، وذلك حين زرع ٣ فدائيين كمية كبيرة من المتفجرات امام المنزل ، وادى الانفجار الى انهيار الواجهة الامامية للمنزل والى تدمير الجزء السفلي من المبنى . وقد سبق الانفجار اشتباك بين المهاجمين والحرس ، قتل فيه شرطي قبرصي . وقال السفير الاسرائيلي ان السلطات القبرصية اعتقلت المهاجمين الثلاثة .

وكان قد جرى قبل ذلك اعتقال شابين عربيين (١٥ اذار) اثناء دخولهما الى فرنسا في سيارة مليئة بالمتفجرات ، قيل انها كانت مخصصة لنسف السفارة الاسرائيلية في باريس ، وان الشابين ينتميان الى منظمة فتح . ولكن حركة فتح نفت رسميا يوم ١٨ اذار اية علاقة لها بالشابين المعتقلين في فرنسا . كذلك تم في باريس يوم ٢٢ اذار اعتقال طبيبة بريطانية ووجهت لها تهمة الانتماء الى منظمة ايلول الاسود ، ثم افرج عنها وغادرت فرنسا متوجهة الى بريطانيا .

وفي باريس نفسها أقدمت المخابرات الاسرائيلية فجر يوم السادس من نيسان على اغتيال الدكتور باسل القبيسي احد مسؤولي الجبهة الشعبية ، اثناء تواجده في العاصمة الفرنسية للقيام بمهمة سياسية للجبهة تتعلق بالعلاقات بين الجبهة والقوى السياسية الوطنية المغربية .

٦ ــ اسرائيل ولبنان والمقاومة :

قامت اسرائيل منذ منتصف شهر اذار ، وحتى نهاية الاسبوع الاول من نيسان بسلسلة من عمليات الضغط والتهديد على لبنان والمقاومة الفلسطينية . وقد كانت بعض هذه العمليات بادية للعيان وكان بعضها الاخر يجري التحضير له بشكل سري . وحول هذه النشاطات السرية وصلت الى حركة المقاومة معلومات كشف النقاب عنها المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير يوم ١٦ اذار حين حذر من اعتزام المخابرات الاسرائيلية والاميركية والاردنية القيام بعمليات تخريبية على اكثر من أرض عربية وصديقة ، والصاقها بالمنظمات الفلسطينية ،

للضغط على بعض الانظمة العربية ، للاحتكاك بالثورة وضربها . ولم تكد تمضي على هذا التصريح سوى ايام قليلة حتى قام بعض المسلحين المجهولين بالهجوم يوم ٢١ اذار على مخفر للجيش اللبناني في قضاء راشيا . وقتل في هذا الهجوم جنديان لبنانيان وجرح ثالث . وترك المهاجمون في مكان الحادث بندقية كلاشينكوف مكتوب عليها « أبو كفاح ــ الجبهة الشعبية ــ القيادة العامة » . وكان من الواضح منذ البداية ان الحادث مفتعل ، وان القصد منه هو اثارة المشاكل بين المقاومة والجيش اللبناني ، وان البندقية تركت عن عمد لزج اسم فصيل فدائي ، والادعاء أنه مسؤول عن الحادث . وقد تولى الكفاح المسلح الفلسطيني بالتعاون مع الجيش اللبناني التحقيق بصورة مشتركة ، وقال مسؤول الكفاح المسلح « نستنكر الحادث الذي هو عمل جماعة غوغائية قصدها الايقاع بين الجيش والمقاومة . ثم أدلى السيد أحمد جبريل الامين العام للجبهة الشعبية ــ القيادة العامة ، بتصريح جاء فيه « ابلغنا الاخوة في قيادة الجيش اللبناني اننا على استعداد للتعاون معهم من اجل الكشف عن المجرمين الذين حاولوا زج اسمنا في اقذر عمل استهدف علاقاتنا مع الجيش اللبناني ... نعلن استنكارنا للحادث وللاساليب الدنيئة هذه » . كذلك أصدرت القيادة العامة لقوات الثورة بيانا مماثلا قالت فيه انها « تستنكر بشدة هذا العمل الاجرامي ، وتضع كل امكاناتها ... للقبض على الجناة » . ونتيجة لهذه المواقف الصريحة ، فشل الحادث في ان يؤدي الى الغاية المقصودة منه ، ولم تظهر اية بوادر للتوتر بين الجيش والمقاومة ، بينما تأكد للمقاومة ان مخطط التخريب على علاقاتها مع السلطة اللبنانية سيستمر .

وفي يوم السابع من نيسان تعرض شفيق الحوت مدير مكتب منظمة التحرير في بيروت الى حادث اعتداء على حياته ، وذلك حين رميت على شرفة مكتبه في جريدة المحرر قنبلة احدثت اضرارا في المكتب ، بينما كان هو قد خرج منه . وهذه هي المرة الثالثة التي يتعرض فيها شفيق الحوت لمحاولة اغتيال . المرة الاولى كانت حين اطلق اشخاص النار عليه ، وفي المرة الثانية حين قصف مكتب المنظمة بالصواريخ من عمارة مقابلة . ومن المؤكد ان هذا الحادث الجديد قد جاء ضمن سياق عمليات التخريب التي حذرت منظمة التحرير السلطات اللبنانية منها في وقت مبكر .

أما عمليات الضغط والتهديد الاسرائيلية التي كانت بادية للعيان فقد عبر عنها اولا المسؤولون اللبنانيون أنفسهم ، وذلك حين اصدرت وزارة الخارجية اللبنانية يوم ١٦ اذار تحذيرا من عدوان اسرائيلي محتمل على لبنان . قام على اثره السيد جميل كبي وزير الداخلية بالوكالة ، بالاجتماع مع الرئيس سليمان فرنجية حيث اطلعه على حجم التواجد الفدائي في مناطق الحدود الجنوبية ، بينما اعلنت (وفا) ان اسرائيل بدأت حشد قوات كبيرة في المنطقة . وقد كان ملفتا للنظر بعد ذلك ان السيد البير مخيبر ، رئيس الوزراء بالوكالة ، اصدر نفيا لانباء الحشود الاسرائيلية عند مناطق الجنوب (١٧ اذار) . وكما هي العادة لدى التحضير لاي اعتداء اعلنت اسرائيل انها اكتشفت الغاما في منطقة الجليل يوم ٢٤ اذار ، وبعد ذلك بأيام اقتربت زوارق اسرائيلية من مدينة صور في المنطقة المواجهة لمخيم الرشيدية (٢٨ اذار) .

وبحصيلة هذه الحوادث ، توفرت القناعة الاسرائيلية بان تهيئة الجو المضاد للبنان قد تمت ، وحالة التوتر الداخلي بين المقاومة والنظام قد غذيت بحادثي الهجوم على المخفر والقنبلة على جريدة المحرر ، فنفذت فجر يوم التاسع من نيسان عدوانها الواسع على مدينة بيروت الذي اغتيل فيه القادة الثلاثة .

بلال الحسن

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

١ ـ غارة قوات الاحتلال على بيروت وضواحيها :

هددت دولة الاحتلال الصهيوني مرات ، ثم نفذت : وما نفذته هذه المرة لم يكن هجوما بريا او بحريا أو جويا ، ولم يكن هجوما على قاعدة او معسكر او مكتب فقط . لقد كان غارة من نوع جديد ، على بيوت القيادات ايضا ؟

انها فعلا غارة من نوع جديد . وهي تدل على ان دولة الاحتلال ، قد قررت توسيع نطاق عملياتها ، وتصعيد عمليات العنف تصعيدا لا سابق له . انه الهجوم الشامل الذي تحدث عنه قادة دولة الاحتلال كثيرا ، والذي تريد منه ان يكون رادعا وقاضيا . فما الذي حدا بدولة الاحتلال الى تصعيد حملتها التصفوية الدموية الشرسة ؟

ان هنالك عدة أسباب ، أهمها ما يلي :

اولا : تريد دولة الاحتلال ان توجه ضربات قاصمة للثورة وقد جربت ضرب المعسكرات والقواعد ، فوجدت انها لا تجدي فتيلا . وما دام هنالك قيادات تعبىء وتنظم وتكون كوادر وتعد الخطط فان الثورة تستمر مهما كانت الخسائر في الارواح . ولذلك ، كان لا بد من ان توجه الضربات الى الكوادر والقيادات . وكما يقول المثل الشعبي ، « الضربة في الرأس بتوجع » . استراتيجية العدو اصبحت الان اذن ان يضرب في كل مكان ، وان يركز على الرأس ، على مركز الاعصاب ، وهو يأمل ان يهز الثورة بمثل هذه الضربات ، وان يقودها الى حتفها .

ثانيا : يريد العدو ان يقنع « مواطنيه » ان حياة الرعب التي فرضتها الثورة لن تدوم طويلا ، وان سلطات الاحتلال قادرة على ان ترد الصاع صاعات ، وعلى ان تقتل زعماء منظمات «الارهاب» في بيوتهم . وانها لذلك قادرة على ان تصفي ما تسميه منظمات التخريب .

ثالثا : ويريد العدو ان يقدم « لمواطنيه » الذين سيحتفلون قريبا بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام دولة الاحتلال الصهيوني هدية كبرى في هذه المناسبة ، هي رؤوس ثلاثة من قادة الثورة ، لكي يشحنهم بمزيد من الثقة بقوة جيشهم ولكي يضمن مزيدا من التأييد لسياسة العدوان والاضطهاد والقمع .

رابعا : ويريد العدو ان يثبت للولايات المتحدة ، وللدوائر الامبريالية العالمية ، انه قادر على ان يفعل ما يريد في المنطقة ، وانه بالتالي اهل للاعتماد عليه في المعركة التي تقوم بين الامة العربية من جهة والامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية من جهة اخرى .

خامسا : ويريد العدو ان يرد على بعض عمليات الثورة ، وعمليات ايلول الاسود ، ويظهر للعالم انه وحده القادر على توجيه ضربات «للارهاب» . ولذلك ذكر دايفيد اليعازر عملية الخرطوم على رأس العمليات التي قال بأن عملية بيروت انتقام لها .

سادسا : ويريد العدو ان يساهم مساهمة فعالة في تصفية الارادة الفلسطينية ، لانها ارادة القتال التي تحرك المنطقة وتهزها ، ولانها بالتالي عامل عدم الاستقرار في منطقة المصالح الاميركية الكبرى.

سابعا : ويريد العدو ايضا تصعيد حملته ضد لبنان من اجل خلق اشكالات في لبنان تدفعه الى الدخول في صراع مع الثورة الفلسطينية . ان العدو يريد ان يدفع لبنان الى ما دفع اليه الاردن، وهذا ما يكرره قادة العدو مرارا وتكرارا . المطلوب اذن ليس الاغارة على قاعدة او معسكر فحسب ، وليس قتل رجل او ثلاثة فقط ، بل دفع لبنان الى مجزرة تصفى فيها ارادة القتال بأيد عربية .

ولقد نجح العدو في الوصول الى اهدافه ، وضربها ، والعودة الى مواقعه برجاله وجرحاه وقتلاه وبوثائق ايضا . ولم يجابه العدو الا بمقاومة دفاعية محدودة ، في بعض المواقع (الاوزاعي ، مكتب الديمقراطية) ولم يواجه اية مقاومة فيمواقع اخرى (بيوت ابي يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان) لان اثنين من رجال الحراسة صفيا مع بدء العملية ، واختفى ثالث ، ولم يكن هنالك غيرهم .

ولكن لماذا حدث ذلك ؟

لن اعالج الموضوع فلسطينيا ، ولكني سأعالجه عربيا . ولما كانت الحادثة قد وقعت في لبنان ، فمن الزاوية اللبنانية .

لقد كان الهجوم على بيروت وضواحيها ، ولكن السلطة لا تعتبر نفسها ذات علاقة ، لان الهجوم

ليس موجها اليها ، ولا الى حلفائها . والسلطة في لبنان لا تعتبر المقاومة حليفا . وقصة الرجل الذي سلم معلومات الى عملاء وكالة المخابرات المركزية الاميركية عن العمل الفدائي معروفة . لقد القي القبض على الرجل واعترف . وعندئذ اطلقت سراحه المحكمة ، لانه لم يقدم معلومات عن لبنان او عن دولة صديقة . ونشرت الصحف قرار المحكمة وما زال الرجل يسرح ويمرح في بيروت . ومن ثم فان السلطة في لبنان لا تعتبر انها مطالبة بالتصدي لاي هجوم تقوم به قوات الاحتلال الصهيوني على مواقع المقاومة ومراكزها وقياداتها . ولقد حدث في البداوي ونهر البارد ما حدث في بيروت .

وبالطبع فان السلطات في لبنان تستطيع التدخل لو ارادت . ذلك ان العمليات الخمس التي حدثت كانت كلها على مقربة من مواقع للجيش او الدرك . ففي الاوزاعي وقعت العملية على مرمى حجر من حراسات المطار ، وفي فردان لم تكن بيوت القادة أبعد عن ثكنة الدرك السيار . هذا بالاضافة الى ان قوى الامن كانت مستنفرة في تلك الليلة ، وكانت موجودة في كل مكان من بيروت . وكانت تستطيع الوصول خلال خمس دقائق من عدة مواقع لو كانت حريصة على الوصول .

الا ان السلطة ليست حريصة على ذلك ، ولا تعتبر ان هذه مهمتها . وهذه حقيقة يجب ان نبدأ منها ، لاننا ان لم نبدأ منها ارتكبنا خطأ كبيرا .

واذا كانت السلطة قد اتفقت مع الثورة على ان تدافع الثورة عن المخيمات لتدافع السلطة عن بقية لبنان ، فان هذا لا يعني شيئا امام واقع السلطة ، وأمام مواقفها الحقيقية . ان السلطة لا تعتبر نفسها حليفة او صديقة . ولا ترى انها مضطرة للدفاع عن قوى غيرها .

وتتعلل السلطة دائما بأنها لم تستطع التدخل ، لانها ظنت ان الصدام صدام بين الفدائيين أنفسهم، او لان قوات الامن لم تستطع الوصول في الوقت المناسب . وهذه الاعذار الواهية غير مقنعة ، وواضح انها تستخدم للتبرير والتغطية ، لا لاي شيء اخر .

اذا كان هذا موقف السلطة ، فان موقف القطاعات الواسعة من الجماهير مختلف . وسيان الذين يؤيدون الثورة او لا يؤيدونها ، فهم جميعا يحسون بالاذلال والمهانة عندما تغزو قوات العدو ارض الوطن ، فلا ترد عليها القوات المسلحة اللبنانية .

ولذلك كانت مظاهرة تشييع الشهداء مظاهرة لم يشهد لبنان لها مثيلا .

واذا كان ليس مطلوبا من المقاومة ان تقطع الشعرة مع السلطة ، فانه مطلوب منها ان تهتم بأمر هذه الجماهير ، والمؤيدة منها خصوصا ، وان تبدأ مع هذه الجماهير مرحلة اعداد مدروس لمقاومة الاعتداءات المقبلة .

فاذا ما بقيت الجماهير اللبنانية ، كما هي الان ، كانت القوى المضادة (الولايات المتحدة الاميركية ، دولة الاحتلال الصهيوني ، العملاء) قادرة على ان تحسم في موضوع المقاومة في لبنان ، كما حسمت فيه في الاردن وان تم ذلك بالاسلوب المناسب .

واذا ما بقيت الجبهات العربية الاخرى صامتة توجه كل زخم قوات العدو الى لبنان ، لاجباره على الاستسلام . ولن يطول هذا كثيرا اذا ظلت الامور كما هي : اي اذا لم تهتم الجماهير اللبنانية بتنظيم نفسها واعداد قواها للقتال ، واذا ظلت الجبهات العربية صامتة . ان تغيير اي عامل من هذه العوامل يزيد من القدرة على الصمود والاستمرار .

٢ — ردود الفعل العربية على الغارة :

حركت الغارة في كل البلاد العربية تعاطفا واسعا مع الثورة ، كما استثارت استنكارا شديدا للجريمة . وكان هذا التعاطف وهذا الاستنكار عامين ، بحيث لم يشملا الاوساط المؤيدة للثورة فحسب .

ولقد اثار الانتباه في بيروت ان رجالات مثل الشيخ بيير الجميل وريمون اده قد شاركوا في المسيرة التي انطلقت من المسجد العمري والكنيسة الانجيلية الى مقبرة الشهداء . كما اثار الانتباه العدد الكبير من رجال الدين المسيحيين ، ومن مختلف المراتب، الذين حضروا مراسيم جنازة الشهيد كمال ناصر في الكنيسة الانجيلية .

وكانت المظاهرة الكبرى التي ضمت اكثرية من اللبنانيين خير دليل على هذا التعاطف وهذا الاستنكار . ومما اثار الانتباه خلال المظاهرة ان الذين كانوا على الشرفات كان قسم منهم مشاركا في المظاهرة ، كما لو كان في وسطها . وكانت هتافاتهم ذات طابع سياسي معبر .

ولوحظ ايضا ان هتافات المشاركين في المظاهرة كانت تركز على ثلاث قضايا : الاولى : ادانة موقف لبنان الرسمي من الاعتداءات التي تقوم بها قوات

الاحتلال . الثانية : تأييد المقاومة الفلسطينية . الثالثة : المطالبة بالقتال ضد العدو ، وتأكيد ان « الكل فدائية » ، و « كلنا فدائية » كانت تتردد في كل الحلقات على طول المسيرة ، من ساحة البرلمان الى مقبرة الشهداء .

ولقد استقالت الوزارة اللبنانية ، يوم حدوث الغارة . ومع ان رئيس الوزراء لم يذكر في كتاب استقالته اسباب الاستقالة ، الا انه كان واضحا انه استقال بالمناسبة . وقد اكد ذلك حين اعلن استقالته بنفسه قائلا : « ان العدوان الغادر الاثيم الذي وقع صبيحة هذا اليوم على لبنان كانموضوع المداولة ، وبنتيجة اجتماعاتنا مع زملائي الكرام ، رأيت من المصلحة ان انقدم باستقالتي لفخامة رئيس الجمهورية . وهكذا كان ... » .

وفسرت الصحف الاستقالة بانها نتيجة سوء تفاهم بين رئيس الوزراء وقائد الجيش (العمل ٤/١١/٧٣) اما قادة الحركة الوطنية فقد فسروها بأنها ضربة ذكية من صائب . ذلك انه يواجه مصاعب جمة في الداخل ، وكانت الغارة ستزيد هذه المصاعب تفاقما . ولذلك آثر صائب الاستقالة ، ليكسب بعض العطف الشعبي ، وليظهر بمظهر غير المسؤول عما حدث .

وتقول (العمل ٤/١١) ان صائب سلام اجتمع مع الرئيس فرنجية في الساعة ١٠ صباحا ، واطلعه على رأيه فيما حصل ، وان الحديث « توقف عند « سوء تفاهم » حصل بين رئيس الحكومة وقائد الجيش ، اثناء عملية « الكوماندوس » الاسرائيلي. الا ان فكرة الاستقالة لم تكن واردة » . ولكن الوضع تغير بعد الظهر بعد « ان وصلت الى القصر انباء تفيد ان تظاهرات طلابية وغير طلابية قد نزلت الى العاصمة ، وان اليافطات والهتافات التي تطلقها تحمل رئيس الحكومة المسؤولية وتتهمه « بالتواطؤ » ... وفهم ان هناك اتجاها لاستغلال ما حدث على الصعيد السياسي ... » . وهذا يعني ان صائبا استقال ليحرم معارضيه من الهجوم عليه بتهمة « التواطؤ » ومن استغلال الغارة لمزيد من التشهير به وبحكمه .

ومن المحتمل ان يعود صائب ، بعد ان امتص جزء من النقمة ، عن طريق تكليفه برلمانيا مرة اخرى ، او عن طريق تحقيق بعض شروطه (يبدو انه لن يعود فقد كلف غيره) . ولكن عودته او عدم عودته لا يغير من الامر شيئا . ان ما يغير في الامر تبدل موقف السلطة نحو المقاومة ايجابيا . وهذا التبدل ليس في يد رئيس الوزراء ، مع انه احد الاركان ، انه في يد رئيس الجمهورية وقائد الجيش والبرلمان على صعيد السلطة . وليس هنالك ما يدل على ان امكانية تبدل موجودة الان. ذلك ان اي موقع من هذه المواقع غير قابل للتغيير قريبا . حتى والجماهير العريضة تبدي مثل السخط الذي ابدته يوم ٧٣/٤/١٢ في مسيرتها .

وهذا لا يعني ان تغيير رئيس الوزراء لا يعني شيئا ، ولكنه لا يعني حتما تغيير موقف السلطة نحو الافضل تغييرا جديا .

ولذلك فان استقالة الوزارة ، بالمناسبة ، لا يعني شيئا في الواقع . وليس من مستوى الحدث . وليس هذا غريبا ، لقد حدث اكبر منه واعظم ولم يتحرك ساكن من السواكن في هذا الوطن العربي الكبير ، ذي التاريخ المجيد .

ولقد بادرت القوى الوطنية اللبنانية فحملت السلطة مسؤولية ما حدث ، وزادت من حدة حملتها على النظام ومواقفه . وكان جنبلاط واضحا وعنيفا في خطابه الذي كان مقررا أن يلقيه في المسيرة (الشعب٧٣/٤/١٤)كماكان واضحا فيندوتهالصحفية. اما اليمين فقد ابدى تعاطفه مع الثورة ، ولكنه اكد ان لبنان لا يستطيع ان يتحمل عبء الثورة وحده . قالت العمل : « ماذا يعني استشهاد محمد النجار وكمال ناصر وكمال عدوان وغيرهم ، سوى انه الدليل الذي لا يرد على ان لبنان ، الوطن الصغير الذي ما ضاق يوما بوجود الفلسطينيين تحت سمائه ، لا يستطيع ان يكون مساحة الثورة الفلسطينية الوحيدة ودرعها الوحيد في وجه الانتقامات الاسرائيلية » (العمل ٧٣/٤/١٣) . وطرحت « الحياة » نفس الفكرة ، وطالبت ، بأن يحظى قادة العمل الفلسطيني « من حكومات المواجهة العربية بمواقف ايجابية لا تقتصر على لبنان وحده ، بل ولا يجوز ان تعتمد لبنان كأساس، بل ان عليها ان تجد قواعد لا تشوبها الحساسيات ولا تعترضها ... في غير لبنان ايضا ، بل وفي غير لبنان اولا » (الحياة ٧٣/٤/١٢) وكانت الحياة قد شنت حملة على ما اسمته الانظمة الدكتاتورية في الوطن العربي .

وطالبت صدى لبنان (١٩٧٣/٤/١٣) بتوحيد الموقف العربي ، وتوحيد الموقف الفدائي لان « تصفية الاغتصاب الصهيوني ، لارض فلسطين يجب ان لا

يعلو عليها اي هدف او اي مطلب اخر . وعلى هذا ليس معقولا ان يظل التعاون والتعاضد مفقودا بين الجيوش العربية من جهة ، وبينها وبين فصائل المقاومة من جهة اخرى ، بل يجب ان تنتهي هذه الاسطورة . اسطورة عدم ثقة كل فريق بالفريق الاخر » .

وترى صدى لبنان ان البادرة الاولى على هذا الطريق قد بدرت « من الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية في برقيتيه اللتين بعث بهما لكل من الرئيس سليمان فرنجية والسيد ياسر عرفات ، حيث ركز كلامه على جمع الصفوف وحشد الطاقات العربية لاسترداد عزة العرب وكرامتهم ... » وتتبع الجريدة ما سلف وقدمته بهذه المناشدة : « ... فهل تتجاوب الضمائر المخلصة مع هذا النداء المخلص الذي صدر من مهد العروبة والاسلام ؟ وهل يكون الاعتداء على بيروت ، مهمازا يحرك الساكنين او ناقوسا يوقظ النائمين ؟! » . لقد كان رد الفعل في لبنان واسعا وعنيفا . اما في البلاد العربية فقد كان رد الفعل الشعبي واسعا وعميقا ، ولكنه لم يعبر عن نفسه ، كما عبر عن نفسه في لبنان .

ولقد اكتفت الانظمة بعقد الاجتماعات وارسال برقيات التعازي والوفود . (سنواصل متابعة ردود الفعل في العدد القادم) .

٣ — حملة « وقائية » من اجل السيطرة على النفط العربي :

ان الحملة التي حركتها أوساط أميركية أوروبية حول « ثروة العرب الخيالية » لا يجوز أن تمر دون دراسة معمقة . انها تحمل في ثناياها مخاطر كبيرة ، وتكشف عن معالم مرحلة جديدة في تعامل الامبريالية العالمية معنا ونظرتها الينا .

ولما كان مقال مجلة التايم (١٩٧٣/٤/٢) المقال الرئيسي الذي افتتحت به الحملة ، فلا بد من ان نلخص أهم ما جاء فيه . وما جاء فيه يمكن تلخيصه بما يلي :

١ — « ان استهلاك العالم من النفط سيزداد بنسبة ٨ ٪ سنويا ، واستهلاك الولايات المتحدة ، وهو ٤٠ ٪ من المجموع الكلي ، يزداد بنسبة ٨٫٧ ٪ » .

٢ — « ان بلدان الشرق الاوسط المنتجة للنفط ، وكلها دول عربية ، ما عدا ايران ، تسيطر على ٦٠ ٪ من الاحتياطي المكتشف في العالم ، وهي تفاوض بمهارة متزايدة » .

٣ — « ان دخل (هذه الدول) الذي كان ٤٫٤ بليون دولار سنويا ، قبل خمس سنوات مضت ، ارتفع الى أكثر من عشرة بلايين ، وقد يبلغ سنة ١٩٨٠ مبلغ ٤٠ بليون بسهولة » .

٤ — « اذا صرفت الدول العربية مجتمعة نصف العائدات (الاموال) فقط التي من المتوقع ان تحصل عليها من نفطها من الان الى سنة ١٩٨٥ ، فانه سيكون ما زال لديها قرابة ١٢٠ بليون دولار لم تمس — او مقدار كل الاحتياطي الرسمي في العالم من الذهب والعملات الصعبة اليوم . وهذا كاف لشراء كل أسهم شركات النفط العالمية » .

٥ — « ولاعتبارات عديدة فان عصر الثروة العربية ، والقوة العربية ، قد جاء لتوه » .

٦ — « وكانت أموال النفط عاملا رئيسيا في الازمة المالية التي قادت الى التخفيض الثاني لقيمة الدولار في الشهر الماضي » .

٧ — « ومهما كانت القضية فان رجال البنوك العالميين يشعرون بقلق عميق حول ما سيكون من آثار لقوة العرب المالية المتنامية في السنوات الخمس القادمة . انهم يشعرون ان عقد الاجتماعات في باريس حول مستقبل العملات دون اشتمال العرب أمر خيالي غريب » .

٨ — « ان ثروتهم (العرب) النفطية هي في عملية تغيير لتاريخهم ، جالبة لهم قوة لم يعرفوها منذ الحروب الصليبية — قوة يمكن ان تستخدم للتطور السلمي أو للعنف والانتقام » .

٩ — « ويقال بأن الرئيس نيكسون مقتنع ، على كل حال ، بأن على الولايات المتحدة الا تسمح لنفسها بأن تصبح معتمدة الى هذا الحد على منطقة كتلك بعيدة وغير مستقرة » .

١٠ — « ان العامل الجديد الاكثر أهمية في العالم العربي — بالنسبة للعرب وبالنسبة للاسرائيليين ولكل الامم الصناعية — هو الثورة التي انجزها النفط ، ولكن التغييرات السياسية التي ستصاحب هذه الظاهرة بالضبط لا يمكن التنبؤ بها ، مع ان ارنولد تتنجر يعتقد انه كلما استخدمت الدول الحدودية المزدحمة بالسكان ، مثل مصر ، الوسائل الممكنة — بما في ذلك قلب الانظمة المحافظة الغنية بالنفط ، لتتأكد ان نصيبا وافرا من عائدات النفط قد « صرف » في النضال ضد اسرائيل . « انهم

سيحاولون » ، يقول تنتجر ، « ان يطوروا سياسة نفطية مصممة لعقاب اصدقاء اسرائيل ولمنفعة اصدقاء العرب ، الذين في هذه الحالة سيشملون بالتأكيد معظم العالم الشيوعي أو كله».

١١ — « وهنالك خلاف واسع حول ما اذا كان العرب يستطيعون معاقبة القوى الغربية بفعالية . ولكنه واضح ان الثورة في النفط، بينما هي تستطيع أن تزود الامم العربية بفانوس علاء الدين من الثروات للتطور ، يمكن ان تزيد حالة التبدل في منطقة غير مستقرة تاريخيا » .

ويبدو من هذا التلخيص الموجز ما تريده الامبريالية من هذه الحملة ، وما تريده يمكن أن يوجز بما يلي:

أولا : ضمان تدفق النفط العربي ، ضمن خطط الاحتكارات العالمية وسياساتها ، دون اشكالات معقدة ، وبأرخص الاسعار .

ثانيا : ضمان بقاء أموال النفط العربية ضمن سيطرة المؤسسات المالية الغربية ، حتى لا يتحول الى سلاح بأيدي العرب اقتصاديا وسياسيا .

ثالثا : ضمان عدم استخدام هذه القوة في الصراع ضد الامبريالية او ضد الاحتلال الصهيوني .

ومع أن الامور لا تستدعي مثل هذا الخوف اليوم ، فان هنالك ظواهر في الوطن العربي تخيف الاحتكارات ، وتجعلها تفكر بالمستقبل . وما تطرحه الصحافة الغربية اليوم هو دعوة للتفكير بالمستقبل والتخطيط له مع اخذ احتمالات الموقف بعين الاعتبار . ان ما يقوله المراقبون الامبرياليون اليوم هو الآتي: ماذا لو تحولت هذه الثروة الى قوة سياسية ؟ ماذا سيحصل لمصالحنا وماذا سيحصل للاحتلال الصهيوني ؟

وهم يثيرون هذه الزوبعة المبكرة ليستنهضوا كل عداء الدوائر الغربية ذات المصلحة ، وليدفعوا الاجهزة المتخصصة الى مزيد من « التخطيط » لمستقبلنا والتآمر عليه .

وليس بعيدا ان تكون دوائر الصهيونية العالمية مشاركة في هذه الحملة مشاركة فعالة . ذلك ان هذه الدوائر تهمها القضية من زاويتين : الاولى : زاوية مصالحها المالية والاحتكارية والثانية : زاوية تأثر الوجود الصهيوني في فلسطين بهذه السياسة (الحوادث ٤/١٣ ص ٢٣) ولكن هذا لا يمنع ان تكون الدوائر الامبريالية كلها ، مهتمة بالقضية لهذين السببين ، ذلك ان دولة الاحتلال الصهيوني ليست أداة بيد الدوائر الصهيونية العالمية وحدها انها أداة للامبريالية العالمية واحتكاراتها .

ان هذه الحملة نوع من « الهجمة الوقائية » . انها تريد ان تستبق الزمن ، وكما تفعل قوات الاحتلال الصهيوني بتوجيه ضربات ساحقة للدول العربية ، قبل أن تستعد ، كذلك تريد الدوائر الامبريالية والصهيونية ان توجه للعرب ضربة ساحقة ، تضرب الظواهر الجديدة في حياتهم ، وتربطهم بالسياسة الامبريالية العالمية الى حين .

وما دامت الولايات المتحدة لا تستطيع ان تعتمد على منطقة غير مستقرة ، فيجب ان تستقر المنطقة . وهذا يعني ١ — زيادة قوة دولة الاحتلال الصهيوني بزيادة مساندتها ماليا وعسكريا وسياسيا ، ٢ — ضرب القوى الوطنية العربية المتنامية واخضاع المنطقة كليا .

ولقد تناولت بعض الصحف العربية هذه القضية ، ونبهت الى خطورتها . وقد قالت الاخبار : « لم يكن البترول والسياسة متلازمين من قبل قط كتلازمهما في الوقت الراهن . فقد صرح مؤخرا الرئيس الاميركي ، نيكسون ، بأن البترول يحمل اكثر من كل السلع الاخرى مضمونا سياسيا » . وتحاول الاخبار ان تفسر ظاهرة الاهتمام بالمنطقة فتبين ان ظاهرة الاهتمام هذه لا تعود الى كون المنطقة « المصدر الرئيسي للطاقة بالنسبة للعالم الغربي ، وخاصة أوروبه الغربية » فحسب بل بسبب مردود استثمارات النفط أيضا . لقد بلغ المردود ٦٩٫٥٪ سنة ١٩٦٩ و٧٩٫٢٪ عام ١٩٧٠، بينما « بلغت هذه النسبة » في « صناعة التعدين والصهر في الاقطار النامية ، بنفس الفترة ١٩٫٥٪ و١٣٫٥ ٪ على التوالي . وبلغت في الصناعات التحويلية في الاقطار الصناعية المتقدمة خلال نفس الفترة ١١٫٢ ٪ و١٠٫٢ ٪ على التوالي » .

وتستنتج الاخبار من هذا كله : « ... أن الصراع مع الامبريالية الاميركية مرشح الى الاحتدام والتفاقم ، وليس الى الهدوء كما تحاول ان توحي أبواق الرجعية والاستسلاميين على نطاق منطقة الشرق الاوسط كلها ، وليس في منطقة الخليج وحدها » (الاخبار اللبنانية ، ٧٣/٣/٣١) .

اما الصياد (١٢ — ٧٣/٤/١٩ ، العدد رقم ١٤٩١) فقد اعتبرت الحملة اشارة « الى ان شيئا ما يدبر ضد العرب » . وتضيف الصياد أن « من يتذكر

الطريقة التي كانت تكتب بها الصحف الغربية عشية تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ يجد ان هذه الصحف كانت يومذاك تتحدث ايضا عن القدرة غير المحدودة التي بدأ العرب يمتلكونها » .

وتتساءل الحوادث (٧٣/٤/١٣) بعد أن تنبه الى مخاطر الحملة وأهدافها : « فلماذا لا يقرر العرب، او على الاصح دول النفط العربية ، القيام بمشروع جبار لتطوير العالم العربي ككل ؟ لماذا لا يذهب المال العربي (بدلا من سرقته) لبناء العالم العربي والانسان العربي ؟ »

أما لماذا لا يتم ذلك فهو معروف : ان الدول العربية عموما ما زالت خاضعة للسياسات الامبريالية ، وما زالت لا تمثل ارادة جماهيرها وتطلعات هذه الجماهير نحو الوحدة والتقدم . ولهذا يجب ان تناضل الجماهير العربية وقواها الوطنية من أجل ان تصبح هذه الثروة الهائلة « ثروة للعرب » ، ومن اجل ان تخلق « ثورة » في حياة العرب . وعليها ان تناضل من اجل أن تصبح هذه الاموال أداة لمواجهة التخلف ولمواجهة دولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية العالمية ، بقيادة الولايات المتحدة الاميركية . وعليها ، قبل ذلك ، ان تجعل النفط العربي نفطا عربيا ، وتخضعه للسيطرة العربية مادة وانتاجا وتسويقا .

٤ — الجبهة العربية المشاركة :

عقدت الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية اجتماعا طارئا يوم السبت ٧٣/٤/١٣ ، ناقشت فيه موضوع الغارة التي قامت بها قوات الاحتلال الصهيوني على لبنان ، والتي استشهد خلالها ثلاثة من قادة الثورة الفلسطينية . وكانت بادرة حيوية وفعالية ان تعقد الامانة العامة اجتماعا بهذه السرعة .

وكانت البادرة الاخرى المثيرة للانتباه ان معظم اعضاء الامانة العامة قد حضروا الاجتماع . وكان الحضور : كمال جنبلاط الامين العام ، جلول الملائكة عن جبهة التحرير الوطني الجزائري ، والدكتور محمد طلبة عويضة عن الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر ، وعبد الخالق السامرائي عن حزب البعث العربي الاشتراكي (العراق) ومحمد حسن الصايب عن الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا ، ومصطفى عبدالخالق عن الجبهة القومية في جمهورية اليمن الديمقراطية والدكتور أحمد الخطيب عن الحركة الوطنية في الكويت والخليج ، ومحمد عايش وهادي ناصيف عن الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، وياسر عبد ربه وابو لطف والدكتور عبد الوهاب الكيالي وابو حاتم وصلاح صلاح وتوفيق صفدي عن منظمة التحرير، ونديم عبدالصمد ومحسن ابراهيم ورغيد الصلح وتوفيق سلطان ومحيي‌الدين أغا عن الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية .

ناقش المجتمعون التقريرين المقدمين من ممثلي منظمة التحرير والحركة الوطنية اللبنانية . وجاء في البيان أن التقريرين كانا حول : « الاعتداء الاسرائيلي الاخير ومضاعفاته ، ومشاركة الولايات المتحدة مباشرة في الاعتداء واطلاقها التهديدات والتحديات الوقحة ضد الشعوب العربية ، وكذلك حول تغاضي السلطات اللبنانية واحجامها عن اتخاذ اي تدبير على الاطلاق للدفاع عن المقاومة في قلب العاصمة بيروت وتضييقها على المقاومة ومنعها من امكان الدفاع عن النفس » .

ولقد نوقشت هذه القضايا جميعا مناقشة مستفيضة واتخذت مجموعة من القرارات تنص على ما يلي :

١ — الدعم الكامل للمقاومة والحركة الوطنية اللبنانية .

٢ — المطالبة باطلاق حرية العمل الفدائي في مختلف الاقطار العربية ، وخصوصا دول المواجهة واتخاذ مواقف حازمة ضد الامبريالية الاميركية ومصالحها الاقتصادية والسياسية .

وما من شك في ان هذه القرارات « هامة » ولكن من يضعها موضع التنفيذ ؟ ان كثيرا من القوى الاعضاء في الجبهة العربية المشاركة أحزاب حاكمة ، ولديها امكانيات التنفيذ ، وبعضها الاخر يقود قوى وطنية وجماهير واسعة . اننا سننتظر لنرى ، ونأمل أن تعالج القوى المشاركة في الجبهة أزمة عجزها عن تحويل قراراتها الى ممارسات .

(هنالك قرارات اخرى للجبهة العربية المشاركة ، سنقدمها في العدد القادم) .

ناجي علوش

تقرير : الدورة الاخيرة لمجلس الجامعة العربية

عقد مجلس جامعة الدول العربية دورته التاسعة والخمسين ، التي ابتدأت في نهاية الشهر الماضي ، واستمرت المناقشات فيها مدة ثمانية ايام ثم اعتبرت الدورة مفتوحة حتى الان ، لكي تناقش بتمهل اقتراحات السيد محمود رياض الامين العام للجامعة والخاصة بالتنظيم الجديد للجامعة .

وبين الموضوعات العديدة المدرجة على جدول اعمال الدورة كان ثمة موضوعان اهتمت بهما منظمة التحرير الفلسطينية بصفة خاصة :

الموضوع الاول : يتعلق بالموقف من سياسة الجسور المفتوحة . لقد اثير هذا الموضوع قبل ذلك. وشكلت الامانة العامة للجامعة ، بناء على توصية الدورة السابقة ، لجنة درست الموضوع من جوانبه المختلفة ، ثم قدمت مذكرة وافية للدورة الاخيرة .

وقد تضمنت المذكرة ، التي نوقشت مليا في كل من اللجنة السياسية واللجنة الاقتصادية ثم في مجلس الجامعة ، تضمنت وجهات نظر منظمة التحرير الفلسطينية ، والحكومة الاردنية ، والمركز الرئيسي لمقاطعة اسرائيل. كما تضمنت وجهة نظر احد خبراء القانون الدولي .

وبالطبع دافعت الحكومة الاردنية عن سياستها ووصلت الى حد وصف فتح الجسور بأنه مهمة وطنية . وتستند الحكومة الاردنية في موقفها الى ما تسميه هي بالاعتبارات الاقتصادية ، وبضرورة المساعدة على تصريف انتاج الضفة الغربية وقطاع غزة . بينما تلتزم الصمت فيما يختص بحركة السفر الهائلة بين الضفتين ، وتقدم وعودا غامضة باجراءات ستفرض للتخفيف منها .

اما وجهة نظر المقاطعة ، فتتلخص ، كما صرح بذلك السيد محمد محجوب المفوض العام للمقاطعة ، في ان « استمرار فتح الجسور يعني انهاء المقاطعة عمليا » وقد أوضحت الوثائق التي استند اليها المفوض العام للمقاطعة ان الجسور اصبحت نافذة يتسرب منها راس المال الاسرائيلي الى البلاد العربية بأشكال متعددة . وطالب على ضوء ذلك باغلاق الجسور .

وأيدت منظمة التحرير المفوض العام ، وأوضحت ، من الناحية السياسية ، ان بقاء الجسور مفتوحة هو جزء من سياسة تستهدف تكريس واقع الاحتلال وجعله مقبولا ، كما تستهدف خلق الاساس المادي للتعايش مع العدو الذي يحتل وطننا .

وبين وفد المنظمة ان التذرع بالحجج الاقتصادية مردود ، وان بالامكان في حالة اغلاق الجسور ان نجعل هذا الانتاج مشكلة للعدو وليس وسيلة يستغلها لتصريف انتاجه هو كما يحدث الان .

وكان مؤتمر تنشيط التجارة الخارجية العربية الذي انعقد في ظل الجامعة قد اوضح بدوره ان ضرر فتح الجسور يفوق كثيرا نفعه واوصى باغلاقها .

وفي ختام مناقشات الدورة لهذا الموضوع أكد مجلس الجامعة وجهة نظر المقاطعة ، وتبنى وجهة نظر مؤتمر تنشيط التجارة الخارجية العربية ، وصوت المجلس باجماع الاصوات (عدا الاردن) على توصية تدعو لاغلاق الجسور ولحث الدول العربية على وضع سياسة اكثر فعالية لدعم صمود سكان المناطق المحتلة .

الموضوع الثاني : يتعلق بانشاء الصندوق الخاص بالشهداء الفلسطينيين . وكان مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، الذي سبق الدورة الاخيرة ، قد أقر انشاء صندوق للشهداء الفلسطينيين تموله الدول العربية ، وشكل لجنة ثلاثية (من الامانة العامة لجامعة الدول العربية ومنظمة التحرير والعراق) مهمتها دراسة الموضوع دراسة تفصيلية واقرار نظام تمويل وعمل الصندوق ، على ان تقدم اللجنة نتائج عملها لاقرارها في الدورة العادية التاسعة والخمسين . وقد قامت اللجنة بمهمتها بالفعل ، فاتصلت بالجهات الفلسطينية المختصة وتلقت البيانات الوافية الخاصة بعدد الشهداء واحتياجات الصرف على أسرهم .

وقدرت اللجنة استنادا للبيانات المدققة التي تلقتها أن الصندوق بحاجة الى انفاق مليونين ونصف مليون استرليني سنويا ، وهذا مبلغ قابل للزيادة مع تزايد عدد الشهداء .

وأوصت اللجنة بأن تقوم الدول العربية الاعضاء في الجامعة بتمويل هذا الصندوق ، على ان تدفع كل دولة جزءا من المبلغ المطلوب يتناسب مع نسبة مساهمتها في ميزانية الجامعة .

وقدمت اللجنة الثلاثية للدورة التاسعة والخمسين

مشروع نظام عمل الصندوق ، بحيث يصبح الصندوق هيئة لها اعتبار خاص ترتبط بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويتولى ضابط اتصال (يعين لهذا الغرض) تنظيم العلاقة بين الصندوق وبين جامعة الدول العربية فيما يتعلق بالتمويل ، وبحيث تتلقى الجامعة العربية تقريرا سنويا عن نشاط الصندوق وصرفياته .

وقد عرض مشروع النظام هذا امام اللجنة السياسية ، فأثير أول اعتراض ضده وهو شكلي تماما . كان المعترض هو مندوب احدى الدول العربية (الذي يرئس اللجنة القانونية الدائمة في الجامعة ويعترض بهذه الصفة) وملخص اعتراضه ان المشروع لم يمر على لجنته قبل عرضه على الدورة ، وهذا مخالف للوائح !

وتوالت الاعتراضات بعد ذلك ، وكان واضحا انها كلها أشبه بالتنصل منها بالاعتراض ، وقد اضطر وفد منظمة التحرير الى التلويح بالانسحاب .

ثم تدخل السيد محمود رياض الامين العام للجامعة وأعاد وضع النقاش في اطاره الصحيح مؤكدا ان الاعتراضات الشكلية لا مبرر لها ، وان الامر أساسا يتعلق بالمبلغ المطلوب دفعه (٢٢٥ مليون استرليني) وبدل اللف والدوران حول الموضوع يتوجب على ممثل كل دولة أن يوضح ما اذا كانت دولته مستعدة للالتزام بدفع حصتها ام لا .

وفيما عدا ممثل العراق (الذي تبرعت دولته مسبقا بمبلغ مليون دولار) أوضح الجميع انهم بحاجة للعودة الى حكوماتهم لاخذ رأيها ، وهذا كما لاحظ الجانب الفلسطيني والسيد الامين العام ، أمر يدعو الى الاسف ، لان مثل هذه الاستشارة كان يجب ان تتم قبل انعقاد الدورة وفي الفترة التي أعقبت قرار مؤتمر وزراء الخارجية علما بأنه ما من دولة تحفظت آنذاك على القرار عدا المملكة العربية السعودية التي فعلت ذلك لاسباب تتعلق بموقفها من تمويل منظمة التحرير ككل .

وبعد طلب الاستشارة اصبح واضحا ان النية تتجه لارجاء الموضوع الى الدورة المقبلة (تنعقد بعد ستة أشهر) وهنا تدخل الامين العام مرة اخرى وقال ان قرار انشاء الصندوق قد صدر فعلا والمسألة تتعلق بالالتزام المالي ويستطيع كل ممثل أن يعود لحكومته منذ الان .

وبما أن الدورة مفتوحة فانه سينتظر تلقي الاجوبة حتى نهاية شهر نيسان فاذا كانت كلها ايجابية يعتبر الموضوع منتهيا ، واذا لم تكن كذلك فانه سيدعو الى عقد جلسة في اطار هذه الدورة ذاتها لبحث الموضوع على ضوء اجابات الدول العربية . وبهذه المناسبة فمن المعروف ان هناك الان اكثر من جهة تتولى الصرف على أسر الشهداء ، وأبرز الجهات كلها : جمعية أسر الشهداء التي تلبي في حدود امكانياتها احتياجات أسر شهداء المنظمات الفدائية . والصندوق القومي الفلسطيني في منظمة التحرير الذي يتولى رعاية أسر شهداء جيش التحرير وقوات التحرير الشعبية .

وتعول منظمة التحرير الفلسطينية كثيرا على انشاء الصندوق الموحد ، وترى ان تولي الدول العربية تمويل الصندوق ، فضلا عن انه قيام بالحد الادنى من الواجب العربي وفاء لمن قدموا أرواحهم دفاعا عن حرية العرب وكرامتهم ، يقصد منه تأمين مورد ثابت في هذا المجال الذي لا يجوز العبث به بأي حال من الاحوال .

وانشاء الصندوق ، زيادة على هذا وذاك ، يعني قيام مؤسسة وطنية فلسطينية موحدة في سياق العمل الجاد لبناء مؤسسات الوحدة الوطنية الفلسطينية وفي وقت تشتد فيه الحاجة لمثل هذه المؤسسات .

مراسل شؤون فلسطينية

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

منذ فترة غير قصيرة والدبلوماسية الامريكية تعتمد في تعاملها مع الصراع العربي الاسرائيلي على الايحاء بشتى الطرق للحكومات العربية بأنها تنوي التحرك بصورة من الصور لاخراج أزمة الشرق الاوسط من المأزق الذي وصلت اليه، ولكن مع ابقاء هذا التحرك قيد الاعداد المستمر بحيث لا يتحقق ابدا ، في الوقت نفسه كان المسؤولون الامريكيون يطلقون تصريحات يفهم منها ان حكومتهم لا تنوي التحرك أصلا الا ضمن حدود اقناع مصر بضرورة التفاوض مع اسرائيل على اعادة فتح قناة السويس لا أكثر . على سبيل المثال أعلن وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز في ١١ اذار انه تشجع كثيرا بالمحادثات التي اجراها اخيرا مع الملك حسين وحافظ اسماعيل وغولدا مائير لانهم راغبون في أن تبدأ المفاوضات حول التسوية السلمية ، وستبذل الحكومة الامريكية كل ما في وسعها لاطلاق هذه المفاوضات . من الواضح ان تصريح روجرز مدروس بحيث يوحي بأن محادثات امريكا مع الاطراف المعنية بالنزاع في الشرق الاوسط قد حققت تقدما ولكنه تقدم من النوع الذي لا يتعدى اطار البدء بالمفاوضات التي تطالب بها اسرائيل والتي لا يمكن لمصر ان تقبل بها ، بهذا الشكل السافر على أقل تعديل . كما انه يحدد دور الولايات المتحدة على أنها مجرد الساعي الى جمع الطرفين للبدء بالمحادثات لا أكثر .

الا ان المسألة الملفتة للانتباه ، بهذا الصدد ، هي انه بعد انتهاء واشنطن من استقبال ضيوفها الثلاثة من الشرق الاوسط ، وبعد مرور فترة زمنية مناسبة على اطلاق التصريحات اللبقة المعتادة اثناء الزيارات وبعدها مباشرة ، اخذت السياسة الامريكية تبتعد تدريجيا عن اسلوب الايحاء المذكور اعلاه وتتجه نحو الافصاح عن حقيقة مراميها وموقفها من النزاع في منطقتنا ، والتي تتلخص بترك اسرائيل تفرض « السلام » الذي تريده على الدول العربية . لذلك تركز الموقف الامريكي على مواضيع مثل ضرورة اجراء المفاوضات بين مصر واسرائيل ، واعادة فتح قناة السويس ، وعدم رغبة الاتحاد السوفياتي في الوصول الى حد المجابهة الخطرة مع امريكا بسبب النزاع في الشرق الاوسط ، وعدم رغبة الولايات المتحدة في الضغط على اسرائيل للقبول بحلول لا تريدها (مما يعني اطلاق يد اسرائيل للعمل على هواها في المنطقة). ففي ٣ اذار أعلن سيسكو ان حكومة بلاده ابلغت مصر انها لا تستطيع ان تجعل اسرائيل تلتزم بالانسحاب الكامل من الاراضي المصرية قبل البدء بالمفاوضات حول اتفاق اعادة فتح قناة السويس. وبين أن اسرائيل وافقت على اجراء محادثات غير مباشرة للوصول الى مثل هذا الاتفاق ولكنها رفضت أية شروط مسبقة بشأنها . واستنتج ان الهوة بين موقف مصر واسرائيل واسعة ولا يمكن ردمها في المستقبل القريب . كما أوضح سيسكو ان زيارة الرئيس نيكسون لموسكو قد أسفرت عن تعهد من قبل الجانبين بتجنب أية مواجهة بينهما مهما توتر الوضع في الشرق الاوسط .

في المقابلة التي اجرتها المجلة الاسبوعية الامريكية « نيوزويك » مع الرئيس السادات (٩ نيسان ١٩٧٣) تكشفت معالم هذا الموقف الامريكي بوضوح كامل ، كما تم شرحها لمستشار الرئيس المصري لشؤون الامن القومي ، حافظ اسماعيل ، اثناء زيارته الاخيرة لواشنطن حيث قابل الرئيس نيكسون وكبار المسؤولين الامريكيين . ومن اهم معالم هذا الموقف :

(أ) مطالبة مصر بتقديم تنازلات علنية اضافية لاسرائيل مثل الاعلان صراحة عن شرعية موقف اسرائيل وقضيتها ، والقبول بالتزامات من جانب واحد لصالح اسرائيل ، ونزع السلاح عن سيناء ، مما دعا السادات لان يقول في المقابلة انه لو اجرى حافظ اسماعيل محادثاته مع غولدا مائير نفسها لتوصل الى نتائج أقل مدعاة للسخرية مما توصل اليه مع نيكسون .

(ب) لم تمارس الولايات المتحدة وهي لن تمارس في المستقبل ، اي ضغط على اسرائيل من اجل حل الازمة على اسس يمكن ان تقبل بها الحكومات العربية .

(ج) لقد أصبح التطابق بين السياسة الامريكية والاسرائيلية في الشرق الاوسط كاملا سواء من حيث الاهداف أو الوسائل ، مما جعل السادات يقول في المقابلة ان حصيلة الاتصالات المصرية بامريكا كانت « الفشل واليأس الكاملين » .

(د) لم تتقدم واشنطن بأي جواب على اعلان

الرئيس السادات بأنه يريد التوصل الى عقد اتفاقية سلام نهائية مع اسرائيل (على أساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢) .

(هـ) لا تعتزم الولايات المتحدة التقدم بأية مبادرة جديدة للسلام في المنطقة حتى بعد زيارة الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف لواشنطن في شهر حزيران المقبل .

(و) الولايات المتحدة مقتنعة بأن الوضع القائم في الشرق الاوسط يخدم مصالحها وليس ثمة من داع يدعوها لان تضغط على اسرائيل لتغييره طالما ان الوجود السوفياتي في مصر قد انتهى وعلاقاتها مع الدول النفطية في الخليج وثيقة جدا وممتازة ، ولا توجد أية قوى فعالة تهدد الاستقرار الامبريالي في المنطقة . على سبيل المثال : (١) يعتبر السناتور جاكسون (الذي قاد حملة ناجحة للضغط على الاتحاد السوفياتي من أجل تسهيل هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل) ان اسرائيل تشكل جبهة امامية للغرب في محاربة « التخريب الشيوعي » في المنطقة وفي منع « التسلل السوفياتي » اليها (صحيفة « اللوموند » ، ٢١ اذار ١٩٧٣) . (٢) وصلت المصالح الاحتكارية البترولية الكبرى في امريكا الى قناعة بأن اسرائيل في وضعها الحالي تشكل عامل استقرار أساسيا في الشرق الاوسط ، في حين كانت هذه المصالح تتخوف في السابق من الصراع العربي الاسرائيلي بسبب تأثيراته السلبية الممكنة على الانظمة البترولية الرجعية : أي نجحت هذه الاحتكارات أخيرا في الجمع بين ولاء الانظمة البترولية لها وبين فرض الاستقرار على المنطقة (أي ضرب حركة التحرر العربي) من خلال القوة الاسرائيلية المتعاظمة باستمرار . (٣) بين احد المسؤولين الكبار في وزارة الخارجية الامريكية ان اسرائيل هي الحليف الافضل لامريكا ، في العالم ، افضل حتى من فيتنام الجنوبية لانها « أنقذت عرش الملك حسين اكثر من مرة ، وزودت سلطات الحبشة بالمعونات العسكرية ضد الثورة في اريتريا ، وبنت جيشا من أفضل الجيوش في العالم موضوعا في خدمة استراتيجية امريكا في الشرق الاوسط » (المرجع السابق) . (٤) بامكان امريكا ان تنظر الى المستقبل في الشرق الاوسط بكثير من الاطمئنان خاصة بعد عودة علاقاتها الدبلوماسية مع الخرطوم وصنعاء والحد من فاعلية حركة المقاومة في لبنان وتقوية التيار المعادي للشيوعية والاتحاد السوفياتي وتدهور اوضاع الانظمة التقدمية في المنطقة .

(ز) ان عرض الرئيس السادات بالتنازل عن شرم الشيخ الى « المجتمع الدولي » او الى « الدول الخمس الكبرى » او الى « مجلس الامن » لم يترك أي اثر على توجهات السياسة الامريكية في المنطقة . بعبارة اخرى لقد استقرت السياسة الامريكية في الشرق الاوسط على الحفاظ على « الامر الواقع » الامبريالي من خلال الهيمنة المستمرة للقوة العسكرية الاسرائيلية ، مما يعني التراجع الكامل عن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومهمة يارينغ ومشروع روجرز (الذي أدى دوره المطلوب في ضرب حركة المقاومة في الاردن ووقف اطلاق النار على الجبهات العربية) ، وأية وساطة أخرى غير الوساطة الامريكية. واستقرار السياسة الامريكية على هذا الموقف يعني مجرد الانتظار الامبريالي من مواقع القوة الى ان تقرر الانظمة العربية تحت ضغط الظروف التي تعيشها التكيف كليا مع المخطط الامريكي الاسرائيلي للمنطقة .

ومن المفيد هنا الاشارة الى التصريح الذي ادلى به سيسكو في ٤ نيسان امام لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي (برئاسة السناتور وليم فولبرايت) حيث عرض استعداد بلاده لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر في أي وقت وبدون أية شروط مسبقة ، وبيّن ان حكومته تنتظر تبدلا في موقف مصر (أي مزيدا من التنازلات انسجاما مع الموقف الامريكي) لكي تتبدل طبيعة العلاقات بين البلدين . كما أعرب عن تشاؤمه بالنسبة لاحتمالات ردم الهوة بين الموقف المصري والاسرائيلي في المستقبل المنظور ، وعاد لتأكيد فكرة المفاوضات من اجل الوصول الى اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس . اما السناتور فولبرايت المتأثر جدا بالتفكير القديم لمصالح الاحتكارات النفطية القائل بضرورة اتباع سياسة امريكية متوازنة بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي خوفا على المصالح البترولية الامريكية وعلى الانظمة العربية الحامية لها ، فقد وجه النقد لسياسة بلاده الحالية بسبب تطابقها الكامل مع السياسة الاسرائيلية واشاد بضرورة العودة الى مشروع روجرز باعتباره يمثل السياسة الامريكية المتوازنة في الشرق الاوسط . ومن اجل تدعيم التفوق العسكري الاسرائيلي قررت الولايات المتحدة تزويد اسرائيل بـ ٢٤ طائرة فانتوم و ٢٤ طائرة سكاي

هوك اضافية وعدد من الطائرات الهجومية التي تفوق سرعتها سرعة الصوت ، هذا بالاضافة الى المعونات اللازمة لصنع طائرة سوبر ميراج في اسرائيل وهي مبنية على أساس تصاميم الميراج ٣ والميراج ٥ ومزودة بمحرك جنرال اليكتريك المستخدم في طائرات الفانتوم . وقد تم الاتفاق على هذه الصفقة أثناء زيارة غولدا مائير الاخيرة لواشنطن . ولم تصدر اية انباء بعد حول رد فعل الحكومة الامريكية ازاء طلب اسرائيل التزود « بالقنابل الذكية » (سمارت بومب) الموجهة بأشعة «الليزر» والتي استخدمتها القوات الامريكية في فيتنام في عمليات القصف الجوي الدقيق جدا . كما ستمنح الحكومة الامريكية للوكالة اليهودية ٤٩ مليون دولار من اجل اسكان اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل .

وعلى صعيد آخر ركزت السياسة الامريكية انتباهها بشكل علني وبارز في الفترة الاخيرة ، على موضوع البترول ومنطقة الخليج العربي والارصدة المالية العربية . وتكمن عدة عوامل وراء هذا التركيز أهمها : (أ) أزمة الطاقة التي أخذت تعاني منها الولايات المتحدة بصورة مباشرة ، على سبيل المثال أعلنت شركة تكساكو في أواخر شهر آذار — وهي أكبر شركة لبيع النفط بالمفرق — فرض نظام التقنين في عدد من محطات المحروقات التابعة لها ، كما أعلنت شركات أخرى اتخاذ خطوات مشابهة في كاليفورنيا وفي ولايات الساحل الشرقي من البلاد . ولم تعرف أمريكا نظام التقنين بالنسبة للمحروقات السائلة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . (ب) شعور الدول الرأسمالية الصناعية (أمريكا، اليابان ، أوروبا الغربية) بأنها مضطرة للاعتماد بشكل متزايد على البترول العربي ومصادر الطاقة العربية وذلك لفترة طويلة في المستقبل ، بالاضافة الى تخوفها من تراكم كميات هائلة من العملات الصعبة في ايدي الدول العربية النفطية مما يعطيها سلاحا فعالا يمكن ان تستخدمه في يوم من الايام ، ومع نشوء الظروف المناسبة لخدمة القضايا العربية الوطنية والتحررية ولمقارعة السيطرة الامبريالية على المنطقة. وفي مواجهة هذا الوضع تتبع الولايات المتحدة في الوقت الحاضر سياسة قائمة أولا على الاستفادة المباشرة من مصادر الطاقة العربية كما في الصفقة التي عقدتها مع الجزائر لاقامة اكبر مشروع في العالم لانتاج الغاز الطبيعي السائل وتصديره الى الولايات المتحدة ، مما سيساعد على تخفيف حدة أزمة الطاقة التي اخذت بوادرها تؤثر في الحياة الامريكية اليومية . ثانيا ، العمل على نزع كل صفة سياسية ممكنة عن التعامل بالبترول ومشاكله عن طريق الاتفاق مع الدول البترولية على النظر الى النفط كسلعة تجارية محض لا صلة لها بالمشاكل السياسية للمنطقة . وواضح ان من أهداف اتفاقيات المشاركة التي تعقدها امريكا مع بعض الدول البترولية العربية تحييد النفط سياسيا وعزله عن بقية قضايا المنطقة واحكام السيطرة الامبريالية على مصادره والتعامل به وكأنه سلعة عادية يتم تبادلها بين بائع ومشتر لا أكثر . وقد عبر سيسكو مؤخرا عن هذا الاتجاه في التصريح الذي أدلى به في أواخر شهر آذار حيث قال : يجب ألا تتعرض المصالح المشتركة لمنتجي البترول ومستهلكيه لاية اخطار بسبب الخلافات القائمة او بسبب النزاع العربي الاسرائيلي . كما وجه الانتباه بصورة قوية باتجاه منطقة الخليج بتأكيده على اهميتها القصوى بالنسبة لامريكا . وقال ان الامريكيين تعودوا ألا يفكروا الا بالنزاع العربي الاسرائيلي عندما يوجهون انظارهم نحو الشرق الاوسط . أما الان فعليهم أن يفكروا جيدا بمنطقة الخليج . ولم يخف سيسكو ان حكومة بلاده كانت تفضل لو ان بريطانيا لم تسحب قواتها من الخليج عام ١٩٧١ لانها كانت تشكل عامل استقرار في المنطقة ، كما أعرب عن ارتياح بلاده لقيام دولة الامارات العربية المتحدة ودعا الى قيام تعاون اقليمي يرتكز حول ايران والمملكة العربية السعودية . والاتجاه نحو عزل الخليج عن المشاكل الوطنية والسياسية لبقية المنطقة العربية واضح من كلام سيسكو . ان تحييد النفط وتحويله الى سلعة تجارية محض من قبل الامبريالية والطبقات الحاكمة المحلية يعني ايضا وبالضرورة العزل السياسي للخليج عن محيطه العربي على النحو المذكور . ثالثا ، اتخاذ كافة الاجراءات الوقائية لمنع امكانية قيام أي وضع يسمح للدول العربية باستخدام البترول كسلاح في خدمة مصالحها الوطنية . وكان الجانب الظاهر ، في الفترة الاخيرة ، لهذا النوع من الاجراءات دعوة مستشار الرئيس نيكسون لشؤون النفط في ٢١ آذار لانشاء جبهة امريكية — اوروبية — يابانية مشتركة تقف في وجه الدول المنتجة للنفط وخاصة الدول العربية بينها . شن حملة اعلامية واسعة هدفها التهويل بالقوة العظيمة التي تملكها الدول العربية المعنية نتيجة وجود مخزون بترولي ضخم في

أراضيها ونتيجة امتلاكها لأرصدة مالية ضخمة (وتزداد ضخامة مع مرور الايام) قادرة على التأثير الحاسم على الاقتصاد الرأسمالي العالمي . وتريد هذه الحملة اظهار العرب بمظهر من يشكل خطرا كبيرا في المستقبل القريب على « العالم » بسبب حاجاته المتزايدة للبترول العربي ، وبسبب تأثير أرصدتهم على استقرار الاوضاع الاقتصادية والمالية الدولية ، والايحاء بأن العرب سيسيئون بالضرورة استخدام القوة الموضوعة بين ايديهم وسيستعملونها لغايات أنانية حتى لو كان ذلك يعني خراب «العالم» من حولهم . ان رسم مثل هذه الصورة عن العرب لا بد ان يكون مقدمة لاجراءات لاحقة هدفها وضع حد لقوة « هذه الفئة » التي تتهدد أمن « العالم » واستقراره. وواضح من هذه الحملة ان الامبريالية تحسب ألف حساب وتتخوف كثيرا من اليوم الذي تقوم فيه ظروف سياسية معينة في الوطن العربي تجعل من البترول والارصدة سلاحا استراتيجيا ماضيا في خدمة قضايا المنطقة الوطنية والتحررية والمعادية للامبريالية . عندئذ سيشكل « العرب » خطرا ليس على استقرار « العالم » واقتصادياته، بل على استقرار العالم الرأسمالي واقتصادياته الامبريالية بالتحديد .

أخذت هذه الحملة لارعاب « العالم » من قوة العرب الفائقة شكلا منظما ومنسقا ، فعلى سبيل المثال دعت امريكا لجنة الدول المجتمعة في امستردام لدراسة الازمة النقدية الاخيرة الى ايجاد صيغة لتفاهم امريكي — اوروبي — ياباني — هدفها ضمان استمرار تدفق النفط من الشرق الاوسط . ثم خرجت مجلة « تايم » الامريكية (٢ نيسان ١٩٧٣) وعلى غلافها صورة الرئيس الليبي معمر القذافي كمدخل لموضوعها الاساسي الذي يدور حول الأخطار الناجمة عن حاجة العالم للنفط العربي ، ومن الأرصدة العربية وتأثيراتها الممكنة على الاوضاع النقدية والتجارية العالمية . وذهبت المجلة الى حد الكلام عن امكانية قيام أمراء النفط العرب بشراء المشاريع الاقتصادية والصناعية الكبرى في امريكا نفسها ، وهولت بامكان سيطرة أموال الأرصدة العربية على اقتصاديات الولايات المتحدة بطريقة مشابهة لسيطرة الرأسمال الامريكي على حياة أوروبا الاقتصادية . (التحدي العربي لامريكا في مقابل ما سمي بالتحدي الامريكي لاوروبا — على حد تعبير المجلة) . وفي اليوم التالي صدرت صحيفة « الواشنطن بوست » بافتتاحية تكلمت فيها عن الرئيس القذافي والبترول العربي في محاولة لخلق نفس الانطباع الذي عملت على نشره الصحف الاخرى عن العرب. وفي ٢٥ آذار نشرت «النيويورك تايمز » مقالا افتتاحيا بعنوان « الكنوز المرصودة في جزيرة العرب » خصصته ايضا للحديث التهويلي عن اهمية مخزون البترول العربي ، والارصدة العربية وتأثيراتها الممكنة على استقرار « العالم » واقتصاده . واعتبرت الصحيفة ان ضخامة هذه الارصدة تخلق مشكلة عالمية (أي يحق للجميع التدخل فيها) لانها تضر ضررا كبيرا بالعملات العالمية الرئيسية . واقترحت « النيويورك تايمز » ربط عائدات البترول بشروط تلزم الدول المنتجة على استثمارها مباشرة في المشاريع الاميركية ولكن بدون ان يؤدي ذلك الى اية سيطرة اجنبية على الصناعات الامريكية . كما دعت الى اتباع سياسة منسقة بين الدول المستهلكة للنفط لمواجهة الدول المنتجة . وفي الفترة نفسها نشرت صحيفة « الفاينشال تايمز » اللندنية مقالا مطولا عن الموضوع نفسه قالت فيه انه سيكون بمقدور المملكة العربية السعودية في اواخر السبعينات شراء شركات نفطية عالمية كبرى بمعدل شركة كل سنة . لكن على الرغم من هذه الحملة الواسعة لا توجد اية دلائل تشير الى ان البترول العربي او الارصدة العربية سيستخدمان في المستقبل المنظور كأسلحة لخدمة القضايا الوطنية وفي مقدمتها مواجهة توسع اسرائيل المستمر وسيطرتها المتزايدة على منطقتنا.

وتبينت النوايا الامريكية بالنسبة لهذا الموضوع بمزيد من الوضوح في منتصف شهر نيسان عندما أعلن مسؤول أمريكي في ندوة دراسية حول أزمة الطاقة بأن الولايات المتحدة قد تواجه قريبا ضرورة الاختيار بين القبول بتدابير مشددة للمحافظة على انتاج النفط المحلي وبين ارسال قوات الى الشرق الاوسط للسيطرة على حقول البترول هناك . وهذا اول تلميح امريكي علني شبه رسمي بأن الولايات المتحدة مستعدة للذهاب الى أقصى الحدود من اجل استمرار سيطرتها على مصادر الطاقة البترولية في منطقتنا .

● بالنسبة للاتحاد السوفياتي تحسنت علاقاته مع مصر في الفترة الاخيرة بعد الفتور الذي ساد علاقات البلدين منذ انهاء الوجود السوفياتي في مصر . وكان هذا واضحا في الاشارة التي جاءت في نهاية مقابلة الرئيس السادات مع مجلة «نيوزويك» حول موضوع السلاح حيث قال ان الاتحاد

السوفياتي يمد مصر الان بكل شيء يستطيع ان يمدها به ، وانه راض كل الرضى عن الوضع الراهن للعلاقات بين البلدين . واثناء زيارة كوسيغين الاخيرة لاسوج اكد في مؤتمر صحافي (٥ نيسان) ما اشار اليه السادات حول امداد مصر بما تحتاج اليه من السلاح والاعتدة وقطع الغيار عندما اجاب على سؤال حول الموضوع بقوله ان معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين ما زالت سارية المفعول وان القيادة السوفياتية تعتقد انه من حق مصر ان يكون عندها جيش قوي يستطيع الدفاع عن البلاد ضد العدوان وقادر على تحرير الاراضي المحتلة . وأكد كوسيجين من جديد الموقف السوفياتي القائل بأن اسرائيل يجب ان تبقى وان تنال ضمانات لوجودها واستقلالها ولكن بدون ان يعني ذلك تأييد عدوانها على اراضي الدول العربية لان مسألة العدوان هذه لا يمكن التساهل فيها . اما بالنسبة لامتناع الاتحاد السوفياتي عن اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل فقد قال كوسيجين ان اقامة مثل هذه العلاقات يعني ان ينظر الاتحاد السوفياتي بميزان واحد الى الدولة المعتدية والى ضحايا العدوان ، وهنا شدد على الاضطهاد القومي الواقع على الشعب الفلسطيني بسبب العدوان الاسرائيلي .

وتوفرت فرصة اخرى لمزيد من التوثيق في العلاقات العربية السوفياتية في الزيارة الرسمية التي قام بها صدام حسين ، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي ، في النصف الثاني من شهر اذار لموسكو حيث قابل ليونيد بريجنيف وكبار المسؤولين في العاصمة السوفياتية . وذكرت الانباء ان المحادثات بين الطرفين جرت في جو ودي وحار وتطرقت الى قضايا اساسية مثل تطوير العلاقات الثنائية على اساس معاهدة الصداقة والتعاون المعقودة بين البلدين ، ومشكلة الشرق الاوسط المستمرة بسبب استمرار العدوان الاسرائيلي والنشاط التخريبي الذي تقوم به الامبريالية والقوى الرجعية في المنطقة ، ورغبة العراق في الحصول على المزيد من الاسلحة السوفياتية للمحافظة على توازن القوى في الخليج العربي بعد صفقات الاسلحة المهمة التي تم الاتفاق عليها بين ايران وامريكا . وقد ذكرت وكالات الانباء الغربية ان الاتحاد السوفياتي قابل مطلب العراق التزود بمزيد من السلاح ببعض التحفظ ، خاصة وان الشاه اكد لكوسيغين اثناء زيارته الاخيرة لطهران بأن ايران تؤيد سياسة الهدوء والاستقرار في منطقة الخليج . وعلى أثر الزيارة صدر بيان صحافي مشترك اكد من جديد انه لا يمكن احلال السلام في الشرق الاوسط بدون تحرير كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وبدون استمرار الدعم لحركة المقاومة الفلسطينية كجزء عضوي من حركة التحرر الوطني العربية . كما اكد ضرورة توطيد التعاون العربي السوفياتي واحباط كل المحاولات الامبريالية والرجعية لنسف الصداقة العربية السوفياتية وتخريبها ، بالاضافة الى تقوية تلاحم الدول العربية وتعبئة جميع طاقاتها لمكافحة الامبريالية والصهيونية والرجعية في المنطقة .

● لقد تعرض الاتحاد السوفياتي لحملة ضغط واسعة من الدوائر الامبريالية كي يتساهل في موضوع هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل ، وهي الهجرة التي يعتبرها الجانب العربي عموما والفلسطيني خاصة مضرة كثيرا بمصالحه الحيوية ، والتي تتذرع بها القوى الرجعية العربية في تهجمها على الاتحاد السوفياتي وعلى علاقاته العربية . وكان اخر مظهر من مظاهر الضغط قيام السيناتور هنري جاكسون بعرقلة عملية الموافقة على الاتفاقية التجارية بين امريكا والاتحاد السوفياتي في مجلسي الشيوخ والنواب . وعمد جاكسون الى ادخال تعديل على الاتفاقية ، حظي بموافقة الاكثرية في المجلسين ، يمنع رئيس الجمهورية من تنفيذها « مع دولة تطبق قوانين هجرة غير عادية » . ومن الواضح ان المعني بهذا التشريع الضريبة التي يفرضها الاتحاد السوفياتي على المهاجرين من اراضيه (أي اليهود المهاجرين الى اسرائيل بصورة رئيسية) . وفي هذه الاثناء قام وزير الخزانة الامريكي ، جورج شولتز ، بزيارة لموسكو حيث قابل ليونيد بريجنيف لمدة ثلاث ساعات اجرى اثناءها محادثات هدفها تذليل العقبات التي تعترض الابرام النهائي للاتفاقية التجارية بين البلدين . وصرح شولتز في مؤتمر صحافي انه لمس خلال محادثاته رغبة لدى المسؤولين السوفيات بالتغلب على المشاكل التي قد تنشأ نتيجة تطبيق الاتفاق التجاري . وعلى اثر ذلك نشر الصحافي السوفياتي المعروف فيكتور لويس مقالا في صحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية قال فيه ما معناه ان حكومة بلاده لن تتراجع عن قانون ضريبة الهجرة الا انها ستتساهل كثيرا في تنفيذها . وبالرغم عن هذا الموقف السوفياتي فانه من المرجح ان تتم الموافقة

على اقتراح السيناتور جاكسون كي يكون سلاحا موجها دائما ضد الاتحاد السوفياتي بحيث تتعرقل اتفاقية التجارة فيما لو عادت السلطات السوفياتية للتشدد في تطبيق قانون ضريبة الهجرة على الخارجين من البلاد . ولا بد من الملاحظة هنا انه حتى عندما كان قانون ضريبة الهجرة قيد التطبيق استمر وصول اليهود السوفيات الى اسرائيل ولكن بأعداد اقل من السابق ، وبعد التساهل الذي اعلن عنه فيكتور لويس في شهر اذار عاد عدد المهاجرين الى الازدياد من جديد .

● على صعيد اخر ذكرت انباء مصدرها وكالة انباء كوريا الديمقراطية ان وفدا عسكريا مصريا برئاسة سعد الدين الشاذلي قام بزيارة لم يعلن عنها رسميا للصين في الاسبوع الاول من شهر نيسان . وذكرت هذه الانباء ان هدف الوفد شراء اسلحة صينية . ويبدو ان موقف السلطات الصينية هو انها مستعدة لتزويد مصر بالاسلحة المناسبة اذا رفضت السعي للحصول على تسوية سياسية للصراع مع اسرائيل وقررت تحرير الاراضي المحتلة باتباع اسلوب حروب التحرير الشعبية . وجاءت زيارة الوفد العسكري المصري في اعقاب الزيارة التي قام بها وزير خارجية مصر — محمد حسن الزيات — للصين في منتصف شهر اذار (في نطاق جولة الى ايران وباكستان). وكان الهدف المعلن للزيارة اطلاع السلطات الصينية على « الوضع المتفجر » في الشرق الاوسط باعتبار ان الصين هي من الاعضاء الدائمين في مجلس الامن وواحدة من الدول الخمس الكبرى . وقد اجرى الزيات محادثات مع وزير خارجية الصين ولكنه لم يقابل شو ان لاي رئيس الوزراء . واعلن الوزير الصيني ان الدول الكبرى (أي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي) هي المسؤولة عن ابقاء حالة اللاحرب واللاسلم في الشرق الاوسط لانها تخدم مخططاتها التوسعية وجهودها للاستيلاء على مصادر الطاقة في المنطقة . كما ندد في خطابه بالصهيونية والاعمال العدوانية لاسرائيل واكد مساندة بلاده للشعبين المصري والفلسطيني وغيرهما من الشعوب العربية في كفاحها العادل من اجل استعادة اراضيها المحتلة وضمان حقوق شعب فلسطين . كذلك كرر موقف بلاده القائل بأنه ليس باستطاعة العرب تحقيق الانتصار الا بالاعتماد على جهودهم الخاصة وتقوية وحدتهم ومواصلة نضالهم — اي عدم الاعتماد كثيرا على المساعدات الخارجية والوساطات الدولية لاخراجهم من المأزق الحالي الذي وصلوا اليه في مواجهتهم مع اسرائيل والامبريالية .

● بالنسبة لاوروبا الغربية لم تطرأ اية تطورات هامة في مواقف دولها من النزاع العربي الاسرائيلي. لكن لا بد من رصد بعض الاحداث الجزئية . (١) كانت الحكومة البلجيكية تدرس اقامة مصنع على اراضيها بمشاركة اسرائيل والولايات المتحدة لانتاج طائرات وصواريخ اسرائيلية (راجع « شؤون فلسطينية »، عدد ٢٠ ، نيسان ١٩٧٣ ، ص ٢١٣) وقد اعلن مؤخرا بصورة رسمية ان السلطات البلجيكية رفضت السماح بتنفيذ المشروع على اراضيها ورفضت المساهمة فيه . ويبدو ان الجهود الدبلوماسية العربية لعبت دورا هاما في اقناع الحكومة البلجيكية بعدم المشاركة في المشروع . (٢) عقد تجمع الشباب الاشتراكي الراديكالي في المانيا الغربية مؤتمره في أواسط آذار واتخذ قرارات على جانب من الاهمية بالنسبة لمسألة النزاع العربي الاسرائيلي وحقوق الشعب الفلسطيني . وتجمع الشباب الاشتراكي هو التنظيم الشبابي والطلابي التابع للحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم في المانيا الغربية . وقد خرج التجمع بوضوح عن سياسة حزبه الرسمية بالنسبة للشرق الاوسط واعلن رفضه لها عندما تبنى قرارات تدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة والى ضمان حق العودة للفلسطينيين الذين طردوا او اضطروا للفرار من ديارهم ، والى ضرورة اتاحة الفرصة امام الشعب الفلسطيني ليقرر بحرية ما اذا كان يريد انشاء دولة جديدة او الانضمام الى دول اخرى في الشرق الاوسط . كما حث المؤتمر حكومة بلاده على لفت انتباه اسرائيل الى قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن المتعلقة بالشرق الاوسط . وقد انسحب الوفد الممثل لحزب العمال الاسرائيلي من الاجتماعات احتجاجا على القرارات التي وافق عليها المؤتمر . ويبدو ان القطاع الطلابي والشبابي في الحزب الحاكم قد تأثر بالتأييد الذي حظيت به الثورة الفلسطينية والنضال التحرري العربي في اوساط اليسار الاوروبي بعد انفضاح الطبيعة التوسعية والامبريالية لدولة اسرائيل انفضاحا كليا . (٣) لقد اعلن رسميا ان المستشار الالماني الغربي فيلي براندت سيقوم بزيارة رسمية لاسرائيل في النصف الاول من شهر حزيران المقبل . وترددت انباء لم تؤكد رسميا ان المستشار الالماني يعد العدة لزيارة عدد من العواصم العربية ايضا

في الخريف المقبل . (٤) بمناسبة زيارة الرئيس النميري لبريطانيا في اواخر شهر اذار اطلق وزير الخارجية السوداني ، منصور خالد ، تصريحا دعا فيه الرساميل البريطانية لدخول السودان . قال الوزير ان باستطاعة رؤوس الاموال البريطانية ان تستثمر بكل ثقة في السودان لان حكومة البلاد سنت تشريعا لضمان الرساميل الاجنبية . وواضح ان هذه الزيارة والتصريحات المرافقة لها تعكس اتجاه التقرب السوداني الشديد من الغرب والمعسكر الرأسمالي ، مما يزيد الامبريالية اطمئنانا على مستقبل مصالحها .

● في منتصف شهر اذار القى ثلاثة صحفيين كبار محاضرات في بيروت حول الوضع في الشرق الاوسط بدعوة من مؤسسة كامل مروة التذكارية . وقد افتتح سلسلة المحاضرات روبرت ستيفنز محرر الشؤون الخارجية في صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية وهو معروف باهتمامه بقضايا الشرق الاوسط وكانت له لقاءات متعددة مع الرئيس عبد الناصر . قدم ستيفنز مراجعة لاهم التطورات التي شهدتها المنطقة في صراعها مع الاستعمار منذ تأميم قناة السويس ثم ذكر ان الاسباب التي دعت الولايات المتحدة لتقديم الدعم الكلي لاسرائيل في حرب ١٩٦٧ وبعدها (بخلاف الموقف الامريكي خلال العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦) هي (١) حرب اليمن وتهديد مصر للنظام في السعودية ، (٢) تأييد مصر للحركات المتطرفة (أي الحركات المعادية للاستعمار والرجعية المحلية) وحملتها على الانظمة الملكية والمحافظة ، (٣) تحرك بعض الانظمة العربية بشكل متزايد نحو اليسار . وخلص المحاضر الى تقديم نصيحة الى العرب بالقبول « بسلام سيء » في الوقت الحاضر اقتداء بمعاهدة برست ليتوفسك التي عقدها لينين مع المانيا ومن ثم توجيه جهودهم الى التنمية الداخلية . وعلى الرغم من مسحة السرد الموضوعي للاحداث التي تلبس بها ستيفنز فانه توصل الى مطالبة العرب بالاستسلام الكامل أمام المطالب الاسرائيلية التوسعية والهيمنة الامبريالية على المنطقة وتصفية قضية فلسطين متناسيا انه عندما عقد معاهدة برست ليتوفسك كانت السلطة البلشفية قد وصلت لتوها الى السلطة في روسيا وكان امامها المستقبل كله لانجاز المهمات الثورية الملقاة على عاتقها ، في حين يعترف ستيفنز نفسه ان الانظمة العربية الحالية « تميل بصورة متزايدة نحو الغرب وباتجاه اليمين » وليس أمامها اي مستقبل ثوري يمكن ان تبرر على أساسه عقد معاهدة استسلامية مع اسرائيل امام الجماهير.

أما المحاضر الثاني فكان الصحافي الفرنسي جان لاكوتور الذي يكتب في صحيفة « اللوموند » ومجلة « النوفيل اوبزرفاتور » وهو معروف باهتمامه بقضايا الشرق الاوسط والهند الصينية ، وقد الف كتابا معروفا عن الرئيس عبد الناصر . وتلخصت الفكرة الرئيسية التي طرحها في تحليله لاوضاع الشرق الاوسط في القول بانتقال محور الاهتمام الدولي من قناة السويس ومصر الى منطقة الخليج بسبب تزايد اهمية البترول الناتج عن ازمة الطاقة في العالم الغربي وازدياد استهلاكه للنفط بشكل هائل ، وبسبب تقلص قدرة مصر على المبادرة السياسية على الصعيدين العربي والدولي . كما اشار لاكوتور الى صعود القوى اليمينية في الدول العربية منذ هزيمة ١٩٦٧ والى الدور الذي يقوم به المحور المعادي لنهضة العرب وتقدمهم المؤلف من بلدان مثل ايران وتركيا واسرائيل ، هذا بالاضافة الى نمو التيار الديني المعادي للشيوعية على حساب التيار العروبي العلماني الذي طور روابط قوية مع دول المعسكر الاشتراكي . ويمكننا ان نقول ان لاكوتور اكتفى برسم صورة قاتمة للواقع العربي الراهن والمأزق الذي وقعت فيه الانظمة في مجابهتها العاجزة مع اسرائيل والولايات المتحدة الداعمة لها ، لكنه لم يقدم اي استشراف جدي للمستقبل المنظور ، بل اكتفى بالاشارة الى الجهود التي يبذلها الجيل الشاب في تحسس طريقه الى مستقبل افضل عن طريق نقد تجارب الماضي .

وكان المحاضر الثالث الصحافي السوفياتي ايغور بلاييف معلق الشؤون السياسية في صحيفة « البرافدا » الذي عرض موقف بلاده المعروف من النزاع في الشرق الاوسط القائم على علاقات الصداقة مع الدول العربية المعنية وعلى الدعوة والعمل لايجاد سلام عادل ومستقر في المنطقة بدون ان يكون ذلك على حساب الشعوب العربية . وهذا يعني ان تنسحب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة مع ضمان حقوق الشعب الفلسطيني . وشدد بلاييف على نقاط هامة مثل : (١) اشارته ان الحديث في الاوساط العربية يميل دوما الى القول ان كل شيء في ازمة الشرق الاوسط يعتمد على الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بدلا من القول ان كل شيء يعتمد في الواقع على العرب انفسهم وعلى توحيد قواهم

وجهودهم . (٢) ان الاتحاد السوفياتي يساند المقاومة الفلسطينية ولكنه يستنكر العمليات « الارهابية » الفردية مثل عملية احتلال السفارة السعودية في الخرطوم وما نجم عنها من نتائج ، ويريد من المقاومة ان تكون ثورة حقيقية تقف في وجه الامبريالية بنجاح . (٣) ان الاتحاد السوفياتي قدم لمصر وغيرها من الدول العربية الاسلحة ذاتها التي استخدمتها الثورة الفيتنامية في قتالها الطويل ضد اعدائها ، مما يعني ان المشكلة لا تكمن في السلاح نفسه بقدر ما تكمن في معرفة استخدام السلاح وفي مدى الاستعداد العربي جيوشا وشعوبا لدخول الحرب . وهنا قال بلاييف بتعجب « أنا لا أفهم لماذا لا يحسن العرب استخدام هذه الاسلحة بفعالية ! » (٤) ان الاتحاد السوفياتي ضد حالة اللاسلم واللاحرب السائدة في المنطقة وهو ليس مسؤولا عنها لان الرئيس عبد الناصر هو الذي قبل بمشروع روجرز وباتفاقية وقف اطلاق النار عام ١٩٧٠ ، كما ان الرئيس السادات هو الذي قرر تمديد مهلة وقف اطلاق النار بدون حدود ولا شأن للاتحاد السوفياتي في هذا القرار . وشدد بلاييف على انه اذا كان العرب يريدون السير على طريق الثورة والتحرير العنيف فما عليهم الا التقدم بهذا الاتجاه ولن يقف الاتحاد السوفياتي عقبة في وجههم بالتأكيد .

● على صعيد هيئة الامم نددت لجنة حقوق الانسان في منتصف اذار بجرائم الحرب التي ترتكبها اسرائيل في الاراضي المحتلة ، وجاء ذلك في قرار وافقت عليه اللجنة بعد ان تقدم به عدد من البلدان الافرو — اسيوية مدعومة من قبل الاتحاد السوفياتي . واعتبر القرار انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة « جرائم حرب واهانة للانسانية » . وقد صوتت الولايات المتحدة ضد القرار . كما قابل ماكسيموس الخامس حكيم، بطريرك انطاكية والقدس وسائر المشرق للروم الكاثوليك ، الامين العام لهيئة الامم ، فالدهايم ، حيث دعا البطريرك الى الاسراع في تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقدس وبقية الاراضي العربية المحتلة ، والى تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، كما لفت نظر فالدهايم الى ان عشرة ملايين مسيحي في الشرق الاوسط قد حرموا من زيارة القدس بسبب الاحتلال الاسرائيلي ورفض السلطات السماح للعرب المسيحيين بزيارتها .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

حركة الاستيطان : شهدت حركة الاستيطان ظاهرة فريدة من نوعها تمثلت في قيام سلطات الاحتلال بحل مستوطنة ناحال يام الواقعة على بحيرة البردويل والغائها ، وقد رافقت عملية الغاء المستوطنة تحليلات توحي بأن الخطوة الاسرائيلية قد جاءت عقب ضغط اميركي من اجل تسهيل التوصل الى حل مع مصر ، اما السلطات الاسرائيلية فقد فسرت خطوتها بأنها تعود الى عاملين الاول اقتصادي والثاني سياسي ، فبالنسبة للعامل الاول واجهت المستوطنة صعوبات في اعمال صيد الاسماك علاوة على ان المنطقة تفتقر الى المياه العذبة التي من شأنها ان تساعد على اقامة مزارع هناك ، وبالنسبة للعامل الثاني — وهو الاهم — يعتبر مكان المستوطنة وفق تصور مبرمجي خريطة الاستيطان خارج الخريطة التي تعتزم اسرائيل عدم الانسحاب منها . والجدير بالذكر هنا ان التيارات الرئيسية الفاعلة في اسرائيل تجمع على ان الحدود الجديدة ستكون ما بين شرم الشيخ ونقطة على البحر المتوسط في منطقة ما بالقرب من العريش ، وليس بالقرب من مستوطنة ناحال يام القريبة من جبهة القنال .

ان قرب المستوطنة التي اصبحت بذمة التاريخ ، من خط وقف اطلاق النار يعيد الى الاذهان صورة طريفة ابان حرب الاستنزاف ، ارتسمت فوق رمال سيناء ، فقد حدث ان هاجمت الطائرات المصرية المستوطنة في وضح النهار ، بينما كانت فتيات الناحال يغتسلن في الحمامات ، ولشدة الصدمة المباغتة لم تتمكن الفتيات من ارتداء ملابسهن ، فأخذن يركضن الى الخارج ويهمن على وجوههن عاريات فوق رمال سيناء خوفا من القصف ، كما ذكرت الصحف الاسرائيلية في ذلك الوقت .

بالاضافة الى الظاهرة الجديدة استمرت سلطات الاحتلال في خلق وقائع جديدة في المناطق التي تصر على عدم الانسحاب منها حتى ولو مقابل اتفاقية

سلام . وتمثلت هذه الاعمال في :

١ ـ تعزيز الاستيطان في شرم الشيخ ، حين احتفلت سلطات الاحتلال في أواخر شهر آذار الماضي بتدشين محطة للركاب في مطار « اوفيرا » وتدشين محطة لباصات « ايجد » وبلغت تكاليف محطة المطار مليوني ليرة اما محطة الباصات فقد بلغت تكاليفها مليون ونصف المليون ليرة . ومن المعروف ان مطار شرم الشيخ استقبل خلال العام الماضي ٧٢ الف مسافر قدموا الى هناك بواسطة طائرات « اركيع » الاسرائيلية ، وتتكهن وزارة المواصلات الاسرائيلية بأن يصل عدد السياح في عام ١٩٧٥ ، الى ١٢٠ الف سائح ، وفي عام ١٩٨٠ ، ٢٠٠ الف سائح .

ومن الجدير بالذكر ان وزير المواصلات شمعون بيرس عبر في كلمة القاها بمناسبة الاحتفال بتدشين محطة الركاب عن أمله بأن يكون بوسع مطار اوفيرا في المستقبل ، استقبال طائرات اضخم من تلك التي يستقبلها الان وان يغدو مطارا مدنيا دوليا ، وشدد على ان الجمهور الاسرائيلي موحد تجاه مصير منطقة شرم الشيخ التي تصر اسرائيل على عدم الانسحاب منها . وقد ربط بيرس عملية تكريس الاحتلال بخطاب الرئيس السادات الذي قال فيه انه لم يبق أمامنا الا المعركة بقوله : « ان خطاب السادات الاخير هو بمثابة خطاب وداع لاية تسوية ممكنة ، وضربة مميتة لاية تسوية ، وان الجواب الاسرائيلي لن يكسون خطابات على غرار تلك الخطب ... » ومن الواضح ان الجواب الاسرائيلي جاء على شكل تكريس للاحتلال بواسطة تدشين المحطتين المذكورتين ، وتوسيع رقعة الاستيطان هناك بواسطة اقامة فنادق كبيرة تتسع لالفي سرير ، وتشجيع السكان اليهود على الاستيطان في مدينة اوفيرا التي يقدر الاسرائيليون بأن عدد العائلات اليهودية التي ستستوطنها سيبلغ في عام ١٩٧٨ حوالي الف عائلة .

٢ ـ العمل على اقامة فندق في منطقة « نعمة » في جنوب سيناء يتألف من ٨٠ غرفة ، وتبلغ تكاليف انشائه مليونين وربع المليون ليرة .

٣ ـ اعتزام سلطات الاحتلال اقامة مستوطنة رابعة في قطاع غزة شمالي خانيونس تحمل اسم«سميري»، وذكر ان المستوطنة ستعتمد على الزراعة .

٤ ـ تحويل مستوطنة « مخورا » في منطقة بيت فوريك شرقي نابلس الى مستوطنة دائمة ، حيث يجري العمل على قدم وساق لاقامة المباني الجديدة في منطقة تبلغ مساحتها الف دونم . ومن المعروف ان سلطات الاحتلال استولت عقب حرب حزيران على اراض واسعة للقرية العربية واغلقتها بحجة الامن ، وقد أقيمت المستوطنة على جزء من هذه الاراضي ، وازاء احتجاج سكان القرية على ذلك، ادعت سلطات الاحتلال بانها لم تستول على ٢٥ الف دونم كما ذكر الاهالي ، وان كل ما في الامر ان صفقة قد عقدت بين السكان وادارة ارض اسرائيل ، حيث « وضعت ادارة ارض اسرائيل يدها على الف دونم من الاراضي الصخرية وفي المقابل تلقى سكان القرية الف دونم من الاراضي الزراعية » والحقيقة ان هذا القول يتسم بالسخافة والاستخفاف بالعقل والمنطق ، فهل تملك ادارة ارض اسرائيل ارضا في منطقة بيت فوريك لتقوم بعملية المبادلة ؟

٦ ـ العمل على ربط مستوطنات الغور بشبكة الكهرباء الاسرائيلية ، فقد تمت الموافقة اخيرا على ربط شبكة المستوطنات (١٢ مستوطنة) بشبكة الكهرباء ، بغرض جعلها امتدادا طبيعيا لمستوطنات بيسان في الشمال ، ومن المحتمل ان تستكمل العملية خلال عام .

حول حق اليهود شراء اراض في الضفة : تمشيا مع سياسة الضم والمصادرة والتعويضات لتكريس الاحتلال واضفاء صفة الشرعية عليها ، اقدم وزير الدفاع موشيه ديان على خطوة خطيرة حين قدم مشروع اقتراح يسمح بموجبه لليهود الاسرائيليين بشراء اراض في الضفة الغربية وتسجيلها في الطابو ، وقبل التطرق الى ردود الفعل لدى التكتلات السياسية الاسرائيلية ومواقفها من اقتراح ديان سنتحدث قليلا حول الدوافع الكامنة وراء هذا الاقتراح . هنالك دوافع ايديولوجية صهيونية تجيش في صدر ديان، اذ انه يعتبر فلسطين بكامل أجزائها ومناطق عربية اخرى محتلة او غير محتلة تعتبر «أرض اسرائيل» ، ولذا فانه لا يستطيع فهم عدم السماح لليهود بشراء الاراضي في الضفة ، « ينبغي ان توضحوا لي ، لماذا لا يحق لليهود شراء الاراضي من عرب المناطق ؟ لقد منعتنا حكومة الانتداب من شراء الاراضي ، والان نأتي ونمنع انفسنا ... لقد وقف الجعبري ضد بيع الاراضي لليهود ، ولكن هل الجعبري يعتبر مرشدا للصهيونية ؟ » (معاريف ١٩٧٣/٣/٣٠).

لقد خلق اقتراح ديان ثلاثة اتجاهات داخل الحكومة ، الاتجاه الاول يدعم الاقتراح ويقف

على رأسه بالاضافة الى ديان ، وزراء كتلة رافي سابقا ، مثل شمعون بيرس الذي يعتبر ان حق اليهود في تملك الاراضي في الضفة الغربية بمثابة امر بديهي شريطة ان تتم عملية البيع عن طيب خاطر ، وكذلك وزراء الحزب الوطني المتدين الذي يدعو الى عدم الانسحاب من الضفة الغربية ولو مقابل اتفاقية سلام ، مثل الدكتور زيرح فارهفتج وميخائيل حزاني .

اما الاتجاه الثاني فانه يعارض الاقتراح بيد انه لا يعارض « حق » اليهود في شراء الاراضي ، ويدعو الى ان يكون هذا « الحق » مرتبطا بموافقة الحكومة مثل وزير الخارجية ابا ايبن الذي قال ان بيع الاراضي للاسرائيليين في الضفة الغربية ليس موضوعا يمكن وضعه تحت تصرف الافراد وان الحكومة يجب ان تكون هي التي تقر ما اذا كان يجب شراء مثل هذه الاراضي وكيف ومتى ، وقال انه حتى الان كانت السياسة المتعلقة بهذا الامر اختيارية وانتقالية واعرب عن امله بان يستمر هذا الخط ، وايضا مثل وزير التجارة والصناعة بارليف الذي يعتقد ان شراء الاراضي في المناطق يجب أن يبقى في هذه المرحلة بواسطة هيئة حكومية.

اما الاتجاه الثالث فيعارض بشكل اقوى اقتراح ديان ، ويقف على رأسه الوزير شمطوف (مبام) ويعتقد هذا الاتجاه ان عملية شراء الاراضي في هذه الفترة من شأنها ان تسيء الى سمعة اسرائيل في العالم ، وان تعيق احتمالات السلام . ومن الجدير بالذكر هنا ان شمطوف وجه سؤالا الى ديان اذا كان اقتراحه يشمل حق العرب ايضا في شراء اراض اسرائيلية ، اجاب ديان انه من الناحية المبدئية ضد بيع الاراضي للعرب. « اننا نقيم هنا دولة يهودية وليس دولة عربية ... اننا ننقل الملكية الفردية من العرب الى اليهود ، ان اقامة دولة يهودية دون الغاء الكيان العربي هما امران لا يمكن تحقيقهما معا » .

وبالرغم من ايمان الاتجاهات الثلاثة داخل أعماقها بأقوال ديان ، الا انها اتفقت في هذه المرحلة على البقاء على ما هو عليه سابقا ، اي السماح لليهود بشراء الاراضي شريطة ان تكون عملية البيع انتقالية ومراقبة من قبل الحكومة .

موضوعان لهما علاقة بالجسور المفتوحة :

انهمكت الزعامة التقليدية في الضفة الغربية بدراسة موضوعين لهما علاقة بالجسور المفتوحة على ضفتي نهر الاردن ، الموضوع الاول يتمثل في الاجراء الاردني الذي اتخذ قبل حوالي اربعة اشهر والذي فرضت بموجبه قيود على المواطنين الاردنيين الذين يزورون الضفة الغربية حددت بموجبها فترة الزيارة باسبوعين واشترطت بان لا يتجاوز المبلغ الذي يحمله الزائر ٥٠ دينارا. وقد عادت الحكومة الاردنية عند مطلع شهر نيسان والغت تلك القيود بعد تزمر سكان الضفة الغربية من النتائج المتمخضة عنها ، وفي اعقاب تحرك الزعامة التقليدية والغاء القيود . وكان على رأس المتحركين رئيس بلدية الخليل الذي يحظى بتأييد السلطتين الاسرائيلية والاردنية معا ، بعد ان كان في الماضي يحظى بتأييد السلطة الاسرائيلية فقط ويصب هجماته على الملك حسين وجده عبدالله ، فقد ارسل الجعبري كتابا الى « صاحب الجلالة الملك حسين المعظم » تطرق فيه الى الجوانب السلبية المتأتية عن تلك القيود ومستشهدا بآيات قرآنية ليصل في النهاية الى القول : « يا صاحب الجلالة ان اهالي الضفة الغربية الذين تعلنون انهم من الرعية يهيبون عدالة الحسين بأن يأمر بالغاء هذه التعليمات والاوامر الجديدة لتدوم الوحدة الوطنية التي لم نفرط فيها ، وتدوم الالفة والمحبة ، وحب الوطن والسعي اليه من الايمان . اما اذا دام العمل بهذه التعليمات والاوامر فاننا نعتقد بان هذه اول بادرة تنذر بالفرقة والتباعد وهذا ما لا يرضاه الحسين وجد الحسين » ... وقد استجاب الملك بعد اسبوع لطلب الجعبري .

اما الموضوع الثاني الذي حرك الزعامة التقليدية فيتمثل في اقتراح قدمه لبنان يدعو الى غلق الجسور المفتوحة امام البضائع من الضفة الغربية لكيلا تتسرب البضائع الاسرائيلية الى الاسواق العربية ، فقد قام رؤساء البلديات والغرف التجارية ووجهاء في الضفة في اواخر شهر اذار بالتوقيع على عريضة موجهة الى جامعة الدول العربية طلبوا فيها عدم الموافقة على اقتراح لبنان ، وشكلت وفدا مكونا من ثلاثة اشخاص يمثلون الغرف التجارية في نابلس ورام الله والقدس للاشتراك في مؤتمر رؤساء الغرف التجارية في الاردن لتأكيد الخطورة الناجمة عن الاقتراح اللبناني اذا ما تمت الموافقة عليه بالنسبة لسكان الضفة الغربية، ومن المقرر ان يسافر الوفد بعد ذلك الى القاهرة لاقناع الجامعة العربية بعدم الموافقة على الاقتراح

اللبناني . ومن الجدير بالذكر هنا ان هذا الاقتراح ليس الاول من نوعه الذي يطرحه لبنان ، فقد قدم لبنان في عام ١٩٧١ اقتراحا مشابها ، اثار ضجة كبيرة الا ان النجاح لم يحالفه .

« الجامعة العربية » في الضفة الغربية : بعد حوالي اكثر من عامين من الحديث عن اقامة جامعة في الضفة الغربية ، تمت مؤخرا موافقة سلطات الاحتلال على اقامة الجامعة . وقد جاءت الموافقة الاولى عندما صادق الحاكم العسكري ١٣ اذار في الضفة الغربية على قرار الحكومة بهذا الشأن ، واستكملت الموافقة باجراء اخير عندما قام وزير الشؤون الاجتماعية بتقديم رخصة لاقامة الجامعة بعد أن تم تسجيلها كجمعية عند مطلع شهر نيسان.

ومن المعروف ان الجامعة التي تقرر ان تدعى « الجامعة العربية » بدل الجامعة الفلسطينية ، لازالة تحفظات السلطتين الاردنية والاسرائيلية ، ستشمل عدة فروع متوزعة على مدن رام الله والخليل ونابلس وطولكرم ، وحسب انظمة الجامعة كما تقول المصادر الاسرائيلية فانها « لن تنهمك في أية موضوعات سياسية بل ستكرس عملها في الشؤون الاكاديمية فقط » .

وذكرت المصادر الاسرائيلية ، ان برامج التدريس في الجامعة ستتم الموافقة عليها شريطة ان لا تتضمن تحريضا ضد اسرائيل والشعب اليهودي . ومن المقرر ان تقوم لجنة مؤسسي الجامعة بارسال وفود الى الدول العربية بغرض أخذ موافقتها على اقامة الجامعة اولا وبغرض جمع الاموال والطاقم التدريسي . ثانيا (للاستزادة حول تحليل مواقف السلطتين الاردنية والاسرائيلية تجاه اقامة الجامعة انظر شهريات المناطق نشر في عدد ٣ ، ١٥) .

العمال العرب : لم يطرأ تغيير ملموس على عدد العمال العرب الذين يعملون في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، اذ وصل الرقم حسب ما أعلنه مستشار وزير العمل لشؤون المناطق المحتلة حوالي ٥٧ الف عامل ، بين منظم وغير منظم ، وتوزع العمال المنظمون (٤٠ الف) على الفروع التالية : البناء ٢٠ الف ، الزراعة ٦٥٠٠ و١١ الفا في فرع الصناعة والباقون يعملون في مجالات أخرى .

كان من نتيجة تسابق المقاولين اليهود على الايدي العاملة العربية الرخيصة ، ان بدأت تتشكل ظاهرتان : الاولى تتمثل ببروز « أسواق عمل » شبيهة بأسواق النخاسة في العهود السابقة ، والثانية تتمثل في تحول الاطفال العرب من تلاميذ يتلقون علومهم في المدارس الى عمال يبذلون عرقهم وجهدهم في اعمال رثة في المجتمع اليهودي ، ونكتفي هنا باقتباس فقرة من صحيفة اسرائيلية لوصف الظاهرة الاولى ، ظاهرة « سوق العبيد في يافا » : « في حوالي الساعة السادسة صباحا يبدأ الاسرائيليون بالوصول ، لاختيار بهائم للعمل . يأتون بسياراتهم ، يتوقفون ، ليهرع العرب الى السيارات لكي يحظوا بالعمل . ان الاسرائيلي يختار جيدا ، يصوب بصره نحو العضلات (لحسن الحظ لا يقوم بفحص الاسنان) ، ويأخذ معه الغنيمة ، اما اولئك الذين لم يحظوا بالعمل ، فيعودون للانتظار في الحديقة ، بين الاشجار ، ويقوم بعض العرب باداء صلاة الفجر ، بينما يقوم آخرون بقضاء حاجتهم في زاوية من الحديقة ، لعدم وجود مرحاض هناك ... » (هعولام هزيه ١٩٧٣/٣/٢٨) .

اما الظاهرة الثانية فانها تنطوي على خطورة مضاعفة : هروب الاطفال من المدارس وتعرضهم لاستغلال بشع . وقد اخذت هذه الظاهرة تشغل بال الاهالي ومدراء المدارس ، وقدم بعض رؤساء البلديات احتجاجا الى الحاكم العسكري على هذه الظاهرة ، وقد وصفت صحيفة « القدس » حالة المدارس في الضفة الغربية بقولها : « ... يشكو مدراء المدارس ، في عدد كبير من القرى في قضاء نابلس (وهذا الوضع ينطبق على معظم الضفة الغربية) من الوضع الدراسي فيها ، والذي يسير من سيء الى أسوأ نتيجة لتزايد هروب الطلاب من مدارسهم للعمل في اسرائيل ، حيث يؤكد مديرو هذه المدارس بانها فقدت ٥٠٪ من طلابها ، فهل من علاج لهذا الامر الخطير ؟ (القدس ١٩٧٣/٢/١٣) .

ردود الفعل على عملية بيروت في المناطق المحتلة :

تركت العملية الوحشية التي نفذتها اسرائيل في بيروت وادت الى استشهاد القادة الثلاثة ابو يوسف ، كمال ناصر ، وكمال عدوان ردود فعل عنيفة على الصعيد الجماهيري داخل الارض المحتلة اضطرت معها الاذاعة الاسرائيلية باللغة الانكليزية الى وصفها بانها « كانت غير متوقعة » [اذاعة اسرائيل بالانكليزية ، الساعة ٨،٣٠ مساء ١٩٧٣/٤/١٢] ، واضطرت معها دايان الى القول « انه ساد بين سكان المناطق المحتفظ

بها جو من الحداد بعد عملية بيروت ، فلقد ايدوا زعماء المخربين الذين قتلوا حتى انهم عبروا عن ذلك في الصحف الصادرة في المناطق » [نشرة رصد اذاعة اسرائيل العدد ٢١١ في١٣/٤/١٩٧٣].

وقد أكد هذه المشاعر دافيد اليعازر رئيس اركان الجيش الاسرائيلي حين قال : « ان نشر صور كمال ناصر وهو الذي يدعو الى تدمير اسس دولة اسرائيل ، في صحف الضفة الغربية والقطاع الشرقي من القدس وما رافقها من بيانات التعزية ، ان هذا أمر له مغزاه بالنسبة الينا ، انه يعني ان الموقف العربي التقليدي الذي يدعو الى العمل من اجل تصفية اسرائيل لا يزال مقبولا من عدد كبير من العرب » . (النهار ٢٠/٤/١٩٧٣) .

هذا وقد جاء في تقرير خاص وصل الى مركز الابحاث الوصف الحي التالي لردود الفعل في المناطق المحتلة :

١ — **يوم الاربعاء ١١/٤/١٩٧٣** : شن اضراب عام وشامل مدينة نابلس فاقفلت كل المحلات التجارية والعامة ، وخلت شوارع المدينة من السكان وفي بيوتها يستمعون لاجهزة الاعلام ويتابعون اخبار المجزرة .

٢ — اضراب عام في كل مدارس الضفة الغربية يوم الخميس امس ، حيث تجمع الطلاب في ساحات المدارس وامتنعوا عن دخول قاعات الدرس وقسم منهم لم يأت للمدرسة وقسم آخر غادر . وفي ساحات المدارس جرت مظاهرات وهتافات ضد اسرائيل وضد العدوان وحياة المقاومة وفلسطين.. ورددت اناشيد صوت فلسطين خاصة نشيد بلادي نحن ثورة ضد الاعادي ... وقد هوجمت المدارس الثانوية في كل من نابلس ورام الله وبيت لحم وجنين وطولكرم والقيت قنابل مسيلة للدموع واعتقل عدد كبير من الطلبة .

من الصباح الباكريوم **الخميس ١٢/٤/١٩٧٣** تقاطرت مئات السيارات من كل من **الضفة الغربية وقطاع غزة** (لمدينة بيرزيت) لتتجمع في بيت (آل ناصر) للتعزية بالشهيد كمال ناصر . ولدى ملاحظة السلطات التجمع الكبير داخل المدينة فقد أقفلت الطريق المؤدية لبيرزيت بحواجز شائكة تحرسها قوى مدرعة ومحمولة من قوات الجيش الاسرائيلي واوقفت السيارات ومنعت الركاب من دخول المدينة وكان الناس يترجلون ويتجمعون في هذه النقطة . وقد وصل عدد السيارات الى اكثر من ٣٠٠ سيارة حتى الساعة ١٢ ظهرا . وبدأ قسم منهم بالسير على الاقدام الى بيرزيت وقسم آخر بدأ يهتف ضد السلطات مما دعا لتعزيز قوات الجيش في هذه النقاط واجبروا القسم المتبقي منها على العودة .

ثم قام تجمع داخل المدينة بتظاهرة الى جانب السكان قدرها شاهد عيان بـ ٣٠٠٠ شخص على الاقل . بدأت بهتافات وطنية ورفعت العلم الفلسطيني مما اهاج الجماهير ولدى تقدم قوة بوليس لانزال العلم تعاركت الجماهير بالايدي مع افراد هذه القوة واوسعوهم ضربا مما اضطرهم للانسحاب وظل علم فلسطين مرفوعا والجماهير مستمرة في مظاهرتها . وكانت الهتافات على النحو التالي :

يااللي استشهدوا جوا بيروت
دم الثوار عمرو ما يفوت

على لحن دلعونا الشعبي الفلسطيني . ثم هتاف بلادي ، بلادي بلادي ، انت ثورة على الاعادي . وهتف المتظاهرون بسقوط الاحتلال والقتلة المجرمين كما وهتفوا بحياة الشهداء الثلاثة وبالاسماء . ثم سارت جنازة رمزية داخل المدينة . وفي نهاية مسيرة المظاهرة والجنازة الرمزية عقدت تجمع تأبين وخطب عدد من الخطباء بينهم مدرس ندد بالعدوان وبالاحتلال . وقام اخر بالقاء قصيدة مشهورة للشهيد كمال ناصر (عن القدس) .

— في قرى الضفة والقطاع . كان الناس يؤلفون تجمعات في الشوارع يتبادلون اخر اخبار المجزرة ويعزون بعضهم بالشهداء . وعمت حالة وجوم وركود عام في معظم قرى الضفة . وقد حولت بعض الافراح الى مظاهرات واهازيج الافراح حورت عن شهداء بيروت وآلام الهجوم ولم يذهب قسم كبير من العمال للعمل في اسرائيل وقسم آخر منهم تعارك في داخل المصانع مع عمال واداريين اسرائيليين لدى مناقشتهم للاحداث التي جرت خلال ذلك اليوم .

— **يوم الجمعة ١٣/٤/١٩٧٣** صمت ووجوم عام حتى الصباح وكان يتوقع خروج مظاهرات من المساجد بعد صلاة الجمعة .

عبد الحفيظ محارب

(٥) القضيـــة الفلسطينية عسكريا

تحليل عسكري لحديث الرئيس انور السادات :

من ابرز النقاط العسكرية التي وردت في حديث الرئيس انور السادات مع ارنو بورغراف مدير تحرير نيوزويك الامريكية والذي نشر في عـــــدد (١٩٧٣/٤/٩) النقاط التالية :

١ ـــ ان لا بديل للمعركة لاسترداد الحق وتحرير الارض المحتلة بعـــد ان استنفدت القاهـــرة جميع الوسائل الاخرى لتحقيق السلام العادل .

٢ ـــ ان الموقف في الشرق الاوسط سيكون أخطر من الموقف في فيتنام . وان الولايات المتحـــدة ترتكب أكبر الاخطاء اذا اعتقدت ان العـــــرب مشلولون تماما .

٣ ـــ ان الولايات المتحدة ستستيقظ قريبا على صدمة في المنطقة فهي لم تدع للعرب سبيلا آخر .

٤ ـــ ان من المتعذر على اسرائيل ان تحقـــق انتصارا شاملا على العرب ، وان الغزاة مهزومون في النهاية كما هزم جميع الغزاة عبر التاريخ .

٥ ـــ ان الايام المقبلة ستثبت عجز اسرائيل عن البقاء في حالة اللاسلم واللاحرب .

٦ ـــ ان من الممكن ضمان حرية الملاحة في شرم الشيخ بعد تسليم هذا الموقع للمجتمع الدولي . كتسليم مهمة حماية الملاحة مثلا للدول الخمس الكبرى في مجلس الامن (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين) .

٧ ـــ ان استمرار القتال شرط هام واساسي لاجراء مباحثات السلام .

وليست النقطة الاولى في حديث الرئيس السادات جديدة كليا ، فهي تكرار لما قاله من قبـــل حول ضرورة المعركة المسلحة بالاضافـــة للاساليـــــب السياسية والدبلوماسية كوسيلة لقهر ارادة العدو واجباره على التخلي عن مطامعه التوسعية . كما انها تطبيق لمبدأين اطلقهما الرئيس عبد الناصر : « لا صوت يعلو فوق صوت المعركة » و « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » . والجديد هنا هو ان المعركة المسلحة تقدمت في جدول أفضليات الوسائل التي يمكن استخدامها حتى أصبحت على رأس هذا الجدول بعد ان فشلت كافة الوسائل السياسية ـــ الدبلوماسية بسبب التعنت الاسرائيلي المدعوم بمباركة امريكية كاملة على كل المستويات. والحقيقة ان القاهرة لم تأل جهدا في محاولة ايجاد حل بمختلف الوسائل. فلقد قبلت المبادرات المتعددة وقدمت مبادراتها الخاصة . وسارت على الطريق السياسي مستخدمة كافة السبل لتجد في النهاية ان عليها ان تستخدم الوسيلة النهائية ـــ الحرب ـــ كامتداد عنيف لسياستها . فلماذا انتهى الموقف الى هذا الطريق المسدود الذي يهدد بالانفجار ؟ لقد ادت حرب ١٩٦٧ الى احتلال اراض عربية معينة ، وامتلكت اسرائيل بذلك اوراقا متعددة (اراضي ، ومصادر ثروة ، ومواقع استراتيجية ، وسكان) ، واخذت تستخدم هذه الاوراق في اللعبة السياسية الرامية الى تحقيق هدف الحرب المزدوج (الامن والتوسع) . وهي لا تنكر رغباتهـــا التوسعية التي تشمل في اكثر الاتجاهات الاسرائيلية اعتدالا الجولان والقدس وشرم الشيخ . وتمتد في الاتجاهات الاخرى الى مناطق واسعة في سيناء والضفة الغربية . كما انها تخفي هذه الرغبات وراء ضرورات الامن ومتطلباته . واذا كـــــان المتطرفون الاسرائيليون يدعون بأن من الضروري الحفاظ على جميع الاراضي المحتلة لتحقيق حلم اسرائيل الكبرى فان اكثر الاسرائيليين اعتدالا يرون ان كل ما تود اسرائيل الحفاظ عليه من اراض لا يستهدف سوى ايجاد حدود آمنة .

بيد ان الحقيقة تفرض علينا فصل الهدف المزدوج (التوسع والامن) الى هدفين : اولهما هدف يرغب الاسرائيليون تحقيقه وهو التوسع عـــــلى قدر الامكان وبأكبر قسط يسمح به الوضع العربي والدولي الحاليين .

اما الثاني فهو هدف يطرحونه دعاويا لتحقيـــق اغراض اخرى رغم انه محقق بالفعل عن طريق حجم القوة المتفوقة الرادعة التي ضمنت الولايات المتحدة تفوقها بحجة تهدئة المنطقة .

ان اسرائيل التي تتحدث عن الامن كانت منـــذ وجودها عنصر الخطر في المنطقة ، ولم تكن في يوم من الايام معرضة لخطر جدي ماحق ، كما انها حققت أمنها منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم عن طريق الردع والمعلومات وضمانات الدول الامبريالية لا عن طريق الحدود الامنة . أي ان امنها كان ـــ ولا

يزال — أمن قوة ديناميكية لا أمن حدود جيو — طوبوغرافية ملائمة .

وهكذا يمكننا ان نقول ان معطيات الموقف الاسرائيلي — المدعوم امبرياليا — هي التمسك برهينة والمساومة عليها لتحقيق هدف التوسع مع طرح هدف الامن لاغراض دعاوية . اما معطيات الموقف العربي فهي : الرغبة الملحة في تحرير الارض العربية كلها ومنع أي توسع مقبل ، وتحقيق الامن على الارض العربية خاصة وان العدو الاسرائيلي يعرض هذا الامن للخطر على الحدود وفي عمق الاراضي العربية ، ويهدد بتوسيع حدود نشاطه التخريبي الى بلدان عربية بعيدة جغرافيا عن جبهة الصراع (الكويت ، السعودية ، ليبيا ... الخ).

وما دامت معطيات الموقفين العربي والاسرائيلي متناقضة الى هذا الحد (توسع وتهديد مقابل تحرير وأمن) ، وما دام العدو المعتدي يملك الرهينة ، وما دام المجتمع الدولي عاجزا عن اجباره على التخلي عنها ، فان على الطرف المعتدى عليه ، والذي استنزف كل الامكانات السياسية والدبلوماسية، ان يلجأ الى الحكم الاخير وهو المعركة التي لن تكون نتائجها مهما ساءت أسوأ من النتائج التاريخية الرهيبة (قوميا وحضاريا) المترتبة على الاستسلام لشروط العدو. من هنا جاء حديث الرئيس السادات عن المعركة ذلك « الباب الضيق » الذي لا بد من اقتحامه بعد رحلة العمل السياسي — الديبلوماسي التي دامت ست سنوات دون ان تصل الى أية نتيجة . علما بأنه كان بوسع التحليل العلمي المبني على تحديد صحيح للقوى المعادية وحجم مصالحها وترابطها واهدافها والشراسة التي سيستخدمها العدو للحفاظ على هذه المصالح وتحقيق تلك الاهداف ان يصل مسبقا — وقبل اضاعة ست سنوات — الى ان الجهود السياسية — الدبلوماسية ستكون عقيمة ، وان الكفاح المسلح (المعركة) هو السبيل الوحيد « لاسترداد الحق وتحرير الارض » وهذا ما وصلت اليه المقاومة الفلسطينية عندما اطلقت الرصاصة الاولى .

وتأتي خطورة الموقف المذكورة في النقطة العسكرية الثانية من حساسية موقع الشرق الاوسط وأهميته الاستراتيجية والاقتصادية وحجم القوى التي يبدو ان الامبريالية الامريكية مستعدة لاستخدامها للحفاظ على موطىء قدم في بلادنا ، ومتابعة نهب ثرواتنا. كما انها تأتي من ضخامة القوى البشرية التي يستطيع العرب زجها في المعركة وسعة الاراضي التي ستندلع عليها نيران القتال واطلال هذه الاراضي على العديد من البحار والممرات الحساسة بالنسبة للاستراتيجية الامريكية في مجابهة الاتحاد السوفييتي ، واهمية المصادر الاقتصادية التي يمكن للعرب استخدامها في الصراع كما يمكن ان تتدمر خلال القتال وأثر ذلك على الاقتصاد العالمي كله ، وقرب الاتحاد السوفييتي من مسارح العمليات واحتمالات تدخله بقوى تقليدية تصعد العملية الى صراع بين العمالقة ، ووجود قوى عربية رجعية مرتبطة بعجلة الامبريالية ومستعدة لتحويل المعركة من حرب بين العرب وعدوهم الامبريالي — الاسرائيلي الى حرب مختلطة معقدة يمتزج فيها الصراع ضد الغزاة الخارجيين مع حرب اهلية عربية — عربية . بالاضافة الى ان ضخامة « هدف الرهان » بالنسبة للعرب واسرائيل، وطبيعة العدو الاسرائيلي وارتباطاته مع الصهيونية العالمية ووجود قوات مسلحة اسرائيلية تقاتل مع شعب اسرائيلي مستورد ومعبأ تعبئة عنصرية حاقدة ويشكل قاعدة متينة الى حد ما تقف وراء القوات المسلحة عبارة عن عوامل تميل الى زيادة حدة القتال وتصعيد خطورة الموقف .

ان « الكابوس المفزع الذي يضع نهاية لكل الاحلام المفزعة » الذي تحدث عنه الرئيس السادات سيكون في تصورنا حربا طويلة شاملة ضد الامبريالية واسرائيل تمتد على كل الارض العربية وتهدد جميع المصالح الامبريالية في وطننا الكبير وتشترك فيها الولايات المتحدة بشكل متدرج اشتراكا ظاهرا وخفيا يحمل في طياته بذور صدام غير محدود مع قوى غير محدودة .

وتتحدث النقطة الثالثة عن الصدمة التي ستوقظ الولايات المتحدة ، « فلقد آن الاوان لصدمة » . وهذا تهديد باستخدام السلاح — دون تحديد ما اذا كان هذا السلاح حربيا ام اقتصاديا ام سياسيا . ويدخل هذا التهديد بمضمونه في مجموعة التهديد الذي وجهه الرئيس السادات الى نيكسون من قبل بانتظار « خريف ساخن » والتهديد الذي سبقه باستخدام البترول في المعركة والتهديد المعروف باعلان « سنة الحسم » . ونقطة الضعف في التهديد الجديد هي انخفاض مصداقية التصريحات العربية في العالم بعد سلسلة من التصريحات والتهديدات التي لم تنفذ . ولا شك في ان الرئيس

السادات قد وعى هذه الحقيقة وفسر سبب عدم تنفيذ التهديدات السابقة بقوله : « كانت لدي خططي في ذلك الوقت ، ولكنها تغيرت لاسباب عديدة . أعطيت كلمتي بان انتظر الانتخابات الامريكية قبل ان اتحرك . وانتظرت ، ولكن خططي تغيرت » مؤكدا بذلك جدية تهديداته في ظروف لحظة اطلاقها ، وتعذر تنفيذها بعد ذلك بسبب تغيرات داخلية وخارجية كبيرة .

ولكن ترى كيف يمكن ان تكون الصدمة . وهل ستكون ضربة اقتصادية بترولية اساسا ، أم ضربة عسكرية ، أم عودة عسكرية سوفييتية على نطاق واسع تنفيذا لمعاهدة دفاع لا تزال قائمة ؟. ان الرئيس السادات لا يذكر ذلك . ولكنه يحدد بأن الجهود الديبلوماسية ستستمر « قبل واثناء وبعد المعركة » .

وتؤكد النقطة الرابعة تعذر انتصار اسرائيل الشامل على العرب وانها ستصل في النتيجة الى الهزيمة . ومن المؤكد ان اسرائيل تعرف ذلك جيدا وتعي ان انتصاراتها العسكرية ستبقى في اطار ربح المعارك لا ربح الحرب ، وتعرف ان قوتها العسكرية ستذوب في النهاية وسط البحر العربي الواسع . فلقد حققت في عام ١٩٦٧ انتصارا عسكريا لا جدال فيه ، ولكن هل حققت ما تصبو اليه ، وهل انتهت حالة الحرب التي يعيشها الانسان الاسرائيلي منذ ٢٥ عاما ؟ وهل ستنتهي هذه الحالة اذا ما وصلت جيوشها الى دمشق وعمان والقاهرة ؟ كلا . انها ستبقى دائما جسما غريبا مغروسا في محيط معاد ، وستعيش دائما في جو التوتر والكراهية وراء جدار الدم الذي بنته بنفسها ، والذي سينهار في النهاية فوقها ، وسيبقى الاستعداد الحربي شغلها الشاغل وخبزها اليومي ، وستبقى دائما دولة تعيش على فوهة بركان لا بد ان ينفجر .

ان المجتمعات لا تبني حضاراتها بهذا الاسلوب . ولا تستطيع اية دولة ان تبقى في حالة حرب مع جيرانها الى الابد ، ولا يعرف التاريخ امة غازية استطاعت البقاء منتصرة الى الابد . هذا قانون تاريخي ثابت على مر العصور . ولكن ثباته سيبقى حقيقة كامنة لا تتحول الى حقيقة ملموسة الا اذا استيقظت الجماهير العربية وصنعت تاريخها بنفسها طاوية بذلك صفحة من صفحات غزوات الابادة والوحشية التي تعرضت لها امتنا .

وعندما سأل بورغراف الرئيس انور السادات « ولكن هل الموقف الراهن [اللاحرب واللاسلم] افضل من سيناء منزوعة السلاح ؟ » اجابه الرئيس : « دعنا نرى ما اذا كانوا قادرين على البقاء على هذا النحو . انني اقول انهم لن يستطيعوا ، وسوف ترى في القريب العاجل اننا على صواب » . والتهديد موجه هذه المرة الى اسرائيل والولايات المتحدة معا وهو تهديد واضح في الزمان (القريب العاجل) والمكان (سيناء) فهل يعني ذلك القيام قريبا بمعركة في سيناء ؟ ان الجماهير المصرية والعربية تضغط باتجاه الحرب. وتقف سوريا من اسرائيل موقفا متشددا تزداد صلابته مع تزايد الاستقرار وتنامي الوحدة الوطنية في سوريا . ويضغط الرئيس معمر القذافي مطالبا بشن معركة تحرر سيناء مهما كانت التضحيات. ولا بد أن كل هذه العوامل ستلعب دورا ايجابيا في اخذ قرار المعركة . ولكن العامل الاهم سيكون دائما القوة التي يمكن استخدامها في هذه المعركة اي : طبيعة تماسك الجبهة الداخلية ، ومدى استعداد القوات المسلحة النظامية وغير النظامية، وقدرة القيادة السياسية ــ العسكرية على استخدام هذه القوات على ارض المعركة .

اما ضمان حرية الملاحة الاسرائيلية في شرم الشيخ بضمانات دولية (النقطة السادسة) فهو يدخل ضمن اطار اعادة جوهر الوضع في شرم الشيخ الى ما كان عليه في يوم ٤ حزيران ١٩٦٧ . فلقد كان هذا الممر تحت حراسة قوة من الطوارىء الدولية حتى سحب الرئيس عبد الناصر هذه القوة وأغلق خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية . ومن الواضح عسكريا ان هذه الخطوة تعني حرمان مصر في أي صراع مقبل يجري ضمن اطار الاستراتيجية غير المباشرة من تنفيذ الخنق الاستراتيجي القريب ، الامر الذي لا يعني بالضرورة حرمانها من الخنق الاستراتيجي البعيد الذي قد يكون اكبر اثرا وأشد فعالية .

والنقطة السابعة والاخيرة الخاصة بضرورة استمرار القتال كشرط هام واساسي في مباحثات السلام هي أهم النقاط الواردة في حديث الرئيس السادات وأكثرها حيوية في الوضع الراهن الذي تضغط فيه القوى الدولية باتجاه ضرورة ايجاد حل سلمي للنزاع في منطقتنا .

وتأتي اهمية هذه النقطة من ان المباحثات

والمفاوضات في اي نزاع هي اساسا جزء من هذا النزاع وامتداد له . اذ ان النزاع يبدأ سياسيا ويتصاعد حتى الذروة العسكرية، ثم يعود بعد المعركة الى الحقل السياسي حيث تجري تصفية الامور وتقديم التنازلات والتخلي عن هذا الربح او ذاك مقابل تحقيق ربح اخر ضمن اطار حل وسط . وتكون مواقف كل طرف من الطرفين المتنازعين ومطالبهما خلال المباحثات متناسبة مع وضعه العسكري ، ونتيجة القتال السابق ، والضغوط السياسية — الديبلوماسية — الاقتصادية الدولية ، ومستوى التماسك الداخلي ، وتوقعات الخسارة المقبلة في حالة تجدد الاشتباكات، واهمية هذه الخسارة بالنسبة للربح المنتظر من التصلب . لذا يحاول كل طرف من الاطراف تحسين هذه النقاط لصالحه قبل بدء المباحثات او خلالها (وهذا ما يفسر عنف العمليات العسكرية وكثافة النشاط السياسي — الدبلوماسي في فترة ما قبل المباحثات أو في فترات انقطاعها لسبب من الاسباب) ، كما يحاول اطالة أمد الصراع لاقناع الطرف الاخر بامكانية تقديم تنازلات كانت من قبل مرفوضة .

واذا طبقنا هذا المبدأ على واقع المباحثات التي يلح المجتمع الدولي علينا لاجرائها كمدخل لحل النزاع بعد اختفاء كثير من بؤر التوتر في العالم وجدنا أن تصلب اسرائيل ورغبتها في اجبار العرب على توقيع صك استسلام كامل ناجمان عن التفوق العسكري الاسرائيلي المضمون امريكيا ، ووجود رهينة كبيرة بيد العدو يساوم عليها ويلوح بالاحتفاظ بها ، وضعف الضغوط الداخلية لدرجة كبيرة داخل معسكر العدو ،وانخفاض تأثير الضغوط الدوليةبسبب التأييد الامريكي على جميع المستويات . والنقطة الوحيدة التي يمكن تبديلها بشكل ملحوظ والتأثير بذلك على العدو هي : تجديد القتال بصورة تؤكد بأن الخسائر التي سيتكبدها العدو اكبر من المكاسب التي يساوم عليها . اما بالنسبة للعرب فان اية خسائر يتكبدونها خلال الصراع ستبقى على المدى التاريخي اقل خطورة من الاستسلام .

والسؤال هو ما هي القوات التي ستجدد القتال ؟ وهل ستجدده باسلوب الحرب التقليدية الشاملة ، أم بحرب استنزاف ، ام بتسخين الجبهات وخاصة جبهتي قناة السويس والحدود السورية ، ام عن طريق تدعيم حركة المقاومة الى أبعد مدى وفتح المجال امامها للعمل بحرية كاملة ، ام بشكل يجمع الاساليب كلها بنسب متفاوتة ؟ ان رئيس اركان الجيش الاسرائيلي يهدد بأنه لن يسمح للعرب بممارسة « لعبة الحرب المحدودة في الوقت والمكان والاسلوب»وانه سيقلب مثل هذه العمليات الىحرب شاملة (نشرقرصد اذاعة اسرائيل العبرية رقم ٢٠٩) ولا يحدد الرئيس السادات في حديثه اسلوب الحرب المنتظرة ، ولكنه يؤكد ان عملية الحشد اللازمة لتجديد القتال قائمة « وكل شيء يتغير هنا ايضا ... من اجل المعركة » .

ان تحليل المسائل العسكرية الواردة في حديث الرئيس انور السادات مع مجلة نيوزويك يلقي كثيرا من الاضواء على مستقبل الصراع واحتمالاته وآثاره . وستبقى الصور المشرقة التي رسمها هذا الحديث أملا يدغدغ نفوس الجماهير العربية حتى تندلع احداث ترفع المصداقية العربية الى مستوى لم يعرف من قبل ، وتقلب آمال جماهيرنا الى حقائق ملموسة .

وصول القوات المغربية الى سوريا :

اعلنت سفارة المملكة المغربية في الشهر الماضي عن وصول القوات المغربية التي أرسلها الملك الحسن الثاني لدعم الجيش العربي السوري الذي غدا بعد تراجعات النظام الاردني ، وانسحاب القوات العراقية الى مناطق تجمع بعيدة واقعة قرب الحدود العراقية — الاردنية، وتضييق الخناق على حركة المقاومة منذ ايلول ١٩٧٠ حتى اليوم، القوة العربية الاساسية في الجبهة الشمالية .

ولقد كثر الحديث داخل المغرب وفي الاقطار العربية قاطبة عن الاسباب السياسية الكامنة وراء ارسال هذه القوات ، وعن العوامل التي دفعت ملك المغرب الى اتخاذ هذه الخطوة . ولقد قيل من جملة ما قيل أن الغاية من هذا العمل ابعاد بعض القوات المغربية المعارضة للحكم وخاصة بعد تزايد النقمة داخل الجيش على أثر حادثتي الصخيرات، ومحاولة اسقاط طائرة الملك وما تلاهما من ملاحقات ومحاكمات وتصفيات داخل الجيش وخارجه . وقيل أن تصاعد النقمة الشعبية في المغرب ، وتزايد الحركة الجماهيرية المعارضة للنظام واحتمالات انفجار الكفاح المسلح الريفي والمديني بقيادة الحركة الاشتراكية الرئيسية المعارضة (اتحاد القوى الشعبية) دفعت الملك الى القيام بهذه الخطوة لاكتساب سمعة جماهيرية في بلد يتأجج شعوره القومي ، وينظر باهتمام الى الصراع العربي — الاسرائيلي ، ويعتبر المشرق

العربي كعبته ومصدر وحيه الحضاري .

ولقد نظرت الحكومة السورية الى الامر من زاوية اخرى ، ورأت فيه خطوة محدودة على طريق عروبة المعركة وزج الامكانات العربية كلها في القتال . لذا قبلت العرض المغربي ووافقت على قدوم قوات قوامها متطوعون من الجيش المغربي . ويذكر رئيس الوزارة السورية الاستاذ محمود الايوبي عن ملابسات هذا الموضوع : « نحن بعد المعارك الاخيرة زرناهم وشرحنا موقفنا . فقال لنا المغاربة: نستطيع ان نساعدكم ببعض القطعات من القوات المسلحة . وفي السابق لم تكن بيننا اتصالات تذكر. قبلنا العرض المغربي . والقوة التي ستأتي هي من المتطوعين من الجيش المغربي . وستأخذ هذه القوة موقعها في الجبهة بحسب حجمها » (الصياد عدد ١٤٨٩ ، ٣/٢٩ — ١٩٧٣/٤/٥) .

واذا ما درسنا المسألة من زاويتها العسكرية وجدنا أن للمسألة مدلولين هما : المدلول المبدئي، والمدلول العملي . ويتمتع المدلول المبدئي بأهمية استراتيجية بالغة لان قدوم قوات عربية مغربية او غير مغربية لاخذ مواقعها على الجبهة السورية او المصرية عمل صحيح يتطابق مع أبسط قواعد الحشد وتجميع القوى . وينسجم مع فكرة تقريب القوى من العمق الاستراتيجي العربي الكبير الى العمق التكتيكي او العملياتي على الاقل لتكون قوة مؤثرة قادرة على الاشتباك بفاعلية في حالة الصدام مع العدو بمعركة تقليدية سريعة ، او بمعركة استنزاف طويلة الامد .

وينبع المدلول العملي من حجم القوات المتقربة باتجاه مسرح العمليات وطبيعة تسليحها وتدريبها ومستوى قياداتها . ولقد تناقلت وكالات الانباء ان هذه القوات ستضم عدة الاف. ولم ينشر حتى الان العدد الصحيح للقوات المكلفة بالذهاب الى سورية او التي وصلت واخذت مواقعها على الحدود .

وكل ما يعرف حتى اليوم هو أنها قوات مزودة بكامل سلاحها وعتادها . وتتمتع بمعنويات رائعة وكفاءة قتالية . ولا تقل أهمية هذه القوات بأي حال من الاحوال عن أهمية الوحدات الكويتية التي رابطت على قناة السويس الى جانب قطعات الجيش المصري منذ حرب ١٩٦٧ . ولكنها تبقى مع ذلك قوة محدودة لا تؤثر على ميزان القوى البرية على خط المواجهة مع العدو .

ولا تشمل القوات المغربية المتطوعة للعمل في سورية قوات جوية أو وحدات دفاع متقدمة تقنيا (صواريخ) مع ان مساعدة الطيران السوري لزيادة فاعليته الهجومية والدفاعية أمر بالغ الاهمية بالنسبة للمواجهة مع اسرائيل . ومن المعروف ان المساعدة الجوية (طائرات — طيارين — أجهزة رصد وكشف — فنيين .. الخ) اكثر تكلفة من المساعدة البرية ولكنها اسهل منها بكثير لانها لا تتطلب نقل اعداد كبيرة من الاشخاص — وما يعقب ذلك من تعقيدات ادارية — بل تعتمد على زيادة القوة بشكل ملحوظ عن طريق زيادة عدد اسراب الطائرات وبطاريات الصواريخ المضادة او تقديم عدد من الطيارين والفنيين المؤهلين تأهيلا عاليا . والحقيقة ان الدول المتحالفة او الصديقة — غير الذرية — التي تود مساعدة بعضها تبدأ قبل كل شيء بتقديم المعدات القتالية المتطورة (طائرات ، صواريخ ارض — جو ضد الطائرات، بطاريات صواريخ ارض — أرض ، بطاريات مدفعية محمولة ، مدرعات ثقيلة ، مدرعات برمائية قطع بحرية .. الخ) بالاضافة الى الكوادر العالية والفنيين النادرين الذين يحتاج اعدادهم زمنا طويلا . ثم تقدم بعد ذلك قوات مدرعة كاملة تمتاز بقلة رجالها وضخامة قوتها النارية ، لتصل في النهاية الى تقديم القوات البرية التقليدية . وكان من الممكن ان يكون اثر القوات المغربية اكبر بكثير لو تمت المساعدة وفق هذه المبادىء .

ولا يمكن فهم الاسباب التي حددت حجم القوات المغربية الا بعد القاء الضوء على القوات المسلحة المغربية — عدا القوات شبه العسكرية — حسب معطيات كتاب : The Military Balance 72 - 1973 الصادر عن معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن .

ان ميزانية الدفاع المغربية لعام ١٩٧٢ هي ١٢٤ مليون دولار . وتضم القوات المسلحة المغربية :

أ — **الجيش** ٤٨٠٠٠ رجل .

— ١ لواء مدرع
— ٣ الوية مشاة آلية
— ١ لواء أمن خفيف
— ١ لواء مظلات
— ٩ كتائب مشاة مستقلة
— ١ كتيبة حرس ملكي
— ٢ مجموع كتيبتي هجانة
— ٣ كتائب فرسان صحراوية

ـ ٥ مجموعات مدفعية
ـ ٢ كتائب مهندسين
ـ دبابات متوسطة ت ـ ٥٤ عدد ١٢٠
ـ دبابات خفيفة آ ـ ام ـ اكس عدد ١٢٠
ـ سيارات مدرعة ي ب ر ـ ٧٥ عدد ٣٦
ـ سيارات مدرعة آ ـ م ـ ل ٢٤٥ وم ـ ٨ عدد ٥٠
ـ ناقلات جنود مدرعة نصف مجنزرة م ـ ٣ عدد ٤٠
ـ ناقلات جنود مدرعة تشيكية عدد ٩٥
ـ مدافع ذاتية الحركة س ـ يو ـ ١٠٠ وآ ـ ام ـ اكس ١٠٥ عدد ٢٥
ـ مدافع هاوتزر ٧٥ و١٠٥ مم
ـ طائرات عمودية (هليكوبتر) آلويت عدد ٦

ب ـ **الاسطول : ١٥٠٠ رجل**

ـ ١ فرقاطة
ـ ٢ خفر سواحل
ـ ١ زورق دورية
ـ ١١ زورق دورية (أقل من مائة طن)
ـ ١ سفينة انزال .

ج ـ **القوات الجوية : ٤٠٠٠ رجل**

ـ ٤٨ طائرة مقاتلة منها ٢٠ طائرة معترضة ف ـ ٥ آ ، و٤ طائرات معترضة فـ ـ ٥ ب، و٢٤ طائرة ماجستير مسلحة .
ـ ٣٥ طائرة تدريب ت ـ ٦ و ٢٥ طائرة ت ـ ٢٨
ـ ١٠ طائرات نقل سي ـ ٤٧
ـ ١١ طائرة نقل سي ـ ١١٩
ـ طائرات عمودية آب ـ ٢٥ عدد ١٢
ـ طائرات عمودية ه ه ٤٣ عدد ٦
ـ طائرات عمودية و ه ـ ١٣
ـ ١٢ طائرة ميغ ١٧ (في المخزن)

فاذا أخذنا القوات السورية المسلحة كدليل للمقارنة بغية تكوين صورة ملموسة عن القوات المسلحة المغربية وجدنا أن تعداد الجيش المغربي (٤٨ الفا) يعادل نصف تعداد الجيش السوري (١٠٠ الف) . أما دباباته ومدفعيته وناقلاتسه المدرعة فلا تكاد تعادل خمس دبابات السوريين ومدفعيتهم وناقلاتهم المدرعة. ويملك السلاح الجوي المغربي من الطائرات المقاتلة نحو ربع ما يملكه الطيران السوري مع تفوق طائرات السوخوي والميغ ٢١ السوفياتية الصنع تفوقا ساحقا لا حدود له على الطائرات المعترضة ف ـ ٥ ب و ـ فـ ٥ آ الامريكية الصنع وماجستير الفرنسية الصنع .

والوضع مشابه بالنسبة لسلاح البحرية فالاسطول المغربي أصغر من الاسطول السوري الذي يعتبر في الاصل صغيرا ، كما انه لا يضم غواصات او مراكب حاملة صواريخ بحر ـ بحر على حين تضم البحرية السورية عددا من الغواصات الراسية في الموانيء المصرية و٦ زوارق سوفياتية من طراز كومار مزودة بصواريخ بحر ـ بحر .

وتصل بنا دراسة جداول القوات المسلحة المغربية ومقارنتها مع قوات دولة من دول المجابهة [سوريه] الى الملاحظات التالية :

١ ـ ان حجم القوات المسلحة المغربية كلها صغير جدا بالنسبة لعدد السكان (٥٣٥٠٠ رجل من سكان عددهم ١٦٥٠٠٠٠٠ نسمة مقابل ١١٢٠٠٠ جندي سوري من اصل سكان عددهم ٦٤٥٠٠٠٠ نسمة) .

٢ ـ ان مصروفات التسلح ضئيلة بالنسبة للدخل القومي (٣،٦ ٪ مقابل ١١،٤ ٪ في سورية) .

٣ ـ ان الطائرات المقاتلة المغربية محدودة العدد وغير متطورة ، ومعظمها امريكي الصنع .

٤ ـ القوات المدرعة محدودة نسبيا ونصفها من الدبابات الخفيفة الفرنسية آ ـ ام ـ اكس ـ ١٣.

٥ ـ ان القوات البحرية محدودة وغير مجهزة بغواصات او بمراكب سطح حديثة ، ولا تعدو أن تكون اسطول حراسة صغير .

٦ ـ قوات المظلات كبيرة بالنسبة للقوات المظلية السورية (لواء مظلي مغربي مقابل كتيبة مظلية سورية) . ولكن عدد الطائرات العمودية (الهليكوبتر) في المغرب يعني ان هذا اللواء مظلي تقليدي من الطراز الذي قل استخدامه في الحرب الحديثة لا مظلي محمول بالهليكوبتر صالح للقتال في ظروف المعركة المعاصرة .

٧ ـ عدم وجود وحدات صواريخ أرض ـ جو ووحدات صواريخ ارض ـ ارض ووحدات ودبابات مضادة للطائرات او دبابات برمائية او بطاريسات مدافع محمولة ذاتية الحركة في الجيش المغربي .

وتعني الملاحظتان ١ و٢ [ويمكن ان نصل الى النتائج نفسها اذا ما ادخلنا في المقارنة العراق

ومصر والاردن* مقابل السعودية وليبيا وتونس] ان البلدان العربية الواقعة على خط المجابهة مع اسرائيل او القريبة من هذا الخط تكرس لقواتها المسلحة طاقة بشرية واقتصادية تفوق بكثير الطاقة التي تكرسها الدول العربية البعيدة عن خط المجابهة [باستثناء الجزائر] . رغم ان دول المجابهة بحاجة ملحة لهذه الطاقة في سبيل تنفيذ برامج التنمية الرامية الى رفع مستوى الحياة والخروج من حالة التخلف ، وتقوية القدرة على المجابهة ايضا .

وتعني الملاحظة الثالثة ان الدعم الجوي الذي يمكن للمغرب (حاليا) ان يقدمه دعم محدود بقلة عدد الطائرات المقاتلة ، وبتحديدات الولايات المتحدة التي تمنع ارسال الطائرات الى منطقة الشرق الاوسط بغية الحفاظ على التفوق الاسرائيلي . ولكن وجود ١٢ طائرة ميغ ١٧ في المخزن يترك المجال مفتوحا امام ارسال هذه الطائرات السوفياتية غير الخاضعة لشروط الانتقال الى منطقة المواجهة ، كما يضيء السبيل أمام قدرة المغرب على كسر طوق السلاح وتزويد سوريا او غيرها من بلدان المجابهة بطائرات سوفياتية جديدة.

وتعني الملاحظة الرابعة ان الدعم البري بوحدات مدرعة مزودة بدبابات سوفياتية متوسطة ت — ٥٤ أمر ممكن لا يخضع للتحديدات ، على حين ان ارسال وحدات مدرعة مزودة بدبابات فرنسية خفيفة آ — ام — اكس قد يلاقي معارضة باريس التي قررت بعد حرب ١٩٦٧ حظر شحن الاسلحة الى منطقة المجابهة .

وتجيء الملاحظة الخامسة لتؤكد تعذر تقديم دعم بحري مغربي في الوقت الحاضر .

اما الملاحظة السادسة فتعني ان بوسع المغرب دعم سورية بقوات مظلية قادرة على تنفيذ مهمات خاصة فعالة لا على تنفيذ مهمات مشاة عادية وذلك اذا ما زود هذه القوات بطائرات هليكوبتر لنقل الرجال والمعدات وطائرات هليكوبتر للقتال والحماية . ومع عدد من التقنيين .

وتعني الملاحظة السابعة عدم قدرة المغرب (حاليا) على رفع كفاءة الدفاع الجوي السوري أو زيادة ضخامة القوة النارية السورية عن طريق تزويد سورية بصواريخ ارض — جو وصواريخ ارض — ارض وشبكات الرادار والتقنيين المدربين اللازمين لاستخدام هذه المعدات المتطورة .

يدلنا هذه الملاحظات بشكل لا يدع مجالا للشك على ان حركة تقريب القوات من المدى الاستراتيجي الى المدى العملياتي او المدى التكتيكي لا يمكن ان تعطي ثمارها وتؤثر على موازين القوى الا اذا تصرفت الدول العربية البعيدة عن ساحة الصراع بشكل ينسجم مع حجم الخطر الامبريالي — الاسرائيلي ، وكرست لقواتها المسلحة طاقة بشرية واقتصادية كبيرة تتناسب مع امكاناتها البشرية ودخلها القومي المرتفع ، وتخلصت نهائيا من قيود التسليح التي تفرضها الولايات المتحدة الامريكية على العرب بغية تأمين تفوق العدو ومساعدته على تكريس عدوانه وفرض شروطه .

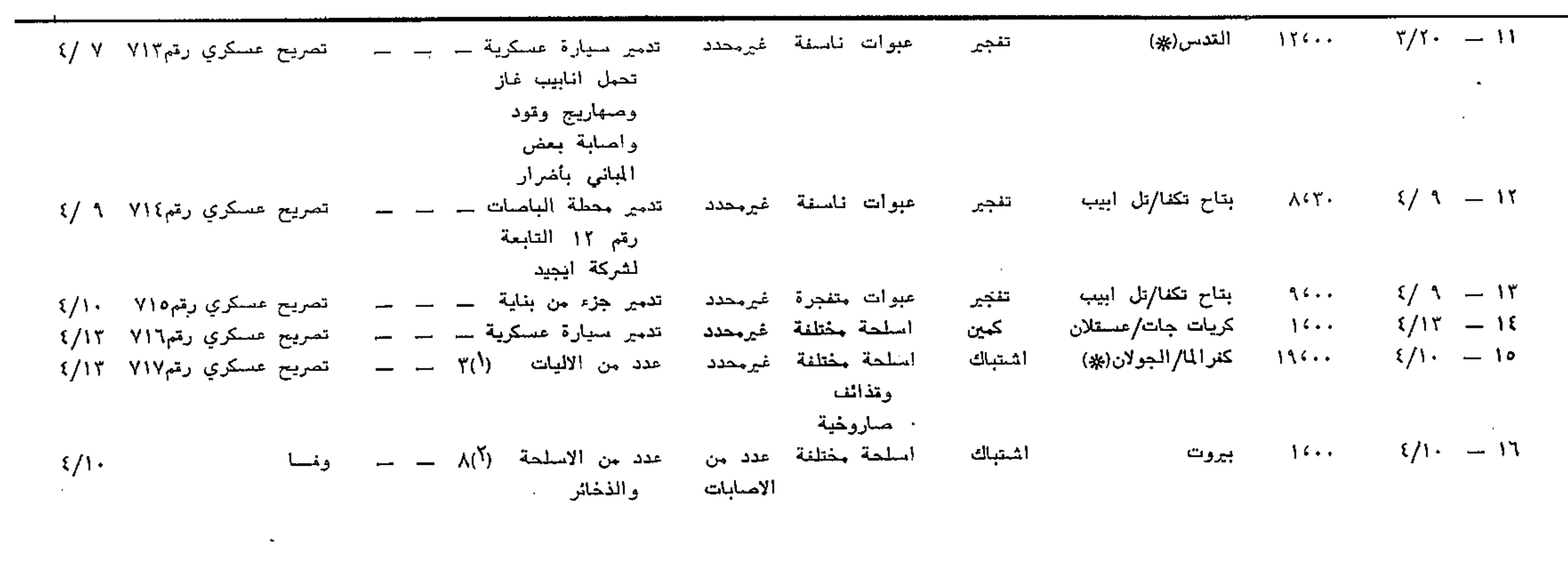
ان القوة المغربية التي وصلت الى سوريه لتعزيز قدرتها العسكرية تبقى — رغم اهمية الفكرة الاستراتيجية الكامنة في مثل هذا العمل — قوة رمزية لا تلعب دورا مؤثرا في تبديل ميزان القوى . وهي كما وصفها رئيس الوزارة السورية الاستاذ محمود الايوبي « ليست حاسمة في المعركة » (الصياد عدد رقم ١٤٨٩) . ولا يمكن تقييمها الا كبداية محدودة تستقي أهميتها من أنها تفتح أمام العرب بعدا جديدا ضروريا هو بعد « عروبة المعركة » بالمعنى الفعلي لا الدعاوي لهذا الشعار القومي الهام .

المقدم الهيثم الايوبي

* ان ذكر الاردن هنا لا يعني انه يقف بالنسبة للصراع العربي — الاسرائيلي في مستوى مصر وسورية والعراق رغم ان الملاحظات الخاصة بحجم التسليح بالنسبة لحجم القوة البشرية والاقتصادية يضعه الى جوار هذه الدول . ويرجع سبب استثناء الاردن هنا الى تصورنا للدوافع الامريكية الكامنة وراء تقوية الاردن عسكريا لا للصراع ضد اسرائيل بل للقيام بدور فعال ضد حركات التحرر الوطني العربية عندما ستلجأ الامبريالية الامريكية الى فتنة الشرق الاوسط على نطاق واسع ، وتحويل الصراع من صراع عربي ضد الامبريالية واسرائيل الى صراع عربي — عربي يخفف حدة النقمة العالمية على الولايات المتحدة ، ويأخذ طابع حرب اهلية تخفي القبضة الحديدية الامبريالية وراء قفاز عربي اسلامي .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٣/١٣ — ١٩٧٣/٤/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١ —	٣/١٥	—	ميناء عسقلان	تفجير	عبوات ناسفة وحارقة	غيرمحدد	اشعال خزانات البترول على امتداد عدة كيلومترات	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٣	٣/١٦
٢ —	٣/١٧	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير سيارة قرب مدرسة الغزالية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٤	٣/١٨
٣ —	٣/١٧	—	القدس	تفجير	قنبلة حارقة ومتفجرة	عدد من الاصابات	حرق وتدمير مطعم «ماناريت» في شارع الزهراء	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٥	٣/١٨
٤ —	٣/١٧	—	يـافا	كمين	غير محدد	١	—	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٦	٣/١٨
٥ —	٣/٢٣	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	عدد من الاصابات	تدمير باص لشركة « دان »	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٧	٣/٢٣
٦ —	٣/٢٤	٩،٣٠	رفح	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	عددمن الاصابات	غير محدد	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٨	٣/٢٤
٧ —	٣/٣٠	—	الخضيرة/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة محطةالباصات المركزية لشركة ايجيد	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٩	٣/٣٠
٨ —	٣/٣٠	١٢،٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى بلدية القدس باضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٠	٣/٣٠
٩ —	٢/١٤	—	تل ابيب(*)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير فيمصنع للحقائب الجلدية في شارع الملك جورج	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١١	٤/ ٤
١٠ —	٣/١١	١٧،٠٠	الخليل(*)	كمين	اسلحة رشاشة وقنابل يدوية	عددمن الاصابات	تدمير باص لشركة ايجيد بين خويلفة وبئر السبع	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٢	٤/ ٧



١١ —	٣/٢٠	١٢٤٠٠	القدس(*)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية تحمل انابيب غاز وصهاريج وقود واصابة بعض المباني بأضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٣	٤/ ٧
١٢ —	٤/ ٩	٨٤٣٠	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير محطة الباصات رقم ١٢ التابعة لشركة ايجيد	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٤	٤/ ٩
١٣ —	٤/ ٩	٩٤٠٠	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوات متفجرة	غيرمحدد	تدمير جزء من بناية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٥	٤/١٠
١٤ —	٤/١٣	١٤٠٠	كريات جات/عسقلان	كمين	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٦	٤/١٣
١٥ —	٤/١٠	١٩٤٠٠	كفرالما/الجولان(*)	اشتباك	اسلحة مختلفة وقذائف صاروخية	غيرمحدد	عدد من الاليات	٣(١)	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٧	٤/١٣
١٦ —	٤/١٠	١٤٠٠	بيروت	اشتباك	اسلحة مختلفة	عدد من الاصابات	عدد من الاسلحة والذخائر	٨(٢)	—	—	وفا	٤/١٠

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٣/١٣ — ١٩٧٣/٤/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١ —	٣/١٤	٢٢٠٠	قرية ابو سنان/الجليل الغربي	تفجير	الغـــام	٣	١	اصابة سيارة جيب	—	—	—	ن. عدد١٨٧ ص٥	٣/١٦
٢ —	٣/١٧	١٢٤٤٠	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سيارة قرب مدرسة الغزالية	—	—	—	ن. عدد١٨٩ ص٢	٣/١٩
٣ —	٣/٢٣	—	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة اوتوبيس لشركة دان	—	—	—	ن. عدد١٩٢ ص٧	٣/٢٣
٤ —	٣/٢٤	—	رفح	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	—	—	—	—	—	ن. عدد١٩٤ ص٣	٣/٢٦
٥ —	٣/٢٤	٦٠٠	زرعيت	اشتباك	اسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد١٩٤ ص٣	٣/٢٦
٦ —	٣/٣٠	٦٤٥	الخضيرة	تفجير	عبوة ناسفة	—	٤	تفجير في محطة اوتوبيسات شركة ايجيد	—	—	—	ن. عدد١٩٨ ص٧	٣/٣٠
٧ —	٣/٣٠	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تفجير في حديقة اوستر امام مبنى البلدية	—	—	—	ن. عدد١٩٩ ص٦	٣/٣١
٨ —	٤/ ٩	٩٤٥	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	—	٢	جرى الانفجار في احد المنازل	—	—	—	ن. عدد٢٠٦ ص٨	٤/ ٩
٩ —	٤/١٠	١٠٠	بيروت(٢)	اشتباك	اسلحة مختلفة	٢	٢	—	٤٠	اصابة		ن. عدد٢٠٧ ص٨	٤/١٠
١٠ —	٤/١١	٢٠٠	كفار علما/الجولان	تفجير	عبوات	—	—	—	٣	—	—	ن. عدد٢٠٨ ص٦	٤/١١

* — اوردنا العمليات في هذا الجدول حسب تسلسل البيانات الصادرة من القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية وبالتالي فان هذه العمليات ليست بتسلسل زمني متتابع .

١ — الشهيد سليمان يوسف « ابو جعفر » — الشهيد خليل عليان مسلم « ربيع » — الشهيد محمد محمود صادق « ابو الرائد » .

٢ — قام العدو بهجوم واسع النطاق استهدف عددا من مساكن قيادات الثورة الفلسطينية في مدينة بيروت وكذلك بعض المكاتب ونشر الرعب في احياء اخرى في كل من بيروت وصيدا ، واستشهد في هذا الهجوم :

١ — الاخ الشهيد محمد يوسف النجار « ابو يوسف » .
٢ — الاخ الشهيد كمال عدوان .
٣ — الاخ الشهيد كمال ناصر .
٤ — الاخ الشهيد صلاح صبحي السبع « جابر » .
٥ — الاخ الشهيد دياب موسى ابو شحادة « ابو السعيد » .
٦ — الاخ الشهيد غانم عبد الرحمن السحامرة .
٧ — الاخ الشهيد زياد فاروق لويس « ابو العيس » .
٨ — الاخ الشهيد محمد سالم ابو سعدة « فتحي خليل ابو النمر » .

كما استشهد من جراء الاشتباكات عدد من الاخوة المواطنين ورجال الامن اللبناني وجرح عدد آخر .

٣ — لمزيد من التفاصيل حول ما ادعته اذاعة العدو حول هذا الاعتداء يرجى مراجعة نشرة رصد اذاعة اسرائيل الاعداد ٢٠٧ و٢٠٨ و٢٠٩ .

تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها

— تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

— ن : نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

— وفا : وكالة الانباء الفلسطينية تصدر يوميا عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

تقرير

عن تصاعد العمليات في الارض المحتلة ١٩٧٢/٨/١ — ١٩٧٣/٢/٢٠

مقدمة : يجمع هذا التقرير الاجزاء المتعلقة بتصاعد العمليات في الارض المحتلة التي وردت في ثلاثة تقارير سياسية صدرت عن مركز التخطيط الفلسطيني . ولهذا جاء مقسما على اساس ثلاث فترات تاريخية . ان الاهمية الخاصة لجمع تلك الاجزاء في تقرير واحد تكمن في الحاجة لمعرفة اوضاع الثورة المسلحة في الارض المحتلة بعد ان تعرضت لحملة تعتيم اعلامي مقصود ، ادى الى جعل الكثيرين حتى ممن يتابعون اخبار الثورة او من المنضمين لصفوف الثورة ، يظنون ان العدو الصهيوني قد نجح بتصفية خلايا التنظيم في الداخل، وقضى على العمليات العسكرية . ولا شك في ان الهدف من وراء ذلك التعتيم ، ومحاولة الايحاء بتصفية نشاط الثورة في الارض المحتلة ، يرمي الى التمهيد لعزل الثورة الفلسطينية على اعتبار انها انتهت، وما عادت هنالك ضرورة لبقائها ، ما دامت لم تعد قادرة على مواصلة الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني على ارض فلسطين .

ان هذه الدراسة المرتكزة على حقائق لا يمكن انكارها ، وقد اعترف العدو نفسه بأكثرها ، لا تبدد التعتيم الاعلامي فحسب ، وانما ايضا ، تشحن الثورة بثقة اكيدة على امكانية مواصلة الكفاح المسلح ، من اجل المضي ، بكل حماسة وعلمية ، لتصعيده . من هنا يجب ان تؤخذ هذه الدراسة بكل جد من قبل كل المناضلين والثوار .

تقرير عن تصاعد العمليات في الارض المحتلة

ما بين ٧٢/٨/١ و ٧٢/١٢/٣١

بالرغم من الضربات العديدة والانتكاسات التي منيت بها الثورة الفلسطينية في المرحلة الماضية فان الثورة مصممة على الاستمرار في نضالها حتى التحرير الكامل . ويأتي انتصار ثورة فيتنام ليؤكد لشعوب العالم المستضعفة ولكل القوى المتخاذلة في الصفوف العربية ان الطريق الوحيد لهزيمة العدو المتغطرس ، مهما عظمت قوته هو طريق الكفاح الشعبي المسلح طويل الامد . وان الثورة الفلسطينية التي آمنت بذلك منذ انطلاقتها ، استعادت المبادرة من جديد ونجحت في اعادة تنظيم صفوفها داخل الارض المحتلة لتعود الى كيل الضربات الى العدو الصهيوني الذي ادعى ان الثورة الفلسطينية قد انتهت داخل الاراضي المحتلة .

ان العمليات المتصاعدة داخل الاراضي المحتلة تضطر مراجع العدو نفسها الى الاعتراف بها ، بالرغم من صمت اجهزة الاعلام العربية وتعتيمها .

ان هذه العمليات تأتي مع انتصار ثورة فيتنام لتؤكد ان الثوار الفلسطينيين يسيرون على خطى رفاقهم في فيتنام مصممين على النضال الطويل حتى النصر .

بعد هدوء دام بضعة اشهر في اعقاب مجازر تموز ١٩٧١ في الاردن عادت الالغام والقنابل تتفجر في غزة والضفة والوطن المحتل ١٩٤٨ ، وعادت الوحدات المقاتلة تشتبك وجها لوجه مع دوريات العدو الصهيوني . وبالرغم من محاولات فرض جو الهزيمة والاستسلام والتراجعات على الوطن العربي ، وبالرغم من الحصار المضروب على الثورة الفلسطينية ، فقد استمرت عمليات ثوارنا في التصاعد داخل الارض المحتلة . وقد رافق دوي القنابل والرصاص صمت اعلامي رهيب من جانب الاذاعات والصحف العربية . كل ذلك من اجل انكار وجود الثورة داخل الارض المحتلة ، ونفي قدرتها على الاستمرار تمهيدا لضربها واشاعة روح الهزيمة والاستسلام . يهدف التعتيم الاعلامي على تصاعد عمليات ثوارنا داخل الارض المحتلة الى اظهار الثورة وكأنها انتهت تماما ، ولم تعد ثمة امكانات لتطوير الكفاح المسلح ، او الاستمرار به حتى لا تبقى من جدوى غير البحث عن حلول تصفوية من خلال الترامي على اعتاب الدول الكبرى والعرش الهاشمي والعدو الصهيوني .

ان هذه المراجعة للعمليات العسكرية التي قامت بها الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة في خمسة الاشهر الماضية ، والتي اعترف العدو باغلبها ، تتطلب اخذها بكل جدية والخروج منها بالاستنتاجات الصحيحة ليس لدحض الافكار والاتجاهات الاستسلامية ودحر كل المشاريع التصفوية والمؤامرات الرامية لتنكيس البنادق والتخلي عن طريق الثورة فحسب وانما ايضا من

اجل تكريس خط الثورة ، والانطلاق بعزيمة اشد وايمان في طريق تطوير الوضع الذاتي لثورتنا وتقويته والمحافظة على بنادقنا وتوسيع كفاحنا المسلح ونضاله الجماهيري . وكان هناك الى جانب العمليات العسكرية نشاط ملحوظ في اعادة التنظيم والبناء في الداخل ويدل على ذلك اعتراف العدو بالقاء القبض على خلايا فدائية والعثور على مخابيء اسلحة وانتشار موجة توزيع المناشير التي لم يخف العدو انزعاجه الشديد منها .

ومن هنا فان مراجعة تفصيلية لجداول العمليات المرفقة تؤكد ان الاستنتاجات اعلاه مبنية على وقائع وحقائق لا يمكن لاحد انكارها ، كما ان ذلك يتيح تلمس الخطوط العريضة للمهمات المرحلية التي يجب على الثورة تنفيذها ، خاصة ، مسألة تطوير الكفاح المسلح كميا ، ونوعيا . ولكن قبل اجراء هذه المراجعة لجداول العمليات لا بد من لفت النظر الى : ١ — ان العمليات التي تشملها الجداول المرفقة تغطي الفترة بين ٧٢/٨/١ الى ٧٢/١٢/٣١ وهي التي وردت في بلاغات صادرة عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية والعمليات التي اعترف بها العدو ولم تصدر بها بلاغات عن القيادة العامة ، والعمليات التي صدرت عن القيادة العامة واعترف بها العدو . اما العمليات التي قامت بها مختلف فصائل الثورة والتي لم يعترف بها العدو ولم ترد بها بلاغات من القيادة العامة فانها لا تدخل في جدول العمليات . ٢ — بالنسبة لجدول عمليات المرتفعات السورية (الجولان) فقد يحدث ان يعترف العدو بعدة عمليات في يوم واحد ، وتصدر عن القيادة العامة بلاغات عن عمليات حصلت في اليوم نفسه ولكن في اماكن مختلفة وليس واضحا ما اذا كانت هذه العمليات متطابقة وان اختلاف المناطق ليس اختلافا وقد تكون المنطقة المذكورة في بلاغات القيادة العامة تشمل المنطقة التي اعترف العدو بوقوع الحادث فيها او العكس . ٣ — ان العدو يعترف في اذاعته باللغة العبرية بالعمليات التي تقع امام مشهد اليهود ولا يأتي على ذكرها في اذاعته العربية وكذلك يفعل بالعمليات التي تقع على مشهد العرب حيث يعترف بها في اذاعته باللغة العربية ولا يأتي على ذكرها في اذاعته باللغة العبرية . ولعل هذا ما يفسر عدم تطابق بلاغات الثورة مع ما يعترف به العدو في المرتفعات السورية .

لذلك فان مجموع العمليات لا يمكن ان يكون دقيقا بشكل كامل . والمهم في الامر ملاحظة نوعية العمليات في المناطق المختلفة ونسبة ما يعترف به العدو .

والمناطق التي شملتها العمليات مقسمة على النحو التالي : الاراضي المحتلة ١٩٤٨ ، الضفة الغربية ، قطاع غزة ، المرتفعات السورية (الجولان) .

أ — الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ :

اعترف العدو في اذاعته باللغة العبرية ان مجموع الاعمال الفدائية داخل الخط الاخضر خلال سنة ١٩٧٢ بلغ ١٨ عملية . ولكن الناطق العسكري الصهيوني ، كما ورد في « وفا » ، كان قد اعترف في ٨/١ بوقوع ١٤ عملية في المناطق المحتلة خلال شهر تموز فقط : ٩ عمليات على الساحل الفلسطيني ، ٤ عمليات في الجليل الاعلى وعملية في النقب . تبقى ٤ عمليات ، حسب اعتراف الناطق الصهيوني ، نفذت خلال السنة كلها فيما عدا شهر تموز . وهذا يتناقض بشكل فاضح مع اعترافات العدو التي نشرت خلال الاشهر الخمسة الاخيرة من عام ١٩٧٢ . اذا نظرنا الى الجدول فاننا نجد ان مجموع العمليات بلغ اكثر من ٣٩ عملية ، ويرتفع هذا الرقم اذا ادخلنا في الحساب الحرائق المتعمدة التي اعترف بها العدو وخاصة في بئر السبع والجليل الغربي . اما عدد العمليات التي اعترف بها العدو بطريقة مباشرة او غير مباشرة (مثل الاشارة الى عطل في محطة كهرباء ، او حريق) فقد بلغ اكثر من ٢٩ عملية .

تركزت معظم العمليات في منطقة تل ابيب كما شملت مناطق : حيفا ، الجليل ، يافا ، ناتانيا ، العفولة ، بئر السبع ، عكا وايلات . والاغلبية الساحقة من العمليات تمت بوضع عبوات ناسفة وحارقة في اماكن يصعب الوصول اليها مثل المطاعم والمصانع والمباني ، اي في اماكن ليست بعيدة عن التجمعات البشرية . وحدثت ثلاث عمليات مواجهة: فقد حصل اشتباك بحري في الشريط بين نهاريا وحيفا ، ووقع اشتباك مع فدائي تسلل من الاردن قرب ايلات ، كما تم اعداد كمين لناقلتي جنود وشاحنة ذخيرة على طريق حيفا — عكا . ومن ابرز هذه العمليات : عملية مصنع اسلحة عوزي ، عملية المدرسة العسكرية في عسقلان ، عملية مطعم العفولة ، عملية مبنى شالوم وعملية مصنع تروم اسبست .

(الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨)

** ١ — ٨/١ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى الصندوق القومي .

* ٢ — ٨/٦ تل ابيب ، انفجار قنبلة في حي .

* ٣ — ٨/١٢ تل ابيب ، انفجار عبوات ناسفة وحارقة في محلات « داليا » .

* ٤ — ٨/٢٢ ناتانيا ، اكتشاف عبوة زنتها ١٠٥ كيلو .

٥ — ٨/٢٧ عسقلان ، عبوات ناسفة حارقة في المدرسة العسكرية .

** ٦ — ٩/٧ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في منجرة ومستودع اخشاب .

** ٧ — ٩/٨ بين حيفا ونهاريا ، اشتباك بحري بالمدافع الثقيلة .

٨ — ٩/٩ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في محطة كهرباء .

** ٩ — ٩/١٣ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى ليلي .

١٠ — ٩/١٣ بتاح تكفا ، تفجير عبوات حارقة في مستودع خشب .

١١ — ٩/١٥ بتاح تكفا ، تفجير عبوات ناسفة في متاجر وبنايات .

** ١٢ — ٩/١٧ بين تل ابيب وبتاح تكفا ، تفجير عبوات حارقة في مستودعات كريات حوليم .

١٣ — ٩/١٨ بين مجيدو وحيفا ، تفجير عبوات ناسفة في مصنع اسلحة عوزي .

١٤ — ٩/٢٢ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في سيارة .

** ١٥ — ٩/٢٩ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في احد مصانع سكب الحديد .

* ١٦ — ١٠/٥ رحوفوت ، حريق في محكمة الصلح .

** ١٧ — ١٠/١٣ ناتانيا ، تفجير عبوات ناسفة في بنك العمال .

** ١٨ — ١٠/١٥ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في محطة كهرباء .

** ١٩ — ١٠/١٥ حيفا ، تفجير عبوات ناسفة في محطة كهرباء .

** ٢٠ — ١٠/١٩ كريات اوتو/تل ابيب ، تفجير عبوات في سيارة شحن .

** ٢١ — ١٠/٢٩ العفولة ، تفجير عبوات ناسفة في مطعم .

** ٢٢ — ١٠/٢٩ بئر السبع ، حرق مستودع اعمدة كهرباء .

٢٣ — ١٠/٣٠ كريات آسا/حيفا ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى .

** ٢٤ — ١٠/٣١ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى شالوم .

* ٢٥ — ١٠/٧ تل ابيب ، حريق في المركز العام لكوبات حوليم .

٢٦ — ١٠/٧ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة حارقة في مركز زيادة الانتاج العمالي .

** ٢٧ — ١١/٩ بئر السبع ، حريق في منجرة ومستودع اخشاب .

٢٨ — ١١/١١ يافا ، تفجير عبوات في متاجر .

** ٢٩ — ١١/١٨ اشدوت يعقوب ، انفجار الغام بجنود العدو .

** ٣٠ — ١١/١٩ حيفا ، تفجير عبوات حارقة في ملهى بيجال .

* ٣١ — ١١/٢٣ سفوح الكرمل ، حرائق في بساتين .

* ٣٢ — ١١/٢٨ لهبوت هباشان ، انفجار بشابين .

٣٣ — ١٢/١ تل ابيب ، حريق في مصنع للتوابل .

* ٣٤ — ١٢/٧ بئر السبع ، انفجار قنبلة .

** ٣٥ — ١٢/٣ بين حيفا وعكا ، كمين اسلحة مختلفة لسيارتين عسكريتين ذخيرة وشاحنة .

** ٣٦ — ١٢/١٠ عكا ، تفجير عبوات في مصنع تروم اسبست .

* ٣٧ — ١٢/١٥ ايلات ، اشتباك مع فدائي .

** ٣٨ — ١٢/٣١ تل ابيب ، القاء عدة قنابل مولوتوف على مستودعات للمواد الاستهلاكية .

* شهر ٩ بئر السبع ، ٥ حرائق متعمدة .
* ١١/٢٣ الجليل الغربي ، ٨ حرائق في بساتين .

ملحوظة :

النجمتان على يمين العملية في هذا الجدول — وفي الجداول الاخرى — تشير الى العمليات التي اعترف بها العدو واصدرت قيادة الثورة بلاغا بها . اما النجمة الواحدة فتشير الى العمليات التي اعترف بها العدو ولم يصدر بلاغ رسمي في قيادة الثورة بها . اما العمليات التي لا تحمل نجوما فهي التي صدر بها بلاغ من قيادة الثورة ، ولم يعترف بها العدو .

ب — الضفة الغربية :

اما في الضفة الغربية فقد بلغ مجموع العمليات ٣٣ عملية اعترف العدو بـ ٢٢ منها . وهناك ملاحظة بالنسبة لعمليات الخليل ، حيث انه من ٨/١ — ٩/١٢ اعترف العدو بعمليتين فقط في منطقة الخليل ولكنه في اعترافه بالعملية الثانية لاحظ العدو ازدياد النشاط « التخريبي » في منطقة الخليل وفي هذه الفترة كانت الثورة قد اعلنت عن ٦ عمليات. ان الطابع المميز لعمليات الضفة الغربية هو الكمائن والهجوم بالاسلحة الخفيفة بالدرجة الاولى واستعمال القنابل اليدوية بالدرجة الثانية جنبا الى جنب مع الاسلحة الرشاشة . واهم الاهداف هي الدوريات العسكرية ، وسيارات نقل للعدو . وقد تركزت الكمائن والهجمات والاشتباكات التي سيطر عليها طابع المواجهة في منطقة الخليل اذ بلغ مجموعها ١٠ عمليات مواجهة . وقد حدثت عمليات مواجهة في مناطق اخرى ولكن بكثافة اقل ، في نابلس ، طولكرم ، بيت لحم ، رام الله والقدس . اما وضع العبوات الناسفة والحارقة فقد تركزت بشكل رئيسي في القدس . وتأتي هذه العمليات في المرتبة الثانية بعد عمليات المواجهة . واهم هذه العمليات عملية السوبر ماركت ، ومصنع الكرتون، ومبنى البريد ، ومبنى شتراوس ومبنى تجمع الشباب في القدس . وقد احتلت نابلس المرتبة الثانية بعد القدس من ناحية وضع العبوات الناسفة ولكن الاماكن التي وضعت فيها ليست على درجة اهمية الاهداف في القدس . ان عودة التحرك في نابلس قد جعلت العدو يقوم بحملات تفتيش واعتقالات كبيرة في المدينة .

الضفة الغربية

١ — ٨/٢ القدس ، كمين لاثنين من جنود العدو .

٢ — ٨/٥ قبلان/نابلس ، تفجير في مبنى دائرة العمل (عبوات ناسفة) .

٣ — ٨/٨ جنين ، تفجير عبوات ناسفة وصواريخ على مقر الحاكم العسكري .

٤ — ٨/٢٢ طريق عجور — بيت جبرين/الخليل ، كمين اسلحة خفيفة ورشاشة .

٥ — ٨/٢٥ بين يطا والخليل ، كمين قنابل يدوية ورشاشات .

** ٦ — ٨/٣١ طريق القدس — نابلس/نابلس ، كمين اسلحة خفيفة على باص .

** ٧ — ٩/٢ بين رام الله والقدس ، كمين لباص بالمدافع الرشاشة .

٨ — ٩/٧ الخليل ، كمين لباص صهيوني (حادث صدام*) .

٩ — ٩/١٠ منطقة دورا ، كمين ، هجوم بالار. ب. ج. ورشاشات خفيفة .

** ١٠ — ٩/١١ بين حلحول والخليل ، كمين لسيارة عسكرية : قنابل يدوية ورشاشات .

* ١١ — ٩/١٢ بين حلحول والقدس ، هجوم على سيارة ركاب بالبازوكا .

** ١٢ — ٩/١٥ الخليل ، هجوم اسلحة مختلفة على دورية .

١٣ — ٩/١٥ يطا — الخليل ، اشتباك مع دورية — اسلحة خفيفة .

* ١٤ — ٩/٢٩ يدحنا/طولكرم ، اكتشاف شحنة متفجرة .

** ١٥ — ٩/٢٩ القدس ، تفجير عبوات ناسفة في سوبر ماركت .

** ١٦ — ٩/٢٩ بزاريا/طولكرم ، هجوم اسلحة رشاشة على دورية .

** ١٧ — ١٠/٢ القدس ، عبوات ناسفة في مصنع كرتون .

١٨ — ١٠/٧ القدس ، شاب يطعن جندي صهيوني .

١٩ — ١٠/١٩ غرب الخليل ، هجوم قنابل واسلحة رشاشة .

** ٢٠ — ١٠/٣٠ بيت لحم ، كمين اسلحة رشاشة .

** ٢١ — ١٠/٣١ نابلس — طولكرم ، تفجير عبوات ناسفة على طريق .

* ٢٢ — ١٠/١٠ الخليل ، انفجار عبوة قرب المقبرة .

** ٢٣ — ١١/٢ القدس ، عبوات في مبنى البريد وحرق الارشيف .

** ٢٤ — ١١/١١ نابلس ، عبوة ناسفة في سـيارة .

** ٢٥ — ١١/١٢ بين اللطرون ورام الله ، كمين اسلحة مختلفة لشاحنة .

** ٢٦ — ١١/٢١ القدس ، حريق في مبنى شتراوس نتيجة تفجير عبوات حارقة .

** ٢٧ — ١١/٢٩ القدس ، عبوات ناسـفة حارقة في مبنى تجمع الشباب .

** ٢٨ — ١١/٢٩ القدس ، حرق باص ايجد .

٢٩ — ١٢/١ بير النحاس/ الخليل ، هجوم اسلحة مختلفة .

** ٣٠ — ١٢/١٠ القدس ، القاء قنبلة مولوتوف على باص ايجد .

** ٣١ — ١٢/١٣ القدس ، عبوات ناسفة في مستودعات (اعتراف بالحريق) .

* ٣٢ — ١٢/١٥ نابلس ، انفجار عبوة ناسفة قرب مكتب العمل .

* ٣٣ — ١٢/١٦ نابلس ، اكتشاف عبوة موقوتة لم تنفجر بالقرب من المسلخ البلدي .

ملاحظة : * اعتبرت القدس الجديدة في منطقـة الضفة الغربية وليس في منطقة ما وراء الشريط الاخضر .

* للنجوم ذات المدلول كما في الجدول الاول .

جـ — قطاع غزة :

اما في قطاع غزة فقد كـان مجموع العمليات ٢٩ عملية اعترف العدو بمعظمها (٢٦ عملية) . وهناك ملاحظة هامة بالنسبة للقطاع وهي انخفاض عـدد العمليات في القطاع في شهر كانون الاول انخفاضا كبيرا . وفي حين كانت الكمائن بالاسلحة الخفيفة هي الطابع المسيطر على عمليات الضفة الغربية فان القاء القنابل اليدوية كان الطابع المميز لعمليـات القطاع وتأتي الاسلحة الخفيفة بالدرجة الثانية . والقاسم المشترك بين عمليات الضفة وعمليـات القطاع هو تميز العمليات بطابـع المواجهة ان في الكمائن او الهجوم او الاشتباكات . اما الاهـداف فقد كانت بشكل اساسي دوريات العدو وسياراته وباصاته . والعملية البارزة في القطاع هي محاولة اغتيال الشوا التي استعملت فيها القنابل اليدوية والمسدسات وتأتي بعد عمليات المواجهـة عمليات وضع العبوات الناسفة والالغام ولكن في الاماكـن البعيدة عن التجمعات البشرية مثل الطرقات وسكك الحديد . وبذلك تختلف عمليات وضع العبـوات عن عمليات المناطق المحتلة ١٩٤٨ وعمليات القدس حيث توضـع العبوات بشكل رئيسي في اماكـن يصعب الوصول اليها .

ملاحظة : ورد في صحيفة هاتسوفيه بتاريخ ١٥/ ٧٢/١٢ ان : ١ — عدد العمليات في قطاع غزة خلال اب وايلول بلغ ٣٢ عملية . واذا نظرنا الى الجدول نرى ان هـذا العدد لم يتجـاوز العشرة حسب اعترافات الناطق الصهيوني في اذاعته العبرية . ٢ — يعاني القطاع نقصا في السلاح بعد تسييج مشارف رفح وقطع الطريق على وصول الاسلحة الموجودة بكثرة في سيناء الى القطاع ولعل هذا مـا يفسر الطابع المميز لعمليات غزة الا وهو القـاء القنابل اليدوية . فقد اشارت صحيفة هاتسوفيه بتاريخ ٧٢/١٢/١٥ انه « .. خلافا لسنوات سابقة يعاني القطاع الان نقصا شديدا في الاسلحة ومعدات التخريب ، بعد ان كان مليئا بالمعدات العسكرية . لذلك واجه « المخربون » .. صعوبات . فقد كان معظم القنابـل التي القيت في الحوادث الاخـيرة صدئا ، او دون جهاز ، او كانت قنابل فقدهـا الجيش الاسرائيلي ، كما يبدو » . وبالرغم من ذلك فان ارادة القتال لم تتوقف وكـان « من بين مـا استعمله « المخربون » العبوات الموقوتة وقد دربوا على اعداد مواد كيماوية يمكن الحصول عليها من سوق المدينة ومن الصيدليات » . حسب تعبـير الصحيفة .

قطاع غزة

* ١ — ٨/٢٥ غزة ، القاء قنبلة على سيارة مدنيـة .

** ٢ — ٨/٢٧ جباليا ، القاء قنبلة على سيارة عسكرية .

* ٣ — ٨/٣٠ خان يونس ، القاء قنبلة عـلى باص ايجد .

** ٤ — ٨/٣١ دير البلح ، القاء قنبلة على سيارة للبلدية .

* ٥ — ٩/١ دير البلح ، القاء قنبلة على سيارة عسكرية .

** ٦ — ٩/١ خان يونس ، انفجار لغم بسيارة دورية .

** ٧ — ٩/٤ غزة ، كمين لرشاد الشوا : قنابل ومسدسات .

* ٨ — ٩/١٤ غزة اطلاق نار على سيارة .

٩ — ٩/٢٥ دير البلح ، كمين قنابل ورشاشات .

١٠ — ٩/٢٤ خان يونس ، عبوات ناسفة في سكة الحديد .

** ١١ — ٩/٢٦ البريج ، كمين قنابل ورشاشات لدورية .

** ١٢ — ٩/٢٩ غزة ، القاء قنبلة يدوية على سيارة عسكرية .

** ١٣ — ١٠/٢ غزة ، القاء قنبلة يدوية على سيارة عسكرية .

** ١٤ — ١٠/٥ غزة ، القاء عبوة ناسفة على سيارة عسكرية .

** ١٥ — ١٠/١٣ غزة ، القاء قنبلة يدوية .

** ١٦ — ١٠/١٤ جباليا ، انفجار عبوة ناسفة في الشارع بسيارة عسكرية .

* ١٧ — ١٠/١٥ خان يونس ، اطلاق الرصاص على باصين ايجد .

** ١٨ — ١٠/١٩ رفح ، القاء قنبلة على باص ايجد .

* ١٩ — ١٠/٢٢ العريش ، تفجير قذيفة هاون في مبنى البريد .

٢٠ — ١٠/٢٧ الشاطىء ، كمين لدورية .

** ٢١ — ١٠/٣١ الشاطىء ، اشتباك اسلحة مختلفة : رشاشات وقنابل .

** ٢٢ — ١١/٢ الشاطىء ، كمين لدورية : عبوات ناسفة مسيطر عليها فنيا .

** ٢٣ — ١١/٥ الشاطىء ، القاء قنبلة يدوية على دورية .

** ٢٤ — ١١/٧ غزة ، عبوات ناسفة في سكة الحديد .

* ٢٥ — ١١/٧ غزة ، القاء عبوة على سيارة مدنيسة .

* ٢٦ — ١١/١٣ خان يونس ، انفجار لغم بجرار زراعي .

* ٢٧ — ١١/١٦ غزة ، العثور على قنبلة لم تنفجر .

* ٢٨ — ١٢/٢٤ خان يونس ، عبوات ناسفة في سكة الحديد .

* ٢٩ — ١٢/٢٦ غزة ، هروب باص من دورية صهيونية .

د — المرتفعات السورية (الجولان) :

كان مجموع العمليات في المرتفعات السورية (الجولان) ٦١ عملية اعترف العدو بـ ٣٠ منها . ومن الملاحظ ان العمليات التي تصدر عن القيادة العامة لا يعترف بها العدو في حين يعترف بعمليات لم تصدر عن القيادة العامة . وقلما ترد بلاغات متصلة بين القيادة العامة ومصادر العدو . وكما اشرنا في السابق قد يكون عدم التطابق ناتج عن كيفية تحديد المناطق التي تحصل فيها العمليات . وبالرغم من ان العدو اعترف بـ ١٢٢ عملية في الجولان خلال سنة ١٩٧٢ وكان هذا اكبر عدد بالنسبة لبقية المناطق ، الا ان عدم اعتراف العدو بالعديد من العمليات التي اعلن عنها الناطق باسم القيادة العامة ما هو الا نتيجة تطبيق سياسة العدو في عدم الاعتراف بالعمليات التي تحدث على الحدود بعيدا عن اعين المستوطنين الصهاينة ، او العرب. ان الطابع المميز لعمليات الجولان هو القصف بالصواريخ والقذائف . وتأتي بالدرجة الثانية الالغام التي تزرع على الطرق وفي المزارع وتنفجر بالدوريات والجسرارات الزراعية . اما معارك المواجهة كالكمائن والاشتباكات واطلاق الرصاص على دوريات فانها قليلة نسبيا ، وليس واضحا فيما اذا كان الهجوم بالصواريخ يحمل طابع المواجهة ام لا .

الجــولان

* ١ — ٨/٢ ناحال هاجولان ، هجوم بالكاتيوشا .

* ٢ — ٨/٥ موقع في الجولان ، قذيفة بازوكا .

٣ — ٨/٨ معسكر ابو زيتون ، قصف مدفعية ثقيلة .

** ٤ — ٨/٢٠ سعد بطاح ، هجوم قذائف صاروخية واسلحة مختلفة .

٥ — ٨/٢٠ حيفل وجبين ، قصف هاون وقذائف صاروخية ورشاشات .

٦ — ٨/٢٢ خربة العرايس ، هجوم صواريخ ثقيلة .

٧ — ٨/٢٩ شعار هاجولان ، هجوم صواريخ ثقيلة .

٨ — ٨/٢٩ بين الدبوسية والفرضاوي ، انفجار لغم بآلية .

* ٩ — ٨/٢٩ ناحال هاجولان ، قصف قذيفة .

* ١٠ — ٨/٣٠ ناحال هاجولان ، قصف قذائف .

١١ — ٨/٣١ العال وجبين وحتيل ، قصف هاون ومدفعية ثقيلة ورشاشات .

١٢ — ٨/٣١ معسكر ابو خيط ومعسكر ابو الخيطان ، هجوم مدفعية هاون ثقيلة .

* ١٣ — ٨/٣١ رمات مغشيميم ، قصف مدفعية هاون ثقيلة .

* ١٤ — ٩/٣ مجدل شمس ، هجوم على دورية.

* ١٥ — ٩/٤ بقعاتا ، تفجير الغام .

* ١٦ — ٩/٤ القنيطرة ، قصف قذائف .

* ١٧ — ٩/٨ خسفين ، قصف قذائف .

* ١٨ — ٩/١١ معسكر ابو خيط ، هجوم مدفعية هاون ثقيلة .

١٩ — ٩/١٢ القنيطرة ، هجوم قذائف صاروخية .

* ٢٠ — ٩/١٢ حصنية ، قصف بازوكا .

٢١ — ٩/١٤ بانياس ، كمين .

٢٢ — ٩/١٥ تل ابو السقي ، قصف هاون .

٢٣ — ٩/١٥ ابو خيط ، تفجير الغام .

٢٤ — ٩/١٥ بين رويسة الحمراء وسحيتا ، تفجير الغام .

* ٢٥ — ٩/١٥ ناحال هاجولان ، قصف قذائف .

* ٢٦ — ٩/١٥ خسفين ، قصف قذائف .

* ٢٧ — ٩/١٥ رمات مغشيميم ، تفجير الغام .

* ٢٨ — ٩/١٥ مجدل شمس ، العثور على عدة الغـام .

٢٩ — ٩/١٦ القنيطرة ، قصف صواريخ .

٣٠ — ٩/١٦ تل ابو الذهب ، قصف مدفعية هاون.

** ٣١ — ٩/١٧ القنيطرة وناحال جولان ، قصف صواريخ .

٣٢ — ٩/١٧ جبين ، قصف صواريخ .

٣٣ — ٩/١٨ جبين ، هجوم اسلحة مختلفة على دورية .

٣٤ — ٩/١٨ بين القنيطرة والخشفية ، تفجير عبوات ناسفة في جسر .

٣٥ — ٩/١٨ مسعدة/القنيطرة ، قصف صواريخ .

٣٦ — ٩/١٩ ناحال هاجولان ، قصف قذائف .

٣٧ — ٩/٢٠ تل ابو الذهب ، الغام .

٣٨ — ٩/٢٠ الجولان ، قصف صواريخ .

* ٣٩ — ١٠/١٠ بقعاتا ، عبوة ناسفة على طريق ترابي .

** ٤٠ — ١٠/٢٤ شمالي بقعاتا ، انفجار في جسر .

** ٤١ — ١٠/٢٤ ناحال هاجولان ، تفجير عبوة.

٤٢ — ١٠/٢٨ تل شيحة ، تفجير الغام ببلدوزر .

** ٤٣ — ١١/٢ بقعاتا ، اشتباك اسلحة مختلفة ، معركة مواجهة .

٤٤ — ١١/٦ جبين وحتيل ، هجوم صواريخ وهاون .

* ٤٥ — ١١/٦ ناحال هاجولان ، هجوم بقذائف الهـاون .

** ٤٦ — ١١/٨ بقعاتا ، انفجار عبوة بجرار زراعي .

٤٧ — ١١/٩ كفر الماء ، هجوم صواريخ .

٤٨ — ١١/١٦ الجولان ، هجوم اسلحة مختلفة .

** ٤٩ — ١١/١٧ بين خسفين وناحال هاجولان ، تفجير الغام.

* ٥٠ — ١١/١٧ ناحال هاجولان ، اطلاق رصاص.

* ٥١ — ١١/١٧ الجولان ، الغام وقذائف هاون.

* ٥٢ — ١١/٢١ ناحال هاجولان ، تفجير الغام .

٥٣ — ١٢/٣ الجولان ، تفجير شبكة الغام .

٥٤ — ١٢/٧ الدبوسية ، هجوم قذائف صاروخية واسلحة خفيفة ، اشتباك .

٥٥ — ١٢/٧ جسر الرقاد ، صواريخ في موقع .

* ٥٦ — ١٢/١٥ وادي رقاد ، قذائف هاون .

* ٥٧ — ١٢/١٥ ناحال هاجولان ، العثور على قذيفتي بازوكا وثلاثة الغام .

٥٨ — ١٢/٢١ تل موسى ، اشتباك قذائف صاروخية واسلحة مختلفة .

* ٥٩ — ١٢/٢٦ ناحال هاجولان ، هجوم بالقذائف الموقوتة .

* ٦٠ — ١٢/٢٩ الجولان ، العثور على بقايا انفجار كاتيوشا .

٦١ — ١٢/٣٠ تل الصرفان ، هجوم قذائف صاروخية واسلحة مختلفة ومدفعية هاون .

خلاصة عامة :

اذا كانت الارقام تشير الى تصاعد كمي بارز في العمليات العسكرية فان هذا ليس كل ما يحمله هذا التصاعد من دلالات . فهناك مسألة نوعية تلك العمليات واماكن تنفيذها حيث يلاحظ ان اغلبية العمليات قد نفذت في العمق على طول الشريط الممتد من غزة جنوبا حتى الجليل شمالا بما في ذلك نقاط في العمق تقع في قلب مواقع العدو مثل تل ابيب وناتانيا والعفولة ، وهي مناطق ليس من السهل وصول الثورة اليها . والاهم ان تلك العمليات شملت عمليات القاء قنابل يدوية على السيارات العسكرية الصهيونية والغام وعبوات في مواقع استراتيجية ، وقذائف واشتباكات باسلحة خفيفة حسب اعتراف الناطق الصهيوني نفسه . ولكل ذلك دلالته على قدرة الثورة على مواصلة الكفاح المسلح وتصعيده والمضي حتى النهاية في حرب التحرير .

موقف العدو من تصاعد العمليات :

ان العمليات الفدائية ، والخلايا التي لم تتم بأي عمل عسكري ، والمناشير التي توزع ، كل هذه اثارت العدو وجعلت قادته يصدرون التصريحات المتضاربة حول تصاعد نشاط المقاومة في الداخل ، فالعمل في الداخل يفسر تارة على انه نتيجة للفشل في الخارج وطورا يفسر العمل في الخارج على انه نتيجة للفشل في الداخل .

في ١٠/٢٩ قال حاييم هرتسوغ : « نحن نواجه صراعا مع « المخربين » خارج البلاد نتيجة لفشلهم المنزل هنا وعلى طول الحدود » . وقال اهارون ياريف في ١٠/٢٩ : « ان المنظمات « التخريبية » لجأت الى اعمال الارهاب لانها حشرت في الزاوية الا اننا يجب ان نرى هذه العمليات كجزء من مقاومة اعمال عديدة ومتنوعة » . اما هليل فقد قال في ١٠/٢ : **علينا ان نعد انفسنا لمواجهة تجدد** « الارهاب » على طول الحدود وداخل اسرائيل . وقد دعا الوزير الجماهير في اسرائيل الى زيادة يقظتها . وفي ١٠/١٢ دعت صحيفة عال همشمار الى الاستعداد جيدا ضد « الارهاب » داخل دولة اسرائيل لانه كلما قل خطر الصدام العسكري في الجبهة يتزايد خطر « التخريب والارهاب » . اما العميد شلومو غازيت ، المسؤول عن تنسيق الاعمال في المناطق المحتفظ بها فقد تحدث معمراسل اذاعة العدو العسكري روني دانييل في ١٠/١٤

واعتبر ان الاسباب الرئيسية لتجدد وازدياد اعمال « التخريب » في اسرائيل متشعبة . وقال : « قبل كل شيء انا اعتبر هذا محاولة متجددة تقوم بها منظمات « التخريب » لاستئناف النشاط بأي ثمن خصوصا نتيجة لفشلهم في كل مكان اخر . وحتى نشاطهم خارج البلاد الذي يظل في نطاق الاعمال الاستعراضية ، فان الامكانيات المتوفرة له ضيقة جدا . ومن هنا ، فقد كان عليهم ان يحاولوا بكل ثمن القيام باية عملية ، اذا ارادوا ان يثبتوا انهم ما زالوا موجودين » . اما عن الاسباب لزيادة العمليات في هذه الفترة بالذات فقد ارجعها غازيت الى اربعة اسباب :

١ — حركة الزيارة في المناطق في فصل الصيف الذي هو اكثر سهولة وراحة . (ان التنقل بين الاراضي المحتلة و « اسرائيل » كان سهلا في فترة الصيف وخاصة ان اسرائيل كانت تريد ان تفيد الى اكبر درجة من الناحية الاعلامية وفي حربها النفسية ضد العرب ولذلك سهلت الزيارات في المناطق وحسب التقارير الداخلية الواردة فانه كان من السهل جدا التنقل في كل انحاء اسرائيل دون ان يسأل الزائر عن تصريح او هوية) . ٢ — الفترة الزمنية التي يتطلبها اعداد وتشغيل الشبكات الجديدة بعد كل فشل تمنى به شبكة « تخريبية » .

٣ — الاعمال الاستعراضية خارج البلاد — عملية طائرة سابينا — « مذبحة » اللد ، وعملية ميونيخ. هذه الاعمال خارج البلاد بالذات تشكل حافزا وعوامل ضغط على الشبكات الداخلية لمحاولة القيام باعمال في الداخل ايضا . ٤ — ارسال بعض الافراد غير القلائل لاقامة الشبكات من جديد، لتجنيد الافراد ، تنظيمهم وتدريبهم وتوجيههم وبعض هؤلاء جاءوا عبر الجسور المفتوحة ومن بينهم بعض الزوار الصيفيين .

وتقول هآرتس ١٠/١١ انه « بعد حوادث ميونيخ حدث انتعاش كبير بين منظمات « التخريب » في منطقة الضفة الغربية ولدى دوائر الامن معلومات بأن بضع عشرات من الشبان العرب انضموا في الاونة الاخيرة الى المنظمات التي اخذت تجدد اتصالاتها بمراكز « المخربين » في الدول العربية ». يتضح من هذا ان العمليات الخارجية تشكل حافزا للشباب في الداخل للانضمام الى المنظمات وان الجسور وحرية التنقل النسبية في الداخل تسهل اقامة الاتصال بين الداخل والخارج ونقل

المعلومات والتعليمات ومن‌ثم تجديد العمل العسكري في الداخل .

استنتاج :

١ — ان حركة التنقل بين « اسرائيل » والمناطق ، والتي هي اكثر سهولة في فصل الصيف (ولكن يمكن أن تستمر في الشتاء) تجعل التنقل سهلا وهذا يساعد على سهولة الاتصال مع الداخل ونقل المواد والمعلومات ودراسة الاهداف والقيام بعمليات .

٢ — ان فترات الهدوء التي تعقب نشاط المقاومة نتيجة لضربات القوى المضادة يجب ان لا تفسر على أنها نهاية الثورة . المهم ان لا يتوقف العمل وان لا يكون هناك تنازل عن الاهداف اذ أنه من الممكن ان تولد باستمرار خلايا جديدة ويعاد تنشيط الخلايا القديمة لتقاتل العدو وتكمل المسيرة . المهم ان لا نسارع الى اصدار الحكم على الثورة بعد فترة من الهدوء في النشاط العسكري .

٣ — ان العمليات الخارجية يمكن ان تستغل جيدا من أجل بناء التنظيم في الداخل والا فقدت مبررها. اذ يجب ان ترتبط نتائج مثل هذه العمليات باحياء التنظيم الذي سيكون الاداة لمنع التسويات ولكن الاهم من هذا دوره في التحرير . ان مهمة العمليات الخارجية هي بناء التنظيم من ناحية ، كما ويكون لها دور ايجابي — وباعتراف العدو — في تصعيد الكفاح المسلح في الداخل ورفع معنويات الجماهير وربطها بالثورة من ناحية اخرى . ان كل التقارير الواردة من الداخل — وكذلك اعترافات العدو — تشير الى ان معنويات الجماهير ترتفع ويبدأ الكل بالحديث عن الثورة دون خوف وابداء تأييدهم للمناضلين الذين يقومون بمثل هذه العمليات . ولكن لا يجوز ان تبقى ردود فعل الجماهير في الداخل عفوية وعاطفية وغير مرتبطة بالعمل التنظيمي . يقول غازيت : « من ناحية المشاعر لم يتغير العامل الذي يمكن اجماله بأن هناك عطفا على منظمات « التخريب » وعلى عملياتهم واستطيع القول انه كان هناك تأييد لمذبحة ميونيخ على ما فيها من وحشية . ولكن لا يوجد الان ميل لدى سكان الضفة الغربية ، ومن الممكن القول ايضا في قطاع غزة ، للمشاركة الفعالة في نشاط المنظمات . ويميل الجو العام في المنطقة ، نحو عودة الحياة الى مجراها الطبيعي والاستفادة من الرفاهية وجميع المنافع مثل حرية الحركة وحرية التجارة ورفع مستوى المعيشة وخلافه » . ان العطف على المنظمات الفدائية يمكن ان يطور في اتجاه المشاركة الفعالة ومن مهمات التنظيم توعية الجماهير على مخططات العدو التي تعمل على فرض التعايش والهدوء .

٤ — ما دامت الجسور مع العدو مفتوحة يجب استغلالها بشكل فعال من أجل بناء التنظيم في الداخل . فبناء على اعتراف غازيت هناك خلايا في الداخل ولكن الوسائل لتنفيذ العمليات غير متوفرة تقريبا ويقول ان ليست لديه معلومات على ان الذين عبروا الجسور اشتركوا فعليا في تنفيذ العمليات . ولكنه يقول « انه يعلم جيدا انهم جاءوا لاعادة تنظيم الشبكات او لنقل المعلومات والتعليمات ، لا كمنفذين » . ان الخلايا الموجودة في الداخل مشلولة عن العمل لان الاتصال بها مقطوع . ان الاتصال بالداخل ممكن وضروري وتقول تقارير القادمين من الارض المحتلة انه بعد عبور الجسر لا احد يسأل عن الهويات ويمكن للانسان ان يتنقل بسهولة وليس المهم نقل المواد عبر الجسور اذا كان التفتيش دقيقا اذ أن الحصول على المواد بطرق اخرى والعمليات التي حصلت تستخدم فيها المواد المنقولة عبر الجسور حسب ما يعترف به العدو . ان الاتصال بين الداخل والخارج واقامة العلاقات العضوية امر ضروري . يقول غازيت : « مما لا شك فيه ان الجسور المفتوحة تشكل خطرا فالاتصال الممكن للاشخاص ، ونقل الاوراق ، والرسائل والسندات والاوراق المالية ، وادخال المنظمين والمدربين كل هذه الامور تسهل اعادة تنظيم الشبكات « التخريبية » .

ان العدو يعترف بتأثير ما يحدث في الخارج على ما يحدث في الداخل ان كان من الناحية النفسية او التنظيمية وهذا يتطلب ان يعزز تنظيم الثورة في الخارج من اجل ان يمتلك القدرة على احياء التنظيم في الداخل واقامة العلاقة العضوية به لان تطوير النضال الثوري في الخارج — التنظيم ، العلاقة بالجماهير ، القوات الفدائية على الحدود — يلعب دورا حاسما في تطوير النضال الثوري في الداخل كما أن هذا بدوره يعود فيطور النضال الثوري في الخارج .

تصاعد العمليات من ١٢/٣١ الى ٧٣/٢/٤

اتساع النضال السياسي والعسكري في الوطن المحتل :

في تصريح لموشي دايان وزير دفاع العدو حول امن المناطق المحتلة بتاريخ ٧٣/١/١٣ قال : « ان الوضع اليوم هادىء تماما ، فلقد انتهت مرحلة المظاهرات والاضرابات ، وتم القضاء على العمل التخريبي في هذه المرحلة بصورة نهائية تقريبا ، وان كان هذا لا يعني انه لم تبق هنا وهناك نوبات لبعض منظمات التخريب ، وان النشاط التخريبي لن يتجدد بأي حال من الاحوال » . ولكن الوقائع — للنظرة الاولى — تكذب هذا التصريح . فالنضال ضد الاحتلال الصهيوني الامبريالي يتصاعد ، ويتعمق ، ويتسع نطاقه ، ويكتسب الى صفوفه كل يوم أفواجا جديدة من المناضلين برغم كل عمليات القمع .

ومن السمات الخاصة والهامة والتي تشير الى تعمق النضال الوطني الفلسطيني واتساع نطاقه حملة الاعتقالات التي شنها العدو في الجليل والناصرة والتي أسفرت عن اعتقال عشرات المناضلين كان اكثر ما ازعج العدو هو وجود عدد من اليهود بينهم .

وفوجىء العدو بعد ذلك بنكسة اخرى ، فطوال اكثر من عشرين عاما وهو يعمل جاهدا على كسب المواطنين الدروز في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ، وتجريدهم من هويتهم العربية ، وفي الاسابيع الاخيرة تصاعد نضال المواطنين العرب من أبناء الطائفة الدرزية وامتد الى الجولان، واخذ نضالهم الجماهيري شكل مؤتمرات مطلبية (مؤتمر مزارعي التبغ احتجاجا على استغلال الشركات الاحتكارية) وتوزيع منشورات لالغاء التجنيد الاجباري المفروض على الدروز في الجيش الاسرائيلي ، وغير ذلك من النشاطات الجماهيرية ، ثم امتد هذا النضال ليأخذ طريقه الى تشكيل خلايا مسلحة . لقد اعترفت صحف العدو بأن ما كشفت عنه حملات الاعتقال ضد المناضلين العرب من أبناء الطائفة الدرزية هو نكسة خطيرة ودلالة فشل سياسة اسرائيل طوال عشرين عاما مع أبناء الطائفة الدرزية . كذلك أدى تصاعد النضال الى شن حملة اعتقالات واسعة اخرى في القدس ونابلس وجنين وقلقيلية .

العمليات من ٧٢/١٢/٣١ — ١٩٧٣/٢/٤

** ١ — ١٢/٣١ تل ابيب ، القاء قنابل مولوتوف في مستودعات للمواد الاستهلاكية .

٢ — ١٢/٣١ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في المحطة المركزية .

** ٣ — ١/١ حيفا ، تفجير عبوات ناسفة شديدة الانفجار في مستودعات حبوب (اعتراف حريق) .

** ٤ — ١/٢ داجانيا (ب) انفجار لغم باحد افراد العدو (اعتراف في دافار ١/٢١) .

** ٥ — ١/٣ تل ابيب ، تفجير عبوة ناسفة في سيارة .

** ٦ — ١/٥ — العفولة — جنين — اللدون ، انفجار شبكة الغام في سيارة عسكرية محملة بالجنود (اعتراف في دافار ١/١٦) .

٧ — ١/٥ جان/بتاحتكفا ، تفجير عبوات حارقة في سينما (اعتراف حريق) .

** ٨ — ١/٥ ناحال هاجولان، تفجير الغام بجرار زراعي .

٩ — ١/٦ حيفا ، عبوات ناسفة في معامل كيم. .

** ١٠ — ١/٧ جسر الرقاد ، هجوم صواريخ ورشاشات ثقيلة .

* ١١ — ١/٧ القنيطرة ، مهاجمة دورية اسرائيلية : رشاشات خفيفة .

* ١٢ — ١/٨ منطقة بركة ، اطلاق النار من أسلحة خفيفة .

* ١٣ — ١/١٠ غزة ، محاولة تدمير سكة قطار.

* ١٤ — ١/١٠ تل ابيب ، اضرام النيران في مقهى .

* ١٥ — ١/١١ بتاح تكفا ، انفجار في احد اقسام مصنع آسيا .

* ١٦ — ١/١٨ جبل الشيخ ، اطلاق قذائف بازوكا على سيارة .

١٧ — ١/٢٣ عاليا هاخاشا / الجليل ، هجوم على نادي بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية .

١٨ — ١/٢٣ رمات جان / تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في بناية .

* ١٩ — ١/٢٤ حيفا ، انفجار عبوة في سيارة باص .

* ٢٠ — ١/٢٦ القدس ، انفجار شحنة متفجرات في سيارة في كاراج .

* ٢١ — ١/٢٧ القدس ، انفجار قنبلة مولوتوف في احدى ادارات وزارة الداخلية .

* ٢٢ — ١/٢٧ القدس ، انفجار قنبلة في احد مراكز الشباب .
** ٢٣ — ١/٢٨ خان يونس ، انفجار عبوة ناسفة في خط السكة .
* ٢٤ — ١/٢٨ الجولان ، انفجار لغم بمزارع .
* ٢٥ ١/٢٩ القدس ، القاء مصباح مشتعل في احد مكاتب وزارة الداخلية .
** ٢٦ — ٢/١ تل ابيب ، انفجار عبوة ناسفة في سيارة (اعتراف بأنه عمل انتقامي) .
** ٢٧ — ٢/٢ نابلس ، انفجار عبوة ناسفة في مكتب العمل .
* ٢٨ — ٢/٢ تل ابيب ، انفجار شحنة مواد ناسفة عند مدخل مطعم .
٢٩ — ٢/٢ القدس ، انفجار عبوات ناسفة شديدة الانفجار في باب العامود (وكالة رويتر) .
* ٣٠ — ٢/٢ تل ابيب ، القاء قنبلة على ثكنة عسكرية فارغة .
* ٣١ — ٢/٢ تل ابيب ، انفجار قنبلة في مبنى .
** ٣٢ — ٢/٣ دورا/الخليل ، تفجير شبكة ألغام في كمين لسيارات دورية العدو .
* ٣٣ — ٢/٤ نابلس ، اكتشاف شحنة مواد متفجرة في ميدان الساعة .
* ٣٤ — ١/٣٠ بني براق/تل ابيب ، انفجاران في صندوقي بريد .

ملاحظة : للنجوم ذات المدلول كما في الجداول السابقة .

من الجدول السابق يمكننا ملاحظة ما يلي :

١ — ان العمليات العسكرية ضد الاحتلال ، تجري بمعدل عملية كل يوم ، (٣٤ عملية في ٣٥ يوما) . واذا اخذنا بالاعتبار ان غالبية هذه العمليات جرت من الداخل ، فان اهميتها مضاعفة، لكونها تجري في ظروف أمنية غاية في الصعوبة .

٢ — ان العدد الاكبر من العمليات وقع في المناطق المحتلة ١٩٤٨ ، وفي منطقة تل ابيب ثم في حيفا ، الامر الذي يلقي على الثورة الفلسطينية مهمة توجيه عناية كبيرة لبناء خلايا تنظيمية وعسكرية بين صفوف عرب الاراضي المحتلة ١٩٤٨ .

٣ — تركزت عمليات الضفة الغربية في القدس بشكل خاص ، وتلتها نابلس بالدرجة الثانية . وتستدعي الضرورات السياسية الراهنة اعطاء منطقة القدس اهمية خاصة عند توجيه العمليات العسكرية ، نظرا لكونها موضع مساومات ومباحثات ، ولاهميتها الخاصة بالنسبة لاسرائيل . حيث نلاحظ اكثر من أية منطقة اخرى محاولات التعتيم على عمليات القدس من قبل السلطات الاسرائيلية .

٤ — الطابع المميز للعمليات في المناطق بشكل عام هو وضع العبوات الموقوتة في الاماكن التي يصعب الوصول اليها . ومن وجهة النظر الامنية فان هذه العمليات محبذة .

٥ — هناك انخفاض ملحوظ في عمليات قطاع غزة خلال الشهر الاخير من العام الماضي وشهر كانون الثاني . ورغم الظروف الموضوعية الصعبة المحيطة بالقطاع ، سياسيا وعسكريا ، فان الوضع مازال قابلا لتجديد عمليات الثوار هناك .

٦ — هناك انخفاض في عمليات الجولان والجليل. وهو الوضع الناشىء عن الاجراءات والقيود المفروضة على تحرك المقاتلين عبر خطوط وقف اطلاق النار .

٧ — من مجموع العمليات العسكرية وعددها ٣٤ عملية اعترف العدو بـ ٢٥ عملية . من هذه العمليات عدد كبير من العمليات التي لم يصدر بها بلاغ رسمي عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية ، مما يستدعي اهتمام الهيئات المسؤولة بمزيد من رصد ومراقبة اذاعات العدو.

٨ — يستدعي تزايد عمليات الداخل مزيدا من التنوير الاعلامي حولها في صحافة واذاعات الثورة ، كما يستدعي حث الصحافة العربية عموما والصديقة خصوصا على اعطاء هذه العمليات حجمها في النشر ، لما لها ، في الظروف الراهنة، من تاثير ايجابي على روح ومعنويات الجماهير الفلسطينية والعربية ، ولمواجهة موجة التنازلات العربية الرسمية .

تصاعد العمليات وتطور النضال من ٧٣/٢/٥ — ١٩٧٣/٢/٢٠.

بعد أن شن العدو هجومه على مخيمي نهر البارد والبداوي في ٧٣/٢/٢١ ، ذكرت صحفه أسبابا عديدة لهذا الهجوم وكان من أهم تلك الاسباب ربط الهجوم بتصاعد النشاط العسكري والسياسي للثورة الفلسطينية في داخل الارض المحتلة فقد قالت

يديعوت احرونوت: « يجب ان نفهم العملية الاخيرة على أساس النشاط الاخذ في التزايد «للمخربين» والذي تجلى في وضع الغام في الجليل والجولان وتسلل عملاء الى داخل اسرائيل ... » . وقالت معاريف : « ان جيش الدفاع الاسرائيلي يعمل على أساس النظرية التي تقول بوجوب ضرب مصدر الشر واقتلاعه من جذوره ، وليس معالجة الوحدات الشريرة كل على حدة » . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث الفلسطينية ٢/٢١/ ١٩٧٣) .

ونظرة سريعة الى جدول العمليات ما بين ٢/٥ — ٢/٢٠ تؤيد استمرار تصاعد عمليات ثوارنا الفلسطينيين في الداخل :

* ١ — ٢/٧ ناحال هاجولان ، اطلاق عيارات نارية على دورية ، والعثور على بقايا قذائف بازوكا موقوتة وآثار انفجار شحنة متفجرات .
* ٢ — ٢/٧ ناحال هاجولان ، اشتباك مع دورية تفتيش .

** ٣ — ٢/١٠ سويمة / غور الاردن ، اشتباك بالاسلحة الرشاشة مع مجموعة لفتح كانت تعمل في جبل الخليل مدة ثلاث سنوات .

* ٤ — ٢/١١ طبعون / حيفا ، حريق .

* ٥ — ٢/١١ معسكر الشاطىء / غزة ، قتل ذيب الهربيطي بست رصاصات .

* ٦ — ٢/١٢ غزة ، محاولة اغتيال الشوا بواسطة الرشاشات .

* ٧ — ٢/١٤ معلوت / ترشيحا ، انفجار لغم بشاحنة .

** ٨ — ٢/١٥ طريق عكا / صفد ، انفجار لغم بعبارة واصابة سيارة .

* ٩ — ٢/١٥ غزة ، اكتشاف عبوة ناسفة موقوتة .

* ١٠ — ٢/١٥ ناحال هاجولان ، اطلاق قذائف .

** ١١ — ٢/١٥ جنعتايم / تل ابيب ، انفجار عبوة ناسفة في مدخل مسكن مدير سجن الرملة .
* ١٢ — ٢/١٨ بني براك / تل ابيب ، حريق في معامل الكوكا كولا .

* ١٣ — ٢/١٧ سلواد / رام الله ، مقتل صهيوني يسعى لشراء ارض .

١٤ — ٢/٢٠ بين القنيطرة وتل الصرفان / الجولان ، تدمير ٢٠٠ متر من الاسلاك الشائكة وتدمير حقل الغام .

** ١٥ — ٢/٢٠ منطقة تل الصرفان / الجولان ، هجوم تذائف صاروخية واسلحة مختلفة واشتباك .

ملاحظة : للنجوم ذات الدلالة كما في الجداول السابقة .

ان دراسة هذا الجدول تظهر ما يلي :

١ — تنفيذ خمس عشرة عملية خلال خمسة عشر يوما ، اي بمعدل عملية كل يوم موزعة على المناطق كما يلي : أ) ٥ عمليات في الجولان . ب) ٣ عمليات في غزة (اعلن العدو عن محاولة اغتيال جديدة ولكنه قال أن لا صلة لها كما يبدو بالحدثين السابقين (باعتراف نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٢) الهربيطي والشوا ولكننا لم ندخلها في الجدول لعدم التأكد من طبيعة العملية . جـ) عمليتان في الضفة الغربية . د) ٥ عمليات في المناطق المحتلة ١٩٤٨ .

٢ — اعترف العدو بـ ١٤ عملية من العمليات الـ ١٥ . ويلاحظ ان بلاغات القيادة العامة حول العمليات أقل من العدد الذي اعترف به العدو . فقد اعترف العدو بـ ١٤ عملية في حين اصدرت القيادة العامة خمسة بلاغات فقط . (التقرير لا يأخذ بعين الاعتبار البلاغات التي تصدر بأسم المنظمات على اعتبار ان القيادة تمثل كل المنظمات وفقا للاتفاق الخاص بالاعلام الموحد ، ولكن حتى لو اضيفت بلاغات المنظمات الاخرى فسيظل ما اعترف به العدو اكثر من عدد البلاغات الصادرة عن الثورة) .

٣ — يلاحظ ان العمليات العسكرية التي حدثت في الفترة ما بين ٢/٥ — ٢/٢٠ تتميز بطابع سياسي مباشر ، خاصة في غزة وسلواد . فقد جرى اعدام ذيب الهربيطي في ٢/١١ تتويجا للحملة السياسية التي شنتها الثورة ضد دمج المخيمات في مدن القطاع ، كما أن محاولة اعدام الشوا حملت الطابع نفسه اذ جاءت منسجمة مع النضال السياسي والجماهيري ضد مخطط العدو لاخراج مجلس بلدي ورئاسة بلدية من خلال مجالس الاحياء التي شكلها بالضغط والتهديد على سكان الاحياء . وقد اثبتت التجربة ان العمل السياسي النشط في الداخل والخارج ضد مخططات العدو اذا ما اقترن بعمل عسكري منسجم معه ولخدمة اهدافه يؤدي في الغالب الى افشال مخططات العدو حيث اضطرت مجالس الاحياء الى الاستقالة او تجميد نفسها .

وبهذا فشل مخطط العدو وحققت الثورة انتصارا تكتيكيا هاما . قال مراسل اذاعة اسرائيل في غزة امنون نداف : « ... ان ما يمكن فهمه من الحديث مع السكان المحليين هو انه اذا لم يتم الانسحاب فمن المحتمل ان يطرأ جمود على التعاون المتزايد بين الزعامة التي اخذت تتبلور في غزة وبين الحكم الاسرائيلي ... ولكن الانتخابات المحلية التي اخذ الحديث عنها يزداد في غزة ، أصبحت ابعد مما كانت ... » . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل في ١٩٧٣/٢/١٢) .

في الواقع ، يجب ان ينظر الى افشال مخطط العدو في تكوين لجان واخراج مجلس بلدي ورئاسة في مدينة غزة وكذلك في مختلف مدن القطاع ، على انه كان اخطر من انتخابات البلديات في الضفة الغربية ، لان التجربة اثبتت ان الدور الذي يلعبه مجلس بلدي في غزة خطر للغاية في اضعاف الكفاح المسلح ومحاولة تغطية الاحتلال بوجود غزاوية ، والعمل على تجيير القطاع بين الاحتلال وحكم الملك حسين ، كما حدث في عهد رئاسة الشوا للبلدية . ومن هنا كان احباط هذا المخطط نصرا تكتيكيا احرزته الثورة، خاصة ، ضمن هذه الظروف التي تتميز باشتداد المخاطر والصعوبات التي تواجه الثورة الفلسطينية .

كما أن اعدام السمسار الصهيوني في عملية سلواد بتاريخ ٢/١٧ جاءت منسجمة مع الحملة السياسية ضد بيع الاراضي . فقد أشارت جريدة هآرتس ان جاكوب شابيرو وزير العدل قد ألمح في اجتماع عقدته الهيئة البرلمانية لحزب العمال الحاكم يوم ٢/١٣ حول السماح لليهود بشراء اراض في الضفة الغربية . ويلاحظ ان بعض السماسرة العرب قد أخذوا ينشطون في شراء الاراضي في الضفة الغربية استعدادا لبيعها لاسرائيليين فضلا عن ملاحظة انخفاض اقامة المستعمرات في الجولان . واتجاه التركيز على الضفة وخاصة منطقة نابلس والقدس والغور الامر الذي يعطي عملية سلواد اهمية خاصة ويتطلب من الثورة الاستمرار في عملها السياسي والعسكري ضد مخطط بيع الاراضي من أجل احباطه . ان النية في بدء تنفيذ خطة السماح لليهود بشراء الاراضي في الضفة الغربية يجب أن يؤخذ بعين الجدية فبالاضافة الى ما صرح به شابيرو فقد كتب دان برغليت في هآرتس ٧٣/٢/٢ مقالا قال انه : يعتمد على اقوال ادلى بها دايان في اجتماع مغلق (ن. د. ف. ، ٧٣/١٢/١٦) « ... اذا اراد يهودي شراء ارض في بيت لحم ، او في سفوح جبل جرزيم المطل على نابلس ، واذا ارادت هاشومير هتسعير ، او حركة المستوطنات دق وتد قرب جنين ، كما يريد اخرون بناء مساكن لهم في منطقة النبي صموئيل فيجب تمكينهم من ذلك » .

٤ ــ ثمة اهمية خاصة لعملية الاشتباك الذي جرى في السويمة بين مجموعة من الفدائيين وبين قوات العدو حيث كشف ان المجموعة كانت مطاردة في جبال الخليل منذ سنة ١٩٧٠ ويقول مراسل اذاعة اسرائيل « انه نسب لافراد المجموعة عمليات « تخريب » عديدة وقعت في منطقة جبل الخليل في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ منها اطلاق قذائف كاتيوشا على القدس وزرع لغم بالقرب من بيت جبرين تسبب انفجاره بمقتل اربعة من ضباط جيش الدفاع الاسرائيلي » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٢/١٢/ ٧٣) . وهذا يدل على انه بالامكان ان تعمل مجموعات مسلحةفي جبال فلسطين لفترة طويلة وهي مطاردة من قبل العدو .

بالاضافة الى العمليات العسكرية فقد اتسمت الفترة بين ٢/٥ ــ ٢/٢٠ :

أ) بتوزيع سلسلة من المنشورات ضد اللجان المحلية في قطاع غزة وضد بيع الاراضي في الضفة الغربية . فقد ورد في نبأ لوكالة رويتر من القدس بتاريخ ٢/١٦ انه وزعت منشورات في البلدة القديمة من القدس تدعو السكان العرب الى التضامن ضد الخطوات الاسرائيلية لاجلاء العرب عن حي باب السلسلة في البلدة القديمة واسكان يهود محلهم . كما وزعت منشورات في ٢/١٧ في مدينة القدس تفضح عملية شراء الاراضي من قبل الصهاينة وتحذر من مخطط لتهويد المدينة . كما وزعت منشورات في غزة تأمر لجان الاحياء التي انتخبت مؤخرا بعدم التعاون مع الحكم العسكري . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٨) .

ب) جرت سلسلة من اعتقالات واسعة في قطاع غزة والضفة الغربية والجليل والجولان مما يدل على تصاعد النشاط السياسي والعسكري لخلايا المقاومة فقد : ١ ــ اعلن العدو عن اعتقال ١٨ « مخربا » في غزة . ٢ ــ جرت حملة اعتقالات اخرى في ضواحي مدينة الخليل اثر القبض على عناصر كانوا يعملون في المنطقة منذ ثلاث سنوات . ٣ ــ كما تم اكتشاف شبكة فدائية في شمال قضاء

نابلس وأنه تم اعتقال عشرة اشخاص معظمهم من قرية تباطية قرب جنين وقد اعتقلوا في اعقاب اعتقال شاب بعد عودته من الاردن عن طريق جسر دامية وهو يحمل مواد متفجرة . ٤ ــ اعتقل في ٢/١٤ عدد من الاشخاص من القرى العربية في منطقة عكا اثر انفجار لغم في منطقة معلوت في الجليل . كما اعتقل في ٢/١٧ اثنا عشر مواطنــا فلسطينيا من سكان قريتي بعنه ودير الاســد في الجليل اثر اصابة سيارة للعدو وتدمير عبارة على الطريق ما بين عكا وصفد . وقد وصفت وكالة الاسوشيتدبرس ان هذه هي الشبكة الثالثة التي يعلن الاسرائيليون عن اكتشافها منذ كانون الاول الماضي . واهمية هذه « الشبكة » انها تأتي بعد اكتشاف اعضاء الجبهة الحمراء. ٥ ــ اما بالنسبة لتنظيم الجولان فقد وصل عدد المعتقلين الى ٣٩ شخصا . وعلى اثر عمليات التفتيش التي جرت في قرى مسعدة ومجدل شمس وبقعاتا تم اكتشاف بعض الرشاشات من نوع كلاشينكوف وقنابل يدوية وذخيرة . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٢/٢٠/ ١٩٧٣) . وقد كشف العدو ان ما اسماها بشبكة الجولان كانت قد أحبطت مشروعين للعدو احدهما تعيين لجان محلية لادارة اعمال القــرى على غرار المجالس المحلية في اسرائيل وثانيهما اقامة محكمة شرعية من ابناء الطائفة . وبهذا دحض العدو رغما عنه ادعاءه بأنها شبكة تجسس وكشف انها خلية سياسية مناضلة .

يلاحظ مما تقدم ان ثمة نشاطا متصاعدا فعلا في تنظيم الخلايا وممارساتها لمختلف اشكال النضال العسكري والسياسي والجماهيري . فلولا تصاعد هذا النشاط لما تصاعدت الاعتقالات ، ولما اضطرت صحف العدو ووكالات الانباء الى الاعتراف بهذه الحقيقة .

مركز التخطيط في م. ت. ف.

تقريران :

الهجوم الاسرائيلي على بيروت

(٩ — ١٩٧٣/٤/١٠)

التقرير الاول

مقدمات ونتائج

الهجوم الاسرائيلي الذي استهدف مدينة بيروت ، وأدى الى مقتل ١٦ شخصا من الفدائيين والمدنيين، بينهم القادة الثلاثة : محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر ، ليس الا جزءا من الحرب المعلنة بين حركة المقاومة الفلسطينية والعدو الاسرائيلي . ولكن هذه الحقيقة لا تنفي ان للمخطط الاسرائيلي في هذه المرحلة اهدافا خاصة ، تركز اهتمامها على ضرب حركة المقاومة من الداخل ، بعد ان فشلت كل محاولات القضاء عليها كقوة عسكرية وسياسية ، فرضت نفسها على خارطة الشرق الاوسط بسرعة كبيرة .

ويركز الاعلام الاسرائيلي على ان هذا الاسلوب في العمل ضد حركة المقاومة ، انما هو رد فعل على عمليات ايلول الاسود ، وخاصة عملية ميونيخ الشهيرة. ولكن الوقائع القريبة كافية وحدها لنسف هذا الادعاء من أساسه . فقبل بروز أيلول الاسود قامت المخابرات الاسرائيلية بنسف منزل الدكتور وديع حداد ، أحد قادة الجبهة الشعبية بالصواريخ . وبعد ذلك بفترة وجيزة قامت اسرائيل أيضا بعملية مماثلة على مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت . وتثبت هذه الوقائع ان الارهاب سياسة معتمدة من قبل اسرائيل قبل عملية ميونيخ ، ولكنها حتى ذلك الوقت كانت جزءا من العمل الروتيني لجهاز المخابرات ، اما بعد عملية ميونيخ فقد جرى تعميم هذا الروتين ونقله من اطار المخابرات ، الى اطار أجهزة الدولة الاسرائيلية بكاملها . فأقره اولا مجلس الوزراء ، ثم باركه الكنيست بأغلبية ساحقة ، وخصص له بعد ذلك مسؤول كبير ملحق بمكتب رئيسة الوزراء جولدا مئير هو اهرون ياريف الرئيس السابق للاستخبارات الاسرائيلية . وهذا التعميم والتوسيع لاطار الارهاب الاسرائيلي مرتبط بظروف موضوعية ابرزها :

١ — ضرب الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن، والذي أدى حتى الان الى تهدئة اكبر قطاع من قطاعات جبهة المواجهة مع اسرائيل . والذي كان مفروضا على اسرائيل من خلاله ، ان تواجه **القوة العسكرية لحركة المقاومة** . اما بعد غياب هذه القوة ، واستمرار فعلها في الارض المحتلة بأساليب عمل سرية ، فان متابعة التصدي لها تقتضي انتهاج اساليب تهدف الى **القضاء على بنيتها الداخلية** من خلال ضرب القادة ، وضرب المسؤولين عن مفاصل العمل الاساسية .

٢ — اقدام النظام الاردني ، من خلال مشروع المملكة العربية ، على ترتيب شؤون التسوية السياسية مع اسرائيل باتجاهين : اتجاه الحل الثنائي ، واتجاه ابراز قيادات فلسطينية عميلة تتولى شؤون القطر الفلسطيني في اطار المملكة المتحدة . وهذا لا بد ان يقود في النهاية الى العمل **لتصفية قيادات حركة المقاومة بالذات** ، باعتبار انها القيادة التي تمثل الشعب الفلسطيني رسميا من خلال منظمة التحرير ، وفعليا من خلال العمل الفدائي وما فرضه من وقائع نضالية .

٣ — فشل الولايات المتحدة ، ووسائلها الدبلوماسية العلنية والسرية ، في ترويض حركة المقاومة الفلسطينية ، واقناعها بقبول التسويات السياسية المنتظرة ، او الدخول في لعبتها ، تنفيذا لمخططها

الرامي الى فرض هيمنتها السياسية الكاملة على منطقة الشرق الاوسط لضمان الحصول على النفط العربي . وذلك يقتضي بالطبع ضغطا متواصلا على حركة التحرر الوطني العربية لتركيعها ، وهو يقتضي بشكل خاص عملاً مباشرا ضد حركة المقاومة باعتبار انها اكثر فصائل حركة التحرر العربي حيوية واثباتا للوجود في هذه المرحلة .

وبقدر ما تشكل هذه النقاط الثلاث ، الاساس الموضوعي لاندفاع اسرائيل نحو اسلوب الارهاب لمواجهة حركة المقاومة ، بقدر ما تشكل الاساس الموضوعي لقيام تعاون وتنسيق بين اسرائيل والولايات المتحدة والاردن ، انطلاقا من المصلحة الواحدة التي يشكل القضاء على حركة المقاومة قاسمها المشترك . ويفرض هذا التعاون بين الاطراف المذكورة ، التشاور ، وتبادل المعلومات ، واقتراح الخطط ، ثم اقتراح افضل الجهات للتنفيذ . وهنا من المفيد ان نستعيد للذاكرة سلسلة العمليات التي دبرها النظام الاردني في بيروت ، اما لتشويه سمعة المقاومة والايقاع بينها وبين النظام اللبناني (القاء القنابل على الكنائس) ، أو لضرب واغتيال قيادات المقاومة انفسهم . وقد كان الشهيد ابو يوسف احد الذين كشفوا هذه العمليات (عملية مساعد الملحق العسكري الاردني) وسلموا أشخاصها بالجرم المشهود للسلطة اللبنانية . كذلك من المفيد ان نستعيد للذاكرة مبادرات الولايات المتحدة (المخالفة للاعراف الديبلوماسية) حين سربت للصحافة تقارير السفير الاميركي في بيروت عن وضع الفدائيين الفلسطينيين وعلاقاتهم بالمواطنين اللبنانيين . كذلك حين تبرعت بنشر اسماء كثيرة لبعض قادة حركة المقاومة على أساس انهم من قادة ايلول الاسود . وكأن هذا النشر للاسماء كان تمهيدا وتهيئة للرأي العام حتى يتقبل عمليات الاغتيال التي ستحدث فيما بعد .

وانطلاقا من هذه الوقائع لم يكن غريبا على الاطلاق أن تقول حركة المقاومة في بيانها الرسمي عن الحادث ان العدو اعتمد «على عناصر للاستخبارات الاميركية في بيروت ... وشوهدت عدة سيارات تتجه الى مقر السفارة الاميركية في عين المريسه ، وكذلك حاول بعض قوارب العدو الاقتراب من الشاطىء من تجاه السفارة لاخذ هذه العناصر ».

كذلك لم يكن غريبا على الاطلاق ان يعلن السيد كمال جنبلاط ، الامين العام للجبهة العربية المشاركة في مؤتمره الصحفي ان الطائرة التي تنقل حرس السفارة الاميركية الى بيروت قد أدخلت ١٥ شخصا ثم غادرت وهي تحمل ٤٥ شخصا ، ويتساءل عن هوية هؤلاء الذين غادروا خلافا للاعداد المألوفة في كل مرة .

ان ذكر هذه الوقائع ليس غريبا ، لانها تنسجم مع كثير من الشواهد والمواقف المعلنة من قبل . واذا كان الكنيست الاسرائيلي قد أقر رسميا سياسة الارهاب ، فان الرئيس الاميركي نيكسون تولى شخصيا الاشراف على رسم سياسة الولايات المتحدة ضد الارهاب ، وكذلك فعل النظام الاردني حين تابع حربه ضد المقاومة ونقلها الى خارج حدوده . والارهاب عند هذه الاطراف الثلاثة ، يتلخص في النهاية باعلان الحرب ضد حركة المقاومة ، وضد كل تواجد فلسطيني ، مهما كانت الوسيلة التي يعبر بها عن نفسه .

اسرائيل تهدد بالاستمرار

أن توجه اسرائيل والقوى المعنية معها ، لضرب البنية الداخلية لحركة المقاومة ، لا يلغي ان لهذا التوجه هدفا آخر ، هو الاستمرار في ضرب المقاومة كقوة عسكرية . ودائما كانت اسرائيل تتبع من اجل ذلك وسيلتين : وسيلة الضرب المباشر لقواعد الفدائيين ، ثم وسيلة ضرب المواقع العربية لدفع الحكومات العربية نحو سياسة التضييق على العمل الفدائي ، وصولا الى ايقافه ومنعه . وقد مورست هذه السياسة أولا ضد الاردن ، ثم مورست بشكل مكثف ضد لبنان بعد مجازر أيلول ١٩٧٠ . وقد اثمرت هذه السياسة الاسرائيلية اتفاق تجميد العمل الفدائي المنطلق من لبنان ، ولكن اسرائيل كما ثبت بالتجربة تريد مواصلة الضغط من اجل دفع لبنان الى القيام بانهاء وجود العمل الفدائي من أساسه . وبعد الهجوم الاسرائيلي على بيروت توالت التصريحات الاسرائيلية التي تعبر عن هذا الموقف بوضوح ، كما تعبر عن عزم اسرائيل على الاستمرار في هذا النوع من العمليات . ففي اليوم التالي للعملية قال مراسل الاذاعة الاسرائيلية « ان قوات الجيش الاسرائيلي ستفعل في العاصمة اللبنانية الامور التي تعتقد اسرائيل بأن الحكومة اللبنانية يجب ان تفعلها بنفسها . واذا استمرت حكومة لبنان في منح « المخربين » حرية العمل فوق أراضيها ، واستمر الجيش الاسرائيلي في أعماله في بيروت ، فان ذلك من شأنه ان يضع حكومة

لبنان امام ضغط عام يؤدي في النهاية الى تصفية ، او تخفيف ، الاعمال « التخريبية » من لبنان » . وفي اليوم نفسه أدلى ديفيد اليعازر رئيس الاركان الاسرائيلي بتصريح قال فيه « انني لا أعتزم تقديم تفاصيل حول العملية ... لاننا سنستخدم الاساليب ذاتها في المستقبل ... وينبغي على حكومة لبنان ان تتعظ من هذه العملية ، ذلك لانه لا توجد امكانية للمحافظة على سيادة لبنان ، في الوقت الذي يحظى فيه المخربون بحرية العمل لاقامة القواعد » .

نتائج العملية في لبنان

وعلى ضوء هذه الاهداف الاسرائيلية الواضحة تماما في التصريحات العلنية لكبار المسؤولين ، ما هي التوقعات المنتظرة في الموقف اللبناني ؟ هنا لا بد من الاشارة الى القضايا الاساسية التالية :

١ — برزت ملاحظات هامة وعديدة حول تصرف السلطات اللبنانية اثناء وقوع الهجمات على بيروت. ولخص بيان الجبهة العربية المشاركة هذه الملاحظات بالنقاط التالية: عدم وجود اي دوريات في الشوارع أثناء الهجوم ، وعدم الاقدام على وضع الحواجز على الطرق بحيث يمكن القبض على العناصر المنفذة .قطع الكهرباء عن مدينة بيروت بطريقة بدا معها وكأن قطع الكهرباء يساعد العناصر على الهرب . منع النجدات الفدائية من الوصول الى قلب العاصمة . اعتقال قائد الكفاح المسلح الذي كان يحاول الوصول الى مناطق الاشتباكات . قطع خطوط التلفون عن بعض مكاتب الفدائيين الرئيسية. وقد تساءلت الجبهة المشاركة في بيانها عن معنى كل هذه المواقف بلهجة شديدة تحمل الكثير من الادانة.

٢ — حين أعلن الرئيس صائب سلام تقديم استقالته برز سؤال آخر أكثر اهمية . فقد تسرب ان سلام يطالب كشرط لبقائه في رئاسة الوزارة ، اقالة قائد الجيش لانه لم ينفذ الاوامر التي صدرت اليه بالرد على الهجوم الاسرائيلي . وتسربت بالاضافة الى ذلك انباء تقول بأن هناك خلافا بين الوزارة والجيش حول الجهة التي تقع مسؤولية التصدي للهجوم على عاتقها ، فبينما يعتبر الفريق المدني ان التصدي لانزال عسكري على الشاطىء هو من مسؤولية الجيش ، يعتبر الفريق العسكري ان مواجهة ما يجري في المدينة هو من مهمة قوى الامن الداخلي .

وبغض النظر عن هذا الجدل الدائر في الكواليس ، فان الحقيقة الثابتة أن العدوان قد أحدث هزة عنيفة في أوساط النظام ، زاد من حدتها رد الفعل الشعبي الغاضب والمستنكر . وازاء هذه الهزة وما رافقها من توتر جماهيري فان تقديم ضحية هو أفضل ما يمكن عمله لامتصاص حالة النقمة ، واشعار الجماهير بأن ثمنا قد دفع . ويبدو ان استقالة الوزارة تشكل من ضمن اللعبة البرلمانية ، حلا ينسجم مع طبيعة النظام اكثر من تقديم ضحية أخرى .

٣ — أصبح من المؤكد ان مبدأ الوجود الفدائي كان ولا يزال موضوع بحث لدى أعلى المراجع اللبنانية. وقد أثير هذا الموضوع بشكل رئيسي في اللقاءات التي جرت مع السيد حسن صبري الخولي الذي أوفده الرئيس السادات بعد الحادث مباشرة . فقد قالت المصادر الصحفية انه تم في هذه الاجتماعات بحث ثلاث قضايا : اولا قضية حدود الوجود الفدائي في لبنان ، وما يترتب عليه من مسؤوليات لبنانية ، على اساس ان لبنان يؤثر بسبب اوضاعه العسكرية ، عدم التسبب باعتداءات اسرائيلية لا قدرة له على صدها . ثانيا قضية المخيمات الفلسطينية ، والمطالبة بأن تكون السلطة اللبنانية مسؤولة عنها كليا والا فانها لا يمكن ان تتحمل اية مسؤولية . ثالثا تحركات المقاومة التي تتم دون تنسيق مع السلطات اللبنانية ، مما يجعل من المتعذر على الجهات المختصة معرفة حقيقة ما يجري . ورددت الانباء الصحفية ان الحوار حولها انتهى الى ضرورة البحث في كافة هذه المسائل بين المقاومة والمسؤولين اللبنانيين من ضمن منطق التمسك بالاتفاقيات المعقودة وعدم الاخلال بها ، على أن تجري مشاورات عربية سريعة لدى بروز أي خلاف قد يقود الى التوتر ، ليتم حل المسائل على اساس هذه المشاورات .

٤ — في الوقت الذي كانت تدور فيه هذه المناقشات حول مبدأ وجود العمل الفدائي في لبنان ، كانت أكثر من جهة سياسية لبنانية تطرح موضوع سرية العمل الفدائي . ومما لا شك فيه أن موضوع السرية من المواضيع الاساسية والحيوية التي يتوجب على حركة المقاومة ان تعطيها اهتماما خاصا ، وفي هذه المرحلة بالذات ، تكميلا لابحاث وخطوات جرت فعلا ونفذ العديد منها . ولكن موضوع السرية الذي يطرح في لبنان ، وعلى لسان شخصيات معروفة اتخذ ولا يزال معنى مغايرا

للمعنى الذي تبحث حركة المقاومة على اساسه . فبينما تبحث حركة المقاومة موضوع السرية من زاوية الامن ، ومن زاوية بناء كادرات جديدة غير معروفة ، لتصعيد نشاطها وتمكينه من مواجهة المخططات المضادة ، فان الشخصيات السياسية اللبنانية المعنية تقصد بسرية العمل الفدائي ، اخلاء القواعد المتواجدة في جنوب لبنان ، والاختفاء من داخل المخيمات . وبكلمة أخرى الغاء اتفاق القاهرة وما تفرع عنه من بروتوكولات لتنظيم العلاقات اليومية ، وهو ما ترفضه حركة المقاومة من حيث المبدأ .

٥ ــ والى جانب هذا الحوار الرسمي حول مواجهة الهجوم الاسرائيلي والموقف من حركة المقاومة ، كان هناك حوار آخر يجري على الصعيد الشعبي باتجاهات ومواقف مختلفة ، عبرت عنه كافة الاحزاب والمنظمات الشعبية بالبيانات التي أصدرتها وركزت فيها على تخاذل السلطة في الرد على الهجوم الاسرائيلي . كما عبرت عنه عشرات المظاهرات التي نظمت في كافة المدن اللبنانية ورفعت شعارات حاسمة وواضحة ضد موقف السلطة ، وتأييدا لحركة المقاومة . وحين تم تشييع الشهداء (يوم الخميس ١٢ نيسان) كان زحف الجماهير اللبنانية للمشاركة في التشييع أبلغ دليل على طبيعة الموقف الجماهيري وتأييده الكاسح لحركة المقاومة . والجدير بالذكر هنا ان السلطة تركت لحركة المقاومة أمر تنظيم التشييع ، وبسبب معرفة الجماهير ، الذين تجاوز عددهم ربع المليون، لهذه الحقيقة ، فقد أبدت انضباطا رائعا أذهل كافة الذين راقبوا الجناز ، وفاجأ كافة الذين كانوا يجزمون بأن التشييع سيتحول الى عملية فوضى تتولد عنها اصطدامات واضطرابات عديدة .

ان هذه الصورة لرد الفعل اللبناني ، بما تحمله من تناقضات ، وبما عبرت عنه من تجنب للكثير من الصراعات ، الا انها تنطوي بداخلها على احتمالات تستدعي المراقبة الحذرة . فالهجوم الاسرائيلي على بيروت ليس حدثا يمر بسهولة ، والتحرك الجماهيري الذي عبر عن تأييده للمقاومة ليس تحركا ضئيل الدلالة ، واستمرار الحفاظ على التوازن بين هاتين الصورتين أمر لا يمكن الجزم به ، سلبا أو ايجابا ، بمجرد الاستقراء المنطقي للامور .

ب. ح.

التقرير الثاني

تقييم عسكري سياسي لعملية ٩ ــ ١٠ نيســـان في بيروت

« حيثما يوجد قهر توجد مقاومة . ان البلاد تريد الاستقلال ، والامم تريد التحرر ، والشعوب تريد الثورة . هذا هو الاتجاه التاريخي الذي لا يمكن مقاومته » . ولكن الطغمة العسكـرية الفاشية الحاكمة في اسرائيـل تود تجاهل هذا الاتجـاه التاريخي ومقاومته بمختلف الاساليب ، وتعتقد ان العنف وسيطرة القوة ستحقق لها اغراضها متناسية ان العنف القمعي المستعبد غـير العادل يلد في النهاية العنف الثوري المحرر العادل الذي قهـر امبراطوريات العدوان في كل زمان ومكان .

وليعذرني القـارىء اذا بدأت حديثي عن عمليـة ٩ ــ ١٠ نيسان في بيروت بتكرار بديهيات معروفة عن العنف واختلاف النظرة الاخلاقية اليه حسبما يكون عنفا تحريريا أم عنفا قمعيا ، ثوريا ام مضادا للثورة ، عادلا ام غير عادل . فلقـد اضطررت لاختيار هذه البداية عندما وجدت صحيفة الغارديان البريطانية تكتب في ٤/١١ « ان من الممكن تبرير » عملية الجيش الاسرائيلي واعتبارها عادلة ، وذلك لان ضحاياها صرحوا علانيـة ان « العنف هـو سلاحهم السياسي » ، وعندمـا رأيت ان جميع الدلائل تشير الى ان الولايات المتحدة « المدافعة عـن الديموقراطية ! والحـرية ! في العـالم » ستستخدم حق الفيتو في مجلس الامن اذا ما قررت غالبية اعضاء هـذا المجلس ادانـة العـدوان الاسرائيلي على بيروت والذي راح ضحيته ثلاثة من ابرز قادة المقاومة وعشرات الشهداء والجرحى . وان اقصى ما يمكن للولايـات المتحدة ان تقدمه للعرب مقابل نهب ثرواتهم وكتم انفاسهم واذلالهم والحصول من حكوماتهم على صك البراءة من دم شهداء العدوان ، بالاضافة الى التعهدات بتصفية الحركة الثورية العربية والمقاومة الفلسطينية هو أنها ستندد بالعنف الذي يزيد خطورة الموقف في الشرق الاوسط دون تمييز بين عنف الغزاة وعنف المدافعين ، بين عنف من يمارسـون القمع لقهـر الانسان العربـي وتشتيت الشعب الفلسطينـي والاستيلاء على ارضه بل وابادته ، وعنف مـن يلجأون الى العنف [الكفاح المسلح] كآخـر وسيلة لاسترداد الحق السليب .

ويحق للمرء هنا ان يتساءل : الى أين تود الولايات المتحدة قيادة الانسانية ، وما هي طبيعة الحضارة التي ستسود العالم اذا ما ساد الامريكيون انصار « الديموقراطية » و« الحرية » ؟ لقد هب العالم بأسره في النصف الاول من هذا القرن وناضل ضد جرائم الفاشية والنازية وضد خطرهما على القيم الانسانية والحضارة العالمية . ولا بد ان يناضل احرار العالم كله ، بما في ذلك ليبراليو العالـم الرأسمالي لتدمير الوحش الامبريالي الجديد الذي يوشك ان يبتلع حضارة عمرها آلاف السنين .

ولنعد الان الى عملية ٩ ــ ١٠ نيسان نفسهـا لنبحثها عسكريـا من زوايا : الهـدف والاعداد والتوقيت والتنفيذ واستثمار النصر والدروس .

الهدف : يقول الاسرائيليون في بلاغاتهم ان هـدف العملية كان يتمثل في قتل قادة المقاومة الثلاثة وتدمير مكتب الجبهة الشعبية الديموقراطية في بيروت وعدد من البيوت والاماكن التي يتم فيها تدريب الفدائيين وتخزين اسلحتهم واصلاح سياراتهم في جنوب بيروت وصيدا . ولقد أشار المراسل العسكري للاذاعة الاسرائيلية الى انه « **لا يجب** اعتبار هذه العملية كعملية انتقامية مباشرة بل تعبيرا آخر عن سياستنا القاضية بضرب « المخربين » [رجال المقاومة] دون هوادة **حيثما وجدوا** » (ر. أ. أ. عدد ٢٠٧).

بيد ان رئيس الاركان الاسرائيلي دافيد العـازار صرح في مؤتمر صحفي بتاريخ ٤/١٠ تصريحا مناقضا لذلك عندما قال بأن الحملة جرت « **ردا** على عمليات المخربين [رجال المقاومة] في اوروبا وفي أماكن أخرى في الشهر الماضي » (ر. أ. أ. عدد ٢٠٨). ولقد ربطت اذاعة اسرائيل العملية المعادية ببعض عمليات المقاومة عندما قالت « بعد مرور ١١ يوما على الانفجارات التـي وقعت في الخضيرة وفي القدس ، وبعد ساعات معدودة على الهجومين في قبرص، خرجت قوات جيش الدفاع الاسرائيلي... » (ر. أ. أ. ملحق عدد ٢٠٧) . فما هو الهدف الحقيقي من العملية وهل هي رد على عمليـات عربية وفق مبدأ العين بالعين ، ام هي حلقة من سلسلة عمليات مخططة بشكل مسبق ؟

الحقيقة ان الامر متشابك الى حد بعيد ، فالعملية جزء من خطة مجهزة مسبقا لضرب قواعد المقاومة

وقياداتها ومفكريها وأجهزتها ومؤسساتها العسكرية والسياسية والاعلامية داخل الارض المحتلة وفي البلدان العربية وبلدان العالم بغية اخذ المبادرة من المقاومة وشل عملياتها وحشرها في مواقع دفاعية ، ودفعها الى مواقع اليأس والاستسلام وتقديم التنازلات — وفق توقعات الجنرال الاحتياطي هرتسوغ في حيفا في ندوة لكبار الضباط في جيش الاحتياط وزعماء المؤسسات (ر. أ. أ. عدد ٢٠٩).

ولقد أعلن قادة العدو أهداف خطتهم بعد عملية ميونيخ اكثر من مرة . ثم عاد رئيس الاركان دافيد العازار الى تكرار هذه الاهداف في ٧٣/٤/١١ أمام المؤتمر الرابع لجمعية الصحف الاسرائيلية في حيفا عندما حدد الاهداف الثلاثة التي يضعها الجيش الاسرائيلي نصب عينيه في العام المالي القادم ، وذكر ان احد هذه الاهداف هو « مواصلة الحرب ضد منظمات التخريب [المقاومة] من اجل تقليص نشاطها ، وتخفيف الاضرار داخل البلاد وخارجها » (ر. أ. أ. ملحق عدد ٢٠٩) ، واشار الى ان اسرائيل لن تحدد نفسها « بحدود الزمان والمكان والاسلوب » اذا مارس العرب ضدها العمليات المحدودة (ديلي تلغراف ٧٣/٤/١٢) .

والعملية بالاضافة الى ذلك رد فعل هجومي على تصعيد عمليات المقاومة داخل الارض المحتلة . فلقد شهد الشهر الماضي ومطلع الشهر الحالي تزايدا واضحا في العمليات التي شملت كافة مناطق الارض المحتلة (الاراضي المحتلة في عام ١٩٤٨ — الضفة الغربية — قطاع غزة — الجولان) واتسمت بعنفها وتنوعها (زرع الغام — هجوم بالصواريخ — نسف محلات عامة — نسف سكة حديد — اعدام جواسيس — قتل جندي منعزل وتجريده من سلاحه — كمين — إشعال حريق — نسف سيارات مدنية وعسكرية — مهاجمة دوريات عسكرية) بالاضافة الى العمليات الخارجية التي نفذت او لم تنفذ لسبب ما .

وهكذا يمكن القول ان العملية كانت **فعلا ورد فعل بآن واحد** . بيد ان العدو الاسرائيلي الذي يتبجح بنجاح عمليته يعترف بأنها لا يمكن ان تكون حاسمة وانها ليست سوى جزء من حرب مضادة طويلة المدى ضد قوى حركة المقاومة . ولقد صرح العازار بانه « لا يجب اعتبار عملية واحدة كافية لانهاء الحرب ضد العصابات . على ان سلسلة من العمليات ضد الارهابيين [رجال المقاومة] سيكون لها تأثير تراكمي يمكن ان يقلص حجم نشاطهم » (ديلي تلغراف ، ٧٣/٤/١٢) . ويمكننا تحديد أهداف العملية بما يلي :

١ — دفع المقاومة الى خنادق الدفاع .

٢ — تدمير القوى المادية والمعنوية للمقاومة ضمن خطة حرب استنزاف مضادة طويلة الامد .

٣ — ضرب الجهاز العصبي القيادي للمقاومة بغية شله ومنعه من التخطيط لعمليات جديدة وعرقلة الاعدادات القائمة لتصعيد العمليات داخل الارض المحتلة وخارجها بمناسبة مرور ٢٥ عاما على اغتصاب فلسطين وانشاء دولة اسرائيل .

٤ — الحصول على وثائق هامة من اي نوع كانت (يبدو ان العدو كان يتوقع وجود وثائق في بيوت قادة المقاومة بدليل انه فتش البيوت المهاجمة بشكل دقيق) .

٥ — خلق جو من التوتر واللاثقة بين المقاومة والسلطات اللبنانية ، واعطاء هذه السلطات المبرر اللازم لتصفية المقاومة على الطريقة «الهاشمية» .

٦ — دفع الجماهير اللبنانية الى المطالبة بابعاد المقاومة عن لبنان بحجة انه بلد لا يستطيع الدفاع عن نفسه امام هجمات الجيش الاسرائيلي .

٧ — الرد على عمليات الداخل والخارج المتزايدة باستمرار بغية رفع معنويات الاسرائيليين والحفاظ على مستوى مصداقية التهديدات الاسرائيلية .

٨ — الرد على عملية الخرطوم (لحساب الاستخبارات الامريكية وبمساعدتها) وعلى مقتل الديبلوماسيين الامريكيين على يد منظمة أيلول الاسود .

الاعداد : تدعي اسرائيل للتغطية والتمويه ان العملية تمت بقوات الجيش الاسرائيلي . ولكننا نعتقد كل الاعتقاد انها نفذت بعناصر من مجموعات العمليات الخاصة (تفيكديم ميوحاديم) بالتعاون مع عناصر من الاستخبارات العسكرية (موديعين تسفائي) . ولقد ساعد في اعداد العملية وجمع المعلومات اللازمة لها عناصر وعملاء الاستخبارات المركزية الامريكية في لبنان بالاضافة الى الاستخبارات الاردنية التي وجهت اليها والى اللواء رسول الكيلاني اصابع الاتهام من قبل مجلة الفجر الصادرة في القدس (المحرر ٧٣/٤/١٧ عن رويتر).

ولقد بدا واضحا منذ عملية ميونيخ ان مجموعات

العمليات الخاصة (تفيكيديم ميوحاديم) العاملة برئاسة المستشار الخاص لغولدا ماير الجنرال الاحتياطي أهارون ياريف* هي المكلفة بالحرب المضادة ضد المقاومة في العالم . وتحظى مجموعات أهارون ياريف بتعاطف يهود العالم ومساعدتهم . ولقد كانت تعمل في اقطار العالم في البداية بحذر شديد ، ولكنها بدأت تعمل بشكل أكثر جرأة عندما أعطاها الرئيس نيكسون الضوء الاخضر ومنحها بركاته السياسية ودعم وكالة المخابرات المركزية بعد عملية الخرطوم التي أعلن الرئيس نيكسون على اثرها ضرورة البدء بالنضال ضد الارهاب .

وتستخدم مجموعات العمليات الخاصة « تفيكيديم ميوحاديم » ، والاستخبارات العسكرية « موديعين تسفائي » ، والمخابرات العامة « شين بيت » وقوات الجيش الاسرائيلي [في داخل الارض المحتلة وخارجها كل حسب اختصاصه] اسلوبين للصراع ضد المقاومة الفلسطينية . الاول دفاعي يستند الى الابواب المصفحة والاسلاك الشائكة ، والاسلاك المكهربة ورجال الامن وكاميرات التلفزيون والدوريات والكمائن والحراس ... الخ وكل التدابير الدفاعية المطبقة على هذا الهدف او ذاك حسب طبيعته وموقعه وأهميته ، والتي سخر اوري دان المحرر العسكري لصحيفة معاريف من فعاليتها في الخارج عندما قال : « وكأن في امكان خط باريليف ان يمتد الى كل الاهداف والممثلين الاسرائيليين في العالم » (ن. م. د. ف عدد ٧٣/٣/١٦) . والثاني هجومي يعتمد على تشديد الضربات المتلاحقة الى مصادر الخطر بغية درء الاحداث قبل وقوعها . ولقد تحدث الجنرال العازار بعد عملية ٩ ــ ١٠ نيسان بهذا الصدد قائلا : « منذ شهر كانون الاول [١٩٧٢] غير الجيش الاسرائيلي توجهه الدفاعي ودمجه بتوجه هجومي. وهو التوجه الذي أعطى ثماره بانخفاض مستمر في نشاط المخربين [رجال المقاومة] وعدد مصابينا ، الى جانب ارتفاع عدد الاصابات بينهم ، وهدوء الحدود مع لبنان وسوريه» (ر. ا. ا. عدد ٢٠٩).

يعد العدو الاسرائيلي هجومه عادة بوضع جدول للاهداف مع تحديد الافضليات . ويلي ذلك البدء بالاستطلاع وجمع المعلومات واعداد الخطة التفصيلية المرنة لضرب كل هدف وتحديد القوى اللازمة لذلك . وما ان يتم هذا الاعداد حتى تتحرك القوة المكلفة لتنفيذ المهمة . وتختلف ساعة الحركة حسب طبيعة الهدف . فاذا كان الهدف ثابتا ومعروفا ولا بد من ضربه فورا تحركت القوة المنفذة من مكان التجمع (اسرائيل أو أي مكان آخر) متجهة مباشرة نحو الهدف (قواعد المقاومة ومكاتبها في مخيم نهر البارد ، معسكر التدريب في البداوي ، بناية مقر قيادة الجبهة الشعبية الديموقراطية في صبرا ، كراج صيدا .. الخ) اما اذا كان الهدف ثابتا ومعروفا ولكن من الضروري انتظار الظرف الملائم لضربه (ضجة عالمية ضد الارهاب ، أو للرد السريع على ضربة تقوم بها المقاومة بشكل يظهر للعالم سرعة رد اسرائيل وديناميكيتها) فان القوة المنفذة تتحرك من مكان التجمع البعيد الى داخل البلد الذي سيجري التنفيذ فيه وتبقى على شكل قوة كامنة تنتظر اشارة البدء (ويمكن اعتبار بيوت قادة المقاومة الثلاثة الذين استشهدوا في ليلة ٩ ــ ١٠ نيسان من هذا النوع او من النوع الاول حسبما يثبت التحقيق بالدليل القاطع قدوم المنفذين من خارج البلاد في **ليلة الهجوم نفسها** او عدم قدومهم) . واذا كان الهدف متحركا يبدل مكانه بسرعة تجعل من المتعذر الافادة من معلومات رصد سابقة استخدم العدو القوة المنفذة الكامنة . وهو يقسم القوة المنفذة في هذه الحالة الى مجموعتين : مجموعة استطلاع ومجموعة تنفيذ . وتكون المجموعتان في البلد الذي سيتم التنفيذ فيه، وتبقيان على اتصال دائم . والفرق بينهما ان مجموعة الاستطلاع تمارس عملها على حين تبقى مجموعة التنفيذ في حالة تأهب . وما ان يظهر الهدف أمام مجموعة الاستطلاع حتى تعلم المنفذين للقيام بمهمتهم . ولا تنجح مثل هذه المجموعات الا اذا أمنت ما يلي : ١) سرعة الاتصال بين مجموعة الاستطلاع ومجموعة التنفيذ ، ٢) سرعة حركة مجموعة التنفيذ ، ٣) خضوع مجموعة الاستطلاع لمراقبة دقيقة من مجموعة التنفيذ حتى تختفي هذه الاخيرة اذا ما انكشفت مجموعة الاستطلاع ووقعت في الاسر . واخيرا فان هناك الاهداف الطيارة ، أي الاهداف الصغيرة العابرة التي يتم كشفها ووضع الخطة وتنفيذها بالوسائل المحلية المتوفرة في منطقة ظهور الهدف دون الحاجة للاستعانة بوسائل اكبر. (حادثة استشهاد حسين ابو الخير في قبرص، واستشهاد الدكتور باسل قبيسي في باريس ...الخ)

---

* كان الجنرال الاحتياطي أهارون ياريف رئيسا للاستخبارات العسكرية قبل استلام منصبه الجديد كمستشار لرئيسة الحكومة الاسرائيلية .

وسواء أثبت التحقيق قدوم المجموعات التي اغتالت قادة الثورة الثلاثة من الخارج (اي استخدام العدو للطريقة الاولى) أم أثبت العكس (اي استخدام العدو للطريقة الثانية) فان من المؤكد ان في لبنان، وفي بلدان عربية اخرى مجموعات كامنة مغطاة بغطاء تجاري او سياحي أو اعلامي او ثقافي ، وتتمتع بحماية ومساعدة سفارات الدول الامبريالية. وستكون مهمة هذه المجموعات تنفيذ الطريقتين الثانية والثالثة حسب مقتضيات الظروف وطبيعة الاهداف . كما ان في البلدان الاجنبية مجموعات مستعدة لمجابهة الاهداف الطيارة . الامر الذي يتطلب قيام حركة المقاومة في البلدان الاجنبية وحركة المقاومة واجهزة الامن في الدول العربية المضيفة بالبحث بجدية عن هذه المجموعات لتدميرها .

وما دمنا في معرض الحديث عن التخطيط فان علينا ان نعترف بدقة تخطيط العملية التي نحن بصددها. ولكن علينا ايضا ان لا نبالغ في تقييم هذه الدقة ، ولا نعيدها لعبقرية العدو وتغلغل اجهزته ... الخ بل نعيدها الى اسبابها الحقيقية وهي : ١ — صحة المعلومات الناجمة عن انكشاف الاهداف وضعف أمن المقاومة ، ٢ — تنفيذ العملية في بلد سياحي مفتوح يعتمد جزء كبير من ازدهاره على منح اكبر حرية ممكنة للاجانب من السواح ورجال الاعمال ، ٣ — قرب البحر والحدود الاسرائيلية بشكل يساعد على وضع خطة الانسحاب ، ٤ — معلومات الاستخبارات التي تقدمها الدول الامبريالية ، ٥ — عدم استخدام بعض قيادات المقاومة لمبدأ المراكز المتحركة، ٦ — عدم تطبيق مبادىء وأساليب التملص من المراقبة والتملص من المطاردة خلال الحركة .

التوقيت : لقد تم اختيار التوقيت العام في الفترة التي سبقت العمليات المنتظرة بمناسبة مرور ٢٥ سنة على انشاء دولة اسرائيل بحيث يكون للعملية تأثير سلبي على مجموعات الداخل . اما التوقيت التنفيذي ، اي ساعة الصفر فقد اختير بشكل تستفيد به اسرائيل من الضجة الاعلامية الناجمة عن عمليتي قبرص ضد منزل السفير وضد طائرة العال . ومن الملاحظ ان التوقيت جاء في فترة هدوء جبهات القتال العربية واستمرار حالة اللاحرب واللاسلم الذي ترك يدي اسرائيل حرتين للتعامل مباشرة مع الاطراف العربية الاضعف : لبنان وحركة المقاومة . ومن المؤكد ان العدو ما كان ليجرؤ على القيام بمثل هذا العمل لو انه كان مشتبكا بحرب استنزاف مع البلدان العربية ، أو لو انه كان يتوقع ردا عربيا عنيفا على مستوى الاحداث . ولكن الايام علمته ان الانظمة العربية التي لا تقاتله هي في حالة حياد سلبي معه ، وان ردها سيكون لفظيا غير رادع ، الامر الذي شجعه على توسيع العدوان مع حرية في اختيار **الزمان والمكان والاسلوب** .

التنفيذ : جرى تنفيذ عملية صيدا بمجموعة واحدة أما عملية بيروت فقد تم تنفيذها بثلاث مجموعات (مجموعة صبرا ومجموعة الاوزاعي ومجموعة شارع فردان) مختلفة التكوين والتسليح ، ومتباعدة عن بعضها مسافة ٥ كيلومترات . وهذا يعني أنها كانت تعمل بصورة منعزلة وببداهة منفذيها . ولن نكرر هنا وصف العملية الذي أوردته الصحف العربية والاجنبية بتفصيل لا يخلو من الاثارة الصحفية والمعلومات غير المؤكدة ، والاشارات المقصودة او غير المقصودة لبراعة المنفذين . ولكننا سنكتفي بالاشارة الى نقاط ثلاث : المفاجأة ، والدور الامريكي ، ودور السلطات اللبنانية .

المفاجأة : اذا كان من المبرر نسبيا مفاجأة حرس قادة المقاومة في شارع فردان نظرا للاسلوب الذي استخدمه المهاجمون (سيارات مدنية — البسة مدنية — مسدسات كاتمة — تنكر بهيئة الهيبيين — الوجود داخل بناية يسكنها مواطنونآخرون...الخ) فان من غير المبرر أبدا ان تنقلب هذه المفاجأة المحلية المحدودة الى مفاجأة كاملة لكل قوى الامن خاصة اذا ثبت ان مجموعات شارع فردان جاءت عن طريق البحر او عن طريق الجو (هليكوبتر) وبقيت على الارض اللبنانية حوالي ٤٠ دقيقة (حسبما تقول النشرة الاعلامية رقم ٧٣/١ الصادرة عن الشعبة الخامسة في الاركان العامة لقيادة الجيش اللبناني ، النهار ٧٣/٤/١٧)*. أما بالنسبة للمفاجأة في صبرا والاوزاعي وصيدا فهي أمر كارثوي لا يقبل أي تبرير ، ولا يمكن تفسيره الا باهمال المقاومة لتدابير الحماية والحراسة والرصد والانذار وضعف استعدادات الميليشيا الشعبية وضآلة قدرتها على كشف العدو وصده

* انتشر في الايام الاولى بعد العملية نبأ يقول ان مدتها كانت ساعتين ونصف . وتقول النشرة المذكورة اعلاه ان المدة كانت ٤٠ دقيقة فقط . وتفسر الاختلاف بين الرقمين الى ان العدو ترك وراءه قنابل موقوتة انفجرت بعد انسحابه بشكل أوحى للناس بأن القتال لا يزال مستمرا .

ومطاردته ، واهمال السلطات اللبنانية لحراسة الساحل اللبناني وحمايته وانعدام تدابير الرصد والانذار على طول الشاطىء ، واذا كانت حماية الشواطىء من الهجمات مهمة تتجاوز امكانات القوات المسلحة واجهزة الامن فان حراسة هذه الشواطىء والانذار بوجود مراكب متقدمة أمر ممكن ولازم ويمكن تنفيذه بوسائط محدودة بل وبدائية . ولو كان هذا العمل من باب المستحيلات لكانت عمليات التهريب ، وفرار المجرمين العاديين عن طريق البحر أمرا مألوفا في كل بلد يطل على بحر. وهذا ما لا يدخل في مجال العلم العسكري او في مجال المنطق المجرد .

ان علينا ان نعترف بصراحة بأن المفاجأة تمت بكل بساطة نظرا لانعدام تدابير الامن والرصد والانذار. ولو كانت هذه التدابير مؤمنة لوقعت معركة تصادمية — ولا بأس ان كانت غير متكافئة — في المياه الاقليمية او على الشاطىء او في العمق . ولكن شيئا من هذا لم يقع ، وقام العدو بالتقرب والنزول والتسلل والضرب تحت ستار من المفاجأة الكاملة . ولو ان المتفجرات والرصاصات التي استخدمها كانت بلا صوت لتم الانسحاب ايضا في جو من السرية الكاملة . ولقد قال العميد ريمون اده في تعليقه على الاحداث « هذه اكبر فضيحة عرفها لبنان ، وهي اكبر من فضيحة المطار . ولقد كان علينا ان نتخذ الاحتياطات اللازمة للحؤول دون تكرار مثل هذه الحوادث المؤسفة » (النهار ٧٣/٤/١١) وانني لاضيف الى قول العميد بأن اول هذه [الاحتياطات] يتمثل في خلق جهاز رصد وانذار متكامل يغطي البلاد كلها ، ويمنع العدو من اقتطاف ثمار المفاجأة .

الدور الامريكي : في ١٩٧٣/٤/١٠ اصدرت القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية بلاغا ذكرت فيه ان هجوم العدو « اعتمد على عناصر للاستخبارات الامريكية في بيروت » وان عدة سيارات من سيارات المهاجمين « شوهدت تتجه الى مقر السفارة الامريكية في عين المريسة » . ولقد نظرت الولايات المتحدة الى هذا الاتهام بشكل جاد ، واعتبرته عملا خطيرا يستثير مشاعر الجماهير العربية ويهدد أرواح الرعايا الامريكيين ومصالحهم ومؤسساتهم في البلدان العربية . واسرعت وزارة الخارجية الامريكية الى نفي النبأ ووصفته بانه « لا يستند الى اساس » . وفي اجتماع مجلس الامن بتاريخ ٤/١٢ تحدث المندوب الامريكي طويلا عن هذا الموضوع وانكر اشتراك امريكا في العملية ووصف الخبر الوارد في بلاغ القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية بأنه « غير صحيح » و« كذبة كبيرة ». وفي اليوم التالي استدعى وزير الخارجية ويليام روجرز ١٣ ديبلوماسيا عربيا الى وزارة الخارجية لينفي دور الولايات المتحدة في الغارة . وطلب منهم ان ينقلوا النفي الامريكي وفي اسرع وقت الى حكوماتهم والتأكد من اذاعته في المحطات الرسمية. بيد ان وكالة الانباء الفلسطينية — وفا — ذكرت ان طائرة عسكرية امريكية من طراز هيركوليس قامت من بيروت بنقل ٤٥ شخصا مساء يوم الثلاثاء الماضي ، اي بعد اقل من اثنتي عشرة ساعة من تنفيذ العملية . وقالت انها انزلت ١٥ شخصا فقط (في عملية روتينية لتبديل حرس السفارة) ومن الطبيعي ان تأخذ ١٥ شخصا فقط وهو عدد الحرس الذين يتم تبديلهم بصورة دورية . فمن اين جاء الثلاثون الباقون ؟ ثم قالت الوكالة بأن الايام القادمة ستحمل « وثائق اكثر وأخطر » عن التدخل والاشتراك الامريكي في عملية بيروت . (المحرر ٧٣/٤/١٤) .

وهكذا بدأت الحملة العربية ضد الولايات المتحدة الامريكية ، والحملة الامريكية المضادة للتخلص من التهمة . وليس بوسعنا انتظار الوثائق وانتهاء الحملة لنقول كلمتنا بهذا الصدد . ان رأينا واضح لا يقبل اللبس وهو انه سواء اثبتت الوثائق اشتراك السفارة الامريكية الفعلي في العملية ام لم تثبت ، وسواء اعترفت الولايات المتحدة بالمشاركة الجرمية أم لم تعترف فان الولايات المتحدة شريكة متواطئة في هذه العملية والعمليات التي سبقتها والعمليات التي ستليها . وتتمثل مشاركتها الجرمية في انها تزود المجرم بالسلاح والمعلومات اللازمين للجريمة ، وتتستر على عملياته ، وتحميه من غضبة المجتمع الدولي وعقوباته ، وتنجيه من العقاب بشكل يدفعه الى تكرار جريمته ، وتؤمن تفوقه العسكري للحفاظ على الاراضي المغتصبة كمكافأة على عدوانه . ولا اعتقد ان بوسع وزارة الخارجية الامريكية ان تنكر ذلك مع ان المشاركة الجرمية الثابتة هنا — باعتراف المجرم نفسه — عمل يستهدف قتل شعب كامل لا قتل عشرات الاشخاص .

تقول صحيفة لوموند الفرنسية : « ان الولايات المتحدة التي كانت بعد حرب الايام الستة [حرب ١٩٦٧] تود الحفاظ على « توازن » عسكري بين

اسرائيل وجيرانها العرب ، ترى اليوم بعد خروج الخبراء السوفييت من مصر ان التفوق الاسرائيلي الساحق هو افضل ضمانة ضد عودة القتال » (لوموند ٧٣/٤/١١) . وهذا يعني ان التفوق الاسرائيلي الساحق الذي تضعه واشنطن بين يدي اسرائيل سيمنع الحرب على نطاق واسع ، اي سيسمح لاسرائيل بالبقاء في الاراضي المحتلة نظرا لعجز العرب عن اخراجها بالقوة ولعدم رغبتها في الخروج بدون قوة . وهذا التفوق نفسه هو الذي يسمح لاسرائيل بضرب قواعد المقاومة ومخيمات اللاجئين بكل حرية « حيثما وجدت » . **وهكذا يؤدي الدعم الامريكي الى تفوق اسرائيلي يشل العرب من جهة ويطلق يدي اسرائيل لابادة الشعب** الفلسطيني من جهة اخرى . فهل هذا الدعم مشاركة واضحة في جريمة الابادة ام لا ؟ وهل ينبغي علينا تقديم شرح افضل لفهم دور الولايات المتحدة الاجرامي ؟ المأساة كل المأساة هي ان الكثير من العرب الذين يملكون مفاتيح القوة لم يفهموا هذه المعادلة الصعبة . أو انهم فهموها فحسب دون ان يتصرفوا وفق مقتضيات هذا الفهم .

دور السلطات اللبنانية : في ٧٣/٤/١٠ اصدرت الاحزاب والقوى التقدمية في لبنان بيانا اتهمت فيه السلطة اللبنانية بالتواطؤ مع « المخطط التخريبي الجديد الذي تشترك في وضعه الاستخبارات الامريكية والبربرية العسكرية الصهيونية لتصفية المقاومة الفلسطينية والقوى التقدمية » (النهار ٧٣/٤/١١). وصرح الاستاذ كمال جنبلاط للصحفيين عند عودته الى البلاد « مش ممكن الانسان الا ان يعتقد ان هناك تواطؤا بين الحكومة اللبنانية والسلطات الاسرائيلية . ويجب محاكمة المسؤولين على هذا الشيء . وفي البلدان الاخرى يحاكمونهم بتهمة الخيانة الوطنية » ... « ما في تعابير يمكنها ان تصف الوضع الذي وصلنا اليه . البلاد بلاد جواسيس ، والحكم بلا شرف وما في شهامة » . (النهار ٧٣/٤/١١) . وقال الرئيس رشيد كرامي: « الجميع باتوا قلقين على المصير نتيجة فقدان الحماية ، ونتيجة هذا الغياب المطلق للسلطة الذي هو أشد خطرا من اعتداءات العدو الذي بات يسرح ويمرح حتى في العاصمة » (النهار ٧٣/٤/١١) . ووصف النائب الدكتور علي خليل عجز الحكومة عن حماية ارواح مواطنيها بأنها « اللامنطق غير المبرر » (النهار ٧٣/٤/١١) . وأعلن حزب البعث العربي الاشتراكي : « نحن نرى ان النظام العميل في لبنان يهيىء الفرص للعدو الاسرائيلي للاستمرار في شن اعتداءاته البربرية على ارض لبنان والجماهير الفلسطينية اللبنانية عندما يتخاذل عن المواجهة او القيام بأية اجراءات احترازية او تنبيهية » (النهار ١٩٧٣/٤/١١) .

هكذا بدأت الحملة ضد السلطة اللبنانية لعدم اشتراكها الفعلي في كشف المعتدين، او في مجابهتهم خلال التنفيذ ، او في مطاردتهم وتدميرهم بعده . واستعد المجلس النيابي لمحاسبة الحكومة على التقصير . ونزلت الجماهير الى الشوارع منددة بالعدوان الاسرائيلي ، والتواطؤ الامريكي ، وتهاون السلطة . (الصحف اللبنانية في ١١ و ١٢ و ١٩٧٣/٤/١٣) وفجأة استقالت الحكومة . وقيل على لسان رئيس الحكومة الرئيس صائب سلام « انه اشترط للبقاء في الحكم اقالة قائد الجيش باعتباره مسؤولا عن عدم تنفيذ الاوامر بالمقاومة » ولم ينف رئيس الحكومة هذا الخبر او يؤكده . ولكن رئيس الجمهورية رفض الشرط . وقبل الاستقالة بعد تأجيل . وطرحت مسألة عدم تدخل القوات المسلحة في المعركة ضد المعتدين على بساط البحث دون أن تصدر بيانات رسمية اتهامية او دفاعية . بيد ان خصوم الرئيس صائب سلام طرحوا الاسئلة التالية : لماذا لم تتدخل قوى الامن الداخلي وهي على بعد خطوات من مكان الحادث ولديها من الامكانات ما يؤهلها لضرب القوات الاسرائيلية المهاجمة المحدودة ؟ وكيف يتدخل الجيش قبل ان تستنفد قوى الامن طاقاتها وامكاناتها ؟ وهل ينبغي محاسبة الجيش لعدم تنفيذ الاوامر دون النظر الى قدرة هذا الجيش على الدفاع اذا ما صعد العدو العمليات لانقاذ مخربيه ؟ ولقد اوجز الشيخ بيار الجميل الرأي المدافع عن الجيش بقوله : « لا اوافق قطعا على اعتبار قائد الجيش وضباط الجيش هم المسؤولون لان جيشنا لم يدخل في حرب مع الغزاة . فانا اعرف بأنه كان ممكنا تدخل الجيش ضد عشرات او مئات الاسرائيليين الذين غزوا بيروت وضواحيها ، ولكن هل ان هؤلاء وحدهم اسرائيل ؟ الا نعرف ان غواصات وطائرات حربية اسرائيلية كانت في حالة تأهب للتدخل في لبنان اذا تعرض الكوماندوس الاسرائيلي للخطر؟ الا نعرف انه ليس بامكان كل الدول العربية الصمود في وجه اسرائيل ، فكيف يستطيع لبنان الصمود ؟ واذا كانت الدول العربية قادرة على مواجهة اسرائيل ، فمن الجريمة الا تبدأ القتال

حالا . اما ان يطلب من جيش صغير مثل جيش لبنان ان يواجه اسرائيل وحده فهذه خيانة وطنية. اني متأكد ان أي قتال جدي بين لبنان واسرائيل سيؤدي الى احتلال المطار والمرفأ وتدميرهما ، كما سيؤدي الى احتلال المناطق التي تريدها اسرائيل من جنوب لبنان . فكفى مكابرة وبهورة ، وعلينا ان نقيس الامور بميزان العقل» (النهار ١٢/٤/٧٣)

فلنترك صعيد المحاورات بين رجال السياسة ولننظر الى الامور نظرة عسكرية ذات محتوى سياسي — استراتيجي . ان الوضع العسكري اللبناني ، والجمود العسكري العربي يدفعنا لان نقول :

١ — هناك خطأ يقع على عاتق الجيش وسلطات الامن الداخلي في مجال رصد وكشف التحركات الاسرائيلية الجوية والبحرية ، والانذار بوقوع الهجوم .

٢ — كانت قوى الامن الموجودة في المدينة (ثكنات او دوريات آلية) قادرة على الاشتراك في مجابهة المعتدين ومطاردتهم والحاق الخسائر بهم داخل المدينة وخارجها . ولقد قامت دورية من الفرقة ١٦ بالاشتباك وتكبدت عددا من الخسائر . ولكننا لا ندري حتى الان لماذا لم يكن التدخل اوسع نطاقا . وليس لدينا من المعلومات ما يفسر ذلك .

٣ — كانت قوات الجيش البرية قادرة على التدخل بفاعلية في المجابهة والمطاردة خلال الليل على الاقل نظرا لضعف فاعلية الطيران ضدها ليلا . ولكنها لم تتدخل . وتقول النشرة الاعلامية رقم ٧٣/١ المذكورة سابقا ان سبب عدم التدخل يرجع الى ان الجيش لم يتأكد من ان الحادث يتعدى حدود الاحداث الداخلية وتقوم به قوات معادية الا في الساعة ١،٥٠ اي بعد انتهاء الحادث في شارع فردان بعشرين دقيقة . وانه ارسل الدوريات الى فردان والشاطيء ولكن العدو كان قد انسحب. واذا كان الامر كذلك ، فان الجيش غير مسؤول عن الصد . ولكن مسألة المطاردة تبقى مطروحة على بساط البحث . واذا كانت المطاردة البرية متعذرة نظرا للتأخر بالتبليغ وطلب التدخل ، فان المطاردة الجوية والبحرية بقيت ممكنة بعد ذلك . واغلب الظن ان عدم تدخل القوات المسلحة في هذه المطاردة ، رغم ما تتسم بهذه القوات من جرأة وحمية وطنية،ترجع الى وقوعها تحت تأثيرات الردع بشكل كامل شلها وجعلها تقف متفرجة على المجرمين وهم يتسللون من بين اصابعها وتحت انظارها دون ان تبادر الى القيام بأي اجراء مضاد.

هنا لا بد لنا من ذكر نقطتين بالنسبة للقوات المسلحة . نقطة لها ونقطة عليها . اما النقطة التي لها فهي ان القوات المسلحة (اليد الضاربة) تنفذ دائما خطط السياسة (الروح والعقل) ، ضمن حدود الامكانات الموضوعة تحت تصرفها . ولقد دابت الاوضاع السياسية اللبنانية والعربية بصورة عامة منذ حرب ١٩٤٨ حتى الان الى وضع القوات المسلحة في موقف استراتيجي غير ملائم ، يؤدي الى شللها الاستراتيجي وهزيمتها على مسرح المعارك تكتيكيا وعملياتيا . وليس ذنب الجيش ان سياسة البلد الدفاعية جعلت حجمه وتسليحه وميزان القوى في غير صالحه لدرجة تجعله امام احتمالين : فاما ان يحجم عن القتال بتأثير الردع ، او يقبل المعركة الانتحارية ويتلقى الموت بشرف .

ان التاريخ المعاصر لم يعرف حالة تم فيها ردع الطرف الاضعف بسبب اختلال ميزان القوى سوى حالة تشيكوسلوفاكيا عندما احتلتها قوات حلف وارسو لمنعها من السقوط في احضان الغرب. وها هي لبنان تقدم لنا حالة ثانية مشابهة من زاوية الردع فقط مع وجود اختلافات كبيرة وجوهرية بين المثالين بالنسبة لمعطيات الموضوع الاخرى . ولكن التاريخ المعاصر نفسه قدم لنا دولة بولونيا كمثل رائع لدولة قررت قواتها المسلحة — وحجمها بالنسبة لحجم القوات النازية كحجم قوات لبنان بالنسبة للجيش الاسرائيلي — الاشتراك في حرب يائسة تنهزم فيها بشرف بدلا من الشلل والاستسلام امام قوة الردع . ولماذا نذهب بعيدا وقد قدم لنا الجيش اللبناني نفسه في معركة ١٦ — ١٩٧٢/٩/١٧ مثلا حبذا لو انه تكرر في ليلة ٩ — ١٩٧٣/٤/١٠ وخلق ملحمة تنير سبيل الاجيال المقبلة .

ان الحساب قبل المعركة وخلالها امر عقلاني لا بد منه ، ولكن ما ان يتعرض امن الوطن وسلامته لخطر داهم حتى يصبح الحساب عملا اضافيا وترفا لا محل له . ويغدو اندفاع القوات المسلحة نحو الموت شرفا لها ومبررا تاريخيا لوجودها .

٤ — كانت قوات المقاومة الاحتياطية ووحدات الكفاح المسلح الفلسطيني قادرة على التدخل خلال المطاردة ، ولكن قوى الامن منعتها بالقوة ، واصابت قائدها المقدم خالد بجروح في رأسه (بيان الاحزاب والقوى التقدمية اللبنانية .

استثمار النصر : ما أن نفذ العدو هدفه العسكري

حتى بدأ استثمار النصر باتجاهين رئيسيين هما :
١ ـ استغلال الوثائق المستولى عليها لاعتقال خلايا الداخل واحباط العمليات المعدة . وتقول الانباء الواردة من الارض المحتلة ان اجهزة امن العدو اعتقلت عشرات المواطنين العرب في قضاء عكا والجليل الغربي والناصرة وقرى المثلث مستندة الى معلومات مستقاة من الوثائق . واغلب الظن ان في هذه الانباء مبالغة مقصودة لان مصادر المقاومة تؤكد ان المعلومات المستولى عليها قليلة الاهمية . ٢ ـ استغلال النجاح العسكري الناجم عن المفاجأة التكتيكية في الهجوم (بسبب اخطائنا) والغطاء الامني في الانسحاب (بسبب ردع قواتنا) بغية تحطيم معنويات قيادات المقاومة وقواعدها ووضعها في وضع التحفز القلق، ٣ ـ استغلال العملية كلها لخلق شرخ بين اللبنانيين والفلسطينيين، أو بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية على الاقل . ولقد بدأت وسائل العدو الاعلامية ووسائل الغرب الموالية حملة دعاوية تستند على التهويل والتهديد . ففي ١٩٧٣/٤/١٠ قال مراسل الاذاعة الاسرائيلية اوري دانيال « واذا لم يكن هناك مناص فان قوات الجيش الاسرائيلي ستفعل في العاصمة اللبنانية الامور التي تعتقد اسرائيل بان الحكومة اللبنانية يجب ان تفعلها بنفسها » (ر.أ.أ ملحق عدد ٢٠٨) . واشارت صحيفة دافار في صبيحة ٤/١١ « ان من السابق لاوانه ان نقع في خطأ الوهم بأنه بذلك ـ أي بالعملية ـ قد اقتلع اساس الارهاب واذا ما استمر العمل الارهابي فانه سيكون مطلوبا تنفيذ عمليات اخرى » ونسجت صحيفتا اومر وشعاريم على المنوال نفسه (ر.أ.أ ملحق عدد ٢٠٨) . وذهبت صحيفتا تريبونا واويكلت الى ابعد من ذلك عندما طلبتا من سورية وليبيا والقاهرة تعلم الدرس من الغارة (ر.أ.أ. ملحق عدد ٢٠٨) . وفي ٤/١٢ كتبت صحيفة هآرتس « ان العملية اثبتت لاول مرة لحكومة لبنان ان ما هو معلق وقائم بينها وبين حكومة اسرائيل هو مجرد وجود المخربين [المقاومة] على الاراضي اللبنانية » . وتحدثت هتسوفيه وعل همشمار باللهجة التهديدية ذاتها (ر.أ.أ. ملحق عدد ٢٠٨) . وكان الجنرال اليعازر قد صرح « بأن الاسرائيليين سيواصلون غاراتهم على لبنان وعلى بيروت نفسها ما دام للفدائيين حرية العمل والتحرك واعداد العمليات » (النهار ٧٣/٤/١٢) . وفي اجتماع مجلس الامن بتاريخ ٤/١٢ تحدث مندوب اسرائيل يوسف تكواع عن لبنان ووصفه بأنه « مركز للارهاب العربي » ثم قال « ان لبنان يطالب بالحصانة تحت ستار أنه دولة تسعى من اجل السلام . لكن احترام سيادة لبنان لن يكون ممكنا الا اذا أبعد الفدائيين عن أراضيه » (ر.أ.أ. ملحق عدد ٢١٠) ولقد صعد موشي دايان وزير الدفاع التهديدات عندما قال في مقابلة تلفزيونية في ٤/١٣ بأن لبنان سيتعرض للضرب كدولة اذا استمر في السماح لمنظمات المقاومة باقامة مقر قياداتها في اراضيه وان الضربات المقبلة ستوجه الى لبنان لا الى اهداف المقاومة فقط . (المحرر ١٩٧٣/٣/١٤) . ولم تترك الولايات المتحدة الفرصة تفوتها للاشتراك في حملة الضغط المعنوية على العرب عامة والمقاومة الفلسطينية بشكل خاص فلقد طالبت الدول العربية رسميا بأغلاق محطات الاذاعة الفلسطينية التي تهاجم امريكا وتعتبرها شريكة في العدوان . وفي يوم ١٤ نقلت الاسوشيتدبرس « ان الولايات المتحدة تضغط على لبنان لكي يلجم الفدائيين الفلسطينيين داخل اراضيه . وفهم ان الحكومة الامريكية لا تقبل الرد القائل ان لبنان لا يستطيع فرض قيود اشد على الفدائيين » (النهار ٤/١٥/ ٧٣) .

ولقد ردت الجماهير العربية على الحملة بمزيد من الالتفاف حول حركة المقاومة وطالبت ببيان ٤/١٠ الذي اصدرته الاحزاب والقوى التقدمية في لبنان بأن تكون « كل الحرية للمقاومة للعمل وحماية نفسها » وهب حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب التقدمي الاشتراكي وحركة التوعية وحركة ٢٤ تشرين والتنظيم الناصري والتجمع الوطني للجنوب والمجلس الاسلامي والنقابات والمجلس النسائي واتحاد الكتاب اللبنانيين والطلاب وغيرهم من القوى الوطنية وطالبوا بدعم المقاومة والالتفاف حولها ومنحها حرية العمل وحرية الدفاع عن النفس . ورفضت الحكومات العربية الاذعان لطلب واشنطن باغلاق الاذاعات الفلسطينية العاملة على ارضها . وساعد قدوم عدد من الشخصيات العربية الرسمية على تلطيف الجو ومنع التوتر بين السلطات اللبنانية وحركة المقاومة رغم شراسة الحملة الدعاوية ورغم عملية نسف خزانات التابلاين في الزهراني التي قالت دوائر التحقيق العسكري انها توصلت الى شبه قناعة بأن مرتكبيها اشخاص من خارج المقاومة يستهدفون « الايقاع بين السلطة اللبنانية والمقاومة » . (النهار ٧٣/٤/١٦) .

الدروس المستفادة : لن تكون الدروس المستفادة هنا سوى عناوين . ولكن الدروس الحقيقية وتطبيقاتها تستحق اكثر من عناوين . وبوسعنا ان نلخص العناوين بما يلي :

ــ ان في الافق غيوم ضغوط امبريالية ستؤدي عاجلا ام اجلا الى فتنمة الصراع في وطننا .

ــ **الامن الدفاعي ضرورة حيوية لبقاء المقاومة** الفلسطينية على ان يرافقه **امن هجومي** .

ــ الرصد والانذار اول عمل امني دفاعي وشرط لازم ولكنه غير كاف لتحقيق سلامة حركة المقاومة .

ــ لا يمكن لميليشيا المقاومة ان تلعب دورها بفاعلية الا اذا تمتعت بحذر ثوري عال .

ــ التلاحم مع الجماهير العربية شرط مهم لاحباط تصفية المقاومة مهما كانت هوية القوة القائمة بهذه التصفية .

ــ ان الردع الاسرائيلي قادر على شل الانظمة ولكنه عاجز عن شل المقاومة بسبب ارتفاع مستوى اهمية « هدف الرهان » وصغر اهداف المقاومة .

ــ ان خطورة التهديد المعادي يجعل حماية قواعد المقاومة القتالية واجهزتها القيادية لا تتم الابالعمل السري والتصرف على الارض العربية وكأنها في في منطقة محرمة No Man's Land

ــ ان اجهزة المقاومة الاعلامية والاجهزة الاخرى المضطرة للعمل العلني بحاجة لتدابير خاصة تجعلها بمأمن من ضربات العدو مهما كان نوع هذه الضربات . ولا يمكن التحدث هنا عن نوع هذه التدابير لانها جزء من اسرار المقاومة .

ــ ان أمن القواعد والاشخاص والمؤسسات أمر هام لانه يضمن حماية القوى الثورية خارج الارض المحتلة . ولكن أمن الوثائق والمعلومات اهم من ذلك بكثير لان يضمن حماية الخلايا الثورية السرية العاملة وراء خطوط العدو ، وهي على الصعيد العسكري ــ السياسي ــ المعنوي اهم بكثير من القوى الموجودة في الخارج .

ــ ان على المقاومة والقوى التقدمية في البلدان العربية المضيفة ان تناضل حتى تحصل المقاومة من السلطات المحلية على كافة التسهيلات التي تساعدها على تأمين حماية نفسها بشكل فعال (رفع القيود عن التسليح ، واعطاء صلاحيات اكبر في اقتناء ونقل السلاح ... الخ) .

والخلاصة : ان عملية ٩ ــ ٤/١٠ اثبتت بأن هناك اخطاء لا تغتفر على صعيد الرصد والانذار وحفظ الوثائق ، وأن العمل الرسمي مشلولا بسبب الردع الشامل . وان المقاومة في لبنان بشكلها السابق كانت غير محمية تماما وان الحماية لا تكون بالحراسة فحسب بل بالتلاحم التام مع جماهير البلد العربي المضيف ، وبخوف العدو من الرد بعنف ثوري على كل عنف قمعي . ان الوضع العربي المهادن الحالي يجعل الشعب الفلسطيني وحده في فوهة المدفع ، ويفرض على هذا الشعب ان يتحمل وحده شراسة الغزوة الفاشية الصهيونية . والى ان يلتف الشعب العربي حول المقاومة ، والى ان تصبح المقاومة في كل بلد عربي جزءا من كيان هذا البلد لا هدفا فلسطينيا يطارده العدو ، والى ان تكسر الانظمة طوق الركود الذي يخنقها سيبقى الشعب الفلسطيني وحده حاملا لواء الكفاح المسلح باسم العرب اجمعين مهما دفع من تضحيات . وهو قادر ــ باعتراف العدو ــ على تحقيق هذه المهمة التاريخية . ويقول اوري دان المحرر العسكري لصحيفة معاريف « لم ينحن الفلسطينيون على رغم كل الخسائر التي انزلناها بهم . فقدوا قواعدهم في الاردن . ويفقدون بين الحين والاخر قواعد في لبنان ، لكنهم لم ييأسوا . فهم يطورون يوما بعد يوم وسائلهم واساليبهم القتالية . وهم الوحيدون الذين يحولون دون امكان التسوية بين الدول العربية واسرائيل » (نمدف ٧٣/٣/١٦) . فالى هذا الشعب الذي يرفض الركوع ، ويقدم بسخاء قوافل الشهداء تحيات اعجاب وتقدير .

هـ . أ .

اسرائيليـــات

رئيس اشكنازي رابع تتويج للتفرقة العنصرية

كانت احداث اسرائيل الداخلية ، هي الموضوع الاساسي الذي شغلت به الصحف الاسرائيلية في شهر آذار الماضي ، وكان ترشيح ثم انتخـــاب « رئيس الدولة » الجديد ، هو الاهم بين تلـك المواضيع ، خاصة بما افرز هذا الحدث مـن معان ، بل — زيادة في الدقة — ما رسخه مـن معان ، وابرزها اثنان :

● استمرار وزيادة الشعور بالغربة لدى اليهود الشرقيين — السفارديم — وعجز هؤلاء عن ايصال أي منهم الى « فوق » في سلم المسؤوليات داخل اسرائيل .

● استمرار بقاء بنحاس سابير — وزير مالية العدو — رجل « حزب العمل » الحاكم القوي ، وبالتالي رجل اسرائيل القوي .

وقبل الدخول في تفاصيل ما حدث ، يجدر بنا ان نقف — ولو قليلا — عند السؤال : كيف ينتخب رئيس الدولة ؟ ثم ما هي صلاحياته ؟

على الشق الاول من السؤال ، يمكن الاجابة ، باختصار ، على النحو التالي :

« ١ — ينتخب رئيس الدولة من قبل الكنيست لمدة خمس سنوات ، تحسب بالتقويم العبري .

٢ — كل مدني اسرائيلي ، مقيم في اسرائيل يحق له ان يكون مرشحا للرئاسة . ومن يشغل هذا المنصب فترتي رئاسة متواليتين ، لا يحق له الترشيح لفترة الرئاسة التالية . (اقرت الكنيست ذلك يوم ١٩٦٤/٦/١٦) .

٣ — يجري انتخاب الرئيس في فترة لا تسبق باكثر من تسعين يوما ، ولا تتأخر باكثر من ثلاثين يوما عن يوم انتهاء فترة الرئاسة. وفي حال شغور كرسي الرئاسة قبل الفترة المحددة لذلك ، يجري انتخاب الرئيس الجديد خلال خمسة واربعين يوما ...

٤ — بعد تحديد يوم الانتخاب ، يحق لاي عشرة على الاقل من اعضاء الكنيست تقديم مرشح ، ويكون الترشيح كتابة ويسلم الى رئيس الكنيست، مرفقا بموافقة المرشح كتابة او برقيا ، خلال فترة لا تقل عن عشرة ايام قبل يوم الانتخاب .

٥ — يعلن رئيس الكنيست لجميع اعضاء الكنيست كتابة ، وخلال فترة لا تقل عن سبعة ايام من يوم الانتخاب ، عن كل مرشح وعن اسماء اعضاء الكنيست الذين رشحوه .

٦ — يكون انتخاب رئيس الدولة بالاقتراع السري في الجلسة المخصصة لذلك الموضوع فقط .

٧ — المرشح الذي ينال غالبية اصوات اعضاء الكنيست — أي اكثر من ٦٠ صوتا — يكون هو الفائز ، وما لم يفز أي من المرشحين بمثل هذه الاغلبية يجري الاقتراع ثانية ، وما لم يفز في هذه المرة ايضا أي من المرشحين بالاغلبية المذكورة يجري الاقتراع ثالثة بعد استثناء ترشيح الحائز على أقل نسبة من الاصوات ، وهكذا الى ان يفوز احد المرشحين في الاقتراع الثالث او الـــذي يليه بالاغلبية المذكورة ، ويصبح هو الرئيس ...» (معاريف ١٩٧٣/٣/١) .

اما ابرز ما في صلاحيات رئيس الدولة فهي :

« ١ — توقيع كافة القوانين ، باستثناء تلك المتعلقة بصلاحياته .

٢ — توقيع المعاهدات بعد اقرارها في الكنيست .

٣ — تعيين مندوبي الدولة الديبلوماسيين بموجب توصية من وزير الخارجية . وتسلم اوراق اعتماد المندوبين الديبلوماسيين للدول الاجنبية لـــــدى اسرائيل .

٤ — استلام التقارير عن جلسات الحكومة .

٥ — قبول استقالة الحكومة والعمل على تشكيل

حكومة جديدة عن طريق الاستشارات مع قوائم الاحزاب في الكنيست ، والقاء مهمة تشكيل الحكومة على احد اعضاء الكنيست .

٦ — اصدار العفو وتخفيف العقوبات عن المسجونين ، بموجب توصية من الجهات الحكومية المختصة .

٧ — تعيين مراقب الدولة ، وعميد بنك اسرائيل ، والقضاة المدنيين ، والقضاة الشرعيين للطوائف المختلفة ... » (كتاب « من ومن في اسرائيل (بالعبرية) ، ٧١ — ١٩٧٢ » ، الجزء الثاني — المؤسسات ، الطبعة العبرية ص ٢٣٣) .

هذا على الصعيد القانوني ، فماذا على الصعيد العملي ؟

يقول الصحافي الاسرائيلي مايزلس في معاريف (١٩٧٣/٣/١) انه « بموجب القانون تنتخب الكنيست رئيس دولة اسرائيل ، لكن التجربة تعلمنا ان انتخاب المرشح للرئاسة « يطبخ » بداية في مطابخ الاحزاب المختلفة ، ويقدم بعد ذلك كطبخة معدة من قبل حزب واحد ، كان سابقا « حزب ماباي » ، وهو حاليا « حزب العمل » ، المكون من ثلاثة احزاب هي : ماباي ، احدوت هعفودا ورافي » .

من هنا كان واضحا سبب اهتمام ومتابعة الاسرائيليين ، لما يحدث داخل حزب العمل بالذات حول هذا الموضوع ، رغم ان صلاحيات الرئيس — كما ذكر آنفا — هي صلاحيات فخرية واسمية فقط .

منذ اواسط شهر شباط (فبراير) الماضي ، بدأت مسألة اختيار حزب العمل لمرشح منصب الرئاسة تتفاعل ، وكان بين اوائل المهتمين بهذا الموضوع ، عضو الكنيست اريبه الياف ، سكرتير حزب العمل سابقا ، واحد اشهر ثلاث « حمائم » في اسرائيل ، « حيث اقترح الياف بكتاب الى السكرتير الحالي لحزب العمل اهرون يدلين ، قاضي المحكمة العليا الياهو ماني كمرشح للرئاسة . وكان الياف قد رشح ماني في آخر انتخاب لرئيس الدولة ...، والياهو ماني هو يهودي شرقي ، من اصل عراقي، ولد في الخليل ، واثار ترشيحه حماسا في الحزب، خاصة لدى الاعضاء من اصل شرقي ، وانضم لهؤلاء عدد كبير من اعضاء مركز الحزب » (معاريف ١٩٧٣/٣/١) .

وكان اعضاء آخرون في الحزب ، قد رشحوا عددا كبيرا من الاعضاء لتسلم منصب الرئاسة ومن بين هؤلاء المرشحين ، يعقوب تسور ، رئيس ادارة الكيرن كييمت ، واسحق نافون ، ويسرائيل يشعياهو ، رئيس الكنيست ، واميل نجار ، سفير اسرائيل في روما ، والبروفيسور نتان روتنشترايخ، والبروفيسور افرايم كاتشالسكي ، والياهو ناوي، رئيس بلدية بئر السبع ...، وكانت كل الدلائل تشير الى انه في هذه المرة ، سيحصل صراع دراماتيكي داخل « مطبخ » حزب العمل ، حول اختيار المرشح للرئاسة ، ولن يفتقر ذلك الصراع الى اشارات وعلامات طائفية ». (المصدر السابق).

وفيما يتعلق بالاحزاب الاسرائيلية الاخرى ، « فان مناحيم بيغن ، رئيس حزب حيروت ، قال ان كتلة غاحال ستفضل هذه المرة احد ابناء الطوائف الشرقية ، كمرشح للرئاسة ،... وبين الذين وردت اسماؤهم كمرشحين من قبل حزب العمل ، يبدو ان الافضل بالنسبة لغاحال هو قاضي المحكمة العليا الياهو ماني ، نظرا لكونه من ابناء الطوائف الشرقية من ناحية ، وليست عليه دمغة حزبية واضحة من الناحية الثانية » .

« والافضل بالنسبة لحزب المفدال (الحزب الديني الوطني) من بين مرشحي حزب العمل ، هو احد اثنين : عضو الكنيست اسحق نافون (وهو يهودي شرقي) او يعقوب تسور » .

« وفي وسط « حزب مبام » (الذي يشكل مع حزب العمل ما هو معروف باسم « المعراخ » — أي التجمع) هناك رأي بتفضيل رئيس من اصل شرقي هذه المرة ، مثل عضو الكنيست اسحق نافون ، الذي يستطيع ان يمنع زيادة الاستقطاب الطائفي والاجتماعي في الدولة » (المصدر السابق) .

وكان واضحا مما حوته الصحف الاسرائيلية في الاسبوع الاول والثاني من شهر آذار ، ان هناك اتجاها قويا لـ « ارضاء » اليهود الشرقيين بانتخاب احدهم لمنصب الرئاسة في اسرائيل ، بعد توالي ثلاثة يهود غربيين هم حاييم وايزمان ، واسحق بن تسفي ، وزلمان شازار على رئاسة الدولة ، وكان واضحا اكثر ايضا ، ان عضو الكنيست اسحق نافون ، هو الاسعد حظا بين جميع المرشحين ، نظرا لما له من شعبية داخل حزبه وخارجه على السواء .

وفي هذا الجو من التكهنات ، شكل مكتب حزب

العمل ، يوم ١٩٧٣/٣/١٣ « لجنة الستة » (المكونة من الوزراء بنحاس سابير ، ويسرائيل غاليلي ، ويعقوب شمشنون شابيرا ، وشمعون بيرس ، بالاضافة الى عضوي الكنيست موشي برعام ، رئيس ادارة الائتلاف الحكومي ، واهرون يدلين ، سكرتير حزب العمل) بهدف ان تقدم هذه الى مكتب الحزب توصية بمرشح او بعدد من المرشحين ، استعدادا للانتخابات المصيرية في مركز الحزب (وقد جرت بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢٢) ، واتضح منذ ذلك اليوم ان المعركة قد دخلت مرحلتها الحاسمة » (يديعوت احرونوت ١٩٧٣/٣/٢٣) .

وبدل ان تختار « لجنة الستة » واحدا من المرشحين الباقين — بعد انسحاب عدد منهم مثل الياهو ماني ويعقوب تسور وابلاغ البروفيسور كاتشالسكي للوزير شمعون بيرس عدم قبوله الترشيح — بدأ عدد من اعضاء اللجنة ، وابرزهم يسرائيل غاليلي وبنحاس سابير اجراء الاتصالات مع كاتشالسكي الذي كان اذاك في بوسطن بالولايات المتحدة ، لقبول الترشيح ، وذلك ما فاجأ وازعج نافون ، خاصة وانه كان من قبل قد استمزج آراء كل من غولدا مئير وبنحاس سابير حول قبوله الترشيح ، وابلغه هذان انهما لن يتدخلا في هذا الموضوع . (معاريف ٧٣/٣/٢٣).

وفي الاتصالات الهاتفية مع كاتشالسكي ، « اشترط هذا لقبول الترشيح ان لا يدخل منافسه ، وان يكون هو المرشح الوحيد في مركز الحزب ، وقيل له ان وضع هذا الشرط سيكون فيه الحاق للضرر بسير الديموقراطية ، وان عليه الاكتفاء بالتأكيد من قبل زعامة المعراخ ان تعمل كل ما من شأنه ان يؤمن انتخابه » (المصدر السابق) ، وزادت جريدة يديعوت احرونوت في التاريخ ذاته على ذلك ، ان بنحاس سابير شخصيا هو الذي اجرى تلك المكالمة مع كاتشالسكي ، وهو الذي قدم له الوعد بالدعم وضمن له الانتصار على المنافس القوي اسحق نافون .

وكان كاتشالسكي قد طلب مهلة مدتها ٢٤ ساعة لاعطاء جوابه النهائي حول قبول الترشيح او رفضه ، وسأل اثناء المكالمة « ان كان باستطاعة رئيس دولة ان يكون مرشحا لجائزة نوبل ، فجاءه الجواب ايجابيا ، وفي مكالمات هاتفية مع عدد من الحائزين على جائزة نوبل في انحاء العالم ، والذين كانوا قد اوصوا من قبل بترشيح كاتشالسكي لهذه الجائزة ، قال هؤلاء ان انتخابه لرئاسة الدولة لن يقدم ولا يؤخر في مناقشات لجنة الجائزة ، وان كان لا بد من تأثير فانه سيكون تأثيرا ايجابيا » . (المصدر السابق) .

وغالبية المعلقين الاسرائيليين ، رأوا في دفع سابير لكاتشالسكي ، وتشجيعه على قبول ترشيح نفسه للرئاسة ، في الايام الاخيرة قبل انتخاب مركز حزب العمل لمرشحه كان مناورة ذكية منه لافشال اسحق نافون ، ومنعه من الوصول الى كرسي رئاسة الدولة .

والجواب على سؤال « لماذا هذا الاصرار من قبل بنحاس سابير » يرتكز على عدة نقاط ، لعل أهمها :

١ — « ان لاسحق نافون شعبية قوية بين اعضاء حزبه ، وكان قبل سنة تقريبا قد حصل في الاقتراع داخل الحزب لانتخاب مرشح لرئاسة الكنيست — بعد موت رئيسها السابق كديش لوز — على ٢٨ صوتا مقابل ٣٠ صوتا حصل عليها منافسه يسرائيل يشعياهو — رئيس الكنيست الحالي — ، أي بفارق صوتين فقط ، رغم ان قادة الحزب — ومنهم بنحاس سابير وغولدا مئير ويسرائيل غاليلي — كانوا مصرين على انجاح يشعياهو » . (معاريف ١٩٧٣/٣/٦) .

٢ — « في اذار — مارس — سنة ١٩٦٨ ، كان نافون قد اقترح — داخل حزبه — ان تعطى لرئيس الدولة صلاحية حل الكنيست ، في حال عدم نجاح المرشحين الذين يلقي عليهم مهمة تشكيل حكومة جديدة ، وكان نافون يريد بذلك ان يعطي لمؤسسة الرئاسة مكانة اهم في الحياة السياسية » (المصدر السابق) .

٣ — ان نافون ، رغم كونه حاليا عضوا في حزب العمل ، الا انه — وذلك ما لم ينسه له سابير — كان قد انفصل عن حزب مباي لدى تشكيل حزب رافي سنة ١٩٦٥ ، وما زال اعضاء حزب العمل حتى الان يصنفون حسب ولاءاتهم السابقة ، رغم انهم رسميا اعضاء حزب واحد .

٤ — اما السبب الرابع — وربما الاهم — فهو انه ليس في « قانون اساسي : رئيس الدولة » (وهو احد القوانين القليلة المسماة قوانين اساسية ، أي ان لها قوة الدستور في اسرائيل ، رغم ان اسرائيل ما زالت بدون دستور) ، أي نص رسمي يلزم رئيس الدولة بالقاء مهمة تشكيل الحكومة على

عضو مجدد ، من اعضاء الكتلة البرلمانية الاكبر في الكنيست ، رغم انه من المتعارف عليه — بصورة غير رسمية — ان يطلب رئيس الدولة من المرشح رقم واحد في قائمة انتخابات الكتلة البرلمانية او من يرشحه الحزب ، تشكيل حكومة جديدة . ومن هنا ، فانه لا يستبعد ان يكون سابير قد خشي من احتمال طلب نافون — لو نجح واصبح رئيساً للدولة — من دايان مثلا ، وهو احد زعماء رافي سابقا ، تشكيل الحكومة الجديدة وسد الطريق بذلك امام سابير او من يرشحه في حال استقالة غولدا مئير ، او تنحيها عن رئاسة الحكومة ، ولعل في اقتراح زيادة صلاحيات رئيس الدولة التي اقترحها نافون — كما ذكر — ما يشكل اكثر من اشارة لمثل هذا الاحتمال .

يضاف الى كل ذلك ، ان اسحق نافون الذي يفاخر كثيرا بكونه من مواليد البلاد — وهو من اصل مغربي — ، وكثيرا ما كان يلمح ساخرا الى التمييز ضده نتيجة لعدم كونه يهوديا غربيا ، وعلى سبيل المثال فانه « قبل سنة تقريبا ، عندما انتخب رئيسا للجنة التنفيذية الصهيونية ، اجاب على سؤال لصحافي عما اذا كان هو صهيونيا ام لا ، بقوله : نعم ، انا صهيوني ، ولكن هناك نقصا في صهيونيتي ، فانا ولدت في البلاد ، ولم اتمكن — نتيجة ذلك — من ان انفذ وصية الهجرة الى ارض اسرائيل » ! (معاريف ١٩٧٣/٣/٦) .

وازاء التأييد الكبير الذي لنافون — من اليهود الشرقيين داخل حزب العمل من ناحية ومن اعضاء رافي من ناحية ثانية ، ومن خارج حزبه من الناحية الثالثة — فانه لم يكن من المتوقع تمكن منافس عادي من الصمود في وجه نجاحه بترشيح حزب العمل له لرئاسة الدولة . ومن هنا جاء اختيار سابير لكاتشالسكي ، وقبل ايام معدودة فقط من حسم هذا الموضوع .

وقد لاحظ الاسرائيليون ذلك ، حيث انه « كان واضحا ان الشخصية الاساسية وراء انتخاب كاتشالسكي ، هو — دون شك — رجل حزب العمل القوي ، وزير المالية بنحاس سابير ، وبدون ان يكشف هذا عن اتجاهاته كان واضحا انه — أي سابير — ليس سعيدا بشكل خاص لمظاهر التأييد والدعم التي حظي بها عضو الكنيست اسحق نافون ، حتى قبل ان يعلن « للجنة الستة » عن موافقته على ان يكون مرشحا ، وكان هناك مجال للتوقع بان يتخذ مبادرة ذات دلالة من جانبه » . (يديعوت احرونوت ١٩٧٣/٣/٢٣) .

كذلك فانه « كان لرئيسة الحكومة غولدا مئير ما تقوله حول هذا الموضوع ، رغم أنها حرصت على قوله بعيدا عن صفحات الصحف وعن الميكروفونات . وفي مشاورات داخلية مع كبار وزراء حزب العمل (وابرزهم سابير طبعا) لمحت غولدا مئير الى انها ما كانت لتنظر بارتياح الى وضع يلقي عليها فيه ، سكرتير سابق لرئيس الحكومة الاسبق دافيد بن غوريون (وهو زعيم رافي سابقا) هو اسحق نافون ، مهمة تشكيل الحكومة المقبلة بموجب منصبه كرئيس ، اذا انتخب فعلا لهذا المنصب الرفيع ، واذا وافقت هي فعلا ، كذلك ، على الاستمرار في منصبها الحالي » (المصدر السابق) .

كل ذلك يصل بنا الى السؤال عن ذلك « الحصان القوي » ، البرفيسور افرايم كاتشالسكي ، الذي تمكن بنحاس سابير من اقناعه بدخول حلبة السباق والمراهنة عليه ، واحراز الفوز به بعد ذلك .

« افرايم كاتشالسكي مجاز في العلوم ودكتور في الفلسفة ، ولفتننت كولونيل (احتياط) — في جيش الاحتلال — وبروفيسور ورئيس قسم البيوفيزياء في معهد وايزمان للعلوم في رحوفوت — جنوب تل ابيب — منذ سنة ١٩٥١ . ولد — في بولونيا — بتاريخ ١٩١٦/٥/١٦ ... وهو خريج الجامعة العبرية في القدس ، وحصل على جائزة تشرينخوفسكي سنة ١٩٤٨ ، وجائزة وايزمان ١٩٥٠ ، وجائزة اسرائيل في العلوم الطبيعية ١٩٥٩ ، وجائزة روتشيلد في العلوم الطبيعية ١٩٦١ ، كما حصل على ميدالية ليندرستروم لنغ الذهبية سنة ١٩٦٩ ، وهو كاتب مقالات وابحاث كثيرة في موضوع الزلاليات والحوامض ، وعضو في الاكاديمية الوطنية للعلوم ، والمجلس الوطني للابحاث والتطوير ، ومجلس التعليم العالي ، والرابطة البيوكيميائية الاسرائيلية ، والرابطة الكيميائية الاسرائيلية ، وكان ايضا العالم الرئيسي في وزارة الدفاع الاسرائيلية من سنة ١٩٦٦ حتى سنة ١٩٦٨ — اي في الفترة التي سبقت وتلت حرب حزيران — ، وعضو في روابط دولية هي : الاكاديمية الوطنية الاميركية للعلوم ، والاكاديمية الاميركية للفنون والعلوم (عضو شرف اجنبي) ، واكاديمية العلوم في لاوبولدينا ، الشركة الاميركية للكيميائيين

البيولوجيين (عضو شرف) ، ومؤسسة «سيفا» ، والرابطة الدولية للبيوكيمياء ، روابط عديدة اخرى ، وهو ايضا في هيئات مجلات شهرية دولية مختلفة متخصصة في العلم والتكنولوجيا » . (« من ومن في اسرائيل ، ١٩٧١ — ١٩٧٢ » ، ص ١٩٣ — ١٩٤) .

وقد ذكرت جريدة يديعوت احرونوت (٧٣/٣/٢٣) ان العديد من الخدمات التي قدمها كاتشالسكي لاسرائيل ، عبر عمله في تطوير أسلحة جيش العدو ، ما زالت سرية نظرا لنوعيتها وطبيعتها .

وكان يمكن ان يظل البرفيسور افرايم كاتشالسكي، بالنسبة الى الاسرائيلي العادي ، مثل غيره من العلماء غير المعروفين ، لولا حدثان ، او صدفتان :

اولهما : انه شارك وظهر على شاشة التلفزيون الاسرائيلي عبر مسلسل من اعداد عضو الكنيست اسحق نافون اياه ، منافسه في الترشيح لمنصب الرئاسة .

وثانيهما : انه شقيق البرفيسور اهرون كتسير الذي كان بين قتلى مطار اللد في العملية التي نفذها الفدائيون اليابانيون الثلاثة يوم ٣٠/٥/١٩٧٢ .

وقد اكتسب افرايم كاتشالسكي ، نتيجة مقتل اخيه ، صورة « المسكين » الذي فقد شقيقه ، خاصة وان صحف اسرائيل قد كتبت بايجابية مطلقة عن كتسير بعد موته ، و« خسارة اسرائيل العظيمة له ولكفاءاته وخدماته » .

ولم يخل مقال عن كاتشالسكي بعد ذلك ، الا وذكر القارىء بأنه شقيق « الشهيد » البروفيسور اهرون كتسير ...

وبرغم جميع صفات كاتشالسكي المذكورة ، اضافة الى « صفاته الاخرى » ، وبرغم دعم قادة الحزب المؤثرين له ، فقد جاءت نتيجة الاقتراع مفاجئة للجميع ، حيث فاز افرايم كاتشالسكي على نافون بأغلبية ضئيلة .

« ومن بين أعضاء مركز حزب العمل ، وعددهم ٦١٢ عضوا ، تواجد في قاعة « اوهل » في تل ابيب حيث جرى الاقتراع ٥٠٣ اعضاء،وكان ابرز الغائبين موشي دايان ، ومن المتواجدين اقترع ٢٧٩ عضوا الى جانب ترشيح البروفسور افرايم كاتشالسكي، واقترع ٢٢١ عضوا الى جانب ترشيح اسحق نافون ، وامتنع عضوان عن الاقتراع، ورفض صوت واحد ، وبذلك فاز كاتشالسكي بـ ٥٥،٨ ٪ من الاصوات ، مقابل ٤٤،٢ ٪ من الاصوات لنافون ، وهكذا خسر نافون ولكن « بشرف » . (يديعوت احرونوت ، ومعاريف ٧٣/٣/٢٣) . « ثم دعي جميع الاعضاء بعد ذلك للاقتراع العلني لصالح المنتصر ، فنال — بموجب التقليد — المرشح لرئاسة الدولة كاتشالسكي ١٠٠ ٪ من الاصوات ، للتدليل على أن المرشح هو مرشح الحزب بجميع اعضائه » (المصدر السابق) .

وبعد يومين من انتخاب حزب العمل لمرشحه للرئاسة ، اي صباح يوم ٧٣/٣/٢٤ ، بثت اذاعة العدو (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٢٧) ، مقابلة مع اسحق نافون ، كانت هي — حتى الان — اخطر واوضح ما أدلى به مسؤول اسرائيلي في الحزب الحاكم عن وجود التفرقة العنصرية داخل اسرائيل .

قال نافون : « ان ما أشعر به خلال هذا اليوم ، وليلة أمس ، هو خيبة امل العديد من الاشخاص، الذين علقوا امالا كثيرة ، واشعر أن كتفي قد ناءتا بحمل هذه الامال . اريد أن اتحدث بوضوح: هنالك موضوع يسمى « اسرائيل الثانية » هذا اولا وقبل كل شيء ، ولا أعلم لماذا ، ولا اعلم كيف ، ولكن هكذا حدثت الامور ، على الرغم من انني لا اذكر مطلقا انني شعرت شعورا طائفيا، لقد حصل ان المراكشيين يدركون انني مراكشي ، واليهود الشرقيين يعرفون انني شرقي ، وحصل ان قرى التعمير والمستوطنات والفهود السود من كافة الانواع ومن كافة الاتجاهات ، اعتقدوا بأنهم وجدوا اخيرا مناسبة لتحقيق تلك الامنية : ان يصل واحد منهم الى فوق ! » .

وعندما سئل نافون : هل سيلحق التطور الاخير ضررا بالحزب بصورة عملية في رأيك ؟ ، اجاب : ماذا تعني بقولك « سيلحق ضررا » ؟ لقد أضر وانتهى الامر ، وانهى نافون حديثه عبر اذاعة العدو بعد التذكير بأنه ترشح قبل ذلك لمنصب رئيس الكنيست ، وافشله قادة الحزب ، بقوله : « انني احمل اسم « نافون » (وهي كلمة عبرية تعني عاقل او ذكي)وينبغي ابداله باسم«تميم»...» (وهي كلمة عبرية تعني بسيط ، او ساذج) .

واخيرا ، في العاشر من نيسان الحالي عقدت الكنيست جلسة خاصة لانتخاب رئيس جديد لدولة اسرائيل ، وفاز بالمنصب ، البروفيسور افرايم

كاتشالسكي ، وغير اسمه الى افرايم كتسير ، وكان منافسه في هذه الجولة البروفيسور اورباخ مرشح حزب المفدال .

هل ستقود هذه التطورات الى ازدياد شعور اليهود الشرقيين بالتفرقة ضدهم ، او : هل يأخذ مثل هذا الشعور — بعد بلوغه الى اعلى المستويات التي بلغها اليهود الشرقيون — ابعادا جديدة ؟

يبدو أن مثل هذا الاحتمال وارد ، بل هو وارد جدا ، خاصة وان هذه السنة هي سنة الانتخابات البرلمانية العامة في اسرائيل ، وستشهد شهورها المقبلة نتيجة ذلك نشاطا سياسيا واسعا على صعيد المواطن العادي ، وستظل — كما يبدو — قصة خذلان قادة الحزب الحاكم الاشكناز للمرشح اليهودي الشرقي قصة تروى ، ويذكر بها العديدون ، علما بأن اليهود الشرقيين يشكلون ٦٠٪ تقريبا ، او اكثر ، من يهود اسرائيل ، ولم يتسلم اي منهم حتى الان منصب رئاسة الدولة او رئاسة الحكومة ، او اي من الوزارات الهامة في دولة العدو .

عماد شقور

PALESTINE LIVES

INTERVIEWS WITH LEADERS OF THE RESISTANCE

للمرة الاولى يصدر باللغة الانجليزية تحليل شامل لحركة المقاومة الفلسطينية ، ومن قبل ستة من قادة المقاومة ذاتها ، يتناول مختلف جوانبها .

يمثل الكتاب مجموعة من المقابلات مع قادة المقاومة ، بحيث يعطي الرؤية الكاملة لحركة المقاومة الفلسطينية ممثلة بمنظماتها الاساسية ، وتعكس محاولة مخلصة وصريحة في النقد الذاتي واستخلاص الدروس البناءة بتفكير واقعي هادىء بعيدا عن العاطفة. تقدم هذه المقابلات اجابات امينة بالفعل بعيدا عن الانفعال او اية اعتبارات دعاوية . وهي ، من جهة اخرى ، تعكس محاولة جدية من قبل المنظمات للتوصل الى خطة موحدة تمثل الاتفاق على سياسة الحد الادنى ، فتجربة أيلول القاسية جعلت الجميع يدرك اهمية الاعتماد على النفس وضرورة التعاون بين الجميع .

لا بد وان يخرج القارىء من هذا الكتاب بفهم حقيقي لحركة المقاومة لانه سيتعرف على افكار زعمائها مباشرة ، لا من خلال التقارير غير الموضوعية التي تقدمها وسائل الاعلام الغربية .

منشورات مركز الابحاث الفلسطيني : ص.ب ١٦٩١ ، بيروت .

ثمن النسخة ٨ ل.ل. ، يضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في أوروبه ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم .